٤١

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 153

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى الاله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عبده ١١٧٥

٢٠٧

غاية الاماني في تفسير كلام الرباني جلد واحد
خط تعليق سطرا اوتوزبر مذهب
وزيري قطعه متوسطه
م

RAĞIP P
Ka. N
206

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بالاعجاز في النظام • المتفرد بالازلية وقدم الكلام • المقدس عن التشبيه
في الاساليب والاحكام • المنزه عن التشريك في الاحكام • انزل على عبده كتابا محكما
اياته من لدن حكيم خبير • ونزل منجما كفاء الحوادث انه بعباده لخبير بصير • عرفت اساليبه
بنو قحطان • وبهت عما يدانيه زعماء معد وعدنان • تنحى عن معارضة البشر ككلام مبدع القوى
ومنشي القدر • والصلوة على صفوة قصي ومضر سيد الرسل افضل اهل المدر والوبر • وعلى
اله وصحبه الاخيار • سيما الذين هاجروا والذين تبوؤا الدار **وبعد** فان من صرف نقد
عمره في درك المعارف • وسهر عانيا على فرائد العوارف • حاز قصب السبق في مضمار
السعادة • وفاز بالرقيب من المعلى يوم الوفادة • والعلم باسرار كلام الله من بينها نار على علم
بل شمس طالعة من افق الحكم • نعم هو الكاشف عن حال مراد الله تعالى منه • الرافع عن كنوز فرائده ختام
من عهد من حزبه واعوانه • وجال في حلبة رهانه وميدانه • الا تجيئه في اسعد طالع مولود في ام الكتاب
اسمه محمود • الكلام في اطرائه ليس له امد • ولذا كانت تفاسير بلا عدد • خاض بحار حقايقه ذو النجدة
من الاوائل • وغاص في لججه اولو الجد من الاواخر • فزانوا جبهة الدهر بالدرر الفرائد • وناطوا على
جبينه غرر الفوائد • فاحببت ان اكون من اسرتهم • واحشر في زمرتهم • ولم اكن من عدتهم
ومعدودا من جملتهم • فوجهت ركاب العزم نحو ذلك المطلب الازيد • عسى ان اتي بكتاب يبرز
ابكارا عن حجاله ما اعتراه من غبش الظلام ممن زاغ عن منهج الحق لتضليل الانام • اتى بالحق وجه
باسم ابلج • واذهب الباطل وهو نادم لجلج • اذكر مستوفيا معانيه السبع المتواترة •
واحذف منها الشواذ المتنافرة • وسميته خاضعا لله تعالى غاية الاماني • في تفسير الكلام الرباني •
وهو بعناية الله طبق المسمى كذلك • والالقاب تنزل من السماء • واذا برز كالبدر في التمام •
والنعي عن وجه اللثام • يهدي الى بحر المعارف • ومعدن العوارف الذوارف • من نصب
لاهل الفضل ميزان الفضائل • ليجازي طبعها جزل الفواضل • لها سد الكرار والمزن المدرار
ابو الفتح فاتح القسطنطينية • ناصر دين الله الناظر من الدولة العثمانية • السلطان ابن السلطان
محمد خان بن مراد خان بن عثمان • مكن الله بسيط الارض ومهد له من الطول الى العرض •

والله تعالى اسال ان يجعله خالصا لوجهه الكريم وموجبا لي من عذابه الاليم • انه جواد كريم **سورة الفاتحة**
مكية وقيل نزلت بمكة ومرة بالمدينة وابعد من قال مدنية • وتسمى الوافية والكافية وسورة
الشفاء والدعاء والحمد والشكر والوجه في الكل واضح وام القران لاشتمالها على اصول ما فصل في القران
وسورة الكنز لذلك • وسورة الصلوة اذ بها تكون مجزئة او فضيلة والمثاني لانها تثنى في كل ركعة او
لنزولها مرتين سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد صراط الذين انعمت عليهم اية دون البسملة
ومنهم من عكس **بسم الله الرحمن الرحيم** اختلف في كونها من القران في اوائل السورة فذهب ابن
مسعود ومالك رضي الله عنهما وهو المشهور من مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى وان لم يوجد له نص الى
انها ليست من القران وعليه قراء المدينة والشام والبصرة • وذهب الزهري وسعيد بن جبير وقراء
وابن كثير من مكة وعاصم والكسائي من كوفة الى انها اية من كل سورة الدليل عليها كتبها في المصاحف
بلا مخالف • مع انها جردت عن الكل والنقط لئلا يكون ما بين دفتي المصحف سوى القران على ما نقل
عن محمد بن الحسن حين سئل عنها فقال ما بين دفتي المصحف قران ولتواتر كونها قرانا عند ابن كثير
وعاصم والكسائي ولقول ابن عباس رضي الله عنه من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية ومن
لم تثبتها قرانا فانما كتبها تيمنا لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدا ببسم الله فهو ابتر ولما كان وضع حروف
الجارة لايصال معاني الافعال الى الاسماء فلا بد للباء من فعل يتعلق به ثم ذلك المطلق يتعلق بالقران
كالفعل المبدو به مثل القراءة هنا وكذلك كل فعل شرع فيه كالاكل والشرب • ولعل موجب تخيير
حاصل لوجود معنى الابتداء في ضمن تلك الخاصة وهو عرض الشارع اولا تقييد بلفظ الابتداء وايا ما
دلالة وسيلة في الابتداء باسمه تعالى واقحام الاسم لتناول المضاف سائر اسمائه صريحا وان
دل عليها الاسم الجامع التزاما وللفرق بين اليمين والتيمن اذ الاول المعنى والثاني باللفظ والاداء
تقديرا بما يقدر مؤخرا لافادة الحصر لانه رد على الشرك باللات والعزى كما في اياك نعبد وانما
قدم في اقرا باسم ربك لكونها اول سورة فالامر بالقراءة اهم ولكون المخاطب ممن لا يتوهم
في حقه الاشراك ثم هذا انما يتاتى اذا لم يكن السورة مصدرة بالبسملة نزولا فالكلام فيه كسائر
السور كانه قيل باسم الله اقرا ثم قال باسم ربك الذي خلق اقرا اما تكرير للتقرير لانه اولى تعليم
او باسم ربك اقرا كيفما قرات ابتداء او ثانيا • ولذلك شرعت في الاجزاء والابعاض
والباء للاستعانة او المصاحبة كانه قيل مستعينا بالله تعالى اقرا وقيل لا لان اعتقاد الموحد
ان الفعل بدونه لا يتاتى بل يكون خداجا كان الكتبة لا يتاتى بدون القلم والاول ادور في كلام
العرب واحسن تحاشيا عن الحاق لفظ الالة على اسمه تعالى ولانه احق لكون اسم الله للاستعانة ثم
هذا ونظائره مقول على السنة العباد تعليما وارشادا او اصل في بناء حروف المعاني السكون كقد
وبل ثم الفتح لان اخ السكون خفة واوثر الكسر في الباء لتعلقه وهي تناسب العدم ولكون المؤثر
على وفق الاثر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنت العرب اوائلها على السكون استعمالا ولكن
متحركة تقديرا لقواعدهم اصل اسم سمو والحكمة في وضعها كذلك طلب الخفة والتفنن واجتلاب الهمزة
ليس لان الابتداء بالساكن محال بل لان فيه نكتة وبشاعة ولان الحرف الاول كالاس للبناء فاذا

احكامه وعكسه الوقف لان آخر الكلمة محل الاطراق والراحة واختصاص الهمزة لانه حرف شديد بعيد من اقصى
الحلق اجدر بالجبران ومنهم من حرك الساكن كسرا او ضما على الاصل او للبدل على الواو المحذوفة وجاء مقصورا
لهذى قال شعر والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به تباركا وههنا فصل وادى حذفت الواو كما حذف
اللام فى يد ودم دل عليه تصاريفه كاسما وسمى وسميت ومعناه الرفعة لانه تنويه بالمسمى واشارة لذكره وقيل
من الوسم وهى العلامة حذفت الالف منه فى الكتابة لكثرة الدور والقياس ثبوتها لان وضع الكلمة على حكم
الابتداء ولذلك ثبت فى اقرأ باسم ربك مع انهم طولوا الباء ليكون كالعوض والله اصله الاله عرف
ثم ادغم اعتباطا دل عليه وجوب الادغام والتعويض ولذلك قطع همزته فى النداء وقيل قياسا وحرف
الادغام والتعويض من خواصه وهو من الاعلام الغالبة بعد الادغام تقديرا او قبله تخفيفا عربى خلافا
للبلخى وجامد عند سيبويه واحد قولى الخليل واليه ذهب الشافعى فى طائفة وجزم المتاخرون باشتقاقه
من اله الرجل فزع اليه فعال بمعنى مفعول او من وله احتجب ابدلت الواو همزة او من لاه احتجب وكانا
بهت البرية فى كنه ذاته كذلك فى اسمه لا يشبهه شىء ذاتا وصفة واسما تعالى وتقدس وتفخيم لامه اذا لم يكن
قبله كسرة سنة العرب كابرا عن كابر لكونه ادل على تعظيم الاسم وهو الاسم الاعظم عند المحققين ولكن
شرطه الاستغراق فى بحر الاخلاص ورفض بمكسور اليروق على السامع والرحمن والرحيم صفتان مشبهتان
من رحم بعد نقله الى فعل بضم العين لان الصفة المشبهة لا تشتق الا من فعل لازم وهذا مطرد فى باب المدح
نحو رفيع الدرجات وبديع السموات فى الرحمن من المبالغة ليس فى الرحيم لان زيادة المبانى لزيادة المعانى
وهى اما فى الكم كقولهم يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة او الكيف كما فى رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما واشتقاقهما
من الرحمة بمعنى الرقة والعطف وهى من اوصاف الاجسام فاريد لازمها وهو الانعام او ارادته وهذا مطرد
فى كثير من صفاته تعالى ومنه قيل اذا لم تصح البدايات فعليك بالنهايات واختصاصه به تعالى بحكم وجدان مؤنته
فيرجح الى اخواته فى منع الصرف وهى كل فعلان من فعل بكسر العين فان قلت قد جاء رحمان اليمامة مسيلمة
الكذاب قال شاعرهم وانت غيث الورى لا زالت رحمانا قلت خروج عن اللغة تعنتا فى الكفر
لم يسلك بسنن الترقى كما فى شجاع باسل وجواد فياض ايثار الطريقة التتميم لانها اقضى لحق المقام
واقضى الى المرام اذ الملحوظ فى مقام الكبرياء جلائل النعم ثم اشير بالرحيم الى ان الكل منه وان عنايته شاملة
لذرات الوجود منه ببال الجليل والحقير كما روى انه تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ارفع الى حاجتك
حتى الملح الذى تجعله فى عجينك الحمد لله هو الثناء والنداء على الجميل الاختيارى والمدح على الجميل مطلقا وقيل
ترادفهما والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لسانا او جنانا او اركانا قال افادتكم النعماء منى ثلاثة يدى
ولسانى والضمير المحجبا والثناء اشيع شعبة لاعرابه عن الخفايا وعدم احتمال الغير كما فى آداب الجوارح
واليه اشار بقوله الحمد راس الشكر لم يشكر الله من لم يحمده وهو من المصادر التى حذف ناصبها سماعا اذ استعمل
باللام والعدول الى الرفع للقصد دوام الثبوت بمعونة المقام كما فى سلام الجملة الاسمية ولا يتاتى ذلك
مع النصب لانه بتقدير الفعل الدال على الحدوث ولذلك عدل الخليل الى سلام فى جواب قالوا سلاما
ليكون احسن تحية واللام فيه للاشارة الى الماهية كما فى ارسلها العراك وهذه الاشارة هى الفارقة بينها
وبين النكرة والمعنى ان هذا الجنس مختص به تعالى لا يتجاوزه فان قلت انكار الاستغراق انكار لان يكون

معنى

معنى اللام وضعا الا ترى الى اطباقهم عليه فى ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا فان قلت فقد
صح فى المقام الاستغراق ايضا فلم اوثر الجنس قلت الحصر فى الجنس مستفاد من جوهر اللفظ على طريقة
البرهان من غير معونة المقام بخلاف المثال المشتمل على الاستثناء المقتضى لشمول الافراد صريحا
وهذا كالبسملة مقول على السنة العباد رب العالمين الرب مصدر وصف به او صفة
بعد تنزيل فعله منزلة اللازم والتربية ايصال الشىء الى كماله والله تعالى هو الرؤف الموصل الى كل كمال
فلذلك لا يطلق على غيره الا مضافا والعالم ما يعلم به الشىء كالخاتم ثم غلب فيما يعلم به الصانع وجمع ليشمل
ما تبادر العالم الشاهد او افراد نوع او جنس او القدر المشترك وبالواو والنون للتغليب وقيل
المراد الثقلان والملائكة وقيل افراد الانسان اذ فى كل فرد منها نظير ما فى العالمين مع بدائع اخرى
وقيل وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر الرحمن الرحيم سبق الكلام فيهما مالك
يوم الدين مثل يا سارق الليلة اهل الدار اضيف اسم الفاعل الى الظرف اتساعا والمعنى
مالك الامور فى يوم الدين وانما وقع صفة المعرفة لان الاضافة فيه حقيقية اما لقصد الاستمرار
اذ بيده الامور فى الازمان او لتنزيل ما سيكون منزلة الكائن لتحقق وقوعه لا محالة كقوله تعالى
ونادى اصحاب الجنة وقرا الحرميان وابن عامر وابو عمرو وحمزة ملك مقصورا وهو الاحسن
لكونه للثبوت وللاضافة الى يوم الدين والجزاء وشان الملوك ولعموم ما تحت حيطته والكلام فى
اللغة ولا يقدح الاختصاص الشرعى للاتفاق على ملك الناس فى فواتح الفاتحة انه متواتر ولان اهل
الحرمين اعلى سندا وافصح لغة وعليه الرسم وكثرة الثواب بزيادة الحروف معارض بقوة
المعنى والدين الجزاء كما تدين تدان او الطاعة او الشريعة فيقدر مضاف والصفات المذكورة
جارية مجرى الادلة على علية انحصار الحامد مع الوعد والوعيد فى الاول صريحا وفى الثانى رمزا
اشارة الى سبق رحمته غضبه ليكون العبد بين الخوف والرجاء راجحا جانبه وقد استوفى
فيهما ما يتعلق بالمبدأ والمعاد فقال اياك نعبد واياك نستعين ايا هو الضمير واللواحق
كالكاف والهاء والياء لبيان المراد به وعن الزجاج ان ايا اسم مضاف والمضمر ما بعده
لقولهم اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ورد بان المثال شاذ لا يعول عليه
وعن الخليل ان ايا ضمير اضيف الى اللواحق ولم يوافقه احد لان الضمير لا يضاف والمثال
المذكور فيه ما فيه لا يتم دليلا والكوفية على ان المجموع ضمير ورد بان الاختلاف باللواحق غير معهود
فى الضمائر والعبادة اقصى غاية الخضوع ولذلك اختصت بمن هو فى اعلى مراتب العلو ومنه
طريق معبد اى مذلل وقدمت على الاستعانة لان الوسائل امام المطالب واطلقت الاستعانة
ليتناول كل مستعان فيه والاوفق ان يكون الاستعانة فى العبادة لان اياك نعبد بيان
للحمد وقوله اهدنا الصراط المستقيم بيان اياك نستعين كانه قيل كيف اعينكم قالوا اهدنا
الصراط فيتسق النظام غاية الاتساق فان قلت كيف يستقيم ان يكون اياك نعبد بيانا
للحمد وشرط البيان مساواته للمبين قلت الاعتراف باللسان كانه ابلغ من سائر انواع
العبادات ولذلك جعله الشارع راس الشكر جعل عين العبادة التى هى اقصى غاية

الخضوع واريد بالحمد صرف العبد ما انعم الله عليه الى ما خلق لاجله على ما هو اللائق بالمقام وما اشير
اليه بيان للمعنى اللغوي وقدم المفعول للتخصيص ولما كان الحصر المستفاد منه بطريق النحوي دون
الاستدلال اشتبه على اقوام واخراج الكلام من الغيبة الى الخطاب تفنن فان الكلام اذا نقل من اسلوب
الى آخر كان انشط للسامع وادعى الى الاصغاء ولذلك كثر منه البلغاء في اشعارهم وخطبهم وكما
يباهون في قرى الاشباح بالجمع بين لون ولون فهم في قرى الارواح ادعى في الاتيان بفن وفن
هذا وقد يختص موقعه بنكتة شريفة كما في اياك نعبد وذلك انه لما ذكر الحمد بطريق الحصر لمستحقه الحقيقي
الدال عليه الاسم الاعظم توجهت النفس اليه توجها تاما فلما اجريت عليه تلك الصفات الدالة على نعمة
مفصلة ازداد الحرك وتشاف شيئا الى ان قال مالك يوم الدين بيده ازمة الامور لم تمالك ان اقبلت
اليه بغاية الخضوع ونهاية الاستكانة واستغرقت في المقام الذي اشار اليه بقوله عليه السلام اعبد الله
كانك تراه وهو اخر مقام السالكين اهدنا الصراط المستقيم الهدى متعد ولازم ويتعدى
الى الثاني بنفسه وبالى وباللام الاولى لغة الحجاز وليس من قبيل واختار موسى قومه وهدايته تعالى نوعان
الدلالة الموصلة وخلق الاهتداء واليهما اشار اليه بقوله والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء
وتفسيرها بافاضة القوى تسامح ثم من حصر المحامد فيه تعالى وعرفه بتلك الصفات التي اجراها عليه
مهتد بلا ريب فطلب الهداية منه طلب للزيادة او الثبات وصيغة افعل دعاء مع الخضوع وامر
مع الاستعلاء والتماس مع التساوي والصراط المستقيم هو الاسلام لانه الموصل الى السعادة
الابدية بلا اعوجاج ولا انحراف واصله السين من سرط الطعام اذا ابتلعه لانها تبلع السالك او الكفر
كما سميت لقما لذلك وبه قرأ ابن كثير في رواية قنبل والجمهور بالصاد مبدلا من السين لمناسبة
الطاء في الاستعلاء والاطباق والانتقال من السين الى الطاء انتقال من السفل الى العلو وهي
لغة قريش وعليه رسم المصحف وحمزة يشم الصاد زايا حيث وقع في القران في رواية خلف ووافقه
خلاد في الاول هنا ومعنى اشمام الحرف ان تمزجه بشيء ما ليكون حرفا بين حرفين وفي ذلك
رعاية الجانبين صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وفائدته التوكيد لانه
ذكر الشيء مرتين مع تكرير العامل وبه يمتاز عن التوكيد وعطف البيان وفيه ايضاح بعد الاجمال
وشهادة على طريق المسلمين للاستقامة على اكد وجه والنعمة فعلة من النعومة وهي اللين والمراد
بها المنعم به وهو الاسلام والمنعم عليه وهم المؤمنون كافة وقيل الانبياء وعن ابن عباس رضي الله
عنه قوم موسى قبل التبديل وقيل الذين اشير اليهم بقوله اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ولا خلاف في المنعم به ولذلك اطلق ولان من فاز به
لم يفته نعمة وقرأ حمزة عليهم بضم الهاء وكذا اليهم ولديهم حيث وقع في الوصل والوقف وهي لغة
الحجاز وهي الاصل قبل الاتصال وكسرها الباقون لمجانسة الياء وضم الميم موصولا بالواو ابن كثير
وقالون في وجه حيث وقع رعاية للاصل لان اصل هم همو واسكنه الباقون تخفيفا وعليه
رسم المصحف والضمير المجرور في محل النصب على المفعولية غير المغضوب عليهم بدل من الذين
انعمت عليهم او صفة لان الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني او لان

عرتزو

تعرف بالاضافة الى ماله ضد معين كما في عليك بالحركة غير السكون والمجرور في محل الرفع لقيامه
مقام الفاعل وكل من بات كافرا ضال مغضوب عليه وقيل المغضوب عليهم هم اليهود والضالين
النصارى لقوله في حق اليهود غضب الله عليهم وفي حق النصارى ضلوا واضلوا والوجه هو الاول
لظهور العموم ولمجيء هذا الوعيد لغير الطائفتين ولو صح رفعه الى رسول الله لكان منه اشارة الى
رسوخ هؤلاء في الغضب واولئك في الضلال لا الانحصار وقيل يتجه ان يقال المغضوب
عليهم العصاة لقوله تعالى في حق القاتل وغضب الله عليه قلت دعوى كون كل عاص مغضوبا
عليه باطل لان الغضب منه تعالى اما انتقام او ارادته وهي خفية اليه وكون كل من عصى كذلك
ممنوع والاستدلال بالغضب في اية القتل غير ناهض لانه مصروف عن ظاهره في مقام الترهيب
كالخلود المقرون به اتفاقا ولئن اجرى على ظاهره لم يلحق به كل ما يوجب العصيان لظهور الفارق
ولا الضالين الضلال عدم الاهتداء وسلوك غير الطريق ولا هذه مذكرة تفيد استقلال
نفي ما دخلت عليه مبالغة كما في قوله تعالى لا بارد ولا كريم ودفع وهم كون المنفي هو المجموع وتكون
بعد واو تقدمه نفي صريح او غير صريح كغير والدليل على ان غير في معنى لا جواز قولك انا زيدا
غير ضارب كقولك انا زيدا لا ضارب ولا يجوز انا زيدا مثل ضارب لان معمول المضاف
اليه لا يتقدم المضاف آمين ليس من القران اتفاقا وانما ختم السورة به لانها دعاء وسن
ختم الدعاء به لما روى ابو داود ان آمين يحفظ الدعاء من الخيبة كما يحفظ الختم الكتاب عن
اطلاع الغير عليه وعنه عليه السلام ان جبريل عليه السلام علمني آمين عند ختم الفاتحة وهو اسم
استجب وما يرادفه وعن الزجاج اسم المصدر كالاستجابة ويشكل عليه بناؤه وفيه لغات
المد والقصر وتشديده خطأ يجهر به الامام والماموم عند الشافعي في الجهرية لكونه تابعا للقراءة
ولما روي من الجهر محمول على التعليم روى البخاري عن ابي سعيد بن المعلى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لاعلمنك اعظم سورة في القران فاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن
الذي اوتيته وروى مسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان جالسا وعنده جبريل اذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء
وقال هذا باب فتح لم يفتح قط فنزل منه ملك لم ينزل قط فاتى رسول الله وقال ابشر بنورين
اوتيتهما لم يؤتهما نبي فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا الا اوتيته وعن
حذيفة اليماني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبعث العذاب على قوم حتما مقضيا
فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيرفع عنهم العذاب اربعين سنة
سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وثمانون وسبع آية بسم الله الرحمن الرحيم الم
حروف الهجاء اسماء البسائط في مباني الكلم وذلك لان دلالة الالف على وسط حروف
قال وكان كدلالة الاسد على الحيوان المعروف بلا تفاوت فيما يرجع الى نفس الدلالة ولاتصافها
خواص الاسم من الاضافة والتعريف وغيرها عليه وقد نص عليها امام اهل العربية خليل بن احمد
وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها

ولا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف لم يرد مصطلح النحو فانه عرف حادث
ولما كانت مركبة راعوا في وضعها لطيفة بان جعلوا المسمى صدر الاسم ليكون اول ما يقرع الاسماع
الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لئلا يقع الابتداء بالساكن وسكون اخرها
وقف كسائر الاسماء اذا عددت نحو دار ثوب بساط فاذا وليها العامل ظهر الاعراب
لان قابلية المحل تحتاج الى المؤثر والدليل على ان السكون اعجازها وقف وليس سكون بناء لجمع فيها
بين الساكنين والالحذى بها حذو كيف واين وكونها مقصورة حالة الهجاء فاذا ادركها الاعراب
مدت كقوله لولا التشهد لم يسمع له لاء فان حالة الهجاء خليقة بالاخف لكثرة الدور وهي
في اوائل السور اعلام منقولة لها نص عليه سيبويه وهي على نوعين نوع لا يأتي فيه الا الحكاية نحو
الم وكهيعص وآخر يأتي فيه الاعراب والحكاية وهذا اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف
ونون وعدة اسماء على زنة المفرد كحم ويس فانها على وزن قابيل وكذا طسم لو فتح النون
وضم الميم كان مثل دار بجرد والحكاية لخفة ولابانة عن الاصل المنقول منه اكثر وقد اعرب
العبسي في قوله تذكرني حاميم والرمح شاجر ومنعه الصرف للعلمية والتانيث والحكاية نقل القول
محفوظا صورته الاولى كقولك قرأت الحمد لله وسورة انزلناها قال وجدنا في كتاب بني تميم احق
الخيل بالركض المعار وفي الاتيان بها محكية اشارة الى ان مسمياتها وهي السورة مركبة من مدلولاتها
ففيه نوع ايقاظ وكذلك لو سمي رجل بها لم تصح الحكاية لفوات الاشارة المذكورة وانما كتبت
على صور مسمياتها والقياس صورها مثل صاد ونون لان خط المصحف خارج عن القياس
قال ابن درستويه خطان لا يقاسان خط المصحف وخط العروض فان قلت خط العروض اذا خالف
القياس له وجه وهو ان الداخل في الاوزان الحروف الملفوظة دون المكتوبة فلكتبوا ما يدخل في
الوزن على صورته كالتنوين على صورة النون والاشباع بعد الضمة واوا والكسرة ياء فما
وجه مخالفة خط المصحف والعدول لا بد له من حكمة لا سيما وقد وقع ذلك باتفاق خير القرون
قلت كل كلمة تخالف فيها القياس له فائدة ذكرت في علم الرسم واعظم الفوائد اجمالا ان يكون
محجوبا عن العدو كاهل الكتاب وليكون طريق اخذ القرآن السماع من افواه الرجال كما كان
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وقيل كتبت كذلك اختصارا لعدم اللبس اذ لا طائل في
التلفظ بها غير متهجات وانضم الى ذلك جري العادة بالتلفظ بالاسم وكتابة المسمى والقرآن
المجيد يلائمه الاختصار وقد قرأ صاد وقاف بالاعراب فتحا وكسرا اما الفتح فعلى انه النصب
باذكر وعدم التنوين لامتناع الصرف او مجرورة باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن
وهذا وجه قول ابن عباس رضي الله عنه اقسم الله تعالى بهذه الحروف واما نصبها بحذف الجار
واعمال القسم فلا لان ما بعدها مجرور وهو القرآن والقلم وهما معطوفان فان قلت نجعل
الواو للقسم دون العطف قلت نص الخليل على كونه مستكرها لاستلزامه الجمع بين قسمين على
مقسم عليه واحد واما الكسر فللتخلص من التقاء الساكنين وقيل هي حروف مقطعة
على نمط التعديد في اوائل السور مسرورة ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وذلك ان كلام العرب

مؤلف

مؤلف من هذه الحروف كانه قيل هذه الحروف مواد كلامكم في الاشعار والخطب والمحاورات
فان لم يكن ما اتى به محمد من عند الله فهلا تاتون بمثله ولو كان بمقدار ثلث آيات وقيل كانت العرب
في التلفظ بمسميات الحروف الواقعة في مباني الكلمات منها وبها الاقدام واما التلفظ بحروف الهجاء
على نمط التعديد كان مخصوصا بمن قرأ وخط وخالط الكتاب قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وكان التصدير السور بها ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا
بنوع اعراب تقدمة للاعجاز وطليعة له هذا وقد روعي في وقوعها على الوجه الواقع في اوائل السور من
ذكر الحروف المخصوصة دون الجميع او ما عداه وما لوحظ في ذلك مما يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها
ما يدهش الفطن المتبحر وتنقسم الى ثنائي وثلاثي والثلاثي الى ساكن الوسط ومتحركه فالاول مثل ولا
لا مد فيه زائدا على مقدار الالف والثاني ما كان فيه بعد حرف المد ساكن نحو ميم وسين وصاد وقاف
يمد للسبعة زائدا على حرف المد حركة حاجزة بين الساكنين ولذلك يسمى مد الحجز والعدل وليس في
الفواتح حرف اللين سوى العين ولهم فيه وجهان المد لما ذكر في حرف المد والقصر لقصور حرف
اللين لعدم مجانسة حركة ما قبله واذا كانت على نمط التعديد او كانت اسماء السور اختيار اخذ فيه
المبتدأ منها او منصوبة باذكر او قسما محذوف الجواب فالوقف عليها تام لاستقلالها ومن شرط
في التام استقلال ما بعده ايضا يلزمه ان لا يكون الوقف على اواخر السورة تاما واما اعرابها فان جعلت
مسقطعات على نمط التعديد فلا يتصور الاعراب واما اذا جعلت اسماء السور فهي مرفوعة على الابتداء
النحو ان يكون ما بعدها خبرا او على الخبرية عن مبتدأ محذوف او مضمرة باذكر او مجرورة باضمار
حرف القسم كما تقدم **ذلك الكتاب** المشار اليه ما دل عليه الم وهي السورة او القرآن
فالاشارة اليه بذلك الموضوع للبعد لان الكلام بعد التكلم به في حكم المتباعد قال الله تعالى لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حكم المتباعد فان قلت
قبل وصوله ذلك على حاله قلت لما كان مقطوعا بوصوله جعل كانه واصل وكثيرا ما يؤلف المتكلم كلاما
يلاحظ فيه حين تاليفه وصوله الى المخاطب به وقيل ذلك اشارة الى الكتاب الموعود في التورية
والانجيل او الى الموعود بقوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فان قلت فعلى الاول المشار اليه
مؤنث فما وجه تذكير الاشارة به قلت ان كان ما بعده خبرا اجري حكمه على المبتدأ في التذكير لكونهما متحدين
ذاتا كما اجري عليه في التانيث في قوله من كانت امك وان كان وصفا فلكون الاشارة
اليه صريحا كقولك هند ذلك الانسان قال النابغة نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا
ورعيا كذاك العاتب الزاري والكتاب لغة الجمع مصدر كتب وشرعا هو المنزل للاعجاز بسورة
منه يطلق على الكل وعلى البعض وهو المراد للاخبار به فلا وجه لما قيل اطلق على المنظوم قبل ان يكتب
لانه مما يكتب ويرادفه القرآن وان كان اشهر منه والكل منهما يطلق على القديم ايضا وفي
تاليف ذلك الكتاب اذا جعل اسم السورة وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا و
الكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول والمعنى ان هذا هو الكتاب الكامل كقولك زيد هو
الرجل فاللام للعهد كل القوم يا ام خالد وان يكون ذلك خبرا والكتاب صفته ومعناه

الم هو ذلك الكتاب الموعود على ان اللام للعهد اذ لا فائدة في الاخبار عن السورة بصدق جنس الكتاب
عليها ويجوز ان يكون ذلك بدلا وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي المؤلف من هذه الحروف ذلك
الكتاب او مبتدأ والكتاب صفة **لا ريب فيه** هو الخبر والريب لغة القلق والاضطراب ومنه
ريب الدهر لنوائبه مصدر راب اذا حصل فيك الريب اطلق على الشك اطلاق المسبب على السبب
لان الشك مما يقلق النفس ويزعجها ونفي جنس الريب عنه وكم مرتاب فيه لانه لسطوع برهانه
بحيث لا يتصور فيه الريب وان يثبت بدليه غبار منه فالمنفي هو كونه بتلك الصفة وكونه مظنة
له كقولك لمن يحاكمك بعد ظهور الحق من غير امكان شبهة هذا مما لا شك فيه وان كان المحق طلب
منكرا افضل عن الشك وهذا النفي جنسه ايضا مما لا شك فيه وانما اجرى الكلام على ظاهره وتقديم
الظرف كما في لا فيها غول لان الحصر هناك مقصود الا انها في مقابلة خمور الدنيا ولو قدم هنا
لدل ان في كتاب آخر ريبا والقران يذكر في مقابلة الكتب السماوية وفساده لا يخلو منه انه لو خلا
هذا فليس بغرض بل الغرض انه ليس بمحل الريب وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين على ان هدى حال
من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للنفي وضعفه لا يخلو لفوات المبالغة المقصودة
في هذا المقام نفي الريب **هدى للمتقين** هدى مصدر كالسرى وزنه فعل لان الزنة على الاصول وكونه
هدى للمتقين مع النفي لا يكون منهد بايراده التثبت او الزيادة وكلاهما هدى او اريد بهم المشارفون
للتقوى عبر عنهم بالمتقين لانه احصر وليكون صدرا لاولى الزهراوين اسم خواص اوليائه فلا وكونه
هدى لا يقتضي ان يكون جميع ابعاضه كذلك ككونه معجزا وعربيا ودعوى ذلك والقول بان
المجمل المتشابه لم ينفك عن بيان تعيين المراد منه غير ظاهر لاسيما عند من يقول بوجوب الوقف
على الا الله والمتقي شرعا من اتقى بالفرائض واجتنب الكبائر ولم يصر على الصغائر من الوقاية وهي فرط
الصيانة ولها ثلث مراتب الاولى التقوى من الشرك والثاني ما يشير اليه النفا والثالث ربط
السر على الله والتبرؤ عن كل شيء سواه وقد اشار اليها في قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا ومحل
هدى للمتقين الرفع على خبرية محذوف او خبر آخر لذلك او مبتدأ والظرف المتقدم خبره ويجوز
نصبه على الحال والعامل فيه الظرف او معنى الاشارة والذي هو اشد توغلا في البلاغة وارسخ
قدما ان يكتفي بروابط عقلية بين الجمل المذكورة فيقال الم جملة مستقلة حذف منها المبتدأ او طائفة
من حروف الهجاء وفيها تنبيه على انه الكلام المتحدى به اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان
العلمية لا تنافي لمح المعاني الاصلية وذلك الكتاب جملة ثانية تدل على ان المتحدى به هو الكتاب
الكامل وفيه تقرير لجهة التحدي وشد من اعضاده ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد بكماله اذ لا كمال فوق
حق اليقين قيل لبعض العلماء فيم لذتك قال في حجة تتبختر اتضاحا وشبهة تتضاءل افتضاحا او
تاكيد لذلك الكتاب لانه اخبر عنه بانه الكتاب الكامل كان مظنة ان يتوهم انه مبالغة في مقام
المدح وليس الامر محمولا على الحقيقة ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فتقرر انه يقين لا يحوم حوله شك وحق
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **الذين يؤمنون بالغيب** موصول بالمتقين صفة مجرورة

او نصب او رفع على المدح فهو في حكم التابع لاتصاله معنى او مقطوع مبتدأ خبره اولئك على هدى
فعلى الاول الوقف على المتقين حسن غير تام ثم ان جعلت صفة فاما كاشفة وفيه اشارة بذكر الايمان
والصلوة والزكاة الى فعل جميع الطاعات وترك سائر المعاصي باللطف وجه وذلك ان الايمان
اس لا يقوم شيء بدونه والصلوة عماد الدين التي تنهى عن الفحشاء والمنكر والصدقة بذل شقيق
الروح وسماها الشارع برهانا وفطرة الاسلام فذكر الثلثة ينطوي على ذكر سائر العبادات
وترك السيئات كما هو اللائق ببلاغة القران ودموعه مع ما في ذلك من الاشارة الى مرتبة الصلوة
والزكاة بين سائر الفروع وهذا ما يقال ان الثلثة كناية عن فعل الطاعات وترك السيئات
او مادحة كصفات الله الجارية عليه اجلالا له او مقيدة ومناط الفرق ان المتقي ان حمل على المعنى الشرعي
فالوصف كاشف ان كان المخاطب لم يعرف مفهوم الموصوف مفصلا والا فمادحة وان حمل على ان من
اجتنب الكبائر فالوصف مخصص والايمان افعال من الامن يقال آمنته وامنته غيري فاستعمل
التصديق اما مجازا لان من صدق الشخص امنه التكذيب او حقيقة فيه ايضا وهذا هو الظاهر واستعماله
بالباء لتضمين معنى الاعتراف والاقرار وقد يعدى باللام لتضمينه معنى الاذعان وقد تكون همزته
للصيرورة كما يحكى عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة ويجوز ان يكون الجار والمجرور في محل النصب
حالا اي غائبين عن المؤمن به فالغيب على هذا بمعنى الخفاء وعلى الاول بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر
كرجل عدل واما فيعل كفيل مخفف والمراد منه ما لا ينفذ فيه ابتداء الا علم علام الغيوب والانبياء
والمؤمنون انما يعلمون منه ما اعلمهم او نصب لهم عليه دليل عقلي او سمعي كالصانع وصفاته والنبوات
وقيل المراد بالغيب القلب اي يؤمنون بقلوبهم تعريضا بالمنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس
في قلوبهم فالباء آلة كما في كتبت بالقلم فان قلت فالايمان الصحيح عند الله تعالى هو التصديق بما علم مجيء
الرسول به ضرورة وزادت الحنفية الاقرار ركنا زائدا يسقط بالاكراه والخوارج والمعتزلة الاعمال وان
كان بين معتقد الفريقين فرق واما المحدثون فهم براء من مذهب هؤلاء وانما اعتبروا الاعمال في
كمال الايمان كيف لا وهم الذين يروون منه هذا قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق و
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وابدل ورش عن نافع والسوسي عن ابي عمرو
الهمزة واوا حيث وقع في القران وكذا حمزة في الوقف **ويقيمون الصلوة** القيام لغة الانتصاب
والاقامة افعال منه يقال اقمت العود اذا سويته وازلت اعوجاجه فاستعيرت لتعديل اركانها
وحفظها عن الخلل في سننها وادابها بعد ما صارت حقيقة في تعديل الاجسام وقيل حقيقة في الاعيان
والمعاني ايضا لغة او يديمون عليها من قامت السوق اذا نفقت لانها اذا ادوم عليها كانت كالشيء المرغوب
النافق الذي يتنافس فيه المحصلون او يتجلدون شانها بتحصيل ما يتوقف عليه من القوام وهو ما يقوم به الشيء
يقال فلان قوام اهله اي قائم بامرهم يصلح شانهم او يتشمرون لادائها بلا فتور من قام بالامر اذا تشمر له
ومنه قامت الحرب على الساق وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد والصلوة فعلة من صلى اذا دعا
قال الاعشى وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم والمراد بها الاركان المخصوصة سميت
بها لاشتمالها على الدعاء كما سميت سبحة لاشتمالها على التسبيح يوضع موضع المصدر يقال صليت صلوة

وليس بمصدره استعماله فيه من الصلا لان المصلي يحرك صلويه والصلوان المرتفعان في جانبي عجب
الذنب ثم قيل صلى اذا دعا تشبيها له بالمصلي في تخشعه وليس بوجه لان الاشتقاق مما ليس بحدث
قليل ولان الصلوة في اشعار الجاهلية بمعنى الدعاء شايعة ولم يكن لهم علم بالاركان المخصوصة فانى
لهم التجوز بما لا علم لهم به وانما كتبت بالواو للاشعار بالاصل كهدى وسرى بالياء وقيل كتبت بالواو
على لفظ المفخم وليس بشيء اذ لم يقرأ به احد فكيف يوضع الرسم باتفاق الصحابة على شيء لا وجود
واما تغليظ ورش لامه فليس لامالة الالف نحو مخرج الواو بل لان الصاد من الحروف المستعلية فغلظ
اللام لتقارب الصاد كما فخم في ظلموا وطال **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق لغة كل ما ينتفع
به الحيوان حراما كان او حلالا لقوله تعالى قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا
ولقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وما في الاية يراد به الحلال بقرينة المدح على انفاقه
والمراد منه الزكاة المفروضة لكونه قرين الصلوة او ما يعمها وسائر الانفاقات في سبيل الله كقوله
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله سرا وعلانية وهذا اوفق بمقام المدح والتقديم للاهتمام و
قيل للتخصيص اي يخصون بعض ما رزقناهم دون الكل تحاشيا عن رذيلة الاسراف قلت
لا سرف في الخير كما لا سرف في التبذير ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة في
مقام المدح وقوله والذين لا يجدون الا جهدهم وفي الحديث افضل الصدقة جهد المقل وقضية
الصديق في التجرد وايثار الكل متواترة فان قلت فما فائدة من اذا قلت فائدتها ان انفاق
البعض كاف في نيل رتبة المنفقين ويدل دلالة ظاهرة على ان انفاق الكل نور على نور
والاولى حمله على ما يشمل المعارف ايضا كانه قيل من كل ما منحوه يبذلون وفي الحديث ان علما
لا يقال به ككنز لا ينفق منه **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** هم اهل الكتاب
الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كعبد الله بن سلام واضرابه عطف على الذين
يؤمنون بالغيب فيشملهم صفة التقوى ان لم يكن الموصول الاول مقطوعا او هم الاولون والعطف
باعتبار تغاير الصفات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم والايمان
بالغيب وان شمل الايمان بالكتب المنزلة الا انه افرد اشعارا بمكانته ولذلك اعيد الموصول
ولم يكتف بذكر الصلة مبالغة كان الموصوف بها مغاير للموصوف بما تقدم وهذا الوجه اوجه
لان الايمان بالكل مشترك بين الكل ولا دلالة في الافراد بالذكر على الايمان منفردا كما كفاك
شاهدا قوله قولوا آمنا بالله ثم قال وما اوتي موسى وعيسى ولان الصفات السابقة شاملة
للفريقين فلا وجه لتخصيصها بطائفة ولان ما يأتي في بناء يوقنون على هم انما يحسن موقعه على
هذا الوجه والا لاوهم خروج الاولين وفي ما انزل تغليب للموجود على المترقب لان الايمان
بالكل واجب والانزال نقل الشيء من علو الى سفل وهو على الاعراض محال فهو وصف تبعا
لمحله ومبلغه واذا التقى حرف المد بالهمزة بعده يزاد في مده للمبالغة اذا كانتا في كلمة كجاء
وشاء لان الهمزة حرف قوي وحرف المد ضعيف يزاد في مده ليقاوم القوي و
فيجانس المجاور ولذا كانتا في كلمتين فلهم فيه خلف لعروض الاتصال **وبالآخرة هم يوقنون**

تانيث

تأنيث الآخر وهو فاعل من آخر بمعنى تأخر من الصفات الغالبة على تلك الدار كالدنيا على هذه
ثم جرتا مجرى الاسماء فترك ذكر موصوفهما والايقان واليقين اتقان العلم بانتفاء الشك
والشبهة عنه فلا يوصف العلم القديم ولا الضروري فلا يقال ايقنت ان الواحد نصف الاثنين
كذا قيل ويشكل بقوله لترونها عين اليقين فان المشاهدة اعلى مراتب اليقين وفي بناء يوقنون
على الضمير اشارة الى ان فاعلية اهل الكتاب جهل محض كان معتقدهم خيال باطل وكذا في تقديم
بالآخرة ونقل ورش حركة الهمزة الى اللام وكذا كل همزة قطع ينقل حركتها الى الساكن قبلها وحمزة في
الوقف ووجه جواز النقل وعدمه وجه النقل ارادة التخفيف لان سكون ما قبلها يمنع التسهيل ولا يجوز
الحذف رأسا لعدم ما يدل عليه **اولئك على هدى من ربهم** خبر الذين يؤمنون بالغيب وما عطف
ان كان استئنافا جوابا لمن يقول ما للمتقين اختصوا بالهدى بين الانام فدل بالاوصاف المذكورة
على انهم احقاء بذلك الاختصاص وان جعل موصولا والذين يؤمنون بما انزل اليك كلاهما استئنافا
غير معطوف على الموصول الاول ولا على المتقين فاولئك على هدى خبر عنه وان جعل موصولا بالمتقين
لفظا او معنى وعطف عليه والذين يؤمنون بما انزل اليك فالاستئناف واقع على اولئك
وليس بوجه لانه بعد ذكر اختصاص المتقين بالهدى واجراء الصفات التي اهلتهم لذلك لا وجه للسؤال
عن موجبه الا على تقدير غفلة السائل فاشير باولئك الى تلك الصفات التي لو تأملها اغنته عن السؤال
وضم الى الهدى نتيجتها وهي الفلاح تحاشيا عن وصمة التكرار فان قلت صفة التقوى كافية في علية
الاختصاص فما اوردته على الثاني وارد على الاول قلت ليس المجمل كالمفصل فاذا فصلت صفات
المتقين وخصت لم يبق للسؤال مجال واعلم ان الموصول الثاني اذا جعل استئنافا ولم يجر على
المتقين انما يحسن اذا قصد به التعريض باهل الكتاب الذين يزعمون انهم على هدى وليسوا منه في
شيء اذ لم يقصد ذلك فحق الموصول الثاني ان يكون جاريا على ما جرى عليه الاول لعدم فائدة العدول
مع اتحادهما ذاتا فالوجه عطفه على الاول ليشملهما فان قلت فاجعل الثاني في محل الاول ذاتا وقد
استقام الكلام بلا تعريض قلت اذا كان مغايرا للاول ذاتا فالوجه عطفه على الاول ليشملهما صفة
التقوى وان جعل استئنافا فالوجه قصد التعريض ايضا لئلا يوهم انتفاء الحكم عن الموصول الاول وانما
عدل عن الضمير الى اسم الاشارة لدلالته على ان ما يرد بعده فالمشار اليهم احقاء به لتلك الصفات
السابقة وفي اسم الاشارة ملاحظة المشار اليه مع الصفات المميزة له دون الضمير فان قلت قد ذكرنا
في اياك نعبد ان العدول من الغيبة الى الخطاب لكونه ادل على التمييز الذي لا يحق العبادة بدونه فقد
دل ان الصفات المميزة يعتبر في الضمائر ايضا قلت المراد كمال التمايز الا تراهم يقولون جعل المسند
اليه اسم الاشارة ليفيد كمال تمييز ولذلك يؤثره البلغاء قال حاتم الطائي [illegible]
فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه والاستعارة على تبعية شبه تمكنهم من الهدى غير مانع ولا مزاحم
من الشبه والشكوك باعتلاء الراكب مركوبه فجرت الاستعارة اولا في مطلق الاستعلاء ثم في معنى على
تبعا وذلك لان معنى الحروف غير مستقل بالمفهومية فلا يصلح ان يكون مشبها به اصالة وكذلك الافعال
لاشتمال معانيها على النسب فيقع التشبيه في المصادر ثم يسري الى الافعال تبعا والتنكير في هدى

للمتعظ اي هذي واي هذي واتفق السبعة على ادغام النون في كذي وا والام ومن غنة اما
الادغام فلتقارب المخرج واما عدم الغنة فللمبالغة في التخفيف ونقلها عن ابن عامر وعاصم وهو واولئك
هم المفلحون كرر اسم الاشارة دلالة على انهم مستبدون بكل من الهدى والفلاح على جبالها
وادخل العاطف لاختلاف الجملتين مفهوما وقصدا لان الغرض في الاول اثبات الهدى لهم المشير
اليه في الدنيا بتلك الصفات والغرض من الثاني الفوز في الاخرة من اجل الهدى بخلاف
قوله اولئك هم الغافلون بعد قوله اولئك كالانعام فانهما وان اختلفا ذاتا ومفهوما فقد
اتحدتا غرضا وقصدا لان الغرض من تشبيه الكفرة بالانعام ليس الا الحكم عليهم بالغفلة المتناهية فالثانية
مؤكدة او بيان فلا مجال للعاطف ومن قال هما متحدان مفهوما فقد التبس عليه وفائدة ضمير الفصل تاكيد
الحصر المستفاد من تعريف الخبر وتمييزه اياه عن الصفة وقد يقال انه مبتدأ وما بعده خبره ومعنى
التعريف في المفلحون اما العهد وذلك انك احطت علما بان طائفة من الناس يفلحون فكانه قيل
ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم مفلحون كما اذا بلغك ان انسانا من اهل بلدك قد تاب
فقلت من التائب قيل زيد التائب على ما اختاره سيبويه في من ابوك من كون من مبتدأ والمعنى
زيد ابوك ام عمرو وكانه قيل المتقون هم المفلحون ام غيرهم فالمطلوب الحكم بالمفلحون على احدى تلك
الخصوصيات واما الجنس على معنى ان صفة الفلاح اذا حصلت وقامت بطائفة فالمتقون هم لا تعد
لا يعدونهم وهذا المعنى من فروع الجنس وابلغ شعبة لدعوى الاتحاد تحقيقا للحصر لانتفاء هذه الدعوى
فيه ولدقة مسلكه يحتاج الى تامل وافر والفلاح الشق ولذلك سمي الحارث فلاحا والمراد به الفوز لان
من فاز ببغيته كانه انفتح في وجهه كل باب خير وكل ما وافقه في الفاء والعين في الدلالة على معناه كفلق
وفلذ وقد شيد شان المتقين بما لا مزيد عليه من طرف شتى ذكرهم الاشارة وتكريره وتعريف
المفلحين وتوسيط الفصل ترغيبا للسامع في انتهاج منهجهم لينال ما نالوا وفقنا الله تعالى لذلك بفضله
وكرمه ان الذين كفروا سنة الله تعالى في كتابه العزيز ان اذاق قصة الابرار بالكفار وبالعكس اتباع الوعد
بالوعيد اذ بضدها تتبين الاشياء ولم تعطف الثانية على الاولى لتباينهما غرضا واسلوبا لان الاولى
مسوقة لوصف الكتاب بكمال الهداية وانه الموعود المتحدى باعجازه والثانية لبيان حال الكفرة
واصرارهم بحيث لا يجدي فيهم الايات والنذر والحكم في الاولى على الكتاب وفي الثانية على الكفار و
لا يتفاوت هذا باجراء الموصول على المتقين واستئنافه لان الكلام المبني على السؤال الناشي
من الاول متصل به معنى ولا يكون الموصول الثاني مبتدأ مخبرا عنه باولئك لان ذلك الوجه انما يحسن اذ قصد
به التعريض بمن لم يؤمن بالقران من اهل الكتاب وزعمهم انهم يؤمنون بما عند الله ولا مدخل لقصة الكفار
في ذلك الغرض والموصول كاللام في العهدية والجنس وفروعه فيجوز ان يراد به ناس معهودون
معروفون بالنفاق كعبد الله بن ابي واضرابه والجنس شاملا لهم ولغيرهم والاخبار بالاصرار يخصصه
بالبعض والكفر لغة الستر وشرعا انكار شيء اعتبر وجوده في الايمان وشد الزنار والقاء المصحف
في القاذورات انما عد كفرا لكونه دليلا على خبث الباطن والنزاع بين اهل الحق والاعتزال انما
هو في اثبات الكلام القديم القائم بذاته تعالى مع الاتفاق على حدوث اللفظ فلا وجه للرد عليهم

بان ذلك

بان ذلك مقتضى التعلق وهو لا يستلزم حدوث الكلام سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
السواء لغة العدل وعدم رجحان احد الطرفين قال تعالى فانبذ اليهم على سواء اسم للمصدر توصيف
به كقوله تعالى في اربعة ايام سواء وما في الاية اما خبر عما بعده مقدم عليه وعدم التثنية لكونه مصدرا
او خبر عما قبله مسند الى ما بعده اي مستوي عليهم انذارك وعدمه والاول هو الوجه لان الغرض
من الوصف بالمصادر المبالغة في شان حالها كانها صارت عين ما قام بها وانما صح وقوع
الفعل مخبرا عنه لان الجملة في معنى المصدر المضاف الى الفاعل ميلا الى جانب المعنى كما في لا تاكل
السمك وتشرب اللبن وام والهمزة جردتا عن الاستفهام لمعنى الاستواء لان اللفظ الحامل
لمعنيين قد يجرد لاحدهما قال سيبويه جرى على حرف الاستفهام ما جرى على حرف النداء في
قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة لانه جرد عن قصد الاقبال لمجرد الاختصاص فان قلت اذا جردتا
لمعنى الاستواء يؤل المعنى ان المستويين سواء قلت لا ضير اذ المعنى المتساويين وقوعا سواء
في عدم النفع وانما قال سواء عليهم دون عليك كما في قوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
لان الانذار واجب عليه لينال المثوبة العظمى فلا يساوي بالنسبة اليه والانذار الابلاغ مع
التخويف واقتصر عليه لانه الاهم سهل نافع وابن كثير وابو عمرو الهمزة الثانية بين بين
وحيث وقع همزتا القطع مستحقتين ووافقهم ابن عامر في رواية هشام في المفتوحة وابدلها
ورش في رواية المصريين عنه الفا وما التخفيف لان همزة القطع في غاية الشدة وفي بين
بين قسط من الحركة قال قطرب هي لغة قريش وان لم يكن قياسية لكنها كثرت حتى اطردت
والعجب ممن زعم انه ناقل القراءات ثم يطعن في المتواتر بما يخيله لا يؤمنون خبر ان قدر سواء خبرا
مقدما ليكون الجملة اعتراضا وان جعل اسم فاعل لما بعده فاعلا تعين ان يكون لا يؤمنون بيانا
او تاكيدا وهذا اوجه لان الاخبار بتساوي الانذار وعدمه اقوى في افادة الغرض المسوق له الكلام
وهو بيان تمردهم في الكفر فالشان ان يجعل عمدة لان الاعتراض في صورة المستغني عنه ومنه
ظهر ان الابدال الى ساقط لان المبدل ادخل بالمقصود والشرط عكسه واما جعله خبرا بعد خبر او حالا
مؤكدة مما لا يخفى مبانته وما علم الله تعالى عدم وقوعه او اخبر به ليس التكليف به محالا بل النزاع فيما لا يكون
متعلق القدرة الحادثة وان كان ممكنا واما المحال لذاته لم يقل احد وان جاز عقلا عندهم لم يوجب
لفعله غرضا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة استئناف دال على علة الاستواء
الانذار وعدمه الختم والكتم اخوان والاختم ولا تغشية حقيقة بل المعنى على تشبيه احداث هيئات
في القلوب والاسماع مانعة من خلوص الحق وقبوله بضرب الخاتم على الاواني استعارة تحقيقية
لمعقول بمحسوس لجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه ان يقبله فسرت الاستعارة في
الفعل تبعا او تشبيه صورة منتزعة من القلب والحالة الحادثة فيه المانعة من الانتفاع بالامور
الدينية بصورة منتزعة من الشيء والختم الوارد عليه المانع من الانتفاع بما فيه والالفاظ المنوية
في التمثيل كافية وان لم يستقم تقديرها وكذا حال الابصار مع الغطاء على القلوب والاسماع
مع الختم وهذه الاشياء ونظائرها كائنة بخلق الله تعالى وارادته اذ لا قبح بصنعه يخلق ما يشاء

والحكم بما يريد ومن لم يجوز ذلك اول في مثلها تاويلات الاول جعل اسناد الختم اليه تعالى كناية عن رسوخ
تمكن القلوب والاسماع وفرط التمكن حتى كانه امر خلقي والثاني تمثيل قلوبهم بقلوب ختم الله عليها كقلوب
البهائم او قلوب مقدرة ختم عليها فالاسناد حقيقي وان كان الختم مجازا والتمثيل في المجموع كما في قولك
اراك ايها المفتي تقدم رجلا وتوخر اخرى الثالث ان هذه الاشياء من الشيطان والاسناد
اليه تعالى اسناد الى السبب لانه باقداره وللمسند ايضا مجاز كقوله اذا رد عافي القدر من يستعيرها
الرابع ان الختم مستعار لترك القسر والالجاء لانه لازمه وفيه اشارة الى تناهي طغيانهم وان
لا سبيل الى ايمانهم الا القسر لولا اباه التكليف على الاخبار الخامس ان هذا حكاية ما كانوا يقولون
قلوبنا في اكنة وفي آذاننا وقر رد عليهم زعمهم الباطل وانما دخل السمع تحت الختم دون الغشاوة
لقوله ختم على سمعه وقلبه لان ادراك كل منهما لا يختص بجهة والختم يمنع الوصول من الجهات والقلب
هو العضو الصنوبري ويطلق على العقل كقوله لمن كان له قلب والسمع والبصر الجارحتان المعروفتان
ويطلقان على الادراك بهما وعلى نفس القوة الدراكة وافراد السمع لانه مصدر في الاصل واعادة
الجار للدلالة على الاستقلال مبالغة وتنكير غشاوة للتنويع اي نوع غير ما يتعارفه الناس وهو
غطاء التعامي عن ايات الله والتعظيم وارتفاعها على الابتداء عند سيبويه والفاعلية عند
الاخفش وربما ايد بالعطف على الفعلية ولم يمنع ابو عمرو والكسائي امالة الف ابصارهم الصاد
المطبقة المستعلية لان في الراء من صفات القوة ما يقاوم ذلك وقيل لما في الراء من التكرير
وليس بشيء لان قولهم الراء حرف مكرر ليس معناه ان حين التلفظ يقع مكررا بل معناه ان
اللافظ يلصق لسانه بالحنك الاعلى لئلا يقع لحن بارتعاد اللسان فيحدث راءان كذا عن امام النحو
خليل بن احمد **ولهم عذاب عظيم** العذاب كالنكال وزنا ومعنى ومنه اعذب عن الشيء نكل عنه
وفي حديث علي رضي الله عنه لما ارسل سرية اعذبوا عن ذكر النساء ومنه وصف الشراب بالعذوبة
لانه يقمع العطش كما يسمى فراتا لانه يفرته اي يكسره والعظيم بالاعجاز به يستعمل في الجثث والمعاني
وكما ان الحقير دون الصغير يكون العظيم فوق الكبير بحكم العادة لان الاشرف يقابل الاخس وفي الحديث
الالهي الكبرياء ردائي والعظمة ازاري يدل على خلافه لان الرداء اشرف حالا من الازار **ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر** هؤلاء المنافقون اهل الدرك الاسفل وهم اقبح الكفرة ولذلك
عطف قصتهم على قصة الماحضين وفصل صفاتهم الذميمة في ثلثة عشرة اية وعطف القصة
على القصة يكفيه التناسب في الغرض ومن لم يهتد اليه استشكل عليه مواضع من التنزيل واصل ناس اناس
لانهم يونسون اي يبصرون كما سموا بشرا لذلك يدل عليه انسان واناسي حذفت همزته
تخفيفا وقيل من النوس وهو الاضطراب بدليل نويس والجواب انه من تغيير النسب كانبث
ووزنه فعال لان الزنة في المحذوف والمبدل على الاصول ليندرج به الى معرفة حصول الصيغة
ويعكس في القلب دلالة على اصله ولذلك يقال حمل ليس عقل واللام فيه للجنس وفائدة الاخبار
بان من يقول كذا من الناس التعجب من شانه وان تلك الصفات تنافي الانسانية ويجوز ان
يكون مضمون الجار والمجرور مبتدأ كقول الحماسي فمنهم ليوث لا ترام وبعضهم مما قمشت وضم

جعل

جعل الخاطب وللعهد اي ومن المصرين طائفة كذا ولا ينافي ما ذكر من تشبيه الكلام بالماحضين لان
المنافقين لما افردوا باحوال واحكام كان المقصود من ذلك الحكم المشترك بيان حال الماحضين
ثم على الاول من موصوفة لان الجنس لا توقيت فيه فكذا في ابعاضه وعلى الثاني موصولة وبالوجهين ورد
التنزيل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ومنهم الذين يؤذون النبي واليوم الآخر هو
الابد الذي لا امد له او من وقت النشور الى ان يدخل فريق في الجنة وفريق في السعير لانه آخر الاوقات
المحدودة وذكره مع الله تعالى للدلالة على انهم آمنوا بالمعاد والمبدأ واحاطوا بقطريه والمال بوعد لف
اللبس بكثرة الدور **وما هم بمؤمنين** رد لدعواهم على ابلغ وجه لان كونهم في عداد المؤمنين من
لوازم ايمانهم فاخراجهم عن زمرتهم نفي لايمانهم على طريقة البرهان ولذلك زيدت الباء وفيه دلت
الاية على ان الايمان ليس مجرد القول مع ابطان الكفر وفيه بطلان مذهب الكرامية **يخادعون الله
والذين آمنوا** الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تريد به لتوقعه في المكروه من حيث لا يدري ومنه
ضب خادع اذا اقبل اليه الحارث ثم خرج من نافقائه وفي الحديث يكون في آخر الزمان سنون خداعة
اي يكون ذات امطار بلا ربيع ومعنى مخادعة المنافقين علام الغيوب ومخادعته اياهم ان من
الجانبين معاملة شبيهة بالخداع لان اظهارهم الايمان مع ابطان الكفر واجراء الله تعالى عليهم احكام
المؤمنين وهم اهل الدرك الاسفل وكذلك امتثال الرسول والمؤمنين باجراء الاحكام عليهم صورة
صورة الخداع ففي يخادعون استعارة تبعية او لجهلهم بالله تعالى وبصفاته اعتقدوا جواز ذلك فهو
بزعم معتقدهم او ذكر الله توطئة تنبيها على قوة اختصاص المؤمنين به وقربهم منه حتى ان الفعل المتعلق
بهم يصح تعلقه به كقولك اعجبني زيد وكرمه ومثل والله ورسوله احق ان يرضوه او نسب اليه تعالى
ما لرسوله على نمط المجاز العقلي لانه الخليفة عنه ومبلغ احكامه او يخادعون بمعنى يخدعون اخرج
الى زنة المفاعلة مبالغة لان الفاعل اذا قابله مقاوم توفرت دواعيه شوقا الى الغلبة وكان لهم في
الخداع اغراض سلامتهم من القتل والاسر ونيل ما يناله المؤمنون من المغانم واطلاعهم على عورات
المؤمنين واذاعة اسرارهم والقاء الاكاذيب المرجفة ولذلك سماهم المرجفين في المدينة **وما يخدعون
الا انفسهم** لان ضرر خداعهم لا يتعداهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله او يخادعون انفسهم باطيل
الاماني وتمنيهم هي ايضا امثالها فيخدع كل منهما للآخر ويحمله على ارتكاب اسبابها فان قلت النفس
ذات الشيء وحقيقته وحقيقة الخداع يقتضي فاعلين متغايرين قلت يكفي في تصوير ذلك التغاير
اعتبارا ولو تنزلا او فاعل بمعنى فعل والاخراج الى المفاعلة لتلك المبالغة ويؤيده قراءة
الكوفيين وابن عامر يخدعون مقصورا وعليه الرسم ويطلق النفس على الروح وعلى القلب والدم
والماء **وما يشعرون** ان ضرر الخداع لا يتخطاهم والشعور علم يكسب بالمشاعر وهي الحواس الظاهرة
وفيه اشارة الى انهم اضل سبيلا من الانعام **في قلوبهم مرض** استئناف لبيان موجب
خداعهم وما هم فيه من النفاق ويجوز ان يكون تقريرا لعدم شعورهم والاول اولى لان لا يشعرون
سبيله الاعراض والمرض حقيقة فيما يعرض البدن ويخرجه عن الاعتدال وكان لهم الرياسة
وفوات اكل الرشى امراض قلوبهم او اريد به الاغراض النفسانية كالغيظ والحسد وسائر

الاخلاق المتولدة من الكفر وسوء العقيدة فانها آفة في الادراك **فزادهم الله مرضا** بنصر رسوله
وتبسطه في البلاد وكثرة الفتوح او بانزال الآيات والسور فانهم ازدادوا كفرا بزيادة ما كفروا به
كما ازداد به المؤمنون ايمانا واسناده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا اسناد الى السبب وعطف
الفعلية على الاسمية للدلالة على ان ذلك المرض لم يزل غضا طريا وانه تسبب لازدياد مرضهم المحقق
اذ لولا انه نفس الفطر لازداد بزيادة امداد الاسلام ونزول الآيات شفاء وقد ظهر ان حمله على الاخبار
دون الدعاء هو الوجه **ولهم عذاب اليم** مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب
مبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع وكقولك الم اليم ووجع وجيع **بما كانوا يكذبون** بسبب
كذبهم واقحام كان للدلالة على الاستمرار في المضي والكذب هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو
عليه وقبحه ليس في اتيانه فحسن اذا كان فيه نجاة مظلوم وخص بالذكر من بين جهات استحقاقهم تحيلا
للحوق العذاب لاجله تنفيرا عنه وقرا غير الكوفيين مشددا اي يكذبون الرسول ولم يؤمنوا به ويجوز
ان يكون مبالغة في الكذب كصدق في صدق او كثرة الفاعل كموتت الابل فيرجع الى قراءة
التخفيف سوى ما يفيده من المبالغة او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم نظر وراءه كانه يكذب
رايه لان المنافق حائر متردد وقال المرسلين مذبذبين بين ذلك والمختار هو التشديد على كل وجه
عطف على يكذبون او **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض** عطف على يكذبون او يقول
امنا والاول اوجه لقربه ولافادته تسبب الفساد للعذاب ولخلوه عن تخلل البيان والاستئناف
بين اجزاء الصلة او الصفة وان لم يكن اجنبيا وقد يؤيد الثاني بكون الآيات على نمط التعديد قصدا
الى اتصافهم بكل منها استقلالا ولئلا يفوت المبالغة في التنفير عن الكذب بمشاركة غيره في
التسبب للعذاب واما عطفه على ومن الناس فيستلزم خروج هذه الصفة وما بعدها من قصة
المنافقين اذ على ذلك التقدير لا يحسن عود الضمير اليهم والافساد جعل الشيء فاسدا اي
خارجا عن الاعتدال وانما جعلوا مفسدين في الارض لانهم كانوا يمالئون الكفار ويمالئونهم على المسلمين
ويحرفون الكلم من بعده مواضعها وذلك مما يهيج الحروب والفتن وفيه فساد الدنيا والدين
وجعل ما كانوا فيه عين الفساد وكانه قيل لا تاتوا بالفساد والقائل رسول الله صلى الله عليه وسلم
او المؤمنون اذ لم يقع لله معهم كلام ابتداء **قالوا انما نحن مصلحون** اي حالنا مقصور على
الاصلاح لا يشوبه شيء من الافساد وآثروا انما لادعائهم ان اصلاحهم بين مكشوف **الا انهم
هم المفسدون** الا حرف تنبيه على تحقيق ما بعده وقيل مركب من همزة الانكار ولا النافية فهي من
مقدمات اليمين وطلايعه كان واللام يتلقى بهما القسم رد دعويهم ابلغ رد بان حصر حالهم في
الافساد ولا حظ لهم في الاصلاح قلبا لدعويهم ووسط الضمير الفصل توكيدا للحصر المستفاد
من تعريف الخبر والاوجه حمل اللام على الاتحاد والضمير لتوكيد نسبة الاتحاد كما في هم المفلحون **ولكن
لا يشعرون** سبق تحقيقه **واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس** سلكوا معهم سلوك المرشد
مع الطالب المسترشد نهوهم عن الفساد وارتكاب الرذائل ثم امروهم بالاتصاف بالايمان
الذي هو اساس الحسنات تحلية بعد التخلية اللام للعهد والناس رسول الله صلى الله عليه وسلم

واصحابه رضوان الله تعالى عليهم لانهم مقابلوهم في الايمان او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم مع
تلك المقابلة متناظرون لهم بالايمان حاضرون في الاذهان او الجنس اي الكاملون في الانسانية
كان من عداهم ليس بانسان كما في ذلك الكتاب وقوله اذ الناس ناس والزمان زمان و
اسناد الفعل الى الجملة في قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا وقوله واذا قيل لهم آمنوا والاسناد من
خواص الاسم لان اقسام الكلمة متساوية الاقدام في الاسناد الى لفظها وما اختص به
الاسم هو الاسناد الى معناه نحو قام زيد فالمسند اليه هنا اللفظ باعتبار المعنى وانما لم يتعرض
النحاة لبيان هذا القسم من الاسناد ولانه يعلم حاله بالمقايسة اولان ماله ذلك لان
قولك ضرب فعل ماض واذا قيل لهم لا تفسدوا اي هذا القول **قالوا انؤمن كما آمن السفهاء**
السفه الخفة في الرأي واللام للعهد اشير به الى الناس السابق ذكرهم او للجنس ويدخل فيهم الجاري
ذكرهم لانهم اعرف الناس في السفه عندهم انما لتدنس فطرتهم يرون الحسن قبيحا كالمريض المختل
ذائقته يجد الحلو مرا وقالوا تجلدا وعدم مبالاة بمن فارقهم من شيعتهم وما في الموضعين مصدرية او
كافة **الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** لاعتقادهم الباطل حقا مع جلاء برهانه وانما فصل الاولى
بنفي الشعور وهذه بنفي العلم لان امر الديانة يحتاج الى تامل في تمييز الحق عن الباطل ولا كذلك الافساد
في الارض **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** ليس من التكرار في شيء لان قوله ومن الناس من يقول آمنا
لبيان معتقدهم وادعائهم حيازة الايمان من الجهات وما هم منه في شيء وهذا البيان سلوكهم
مع المؤمنين ولو لم يكن الغرض ذلك لم يلزم التكرار ايضا لان المعنى ومن الناس من يتلفظ بالايمان
نفاقا للخداع ثم اشار الى ان ذلك عند لقاء المؤمنين للحاجة استهزاء واذا خلوا الى شياطينهم
من خلوت الى فلان واليه اذا انفردت به ومنه خلاك ذم اي مضى وانفرد او من خلوت به
اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء وشياطينهم شطارهم الذين ماثلوا الشياطين
في التمرد والشيطان فعلان من شطن اي بعد لبعده عن الخير والصلاح او من شاط اي بطل فالنون
زائدة قالوا انا معكم قلبا واعتقادا وآثروا في مخاطبة اخوانهم الاسمية مؤكدة بان لانهم في
ذلك على صدق رغبة ونشاط وكمال رغبة وهو رائج منهم ومع المؤمنين الفعلية لانهم لم يكونوا
بما به موسومين بذلك فلم يروج منهم لو ادعوا غير احداث الايمان ولم يكن ايضا صادرا
عن رغبة كما ترى من يتكلم بكلام تكلفا انما نحن مستهزؤن تاكيد لانا معكم لان الاستهزاء بالاسلام
دفع له على ابلغ وجه ورفع نقيض الشيء تاكيد لثباته وازالة ما عسى يتوهم من تجوز وقيل انا معكم
قلوبا يلزمه ان قولنا آمنا عند لقاء المؤمنين ليس على حقيقة فقولهم انما نحن مستهزؤن توكيد
لذلك اللازم والاول اوجه لان التاكيد يكون للكلام لا للوازمه او بدل لانه اوفى بالمقصود وهو
التصلب في الباطل او استئناف لظهور ورود السؤال كانه قيل كيف يكونون معنا مع قولكم
للمؤمنين آمنا والاستهزاء الاستخفاف من الهزؤ وهو القتل سريعا الله يستهزئ بهم الاستهزاء
من باب السخرية والعبث ولا يليق ذلك بالحكم فالمراد منه انزال الهوان والحقارة بهم لان ذلك
غاية فعل المستهزئ وغرضه الذي يرمي اليه او لعلاقة الشبه الصوري والمعنوي عن الحقيقة استعارة

الا ان مداهنتهم حقيق بان يستهزئ بها الساخرون وانما لم يعطف لان ما حكي عنهم من شناعة
ما ارتكبوه مما يحرك كل سامع ان يقول من هذا شانه ما مصير امره وصدر باسم الله للدلالة
على ان المؤمنين عنده بمكان وهو الذي يتولى مجازاة اعدائهم مع الاشارة على ان استهزاء
المنافقين مضمحل في جنب استهزائه لصدوره عمن يضمحل كل شيء تحت قدرته ومن قال سمي جزاء
الاستهزاء استهزاء لكونه مماثلا له في القدر ثم قال لا يؤبه باستهزائهم في مقابلة ما يفعل الله بهم فقد
تناقض كلامه وايثار المضارع للدلالة على تجدد الفعل واستمراره وكذا كانت نكايات الله ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش
وامده اذا زاده وليس من المد في العمر لانه يعدى باللام والحذف والايصال خلاف الاصل وما روى
عن ابن كثير يمدهم بضم الياء يدل عليه والطغيان مصدر طغى تجاوز عن الحد واضافته اليهم كاضافة
الحسن الى زيد في نحو قولك اعجبني حسن زيد فلا يدل على انه ليس بخلق الله وارادته وايثار طريق
الابهام والتعبير للدلالة على اضافة كثرة الاسباب والعمه في البصيرة كالعمى في البصر اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى تعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الابلغ والمد في الطغيان او غيرهم
مقرر لمدهم في الطغيان ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى استبدالها به على سبيل الاستعارة لان
الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه قوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا والمراد بالهدى تمكنهم منه
اولان التكليف وتيسر الاسباب او الفطرة التي فطروا عليها لانها اساس الهدى والضلال الجور
عن القصد مستعير للذهاب عن الصواب في الدارين فما ربحت تجارتهم اي خسروا في ذلك
الاستبدال لان رأس مالهم الذي هو الهدى استبدلوا به ما يضاده وهو الضلال والضلال خاسر
وامروا لو نال ما نال ولان ضمهم السلم رأس ماله لا يوصف بالربح ولما استعار الاشتراء للاستبدال
رشحه بذكر الربح ترشيحا للاستعارة لان مبناها على تناسي التشبيه وذكر روادف المشبه به و
توابعه يشد من اعضاده الا ترى الى قوله ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له
صدري لما استعار لفظ النسر للشيب وابن داية للشباب كيف رشحه بذكر التعشيش والوكر فان
قلت نفي الربح عن التجارة حقيقة الا ترى انك لو قلت ما ربحت التجارة بل التاجر لم يكن منك
مجازا وكذا قولك ما صام النهار فما وجه قول من يقول ان الاسناد فيه مجاز قلت جعل عدم الربح
كناية عن الخسران وان كان اعم منه تصريحا بانتفاء مقصود التجارة وهو الربح مع حصول ضده
بخلاف ما لو قيل خسرت تجارتهم وكذا كل فعل نفي عن غير فاعله كقولك ما صام النهار وما نام الليل
ان اجري على ظاهره كان حقيقة وان اول بفعل آخر ثابت للفاعل كافطر وسهر كان مجازا وما كانوا
مهتدين ليس المراد منه عدم الاهتداء في الدين ليكون تكرارا بل تقرير للترشيح وتشييد لاركانه اي
هؤلاء الذين خسروا في التجارة لم يكونوا داخلين في زمرة التجار بالامور ويجوز عطفه على اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى من تمام التعليل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا المثل في الاصل
بمعنى النظير نقل الى قول مثل مضربه بمورده ولا يضرب مثلا الا بما فيه غرابة ثم استعير لكل شان فيه
غرابة والامثال في كشف الحقائق واظهار الخفايا شان لاراءة المعقول في صورة المحسوس والمتخيل

مخففا

مخففا ولذلك كثر في كلام الله تعالى وكلام الحكماء والبلغاء والجملة مقررة لقوله اولئك الذين اشتروا
الضلالة والجملة قصة المنافقين والذي وضع موضع الذين لكثرة وقوعه لكونه وصلة الى وصف كل معرفة
واستطالته بالصلة ولان الذين ليس جمعا حقيقة بل زيد الياء والنون للدلالة على الزيادة الا ترى الى جره
في الرفع او قصد جنس المستوقد او الفوج ونحوه على ان التشبيه ليس للذوات حتى يشكل واستيقاد النار
من نار ينور اذا تحرك واضطرب وهو هذا الجسم اللطيف المعروف والنور ضوؤها فلما اضاءت
ما حوله عطف على استوقد والاضاءة فرط الانارة متعد وما الموصولة مفعوله او لازم مسند الى ما و
التانيث لان ما حوله اماكن او مسند الى ضمير النار وما زيدة وحول ظرف لغو او موصولة مع صلتها
مفعول فيه والاول اوجه لانه لا يقتضي ذكر لان حذف عن لفظ مكان لكثرته والكثرة في الموصول لانه ثبت
اذا كان الفعل لازما مسندا الى ضمير النار يلزم وجود النار حول المستوقد حتى تتصور اضاءتها فيما قبلت
النار وان لم توجد فقد وجد ضوؤها فالاسناد الى النار اسناد الى السبب كما في بنى الامير المدينة وتأنيث
الحول الدوران والاضافة ومنه الحول للعام وحال الشيء واستحال وحال للاتساع لعوارضه ذهب الله
بنورهم جواب لما جمع الضمير مع توحيده في استوقد وحوله بالنظر الى اللفظ والمعنى والغرض تصوير حال المنافق
فلا وجه لما يقال ان المستوقد لم يفعل ما يستحق به اذهاب نوره وقيل استئناف اجيب اعتراض سائل
يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال المستوقد والجواب محذوف اي خمدت نارهم او طفئت حذفت ايجازا و
مبالغة في سوء حال المستوقد بالابهام ولكونه مستطالا بالصلة لو ذكر الجواب والضمير للمنافقين وفي
هذا الوجه والاول اوجه لان ذهاب النور شديد الملاءمة مع الاستيقاد ولان المبالغة في التشبيه يستلزم
المبالغة في المشبه ضمنا ولان كونه من تتمة التمثيل الاول يوجب مطابقته للتمثيل الثاني لاشتماله على مبالغات
مع ان الاستئناف لا وجه له لانه سبب تماثل حالهم قد علم مما سبق وقيل بدل من جملة التمثيل على وجه البيان
وفيه فوات المبالغة في حذف الجواب لاستدعائه ان يكون اوفى من المبدل منه وانما وصف النار
بالاضاءة اولا لما تقرر ان ابطال اصولهم يضمحل كما الفرج ويحتمل ان يراد النار المجازية كالفتنة
وعداوة الاسلام والوصف بالاضاءة ترشيح للمجاز واثر الباء على الهمزة لدلالتها على المصاحبة
واللصوق وما يمسكه الله تعالى فلا مرسل له وتركهم في ظلمات لا يبصرون ترك الشيء طرحه يتعدى
الى مفعول واحد وقد يتضمن معنى التصيير فالى مفعولين كقول عنترة العبسي فتركته جزر السباع
ينشنه ومنه ما في الاية ان جعل هم في ظلمات والظلمة عدم النور وقيل عرض يضاده وجعل المنع من
قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع وهذا ما يعتقده الجمهور فلا يرد ان
العدم لا يكون مانعا وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة او ظلمة الضلال وظلمة سخط
الله تعالى وظلمة العقاب او ظلمة شديدة كانها ظلمات كما في الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة وان عاد
الضمير الى المستوقد فالظلمات ظلمة الليل منضما الى ظلمة الغمام وتطبيقه لا يبصرون اي ليس لهم ابصار
رأسا فلا يقدر له مفعول لفوات المبالغة واعلم ان الاية يجوز ان يكون تمثيلا وتشبيها موقوفا وذلك
ان المستوقد سعى في ايقاد النار وكدح في اجابتها وحصل على طرف من الاضاءة المطلوبة ثم
انطفأت وزالت بالكلية سريعا فبقي حائرا في ظلمات كالاعمى وكذلك المنافق اظهر كلمة

لايمان وحصل بها منافع الامن والامان فعوره الله بالموت وصيره الى ظلمات متراكمة فان لوحظ في
كل واحد من الجانبين هيئة وحدانية ملتئمة من تلك المعاني تشارك الاخرى في هيئة منتزعة
منها كحصول تباشر المقصود وقوة الرجاء والوقوع في حيرة الحرمان والخيبة كان تمثيلا وان قصد
تشبيه كل واحد من تلك المعاني بما يناظره كان تشبيها مفردا والاول اوجه لما في تشبيه الهيئات
من جزالة المعنى والتخلص عن التكلف في تطلب وجه الشبه في كل متناظرين لا سيما اذا كان ذكر المشبهات
مطويا ولان لفظ المثل يتبادر منه القصد الى الغريبة كالمثل السائر وهي الهيئات المركبة دون كل
واحد ✽ صم بكم عمي ✽ ترق في بيان حال المنافق من التمثيل المذكور الى ما لا بيان فوقه في التحري اعطاء
المقام حقه وسوا جعل ذهب الله بنورهم جواب لما اولا فالمبتدأ المقدر ضمير المنافقين كانت حواسهم
سليمة لكن حيث لم يصغوا الى الحق ولم ينطقوا به ولم ينظروا في الافاق والانفس كانهم فاقدوها
وتقديم الصم على البكم بين لان تلقي الايات من الشارع متقدم على ذكرها والنطق بها واما تاخير العمى
فلانه تمثيل لعمى القلب وهو معقول صرف فتنتهي الى الاخر الا يرى الى قوله ونحشرهم يوم على
وجوههم عميا وبكما وصما لما اريد به رؤية البصر كيف قدم دلالة على ان المحشور اشد ما عليه فقد
البصر ثم البكم لئلا يستخبر بمغيث وهو من التشبيه البليغ الذي حذف فيه المشبه به مع حذف الاداة ووجه
الشبه فليس من الاستعارة في شيء لان شرطها كون الكلام خاليا عن ذكر المستعار له لفظا وتقديرا
ونيته بحيث يجوز ان يراد بالمشبه به معناه الحقيقي لولا القرينة وذلك لان شرطها مبنى الاستعارة
في شيء على تناسي التشبيه واجل ذلك كانت الترشيحية اقوى اقسام الاستعارة فان قلت قد ذكروا
ان قول الشاعر قد زر ازراره على القمر من الاستعارة مع ان الضمير المجرور عائد الى المشبه قلت المراد
من طي المشبه ان لا يذكر على وجه ينبئ عن التشبيه فلا ينافي ذكره على وجه اخر لانه لا يقدح في التناسي المطلوب ✽ فهم
لا يرجعون ✽ نتيجة قوله صم بكم عمي وذلك لان فاقد الحواس لا يتصور منه رجوع ✽ او كصيب من السماء ✽
او في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيه فاطلق للتساوي من غير شك نحو جالس الحسن او ابن سيرين
وهو عطف على كمثل الذي استوقد نارا اي كمثل ذوي صيب كقوله تعالى يجعلون اصابعهم في
اذانهم والمعنى قصة المنافقين شبيهة بهاتين القصتين بايتهما شبهت فقد اصبت وكذا ان شبهت
والصيب فيعل من صاب المطر اي نزل وقيل هو السحاب قال الشماخ وتيمم وان صادق الوعد
وقلما بالغ فيه مادة وبناء وتنكيرا دالا على التهويل كتنكير النار في التمثيل الاول ايده بتعريف السماء
الدال على العموم وشمول الآفاق لان كل افق يسمى سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء اي قطعة ارض
وقطعة سماء اذ لا يتصور ان يكون بينه وبين الحبيبة بعد جميع الارض والسماء وان اريد به السحاب
فالمراد انه مطبق آخذ بآفاق السماء ✽ فيه ظلمات ✽ اي في الصيب فان اريد به المطر فالظلمات ظلمة تكاثفه
وتتابع قطره واظلال غمامه وظلمة الليل والسحاب فظلمة سحمته وتطبيقه وظلمة الليل وارتفاعه بالظرف
لاعتماده على الموصوف ✽ ورعد وبرق ✽ الرعد صوت شديد يحصل من اصطكاك اجرام السحاب تتولد
منها باذن الله تعالى نار لامعة هي البرق لبريقه وخروج المطر فالحالي وجوه والملهبة لكونهما في اعلاه ومجيئه
كقولك زيد في البلد وان كان في طرف وتحقق منه الظرفية الحقيقية وهي كون الشيء مكانا

لاخر غير مراده وان كان الظرف سببا بالا انهما عرضان والتمكن من خواص الاجسام وانما لم يجمعا لانهما
مصدران في الاصل وجاءت منكرات على وزن تنكير النار والصيب ظلمات واجبة ورعد
قاصف ✽ يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق ✽ كلام مستانف كانه قيل كيف حالهم مع ذلك الرعد
والبرق فقال يجعلون اصابعهم في آذانهم والمجعول في الآذان وان كان رؤوس الاصابع الا ان في اطلاق
الكل وارادة الجزء من المبالغة الدالة على انهم لو قدروا على ادخالها بكمالها لفعلوا والصاعقة قطعة
نار في غاية الحدة تنفصل من السحاب اذا اصطكت اجرامه لا تمر بشيء الا احرقته ولذلك اشتق لها هذا
الاسم من الصعق وهو الهلاك كقوله تعالى وخر موسى صعقا ومن فيه ابتدائية فيها معنى العلة ✽ حذر الموت ✽
علة للجعل المعلل وكلاهما باعث غير غرض والموت عرض يضاد الحيوة لقوله تعالى خلق الموت والحيوة
وقيل عدم الموت والخلق بمعنى التقدير على ان اعدام الملكات مجعولة عند المحققين ✽ والله محيط بالكافرين ✽
اعتراض دال على ان العرض غير نافع ووضع الكافرين موضع الضمير ليظهر استحقاقهم شدة الامر عليه
طريقة قوله اصابت حرث قوم ظلموا والمراد بالكافرين المنافقون وانما وسطت حالهم بين احوال
المشبه به والقياس تقديمها او تاخيرها اشارة الى شدة الاتصال بين المشبه والمشبه به ودلالة على
فرط الاهتمام بشان المشبه والاحاطة مجاز عن شمول قدرته وعدم الفوات على نمط الاستعارة
التبعية او شبه حالهم معه بحال المحيط على انها تمثيلية ولا يتصور اجتماعهما لتنافي اللوازم لاستلزام التبعية
البساطة والتركب التمثيل ✽ يكاد البرق يخطف ابصارهم ✽ استئناف ثان كانه قيل فكيف حالهم مع الرعد
وصواعقه فما حالهم مع البرق والخطف الاخذ بالسرعة ✽ كلما اضاء لهم مشوا فيه ✽ استئناف ثالث جواب
لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وفيه بيان شدة الحال على المنافقين وتمادي
حيرتهم بطريق التشبيه فاذا خفق البرق مشوا خطوات يسيرة مع خوف خطف الابصار ✽ واذا
اظلم عليهم قاموا ✽ واذا خفي وفتر لمعانه وقفوا وانما آثر كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام لان
الاضاءة مطلوب لهم وهمهم معقودة بها ولا كذلك الاظلام والمشي يقابله الوقوف وانما قابله بالقيام
للدلالة على انهم حالة فتور البرق قيام ينتظرون الخفوق واظلم جاء متعديا ولازما لغة اللبث وللزوم
اكثر استعمالا ✽ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ✽ عطف على مجموع الجمل الاستئنافية لان المعنى
لو شاء الله ان يذهب اسماعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وكلمة لو لمجرد ربط الجزاء بالشرط
من غير دلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاخر فهي بمنزلة ان ويجوز ان يكون على اصلها دالة على ان
الرعد والبرق بلغا مبلغا لم يحتاجا في ازالة الحواس الا على مجرد تعلق المشية ومفعول المشية يكثر حذفه
لدلالة الجواب عليه الا اذا كان مستغربا غير مالوف كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته فلم يكتف
بالقرينة لاحتمال ضد المقصود واعلم ان هذا التشبيه ابلغ من الاول لانه ادل على فرط الحيرة ونهاية
شدة الامر ولذلك اخره تدرجا وهو كالاول يحتمل التفريق بان يشبه دين الاسلام الذي به حيوة الانفس
بالصيب ولما كان على وجه الخداع اوجب الهلاك كما اوجب الصيب وان كان رحمة هلاك [illegible]
وشبه الكفار بالظلمات لان الظلمة سبب حيرة ذوي الصيب كما ان شبه اهل النفاق سبب
حيرتهم وزيادة ضلالهم وكل واحد من الرعد والبرق شبه به وعد المؤمنين ووعيد المنافقين

ومايصيب الكفار من الافزاع والبلايا من جهة اهل الاسلام بالصواعق وتفاقم حذرهم من نكايات
المؤمنين واطلاعهم عليهم بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر
الله شيئا واما قوله يكاد البرق يخطف ابصارهم وما بعده من متممات الرعد والبرق زيادة في تصويرها
والمنايا في شرح الوعيد لان الكلام بالاصالة فيه هذا والقول الحق والمذهب الجزيل كما اشير اليه انه جعل
من التشبيه المركب فانك اذا تصورت حال من اخذته السماء في ليلة تكاثف ظلمتها بتراكم السحب
وانتاج قطراتها وتواتر فيها الرعود الهائلة والبروق الخاطفة والصواعق المخيفة وهم في ذلك يزاولون
غمرات الموت حصل في نفسك حالة تعرفك حال المنافقين على وجه تتقاصر عنه تشبيه تلك المفردات
بمقابلاتها بحيث لا يبقى لك مجال الريب ان الله على كل شيء قدير دليل على لو شاء الله لذهب بهم
لانه شيء من الاشياء داخل تحت هذا العموم والشيء وما يرادفه اعم وجودا من كل اعم كما ان لفظ الله
اشد خصوصا من كل خاص والمعدوم ليس بشيء بمعنى انه لا تقرر له ولا ثبوت بدون الوجود والمعتزلة
قالوا به في المعدوم الممكن ولغة يطلق على كل ما امكن ان يخبر عنه ويتصور حسن المجال وهذا هو المناسب
للمقام ويخرج عنه المحال بقرينة الفعل كخروج الواجب عن قوله والله خالق كل شيء ولا حاجة الى ان
يقال كل ما شاء الله فهو موجود في الجملة لانه قبل التعلق القدرة والمشية وحين التعلق ليس
بموجود ولا بشيء وبعده لا تعلق والقدرة صفة حقيقية يقتضي التمكن من الايجاد وليست نفس
التمكن ولا نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير كامل القدرة
البالغ نهاية القوة ولذلك لم يوصف به غير الله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما ذكر الفرق و
عقابهم ونتائج اعمالهم ورغب ورهب بالامر به عليه اقبل عليهم مخاطبا ليزيل مرارة التكليف بلذة
الخطاب كما هو داب السيد الرؤف ويا حرف ينادى به البعيد ونداء الله تعالى به عباده وهو اقرب
من حبل الوريد لاظهاره الكبرياء وبعد مقام الربوبية ونداء العبد به مولاه استقصار لنفسه عن مقام
القرب واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء ذي اللام لعدم جواز اجتماع اداتي التعريف والحق
الهاء عوضا عن المضاف اليه لكون اي لازم الاضافة ونداء الله تعالى رسله وسائر عباده بهذا
الان اوامره ونواهيه امور عظام من حقها ان يقبل عليها المنادى بشراشره والنداء على هذا
الوجه مستقل باوجه من التاكيد تكرار الذكر والايضاح بعد الابهام وكون اللفظ موضوعا للبعيد
والحاق حرف التنبيه والناس اسم جمع والجموع واسماؤها المحلاة للعموم حيث لا عهد علم ذلك
من موارد الاستعمال فيعم الموجود وقت النزول بشرائط التكليف ومن سيوجد لبقاء شرعه الى آخر
الدهر وعموم مقتضى خطابه وما روى عن علقمة والحسن ان يا ايها الناس مكي لم يصح نقله مع الاتفاق
على ان السورة مدنية ولو صح لم يقدح في عمومه والعبادة المامور بها اعم من فعل القلب والجوارح
فيتعين بحسب المخاطب كما تقول لجماعة احدهم لا يصلي والاخر لا يصوم والثالث لا يحج اعبدوا الله
وان خصت بفعل الجوارح فالمؤمن مامور بازدياده والكافر بايقاع الشرط اولا ثم بالمشروط ثانيا
لان الامر بالشيء امر بما لا يتم الا به كالمامور بالصلوة فانه مامور بالوضوء وايثار الرب بين اسمائه
الحسنى للدلالة على ان الامر بالعبادة تربيته وايصاله الى الكمال وان كان شاقا على النفس وثقيلا

لان الموجب للعبادة هي التربية الذي خلقكم صفة مادحة لان الرب المتفق على الوهيته بين الفريقين
وكذا ان خص الخطاب بالمشركين لانه رب الارباب ويجوز ان يكون مخصصة لاطلاقهم الرب
على آلهتهم والخلق هو الايجاد على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدره والذين من قبلكم من الامم
فيه تغليب لانه موضوع لجميع الذكور فلا يتناول غير الانسان فضلا عما يتقدمه بالذات او بالزمان
ولو جعل متناولا لغير العقلاء ايضا تغليبا فلا بعد للتقدم ذاتا وقرأ زيد بن علي من قبلكم على ان من موصولة
فيكون تاكيدا بالمرادف او موصوفة خبر مبتدأ او الجملة صلة الذين لعلكم تتقون موضوع لانشاء
توقع مرغوب ويسمى ترجيا او مرهوب ويسمى اشفاقا وكل منهما اما راجع الى المتكلم وهو الاصل
لان المعاني قائمة به او المخاطب لانه متلبس بالكلام تلبسا تاما وقد يرجع الى غيرهما فمن الاول لعل زيدا
يكرمني ومن الثاني فقولا له قولا لعله يتذكر او يخشى ومن الثالث قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
اي بلغت من الحرص على ايمانهم مبلغا يرجون ان تترك بعض ما يوحى اليك وقد جاءت في كلامه تعالى
للاطماع على داب الملوك في المواعيد المقطوع بانجازها من الاقتصار على لعل وعسى دلالة على انه لا فرق
بين الحزم وغيره في كلامهم مع الايماء الى انه لا ينبغي الاتكال بل على العباد الاجتهاد وما في الاية ليست
من تلك المعاني في شيء لان الرجاء من علام الغيوب المطلع على عواقب الامور محال وكذا من
المخاطبين لان حال خلقهم لا شعور لهم بالتقوى ولا مجال للاشفاق وكذا الاطماع لان التقوى من افعالهم
شاقة عليهم فهي مجاز عن الطلب لانه لا يستلزم حصول المطلوب او عن ترتب الغاية على ما هي ثمرة له
لان تعليل افعاله بالحكم والمصالح بمعنى انها نهاية كمالية افضى اليها به فعل الحكيم تعالى هو الحق الذي لا مرية فيه
وانما المنفي عن فعله هو الغرض الباعث الذي لولاه لم يقدم على الفعل على ان طائفة من الاصحاب رضي الله
عنهم قد جوزت ذلك فان قلت هل تحمل على ترجي العباد متعلقا باعبدوا اي اعبدوه راجين ان يصل بكم
الى التقوى التي هي اعلى مراتب العبادة او بخلقكم على انه حال مقدرة اي خلقكم مقدرا رجاءكم للتقوى
كما في قوله وبشرناه باسحق نبيا اي مقدرا نبوته قلت لان تعلقه باعبدوا يستلزم توسط الحال من
فاعله بين وصفي مفعوله فان الذي جعل لكم الارض فراشا صفة لربكم معنى وان رفع او نصب على المدح لما
تقدير الرجاء حين الخلق فغير المقدر اذ ذاك هو التقوى لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ولان كثيرا من الناس يخطرون التقوى بالبال فضلا عن رجائها فكيف يقيد الخلق بتقدير الرجاء والاية
دلت على ان الطريق الى معرفته تعالى هو النظر في الانفس والافاق وان العبد وان بلغ نهاية الامر وهي التقوى
لا يستحق اجرا على مولاه لان النعم السابقة تفوق عمله فهو عاجز عن شكر بعضها بل التوفيق للشكر نعمة
اخرى يقتضي شكرا آخر وهلم جرا اذ كان شكري نعمة الله نعمة مجددة كيف السبيل الى الشكر الذي
جعل لكم الارض فراشا اشارة الى بعض اصول النعم وقدم الارض لان وجود التمكن بدون المكان
بديهي الاحالة وجعل يكون بمعنى صار وبمعنى خلق كجعل الظلمات والنور وبمعنى صير كما في الاية ومعنى
الافتراش كونها لينة مبسوطة تصلح للقعود والنوم عليها وكريتها ان ثبتت لا تنافي الافتراش لانها
لعظم جرمها الجوانب البارزة لا تخرجها عن الكرة والسماء بناء قبة مضروبة عليكم اسم جنس يقع على
الواحد والمتعدد وقيل جمع سماء والبناء مصدر يسمى به المبني فيه او خباء ومنه بنى على امرأته

لانهم كانوا اذا غرسوا بنوا عليها قبة. وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ايجاد الاشياء
بقدرته تعالى لكن جرت عادته تعالى بربط بعض الاشياء باسبابها من ذلك جعل الماء سببا لما يخرج من الارض
من الثمار والحبوب وسائر انواع النبات كقوله تعالى فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى بان اودع في
الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة وله تعالى في ذلك الجعل ونقل الاشياء في الاطوار مدرجا لها من حال
الى حال حكم وعبر للناظر بعين الاعتبار والاستبصار ومن تبعيضية بشهادة النظائر فاخرجنا به من كل
الثمرات فاخرجنا به ثمرات ولان المكتنفين به منكران وهما الماء والرزق ولانه الواقع اذ لم يخرج
بالماء المنزل كل الثمرات وكم من ثمرة بعد في حيز الامكان وكذا المنزل بعض الماء فالمعنى اخرج لكم شيئا
من الثمرات لاجل ان يرزقكم فرزقا مفعول له او مفعول مطلق لاخرج لانه بمعنى رزق ولكم ظرف لغو و
يجوز ان يكون بمعنى المرزوق نصبا على الحال وان يكون بيانا فرزقا مفعول لاخرج على ان المراد به العين
ولكم ظرف مستقر صفة ومن الثمرات بيان له مقدم فصار حالا اي اخرج مرزوقا لكم هو الثمرات والاوفق
بين جمع القلة والكثرة انهما اذا عرفا في مقام الاستغراق على انهما يتعارضان كما في كم تركوا من جنات و
ثلثة قروء لكسا والثمرة اريد به الكثرة لا الوحدة كقولك ادركت ثمرة بستان فلان فيكون ابلغ ولا
اقل من المساواة. فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا لان العبادة شاملة للتوحيد كانه قال امركم بالعبادة
فلا تشركوا به شيئا لان اصل العبادة واساسها هو التوحيد وقيل نهي معطوف على الامر عليه وفيه ان الفاء لا و
الواو بدل الفاء كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقيل نصب بتقدير ان وليس بشيء لان شرطه
كون الاول سببا للثاني والعبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اساسها او نصب بلعل انتصاب اطلع
في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانما يصح باعتبار صورة لعل لانه مجاز
عن الطلب كما صح نظيره في ليت بدون التمني كقولك لنهك جهد ليتك تحدثني فتفرحني وهذا معنى
حسن اشتماله على التنبيه على تقصيرهم وان المطلوب منهم في صورة المرجو او بالذي جعل اذا رفعته خبر
مبتدأ كانه قيل هو الذي جعل لكم بدلائل التوحيد فلا تشركوا به واما اذا نصبته على الاختصاص فلا اذ لا معنى
لقولك اعني الذي جعل كذا وكذا فلا تشركوا به وكذا ان جعل وصفا والند هو المثل المخالف المنادي
من ند البعير اذا شرد فهو كالضد لفظا ومعنى والمشركون لم يدعوا في الاوثان الاستقلال بالالوهية
بل كان زعمهم انها شفعاء وهم عند الله ولكن لما سموها الهة وعظموها بالتقرب اليها وتعفير الجباه لها و
انتسبوا اليها الضر والنفع شبهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات لها خواص الالوهية
فتهكم بهم وشنع عليهم بانهم اثبتوا الانداد لله اذ في ذلك قال الموحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل
اربا واحدا ام الف رب ادين اذا انقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل
البصير. وانتم تعلمون حال من فاعل فلا تجعلوا والمفعول متروك نسيا اي وحال انكم من اهل العلم والمعرفة
بشيء غيركم او محذوف اي وانتم تعلمون ان هذه الجمادات لا تماثله ولا تصلح للالوهية والاول
ابلغ ذما وعلى الوجهين الغرض منه التوبيخ لا تقييد الحكم فان العالم والجاهل سواء في توجه التكليف فهذا
وفي تفصيل ايات الافاق اشارة الى تفصيل ما اجمل من خلق الانسان في خلقكم فان الارض
مثال للبدن والسماء للنفس والماء للعقل والثمرات للفضائل النظرية والعلمية الحاصلة من استعمال

العقل

العقل الحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية ولما قرر دلائل الصانع والتوحيد بايات
الافاق والانفس على وجه دلت على ثبوت صفات الكمال ونعوت الجلال افاض الى تقرير اثبات
نبوة رسوله ومبلغ احكامه الداعي الى توحيده بقوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة معجزاته وهو ادفع للريب وادحض للشبهة لانه لسان من تحدى به فارشدهم الى كيفية تعرفهم
حاله اهو من عند الله كما يدعيه ام من عند نفسه كما يزعمون بان يجربوا قواهم في الاتيان بمقدار اقصر سورة
منه لانهم اهل جلدته المتكلمون بلغته فاذا عجزوا عنه اخرهم ظهر انهم كابروا وخالفوا مقتضى العقل كما
جحدوا التوحيد هوى وعنادا وانما اثر التنزيل على الانزال لانه منشأ قدحهم ومحل ريبهم حيث
جاء على نمط خطبهم ورسائلهم واشعارهم وقالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فقيل لهم ان ارتبتم
فاتوا باقل نجم منه فانه ايسر عليكم فالذي اتخذوه ريبة قادحة جعل ذريعة الى كونه حقا لا يحوم حول حماه
شك وفيه غاية الالزام والتبكيت والسورة طائفة من القران ملقبة باسم خاص هو علم لها كسورة
الفاتحة والاخلاص ولا يرد اية الكرسي والمداينة لانه مجرد اضافة ولم يبلغ حد العلمية ماخوذة من
سورة البلد لانها طائفة محوزة على حيالها كالبلد المسور او من السورة بمعنى الرتبة كما في قول النابغة
ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار فانها منازل ومراتب للقاري اولانها
في نفسها منازل ومراتب في الطول والقصر والاحكام بعضها فوق بعض اين رتبة قل هو الله من تبت
ونظائرها وقيل من السور بالهمزة وهو بقية الشيء وليس يقوى لفظا اذ لم يقرأ به ولان فضلة الشيء
وبقيته تنبئ عن القلة والحقارة وذهاب الاكثر ولا ذهاب هنا لشيء ما والحكمة في تفصيل
القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتنشيط القاري والترغيب فيه وتسهيل الحفظ
فانه اذا ختم سورة تنفس لذلك كالمسافر اذا قطع مرحلة اوميلا او فرسخا الى غير ذلك
من الفوائد من مثله صفة سورة والضمير لما نزلنا ومن بيانية لان السورة المفروضة التي بها تعلق
الامر التعجيزي مثل المنزل في حسن النظم وغرابة البيان وقيل تبعيضية وفيها ايهام ان للمنزل مثلا
عجزوا عن الاتيان ببعضه او لعبدنا فمن ابتدائية لان السورة المفروضة مبتدأة ناشئة من مثل العبد
وعلى هذا يجوز ان يكون الجار متعلقا بفاتوا لان العبد مثلا في البشرية والعربية والامية فيجوز قصد
التعجيز باعتبار الماتي به وهي السورة من مثل الموجود واما اذا عاد الضمير الى المنزل تبادر منه ان له
مثلا محققا والتعجيز انما هو عن الاتيان بشيء منه هذا والاوجه رد الضمير الى المنزل لموافقة النظائر
فاتوا بسورة مثله بعشر سور مثله ولانه الذي سبق له الكلام واقتضاه المقام لغرض الارتياب
فيه وذكر العبد واقع بالعرض ولان في عود الضمير الى العبد ترك التصريح بان السورة الماتي بها
يجب ان يكون مماثلة للمنزل نظما واسلوبا ولان عجز الجم الغفير اذا خوطبوا بالاتيان بمقدار اقصر سورة
كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد منكم بنحو ما اتى به هذا الواحد وهو الذي لا يتم قوله وادعوا
شهداءكم من دون الله دون ظرف مكان مثل عند وفيه معنى القرب والدنو لتقاربهما في
الحروف الاصول فمعنى دون زيد ادنى مكان منه ثم استعير لتفاوت الرتب ثم اتسع فيه فاستعمل
في كل تجاوز حد وهو متعلق بادعوا وشهداءكم فان تعلق بالثاني فالمراد بالشهداء الاصنام

اى ادعوا الاصنام التى اتخذتموها الهة تشهد لكم يوم القيمة او ادعوا الذين يشهدون لكم يوم القيمة بين
يدى الله تعالى بانكم على الحق كقول الاعشى تريك القذى من دونها وهى دونه اى قدامها ومن
فى الاول ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والجار والمجرور فى محل النصب على الحال ومن فى الثانى
تبعيضية لان الفعل واقع فى بعض جهة القدام كقولك جئت من خلفك والظرف لغو وعلى
الوجهين تهكم بهم حيث امروا بان يستظهروا فى معارضة القران الذى اخرس كل منطيق بالجماد
او شهداءكم من دون الله اوليائه المؤمنين وهم رؤساؤكم ووجوه المشاهد وفرسان البلاغة
يريدان امر الاعجاز فى الظهور بلغ مبلغا لا يرضى هؤلاء المعروفون بالمحامات والذب عنكم فى
المهمات لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد واستعانة المحال الجلى حالة فالجار والمجرور فى محل الحال
ومن ابتدائية ايضا وان تعلق بالدعاء فالمعنى ادعوا اولياءكم وهم زعماء القوم متجاوزين اولياء
الله فانهم يشهدون عليكم لا لكم ومن لابتداء والظرف مستقر او ادعوا شهداءكم من الناس فى تصحيح دعواكم
كما هو المتعارف فى اثبات الحقوق عند الحكام ولا تقتصروا على قولكم الله يعلم والله يشهد انا لصادقون
كما هو ديدن المبطل فى الدعاوى قيل لرجل من العرب كيف نسبك قال علوى الحمد لله فقيل له قولك
الحمد لله ريبة فى نسبك او ادعوا من حضركم من الانس والجن ليأتوا بمثله متجاوزين الله فانه من حضركم ..
ليستعينوا به فان المتفرد بالقدرة على الاتيان بمثله وهذا ارجح الوجوه الذى يشهد له قوله قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ومن فى هذين
الوجهين ايضا ابتدائية والظرف مستقر وقد يقال من فى الوجوه كلها بمعنى فى كما فى سائر الظروف اللازمة
التى تكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجر الا بمن ان كنتم صادقين فى انه كلام البشر وجوابه محذوف
دل عليه ما قبله والصدق الاخبار عن الشئ بما هو عليه فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى
وقودها الناس والحجارة اى ان جربتم قواكم واستبان لكم العجز فاتركوا العناد فعبر عن الاتيان بالفعل
تعبيرا عن الملزوم باللازم على طريقة الكناية ايثارا للايجاز الذى هو حلية القران كما اذا عدد عليك صاحبك
جملة من الاقوال مستنكرة تقول فى جوابه نعم ما فعلت وكذا عن ترك العناد باتقاء النار لان من
اتقى النار ترك العناد فهو لوازمه ورادفه وكان الظاهر اذا لا انه كلام الله تعالى ابتداء وعدم الاتيان
مقطوع به وانما اتى بان اما تشوفا للكلام على حسبانهم قبل التامل واغترارهم بما كانوا فيه من الفصاحة
والبلاغة او على طريقة التهكم كما يقول المدل بقوته لمن دونه ان غلبتك ماذا تقول ولن كلمة مقتضية
نفى المستقبل مع التاكيد وعن الخليل ان اصلها لا ان وعن الفراء لا ابدلت نونا والواو اعتراضية
والجملة الاعتراضية لا محل لها من الاعراب لعدم وقوعها موقعا يستحق الاعراب وهو موقع المفرد
وفى الاية دليلان لاثبات النبوة ظهور كون المتحدى معجزا والاخبار بالغيب اذ لو عارضوا النقل لتوفر
الدواعى واعجز الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا فمن بعدهم اعجز والمخاطب شرطه ان يكون عالما
بمضمون الصلة والصفة ولذلك اشتهر ان الصفات قبل العلم بها اخبار كما ان الاخبار بعد العلم
بها اوصاف فالمخاطب بهذه النار المشركون وقد سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم او اهل الكتاب
نارا موصوفة او من اية التحريم ان تقدم نزولها والمخاطب باية التحريم المؤمنون وقد علموا الوصف

بالسماع

بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنكير تارة والتعريف اخرى تفنن فلا وجه للقول بان
اية التحريم مكية لاتفاق الثقات على انها مدنية من غير استثناء شئ منها والوقود ما يوقد به وانما
قرن بين الناس والحجارة جمعا بين العابد والمعبود لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم زيادة فى تحسرهم لانهم كانوا يعبدونها لدفع العذاب اعدت للكافرين هيئت و
جعلت لهم عدة صلة بعد صلة بلا عاطف على قياس الاخبار والصفات او حال من النار بتقدير
قد او استئناف وفيه دلالة على ان النار مخلوقة وانها بالاصالة للكفار وبشر الذين امنوا و
عملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار عقب ذكر الاشقياء وما اعد لهم ذكر
السعداء وحالهم من النعم والالاء كما اشير اليه سابقا من جريان سنة الله تعالى المقارنة بين الاضداد
والمقابلات تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتثبيطا عن الاقدام على ما يتلف وهو من عطف القصة على
القصة فالتناسب فى الغرضين بالضدية وهما عقاب الكفار وثواب المؤمنين كاف فى حسنه
وقيل عطف على فاتقوا النار وفيه ان التقدير اذا فان لم تفعلوا انتم ايها الكفار فبشر انت يا فلان
ولا ارتباط بينهما ولان عطف الامر لمخاطب على الامر لمخاطب اخر انما يحسن اذا صرح بالنداء
وقيل عطف على مقدر اى قل يا ايها الناس اى قل كذا وكذا وبشر وفيه ان قوله وان كنتم فى ريب
مما نزلنا على عبدنا لا يصلح ان يكون مقولا للعبد الا باجرائه على طريقة كلام الامر وفيه تكلف وقيل عطف
على مقدر بعد اعدت اى فانذر الذين كفروا اتبك النار وبشر الذين امنوا والاول هو الاوجه و
البشارة هو الخبر السار لانه يظهر به السرور على البشرة وكذلك لو قال من بشرنى من عبيدى بقدوم
زيد فهو حر فبشروه مرتبا لم يعتق دون الاول بخلاف ما اذا قال من اخبرنى فانهم يعتقون والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او العالم كل عصر او لكل من يتاتى منه البشارة وهذا ابلغ وعطف الصالحات
على الايمان دل على عدم دخولها فيه واما ترتب الثواب عليهما فللترغيب فى الاعمال الصالحة الا ترى
كيف رتب على مجرد الايمان فى قوله وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق وقوله وبشر المؤمنين واستغراق
الجمع كالمفرد فى تناول كل فرد ولا يلزم منه ان ياتى كل احد بكل العبادات بل يختلف باختلاف احوال
المكلفين من الغناء والفقر والاقامة والسفر وفيه شائبة توزيع والعمل الصالح ما ورد الثناء عليه
من الشارع فخرج المباح وان كان حسنا شرعا والجنة اسم لدار الثواب سميت بذلك لاستتار ارضها
بالاشجار او لاستتار ما فيها من النعيم وهى اسم للقدر المشترك لها مراتب متفاوتة بقدر استحقاقات
فلكل طبقة من العاملين جنات واقعة فى مرتبة واحدة فالتنكير للتوزيع واعلى المراتب الفردوس وفى
الحديث اذا سألتم الله الجنة فاسئلوه الفردوس فانه اوسط الجنة نسئل الله ان يجعلنا من سكانه
بفضله واحسانه ومعنى جرى الانهار تحتها جريها تحت اشجارها النابتة على شواطئها كما هو المتعارف
فى بساتين الدنيا والنهر بسكون الهاء والفتح اكثر المجرى الواسع فوق الجدول دون البحر واسناد
الجرى الذى هو للماء اليها مجاز واللام فيه للجنس من غير نظر الى عموم او خصوص كما فى اهلك الناس
الدينار والدرهم او بدل الاضافة او للعهد تقريرا او تحقيقا ان سبق نزول قوله تعالى وانهار من ماء
غير اسن وهذا احسن لانه الاصل لا سيما اذا لم يكن قصد الاستغراق كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا

صفة ثانية لجنات بدون العاطف او استئناف لانه لما ذكر ان لهم جنات لم يخل خلد السامع
من ان يقع فيه التردد في حال تلك الثمار وهل تشبه ثمار الدنيا ام لا وهذا هو الوجه لما علم من فوائد
الاستئناف والاشتغال له بالفائدة ولان الاعتراض في قوله واتوا به متشابها على هذا اوقع لانه
يؤكد لما سيق له الكلام بخلاف ما اذا كان وصفا تابعا ومن في الموضعين للابتداء والمعنى
ان الفعل المطلق وهو الرزق جعل مبتدأ من الجنات وبعد تقييده بالابتداء منها جعل مبتدأ من الثمرة
والمراد بها النوع لا الفرد اذ لا معنى لابتداء الرزق من البستان من تفاحة واحدة لانه يوجب ان
يكون المرزوق قطعة منها ليكون من للابتداء وكلا الظرفين لغو ويجوز ان يكون من ثمرة بيانا فالظرف
الاول لغو والثاني مستقر وقع حالا من رزقا فانه مفعول ثان لرزقوا في الوجهين وعلى هذا يجوز
حمل الثمرة على النوع والفرد لان كل فرد مرزوق قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اي في الدنيا وحذف
اداة التشبيه لاستحكام الشبه كقولك زيد اسد ويجوز ان يكون اشارة الى النوع دون الحاضر
كقولك مشيرا الى الماء الجاري هذا الماء لا ينقطع واتوا به متشابها معترضة ان جعل الاعتراض
في اخر الكلام والا فتذييل والتشابه يقتضي التعدد فالضمير راجع الى جنس المرزوق الشامل للنوعين
كانه قيل اتوا به متشابها نوعا النوع الذي في الدنيا والنوع الذي في الاخرة ولا يلزم ان يكون الاتيان
بهما في الاخرة بل الاتيان لاخر كاف في ذلك نظرا الى ان تمام الاتيان به ويجوز ان يكون
الضمير للرزق والمعنى اتوا بمرزوق الجنة متشابه الافراد والاول هو الوجه الملائم لاعجاز التنزيل
لاشتماله على بدايع نكت بقاؤها كلها على عمومه اذ في الوجه الثاني يختص بما عدا المرة الاولى وتقاة قبل
على الحلاوة ولان الابتهاج والاغتباط انما يحصل اذا كان التشابه بين ثمار الدنيا وثمار الجنة
ولان التشابه في الحقائق مع اختلاف الصفات اتم في باب التشابه ولان عدم الاشتباه
متعين في الوجه الثاني فتفوت تلك الفوائد وهذه عدة فوائد يكفي كل واحدة عدة لاولوية
الاول ولهم فيها ازواج مطهرة الزوج قرين الشيء من جنسه يشتمل الذكر والانثى والتطهير يشتمل
الانجاس والادناس الطبيعية بحسب العرف بل هو في تطهير الاخلاق عن الرذائل اظهر وايثاره
[على] الطاهرات لدلالته على ان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله تعالى ففيه من الفخامة ما ترى
وهم فيها خالدون هذا راس النعم ونهاية السعادة لا طيب للعيش ما دامت منغصة
لذاته باذكار الموت والهرم والخلد هو البقاء مع الدوام وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
وتقديم الظرف للاختصاص والتقييد بالابد في مواقعه تاكيد كسائر التاكيدات وتبعا
بقاء البدن مؤبدا قصور والله على كل شيء قدير مع ان احوال تلك الدار غير قياسية ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما ذكر الكتاب ومن انتفع به ومن لم ينتفع اردفه بابانة
وجود الصانع وحقيقة الكتاب ونبوة من اتى به لئلا يكون الكلام خطابيا ورتب عليه وعيد
المنكر ووعد المقر ازاح عن طريق المسترشد ما عسى ان يعتبر به من شبه المنكرين وساقه مساق امر
واضح البطلان عند كل ذي بصيرة في صورة من الصور ليكون مناداة ومقياسا لسائر الشبه
وفيه تحقيق لما تقدم من انه هدى للمتقين دون غيرهم وانما قطع عما تقدم لانه باب برأسه

وكانت شبهة هؤلاء السفهاء انهم قالوا كيف يكون كلام الله تعالى وفيه ذكر الذباب والعنكبوت
اين مقام الربوبية عن حقارة هذه الاشياء وعميت بصيرتهم عن ان الضارب للمثل غرضه الذي
يرميه ايضاح القضية المشبهة وارآءة المعقول في صورة المحسوس كشفا عن حقيقة الحال فهو منسج على
منوال ذلك الغرض ولا عليه من كون الممثل به جليلا وحقيرا ولما كانت الجمادات التي تتخذونها اندادا
من دون الله لا يتوهم منها اصابة نفع ولا دفع ضر فهل يوجد في الاذهان شيء يضرب المثل به في شانها
احرى واولى من بيت العنكبوت في الوهن والضعف وعدم مقاومة الذباب والحياء امر وجداني
غني عن التعريف من حيث الماهية كسائر الوجدانيات وقد ينبه عليه بانه تغير وانكسار يعتري الانسان
خوف اللوم لئلا يلتبس ببعض الوجدانيات فلا يرد انه قد يكون الاحتشام ممن يستحي منه ولما كان
محالا على الله اريد به لازمه وهو الترك او جاء على طريقة التمثيل كما تقدم في الرحمة والغضب وما في الاية
من قبيل لا تاخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فلا يحتاج الى تاويل وانما يحتاج اليه ما في الحديث ان الله
حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما صفرا وان يضرب اما مجرور المحل باضمار من
او منصوب باقتضاء الفعل والضرب لغة هو الاعتماد المولم وضرب المثل اعتماده من ضرب اللبن
ومن الله تعالى صيغة وايجاده وما ابهامية تفيد توكيدها افادة تنكير ما قبلها كانه قيل مثلا اي مثل كان
في الحقارة او صلة للتوكيد نحو فبما نقضهم وفبما رحمة كانه قيل ان الله لا يستحيي ان
يضرب مثلا البتة وانتصاب مثلا وبعوضة على المفعولية لما في الضرب من معنى الجعل والتصيير وقدم
الثاني على الاول اهتماما واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع لانها تقطع الجلد
فما فوقها اي في الحقارة والعلة وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم جناحها مثلا للدنيا او في
العظم والجرم كالذباب والعنكبوت لانهما سبب النزول والاول هو الاوجه لانه المعنى الذي سيق
له الكلام المفيد للمبالغة في الرد وفي احتمال المعنيين حديث عائشة الذي رواه مسلم ما من مسلم يشاك
شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فاما الذين امنوا اما حرف وضع
للتفصيل فقد يكون بمجمل سابق كقولك جاء القوم اما العلماء فكذا واما الزهاد فكذا وقد لا يذكر القسم
ويكتفى بما يقوم مقامه اشارة الى ان ما دخلت عليه هو المقصود الذي سيق له الكلام كقوله تعالى
فاما الذين في قلوبهم زيغ مع قوله والراسخون لان الغرض ذم الزائغين وقد يكون تفصيل لما في
الذهن مع سبق ما دل عليه بوجه كما في الاية فان قوله تعالى ان الله لا يستحيي دل على ان ثمة من اخذه
شبهة او بدونه كما في صدر الكتب والرسائل وفائدتها التوكيد لما في التفصيل بعد الاجمال من الدلالة
على الاعتناء بشان المذكور بعدها ولما دلت على ان المذكور بعدها هو المختار والمقصود من بين
الاشياء لا محالة كيف كان ولم يكن للشرط معنى غير ربط امر باخر قيل انه حرف فيه معنى الشرط
ولما لزمت طريقة واحدة التزم حذف الفعل كما التزم حذف متعلق الظرف في نحو زيد في الدار
وقدم جزء مما في حيزها تعويضا عن المحذوف وتنبيها على انه النوع المراد تفصيله من مصدر
او ظرف او ذات او غير ذلك وقول سيبويه اما زيد فمنطلق مهما يكن من شيء ايضاح لمعنى التفصيل
واشارة الى وجه كونها حرفا فيه معنى الشرط فلا يتوهم منه كونها اسما عنده ليحتاج الى تخلف

فيعلمون انه الحق من ربهم: اى الثابت الذى لا يجوز انكاره لما تقدم من فوائده والضمير للمثل او لان يضرب
واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا: كان الظاهر فلا يعلمون ليطابق قرينه والعدول
الى المنزل ايثار للكناية ليكون برهانا على جهلهم ولما فى ماذا من التعجب وفى هذا من الاستحقار كما فى
قول عائشة رضى الله تعالى عنها عجبا لابن عمرو هذا حين افتى بنقض الضفائر للنساء فى الغسل وفى ماذا
وجهان ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذى وما بعده صلة والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا
اسما واحدا بمعنى اى شئ منصوب المحل على المفعولية والاحسن فى الجواب على الاول الرفع وعلى الثانى
النصب وجوز العكس اذا اتفق السائل والمجيب فى الفعل وكان السؤال فى المتعلق فنحو مثل قوله تعالى
ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين يتعين الرفع وهذا بحسب الاصل لان ما فى الاية ليس على معنى الاستفهام
وارادة الله تعالى صفة حقيقية ترجح احد طرفى المقدور وتخصصه بوجه وتفسيرها بالترجيح تسامح ثم
الترجيح ان كان مع ميل الى تفضيل يسمى اختيارا ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله تعالى ناقة الله لكم
اية: يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا: استئناف جار مجرى الاغراض تتميما للبيان او عطف بيان يقرر
ان كلا من الفريقين موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا هدى كما ان الجهل بحسن موقعه ضلال
وقيل جواب ماذا والعدول الى الفعل للدلالة على التجدد والحدوث وفيه ان الاستفهام ليس
على اصله ليقتضى الجواب وكثرة المؤمنين بالذات وفى انفسهم وان قلوا فى مقابلة الضالين
فان كلا من القلة والكثرة تعتبر بالذات وبالاضافة او وان قلوا كانهم كثيرون كيفا فلم اره
مثال الرجال تعاونت لذى المجد حتى عد الف بواحد والاستدلال على قلتهم بقوله وقليل من
عبادى الشكور غير سديد لان المراد به البالغ فى الشكر غايته وما فى الاية مجرد الايمان بما انزل
لقوله تعالى فاما الذين امنوا وما يضل به الا الفاسقين: الخارجين عن الايمان لانصراف المطلق
الى الكل بقرينة المقام والفسق لغة الخروج ومن ارتكب كبيرة مجمعا عليها فهو فاسق يقطع بدخوله
الجنة لقوله يخرج من النار من كان فى قلبه وزن ذرة من الايمان ومن قال مرتكب الكبيرة كافر او
خارج عن الايمان غير داخل فى الكفر فقد ضل سواء السبيل بقدحه فيما تواتر عن خاتم الرسل وخرق
اجماع خير القرون والله يقول الحق وهو يهدى السبيل: الذين ينقضون عهد الله: صفة الفاسقين
والنقض فك التركيب وتحليل اجزائه واكثر ما يستعمل فى طاقات الحبل واستعماله فى العهد على طريقة
الاستعارة بان شبه العهد الذى هو سبب الوصلة بين المتعاهدين بالحبل الذى هو سبب الوصلة
بين الجسمين واوقع النقض الذى من روادف الحبل عليه فالاستعارة فى العهد مكنية وفى النقض
تصريحية تحقيقية لانه شبه ابطال العهد بابطال تأليف الجسم والحق اسم المشبه به على المشبه وهى
قرينة استعارة الحبل للعهد وبه ظهر ان قرينة المكنية لا تلزم ان تكون تخييلية كما فى اظفار المنية
ويد الشمال ولله تعالى مع عباده ثلثة عهود الاول عهده فى عالم الذر على كافة الخلق حيث اشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والثانى على الانبياء ان يبلغوا انبياءه الى عباده واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم والثالث على العلماء الذين هم ورثة الانبياء واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقد يطلق على الامان واليمين والذمة والحفظ

وما فى الاية هو الاول او الثالث والناقض احبار اهل الكتاب حيث كتموا نعت محمد وحرفوا الكلم
من بعد مواضعها وكذا من زاغ فى اتباع المتشابه من غير تاويل ودون الكل لان النقض من الانبياء محال: من
بعد ميثاقه: مفعال بمعنى ما يوثق به من الوثاقة وهى الابرام والاحكام اما من الله تعالى بالايات
والكتب او منهم بالالزام والقبول ويجوز ان يكون مصدرا والضمير على الوجهين للعهد ومن ابتدائية و
قد يستعمل بمعنى العهد كقوله وينقضون الميثاق واذ اخذ الله ميثاق النبيين: ويقطعون ما امر
الله به ان يوصل: يشمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى من قطع الارحام وموالاة المؤمنين والتفرقة
بين الانبياء ولا تكرار لان الاول فى العقايد وهذا فى الاحوال والفروع والامر هو القول الجازم ويجمع
على الاوامر وصيغته من خواص حقيقة فى طلب الفعل استعلاء وقد يطلق على المامور به تسمية للمفعول
به باسم المصدر فانه مما يؤمر به وشانا لانه من شؤن امر مقصود: ويفسدون فى الارض: بما امكنهم
لاسيما صدهم المسترشدين على الايمان: اولئك هم الخاسرون: لاستبدالهم الضلال بالهدى
والنقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعذاب بالمغفرة وابتغهم فى ذلك ضعفاءهم فاولئك
الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة: كيف تكفرون بالله: كيف يطلق فى السؤال عن الاحوال
كلها ولما كان الاستفهام للانكار والتعجب والمقام مقام مبالغة افاد العموم كانه قال لا يجوز
ان يكون لكفركم حال ما توجد فيه وانكار احوال الشئ كلها انكار له بطريق البرهان اذ لا يتحقق وجوده
الا على حال من الاحوال: وكنتم امواتا: ترابا ونطفا فى اصلاب الاباء وعلقا ومضغا فى ارحام
الامهات والموت لا يقتضى سبق الحياة بل هو عدمها مطلقا لقوله تعالى فسقناه الى بلد ميت
او كنتم كالاموات فى عدم الروح والاحساس: فاحياكم: عطفه بالفاء لعدم التراخى بين الموت
واعطاء الحيوة بخلاف الاماتة بعدها والاحياء بعد تلك الاماتة: ثم يميتكم ثم يحييكم: فى القبر او فى
النشور او اعم منهما فان الفعل لا يدل على العموم وضعا ولا على المرة والقبر اول منازل الاخرة
فبين الاحيائين شدة ارتباط والواقع حالا ليس الكل على حدته حتى يقال كيف صح وقوع الماضى حالا
ولا القصة من حيث هى حتى يقال بعضها ماض وبعضها مستقبل بل العلم بمضمون القصة كانه قيل
كيف يتصور منكم الكفر وانتم عالمون باول هذه القصة وآخرها والاحياء ثانيا وان لم يقربه و
بعضهم جعلوا عالمين به للدلالة القاطعة: ثم اليه ترجعون: للمجازات وما عدد عليهم من الايات
مع كونها دلائل وآيات وجود الصانع من اوائل النعم واعظمها فهى صارف قوى عن الكفر من الوجهين
والحيوة صفة يتبعها الحس والارادة ولا يشترط فيها وجود البنية وحياة الله تعالى صفة حقيقية
توجب صحة العلم والقدرة وتفسيرها بصحة الاتصاف تسامح وانما التفت الى الخطاب لانه
ابلغ فى التوبيخ وحمله على خطاب المؤمنين خاصة بعيد عن المقام وكيف يبالغ هذه المبالغة مع
مدح آنفا بقوله تعالى فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم بعد تقدير الصورة باوصافهم الكاملة
والحكم المترتب عليها وهو كونهم على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وليس السياق للامتنان حتى
يكون تعديد تلك الالاء امتنانا: هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا: اى انواع ما يحتاجون اليه من
اجزاء الارض من المعادن وما عليها من الموجودات قبل وجودكم وهى مع كونها نعما دنيوية

يحصل من النظر فيها معرفة الاخرة المبدأ والمعاد وما فيهما من الانس واللذة بذكر نعيم الاخرة
وما فيهما من الهموم والوحشة واسبابها كانها انموذج عذاب الاخرة ∴ ثم استوى الى
السماء ∴ الاستوا مشتق من السواء وهو وسط الشيء وحاقه والمراد انه بعد تمام خلق الارض
وما فيها قصد ايجاد السموات من غير ان يحدث شيئا آخر شيئا اخر يقال استوى الى كذا كا
كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا لا يلوي الى غيره وثم على اصلها من التراخي زمانا لقوله
تعالى في سورة السجدة خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها في اربعة ايام ثم استوى الى السماء فقضيهن سبع سموات في يومين ومن غفل
عن هذا التفصيل جعل ثم للتراخي رتبة لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وقيل الدحو متاخر
عن خلق السماء لا عن التسوية ليس بسديد لان قوله بعد ذلك دحاها اشارة الى السابق
وهو رفع السمك والتسوية فان قلت فما وجه قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت وجه
النصب بنحو تدبر او تذكر او اذكر الارض بعد ذلك ثم شرع في تفصيل احوالها استئنافا
بقوله دحاها ومرعاها والجبال ارسيها متاعا لكم ولانعامكم وفيه اشارة الى ان آيات الارض
قاصرة عن عجايب ملكوت السموات وما يروى من ايجاد الجوهرة النورية والنظر بعين الجلال
المبطن بالرحمة والجمال وذوبها وامتياز لطيفها عن كثيفها وصعود المادة الدخانية وبقاء
الكثيف ان صح فكل ذلك سابق على الايام الستة ∴ فسويهن سبع سموات ∴ خلقهن مستويات
لا عوج فيها ولا فطور والضمير للسماء لانه جنس وقيل جمع سماءة او مبهم وسبع سموات تفسيره
وهذا اوجه لما فيه من الابهام والتفسير كقولك ربه رجلا وبابها قصة على ان الجمعية لم يثبت وفي
عود ضمير جمع المؤنث الى الجنس تكلف ∴ وهو بكل شيء عليم ∴ اعتراض او تذييل تقرير لما سبق اي
لاجل كونه عالما بالاشياء كلها دبر امر الكائنات من الارض والسموات على احسن نظام ومن
كان علمه وقدرته بهذا الكمال استبعاد الاعادة منه غاية الجهل ونهاية الضلال واسكن ابو عمرو وقالون
والكسائي الهاء وهي بعد الواو والفاء واللام لتنزلها منزلة الجزء بواسطة الاتصال فصار المذكر
كعضد والمؤنث ككتف ∴ واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ∴ ذكرهم باجل
ما انعم عليهم وهو تكريم آدم باسجاده سكان ملكوته لمن الملأ الاعلى والاكرمين فان شرف
الآباء سار في الذرية ولذلك لم يكن العلوية كفؤا لغيرها واذ اسم بمعنى الوقت الماضي
يضاف الى الجملة بعدها ولذلك بني وانتصابه باذكر كانه قال اشكر النعم السابقة واذكر وقت
هذه التي لا نعمة فوقها لتعرف قدر ما انعم الله عليك والغرض الحث على القيام بشكرها ومن جعله
لازم الظرفية قدر الحادث كانه قيل اذكر الحادث في ذلك الوقت ويجوز انتصابه بقالوا و
تعين ان يكون عطفه قصة على قصة مبتداة من قوله كيف تكفرون او من قوله ان الله لا يستحيي ان
يضرب مثلا والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمال قال ولست بالنبي ولكن بملاك
تنزل من جو السماء يصوب وهو من الالوكة وهي الرسالة لكونهم رسل الله الى البشر في تنفيذ
احكامه واوامره وفي الفاء والعين قلب مكاني والميم زائدة على انه موضع الرسالة او مصدر

بمعنى المفعول وقيل الاك لغة اصلية فان ثبت فهو اولى بالسلامة من القلب وقيل من ملك والهمزة زائدة
على انه موضع الرسالة لدوران م ل ك مع القوة والشدة كالملك والمالك وملكت الطريق
بالحركات الثلث معظمه وهذا المعنى ظاهر في الملائكة كلهم وكذلك كونهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وكونهم واسطة في عجائب ما يظهر في العالم السفلي والفا للتاكيد معنى الجمعية كالصياقلة وجاعل من جعل
الذي يتعدى الى مفعولين وهما في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والتاء للمبالغة والمراد ذرية
آدم لقوله هو الذي جعلكم خلائف الارض ولانه لو اريد هو لم يكن لقول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها
وجه وانما افرد باعتباره لانه الاصل الجامع كما يستغنى بذكر ابي القبيلة كهاشم ومضر او المراد الخلق من
في الحكم والانبياء خلفاء الله تعالى على عباده يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ومن يسير سيرهم
في اممهم فهم خلفاء الرسل ∴ قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ∴ عرفوا ذلك من الطبيعة
البشرية لانه اخبرهم مفصلا كيفية خلقه من تراب ثم من طين منتن ثم يصير كالفخار فيجتمع فيه العناصر
الاربعة المتنافرة الطباع او من اللوح او قاسوهم على من سكن قبلهم من الجن او من لفظ الخليفة ان اريد به
الخليفة في الحكم لاقتضائه تقدم الظلم والتعدي والسفك والسفح اخوان وهو الصب بكثرة ∴ ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك ∴ الواو للحال والباء للاستدامة الصحبة والمعية والتسبيح تبعيد الله تعالى عن كل
ما لا يليق بجلاله والجمع بينه وبين التقديس في المعارف والاعتقادات للمبالغة وقيل التسبيح في
الاعمال والطاعات والتقديس في المعارف والاعتقادات وقيل لوحظ في الاول حال العارف
لان اصله من سبح الفرس اذا ابعد في الجري وفي الثاني حال المعروف لان القدس هو الطهر ولاح منه الكل
المنع لان منشأه الذات ولما قابل المراد منهما الافساد وهو السفك بنهاية الاصلاح وهو التقديس
نشأ منهم التعجب الذي بعثهم على السؤال عن الحكمة الخفية ∴ قال اني اعلم ما لا تعلمون ∴ من المصلحة الراجحة
وستقف بعضها وانما شاورهم ليكون المشاورة سنة بين عباده لكونها فعل علام الغيوب
ولئلا يعتريهم الشبهة وليعلموا ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير للشر القليل
خارج عن الحكمة وقد استبان ان سؤالهم كان سؤال استعلام لا غيبة وحسد واعجاب منهم لانهم
معصومون عن الذنوب وشانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ∴ وعلم آدم الاسماء
كلها ∴ آدم كآزر ونظائره اسماء اعجمية واشتقاقه من الادمة بمعنى اشتقاق العجمي من المصدر العربي
غير سديد ودعوى جريان الاشتقاق في سائر اللغات او توافق اللغتين بعيدة والتعليم
كان بعد السجود لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وانما قدم لشدة ارتباطه
برد دعوى الملائكة وعدم علمهم بالاحاطة علما والمعنى علمه اسماء المسميات وحقايقها ومنافعها و
وخواصها اذ لا فضل يعتد به في العلم بمجرد الالفاظ واللغات ولذلك قدر بعضهم حذف المضاف
اي علمه مسميات الالفاظ وفيه ان التعليم والانباء لا يتعلق الا بالاسماء ولا يتوجه على الاول ان
تلك الاحوال والخواص لها اسماء ∴ ثم عرضهم على الملائكة ∴ اي المسميات عليه العقلاء ∴ فقال
انبئوني باسماء هؤلاء ∴ امر تعجيز ∴ ان كنتم صادقين ∴ ان هذه الطائفة وجه الحكمة في خلقهم غير جلي
اي من كان يزعم ان القيام بمعرفة الله تعالى وطاعته على الكل الاحوال من الجهات كلها من شانه و

غنية عن غيره ينبغي ان لايخفى عليه مثل هذه الاشياء فخبين حتى عليكم ذلك وعلم آدم تبين لكم انه لم يكن مقصورا
على الآفات كما ظننتم بل كان مشرفا بشرف العلم محيطا باسماء الاشياء وسمياتها وخواصها ومنافعها
التي عليها مدار امر الخلافة واساس بناء العدل والحكم بين الناس فقد ظهرت الحكمة في استخلافه واستحقاقه
وقيل ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم وان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لايليق
بالحكيم ويرد عليه ان الملائكة لم تزعم ولم تعتقد ذلك وغاية الامر انهم استشكلوا القضية وارادوا الاطلاع
على خصوص الحكمة وان علموا انه تعالى شانه لايخلو فعله عن حكمة بل حكم وكيف يخفى مثله على الكروبيين بل على
سيدهم وامام الملأ الاعلى جبرئيل عليه السلام وهو الذي علم سيد الانام فان قلت اذا كان السؤال عن
الحكمة ولم يكن منهم زعم الاولوية فلم هذا التوبيخ والتعجيز وهلا اجابهم بالحكمة اذ سألوا عنها قلت لما قال اني
جاعل في الارض خليفة كان حال قربهم منه وعلمهم بغوامض ودقائق حكمه يقتضي ان يقولوا لك
الشان الاعلى وما تعلقت به ارادتك هو الصواب وعين الكمال ولما لم يسلكوا ذلك المسلك
بل اجابوه بما افاد الاستغراب والاستعجاب اجراهم مجرى الزاعم لبعد مقامهم عن مثل هذا الجواب
الا يرى ان النبي المار على قرية وهي خاوية على عروشها لما قال انى يحيي هذه الله بعد موتها متعجبا كيف
اماته الله مائة عام ثم بعثه لبعد حاله عن مقام التعجب ولولا ذلك التعجب لاراه الله تعالى احياء واحدا
من تلك الاموات كما اراه ابراهيم عليه السلام حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى ❁ قالوا سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا ❁ اعتراف بالعجز ودليل لما قلنا ان ذلك لم يكن اعتراضا بل استعلاما وصدروا
الكلام بسبحان الذي هو من مفاتيح التوبة وطلايعها كقول موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك
وقول يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين دلالة على ان ما كان منهم من عدم التفويض
ذنب يحتاج الى التوبة على ما هو طريق المقربين من عد خلاف الاولى جريمة وسبحان علم التسبيح
البليغ وقيل ذلك في غير حال الاضافة والحق انها لا تنافي العلمية كما تم طي وعنترة عبس ❁ انك انت
العليم ❁ كامل العلم شامله والتوكيد بان وانت دفع لما سبق منهم من مخايل الريب الحكيم المتقن في
صنعه الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة وان خفيت على اللبيب الالمعي ❁ قال يا آدم انبئهم باسمائهم ❁ اي
اعلمهم ❁ فلما انبأهم باسمائهم ❁ اعاد المظهر ليوقع عليه لفظ الانباء صريحا قال الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض ماخفي عليكم من امورها استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون الا انه ابسط واشرح وان
كان ما لا تعلمون يشمل لشموله جميع معلوماته فليس الا دليلا على الاول ❁ واعلم ما تبدون ❁ ما ابديتم
من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها وايثار المضارع لاستحضار صورة فعلهم حال المعاتبة ❁ وما كنتم
تكتمون ❁ قبل المشاورة ظانين ان الله تعالى لا يخلق افضل منكم خلقا وذلك لما رأوا فساد سكان
الارض قبل آدم عليه السلام على ما روى ابن عباس رضي ان اول من سكن الارض الجن فافسدوا فيها
وسفكوا الدماء فارسل الله عليهم ابليس مع طائفة من الملائكة فقتلوا منهم وطردوا البقية الى الجزائر
واطراف الجبال وقيل ما اظهروا من الطاعة وما ابطن ابليس من عدمها وقد تبين ان شرف الانسان
انما هو بالعلم وحيث عدى عنه لحق بالبهائم بل هو ادنى واذل وان سائر الكمالات والاعمال
بدونه في حيز العدم الا يرى ان الهدهد مع صغر اجرامه واستحقاقه العقوبة وهو طير ضعيف لا عوان له

ولا ظهير كيف استظهر بمثله جزئية وقال احطت بما لم تحط به يخاطب به سليمان الذي علم منطق الطير و
اوتي العلم من كل شيء ودل ظاهر الاية على قول الاشعري ان اللغات توقيفية وتاويل التعليم بالالهام والاقدار
والتمكين خلاف الظاهر وعلى ان علم الملائكة يقبل الزيادة وليس في الاية ما يدل على قصور الملائكة عن رتبة
الخلافة وان التركيب يفيد ما لا يفيده الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات ولعله تعالى ان يوجد في الجزء الذي لا يتجزى الحيوة وما يتبعها من الكمالات على
ان الملائكة اجسام نورانية لطيفة قابلة للتشكل باي شكل ارادت ومن سير جبرئيل عليه السلام مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في تعليم الحروب والارشاد في الجزئيات كما تعليمه لنوح عليه السلام في صنعة
السفينة لم يرتب في ذلك وما كان الله ليعجزه من شيء وناهيك تعليمهم الاسماء من آدم لما انبأهم فان قلت
اذا كانت الملائكة بهذه المثابة فما وجه تفضيل الانسان عليهم كما فصل في موضعه قلت وجه ذلك ان ما
القوى الشهوانية والغضبية التي هي حزب الشيطان وكبح عنان النفس عن اتباع الهوى الذي هو مقتضاها
جل بتسخيرها وتهذيبها بحيث تصير مطواعة لجند الرحمن وهي القوة العقلية من خواص الانسان فاذا
انضم الى شرف العلم كان نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء ❁ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ❁
السجود لغة الخضوع والانحطاط قال ترى الاكم فيها سجدا للحوافر واسجد اي طأطأ قال وقلن له اسجد
لليلى فاسجدا وهو المراد بها في الاية وتخصيصه بوضع الجبهة عرف حادث ويجوز ان يكون مرادا واختلاف
الاحوال باختلاف الاوقات والشرائع في امثاله لا يلزم اتفاقها وعليه سجدة اخوة يوسف عليه السلام
ان صح انه كان بوضع الجبهة او السجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم جعل قبلة كالبيت تشريفا له ولما كان
حسن الاشياء شرعا فالاوجه كلها حسنة وقد سبق ان السجود كان سابقا على التعليم واللام فيه كاللام في
اقم الصلوة لدلوك الشمس والقول بان الانسان نسخة في العالم الروحاني والجسماني يتوقف على وجود
المجردات ولم يقل اكثر اهل الحق ❁ فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر ❁ امتنع عن الطاعة وطلب العلو
وتعدى عن قدره وقد صرح بالعلة في قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والاستثناء متصل
والمانع وهو عدم دخوله في الملائكة مرتفع بالتغليب ويدل عليه قوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك
ولو لم يكن مامورا به لم يكن لذكر الاباء والاستكبار معنى وفيه دلالة على ان المامور جميع الملائكة كما يدل
على ذلك تعريف الجمع ونص عليه كلهم اجمعون ❁ وكان من الكافرين ❁ في علم الله تعالى اشارة الى الموجب
اذ لا يمكن تغير معلومه ولا يستلزم تكليف المحال لوجود الاختيار او صار من الكافرين لاستقباحه
ما استحسنه الله تعالى لان ترك المامور به لا يوجب الكفر ثم ترتب عليه قوله فسق على قوله كان من الجن
صريح في انه لم يكن ملكا وانما كان جنيا مغمورا بينهم وليس من الملائكة وان اطلق عليهم لفظ الجن
لاستتارهم قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا كيف والملائكة عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون لا يعصون الله ما امرهم فالقول بان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود و
ان من الملائكة من ليس بمعصوم ويجوز ان لا يخالف الملائكة بالذات الشياطين وان خالفوهم
بالعوارض والصفات مخالف للنصوص وما هو مركوز في الفطرة السليمة ونسبته الى ابن عباس رضي
الله عنه اعظم واظهر بل المروي عنه والله تعالى اعلم ان طائفة من الملائكة يقال لهم الجن وابليس كان منهم

رواه ابن جرير وفي الاية دليل على ان الامر للوجوب والفورية علمت من فاء فقعوا له وان السعيد من سعد
في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وان المدار على الموافاة على ما نقل عن الاشعري تابع للسعادة
السابقة ﴿وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة﴾ السكنى من السكون بمعنى اتخاذ المسكن لاستلزامه
اللبث لا بمعنى ترك الحركة ولذلك ذكر بدون في واكد المستكن بانت ليصح العطف على المستكن
بلا فصل وانما استقام امر الغايب بصيغة افعل تغليبا وايثاره على اسكنا مع اختصاره اشعار بان لا اصالة لها
والتبعية والزوج قرين الشيء من جنسه يشمل الذكر والانثى وقد يلحق به التاء والجنة دار الثواب وقد تواتر
بذلك الاخبار وصرح موسى عليه السلام في مناظرته بذلك حيث قال اهبطت الناس من الجنة بخطيئتك
وفي حديث الشفاعة قال آدم كيف ترجون الشفاعة ممن كان سبب اخراجكم من الجنة وفي لفظ الهبوط
ايضا دلالة صريحة والقول بانها كانت بستانا في ارض فلسطين او بين فارس وكرمان من موضوعات
القدرية النافين لخلق الجنة ﴿وكلا منها رغدا﴾ اكلا واسعا ﴿حيث شئتما﴾ في اي مكان ﴿ولا تقربا
هذه الشجرة﴾ وهي الحنطة وقيل الكرمة وقيل التينة او شجرة غير معلومة من اكل منها احدث والاول
هو المشهور والتاء للوحدة نوعا او شخصا وهذا اولى مبالغة في ازاحة العلة وعلى التقدير الاول اللام
للجنس لان الجاري على المبهم هو اسم الجنس المعرف تعريفه الجنس وقد بالغ في النهي عن الاكل باقحام لفظ
القرب لان من رعى حول الحمى يوشك ان يواقعه ﴿فتكونا من الظالمين﴾ انفسكما بالاخراج من النعيم
المقيم وتعريضها للآفات عطف على النهي او نصب على الجواب وعلى الوجهين للفاء للسببية
﴿فازلهما الشيطان عنها﴾ اصدر الشيطان زلتهما عن الشجرة كقوله تعالى وما فعلته عن امري صادرا
عنه والحاصل حملهما على الزلة بسببها او عن الجنة بمعنى اذهبهما او بعدهما عنها من زل رجله اذا زلت
عن مكانها ﴿فاخرجهما مما كانا فيه﴾ من النعيم لا من الجنة لان الازلال اخراج مع الابعاد فلا يعطف
عليه مطلقة بالفاء وعلى الاول جاز الوجهان وقرأ حمزة فازالهما من الازالة والاولى ابلغ لدلالته
على المزاولة والاحتيال وعليه الرسم قيل توسل الى اغوائهما بعد خروجه بان ناديهما من وراء الباب
وقيل دخل في فم الحية فدخلت به ثم قيل لم يكن ممنوعا من الدخول للوسوسة بل تكرمة قلت كل هذا رجم
بالغيب ولا دليل عليه والايات دلت على انه كان قبل خروجه وهي قوله الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان
هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فوسوس اليه الشيطان فان الفاء الاولى دلت
على عدم تراخي القول عن الاباء والثانية على عدم تراخي الوسوسة عن القول وكذا لفظ هذا يدل على
حضوره حين قال هذا القول لهما وقوله انظرني الى يوم يبعثون اذ لو كان الامر بالخروج قبل الانظار
لم يكن لهذا القول وجه لان في الجنة لا موت ولا بعث ﴿وقلنا اهبطوا﴾ خطاب لآدم وحواء والجمع لما
الذرية لانهما الاصل فكانهما الجنس كله والدليل عليه قوله في سورة طه اهبطا منها جميعا ﴿بعضكم
لبعض عدو﴾ لان القصة واحدة والتعادي بين الذرية لا بينهما وبين ابليس وكذا قوله فمن اتبع
هداي الى آخره فانه بيان لجزاء الفريقين ولا ذكر لابليس ﴿ولكم في الارض مستقر﴾ مكان استقرار او
استقرار ﴿ومتاع﴾ منفعة وتمتع يقال متع النهار اذا طال وقد اشتهر استعماله في نفع يشارف الزوال
كمتاع المسافر ولذلك استعمل في معرض التحقير ﴿الى حين﴾ الى يوم القيمة والموت ابتداؤه لان من مات

فقد قامت قيامته او لا دخال مقدمة الشيء فيه او لانتفاعه بالقبر لانه مسكنه ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾
استقبلها والتلقي التعرض للقاء فاطلق على الاستقبال لدلالته على انه تلقاها بالاجلال والاكرام
كما تلقى الاعزة وقرأ ابن كثير برفع كلمات اي وصلت اليه والاول هو الاصل واحسن والجار
والمجرور حال من كلمات في الوجهين والكلمات ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين وعن ابن مسعود رضي الله عنه احب الكلام الى الله تعالى ما قال ابونا آدم سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ﴿فتاب عليه﴾ روى ذكر حواء لانها
تبع كما طوى ذكر النساء في اكثر الاحكام وقد روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه ان آدم لما اصاب
الخطيئة قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى وكتبت هذا علي قال بلى قال ان تبت هل انت
راجعي الى الجنة قال بلى وبالفاء دل على ان التلقي كان توبة من آدم والتوبة من العبد الرجوع الى
الطاعة بالاقلاع عن المعصية والعزم على ان لا يعود ويلزمه الندم على الماضي ومن الله تعالى الرجوع اليه
بالغفران ومحو الذنب عن ديوان الحفظة ﴿انه هو التواب الرحيم﴾ شديد العناية بقبول
توبة العبد لو استغرق في المعاصي دهرا ثم اقلع قبل ان يغرغر ولو بلمحة كان كيوم ولدته امه ولذا
اكده بوجوه ﴿الرحيم﴾ حيث لم يقتصر على التجاوز بل يتخذه حبيبا ويجعل مكان سيئاته حسنات
﴿قلنا اهبطوا منها جميعا﴾ ليس فيه تكرار لان الاول لبيان حال آدم وكذلك فرع عليه حديث
التلقي وقبول التوبة وذكر الذرية بالتبع وفي الثاني بالعكس لذلك اكده بقوله جميعا وفصل
بعده حال الفريقين واستانف له الكلام ولم يربطه بالاول وقيل كرر تاكيدا وقيل الاول من الجنة
الى السماء والثاني منها الى الارض والوجه هو الاول ونصب جميعا على الحال ولا دلالة فيه على
الاجتماع في الزمان ﴿فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي﴾ الشرط الثاني مع جوابه جواب
للاول كقولك ان اكرمتني فان قدرت على المجازاة فعلت والاتيان بحرف الشك واتيان
الرسل كائن لا محالة لانه قدره وعلقه ووعده لا يخلف للايذان بان الانزال والارسال تفضل
منه والتنبيه على ان ما اوتي آدم عليه السلام من الهدى وعلم الاسماء كاف لذريته فان اتى
بشيء آخر فذاك والا فقد كفى ذلك مع انه خير ما فات بما ونون التاكيد واضافة الهدى
ثانيا للتشريف فهي عين الاول لانها نكرة اعيدت معرفة وقيل الثاني اعم فيشمل ما اقتضاه
العقل فان اراد به اقتضاء العقل مستقلا من دون ارسال وانزال فلم يقل به وان اراد
ما يرجع اليه فلا عموم اذ لا حكم قبل البعثة ﴿فلا خوف عليهم﴾ فضلا عن ان يحل بهم مكروه ﴿ولا هم
يحزنون﴾ على فوات محبوب ﴿والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون﴾ عطف على من تبع اي ومن لم يتبع والعدول الى المنزل للتنفير عن الكفر والتكذيب و
الايات الاحكام المنزلة ومفهوم الاية ان من لم يكذب بايات الله لا يخلد فان قلت ما وقع
من آدم لم يكن الا نسيانا في الفروع والنسيان مغتفر فكيف سمي عصيانا وغواية قلت
عوتب على ترك التحفظ وفرط الاحتياط والاغترار بقول العدو مع قرب العهد بالتحذير منه
والتصريح بعداوته والانبياء والرسل يؤاخذون بالذرات وآدم اول الناس وقدوتهم

فسنه وعليه ترحما للاولاده ولطفا بهم وليدمع عباده كلما سمع رسولنا ان ليس لغيره فلا يجرى
احد على ان يقول عصى آدم فتاب الله عليه او غوى او اذنب اذ نبت فلى فيه اسوة ..
فان هذه جرءة عظيمة .. يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم .. خصهم من بين المخاطبين
لانهم اهل العلم واولى بان يكونوا اتباع رسول الله شكرا للنعمة اللاحقة السابقة على
اسلافهم من الانجاء واغراق العدو والعفو وقبول التوبة فان النعمة على الآباء واصلة
الى الابناء واسرائيل لقب يعقوب ومعناه بالعربية صفوة الله او عبد الله وفى كونه عبد الله تشريف
له والذكر اعم من اللسان لان المراد منه الشكر .. واوفوا بعهدى اوف بعهدكم .. العهد هو الذمة
والحفظ ولا يكون الا بين اثنين فالمعنى اوفوا بما عاهدتمونى عليه من الايمان والطاعة واتباع محمد
اوف بما عاهدتكم عليه من الثواب ورفع الاصار والاغلال اشار الى الاول بقوله ولقد
اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وقد وجب عليهم الايمان والاعمال ثم قال لاكفرن عنكم سيئاتكم
ولادخلنكم جنات والى الثانى بقوله الذين يتبعون الرسول النبى وعد عليهم امورا ثم قال و
يضع عنهم اصرهم والاغلال فالعهد مضاف الى المفعول فى الاول والثانى اذ لا معنى لقولك
اوف بعهد غيرك ولما كان المعاهد عليه جملة فالقيام بكلها اى الاستقامة المامور بها فى قوله
واستقم كما امرت وادناها التصديق بالقلب والتصديق باللسان .. واياى فارهبون ..
هو اوكد من اياك نعبد فى الاختصاص نفى واثبات فاذا تكرر الاثبات تاكد الاختصاص
على ان الاثبات اللاحق يمكن اعتباره على وجه الاختصاص لكونه مفسرا لما فيه الاختصاص كانما
اذا قدر الشرط العام اى مهما يكن من شىء فاياى ارهبوا فارهبون حصارا و كرر من وجه آخر ولولا
للعطف والفاء الجزائية اخرت الى المفسر بعد حذف المفسر ولا يمنع عن الفعل المشغول بالضمير
فيما قبله كقوله وربك فكبر وبل الله فاعبد .. وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم .. اذ لا وجه للكفر
والحال انه مصدق لشرعكم والمراد به التصديق فى كونه من عند الله فلا يقدح فى ذلك نسخ بعض
فروعه واليه يشير حديث رواه مسلم الانبياء بنو العلات الاب واحد والامهات شتى
.. ولا تكونوا اول كافر به .. اول افعل تفضيل بدليل اولى واوائل واصله ااول ابدلت الهمزة
واوا ثم ادغمت فاذا اضيف الى نكرة يجب مطابقته موصوفه لما اضيف اليه فالتقدير
فوج او فريق او كل واحد والكلام تعريض باهل الكتاب بانهم كانوا احقاء بان يكونوا
اول مؤمن به لما عندهم من الصباب الاولية من كمال معرفتهم به يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا فلا يرد ان المشركين اول كافر به ولا ان الكفر مطلقا
منهى كيف ما كان فوجه التقييد بالاولية وقيل اريد الاولية مع العلم او اول كافر من
اهل الكتاب او مثل اول كافر او اول كافر بالتوراة على ان الضمير فى به لما معكم فان
فان الكفر بالقران كفر بها كالعكس ايضا لوجوب الايمان بكل الكتب وقد دل اعجازه
على انه كلام الله تعالى وهم يعلمون ولذلك وبخهم بقوله وانتم تعلمون فلا وجه لما يقال انما يلزم
من الكفر بالقرآن الكفر بما معهم ان لو كان كفرهم انه كذب كله واما اذا كفروا بكونه كلام الله تعالى

ثم قعدوا

واعتقدوا ان فيه الصادق والكاذب فلا .. ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا .. لا تستبدلوها
بالايمان الرياسة والرشاء عبر عن المشترى بلفظ الثمن الذى هو المشترى به تقريعا لهم وتجهيلا
حيث جعلوا ما حقه ان يكون وسيلة مبذولة فى نيل المطالب مطلوبا حتى بذلوا فيه الاعز الاشرف
.. واياى فاتقون .. بامتثال الاوامر واجتناب المناهى وفصل الاولى بالرهبة وهذه بالتقوى
لان الاتقاء هو التحفظ وفرط الصيانة ولا ريب فى كونه مسبوقا بالرهبة ولهذا كان التعقيب الاول
ذكر النعمة والوفاء والثانى الايمان بالمنزل لان التقوى نتيجته وغايته وقيل لان الاولى نعم العالم
والمقلد والثانية تخص اهل العلم فامروا بالتقوى الذى هو منتهى السلوك وفيه ان المخاطب واحد
الا ان الثانيات والا تنفكك الضمائر .. ولا تلبسوا الحق بالباطل .. اى لا تخلطوه بان تكتبوا فى
التورية ما ليس منه ولا تجعلوا الحق ملتبسا على الناس بسبب الباطل فالباء على الاول صلة وعلى الثانى
للاستعانة والاول اظهر لان الصلة من تمام الفعل واكثر لان مآل الثانى الى الاول لوجود الخلط
لا محالة .. وتكتموا الحق .. جزم داخل تحت حكم النهى ومعنى كتمان الحق محوه من التورية او تحريف
الكلم عن مواضعها كان فى التورية نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة ابيض بدلوه بقصير
اسمر او منصوب باضمار ان والواو للجمع اى لا تجمعوا بين اللبس والكتمان لا على معنى ان المذموم
هو الجمع بل نعيا عليهم الجمع بين امرين كل منهما مستقل بالقبح والشناعة ولذلك اعاد بحق
.. وانتم تعلمون .. زيادة للتقبيح لان الجاهل ربما يعذر .. واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ..
صلوة المسلمين وزكاتهم اللام للعهد او الجنس على ان ما عدا صلوة المسلمين وزكاتهم ليس
بصلوة وزكاة .. واركعوا مع الراكعين .. لان صلوة اليهود لا ركوع لها او صلوا مع المصلين
جماعة فانها تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة ولا دليل فيه على وجوبها لانه نهى عما كانوا
متعادين به من الانفراد فيكفى كونها سنة مؤكدة وفى الاية دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
وقيل الركوع الانقياد والخضوع فيكون تعميما .. اتامرون الناس بالبر .. الهمزة للتقرير مع الانكار
والتعجب ومعنى التقرير الالجاء الى الاقرار لان الامر ابلغ فى الانكشاف مبلغا لا يمكن المخاطب
انكاره وقد يجتمع مع التحقيق كما فى الاية ويوجد كل منهما بدون الآخر والبر الخير الواسع من البر
وهو الفضاء ومنه قول المجيب صدقت وبررت اى اتيت بخير واسع فى صدقك حيث
دعوت كل سامع الى الفلاح .. وتنسون انفسكم .. تتركونها عن البر كالشىء المنسى وعن
ابن عباس رضى الله عنه كان احبار اليهود يامرون من نصحوه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وفى معناه قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون روى
البخارى ومسلم عن ابى وائل رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالرجل يوم القيمة
فيلقى بالنار فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون يا فلان الم تكن تامرنا
بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم ولم افعل وانهاكم وافعل ولقد احسن من قال
ما اقبح التزهيد من عالم يزهد الناس ولا يزهد لو كان فى تزهيده صادقا اضحى وامسى بيته المسجد
.. وانتم تتلون الكتاب .. تبكيت لهم .. افلا تعقلون .. ما تتلونه فتعرفوا وخامة عاقبة

مالتم

ما انتم فيه. واستعينوا بالصبر والصلوة. لما كلفوا بترك ما الفوه من الرياسة ودين الآباء و
كان شاقا عليهم ارشدوا الى ما يسهل عليهم ذلك وهو الصبر على تكاليف الصلوة والقيام
على الوجه الاكمل مراعى فيها الاركان والشرائط والسنن والاداب فان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر او استعينوا عن النوائب بالصبر والصلوة بالجمع بينهما وعن حذيفة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وقيل الصوم والصلوة
لان في الصوم حبس النفس عن المفطرات وهذا اوجه لان في الصوم جلاء النفس وقطع الشهوات
التي هي جنود الشيطان وفي الصلوة مناجاة الحق وفيضان الانوار وهي جامعة لانواع العبادات
البدنية جنانا ولسانا واركانا ولذلك كانت عماد الدين. وانها لكبيرة الا على الخاشعين.
الضمير للصلوة ان قيد الصبر بالصبر عليها لانها المقصود والمذكور لفظا وان فسر بمعنى آخر
فالضمير للاستعانة ليكون اشمل والخشوع الانقياد واصله الانحطاط يقال مكان خاشع ولذلك
يوصف به الجوارح كما يوصف القلب بالخضوع ويتعارضان. الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم.
اللقاء مجاز عن الرؤية او الثواب والظن على اصله من الطمع والتوقع اذ لا قطع بذلك او عن
مطلق الجزاء فالظن بمعنى اليقين لانه مقطوع به يؤيده قوله. وانهم اليه راجعون. الا ان تقدر
له عامل اى ويعلمون وهو خلاف الظاهر والظن بمعنى اليقين كثير قال فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج
سراتهم في الفارسي المسرد. ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها. وانما خفت عليهم لعلمهم
بما اذخر الله لهم وفي المثل من ايقن بالخلف جاد بالعطية ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن
ذلك قال قدوة المتقين جعلت قرة عيني في الصلوة وارحنا يا بلال بها. يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم. اخذ في تقرير النعمة وتفصيل اصنافها ولذلك اعاد النداء. واني فضلتكم
على العالمين. على عالمي زمانهم حملا على الموجود بالفعل كانوا اشرف القبائل كما المعلومة في زماننا
او على الجم الغفير يقال اذا رأيت فلانا فقد رأيت العالم قال لو رزنة لرأيت الناس في رجل فلا دلالة
فيه على تفضيلهم على الملائكة ولا على امة اخرى فضلا عن خير الامم. واتقوا يوما. اى ما فيه من الحساب
والعذاب. لا تجزي نفس عن نفس شيئا. لا يقضي عنه الجزية وحديث خدعة بن دينار لا تجزي عن
احد بعدك والتنكير في الاسماء الثلثة في سياق النفي للعموم اى نفس تامة اى نفس كانت شيئا ما
او اى جزاء على انه مصدر والجملة صفة يوما حذف منه العائد اما مع الجار ابتداء على ما آثره سيبويه
او بالتدريج بحذف الجار اولا والضمير ثانيا بعد ايصاله كما ذهب اليه المبرد والكسائي والشائع
حذف العائد من الصلة ثم من الصفة ثم من الخبر. ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل.
اى فداء واصله المساواة اطلق على الفداء لانه يساوي المفدى به بالفتح من غير جنسه وبالكسر منه
الضمير للنفس الثانية او الاولى ويؤيد الاول ولا هم ينصرون فان ضميرهم للنفوس المجزية عنها
والتذكير باعتبار الاشخاص لقوله تعالى ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة الشافعين سد عليهم
طرق رفع العذاب لانه اما ان يكون مجانا او بعوض او بشفاعة او بقهر ناصر ولا دلالة فيه
على عدم الشفاعة لاهل الكبائر لانه عام خص بالايات والاحاديث او مقيد بموطن او بما قبل الآذن

وقرا

وقرأ ابو عمرو وابن كثير يقبل بالتاء التانيث والتذكير احسن لوجود الفصل. ولا هم ينصرون.
واذ نجيناكم من آل فرعون. من قبيل عطف جبريل وميكائيل على الملائكة واصل آل اهل بدليل تصغيره
على أهيل واختص بالاناسي دون الاماكن وذوي الاخطار منهم دينا كال محمد او دنيا كال
فرعون وعن الكسائي اصله اول ونقل عن اعرابي فصيح اويل في تصغيره وقيل الآل القرابة والتابعين
والاهل اعم ولذلك اوثر في الصلوة الآل وفرعون لقب من ملك مصر كقيصر لملك الروم وتبع
لمن ملك اليمن وكان اسمه مصعب بن ريان او وليد بن مصعب. يسومونكم سوء العذاب.
يكلفونكم من سام المشتري السلعة اذا طلبها والسوء مصدر ساءه واصل العذاب السوء ثم قدم
وانما اضيف والمعنى اسوء العذاب فامتاز امتياز جبريل وميكائيل وكان سبب ذبح الابناء
قول الكهنة سيولد من بني اسرائيل مولود ويكون زوال ملكه على يده وقد عمي قلبه لان قول الكهنة ان
كان حقا فلا بد من وقوعه وان كان باطلا فلا اى شيء يقتل الاطفال. وفي ذلكم بلاء. محنة والاشارة
الى صنيعهم او نعمة والاشارة الى الانجاء والاختبار بالشر للصبر وبالخير للشكر وهذا اليق بقوله
من ربكم. والاوفق بمقام تعداد النعم. عظيم. صفة بلاء. واذ فرقنا بكم البحر. فلقناه لاجل
انجائكم الباء للسببية او ملتبسا بكم فالباء للمصاحبة كقول ابي الطيب تدوس بنا الجماجم والتربا
فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون. تشاهدون ذلك لا تشكون فيه ملتذون
مسرورون وسياق القصة مستوفاة. واذ واعدنا موسى اربعين ليلة. لما دخل بنو اسرائيل
مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب وعده الله موسى ان يؤتيه كتابا وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة. وذكر الليالي لانها غرر الشهور حين يرى الهلال وانتصاب اربعين
على الظرفية اما على قول ابن عباس كلمة في اربعين يوما وليلة فواضح ومن خصه بالاول او بالآخر
فكذا لانه من باب رأيته سنة كذا يكفي فيه وقوع الفعل في جزء ومن قال بعده فلا لاتصال وعدم التراخي
والمفعول به محذوف وهو المشترك بين الطرفين اى واعدنا موسى الوحي وواعدنا المجيء
والاولى ان يجري اربعين مجرى المفعول به وفيه مبالغة بجعل ميقات الوعد موعودا وقرأ
ابو عمرو وعدنا بغير الالف وعليه الرسم والمعنى ظاهر ويمكن ان يحمل قراءة الجمهور عليه واتيان المفاعلة
للمبالغة. ثم اتخذتم العجل من بعده. اى الها من بعد ذهاب موسى. وانتم ظالمون. باتخاذ العجل
الها. ثم عفونا عنكم من بعد ذلك. الامر العظيم العفو المحو من عفى الشيء عفاء درس وهو ابلغ
من الغفران واقرأ والخطاب باعتبار كل احد. لعلكم تشكرون. لكي تشكروا او ليكونوا في صورة
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان. اى الكتاب الجامع بين كونه كتابا منزلا وبين كونه
فرقانا كقوله ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى والتعريف فيه دون ضياء
وذكرى لكونه معهودا كالاعلام دونهما او البرهان الفارق بين الحق والمبطل من سائر معجزاته
او الشرع الفارق بين المعروف والمنكر او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان
يوم التقى الجمعان ليوم بدر. لعلكم تهتدون. بالتأمل في الكتاب والتفكر في آيات الله
واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل. فان قلت اليس قد تقدم ذكره

اتخاذ العجل وان الله تعالى عفى عنهم قلت اعاده مفصلا حثا للموجودين على اتباع النبي الامي الذي
وضع عنهم تلك الاصار التي كانت على آبائهم واكتفى بالتوبة بالندم ∴ فتوبوا الى بارئكم ∴
اي اذ قد ظلمتم فتوبوا الفاء للسببية وايثار البارئ دون سائر الاسماء الحسنى للتنبيه
على عبادتهم حيث آثروا على خالق الاشياء بريئة من الخلل والتفاوت العجل الذي هو ابلد الحيوانات
فاقتلوا انفسكم بايديكم وهو البخع او من لم يعبد العجل عابده والتعبير بالانفس لانهم في التعلق
في القرابة والاتحاد في الاعتقاد وتفسير القتل بقطع الشهوات كما قيل من لم يقتل النفس
لم يحيها غير مستقيم لكون القتل مرادا قطعا عن ابن عباس رضي الله عنه احتبى الذين عبدوا
العجل بافنية دورهم وقام الذين لم يعبدوا واخذوا الخناجر في ايديهم وكان الوالد يرى ولده
وذوا القرابة قريبة فيشق عليه فالقى الله عليهم ظلمة شديدة فدعا موسى وهارون فانكشفت
عن سبعين الف قتيل ∴ ذلكم خير لكم عند بارئكم ∴ لكونه وصلة الى الحياة الابدية ووسيلة
الى رضوان الله واسكن ابو عمرو وحمزة بارئكم لثقل توالى ثلث حركات وروي عنه الدوري
الاختلاس اكتفاء به عن السكون ∴ فتاب عليكم ∴ من قول موسى عليه السلام جواب شرط
محذوف اي ان فعلتم فقد تاب عليكم او من كلامه تعالى عطف على محذوف اي ففعلتم فتاب
عليكم ففيه التفات من الغيبة وهو لفظ القوم الى الخطاب ومن التكلم الى الغيبة في فتاب
انه هو التواب ∴ الذي يكثر توفيق التوبة وقبولها ∴ الرحيم ∴ الذي يبدل مكان السيئة حسنة
∴ واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ∴ في ايثار لن دلالة على مراجعات
بينهم وبينه لانه لا تقع جوابا ابتداء والجهر مستعار للرؤية عيانا لانه من خواص الصوت
وليس فيه دلالة على عدم جواز الرؤية ولا ان كفرهم كان بسبب طلبها الا يرى ان موسى
عليه السلام قد سالها وانما كفروا بتعنتهم وعدم الاعتداد بآثار معجزاته وهذا ظاهر
لمن كان له قلب او القى السمع ∴ فاخذتكم الصاعقة ∴ الرجفة وكان فيها موتكم او نار رفتها
∴ وانتم تنظرون ∴ ما اصابكم او اثره لا تشكون فيه ∴ ثم بعثناكم من بعد موتكم ∴ يوما وليلة
∴ لعلكم تشكرون ∴ نعمة البعث او ما كفرتموه سابقا هؤلاء هم السبعون الذين اختارهم
موسى عليه السلام لميقات ربه فلما سمعوا كلامه تعالى طلبوا الرؤية عيانا وهذه القصص قد
بسطت في سائر السور واشير اليها ههنا موجزة لان سوقها لتعداد النعم على المخاطبين
وآبائهم ∴ وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى ∴ لما ذكر ما دفع عنهم من النقم
شرع يفصل ما اولاهم من النعم والغمام السحاب الابيض سمي به لانه يغم السماء ويواريه و
المن الترنجبين كان ينزل عليهم على صفة الثلج بين الطلوعين والسلوى السمان وهو نوع
من الطير دون الحمامة جثة وكانوا مامورين بان ياخذوا قدر كفايتهم ولا يدخروا فادخروا
وخبوه فخنز روى البخاري انه قال صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ∴ كلوا
من طيبات ما رزقناكم ∴ على ارادة القول ∴ وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ∴
بتعريضها للسخط ∴ واذ قلنا ادخلوا هذه القرية ∴ هي بيت المقدس وقيل اريحا والاول

هو الصواب

هو الصواب ∴ فكلوا منها حيث شئتم رغدا ∴ واسعا صفة مصدر او في موضع الحال من الواو ∴ وادخلوا
الباب ∴ اي باب المسجد الاقصى وهو المسمى الآن باب حطة ∴ سجدا ∴ على هيئات الراكعين
تواضعا لله تعالى وشكرا على نجاتهم من التيه وقهر عدوهم وهم الجبارون الذين قاتلهم يوشع بعد موت
موسى ∴ وقولوا حطة ∴ اي مسئلتنا او امرك حطة فعلة كالجلسة والركبة والمراد حط الاوزار وقوله تعالى
∴ نغفر لكم خطاياكم ∴ جزم على الجواب وقرا نافع بالياء وابن عامر بالتاء على بناء المفعول والمختار
قراءة الباقين بالنون للاصالة وفخامة المعنى ولقوله تعالى ∴ وسنزيد المحسنين ∴ على غفران الخطايا
بانواع المزايا واخرجه عن الجواب الى الاخبار للدلالة على الوقوع لا محالة ∴ فبدل الذين ظلموا قولا
غير الذي قيل لهم ∴ قالوا مكان حطة حنطة حمراء في شعرة فان قلت لم يحك تبديل الفعل فانه روي
انهم دخلوا زحفا على استاههم مقنعي رؤسهم قلت اكتفى بالقول فانه اظهر في المخالفة ولانه ربما
يتوهم ان الدخول على ذلك الوجه كان لعذر ∴ فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء ∴ عذابا
وهو الطاعون مات منهم في ساعة سبعون الفا ∴ بما كانوا يفسقون ∴ بسبب خروجهم عن طاعة
الله تعالى وهذه الاية ابلغ من آية الاعراف من وجوه اخراج سنزيد المحسنين عن الجواب وتكرير الظلم
والجمع بينه وبين الفسق وتبديل الانزال بالارسال وذلك لان هذه خطاب معهم وتلك
اخبار عنهم ولان هذه نزلت بعد تلك فلا بد من زيادة فائدة ∴ واذ استسقى موسى لقومه ∴
لما عطشوا في التيه ∴ فقلنا اضرب بعصاك الحجر ∴ اللام فيه للعهد لانه كان حجرا معهودا على هيئة
رأس الانسان او رأس ثور نزل به آدم مع العصا من الجنة فتوارثه الانبياء فدفعه اليه شعيب
عليه السلام مع العصا او للجنس اي اي حجر كان وهذا ابلغ في الاعجاز ∴ فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا ∴ اي فان ضربت العصا او فضرب والفاء على الوجهين فصيحة لانها تنبئ عن محذوف
اشارة الى ان السبب الاصلي في ذلك هو اراده تعالى وارادته لا فعل موسى والوجه هو الثاني لقلة
التقدير ولان الفاء الجزائية لا تقع بدون قد واضماره ضعيف ∴ قد علم كل اناس مشربهم ∴
اي كل سبط عرف العين المختصة به لئلا يقع تنازع ∴ كلوا واشربوا ∴ على ارادة القول ∴ من رزق
الله ∴ المن والسلوى والماء واضافة الرزق اليه لكونه حاصلا من غير كد منهم ∴ ولا تعثوا في الارض
مفسدين ∴ لا تعتدوا حال كونكم مفسدين وانما قيده به لانه ربما كان على وجه الجواز كمقابلة
المعتدي بمثل فعله وقيل الحال مؤكدة ومن عرف الله تعالى بصفات الكمال لا يستغرب امثال هذه
الامور وهذا ونبوع الماء من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم اغرب وابدع من انفجاره
متعارف في الاحجار وصخور الجبال ∴ واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ∴ ارادوا المن
والسلوى ووحدته باعتبار عدم تبدله كما يقال مائدة الامير طعام واحد يريدون على نمط
وان اشتملت على الوان ∴ فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض ∴ الاسناد مجازي ∴ من بقلها ∴
الخضر والمراد اطايبه ∴ وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ∴ من قبيل عطف جبريل على الملائكة
وقيل الفوم الحنطة لقول العرب فوموا لنا اي اخبزوا والاول اوفق بالبصل ويؤيده قراءة ابن
مسعود رضي الله عنه بالثاء وثومها رضي الله عنه ∴ وانتم اناس لوم الاصول ∴

طعامكم الفوم والحوفل اراد الثوم والبصل كانوا فلاحة اكارين مالت نفوسهم الى ما الفوهم قال
اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير يريد به المن والسلوى الباء داخلة على المبدل المتروك
∴ اهبطوا مصرا ∴ هي البلدة المعروفة والصرف بسكون الوسط او باعتبار البلد والمكان
وان كان اصله مصرائم انجميا فلعدم التانيث او عدم الاعتداد بالعجمة لوجود التعريب
والتصرف والاولى ان يراد مصر من الامصار لان ما طلبوه ليس منحصرا في تلك البلدة و
التيه مشرف على سائر البلاد فيكون منه الهبوط اليها كلها ∴ فان لكم ما سالتم ∴ اي ذلك
الادنى ∴ وضربت عليهم الذلة والمسكنة ∴ جعلت محيطة بهم احاطة القبة بداخلها او الصقت
بهم الصاق الطين بالحائط وعلى الوجهين استعارة مكنية ولا ينافي كون الكلام كناية عن
كونهم اذلاء صاغرين ولا ترى اليهود الا اذلاء مساكين اما حقيقة او تكلفا خيفة ان يضاعف
الجزية وفي المثل فلان اذل من اليهودي ∴ وباءوا بغضب من الله ∴ اي رجعوا من سفرهم الذي
كان للجهاد مصاحبين لغضب الله تعالى او صاروا احقاء من قولك باء فلان بفلان اذا
ساواه ذلك اشارة الى جميع ما حل بهم ∴ بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير الحق ∴ اللام للجنس والمعنى انه باطل عندهم ايضا كما في الواقع فهو كقوله بغير
حق في ال عمران والاولى ان يكون للعهد وهو ما يعتقدونه ويدينون به وتنكيره في ال عمران
للعموم واثار المضارع لاستحضار تلك الصورة الشنيعة والاشارة الى انهم ساعون في قتل
محمد عليه السلام وقرا نافع بالنبيئين بالهمزة ∴ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ∴ كرر الاشارة
دلالة على ان لهم غير الكفر بايات الله وقتل الانبياء معاصي اخر واعتداء في الحدود
تكون جالبة للذلة وبواء الغضب فكيف والاجتماع كائن او اشار الى الكفر والقتل بيانا
لسبب السبب وهو التمرن على العصيان والاعتداء ويجوز ان الباء بمعنى مع فيكون
كالاول اي ذلك الكفر والقتل مع العصيان والاعتداء والاول سبب كامل فكيف
وقد انضم اليه الكل والاشارة الى اشياء بلفظ المفرد شايع بتاويل المذكور ∴ ان الذين
امنوا ∴ بالسنتهم دون قلوبهم ∴ والذين هادوا ∴ دخلوا في اليهودية سموا بذلك اما لانهم
هادوا اي تابوا من عبادة العجل ولقولهم انا هدنا اليك او معرب يهودا اكبر اولاد
يعقوب عليه السلام تسمية باسم ابي القبيلة ∴ والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان
والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري ودواري سموا بذلك اما لانهم نصروا المسيح او
لانهم كانوا معه في قرية تسمى نصران او ناصرة سموا بها او اخذ اسمهم من اسمها ∴ والصابئين
قوم من النصارى مالوا عن دينهم الى عبادة الملائكة من صبا اذا مال وقرا نافع
بالياء وترك الهمزة اجتزاء بدلالة الكسرة قبل الياء عليه وقيل من صبا يصبو لغة والهمزة
هي الفصحى ∴ من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا ∴ اي منهم ∴ فلهم اجرهم عند ربهم ∴
خبر من ان جعل مبتدا والجملة خبر ان وان جعل من بدلا من الذين فخبر ان ودخول الفاء
لتضمن الموصول معنى الشرط وفيه الزام سيبويه حيث منع دخول الفاء بعد دخول ان

ولا خوف

∴ ولا خوف عليهم ∴ من ارتكاب ما سلف ∴ ولا هم يحزنون ∴ على فائت بل ينالوا اجرا كاملا
والكلام من حديث ضرب الذلة الى ههنا استطراد لبيان انهم لما اثروا الامتهان باستبدال الذي
هو ادنى بالذي هو خير كان ذلك اول ذلة اصابتهم ثم بين ان من كان جبله في تلك الرتبة تغير
بديع منه الكفر بايات الله وقتل الانبياء ثم ضم اليهم اضرابهم ممن تمرن على الكفران من اخلص في
ايمانه فاز بما فاز به المخلص وباء بالرضوان بدل بواء الغضب ترغيبا في الايمان ∴ واذ اخذنا ميثاقكم ∴
باتباع موسى عليه السلام والعمل بما في التورية ∴ ورفعنا فوقكم الطور ∴ حين عصيتم روي ان موسى
عليه السلام لما جاءهم بالتورية شق عليهم ما فيه من التكاليف فابوا قبولها فقلع جبريل الطور ورفعه
فوقهم كانه ظلة وقربه اليهم شيئا فشيئا حتى رفع احد جانبي راسهم الى الارض وهم ينظرون باحدى
العينين الى الجبل فلما سجدوا رفع الله عنهم فهم الى الان يسجدون على حرف الراس لانها سجدة رفع الله
تعالى بها العذاب ∴ خذوا ما اتيناكم بقوة ∴ باجتهاد وجد ∴ واذكروا ما فيه ∴ احفظوا احكامه وادرسوه
فيشمل ذكر القلب واللسان ∴ لعلكم تتقون ∴ لكي تتقوا او تكونون في صورة من يرجى منه التقوى ∴ ثم
توليتم من بعد ذلك ∴ اعرضتم بعد ذلك الميثاق ∴ فلولا فضل الله عليكم ورحمته ∴ بتوفيق اقبالكم
للتوبة لان المخاطبين لم يؤمنوا لقوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم ∴ لكنتم من الخاسرين ∴ ببعض
الكاملين في الخسران ∴ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ∴ اللام موطئة والسبت الراحة
والقطع ومنه سبت اليهود لكفهم عن الاعمال او لقطعهم ذلك اليوم عن غيره بالحكم وهو حرمة الصيد
فيه كان اهل ايلة على شاطئ البحر فابتلاهم الله تعالى بحرمة الصيد في يوم السبت فكانت الحيتان تاتيهم
يوم سبتهم شرعا مخرجة خراطيمها ويوم لا يسبتون لا يرد منها واحد فاحتالوا في صيدها بان اتخذوا
على الشاطئ حياضا وشرعوا اليها الجداول ليدخلها الحيتان يوم السبت فيصطادوها يوم الاحد ∴ فقلنا
لهم كونوا قردة خاسئين ∴ اذلاء من الخسء وهو الصغار والامر للتسخير والمراد سرعة التكوين اذ
لا قدرة لهم على الصيرورة قيل صار شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وعن مجاهد رحمه الله تعالى مسخت
قلوبهم دون صورهم وهو خلاف الاجماع مع انه لا يلايم مقام الترهيب ∴ فجعلناها ∴ اي المسخة ∴ نكالا
زجرا لما بين يديها وما خلفها ∴ من الامم وكان امر المسخة في كتب الاولين فاعتبروا بها ودخول الفاء
باعتبار الفريق اللاحق او من قرب منهم من اهل عصر المسخة ومن بعد لانباء الله عن قرب من اضيف اليه و
اللام على الوجهين صلة وايثار ما على من تحقيرا لشانهم لصدور الكلام عن مقام الكبرياء واظهار السخط
او لما تقدم من ذنوبهم وما تاخر والنكال بمعنى العقوبة واللام للتعليل فان قلت بعد المسخة لم يبقوا
مكلفين حتى يتصور منهم ذنب قلت يحمل على ما سنوه من الصيد وسائر المعاصي كما في قوله ونكتب
ما قدموا واثارهم وقوله بما قدم واخر ∴ وموعظة للمتقين ∴ لكل متق حضرها او سمع ∴ واذ قال موسى
لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة ∴ اول القصة واذ قتلتم نفسا وانما قدمت هذه الاية لتفصيل
ظلم ساديهم من نسبة النبي الى الهزء وترك الامتثال سريعا والاشتغال بما لا يعني من تلك الاستقصاء
في السؤال كان شيخ موسر في بني اسرائيل وله ابن فقتله بنو عمه ليرثوا الشيخ وقيل كان الشيخ عقيما
وله بنو اخ فقتلوه مستعجلين اخذ ماله وطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه فرفعوا القصة

الى موسى عليه السلام فامرهم ان يذبحوا بقرة ويضربوا الميت ببعضها ليحيى الميت ويخبر بالقاتل قالوا
اتتخذنا هزوا بمكان هزو او نفس الهزو لبعد حياة الميت من لحم بقر ميت وقرا حمزة بسكون الزاى
وهى لغة تميم واسد وابدل حفص الهمزة واوا استثقالا للهمزة بعد الضمتين وكذا حمزة وقفا
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزو فى مقام الارشاد كسمات المرسل بتبليغ
الاحكام سفه ولذلك استعاذ بالله قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ما صفتها المميزة
لتكون حقيقتها معلومة كقولك ما زيد فيجاب بفاضل ونحوه وقيل اقيمت ما مقام كيف
واتى ايماء الى ان هذه البقرة كانها نوع خارج عن حقيقة البقر قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر لا مسنة ولا فتية الفارض من الفرض وهو القطع لانها قطعت العمر وبلغت آخره و
ترك البكر للاولية ومنه الباكورة لاول الثمر عوان بين ذلك بين ما ذكر من الفارض
والبكر ولذلك اضيف اليه بين واشار به لقصد الاختصار كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة
والزمخشرى ان اسماء الاشارة والموصولات ليست على قانون سائر الاسماء فى التثنية
والجمع والتانيث بل وضعت صيغا مخصوصة فلذلك سهل الامر فيها وقد يقع مثلها فى الضمير
ايضا كقول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق حيث لم يقل كانها عن
ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا لما شددوا شدد الله عليهم ولو ذبحوا اى بقرة اجزاتهم
وايم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم آخر الابد وقيل بل كانت معينة وتاخير البيان عن وقت
الخطاب جائز وفيه انه تاخير عن وقت الحاجة لا الخطاب فافعلوا ما تؤمرون اى
تؤمرونه كقولك امرتك الخير فان حذف الجار قد شاع فيه حتى لحق بالمتعدى قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع شدة
الصفرة كالحلوك للسواد والقنو للحمرة يوصف به اللون حقيقة والملون بسببه مثل حسن الوجه
ومودت الغلام وعن الحسن سوداء شديدة السواد على ان الفقوع ترشيح والسواد [illegible]
جالب للسرور كسواد الحجر تسر الناظرين السرور لذة القلب عند حصول مرغوب
او توقعه وعن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هى تكرير للسؤال الاول ومزيد استكشاف ان البقر تشابه علينا اعتذار عن التكرير
وتعليل للاستكشاف فان البقرة بتلك الصفة كثيرة عن عمر بن عبد العزيز انه قال لبعض
عماله اذا كتبت اليك ان اعط فلانا شاة فلا تراجعنى اضان ام ماعز لانى اذا قلت لك
ضان قلت ذكر ام انثى واذا قلت ذكر قلت اسود ام ابيض وانا ان شاء الله لمهتدون
الى المطلوب قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث الذلول
ضد الصعب من الذل بكسر الذال صفة بقرة ولا الثانية مؤكدة الاولى والمعنى بقرة غير مذللة
بالحراثة والسقى مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب كلها او اهلها من العمل لا شية فيها
لا لون فيها يخالف صفرتها حتى القرن والظلف يقال وشاه وشيا اذا خلط لونه لونا
آخر قالوا الآن جئت بالحق بالوصف المطلوب فذبحوها الفاء فصيحة اى فحصلوها فذبحوها

وما كادوا يفعلون فى هذه الحالة ايضا لكثرة تعنتهم وتثاقلهم او لخوف الفضيحة او لغلاء
الثمن روى انهم طلبوها اربعين سنة فلم يجدوها ثم ظفروا بها عند ارملة لها يتيم وكان ابوه من
الصالحين فلما دناه الموت كانت عجلة فذهب بها الى غيضة وسيبها وقال يا رب هذه
امانة عندك لهذا اليتيم فرباها الله تعالى احسن تربية واوفى الامانة فى وقتها حتى اشتروها بملء
مسكها ذهبا وكان ثمن البقر ثلاثة دراهم واذ قتلتم نفسا نسب الفعل الى الكل لوجوده
بينهم فادارأتم فيها مجاز عن الاختصام او كناية عنه لانه من روادفه او حقيقة والمعنى دفع بعضكم
قتلها الى بعض او دفع كل منكم الآخر من البراءة الى التهمة والله مخرج ما كنتم تكتمون لا محالة
ولذلك اوثر الاسمية واعمل مخرج لانه حكاية المستقبل بالنسبة كما عمل باسط ذراعيه لكونه حكاية
حال ماضية والجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه فقلنا اضربوه ببعضها الضمير للنفس
والتذكير باعتبار الشخص والمراد اى بعض كان قيل ضربوه باللسان وقيل بالاذن وقيل بالفخذ
اليمنى وقيل غير ذلك والله تعالى اعلم والمعنى فضربوه فحيى فحذف المعطوف والمعطوف عليه
لدلالة قوله كذلك يحيى الله الموتى عليه مع الاشارة الى ان الاحياء كان بمحض قدرته وارادته تعالى
من دون تاثير للضرب ويريكم آياته لعلكم تعقلون خطاب لمن حضر القتل او لمنكرى البعث
فى زمان رسول الله وهذا اوجه لعدم احتياجه الى تقدير القول ولانهم الذين عدلوا عن مقتضى
العقل فيقع لعلكم تعقلون فى حاق موقعه ولان ارادة الاحياء لهم قد وجد الملجئ من هذا القول له
ثم بعثناكم من بعد موتكم ما فى الخطاب فى ذلك ايماء الى ان الاحياء اعظم ما يخاطب به كل من
يتاتى له الخطاب وكان الله تعالى قادرا على الاحياء ابتداء وانما اجرى الامر على النمط المحكى لما فى
ذلك من بدائع الحكم بركة بر الوالدين وحسن اثر التوكل وان من وقع فى شدة ينبغى ان يتقرب
الى الله تعالى ويؤثر الحسن ويغالى فى الثمن روى ان عمر بن الخطاب قرب بدنة بثلثمائة دينار ومع
لطايف اشارية انه من اراد الحياة الحقيقية يجب عليه ان يقتل نفسه البهيمة الطالبة للماء والعلف
الشبيهة بالبقرة حين تجاوزت حد الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر فهى حينئذ كاملة القوى محبة
بجمالها ليحيى بعد ذلك حياة طيبة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك اشارة الى جميع ما عدد من
الآيات وثم لاستبعاد القسوة بعدما توجد الاسباب المزيلة لها كقوله تعالى ثم انتم تمترون
والقسوة الغلظ مع الصلابة مثل بها حال القلوب فى عدم الاعتبار والاتعاظ ولذلك
رتب عليه قوله فهى كالحجارة لان هذا التشبيه متفرع على عرفان حالها او اشد قسوة عطف
على الكاف اما بتقدير مضاف اى مثل اشد من الحجارة كالحديد مثلا او بدونه على معنى انها كالحجارة
او هى اشد منها والمعنى ان من عرف حالها تحير فى احد التشبيهين او احد الامرين ولا شك
من المتكلم ولا من السامع وانما لم يقل اقسى مع صحة بناء اسم التفضيل من القسوة وهو اخصر
لدلالة اشد على الزيادة جوهرا او هيئة اعتناء ببيان الزيادة اولا وتفضيل القلوب فى القسوة
على الحجارة قبل بيان اشتراك العضوين فى الغلظة ثم تفضيل قسوة القلوب فى الشدة ولا تفاوت
فى الحاصل لان قولك فلان اكثر علما من فلان التفضيل راجع الى العلم الا ان لفظ اشد ابهم

استعمالا في التوصل * وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها
لما يهبط من خشية الله * عطف على جملة فهي كالحجارة وتعليل للتفضيل وتقرير له والتفجر التفتح والجري
بكثرة والخشية محمولة على الحقيقة لان الراجح ليس شرطا في الحيوة وتسليم الحجر حديث مشهور وقيل مجاز
عن الانقياد والحمل على الكل اسم الملزوم على لازمه وهي متعلقة بالافعال الثلاثة كلها * وما الله بغافل
عما تعملون * قرا ابن كثير بياء الغيبة والخطاب اشد وعيدا * افتطمعون ان يؤمنوا لكم * الخطاب
لرسول الله والمؤمنين والهمزة للانكار واستبعاد الايمان منهم * وقد كان فريق منهم * اي من
اليهود * يسمعون كلام الله * اي التورية * ثم يحرفونه * كتحريفهم نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واية الرجم وفي لفظ السماع اشارة الى عدم حظهم من معناه * من بعد ما عقلوه * فهموا المراد
منه * وهم يعلمون * ان التحريف كفر وضلال واذا كان علماؤهم كذلك * فما ظنك بالجهال
السفلة منهم وقيل هؤلاء السبعون المختارون لما سمعوا كلام الله لموسى عليه السلام بالامر والنهي
قالوا لقومهم سمعنا يقول في اخر كلامه ان استطعتم فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا * واذا لقوا
الذين امنوا * اي منافقوهم حذف المضاف لوجود القرينة * قالوا امنا * احدثنا الايمان
واذا خلا بعضهم * بعض اليهود * الى بعض * متحدثا اليه * قالوا * غير المنافقين لهم على وجه العتاب
اتحدثونهم * اي المؤمنين * بما فتح الله عليكم * بينه لكم يقال فتحه على كذا اذا اوقفه عليه ويجوز
ان يكون فاعل قالوا المنافقون اظهارا للتصلب وانكارا عليهم ان يفسد منهم في المستقبل
فهم مع المؤمنين منافقون حقا ومع اخوانهم في صورتهم * ليحاجوكم به * اي بما في كتابكم * عند
ربكم * جعلوا محاجتهم بما في كتابه محاجة عند الله تعالى لان حاصل قولهم في كتاب الله تعالى كذا اعند الله كذا
لان المراد حكمه ومبنى الكلام على الاحتجاج في الدنيا لانهم يعلمون انهم يوم القيمة محجوجون سوآء
ابدوا ام اخفوا * افلا تعقلون * من تمام كلامهم واحتمال كونه كلام الله تعالى مع المؤمنين متصلا
بقوله افتطمعون بعيد لكونه رسول الله صلى الله عليه وسلم مخاطبا به * اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون * ولا يخفى عليه خافية الضمير للقائل والمقول له * ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
الا اماني * جمع امنية من منى الشيء قدره والمعنى جهلة لا يعلمون شيئا من الكتاب لكن يقدرون
من عند انفسهم ان الله يغفر لهم وان اباءهم الانبياء يشفع وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة
وغير ذلك من الاكاذيب والاستثناء منقطع لان تلك الاباطيل والخرافات الذي تلقفوه من
علمائهم ليس من الكتاب والعلم في شيء * وان هم الا يظنون * في امرهم والظن يطلق بازاء العلم
على كل راي وان كان جازما كاعتقاد المقلد سوى بين العالم والمقلد في الضلال ثم اشار
الى ان العالم لكونه قدوة في الاضلال له مزيد العذاب بقوله * فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم * الويل الهلاك مصدر لا فعل له ولم يستعمل وقيل واد او جبل في جهنم وصح الابتداء به لكونه
دعاء مثل سلام عليكم وذكر اليد للتوكيد ورفع المجاز كقولك كتبته بيميني * ثم يقولون هذا من عند الله *
ثم للتراخي رتبة لان للقول اشد جناحا من الكتابة * ليشتروا به ثمنا قليلا * عوضا يسيرا وهو بقاء
الرياسة واكل الرشا * فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون * اي لكتبتهم وكسبهم

اولذي

او للذي كتبوه ويكسبونه والاول احسن لفظا ومعنى كرر الويل بازاء كل فعل مبالغة وآثر
المضارع في الكسب لكونه ممتدا دون الكتبة * وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة *
نوع اخر من اكاذيبهم اي اياما قليلة قيل سبعة مقدار بقاء الدنيا سبعة الاف سنة بزعمهم في
مقابلة كل الف يوم وقيل اربعين اياما عبادة العجل * قل اتخذتم عند الله عهدا * وعدا
موثقا * فلن يخلف الله عهده * لا محالة لاستحالة الخلف في وعده والفاء جواب شرط مقدر
اي ان اتخذتم وقرا ابن كثير وحفص بالاظهار على الاصل والباقون بالادغام لقرب الذال
من التاء * ام تقولون على الله ما لا تعلمون * ام معادلة للهمزة ومعنى الاستفهام التقرير لعلم
المستفهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقوع الشق الاخر وهو الافتراء ففي الكلام تهكم بهم
او منقطعة والاستفهام في اتخذتم للانكار وفي ام للتحقيق او يحمل على الاقرار والتقريع * بلى *
اثبات لما نفوه من العذاب الدائم * من كسب سيئة * الكسب تحصيل الشيء بالاختيار فان كان فيه
زيادة نفع تسمى اكتسابا * واحاطت به خطيئته * بحيث لم يوجد له حسنة قط اذ معها لا احاطة والخطيئة
اسم للذنب من خطي بالكسر خطأ وخطاء سواء كان بالقصد او بالغرض لقوله تعالى ان قتلهم كان
خطأ كبيرا وقرا نافع خطيئاته بالجمع والافراد اولى لان المحيط هو الكفر حقيقة * فاولئك اصحاب
النار * الملازمون لها * هم فيها خالدون * لا غيرهم من اصحاب الكبائر وتفسير الخلود باللبث الطويل
غير واف بالمقصود مع الايهام المخل * والذين امنوا وعملوا الصالحات فاولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون * جرت سنته تعالى في كتابه بان تشفع الوعد بالوعيد ترغيبا وترهيبا ليرجى ثوابه
ويخشى عقابه وبضدها تتبين الاشياء * واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله *
لما طال الخطاب عدل الى الغيبة تفننا وتذكيرا بان الخطاب مع بني اسرائيل ولا تعبدون
اخبار في معنى النهي بدليل قوله قولوا وهذا ابلغ من صريح النهي كان سارع الى الامتثال
وانت تخبر عنه ولا بد من تقدير القول اي قائلين او قولنا على انه بدل من الميثاق او جواب
لاخذنا ميثاقهم لان القول الجازم المبتوت جار مجرى القسم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في
الكتاب لتفسدن في الارض ويجوز ان يكون في تاويل المصدر بان محذوفة كقوله تسمع
بالمعيدي وقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون بياء
الغيبة * وبالوالدين احسانا * تحسنون او احسنوا جزاء للتربية * وذي القربى واليتامى و
المساكين * اليتيم لغة الانفراد وتخصيصه بالصغر عرف الشرع والمسكنة من السكون كان الفقر
اسكنه * وقولوا للناس حسنا * وقرا حمزة والكسائي حسنا بفتح الحاء والسين والاول ابلغ
لكونه وصفا بالمصدر والقول الحسن اظهار رغبته عليه السلام وعن الثوري الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر * واقيموا الصلوة واتوا الزكوة * ما كان عليهم في شرع موسى عليه السلام * ثم توليتم *
التفات من الغيبة سواء خوطب الحاضرون او غلبوا الا ان بني اسرائيل طريق الغيبة * الا قليلا
منكم * هم الذين اقاموا اليهودية ومن اسلم منهم بعد النسخ * وانتم معرضون * جملة معترضة
اي وانتم قوم عادتكم الاعراض وهما مترادفان وقيل التولي ان يرجع عودا الى بدئه والاعراض

والاعراض ان يأخذ عن المنهج فى العرض فهو سوأة حالا من التولى وفى الجمع غاية الذم ❁ واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ❁ نزل قتل الغير واخراجه منزلة قتل نفسه
واخراجها لاتصال دينا ونسبا او لترتب القصاص عليه واشراك العار والصغار بين
المخرج ❁ ثم اقررتم وانتم تشهدون ❁ اى اقر اسلافكم وشهدوا على انفسهم والاسناد الى
الحاضرين لكونهم على طريقتهم او انتم ايها المخاطبون مقرون بذلك على اسلافكم وانما
ذكرت الشهادة بعد الاقرار مبالغة كما فى قولك فلان مقر بكذا شاهد على نفسه
او انتم مستمرون بعد الاقرار ❁ ثم انتم هؤلاء ❁ استبعاد لما ارتكبوه بعد اخذ الميثاق
والمعنى ثم انتم الموصوفون بنقيض تلك الصفة وبهذا الاعتبار صح الحمل كما تقول فلان
غير الذى كنت تعرفه وقيل هؤلاء اسم موصول ❁ تقتلون انفسكم ❁ اشارة الى نقض
لا تسفكون ❁ وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ❁ اشارة الى نقض لا تخرجون انفسكم
❁ تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ❁ تتعاونون من الظهر لانه مناط القوة وقرأ
الكوفيون بحذف تاء المضارعة تخفيفا وفى ذكر العدوان بعد الاثم يرق لانه ظلم الغير
❁ وان يأتوكم اسارى تفادوهم ❁ كان بين الاوس والخزرج محاربات وكانت
قريظة من اليهود حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وقيل بنو قينقاع كانوا حلفاء
الاوس وقريظة والنضير للخزرج فكان اذا اسر منهم احد فادوه وجمعوا له من اليهود
كلهم وكان الله قد اخذ عليهم فى التورية الميثاق بفداء الاسرى وترك القتل والاخراج والمظاهرة
فاعرضوا عن الكل الا الفداء وقرأ حمزة اسرى وهو قياس جمع فعيل كقتيل وجرحى
والباقون اسارى على انه جمع الجمع او جمع الاخر كقدامى فى جمع قديم وعن ابى عمرو انى
عند الاخذ اسارى بعد الاستقرار وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وحمزة تفدوهم وهو
الاصل لان المفادى معطى الفداء وعليه الرسم فيحمل قرآءة الله عليه وقيل فداه اذا خلصه
بالمال وفاداه خلصه بالاسير ❁ وهو محرم عليكم اخراجهم ❁ الضمير للشان او مبهم يفسره اخراجهم
او راجع الى مادل عليه تخرجون من المصدر والمذكور بيان له ولم يتعرض للقتل للعلم به من حال
الاخراج ❁ افتؤمنون ببعض الكتاب ❁ بالفداء ❁ وتكفرون ببعض ❁ ماعداه من القتل
والاخراج ❁ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا ❁ الخزى ذل يستحيى منه
كالقتل والاسر وضرب الجزية ❁ ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب ❁ اى اشد
انواع عذاب الاخرة ❁ وما الله بغافل عما تعملون ❁ تأكيد للوعيد وقرأ نافع وابن كثير
وابو بكر بياء الغيبة والخطاب ابلغ ترهيبا ❁ اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة ❁
اثروها على الاخرة حين استبدلوا بها ❁ فلا يخفف عنهم العذاب ❁ فى الدنيا والاخرة ❁ ولا هم
ينصرون ❁ بدفعه وقهره من احد ❁ ولقد اتينا موسى الكتاب ❁ التورية بعد اغراق فرعون
❁ وقفينا من بعده بالرسل ❁ اى ارسلنا على اثره رسلا كثيرة لعدله ثم ارسلنا رسلنا تترى
سبعين الفا وقيل اربعة الاف يقال قفيت فلانا اذا اتبعته وقفيته بفلان اتبعته

اياه فالباء داخل على التابع ماخوذ من القفا كذنب من الذنب ❁ واتينا عيسى بن
مريم البينات ❁ افرده بالذكر وان كان من بنى اسرائيل لانه صاحب شرع لفظ مريم
اصله الشيوع وكذا مريم معناه الخادم وقيل العابد او التى تحب مجالسة الرجال
وكانه من قبيل المفازة للمهلك والسليم للديغ وقيل عربى ووزنه مفعل او فعيل ليس من
اوزانه والبينات معجزاته الواضحة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والانباء
❁ بروح القدس ❁ جبريل او روحه اى الروح المقدسة من اضافة الموصوف الى الصفة الحاشية
منه الوصف مبالغة فى نبوته له كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير باسكان دال القدس
حيث وقع ❁ افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم ❁ بما لا تحبه يقال هوى بالكسر
اذا احب ❁ وبالفتح سقط والهمزة للتوبيخ والتعجب من ترتب هذا الفعل على ما سبق
والفاء عاطفة للشرطية على الفعلية قبلها اعنى ولقد اتينا موسى الكتاب ويجوز ان يكون عطفا
على مقدر كانه قال ولقد اتينا موسى الكتاب وارسلنا بعده رسلا كراما فجحدتم و
عصيتم افعلتم ذلك فكلما جاءكم رسول ❁ استكبرتم ❁ عن الايمان به ❁ ففريقا كذبتم ❁
كموسى وعيسى عليهما السلام ❁ وفريقا تقتلون ❁ كزكريا ويحيى عليهما السلام
وايثار المضارع اما لاستحضار تلك الصورة الفظيعة او للدلالة على انهم كانوا بعد
فى قتل محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك سحروه وسموه يوم خيبر وعن عائشة رضى الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى توفى فيه لازالت اكلة خيبر تعاودنى
فهذا اوان قطعت ابهرى ❁ وقالوا قلوبنا غلف ❁ ذات غلاف كغرض
وانش اى اوعية للعلوم فلا حاجة لنا بعلم محمد ❁ بل لعنهم الله بكفرهم ❁ طردهم من رحمته
بسبب صرفهم القدرة والارادة من الطاعة الى ايثار الكفر فافسدوا الفطرة او هم
جبلة ملعونون من ابن لهم الاستغناء عنك ❁ فقليلا ما يؤمنون ❁ ما مزيدة
لتاكيد معنى القلة وهو ايمانهم ببعض ما فى التورية ولا مجال للمصدرية ويجوز ان
يكون القلة بمعنى العدم لعدم الاعتداد بذلك الايمان وقليلا من صفات الاحيان
❁ ولما جاءهم كتاب من عند الله ❁ اى القران ❁ مصدق لما معهم ❁ من الكتاب ولا يخالفه
فى الاصول ❁ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ❁ يستنصرون به على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى اخر الزمان ويقولون للمشركين قد اظل
زمان من يجد نعته فاذا خرج نقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل كانوا يفتحون على
المشركين ويعرفونهم قرب زمانه والسين للمبالغة كما فى استعجب او سال بعضهم
بعضا وانما صح وقوع الجملة حالا عما قبله ما بين الكتاب والنبى من الاتصال
وجواب لما محذوف لدلالة جواب الثانى عليه او انه تكرير للاول والفاء للدلالة
على ان مجيئه كان عقيب الاستفتاح ❁ فلما جاءهم ما عرفوا به كفروا به حسدا ❁ فلعنة الله
على الكافرين ❁ اى عليهم وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة انما لحقتهم

لكفرهم فاللام للعهد او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا بئس ما اشتروا به انفسهم
ما نكرة موصوفة تمييز فاعل بئس والمخصوص ان يكفروا بما انزل الله والتعبير بالمضارع
استحضار للصورة كما في نظائره واشتروا معناه باعوا او اشتروا ظانين خلاصها
لكونهم موقنين هلاكها لا يشكون فضلا عن الظن بوقوع النقيض بغيا علة اشتروا
والجار والمجرور في محل النصب الا ان يكفروا لان المعنى المسوق له الكلام ذمهم على
ايثار الكفر على الايمان معللا بالحسد لا ذم الكفر المعلل والفصل ليس باجنبي لان المخصوص
فاعل معنى فالصفة والموصوف شيء واحد ان ينزل الله اي حسدوه على ان ينزل
الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء من عباده واقتضت حكمته ارساله وقرا ابن
كثير وابو عمرو ان ينزل الله مخففا فباؤا بغضب عطف على اشتروا والجار والمجرور
في محل النصب على الحال على غضب صفة اي فصاروا احقاء بترادف الغضب لكفر
وحسد او لكفرهم بعيسى ومحمد عليهما السلام وللكافرين عذاب مهين لاستكبارهم عن
اتباع الحق وقيل العذاب المهين للكافرين لان عذاب المؤمن طهره لذنوبه قلت
لا تنافي لقوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله
كله قالوا نؤمن بما انزل علينا وحده ويكفرون بما وراءه عطف على قالوا و
العدول اما للتصوير او للدلالة على الاستمرار بكفرهم الى زمان الاخبار او حال ان
جوز كون المضارع المثبت حالا مع الواو والوراء مصدر في الاصل يشترك
بين الخلف والقدام لان التواري يقع بكل منهما وهو الحق الضمير لما مصدقا
لما معهم حال مؤكدة رد لمقالتهم لان الكفر باحد الكتب كفر بما عداه فهم كافرون
بالتورية قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين بالتورية اذ ليس
فيها جواز قتل مؤمن فضلا عن نبي والحاضرون وان لم يقتلوا الا انهم على دين اباءهم
معتقدون صواب افعالهم مسند فعلهم اليهم ولقد جاءكم موسى بالبينات
المعجزات الظاهرة هي اياته التسع ثم اتخذتم العجل الها من بعده وانتم ظالمون
اي وانتم قوم دابكم الظلم فلا يبعد منكم عبادة العجل اعتراض او حال والغرض منه التوبيخ
اذ عبادة العجل لا يكون الا ظلما واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم
بقوة واسمعوا كرر رفع الطور لما نيط به الزيادة او لان الاول لتذكر النعمة وهذا
احتجاج عليهم في رد دعوى الايمان قالوا سمعنا وعصينا تفصيل لما اجمل هنالك
من قوله ثم توليتم وانتم معرضون واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم يقال سيف
اشرب سما ولون مشرب حمرة والمعنى جعلوا شاربين حب العجل نافذا في
اعماقهم نفوذ الماء فيما يتغلغل وذكر القلب لبيان المحل بعد الاسناد الى الجملة كقوله
انما ياكلون في بطونهم نارا او في الابهام والتفسير والتمكين المستفاد من الظرف
وجعل العجل هو المشرب دون حبه ما لا يخفى من الفخامة قل بئس ما يأمركم به ايمانكم

بالتورية

بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجل وفي اسناد الامر الى ايمانهم واضافته
اليهم تهكم استهزاء ودلالة على ان ايمانا يدعو الى عبادة العجل انما يليق بهم ان كنتم
مؤمنين رفضا وتقديرا قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله كما تزعمون لن
يدخل الجنة الا من كان هودا خالصة نصب على الحال وان لم يجوز الحال عن اسم كان
نعم للتمكين في لكم من دون الناس كلهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في دعواكم
لان من ايقن ان له الجنة ماذا توقفه في دار البلاء والافات ولن يتمنوه ابدا بما
قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تمنوا لشرق
كل يهودي بريقه ولم يبق على وجه الارض يهودي وانما اسند فعل الجملة الى اليد لانها
جناح الانسان ومحل اثار قدرته وبها اكثر اعماله والله عليم بالظالمين اي بهم وصفا لهم
بالظلم في الافتراء على الله تعالى ودعوى ما ليس لهم عنده ولتجدنهم احرص الناس على حيوة
اي حياة متطاولة ولذلك نكره فان لهم تمني الموت ومن الذين اشركوا عطف
على احرص الناس معنى لان تقديره احرص من الناس وانما افرد المشركين بالذكر
لانهم لا يقولون بالمعاد فهم في غاية الحرص على الحيوة فاذا ازداد حرص اليهود الذين يزعمون
ان لهم الجنة من دون الناس فقد ظهر انهم كاذبون في ذلك الزعم احقاء باعظم
التوبيخ ويجوز ان يكون من الذين اشركوا كلاما مبتدا على ان المراد بهم اليهود لقولهم
عزير ابن الله ومن هؤلاء اليهود والناس يود احدهم وعلى الاول استيناف لبيان
زيادة حرصهم لو يعمر الف سنة لو مصدرية مفعول يود والتمني حكاية لودادتهم
وكان القياس لو اعمر وانما عدل عنه لئلا يلتبس في مثل ود زيد لو افعل تمني فعل الحاكي
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه وما احد بمزحزحه
من العذاب تعميره او لما دل عليه ان يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه او مبهم يفسره
ان يعمر والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون وعيد لهم قل من كان عدوا لجبريل
كانت اليهود تزعم ان جبريل عدوهم لانه ملك العذاب اهلك الامم السالفة وان
ميكائيل صديقهم لانه موكل بالامطار والخصب روى الشعبي ان عمر بن الخطاب كان
كثير الدخول مدارس اليهود ويستمع الى التورية فجرى اليهود ان دخل ليلة الى اليهود
فقالوا يوما قد طمعنا فيك يا ابن الخطاب فقال والله ما ازددت بدخولي عليكم الا
بصيرة في امر محمد ثم سالوه عن الملك الذي يجيء بالوحي على محمد فقال جبريل فقالوا
ذاك عدونا لو كان ميكائيل لامنا به فقال عمر كيف منزلتهما عند الله قالوا جبريل
عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال عمر رضي الله عنه ان كان الامر كما تقولون
فهما ليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان
عدوا لهما كان عدوا لله ثم جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقه جبريل بالوحي
قرا حمزة والكسائي جبرئيل كسلسبيل وابن كثير كذلك الا انه حذف الهمزة وابو بكر كذلك

الا انه حذف الياء دون الهمزة والباقون بكسر الجيم والراء وحذف الهمزة
على وزن قنديل وهو المختار لانه لغة الحجاز فانه نزله على قلبك الضمير للقرآن
وان لم يسبق له ذكر كانه علم لفرط شهرته لا يذهب الوهم الى غيره جعل نفيهم
جبريل اياه تنزيلا على قلبه مجازا وفي على دلالة على ان المنزل آخذ بمجامع قلبه
باذن الله بارادته وتيسيره مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
احوال من المفعول وجزاء الشرط محذوف مسبب عن المذكور اي من كان عدوا لجبريل
فلا وجه لعداوته لانه الذي نزل القرآن المصدق لكتابه فهو حقيق بان يصادق
ولا يعادى او من كان عدوا له فلعداوته وجه لانه اتى بما يكرهه ويزيل رياسته وقيل التقدير
من كان عدوا لجبريل فليمت كمدا فانه نزل القران على قلبك من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اي لهم والاظهار
للدلالة على علة المعادات وافراد الملكين لمزيتهما كانهما غير داخلين في الملائكة
وفي الكلام دلالة على ان عداوة كل واحد مما ذكر كفر لارتباط الجزاء به لا بالمجموع
وقرا ابو عمرو وحفص ميكال بحذف الهمزة والياء ونافع بحذف الياء والباقون
باثباتهما والكل لغات ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا
الفاسقون نزل في ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا
باية نعرفها واللام في الفاسقون للجنس اي الكاملون في الفسق والاولى ان يكون
للعهد مشارا بها الى اليهود ليقع الحصر موقعه لان الكلام في عد كفرانهم المتناهية اولا
واخرا فالوصف بالتمرد البالغ بحالهم اوكلما عاهدوا عهدا الواو للعطف على
محذوف اي اكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا اذ لا مجال للعطف على الكلام
السابق نبذه فريق منهم نقضه النبذ طرح الشيء من غير مبالاة وقيده بفريق لان
بعضهم لم ينقضه ودل بكلما على وقوعه منهم كثيرا آخرها نقض قريظة عهد الله صلى
الله عليه وسلم يوم الاحزاب بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية ولا يعدون نقض
العهد ذنبا وفيه دلالة على ان الموفين بالعهد هم الاقلون ولما جاءهم رسول
من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كناية عن الازورار به وعدم الاعتداد باحكامه
عن الثوري ادرجوه في الحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولا حرموا حرامه وقيل
كتاب الله تعالى هو القرآن والنبذ نقض سابقه الاخذ فالمراد الاعراض عنه بعد الزامه
اياهم ولزومهم القبول كانهم لا يعلمون لا يشكون في كونه كتاب الله تعالى ولكن
شبهوا بمن لا يعلم لسلوكهم منهج من يجهل اوكانهم لا يعلمون انهم عالمون من غير شك
وهذا دل على رضائه علمهم المستفاد من الذين اوتوا الكتاب واتبعوا ما تتلوا
الشياطين على ملك سليمن عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا

كتب

كتب السحر التي كانت الشياطين تقرؤنها على عهد سليمان وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون
السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة فدونوها في الكتب وفشا ذلك في زمن سليمان
عليه السلام فنسبوه اليه وقالوا انما سخر الجن بهذا قال ابن عباس رضي الله عنه فجمع سليمان عليه السلام تلك الكتب
ودفنها تحت كرسيه وكان الامر على ذلك حتى مات سليمان عليه السلام والعلماء العارفون حال سليمان عليه السلام
فتمثل شيطان في صورة انسان واتى اليهود فقال اهل ادلكم على كنز علم سليمان فاتى موضع الكرسي فقال احفروا
هذا الموضع فحفروا فوجدوا الصندوق واخرجوه واعتقدوا تاثيره انه علم سليمان عليه السلام وفشا ذلك
فيهم ان سليمان كان ساحرا فرد الله تعالى عليهم بقوله وما كفر سليمان بعمل السحر وانما يكفر الساحر اذا اعتقد
تاثيره مستقلا او اذا انضم اليه ما هو كفر كعبادة الكوكب والا فهو من اكبر الكبائر وان تعلمه فهو كذلك
الا اذا دعت اليه حاجة بان يخشى في ناحية واريد تبيين فساده ورد الخلق الى الحق كتعلم الفلسفة
للذب عن الدين ودفع الشبهة ولكن الشياطين كفروا باعتقاد السحر وعلمه للاغواء والسحر لغة الصرف
حكاه الازهري عن الفراء ويونس ولا يظهر الا على يد فاسق شرير لمزاولته قول او فعل محرم كما ان
لا يظهر الا على يد مؤمن متق وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن مخففا والمعنى واحد يعلمون الناس
السحر اغواء واضلالا وما انزل على الملكين ببابل عطف على السحر كانه نوع اقوى وقيل ما نافية عطف
على ما كفر تكذيب لليهودي في هذه القصة والملكان جبريل وميكائيل وعلى هذا هاروت وماروت
بدل من الشياطين ويرده قول انما نحن فتنة فلا تكفر اذ مثله لا يقوله الشيطان المغوي ببابل ظرف او حال
هاروت وماروت بدل او عطف بيان هما ملكان انزلا ابتلاء للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة ابتلاء واختبار فلا تكفر بتعلمه واعتقاد حقيته فيتعلمون
منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن
الله بارادته وتيسيره والسحر سبب من الاسباب ويتعلمون ما يضرهم لان علمه يجر الى العمل او لان
مجرد علمه لا يترتب عليه فائدة ولا ينفعهم بوجه وما كان ضررا محضا لا يقربه عاقل ولقد علموا
اي اليهود لمن اشتراه استبدل السحر بكتاب الله تعالى ما له في الاخرة من خلاق من نصيب من الخلاقة
وهي الملابسة يقال للمراة الرتقاء الخلقاء اللام الاولى جواب القسم والثانية ابتدائية تعلق العلم
العمل ولبئس ما شروا به انفسهم عطف على جملة القسم وجوابه او على الجواب وعطف الانشاء
على الاخبار شايع كثير لو كانوا يعلمون اثبت لهم اولا العلم على طريق التوكيد ثم نفاه عنهم لعدم
جريهم على موجب العلم ومقتضاه ودلالة على ان من لم يعمل بعلمه كمن لا يعلم فان العلم بالقبح للارتداع عنه
بحيث لا ارتداع لا نفع وما لا نفع فيه كالمعدوم وقيل المثبت اولا العقل الغريزي او العلم الاجمالي
بقبح الفعل وفيه ان الكلام مع علماء اليهود الذين نبذوا الكتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون
مع رضائه علمهم بما فيه ولو انهم امنوا بمحمد عليه السلام وما انزل عليه واتقوا التحريف و
اتباع السحر لمثوبة من عند الله خير اي لاثابهم الله مثوبة والعدول الى المنزل للدلالة على اثبات
المثوبة لهم واستقرارها على تقدير الايمان والتقوى وفي ذكر من عند الله خير تحقير لهم وترغيب
لغيرهم في الايمان والتقوى لو كانوا يعلمون تقدم تحقيقه ويجوز حمل لو على التمني في الموضعين

والمعنى انهم على حال يتلهف انزالها عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
نوع آخر من كفر اليهود وخداعهم وذلك ان المؤمنين كانوا في مجلس التخاطب مع رسول الله عليه
السلام يقولون راعنا يا رسول الله حتى نفهم ما تقوله وكان راعنا كلمة مسبة بالسريانية فتزعوا
يخاطبون به رسول الله عليه السلام فامر المسلمون ان يقولوا ما يؤدي معناه وهو انظرنا من النظرة
بمعنى الانتظار وروي ان سعد بن معاذ قال لهم عليكم لعنة الله لئن سمعتها من احد منكم لاضربن عنقه
فقالوا انكم تقولونها فنزلت واسمعوا كلامه بآذان واعية حتى لا تحتاجوا الى تلك الكلمة او بدلها
او سماع طاعة على انه تعريض باليهود او اسمعوا ما نهيتم عنه او امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى مثله فهو
تاكيد للاول والاول اولى فائدة وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين الود محبة الشيء مع التمني ان ينزل عليكم من خير من ربكم من الاولى للبيان
والثانية لتاكيد الاستغراق والثالثة للابتداء والله يختص برحمته بوحيه ونبوته من يشاء
اختصاصه واقتضت حكمته والله ذو الفضل العظيم حيث يختص فردا من البشر من بني نوعه
بالرسالة التي لا رتبة فوقها بعد الالوهية ولذلك خاطب سيد الرسل تارة بقوله وكان فضل
الله عليك كبيرا واخرى بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما طعن
اليهود ابتغاء القدح في رسالته بالنسخ كانوا يقولون يامر اليوم بحكم وغدا بما ينقضه و
النسخ لغة الازالة والنقل يقال نسخت الشمس الظل ونسخت الكتاب ومنه التناسخ ومناسخات
المواريث وفي الشرع بيان انتهاء حكم شرعي باخر بعارضه وقيل رفع حكم شرعي والمراد رفع تعلقه
والمآل واحد والنسخ قد يكون للفظ والحكم وهو كثير وكذا نسخ الحكم وحده واما نسخ اللفظ دون
المعنى فقليل ومنه الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله قال عمر لولا ان يقول
الناس زاد عمر في كتاب الله لاثبتها في المصحف لئلا يقول احد انا لم نجده في كتاب الله الا
انا قد قراناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم والنساء التاخير في الانزال او الاذهاب
عن القلوب وقرا الكوفيون ونافع وابن عامر بضم النون وكسر السين من الانساء وهو
الاذهاب عن القلب او الامر بتركه قراءة نات بخير منها للمكلف اما في الدنيا ان
كان البدل اخف ويدخل فيه النسخ لا الى بدل او في الاخرى ان كان اثقل او مثلها
اما في الثقل او في الثواب ويشمل النسخ بالوحي المتلو وغيره ويعم النسخ والانساء اذ لا امتناع
في الاتيان بعد الانساء بحكم ما يكون اخف او اكثر ثوابا وقيل الخير في النسخ والمثل في النسي على
طريقة اللف الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فهو مقتدر على النسخ والاتيان بالبدل الم تعلم
ان الله له ملك السموات والارض توضيح للاول او جار مجرى تعليله وما لكم من دون الله من
ولي يتولى اموركم ولا نصير يدفع عنكم اذا اراد بكم سوءا وفيه دلالة على انه المؤثر في الكائنات
من غير واسطة ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام متصلة لان قوله
الم تعلم الى آخره حمل على التقرير معادلة له كانه قيل اتتقون به بعد العلم بما يوجب الوثوق ام لا
وتقترحون كما اقترحت اسلاف اليهود وفيه حمل الوثوق على ابلغ درجة كقوله فهل انتم منتهون

بعد بيان مفاسدهم ويجوز ان يكون منقطعة بان نزلهم منزلة من يريد السؤال بعد بيان
الصارف عنه فانكر عليهم والظاهر ان المخاطب هم المؤمنون كما في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تسألوا عن اشياء ولذلك ذيله بقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل
دلالة على ان اقتراح الايات من شيم الكفار مبالغة في المنع فلا يحوم حول خواطرهم وقيل نزلت
في اهل الكتاب حين سالوه ان ينزل عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين حين قالوا لن
نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
نوع آخر من قبائح اليهود بعد وقعة احد دعا احبار اليهود عمارا وحذيفة الى دينهم حملهم على ذلك
ما وقع في المسلمين من بعض الانكسار حسدا من عند انفسهم اي كائنا منبعثا من اصل نفوسهم
ويجوز ان يكون متعلقا بود على معنى انهم ودوا ذلك من قبل انفسهم لا ميلا عن الحق والاول
هو الوجه لانه اقرب ولان مآل الكلام اليه ولان قوله من بعد ما تبين لهم الحق يغني عنه
فاعفوا تجاوزوا من عفا اثره اذا ذهب اثره واصفحوا اعرضوا ولا تثريبوا من صفح
الوجه وهو جانبه لان المعرض يبدي اولا جانبه فهو ابلغ من العفو حتى ياتي الله بامره الذي هو
قتل قريظة واجلاء النضير ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على الانتقام منهم ولكن اقتضت
حكمته التاخير واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا امرهم بالتقرب اليه ليكون
وسيلة الى دفع مكايدهم وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان تعميم بعد التخصيص تجدوه
عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه منه شيء وقالوا لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت
النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا وانما لف بين القولين ثقة بان السامع
يرد الى كل قائل قوله لا من الالتباس لان كل فرقة تضليل الاخرى وافراد الاسم وجمع الخبر
باعتبار لفظ من ومعناه تلك امانيهم اشارة الى جميع ما تقدم من قوله ما يود الذين كفروا
الى ما في آخر الاية قل هاتوا برهانكم على ما تدعون متصل بقوله لن يدخل الجنة وما بينهما اعتراض
وهات اسم فعل معناه احضر ان كنتم صادقين في جعل الصدق بمنزلة الملزوم لاقامة البرهان
دلالة على ان ما لا دليل عليه لا ثبوت له فان قلت الدليل ملزوم وانتفاؤه لا يوجب
انتفاء المدلول لجواز وجود ملزوم آخر قلت مبنى الكلام على انتفاء الملزومات كلها وعدم
جواز التقليد في العقايد بلى اثبات لما نفوه ثم ابتدأ بقوله من اسلم وجهه لله اي ذاته وهو
محسن مخلص في ايمانه اي من اتصف بهذه الاوصاف كائنا من كان على طريق كلام المصنف
فله اجره عند ربه كاملا من غير نقص ويجوز ان يكون من اسلم جواب سؤال كانه قيل
من يدخلها فقيل من اسلم وقوله فله اجره تتميم زيادة على دخول الجنة ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون عن وقوع مكروه او فوات مطلوب وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي شيء يعتد به في امر الدين لما فرغ من قدحهم
في الاسلام شرع في قدحهم فيما بينهم والظاهر ان المراد نقل مقالتهم وقيل تناظروا عنده

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم وفد نجران وهم يتلون الكتاب الواو للحال والمراد جنس
الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون الجهلة من المشركين والمعطلة مثل قولهم صفة مصدر
اى قولا مثل قولهم والكاف فى كذلك فى محل الحال اى قالت الجهلة مثل ما سمعت منهم او على
ذلك النمط فلفظ المثل وقع على التماثل فى المؤدى والكاف على التوافق فى الصفات ويجوز
ان يكون الكاف مقحمة فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بان يكذبهم ويدخلهم
النار ويوبخهم بما يستحقونه من العذاب فان الحكم بين المختصمين لا يقتضى ان يكون احدهما محقا
ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه اى لا اظلم وان يذكر ثانى مفعولى منع او
مفعول له اى كراهة ان يذكر وحذف ثانى مفعولى منع ليشيع فى الدخول والعمارة ونحوهما
فان قلت كم من ذنب اعظم من المنع المذكور سيما الشرك بالله قلت اذا كان الباعث على المنع
كراهة الذكر يكون المانع كافرا لا محالة والاية واردة لبيان زيادة شناعة حال اهل الكتاب
بانهم مع كونهم تابعين لسائر الاديان مانعون المساجد عن ذكر الله فهم مستغرقون فى الضلال
قولا وفعلا واعتقادا نزلت فى الروم خربوا المسجد الاقصى واحرقوا التورية وقيل فى المشركين
لما صدوا رسول الله عليه السلام عام الحديبية وسعى فى خرابها بتعطيلها عن الذكر او تخريب
بنيانها وانما ترجيح المنع من احد المسجدين بعموم سائر المساجد فى ذلك الحكم لان السبب
لا يخصص اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما كان اللائق بحالهم ان
يدخلوا المساجد الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم لولا ظلمهم وعتوهم او ما كان
لهم فى حكم الله المسطور فى اللوح الا ذلك ففيه وعد للمسلمين بالنصر وقد وقع ذلك بحمد
الله نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبعد نزول قوله انما المشركون نجس الا لا يحجن بعد
هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان واستخلص الفاروق بيت المقدس من ايدى الروم
اولا وصلاح الدين يوسف ثانيا فى خلافة الناصر لدين الله واختلف الائمة فى جواز دخول
الكافر المسجد جوزه ابو حنيفة رحمه الله ومنعه مالك رحمه الله وفرق الشافعى رحمه الله بين المسجد
الحرام وغيره لهم فى الدنيا خزى بالقتل والسبى وضرب الجزية ولهم فى الاخرة عذاب عظيم
لا يحيط بكنهه علم البشر ولله المشرق والمغرب خلقا وملكا استطراد عند ذكر المساجد وتمهيد
لنفى الولد لان مكون الجهات مقدس عن مباد الولد من جنس الوالد فيستحيل ان يأتمه ذو جهة
فاينما تولوا فثم وجه الله الوجه والوجهة كالوزن والزنة مصدران نقلا الى الاسم والعرب
يقول الوجه للقصد قال شعر رب العباد اليه الوجه والعمل والمعنى ففى اى مكان فعلتم التولية
نحو القبلة فهى الجهة التى ارادها وارتضاها ولا يختص عبادته بالمساجد على ما رواه البخارى لى
خاصة جعلت لى الارض مسجدا فاى رجل ادركته الصلوة فليصل حيث كان وعن جابر نزلت
فى سرية صلوا فى ظلمة الليل ثم تبينوا خطأهم وقيل نزلت فى المسافر يصلى النفل حيث توجه
قيل نزلت تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث صلى نحو بيت المقدس مدة فى المدينة وفيه
توطئة لنسخ القبلة وعن ابن عباس رضى الله عنه اول ما نسخ فى القرآن القبلة ان الله واسع

رحمة

رحمة حيث سهل عليكم امر القبلة عليهم عليم بالمصالح وقالوا اتخذ الله ولدا اى اهل الكتاب
والمشركون قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله والمشركون الملائكة بنات الله
وقرأ ابن عامر قالوا بدون الواو وعليه رسم المصحف الشام على انه استئناف كانه قيل هل انقطع
حبل مغرانهم او امنه فقيل بل قالوا اعظم من ذلك او تتمة للاعتراض زيادة لافراطهم فى الظلم
سبحانه تنزيه عما نسب اليه بل له ما فى السموات والارض خلقا وملكا ومن جملته العزير والمسيح
والملائكة كل له قانتون منقادون وما هذا شانه لا يجانس المكون فكيف يكون ولدا وانما
وانما غلب غير اولى العقل ولا تحقير لشانهم لاقتضاء المقام ذلك كما عبر عن الملائكة باسم
الجنة فى قوله واولوا العقل ما انبا اشارة الى ان الجمادات فى الانقياد لمشيئته كانها عقلاء
مميزون ففى مقام كبريائه العقلاء كالجمادات وفى مقام العبودية بالعكس بديع السموات
والارض من اضافة الصفة الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه والابداع ايجاد الشىء دفعة
ومنه البدعة لما لا اصل له فى الدين فهو الصق بالمقام من الصنع والتكوين وامثالهما تنزيه عن
الولد لان الولد جزء من الوالد منفصل منه ومبدع الاشياء منزه عن الانفعال وفيه رد على
النصارى فان من اوجد الاكوان من غير مادة ايجاد مولود من غير اب لا يستبعد منه واذا
قضى امرا اراد تكوينه والتعبير بالقضاء للدلالة على التمام واللزوم فهو اخص من الارادة
فانما يقول له كن فيكون تشبيه الحالة المقصودة من تعلق ارادته بالمكونات وسرعة
ايجاده بلا ريب ولا توقف على اسباب ومواد وروية بامر آمر نافذ التصرف فى المأمور
المطيع الذى لا يتوقف فى الامتثال فاستعمل فيها ما حقه ان يستعمل فى ذلك ولا قول ثمة
ولا امر وقيل بل جرت السنة الالهية بان يكون للشىء بكلمة كن والمأمور هو الحاضر فى العلم
لان وجودات الاشياء فى العلم الازلى يقينيات والمأمور به الدخول فى الوجود بمقتضى
الارادة فى الكلام ترق اذ هذا الشان اقوى فى الابداع من كونه بديع السموات والارض
وقرأ ابن عامر كن فيكون بالنصب على الجواب لفظا وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله
اى المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله طلبوا ان يكلمهم الله كفاحا او ما تاتينا آية
او تاتينا آية لعدم اعتدادهم فى القرآن وسائر المعجزات كذلك قال الذين من قبلهم
من الامم السالفة مثل قولهم مثل قول هؤلاء وقالت اليهود ارنا الله جهرة وقالت النصارى
هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم فى الكفر والعناد
قد بينا الايات لقوم يوقنون ايقانا خاليا عن الكفر لان الايقان المجرد عن الاذعان
والقبول ليس من الايمان فى شىء لقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم انا ارسلناك بالحق
ملتبسا حال مؤكدة لان الارسال من الله تعالى لا يكون الا كذلك بشيرا بالجنة لمن آمن
ونذيرا من النار لمن كفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم لم لم يؤمنوا وعبر باصحاب الجحيم اشارة
الى انهم مخلوقون لها فلذلك لم يجد الانذار وقرأ نافع لا تسأل على الخطاب اما لان حالهم فى
الفظاعة بلغت حدا يوحش السامع او المتكلم من التكلم بها او لما روى القرظى وابن عباس

انه عليه السلام قال ليت شعري ما فعل ابواي اي على ما انتهى امرهما فنزلت والاول هو الوجه لقوله
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اقناط له عن اتباعهم اياه فانه كان يلاطف
معهم رجاء ان يتبعوه او صرحوا بذلك فحكى الله تعالى كلامهم ويؤيده قوله قل ان هدى الله هو الهدى
فانه يقتضي سابقة قول منهم اي دين الاسلام هو الهدى الذي يجب اتباعه لا الهوى تدعون اليه
وعبر عن الاسلام بهدى الله لوقوعه في مقابلة هواهم ولئن اتبعت اهواءهم جمع هوى وهو رأي
تبع الشهوة وميل اللذة بعد الذي جاءك من العلم ببطلان ما هم فيه او من الدين المعلوم صحته
ما لك من الله من ولي يتولى امورك ولا نصير يدفع عقابه عنك الذين آتيناهم الكتاب
المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام يتلونه حق تلاوته من غير تحريف وتبديل بتعريض المحرفين
خبر او حال مقدرة والخبر اولئك يؤمنون بكتابه ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون
في تجارتهم رمزا الى ما ذكر اولا من اشترائهم الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين خاطبهم اولا من بين بني آدم وحثهم على اتباع من جاء
رحمة للعالمين فانقسموا الى مقبل ومعرض ثم خاطبهم ثانيا خطابا شاملا للفريقين تحذيرا للمهتدي
وتحذيرا للمكذب وابى فليس التكرير لمجرد التقرير مع ما فيه من حسن التخلص الى ذكر جدهم قدوة
الموحدين على وجه يؤكد ما ندبوا اليه واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها
عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون تقدم تفسيره وانما ذكر القبول مع العدل والنفع
مع الشفاعة عكس الاول تفننا واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات الابتلاء والبلاء بمعنى الامتحان
يتضمن امرين تعرف ما يجهل من حال الشيء وظهور جودته ورداءته فقد يقصدان وقد يقصد
احدهما والاول محال في حقه تعالى فتعين الثاني وقيل ابتلاه اصابه بالبلاء والمكروه لان التكاليف
شاقة على النفس وهو عائد الى الاول مع استهجان اطلاق لفظ البلاء والمكروه على اوامر الله تعالى
والعامل في اذ اذكروا واذ ابتلاه كان كيت وكيت او قال فيه قال اني جاعلك للناس والكلمات
الاحكام لقوله وصدقت بكلمات ربها عن ابن عباس رضي الله عنه هي عشرة خمسة في الرأس قص
الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمسة في البدن تقليم الاظفار
ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من الفطرة الا ان في روايتها اعفاء اللحية بدل الفرق
وغسل البراجم بدل الختان وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الكلمات انها
ثلاثون سهما من خصال الايمان عشرة في براءة التائبون الى آخر الاية وعشرة في الاحزاب
ان المسلمين الى آخر الصفات وعشرة في اول قد افلح المؤمنون وعن الحسن ابتلاه بالكوكب
والقمر والشمس والهجرة والالقاء في النار وذبح الولد وقيل ابتلاه بالمناسك فاتمهن قام
بها على الوجه الاكمل وابراهيم الذي وفى قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمر عامل اذ
وان جعل هو العامل فالواو داخل عليه وتقدير ام عطف لقصة على القصة المعادة اجمالا بقوله يا بني
اسرائيل اذكروا ويجوز ان يكون بيانا على الوجه الاول فيراد بالكلمات الامور الاربعة وهي الامامة

وتطهير

وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل الكل والامام فعال بمعنى المفعول اسم لمن يؤتم به كالازار
قال ومن ذريتي عطف على الضمير المجرور لان الاضافة اللفظية في تقدير الانفصال اي و
جاعل بعض ذريتي الامامة ايضا اخرجه في صورة الاخبار اهتماما بوقوعه ونفاذا عن صورة الامر
خطابا بالمولى تعالى شانه فهو كعطف التلقين في قولك وزيدا لمن قال سأكرمك بجعل نفسك
نائبا عن المتكلم وفيه من الاختصار والحسن ما يروق كل ناظر وانما لم يسأل للكل ذريته لعلمه بان
بعضهم لا يؤمن قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى سؤاله وابرزها اشارة الى السؤال
بمن التبعيضية اي انما يناله من كان عادلا كقولك لا يرث متي اجنبي لمن قال اوص لبنيك
والاية دلت على ان الظلم الموجود مانع واما ان الطاري يبطل الامامة فلا ولا دلالة
فيه على عصمة الانبياء قبل النبوة لان الفاسق بعد التوبة صالح للامامة واذ جعلنا البيت
علم بالغلبة للكعبة الشريفة مثابة للناس مرجعا من ثاب رجع اي يثوب الزائرون
اليه اما باعيانهم او بامثالهم لان الزائر ربما لا يثوب واللام للجنس او لما يسند اليه لاتحاد
الكل في الاسلام والقصد الى الحج والاعتقاد وقيل للاستغراق والمراد الكل والاشراف
وامنا اي ذا امن او نفس امن وصفا بالمصدر مبالغة والامن للساكن اما في الدنيا فلان
الناس يتخطفون حوله او لان الجاني اذا التجأ اليه لا يتعرض له كما ذهب اليه ابو حنيفة او في الآخرة
لان الحج يجب ما قبله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى خطاب لامة محمد عليه السلام او لامة
ابراهيم عليه السلام بتقدير القول والامر للاستحباب والاثار الاشرف لان الغرض لا يختص
بمكان اجماعا وللحديث المستفيض كما تقدم في قوله فثم وجه الله روى البخاري عن انس بن
مالك عن عمر رضي الله عنهم وافقني ربي في ثلث قلت يا رسول الله لو اتخذنا مقام ابراهيم
مصلى فنزلت وقلت لو امرت نساءك بالحجاب فنزلت آية الحجاب وقلت لنسائه
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا فنزلت ومقام ابراهيم هو الحجر الذي قام عليه حين بنى
البيت فغاصت رجلاه فيه فالمعنى عند مقامه وكان عند الحائط فنقل الى المقام الذي الآن
به لئلا يشق على الطائفين ولما وقع سيل الجحاف وذهب السيل بالمقام الى اسفل مكة سأل
عمر المطلب بن ابي وداعة عن مكانه وكان قد قاس من البيت الى مكانه بخيط مخافة مثله فرده
على المكان الذي الآن به وضرب عليه عمر ستة اشلا لا يصل اليه السيل وقيل مقامه الحرم كله فالامر
بالتوجه اليه لا اتفق عنده اكتفي بالجهة وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بالفتح ماضيا والكسر آكد
وادل على المشروعية وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف في احدى الروايتين وعليه رسم المصحف الشامي
وهو اصله في السريانية والياء بعد التعريب وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين
اي امرناهما امرا مؤكدا بتطهير البيت من الانجاس والاقذار ان مصدرية او مفسرة والعاكفين
المجاورين المقيمين فيه والواقفين فيه للصلوة لقوله والقائمين والمعتكفين وهذا هو الوجه
لشموله اصناف العبادات لما روي ان الله تعالى ينزل فيه كل يوم مائة وعشرين رحمة ستين للطائفين
واربعين للمصلين وعشرين للعاكفين والركع السجود فان قلت تطهير البيت واجب سواء

سواء كان فيه احد المذكورين اولا فما وجه تقييد التطهير بهم قلت وجه الامتنان على هؤلاء بان
مثل ابراهيم في رفع شانه امر بتطهير مكان عبادتهم فان قلت لم لم يعطف السجود على الركع كما عطف
العاكف على الطائف قلت لانهما عبارة عن المصلي لعدم مشروعية الركوع عبادة   واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا اي اهله فان قلت لم جاء في سورة ابراهيم في دعوته هذا
معرفا عكس ما هنا قلت ذلك سابق نزولا اشار به الى الحاضر في الذهن قبل كينونته بلدا وهذا
انما قاله بعد ما صار بلدا فالمسؤول اولا صلاحه للسكنى بالامن في اكثر الاحوال كسائر البلاد و
ثانيا ازالة خوف يعتري البلاد الآمنة او الاستدامة او احدهما امن الدنيا والآخر عن الآخرة
وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر فاس الرزق على الامامة   قال ومن
كفر عطف على من آمن عطف تلقين كانه قال قل ومن كفر فانك مجاب وليس شان الرزق
شان الامامة ويجوز عطفه على مقدر اي ارزق من آمن ومن كفر بلفظ الخبر وان يكون من كفر
مبتدأ فامتعه خبره اي فانا امتعه   قليلا   والفاء لما في المبتدا من معنى الشرط والكفر سبب
لقلة التمتيع وقرأ نافع وابن عامر فامتعه من امتعه والتشديد ابلغ واشهر   ثم اضطره
الى عذاب النار   الزه اليه لا يجد الى غيره سبيلا وثم للتراخي رتبة اذ لا فاصل بين زوال
التمتع ودخول النار لان قبر الكافر حفرة من حفر النيران   وبئس المصير   المخصوص محذوف
اي النار ومصيرهم   واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل   انزل الله لآدم البيت
المعمور ياقوتة حمراء الى موضع البيت وحج اليه آدم من الهند اربعين حجة وكان باقيا الى
زمن الطوفان فرفع وكان مكانه رابية يذهب السيل من حواليه الى ان امر الله تعالى ابراهيم
ببناء بيت على تلك الرابية والمضارع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس
جرت مجرى الاسماء ومعنى رفع الاساس رفع البناء عليه من باب جرى النهر وجمع باعتبار
الاجزاء كان كل جزء اسس او سافات البناء من الحجر والطين لانه اذا وضع سافا فوق ساف
فقد رفع البناء وانما لم يضف القواعد الى البيت مع كونه اخصر ايثارا للابهام والتفسير تفخيما
لشان المبين روى الترمذي والنسائي ان البناء لما ارتفع الى موضع الحجر جاء جبرائيل
بالحجر الاسود وهو اشد بياضا من الثلج فسودته خطايا بني آدم وانما اخر ذكر اسمعيل عن رفع القواعد
لانه كان معينا وابراهيم هو الباني   ربنا تقبل منا   بتقدير القول   انك انت السميع   لدعائنا
العليم   بنياتنا   ربنا واجعلنا مسلمين لك   مخلصين او منقادين من اسلم انقاد والمعنى
زدنا اخلاصا وانقيادا   ومن ذريتنا امة مسلمة لك   بعض ذريتنا ويجوز ان يكون من
بيانا وانما دعوا للذرية لانهم احق بالشفقة واولى بالرعاية الا ترى الى قوله قوا انفسكم
واهليكم نارا وقيل اراد امة محمد عليه السلام   وارنا مناسكنا   متعبداتنا النسك في الاصل
غاية العبادة ثم غلب على اعمال الحج وقرأ ابن كثير وابو عمرو في رواية السوسي بسكون الراء
لثقل الكسرة على الراء والدوري عنه باختلاس الكسرة جمعا بين التخفيف وابقاء الحركة
لانها حركة الهمزة المنقولة وهذا هو المختار للتوسط   وتب علينا   ما فرط منا او استتابة

لذريتها

لذريتها   انك انت التواب   قابل التوبة   الرحيم   تبدل سيئات التائب حسنات
ربنا وابعث فيهم   في الامة   رسولا منهم   من قومهم هو رسول الله اذ لم يبعث من ذريتهما
اسمعيل نبي غيره روى الامام احمد عن عرباض بن سارية وابي امامة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي رأت انه خرج منها نور
اضاء لها قصور شام وكان في ذلك اشارة الى بقاء شرعه بالشام الى آخر الدهر ولذلك
هناك ينزل عيسى عليه السلام ويهلك الدجال   يتلوا عليهم آياتك   دلائل وحدانيتك و
كمال ذاتك وصفاتك   ويعلمهم الكتاب   القرآن   والحكمة   المعارف اصولا وفروعا و
انما اخر في الاية التلاوة اشارة الى ظهورها وانها غنية عن التفهيم   ويزكيهم   تطهرهم عن ادناس
الشرك والمعاصي او يوم القيامة حين يشهدون على الامم   انك انت العزيز   الغالب لا يعجزك
مراد   الحكيم   الذي لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة   ومن يرغب عن ملة ابراهيم   انكار لان يكون
عاقل راغبا عن ملة ابراهيم لانها في الحسن واضح والملة من املت الكتاب جمعته واملت
الطريق سلكته يرادف الدين والشريعة واكثر ما تستعمل في الاصول ولذلك يقال ملة الانبياء
واحدة ولا تضاف الى الله تعالى فلا يقال ملة الله بخلاف الشرع والدين   الا من سفه نفسه
بدل لان من يرغب غير موجب ويجوز النصب اي استخفها واذلها وامتهنها وفي الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل تمييز وان كان معرفة على الشذوذ كغبن رايه وقول
نابغة الذبياني اجب الظهر ليس له سنام او بنزع الخافض وعن الزجاج ضمن بمعنى جهل والمعنى
لا يرغب عن ملته الا من جهل نفسه وهو معنى حسن لدلالته على جلاء ملته ووضوح حسنها فلا يحوج
القول بان الجاهل ضد يعزو   ولقد اصطفيناه في الدنيا   بالرسالة جواب قسم محذوف
وانه في الآخرة لمن الصالحين   مندرجا في زمرتهم والصلاح وصف جامع لمعنى الاستقامة
مع الله وعباده وقيل انما وصف بالصلاح ترغيبا فيه لانه مما يوصف به مثله ومن كان حاله
في الدارين هذا فالراغب عن طريقته سفيه   اذ قال له ربه اسلم   ظرف للاصطفاء اراد انه منذ
تميز كان مصطفى من حداثة سنه الى ان فارق الدنيا او اسلم ازدد اخلاصا كقوله يا ايها النبي
اتق الله او نصب باذكر اي اذكر ذلك الوقت وجوابه ليظهر انه المصطفى الذي لا يرغب
عن ملته ويجوز ان يكون متعلقا بقال وعدم العاطف للدلالة على مبادرته كانه مع الامر
قال اسلمت لرب العالمين   دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر
فنزلت   ووصى بها ابراهيم بنيه   عطف قصة على قصة اخرى والضمير للملة او عطف على
قال اسلمت باعتبار الكلمة والمعنى وصى بنيه بان يقول كل منهم اسلمت والاول هو الوجه و
لذلك اتى بالمظهر وعطف عليه يعقوب والتوصية التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح واصلها
الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله وقرأ نافع وابن عامر اوصى وعليه رسم مصحف
الشام والمدينة والتشديد ابلغ   ويعقوب   عطف على ابراهيم اي وصى هو ايضا بنيه   يا بني
بتقدير القول عند البصرية وعند الكوفيين متعلق بوصى لانه في معنى القول   ان الله اصطفى

ثم الدين اى وفقكم للاخذ بصفوة الاديان وهو الكلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون
النهي راجع الى القيد لان الموت لا اختيار فيه والمعنى لا يكن حدوث الموت الضروري الا في
حال اسلامكم كقولك للمبتدئ في صلاته لا تصل الا وانت خاشع اشارة الى ان الصلوة بلا خشوع
كلا صلوة ومعناه ان الموت على غير الاسلام موت لا خير فيه ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت ام منقطعة للاضراب عن الكلام الاول والاخذ فيما سواه والخطاب للمؤمنين و
ذلك لانه لما حث على اتباع ملة ابراهيم وبين حاله وحال يعقوب في التوحيد والاهتمام بانكم
ان يكونوا شاهدين لتلك الاحوال وانما حصل لهم العلم بها سماعا ممن لا ينطق عن الهوى فكان
حقيقا بالاتباع او لليهود حيث زعموا انه لم يمت نبي الا على اليهودية على ان الاستفهام للتقرير
اى اسلافكم كانوا حاضرين حين وصى يعقوب بنيه بالتوحيد وقد تواتر ذلك بينكم فكيف
تدعون عليه اليهودية او على ان الانكار قدم عند قوله ما تعبدون من بعدي وقوله قالوا
نعبد بيان لفساد دعويهم ويجوز ان يكون ام متصلة اى اتدعون على الانبياء اليهودية
او على ان الانكار قد تم عنده قوله ام كان اسلافكم حاضرين وصية بنيه والغرض تبكيتهم
لاعترافهم بالحق اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي بعد موتي ما عام في العقلاء و
وغيرهم عند الابهام سواء كان للاستفهام او غيره فاذا علم الشيء خص من بذوي العلم
وما بغيرهم ويجوز ان يحمل ما في الاية على الصفة اى ما نعت ما تعبدون قالوا نعبد
الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق عد اسمعيل من الاباء تغليبا وفي الحديث
عم المرء صنو ابيه اى عديله وقائم مقامه عند فقده الها واحدا بدل من الهك لكونه
موصوفا مثل ناصية كاذبة خاطئة وفائدته دفع توهم التعدد الناشي من العطف كما في غلامك
وغلام زيد ويجوز نصبه على الاختصاص ونحن له مسلمون منقادون حال من الفاعل
او المفعول او عطف على نعبد والعدول الى الاسمية افادة لكلا نوعي الاستمرار او اعتراض
يؤكد امر العباد تلك امة المذكورون آنفا قد خلت لها ما كسبت من التوحيد والاعمال
ولكم ما كسبتم لا يتجاوزكم وفي الحديث آدم من تراب والناس من آدم لا فضل للعربي على
عجمي ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ولا تسألون انتم عما كانوا يعملون فضلا عن المؤاخذة
باعمالكم وقالوا كونوا هودا او نصارى او للتنويع اى قالت اليهود كونوا هودا وقالت
النصارى كونوا نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم اى بل نكون ملة ابراهيم اى اهل ملته
او نتبع ملته حنيفا مائلا من الباطل الى الحق قال حنيفا دينا عن كل دين والحنف [illegible]
مثل في اليدين والرجلين وانتصابه على الحال من المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا وانما يحسن اذا جاز وقوعه موقع المضاف كما في المثالين
بخلاف قولك ضربت غلام هند جالسة والعامل فيه هو العامل في المضاف وما كان من المشركين
تعريض لمن يدعي انه على ملته وهو مشرك كاليهود والنصارى وعبدة الاوثان قولوا
آمنا بالله الخطاب للمؤمنين بمنزلة البدل والبيان لقوله تعالى قل بل ملة ابراهيم لان المراد

به هود امته والاولى ان يكون لاهل الكتاب القائلين كونوا هودا او نصارى ليتلائم الكلام
كانه قيل في جوابهم اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا اى القرآن لانهم امة
الدعوة اولان النبي هو القائل فحكى الله تعالى كلامه ولو حكى كلامهم لقيل وما انزل اليكم وما انزل
الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان نزلت على ابراهيم الا ان
اولاده واحفاده كانوا متعبدين بها كتعبدنا بالقرآن والاسباط جمع سبط وهو ولد الولد و
اصله الاسترسال والامتداد قال الشاعر وجادت بسبط العظام كانما عمامة فوق الرجال
لواء سمي به لحافده لانه امتداد في الفروع وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل غير الاسلوب
ايماء الى عظم شان الكتابين ولم يعد الموصول مع عيسى لان اكثر احكامه بالتورية فكانما اوتي
موسى اوتيه ايضا وما اوتي النبيون المذكورون وغيرهم والنزول لا يكون الا من فوق
فيستعمل بعلى وبالى لملاحظة معنى الوصول من ربهم لا نفرق بين احد منهم في النبوة وان تفاوتوا
رتبة وانما دخل بين على احد لانه اسم لمن يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع وليس ذلك
لوقوعه في سياق النفي الا يرى الى عدم استقامة قولك لا نفرق بين رسول ونحن له مسلمون
منقادون بالجوارح والاعمال فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا بنى الكلام على الفرض تبكيتا
لان دين الحق واحد لا مثل له فاذا رجعوا الى انفسهم هجم بهم الكفر الى ان ذلك منحصر فيما آمن به
المؤمنون وقيل الباء للاستعانة اى اوجدوا الايمان واحدثوه بواسطة شهادة مثل شهادتكم
قولا او اعتقادا وقد يقال بزيادة الباء والمثل على ان ما مصدرية فان قلت اذا كان الخطاب
في قوله قولوا آمنا لاهل الكتاب فما وجه قوله فان آمنوا بمثل ما آمنت به انت واصحابك فقد
اهتدوا وان تولوا اعرضوا عما عرضت عليهم فانما هم في شقاق ما هم الا في شق والايمان
في شق آخر وليسوا من طلب الحق في شيء فسيكفيكهم الله امرهم لا محالة وان تاخر وهو السميع
العليم بجميع اقوالكم ويعلم نياتكم وعد ووعيد صبغة الله مصدر مؤكد لنفسه لكونه مضمون
جملة لا تحتمل لها غيره وهي آمنا اى طهرنا الله تطهيرا لا مثل تطهيركم كانت النصارى تغمس
الاولاد في المعمودية ويقولون الآن صار نصرانيا حقا وهي ماء اصفر فاطلاق الصبغ على
طريقة المشاكلة الحالية واختصاصه بالنصارى مع ان الخطاب لهم ولليهود لوقوعه بينهم او
الاستعارة لان الايمان حلية المؤمن او لظهور اثره عليه ظهور الصبغ على المصبوغ او لانه
اشرب قلبه اشراب الصبغ الثوب او امر المسلمين ان يقولوا لهم آمنا بالله وصبغنا ومن
احسن من الله صبغة لا احسن منه لانه يصبغ بالايمان الذي لا ينمحي اثره سرمدا ونحن له عابدون
عطف على آمنا ومن جعل صبغة الله نصبا على البدل من ملة ابراهيم او على الاغراء اى الزموا
صبغة الله جعله اعتراضا تعريضا بمن اشرك في عبادته لئلا يقع الفصل بين المعطوف و
المعطوف عليه بالاجنبي والعطف على فعل الاغراء بتقدير القول اى الزموا وقولوا نحن له
عابدون تكلف واضمار بلا دليل قل اتحاجوننا في الله في شانه واتخاذه نبيا من العرب
كانوا يزعمون ان ابراهيم سال الله تعالى ان يكون النبوة لاولاده في اولاد اسحق والملك

في اولاد اسمعيل وهو ربنا وربكم الكل في ذلك سواء ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فقد
استوينا فطرة والكسب بالعلم بين الافضل الله ورحمة لمن يشاء من عباده ونحن له مخلصون
الايمان والطاعة دونكم فنحن اولى واكثر قابلية والاخلاص افراد الشيء عما يشوبه والمراد العمل
لوجه الله ولقد روعي في الفواصل اسلوب الترقي ذكر اولا الاسلام وثانيا العبادة وثالثا
الاخلاص ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
اضراب عن الخطاب في اتحاجوننا وام منقطعة لانكار هذا القول عليهم وقرا حمزة وابن عامر
والكسائي وحفص بالخطاب على ان متصلة معادلة لهمزة اتحاجوننا وهذا ابلغ لدلالته على ان
كل واحد من الامرين منكر فكيف وقد اجتمعا كقولك لمن اخطا رايا ومثالا الله يبركك ام
تقديرك وكذا ان جعلت منقطعة قل ءانتم اعلم ام الله وقد برأهم مما تنسبون اليهم ومن
اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله الظرفان مستقران صفتا شهادة والمعنى لا اظلم من اهل
الكتاب حيث كتموا شهادة الله لابراهيم بالحنيفية في التورية والانجيل فقد ضموا الى الكتمان
التكذيب وفيه تقرير لما انكر عليهم من الادعاء وتعريض بهم في كتمانهم شهادة الله لمحمد في
كتبهم او المعنى لو كتمنا معشر المسلمين شهادة الله لكنا اظلم الناس والماضي في الاول على
اصله وفي الثاني للتعريض كما في لئن اشركت وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم تلك امة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون خطاب للمؤمنين
تحذيرا عن التاسي بهم كرره للتاكيد والتقرير وخاتمة للشروع في شرع اخر وقيل الاول
اريد به الانبياء والثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الخفاف
الاحلام المتهالكون في التقليد وهم اليهود لانهم كانوا يهودون موافقته او المنافقون
لانهم وجدوا موضع الطعن او المشركون قالوا سيعود الى دين اباءه كما رجع الى القبلة
وانما اخبر به قبل الوقوع ليتوطن نفسه وتلقي المكروه بعد رجب ويستحضر الجواب قبل الحاجة
ليكون اثبت عند الحجاج وفي المثل قبل الرمي يراش السهم ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
اي شيء صرفهم عن بيت المقدس والقبلة الجهة التي يقبل اليها الانسان غلب على الجهة التي يتوجه
اليها المصلي او المكان قل لله المشرق والمغرب فاي مكان وجهة شرعه كان قبلة لان مدار
حسن الاشياء وقبحها امره ونهيه يهدي من يشاء الى صراط مستقيم الى ما اقتضته حكمته ومنه
التوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي جعلناكم
امة وسطا بهذا الجعل البديع الذي تشهدونه فالاشارة الى الجعل المدلول عليه بالفعل والكاف
مقحمة تفخيما ولذلك اكده بما وضع للبعد من الاشارة وقيل المعنى على التشبيه اي كما جعلناكم مهديين
جعلنا قبلتكم اشرف القبل والوسط مركز الدائرة وبالسكون لما بين الاطراف من الاماكن المبهمة
ولذلك تقول جلست في وسط الدار في الاول وجلست وسطه في الثاني ثم اطلق على كل حسن
لكونه بين الافراط والتفريط حتى صار مثل خير الامور الوسط والمفرد والجمع فيه سواء اي جعلناكم
خيارا وعدولا لان الوسط عدل لتساوي نسبة الاطراف اليه لتكونوا شهداء على

الناس

على الناس يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا روى البخاري وغيره ان الامم المكذبة
تنكر تبليغ الرسل فيستشهد الرسل بامة محمد عليه السلام فيقول الامم من اين علمتم وانتم لم تكونوا
موجودين فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه المنزل على نبينا فيؤتى برسول الله صلعم
لهم فيشهد بصدقهم وانما عدي الشهادة بعلى مع انها لهم لا عليهم لتضمن معنى المراقبة او التسلط
كون المزكي حسب الحال التزكي وفي ذلك غاية مدح لهم وقدمت الصلة لاختصاص شهادته بهم
ولا يقدح في ذلك كونه شاهدا للرسل ايضا لان هذه تزكية وتلك شهادة بتبليغ على ان
الحصر اضافي لان التقابل بين الامم لا بين امته والرسل وما جعلنا القبلة التي كنت عليها
اي الجهة التي كنت عليها ثاني مفعولي جعل وهي الكعبة فانه كان قبل الهجرة يستقبلها او بيت
المقدس لانه توجه اليها بعد الهجرة ستة عشر شهرا فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني
المنسوخ الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اي ما رددناك الى قبلتك
الاولى الا امتحانا وتمييزا بين الصادق في اسلامه الثابت وبين الناكص المتزلزل
او ما جعلنا بيت المقدس قبلتك الا لامر عارض وهو الامتحان والا فاصل شانك
ان يكون الكعبة قبلتك لانها اشرف الاماكن وانت اشرف الرسل وبناها جدك
وقبلت وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل البيت
بينه وبين بيت المقدس وانما قال لنعلم ولم يزل عالما اراده علم يتعلق به الجزاء او ارادة علم
الرسول والمؤمنين اسنده الى ذاته تجوزا لانهم خواصه واهل الزلفى عنده او اراد التمييز
لان العلم سببه او هو من باب التمثيل مصورا حاله بحال من يريد ان يعلم وان كانت لكبيرة
التحويلة او الجعلة ان مخففة واللام هي الفارقة وقيل اللام عوض عن اسمها او فارقة بين
بينها وبين المشددة وهو سهو وكذا جعل الضمير للصلوة الا على الذين هدى الله الى الصواب
وما كان الله ليضيع ايمانكم صلوتكم قبل تحويل القبلة روى البخاري عن البراء انه لما وجه الى الكعبة
باخواننا الذين ماتوا قبل التحويل فنزلت وقيل ثباتكم وعدم تزلزلكم ان الله بالناس
لرءوف رحيم الرءوف شديد الرحمة فذكرها بعده للتتميم وقيل للفواصل وفيه انه مطرد حيث
وقع وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر بالقصر على انه صفة مشبهة وهو ابلغ لدلالته على
اللزوم قد نرى تقلب وجهك في السماء ترددها في جهة السماء تطلعا للوحي كان
يتوقع ان توجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى للعرب الى الاتباع ولمخالفة اليهود واتباعه ايام
فلنولينك قبلة ترضاها نجعلنك واليا تمكنك من استقبالها او تلي سمتها دون سمت بيت
المقدس فول وجهك شطر المسجد الحرام الشطر في الاصل لما انفصل من الشيء والكثير يستعمل في النصف
كما في الحديث الطهور شطر الايمان فقعد احدكم شطر دبره الا تقبلي وليس في ذكر المسجد دلالة على ان الجهة
كافية للبعيد كما ذهب اليه ابو حنيفة ومالك وان في احد قوليه رحمهم الله تعالى لانهم لا يريدون ان
المسجد الحرام بل دل على خلافه لان مستقبل المسجد مستقبل للكعبة كالخطوط المستقيمة من محيط الدائرة
الى المركز وان كانت اوسع دائرة بقصور والتكليف بحسب الامكان فان امكن اصابة العين تعينت

كداخل المسجد فذاك وان قطنا وخرج في ذلك فلابد والتوجه الى اطراف الدائرة ولا العقل المستطيل
لانه لا طائق لا اصابة او لا فعلى الاول يجب وعلى الثاني لم يات بما كلف به روى البخاري ومسلم عن
ابن عمر وبينا الناس يصلون صلوة الصبح في مسجد قبا اذ جاء رجل فقال ان رسول الله انزل عليه القران
بالتوجه الى الكعبة وكانوا في الركوع فداروا كما هم قبل البيت وما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان في الصلوة فهو سهو ويستدل به على قبول خبر الواحد. وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خصه
بالذكر قضاء لوطره ثم عمم لئلا يظن انه من خواص البلد او من خواصه دون امته. وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم. لانه في الكتب انه ان المبشر به يصلي الى القبلتين
او لعلمهم بان عادة الله تخصيص كل شريعة بقبلة اذ لا دليل على ذلك كيف والقبلة منحصرة في
الكعبة وبيت المقدس في الشرايع كلها. وما الله بغافل عما تعملون. وعيد لاهل الكتاب وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي بالخطاب للمؤمنين والغيبة احسن لان الكلام في معاندة اهل الكتاب بعد علمهم. ولئن
اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية. اى قاطعة لعدم ايمانهم واشارة الى انهم الذين طبع الله على قلوبهم
ما تبعوا قبلتك. جواب القسم المحذوف الدال عليه اللام الموطئة وساد مسد جواب الشرط
ايضا. وما انت بتابع قبلتهم. عطف على القسمية لا على الجواب وايثار الاسمية للدوام قطع
لاطماعهم فان اليهود اذا ... لو ثبت على قبلة كنا نرجو ان يكون الموعود المبشر به
وما بعضهم بتابع قبلة بعض اى اهل الكتاب يخالف بعضهم بعضا في القبلة ايضا فان اليهود
يصلي الى الغرب والنصارى الى الشرق. ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم
كلام وارد على سبيل الفرض بعد ما اخبر بكونه غير تابع لهم حسما لمادة اطماعهم مع الاشارة الى انّ
حال المخالف لاتباعه هواه وفيه مبالغة من نيف وعشرة اوجه. انك اذا لمن الظالمين
الداخلين في زمرتهم الموسومين بسمتهم. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم متصل بقوله وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق
من ربهم ولا اجنبيا وعلمهم بهذا العلم بانه يصلي الى القبلتين وقيل الضمير للتحويل او القران او العلم
ويؤيد الاول ما روي ان عبد الله بن سلام قال لعمر انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك
فيه وابني ربما خانت امه فقبل عمر رأسه فان قلت طريقة التشبيه يدل على ان معرفتهم بالابناء اقوى
فما وجه قول عبد الله قلت اراد عبد الله ان بنوته قطعية والولد للفراش وما في الآية
بالنظر الى الظاهر فان كونه ابنا له مشاهد والبنوة نظرية. وان فريقا منهم ليكتمون الحق
التقييد للعارفين قسمتهم الى متعنتين ومعاند فدل على ان المعرفة ليس بايمان. وهم يعلمون تأكيد
للذم لان الجاهل ربما يعذر. الحق خبر مبتدا او من ربك خبره واللام للعهد اشارة الى ما جاء
رسول الله او الى الذي يكتمونه واللام للجنس كما في الحمد لله. فلا تكونن من الممترين. الخطاب عام
او للرسول او المراد امته اشارة الى ان من كان مؤمنا به لا تراوده كالمتراءى او المراد تثبيته
على اليقين. ولكل وجهة هو موليها. الضمير لكل والمفعول محذوف اي وجهه او لله والمحذوف
ضمير لكل اي الله موليها اياه والمعنى لكل امة من الملل جهة يتوجهون اليها او لكل احد منكم يا امة محمد

جهة يتوجه اليها من شمال وجنوب وغيرهما وقرا ابن عامر موليها بفتح اللام فالضمير لكل لا غير
فاستبقوا الخيرات. كلها من امر القبلة وغيره وقيل امروا بالتسابق الى الجهات الفاضلة
وهي السابقة للكعبة واذا امر والسبق بعضهم بعضا فسبق غيرهم اولى. اينما تكونوا يأت
بكم الله جميعا. يا اهل الاديان او يا امة محمد والاول اوجه لان الكلام في اهل الملل واختلافهم
على منوال قوله ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا. ان الله على كل شيء قدير. فهو قادر على
الاتيان بكم بعد الشتات وتفرق الاجزاء. ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
فولوا وجوهكم شطره. ذكر الامر لتولية ثلث مرات لان امر القبلة من عظائم الامور
ومظان الاشتباه فهو حقيق بالتقرير والتحرير اثر تقرير وتحرير ولانه نيط بكل امر نيط بالآخر ففي
الاول تكريم الرسول بالاجابة الى مبتغاه مع ما فيه وجوبه على كل ملل مع التصريح بسفه اليهود
وفي الثاني بيان حكم السفر حيث كان لئلا يظن اختصاصه بالمدينة او بالمقيمين وخصه
بالخطاب لانه سيد القوم وامام الكل واردفه بوعيد المخالف وفي الثالث تشريف
امته بالخطاب مؤكدا فيه وجوب التمسك ببيان حكمة الحكم بقوله لئلا يكون للناس عليكم
حجة. لليهود حيث كان في كتابهم انه يصلي الى القبلتين او للمشركين حيث قالوا ما له ترك
قبلة ابيه ابراهيم. الا الذين ظلموا منهم. بدل ويجوز نصبه اي الا المعاندون فانهم يأتون على
حجتهم يقولون ما توجه الى الكعبة الا حبا لوطنه وانما سمى الشبهة الواهية حجة لانهم يسوقونها
مساق الحجة كقوله حجتهم داحضة والاستثناء من قبيل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب. فلا تخشوهم. لانهم على الباطل. واخشوني في مخالفة امري ولاتم نعمتي
عليكم ولعلكم تهتدون. متعلق اللام محذوف اي لاتمام النعمة عليكم وارادة اهتدائكم امرتكم
بذلك او عطف على مقدر كانه قيل اخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وانما حذف المعطوف
عليه اختصارا او دلالة على ان العلة غير واحدة وتمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه
الموت على الاسلام وقيل عطف على لئلا يكون وقوله فلا تخشوهم وما عطف عليه جار مجرى الاعتراض
وهو بعيد لا سيما اذا فسر تمام النعمة بالموت على الاسلام. كما ارسلنا فيكم رسولا. في محل المصدر اما متعلق
بما قبله اي لاتم نعمتي عليكم في الآخرة كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او امرتكم بالتوجه او بقوله
فاذكروني والفاء تخللت بين العامل والمعمول كما في وربك فكبر. منكم. من جلدتكم تعرفون نسبه
وحسبه. يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم. يحملكم على محاسن الاخلاق قدمه على تعليم الكتاب والحكمة لانه
المقصود وفيه تنشيط للنبي بطلب رفع دعوة ابراهيم حتى نظر الى الوجود. ويعلمكم الكتاب والحكمة
علم الشرائع. ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون. لولا الوحي من الاخبار بالمغيبات واحوال المعاد
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالمغفرة والثواب وروى البخاري عن انس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى يا ابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك
في نفسي وان ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وان دنوت مني شبرا دنوت
منك باعا وان اتيتني تمشي اتيتك هرولة. واشكروا لي. نعمتي عداه باللام لتضمين

معنى الاخلاص ولا تكفرون بالجحد والعصيان تصريح بما علم ضمنا يا ايها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر والصلوة بعد الامر بجملة من التكاليف ودلهم على ما يتوسلون به اليها
وهو الصبر والصلوة التي هي المناجاة مع من هو غاية الغايات ونهاية الطلبات والمطالب
ان يراد بالصبر الصوم لانقطاع النفس عن الشهوات الشاغلة عن التوجه الى جناب
القدس ان الله مع الصابرين بالحفظ والاعانة تسهيل الامور وتنشيط للطالب ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي بل هم احياء اضراب عن نهيهم الى الاخبار
بهذا وليس معطوفا على اموات عطف مفرد او جملة بتقدير هم اموات لعدم كونه مقولا لهم
ولكن لا تشعرون بحياتهم نزلت في شهداء بدر وقيل شهداء بئر معونة والمراد بالحياة
بالابدان لان الروحانية مشتركة بين المؤمنين قاطبة ولذلك قيده بالرزق في
ولما روى مسلم ان ارواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ولا دلالة في
قوله لا تشعرون على ان الحياة ليست بالجسد بل على الحاس ادل اذ الشعور علم يستند
الى الحواس ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ولنعاملنكم معاملة المختبر وذكر الشيء
للدلالة على ان ما يصيب المؤمن نزر بالنظر الى ما يدفع الله واخبره قبل الوقوع ليوطنوا
انفسهم عليه ليهون عند الوقوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء
او على الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام رمضان والنقص
من الاموال الزكوة ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وفي كون الخوف خوف الله
وعده من المصائب نظر وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون عطف على الجملة القسمية لا على جوابها ازاح حرارة المصائب بلذة البشارة والخطاب
عام وذكر مصيبة لتوافق تنكير شيء ويدل على ان الجزاء المذكور بعده مترتب على ادناها روي
ان سراج رسول الله طفي فاسترجع فقيل امصيبة هي فقال نعم كل شيء يؤذي المؤمن مصيبة
روى مسلم عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يصيبه مصيبة فيقول
انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله تعالى خيرا منها
فلما مات ابو سلمة قلت من اي لي خير من ابي سلمة ثم قلتها فاخلف الله خيرا منه رسول الله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة مبتدأ وخبر والجملة مستانفة دالة على المبشر به والصلوة
من الله تعالى الرأفة والعطف كانه قيل عليهم من الله رأفة ورحمة والتنكير للتفخيم والجمع للدلالة
على التكثير كالتثنية في لبيك وحاصل البشارة باتصال المبار على التوالي ودفع الضرار اسباب
الملال واولئك هم المهتدون الى طريق الصواب سبق به حالهم ان الصفا والمروة
جبلان معروفان واصل الصفا الصخرة الملساء من الصفوة وهي الخلوص والمروة الحجر البراق
الذي يقدح منه من شعائر الله من مناسكه جمع شعيرة من الشعور بمعنى العلامة واضافتها
الى الله تعالى لانها اعلام مواضع عبادته واذا اضيفت الى الشرع اريد بها العلامة كالاذان والاقامة
فمن حج البيت قصده او اعتمر زاره كانه ماخوذ من العمارة فلا جناح عليه ان يطوف بهما

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ان الانصار كانوا يهلون قبل الاسلام لمناة صنم
لهم بالمشلل وكانوا يتحرجون من الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله وعن ابن عباس
ان اساف ونائلة رجل وامراة زنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين فوضع احدهما على الصفا والاخر
على المروة فكره المسلمون الطواف بينهما لذلك فنزلت فعند الشافعي ورواية عن احمد و
المشهور عن مالك رحمهم الله انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله تعالى كتب عليكم السعي
وعند ابي حنيفة رحمه الله واجب لان رفع الجناح اعم من الوجوب وخبر الواحد لا يثبت الركن
ولا في قراءة ابن مسعود ان لا يطوف زائدة جمعا بين الآية والحديث ومن تطوع خيرا
اي طاعة ما ترغيب في الطاعات كلها فهو خير له وقرا حمزة والكسائي يطوع بالياء والغيبة
مضارع تطوع ادغمت التاء في الطاء والماضي خفف فان الله شاكر عليم كامل
العلم ترغيب في الاخلاص وترهيب عن الرياء ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى نزلت في احبار اليهود لما حرفوا وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والآيات الدالة على نبوته من بعد ما بيناه لخصناه للناس كافة بحيث لم يبق
فيها اشتباه في الكتاب في التوراة او القرآن اولئك يلعنهم الله لعنهم والمضارع
للتصوير لم يدخل الفاء في اولئك ليدل على ان لعنهم ليس لهذا السبب وحده بل لآثام
جمة ويلعنهم اللاعنون كل من يتاتى منه اللعنة من الملائكة والثقلين الا الذين
تابوا ندموا على ما فعلوا واصلحوا ما افسدوه وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا
التواب الرحيم اي بينوا للناس ما كتموه فانه من تمام توبتهم او اظهروا توبتهم ليمحوا سمة
الكفر عنهم ويقتدي بهم غيرهم من اضرابهم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار من الكاتمين
وغيرهم او منهم على ان الموصول معهود لان الكلام فيهم اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لعنهم احياء وامواتا وآثر في الاول المضارعية وفي الثاني الاسمية لان امور
الدنيا على التجدد والاخرة على الثبوت والدوام واتى بعلى ليدل على الشمول والاستقرار
خالدين فيها في اللعنة او في النار لدلالة السابق عليها لا يخفف عنهم العذاب
تكذيب لمن يقول يتعادون بالعذاب فيهون عليهم ولا هم ينظرون يمهلون دفع لتوهم
التخفيف كما دفع بالاول كيفا او لا ينظر اليهم تحقيرا لهم او لا ينظرون ليعتذروا والهكم
اله واحد فرد في الالوهية وفي اعادة الاله ثانيا فخامة وزيادة تقرير كقولك اميرنا
امير كريم لا اله الا هو لا اله في الوجود الا هو استئناف لتقرير الالوهية ودفع توهم
اختصاص الوحدانية باله المخاطبين او بدل لانه المقصود والنسبة اليه بعد نقض النفي
وهو اثبات الرحمن الرحيم خبران آخران لانهما تقرير لاستحقاقه العبادة بحسب
الصفات ايضا ولما سمعه المشركون قالوا فات باية تدل على دعواك فنزل قوله
ان في خلق السموات والارض جمع السموات دون الارض لما روي انها مختلفة
الحقائق بخلاف الارض واختلاف الليل والنهار تعاقبهما او تعاقبهما طولا

وتصريفها. والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس: بالذي ينفعهم او بنفعهم على ان ما مصدرية
والفاعل ضمير البحر او تجري لا الفلك لانه جمع. وما انزل الله من السماء من ماء: من الاولى
للابتدائية والثانية بيان. فاحيا به الارض بعد موتها: بالنبات بعد يبسها وزوال
نضارتها. وبث فيها من كل دابة: عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان احيي منفصل عنه
تحت الصلة ايضا او عطف على احيي مسبب عن الانزال لان المطر سبب لبث الدواب في الارض
من العقلاء وغيرهم لان الارزاق من النبات والاشجار والزروع والثمار والمياه في
الانهار مبني على المطر والاول اولى لان انزال الماء والبث اتيان جنسه والتكثير مطلوب
والاستغناء عن تقدير الجار والمجرور وظهور كون من بيانا وعلى الثاني تبعيضية لان الموجود بعض
الملك اولان في السماء ايضا ذوات كما سياتي في سورة الشورى. وتصريف الرياح:
في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها باردة وحارة عاصفة ولينة تارة بالرحمة
واخرى بالعذاب. والسحاب المسخر بين السماء والارض: بمحض القدرة والمشية واشتقاقه
من السحب لان بعضه يجر بعضا. لايات لقوم يعقلون: ينظرون بنور البصيرة في الكائنات
واستيفاء تفصيل الايات متعذر والامر الكلي هو ان المذكورات امور ممكنة يحتاج في وجودها
الى مرجح واجب دفعا للتسلسل ودل على وحدانيته الانتظام المستمر اذ لو كان فيهما آلهة
لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وحديث المنطقة والدائرة والاوج والحضيض
وحركة الفلك حشو يصان عنه تفسير احسن الحديث وانما اطنب لان الكلام مع المشركين
عبدة الحجارة ولذلك اختصره في آل عمران لما كان المخاطب احبار اهل الكتاب. ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم: امثالا في الالوهية وهي الاصنام وقيل هم الرؤساء
الذين كانوا يصدون عن اوامرهم لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولا دلالة فيه لجواز
ان يكونوا غيرهم ومعنى يحبونهم اياهم تعظيمهم واظهار طاعتهم. كحب الله: كتعظيم الله ماخوذ من حبة
القلب يقال حبه واحبه اي اصاب حبة قلبه مثل ضرب الطير على البناء. والذين آمنوا
اشد حبا لله: لانهم لا يعدلون عنه بحال بخلاف المشركين عند الشدائد يعبدون صنما دهرا
ثم يتركونه ويعبدون غيره كان لباهلة صنم من حيس اكلوه في المجاعة اثر اشد حبا على احب
لشيوعه في الاشد محبوبية. ولو يرى الذين ظلموا: لو يرى هؤلاء المتخذون اندادا والمظهر مع
الموصول للدلالة على شدة ظلمهم في اتخاذ الانداد. اذ يرون العذاب: اذ عاينوه اجرى
المستقبل مجرى الماضي لتحقق وقوعه كقوله ونادى اصحاب الجنة وعبر عنه بالمضارع استحضار الصورة
الهائلة. ان القوة لله جميعا: ان القدرة لله لا تاثير لقدرة غيره ساد مسد مفعولي يرى ان الله
شديد العذاب: جواب لو محذوف اي لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم لما يرونه
من قطع العذاب في مقابلة ظلمهم الفاحش وقرا نافع وابن عامر ولو ترى الخطاب لرسول الله
او لكل من يتاتى منه الرؤية وهذا ابلغ ولذلك اختاره في ولو ترى اذ المجرمون وابن عامر يرون
على بناء المفعول. اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا: بدل من اذ يرون اي تبرا المتبوعون

من الاتباع. ورأوا العذاب: حال من الاتباع والمتبوعين ويجوز العطف على تبرا. و
تقطعت بهم الاسباب: عطف على تبرا او على رأوا والواو للحال والاول احسن لظهور
استقلاله في الاستعظام من غير ان يكون قيد الفعل والاسباب هي الوصل التي كانت بينهم
والسبب في الاصل هو الحبل الذي يرتقى به. وقال الذين اتبعوا الاتباع: لو ان لنا كرة فنتبرا
منهم كما تبرؤوا منا: لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء وانما تمنوا الكرة الى الدنيا لا التبرء في الاخرة
لا يعود عليهم بضرر لانهم في شغل شاغل. كذلك يريهم الله: مثل هذه الاراءة اشارة الى
مصدر الفعل. اعمالهم حسرات عليهم: ثالث مفعولي ارى ان كان من رؤية القلب والا فحال
وهذا اظهر والمعنى ان اعمالهم تنقلب عليهم حسرات. وما هم بخارجين من النار: اصله يخرجون
والعدول للدلالة على الدوام. يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا: اي بعض ما في الارض ومن
تبعيضية في موقع المفعول وحلالا حال او مفعول به ومن ابتدائية. طيبا: خاليا عن الشبهة
وقيل ما استطابه الطبع المستقيم. ولا تتبعوا خطوات الشيطان: في تحريم ما احل الله تعالى
من السائبة والوصيلة والحام والخطوة بضم الخاء مسافة ما بين القدمين وقرئ بضم الطاء
ابن عامر والكسائي والبزي وحفص وهو الاصل في جمع الاسم والاسكان للتخفيف. انه لكم
عدو مبين: ظاهر العداوة لا شيء اجلى من عداوته. انما يامركم بالسوء والفحشاء: بيان
وتقرير لعداوته استعار الامر لتسويله ووسوسته تسفيها لهم وايماء على انهم بمنزلة المامورين
له في سرعة طاعتهم والسوء كل ما قبح شرعا والفحشاء ما يجاوز الحد منه وقيل الاول ما لا حد
فيه والثاني ما شرع فيه حد وقيل منهما ان ذاتا لا اقتحام العاقل فيه فحشاء لاستقباحه اياه
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون: كاتخاذ الولد وتحريم الطيبات وفيه دليل على عدم جواز اتباع
الظن ما عدا ظن المجتهد لانه مامور باتباعه لان ظنه موصل الى العلم كالظن. واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله: الضمير للناس التفاتا الى الغيبة للدلالة على انهم احقاء بصرف الخطاب
والاعراض عنهم كانه نادى العقلاء الى التعجب من ضلالهم قيل هم المشركون وقيل طائفة من
اليهود. قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا: وجدناهم عليه لانهم كانوا خيرا منا. اولو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون: الهمزة للانكار والواو للحال وقيل للعطف على محذوف
والمعنى أيتبعونهم ولو كان المانع قائما واورده على طريق الانصاف كانه قال فليتبعوا
ان كان هناك مانع اولا وخرج بذلك تقليد الانبياء والمجتهدين. ومثل الذين كفروا كمثل
الذي ينعق: عطف على الشرطية تقريرا لما ذمهم به من التقليد ويجوز عطفه على آباؤهم والذين
كفروا الظاهر في موضع المضمر والمعنى تشبيه حال داعيهم الى الايمان بحال داعي بهائم ينعق عليها
ولا يدرك من صوته الا مجرد جرس ودوي او حال المدعو بالبهائم فيقدر مضاف اما في
المشبه اي مثل داعيهم او في المشبه به اي كمثل بهائم الذي اذ لا يحس بدون ذلك وان كان
مركبا لا يلاحظ مفرداته مناسبة للطرفين ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ والنعق
والنعيق يؤيد الاول وقيل معناه مثلهم في اتباع آبائهم كمثل البهائم لا تحصل بحقيقة الحال

لان البهائم لا تعرف ما تحت الدعاء والنداء او قيل مثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بالبهائم
ولا حاجة الى تقدير مضاف وفيه ان لا معنى للاستثناء لان الاصنام لا تسمع الا دعاء ونداء الا ان
جعل من التشبيه المركب لان المذكور في الجانبين لا بد وان يكون له مدخل في انتزاع الهيئة وان لم
يكن وحده ملحوظا: صم بكم عمي: رفع على الذم تقرير وتوكيد لما تقدم: فهم لا يعقلون: لاخلالهم
طرق الادراك والمراد عمى القلب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور:
يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم: من مستلذاته لان الحل قد علم من اول الآية
والخلو عن الشبهة من قوله حلالا طيبا وخص به المؤمنين لانه في معرض الامتنان: واشكروا
لله ان كنتم اياه تعبدون: جعل الشكر لازما للعبادة لانه بالجنان والاركان واللسان
فلا وجود للعبادة بدونه: انما حرم عليكم الميتة: خص منه السمك والجراد: والدم: خص
منه الكبد والطحال لقوله عليه السلام احلت لنا ميتتان ودمان: ولحم الخنزير: خصه
بالذكر لانه المتعارف في الاكل ويعلم منه حكم سائره دلالة: وما اهل به لغير الله: ما ذبح باسم غيره
الاهلال من الهلال وهو اول الشيء ومنه الهلال للقمر واهل الصبي رفع صوته اول ما يولد
وكانوا يرفعون اصواتهم باسم الاصنام والمعنى انما حرم عليكم هذه المذكورات لا ما حرمتموه
من البحيرة والوصيلة فالقصر اضافي لوجود محرمات أخر: فمن اضطر غير باغ: على
مضطر آخر كسر نونه من ابو عمرو وعاصم وحمزة على الاصل في التقاء الساكنين
وضمها الباقون على الاتباع: ولا عاد: متجاوز سد الرمق: فلا اثم عليه: في تناوله
ان الله غفور: لفعله ذلك: رحيم: حيث رخص مع قيام المحرم: ان الذين يكتمون ما انزل
الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا: عوضا يسيرا: اولئك ما يأكلون في بطونهم
الا النار: اي الا ما يؤدي ويفضي الى النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقوله
يأكلن كل ليلة اكافا او يوم القيمة لا يأكلون الا النار وجعل البطن ظرفا للاكل مبالغة كأنه قال
ملأ بطونهم: ولا يكلمهم الله يوم القيمة: كناية عن عدم اكرامهم او عن اذلالهم والانتقام منهم او كلاما
يحبونه مجاز بجعله لا يحب كلا كلام لوقوع التكليم لا محالة كقوله لنسئلنهم اجمعين: ولا يزكيهم
ولا يثني عليهم كما يثني على المؤمنين: ولهم عذاب اليم: مع ذلك الحرمان: اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى: في الدنيا: والعذاب بالمغفرة: في الآخرة: فما اصبرهم على النار: تعجب
للسامع من حالهم في التلبس بموجبات النار: ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق: اي ذلك
العذاب بسبب ان الله انزل جنس الكتاب ملتبسا بالحق: وان الذين اختلفوا في الكتاب:
وهم اهل الكتاب القائلون بحقية التوراة وبطلان القرآن او ذلك الكفر من اليهود لاجل
اختلاف المشركين في القرآن على ان الكتاب معهود وان القرآن هو المتبادر منه واختلافهم فيه
قول بعضهم شعر وآخرين منهم سحر والمعنى لو لم يقدح قريش في القرآن لما جسرت اليهود
على الكفر وعلى الوجهين الجملة حال والتبعية راجعة اليه لا الى ما دخل عليه الباء: لفي
شقاق بعيد: لان الكتب السماوية يصدق بعضها بعضا ولان اساليب القرآن

تابع الشعور الصحيح: ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب: الخطاب
لاهل الكتاب اراد ختم قصة القبلة والمعنى ليس توليتكم المشرق والمغرب من جنس
البر لكونها منسوخة او عام لهم وللمسلمين والمعنى ليس البر الكامل الذي يهتم به
الخوض في شان القبلة وقرا حمزة وحفص ليس البر بالنصب على الخبر والرفع
اولى لجريه على الاصل في تقدم الاسم ولقراءة علي رضي الله عنه بان تولوا ولاتفاقهم
عليه في ليس البر بان تأتوا البيوت: ولكن البر من آمن بالله: بتقدير مضاف اي بر
من آمن او البر بمعنى ذي البر او مجاز في الاسناد كما في قولها فانما هي اقبال وادبار
وهذا اوجه وقرأ نافع وابن عامر ولكن مخففا والبر مرفوع: واليوم الآخر والملائكة
والكتاب: جنس الكتاب او القرآن كما في نزل الكتاب: والنبيين كلهم: وآتى
المال على حبه: حب المال لما روى مسلم والبخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت
صحيح شحيح ترجو الغنى وتخشى الفقر او حب الله او الايتاء والمجرور حال على
الوجوه: ذوي القربى: قدمهم لان ايتاءهم صدقة وصلة: واليتامى والمساكين
جمع مسكين اي دائم السكون اسكنه الفقر كالمسكير في دائم السكر: وابن السبيل:
المسافر المجتاز الذي لا يجد ما يبلغه الوطن والاضافة للملابسة: والسائلين: وان كانوا
اغنياء لما روى ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق وان جاء على
فرس: وفي الرقاب: المكاتبين او فك الاسرى: واقام الصلوة وآتى الزكوة:
المفروضتين والاول في التطوع والحث على نوافل الصدقات او في المال حق سوى الزكوة
لما روى ابن ماجه والترمذي عن فاطمة بنت قيس انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل في المال حق سوى الزكاة فتلاها ويحمل قوله نسخت الزكوة كل صدقة على الوجوب
المعتد وقيل الاولى لبيان مصارف الزكاة وفيه بعد لايجاب تقييد ذوي القربى واليتامى
بالمحاويج والسائلين بالفقراء ونقص بعض: والموفون بعهدهم اذا عاهدوا: مع الخالق
والخلق: والصابرين في البأساء والضراء: في اموالهم وانفسهم اخرج من بين الصفات
نصبا على المدح اظهارا لفضل الصبر على الشدائد: وحين البأس: وقت التحام القتال
اولئك الذين صدقوا: في دعوى الايمان لاتصافهم باصوله وفروعه وتحليهم بكل العقائد
والاعمال ظاهرا وباطنا: واولئك هم المتقون: الكفر والمعاصي وفيه تعريض باهل الكتاب
بانهم الذين كذبوا واولئك هم الفاسقون: يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى: روى البخاري والنسائي ان في بني اسرائيل
كان القصاص دون الدية فنزلت وعن ابن جبير والشعبي كان بين الحيين من احياء
العرب في الجاهلية قتال ولاحدهما طول على الاخرى فحلفوا ان يقتلوا بالعبد منهم الحر وبالانثى
الذكر فنزلت ولا مفهوم لان عند القائل به لان شرطه ان لا يظهر للقيد فائدة وسبب النزول

لم يكشف عن الفائدة ولا يلزم ان لا يقتل الذكر بالانثى وبالعكس ولم يقولوا به واستدلال من
لم يقتل الحر بالعبد بالقياس على الاطراف فانه مجمع عليه ولان العبد مال فلا يساوي المالك
والقصاص يقتضي ذلك لانه من قص اثره اذا تتبعه وعلى عدم قتل المؤمن بالكافر بالحديث رواه
البخاري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم
بكافر وما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم خيبر مسلما بكافر لم يصح سنده ولم يروه
الا ابراهيم بن يحيى وهو كذاب واية المائدة لا دلالة فيها لانها حكاية ما في التوراة بل لان
الحكم منعقد بهم لقوله وكتبنا عليهم فيها كما اذا قلت يجب على بني هاشم ان لا ياخذوا من الزكاة
فلا تتناول غيرهم: فمن عفي له من اخيه شيء: من العفو اي شيء يسير فانه كاف لسقوط القصاص
في موضع المصدر الموصوف كضرب ضربا شديدا وليس مفعول به لان عفى لا يتعدى اليه صريحا
بل يتعدى بعن الى الجاني كقولك عفوت عن فلان والى الجناية كقولك عفوت عن ذنبه
واذا ذكر الجاني والجناية فذكر الجاني باللام يقال عفا الله لزيد عن ذنبه والجناية هنا في حكم
المذكور لسبق العلم بها: فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان: اي فليكن اتباع او
فالامر اتباع توصية للعافي والمعفو عنه بان لا يطالب ولي المقتول القاتل بعنف وان
يؤدي القاتل اليه الدية بلا مطل وتسويف وسمي ولي المقتول اخا القاتل توفيقا له وتذكيرا
باخوة الاسلام: ذلك: المذكور من الحكم: تخفيف من ربكم: عما كان في التوراة من
وجوب القصاص البتة: ورحمة: بشرعية القصاص والدية حيث لم يجب العفو كما في الانجيل
وقيل كان في التورية القصاص والعفو دون الدية وعند الشافعي رحمه الله تعالى يخير الولي بين
الثلثة وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى الواجب القصاص والدية بدل لا يكون الا برضاء القاتل
ولفظ كتب وعفا صريحان فيما ذهب اليه وعن مالك رحمه الله تعالى اذا عفى الولي عن القصاص
والدية يضرب القاتل مائة ويحبس سنة: فمن اعتدى بعد ذلك: بقتل الجاني وغيره كما كان
في الجاهلية: فله عذاب اليم: شديد الالم وعن قتادة يقتل ومحالة لما روى احمد عن سمرة عنه
عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد الدية: ولكم في القصاص حياة: الظرفان خبران او الثاني خبر
والاول حال والمعنى لكم في مشروعية القصاص حياة عظيمة لما كانوا في الجاهلية يقتلون بجماعة
لواحد ولان القاتل اذا علم انه يقتل يرتدع فيسلم هو وصاحبه وهذا الكلام في اقصى البلاغة
لان قول العرب القتل انفى للقتل في معناه كان ابلغ كلام عندهم وقد فاقه ما في التنزيل بقلة
حروفه والنص على المطلوب وهو الحياة والتنكير الدال على التعظيم ولاطراده دونه لان القتل
ظلما ادعى للقتل وخلوه عن التكرار واستغنائه عن التقدير بخلافه اذ المعنى انفى من تركه والقصاص
وكون الشيء ظرفا لضده وخلوه عن توالي الاسباب الحقيقية المخلة بسلاسة الكلام والتقديم الدال
على الحصر: يا اولي الالباب لعلكم تتقون: التجاوز عن القصاص وعبر عن العقول بالالباب اشارة
الى من اعمل له كانه ظرف خال: كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت: اماراته واسبابه: ان ترك
خيرا: مالا والتعبير عنه بالخيرات رمز الى ان فائدة المال ان يتوسل به الى الخير وعن علي

رضي الله عنهما هو المال الكثير: الوصية للوالدين والاقربين: مرفوع بكتب وانما حسن تذكير الفعل
للفصل وهذا مطرد فلا حاجة الى تاويل الوصية بالايصاء والعامل في اذا كتب لا الوصية
لضعف المصدر المعرف ولتقدمها عليه وكانت الوصية للوالدين والاقربين واجبة بهذه الاية
من غير تقدير الانصباء فنسخت باية المواريث وهي قوله يوصيكم الله في اولادكم وقوله عم
ان الله تعالى قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث المراد بها الزيادة على نصيبه
فان لفظ الوصية في عرف الشرع يطلق على جميع الاوامر والنواهي والمواعظ والتخصيص
بالتبرع المضاف الى ما بعد الموت عرف طار فظهر ان لا نسخ في الاية ولا تعارض بينها
وبين اية المواريث: بالمعروف: بالعدل لا يفضل احدهما على الاخر اذا كانا في طبقة
وتفسيره بان لا يتجاوز عن الثلث لا معنى له لان ذلك في الاجانب كيف واية المواريث
بيان لها: حقا على المتقين: قيده بهم لانهم المنتفعون به: فمن بدله: غيره من
الاوصياء والشهود: بعد ما سمعه: وتحقق عنده: فانما اثمه على الذين يبدلونه: فما
اثم الايصاء المبدل الا على المبدل لا على الوصي والموصى له وجمع الضمير بعد الافراد بالنظر
الى المعنى: ان الله سميع عليم: يسمع ما يقول المبدل عليم بتبديله: فمن خاف من موص
جنفا: توقع وظن ميلا منه على سبيل الخطاء: او اثما: تعمدا للحيف: فاصلح بينهم: بين
الموصى لهم بان اجراهم على قانون الشرع: فلا اثم عليه: لانه سعى في اظهار الحق وتبديل الباطل
وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي موص بالتشديد: ان الله غفور: لما فرط من الموصي خطاء: رحيم
بان شرع تدارك ذلك باصلاح المبدل: يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما
كتب على الذين من قبلكم: من الانبياء والامم فان اول من صام ادم عليه السلام فالتشبيه
في مجرد الفرضية او ثلثين يوما كما رواه الحسن ففي الكمية وانما زادت النصارى عشرين
يوما لموتان وقع فيهم وقيل وقع في الحر اخروه الى الشتاء وزادوا فيه او في حرمة التناول
بعد العشاء رواه ابن عمر ثم نسخ بقوله احل لكم ليلة الصيام الرفث وانما عبر بالكتابة
عن الفرض مبالغة في الالزام: لعلكم تتقون: ببركته فانه ينور القلب اذ لا يسع فيه
الرياء او يجتنبون المعاصي فانه يكسر القوة الشهوية وقد روى البخاري عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء او لعلكم تنخرطون
في زمرة المتقين وتدرعون لباسهم وتبرزون في شعارهم: اياما معدودات:
معلوما عددها او قلائل لعدم العد في الكثير بل يهال هيلا وفي التعبير به دون شهر
كامل تهوين وتيسير على السامع روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان يصوم عاشوراء فلما نزلت قال من شاء صامه ومن
شاء افطر وانتصاب اياما بالصيام لجواز عمل المصدر في الظرف مع الفاصل او بمضمر
في غيره: فمن كان منكم مريضا: مرضا يشق معه الصوم لقوله يريد الله بكم اليسر او على سفر

مستعليا عليه فلا يجوز الافطار يوم انشاء السفر ولذلك اوثر على والمراد به سفر مقصر فيه
الصلوة صرفا للمطلق الى الكامل وهو الذي يقع فيه المشقة غالبا وقيده الشافعي
بان لا يكون سفر معصية لان الرخصة لا يناط بالمعصية : فعدة من ايام اخر وعلى الذين
يطيقونه فدية طعام مسكين : كان اول ما فرض الصوم قبل ان يتعين رواية من شاء صام
ومن شاء افطر وفدى حتى نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
الاية في العجائز والشيوخ الهرمى ومعنى يطيقونه يجهدونه وينالهم فيه مشقة فالاية محكمة
ويؤيد الاول كلمة على اذ على ما ذهب اليه كان اللام هو الظاهر وقوله وان تصوموا خير
ورواية البخاري المصرح في الابتداء والفدية نصف صاع من بر او صاع من غيره عند
فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز وقرا فدية بالاضافة نافع وابن ذكوان والباقون
منونا ورفع طعام بدلا منه ونافع وابن عامر مساكين مجموعا بلا تنوين مراعاة للذين
فمن تطوع خيرا : زاد في الفدية : فهو خير له : من الاقتصار على الواجب : وان تصوموا
خير لكم من الافطار والفداء لمزية العزيمة على الرخصة وجعل الخطاب ترخيص مطلقا لتندرج
فيه المريض والمسافر يرده ان المريض والمسافر اذا تضررا لا خير في صومهما وما حكي
قوله عليه السلام ليس من البر الصيام في السفر ولذا ذهب ابو هريرة رضي الله عنه الى وجوب
الافطار : ان كنتم تعلمون : خيرية الصوم وانما اتى ان والخيرية معلومة لميل النفوس الى
الافطار وجواب الشرط محذوف اي اخترتموه دل عليه ما قبله : شهر رمضان : فعلان
من رمض احترق من الرمضاء كانهم سموه بذلك لاحتراقهم من شدة الجوع او لانهم
لما نقلوا اسماء الشهور من اللغة القديمة سموها بالازمنة الواقعة فيها فوافق
هذا زمن الحر والعلم هو المجموع ومنع صرف احد جزئيه العلم لانه الغالب في الكنى الاضافة
الى الاعلام فاجروا غيرها مجراها الا يرى الى عدم جواز اللام في ابي تراب وابن داية
ووجوبه في امرئ القيس وجوازه في العباس وحسن كل ذلك نظرا الى انه لا يغير عن حاله
كالعلم وعن مجاهد رمضان من اسماء الله تعالى واما قوله عليه السلام من صام رمضان
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه فمن باب واسئل القرية لامن الالتباس وارتفاعه على
انه خبر مبتدأ او مبتدأ خبره ما بعده وقيل بدل اشتمال وان قدر مضاف فبدل كل
من الصيام وفيه بعد لكثرة الفاصلة : الذي انزل فيه القران : في ليلة القدر منه لقوله تعالى
انا انزلناه في ليلة القدر نزل جملة الى بيت العزة في سماء الدنيا وفي مواقع النجوم
بحسب الوقائع نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلث وعشرين سنة روى الامام
احمد عن واثلة ان صحف ابراهيم انزلت في اول ليلة من رمضان والزبور في الثانية
عشر والقران في الرابعة والعشرين وبه استدل طائفة على ان ليلة القدر اربع وعشرين
من رمضان وقرا ابن كثير بنقل حركة الهمزة الى ما قبلها وابداله حيث وقع معرفا ومنكرا
هدى للناس : هاديا لهم الى الحق : وبينات من الهدى : صفة بيانية اي بينات

من جنس

من جنس ما يهدي الله به : والفرقان : ومن جنس ما يفرق به بين الحق والباطل عطف على
هدى وجمع بينات لان مجمع الكلام ابعاضه : فمن شهد منكم الشهر فليصمه : من شهدت
الجمعة ادركتها ويخرج المريض والمسافر بقوله : ومن كان مريضا او على سفر : وقيل
الشهود بمعنى الحضور والاقامة وانتصاب شهر على الظرف فيخرج به المسافر و
المريض خارج من قاعدة عدم الحرج لقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج وذكرهما بعده
ليترتب عليه القضاء بقوله : فعدة من ايام اخر : اي فعليه عدة ايام افطر فيها لا يلاحظ
فيها الطول والقصر ولا المواترة والمواصلة : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر : الحرج في
الدين ولذلك رخص لكم ما رخص من افطار المريض والمسافر والتعين بالعدد من غير
مضايقة في الوقت والكيف : ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون :
الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من الامر بمراعاة العدة
في الاداء والقضاء ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة
العدة ولتكبروا علة للعلم بالقضاء والخروج عن عهدة الفطر وقرا ابو بكر ولتكملوا بالتشديد ثم
ولعلكم تشكرون علة التيسير وهذا النوع من اللف والنشر بديع قليل الوقوع نظيره
ان تقول ضربت زيدا وعطيت عمروا وخرجت من البلد للتاديب والاكرام ومخافة
الشر فعلت ويجوز العطف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون وان
يعطف على اليسر كقوله يريدون ليطفئوا نور الله فاللام لتاكيد معنى الارادة والاول اوجه
لذلك اللف البديع ولان الثاني من كثرة الحذف وانما عدي التكبير بعلى لتضمين معنى
الحمد اي لتكبروه حامدين والمراد تعظيم الله وقيل تكبير العيد يوم الفطر وقيل التكبير عند رؤية
الهلال فيفوت ذلك اللف مع انه تقييد بلا دليل : واذا سالك عبادي عني
فاني قريب : تمثيل لحاله بحال من قرب لاحاطة علمه بالاقوال والاحوال والافعال
روى ابن حاتم ان اعرابيا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربنا اقريب فنناجيه
ام بعيد فنناديه فنزلت وعن الحسن سال الصحابة اين ربنا والاية سبقت اعتراضا
بين احكام الصوم تاكيدا لما ذكره من امر الصوم دلالة على ان الذي هذا شانه حقيق
بالاستجابة : اجيب دعوة الداع اذا دعان : صفة قريب او خبر بعد خبر : فليستجيبوا لي
بالايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني : وليؤمنوا بي : بعد الاستجابة او ليدوموا على
الايمان ان جعلت نفس الايمان : لعلهم يرشدون : راجين الرشد وهو اصابة الحق
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم : روى البخاري عن البراء قال لما نزل صوم
رمضان كانوا لا يقربون النساء في رمضان كله فخان رجال انفسهم وعن ابن عباس
رضي الله عنه كان لهم الاكل والشرب والوقاع الى العشاء ثم ان ناسا اصابوا من الطعام
والنساء بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر ما كنت خليقا بذلك يا عمر فنزلت

والرفث الفحش في القول وفي المس هذه مرافقة لا منافقة كني به عن الجماع لانه لا يخلو
عن ذلك مطايبة بين الزوجين وعدي بالى لتضمين معنى الافضاء ولم يكن به وبامثاله
من المباشرة والمس والقمس يسوق الكلام معهم في معرض الخطاب بوقوعهم في المحظور قبل
الاباحة: هن لباس لكم وانتم لباس لهن: استئناف لبيان موجب الاحلال لان شدة
الاختلاط جالبة للمواقعة شبه كل منهما باللباس لصاحبه لاشتمال كل منهما على الآخر لدى
الاعتناق او لان كلا منهما يستر الآخر من الفجور والكلام من التشبيه البليغ لا الاستعارة
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم: بتعريضها للعقاب والاختيان ابلغ من الخيانة لدلالته
على تعمل كالاكتساب والكسب فتاب عليكم: قبل توبتكم وعفا عنكم: ما فرط منكم تصريح بما
علم ضمنا لان التوبة تجب ما قبلها: فالآن باشروهن: فان قلت اي فائدة في هذا الامر بعد
قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث قلت فائدته دفع توهم احلال ما وقع منهم كما تقول
لمن اكل لحم ما لا احللته لك وليعطف عليه قوله: وابتغوا ما كتب الله لكم: من الولد لا قضاء
الوطر لان الحكمة في ابداع الشهوة في الذكر والانثى هو ذلك وفيه توبيخ لهم حيث وقعوا
فيما وقعوا فيه لقضاء الشهوة وقيل نهي عن العزل لان الامر بطلب النسل نهي عن ضده وقيل
اطلبوا الحل والمحل الحلال لا المحرم وكلاهما بعيد عن المقام: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود من الفجر: روى مسلم والبخاري رحمهما الله تعالى عن سهل بن سعد رضي الله عنه
ان الآية نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله
الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب الى ان يتبين له فنزل من الفجر
فعلموا ان المراد بهما الليل والنهار وليس فيه تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الصوم
محله النهار فذكر الخيطين لبياض الصبح وسواد الليل كان ظاهرا من دلالة الحال غاية الامر انه
التبس على الاوساط دون ذوي البصائر وقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن
حاتم لما حمل الخيطين على الحقيقة انك لعريض الوسادة شاهد صدق ودليل ظاهر لانه
حيث غفل عن المراد مع وضوحه ثم ازيح الاشتباه بزيادة البيان وفي الآية دلالة على جواز
صوم من اصبح جنبا كما صرح به حديث عائشة رضي الله عنها كان يصبح رسول الله جنب
ثم اتموا الصيام الى الليل: بيان لانتهائه بعد بيان ابتدائه ولا دلالة فيه على جواز النية بالنهار
ولا على وجوبه بالتبييت واستدل الشافعي رحمه الله تعالى على تبييته بالليل في الفرض بقوله عليه السلام
لا صيام لمن لم يعزم الصيام بالليل ولا على حرمة صوم الوصال اذ لا يلزم من بيان وقت
الافطار عدم جواز المواصلة بل الوصال انما حرم بقوله لا تواصلوا على ما رواه البخاري
وغيره: ولا تباشروهن: لا تجامعوهن بدليل قوله فالآن باشروهن: وانتم عاكفون في المساجد:
معتكفون: الاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة وفي الآية دلالة على اختصاصه
بالمسجد اي مسجد كان اما الاول فلان المباشرة حرام في الاعتكاف اجماعا فلو لم يكن
المسجد قيدا لكان المراد بيان حرمتها في المسجد واما الثاني فلعدم المخصص وعن الزهري

وابن

وابن المنذر يختص بالجامع وعن سعيد بن المسيب بالمساجد الثلث مسجد رسول الله والمسجد الحرام
والمسجد الاقصى لقوله عليه السلام لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد وخصه ابو حنيفة رحمه الله
بمسجد يصلي فيها الخمس جماعة وله امام ومؤذن معلوم: تلك حدود الله: اي الاحكام المذكورة
ذوات حدود: فلا تقربوها: اي حدودها فضلا عن تجاوزها فهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها
روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتقى الشبهات استبرأ لدينه ومن رعى
حول الحمى يوشك ان يواقعه: كذلك يبين الله آياته للناس: مثل هذا التبيين الواضح
يبين سائر دلائل احكامه: لعلهم يتقون: مخالفة اوامره ولا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل: لا ياكل كل منكم مال الآخر بوجه غير مشروع وتدلوا بها الى الحكام عطف على
النهي او منصوب باضمار ان ولا يلزم تقييد حرمته بالاجماع والادلاء القاء الدلو في البئر
تجوز به عن الالقاء والمراد القاء حكومتها او القاء بعضها اليهم رشوة: لتاكلوا
فريقا من اموال الناس بالاثم: بشهادة الزور واليمين الكاذبة وجور الحاكم روى البخاري ومسلم
عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانتم تختصمون الي
ولعل بعضكم يكون الحن بحجته فاقضي له على نحو ما اسمع فمن قضيت له بشيء من حق اخيه
فانما اقضي له قطعة من النار: وانتم تعلمون: انكم مبطلون فان قبح المعصية مع العلم اشنع
يسالونك عن الاهلة: ان معاذ وثعلبة بن غنم الانصاري قالوا ما بال
الهلال يبدو دقيقا ثم يتزايد ثم يتناقص الى ان يعود كما بدا: قل هي مواقيت
للناس والحج: يوقتون بها امور معاشهم لا سيما الحج فانه يحتاج الى الوقت المعين
اداء وقضاء وقيل الجواب من الاسلوب الحكيم لانهم سالوا عن السبب والفاعل
فاجيبوا بالغاية والحكمة: وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى لما
اجيبوا عن سؤال الاهلة ببيان الحكم كانه قال لهم دعوا السؤال عن الحكمة في افعاله تعالى
لا تخلو عن حكم ومصالح وانظروا فيما تعتقدونه برا وليس من البر في شيء روى البخاري
عن البراء كانوا في الجاهلية اذا احرموا اتوا البيوت من ظهورها وعن جابر رضي الله عنه
كانت الانصار تفعله دون قريش وقيل استطراد لانهم كانوا يفعلونه في الحج وقيل تمثيل
لتعكيسهم في السؤال بمن يدخل البيت من غير بابه والاول هو الوجه للحديث ويدل على
هذا اشارة: واتوا البيوت من ابوابها: عطف على مقدر اي انتهوا واتوا وقل هي
مواقيت وقل ليس البر وقيل واتوا البيوت وقرا ابو عمرو وحفص وورش بكسر الباء في البيوت
وبالضم على الاتباع: واتقوا الله: في التجاوز عن احكامه: لعلكم تفلحون: حال كونكم راجين
الفلاح: وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم: يناجزونكم القتال ويبارزون دون المحاجزين
نسخت بقوله وقاتلوا المشركين كافة او من له قدرة دون المشايخ والصبيان او من
يتصدى لقتالكم او في الحرم والاشهر الحرم لما خاف المسلمون عام الحديبية حين شارط
المشركون ان يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في العام القابل ان لا يفوا بالشرط

وعن ابي العالية اول آية نزلت في القتال بالمدينة وعن الصديق اول آية نزلت فيه
بعد الهجرة اذن للذين يقاتلونكم :: ولا تعتدوا :: يعم كل اعتداء من قتل النساء والصبيان
والرهبان والمثلة :: ان الله لا يحب المعتدين :: لا يريد بهم خيرا :: واقتلوهم حيث ثقفتموهم
وجدتموهم من الثقف وهو الادراك ومنه غلام ثقف اي سريع خفيف الحركة :: و
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
بمن لم يسلم واوصى باخراج المشركين من جزيرة العرب :: والفتنة اشد من القتل اي
اخراجهم اياكم من الوطن اشد من قتلكم اياهم على ان اللام للعهد او اخراجكم اياهم اشد
عليهم من قتلكم فيكون حثا على اخراجهم او عذاب الاخرة بعد القتل اشد كقوله ولعذاب
الاخرة اشق :: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه :: تكريما للبلد الحرام :: فان
قاتلوكم فاقتلوهم :: فلا اثم عليهم اثر فاقتلوهم ليدل على اباحة القتال بالاولى وقرا حمزة
والكسائي الافعال الثلثة بالقصر والاولى لان القتال مقدمة فاذا لم يحل فالقتل :: كذلك
جزاء الكافرين :: الذين كفروا بما اوجب الله من حرمة الحرم :: فان انتهوا :: عن القتال
والكفر :: فان الله غفور رحيم :: يقبل توبتهم ويرحمهم :: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة :: شرك
لقوله :: ويكون الدين لله :: فان انتهوا عن الشرك :: فلا عدوان الا على الظالمين ::
كناية اي لا ظلم على المنتهين او لا ظلم الا على الظالمين على طريق المشاكلة :: الشهر الحرام
بالشهر الحرام :: نزلت بعد الحديبية لما عزم رسول الله واصحابه الى قضاء العمرة فخاف
اصحابه ان يمنعوا دخول مكة كما منعوا في العام الماضي وكان ذلك في ذي القعدة
فاباح الله لهم القتال كما فعل المشركون فانهم رموا بالحجارة والسهام في الحديبية
وقيل نزلت لما حاصر الطائف ودخل ذو القعدة :: والحرمات قصاص :: الحرمة ما
يجب حفظه عليه عرضا كان او مالا والمراد منها ما يجوز القصاص فيها :: فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم :: ذكر الاعتداء ثانيا مشاكلة كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها :: واتقوا الله في رعاية المماثلة :: واعلموا ان الله مع المتقين ::
بالكلاءة والنصر في الدنيا ورحمة في الاخرة :: وانفقوا في سبيل الله :: تتمة لامر القتال
لانه بالمال والرجال :: ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة :: لا تجعلوا ايديكم ملقاة الى الهلاك
او انفسكم بالكف عن القتال على ما روى الترمذي وابو داود عن ابي ايوب الانصاري
انه قال فينا نزلت معشر الانصار لما وضع الحرب اوزارها رجعنا الى اموالنا فكانت
التهلكة ترك القتال وروى البخاري عن حذيفة نزلت في الامساك عن النفقة
في سبيل الله وعن الحسن في البخل وعن زيد بن اسلم في اناس يغزون بغير نفقة وكانوا كلا على
الناس والتهلكة مصدر على ان اللام مكسورة فتحت كالجوار في الجوار :: واحسنوا ان الله يحب
المحسنين :: ولا تطلب علي من حيث لله :: واتموا الحج والعمرة لله :: ائتوا بهما كاملين
بمناسكهما والامر بالاتمام امر بالاداء على صفة التمام لا بالوصف وحده فيدل على وجوب

العمرة كالحج وما روى احمد والترمذي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة
اواجبة هي فقال لا معارض بروايته عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة وقول عمر رضي الله عنه لمن قال وجدت الحج والعمرة مكتوبين
علي هديت لسنة نبيك تقرير لفرضيتهما وعن علي رضي الله عنه اتمامهما ان تحرم بهما من
دويرة اهلك وعن الثوري من الميقات وعن عمر رضي الله عنه افراد كل منهما بسفر
خالصا لوجه الله :: فان احصرتم :: منعتم يقال حصره واحصره اذا منعه مثل صده
واصده فيتناول باطلاقه كل منع وعليه بنى ابو حنيفة رحمه الله الحكم وخصه مالك
والشافعي رحمهما الله بالعدو لما روى البخاري ومسلم والنسائي عن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم
محلي حيث حبستني لما تكلف المرض ولو كان المرض حصرا لم يحتج الى الاشتراط وما
رواه احمد والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج
لم يعارض ما رووه ويؤيده تقييد ابن عباس رضي الله عنه بالعدو وهو القدوة في معارف
التنزيل :: فما استيسر من الهدي :: اي فعليكم ما تيسر من الازواج الثمانية الابل والبقر
والضان والمعز والهدي جمع هدية كجدي وجدية :: ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي
محله :: اي لا تحلوا حتى يبلغ الهدي الذي بعثتموه الحرم فانه محل النحر وهذا ظاهر على مذهب
ابي حنيفة وحمله الشافعي رحمه الله على موضع الاحصار لانه المكان الذي عنده الشارع
لما روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر الهدي عام الحديبية خارج الحرم
فمن كان منكم مريضا :: مرضا يحوجه الى الحلق :: او به اذى من راسه :: جراحة او قمل
ففدية من صيام او صدقة او نسك :: وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
البخاري عن كعب بن عجرة قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي
فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة قلت لا قال صم ثلثة ايام
او اطعم ستة مساكين لكل واحد نصف صاع من طعام :: فاذا امنتم :: الاحصار
او كنتم في سعة :: فمن تمتع بالعمرة الى الحج :: بان نوى العمرة قبل الحج فانه يتمتع بما حرم
عليه بعد اعمال العمرة :: فما استيسر من الهدي :: جبرانا لاستماعه فلا ياكل منه وعن ابي حنيفة
رحمه الله هو كالاضحية :: فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام :: فعليه صيام ثلثة ايام :: في الحج :: في
ايام الاشتغال بالحج وعن ابي حنيفة رحمه الله في اشهر الحج والافضل اليوم السابع والثامن
والتاسع والاكثرون ان لا اصوم في التشريق :: وسبعة اذا رجعتم :: الى الوطن وعن
ابي حنيفة رحمه الله اذا رجعتم من عرفات :: تلك عشرة :: على نمط فذلكة الحساب
الاجمال بعد التفصيل افادة للعلمين ودفعا لوهم ان يكون الواو للوصلة بمعنى او
الفصلة وان يكون السبعة اطلقت على الكثرة لا العدد المخصوص :: كاملة :: دفع لوهم المجاز
واشارة الى انها وان كانت عند الحساب عددا ناقصا فهي كاملة في الثواب وقيامها

مقام المعدل. ذلك الحكم المذكور لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لا شيء على المتمتع ان كان
مقيما بمكة او فيما دون مسافة القصر منها وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ذلك اشارة الى التمتع
والمتعة ولا قران للمقيم ويؤيده ما ذهب اليه ان الكلام مسوق له وذكر العذبة بالعوض و
واتقوا الله في مخالفة اوامره. واعلموا ان الله شديد العقاب استيناف للحث على التقوى
الحج اشهر معلومات. معروفات في الجاهلية والاسلام والمراد وقت الاحرام به وهي
شوال وذو القعدة وتسعة ايام مع ليلة النحر عند الشافعي رحمه الله تعالى ذلك وعند
ابي حنيفة رحمه الله مع يوم النحر وفائدته وقوع طواف الركن في وقته والا فالحج قد فات
بفوات الوقوف يوم عرفة واطلاق الاشهر على الشهرين والعشر تجوزا اما للعلاقة
الاجتماع فيما فوق الواحد واما لتنزيل بعض الثالث منزلة كله لانافيه بوقوع افعال الحج
فيه. فمن فرض فيهن الحج بالنية عند الشافعي رحمه الله والتلبية وتقليد الهدي عند ابي حنيفة
رحمه الله تعالى. فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج. عن ابن عباس رضي الله عنه الرفث الجماع
ومقدماته والفسوق السيئات والجدال المرآء مع صاحبك بحيث تغضبه فالنفي في الثلثة
بمعنى النهي مبالغة وقيل الاولان نهي والثالث نفي على ظاهره والمعنى لا ترفثوا ولا تفسقوا
وقد ارتفع الاختلاف في الحج بتعيين وقته وموقفه ورفع ما كان عليه المشركون من التقديم
والتاخير كانوا يؤخرون الحج كل عامين من شهر الى آخر فيكون العام الاول ثلثة عشر شهرا
والثاني اثنى عشر شهرا وكذا الثالث مع الرابع فكل سنتين عندهما خمسة وعشرون شهرا
فيستدير حجهم في كل خمس وعشرين سنة والسنة التي حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وافق حسابهم ذا الحجة وكان قريش تقف بمزدلفة وسائر الناس بعرفات فارتفع
ذلك الخلاف ايضا وقرا ابن كثير وابو عمرو برفع الاولين على معنى لا يكون رفث ولا فسوق
لو علامات لا بمعنى ليس لعدم الكف عنهما مطلقا وهذا يؤيد الوجه الاول في معنى الجدال وكذا ما رواه
البخاري من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه. وما تفعلوا من خير قليلا كان
او كثيرا. يعلمه الله. فيجازي عليه. وتزودوا روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ان اناسا
من اليمن كانوا يحجون من غير زاد زعما منهم انهم متوكلون ويلحون كلا على الناس فامروا بالتزود
فان خير الزاد التقوى عن سؤال الناس والثقل عليهم وفيه اشارة الى ان زاد سفر الآخرة
نوع آخر ليس من الآكل والشارب بل هو التقوى. واتقون يا اولي الالباب حثهم على التقوى
اولا واكده ثانيا بان يكون المقصود بها هو الله تعالى وسماهم اولي الالباب تنشيطا لهم ولان تقوى الله و
خشيته نتيجة اللب. ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم. روى البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان مجنة وذو المجاز وعكاظ كانت اسواقهم في الجاهلية فلما جاء الاسلام تاثموا
في القيام بها للتجارة فنزلت وسماه فضلا اذ لا وجوب عليه. فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام. الافاضة الدفع بالكثرة مستعار من افاضة الماء والمفعول
محذوف اي انفسكم وعرفات علم لتلك البقعة جمع لا واحد له كاذرعات وتنوينه

لمقابلة

لمقابلة غير منصرف للعلمية والتانيث وقيل منصرف لان هذه التاء ليست للتانيث
واختصاصها بالتانيث يمنع تقدير تاء اخرى والحق منع صرفه ان اعتبرت البقعة
والصرف ان اعتبرت المكان وانما سمي بها لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا
او لان الناس يتعارفون فيه او لان جبريل عرف ابراهيم المناسك فلما اتى الجبل قال
عرفت وفي الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفات لان اذا تدل على القطع كانه
قال الافاضة واجبة عليكم فاذا اتيتم بها فاذكروا الله عند المشعر الحرام وهذا يقتضي
سابقة استقرار بعرفات لتكون ابتداؤها منها وايده قوله عليه السلام الحج عرفة و
المشعر الحرام جبل قزح وبه بناء معروف والمزدلفة كلها موقف الدعاء الا ان
القرب من موقف الامام افضل كالوقوف بموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند الصخرات بعرفات والمشعر من الشعور لانه معلم من العبادة. واذكروه كما
هداكم. ذكرا يشبه هدايتكم في الكمال وما مصدرية او كافة. وان كنتم من قبله لمن الضالين
من طريق الحق. ثم افيضوا من حيث افاض الناس. عطف على الامر بالذكر والذكر
بعد الافاضة لا محالة فثم للتراخي رتبة كانت قريش تقف بمزدلفة ولم تقف
بعرفات مع سائر الناس جهلا لانهم سكان الحرم لا يخرجون الى الحل فامروا
بالوقوف بعرفات وان يفيضوا من حيث افاض الناس او امر الناس بالافاضة
بعد المشعر الى منى فاللام في الناس للعهد وهم قريش لانهم كانوا يفيضون منه وقرئ
الناس بكسر السين والمراد آدم عليه السلام. واستغفروا الله. في تلك الاماكن
والازمان. ان الله غفور. يغفر ذنوبكم. رحيم. يثيبكم بعد العفو. فاذا قضيتم
مناسككم اعمال الحج. فاذكروا الله كذكركم آباءكم. كانوا في الجاهلية بعد قضاء
المناسك يتناشدون ويتفاخرون بآبائهم امر المسلمون بترك ذلك
والاشتغال بذكر الله تعالى اي كذكركم آباءكم اذ كنتم اطفالا لا تعرفون غيرهم
فالمقصود التوجه الى جناب قدسه بلا التفات الى غيره. او اشد ذكرا عطف
على ذكركم بتقدير مضاف اي او كذكر قوم اشد منكم ذكرا لآبائهم او على آبائكم على
ان المصدر بمعنى المفعول اي كذكركم شيئا اشد مذكورية من آبائكم او على ذكر بطريق
المجاز بجعل الذكر ذاكرا. فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين ببيان تفاوت
هممهم واحوالهم. ربنا آتنا في الدنيا. اي عجل لنا حظنا. وما له في الآخرة من خلاق
لعدم جعله الدنيا وسيلة للآخرة بل قصر نظره عليها والخلاق النصيب لان حظ الانسان
مخلوق له او من فلان خليق بكذا جدير لايق واصل الخلاق الملكة يقال للزعماء
الخلقاء. ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة. نصيبا يجعله وسيلة للآخرة
ولذلك سماه حسنة. وفي الآخرة حسنة. نعيما. وقنا عذاب النار. اي عذاب الآخرة
لانه اعظم انواعه وقد دخل في الحسنتين خير الدارين روى مسلم عن انس رضي الله عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا آتاكم الله الحسنة في الدنيا والآخرة ووقاكم عذاب النار
فقد آتاكم الخير كله. اولئك لهم نصيب مما كسبوا: اي لهم نصيب واقر من جنس ما كسبوا
من الحسنة ومن ابتدائية او تبعيضية لان الحسنتين ما شيئان من مطلق الحسنة وثوابه
منه وسمى الدعاء كسبا لانه من العبادة او لاجل ما كسبوا والتعليل لا ينافي الابتدائية
وقيل اولئك اشارة الى الفريقين وفيه ان امر الكافر قد ختم بقوله ما له في الآخرة من خلاق
وليس ما رزق في الدنيا من نصيب لاجل كفره ولا من جنسه. والله سريع الحساب: يعني
قريب يحاسبكم فبادروا او سريع حسابه يحاسب الخلق في مقدار حلبة شاة وروي
في مقدار فواق ناقة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في لمحة طرف لا يشغله شان
عن شان وعد ووعيد وحسن موقعه بعد ذكر المناسك الكثيرة. واذكروا الله في ايام
معدودات: عن ابن عباس رضي الله عنه الايام المعلومات عشر ذي الحجة والمعدودات
ايام التشريق والذكر التكبير عند الجمار وادبار الصلوات. فمن تعجل: تعجل واستعجل يجيئان
لازما ومتعديين اي تعجل الذهاب والاول الاوفق بقوله. في يومين: في ثاني ايام
التشريق بعد رمي الجمار عند الشافعي رحمه الله تعالى وبعد طلوع الفجر عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى
والاول اظهر. فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه: بان رمى الجمار في الثالث بعد الزوال
عند الشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفة قبل الزوال والتخيير بين الافضل والفاضل لان التخيير يجوز
كلا الطرفين وليس من لوازمه التساوي. لمن اتقى: اي ذلك التخيير ورفع الاثم للمتقي
لا تتعلقه الشبه وتعتريه وفيه اشارة الى انه الحاج حقيقة وغيره غير ملتفت اليه. واتقوا الله
ليعبأ بكم ويجعلكم ممن له التخيير ومعه الخطاب. واعلموا انكم اليه تحشرون: فتوسلوا اليه بالتقوى
فانها نهاية الشاكلين. ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا: الجار متعلق بالقول
اي قوله في الدنيا وطلب حظ منها يروقك ويعظم في نفسك لحلاوة عبارته ورشاقة
الفاظه او بيعجبك اي يروقك في الدنيا لا في الآخرة اذ لا قول له هناك الا ما يرهقه من
شدة الخوف او لا يؤذن له في الكلام او يختم على لسانه. ويشهد الله على ما في قلبه: من الود
والصدق كقولهم نشهد انك لرسول الله. وهو الد الخصام: اي شديد الجدال على ان الخصام
مصدر من اضافة الصفة الى فاعلها كحسن الوجه او جمع خصم والمعنى اشد الخصوم لا لان الد افعل
تفضيل يكون جمعه لدا بل لان الالد شديد الخصومة فهو بالنسبة الى ما دونه اشد واشتقاقه من
لديدي الوادي لجانبيه لانه ياخذ من كل جانب من الجدال والعداوة والآية في شان المنافقين
وقيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي كان حلو المنطق يدعي حب رسول الله وليس بصحيح لانه
اسلم سنة الفتح وحسن اسلامه فان قلت لم لا يجوز ان يكون اسلم بعد نزول الآية قلت يمنع
ذلك قوله في حقه حسبه جهنم. واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل: با
باتلاف الاموال وقتل الانفس والذراري او بشؤم كفره ونفاقه يمنع الله القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد: ولو كان صادقا في قوله لما ارتكب ما لا يرضاه الله. واذا قيل له اتق الله

اخذته

اخذته العزة بالاثم: الزمته به وحملته عليه حمية الجاهلية للاجاج عنادا يقال اخذته بكذا اذا الزمته
اياه او على رد قول الواعظ. فحسبه جهنم: كافيه جزاء وعذابا علم لدار العقاب وفي الاصل مرادف
للنار وقيل معرب. ولبئس المهاد: جواب القسم والمخصوص محذوف للعلم به والمهاد والتمهيد
كالفرش لفظا ومعنى. ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله: عن ابن عباس
رضي الله عنه وانس رضي الله عنه نزلت في صهيب لما جرى في اثر رسول الله فاخذه المشركون
فقال انا رجل كبير غريب لا اضر ولا انفع اعطيكم مالي ودعوني اذهب فرضوا بذلك
ولما ورد المدينة تلقاه عمر رضي الله عنه وكان بينهما المواخاة فناداه يا صهيب ربح البيع
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرهم بقصته فقال صهيب بذا خبر السماء وقيل
نزلت في الجهاد وكل آمر بمعروف وناهي عن منكر ويشري بمعنى بايع نفسه وبذلها في مرضات الله خالصة
والله رؤف بالعباد: ذو الرحمة ولذلك ارشدهم الى ما فيه رضاه الذي لا مطلب اعلى
يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة: السلم بكسر السين وفتحه نافع وابن كثير والكسائي
وهما لغتان الانقياد والطاعة والخطاب للمؤمنين او لاهل الكتاب الذين آمنوا بنبيهم او
او المنافقين الذين آمنوا بالسنتهم او للكل وكافة حال من ضمير ادخلوا او من السلم لانها
تؤنث كالحرب وكافة اسم جملة لانها تكف الاجزاء من الخروج والتفرق وعن يونس والاخفش
ان السلم هو الاسلام فالخطاب لاهل الكتاب او للمنافقين او لهما ويجوز خطاب
المؤمنين بتقدير مضاف اي ادخلوا في شعبه وفروعه لان لفظ الدخول ياتي حمله على
الثبات والازدياد. ولا تتبعوا خطوات الشيطان: بالتفرق والتفريق وقرا ابن كثير
في رواية قنبل وحفص وابن عامر والكسائي بضم الطاء. انه لكم عدو مبين: ظاهر العداوة
فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات: خرجتم عن الانقياد والاسلام من زل من الطين
اذا وقع. فاعلموا ان الله عزيز: غالب. حكيم: لا يواخذ الا بعد الزام الحجة. هل ينظرون الا
ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام: اي ما ينتظرون الا اتيان امره وباسه او الاتي به فحذف
اي اتيانه بالبلية والنقم والظلل جمع ظلة كقلل في قلة وهي ما اظلك ولذلك بينه
بالغمام والاتيان على هذا الوجه افظع لان الغمام مظنة الرحمة فاتيان الشر منه اشر فوقه كما
ان اتيان الخير من مظان الشر اشرف منه. والملائكة: لانهم وسائط في اتيان امره ونفيذ
احكامه. وقضي الامر: تقضي ويفرغ منه واتيان الماضي لتحققه لا محالة. والى الله ترجع الامور
كلها فذلكة القصة وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم على بناء المفعول من الرجع والباقون
بالعكس من الرجوع والاول اشهر وابلغ لدلالته على ان راجعا موكلا بها. سل بني اسرائيل
اردف الامر بالدخول في السلم بنقض بني اسرائيل عهودا كثيرة تحذيرا عن ارتكاب
مثله والمامور بالسؤال اما رسول الله او كل احد والقصد التقريع لا الجواب. كم آتيناهم
من آية بينة: كم خبرية او استفهامية للتقرير ولا ينافي التقريع مفعول ثان لآتيناهم
والجملة في موضع المصدر كانه قيل سل هذا السؤال او المفعول به او بيان للمقصود اي

اى سلهم جواب هذا السؤال او في محل الحال اى قائلا كم آية بينة آتيناهم واذا فصل بينه وبين المميز
حسن الاتيان بمن والآيات المعجزات انبيائهم او آيات كتبهم ودلائل الاحكام: ومن
يبدل نعمة الله: آية الله الدالة على صدق الرسل او آية الدالة على نعت محمد وصحة دينه سماها
نعمة لانها اسباب الهدى ووسائل النجاة: من بعد ما جاءته: عرف انها آية او تمكن منه والا فالتبديل
لا يكون الا بعد المجيء: فان الله شديد العقاب: دليل الجزاء اى يعاقبه: زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا: بيان للعلة الباعثة والمزين هو الله لانه خالق الخير والشر وقيل اذ ما من شيء الا وهو
فاعله وفيه ان الخالق غير الفاعل يظهر في الزنا والسرقة او الشيطان والاسناد مجاز: و
يسخرون من الذين آمنوا: من فقراء المهاجرين كبلال وعمار عطف على زين والعدول
الى المضارع لقصد الاستمرار وقيل حال بتقدير وهم وليس بوجه اذ لا معنى لتقييد التزيين بحال السخرية
والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة: رتبة او مكانا لانهم في العليين والتعبير عن الايمان بالتقوى
تذكير بها وترغيب فيها لان هذا الحكم عام لكافة المؤمنين: والله يرزق من يشاء بغير حساب:
بغير تقدير كناية عن التوسعة فالبسط على الكفار استدراج ليكون وسيلة الى النقمة: كان الناس
امة واحدة: على الاسلام عن ابن عباس رضي الله عنه من آدم الى نوح عشرة قرون كلهم على
التوحيد وقيل بعد نوح عليه السلام اذ ما بقي معه الا من آمن وقيل على الكفر ولا دليل له كما
فاختلفوا في الايمان: فبعث الله النبيين: اذ لو كان الكل صالحا لم يكن حكمة للبعث فلا يحتاج الى
الاعتراف مبشرين: بالجنة لمن آمن: ومنذرين: لمن كفر: وانزل معهم الكتاب:
جنس الكتاب فلا يلزم ان يكون مع كل واحد كتاب يخصه: بالحق: حال من الكتاب: ليحكم
بين الناس فيما اختلفوا فيه: اى الله او النبي او الكتاب وانما اعاد المظهر لعدم اختصاص حكمه
بالذين اختلفوا: وما اختلف فيه: اى في الحق: الا الذين اوتوه: اى الكتاب عكسوا الامر
بان جعلوا ما انزل للوفاق سببا للخلاف والمراد زيادة الاختلاف لوجوده قبل البعثة
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم: حسدا وظلما لحرصهم على الدنيا: فهدى الله الذين
آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق: اى هدى الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف
باذنه: بارادته وتيسيره: والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم: يوفقه لسلوكه: ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة: ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان ورسول الله
صلى الله عليه وسلم وامته داخلون في عموم النبيين والذين آمنوا خوطبوا على طريق الالتفات
تشجيعا لهم على الثبات والصبر: ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم: حالهم التي بمنزلة
المثل في الغرابة ولما نظيره قد في ان الفعل المذكور بعدها منتظر متوقع لا نفيه: مستهم البأساء
والضراء: بيان للمثل جواب سؤال مقدر: وزلزلوا: ازعجوا ازعاجا شديدا يشبه الزلزلة
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله: اى بلغت الشدة مبلغا ضجر الرسول
واستبطأ النصر ومعناه مع كمال الثبات للرسل وغاية صبرهم على البلايا والرزايا وقرأ نافع
يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية والباقون بالنصب على الاستقبال نظرا الى ما قبله وهذا

ابلغ لما فيه من صريح التدريج الى تلك الغاية: الا ان نصر الله قريب: اى اجيبوا الى طلبتهم وقيل
لهم قد قرب النصر ودنا الفتح وقيل هذا مقول الرسول ومتى نصر الله مقول من معه وضعفت
بيان تناهي الامر في الشدة فلا يحسن. يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير
فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل: سألوا عن المنفق فاجيبوا
ببيان المصرف مفصلا مع مجانبة ما سألوا وهو ما انفقتم من خير لان النفقة لا يعتد بها
ما لم يقع موقعها قال ان الضيعة لا يكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع والمجيب بمنزلة
الطبيب يبني العلاج على مقتضى المرض لا على قول المريض وعن ابن عباس رضي الله عنه ان
عمرو بن الجموح سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها
فنزلت فعلى هذا في السؤال المحكي في التنزيل اختصار اعتمادا على الجواب: وما تفعلوا من
خير: ما شرطية: فان الله به عليم: اى اي شيء تفعلونه من الخير فان الله مجازيكم عليه: كتب
عليكم القتال: قدم ذكر الانفاق وعقبه بالقتال لاعلاء الكلمة ترقيا من الادنى الى الاعلى
وهو كره لكم: مكروه فعل بمعنى المكروه كالخبز او شاق مصدر بمعنى الفاعل واتفق السبعة
على ضم الكاف: وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم: والتكاليف كلها كذلك لانها خلاف
هوى النفس ولا يلزم منه كراهة حكم الله كما في الشرور فانها مكروهة منكرة مع كونها بقضاء الله
ومشيئته: وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم: ومنه المعاصي: والله يعلم ما فيه الخير والشر
وانتم لا تعلمون ذلك: يسئلونك عن الشهر الحرام: روى ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنه
وابن هاشم عن زياد البكائي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى نخلة بين مكة و
الطائف لترصد قريشا وتعلم خبرها بعدما رجع من بدر الاولى وامر عليهم عبد الله بن جحش واعطاه
كتابا ولم يدر ما فيه وامره ان لا يقرأ الا اذا بلغ مكان كذا فلما بلغ قرأه وقال سمعا وطاعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا نخلة وجدوا عير القريش تربهم فتعرضوا لها فقتلوا بعضا واسروا
بعضا وكان اول يوم من رجب فظنوه آخر جمادى فلما قدموا بالاسرى والغنيمة وكانت
اول غنيمة جاءت رسول الله فعلم ذلك المشركون واليهود فقالوا محمد يستحل الشهر الحرام وتوقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الغنيمة وقال لهم ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام فنزلت
والمخاطب لكل المسلم والكافر عن الشهر الحرام: قتال فيه: بدل اشتمال: قل قتال فيه كبير:
اثم كبير منسوخ باية القتال فان قلت حيث وجد عموم في آية القتال عام في المكان والكلام
في الزمان قلت عموم الامكنة قرينة عموم الزمان اذ هما في حكم النسخ لا يفترقان: وصد
عن سبيل الله: كما فعل عام الحديبية مبتدأ خبره اكبر: وكفر به: بالله: والمسجد الحرام: عطف على
سبيل الله لامتناع العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار ولا وجه لتقدير الجار اذ لا معنى للكفر بالمسجد
والصد والكفر متحدان ذاتا فكان لا فصل: واخراج اهله منه: كما فعلوا برسول الله والمؤمنين
اكبر عند الله: اى جرائم قريش وكبائرها اعظم جرما مما فعلت السرية خطأ لانهم لا يذكرون عيوب
انفسهم: والفتنة اكبر من القتل يعم المذكورات وغيرها: ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم

عن دينكم: كي يردوكم. إن استطاعوا: إيثار إن مع الجزم بعدم الوقوع للدلالة على أنه من المحالات المفروضة. ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم: يستدل به الشافعي رحمه الله على أن الموافاة على الكفر شرط في إحباط العمل وإلا لم يكن للتقييد فائدة واحتج أبو حنيفة رحمه الله بقوله ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهي مسألة حمل المطلق على المقيد وتمامها هناك وثمرة الخلاف تظهر فيما إذا صلى ثم ارتد والعياذ بالله ثم أسلم والوقت باق فإنه يجب إعادتها لبقاء السبب دون قضاء غيرها لانعدام السبب. في الدنيا: لأنه بها يسلب عنه اسم المسلم وأحكامه. والآخرة: لسقوط الثواب. وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون: دائمون. إن الذين آمنوا والذين هاجروا: أعاد الموصول تعظيما لشأن الهجرة. وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله: أشار بالرجاء إلى أن العمل غير موجب ولأن العبرة بالخاتمة وهي غيب ولما لم يعقب بالخيبة بل بما يصدقه علم أنهم واصلون إلى المرجو. والله غفور: لفرطاتهم. رحيم: بإجزال الأجر والثواب ولم ينقصه ما وقع في الشهر الحرام من القتل. يسألونك عن الخمر والميسر: روى الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه لما نزل تحريم الخمر في آية النحل تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت آية النساء ولا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى فقال اللهم بين لنا في الخمر فنزلت في المائدة إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال انتهينا انتهينا والخمر مصدر خمره أي ستره سمي به العصير إذا اشتد وقذف بالزبد لأنه يستر العقل وفي تخصيص هذا الاسم بعصير العنب فيه كلام واستدل الشافعي رحمه الله على أن كل مسكر حرام بما رواه مسلم الخمر ما خامر العقل وكل مسكر حرام وعند أبي حنيفة رحمه الله يحل شرب المثلث وما طبخ من عصير العنب ونقيع التمر والزبيب حتى ذهب ثلثاه ما لم يسكر ولم يقصد بشربه اللهو والطرب. والميسر القمار من اليسر مصدر كالموعد لأنه أخذ مال الغير بسهولة أو من اليسار لأنه يسلب يساره. قل فيهما إثم كبير: أي في تعاطيهما فإن قلت كيف سوغوا شربها بعد هذا قلت فهموا أن الحرمة باعتبار جلب المفاسد لا لذاتهما. ومنافع للناس: من الطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وتوفر المروة والتشجيع وكسب المال في الميسر وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء المثلثة لكثرة ما يترتب عليهما من الآثام وهو المختار والأوفق بقوله ومنافع. وإثمهما أكبر من نفعهما: كم افتقر من غني وذل من عز وسلبت من نعمة ونسخت من مودة ونشبت من عداوة وبالجملة مفتاح الشرور وأم الخبائث وفي الحديث من شربها لم يشرب خمر الجنة وسقاه الله من طينة الخبال والخبال عصارة أهل النار. ويسألونك ماذا ينفقون: سألوا أولا عن حقيقة المنفق وهذا سؤال عن وصفه. قل العفو: الفضل عن الحاجة لئلا يحتاج إلى السؤال روى أبو داود أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيضة ذهب وقال يا رسول الله أصبت هذا من معدن فخذها واجعلها في الصدقة فأخذها

منه وحذفه بها لو أصابه لعقره أو شجه وقال يأتي أحدكم بماله ثم يجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى وهذا إذا لم يكن له قوة يقين وكمال توكل لقوله ويؤثرون على أنفسهم في معرض المدح ولقوله خير الصدقة جهد المقل وقضية الصديق وخروجه من ماله مشهورة وقيل المراد بالعفو نقيض الجهد وقرأ أبو عمرو العفو بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والنصب أقل تغييرا أو أبلغ. كذلك يبين الله لكم الآيات: أي تبيانا كالآيات الدالة على الأحكام أفرد الخطاب أولا باعتبار كل من يخاطب ثم أجمل ثانيا. لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة: أي في أمور الدارين وتؤثرون ما هو أنفع وأبقى ويجوز أن يتعلق بيبين وتوسيط التفكر بين الجار ومتعلقه للاهتمام. ويسألونك عن اليتامى: روى أبو داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن تجانبوا مداخلة الأيتام والتولي عليهم وشق ذلك عليهم. قل إصلاح لهم: أي مخالطتهم على وجه الإصلاح. خير: من المجانبة. وإن تخالطوهم فإخوانكم: أي فلا استبعاد فإن الأخوة تقتضي المخالطة والالتئام والائتلاف. والله يعلم المفسد من المصلح: فيتحروا الإصلاح ولا عليكم بعد ذلك أن تخالطوا. ولو شاء الله لأعنتكم: لأوقعكم في العنت أي المشقة بالمنع من المخالطة. إن الله عزيز: غالب على ما أراده. حكيم: متقن في صنعه لا يريد إلا ما فيه حكمة. ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن: المخالطة ثم النكاح فلما ذكر المحرمات بعدها نزلت في أبي مرثد الغنوي كان يهوى بغيا اسمها عناق فلما أسلم دعته إلى الخلوة بها فقال ويحك قد حال دون ذلك الإسلام فدعته إلى التزوج بها فقال حتى أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والكتابيات وإن دخلن في المشركات خصصن بآية المائدة والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب فإن المائدة آخر القرآن نزولا لا نسخ فيها. ولأمة مؤمنة خير من مشركة: في معرض التعليل وإيثار الأمة لأن النساء إماء الله. ولو أعجبتكم: أي المشركة لو لتأكيد ثبوت الحكم والواو إما للعطف على مقدر هو ضد المذكور أي لو لم تعجبكم أو الحال أي ولو كان الحال كذا. ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا: باق على عمومه. ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك: أي المشركات والمشركون. يدعون إلى النار: إلى أسبابه من الكفر والمعاصي وفي يدعون تغليب الذكور أو استعمال المشترك في معنييه وكل من الواو والنون ضمير ولا تدافع لاعتبار الحيثيتين. والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه: أي أولياؤه لوقوعه في مقابلة أولئك يدعون إلى النار ولقوله بإذنه إذ لا معنى للقول بأن الله يدعو بإذنه وإنما أسند إليه تشريفا لهم. ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون: ليكونوا في صورة المرجو منهم التذكر وفصل الآية بالتذكر لظهور قبح ازدواج المؤمن والمشركة. ويسألونك عن المحيض: روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا لا يؤاكلون الحيض ولا يساكنونهن في البيوت فسأل ثابت بن الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمحيض مصدر كالمبيت ذكر

ذكر يسألونك في سبعة مواضع ثلاثة بالواو وأربعة بدونه ولعل المقرونات بالواو نزلت في وقت
واحد. قل هو أذى: شيء من المقذورات. فاعتزلوا النساء في المحيض: أي دفاعهن في زمان
الحيض اقتصادا بين إفراط اليهود وتفريط النصارى من مباشرتهن في حال الحيض واستدل الشافعي
رحمه الله على هذا بما روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ الآية وقال اصنعوا كل شيء
إلا النكاح وبما روى مسروق عن عائشة رضي الله عنها كل شيء إلا الشعار وفي رواية إلا فرجها
وأبو حنيفة رحمه الله تعالى إلى حرمة ما يشتمل عليه الإزار لما روى مسلم والبخاري عن ميمونة رضي الله عنها
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يباشر إحدى نسائه وهي حائض أمرها أن
تتزر وبه قال الشافعي في أحد قوليه. ولا تقربوهن: من القربان وهو الوقاع. حتى يطهرن
وقرأ حمزة والكسائي بتشديد الطاء فحمل أبو حنيفة رحمه الله قراءة التخفيف على أكثر الحيض
حتى تحل بمجرد الانقطاع لأن الطهر نقيض الحيض وقراءة التشديد على أقل من العدة فلا تحل
حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة إلا أن يكون ذمية فتحل بالانقطاع وحمل الشافعي
رحمه الله قراءة التخفيف على الغسل أيضا لأن طهر بمعنى اغتسل كما في حديث أم سلمة إذ نعتت
الآء عليك فقد طهرت أو تجوزا للاتفاق في فإذا تطهرن. وذهب الأوزاعي إلى حل
الفرج بمجرد الوضوء. فأتوهن من حيث أمركم الله. وهو القبل. إن الله يحب التوابين
المكثرين من التوبة أو الذين يتوبون من إتيان شيء كالوطء قبل الطهر أو التطهر روى أحمد
وأصحاب السنن أن من أتى امرأة في قبلها من دبرها يجيء الولد أحول رواه مسلم عن جابر
فلكو هي حائض يتصدق بدينار أو نصفه. ويحب المتطهرين: من الأنجاس والمستقذرات
شبعا وإن كانت مباحة وللترغيب إعادة المحبة. نساؤكم حرث لكم: بيان لقوله فأتوهن
من حيث أمركم الله شبه حال إتيانهم النساء من الماء بحال إتيانهم المحارث في عدم
الاختصاص بجهة دون أخرى وفيه تعريض لليهود القائلين بأن من أتى امرأة في قبلها من دبرها
يجيء الولد أحول رواه مسلم عن جابر. فأتوا حرثكم أنى شئتم: تصريح بما علم التزاما وليعطف
عليه قوله. وقدموا لأنفسكم: أي الأعمال الصالحات وقيل التسمية حال الجماع وقيل هو طلب
الولد وهذا أوفق لأن إتيان الحرث كناية عن الوقاع الذي يقصد به الولد لا قضاء الوطر
كما أن الأذى كناية عن المستقذر قصدا إلى التنفير والاعتزال كناية عن ترك الوطء قصدا
إلى التبعيد وحيث أمركم الله كناية عن القبل تحذيرا عن غيره وفيها تعريضات باليهود والنصارى
والراغبين في غير القبل. واتقوا الله: أن تعتدوا حدوده. واعلموا أنكم ملاقوه: [illegible]
وبشر المؤمنين: عطف على قل هو أذى تحريض على الامتثال لما سبق من الأوامر والنواهي
ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس: برزخا وحجابا لما حلفتم عليه
من الخيرات كالبر والاتقاء والإصلاح ونحو ذلك من عرضت العود على الإناء فالأيمان
مجاز عن الأمور المحلوف عليها وأن تبروا وما عطف عليه عطف بيان واللام تتعلق بالفعل
أو الأيمان حقيقة وأن تبروا مقدر باللام والعرضة بمعنى المعرض للأمر والمعنى لا تجعلوا الله معرضا

لحلفكم

لحلفكم تحلفون به دائما فإن ذلك ابتذال له أي كفوا عن ذلك لتبروا فهو نهي معلل وعلى
الأول المعلل نهي وهو الوجه لما روى البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله عليه السلام
قال إني لا أحلف على يمين وأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني
ولما روي أنها نزلت في أبي بكر حين حلف لا ينفق على مسطح وقيل في عبد الله بن رواحة حلف
لا يكلم النعمان بن بشير زوج أخته. والله سميع: لأيمانكم. عليم: بنياتكم. لا يؤاخذكم الله باللغو
في أيمانكم: اللغو كل شيء الساقط في حديث أبي هريرة رضي الله عنه إذا قلت لصاحبك
يوم الجمعة والإمام يخطب أنصت فقد لغوت وهو عند الشافعي رحمه الله ما رواه أبو داود عن
عائشة رضي الله عنها وابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الكلام الرجل كلا والله وبلى
والله وعند أبي حنيفة رحمه الله هو يحلف بالظن على ما كان ولم يكن. ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم: اقترفته قصدا ليشمل الغموس وغيره ولا فرق بين المكسوبة والمعقودة عند الشافعي
رحمه الله والمؤاخذة الكفارة أو العقوبة إن لم يكفر وعند أبي حنيفة رحمه الله لا كفارة في المكسوبة
وهي الغموس وهي أن يحلف عمدا على خلاف الواقع في الماضي والمعقودة هي التي توثق القصد
والنية على أمر في المستقبل بفعله أو لا بفعله. والله غفور: لا يؤاخذ باللغو. حليم: لم يعاجل
بالعقوبة بعد الحنث. للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر: صيغ القسم تعدى
بعلى وتعديته بمن لتضمنه معنى البعد وحال من الضمير في الخبر أي أربعة أشهر حاصل للذين
يؤلون حال كونه من نسائهم والتربص الانتظار والمراقبة مصدر أضيف إلى المفعول
فإن فاؤوا: رجعوا من اليمين بالحنث. فإن الله غفور: إثم الحنث بالكفارة. رحيم: بشرع
الكفارة تلافيا. وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع: لطلاقهم. عليم: بنياتهم الإيلاء
حلف الزوج على الامتناع من الوطء إما مطلقا أو مقيدا بأكثر من أربعة أشهر وحكمه بعد
المدة الفيئة أي الرجوع إما بالوطء أو الوعد إن عجز فإن لم يفئ طلقها فإن أبى طلقها
القاضي استدل الشافعي رحمه الله على هذا بالفاء في فإن فاؤوا فإنها تدل على أن طلب
الفيئة بعد أربعة أشهر وبقوله إن الله سميع لأنه يدل على أن من الزوج كلاما وهو الطلاق و
ذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى جواز الإيلاء في أربعة أشهر فإن فاء في المدة لزمته الكفارة
وإلا بانت منه بطلقة وجعل قوله فإن فاؤوا تفصيلا لقوله للذين يؤلون من نسائهم
والسماع متعلقا بما يقع من المقاولة عند ترك الفيئة والقرار وفيه أن المفصل يعين
المحل والتعقيب الآتي في الذكر وما في الآية متغايران وجوديان. والمطلقات: عام خص منه
الأمة والصغيرة والآيسة وذات حمل وغير المدخول بها بنصوص أخر. يتربصن بأنفسهن
خبر أريد به الإنشاء مجازا تشبيها لما هو المطلوب الوقوع بالمتحقق في الحال أو الاستقبال
أبلغ من صريح الأمر لأنه على أنهن يمتثلن لا محالة وبناؤه على المبتدأ زاده وكادة
لتكرر الإسناد وإقحام الأنفس هنا دون الإيلاء لأن القرء من صفاتهن دونه وقيل لأن
نفوسهن طوامح إلى الرجال في العدة فأمرن بحفظها وكفها. ثلاثة قروء: القرء لغة

الحيض والطهر والى الاول ذهب ابو حنيفة رحمه الله في تفسير الآية مستدلا بما روى ابو داود
والترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان ولانه قام على الحيض في الاستبراء ولما رواه ابو داود عن فاطمة بنت ابي
حبيش دعي الصلوة ايام اقرائك وذهب الشافعي الى الثاني مستدلا بقوله فطلقوهن
لعدتهن فان اللام للتوقيت كقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وقوله اقم الصلوة لدلوك
الشمس وبما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه انه طلق امراته وهي حائض فامره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يراجع ثم يطلقها في كل قرء تطليقة ورواية الشيخين مقدمة
عند التعارض والاعتراض بان ما ذهب اليه يبطل مدلول الخاص القطعي وهو الثلثة لاستداده
بساعة بل لحظة من الطهر غير ناهض لان الطهر عنده اسم للكل ولكل جزء منه فان قلت
اذا كان اسما لكل جزء منه فكان ينبغي ان تنقضي العدة بثلث ساعات من طهر وقع فيه
الطلاق قلت الطهر الذي يجعله قرءا شرطه ان يكون محاطا بدمين ولذلك لم يجعل طهر الصغيرة
قبل الحيض قرءا وبذلك يسقط وهم التحكم حيث جعل جزء من الطهر الذي وقع فيه الطلاق
قرءا دون الثالث وايثار جمع الكثرة مع الثلثة للاتساع في استعمال كل موضع الآخر
مع استعمال كل قرء على اجزاء كثيرة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد
والحيض استعجالا لقبول قولها ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس مشروطا في عدم الكتمان
حتى لم يكن حل لها ذلك بل قصد اعظام ذلك وان عدم الاقدام عليه من لوازم الايمان
وبعولتهن احق بردهن البعولة جمع بعل والتاء لتاكيد معنى الجمع كالفحولة والضمير اخص
من المرجع لاختصاص هذا الحكم بالرجعيات والمعنى ان الزوج احق بالرجعة منها بالاباء كقولهم
الصيف احر من الشتاء وفيه حث لاقاربها بان يكونوا عونا له ان تنازعا في ذلك
في زمان التربص اذ بعده مستقلة بانشائها ان ارادوا اصلاحا اي الاحقية عند الله
مقيدة بارادة الله الاصلاح لا في الظاهر لان تلك الارادة امر خفي ومناط الاحكام
الظواهر سنن الفتوى غير سنن التقوى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف من
الحقوق والرعاية وللرجال عليهن درجة مزية في الحق وزيادة فضيلة باعتبار الخلقة
والدرجة منزلة لوحظ فيها الترقي كما اعتبرت التسفل في الدركة والله عزيز قادر
على الانتقام ممن خالف امره حكيم حيث فضل الرجال لانهم قوامون على النساء
بالنفقة والحراسة ويشاركونهن في غرض الزواج الطلاق مرتان اي الطلاق المعقب
للرجعة طلقتان لان الكلام في شان الرجعيات وحكم البائن مستوفي في سورة الطلاق
ولما روى ابو داود عن ابن عباس رضي الله عنه كان في بدء الاسلام الرجل احق بامراته وان طلقها
ثلثا تطليقة وكذا عن ابن جرير وابن ابي حاتم عن عروة ولحديث بلال طلق زوجته ثلثا وعند ابي
حنيفة رحمه الله تعليم بكيفية ايقاع الطلاق اي ان الطلاق الشرعي تطليقة بعد تطليقة دون
الجمع والارسال فانه بدعة فامساك بمعروف او تسريح باحسان متفرع على التعليم فبعد العلم

بكيفية

كيفية الطلاق انتم مخيرون بين الامساك وحسن المعاشرة والطلاق على الوجه المشروع مخيرا
بين الفاضل والمفضول لان الطلاق ابغض المباحات وعند الشافعي رحمه الله التسريح
باحسان الطلقة الثالثة او منع الرجعة حتى تبين بانقضاء العدة ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما آتيتموهن شيئا نزلت في جميلة بنت ابي بن سلول كانت عند ثابت بن قيس روى
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه انها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله
ثابت لا اعتب عليه في خلق ولا دين ولكن اكره الكفر في الاسلام اكره ذمة منه رايته مقبلا
في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال تردين عليه حديقته
وكان اصدقها حديقة فقالت نعم فاختلعا والخطاب للحكام لانهم الآمرون وهذا القدر
كاف في الاسناد وان لم يكن مسبوقا بالترافع او للازواج والحكام وينصرف الى كل ما يليق
او للازواج وان كان الخطاب في فان خفتم للحكام لانه تفنن في الخطاب ومثله كثير
الا ان يخافا اي الزوجان ان لا يقيما حدود الله من مرافق الزوجية ودقائقه
يخافا على بناء المفعول على ان ما بعده بدل اشتمال من الضمير وفيه تاييد لكون الخطاب للحكام
فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي شيء كان جميع المهر
او اقل او اكثر فاندفع به وهم البعضية مما آتيتموهن تمسك طائفة من السلف منهم ابن عباس
رضي الله عنهما بظاهر الآية على اختصاص الخلع بحال الشقاق وبما روى الترمذي عن ثوبان ايما
امراة سالت زوجها طلاقها من غير باس فحرام عليها رائحة الجنة والآية على ان القيد محمول على الغالب
حتى قال الشافعي رحمه الله اذا صح في حال الشقاق ففي الوفاق اولى واختلف فيه هل هو طلاق او فسخ
فذهب الامام احمد والشافعي في احد قوليه الى انه فسخ ان كان بلفظ الخلع او المفاداة وفي الصحيح قوله
الى انه طلاق وثمرة الخلاف ان كان فسخا لا ينقص به عدد الطلاق واختلفوا في لحوق الطلاق
بعد الخلع يلحقها عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك ان اتبع الخلع طلاقا من غير سكوت تلك حدود
الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم فان طلقها
اي بعد الطلقتين وحديث الخلع بيان لاحد قسمي الطلاق بعد الخلع يلحقها عند ابي حنيفة وعند مالك
وهو الذي على عوض وعند الشافعي حديث الخلع معترض والطلقتان رجعيتان فلا تحل له من بعد حتى
تنكح زوجا غيره النكاح هو العقد واسناده الى الزوجة والاصابة لانه فعل الزوج وانما اشترطت
زيادة على الكتاب لحديث العسيلة فانه مشهور فان قلت ما رواه الثقات من قوله لعن الله المحلل
والمحلل له يناقض الآية لان الزوج الثاني محلل البتة قلت ذلك محمول على الاشتراط او نقصان
فلا تناقض لاختلاف المورد فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما على الزوجين
ان يتراجعا يرجع كل منهما الى صاحبه ان ظنا ان يقيما حدود الله في احكام الزوجية وايثار الظن
لان اليقين متعذر وحمل الظن على اليقين مع كونه رجما بالغيب ينافيه ان الناصبة الدالة على
التوقع وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون اي يعملون بعلمهم واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن شارفن آخر العدة او بعد انقضائها لا زوجية والاجل يطلق على آخر المدة كما يطلق على جميعها

اما بتسريحها او تجوز ان احدهما: فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف: اعاده مقررا على
بيان مدة الرجعة وليعطف عليه: ولا تمسكوهن ضرارا: كانوا يطلقون فاذا شارفت
انقضاء العدة راجعوها لا للامساك بل ضرارا لتعتدوا عليهن ومن يفعل ذلك فقد ظلم
نفسه: بتعريضها للعقاب: ولا تتخذوا آيات الله هزوا: كانوا يطلقون ويعتقون ثم منهم
من يقول كنت لاعبا فنزلت روى ابو داود والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق: واذكروا
نعمة الله عليكم: بارسال الرسول ورفع سنة الجاهلية والذكر اعم من اللساني لان المراد منه الشكر
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة: من الشريعة عطف على نعمة الله المعبر بارسال الرسول فيتلاءم
النظم: يعظكم به: جملة حالية: واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم: تاكيد وتهديد: واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن: روى البخاري ان اخت معقل بن يسار كانت عند رجل
فطلقها فلما انقضت عدتها خطبها مع سائر الخطاب فابى معقل فنزلت واستدل به
من قال لا تزوج المراة نفسها والاجل محمول على الحقيقة الاجل آخر العدة وهذا معنى قول الشافعي
دل بالسياق على افتراق البلوغين: فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن: تسميتهم ازواجا
بعد العدة باعتبار ما كان خطاب للاولياء وقيل خطاب للازواج لما روي انهم كانوا يمنعون
المطلقات من التزوج بالغير حمية جاهلية والاحسن ان يكون خطابا عاما ليسلم من انتشار
الخطاب لان الخطاب في اذا طلقتم خاص بالازواج ولما فيه من تهويل امر العضل فعلى الاولياء
والازواج ان لا يحوموا حوله وعلى الناس كافة نصر المظلوم: اذا تراضوا بينهم: اي الخطاب والنساء
فيه تغليب واذا ظرف للنكاح او العضل: بالمعروف: بما يعرف شرعا ويستحسنه المروة: ذلك
اشارة الى معنى من الاحكام خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه حرف الخطاب مع اسماء الاشارة
لمن يتلقى الكلام سواء كان مخاطبا بالحكم اولا وليس هذا خطابا لرئيس القوم بمنزلة خطابهم كما في
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء او لكل من يتاتى منه تلقي الكلام وهذا اوفق لان الخطاب
اللاحق والسابق عام: يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: لانه المنتفع بالموعظة
ذلكم ازكى لكم: افضل واكثر خيرا: واطهر: من دنس الآثام وصف للشيء بوصف صاحبه والله
يعلم: ما فيه صلاحكم: وانتم لا تعلمون: لقصور علمكم: والوالدات يرضعن اولادهن: خبر في
معنى الامر مبالغة والامر للندب ان وجد غير الام وان لم توجد او وجدت ولم ترضع الا من الام
او كان الوالد عاجزا عن اجرة الظئر ويجوز استيجار الام عند الشافعي رحمه الله بكل حال وعند
ابي حنيفة رحمه الله لا يجوز ما دامت في النكاح او معتدة: حولين كاملين: وقع التجوز بتنزيل
ما يقرب الكل منزلته ولانيا في هذا كون الاسم العدد خاصا لا يحتمل الزيادة والنقصان
في المدلول مرادا قطعا: لمن اراد ان يتم الرضاعة: اللام بيان لمن خوطب كما في هيت لك
بيان للمهيت به اي الخطاب لك حتم واسرع والضمير للاب لانه الذي يجب عليه الارضاع
والمعنى هذا نهاية المدة ويجوز النقص ان لم يتضرر الولد وعند ابي حنيفة رحمه الله مدته ثلثون شهرا

لقوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا: وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن: اي اجر المثل وبه استدل في
رحمه الله على جواز استيجار الام مطلقا وعند ابي حنيفة رحمه الله في الوالدات المطلقات لان الكلام
فيهن والنفقة والكسوة لاجل الرضاع وانما قال المولود له دون الوالد دلالة على وجوب قيامهم
برزق المرضع وايماء الى ان النسب للآباء في الكفاءة وغيرها عاب هشام بن علي المامون
قبل الخلافة بانه ابن امة ويروم الخلافة فقال له المامون ان اسمعيل كانت امه امة وقد ولدت
اسمعيل ومن نسله سيد ولد آدم فانشد الشاعر للمامون فانما امهات الناس اوعية
مستودعات وللابناء آباء: بالمعروف: حسب ما يليق به من اليسار والفقر والتوسط
لا تكلف نفس الا وسعها: تعليل للتقييد بالمعروف ولا يمنع جواز تكليف المحال: لا
تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده: اي لا تشاق كل منهما الآخر لاجل الولد بان
تطلب هي منه فوق المعروف وما ليس بعدل من الرزق والكسوة ولا هو يمنع حقها
او يطلب انتزاع الولد منها وهي راغبة في ارضاعه واشباه ذلك وان كان مبنيا للمفعول
فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وبالعكس ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر
والباء صلة اي لا تضر والدة بولده بان تقصر في تعهده اذا لم يرضها الوالد وكذا الوالد اذا
بدا منها سوء خلق بان ينزعه منها بعد ما الفها وقرا ابن كثير وابو عمرو ولا تضار بالرفع وجه
البيع لكونه خبرا اريد به الانشاء وانما نسب الولد اليهما استعطافا بان لا يتضرر كل منهما
ولا يضار صاحبه لانه يؤول الى الاضرار بالولد: وعلى الوارث مثل ذلك: عطف على المولود له
وما بينهما تعليل معترض والوارث الصبي لتقدم ذكر الولد والاصل في اللام العهد ولان الولد
اذا كان له مال لا يجب على الوالد اجرة الارضاع وقيل يعم ما عدا الوالد لعموم اللفظ والاشتقاق
من الارث فقيل وارث المولود له وقيل وارث الصبي مطلقا عند ابن ابي ليلى ومن كان ذا رحم محرم
عند ابي حنيفة رحمه الله وقيل اصوله من الآباء والامهات وقيل عصباته وقيل على الوارث اي الباقي
من الابوين بعد موت الآخر وفيه قلق اذ التقدير فعلى الاب النفقة وعلى الباقي من الاب
والام: فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما: التحديد بالحولين وجواز
النقص علم سابقا الا ان من اراد كان ظاهرا في الاب فاشار هنا الى ان الام لها حق
في الجملة وليست معزولة عن النظر راسا: وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم
اي اذا اتفق الوالد والوالدة على تسليم الولد الى المرضع فلا جناح في ذلك سواء كان عذر اولا
يقال ارضعت المراة واسترضعتها كانجح واستنجح بمعنى فالمفعول الاول محذوف للعلم به: اذا
سلمتم ما آتيتم: اي اردتم ايتاءه وقرا ابن كثير بالقصر اي ما اردتم فعله والاول احسن وليس
التسليم شرطا لرفع الجناح بل حث على الاولى بالمروة والاصلح بالولد اذ بذلك تزداد رغبتها
ويقوى اهتمامها: بالمعروف: متعلق بسلمتم اي بالطريق المعروف شرعا ومروة: واتقوا الله بالمحافظة
على حدوده: واعلموا ان الله بما تعملون بصير: لا يخفى عليه خافية: والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا: اي ازواج الذين يتوفون منكم او الذين يتوفون منكم

ويذرون ازواجا بعدهم راجع الى الذين لان الظاهر من النكرة المغايرة وانما قال عشرا لان الليالي
غرر الايام والشهور باعتبار الهلال قال الله تعالى ان لبثتم الا عشرا خص كامل بقوله واولات الاحمال
اجلهن ان يضعن حملهن والامة فيها على عدة الطلاق وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما
عدة الحامل باقصى الاجلين متروك بالاجماع وقرا علي بن ابي طالب يتوفون على بناء الفاعل بمعنى يستوفون
اعمارهم وما روي انه خفا التابع عن الميت من المتوفى باسم الفاعل محمول على ان القائل لم يكن
بليغا عارفا بمواقع الكلام والحكمة في المدة اعتبارها بمدة الايلاء التي هي نهاية صبر المرأة عن الزوج على
ما نقل عن عمر رضي الله عنه وقيل لان الولد يتحرك في اربعة اشهر وزيد العشر استظهارا: فاذا
بلغن اجلهن آخر المدة فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن: ايها الحكام مما كان محرما
عليهن من الزينة والتعرض للخطاب: بالمعروف والله بما تعملون خبير: فصل الآية الاولى
بالبصير وهذه بالخبير لان الارضاع واحكامه امور مكشوفة بخلاف العدة وضبط ايامها
ربما تيت هل فيه الحكام: ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء: التعريض امالة الكلام
الى عرض اي جانب يدل على الغرض والفرق ان استعمال اللفظ في الموضوع له حقيقة وفي
غيره مجاز والكناية لفظ مستعمل في غير الموضوع له مع جواز ارادة الموضوع له ايضا والتعريض
ما فهم من السياق من غير استعمال في المعرض به كقول الراغب في المعتدة مثلك يوجد
ولم يك من طالب والخطبة اسم الحالة الا انه خص بطلب النكاح: او اكننتم في انفسكم
اضمرتم: علم الله انكم ستذكرونهن: لغلبة ميل الرجال الى النساء ولذلك اباح التعريض
والاضمار وفيه توبيخ لطيف: ولكن لا تواعدوهن سرا: استدراك عن مقدر اي فاذكروهن
ولكن لا تواعدوهن سرا والسر كناية عن الوطئ لانه مما يستر به ثم اطلق على العقد مجازا
ولم يطلق عليه ابتداء لعدم العلاقة: الا ان تقولوا قولا معروفا: متعلق بلا تواعدوهن
والقول المعروف هو التعريض اي لا تواعدوهن نكاحا الا بطريق التعريض وحكم المعتدة
من الطلاق البائن حكم المتوفى عنها زوجها: ولا تعزموا عقدة النكاح: نهي عن العزم
مبالغة في تحريم المباشرة وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح لان معنى العزم في الاصل
اي لا تبرموا النكاح ولا تلزموه: حتى يبلغ الكتاب اجله: اي المكتوب والمفروض من امر العدة
آخر مدته ونهاية امره: واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم: من العزم والميل: فاحذروه واعلموا
ان الله غفور: لما عزمتم عليه ولم تعملوه خوفا منه: حليم: لا يعاجل بالعقوبة: لا جناح عليكم
لم يعطفه لان ما تقدم في شان المعتدة من الطلاق البائن وخطبتها وهذا في بيان المهر
والجناح هو المهر لقوله بعد هذا وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم: ان طلقتم النساء
ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة: اي لا ايجاب مهر كلا او بعضا مدة انتفاء احد الامرين
المس والفرض وقرا حمزة والكسائي تماسوهن لان المراد به الوقاع ولا يكون الا بين الشخصين
والقصر اولى لان الوطئ فعل الزوج والفريضة بمعنى المفعول والتاء للنقل من الوصفية الى
الاسمية ويجوز ان يكون مصدرا: ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره: الموسع الغني

يقال اوسع الرجل اذا صار ذا سعة وغنى والمقتر ضيق الحال من القتار وهي رائحة الطبخ
او من القتر وهو الغبار لتغير حاله وكآبة وجهه وقرا حمزة والكسائي وحفص قدره بتحريك الدال
وهما لغتان والمتعة درع وملحفة وخمار عند ابي حنيفة رحمه الله الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك
فلها نصف مهر المثل واستحب الشافعي رحمه الله ان لا ينقص من ثلثين درهما والظاهر تخصيص المتعة
بغير الممسوسة اذا طلقت قبل الفرض والحق بها الشافعي في المدخول بها استدلالا بقوله فتعالين
امتعكن في آية التخيير فالتي لا متعة لها ذات التشطر: متاعا بالمعروف: تمتيعا ومروة
حقا على المحسنين: ترغيب في اعطاء المتعة بانه وصف المحسنين لانه قد روي ان الحسن
ابن علي رضي الله عنهما طلق امراته ومتعها عشرة آلاف فقالت متاع قليل من حبيب مفارق
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم: اي فلهن
نصف ما فرضتم ولا متعة لانه قسيم ذات المتعة: الا ان يعفون: اي المطلقات النون ضمير و
ولذلك لم يسقط بالناصب: او يعفو الذي بيده عقدة النكاح: قيل هو الولي واليه ذهب
مالك والشافعي رحمهما الله في قوله القديم والصحيح انه الزوج والمعنى او يترك الزوج طلب
طلب النصف واطلاق العفو وهو الاسقاط على الزيادة مشاكلة وعطفه على المستثنى
وحكمه ترك الواجب وفي المعطوف الزيادة عليه لاشتراكهما في عدم الطلب اي الا ان تعفو
المراة فلا شي او يكمله الزوج فلا نصف: وان تعفوا اقرب للتقوى: لان من ترك حقه الذي
نطق به القران فهو بترك الشبهات اسمح وعن ابن عباس رضي الله عنه الخطاب للزوجين وتغليب
الذكور: ولا تنسوا الفضل بينكم: اي تفضل بعضكم على بعض ترغيب في المسامحة والخطاب للاولياء
والازواج: ان الله بما تعملون بصير: فلا يضيع عنده الفضل والاحسان: حافظوا على الصلوات
عقب الحث على العفو والنهي عن نسيان الفضل بالحث على محافظة الصلوات لانها تهيئ
النفس لاتيان مكارم الملكات فانها الناهية عن الفحشاء والمنكر جمعا بين التعظيم لامر الله
والشفقة على خلق الله والمراد بالمحافظة رعاية اركانها وشرائطها وسننها وآدابها: والصلوة
الوسطى: اي الفضلى من الوسط بمعنى المختار ولذلك افردت بالذكر وهي صلوة العصر
لكثرة الاخبار في فضلها ولقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر
ملا الله بيوتهم وقبورهم نارا وقد اكثروا القول فيها ولا يعارض ما رويناه شيئا مما ذكروا
وقوموا لله قانتين: خاشعين او ذاكرين الله لا غير لما روي مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرد السلام وهو في الصلوة فلما رجعنا من الحبشة فسلمنا عليه
فلم يرد علينا وقال ان الله يحدث من امره ما يشاء وان مما احدث ان لا تكلموا في الصلوة: فان
خفتم: من عدو: فرجالا: جمع راجل كقيام جمع قائم: او ركبانا: جمع راكب ظاهر فيما وجب
اداؤها فعند الشافعي رحمه الله من جوازها لدى المسايفة والمشي وقيده ابو حنيفة رحمه الله جاز اذا امكن
الوقوف مستدلا بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل يوم الخندق اربع صلوات فلو صح
لما تركها: فاذا امنتم: من الخوف: فاذكروا الله: اي صلوا على الوجه الذي علمكم والتعبير بالذكر

للدلالة على ان الغرض من الصلوة ذكر الله او اشكروه. كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون. اى شكرا يوازى تعليمه اياكم من الشرائع والاحكام التى لا يمكن الوقوف عليه بفكر ونظر. والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم. مفعول مطلق اى فليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية وقرأ نافع وابن كثير وابو بكر والكسائى بالرفع على انه مبتدأ خبره لازواجهم كسلام عليك او عليهم وصية او كتب عليهم. متاعا الى الحول. نصب بوصية او بفعل ان قدر. غير اخراج. بدل منه او حال من ازواجهم او مصدر مؤكد لان الوصية بالتمتع تدل على عدم الاخراج والآية منسوخة بالتى تقدمت اربعة اشهر وعشرا لان ترتيب النزول لا يلزم ان يكون على ترتيب الوضع كما فى سيقول السفهاء مع قد نرى تقلب وجهك ولا يقدح فيه كون ترتيب الوضع على وفق ترتيب اللوح والنفقة سقطت بالارث لا لان قوله فلهن الربع فلهن الثمن دل على ان لها ذلك لا غير بل لانتقال المال الى الورثة وانما اوجب الشافعى السكنى بما رواه الترمذى ان الفريعة بنت مالك بن سنان وهى اخت ابى سعيد الخدرى قتل زوجها ولم يكن ساكنة فى بيت يملكه زوجها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تراجع الى بنى خدرة فقال امكثى حتى يبلغ الكتاب اجله. فان خرجن فلا جناح عليكم ايها الولاة والحكام فيما فعلن فى انفسهن من معروف. لم ينكره الشرع وهذا يدل على انها لم تكن مخيرة على عدم التخريج بل مخيرة. والله عزيز. قادر على الانتقام. حكيم. فى بناء الاحكام على المصالح. وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين. استدل به من اوجب المتعة لكل مطلقة وخص الشافعى رحمه الله عن هذا العام المطلقة قبل الدخول اذا كان لها مسمى لدلالة النص باتمامه على ان نصف المهر لحده فى مقابلة المتعة للمفوضة دون الدخول وحمله الحنفية على اعم من الوجب والمستحب وفيه جمع بين الحقيقة والمجاز اذ التقدير وعلى الازواج للمطلقات وقيل تكرار لقبله لما روى زيد بن اسلم لما نزل قوله حقا على المحسنين كان الرجل يقول ان شئت احسنت والا فلا فنزلت حقا على المتقين فاللام فى المطلقات للعهد. كذلك يبين الله لكم آياته. الدالة على الاحكام والاشارة الى المذكور من احكام الطلاق والعدد. لعلكم تعقلون. فتعملون بموجبها. الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم. تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب والاخبار وكل احد ممن لم ير ولم يسمع وهذا ابلغ لدلالته على انها لم تخف على احد والرؤية مجاز عن النظر ولذلك وصلت بالى او عن الادراك والمعنى الم تنته علمك اليهم والاول اوجه لان النظر اختيارى دون الادراك فهو الصق بالاعتبار عن ابن عباس رضى الله عنهما هم اهل داوردان قرية قبل واسط فروا من الطاعون وقيل قوم من بنى اسرائيل دعاهم نبيهم الى الجهاد ولم يجيبوه ففروا من ديارهم. وهم الوف. اى آلاف كثيرة ولم يعلم عدد معين. حذر الموت. علة الخروج. فقال لهم الله موتوا. اى اماتهم دفعة شبه تعلق الارادة بموتهم دفعة بامر الآمر المطاع وموتهم على ذلك الوجه بامتثال المأمور المبادر طاعة. ثم احياهم. بعدما تمزقت لحومهم وتغيرت عظامهم وتفرقت اوصالهم فمر حزقيل النبى فتعجب من عظم قدرة الله تعالى على الاحياء فاوحى اليه ان نادهم قوموا باذن الله فناداهم

فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك. ان الله لذو فضل على الناس. يرى بعضهم الآيات ويقصها الاخرين ليكون وسيلة الى مزيد الايقان. ولكن اكثر الناس لا يشكرون. بالتأمل والاعتبار. ولما عرفهم بان الحذر لا يغنى من القدر شيئا حثهم على القتال فى سبيل الله بقوله وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم. وفيه تعريض بالمنافقين الذين كانوا يقاتلون للغنائم ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن والجهاد سنام الدين كرره بطرق شتى استئنافا واستطرادا واردفه بالانفاق الذى لا يمكن الجهاد بدونه بقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا. القرض لغة القطع وفى الشرع هو المال المعطى ليقضى مثله استعير لبذل المال والنفس فى الجهاد رجاء الثواب ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاقراض. و الاستفهام للعرض والحث على الانفاق فهو ابلغ من الامر وسماه قرضا دلالة على لزوم ثوابه ووجوب تحققه وحسنا تحذيرا عن الرياء ولانه يجر النفع الى المقرض بخلاف اقراض الناس. فيضاعفه له. اى ثوابه وجزاءه. اضعافا كثيرة. لا يحيط بها الا الله وناهيك ما يسميه الله كثيرا روى ابن ابى حاتم عن عمر رضى الله عنه لما نزلت مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رب زد فنزل وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالرفع والباقون بالنصب بان مضمرة بعد فاء الجواب وثقله ابن كثير وابن عامر مع القصر والتخفيف اكثر كما روى ابو عمرو وتقول العرب ضعفته وضاعفته جعلته مثليه وضاعفته جعلته اكثر وضعف الشئ مثلاه فلو قال لك عندى ضعف درهم لزمه درهمان وقيل ضعف الشئ مثله. والله يقبض ويبسط لمن يشاء. بيده المنع والعطاء. وقرأ نافع وابن كثير فى رواية البزى وابو عمرو والكسائى بالصاد والسين هو الاصل وابدال الصاد منه لمشاكلة الطاء الاطباق والاستعلاء. واليه ترجعون. فيجزى كلا بما قدم. الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل. قصة اخرى تشجع على القتال وتحذر عن التكاسل والتقاعد. من بعد موسى. حال من الملأ. اذ قالوا لنبى لهم. قيل شمعون وقيل اشمويل وقيل يوشع. ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله. نصدر عن رأيه جزم على الجواب. قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا. عسى لتوقع وقوع الخبر فلا وجه للاستفهام عنه لانه معنى قائم بالمتكلم بل الاستفهام فيه لتقرير الخبر وتحقيقه لان افعال المقاربة قيود لاخبارها والمعنى ترك القتال منكم متوقع ثم حققه بادخال هل دلالة على ان ذلك المتوقع كائن شانها فى هل اتى على الانسان وقرأ نافع بكسر السين وهما لغتان والفتح اخف واشهر. قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا. اى داع لنا الى ترك القتال وقد اصبنا باشد المصائب من ترك الاوطان ومفارقة الابناء والولدان وذلك ان قوم جالوت كانوا على ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوك بنى اسرائيل اربعمائة واربعين. فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم. قيل كان القليل ثلثمائة وثلثة عشر عدد اهل بدر ولم

واللّه عليم بالظالمين: وعيد للكفرة على ما فعلوا: وقال لهم نبيهم ان اللّه قد بعث لكم طالوت ملكا
عطف على مقدر اي قال لهم ان اللّه كتب عليكم القتال وجعل لكم طالوت اميرا: قالوا انى يكون له
الملك علينا ونحن احق بالملك منه: كان من سبط يهوذا وكان الملك في سبط لاوي فلذلك
ادعوا الاحقية: ولم يؤت سعة من المال: حال اخرى معطوفة على الاولى وكلاهما في التحقيق تعليل
للاستبعاد قدحوا اولا في نسبه وثانيا في حسبه: قال ان اللّه اصطفاه عليكم: الناس اولاد آدم
المختار من اختاره اللّه: وزاده بسطة في العلم والجسم: وهما اللذان يحتاج الملك اليهما ليكون بعلمه
ذا رأي وتدبير وبجسامته عظيما في الاعين لا يزدريه الناظر: واللّه يؤتي ملكه من يشاء: فلا وجه
لمعارضته ودعوى الاحقية تعلق ارادته بخلافه: واللّه واسع عليم: واسع الفضل كامل العلم
ما يختار الا الحكمة وان خفيت: وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت: هو الصندوق
فعلوت من التوب لانه يرجع اليه مرة بعد اخرى وليس بفاعول من تبت لقلة ما فاؤه ولامه
من جنس واحد كسلس وقلق: فيه سكينة من ربكم: سكون وطمانينة العظيم للايمان وكان
موسى اذا قاتل قدمه امامه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل كان صورة من زبرجد او ياقوت
لها رأس كرأس الهرة وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو فتسكن قلوبهم وقيل
كان فيه صور الانبياء ومن قال التابوت هو القلب والسكينة هي العلم ما ذا يقول في قوله
وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون: هي رضاض الالواح وعصا موسى وعمامة هارون وآل
نفسهم وقيل آلهما انبياء بني اسرائيل فان كلهم اولاد يعقوب: تحمله الملائكة: وذلك ان
التوراة بعد موسى رفع الى السماء وقيل كان في يد جالوت فوقع فيهم طاعون حتى هلك
منهم خمس مداين فتشاءموا به فحملوه على ثورين فتخرجوه من بينهم فاستاقهما الملائكة الى طالوت
ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين: من كلام اللّه تعالى او كلام النبي: فلما فصل طالوت بالجنود
اي انفصل بهم من الفصل ويجوز ان يكون لازما من الفصول كوقف من الوقف والوقوف
قال ان اللّه مبتليكم بنهر: قال ابن عباس رضي اللّه عنه هو نهر الشريعة بين الاردن وفلسطين
فمن شرب منه فليس مني: اي من ابتدأ شربه منه فليس متصلا بي ومتحدا معي في الدين كقوله
انت مني بمنزلة هارون من موسى والشرب حقيقة في الكرع ولهذا ذهب ابو حنيفة رحمه اللّه الى
ان من حلف لا يشرب من هذا النهر وصاحباه الى مطلق الشرب عرفا: ومن لم يطعمه فانه مني:
اي لم يذقه كقوله وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا: الا من اغترف غرفة بيده: استثناء
منقطع من قوله فمن شرب منه لان الاغتراف ليس من جنس الكرع فلا اتصال وان حمل الشرب
على المطلق فالاستثناء متصل ولا يجوز ان يكون مستثنى من قوله ومن لم يطعمه فانه مني على معنى
ان المغترف ليس مني لان الاغتراف كان رخصة والا لبطل فائدة النهر: فشربوا منه الا قليلا منهم
عن البراء كنا نتحدث ان اهل بدر عدد اصحاب طالوت: فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه لم
يجاوز الا ذلك القليل: قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده: القائل بعض من المؤمنين
غير محل من اليقين وقيل القائل هم الكثير كانهم تقاولوا بعد ما جاوز القليل النهر وفيه بعد لانه

الكارهين

الكارهين ممنوعون من الذهاب لقوله فليس مني فلا حاجة بهم الى الاعتذار: قال الذين
يظنون انهم ملاقوا اللّه: وهم الخلص منهم او كل من جاوز ان كان القائل الاول هو الكثير
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن اللّه: بارادته وتيسيره: واللّه مع الصابرين:
حث على الثبات في مداحض الحرب: ولما برزوا لجالوت وجنوده: ظهروا وتصافوا للحرب
وجالوت اسم جبار من اولاد عمليق بن عاد كانت بيضته زنة ثلثمائة رطل: قالوا ربنا
افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين: التجأوا الى اللّه وقدموا سؤال الصبر
لانه سبب للثبات والنصر غايتهما: فهزموهم باذن اللّه: بعونه وتيسيره: وقتل داود
جالوت: كان ايشى ابا داود لسبعة بنين داود اصغرهم فاوحى الى ذلك النبي ان
قاتل جالوت داود وكان يرعى الغنم فطلبه طالوت من ابيه فلما جاء كلمه في الطريق
ثلثة احجار وقالت خذنا معك فانك بنا تقتل جالوت فالقاها في مخلاته فلما قتله
كان له بنت زوجه طالوت اياها: وآتاه اللّه الملك: بعد ان كان راعيا: والحكمة: النبوة
وعلم الشريعة: وعلمه مما يشاء: من كلام الطيور وصنعة الدروع: ولولا دفع اللّه الناس
بعضهم ببعض: اللام للجنس والبعضان مبهمان او البعض المدفوع بهم الكفار لان العاقبة
للمتقين: لفسدت الارض: بقتل المسلمين ونحو ذلك مما يفضي الى الخراب او لهلك
اهل الارض بالكلية بشؤم الكفار وقرأ نافع دفاع وهما مصدرا دفع والقصر اشهر: ولكن
اللّه ذو فضل على العالمين: بترتيب اسباب البقاء: تلك آيات اللّه نتلوها عليك
بالحق: اي الامور المذكورة في شان طالوت وجالوت او ما ذكر من اول السورة الى
هنا وهذا اوجه ليكون فذلكة ورجوعا الى ما بدئ به من حديث النبوة بقوله وانك لمن المرسلين
داخل في زمرتهم لانك تخبر عن وقائعهم وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
لارتاب المبطلون ثم استانف بما يدل على انه افضلهم فضلا عن ان يكون منهم بقوله تلك
الرسل اي المذكورون فانهم اولوا العزم او ما ذكر من اول السورة وما هم في علمه او جملتهم فاللام
للاستغراق: فضلنا بعضهم على بعض: في المرتبة: منهم من كلم اللّه: من غير واسطة وهو موسى عليه السلام
بيان لجهة تفضيله: ورفع بعضهم درجات: كثيرة من جهات شتى ولذلك لم يشر الى ما به فضل
وليس ذلك الا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لما روى البخاري انه كان في يده كتف شاة
فنهش منه نهشة وقال انا سيد ولد آدم اتعرفون بم ذلك ثم ذكر حديث الشفاعة وقيامه
في المقام المحمود وفي تنكير البعض فخامة لا يخفى لدلالته على انه ارفع من ان يشتبه على احد وحمله
على ابراهيم بعيد لان الكلام مسوق لبيان فضل رسول اللّه فلا يجوز اخلاؤه عن ذكره واما
ابراهيم فالفرق متفقون على حبه ونبوته فلا يحتاج الى ذكره: وآتينا عيسى ابن مريم البينات
المعجزات الواضحة من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى اضافه الى امه تكذيبا
للنصارى في دعوى النبوة والتفت في ايتاء البينات الى التكلم مبالغة في دفع وهم الربوبية
وايدناه بروح القدس: روح مطهرة من غير واسطة اب او بارسال جبريل سكن داله ابن كثير

ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي الذين كانوا بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات
متعلق باقتتل ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيق الله ومنهم من كفر لخذلانه ولو شاء الله
ما اقتتلوا كرره للتاكيد وللاستدراك بقوله ولكن الله يفعل ما يريد اي لكنه لم يشأ عدم القتال
بل شاء ثبوته فوقع مراده فالكلام على قانون العربية من انتفاء المسبب لانتفاء سببه يا ايها
الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم يشمل الواجب والمندوب ويتناول المنفق في الجهاد
فلينتظم مع آيات القتال واتصال الوعيد باعتبار اشتماله على الواجب من قبل ان ياتي يوم
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة صفات اليوم وقرأ ابو عمرو وابن كثير الثلثة بالفتح ويعقوب
والرفع على تقدير سؤال هل هناك بيع او خلة او شفاعة والمعنى ان التدارك اما بالاداء
ولا معاملة هناك او بالمجاملة من الاخوان والخلان ولا وجود لها لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه او بالابراء بالشفاعة ولا سبيل اليه لا سيما في حقوق العباد والكافرون هم الظالمون
عبر تارك الزكاة بالكافر تغليظا كما في آية الحج او تسمية للمشارف باسم المكابر كما في [illegible]
او تعبيرا باللازم عن الملزوم لان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكاة الله لا اله الا هو الحي القيوم هذه آية الكرسي والاخبار في فضلها فوق الاحصاء
منها ما روى ابي بن كعب قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي آية في كتاب الله اعظم قلت آية الكرسي
فضرب بيده في صدري فقال ليهنك العلم يا ابا المنذر حياته تعالى صفة حقيقية توجب العلم
والقدرة والقيوم الدائم البقاء لا يطلق على غيره تعالى وقيل القائم بنفسه المقيم لغيره والمعنى هو المستحق
للالوهية خاصة بصفاتها والحي القيوم اما بدل من هو او خبر ثان لا تاخذه سنة ولا نوم
السنة النعاس المتقدم على النوم قال وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم
وتقديمها رعاية الوجود والابتداء بالاخف كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ليس من قبيل التتميم
بل من اسلوب الاحاطة والاحصاء والجملة تقرير للقيومية لان التيقظ ينبي عن القيام بالتدبير
له ما في السموات وما في الارض تقرير لعظمته وكبريائه لافتقار الكل اليه فلكيا كان او ارضيا
وهذا ايضا تقرير لقيوميته من وجه آخر من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي لا يقدر احد
شفاعة الا باذن خاص وفيه ايضا تقرير لكبريائه بانه كما انفرد بالايجاد ابتداء كذلك منفرد
بالتشفع بقاء وفيه رد على المشركين في ان شركاءهم شفعاء عند الله والشفاعة هم يرون
يكون في ازالة نقصان او افادة جبران يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم الضمير لما في السموات
والارض باعتبار العقلاء وما بين ايديهم وما خلفهم امور الدنيا والاخرة وفيه تقرير للقيومية
لاقتضائه العلم التام ولقوله له ما في السموات وما في الارض لان موجد الشيء يعلم ما
هو عليه وما يؤول اليه ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء لحدوثهم
وحدوث علمهم وسع كرسيه السموات والارض روى الثقات ان له تعالى كرسيا
دون عرشه لا يعلم عظمه الا هو وعن ابن عباس رضي الله عنه لو ان السموات السبع والارضين
السبع بسطن ثم وصلن لم يكن في سعة الكرسي وقيل المراد تصوير عظمته تعالى بعظمة من يكون له

كرسي هذا النعت فالملك المركب الحسي المتوهم على المعنى العقلي المحقق والجملة ايضا تقرير لقيوميته
باعتبار سعة العلم وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره ولا يؤوده حفظهما لا يثقله
ولا يشق عليه تتميم حسن وهو العلي العظيم المتصف بصفات الكمال والجلال لا اكراه في الدين
لان امر الايمان على الاختيار لا يتصور فيه الاكراه وروى ابو داود والنسائي عن ابن
عباس رضي الله عنه نزلت في الانصار كانت المراة قبل الاسلام تقول ان عاش ولدي
علي ان جعلته يهوديا فلما اجلي اليهود ارادوا انتزاع الاولاد الذين تهودوا بالاكراه وقيل
في اهل الكتاب ان بذلوا الجزية وقيل منسوخة بآية القتال قد تبين الرشد من الغي تميز
الكفر من الايمان بالدلائل النيرة فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان فعلوت من طغى
يطلق على كل رئيس في الضلال مفردا وجمعا كقوله اولياؤهم الطاغوت ويؤمن بالله فقد
استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها شبه التدين بالدين الحق بالتمسك بالعروة الوثقى
المتخذ من الحبل المحكم المامون انقطاعه والفصم بالفاء قطع بلا ابانة وبالقاف مع الابانة
ايثاره مبالغة في الوثاق والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا قصدوا الايمان يخرجهم من الظلمات
الى النور الى الايمان والظلمات شبه الجهل ووساوس الشيطان والذين كفروا صمموا على الكفر
اولياؤهم الطاغوت الشياطين وكل مضل يخرجونهم من النور الى الظلمات من الايمان
الفطري ويجوز ان يكون آمنوا وكفروا على ظاهرهما والمراد بالظلمات الشبه وبالنور البينات
والاسناد الى الطاغوت مجاز للسبب اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لم يذكر
وعد المؤمنين في مقابلة ايماء الى انه شيء يطول شرحه الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه
ذكر من الفريقين فريقا مصمما في الايمان والكفر تصويرا للاخراج من الظلمات الى النور والعكس
والاستفهام للتعجب ان آتاه الله الملك اللام للعلة حقيقة والمعنى حمله على ذلك البطر او مجاز
باعتبار الاستعقاب كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا او الوقت مقدر والوصف
تعكيسه في جعل الكفر مكان الشكر وهذا المحاج نمرود بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح
اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت ظرف حاج او بدل من آتاه ان قدر الوقت باعتبار
امتداد الزمان قال انا احيي واميت قيل اخذ رجلين فقتل احدهما واطلق الآخر قال
ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب كان الاعتراض عليه لا يحا
بان يقول ليس ذا اتيت به من الاحياء والاماتة في شيء لكن لما كان جاهلا وكلامه خارجا
عن قانون التوجيه اراد ازاحة الشبهة بحيث لا يبقى مجال للريب وليس من الانتقال الذي
يعده اهل النظر عيبا في المناظرة فان ذلك قبل تمام الدليل وحجة الخليل عليه السلام كانت
تامة على انه في التحقيق ليس من الانتقال من دليل آخر بل الى مثال اجلى لا يقبل الشبهة فان الشمس
للعالم بمثابة الروح فبهت الذي كفر صار مبهوتا بعد تمام الحجة والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين سبق في علمه انهم اهل النار او كالذي مر على قرية تقديره او رايت مثل الذي عطف جملة
الى اخرى فحذف لدلالة الم تر عليه وخص بحرف التشبيه لان منكر الاحياء اكثر من مدعي

الربوبية والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى والتقدير ارأيت مثل الذي حاج ابراهيم او مثل الذي
مر على قرية على انه من عطف المفرد والقرية بيت المقدس حين خربها بختنصر والمار عزير او
كافر وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما عزير وهو المشهور والراجح رعاية للتفصيل المتقدم لان نمرود
مثال من وليه الطاغوت وهذا مثال من وليه الرحمن ولان كلام الله مع الكافر يحتاج الى تكلف
وهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على السقوف او خالية عن الناس سالمة قائمة
على عروشها والعروش جمع العرش وهو ما يرفع ليستظل به قال انى يحيي هذه الله بعد موتها انكارا
ان كان المار كافرا او تعجب من باهر قدرته ان كان نبيا كقول زكريا عليه السلام انى يكون لي غلام
فاماته الله مائة عام ثم بعثه بعد تركه لمدة قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم ضرب
عن اليوم لان قوم نوم كامل غير معتاد وقيل اماته وقت الضحى وكان احياؤه قبل غيبوبة الشمس
فلما رأى الشمس قال او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه
لم يتغير من السنة والهاء اصل لقولهم سانهت او هاء سكت لقولهم سنوات في الجمع فعلى الاول
الجزم باسكان الهاء وعلى الثاني بحذف الواو ويجوز ان يكون معناه من سن يتغير كقوله
من حمأ مسنون وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن في الوصل بلا هاء وذهبا الى ان اصله واو وحذف
فلا وجه لها والمختار اثباتها اما لانها اصل او لاجراء الوصل مجرى الوقف اتباعا للرسم وتوحيد
الضمير العائد الى الطعام والشراب لانه كالجنس الذي يعيش الانسان به قيل كان طعامه تينا وعنبا
وشرابه عصيرا او لبنا وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه وقيل انظر اليه حيا باقيا كما عاش
مائة سنة حيث ربط من غير ماء وعلف ولنجعلك آية للناس فعلنا ما فعلنا قيل لما قام كان
عمره اربعين سنة فلما جاء قومه قال انا عزير قالوا عزير قد مات من مائة سنة وكان يحفظ التوراة
فقرأه عليهم فقالوا هذا ابن الله كان عنده منذ غاب وكان على صورة شابا وابنه شيخا وابنه
شيخا قد بلغ مائة وعشرين سنة وابن ابنه تسعين وفي ذلك يقول الشاعر * واسود رأس شاب
من قبله ابنه * ومن قبله ابن ابنه فهو اكبر * يرى ابنه شيخا يدب على العصا * ولحيته سوداء ورأسه
اشقر * وعمر ابيه اربعون امرها * ولابن ابنه في الناس تسعون غير * وانظر الى العظام كيف
ننشزها عظام حمارك او الموتى الذين تعجبت من احيائهم والانشاز الرفع من انشز المكان
ارتفع وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ننشرها بالراء المهملة من انشره احياه والاول اوفق
لان المعنى على التركيب ويحوزه متأخرة لقوله ثم نكسوها لحما فلما تبين له ما كان خفيا من
كيفية الاحياء قال اعلم ان الله على كل شيء قدير لان عين اليقين اعلى مراتب العلم وقرأ حمزة
والكسائي اعلم بهمزة الوصل مع الجزم امرا اي قال الله ارتق الى عين اليقين كما قال بعد هذا
لابراهيم واعلم ان الله عزيز حكيم او قال عزير مخاطبا نفسه توبيخا وتبكيتا او على زوال الشك
ان كان القائل كافرا واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى سؤال عن كيفية الاعادة
لا عن نفسها قال اولم تؤمن باصل الاعادة ولابد لها من كيفية لان الافعال الواقعة لا تخلو
عنها والاستفهام للتقرير قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فان العلم الحاصل بالمشاهدة لا يعتريه الشبهة

وفي العيان معنى لا يوجد في البرهان قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ضمهن اليك لتحصل
لك ما تطلب وقرأ حمزة بكسر الصاد وهما لغتان ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا امر بذبحها
وخلط لحومها وان يأخذ رؤسها عنده ويجعل اللحم المختلط اجزاء على كل جبل جزء منه حتى لا يلتبس
عليه اذا احياها الله وقرأ ابو بكر بضم الزاي وهما لغتان الضم للحجاز والاسكان لتميم
ثم ادعهن يأتينك سعيا ساعيات مشيا او طيرانا واعلم ان الله عزيز لا يغالب ولا يأبى عليه
مراد حكيم في اخفاء الاحياء والاعادة على الناس ابتلاء قيل كانت الطيور طاووسا وغرابا
وديكا وحمامة وكان في ايثارهن اشارة الى ان السالك انما يصل اذا امات القوة الشهوية
الطالبة للزخارف التي هي صفة الطاووس والغضبية الباعثة على الصولة والترفع التي
هي صفة الديك وازاح عن النفس الدناءة والميل الى جيفة الدنيا التي هي صفة الغراب
والخفة والمسارعة في نيل المستلذات التي هي صفة الحمامة فان قلت كل من عزير وابراهيم
كان موقنا بان الله تعالى قادر على الاحياء والاعادة على الناس والخفاء في الكيفية فلم ارشد
ابراهيم من غير توقف واماته عزيرا مائة عام ثم اراه ذلك قلت لان ابراهيم سأله متأدبا
سؤال مرشد وكان في عبارة عزير معنى التعجب ولذلك اراه في نفسه وجعله آية للناس
والمقربون يعاملون بمثل هذه المعاملات الا ترى ان موسى عليه السلام لما قيل له هل تعلم
احدا اعلم منك فقال لا كيف عاتبه الله تعالى عليه حيث لم يرد العلم الى الله وسيره
في الارض طالبا للعلم متلمذا لمن ليس في رتبته مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
عقب سؤال ابراهيم بالحث على الانفاق كانه قال ليس الكمال في الكشف عن كيفية
الاعادة وتحصيل العلم بها انما الكمال فيما يذخر لما بعد البعث ولا وسيلة اوثق من التقرب
اليه بانفاق المال في سبيله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اي مثل
نفقتهم ليلائم جانب المشبه به وان كان من تشبيه المركب الذي لا يلاحظ فيه المفردات
واختار سنابل على سنبلات للدلالة على الكثرة في المعنى لاشتمال كل سنبلة على مائة حبة
وهذا واقع في الدخن والذرة وفي البر في الاراضي المغلة مع ان المدرك بالتحسين يجوز ان يكون
خياليا كما في اعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حث على الانفاق في سبيل الله فجاء رجل بناقة مخطومة فقال لك بها سبعمائة ناقة مخطومة
يوم القيامة والله يضاعف لمن يشاء على هذا العدد الى اضعاف لا يعلمها غيره وذلك
بحسب قوة اليقين والاوقات ومحل الصدقة والله واسع فضله عليم بمن يستحق الزيادة
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى تحذير عن العدول
في الانفاق المن الاعتداد بالمعروف بان يرى له فضلا على من احسن اليه والاذى ان يذكره
بما يشينه او يواجهه به يقول فعلت معك وفعلت وفي نوابغ الكلم صنوان من
منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيه ايضا طعم الآلاء احلى من المن لهم اجرهم عند ربهم لا يدخل
الفاء في خبر الموصول اشعارا بان التسبب لذلك لاجرهم فضل الله والاعمال امارات ولما ادى

في قوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية فلهم اجرهم اعتدادًا بها لاستيعاب الازمنة
والتخلي عن وصمة الرياء وقيل لم يدخل الفاء ايهامًا بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف اذا فعلوا
وفيه ان الانفاق سرًّا وعلانية اولى بذلك فكان ترك الفاء فيه اظهر ولا خوف عليهم من فائت
ولا هم يحزنون على مترقب قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى صح الابتداء بالنكرة
لتخصصها بالوصف والمعطوف على المخصص خاصة والتحقيق ان التخصص ليس بشرط على ما ثار اليه
ابن الحاجب اذا صح المعنى خبر ما ثبت عما ثبت والمعنى رد جميل بسائل كقول الغني لم ينجح مطلب
والمسالة والتجاوز عنه ان بدا منه غلط كالحاف في السؤال خير من الصدقة التي يتبعها اذى والنفي بالاذى
لدلالة على قرينة وفي الحديث الكلمة الطيبة صدقة وكفك نفسك عن الشر صدقة والله غني
من انفاق كل منفق وانما حث على الانفاق لينال به الزلفى فلا ينبغي ان يبطل بالمن والاذى
حليم لا يعاجل بالعقوبة روى مسلم عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم المنان بصدقته والمسبل ازاره والمنفق سلعته
بالحلف الكاذب يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله
رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ساق الآية الاولى للترغيب في الصدقة خالصا
عن المن والاذى وهذه في ذم من ابطل صدقته بشيء منهما او رآى بها وشبهه بفعل المنافق
تحذيرًا من ارتكابه وحثًا على اجتنابه والكاف في موضع الحال او المصدر ثم صور حاله بحسن
لم يخل ذو بصر عن معرفته بقوله فمثله كمثل صفوان حجر املس عليه تراب فاصابه وابل
مطر عظيم القطر فتركه صلدًا اجرد نقيًا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا
اي من ثوابه كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا وانما جمع الضمير في
لا يقدرون مع انه حال من الذي او استيناف والضمير عائد اليه لارادة الموصول الجنس
او بقدر فوج وما في معناه او الذي في موضع الذين كما في كالذي خاضوا والله لا يهدي
القوم الكافرين لا يخلق فيهم الاهتداء وهم الذين جبلوا على الكفر ومثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضات الله وتثبيتًا من انفسهم اي ليثبتوا بذلك بعض انفسهم على تكاليف العبادات
فان بذل المال اشق شيء فمن ادى به هان عليه غيره او تثبيتًا لاسلامهم ناشيًا من انفسهم فان الانفاق
امارة ان لا يماس من اهل النفس ورسوخ القلب وتثبيتًا للمؤمنين ليعلموا انهم صادقون في الايمان
ومن يحتمل التبعيض والابتداء ارجح لان المقصود وهم ان يعلم المؤمنون ثباتهم كمثل جنة بربوة
اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل اي حال نفقة هؤلاء وذكوها عند الله
عن ينبوع الصدق والاخلاص كحال جنة في مكان مرتفع لان الشجر فيه احسن وانمى وصلها المطر
وابلًا او طلًا فان الطل يغني غناء الوابل بحسن المكان وطيب من نظم النخيل امام النحر بستانا
على ربوة ترفعت عن بني الاعماق وانخفضت عن المعاطش استغنت بسقياها او حالهم انتاج
القليل والكثير الاضعاف لاجرهم كحال الجنة في انتاج الوابل والطل الواصلين اليها الاضعاف
لاثمارها وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو اكلها بسكون الكاف تخفيفا والله بما تعملون بصير تحث

على الاخلاص وتحذير من الرياء اثر البصير على الخبير ايماء الى ان الرياء وان كان خفيا كالمبصر مشاهد
ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات افرد
النخيل والاعناب لكونهما اكرم الشجر واكثرها منافع وثمرها فاكهة وقوت واصابه الكبر الواو
للحال او للعطف على تكون باعتبار المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وذلك
لان المضارع يدخل ان يخلص للاستقبال فلا يعطف عليه الماضي وله ذرية ضعفاء حال
من الهاء في فاصابه فاصابها اعصار فيه نار عطف على اصابه الكبر والاعصار الريح المستديرة
في الارض ترتفع نحو السماء فاحترقت اي الجنة مثل ضربه الله تعالى لمن يحبط اعماله الصالحة
بالرياء اذا كان يوم القيمة وهو افقر ما يكون اليها لا يجد لها اثرا والمعنى في جانب المشبه به انكار
ان يود احد هذا الحال المستفاد من المجموع كذلك يبين الله لكم الآيات كلها ايضاحا
وكشفا لعلكم تتفكرون لكي تتفكروا في العاقبة وتجتنبوا ما يورثكم الندامة يا ايها الذين
آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من خيار مكسوبكم لان المحل علم من الامر ببيان المنفق
بعد تقييد الانفاق بالاخلاص ومما اخرجنا لكم من الارض ومن طيبات ما اخرجنا لكم
اعاد الجار للدلالة على الاستقلال كما في ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ولا تيمموا الخبيث
قرا ابن كثير في رواية البزي بادغام التاء في الوصل لعدم الابتداء بالساكن والتخفيف
اخف واشهر منه تنفقون دون غيره حال مقدرة ولستم باخذيه حال اخرى
مع التداخل او الترادف الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه بوجه من الوجوه الا بالتسامح
يقال اغمضت عن كذا وغمضت وغمضت اذا تغافلت عنه كانك لا تبصر قال ذم لم
يغمض عينه عن صديقه ومن بعض اخيه يمت وهو غائب روى الترمذي عن البراء قال فينا
نزلت كان الرجل ياتي بالقنو الحشف فيعلقه بين الاسطوانتين في المسجد لاهل الصفة
واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يرشدكم الى ما ينفعكم حميد بقوله اوثابة وكثير
الثناء على المنفق وكم اثنى في كتابه على المنفق في سبيله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء
بالبخل والعرب تسمي البخيل فاحشا والوعد يستعمل في الخير والشر ان ذكر مفعوله والا فالوعد
في الخير والايعاد والوعيد في الشر والله يعدكم مغفرة منه بالانفاق وفضلا في الدنيا
عوضا عما بذلتم وتقديم المغفرة للدلالة على ان العاقل يجب ان يكون قصده الاول ذلك
والله واسع فضله عليم بنية المنفق ترغيب في الاخلاص وايثار الاجود في الصدقة يؤتي
الحكمة من يشاء العلم مع الايقان والعمل مع الاتقان ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
واي خير كثيرا تاكيده كما اكده بالتنكير كيفا وما يذكر الا اولوا الالباب العقول الخالصة
من شوائب الوهم حث على العمل بما تضمنته الآي السابقة من انفاق الطيب واجتناب
الخبيث وتوخي المغفرة والفضل وعدم الركون الى المن والاذى وايثار التذكر ايماء الى
جلاء تلك المقاصد وما انفقتم من نفقة في طاعة او معصية او نذرتم من نذر التزمتم
في الذمة فان الله يعلمه يجازيكم عليه من اطلاق الملزوم وارادة اللازم وما للظالمين

من انصار: مقابلة الجمع بالجمع لقصد التوزيع اي الظالم من نصير قط: ان تبدوا الصدقات فنعما هي
ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة اي نعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
بفتح النون وكسر العين وقرأ ابو عمرو وقالون وابو بكر باختلاس كسر العين تخفيفا وهو المختار
رعاية للجانبين: وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم: اي صدقة التطوع لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انها سرا تفضل عن صدقة العلانية سبعين ضعفا وصدقة الفرض علانيتها من السر خمسة وعشرين
ضعفا وقيد الاعطاء للفقراء في حال السر لانه مظنة الالتباس فانه اكثر ما يكون ليلا روى البخاري
ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله منهم رجل تصدق
بيمينه فاخفاها حتى لا يعلم شماله: ويكفر عنكم سيئاتكم: قرأه بالياء ابن عامر وحفص مسندا الى
ضمير الله وجزمه نافع وحمزة والكسائي والمختار النون لانه اعظم والجزم لاندراج تكفير الذنوب في
جزاء الصدقات موافقا لقوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم: والله بما تعملون
خبير: ترغيب في الاسرار والخبرة هي العلم ببواطن الامور: ليس عليك هداهم: خلق الاهتداء فيهم
تسلية لما كان يشق عليه عدم امتثال بعضهم ولكن الله يهدي من يشاء: هدايته: وما تنفقوا
من خير: من مال سماه خيرا باعتبار ثوابه: وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله: عطف على جملة وما
تنفقوا: والمعنى ان انفاقكم لما كان بوجه الله فلا وجه للمن والاذى والاحسن ان يكون حالا اي
ما تنفقوا فلانفسكم ثوابه حال كونكم تنفقون ابتغاء وجه الله روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه
كانوا يكرهون ان يرضخوا لانسابهم المشركين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
والمعنى على هذا ليس عليك هداهم حتى يمنع الصدقة عليهم كي يسلموا وانما عليك الحث على مكارم الاخلاق
وكل ما ابتغي به وجه الله سواء كان على بر او فاجر فهو واصل الى المنفق مشكور فيه سعيه: وما تنفقوا
من خير يوف اليكم: اجره كاملا وليس في هذا دلالة على ان الصدقة على الصالح والطالح سواء
بل ترغيب في الصدقة على الكافة: وانتم لا تظلمون: لا تنقصون من ثوابه: للفقراء الذين
احصروا في سبيل الله: اي اجعلوا صدقاتكم للفقراء الموصوفين او صدقاتكم لهم على الابتداء والخبر
على الاحصار بالجهاد او المرض او الخوف لا يستطيعون ضربا في الارض: للطلب للمعاش لاشتغالهم
بالجهاد او لوجود المانع والاكثرون على انها نزلت في اصحاب الصفة من فقراء المهاجرين لم
يكونوا محصورين في عدد كانوا يزيدون وينقصون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر اصحابه
بان يعشي كل رجل واحدا منهم فاذا فضل جماعة نعشيهم هو: يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف
وظاهر حالهم الغنى مبالغة في العفة وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي يحسب بكسر السين
وهو المختار لانه لغة الحجاز: تعرفهم بسيماهم: انت او كل احد برثاثة حالهم ولسان الحال انطق
لا يسألون الناس الحافا: الحاحا ومبالغة بل ان سألوا سألوا تعريضا وقيل او الالحاف من اللحاف
كانه يسأل كل شيء حتى اللحاف او لشمول الالحاف صاحبه او لا يسألون الناس رأسا لقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وهذا راجح لقوله يحسبهم الجاهل اغنياء ولما روى البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان

ولا اللقمة

ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين الذي يتعفف اقرؤوا ان شئتم لا يسألون الناس
الحافا ولم يزد عن هؤلاء الاجلاء سؤال قط وايثار هذا الاسلوب للدلالة على ان حالهم كان
يقتضي الالحاف لولا غنى النفس بعثهم على التعفف: وما تنفقوا من خير فان الله به عليم
حث على الاخلاص: الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية: يعمون الاوقات
كلها لا يتعللون بعذر ولا يؤخرون من وقت الى وقت ويدخل فيه النفقة على العيال
وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في علي ابن ابي طالب كان معه اربعة دراهم تصدق بدرهم
ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وعن ابي حاتم نزلت في علف خيل الغزاة وقيل
نزلت في الصديق تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
سرا وعشرة علانية: فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون: ادخل الفاء
قصدا الى سببية اعمالهم عندا اذا بها وان الاجر فضلا منه تعالى: الذين ياكلون الربوا
لم يعطف القصة على ما قبلها لكمال التباين بين الغرضين والربوا لغة الزيادة وفي الشرع
زيادة مخصوصة اما في الاجل كربا النسيئة او في العين كربا الفضل وانما كتب بالواو للدلالة
على الاصل كالزكوة والصلوة لا على لغة المفخم اذ لم يقرأ به احد وكتب الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع وخص الاكل لانه معظم منافعه ولانه اكثر ما يكون في المطعومات عند العرب
لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس: من الجنون والخبط الضرب على
غير الاستواء تشبيها بخبط العشواء: ذلك: العقاب بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي
الربوا مثل البيع وانما عكسوا مبالغة في اعتقادهم حل الربوا حتى جعلوا الاصل المقيس عليه: واحل الله
البيع وحرم الربوا: هدم لقياسهم لانه في مقابلة النص ان لو كان صحيحا كيف وهو قياس مع
الفارق فان من اعطى درهمين بدرهم لا يقابل احد درهميه بشيء وللفضل فيه متحقق وفي
البيع متوهم باختلاف الاوقات والاسواق: فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
لا يؤاخذ بما اربى قبل التحريم: وامره الى الله: يعامل بما شاء: ومن عاد: الى الاستحلال
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون: مع سائر الكفرة: يمحق الله الربوا: المحق المحو
والابطال بمنافاته للغرض لان مرتكبه لم يرم الا الزيادة اشارة الى انه لو لم يكن فيه عذاب الاخرة
لكفى به زاجرا: ويربي الصدقات: يكثرها او يكثر ثوابها لما روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله
الا الطيب فان الله يربيها كما يربي احدكم فلوه: والله لا يحب كل كفار اثيم: بالقول
والفعل يشير الى ان من عاد بعد هذا البيان فهو كفار اثيم وهذا الحكم مخصوص بالمستحل لانهم
الذين يقولون انما البيع مثل الربوا وسيذكر حكم مرتكب الفعل من دون استحلال: ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم: لم يدخل الفاء
للدلالة على تحقق او وقوع: ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون: افردهما بالذكر لزيادة الشرف
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا: نزلت في ثقيف راموا بني المغيرة

بمكة في الجاهلية فلما جاء الاسلام طالبوهم فابوا وقالوا لا نؤدي الربوا في الاسلام فتحاكموا الى عتاب
ابن اسيد قاضي مكة فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت * ان
كنتم مؤمنين * فان الامتثال لامر الله دليل الايمان * فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله
اي فاعلموا بالحرب واي حرب ولذلك لم يعرفه وعن ابن عباس رضي الله عنه يقال لآكل الربوا
يوم القيمة خذ سلاحك للحرب وقرأ حمزة وابو بكر فآذنوا بالمد اي فاعلموا غيركم وهذا ابلغ كأنهم امروا
بان يعلموا باعلام الغير * وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون غيركم * ولا تظلمون * انتم ومفهومه
انهم ان لم يتوبوا ليس لهم رؤس اموالهم وهو كذلك ان كانوا مستحلين وان لم يكونوا فلهم التعزير
والمحاربة ان كانوا ذوي شوكة والمفهوم ملغي للاجماع على خلافه او لان الكلام مسوق لدفع
توهم ان سقوط رأس المال من تمام التوبة * وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة * اي وان
وجد الغريم معسرا فكان تامة والنظرة بمعنى الانتظار اي فالحكم الانتظار او فالواجب الانتظار الى الميسار
وقرأ نافع ميسرة بضم السين وهي لغة الحجاز والتنوين للتقليل اشارة الى انه يجب الانظار
الى ادنى يسار * وان تصدقوا خير لكم * اي تصدقكم بالانظار خير لكم من المطالبة لما روي الامام
احمد من انظر معسرا قبل ان يحل الدين فله بكل يوم مثله صدقة وان انظر بعد ان يحل فله
بكل يوم مثلاه صدقة او بالابراء عن رأس المال لما روى مسلم من نفس عن غريمه او محى عنه
كان في ظل العرش يوم القيمة وقرأ عاصم تصدقوا مخففا بحذف التاء * ان كنتم تعلمون *
حث على العمل واشارة الى نكتة العالمين * واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله * وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح
التاء من الرجوع والضم ابلغ واكثر * ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون * بنقص ثواب
روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه انها آخر آية نزلت عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها
احدى وثمانين يوما وعن سعيد بن جبير عاش بعدها تسع ليال * يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم
بدين الى اجل مسمى * يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما
تقول بايعته اذا بعته او باعك اربعته وانما ذكر الدين لان المراد به احد العوضين فلا يدل
عليه الفعل فيبقى الضمير بلا مرجع او للتخليص للمعنى المشترك ورفع الاجمال فان التداين قد يكون
بمعنى التجازي ولان التنوين فيه للتنويع فلو لم يذكر لا يوهم ان الدين لا يكون الا مؤجلا الى اجل
مسمى اي اجل معلوم لان الجهل بمقداره ينافي حكمة مشروعية الاجل ويؤدي الى التنازع * فاكتبوه *
امر ارشاد لانه اوثق وعن ابن عباس رضي الله عنه المراد به السلم لما حرم الله الربوا اباح السلم *
وليكتب كاتب بينكم بالعدل * الجار والمجرور صفة اي كاتب مأمون فقيه عالم بالشروط
ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله * مثل ما علمه الله من كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير ويجوز
تعلقه بقوله فليكتب والمعنى نهي الكاتب عن الاباء من الكتابة المطلقة ثم الامر بها مقيدة
بالنهج الذي ارشده الله تعالى اليه وهذا ابلغ لما في التقديم من المبالغة والتدرج من المطلق
الى المقيد * وليملل الذي عليه الحق * لا يملي الا الذي عليه الحق لانه المقر بالحق ولئلا يكون له سبيل الى التنازع
وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا * ولا ينقص في الاملاء من حق صاحبه * فان كان الذي عليه الحق

سفيها * محجورا عليه * او ضعيفا * شيخا كبيرا او صبيا * او لا يستطيع ان يمل هو * لعي او خرس * فليملل وليه
بالعدل * من يلي امره ويقوم مقامه * واستشهدوا شهيدين من رجالكم * من رجال المؤمنين تحملا
احرارا وجوز شريح وابن سيرين رحمهما الله شهادة العبيد لانهم من رجالنا وابو حنيفة رحمه الله شهادة الكفار
بعضهم على بعض مع اختلاف الملل * فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان * اي فليستشهد رجل وامرأتان
خص الشافعي رحمه الله شهادة النساء بالاموال لعموم البلوى ولانها لم ترد الا في آية المداينة وجوز
شهادة اربع فيما لا يطلع عليه غير النساء وابو حنيفة رحمه الله فيما عدا الحدود والقصاص لقوله عليه السلام
ادرؤا الحدود بالشبهات ونقصان عقل المرأة شبهة والقضاء بالشاهد واليمين ثبت على الجار
والمفهوم للاية ولو سلم لا يعارض النص كالقضاء بالنكول عن اليمين * ممن ترضون من الشهداء *
لعرفون عدالتهم في محل الرفع على الوصفية * ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى * اي
استشهدوا امرأتين لان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت اي نسيت وانما ذكر الضلال لانه
يجب به التذكر والعدول عن الظاهر للاعتناء بشان التذكر حتى كان المهروب منه صار
مطلوبا لاجله وقرأ حمزة ان بالكسر شرطا ورفع تذكر لكونه جوابا بعد الفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو
فتذكر مخففا من الاذكار والتشديد ابلغ ولذلك اتفقوا في فتذكر وكان الظاهر فتذكرها
الاخرى وانما اعاد المظهر لاتباع التذكر على صريح ما اسند اليه الضلال ولا لبس لان الاخرى
غير الضالة لان المعرفة المعادة عين الاولى * ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا * لاقامة
الشهادة ان تعينوا وتحملها واليه ذهب قتادة وعلى هذا لفظ الشهداء مجاز باعتبار
المشارفة فان قلت في صحيح مسلم عن زيد بن خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم
بخير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل ان يسألها وفيه وفي البخاري الا اخبركم بشر الشهداء
الذين يشهدون قبل ان يستشهدوا فما التوفيق قلت الاول محمول على العدول الذين
يقيمون الشهادة لله لاحياء حقوق الناس والثاني محمول على شهود الزور الذين يبيعون
دينهم بدنيا غيرهم * ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله * كنى عن الكسل بالسأمة
اذ الاسأمة قبل الفعل عدل عنه لانه صفة المنافق لا يأتون الصلوة الا وهم كسالى
او هو على اصله فحين كثرت مداينات ولا تكرار في ذكر الاجل لان الاول في العقد وهذا في الكتابة
ذلكم اشارة الى مصدر يكتبوه اي الكتب * اقسط عند الله واقوم للشهادة * افعل التفضيل من المزيد
على مذهب سيبويه لان قسط معناه جار لا يبنى منه اقسط بمعنى اعدل وكذا اقوم لانه من معنى
اشد اقامة لا قياما وجعلهما من النسب كلابن وتامر اي اشد استقامة واشد قسطا بعيد
لعدم جريانهما على الفعل * وادنى ان لا ترتابوا * اقرب من انتفاء الريب * الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم * اي الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد كان ناقصة وتجارة اسمها
وحاضرة نعت الاسم وتديرونها خبر كان وقرأ عاصم بنصب تجارة على ان في كان ضمير الاحوال
والرفع احسن * فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها * فلا بأس * واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار
كاتب ولا شهيد * يحتمل البنائين والمعنى على بناء الفاعل النهي عن اضرارهما بالزيادة

والنقصان في الكتابة والشهادة وعلى بناء المفعول ان يضر آبان لا يعطى الكاتب اجره وان
يحمل الشاهد على المجي من مكان بعيد او تعجلا عن مهماته وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي فانهم
عنه واتقوا الله في المحافظة على احكامه ويعلمكم الله استئناف لا حال لان المضارع المثبت
لا يكون متصدرا بالواو والله بكل شيء عليم ولذلك شرع الاحكام المذكورة رعاية لمصالحكم وكرر
لفظة الجلال لاستقلال الجمل فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة
تعظيم لشانه وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة اي فالمستوثق به رهان
مقبوضة وذكر السفر خارج مخرج الغالب لان اكثر اوقاتهم كانت في الجهاد وقد صح ان رسول
صلى الله عليه وسلم انتقل الى جوار الله ودرعه رهونة وعند مالك لزومه لا يتوقف على القبض
لقوله عليه السلام المسلمون عند شروطهم وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن بضم الراء والهاء وكلاهما
جمع رهن وكثر الراء الكثر فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته سماه امانة
حيث اكتفى الدائن بديانة المدين ولم ياخذ به رهنا وفي ذلك حث له على ان يكون عند ظن
الدائن به وليتق الله ربه في اداء الامانة جمع بين لفظ الجلالة والرب الدالين على الجلال
والكمال ترغيبا وترهيبا لعظم شان الامانة واليه اشار بقوله عليه السلام ادّ الامانة لا دين
لمن لا امانة له ولا تكتموا الشهادة الاقرار بالامانة فانه شهادة المرء على نفسه او خطاب
للشهود ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي ياثم قلبه او قلبه ياثم فجزان واسناد الاثم الى القلب لان
الكتمان فعله واللسان ترجمانه او لانه رئيس الاعضاء والمضغة التي اذا صلحت صلح الجسد كله واذا
فسدت فسد الجسد كله والله بما تعملون عليم وعيد على الكتمان لله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا تقرير لعلمه وبرهان على قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
حجة على من انكر الحساب ولا يلزم منه التكليف بالمحال لان الحساب غير العقاب فالاية محكمة
والصحيح انها منسوخة لما روى مسلم انها لما نزلت ضج المسلمون منها فقال رسول الله عليه السلام
اتقولون كما قال اهل الكتاب سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فلما فعلوا نسخها الله تعالى
بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء دليل على ان
اصحاب الكبائر في مشيئته تعالى وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بجزم الفعلين
عطفا على الجواب ومن رفعه عطف على الشرطية وادغم الراء في اللام ابو عمرو في رواية
السوسي وهو مذهب الفراء والكسائي ونقل عن سيبويه منعه معللا بان الراء فيه تكرار يفوت
بالادغام وقد قدمنا في امالة ابصارهم النقل على الخليل ان لا تكرير في الراء ولا شك ان ابا عمرو
اعلى كعبا والعجب ممن اتخذ قدوة في الدين يقتدي بمن ضل ويقدح في الكلام المتواتر سماعه
عمن لا ينطق عن الهوى والله على كل شيء قدير ومنه المغفرة والعذاب آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل اي كل منهم مبتدأ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله خبره
والجملة مستأنفة لبيان المؤمن فيحسن الوقف على المؤمنون او المؤمنون مبتدأ والتنوين في كل
عوض عن ضمير المؤمنين خاصة وبهذا الوجه حسن اعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالافراد

ولان ايمانه ليس بطريق الاستدلال وقرا حمزة والكسائي وكتابه بالافراد على ارادة القرآن
او الجنس فيعم الكتب ويراد في الجمع وشمولية المفرد في المعرف غير مسلمة ولو سلم فبعد نقله تواترا
فانه ان يكون شاذا والنقل عن ابن عباس رضي الله عنه الكتاب اكثر من الكتب معارض
بالقواطع والله يحب المحسنين والله لا يحب الظالمين لا نفرق بين احد من رسله
اي بين جمع منهم لان احد اسم من يخاطب مفردا كان او جمعا ذكرا كان او انثى و
وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك منصوب باضمار فعله اي اغفر مغفرتك التي لا اعتماد
عليها احد غيرك واليك المصير اقرار بالبعث لا يكلف الله نفسا الا
وسعها الا ما يتيسر لها من غير ضيق ومشقة ولذلك اول ما فرض الصلوة خمسين
صلوة ثم نسخ الى خمس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت لا يتجاوزها مكسوبها آخر
الاكتساب في الشر لانجذاب النفس الى الشهوات ولانه على انه يثيب على الخير كيف
ما كان ولا يجازي على الشر الا بعد اعتمال وتصرف لطف منه ولما قالوا غفرانك
اردفه بهذا الكلام دلالة على غفرانه اذ لو كلفوا فوق الطاقة لم يقدروا على الطاعة وسماع القبول
اعراض حسن بسبب اجزاء المحكي عنهم ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا
تؤاخذنا بتفريط يكون سببا للوقوع فيهما لانهما قل ان ينفكا الا عن تقصير سابق او ما بسبب
منهما كالنقل خطاء ونسيانا لانه لا مؤاخذة على نفس الخطا والنسيان لقوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتي الخطا والنسيان او ان الله تعالى حكى عنهم ثناء عليهم ودلالة على ان ساحتهم برآء
من لوث العمد فيحفظ بتقوى الله حق تقاته او المطلوب استدامة ما علم ودوامه اظهارا للشكر
عند من يجيز التكليف بما ليس بمقدور ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته الامر الثقيل الذي
يحبس صاحبه في مكانه كما حملته على الذين من قبلنا من الامم كالقتل للتوبة وقطع الاعضاء
الخاطئة وقرض موضع النجاسة ووجوب القصاص بدون جواز العفو وغيرها من احكام
التوراة ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبات النازلة بالذين كلفوا
الآصار ويجوز ان يكون تكريرا للاول اتماما بطلب العفو وقيل المراد ما لا يطيقه البشر
فيدل على جواز التكليف بالمحال وفيه انه كان الاليق بالنظم تقديمه على سؤال وضع الاصر
عنهم لان نظم المخطرين يتقدم على الحاجة واعف عنا ما سلف واغفر لنا واستر سيئاتنا
ولا تفضحنا وارحمنا بالتوفيق والعصمة عن الوقوع في شيء منها انت مولانا سيدنا
وناصرنا ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من شان السيد نصر عبيده
او فان ذلك من امورنا التي انت تتولاها ختمت السورة الكريمة بما بدات به من ذكر
اوليائه ان معين المطيعين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وجعل ختام ذلك
كله ما يدل على ان كمال حال العارف ان لا يزال يستمد من بحر جوده الفيض بان يكمل
والمعال اذ ذلك ارتقاؤه في مدارج الكمال واقتباسه لانوار الجلال والجمال ربنا آمنا
بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وروى مسلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى السدرة المنتهى اعطي ثلثا الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة
وغفر لمن لم يشرك من امته وروى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام
كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع نقيضا فرفع بصره وقال هذا باب فتح من السماء ما فتح قط
نزل منه ملك لم ينزل قط فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي
فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة والاحاديث في فضائلها لا تعد تمت والحمد لمن الآؤه جلت
والصلوة على من به دايرة الرسل تمت سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية بسم الله الرحمن الرحيم
الم اسم السورة او حروف مقطعة صدرت بها السورة ايقاظا وقد سبق انها معربة ساكنة
الاعجاز وقفا لعدم مقتضي الاعراب وعند القائل بالبناء ايضا سكونها سكون وقف ولذلك
اغتفر فيها التقاء الساكنين وكان القياس سكون الميم في الم الله الا ان القراء اجمعوا على تحريكه
وايثار الفتحة للخفة وتفخيم اللام في الله فذهب سيبويه وطائفة الى ان الحركة لالتقاء الساكنين
والفتح لما اشير اليه وآخرون الى انها حركة الهمزة نقلت بعد حذف الهمزة تخفيفا لان الميم
في حكم الوقف فهمزة الوصل للقطع لكونها في الابتداء فان قلت نقل الحركة الى ما قبل من احكام
الوصل فاذا كان الميم في حكم الوقف فما وجه النقل قلت لانه وقف معنى لكونه على نمط التعديد
ووصل لفظا لعدم السكت وروى يحيى عن ابي بكر عن عاصم السكون على الاصل الله لا
اله الا هو الحي القيوم تقدم عليه الكلام في آية الكرسي والحديث الوارد في ان الاسم الاعظم في هاتين
الآيتين نزل عليك الكتاب القرآن منجما لذكره في مقابلة انزل بالحق بالعدل
او بالصدق او بالاعجاز الدال على انه من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتب
حال مؤكدة من المفعول وبين مستعار من المكان للزمان لما بينهما من التلبس وانزل
التوراة والانجيل جملة على موسى وعيسى عليهما السلام افردا بالذكر لعظم شانهما ودخول اللام
عليهما دليل العربية واليه ذهب نحاة البصرة والكوفة واشتقاق التوراة من الوري
وهو ايقاد النار بالزند لكونها مظهرا للاحكام والوقايع جملة ووزنه فوعلة قلب الواو الاولى
تاء كما في تولج والانجيل من النجل وهو الاستخراج لكون اكثره محامد وتقديسات وقيل لفظان
عجميان من قبل من قبل القرآن هدى للناس حال من الكتابين واللام للعهد اي
للناس الذين تعبدوا باحكام التوراة والانجيل وانزل الفرقان اي القرآن اعاده
ليترتب عليه ما بعده وغير العنوان للدلالة على كونه فارقا بين الحق والباطل باعجازه
دون التوراة والانجيل وقيل هو زبور داود وذكره بعد التوراة والانجيل لاشتماله على
على المواعظ والزواجر او جنس الكتب لان كلها يفرق بين الحق والباطل ان الذين كفروا
بآيات الله الدالة على تفرده بالالوهية وصدق الرسل والكتب لهم عذاب شديد
مختص بهم والله عزيز ذو انتقام غالب لا يغالب لا يقدر على مثل انتقامه منتقم
ولا عقوبة المجرم من النقم وهو العقوبة ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء

تقرير

تقرير لقيوميته لان القائم بنفسه المقيم لغيره يلزمه ان يكون بهذه المثابة من العلم والشيء
النكرة في سياق النفي تتناول كل موجود وعبر عن العالم بالسماء والارض لان الحس
لا يتجاوزهما فهما العالم ظاهرا وقدم الارض لانها بالاختلاط ابعد عن مقام كبريائه
فالعلم بها ادل على كمال العلم ولانها محل نزول الكتب ودار التكليف وقيل قدمت
ترقيا هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء تحقيق لكمال علمه بتصوير الجنين
في ظلمة الرحم كيفما تعلقت بارادته على اشكال مختلفة وصور متباينة على ما هو
في كل الاقطار وفيه رد على النصارى دعوى الالوهية لعيسى عليه السلام لانهم قائلون
بانه مصور في الرحم فان صدر السورة الى نيف وثمانين آية نزلت في وفد نجران
على ما ياتي في شرح القصة لا اله الا هو نتيجة للسابق لاختصاص ذلك الشان به فلا
الوهية لغيره العزيز الغالب لكمال قدرته الحكيم المتقن في صنعه بوفور علمه وبالغ
حكمته هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات حفظت عن الاجمال والاشتباه
هن ام الكتاب اصله الذي يدل على اصل الشرع وفروعه ويرد اليه غيره بالتاويل
افرد ام وكان الظاهر امهات باعتبار كل واحدة واخر متشابهات محتملات
لا يتضح المقصود منها بسهولة بل يحتاج الى استنباط علوم يتوقف الاطلاع
عليها على تحصيلها مع اتعاب القرائح وتدقيق النظر وردها الى المحكم لينال الراسخون
بذلك معالي الدرجات فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الحق الى الباطل فيتبعون
ما تشابه منه دون المحكم ابتغاء الفتنة طلب فتنة الناس بتشكيكهم في دينهم
وابتغاء تاويله بما يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم الثابتون
فيه بقدم راسخ المتمكنون منه غاية التمكن فانهم يحملونه على الحق الذي يجب حمله عليه
ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثره الله تعالى بعلمه كعدد الزبانية والاول
هو الوجه لان الايمان بان الكل من عند الله حاصل لعموم المؤمنين فيتدارك وصف
الرسوخ ولان حظ الراسخين لو كان الايمان به دون العلم لكان الادفق واما الراسخون
لكونه في مقابلة الزائغين ولان ام الكتاب في وصف المحكم انما يظهر اذا رد اليه المتشابه
ولان حصر الكتاب في القسمين لا يتم اذا فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه ولان التذييل
بقوله وما يذكر الا اولوا الالباب يؤكد رسوخهم بانهم لخلوص عقولهم ووصولهم الى كنه الامر
واقفون على الحقايق النازحة عن بصائر غيرهم واعلم انه لا منكر لاشتمال القرآن على
حقايق لا سبيل للبشر عليها لقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولقوله عليه الصلوة والسلام
هو البحر لا تنقضي عجائبه انما الكلام في المتشابه المذكور في قوله واخر متشابهات في ان
في ان ما سبق لتلك المعاني التي استأثر الله بها لها ظاهر كلفنا بعلمه وباطن كلفنا تصديقه
ايمانا وفيه جمع بين ما درج عليه السلف واستمر عليه الخلف المحكم اصل يرجع اليه كل من القسمين
احدهما بيانا والآخر ايمانا يقولون آمنا به مستانف على الوجه الاول موضح لحال

الراسخين او حال من المعطوف لقيام القرينة كقوله ويعقوب نافلة وضمير به للمتشابه او للكتاب
كل من عند ربنا: كل من القسمين: وما يذكر الا اولوا الالباب: عطف على يقولون وعلى
ما يعلم تاويله في الوجه الثاني: ربنا لا تزغ قلوبنا: لا تملها عن نهج الراسخين: بعد اذ هديتنا
اليه: وهب لنا من لدنك رحمة: توفيقا لما يزلفنا عندك او علما فانها من جناب
قدسك لا طريق اليه بالكد والتعلم: انك انت الوهاب: حقيقة ومن عداك وان افاض
فهو مستفيض من نار جودك: ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه: بدل من الذي
الاول من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بتقدير مضاف اي بحسابه او بجزائه: ان الله
لا يخلف الميعاد: الوعد مصدر كالموعد والالتفات من الخطاب الى كلمة الجلالة للدلالة على
ان الالوهية تنافي الخلف فيمنح المعنى الاصلي قبل العلمية: ان الذين كفروا: برسول الله عليه السلام
ليصح التشبيه بآل فرعون والذين من قبلهم: لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
من عذابه وبدليته وشيئا اما مصدر او مفعول به اي شيئا من الاغناء او شيئا من الاشياء
بدل طاعته كقوله فليت لنا من ماء زمزم شربة اي بدله ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد ويجوز
ان يكون للابتداء: واولئك هم وقود النار: ما يوقد به: كداب آل فرعون: الداب الكدح
هو الاستمرار على العمل اريد به الاستمرار على الظلم والكاف في محل الرفع اي داب هؤلاء كداب
آل فرعون او النصب بمصدر لن تغني او توقد اي بعدم اغناء مثل عدم الاغناء من آل فرعون
او توقد بهم النار كما توقد باولئك: والذين من قبلهم من الامم: كذبوا باياتنا: جملة حالية
او استئناف وخبر الذين ان جعل مبتدا: فاخذهم الله بذنوبهم: من التكذيب وغيره: والله
شديد العقاب: تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف: قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
الى جهنم وبئس المهاد: الخطاب لمشركي مكة والمراد مغلوبيتهم يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنه
الخطاب لليهود جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر بالمدينة وقال يا معشر اليهود احذروا
ما نزل بقريش واسلموا قالوا لا يغرنك انك قاتلت قوما اغمارا بالحرب لئن قاتلتنا لتعلمن
انا نحن الناس وقيل كانت اليهود بعد بدر اتفقوا على انه النبي المبشر به في التوراة وعزموا على
اتباعه فقال بعضهم تصبروا حتى ننظر له وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا في امره فهذا
يدل على نزولها بعد احد والاول قبل بدر والوسط على الوسط وقرا حمزة والكسائي الفعلين بالياء الغيبة
والمعنى بلغهم كلامي سيغلبون كقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم: قد كان لكم اية في فئتين
التقتا: الخطاب للمشركين او للمؤمنين او لليهود او للكل: فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة
يرونهم مثليهم راي العين: رؤية مكشوفة لا لبس فيها اي يرى المؤمنون المشركين مثل عدد المسلمين
وكان المسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر والمشركون نحو الالف قللوا في اعينهم ليجترؤوا عليهم لانهم
كانوا مامورين بمصابرة مثليهم بقوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين لا سورة الانفال
نزلت بعد بدر او يرى المشركون المؤمنين مثل عددهم ستمائة ونيفا او مثل عدد الكفار الفين
كثر الله المؤمنين في اعينهم ليجتنبوا قتالهم وقوله ويقللكم في اعينهم قبل التحام القتال وقرا نافع بالخطاب

المشركين

المشركين اي ترون المؤمنين مثلي عددهم او مثلي عددكم للمؤمنين او لليهود والتقدير ترونهم
رؤية عين لو رايتموهم او الخطاب للكل وهذا اوجه لان للكل اية في ذلك ولقوله ان في
ذلك لعبرة لاولي الابصار ومحل يرونهم على الغيبة استئناف وعلى الخطاب حال
من ضمير لكم ولا يقدح هذا في الحسبانيات لانه معجزة خارقة: والله يؤيد بنصره من يشاء
كما نصر اهل بدر مع قلتهم: ان في ذلك النصر لعبرة لاولي الابصار: لعظة لذوي البصيرة
فعلة من العبور والمراد بها التجاوز من شيء الى اشكاله ونظائره: زين للناس حب
الشهوات: المزين هو الله تعالى لانه الخالق وعن الحسن هو الشيطان عبر عن المشتهيات بالشهوات
مبالغة كانهم اشتهوا حتى احبوا شهواتها والاوفق بمقام التنفير ان يكون اشارة الى
استرذالها لانها صفة البهايم واخسها اشرها شهوة كالخنزير فانه مثل في ذلك ووجه
الله الاوجه لما قيل زينها لهم ليتوسلوا بها الى السعادة الابدية: من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة: القنطار المال الكثير روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر الف اوقية وروى الحاكم عن انس رضي الله عنه الف اوقية
والمقنطرة من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة وانما وصف القناطير بها على طريقة العرب
اذا ارادوا المبالغة كقولهم ليل اليل وظل ظليل: من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث: المسومة من السومة وهي العلامة اي الخيل الجياد وكانها سمة بين الخيل وقيل من
السوم وهو الرعي والانعام الازواج الثمانية الابل والبقر والضان والمعز: ذلك متاع الحياة
الدنيا: سماه اولا شهوة واخرا متاع الدنيا مبالغة في التنفير: والله عنده حسن الماب
اي الماب الحسن وفيه ايماء الى زوال ذلك المتاع القليل: قل اونبئكم بخير من ذلكم المذكور
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها: كلام مستانف لبيان
ما هو خير كقولك هل ادلك على رجل فاضل عندي رجل من صفته كذا وكذا ويجوز ان يتعلق اللام
بخير والتقييد بالمتقين لانهم المنتفعون به ويرتفع جنات على الخبر اي هو جنات
وعند ربهم يتعلق باتقوا على معنى ترتب تقواهم عند ربهم شهادة لهم بالاخلاص ويجوز ان
يكون خبرا مقدما: وازواج مطهرة: مما يستقذر من النساء: ورضوان من الله الذي
هو فوق كل نعمة وقرا ابو بكر رضوان بضم الراء كالرجحان لغة تميم والقيس الكسر اخف
والشهر: والله بصير بالعباد: حث على الاخلاص: الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار: رفع او نصب على المدح او جر صفة المتقين او العباد وفيه طول
الفصل على الاول وتخصيص العباد بالمتقين على الثاني والمعنى على العموم وترتيب سؤال المغفرة
على الايمان وحده دل على انه كاف في الاستحقاق: الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين
والمستغفرين بالاسحار: صفة الذين يقولون او مدح بعد مدح وتوسيط الواو بين الصفات
للدلالة على كمالهم في كل واحدة والتقييد بالاسحار لانه وقت شريف روى البخاري عن
ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا اذا بقي الثلث الاخير

من القبل ويقول بل من تاب فاتوب اليه وهل من مستغفر فاغفر له وذلك كل ليلة ونظام
الصفات على وفق احوال السالك فان اول امره قطع المألوفات والصبر على مفارقتها ثم الصدق
في عدم العود اليها ثم الدوام على الطاعة بدل المعاصي لان الحسنات يذهبن السيئات ثم انفاق
المال الذي هو شقيق الروح وحبه رأس كل خطيئة ولذلك جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم برهانا
ثم الاستغفار عما يعتريه من التقصير الذي هو من لوازم البشرية ولذلك قال سيد المقربين انه
ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة شهد الله انه لا اله الا هو استدل على وحدانيته
بالادلة المبثوثة في الآفاق والانفس ثم شرع في الادلة العقلية وقطعه عن الاول لانه فن
آخر شبهت دلالته على وحدانيته بانزال الكتب وارسال الرسل على طريقة الاستعارة التبعية
بالشهادة والوجه الكشف والبيان والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالاستدلال والكل
داخل تحت الدلالة فلا جمع بين الحقيقة والمجاز قائما بالقسط مقيما للعدل الباء للتعدية
حال من فاعل شهد وجاز افراد المعطوف عليه به لعدم اللبس كما في ويعقوب نافلة وآخر
عن الملائكة واولو العلم اعتناء بشأنها ورتبها او نصب على المدح وهو في النكرة قليل لا سيما اذا
كان المنتصب عنه معرفة كما في الآية لانه في الاصل وصف مقطوع وجعله صفة اسم لا بعيد لوجود
الفصل الاجنبي والاوجه ان يكون حالا من هو لانه اقرب وادل على المقصود وهو خروج
الشهادة كالتوحيد واوفق بالاستعمال من ان الحال المؤكدة اكثر ما يكون بعد الجملة الاسمية
حتى ذهب كثيرون الى انها لا تكون الا كذلك وان كان الحق خلافه وكذا جعله نصبا على المدح
من هو اوجه من جعله مدحا من فاعل شهد لا اله الا هو العزيز الحكيم كرره لان التوحيد اعظم
المقاصد وآثر الوصفين لان العزة وهي القهر والغلبة تلائم الوحدانية والحكمة القيام
بالقسط وارتفاعهما على البدل من هو وقيل صفة فاعل شهد وفيه طول الفصل بين الصفة
والموصوف روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجاء بصاحب شهد الله يوم
القيمة فيقول الله تعالى لعبدي عندي عهد ادخلوه الجنة ان الدين عند الله الاسلام لا غير من
قصر المسند اليه على المسند والجملة مؤكدة للجملة شهد الله ايذانا بان الاسلام هو التوحيد والعدل
والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد عليه السلام وقرأ الكسائي ان بالفتح بدل الكل من انه لا اله
الا هو وما اختلف الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى او ارباب الكتب كلها في دين
الاسلام فقال بعضهم حق وبعضهم مخصوص بالعرب ونفاه آخرون رأسا او في التوحيد فثلثت
النصارى وقالت النصارى عزير ابن الله او اليهود وذلك ان موسى عليه السلام استودع
التوراة سبعين حبرا فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين فاللام في الاول والثالث
للعهد وفي الثاني للجنس الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الامر بغيا بينهم ظلما وحسدا على
حظوظ الدنيا ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وعيد لهم فان حاجوك
جادلوك بعد ظهور الحق فقل اسلمت وجهي لله وفعالي تجاه اذ لا معنى لها بعد اتضاح الحق
والوجه مجاز عن الذات ومن اتبعن كذلك عطف على التاء في اسلمت وحسن

لوجود الفصل وقل للذين اوتوا الكتاب قبل القرآن والاميين مشركي العرب
أأسلمتم الاستفهام للاستقصار التام وتعيير بالمعاندة بعد تلخيص الحق كما تقول
بعد تحرير المسئلة بالبرهان الساطع لمن يقصر فهمه هل فهمت لا ام لك بغيا عليه بالبلادة
كقوله تعالى فهل انتم منتهون في تحريم الخمر اشارة الى شدة حرصهم على شربها فان اسلموا
فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم وان تولوا فانما عليك البلاغ فلم يضرك لانك
مبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله و
يقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب
اليم روى ابن ابي حاتم عن ابي عبيدة انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشد الناس
عذابا قال رجل قتل نبيا او من امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال قتل بنو اسرائيل
ثلثة واربعين نبيا اول النهار فقام مائة وسبعون امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
فقتلوهم آخر النهار وعن ابن مسعود رضي الله عنه اقاموا سوق بقلهم آخر النهار والحكم على
المعاصرين بدليل قوله فبشرهم وهم لا يباشروا القتل لرضاهم بفعل الاوائل ودورانهم
حول قتل محمد ولذلك آثر المضارع الدال على الاستمرار وتنكير الحق هنا وتعريفه في البقرة
مع وحدة القصة تفنن واشارة الى ان العهد الذهني بمثابة النكرة وقرأ حمزة ويقاتلون
الذين من المقاتلة والعصر المنع ذما والرسم مختلف اولئك الذين حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب جمع القصد التوزيع كما سبق الم
تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي نصيبا هو الكتاب او نصيبا منه على ان من
بيانية او تبعيض واللام للعهد لان المراد به التورية او من جنس الكتب ومن ابتدائية او
تبعيض او من اللوح ومن ابتدائية والتنكير للتعظيم يدعون الى كتاب الله اي التورية
وبعض يحسن هو القرآن لانهم لم يشكوا فيه ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم لان فريقا
منهم آمنوا وهم معرضون دابهم الاعراض نزلت في الرجم وقيل في رد دعواهم ان ابراهيم
كان يهوديا وذم لاستبعاد التولي بعد العلم بانه كتاب الله ذلك بانهم قالوا لن
تمسنا النار الا اياما معدودات سبعة ايام بقدر بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة
بكل سنة يوم افتراء منهم وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من انهم ابناء الله واحباؤه
وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من اكاذيبهم فكيف اذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه كيف يكون حالهم في ذلك اليوم استعظام لما يحيق بهم وتكذيب لدعويهم
بابلغ وجه ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء كسبها وهم لا يظلمون بنقص ثواب
او زيادة عقاب الضمير للنفس لانه في معنى كل الناس قل اللهم مالك الملك
الميم المشددة عوض عن حرف النداء لانه حرفان واوثر الميم لانه شفوي كالواو وهذا
من خواص الاسم كاختصاصه بتاء القسم وقطع الهمزة في النداء وجمع حرف
النداء مع حرف التعريف ومالك الملك نداء ثان عند سيبويه لان اللهم لا يوصف

لان وقوع حرف النداء مع حرف التعريف بينهما كوقوع حرف النداء وعند الكوفيين اصله
يا الله آمنا بخير فخفف لكثرة الدور ولم يعوا صبا حا ورد بانه يجوز الجمع اذ يمتنع اللهم
العنه ونحوه: تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء: الملك الاول عام لمعلم
المدح ولانه المفهوم الاصلي والاخران بعض لانه المعطى والمنزوع خصه: وتعز من تشاء
بالتوفيق والنصر وتذل من تشاء: بالخذلان والادبار بيدك الخير لم يذكر الشر تعليما
للادب في الخطاب او لان الكلام فيه لما روى البخاري لما خط رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخندق يوم الاحزاب ظهرت كدية لم تعمل فيها المعاول فوجهوا اليه سلمان فاتى
واخذ المعول وضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتي المدينة فكبر
وكبر المسلمون وقال اضاءت لي قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية
وقال اضاءت لي القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة وقال اضاءت لي
قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون يعدكم
مالك فارس والروم وانتم تحفرون الخندق حول المدينة من الفرق: انك على كل شيء قدير:
ثم استدل على ذلك بباهر قدرته بقوله: تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
تعاقب بينهما وتخرج الحي من الميت: الحيوان من النطفة او العالم من الجاهل: وتخرج
الميت من الحي: النطفة من الحيوان او الجاهل من العالم: وترزق من تشاء بغير حساب
ومن هذا شانه ايتاء جزء من الملك ونزعه ايسر ما يكون عليه وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر
الميت مخففا: لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين: متجاوزين عنهم
لان في ولايتهم مندوحة عن موالاة الكفار وذلك لان الحب في الله والبغض في الله اصل
كبير في الايمان على ما روى البخاري من احب لله وابغض لله فقد استكمل الايمان ذكره عقيب ما
بين ان الخير كله بيده حسما لتوهم نفع منهم: ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء اي منسلخ
عنه اذ الضدان لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
الا ان تتقوا منهم تقاة فتحسنوا معهم ظاهرا من كلام عيسى بن مريم كن وسطا وامش جانبا
ويحذركم الله نفسه: في مخالفة امره: والى الله المصير: فاستعدوا للقائه: قل ان تخفوا ما في
صدوركم: من موالاة الكفار وغيرها: او تبدوه يعلمه الله: لاستواء الكل في علمه: ويعلم ما في السموات
وما في الارض علما حضوريا: والله على كل شيء قدير: فيقدر على عقوبتكم: يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا: وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا: يوم نصب بتود وما عملت
عطف على ما عملت اي تود كل نفس يوم تجد خيرها وشرها حاضرين لو ان بينها وبين ذلك
اليوم امدا بعيدا ويجوز ان يكون منصوبا باذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت من سوء
ويكون عطف ما عملت على الابتداء وخبره يود وضمير بينه لما عملت من سوء ويجوز عطف ما عملت
على ما عملت فيكون يود حالا والضمير اما لليوم او لما عملت وما موصولة لا لان الشرط يتبع لايح
لارتفاع يود لان فعل الشرط اذا كان ماضيا والجزاء مضارعا مثبتا يجوز فيه الرفع والجزم و

والطباق

والطباق القراء على الاحد للمجازين وان كان وجوها جائزا كقوله رجيع السيف الغربل لانه الكلام
حكاية الكافرين في ذلك اليوم والموصولة تفيد الوقوع والكينونة ولا كذلك الشرطية: ويحذركم الله
نفسه: كرره تاكيدا ليكون نصب عينهم والله رؤف بالعباد: ولذلك بين لهم وحذر: قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله: عن الحسن نزلت في قوم ادعوا محبة الله والمحبة اثر وجداني لا يحتاج
الى كشف وبيان بل الى ما يميزها عن سائر الوجدانيات وعن هذا قيل هي ادراك الكمال من
حيث انه مؤثر فكلما كان الكمال اشد يكون المحبة اقوى ومن بعض العارفين المحبة سارية في الموجودات
كلها عليها مدار المبدأ والايجاد وفي الجملة محبة العبد لله ايثار طاعته ومن الله الرضى والقبول
ويغفر لكم ذنوبكم اذ لا عقوبة مع الرضى: والله غفور رحيم: كثير الغفران والاحسان فكيف
بمن احبه: قل اطيعوا الله والرسول: بيان لانه ما الذي هو سبب لمحبة الله ولم يعد الفعل
لانه مامور به بخلاف واطيعوا الله واطيعوا الرسول ويا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول لانه ابتداء كلام منه تعالى اعتناء بطاعة رسوله: فان تولوا: يتولوا
حذف احدى التائين ويجوز ان يكون ماضيا اخبارا من الله تعالى: فان الله لا يحب
الكافرين: ايثار المظهر للاشارة الى العلة وليعمهم وغيرهم: ان الله اصطفى آدم ونوحا
بالنبوة: وآل ابراهيم اسمعيل واسحق كان من قول اهل الكتاب لو كان النبي الموعود
لكان من ولد اسحق وآل عمران: موسى وهارون ابني عمران بن يصهر وعيسى ومريم
بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف سنة وثمانمائة على العالمين: كلهم وفيه
دليل على فضل الانبياء على الملائكة: ذرية بعضها من بعض: متصلة يتشعب بعض من
بعض وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله عليه السلام وفي آل عمران عيسى عليه السلام وكذا
في الذرية او في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع
قول اهل الكتاب عليم: بمن يصلح للاصطفاء: اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت
لك ما في بطني محررا: اذ نصب باذكر او متعلق بسميع عليم على التنازع هذه حنة بنت
فاقود كانت عقيما وقد عجزت قال ابن اسحق رأت طائرا يطعم فرخه فاشتهت الولد
وقالت اللهم ان رزقتني ولدا احرره لسدانة المسجد الاقصى وكان هذا مشروعا في زعمهم
فلما حملت بالحمل قالت هذا الكلام عزما على الوفاء: فتقبل مني: هذا النذر: انك انت السميع
العليم: اظهارا لاخلاصها: فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى: كان التحرير لسدانة
خاصا بالذكور وكان قولها اني نذرت لك ما في بطني محررا سؤالا وطلبا لان يكون الولد
ذكرا لان هذا ذكر لازمه فلما خاب رجاؤها اظهرت التحزن والتحسر فليس المراد فائدة الخبر ولا لازمها
وانثى في حق النصب على الحال وتانيث الضمير العائد الى ما وضعت انثى: والله اعلم بما وضعت
بالشيء الذي وضعته تعظيم للمولود ولما يتعلق به من عظائم الامور وكونها وابنها آية للعالمين
وقرا ابن عامر وابو بكر وضعت بتاء التكلم كانها سلت نفسها وقالت لعل فيها سرا وليس
كالانثى: ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها بل هي اشرف واجلى بيان وتقرير

لقوله والله اعلم بما وضعت واللام في الاسمين للعهد خارجا اما الانثى التي وهبتها فليس الذكر
صريح وانما الذكر فلان ما في بطني كناية عن الذكر بقرينة التحرير وقيل من تمام قولها تحزنا اظهارا
للتفاوت وليس بوجه بعد التسلية بقولها والله اعلم بما وضعت: واني سميتها مريم عطف
على اني وضعتها لان التسمية منها بدل واني اعيذها بك: وما بين المعطوفين جملتان معترضتان
متعاطفتان: وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن: بان اقامها مقام
الذكر ولم يقبل قبلها انثى للسدانة وصانها وذريتها من مس الشيطان على ما روى البخاري
وسلم ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا ابن مريم وامه
ولا يلزم من ذلك الاغواء واختصاص بعض المصطفين بامر لا يوجب تفضيله على الباقين و
وانبتها نباتا حسنا يعني الانبياء والصالحين: وكفلها زكريا: كانت تحته خالتها ايشاع
بنت فاقوذ اخت حنة وقوله في حديث المعراج عيسى ويحيى ابنا خالة تجوز يجعل خالة له وقرا
كفلها بتشديد الفاء الكوفيون وزكريا بالقصر الا شعبة فانه مده ونصبه والباقون بالتخفيف
مع المد رفعا والقصر خفف واكتب بموسى وعيسى ويحيى كلما دخل عليها زكريا المحراب
لما بلغت مبلغ النساء بنى لها زكريا غرفة في مقدم المسجد يرقى اليها بالسلم والمحراب كل موضع شرف
عال ومنه محراب المسجد: وجد عندها رزقا: جواب كلما وناصبه: قال يا مريم انى لك هذا
فان الابواب مغلقة: قالت هو من عند الله: كرامة كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف
وبالعكس: ان الله يرزق من يشاء بغير حساب: من كلامها او من كلام الله تعالى روى ابو يعلى عن جابر
رضي الله عنه ان فاطمة اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجاعة رغيفين وبضعة لحم آثرته بها
فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال انى لك
هذا قالت هو من عند الله فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء العالمين هنالك
دعا زكريا ربه: في ذلك المكان او الزمان على ان هنا مستعار له: قال رب هب لي من لدنك
ذرية طيبة: كان شيخا كبيرا وامراته عاقر ولذلك قال من لدنك كقول مريم هو من عند الله
وانما طلب في ابان الكبر لقوله اني خفت الموالي من ورائي وقيل لما ولدت حنة مريم وهي عقيم
تنبه وقيل تنبه من رؤيته فاكهة الشتاء في الصيف: انك سميع الدعاء: وداعي او مجيب دعاء:
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب لم يبرح من مكانه المنادي جبرئيل وجمع للتعظيم والذرية
فعلية او فعولة من الذرء قلبت الهمزة ياء وادغمت وقرا حمزة والكسائي فناداه لان المؤنث
غير حقيقي والتانيث احسن لعدم الفصل: ان الله يبشرك بيحيى: سماه الله تعالى بشارة له وقرا
ابن عامر وحمزة ان بالكسر لان النداء في معنى القول وقرا حمزة والكسائي يبشرك مخففا من البشر
والتشديد ابلغ والنشر: مصدقا بكلمة من الله بعيسى فهو اول من آمن به سمي عيسى كلمة لكونه
من كلمة كن او بكتاب من الله وكلامه كقوله وكلمة الله هي العليا واختصاصها باللفظ المفرد عرف
طارئ وسيدا: شريفا في قومه بالتقوى لم يذنب ولم يهتم به قط: وحصورا: ابلغ عن النساء
اشتغالا بالطاعة لا لافة عنه فانه نقص يصان عنه الانبياء ومن خواتم الاخلاق كلها ونبيا

من الصالحين ناشئا من قوم صالحين وصفه له بالنسب الفاخر بعد الثناء عليه بالحسب الزاهر
قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر استعلام لكيفية حصوله ايكون وهما
على حالهما او يعودان شابين كان عمره تسعين سنة وعمر امراته ثمانين سنة او استبعاد
من قدرته تعالى كيف وهو الطالب ابتداء: قال كذلك الله يفعل ما يشاء: على هذه الصفة
وهو التوليد من الشيخ الهرم والعجوز العاقر يفعل كل شيء تعلقت به مشيئته من غير تفاوت
قال رب اجعل لي آية: اعرف بها الحبل لاتلقاه بالشكر ويزول عن مرارة الانتظار قال
آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام: بلياليها كقوله في مريم ثلث ليال حبس لسانه عن التكلم
الا لذكر الله تعالى اشتغالا الى اتقاه لا لافادة خرس لقوله في مريم سويا اي سالما وحذفه
هنا لكون تلك اسبق نزولا: الا رمزا: اشارة اصله التحرك لانه يحصل من تحريك الحاجب
ومنه سمي البحر راموزا والاستثناء منقطع او متصل لانه يفهم منه ما يفهم من الكلام: واذكر ربك
كثيرا وسبح بالعشي والابكار: لانها اشرف الاوقات واقرب الى الاجابة او عبر عن الكل
بالطرفين: واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك: بالقبول ولم يقبل انثى للسدانة
قبلها او بالرزق من عنده: وطهرك: من اقذار النساء او مما قذفك به من اليهود: و
واصطفاك على نساء العالمين: بابن هواية وبسائر الكرامات روى الترمذي عن انس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وآسية امراة
فرعون وفاطمة بنت محمد عليه السلام وخديجة بنت خويلد وزاد البخاري وفضل عائشة على النساء
كفضل الثريد على سائر الطعام ومن انكر الكرامة حمل كلام الملائكة اياها على معجزة زكريا او ارهاص
من نبوة عيسى للاجماع على عدم نبوة النساء: يا مريم اقنتي لربك: دومي على طاعته واسجدي
وصلي لان السجود احد اركانها: واركعي مع الراكعين: وصلي جماعة وقدم السجود اما لانه
كان كذلك في شرعهم او ليقارن الركوع بالراكعين ولو قال اسجدي مع الساجدين لم يدل
على صلوة الجماعة لان السجود عبادة مستقلة دون الركوع: ذلك: المذكور من الوقائع
من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم: اي ما تخبر به لا سبيل لنظر العقل
اليه وهم ينكرون الوحي والسماع فلم يبق يحتاج الى النفي سوى المشاهدة التي هي اظهر انتفاء
فنفيها تهكم بهم مع ثبوت كونه بوحي الله تعالى على ابلغ وجه والاقلام هي التي كانوا يكتبون
بها التوراة والقاؤها هو الاقتراع بها لما وضعتها لفتها في خرقة واتت بها الى حجبة بيت
المقدس وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
فذهبوا الى نهر الاردن وقالوا الكل من ثبت قلمه على الجرية فهو كفيلها فثبت قلم زكريا وذلك
لان خالتها كانت عنده والخالة بمنزلة الام: ايهم يكفل مريم: اي يلقون ليعلموا او ينظروا
لان التعليق بالاستفهام من خواص الافعال الادراكية والالقاء سبب للعلم والنظر بالبصيرة
في الجملة: وما كنت لديهم اذ يختصمون: في شانها اخره من الالقاء لكونه بديعا خارقا اذ قالت
الملائكة يا مريم: بدل من اذ قالت الملائكة: او اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا

في زمان منع كما تقول لقيته سنة كذا. ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المراد
من الاسم ما يقابل اللقب بل ما يقع به الامتياز وهو مجموع الثلثة لا كل واحد اذ ربما يقع
الاشتراك والمسيح عبراني اصله مسيحا ومعناه المبارك فهو من القاب المدح كالعتيق
والفاروق وقيل عربي عن ابن عباس رضي الله عنه لقب به لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برئ
او لانه ممسوح بالبركة او من الاوزار وانما قال ابن مريم مع ان الخطاب معها لان ذلك هو
موجب التشهير وكونه آية لان الناس ينسبون الى الاباء ودفعا لشبهة النصارى. وجيها
في الدنيا: بالنبوة والمعجزات الباهرة والآخرة بعلو الدرجة وقبول الشفاعة وانتصابه
على الحال من كلمة لانها نكرة موصوفة. ومن المقربين: اخص من الوجاهة. ويكلم الناس في المهد
وكهلا: بلا تفاوت وايثار المضارع للدلالة على ذلك والمهد مصدر سمي به ما يمهد فيه. ومن
الصالحين: من جملتهم وفي عدادهم حال اخرى وهذه الاحوال كلها مقدرة. قالت رب انى
يكون لي ولد ولم يمسسني بشر: تعجب واستبعاد لانه على خلاف العادة. قال كذلك الله
يخلق ما يشاء. القائل جبريل او الله وجبريل حاك لها ولما كان الولد من غير اب ابدع من الولد
من شيخ وعجوز اتى بالخلق على الفعل للدلالة على التقدير. اذا قضى امرا: اذا اراده والتعبير بالقضاء
للدلالة على اللزوم. فانما يقول له كن فيكون: فلا استبعاد. وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على جواب
الامر صورة وطوى ذكر الحمل والولادة لذكرهما في سورة مريم وهي اسبق نزولا. ويعلمه الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل: عطف على يبشرك بتقدير القول اي ان الله يبشرك ويقول يعلمه
الكتاب او على وجيها اي ومقولا فيه يعلمه او على يخلق كذلك وهذا اولى لعدم الفصل وقرأ نافع
وعاصم بالياء فلا حاجة الى تقدير القول لكن النون ادل على التعظيم والكتاب الكتبة كذا عن
ابن عباس رضي الله عنه والحكمة العلم المقرون بالعمل. ورسولا الى بني اسرائيل: المنصوبات المتقدمة
في حكم الغيبة وهذا في حكم التكلم لقوله اني قد جئتكم وكذا مصدقا لقوله لما بين يدي فيضمر القول
اي يعلمه ويقول ارسلت رسولا قائلا اني قد جئتكم او لان الرسول والمصدق فيهما معنى القول
كانه قيل وناطقا وهذا اوجه لعدم الحذف. اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين
اصح بدل من اني قد جئتكم او خبر مبتدأ محذوف اي هو اني او بدل من آية وهو الوجه لدلالته
على ان ذلك بقدرته تعالى وقرأ نافع بالكسر على الاستئناف والمختار الفتح لذلك الوجه. كهيئة الطير
كصورته فعلة من الهيئة بمعنى تهيئته. فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله: حقيقة الطير ذا روح
وغيره وقرأ نافع طائرا وهو الخفاش وتذكير الضمير باعتبار لفظ الكاف والتانيث في المائدة
باعتبار المعنى وهي الهيئة. وابرئ الاكمه: الذي ولد اعمى فانه اغرب في الاعجاز. والابرص
لعجز الاطباء عن ازالته. واحيي الموتى باذن الله: يتعلق بالاحياء لانه محل وهم الاستقلال
وقيل بالافعال الثلثة لقوله وتبرئ الاكمه والابرص باذني في المائدة. وانبئكم بما تأكلون وما
تدخرون في بيوتكم: مما لا سبيل الى معرفته الا بالوحي. ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين. بالايات
ومصدقا لما بين يدي من التوراة: وهذا شأن الرسول يصدق بعضهم بعضا عطف على رسولا با

بالوجهين السابقين. ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم: من عطف الجملة اي جئتكم باية
وجئتكم لاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا ايضا عطفا على باية ويكون الكل في معنى
الحال اي جئتكم ملتبسا باية وكائنا لاحل لكم ومصدقا لما بين يدي فلا تتخلل بين المعطوفين
اجنبي وفيه دلالة على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا ينافي ذلك علمه بما في التوراة
في الجملة كنسخ القرآن بعضه بعضا. وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون. ان الله ربي
وربكم: هذا هو الآية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض ومعنى كون هذا القول آية انه
من علامات النبوة بعد ثبوتها بالمعجزات الباهرة لانه مقول كل الرسل والانبياء على
ان صدوره ممن نشأ بين قوم بدلوا الدين وحرفوا الكتب وقتلوا الانبياء خارقا
للعادة ويجوز ان يكون في التوراة من جاءكم بهذا القول فهو رسول. فاعبدوه
استكمالا للقوة العملية كما ان الاول استكمال للقوة النظرية. هذا صراط مستقيم
اي الجمع بين الامرين كقوله صلى الله عليه وسلم قل آمنت ثم استقم. فلما احس عيسى منهم الكفر
تحقق عنده كالمحسوس. قال من انصاري الى الله: ذاهبا الى نصر دينه او الجار متعلق بانصاري
متضمنا معنى الضم والاضافة اي من ينصرني مضيفا نفسه الى الله تعالى او الى بمعنى في او اللام ومع
مع لقوله. قال الحواريون نحن انصار الله: اي انصار دينه والحواري منسوب الى الحور وهو البياض
الخالص والالف من تغيير النسبة اطلق على خالصة الرجل وخاصته. آمنا بالله واشهد بانا
مسلمون مخلصون لله. ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول: قائلين هذا القول
والاعتقاد. فاكتبنا مع الشاهدين: مع الانبياء والذين يشهدون لاتباعهم او الشاهدين
بوحدانيتك او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء للانبياء بالتبليغ. ومكروا
الضمير لمن احس منهم الكفر. ومكر الله للازدواج والمشاكلة. والله خير الماكرين: لكمال علمه وقدرته
اذ قال الله: ظرف لمكر الله. يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي: اي قابضك من الارض ورافعك
الى السماء من توفيت المال استوفيته او متوفيك نوما فانه اخ الموت لقوله وهو الذي يتوفيكم
بالليل او رافعك الآن وبعد النزول متوفيك وتقديمه اهتماما لئلا يتوهم ان بالرفع يخرج من
الموت وقيل اماته الله سبع ساعات وقيل ثلثة ايام وليس بحق منقول عن اهل الكتاب. ومطهرك
من الذين كفروا: من وسخ اخلاقهم وخبث جوارهم. وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
الى يوم القيمة: هم الذين آمنوا به في زمانه ومن بعدهم الى يوم القيمة ولم يسمع ان اليهود قامت
لهم راية بل لم يزالوا مقهورين تحت السيف والجزية حتى صار مثلا اذل من اليهود. ثم الي مرجعكم
انت ومن وافقك ومن خالفك. فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون: واجازي كلا بموجب
عمله ثم فصل. فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة: ترتيب عذاب الدنيا
على الرجوع اليه وهو يوم القيمة باعتبار انه من مقدمات عذاب الآخرة وطلايعه وقيل المرجع
اعم من الدنيوي والاخروي والى يوم القيمة غاية الفوقية لا غاية الجعل والرجوع متراخ عن الجعل. وما
لهم من ناصرين في الدارين. واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم: كاملة لسبق

رحمة اثر التنوين على الهمز رمزا الى غلبة رحمته وقرا حفص بالياء والله لا يحب الظالمين تذييل حسن لان
تعذيب المحب محبوب وقد الم به ابو الطيب في قوله وما الهجر الا الوصل مالم يكن فلى ذلك نتلوه عليك
مبتدا وخبر اي نبا عيسى وغيره من الآيات والذكر الحكيم خبران آخران والذكر القرآن وصف بوصف
من هو به او لاشتماله على الحكم كانه ناطق بها وقيل هو اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم شانه
كشانه شبه الغريب بالاغرب حسما لمادة شبهة الخصم والتشبيه انما يقتضي المشاركة في الوصف المقصود
فلا يقدح كون آدم من غير اب محجوج بآدم خلقه من تراب قدره وصوره ثم قال له كن انشاه
خلقا آخر انسانا ذا روح فيكون فكان حكاية حال ماضية وقرا ابن عامر يكون بالنصب على الجواب
باعتبار اللفظ الحق من ربك خبر مبتدا اي المذكور من شان عيسى ومن ربك حال من ضمير
الحق او مبتدا وخبر اي جنس الحق من ربك والاول اوجه لان المقصود تقرير كون عيسى كآدم
فلا تكن من الممترين والخطاب له والمراد غيره من السامعين او هو من باب التهييج والالهاب فمن
حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم من الدلائل الموجبة للعلم فقل تعالوا ندع ابناءنا
وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل اي قل لهم كل منكم ومنا يدعو نفسه
واعزة اهله ثم نقول بهلة الله على الكاذب والبهلة بالضم والفتح اللعنة فنجعل لعنة الله على
الكاذبين تفسير لنبتهل روى البيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع من الهجرة كتب
الى اهل نجران كتابا يدعوهم الى الاسلام ونجران واد باليمن كان فيه مائة وعشرون قرية مسيرة يوم
للراكب السريع فلما ورد عليهم كتابه ارسلوا اربعة عشر رجلا رؤساء وهم ثلثة العاقب والسيد
وابو حارثة وافدين للاستعلام خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم من اول السورة الى هنا
فابوا الا العناد فدعاهم الى المباهلة فواعدوه الى صبيحة الغد فلما اصبحوا غدا رسول الله عليه السلام محتضنا
الحسن آخذا بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال
اسقف نجران وهو ابو حارثة يا قوم اني ارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل بها جبلا من مكانه لازاله
اني ارى ان تدعوا الرجل فقالوا يا ابا القاسم انت على دينك ونحن على ديننا ولا نباهل فقال
اسلموا لكم ما للمسلمين فابوا فقال بيننا وبينكم الحرب فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة بل نصالحك
على ان نؤدي اليك في كل سنة الفي حلة الف في رجب والف في صفر فكتب بذلك كتابا وسالوه
ان يرسل معهم رجلا امينا يحكم بينهم في اشياء كانوا مختلفين فيها فارسل معهم ابا عبيدة بن الجراح
قال الزهري فهو اول جزية في الاسلام وعن ابن اسحق ان وفد نجران كانوا ستين راكبا اربعة عشر
من اشرافهم وضم دعاء الابناء والنساء الى المباهلة لانهم اعز على المرء من نفسه استظهارا ودلالة
على انه موقن بهلاك خصمه واعزته وقدمهم لانهم يفدون بالارواح لا سيما عند العرب
وفيه فضل ظاهر لعلي وفاطمة وابنيها ان هذا لهو القصص الحق اي الذي قص عليك من نبا عيسى عم
واللام دخلت على ضمير الفصل لانه اقرب الى المبتدا فهو لجواز دخوله من الخبر وما من اله الا الله
رد على النصارى في التثليث وان الله لهو العزيز الحكيم الغالب المتقن في صنعه ومن تجرد عن
الوصفين لا يصلح للالوهية فكيف بعيسى عليه السلام والنصارى يزعمون ان اذل الخلق رجم اليهود

قتلوه

قتلوه فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين اي بهم اثر المظهر للدلالة على انهم مفسدون للعقائد
مضلون ولذلك قال زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم عامة في اهل الكتاب وقيل في يهود مدينة وقيل في وفد نجران
ومعنى سواء ان الرسل والكتب متفقون فيه ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله تفسير للكلمة فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
تعريض بانهم كافرون حيث تولوا عن الحق بعد ظهوره او اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول
الغالب جدلا او صراعا اشهد باني الغالب فقد تدرج في هذه المناظرة احسن تدرج ذكر ا
ولا كيفية حدوث مريم التي هي اصل عيسى عليه السلام ثم اطواره التي تغلب فيها لما فيه
للالوهية ثم ازاح شبهتهم بما هو اغرب حالا منه ولما اصروا على العناد وعدم الانقياد
دعاهم الى المباهلة ولما عجزوا عنها اخذ معهم في نوع آخر من الارشاد وهو الدعاء الى ما تطابق
عليه الكل ولما ايس منهم اختار المتاركة وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم
تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده عن ابن اسحق تنازع نصارى
نجران واحبار اليهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابراهيم وادعى كل فرقة انه كان على دينهم
فنزلت افلا تعقلون ان المتقدم لا يكون على طريق المتاخر وبين ابراهيم وموسى الف
سنة وبينه وبين عيسى الفا سنة ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما
ليس لكم به علم انتم مبتدا وهؤلاء خبر وحاججتم جملة مبينة كررتها والتنبيه لشدة
غفلتهم والاشارة للتحقير كانه قال انتم هؤلاء الحمقاء وبيان ذلكم انكم جادلتم بالباطل
فيما له اصل في كتابكم فكيف تجادلون فيما لا يلتبس بطلانه على احد وقرا ورش وقنبل هانتم
بالقصر على ان اصله ءانتم قلبت الهمزة هاء لاستثقال الجمع والله يعلم وانتم لا تعلمون
فعليكم باتباع رسوله الناطق بوحيه ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما علم ضمنا
مبالغة في تخليص الحق ولكن كان حنيفا مائلا عن الباطل مسلما لله تعالى وما كان من
المشركين تعريض بمن يدعي انه على ملته ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه خصهم
واقربهم اليه من الولي وهو القرب وهذا النبي والذين آمنوا من امته افرده مع امته
بالذكر وان دخلوا في الذين اتبعوه لمزيد الشرف او الذين اتبعوه فيما مضى ثم هذا النبي
والمؤمنون والله ولي المؤمنين ناصرهم ومتولي امورهم دعت يهود قريظة والنضير
حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية فنزلت ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
وما يضلون الا انفسهم اذ ذلك يضاعف لهم العذاب او لا يعدوهم الاغواء واثاره
الا انفسهم لا تجاوزهم وبالها وما يشعرون لغاية جهلهم سلبوا الشعور اضل من البهائم يا اهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله الشاهدة بصدق الرسول التي هي في التوراة والانجيل من نعت رسول الله
او بآيات الله جميعا وانتم تشهدون مجاز عن الاعتراف بحقيقتها اي تعلمون علما كالشهود
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل تخلطونه به وتكتمون الحق نعت محمد ونبوته [illegible]

ليوقع عليه الكتمان او لانه مغاير للاول وانتم تعلمون وانتم اهل العلم الذين شانهم الارشاد
دون الاضلال او وانتم تعلمون ما على كاتم الحق من الاثم وقالت طائفة من اهل الكتاب
آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وجه النهار اوله
لقول من كان مسرورا بقتل مالك فليات نساءنا بوجه نهار هذا من مكايد اليهود تشاوروا
ان يؤمنوا بمحمد وما انزل عليه في اول النهار ويكفروا آخره لعل ان يوقعوا الشك في قلب من آمن
ويقول هؤلاء اهل الكتاب لو لم يعلموا بطلان دينه لما رجعوا وقيل فعلوا لما حولت القبلة قال لهم
كعب بن الاشرف صلوا معهم صلوة الصبح الى الكعبة ثم صلوا في اخر النهار الى الصخرة ولا
تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي لا تؤمنوا
بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الكتاب او لا تظهروا التصديق بذلك الا لاتباعكم لا للمسلمين
لئلا يزدادوا تصلبا ولا للمشركين لئلا يرغبوا فيه وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض للرد
عليهم فيما حاولوا بان من اراد توفيقه لا يرده عن الايمان مكايدهم وحيلهم ويجوز ان يتم الكلام
عند قوله الا لمن تبع دينكم وح في ان يؤتى وجوه اما ان يتعلق بفعل مضمر بتقدير اللام اي لان
يؤتى احد مثل ما اوتيتم دبرتم ما دبرتم اي دعاكم الى ذلك الا الحسد ويؤيده قراءة ابن كثير
ان يؤتى بالاستفهام تقريعا وتوبيخا او ينتصب بمضمر اي لا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او خبر ان وهدى الله بدل والمعنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند
ربكم حتى يحاجوكم به في حكم الله وقضائه فيدحضوا به حجتكم وعلى الوجوه الاول او بمعنى الواو
وجه العدول الدال على الاستقلال قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم اعتراض آخر ابلغ من الاول ومن اهل الكتاب من ان تامنه
بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك اشارة الى انهم ليسوا على الضلال
باسرهم بل منهم ذو امانة وديانة كاملة بحيث لو امنته على جملة كثيرة من غير بينة يؤده اليك
كاملا ومنهم خائن يخون في اقل شيء ولو طلبه انكر الا ما دمت عليه قائما بالبينة والرفع الى
الحاكم او بان ترفع اليه ثم لا تفارقه حتى تاخذ منه فانه لا يقدر على الانكار لوجود العين حاضرة
وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وفنحاص بن عازورا استودع رجل من قريش عبد الله بن سلام
الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه واستودع آخر فنحاص دينارا فجحده وقيل المأمونون النصارى
والخونة اليهود وقرا ابو عمرو وحمزة باسكان الهاء في الوصل والباقون بالكسر والصلة
الا قالون وهشاما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اثم او عتاب عن سعيد بن
جبير لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا هو
تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر ويقولون على الله الكذب اي يكذبون
في مقالتهم ويكذبون في نسبته الى الله ثانيا وهم يعلمون انهم كاذبون مزيد توبيخ بلى عليهم سبيل
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها
والضمير في بعهده راجع الى من والمعنى من اوفى باداء الامانة واتقى الخيانة فان الله يحبه والآية

المظهر

المظهر للدلالة على ان ذلك يدخل في زمرة المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا اي يستبدلون بما عاهدوا عليه من الايمان بالمبعوث وبما حلفوا عليه ليؤمنن به
ولينصرنه بالثمن القليل وهو الترؤس والارتشاء اولئك لا خلاق لهم في الاخرة لا نصيب
لهم من الخلاقة وهي الملاسة ومنه الخلقاء للمراة الرتقاء ولا يكلمهم الله كلام الرضى بقوله
فوربك لنسالنهم اجمعين او كناية عن الغضب ويحمل على عدم انتفاعهم بآياته وكلامه
بعيد بدليل السياق والسباق ولا ينظر اليهم يوم القيمة النظر تقليب الحدقة محال في حقه
تعالى فهو كناية عن الاحسان وتركه عن الاهانة والسخط ولا يزكيهم كما يزكي المؤمنين
بالثناء عليهم ولهم عذاب اليم فوق هذه المحن وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب
يميلونها من الصحيح الى المحرف لم يرضوا بالتحريف والتلبيس على الجهال حتى جعلوه من جملة
كتاب الله المتلو لتحسبوه انتم ايها المسلمون الضمير للمحرف من الكتاب وما هو من الكتاب
في شيء ويقولون هو من عند الله صرح بما رمز اليه بالحسبان لئلا يكون لهم سبيل
الى غلط الحاسب وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب مستمرون عليه
وهم يعلمون ذلك لفرط جراتهم على الله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم
الحكمة او الحكم بين الناس والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله
روى ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنه لما اجتمع نصارى نجران واليهود عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو رافع القرظي اتريد ان نعبدك يا محمد فقال معاذ الله ما بذلك
بعثني فانزل الله ما كان لبشر ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول هذا القول الرباني
منسوب الى الرب اي كونوا عباده المختصين به لان الشيء ينسب الى ما اشتهر او من اشتهر به
والالف والنون من تغييرات النسب وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره علماء
حلماء وحكماء وعن الحسن فقهاء ماخوذ من قوله بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
واذا كان من يعلم الكتاب ويدرسه ربانيا فليف بالانبياء وفيه اشارة الى ان علما لا يقتضي
الى ذلك المسبب كلا علم وقرا نافع وابو بكر وابن كثير تعلمون مخففا من العلم والتشديد ابلغ لكونه
مسبوقا بالعلم ولدلالة الدراسة عليه ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كلام
مستانف والفاعل ضمير الله او بشر وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي بالرفع وهو
احسن لان النصب يقتضي مقدرا عطفا على ان يؤتيه والضمير لبشر لا غير ولا مزيدة لبعد العهد
وتخلل الفاصل بالاستدراك والمعنى ما استقام لبشر آتاه الكتاب اياه وقوله كونوا
عبادا لي من دون الله ولا امره اياكم باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وعدل الى ما في الآية
للدلالة على تبعد هذا القول عمن اوتي ذلك الاتيان او لا على اصلها نافية والمعنى ما صح ايتاء الله
بشرا النبوة ثم يقول لكم اعبدوني وينهى عن عبادة امثاله من الملائكة والانبياء
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وفيه دليل على ان المخاطبين مسلمون لما روي انهم
قالوا اذن لنا ان نسجد لك واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة

ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه: اللام الاولى موطئة وما شرطية أو آتيتكم
او موصولة مبتدأ والخبر من كتاب ولتؤمنن به جواب القسم والميثاق مضاف الى المفعول
لما روي ابن عباس رضي الله عنه لما اخرج الله الذرية من ظهر ادم اخذ الميثاق على الانبياء
والرسل ان يقروا بمحمد عليه السلام والايمان به ان ادركه واذا كان وان جاءهم تؤمنوا به
وعنه وعن علي رضي الله عنه ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق بنبوة محمد والايمان به ان ادركه
واذا كان حال الانبياء فكيف بالامم وفيه ذم وتوبيخ للمحرفين وقيل اضافه الى الفاعل اي اخذ الله
الميثاق الذي وثقه الانبياء على الامم وقيل المراد بالانبياء بنو اسرائيل على طريق التهكم لادعائهم
انهم اولى بالنبوة والمعنى ان هؤلاء الذين يدعون الاولوية قد اخذ الميثاق عليهم بان تؤمنوا به
وقرا حمزة لما بكسر اللام الجارة متعلقة باخذ على ان ما مصدرية ومن تبعيضية اي لاجل ايتائي
بعض الكتاب والحكمة ثم مجيء رسول الله مصدق او موصولة بحذف العائد لقوله فاصدع بما تؤمر
ومن بيانية وعن الاخفش لما معكم قام مقام العائد واذ نصب باذكر اي اذكر ذلك الوقت
ليظهر للناس ما خصك الله به من المقام العلي والرتبة السنية: قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم
اصري: اي عهدي سمي به لثقل المحافظة عليه: قالوا اقررنا قال فاشهدوا: بعضكم على بعض
او ادوا هذه الشهادة على انفسكم الى الحكم او الى الرسول: وانا معكم من الشاهدين:
حث على المحافظة على الشهادة وبيان من لا يخفى عليه خافية شاركهم فيها: فمن تولى بعد ذلك
فاولئك هم الفاسقون: الكاملون في الفسق والخروج عن الطاعة: افغير دين الله يبغون:
عطف على الجملة السابقة وهمزة الانكار توسطت ودخلت على المفعول لانه محل الانكار
او على مقدر اي يتولون فغير دين الله يبغون: وله اسلم من في السموات والارض طوعا
وكرها: طائعين رغبة كالمؤمنين والملائكة او كارهين بالسيف ونحوه كنتق الجبل وادراك
الغرق والاشفاء على الموت مسخرين فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضى عليهم: واليه
يرجعون: وقرا حفص يرجعون بياء الغيبة وهو وابو عمرو يبغون كذلك والخطاب [illegible] الانكار
توبيخا لهم بالمكافحة وهو نكتة الالتفات: قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم: امر
رسوله بان يخبر عن نفسه ومن معه بالايمان بالله وبما انزل عليهم والقران وان كان نازلا
عليه فلان امته متعبدون بما فيه كما ان ابراهيم والاسباط بالصحف فكان نازلا عليهم ايضا
واتى في البقرة قولوا خطابا لهم لامته او اجلالا له على طريقة الملوك مع تقدم قل وعلى
ابراهيم صونا عن التكرار والنزول يستعمل بهما وهو الاصل لانه حركة من فوق وبالى باعتبار الوصول
لا نفرق بين احد منهم: في موضع الحال: ونحن له مسلمون: منقادون ولذلك امنا بكل
الانبياء والكتب او مخلصون تعريضا بالمنافقين: ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه:
استدل به على اتحاد الاسلام والايمان فان اريد الاتحاد مفهوما فغير صحيح وان اريد الاتحاد
صدقا في الشرع فتام: وهو في الاخرة من الخاسرين: لانه اضاع ما هو له وهي الفطرة التي فطر الناس

عليها: كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
روى الحاكم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في رجل من الانصار ارتدوا
والعياذ بالله بمكة وعن مجاهد نزلت في الحارث بن سويد كفر بعد الاسلام ثم رجع وحسن اسلامه
والمعنى استبعاد هداية الله من كفر بعد الايمان وشهادته بان الرسول حق وبعد ما جاءه الشواهد
من القران وسائر المعجزات: شهدوا عطف على ايمانهم لانه بتقدير الفعل مع ان او في موضع الحال
بتقدير قد ولا يجوز عطفه على كفروا لفساد المعنى: والله لا يهدي القوم الظالمين: لا يوفقهم
للايمان: اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين: اي الموصوفون ملعونون
من كل احد حتى من انفسهم فانهم يلعنون المبطل او يوم القيمة يدعون بالثبور ومفهومه وان دل
على عدم لعن غيرهم الا انه ملغى بالنصوص الدالة على لعن الكافر: خالدين فيها: في اللعنة او في
النار لقوله تعالى: لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون: يمهلون وفيه رد لما يقوله الملاحدة
من انهم يعتادون فلا يحسون بالالم: الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا: ما اخلوا به
من الحقوق فان توبة المرتد لا يسقطها: فان الله غفور: لما صدر منهم: رحيم بقبول توبتهم ان
الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا: وهم اليهود كفروا بعيسى وازدادوا كفرا بمحمد
عليه السلام او امنوا به قبل بعثته وكفروا به بعده وازدادوا كفرا بالاستمرار على معاداته
وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في قوم اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة وازدادوا كفرا بان
قالوا نتربص بمحمد ريب المنون: لن تقبل توبتهم: استدل به الامام احمد على ان من تكرر ارتداده
لا تقبل توبته والجمهور على ان المراد استمرارهم الى الموت لسائر النصوص: واولئك هم الضالون:
طريق الصواب: ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
ولو افتدى به: ادخل الفاء في الخبر لان الموت على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية
بخلاف الاية الاولى فان ايراد الموصول لتحقق الخبر لا لايذانه بالاصرار المفضي الى عدم الرجوع
والمعنى لا يقبل منه فدية ولو افتدى بملء الارض فانه غاية الكثرة عرفا: اولئك لهم
عذاب اليم وما لهم من ناصرين: سد عليهم طرق الخلاص لانه اما بطريق الافتداء او الدفع
بالقهر: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون: حث على الانفاق قبل فوات وقته روى
البخاري ومسلم لما نزلت قال ابو طلحة يا رسول الله ارى ربنا يسألنا من اموالنا
وان احب اموالي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال بخ بخ ذلك مال
رابح وان ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها ابو طلحة في الاقربين وتصدق عمر بسهمه
من خيبر وجاء زيد بن حارثة بفرس له فاعطاه رسول الله ابنه اسامة فقال زيد انما
اردت الصدقة فقال ان الله قد قبل صدقتك: وما تنفقوا من شيء: اي شيء كان فلا
يستحقر شيء وفي الحديث لا تحقرن امرأة جارتها ولو فرسن شاة وفيه اتقوا النار ولو بشق
تمرة: فان الله به عليم: فيجازيكم عليه: كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل كل المطعومات
والحل مصدر بمعنى الفاعل او بتقدير مضاف قصة الانفاق كانت مستطردة لمناسبة

افتدى به الكافرون حين لا ينفع ثم عاد الى محاجة القائلين بعدم النسخ والاتى عليهم فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قالوا لسنا
مخصوصين بذلك بل كانت محرمة من لدن نوح عليه السلام فكذبهم الله في ذلك الا ما حرم
اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة حرم على نفسه لحوم الابل والبانها كانت احب
الطعام اليه وكان به عرق النسا فنذر ان شفاه الله ان يتركها وقيل كان ذلك باشارة
الاطباء والاستدلال به على جواز الاجتهاد للانبياء غير ناجح لجواز كونه بالوحي قل فأتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فان في التوراة ان ذلك التحريم خاص بهم فمن افترى
على الله الكذب من بعد ذلك من بعد ظهور ما ذكر فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم
حيث كذبوا كتابهم الذي آمنوا به ولما الفهم محجة قال قل صدق الله فيما اخبر به في القرآن
والتوراة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا مائلا من الباطل خاطبهم على طريق الانصاف
حيث لم يقل اتبعوني بل امرهم باتباع من يفتخرون باتباعه وما كان من المشركين تعريض
بهم وتكذيب لهم في ادعائهم انهم على ملته ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا
وهدى للعالمين اشارة الى حل شبهة اخرى لليهود قالوا كيف يكون محمد على ملة ابراهيم وقد
ترك التوجه الى بيت المقدس الذي هو قبلة الانبياء فاشار الى ان ذلك ما يدل على انه
على ملته لان الكعبة قبلته وهي اقدم من بيت المقدس واشرف روى البخاري ومسلم
عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم
اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة بمكة وبكة اسمان لتلك البلدة المشرفة
وقيل بكة موضع البيت ومكة سائر البلدة وهو ظاهر النظم سميت بكة لانها تبك اعناق
الجبابرة اي تدقها وقيل لان الناس يتباكون فيها اي يزحم بعضهم بعضا ولا مكان الكثير كم منه
كم من تجارة نفقت ورقبة عتقت وهدى للعالمين لانه قبلتهم في صلواتهم ولما فيه من الآيات
العظام ولذلك بينه بقوله فيه آيات بينات الضمير للبيت مقام ابراهيم الحجر الذي
غاص فيه قدمه لما قام عليه وهو يبني وقيل لما جاء زائرا قالت له امرأة اسمعيل عليه السلام
انزل حتى تغسل رأسك لان سارة كانت شرطت عليه ان لا ينزل وانما صح بيانها بالجماعة
بالواحد لتعدد جهاته غوص القدم وآلانة الحجر الصلد وبقائه على مر الدهور و[illegible] ان القرامطة
اخذوا الحجر الاسود الى بلادهم واعماهم الله عن المقام او لانه اشار الى جنس الآيات بذكر
اعظمها وطوى ذكر الاخر تكثيرها منها انحراف الطيور عن موازاته وضواري السباع تخالط
الصيد وكل جبار قصده قصمه الله كعاد وقصة اصحاب الفيل اعظم دليل ومن دخله كان آمنا
ليس من الآيات بل بيان لشرفه والامن داخلا في الدنيا على ما ذهب اليه ابن عباس وابو حنيفة
من عاذ بالبيت وعليه قصاص لا يتعرض له ولكن لا يطعم ولا يسقى حتى لا يضطر الى الخروج وهو
الظاهر لقوله انا جعلنا حرما آمنا وقوله وآمنهم من خوف ولما روى مسلم والبخاري عن
ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لكن جهاد ونية ثم قال ان

هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض لم يحل لاحد قبلي وانما حل لي ساعة من نهار
فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من
عرفها فليبلغ الشاهد الغائب واما في الآخرة لما روى البخاري وغيره من حج ولم يرفث
فكانما ولدته امه او المطلق وهو الآمن فيندرج فيه كلاهما وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه
البقعة سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم
كالقمر ليلة البدر وروي انه قال يؤخذ بالحجون والبقيع وهما مقبرتا مكة والمدينة وينثران في الجنة
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الحج لغة القصد وشرعا هو القصد المخصوص
بين اولا شرف البيت والحرم ثم دعا كافة الناس اليه فحج احد اركان الاسلام بالاحاديث
والاجماع والآية وفيها انواع من التاكيد ابراز الامر في صورة الخبر والابدال المشتمل على
الاجمال والتفصيل ولام الاختصاص واسمية الجملة وتسمية تاركه كافرا وحرمه في العرصة
لما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ايها الناس
ان الله كتب عليكم الحج فقال اقرع بن حابس اكل عام يا رسول الله فقال لو قلت لوجب
ذروني ما تركتكم الحج مرة وروى الترمذي عن ابن عمر ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة وعند مالك قوة البدن كافية لقوله تعالى واذن
في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر وقرأ حمزة والكسائي وحفص حج البيت
بكسر الحاء على انها لغتان وعن الزجاج المفتوح مصدر والمكسور اسم والمختار هو الفتح
لا تفاقهم في واذن في الناس بالحج ومن كفر بتركه مستحلا او هو تهديد كقوله من ترك
الصلوة متعمدا فقد كفر روى الترمذي عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من ملك زادا وراحلة ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فان الله غني
عن العالمين وكل غناه عن حجه بطريق البرهان لانه اذا كان غنيا عن العالمين
تناوله لا محالة قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اذ لم يبق لكم شبهة فضلا عن حجة
والله شهيد على ما تعملون والعاقل لا يرتكب ما لا نفع فيه فكيف بما يجلب سخط القاهر القادر
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن لم ترضوا بضلالكم حتى تقصدوا الى اضلال
المسترشدين تبغونها عوجا توهمون الناس ان فيها اعوجاجا او تبغون انفسكم
لطلب المحال يقال بغيتك الشيء اذا طلبته له وانتم شهداء عالمون بانها سبيل الله
او انتم موصوفون بالعدالة والديانة بين اتباعكم وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
نوع آخر من مكايد اليهود وذلك ان الاوس والخزرج قبيلتان من عرب اليمن من اولاد
سبا الذي ضرب به المثل في قولهم ذهبوا ايدي سبا وكان بين هاتين القبيلتين عداوة
قديمة ومحاربات كثيرة منها يوم بعاث كان الظفر في ذلك اليوم للاوس وكان شاس بن

قيس كثير العداوة للاسلام واهله فمر بنفر من الاوس والخزرج جلوس فغاظه ذلك
فامر شابا كان معه ان يجلس اليهم وينشدهم الاشعار ويذكرهم يوم بعاث فلما انشدهم
وذكرهم تحركت فيهم الحمية وتبادروا الى السلاح عازمين على القتال فبلغ رسول الله صلعم
امرهم فخرج اليهم وقال اتدعون بدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله
بالاسلام فعرف القوم انها من نزغات الشيطان فالقوا السلاح وتعانقوا
فلم يكن يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم فانصرفوا ورسول الله بينهم كالبدر
بين الانجم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله: انكار لان
يوجد لهم حال يتصور معها الكفر لان القران الذي هو هدى ونور يتلى عليهم غضا
طريا وفيهم يشاهدون منه الايات والمعجزات على التوالي: ومن يعتصم بالله فقد
هدى الى صراط مستقيم: من التجأ اليه او من تمسك بدينه فقد حصل له الهدى لا محالة
وجعل الجزاء مع قد لئلا ينقلب مستقبلا: يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
اصل تقاة وقاة قلبت واوه تاء كما في تراث وتجاه عن ابن مسعود رضي الله عنه
حق تقاته ان يطاع ولا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى رواه الحاكم مرفوعا وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان لا يأخذه في الله لومة لائم وعن بعض العارفين ان يحافظ
على الحدود ظاهرا وعلى الاخلاص باطنا: ولا تموتن الا وانتم مسلمون: اي لا يكونوا
حال الموت الا على الاسلام النهي راجع الى القيد كقولك لا تصل الا وانت
ذو سلاح: واعتصموا بحبل الله جميعا: استعارة تمثيلية على اعتبار تشبيه الحالة بالحالة
او الحبل مستعار للعهد او القران لقوله تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا القران
حبل الله المتين والاعتصام مستعار للوثوق بالعهد او ترشيح لاستعارة الحبل لان اضافته
الى الله قرينة: ولا تفرقوا: لا تفعلوا شيئا يوجب تفرقكم وفي الحديث يد الله على
الجماعة من شذ شذ في النار: واذكروا نعمت الله عليكم: اشكروها: اذ كنتم اعداء فالف
بين قلوبكم كانت العرب قبل الاسلام متفرقين بينهم التحارب والتغاور فالف الله
بينهم الالفة والمودة ببركة الايمان والاوس والخزرج داخلان في العموم: فاصبحتم
بنعمته اخوانا: اي صرتم اخوانا ملتبسين بنعمة الله المراد اخوة الاسلام: وكنتم على شفا
حفرة من النار: شفا كل شيء حرفه واوي والمعنى لو ماتوا على الكفر لوقعوا في حفرة من
النار وهي قبر الكافر فانها حفرة من حفر النيران: فانقذكم منها: من النار او من
الشفا وهو الوجدان الانقاذ منه وتانيث الضمير لان الشفا من الحفرة كما تقول
سقطت بعض انامله: كذلك يبين الله لكم آياته: مثل هذا البيان الجلي يبين سائر
آياته لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى الحق: ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر من فروض الكفاية يجب على الكل ويسقط بفعل
البعض كصلوة الجنازة ودفن الميت وشروط القائم به العلم بالاحكام والحدود

وكيفية التعاون ويجب على الجاهل التعلم اذا لم يقم به غيره ويختلف باختلاف المذاهب
ويكون واجبا ومندوبا ويكره اذا خاف على نفسه وله ثلث مراتب كما روى البخاري
ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وعطف يأمرون على
يدعون من عطف جبريل على الملائكة: واولئك هم المفلحون: اي الموصوفون هم الكاملون
في الفلاح عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليوشكن ان يبعث الله عقابا ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم: ولا
تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا: نهي اولا عن التفرق وثانيا عن المشابهة بمن تفرق
مبالغة: من بعد ما جاءهم البينات: الدلائل الواضحة والمراد النهي عن الاختلاف الناشئ
عن الاهواء فيخرج عنه اختلاف المجتهدين: واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه: انتصاب يوم بالظرف او باذكر مضمرا او بعظيم البياض والسواد على
الحقيقة سيما اهل السعادة والشقاوة او كنايتان عن السرور والحزن: فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم: يوم الميثاق اذ قلتم بلى بعد الست بربكم وقيل هم اليهود
والنصارى آمنوا به قبل بعثته فلما جاءهم ما عرفوا كفروا وقيل اهل البدع الذين بدعتهم كفر
كالمجسمة والمعطلة والهمزة للتوبيخ والقائل الملائكة وفائدة القول زيادة العذاب
وتوفير حظ السامعة: فذوقوا العذاب: امر اهانة: بما كنتم تكفرون: بسبب كفركم: واما الذين
ابيضت وجوههم ففي رحمة الله: في الجنة من اطلاق الملزوم وارادة اللازم اشارة الى ان
دخول الجنة بفضل رحمته تعالى لا بالعمل وانما وسط حديث السواد ليكون الفاتحة والخاتمة بحلية
المؤمنين: هم فيها خالدون: مستانف لبيان حالهم في الرحمة او حال لان صدر الجملة
ضمير فلا حاجة الى الواو: تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق: ملتبسة به: وما الله يريد ظلما
للعالمين: شيئا منه لاحد منهم نفاه بنفي لازمه اذ لو وقع كان مرادا له ودل على ان ظلم
العباد بينهم مراد له وان لم يرض به فمن استدل به على انه لا يريد ظلم العباد بعضهم بعضا فقد زلت
به القدم: ولله ما في السموات وما في الارض: ايجادا وملكا فكيف يتصور منه الظلم: والى الله
ترجع الامور: فيجازي كلا بما وعده واوعده: كنتم خير امة اخرجت للناس: اي في علم الله او في
اللوح والخطاب لامته كافة لما روى الترمذي عن بهز بن حكيم عن جده ان رسول الله عليه السلام
قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها عند الله تعالى وقيل للصحابة وقيل للشهداء
والصالحين: تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر: استئناف لبيان الخيرية واللام
للاستغراق اي كل معروف وكل منكر مستمرون على ذلك وبه خرج الامر والاستدلال
به على حجية الاجماع غير ناهض لان قيام واحد او شرذمة كاف في ذلك والاسناد الى الكل
لوقوع الفعل بينهم: وتؤمنون بالله: باتصافه بكل ما يليق به آخره للدلالة على ان امرهم
بالمعروف والنهي عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به: ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم

لاندراجهم في زمرة خير الامم: منهم المؤمنون: كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون لن
يضروكم الا اذى: بالسان كالطعن في دينكم ودنياكم برثاثة حالكم بهذه الجملة وما عطف
عليها والتي قبلها وما عطف عليها وردت على طريق الاستطراد تتميما لبيان حالهم ولم
يعطف احد الاستطرادين على الآخر ليكون لكل منهما نوعا آخر من الكلام: وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار: لفرط خوفهم: ثم لا ينصرون: اي ثم اخبركم انهم لا ينصرون قط ولذلك
لم يعطفه على الجزاء لئلا تتقيد بالشرط وثم للتراخي رتبة فان الاخبار باستمرار الخذلان
عليهم اعظم من الاخبار بتوليهم ضربت عليهم الذلة: شبه الذلة بالقبة على طريق الاستعارة
بالكناية والضرب تخييل او شبه احاطتها بهم باحاطة القبة على من فيها استعارة تبعية
اينما ثقفوا: اينما وجدوا شرقا وغربا: الا بحبل من الله وحبل من الناس: استثناء من اعم
الاحوال اي لا عز لهم في حالة الا في حال اعتصامهم بذمة الله وذمة المسلمين وانما اعاد
الحبل لتغاير الحبلين لان حبل الله هو الاسلام وحبل المسلمين هو عقد الجزية او عهد الله
ايفاؤهم بالجزية وعهد المسلمين تقريرهم على الجزية او هو من قبل الله ورسوله احق ان يرضوه
لان الناس هم المؤمنون فيتحد الحبلان: وباؤا بغضب من الله: صاروا احقاء به وهو
الانتقام: وضربت عليهم المسكنة: الفقر اكثر اليهود فقراء او الذلة في النفس المسكنة
اولئك رظاهر الكيف لا والتزام الجزية اعزاء احوالهم: ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله
اي المذكور من ضرب الذلة وغيرها كائن بسبب كفرهم بآيات الله: ويقتلون الانبياء بغير حق
في اعتقادهم يوقنون بان قتلهم ظلم: ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون: اي ذلك الكفر والقتل
بسبب عصيانهم فان الاصرار على الصغاير يفضي الى الكباير والاكباب عليها يؤدي الى الكفر
غالبا او ضرب الذلة مسبب عن الكفر والقتل ايضا فيدل على انهم مخاطبون بالفروع: ليسوا
سواء: اي لا يستوون وهم من آمن من اهل الكتاب والاكثرون الفاسقون: من اهل الكتاب
امة قائمة: استئناف لبيان حال الاقلين بعد بيان حال الاكثرين ومعنى قائمة عادلة من قام
العود اذا زال اعوجاجه او القيام كناية عن التهجد يدل عليه وصف اضدادهم بالكسل: يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون: عبر عن صلوتهم تهجدا بيها وهو الذكر المدلول عليه بالتلاوة
والسجود الذي هو اقرب مقامات العبد في معراجه زيادة تصويرها وتمييزا عن صلوة
اهل الكتاب: يؤمنون بالله واليوم الآخر: تعريض بقاء يجتهم لان ايمانهم بالله واليوم الاخر
ليس بايمان: ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر: ولا يداهنون: ويسارعون في
الخيرات كلها من فرط رغبتهم لان من رغب في شئ سارع اليه واثر الفور على التراخي
واولئك من الصالحين: الذين صلحت احوالهم مع الله والخلق او بعض الصالحين سعدوا
منهم: وما تفعلوا من خير فلن تكفروه: اي جزاؤه ضمن معنى الحرمان ولذلك عدي الى مفعولين
وقرأ حمزة والكسائي وحفص الفعلين بياء الغيبة والضمير لاهل الكتاب والخطاب لباقي
او على سنن كنتم خير امة لان قصة اهل الكتاب معترضة استطرادا: والله عليم بالمتقين حث

على الاخلاص وبشارة للمتقين: ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون: من الاغناء او من العذاب: مثل
ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
فاهلكته: الصر البرد وهو في الاصل مصدر جيء به على الاصل او صفة بمعنى الباردة وصف به
الريح الباردة مبالغة او من قبيل التجريد انتزع من الريح ريح باردة كقوله لكم في رسول الله
اسوة وقول الشاعر وفي الرحمن للضعفاء كاف في التشبيه من المركب شبه ما كانوا
ينفقون في المكارم والمفاخر لا يبتغون بها وجه الله بالزرع الذي اصابه البرد المفرط فبلى
او انقلب حطاما او ما كانوا ينفقونه في عداوة رسول الله ولم يبلغوا به ما داموا انما قيد
الحرث بقوم ظلموا لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ: وما ظلمهم الله: اي المنفقين:
بابطال اعمالهم ولكن انفسهم يظلمون: لانهم باشروا اسباب سخطه: يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا بطانة: بطانة الرجل خاصته وصاحب سره ومنه بطانة الثوب لخفائها واستتارها
روى البخاري مرفوعا انه عليه السلام قال في مدح الانصار الناس دثار والانصار شعار
وروى ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل من دونكم: من دون المؤمنين صفة ويجوز تعلقه بلا تتخذوا: لا
يالونكم خبالا: من الالو وهو التقصير يقال لا الوك جهدا على تضمين معنى المنع فيتعدى
الى المفعول الثاني والخبال الفساد ودوا ما عنتم وهو شدة الضرر وابلغه واصله كسر العظم
بعد الجبر: قد بدت البغضاء من افواههم: من فلتات لسانهم من فرط البغض لانه
الممتلي: وما تخفي صدورهم اكبر: مما بدا: قد بينا لكم الآيات: بشرح احوالهم وجمل المذكورة
مستانفات كلل منها علة مستقلة للنهي ولذلك ترك تعاطفها ويجوز ان يكون كل الاخيرة
علة للسابقة سوى قوله قد بينا لكم الآيات فانه لا يصلح تعليلا لبدو البغضاء فيكون
كلاما مبتدأ او الحمل على الصفة يوهم تقييد النهي بكون البطانة على هذه الصفات: ان
كنتم تعقلون: وفي ايثار ان وجعل الفاصلة تعقلون توبيخ على ما وقع منهم من نوع موالاة
ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم: انتم مبتدأ واولاء خبره والهاء للتنبيه فان قلت
قد تقدم نظيره في محاجة اليهود ها انتم هؤلاء فلم اقتصر على احدى الهائين هنا قلت
دعوى اليهود ان ابراهيم كان يهوديا ناشئة عن فرط الغفلة لان المتقدم لا يعقل ان يكون
على مذهب المتاخر فكررت لها لذلك بخلاف مودة المؤمنين لمن لا يحبهم فانه
احسان للى غير مستحقه فلم يكن بذلك البعد: وتؤمنون بالكتاب كله: حال بتقدير المبتدأ
من المفعول اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكل الكتاب او عطف على تحبونهم على معنى
ها انتم تجمعون بين المحبة والايمان بالكتب كلها وهم لا يحبونكم ولا يؤمنون بشيء من الكتب
فلا جامع بينكم وبينهم: واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ:
النادم والمغتاظ كثيرا ما يعضان الانامل من شدة الاسف والندم قال الحارث

ابن ظالم المري: فاقتل اقواماً لئاماً اذلة: يعضون من غيظ رؤوس الاباهم: وقال الاخر غيري
جنى وانا المعاقب فيكم فكانني سبابة المتندم: قل موتوا بغيظكم: اي ازدادوا غيظا الى
ان تموتوا به وذلك بازدياد شوكة الاسلام وارتفاع شانه: ان الله عليم بذات الصدور:
داخل في مقوله اي قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسترون بينكم وهو مضمرات قلوبكم التي في الصدور
او استئناف منه تعالى يقرر ما اطلعه عليه من اسرارهم او تذييل لكل ما سبق من قوله ها انتم وعيدا
على اضمار مودتهم واطلاعا لرسوله على نفاقهم وتحذيرا لهم عسى ان يرجعوا والاحسن ان يكون
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم برجاء العاقبة وعلو الشان من غير قول ولا مخاطب كانه قال
حدث نفسك بهذا: ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها: لفرط عداوتهم
يحسدونكم على العافية اثر في الحسنة المس لانه ادنى الاصابة وفي السيئة الاصابة لانهم لا
يفرحون بادنى اصابة: وان تصبروا: على اذاهم: وتتقوا: موالاتهم او تصبروا على مرارة التكاليف
وتجتنبوا محارم الله: لا يضركم كيدهم شيئا: ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
لا يضركم من ضاره يضيره والمعنى واحد والتشديد شهير: ان الله بما يعملون محيط: علما فيجازيهم به
واذ غدوت من اهلك: من حجرة عائشة رضي الله عنها اي اذكر ذلك الوقت ليظهر لك
ان النصر منوط بالصبر ولما لم يصبروا اصابهم ما اصابهم واليه اشار بقوله قل هو من عند انفسكم
هذه وقعة احد كانت في شوال من سنة ثلث من الهجرة وذلك ان ابا سفيان لما رجع بالعير
وقتل من قتل من اشرافهم ببدر قالوا نجعل هذه الاموال لقتال محمد فجمعوا الجموع وخرجوا في ثلثة آلاف
اميرهم ابو سفيان فنزلوا باحد يوم الاربعاء فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة استشار
الاصحاب فاشار اليه الاكثر الانصار بالاقامة بالمدينة وفيهم عبد الله بن ابي رئيس النفاق
قالوا وما دخل علينا عدو قط الا اصبنا منه وما خرجنا اليه الا اصاب منا دعهم ان اقاموا اقاموا
بشر محبس لا ماء ولا علف وان قاتلوا قاتلهم الرجال ورمى في وجوههم النساء والصبيان بالحجارة
وان رجعوا رجعوا خائبين واشار اليه بالخروج بعض من فاته بدر واراد الله اكرامه بالشهادة قالوا
يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الكلاب لا يرون انا جبنا فدخل ولبس لامته وظاهر بين الدرعين
فندم المشيرون بالخروج وقالوا يا رسول الله افعل ما بدا لك ان شئت اقمت قال لا ينبغي لنبي
ان يلبس لامته ثم يرجع حتى يحكم الله فخرج في الف فلما سار شوطا رجع ابن ابي المنافق
في ثلث الجيش وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا حتى نزل
بالشعب في عدوة الوادي وجعل ظهره الى احد: تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال: مواطن
ومواقف يستعمل في مجرد المكان اتساعا كقوله في مقعد صدق وذلك انه لما اصبح يوم السبت
تهيأ للحرب وجعل يصف اصحابه ويسويهم كما يسوي القدح وامر على الرماة عبد الله بن جبير
وهم خمسون رجلا وقال الزموا مكانكم وانضحوا الخيل ولا تبرحوا مكانكم لنا او علينا وان خطفتنا
الطيور وكانت مع قريش مائتا فرس على ميمنتها خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن
ابي جهل: والله سميع: لاقوالكم: عليم: بضمائركم: اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا: ظرف لسميع

عليم على التنازع او بدل من اذ غدوت والطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة الفشل الجبن والضعف
وذلك ان المنافقين لما رجعوا همت الطائفتان بالرجوع وكانت همة لا عزيمة او كانت
عزيمة كفرت بالثبات: والله وليهما: عاصمهما ومتولي امورهما روى مسلم والبخاري عن جابر فينا
نزلت وما يسرنا ان لا تنزل لقوله تعالى والله وليهما: وعلى الله فليتوكل المؤمنون: لا على غيره
ولقد نصركم الله ببدر: اسم ماء سمي باسم صاحبه بدر بن النار رجل من جهينة اول
قتال وقع بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين بها واتفق ذلك السابع عشر
من رمضان سنة ثنتين من الهجرة اعز الله الاسلام فيه وحزبه: وانتم اذلة: ثلثمائة
وثلثة عشر اكثرهم مشاة يتعقبون ومنهم فرسان وسبعون بعيرا والعدو في زهاء الف
وعدة كاملة على الخيول المسومة: فاتقوا الله لعلكم تشكرون: بتقواكم لان نعمة النصر تقتضي
المقابلة بالتقوى شكرا او التقوى شكر للنعمة مستجلب للنصر فعليكم بها: اذ تقول للمؤمنين
ظرف لنصركم او بدل من اذ غدوت على ان هذا القول كان يوم احد ونزول الملائكة كان
مشروطا بالصبر والثبات: الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين:
استفهام الانكار دخل على النفي فافاد الاثبات وقرا ابن عامر منزلين بالفتح النون
وتشديد الزاء: بلى: ايجاب بعد النفي اي بلى يكفيكم الامداد ثم قال: ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا: في الآن الحاضر من غير ريث مستعار من فوران القدر وهو
الغليان: يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين: زيادة على العدد الاول و
والسومة العلامة عن ابن عباس رضي الله عنه كانت خيولهم معلمة بالصوف الابيض
في نواصيها واذنابها ولم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وفي غيره وان نزلت لم تقاتل وعن
هشام بن عروة كانت خيلهم بلقا وعن الزجاج كانت ثيابهم بيضا وقيل كانت
عمائمهم صفرا مرخاة على اكتافهم على صورة عمامة زبير وفائدته اظهار الشجاع نفسه وعدم
الالتباس عند التحام القتال وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الواو مسومين لان القرن
هم الذين يسومون والفتح اشهر: وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به: اي
ما جعل الامداد الا ليحصل لكم سرورا وتطمئن قلوبكم بالعدد الكثير وتندفع به وساوس
الشيطان استعارة البشارة من القول للفعل: وما النصر الا من عند الله: لا من عند
العدة والعدد: العزيز: الغالب الذي لا يغالب: الحكيم: في نصر المؤمنين بانزال الملائكة
تارة وبدونها اخرى: ليقطع طرفا من الذين كفروا: متعلق بنصركم الله على ان اذ تقول ظرف له
لا بدل من اذ غدوت والمعنى نصركم ببدر ليهلك طائفة من الكفار او كذا وكذا او يتعلق بما
النصر الا من عند الله وهذا احسن لعمومه وجريانه على وجهي البدل والظرفية: او يكبتهم:
يخزيهم يقال كبته بمعنى اصاب كبده بالغيظ والحرقة: فينقلبوا خائبين: لم ينالوا خيرا
ليس لك من الامر شيء: روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقنت بعد الركوع ويدعو على مضر واحياء من العرب فنزل ليس لك

من الامر شيء وروي ايضا عن انس رضي الله عنه انه لما كسر رباعيته وشج راسه جعل يسيح الدم
عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم فنزل اي انما انت عبد منذر وما امرت بقتال
وقد فعلت ما امرت به كانه عاتبه به على استبعاد فلاح القوم لان منهم من آمن كابي سفيان
وخالد بن الوليد: او يتوب عليهم او يعذبهم: عطف على يقطع وليس لك من الامر شيء
اعتراض بين المتعاطفين فان القطع والكبت في العاجل والتوبة والتعذيب في الآجل ويجوز
ان يكون منصوبا باضمار ان عطفا على المجرور او المرفوع اعني الامر او شيء اي ليس لك من الامر
التوبة عليهم او التعذيب او ليس لك من التوبة عليهم او تعذيبهم شيء وعلى الوجهين من عطف
الخاص على العام مبالغة في شمول النفي للخاص وقيل او بمعنى الا اي ليس لك من الامر شيء
الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتشتفي منهم: فانهم ظالمون: فلهم التعذيب
ولله ما في السموات وما في الارض: ايجادا وملكا تقرير لقوله ليس لك من الامر شيء: يغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء: لا علة لصنعه ملاك الامر مشيته والتقييد بالتوبة قول بلا دليل
ومعارض بما تواتر من الاحاديث معنى: والله غفور: كثير الغفران: رحيم لا يعاجل بالعقوبة
يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة: هذا ايضا من اخلاق الكفار نهاهم
عنه لانهم عن الاتصاف باخلاقهم وسلوك سنتهم والتقييد باضعافا مضاعفة زيادة توبيخ
وبشارة الى ما كانوا فيه من الطريقة التي لا يرضاها ذو المروة من اكلة الربا فلا مفهوم له وقرا
ابن كثير وابن عامر مضعفة: واتقوا الله: فيما نهيتم عنه: لعلكم تفلحون: لكي تفلحوا: واتقوا النار التي
اعدت للكافرين: بالاصالة فلا تشاركوهم في اسبابها: واطيعوا الله والرسول: مبالغة
في الحث على التقوى: لعلكم ترحمون: وسارعوا الى مغفرة من ربكم: اي موجباتها واسبابها
وقرا نافع وابن عامر سارعوا بدون الواو اما على الاستئناف على تقدير سؤال او حذف
العاطف لعدم اللبس وكذا رسم مصحف المدينة والشام: وجنة عرضها السموات والارض:
ليس القصد الى تحديد عرض الجنة بل هو كناية عن غاية السعة بما هو غاية في ذلك في علم السامع
والتمثيل بالعرض لانه اقصر من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بسطت السموات والارض
ووصلت كانت مقدار عرض الجنة واما طولها فلا يحيط به الا علام الغيوب: اعدت للمتقين
الآتي وصفهم ولا يلزم منه ان لا يدخلها العصاة من المؤمنين لان المراد انها لهم اعدت
اصالة كالنار للكفار: الذين ينفقون في السراء والضراء: حالتي الرخاء والشدة او في
جميع الاحوال فان الانسان لا ينفك عن احدهما روي ان عائشة رضي الله عنها تصدقت
بحبة عنب: والكاظمين الغيظ: يقال كظم البعير اذا ازدجرته الى جوفه والمراد عدم امضائه
واخفائه وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعدون فيكم الصرعة قالوا
الذي لا يصرعه الرجال قال لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب: والعافين عن الناس:
جرائمهم عند القدرة اخص من كظم الغيظ واخفائه من دون العفو وعن ابن عباس رضي الله عنه
اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين العافون عن الناس هلموا الى ربكم وخذوا اجوركم و

والله يحب المحسنين: هؤلاء المذكورين اللام للعهد والاولى الاستغراق فيتناولهم وغيرهم
دخولا اوليا: والذين اذا فعلوا فاحشة: عطف على المتقين اي اعدت للمتقين و
لهؤلاء التائبين والفاحشة فعل تناهى قبحها: او ظلموا انفسهم بارتكاب اي
ذنب كان: ذكروا الله: بصفات الجلال والجمال: فاستغفروا لذنوبهم: رغبة ورهبة
ومن يغفر الذنوب الا الله: بالغ في الدلالة على سعة رحمته بايثار الاسم الجامع واستغراق
الذنوب باللام وتصدير الكلام بالاستفهام الدال على انه المتفرد بذلك والاعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه لئلا ينفك المغفرة من الاستغفار وفي الحديث
التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة تجب ما قبلها: ولم يصروا على ما فعلوا
ولم يقيموا على المعاصي وهم يعلمون: حال من فاعل يصروا على ان حرف النفي منصب عليهما
بمعنى ان عدم الاصرار متحقق البتة حال كونهم عالمين قبح الاصرار: اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها: خبر الذين اذا فعلوا
ان لم يعطف على المتقين والا فكلام مستانف لبيان حال المتقين والتائبين
وقوله والله يحب المحسنين في البين لرفع شان المتقين وليس في الآية ان الجنة
اعدت للمتقين والتائبين او للمتقين خاصة والتائبون اجرهم مغفرة وجنات ولا
دلالة في ذلك على عدم دخول المصر الا مفهوما وهو ملغى لان الكلام مسوق لترهيب
اكلة الربا وترغيب في الاقلاع والتقييد بعدم الاصرار يلائم الغرض وشرط المفهوم
عند القائل به ان لا يكون له فائدة اخرى: ونعم اجر العاملين: اي المذكور سمي عوض العمل
جزاء اولا واجرا ثانيا بالنظر الى المعطي والعامل: قد خلت من قبلكم سنن: وقائع
الامم المكذبة وطرق هلاكها المختلفة: فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
ترى آثارهم خاوية بما ظلموا حثهم على الاعتبار بحيث يحذرون من احوال امثالهم: هذا بيان
للناس: من سوء عاقبتهم ان داموا على التكذيب: وهدى وموعظة للمتقين: زيادة
هدى وتثبيت لهم ويجوز ان يكون قد خلت جملة معترضة حثا على الايمان وقوله هذا بيان
اشارة الى الملخص من حال المتقين والتائبين: ولا تهنوا ولا تحزنوا: عطف على فانظروا
تسلية لهم لان النظر الى تلك الوقائع يورث الطمانينة بان العاقبة لحزب الله كما ان
تمام حديث احد بعد توسيط حديث الربوا والدلالة على انه نوع آخر من حزب الله وحيث
لحيها والاكبر لانه الاعم الاهم: وانتم الاعلون: شانا لانكم تقاتلون لاعلاء كلمة الله ولانكم
اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او اعلون في العاقبة الا ان حزب الله هم
الغالبون: ان كنتم مؤمنين: اي لا تهنوا ان صح ايمانكم تعبير لهم لان ما بهم منهم ينافي قوة
الايمان او متعلق باعلون او خبر لبشارة بالعلو في العاقبة اي انتم الاعلون ان كنتم
مصدقين بهذه البشارة: ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله: يوم بدر او
يوم احد اول النهار قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا حمزة والكسائي

وابو بكر القرح بضم القاف على انهما لغتان او بالفتح الجراح وبالضم: وتلك الايام: مبتدأ وخبر
نداولها بين الناس: جملة موضحة كما في قولك انت حاتم تجود او حال او خبر بعد خبر والمداولة
من الدولة وهي الكرة والعود والايام اوقات النصر والغلبة والمعنى نجعل النصرة تارة لهؤلاء
وتارة لهؤلاء وفي حديث ابي سفيان لما ساله هرقل عن حال حربهم مع رسول الله عليه السلام
الحرب بيننا سجال: وليعلم الله الذين آمنوا: ليتميز الثابت على الايمان من المتزلزل من
اطلاق السبب وارادة المسبب او تمثيل اي فعلنا فعل من يريد ان يعلم الثابت على الايمان
او علماً يتعلق به الجزاء وهو ان يعلم الثابت موجوداً فالمعلل محذوف او العلة محذوفة والمعلل
نداولها اي نداولها لكيت وكيت وليعلم وانما حذفت للدلالة على ان المصلحة في ذلك غير
واحدة: ويتخذ منكم شهداء: ويكرم منكم ناساً بفضل الشهادة وقيل يتخذ منكم من يصلح
للشهادة على الامم وفيه ان تلك الشهادة عامة لكافة الامة: والله لا يحب الظالمين
اعتراض بين العلل للدلالة على ان ادالة النصر والظفر للكفار تارة ليست الا استدراجا
وليمحص الله الذين آمنوا: عطف على ويتخذ واللام بمعنى كي والتمحيص تخليص الشيء اي ليطهرهم
من الذنوب قتلوا او قتلوا: ويمحق الكافرين: يهلكهم المحق نقص الشيء قليلا قليلا فالجمع
في اهالين للمؤمنين: ام حسبتم ان تدخلوا الجنة: ام منقطعة انكر حسبانهم دخول الجنة
دون القيام بما امروا به من مشاق التكليف تعريضا بما عرض به اولاً: ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم: اي ولا تجاهدوا نفي المعلوم بنفي العلم اذ لو وقع لكان معلوما له ولما كلم في
نفي الماضي الا ان فيه معنى التوقع فدل على ان الجهاد المنفي في الماضي متوقع في المستقبل
ويعلم الصابرين: نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع والمعنى انكار حسبان دخول الجنة
ما لم يتحقق الامران معاً: ولقد كنتم تمنون الموت: اصحابه هم الذين تخلفوا عن بدر
وحضوا رسول الله على الخروج الى احد: من قبل ان تلقوه: وتشاهدوا شدته: فقد رايتموه
حين قتل اخوانكم: وانتم تنظرون: والحال انكم بصراء تشاهدون ذلك لا علة بكم ولا علة
وفيه دلالة على كراهة تمني لقاء العدو لا الشهادة لما روى البخاري عنه عليه السلام لولا ان
اشق على امتي لما قعدت خلف سرية ولوددت ان اقتل ثم احيى ثم اقتل ثم احيى ولقد
قال عبد الله بن رواحة لما ركب متوجها الى غزوة مؤتة وقيل له ردك الله سالما لكنني اسال
الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء
والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا ولزوم تمني غلبة
الكفار من تمني الشهادة ممنوع: وما محمد الا رسول: وما يوم احد رمى عبد الله بن قمئة رسول الله
فشجه ونادى الشيطان في الناس قتل محمد فحصل بذلك وهن في الناس ورسول الله في طائفة
من اصحابه ينادي الي عباد الله فانحازت اليه طائفة فلامهم فقالوا فديناك بآبائنا
وامهاتنا سمعنا انك قتلت والعصر قصر قلب كانهم من شدة تعظيمهم رسول الله
اعتقدوا ان شانه يخالف شان سائر الرسل يدل عليه انه لا ينقل الى جوار الله

قال

قال عمر من قال ان محمداً مات ضربت عنقه بل ذهب الى الله وسيعود ويضرب اعناق رجال
حتى جاء ابو بكر فكشف عن وجهه وقال بابي انت وامي لا يميتك الله موتتين اما الموتة التي
كتبت عليك فقد متها ثم قرأ على الناس هذه الآية فكانهم لم يسمعوها قبل فلم يبق رجل
الا شرع يتلوها وقيل قصر افراد كانهم اعتقدوا جمعه بين الوصفين الرسالة والتبرء من الموت
وعلى هذا: قد خلت من قبله الرسل: ابتداء الكلام وعلى الاول وصف رسول: افان مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم: الهمزة للانكار والفاء لربط مضمون الجزاء بعد تقييده بالشرط
بالجملة التي قبلها وهي وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي اجعلتم خلو الرسول من قبله سببا
لانقلابكم على الاعقاب بعد خلو محمد كان الواجب عليكم عكس ذلك وهو التمسك بدينه بعده
وقدم الموت مع ان الكلام في القتل لانه الذي لا بد منه والقتل احد اسبابه: ومن ينقلب
على عقبيه فلن يضر الله شيئاً: من الضرر ومن الاشياء لتعاليه وغناه: وسيجزي الله الشاكرين
نعمة الاسلام مدح الثابتين في ذلك اليوم لما فشا خبر قتله قال انس بن النضر يا قوم ان كان
قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم شد بسيفه فقاتل
حتى قتل وفيه نزل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ولكل شاكر فيدخل فيهم الثابتون
دخولا اوليا: وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله: بقضائه لا الاقدام بدينه ولا الاحجام
بنقصه فيه تشجيع لهم لما كان الموت فانما بالنفس اخرجه مخرج فعل لها: كتاباً مؤجلاً: مصدر مؤكد
لان المعنى كتب كتاباً مؤجلاً له وقت معين لا يتقدم ولا يتأخر: ومن يرد ثواب الدنيا نؤته
منها: تعريض بالذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا المركز لطلب الغنيمة: ومن يرد
ثواب الآخرة نؤته منها: مدح الثابتين والذين قالوا لا نخالف قول رسول الله عليه السلام
قدم ثواب الدنيا لان الكلام فيه واخره في سورة الشورى لسوق الكلام في الترغيب وقرأ ابو
عمرو وحمزة وابو بكر باسكان الهاء نؤته في الموضعين: وسنجزي الشاكرين: اعاده بنون العظمة
مبالغة في الاعتداد بفعلهم: وكأين: اصله اي دخل عليها كاف التشبيه والنون اصله التنوين
كتب نوناً على غير قياس وقرأ ابن كثير وكاء على وزن فاع ووجهه قلب الياء المكان الهمزة ثم
حذف احدى الياءين وقلب الاخرى الفاً وعلى الوجهين معناه الكثرة: من نبي قاتل معه
ربيون كثير: علماء اتقياء عباد منسوب الى الرب والكسر لتغيير النسب وقيل منسوب الى الربة
وهي الجماعة وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو قتل مجهولا والربيون قائم مقام فاعله وهذا ابلغ
لان القتل يستلزم المقاتلة دون العكس وقتل في قتل ضمير النبي ومعه ربيون جملة حالية
وليس يقوى لما روي عن الحسن انه لم يقتل نبي في الحرب ولان الكلام في تعيير من تزلزل يوم
احد ولم يثبت ثبات الربيين مع الانبياء: فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله: الوهن
ضعف الراي والبصيرة كقوله لا وهن في عزم: وما ضعفوا: عن مباشرة القتال وما
استكانوا: وما خضعوا كما خضعتم تعريض بمن تذلل منهم قال بعض المؤمنين ليت عبد الله بن ابي
آخذ لنا من ابي سفيان عهداً: والله يحب الصابرين: لاسيما في مواطن الحرب: وما كان

وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم
مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا وتقديم الاستغفار على طلب النصرة ليكون اقرب الى الاجابة
لوقوعه بعد زكاة وطهارة وانتصاب قولهم خبرا والفعل الاول للمصدر اسما وذلك
لان ما كان معلوما مشكلا يجعل محكوما عليه كما في اخوك زيد تارة وزيد اخوك اخرى فكان ذلك
القول المخصوص معلوم والمجهول كونه قولهم فحصر قولهم في ذلك المخصوص لا يتجاوزه مع حالهم
شيء لان الفعل لدلالته على النسبة وزمان الحدث اعرف وفيه ان الاعرف لا يقتضي ذلك
كما في زيد اخوك فان المضاف الى الضمير اعرف من العلم مع ان الفعل في تاويل المصدر المضاف
فيه وبيان على انه غير مطرد لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا برفع فتنتهم في قراءة ابن كثير
وابن عامر وحفص فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة زاد لفظ الحسن دلالة على
انه المعتد به وثواب الدنيا النصر والغنيمة او طليعة له والله يحب المحسنين تذييل بما هو فصل من كل
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
من المسلمين قالوا لعبد الله بن ابي اخذنا عهدا من ابي سفيان فالذين كفروا عبد الله وتابعيه
او المنافقون قالوا ارجعوا الى دين آبائكم لو كان نبيا لم يقتل او اصحابه او اليهود وقالوا
يوم له ويوم عليه والخطاب للمؤمنين كافة بان يجانبوا الكفار ولا يطيعوهم في شيء بل الله مولاكم ناصركم
وهو خير الناصرين لا ناصر الا من عند الله فلا حاجة لكم الى غيره سنلقي في قلوب الذين كفروا
الرعب لما انصرف المشركون نادى ابو سفيان رسول الله عليه السلام وقال يا محمد موعدنا موسم بدر
والحرب سجال بيننا موسم بدر في العام القابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان شاء الله فلما كان موسم بدر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاء بعهده ولم يخرج ابو سفيان
لما القى الله الرعب في قلبه وضم عين الرعب ابن عامر والكسائي ويعقوب على الاصل والاسكان للتخفيف
بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا برهانا يعني ان الشرك ليس عليه برهان انه لم ينزل ثم دعواهم
بل او هو قيل لا احتجت بها نحو اي الاقصب ولا الاحجار وفائدته ان لو كان له ولم ينزل لنفوله
ما فرطنا في الكتاب من شيء ومأواهم النار ومرجعهم وبئس مثوى الظالمين النار ولقد
صدقكم الله وعده بالنصر اذ تحسونهم تقتلونهم قتل استئصال من حسه اذا ابطل حسه
باذنه بتيسيره حتى اذا فشلتم جبنتم حتى ابتدائية دخلت على الجملة وجوابها محذوف
اي منعكم نصره وتنازعتم في الامر حين انهزم المشركون قال بعض الرماة نذهب الى الغنيمة
وقال اميرهم لا تبرحوا ولا تخالفوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون
من النصر والظفر منكم من يريد الدنيا الذين طلبوا الغنيمة ومنكم من يريد الآخرة الذين
نهوهم ثم صرفكم عنهم حتى قتلوا منكم سبعين رجلا وقتلوا امير الرماة فانه ثبت مكانه مع سبعة
ليبتليكم ليعاملكم معاملة المختبر ولقد عفا عنكم لما فرط من العصيان والله ذو فضل على المؤمنين
في الاحوال كلها بالنصر او بالاجر اذ تصعدون منصوب باذكروا اي اذكروا ذلك الوقت

لتعلموا

لتعلموا قبح فعلكم وفضل الله عليكم بالعفو او متعلق بصرفكم او ليبتليكم والاصعاد الابعاد في
الارض ولا تلوون على احد لا تلتفتون عطفا ورقة على احد من شدة خوفكم والرسول
يدعوكم في اخراكم في ساقتكم والجماعة المتأخرة يناديكم الي عباد الله من كر فله الجنة
فاثابكم غما بغم غما متضاعفا متصلا بغم من الجرح والقتل والارجاف بقتل رسول الله
او اثابكم غم الانصراف والانهزام بسبب اذاقتكم رسول الله غم المخالفة لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لكي تتمرنوا على الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على
نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل في اثابكم ضمير الرسول اي واساكم في الاغتمام
كما اغتممتم لاجله لما اصابه من الشج وكسر رباعيته اغتم لاجلكم ولم يثرب
على عصيانكم لان لا تحزنوا على الغائب من النصر ولا على ما اصابكم من الانهزام
والله خبير بما تعملون بواطن اعمالكم حث على الاخلاص ثم انزل عليكم من
بعد الغم امنة نعاسا روى البخاري عن ابي طلحة قال اخذني النعاس و
نحن في المصاف حتى وقع السيف من يدي مرارا وعن ابن مسعود رضي الله عنه
النعاس في القتال من الله وفي الصلوة من الشيطان والامنة مصدر كالامن
نصب على المفعول ونعاسا بدل منه او حال مقدم ونعاسا هو المفعول وهذا
اوجه لقوله في الانفال اذ يغشيكم النعاس امنة او مفعول له او حال من المخاطبين
بتقدير مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع آمن يغشى طائفة منكم اي
النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء بالتانيث مسندا الى ضمير امنة والتذكير احسن
لقربه ولقوله في الانفال نعت كم النعاس وطائفة مبتدأ والخبر محذوف
اي ومنهم طائفة او فيكم طائفة على ان الخطاب للفريقين او الخبر قد اهمتهم الا
النكرة موصوفة تقديرا اي وطائفة اخرى او قد اهمتهم ويظنون هو الخبر
والواو للحال نص عليه سيبويه والاحسن العطف على الفعلية للدلالة على حدوث
الامن للمؤمنين واستمرار الخوف للمنافقين قد اهمتهم انفسهم صارت همهم
لهم ليس لهم هم غيرها او اوقعتهم في الهموم يقال اهمني الامر اذا كان
مهماله واهمه اقلقه يظنون بالله غير الحق صفة اخرى لطائفة او حال من المفعول
او استئناف بيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر ظن الجاهلية بدل
منه اي ظنا مختصا بالجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء استئناف
او حال او بدل من يظنون لان السؤال لما كان صادرا عن الظن بناء على انه
طلب علم فيما يشك ويظن جاز ابداله منه اذ الظن او العلم متعلق بما يقال
في جواب ذلك الاستفهام فلا يلزم كون الاستفهام ترجمة للخبر قل ان الامر كله
لله النصر والظفر لاوليائه كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقرأ ابو عمرو كله
بالرفع على الابتداء والنصب اظهر لظهوره كل في التأكيد يخفون في انفسهم

ما لا يبدون لك: حال من فاعل يقولون وقيل ان الامر كله لله اعتراض او استيناف
وهو الوجه لقلة الاعتراض بين الحال وصاحبه ولفوائد الاستيناف يقولون
لو كان لنا من الامر شيء بدل من يخفون يدل على ان سؤالهم لم يكن سؤال مسترشد
عن الزبير كنت انعس فى المصاف سمعت معتب بن بشير يقول هذا الكلام
ما قتلنا هاهنا: في المعركة: قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم: الى مصارعهم والاماكن التي قتلوا فيها لان قضاء الله لا يرد وحكمه
لا يتغير: وليبتلي الله ما في صدوركم: عطف على علة محذوفة مع معللها اي فعل
ذلك لمصالح جمة وللابتلاء ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق ولابراز
سرائرها: وليمحص ما في قلوبكم: يخلصه ويخلصه من الوساوس: والله عليم بذات
الصدور: بمضمراتها التي هي اخفى من السر حث على الاخلاص: ان الذين
تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الاستزلال
طلب الايقاع في الزلل من زلت به القدم وهو التولي هنا والمعنى ان الذين
فروا من القتال وقت التقاء الفريقين انما اوقعهم الشيطان في ذلك لاجل
ذنوب كسبوها سابقا والذنب يجر الى الذنب او لم يستحقوا التاييد الالهي
لاجلها او لاجل ذنب المخالفة وترك المركز وهذا هو الوجه دل عليه قوله حتى اذا
فشلتم وقوله قل هو من عند انفسكم وما قيل ذكرهم الشيطان الذنوب السابقة
فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد الى ان يتوبوا منها فكالمحال وكيف يعقل
من امثالهم ترك رسول الله واخوانهم تحت سيف العدو خوفا من ذنوبهم
وهل توبة اقوى من الثبات في ذلك الموطن والتقييد بالبعض لقوله ويعفو عن
كثير ولقد عفا الله عنهم للاعتذار ان الله غفور: للذنوب حليم لا يعاجل
بالانتقام: يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا
ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا: كان الكفار
والمنافقون يقولون لجهلهم بالقدر اذا مات احد من اخوانهم في سفر او قتل في غزوة
قالوا لو كان مقيما سلم فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك الاعتقاد وحسن موقعه
بعد ذكر استزلال الشيطان وانما جاز ان يكون اذا ضربوا ظرفا لقالوا مع ان
المستقبل لا يكون ظرفا للماضي لان المعنى لا تكونوا كالذين كفروا اذا ضرب
اخوانهم في الارض وماتوا قالوا لو كان عندنا ما ماتوا وفائدة التقديم ترتب القول
بالوقوع ويجوز ان يكون اذا ظرفا للاحوال العارضة لهم دون القول كانه قيل
قالوا لاجل الاحوال العارضة لهم اذا ضربوا وعن الزجاج اذا لمجرد الوقت
وغزى جمع غاز كعفى جمع عاف: ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم:
ذلك الاعتقاد الفاسد غصة وغما واللام للعاقبة كقوله ليكون لهم

عدوا وحزنا او لا تكونوا مثلهم ليجعل ذلك الاعتقاد خاصة حسرة في قلوبهم
والله يحيي ويميت: ابطال لذلك الوهم: والله بما تعملون بصير:
تهديد للمؤمنين عن تخيل مثله وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي يعملون با
بالنصب وعيدا للمنافقين والخطاب احسن لوقوعه بعد نهي المؤمنين
والقول: ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما
يجمعون: اللام الاولى موطئة والثانية جواب القسم الساد مسد
جواب الشرط والمعنى ما ينالونه بالموت او القتل في سبيل الله من المغفرة لذنوبكم
والرحمة المدخرة لكم خير مما تجمعونه من الحطام الفاني لو سلمتم وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وابو بكر متم بضم الميم في جميع القران وحفص وافق
هنا وهو افصح واكثر وقرا حفص يجمعون بياء الغيبة اي مما يجمعه المنافقون
ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لا الى غيره قدم القتل اولا لان
الكلام فيه احق بالمغفرة والرحمة واخره ثانيا لان المحشورين موتا اكثر فبما
رحمة من الله لنت لهم: اي بعدما وقع منهم ما وقع ما لنت لهم الا برحمة
وافرة من الله وهو ان ربط على جاشك ووفقك للرفق بهم فلم تثرب
بل اغتممت لاجلهم وزيادة ما لتاكيد معنى الحصر: ولو كنت فظا: سيئ الخلق
غليظ القلب قاسيه: لانفضوا من حولك: لتفرقوا عنك مخافة اللوم
والمؤاخذة: فاعف عنهم: فيما يتعلق بك: واستغفر لهم: فيما هو حق الله
وهو الفرار من الزحف: وشاورهم في الامر: اي امر كان تطييبا لقلوبهم
او في امر الحرب ولم يزل كان يشاورهم قبل نزول الاية وكانه لما شاورهم
قبل نزول الاية في قصة احد وشاوروا بالخروج ثم فروا كان مظنة ان يتركوا
مشاورتهم ولئلا يكون سنة في امته دعته ما ندم من استشار ولا خاب من
استخار وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب المشاورة عليه بعد نزول
الاية: فاذا عزمت فتوكل على الله: اذا جمعت رايك بعد المشاورة
فتوكل عليه والعدول المظهر لانه الاسم الجامع لصفات الجمال والجلال
لشان في مقام الوعد والوعيد لا يكمل به في موارد هما وقرا جعفر الصادق
فاذا عزمت بتاء التكلم اي اذا ارتكب امرا جازما لا تشاور فيه احدا:
ان الله يحب المتوكلين: عليه لا غيره: ان ينصركم الله فلا غالب لكم: اذ لا
الامر من عنده: وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده: غير الله سكوت
لما في من ذا من الاستبعاد كقوله من ذا الذي يشفع عنده: وعلى الله
فليتوكل المؤمنون: كلهم لايقانهم بان لا مؤثر سواه: وما كان لنبي ان يغل
يقال غل واغل اخذ شيئا من الغنيمة خفية اصل الغلول الخفاء ومنه غل القدر

روى ابو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض الصحابة رضي الله عنهم لعل رسول الله اخذها لنفسه فنزلت تنزيها له وعن
مقاتل نزلت في الرماة لما تركوا المركز وقالوا الا نخاف ان يقول من اخذ
شيئا فهو له فلما عاتبهم قال ظننتم انا نغل وما قيل خافوا ان لا يقسم لهم كما لا يقسم
يوم بدر فاسند الى الكل وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ان يغل بضم الياء
والمعنى يوجد غالا او ينسب الى الغلول ؛ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ؛
بعينه يحمله بعيرا او شاة ورواه البخاري ومسلم روى ان اعرابيا كان قد سرق
نافجة مسك فلما سمع الاية قال الحمد لله احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ثم
توفى كل نفس ما كسبت غلولا وغيره ولذلك اورده عاما ؛ وهم لا يظلمون
بزيادة او نقصان ؛ افمن اتبع رضوانه سبل السلام بسخط من الله ؛ ليس كذلك
بل بينهما بون بعيد ؛ ومأواه جهنم وبئس المصير ؛ جهنم حذف المخصوص ؛ هم درجات
عند الله ؛ ذوو درجات حذف المضاف او لهم درجات حذف الجار
او شبهوا بالدرجات في التفاوت والدرجة منزلة لوحظ فيها العلو كما
لوحظ في الدركة النزول فيها تغلب ؛ والله بصير بما يعملون ؛ لا يخفى عليه منه
شيء ؛ لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ؛ عربيا
مثلهم يعرفون نسبه وصدقه وامانته فلا نعمة اجل منه وقرئ من انفسهم اي
اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان
وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة
وهاشم ذروة قريش ومحمد ذروة هاشم ؛ يتلو عليهم اياته ؛ دلائل وحدانية الله تعالى
على الاستمرار بين اظهرهم يراجعونه في كل شبهة ؛ ويزكيهم ؛ من دنس الطبايع
بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ ويعلمهم الكتاب والحكمة ؛ القران والسنة
او يتلو عليهم ايات كتابه الدالة على نبوته ويعلمهم معانيها واحكام الشرع
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ؛ ان مخففة والجملة في موقع الحال
او استيناف ؛ اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها ؛ يوم بدر قتلوا منهم
سبعين واسروا سبعين قلتم انى هذا كيف نصاب ونحن موعودون
بالنصر لما ظرف مضاف الى الجملة بعده والواقع موقع الجزاء اصابته ؛ قلتم
انى هذا ؛ مقول القول اي قلتم حين اصابتكم والواو عاطفة اما على مقدر
نحو افعلتم كذا او على قوله لقد صدقكم الله الان ما في البين كله قصة احد والهمزة
متخللة بين المعطوف والمعطوف عليه للتقرير والتقريع على ما تضمنه المعطوف ؛
قل هو من عند انفسكم ؛ بترككم المركز ومخالفتكم الرسول او بخروجكم من المدينة
وروي عن علي باخذكم الفداء يوم بدر ؛ ان الله على كل شيء قدير ؛ فيقدر على

ان ينصر بكم مرة ويخذلكم اخرى ؛ وما اصابكم يوم التقى الجمعان ؛ الفريقان يوم احد
فباذن الله ؛ بارادته وقضائه ودخول الفاء لتضمن معنى المبتدأ معنى
الشرط على معنى ان ذلك سبب للاخبار بانه من الله تعالى نحو وما بكم من نعمة
فمن الله ؛ وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا ؛ اي فعل ذلك ليتميز
الفريقان ؛ وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ؛ من تمام الصلة عطف
على نافقوا او كلام مستقل عطف على وما اصابكم او ادفعوا عن اموالكم
ان لم تقاتلوا نصرة لدين الله او كثروا سواد المؤمنين فانه مما يروع العدو
والقائل عبد الله بن عمرو وابو جابر قاله لابن ابي لما انخذل ثلث العسكر
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ؛ يحمد وما ان يكون لهم علم بالقتال رأسا او خطاؤا
رسول الله والمؤمنين بان القتال يقتضي نوع تكافؤ ورجاء غلبة وما هم فيه
القاء النفس الى التهلكة ؛ هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان ؛ اي اقربهم
من الكفر في ذلك اليوم يزيد على قربهم من الايمان لانهم قبل ذلك لم يتظاهروا
بالكفر بل كانوا مذبذبين او يقدر مضاف اي لاهل الكفر اقرب نصرة
لان تقليل سواد المؤمنين تقوية لاهل الشرك ؛ يقولون بافواههم ليس
في قلوبهم ؛ هو قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وما بينهما اعتراض ؛ والله اعلم بما
يكتمون ؛ منكم لانكم تعلمون بامارات ومخايل وهو يعلم تفاصيله ؛ الذين قالوا
لاخوانهم ؛ لاجلهم الموصول بدل من الذين نافقوا او رفع او نصب على الذم
او بدل من واو قالوا او المجرور في بافواههم وابدال المظهر عن ضمير الغائب شايع
كقول الفرزدق على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم
بدلا من الضمير المجرور ؛ وقعدوا ؛ والحال انهم قعدوا عن القتال ؛ لو اطاعونا
ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ؛ لان انفسكم اعز
والموت هو المهروب منه لان القتل احد اسبابه افحمهم بحجر لانهم مع كثرة
عددهم لا يقدرون على انكاره ؛ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا ؛ نزلت في شهداء بئر معونة وكانوا سبعين رجلا وقيل
في شهداء احد والحكم عام الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لاي
مخاطب كان وقرأ هشام في وجه يحسبن بالياء بالغيب اي حاسب
او مسند الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف اي لا يحسبن
الشهداء انفسهم امواتا والخطاب احسن لما روى ابن عباس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اصيب اخوانكم جعل الله ارواحهم في
اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل
من ذهب معلقة تحت العرش فقالوا من يبلغ اخواننا ما نحن فيه

نحو خطب رسول الله واخبرهم بما لهم وقرا هشام قتلوا اولا وابن عامر ثانيا بالتشديد
والتخفيف اظهر لانه مدار الحكم ∴ بل احياء عند ربهم ∴ قربا ورتبة ∴ يرزقون ∴ اكلا
وشربا كشرب الاحياء ∴ فرحين بما اتاهم الله من فضله ∴ من القرب والكرامة و
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ∴ الذين تخلفوا من اخوانهم او بكافة
المسلمين الى اخر الدهر لانهم شاهدوا ما اعده الله للمؤمنين ∴ الا خوف عليهم ولا
هم يحزنون ∴ بدل اشتمال من الذين اي يستبشرون بعدم الخوف والحزن لمن
خلفهم اتى المضارع في الرزق والاستبشار لانهما على التجدد وحينا فحينا بخلاف
الفرح فانه لازم مستمر والاية صريحة في انهم احياء وما لا بد ان ابدلوا ابدانا خيرا
من اجسادهم لان الترغيب في الجهاد انما يكون بذلك وان ارواح المؤمنين
في عليين منعمة نطق به الكتاب والسنة وقوله تعالى في ال فرعون النار يعرضون
عليها دليل على ان العرض للارواح والاجساد معا على ان الارواح ايضا اجسام
لطيفة فيجوز ان يكون الفرح والترح لها وفيه ايماء لمن يتمنى لاخيه المؤمن خيرا
كما رواه البخاري لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ∴ يستبشرون
بنعمة من الله ∴ ثواب جزيل ∴ وفضل زيادة على جزاء اعمالهم ∴ وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين ∴ من تمام المستبشر به عطف على فضل يؤيد ان الذين لم يلحقوا بهم هم
المؤمنون كافة وقرا الكسائي ان بالكسر على الاستئناف وهو ابلغ وفيه
اشارة الى ان ما نالوه من رتبة الشهادة بايمانهم الكامل وسعيهم في اسباب
الشهادة ∴ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح ∴ صفة للمؤمنين
او نصب على المدح او مبتدا خبره للذين احسنوا لما رجع المشركون من احد قالوا
فيما بينهم لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم بئس ما صنعتم وهموا بالرجوع فسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنادى في الناس بالخروج الى المشركين وقال
لا يخرج الا من كان معنا بالامس فقال جابر وكان لم يشهد يا رسول الله خلفني ابي
على سبع اخوات فاذن له فخرجوا في اثارهم حتى بلغ حمراء الاسد وهي من المدينة على
ثمانية اميال فالقى الله الرعب في قلوب المشركين فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه سالمين فائزين بانشاد من الله روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت لعروة بن الزبير ابوك وجدك ابو بكر ممن استجابوا لله والرسول
وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بضم القاف وقد سبق انهما لغتان ∴ للذين احسنوا
منهم بالخروج ∴ واتقوا ∴ مخالفة رسول الله ∴ اجر عظيم ∴ للابعض فذكر الله تعالى
الوصف للمدح ومن بيان لان كلا منهم محسن ∴ الذين قال لهم الناس ركب
عبد القيس وقيل نعيم بن مسعود الاشجعي ∴ ان الناس قد جمعوا لكم ∴ اي ابا سفيان
فالمعرفة المعادة ليست عين الاول واللام اشارة الى المذكور بل الى ما يعرفه

المخاطب

المخاطب ∴ فاخشوهم فزادهم ∴ ذلك القول ∴ ايمانا ∴ حيث لم يعتدوا به فازدادوا
يقينا او كمالا لان الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما اصابهم القرح
من افضل الطاعات ∴ وقالوا حسبنا الله ∴ كافينا ∴ ونعم الوكيل ∴ الموكول
اليه معترضة او تذييل ∴ فانقلبوا بنعمة من الله ∴ ثواب جزيل ∴ وفضل
وربح وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما واعد ابا سفيان ان يلاقيه
ببدر وخرج ولم يخرج ابو سفيان وكان للعرب في ذي القعدة موسم ببدر
فوافاه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فابتاعوا وكسبوا وربحوا ∴ لم
يمسسهم سوء ∴ من العدو ∴ واتبعوا رضوان الله ∴ باتباع رسول الله
والله ذو فضل عظيم ∴ من ذلك ما من به على هؤلاء وفيه تحسير للقاعدين
وتخطئة لرايهم ∴ انما ذلكم الشيطان ∴ اشارة الى القائل ان الناس
قد جمعوا لكم والشيطان خبر او صفة على التشبيه او اشارة الى القول بتقدير
المضاف والشيطان ابليس فالتجوز في الاضافة حيث نسب قول ذلك
القائل ابليس ∴ يخوف اولياءه ∴ اي يخوفكم اولياءه وقيل المذكور هو
المفعول الاول والثاني محذوف اي يخوفهم من ابي سفيان واصحابه
فلا تخافوهم ∴ الخطاب للخارجين معه والنهي عن الشيء لا يستلزم وقوعه
او النهي عن الخوف في المستقبل او للقاعدين واولياءه من وضع المظهر
موضع المضمر نعيا عليهم بانهم اولياء الشيطان ∴ وخافون ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يستلزم القول بان لا مؤثر غيره وايثاره مع كونهم مؤمنين
قطعا لما كان بهم من فتور لكون الشرط حجيا او مصابا بقول قريب او
صديق ∴ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ∴ في اسبابه من جمع الناس
والانفاق عليهم كما فعل ابو سفيان واقرانه وقيل اريد المنافقون وقيل
اهل الكتاب الذين يحرفون الكلم قال القشيري الحزن على كفر الكافر
عبادة يؤجر عليها الا ان رسول الله كان يفرط في ذلك لقوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وقيل معناه لا يحزنك كفرهم فانهم لا يضرونك به
وانما يضرون انفسهم وقرا نافع يحزنك من احزن عن الفراء انهما لغتان
وعن الخليل حزنه ادخل فيه الحزن واحزنه صيره حزينا ∴ انهم لن يضروا الله
شيئا ∴ دينه او اولياءه شيئا من الضرر او من الاشياء مفعول مطلق
او مفعول به ∴ يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة ∴ خبر بعد خبر او
استئناف وذكر الارادة للدلالة على ان الشرور ايضا بارادته وايماء
الى ان تماديهم بلغ حدا لم يرد لهم ادنى نصيب من رحمته وسعت كل شيء
ولهم عذاب عظيم ∴ فوق ذلك الحرمان دفع لوهم الاقتضاء علية اي

ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا: تكرير للاول او هذا في اهل الكتاب
الذين حرفوا واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا: ولهم عذاب اليم: في مقابلة ما التذوا
به من الرياسة والرشى: ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم: اي
الذي نطيله لهم من العمر يقال املى لفرسه اذا ارخى طيله ان مع ما في حيزه ساد
مسد المفعولين وقرا حمزة بالخطاب اما لرسول الله او لكل حاسب واقتصر
على المفعول الاول لان البدل وهو انما نملي لهم هو المقصود او يقدر مضاف
في الاول واشباله ظاهران جوز تعليل فعله بالغرض ان لم يجوز فهي حكمة صالحة
لانتهاء فعله اي حال الذين او في الثاني اي اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم
انما نملي لهم ليزدادوا اثما: وتكامل اسباب عقوبتهم هذا وامثاله ظاهران جوز
تعليل فعله بالغرض وان لم يجوز فهي حكمة صالحة لانتهاء فعله الكاملة اجرى التشبيه
بالعلة كقوله ليكون لهم عدوا: ولهم عذاب مهين: في مقابلة استكبارهم وطغيانهم
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب: الخطاب
للمخلص واهل النفاق واللام للتاكيد اي ما كان مقتضى حكمته ان يترك الفريقين
مختلطين لا تمايز بينهما وهو ابلغ: وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي
من رسله من يشاء: فيعلمه بعض المغيبات ليخبر اي ان اخبار رسول الله بان
فلانا منافق او اهل النار ليس من علم الغيب في شيء: فآمنوا بالله: بانه المتفرد
بعلم الغيب: ورسله: بان الله هو الذي يطلعهم على بعض الغيب: وان تؤمنوا
وتتقوا فلكم اجر عظيم: لا يقادر قدره: ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم: المفعول الاول محذوف اي بخلهم وان جعل فيه ضمير
رسول الله او اي حاسب كان وفي قراءة حمزة بالتاء يقدر مضاف اي
بخل الذين وقرا عاصم وابن عامر وحمزة هنا والموضعين الآتيين يحسبن
بفتح السين وهو القياس والكسر لغة الحجاز وفي قوله بما آتاهم الله دلالة
اموالهم زيادة وتم بان اللائق بهم ان يحسنوا كما احسن: بل هو شر لهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة: يستلزمون وباله والتطوق تمثيل في اللزوم او نفسه حقيقة
لما روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه
فياخذ بشدقيه ويقول انا مالك انا كنزك: ولله ميراث السموات والارض
ستر كونه له حث على الانفاق قبل فوات وقته: والله بما تعملون خبير: وعيد
للبخلاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بياء الغيبة: لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء: دخل ابو بكر رضي الله عنه مدراس اليهود فوجد جماعة من
اليهود منهم فنحاص بن عازورا وكان من احبارهم فقال ابو بكر رضي الله عنه لهم واقرضوا الله

قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير يطلب القرض يا معشر اليهود يريد تكذيب القرآن
والا لكم انه في التوراة تحث على الصدقة فضرب الصديق في وجهه لولا العهد
بيننا لضربت عنقك: سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق: اي
نثبت في كتابنا مقالتهم السين للتاكيد مجردا ولهذا عطف عليه الماضي وهو
قتل الانبياء والعدول الى المضارع مبالغة كانه معقد بين يدي الكاتب
يطالعه حينا فحينا وقرا حمزة بضم الياء على بناء المجهول ورفع القتل: ونقول
ذوقوا عذاب الحريق: اي نقول لهم هذا القول عند الانتقام ايلاما لهم
مرارته حيث لم ينفع الحق والحريق النار العظيمة: ذلك بما قدمت ايديكم
وان الله ليس بظلام للعبيد: اي بسبب اعمالكم ولاجل ان الله ليس بظلام اجرا
بدون الجناية وذكر الايدي لان اكثر الاعمال بها تزاول وايثار الظلام
مع كونه لا يظلم مثقال ذرة باعتبار كثرة المتعلق او لانه لو ظلم لكان ظلمه
في النهاية كمال صفاته او لان ذلك العذاب لو كان ظلما لكان ظلما عظيما
الذين قالوا ان الله عهد الينا: وهو اما رفع او نصب على الذم او بدل
من الذين او من العبيد: ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار
يريدون ان في التوراة هذا الحكم افتراء على الله: قل قد جاءكم رسل من قبلي
بالبينات: المعجزات الواضحات: وبالذي قلتم: ويعني ما قلتموه لان الذي
قالوه الفاظ مخصوصة بهم: فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين: في دعواكم: فان
كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير:
تسلية له بان تكذيب الجهلة للانبياء امر قديم ليس مختصا به والزبر جمع زبور
كرسل في رسول وهي الصحف والكتاب المنير التوراة او هو والانجيل
والزبور وقرا ابن عامر بالزبر وبالكتاب بزيادة الباء تاكيدا وهو رسم مصحف
الشام: كل نفس ذائقة: لا محالة: وانما توفون اجوركم يوم القيمة:
اجرة اعمالكم كاملة فان بعضها قد وصل اليهم لان القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران: فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز: الفوز
الذي كل فوز دونه والزحزحة تكرير الزح وهو التبعيد والجذب بعجلة روى
الامام احمد عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب
ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر
وليات الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه: وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
اشار الى ما يعوق السالك عن ادراك ذلك الفوز شبه حياة هذه
الدار بمتاع روي يغش به المشتري ويدلس عليه ثم تظهر له حقيقة الحال ويندم حيث
لا ينفعه الندم وهذا لمن لا يتوسل بها الى الباقي نعم المال الصالح للرجل الصالح

لتبلون في اموالكم وانفسكم: بالفقر والاسر والجرح وانفاق الاموال في سبيل الخير
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا: بالطعن
في دينكم والافتراء عليكم وانواع الهجو خاطبهم به قبل وقوعه ليوطنوا انفسهم على احتماله
عند الوقوع: وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور: من معزومات
الامور التي عزم الله عليكم وفرضها او مما تعزمون عليها لوجوبها او من عازم الامور
على ان الاسناد مجاز كقوله فاذا عزم الامر: واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه: اي ذكر الوقت الذي اخذ الله الميثاق
على علماء اهل الكتاب على لسان انبيائهم وقرا نافع وابن عامر وحمزة وحفص
الفعلين بالخطاب على الحكاية عند الاخذ والضمير المنصوب للكتاب او لرسول الله
ولا تكتمونه: تاكيد وتصريح بما علم ضمنا: فنبذوه وراء ظهورهم: كناية عن عدم الاعتداد
وعدم جعله نصب عينه: واشتروا به ثمنا قليلا: متاعا فانيا: فبئس ما يشترون
تستبدلون به والاية وان نزلت في اهل الكتاب فالحكم عام لقوله عليه السلام
من كتم علما عن اهله الجمه الله تعالى بلجام من النار يوم القيمة وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ما اخذ الله على الجاهلين ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا:
ولا تحسبن الذين يفرحون بما اوتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب: روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
ان رجالا من المنافقين كانوا تخلفوا عن الغزو فاذا قدم رسول الله اعتذروا
اليه واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت وعن ابن عباس رضي الله عنه سال
رسول الله اليهود عن شيء فكتموه واخبروه بخلافه واستحمدوا اليه وفرحوا و
والمعنى لا تحسبن يا محمد هؤلاء الذين يفرحون بمفازة من العذاب على ان
الفعل الثاني مع الفاعل تاكيد للاول والفاء زائدة للدلالة على ان افعالهم
المذكورة تسبب لعدم الحسبان وقرا نافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر الفعل
الاول بياء الغيبة والفاعل ضمير الرسول واول المفعولين الموصول والثاني
بمفازة ان قدر للثاني تاء والا فالعكس او الموصول هو الفاعل والمفعول
الاول محذوف اي انفسهم والثاني على ما ذكر وقرا ابن كثير وابو عمرو الفعل
الثاني بياء الغيبة وضم الباء اسندا الى ضمير الموصول: ولهم عذاب اليم: ولله
ملك السموات والارض: هو الغني المطلق لا كما قاله اليهود ان الله فقير والله
على كل شيء قدير: يقدر على اغناء الفقراء وانما دعاكم الى الصدقة لتنالوا
بذلك الاجر والثواب: ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولي الالباب: دليل على كونه ملك السموات والارض
يتصرف فيهما كيف يشاء، عن عطاء، ذهبت انا وابن عمر وعبيد بن عمير

الى عائشة رضي الله عنها فقال عبيد اخبرينا باعجب ما رايت من رسول الله فقالت
كل امره كان عجبا اتاني ليلة ودخل في فراشي حتى مس جلده جلدي ثم قال
ذريني اتعبد الليلة قلت اني احب قربك واحب ما تحب فقام الى القربة
فتوضا وصلى وبكى حتى بل الارض ثم لم يزل كذلك حتى جاء بلال يؤذنه بالصلوة
فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تاخر
قال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزلت علي هذه الليلة ان في
خلق السموات والارض وتلاها ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وانما اطنب
في سورة البقرة لان الكلام هناك مع عبدة الاصنام الذين هم كالانعام
وهنا مع احبار اليهود ولذلك فصل تلك بيعقلون وهذه باولي الالباب
اي العقول الخالصة عن معارضة الوهم تعريضا بالاحبار: الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم: احوال مترادفة والموصول في محل الجر على الصفة
اشارة الى ان الاخلاق الزكية والافعال الحميدة تعين على تصفية الباطن و
والجلاء النفس للانتعاش بغوامض العلوم ودقايق الاسرار: ويتفكرون
في خلق السموات والارض: في بدايع صنعها وعجايب اوضاعها روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له
العمل كل يوم بقدر عمل اهل الارض اراد المماثلة في الكيف واراد بعمله التفكر
في امر الله تعالى لان احدا لا يقدر على قدر عمل اهل الارض بالجوارح قيل ما جليت
القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر: ربنا ما خلقت هذا
باطلا: بتقدير القول اي قائلين هذا اشارة الى السموات والارض باعتبار
المخلوق والعدول من الضمير الى اسم الاشارة للدلالة على كمال التميز
وضرب من التعظيم وباطلا صفة مصدر او حال اي ما اوجدت هذا المكون
عبثا بل ليستدل به على وحدانيتك ووجوب طاعتك واجتناب
معصيتك: سبحانك فقنا عذاب النار: اي نحن ننزهك فقنا عذاب
الذي هو جزاء العاصين: ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته: ادخلته
في الخزي اطلقه ليقابل قوله فقد فاز وفيه دليل على ان العذاب الروحاني
اشد: وما للظالمين من انصار: الكاملين في الظلم فيخرج الفاسق ولو عمم
لا يدل على عدم الشفاعة لان النصرة دفع بالقهر: ربنا اننا سمعنا مناديا
ينادي للايمان: ايقاع السماع على المنادي باعتبار الوصف وهو النداء
ابهم المنادي ثم فسره تفخيما لشانه او للمنادى وقاله والمنادي هو الرسول
لانه الداعي حقيقة وقيل القران وتعدى باللام والى لتضمنه معنى الاختصاص
والانتهاء: ان آمنوا بربكم: ان مصدرية او مفسرة: فآمنا: دلت الفاء

على اتصال ايمانهم بان آمنوا: ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا: جمعوا
بين الغفران والتكفير مبالغة او الاول في الكبائر والثاني في الصغائر فانها
مكفرة باجتناب الكبائر. وتوفنا مع الابرار: معدودين منهم جمع بر او
جمع لبار: ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك: على تصديقهم او على لسانهم
سالوه انجاز ما وعد مع انه لا يخلف الميعاد خضوعا لجناب قدسه والتذاذا
بمناجاته: ولا تخزنا يوم القيمة: بكشف الستر عن فضائحنا: انك لا تخلف
الميعاد: لذلك سالناك لا لاستحقاق فاحسن بطالب من غير عاطف
لاستقلال كل وصدرها بلفظ الرب توسلا بوجوده السبق الى استجلاب
اللاحق: فاستجاب لهم ربهم: الذي توسلوا لجوده ولذلك دعاء بلفظه
تعالى استجاب له واستجاب به واجاب بمعنى مع ما في السين من قوة المعنى لاني
لا اضيع عمل عامل منكم: باني بني الكلام في الجواب على ما بنوا عليه من الاطناب
عناية ولطفا: من ذكر او انثى: بيان لعامل لانه بمعنى شخص روى الحاكم عن
ام سلمة انها قالت يا رسول الله لم اسمع الله يذكر النساء في الهجرة فنزلت
بعضكم من بعض: في الدين او من اصل واحد اعتراض يؤكد التساوي في الثواب.
فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي: تفصيل لعمل العامل
اعتدادا به وتفخيما كانه قال الذين فعلوا هذه الافعال المرضية: وقاتلوا وقتلوا
وقرا حمزة والكسائي بتقديم المقصور على الممدود لان الواو لا ترتيب فيه
او لان القتال وقع من بعضهم بعد قتل البعض ففيه زيادة مدح: ولاكفرن
عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله
تفضلا منه لان الاعمال وسائل عادية والتفت الى الاسم الجامع من
التكلم لدلالته على الالوهية التي من شانها التفضل والعطاء: والله عنده
حسن الثواب: تتميم لما تقدم وتوكيد له والاتيان بالمصدر مفيدا فا
مبالغة: لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد: ترددهم فيها بالمتاجر
والمزارع وسائر الاسباب والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله لا
تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم والمراد تثبيته او خوطب به
والمراد امته كما في نظائره او الخطاب عام: متاع قليل فما نفعه لما روى
البخاري ان آخر من يدخل الجنة له بقدر الدنيا عشر مرات وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يدخل احدكم اصبعه في اليم فلينظر
بم يرجع او قليل البقاء سريع الزوال: ثم ماويهم جهنم: مصيرهم: وبئس المهاد
والمخصوص محذوف اي جهنم: لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله: النزل ما يعد للضيف قال

ابو الشعر

ابو الشعر: وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا: جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وانتصابه على الحال من جنات ان جعل فاعلا لاعتماده او من الضمير في الظرف
ان جعل مبتدا او على المصدر المؤكد لمضمون الجملة كانه قيل رزقا او عطاء:
وما عند الله خير للابرار: من متاع الدنيا للفجار ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم: وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم
روى مسلم والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي ملك الحبشة
وكان مؤمنا برسول الله وخرج باصحابه الى البقيع وصلى عليه فقال المنافقون
الا ترون الى هذا يصلي على علج نصراني فنزلت وبه استدل الشافعي رحمه الله
على صلوة الغائب: خاشعين لله: لكمال علمهم بكبريائه: لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا: تعريض بالمحرفين منهم: اولئك لهم اجرهم عند ربهم لم يره احد
ولم يخطر بقلبه: ان الله سريع الحساب: كناية عن قرب انجاز ما وعده لانه من
لوازمه او عن كمال علمه على احاطته بمقادير الاجور ومراتب الاستحقاق
يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا: اصبروا على مشاق الطاعات
وصابروا على المحاربة مع الاعداء الظاهرة والباطنة: افرده بالذكر لانه اشق
وافضل وترصدوا في الثغور للعدو روى البخاري عن سعد بن سعد الساعدي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم خير من الدنيا وما فيها وروى مسلم
عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم خير من صيام شهر وقيامه
وان مات اجرى عليه رزقه وعمله وروى ابو داود كل ميت يختم على عمله الا المرابط
وروى الترمذي عن عثمان رضي الله عنه انه قال رباط يوم خير من الف يوم يصام فيه
والف ليلة يقام وفي الاوامر بمجاهدة النفس في رفض المالوفات ورابطة السر
على جناب القدس لترصد الواردات: واتقوا الله: في المحافظة عليها لعلكم
تفلحون: تفوزون بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس: خطاب لكافة الناس: اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة
هي نفس آدم: وخلق منها زوجها: هي حوا خلقها من اقصر ضلع في الجانب الايسر
عطف على مقدر صفة لنفس اي خلقكم من نفس خلقها وخلق منها زوجها: وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء: بيان لكيفية الخلق الكثير من النفس الواحدة بانه انشاء
ثم شقها باخرى متكونة منها ثم بث من الزوجين مما لا يحصى وفي الخطاب
تغليب او خاص بالموجودين والعطف على خلقكم والمبعوث غير المخاطب
كانه قال خلقكم من نفس آدم وخلق منها امكم حوا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء
فان قلت المخلوق من آدم هي حوا لا المخاطبون فكان الظاهر تقديمها وخلقكم منها

قلت القصد هو الاشارة الى المنشأ والاصل الذي تفرعوا وتشعبوا منه ليدل
على كمال القدرة واسباغ النعمة الموجبتين لمن قاما به غاية الخوف ومزيد
الشكر ليقع بعد الامر بالتقوى ما يوجبها ولا دلالة فيه على عدم مدخلية
الزوج في وجود المخاطبين وانما وصف الرجال بالكثرة دون النساء
لانهما اكثر من الرجال ؛ واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ؛
بالنصب عطف على اسم الله اي واتقوا الارحام لا تقطعوها لقوله ووصينا
الانسان بوالديه وقوله وآت ذا القربى حقه او على محل الجار والمجرور فان
العرب تسأل بالله وبالرحم تقول ناشدتك الله والرحم والمعنى يسأل
بعضكم بعضا بالله وبالرحم وتساءلون غيركم على ان تفاعل بمعنى فعل
وهذا مطرد اذا كان في الفاعل كثرة وقرا الكوفيون تساءلون مخففا
وقرا حمزة والارحام بالجر على القسم او العطف على المجرور بدون اعادة
الجار والتوكيد كما ذهب اليه نحاة الكوفة والقراءة المتواترة يكفيها
وجه نحوي ؛ ان الله كان عليكم رقيبا ؛ مراقبا حفيظا ؛ وآتوا اليتامى
اموالهم لتفصيل ما يتعلق بالارحام من رعاية اليتامى وبيان المواريث
والوصايا والعدل في النكاح وما يتصل بذلك اليتم لغة الانفراد واليتيم
شرعا صغير لا اب له والمراد التبلغ لان الولاة وقيم الايتام انما يؤمرون
بدفع الاموال اليهم بعد البلوغ فاللفظ مجاز باعتبار ما كان واشارة على
الحقيقة للاختصار وحث على ايتاء اموالهم بعد ايناس الرشد منهم
قبل زوال هذا الاسم منهم عرفا وقياس جمعه فعلاء ككرماء في كريم او فعلى
كمرضى في مريض وانما جمع على فعالى لجريه مجرى الاسماء فجمع على يتائم ثم
على يتامى اولان اليتيم من الآفات فجمع على يتمى كاسير واسرى ثم على فعالى
كاسارى ؛ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ؛ ولا تتركوا الكسب الحلال
ولا تاكلوا مال اليتيم او لا تختاروا الخبيث وهو اضاعة مال اليتيم
على الطيب الذي هو حفظه او لا تاخذ الطيب من مال اليتيم وتعطوا
الردي مكانه فان قلت هذا معنى التبديل لان الباء دخلت على
الماخوذ والتبدل يقتضي دخولها على المتروك كقوله ومن يتبدل الكفر
بالايمان قلت اذا ابدل الردي بالجيد لنفسه فقد تبدل لليتيم الردي
بالجيد واوثر التبدل ملاحظة جانب اليتيم لان الكلام في شانه ؛ ولا
تاكلوا اموالهم الى اموالكم ؛ مضمومة اليها هذا اذا لم يكن محتاجا لقوله تعالى
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف ؛ انه كان حوبا كبيرا ؛ ذنبا عظيما وقرا
الحسن حوبا بالفتح مصدر حاب ؛ وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها اليتيمة تكون في حجر وليها فرغب في مالها
وجمالها فيتزوجها ولا يقسط لها في المهر فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا
لهن وعن ابن عباس رضي الله عنه كان الرجل في الجاهلية يكثر من النساء
ولا يقدر على القيام بحقهن ولما نزلت الآية الاولى تحرجوا عن ولاية مال
اليتيم فقيل لهم ان تحرجتم عن ولاية مال اليتيم خوفا من الاثم فمالكم لا
تتحرجون عن هذا الاثم وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من
ولاية مال اليتيم فقيل ان تحرجتم عن ذلك تحرجوا عن هذا ايضا ؛ فانكحوا
ما طاب لكم من النساء ؛ ما استطابته انفسكم عام خصه قوله حرمت عليكم
امهاتكم او ما حل لكم على انه مجمل بين به وما قيل ان الامر للاباحة فيؤول الى ابيح
لكم ما ابيح غير لازم لان الاباحة راجعة الى قوله ؛ مثنى وثلث ورباع
اي ابيح لكم من غير المحرمات هذا العدد وانتصابها على الحال من فاعل طاب
اي ابيح لكم نكاح الطيبات مفصلات على هذه الاعداد غير منصرفة للعدل
والوصف لانها لم تستعمل غير صفة ومن لم يعتد بالوصفية لعروضها
فلكونها معدولة لفظا ومعنى لان ثلث معدول عن ثلثة ومعناه لقصد
التكرير نكرات خلافا للكوفيين والمعنى تخيير المخاطبين بين هذه الاعداد من
غير تجاوز ومن جوز نكاح التسع مستدلا بان الواو للجمع لم يحافظ على
كيفية النكاح المشار اليها بالتعديد والتفصيل فان قلت كان الظاهر او
لانها جاءت للتخيير كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين قلت المعنى تخيير
المخاطبين بين هذه الاعداد من غير تجاوز واو لاحد الامرين غير مجموع بينهما
فيكون التخيير في هذه الاعداد غير مجموع بينها ومعنى الواو التخيير من غير تجاوز وهو
المراد ؛ فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ؛ اي اختاروا الواحدة وذروا الكل
الاعداد ؛ او ما ملكت ايمانكم ؛ من السراري من غير حصر ؛ ذلك ؛ اي اختيار
الواحدة او التسري ؛ ادنى ان لا تعولوا ؛ تميلوا وتجوزوا عن الحق يقال
عال الميزان اذا مال وفي شعر ابي طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بميزان
قسط لا تخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل ؛ وعن الشافعي رحمه الله تعالى
تعولوا تكثر عيالكم يقال عال يعول بمعنى مان يمون جعله كناية عن كثرة العيال
لان من كثر عياله لزمه المؤنة نقله الازهري عن الاصمعي والكسائي والدارقطني
عن زيد بن اسلم فالقادح في الشافعي رحمه الله تعالى قادح في نفسه لعدم احاطته
باقوال اهل العربية والآثار مع ان الشافعي رحمه الله تعالى في معرفة لسان العرب
اعلى كعبا واطول باعا من الثعالب المذكورين فان قلت هب ان اللغة
استقامت كيف وجه النقل مع تجويز التسري من غير حصر قلت المهابر

تحتاج الى زيادة النفقة والسكنى اللائق والكسوة المعتبرة باعتبار حال الزوج
من اليسار والتوسط والفقر وان ولدت فلها ان لا ترضع الولد وان ارضعته
فلها طلب الاجرة وكل ذلك منتف في الاماء ❊ وآتوا النساء صدقاتهن
نحلة ❊ مهورهن جمع صدقة بضم الدال وبالسكون والنحلة العطية نحله كذا
اعطاه ومنه قول الصديق لعائشة رضي الله عنها كنت نحلتك جداد
عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر او الحال من الفاعل او المفعول
او منحولة او تفضلا من الله حالا من الصدقات او من نحل كذا اذا دان
اي ديانة على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه و
الخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور موليات
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه كانوا ياثمون ان ياخذوا شيئا مما
ساقوه فابيح لهم ذلك وجعل قيد بطيب النفس دل على ضيق المسلك
ووجوب الاحتياط ولذلك روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كتب
الى قضاته ايما امراة اعطت شيئا زوجها ثم رجعت فلها ذلك وكذا روي
عن القاضي شريح وقيد بشيء منه حثا لها على عدم هبة الكل واليه ذهب
الليث فلم تجوز التبرع الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها قبل
الولادة وعن مالك تجوز من الثيب دون البكر وتذكير الضمير باعتبار
المعنى لان التقدير آتوا كل واحدة صداقها او لجريان الضمير مجرى اسم
الاشارة كقوله قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات والمراد
بالاكل الانفاق تعبيرا عنه باشهر المنافع ❊ هنيئا مريئا ❊ صفتان من
هنؤ الطعام اذا لذ من غير نغص ومرؤ حمد عاقبته من غير ضرر وانتصابها
على المصدر اي اكلا هنيئا مريئا ويجوز ان يكونا دعاء كسقيا ورعيا
فيحسن الوقف على فكلوه ❊ ولا تؤتوا السفهاء اموالكم ❊ الخطاب للاولياء
والسفهاء الصغار والمجانين والمبذرون اضاف الاموال اليهم لانها
مما يقام به المعاش ويدخر لاوقات الحاجة وبهذا المعنى لا يختص باربابها
كقوله ولا تقتلوا انفسكم وقوله فمما ملكت ايمانكم قصدا الى الجنس فان احدا
لا يقتل نفسه ولا يؤمر بنكاح مملوكته او لكل احد والغرض النهي عن صرف
المال الى من يضيعه ❊ التي جعل الله لكم قياما ❊ اي سبب قيامكم من قبيل اتماهى
اقبال يؤيد ان الخطاب لكل احد ❊ وارزقوهم فيها واكسوهم ❊ اجعلوها
مكان رزقهم بان تتجروا فيها لئلا ياكلها الانفاق ولذلك آثر في على من
وقولوا لهم قولا معروفا ❊ حسنا بان يقول الولي لمن تحت حجره المال مالك
اذا صلحت للتصرف دفعته اليك ويقول الرجل لعياله اذا ربحت في سفري

هذا او ربحت في بيعي كسوتكم واوسعت عليكم ❊ وابتلوا اليتامى ❊ حتى اذا
بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ❊ اي اختبروا
عقولهم في التصرف قبل البلوغ حتى اذا تبين لكم رشدهم وهو صلاح الدين
والدنيا عند الجمهور والمروي عن ابن عباس رضي الله عنه واعتبر ابو حنيفة رحمه الله
الاهتداء الى التصرف في المال لا غير وبلوغ النكاح كناية عن الاحتلام او
خمس عشرة سنة لما روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه عرضت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد وانا ابن اربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضت عليه يوم الخندق
وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني واعتبر ابو حنيفة في الغلام ثماني عشرة
فان اونس منه الرشد فذاك والا تربص الى خمس وعشرين سنة فيدفع
اليه ماله رشيدا كان او غير رشيد وعند الجمهور لا يدفع الا اذا كان رشيدا
والكلام من اعتراض الشرط على الشرط فيعتبر المعترض مقدما على الحكم والايناس
الابصار من غير شبهة استعير للتبيين وتنكير الرشد للاكتفاء بادنى شيء منه
وحتى ابتدائية وفيها ايضا معنى الغاية والفاء رتبت على وجوب الدفع
بعد الايناس من غير توقف ولذلك اعتبر الابتلاء قبل البلوغ ❊ ولا تاكلوها
اسرافا وبدارا ان يكبروا ❊ مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم
كبرهم يقال كبر كعلم في السن وكبر كحسن في القدر والعظم وكذا في العقل ❊ ومن
كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف ❊ اي ان كان قيم
اليتيم غنيا فليقنع بما رزقه الله اشفاقا عليه وطلبا لاجر الآخرة وان كان
فقيرا ياكل بقدر القوت وما يسد اوده اجرة له وقيل يرد بدله ان ايسر
ويؤيد الاول الاستعفاف لان غاية العفة لا توجد في الاقتناع عما حق
له فيه روى ابو داود ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل مال
اليتيم في حجره قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله ❊ فاذا
دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم ❊ دفعا للتهمة والخصومة واستدل به
الشافعي رحمه الله تعالى على عدم قبول قول القيم في الدفع ❊ وكفى بالله حسيبا ❊
محاسبا حث على مراعاة ماله ❊ للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ❊ نزلت
في ام كجة امراة اوس بن ثابت مات زوجها وترك ثلث بنات وبني
عم فاخذوا ميراثه على طريقة الجاهلية كانوا يخصون الميراث بالذكور لانهم
يحاربون ويحمون الحوزة فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارجعي
حتى انظر ما يحدث الله وبعث الى بني عمه لا تتصرفوا في المال فنزلت ابطالا
لما كانوا عليه ثم بين الانصباء بقوله يوصيكم الله الى آخره وفي اشارة الاقرب

اشارة الى حجب الابعد وهو على حرمان ذوي الارحام اولى من العكس. مما
قل منه: بدل مما ترك. او كثر نصيبا مفروضا: انتصاب نصيبا على المصدر
كقوله فريضة من الله او الحال او الاختصاص وان قل في النكرة ومعنى مفروضا
لازما فلا يسقط باعراض الوارث. واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى
والمساكين فارزقوهم منه: الامر للندب ولذلك لم يضرب له حد ولو اجمالا
كما في المتعة وقيل للوجوب وقيل منسوخ باية المواريث واولوا القربى من ليس له
شيء في ذلك الميراث وقدم الاهم فالاهم. وقولوا لهم قولا معروفا: بان يستقلوا
ما تعطونهم او قولا جميلا ان كانت التركة عقارا. وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم: لوضع ما في حيزه صلة الذين والامر للاوصياء
متصل بقوله وابتلوا اليتامى وما في البين من احكام الميراث تتميم وان الوارث
فيهم اليتيم والبالغ فتعرض لوصية الاوصياء رعاية لجانبهم او الذين يجلسون
الى المريض فلا يدعون ان يوصي بحيث يتضرر ورثته ولذلك كره العلماء الوصية
بالثلث ان كان في المال قلة او في الورثة كثرة استدلالا بقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص الثلث والثلث كثير انك ان تدع ورثتك
اغنياء خير من ان تذرهم فقراء يتكففون الناس او للورثة حثا على الابناء لمن
حضر القسمة وعلى الوجهين متصل بقوله واذا حضر القسمة وعلى الوجوه الثلثة
معناه وليخش الذين شانهم لو شارفوا على الموت وكانت لهم صغار
يخافون ضياعهم ويتوددون لهم كالاولاد فليكونوا مع ايتام الغير على ذلك
النمط. فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا: ذكر اولا الخشية لانها الباعثة
على الامتثال وثانيا التقوى لانها نهاية مقامات السالك والقول السديد
ان يقولوا للمحتضر انظر ان كان لاحد عليك حق وظن بالله خيرا ان الله يغفر الذنوب
جميعا ويقول الوصي لليتيم تادب باداب الشرع ويرشده الى محاسن الاخلاق
والورثة لمن حضر القسمة ليس علي هذا على مقدار لكم وما يلايم هذا فان الكلمة
الطيبة ايضا صدقة. ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما: بغير حق الامر
للاوصياء. انما ياكلون في بطونهم نارا: لانه يجر الى النار وعن ابي برزة عن رسول
صلى الله عليه وسلم يقومون يوم القيمة وافواههم تاجج نارا وروي انه يبعث اكل
مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن انفه وفمه واذنيه وعينيه فيعرف
الناس انه ياكل مال اليتيم ومعنى في بطونهم ملاء بطونهم لان حقيقة الظرفية الاحاطة
بالمظروف بحيث لا ينفصل الظرف منه ولذلك قيده في قوله شعر كلوا في بعض
بطنكم تعفوا. وسيصلون سعيرا: عن قريب يدخلون نارا موقدة من صلي
النار لازمها وقرا ابن عامر وابو بكر بضم الياء من اصليته الفتية في النار والاول

الخ. يوصيكم الله في اولادكم: يعهد اليكم في شانهم. للذكر مثل حظ الانثيين: بيان
لذلك المجمل والمراد حالة الاجتماع للاجماع على ان للابن جميع المال حالة الانفراد
فان كن نساء: اي اولاد الميت نساء خلصا انث الضمير باعتبار الخبر. فوق
اثنتين: بالغة ما بلغت صفة او خبر ثان. فلهن ثلثا ما ترك: استدل بظاهره
ابن عباس رضي الله عنه والحق الثنتين بالواحدة واجمع من عداه على انهما في حكم
الجماعة لما روى ابو داود وابن ماجة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى بنتي
سعد بن الربيع الثلثين ولان الواحدة تاخذ مع الذكر الثلث فمع الانثى من
باب الاولى وقياسا على الاختين لكونهما ابعد من الميت واقحام فوق لدفع وهم
الزيادة بازدياد العدد. وان كانت واحدة فلها النصف وهو نصف حظ الذكر
ايضا اذا انفرد. ولابويه: لابوي الميت. لكل واحد منهما: بدل بتكرير العامل
السدس مما ترك ان كان له ولد: ذكرا او انثى فان كان ذكرا فذلك وان
كان انثى فله الباقي ايضا بالعصوبة. فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث
والباقي للاب بالعصوبة وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا وعن
الكسائي انها لغة قريش. فان كان له اخوة فلامه السدس: فان كان معهما
الاب فله الباقي لانه يحجب الاخوة وللاخوين والاخوات حكم الاخوة
اجماعا روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه نازع عثمان في ذلك
وقال الاخوان ليسا اخوة في لسان قومك فقال لا انقض امرا كان قبلي
وانتشر في الاقطار. من بعد وصية يوصي بها او دين: اي القسمة على هذا النمط
من بعد هذين الامرين اجتماعا وانفرادا ولذلك اثر او وقدم الوصية وان كانت
متاخرة عن الدين لان الدين له طالب معين والوصية اكثر ما يكون لجهات البر
فيقع فيها التساهل او لان نفوس الورثة موطنة على اداء الدين لان الدين له
دونها وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر يوصي بفتح الصاد واقامة الجار والمجرور مقام
الفاعل. اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا: اعتراض يؤكد شان
الوصية ويحث على امضائها اذ المقصود ان من اوصى منهم اكثر نفعا لكم لانكم بامضاء
وصيته تنالون ثواب الاخرة ولا شك انه خير من ان يترك لكم متاعا فانتم
وان لم تدروا ايهم اقرب نفعا يوم القيمة لما في الحديث ان الابن يرفع الى منزلة
الاب ان كان ارفع درجة وبالعكس فارضوا بما قسم الله ولا تقولوا لم اخذ الاب
عن الابن ولم حاز الاب المال دون الام. فريضة من الله: نصب على المصدر
ان الله كان عليما: كامل العلم. حكيما: متقن الصنع في كل ما دبر. ولكم نصف ما ترك
ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية
يوصين بها او دين: اطلق الولد ليتناول ما كان من الزوج وغيره ذكرا كان او

او انثى ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد
فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين روعي شرف الزوج كما
روعي شرف الذكر على الانثى وترك ذكر الواحدة اشارة الى عدم الفرق
وان كان رجل يورث كلالة او امراة الكلالة القرابة التي لا تكون ولادا من
الكلال وهو الاعيا فكلالها عن القرابة الماسة كانها ارادت ان تصل فكلت
ولم تبلغ وقيل من تكلل بالشيء احاط به لانها في الجوانب وحواشي النسب تطلق
على الميت وعلى الوارث اطلاقا للمصدر على العين او بتقدير مضاف فالمعنى
على الاول ان كان الميت يورث منه حال كونه كلالة وان جعل يورث وصفا
فكلالة خبر كان وعلى الثاني ان كان رجل يورث مالا كلالة والاعراب كما تقدم
ويجوز نصب كلالة على المفعول له في الوجهين لانها قائمة بالطرفين لقولك
ورثه عصوبة او ولادا او ورث كذلك او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما
السدس ضمير له لواحد من الرجل والمراة وضمير منهما للاخ والاخت ان كان
الميت هو الكلالة وان كان الوارث فضمير منهما راجع الى اسم كان وواحد من
الاخوين اي فلكل منه ومن اخيه او اخته وحكم الانفراد علم منه ضرورة وحكم المراة
المعطوفة باو الدال على التسوية حكم الرجل فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء
في الثلث لا يتجاوزونه ولما ذكر في اخر السورة حال الاخوة والاخوات من الابوين
ومن الاب بقوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد
وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين
فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين
دل على ان المراد بالاخوة والاخوات هنا من الام وعليه اجماع الامة من بعد وصية
يوصى بها او دين كرره لما كيد ولئلا يتوهم اختصاصه بطائفة دون اخرى غير
مضار بان يزيد في الوصية على الثلث او لا ينوي بالوصية القربة بل اضرار
الورثة او يقر بالدين لمن ليس له عليه دين فان قلت قد ذكر الوصية سابقا
ولم يذكر هذا القيد قلت ذكره اخرا لئلا يتكرر ولان المضارة اكثر ما يقع في
الكلالة لبعد القرابة وقلة الشفقة وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير
مضار مفعول به والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة تلك
حدود الله اي الاحكام المذكورة سميت حدودا لعدم جواز التجاوز عنها ومن
يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة
وجمع باعتبار معنى من وذلك الفوز العظيم الذي كل فوز دونه ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها حال كالاول والافراد باعتبار لفظ
من وقرا نافع وابن عامر في الموضعين ندخله بالنون وهو اقوى ترغيبا وترهيبا وله

وله عذاب مهين لاستهانته باحكام الله واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم
الفاحشة في الموضعين الزنا لفحش قبحها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم
من رجالكم المؤمنين والحكمة في اعتبار الاربعة في الزنا دون القتل مع انه اعظم
كونه حق الله المبني على المسامحة والستر فان شهدوا فامسكوهن في البيوت
حتى يتوفاهن الموت ملائكة الموت او يتوفى الموت ارواحهن او يجعل الله
لهن سبيلا روى مسلم واصحاب السنن عن عبادة بن الصامت انزل الله تعالى
على رسوله ذات يوم فلما سري عنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا
البكر بالبكر جلد مائة والثيب بالثيب رجم بالحجارة فان قلت كيف صح نسخ
القران بالحديث الذي هو من الاحاد قلت ليس هذا من النسخ بل بيان لقوله
او يجعل الله لهن سبيلا فانه مجمل وعن ابن عباس رضي الله عنهما نسخها سورة النور
وكانه اراد اية الجلد الشيخ والشيخة اذا زنا فارجموهما واللذان ياتيانها منكم
اي الرجل والمراة فيه تغليب الاولى لبيان حكم بعض النساء وهذه لما يعم الفريقين
وجعل الاولى في الزنا وهذه في اللواطة وقرا ابن كثير بتشديد النون احديهما نون
التثنية والاخرى عوض من الياء المحذوفة فاذوهما بالتوبيخ البالغ والتقريع
البليغ فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما لان التوبة تجب ما قبلها ان الله كان
توابا شديد العناية لقبول التوبة رحيما بعباده ولذلك شرع التوبة انما
التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب اي الذين يعملون
الذنب عمدا او خطا ملتبسين بالجهل فان من عرف عظمة الله تعالى لا يجتري
على المعصية والقرب افراضا في وقد بينه في الاية الثانية بقوله اذا حضر احدهم
الموت وبالحديث المشهور ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن ابن عباس
رضي الله عنه ما لم يشاهد ملك الموت فاولئك يتوب الله عليهم يقبل توبتهم
ويجازيهم عليها بالغ في الحث على التوبة باتيان على الدالة على اللزوم والوجوب
مع تعاليه عن وجوب شيء ولزومه لتحقق وقوعه لا محالة وكان الله عليما
باخلاص التائب حكيما بالعفو والصفح عنه وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون
وهم كفار سوى بين المسوف لتوبته الى حضرة الموت وبين الكافر على
الكفر سواء كان المسوف فاسقا او كافرا وقيل المراد بالذين يعملون السيئات
المنافقون والوجه هو الاول لحديث الغرغرة ولئلا تبقى حال الفاسق المصر
غير مبينة فان قلت اذا شمل الفاسق في قوله اولئك اعتدنا
لهم عذابا اليما مع ان الفاسق المصر في المشيئة ولا يجزم له بعذاب قلت الاعتاد
لا يستلزم وقوع العذاب كما نجا في قوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها في حق القاتل

واعتدنا من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا ابدل الدال تاء :: يا ايها
الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها :: مكرهات او كارهات روى
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا مات الرجل اوليآؤه احق بامراته
ان شاء تزوجها احدهم وان شاء زوجوها وعنه ان المراة في الجاهلية كانت
اذا توفي عنها زوجها فجاء رجل القى عليها ثوبه كان احق بها وقرا حمزة والكسائي كرها
بالضم على لغة وعن ابي عمرو والفرآء بالفتح الاكراه والاجبار وبالضم المشقة
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن :: كان الرجل اذا تزوج امراة ولم يكن
له حاجة حبسها مع سوء العشرة لتفتدي منه بمالها :: الا ان ياتين بفاحشة
مبينة :: كالزنا والسلاطة والنشوز استثناء من اعم الاوقات او من اعم
العلل وقرا ابن كثير وابو بكر بفتح اليآء من بين لازما اي فاحشة جلية :: و
وعاشروهن بالمعروف :: بطلب القول ومحاسن الاخلاق عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي :: فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا :: بان يرزق منها اولادا صالحين او يبدل الله البغضاء
مودة وفي الحديث لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره فيها خلقا رضي منها آخر وفيه
تنكح المراة لمالها وجمالها ودينها عليك بذات الدين تربت يداك وايضا
في الصبر عليها رياضة النفس وتهذيب اخلاقها :: وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج وآتيتم احداهن قنطارا :: مالا كثيرا من قنطرت الشيء رفعته ومنه القنطرة
فلا تاخذوا منه شيئا :: قليلا او كثيرا :: اتاخذونه بهتانا واثما مبينا :: البهتان الكذب
الذي يبهت به المكذوب عليه ويحير السامع فيه فاستعمل لكل باطل وقيل كان الرجل
اذا اراد امراة رمى امراته ببهتان فالكلام خارج مخرج الغالب والجمع بينه وبين الاثم
مبالغة والعطف باعتبار الصفات وانتصابهما على الحال او المفعول له غاية
روى زبير بن بكار ان عمر بن الخطاب قال وهو على المنبر لا تغالوا في مهور النساء
وان كان بنت ذي الغصة يزيد بن الحصين الحارثي فمن زاد القيت الزيادة
في بيت المال فقالت امراة طويلة في انفها فطس ما ذاك اليك قال ولم قالت
لان الله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر رضي الله عنه امراة اصابت
ورجل اخطا والمستعان بالله وهذا يدل على الجواز والاولى عدم المغالاة لما روى
الامام احمد والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصدق امراة من نسائه
ولا واحدة من بناته اكثر من اثنتي عشرة اوقية :: وكيف تاخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض :: بالوقاع وسائر انواع الاستمتاع والاختلاط :: واخذن منكم
ميثاقا غليظا :: هو الامساك بالمعروف او تسريح باحسان وفي الحديث
استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم

فروجهن

فروجهن بكلمة الله والخلوة الصحيحة كافية في ذلك عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لحديث
رواه الدارقطني وروي عن علي رضي الله عنه ايضا :: ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النساء :: كانوا يتعاطونه في الجاهلية والنكاح والوطي فيشمل المهاير و
والسراري او العقد ويقاس الامة الموطوءة على المنكوحة وما موصولة او
مصدرية بمعنى المفعول :: الا ما قد سلف :: تاكيد الشيء بما يشبه نقيضه كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب لان نكاح ما قد
سلف محال وقيل الاستثناء منقطع اي لكن ما قد سلف لا مواخذة عليه
انه كان فاحشة :: شرعا :: ومقتا :: عقلا كانوا يسمونه نكاح المقت
قبل ورود النهي :: وساء سبيلا :: في التعارف ومجرى العادات :: حرمت
عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ::
التحريم حكم من احكام الله تعالى لا يتعلق الا بفعل المكلف واضافته الى
الاعيان كما في الاية وفي قوله حرمت عليكم الميتة للملابسة وعدم اللبس ثم
تعيين المحذوف الى خصوص القرائن كالنكاح والاكل فانهما اظهر المقاصيد
واسبق الى الفهم وقد دل عليه قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم واذا حرم النكاح
الذي هو وسيلة الاستمتاعات حرمت بطريق الاولى وقيل ان كانت
الحرمة لمعنى في ذات المحرم يسند الحرمة وتوقع عليه كالميت مثلا والا فيقدر
مضاف يناسب لحرمته شاة الغير والام كل انثى لها عليك ولادة قربت
او بعدت والعمة كل انثى شاركت احد ابائك في احد اصليه والخالة
كل انثى شاركت امك في اصلها وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى
وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة روى البخاري ومسلم عن
عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرضاعة تحرم ما تحرم
الولادة وقيل خص منه اربع صور الاولى يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من
الرضاع دون النسب الثانية له ان يتزوج ام اخيه من الرضاع دون
النسب الاخريان ام النافلة وجدة الولد والحق ان لا استثناء لان
الحرمة في النسب للمصاهرة لا له واختلف في مقدار الرضاع فاطلقه
مالك وابو حنيفة رحمهما الله تعالى لاطلاق الاية والحديث وقيده بالثلث وما فوقه
احمد واسحق بن راهويه لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها لا تحرم المصة
والمصتان ولا الاملاجة والاملاجتان وذهب الشافعي رحمه الله الى خمس
رضعات لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها كان فيما انزل من القرآن
عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس وفي المدة فعند الشافعي رحمه الله
في الحولين وعند ابي حنيفة رحمه الله الى ثلثين شهرا :: وامهات نسائكم وربائبكم

اللاتي في حجوركم: الربائب جمع ربيبة وهي بنت المراة من غيره وذكر الحجر خارج
مخرج الغالب وفيه اشارة الى علة التحريم لانها في الاختلاط والتقلب كالولد
والى ظاهره ذهب داوود الظاهري: من نسائكم اللاتي دخلتم بهن: حال
من الربائب ومن ابتدائية وذهب بعضهم الى انه متعلق بالربائب وامهات
النساء حتى شرط الدخول فيهن ايضا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وزيد بن ثابت ووجهه جعل من اتصالية او ابتدائية في الثاني بيانية في الاول
الا ان الاجماع على خلافه وعن ابن عباس رضي الله عنه ام المراة مبهمة في كتاب الله
ارادانها محرمة من كل وجه كالخيل البهيم الذي لا نور فيه والخيل البهيم الذي لا شية
فيه وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى الخلوة كالدخول: فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا
جناح عليكم: صرح به بعد الاشعار دفعا للقياس: وحلائل ابنائكم الذين من
اصلابكم: رفع لما كانوا عليه من تحريم مطلقة الدعي فلا يرد ابن الرضاع
والحافد والتعبير بالحلائل ليتناول امته الموطوئة: وان تجمعوا بين الاختين
نكاحا او في ملك اليمين وطئا: الا ما قد سلف: منكم فانه مغفور لكم بدليل قوله
ان الله كان غفورا رحيما: على ان الاستثناء منقطع ويجوز ان يكون من تاكيد
الشيء بما يشبه نقيضه: والمحصنات من النساء: عطف على المحرمات
الاحصان لغة المنع من الحصانة ويكون بالعفة كما في قوله تعالى والذين يرمون
المحصنات وبالاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن وبالزوج كما في الاية: الا ما
ملكت ايمانكم: من ذوات الازواج روى مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
ان ناسا اصابوا سبايا يوم اوطاس فتحرجوا منها لاجل ازواجهن فنزلت
وقيده ابو حنيفة رحمه الله تعالى بما اذا لم يسب معها الزوج وخص المسبية ذات
الزوج اجماعا: كتاب الله عليكم: ذلك التحريم نصب على المصدر بمضمر واحل
لكم ما وراء ذلكم: ما سوى المذكورات الا ما خص من الخالة والعمة رضاعا وقرا
حمزة والكسائي وحفص احل على بناء المفعول عطفا على حرمت او على ناصب
كتاب الله كما في بناء الفاعل: ان تبتغوا باموالكم: مفعول له اي ارادة
ان تبتغوا او بدل اشتمال مما وراء ذلكم والابتغاء الطلب اريد به طلب
خاص بالمهر او الثمن: محصنين غير مسافحين: السفح الصب اريد به الزنا
لانه غرض الزاني بخلاف النكاح فان الغرض منه التوالد ذكره بعد
الاحصان لتعيين معناه: فما استمتعتم به منهن: الضمير لما وراء ذلك
ومن ابتدائية اي فالذي تمتعتم به من جماع ونكاح وخلوة من المنكوحات
فآتوهن اجورهن: مهورهن خبر عن الموصول بحذف العائد لعدم اللبس ويجوز
ان يكون ما شرطية ولا حذف لان الخبر مجموع الشرط والجزاء وان يكون ما عبارة

عن النساء

عن النساء وتماما الى الوصف او تنزيلا لهن منزلة غير ذوي العقول فالمستمتع
نفسهن والضمير في به راجع الى لفظ ما وفي فاتوهن الى معناه ومنهن الى
ما وراء ومن للبيان او التبعيض وسمي المهر اجرا لانه عوض البضع: فريضة
حال من الاجور او صفة مصدر: ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد
الفريضة زيادة في الصداق او نقصان منه وغير ذلك من مواجب النكاح
وقيل نزلت في نكاح المتعة والمعنى لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من زيادة
الاجل بعد الاجل والحق ان نكاح المتعة ثبت بالحديث ونسخ به لما روى
مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ايها الناس اني كنت
اذنت لكم في الاستمتاع وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة وعن الشافعي
رحمه الله تعالى ابيح مرتين ونسخ مرتين لهذا الحديث ولما روى البخاري عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم يوم خيبر
نكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية: ان الله كان عليما: بمصالح العباد:
حكيما: في كل ما شرع: ومن لم يستطع منكم طولا اي غنى من الطول الزيادة
في الامتداد مفعول لم يستطع: ان ينكح المحصنات المؤمنات: متعلق
بطولا بتقدير الجار اي على ان ينكح ويجوز ان يكون طولا بتقدير مضاف
اي لعدم طول وان ينكح بدل منه والاحصان بالحرة لانهن الحرائر مصونات
عن ابتذال الرق بدليل قوله: فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
من تفريع نكاحهن بالفاء استدل الشافعي رحمه الله تعالى على تحريم نكاح الامة
لواجد طول الحرة ومن اضافة الفتيات الى المخاطبين على عدم جواز نكاح
الامة الكتابية مطلقا والاستدلال بعدم اشتراط الايمان في الحرائر على عدم
اشتراطه في الاماء وغيرنا نقض لان عدم الاشتراط في الحرائر مستفاد من قوله
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ولا يمكن الحاق الاماء
بهن لوجود الفارق من رق الولد وثبوت حق المولى عليها في الخدمة
وما في النكاح في المهانة بخروجها وولوجها روى البخاري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وليقل
فتاي وفتاتي وقرا الكسائي في المحصنات غير الذي تقدم بكسر الصاد
على معنى احصانهن انفسهن والفتح على انها محصنات باحصان الازواج
وهذا اشهر: والله اعلم بايمانكم: ترغيب في نكاح الصالحات من الاماء
لما في النفوس من الانفة والاستنكاف من ذلك فاشار الى ان الامة
ربما كانت افضل ايمانا من الحرة وان الاولى بالرجل ان يكون مطمح نظره الصلاح
والديانة فان للاخلاف سراية: بعضكم من بعض: متوصلون في الادمية

فلا وجه للاستنكاف ∴ فانكحوهن باذن اهلهن ∴ مواليهن اعتبر بلا بل لا نحو لصحا لقوم
منهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت والطلاق الاذن
تناول المباشرة والتوكيل ودل ايضا على جواز مباشرتها باذن الولي كما
ذهب اليه ابو حنيفة رحمه الله تعالى ∴ واتوهن اجورهن ∴ باذن المولى علم
ذلك من تقييد النكاح باذنه وايثار هذا الاسلوب للدلالة على ان المولى
انما يستحق المهر بتبعية ملك الرقبة وفيه اشارة الى تاكيد وجوب الادا
الى الحرائر وقيل لفظ المولى مقدر وذهب مالك الى ظاهره جريا على اصله
من جواز تمليك الرقيق ∴ بالمعروف ∴ من غير ضرر ولا اضرار ∴ محصنات
عفائف وقرا الكسائي بكسر الصاد ∴ غير مسافحات ∴ مجاهرات
بالزنا ∴ ولا متخذات اخدان ∴ اخلاء في السر جمع خدن ∴ فاذا احصن
بالتزوج وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص على بناء المجهول واحو
المختار ∴ فان اتين بفاحشة ∴ بزنا فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب ∴ الحرائر من الجلد لان الرجم لا يتنصف وبالاحصان اشار
الى عدم اختلاف حكمهن كما في الحرائر ∴ ذلك ∴ نكاح الاماء ∴ لمن خشي
العنت منكم ∴ الزنا اصله الانكسار ومنه العنت في الامر وفيه تاييد لمذهب
الشافعي رحمه الله تعالى ∴ وان تصبروا ∴ عن نكاح الاماء ∴ خير لكم ∴ من التزوج
بهن لان ارقاق الولد اماتة معنى ولان الامة لا تقيم عينا وابيت
قال وعن لم يكن في بيته قهرمانة فذلك بيت لا ابا لك ضائع ∴ والله غفور
للصابر ان بدا منه زلة ∴ رحيم ∴ ولذلك شرع نكاح الاماء ∴ يريد الله ليبين
لكم ∴ يريد الله اظهار الاحكام لكم اللام لتاكيد معنى الارادة لما فيها من معنا
كما في جيتك لاكرامك وما بعدها مفعول بها ∴ ويهديكم سنن الذين من
قبلكم ∴ مناهجهم وطرقهم التي سلكوها لتقتدوا بهم ∴ ويتوب عليكم ∴ ويستر
زلاتكم ∴ والله عليم ∴ بالمصالح ∴ حكيم ∴ فيما شرع ∴ والله يريد ان يتوب عليكم
كرره توكيدا وليقابل قوله ∴ ويريد الذين يتبعون الشهوات ∴ وتعلق
ارادته بوقوع التوبة منهم لا يستلزم وقوعه من الكل والذين يتبعون
الشهوات كل فاجر منهمك وقيل اليهود وقيل المجوس لانهم يحلون نكاح
المحارم ∴ ان تميلوا ∴ عن الحق ∴ ميلا عظيما ∴ موصلا الى الكفر ∴ يريد الله ان
يخفف عنكم ∴ ولذلك اباح النكاح والتسري وعمم النكاح في الحرائر والاماء
توسعة من فضله لان النساء حبائل الشيطان ليس على الانسان اشق منهن
في باب دينه عن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من ابن آدم الا اتاه
من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو

بالاخرى

بالاخرى وان اخوف ما اخاف على فتنة النساء ∴ وخلق الانسان ضعيفا
لا يصبر على المشاق بشيرا الى الحكمة التوسعة وانها مقتضى الحكمة ∴ يا ايها الذين
آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ∴ بشير الى ما به يقوم امر المنزل وكيفية
مشروعية تحصيل اسبابه وخص الاكل لانه اكمل المنافع والكثرة احتياجا
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ∴ الاستثناء منقطع لان التجارة ليس
من الباطل في شيء اي لكن اقصدوا تجارة او لكن وقوع تجارة عن تراض
غير منهي وانما خص التجارة بالذكر لانها اعم اسباب الملك او من استعمال
المقيد في المطلق وقرا غير الكوفيين بالرفع على كان التامة ∴ ولا تقتلوا انفسكم
اخوانكم من المؤمنين او انفسكم بتعريضها للعقاب او مباشرة كما يفعله بعض
الجهلة كالروافض في مشاهد الائمة ∴ ان الله كان بكم رحيما ∴ حيث بين لكم
الاحكام وشرعها على وجه السهولة ∴ ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما ∴ اي ما ذكر
من المناهي العدوان ظلم الغير اشتماله على معنى التجاوز والعطف باعتبار
تغاير الصفة ∴ فسوف نصليه نارا ∴ ندخله نارا عظيمة يقال اصليته النار
اذا ادخلته للاحراق محمول على الاستحلال او الموت من غير توبة او شاء بشهادة
سائر النصوص ∴ وكان ذلك على الله يسيرا ∴ لاستواء الممكنات في قدرته
من غير تراخ ∴ ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ∴ مما نهاه الرسول ∴ نكفر عنكم
سيئاتكم ∴ صغائركم وندخلكم مدخلا كريما ∴ شريفا وانه السلام من كل مكروه و
والفرق بين الصغيرة والكبيرة ان كل ذنب شرع له حد او كان فيه مساويا له
او زائدا عليه فهي كبيرة فلا تنحصر في عدد كما اشار اليه ابن عباس رضي الله عنه
لما قيل له هي سبعة انها الى سبعمائة اقرب وما نقل عن بعض السلف لا صغيرة
في الذنوب اراد معنى آخر وهو النظر الى عظمته تعالى وكبريائه والآيات
والاحاديث ناطقة بالفرق ∴ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ∴
التمني طلب الشيء ممكنا او محالا لا مع الحرص من تمنيت الكتاب قراته فان
التمني يناجي نفسه بالتمني ويدل عليه قوله ما كل يتمنى المرء يدركه وقيل لا يكون
الا في طلب المحال حث على محاسن الاخلاق بعد بيان الذنوب ولبعثه
الخروج منها وهذا اذا لم يقصد به التقرب الى الله تعالى لما روى البخاري لا حسد
الا في اثنتين رجل آتاه الله تعالى مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الحكمة
فهو يقضي بها ويعلمها الناس ∴ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب
مما اكتسبن ∴ جعل لكل من الرجل والمراة ما قدر له من الحظ ارشادا
الى طلب المعاش روى الامام احمد عن ام سلمة انها قالت يا رسول الله يغزو الرجال
ولا نغزو ولنا نصف ما لهم من الميراث فنزلت ∴ واسالوا الله من فضله الواسع

عطف على تمنّوا وما بينهما اعتراض روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسأل
وان افضل العبادة انتظار الفرج وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله بنقل حركة
الهمزة وحذفها وحذف همزة الوصل تخفيفا ان الله كان بكل شيء عليما يعلم
من يستحق البسط والقبض ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
اي ولكل مال تركه هؤلاء جعلنا وراثا يحوزونه والتقدير وجعلنا لكل مما ترك
فلا فاصل بين الموصوف والصفة او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون ولا يتوجه ان للموالي جميع المال لا نصيبا منه لأن في التركة
مؤن التجهيز وقد يكون الوصايا والديون او ولكل مورث جعلنا وراثا على
ان من صلة موالي لما فيه من معنى الفعل ثم فسر الموالي بقوله والوالدان
والاقربون والوالدان وان دخلا في الاقربين الا انهما افردا لشرفهما وزيادة
في الاهتمام والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم مبتدأ وخبر والفاء لتضمن
الموصول معنى الشرط ويجوز عطفه على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة
عن المتقدمة مؤكدة ونصبه على شريطة التفسير نحو زيدا فاضربه عن ابن عباس
رضي الله عنه كان قبل الاسلام يعاقد الرجل ويقول دمي دمك وحربي حربك
وترثني وارثك وكان الامر على ذلك في ابتداء الاسلام حتى نسخ بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فان قلت لا تنافي بين هذه وبين نورث
الحلف قلت روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ذهب الميراث
ويكون يوصى له وفسر قوله فآتوهم نصيبهم على النصر والنصيحة وذهب ابو حنيفة
رحمه الله الى ان رجلا لو اسلم على يد رجل وتعاقدا على ان يتوارثا يرثه ان لم يكن له
وارث آخر ان الله كان على كل شيء شهيدا رقيبا فاحذروه في مخالفة اوامره
الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم
قام بالامر حفظه ورعاه وفلان قوام اهله اي يقيم شأنهم اشار الى وجه الحكمة
في تفضيل الرجال على النساء في الحظوظ والقسم بامرين احدهما موهبي لا دخل
للسعي والكسب فيه كالنبوة والامامة والقضاء وعموم الشهادة والجمعة
والاعياد والآخر كسبي وهو انفاق الاموال في المهور والنفقات روى ابن
جرير ان سعد بن الربيع الانصاري رضي الله عنه وهو احد النقباء ليلة العقبة لطم
امرأته زينب بنت زيد بن ابي زهير فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر بالقصاص فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله غيره والذي اراده الله تعالى
خير فالصالحات قانتات مطيعات من قنت اطاع ومن يقنت
منكن لله او قائمات بحقوق الازواج ومنه افضل الصلوة طول القنوت

حافظات للغيب ما يجب حفظه من الاموال والاسرار التي تقع بين الازواج
في الخلوات وفي ايقاع الحفظ على الغيب مبالغة في الوصف بالحفظ
بما حفظ الله اي بحفظ الله اياهن عن الخيانة او بالوعد على المحافظة والوعيد
على الخيانة على ان الحفظ بان اوصى الله تعالى ورسوله برعاية حقوق الازواج
فالحفظ مسند الى السبب الآمر والباء للمقابلة او بحفظ الله اياهن عن
الخيانة او بالوعد على المحافظة والوعيد على الخيانة على ان الحفظ مجاز عن
سببه وما مصدرية على الوجوه واللاتي تخافون نشوزهن النشوز لغة
الارتفاع فانها بالعصيان ترتفع عن زوجها فعظوهن بما اعد الله
للمطيعات من الثواب وللناشزات من العقاب روى البخاري عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى الرجل امرأته
الى فراشه فابت لعنتها الملائكة الى الصباح وروي عنه لو امرت ان يسجد
احد لغير الله تعالى لامرت المرأة ان تسجد لزوجها واهجروهن في المضاجع
فان ذلك شديد عليهن وعن ابن عباس رضي الله عنه كناية عن عدم الجماع
واضربوهن ضربا خفيفا لا كسر فيه ولا جراح ولا في الوجه وان عصينا د
الرشية فان اطعنكم في احدى تلك الاحوال فلا تبغوا عليهن سبيلا
بوجه قولا وفعلا فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وذكر الوحشة
وحشة ان الله كان عليا كبيرا ومع ذلك اذا تاب العبد تاب
عليه فتخلقوا باخلاقه وان خفتم شقاق بينهما الخطاب للولاة والحكام
اضافة الشقاق الى البين مجاز اما تشبيها بالمفعول به اتساعا في
الظرف او بالفاعل بجعل البين شاقا كنهاره صائم فابعثوا حكما
من اهله وحكما من اهلها ان اشتبه عليكم حال الظالم منهما وقيد الاهل
استحباب لانهم اشفق واسعى في الاصلاح ولا دلالة فيه على جواز التحكيم
فان الحكمين ليسا من جهة الزوجين بل من جهة الولاة وهل لهما الجمع
والتفريق بغير رضى الزوجين على الجديد من قول الشافعي وقول ابي حنيفة
نعم ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما اي ان قصد الحكمان الاصلاح
بين الزوجين بنية صادقة وفق الله بين الزوجين واوقع الالفة
بينهما وقيل الضمير ان للحكمين اي ان قصدا الاصلاح وفق الله بين كلمتيهما
ويحصل الغرض وقيل للزوجين اي ان تابا عن الضرار واختار التودد
والمشاقة يبدل الله البغض بالمحبة والشقاق بالوفاق ان الله كان
عليما خبيرا كامل العلم بظواهر الاشياء وبواطنها يعلم كيف يؤلف
بينهما وفيه تحذير للحكمين عن السعي الى الفساد كما ان في الاول ترغيبا في

فى الاصلاح ❊ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ❊ استوفى جملة من الاحكام
ثم عاد الى التوحيد الذى هو ملاك الامر وانتصاب شيئا على المصدر اى
شيئا من الاشراك او المفعول به اى شيئا ما ❊ وبالوالدين احسانا
اى احسنوا احسانا ❊ وبذى القربى ❊ ذوى القرابة فان الصدقة عليه صدقة وصلة رحم
واليتامى والمساكين والجار ذى القربى ❊ الذى قرب جواره روى البخارى
عن عائشة رضى الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى جارين
فالى ايهما اهدى فقال الى اقربهما منك بابا وقيل الجار ذى القربى والاول
هو الوجه لتقدم ذى القرابة ❊ والجار الجنب ❊ بعيد الدار والاجنبى ❊ والصاحب
بالجنب وابن السبيل ❊ الرفيق فى السفر او التعلم او المراة روى البخارى ومسلم
عن ابن عمر رضى الله عنه قال فى مرض موته مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت
انه سيورثه ❊ وما ملكت ايمانكم ❊ الارقاء روى انه عليه السلام قال فى مرض موته
الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم فجعل يكررها ❊ ان الله لا يحب من كان
مختالا فخورا ❊ متكبرا تياها كثير الفخر بحطام الدنيا ❊ الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل ❊ بدل من من كان مختالا او نصب او رفع على الذم وفى
الحديث اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم وقيل البخل البخلاء من يبخل
بمال غيره وروى ابو داود شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع وروى الترمذى
خصلتان لا تجتمعان فى المؤمن البخل وسوء الخلق وروى ايضا ثلاثة لا يدخلون
الجنة خب وبخيل ومنان وقرا حمزة والكسائى البخل بفتح الباء والخاء والضم اكثر
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ❊ عابهم على كتمان ما انعم الله عليهم كما عابهم على
البخل ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده واما بنعمة ربك فحدث وقيل نزلت
فى اليهود بخلوا بما اوتوا فى التوراة وكتموا ما انعم الله عليهم من نبوة محمد عم
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ❊ فى مقابلة ذلك الاختيال والافتخار اوقع
الظاهر موقع المضمر للاشعار بالعلة وللعموم ❊ والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس ❊ ليقال انه جواد وروى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه اول من
يدخل النار مسلم صرف ماله فى وجوه البر لا اخلاصا بل ليقال فذلك حظه ❊ ولا
يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ❊ ليكون باعثا لهم على الحذر مما يحبط العمل ❊ ومن يكن
الشيطان له قرينا ❊ فى الدنيا يزين له القبائح ويحثه على ارتكابها او فى الاخرة
بان يقرن معه فى النار لقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء ❊ فساء قرينا ❊ قرينه ❊ وماذا
عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله ❊ انكار ونفى عليهم كمال
جهلهم فان العاقل يسارع الى ما فيه احتمال نفع فكيف والمدعو اليه راس
كل منقبة ومنبع كل سعادة والضمير للمنفقين رئاء اولهم وللباخلين ❊ وكان

الله بهم

الله بهم عليما ❊ لو اخلصوا او كان الله بهم عليما انهم لا يؤمنون فلذلك لم يجد
فيهم الآيات والنذر ❊ ان الله لا يظلم مثقال ذرة ❊ وزن ذرة نقصانا ما
من الثواب او زيادة فى العقاب والذرة النملة الصغيرة وقيل اجزاء
الهباء المبثوث فى الكوة عند شعاع الشمس وعن ابن عباس رضى الله عنه
انه ادخل يده فى التراب ثم اخرجها وقال كل هذه ذرات والمثقال
مفعال من الثقل ❊ وان تك حسنة يضاعفها ❊ يضاعف ثوابها اقله عشرة
اضعاف والكثرة لا يعلمه الا الله تعالى والتانيث باعتبار الخبر او لاكتساب
التانيث من المضاف اليه وحذف النون تبعا للواو وهذا مطرد فيما
لا ساكن بعده لكثرة الدور وقرا نافع وابن كثير حسنة بالرفع على كان
التامة وقرا ابن كثير وابن عامر يضعف مشددا ❊ ويؤت من لدنه اجرا
عظيما ❊ لا يقادر قدره اشار بقوله من لدنه الى انه تفضل منه ❊ فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد ❊ اى نبيهم يشهد عليهم بالتكذيب اى فكيف
بمن كذبك فى ذلك الوقت استعظام للهول ❊ وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا ❊ اشارة الى كل مكذب من كل امة وشهادته شهادة امته كما
رواه البخارى وتقدم فى سورة البقرة ويحتمل ان يكون شهادته ايضا
والاول ادل على عظم شانه ويجوز ان يكون اشارة الى مكذبى امته روى
البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى اقرا
على القرآن قلت اقرا عليك وعليك انزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى
فقرات سورة النساء حتى بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا فقال حسبك فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان
قيل كان بكاء سرور حيث شرفت امته بالشهادة للانبياء والظاهر انه بكاء
شفقة على عباد الله ❊ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض ❊ كناية عن الموت والدفن لعظم ما يشاهدون والباء للملابسة
او بمعنى على وقرا نافع وابن عامر تسوى بفتح التاء والتشديد بادغام
احدى التائين وقرا حمزة والكسائى بالفتح والتخفيف بحذف احدى
التائين والباقون بالضم والتشديد وهو المختار لانه الاصل ❊ ولا يكتمون الله
حديثا ❊ لا يقدرون على كتمانه لان الجوارح تشهد عليهم عطف على يود و
يومئذ متعلق بالفعلين ويجوز ان يكون عطفا على تسوى و لا خلاف
التمنى او حالا من الضمير على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انهم اذا راوا
مغفرة الله تعالى للمذنبين يقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم
وتشهد عليهم جوارحهم فحينئذ من شدة الخجل يودون ان لو لم يكذبوا فى قولهم

والله ربنا ما كنا مشركين. يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
اردف احوال القيمة بالمحافظة على اشرف الوسائل فى ذلك اليوم
عنه عليه السلام اول ما يحاسب المرء الصلوة فان كانت وافية يقال قبلوا
سائر اعماله بها روى الترمذى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه صنع عبد الرحمن
ابن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فاخذت منا وحضرت الصلوة
فقدموا فلانا فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون
فنزلت والمراد النهى عن شربها فى اوقات الصلوة وقيل لا تقربوا مواضعها
وهى المساجد كما تجنب الصبيان والمجانين من اطلاق الحال على المحل حتى
تعلموا ما تقولون. يعلم منه حد السكر وهو ان يشرب حتى لا يدرى ما يقول
ولا جنبا. عطف على جملة وانتم سكارى لان الجمل التى لها محل من الاعراب
فى حكم المفردات والجنب يطلق على المفرد والجمع مذكرا كان او مؤنثا. الا
عابرى سبيل. الا مسافرين حال مقيدة للفعل المقيد بالحال الاولى كانه قيل
لا تقربوا الصلوة فى حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وفيه
ايماء الى ان سائر الاعذار مثل السفر واشاره بالذكر لانه الغالب فلا ينافى
هذا الحصر ما يذكر بعد من الموجبات ويجوز ان يكون وصفا للحال اى جنبا غير عابرى
سبيل. حتى تغتسلوا. غاية للنهى وفيه اشارة الى ان المصلى ينبغى ان يكون مراعيا
لطهارة الباطن مما يلوث من الحقد والحسد وغيرهما وبه استدل الشافعى رحمه الله
على ان التيمم غير رافع للحدث لانه سماه جنبا مع التيمم. وان كنتم مرضى او على سفر
او جاء احد منكم من الغائط. كنى به عن الحدث لجرى العادة بقضاء الوطر
فى الغائط وهو المكان المخصوص. او لامستم النساء. كنى به عن الوقاع
وذهب الشافعى رحمه الله الى ظاهره وجعل ملامسة الذكر والانثى من
اسباب الحدث لقراءة حمزة والكسائى لمستم بالقصر لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكره فى مقابلة الوقاع فى حديث المقر بالزنا حيث قال
لعلك قبلت او لمست والاستدلال بتقدم الجنابة غير ناهض لانه ذاك
فى استعمال الماء وهذا فى اباحة التيمم. فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا. ذكر اربعة امور الاول سبب للترخيص والعدول من الماء الى
التراب والثالث للوضوء والرابع للغسل والجزاء شئ واحد لاشتراك
الكل فيه فانه عدم وجدان الماء معتبر فى الكل اما حقيقة كما فى الثلاثة او تقديرا
كما فى المريض الذى لم يقدر على استعمال الماء وقدم المرض والسفر لانهما من
اغلب الاسباب فكانه قال ان جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء
خصوصا المرضى والمسافرون فتيمموا وكان الظاهر او جنبتم من الغائط

عدل الى الخبر لئلا يسند الفعل الى المخاطب فى المستقذر. صعيدا طيبا. ترابا
طاهرا صعيدا عاليا على وجه الارض وعن ثعلب والزجاج هو وجه الارض واليه
ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى حتى لو ضرب يده على حجر صلد ومسح به صح تيممه
فامسحوا بوجوهكم وايديكم. تعليم لكيفيته ولم يبين فى الوضوء وبينه
قول رسول الله لعمار وفعله. ان الله كان عفوا غفورا. متجاوزا
ستارا ولذلك شرع العدول من الماء الذى هو غاية فى اللطافة الى التراب
الذى هو الكثيف للارفاق. الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
حظا وافرا منه تعجيب من حال احبار اليهود والرؤية قبل القلب اى الم
ينته اليهم علمك او النظر. يشترون الضلالة. يستبدلونها بالهدى
مع ذلك العلم. ويريدون ان تضلوا السبيل. ايضا فشاورهم فى الجهل
والشقاوة. والله اعلم باعدائكم. منكم لانكم تعلمون بالمخايل والامارات وهو
مطلع على ما فى الصدور من الضماير. وكفى بالله وليا. فلا توالوهم. وكفى
بالله نصيرا. ناصرا فتوكلوا عليه والباء فى الموضعين صلة تؤكد الاسناد
لان حروف الجر لايصال معانى الافعال الى الاسماء. من الذين هادوا.
بيان للذين اوتوا نصيبا او لاعدائكم وما فى البين اعتراض والمعنى ينصركم منهم
كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا لتضمين معنى الانجاء ويجوز تعلقه
بما بعده اى من الذين هادوا قوم. يحرفون الكلم عن مواضعه. يزيلونها
عنها او يبدلونها بما يشتهون ويؤولونها تاويلا باطلا. ويقولون سمعنا
قولك. وعصينا امرك. واسمع غير مسمع. دعاء عليه بالصمم او الموت
او انت غير مسمع جوابا ترضاه وله وجه مدح يؤدى به اى غير مسمع مكروها
من قولهم اسمعه فلان كلاما اذا قال له ما يكرهه. وراعنا. حتى نفهم كلامك
كلمة سب عند اليهود. ليا بالسنتهم. من الحق الى الباطل يقصدون السب
ويظهرون انهم ارادوا معنى الرعاية. وطعنا فى الدين. قدحا فى دينكم
ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم. واسد
واعدل اريد بصيغة افعل الزيادة المطلقة. ولكن لعنهم الله بكفرهم. طردهم
لاجل كفرهم. فلا يؤمنون الا قليلا. الا ايمانا قليلا لا يعتد به سماه ايمانا
على زعمهم او القلة بمعنى العدم كقوله شعر قليل التشكى فى مهم يصيبه او الاستثناء
من ضمير الفاعل اى الا قليلا منهم آمنوا. يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما
نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها. و
الطمس محو الشئ وازالة اثره يقال ليل دامس وطريق طامس يتعدى
ولا يتعدى والمعنى آمنوا قبل ان نمحو آثار الوجود ونزيل محاسنها من العيون

ونحو احب وغيرها فنصيرها على هيئاته الاقفا مطموسة والفا للسببية او التعقيب
فالتوعد بالامرين الطمس وتعكيس بجان يجعل الوجه قفا او بالعكس اذ الوجه رؤيا
القوم على عرف العرب اي من قبل ان نسلب وجاهتهم ونردهم الى حيث جاؤا
الى بلاد الشام وقد اجلاهم عمر رضي الله عنه الى اذرعات واريحا : او نلعنهم كما
لعنا اصحاب السبت بان جعلناهم قردة وخنازير وهذا مترقب في اليهود
سيقع فيهم المسخ وقيل كان مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن طائفة عن
ابن جبران كعب الاحبار من اليهود لما سمع الاية اسلم مكانه : وكان امر الله
الذي اراده : مفعولا : واقعا لا محالة : ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء : ترغيب في الايمان بعدما قدم عظيم جرائم
اليهود والمشركين وقد دل صريحا على انه لا يغفر الشرك ويغفر ما دونه
لمن يشاء ، وايده سائر الآيات والاحاديث المتواترة معنى فقيد
التائب بالتوبة فقد صرف الكلم والمراد من الشرك الكفر مطلقا لقوله
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله واثار الشرك لانه حال المخاطبين من
اليهود وعبدة الاوثان : ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما : اي ما يجب
ذلك اشتقاقه من الفري وهو القطع لانه اخترعه من عنده ويطلق على
القول والفعل والمراد به العقد المشترك : الم تر الى الذين يزكون انفسهم
من اهل الكتاب قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وغير هذا من مخالفاتهم : بل الله
يزكي من يشاء ، بالتوفيق للطاعات والثناء عليه : ولا يظلمون فتيلا :
اقل قليل والفتيل ما في شق النواة يضرب به المثل في القلة : انظر :
نظر تعجب الخطاب عام : كيف يفترون على الله الكذب : في زعمهم وتزكيتهم
انفسهم : وكفى به اثما : بذلك القول والزعم : مبينا : لا يخفى على احد : الم
تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت :
تعجيب من نوع آخر من اباطيل اليهود الجبت يطلق على كل باطل غير عربي
لاجتماع الجيم والتاء من غير حرف ذولقي والطاغوت رئيس كل ضلالة
شيطانا كان او انسانا يطلق على المفرد والجمع واشتقاقه من الطغيان
وهو النبي وزعمهم الجد : ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين
آمنوا سبيلا : عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في حيي بن اخطب و
كعب بن الاشرف واشباههما جاؤا اهل مكة يحالفوهم على حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون انتم اهل الكتاب واهل العلم نحن
نسقي الحاج ونفك العاني ومحمد قطع الارحام واسع سراق الحاج من غفار

نحن

نحن خدام محمد فقالوا انتم خير فنزلت : اولئك الذين لعنهم الله ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا : اذ لا تردّ ارادته ولا يقاوم قدرته قدرة فان
قلت النصير اخص من الناصر فلا يستلزم سلبه سلبه قلت اراد ان الكامل
في باب النصرة اذا لم يقدر على نصرهم فغيره ابعد بمراحل : ام لهم نصيب من
الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا : ام منقطعة انكار لان يكون لهم
ملك واشار الى انهم احقاء بذلك بانهم لو نالوه لمنعوا الناس اقل قليل
النقرة في ظهر النواة اضرب عن ذمهم بوصفهم انفسهم بالزكاء الى
ذمهم بالبخل لان الاتصاف بالرذيلة ابلغ ذما من الخلو عن الفضيلة
ولانه كالدليل على ان لا زكاء اذ المعنى انكار يجمع بين الامرين فان ايتاء الملك
كان حريا بان يؤثروا منه جانبا في حب من خولهم وقد عكسوا والمعنى لو كان
لهم نصيب كامل من ملك الله لشحوا باولى شيء كقوله لو انتم تملكون خزائن
رحمة ربي اذا لامسكتم فالفاء في اذن للسببية والجزائية لشرط محذوف
على التقادير ويجوز ان يكون عاطفة والمنكر مجموع الامرين والتوبيخ اي هم اذا
نصيبا من الملك فانهم كانوا ذوي ثروة واموال جزيلة وشحوا باقل قليل
واذن على هذا لزيادة الانكار : ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله
اضراب عن الاضراب تدرجا فان الحسد انكر واشنع لانه بخل واعتراض
على الحكم وعدم الرضا بما قسم والناس رسول الله والفضل النبوة او هو
والمؤمنون والفضل النصر المتواتر والمدد المتكاثر والعز المتظاهر يوما فيوما
فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما : الفاء فصيحة
اي ان كان حسدهم رسول الله والمؤمنين على ما آتاهم من العز والنبوة
والنصر فقد عرفوا ان اسلافه قد اوتوا مع النبوة ملكا عظيما مثل ملك داود
وسليمان فلا بدع في ان يخوله الله تعالى ما خول وهو افضل الرسل وعنه عليه السلام
خيرني الله تعالى بين ان اكون نبيا ملكا وان اكون نبيا عبدا فاخترت ان
اكون عبدا نبيا فانا آكل كما يأكل العبيد واجلس كما يجلس العبيد وقيل هنا بوه
بكثرة النساء فاجيبوا بانه في الانبياء من كان اكثر : فان داود له مائة
امراة وسليمان كان له ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية : فمنهم من آمن به ومنهم
من صد عنه اي فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم
من اعرض عنه وانكره مع علمه او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر
نبوته او من آل ابراهيم من آمن به ومنهم من اعرض وانكر كقوله فمنهم مهتد وكثير
منهم فاسقون : وكفى بجهنم سعيرا : نارا موقدة من سعرت النار اوقدتها
ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت... كان من آل ابراهيم او غيرهم

كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ؛ مكانها جلوداً اخر اذا نضجت
وجعلت حلوقاً صحيحة كما كانت روى ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبدل جلودهم في الساعة الواحدة مائة وعشرين مرة
وروى الامام احمد عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما بين شحمة اذن
الكافر وعاتقه مسيرة سبعمائة عام وغلظة جلده سبعون ذراعا ؛ ليذوقوا
العذاب على الدوام ؛ ان الله كان عزيزاً ؛ غالبا على كل شيء ؛ حكيما ؛ فيما اعده
من العذاب لمن كذب باياته ؛ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ؛ قدم عذاب الكفار لان الكلام مسبوق
لبيان شانهم وفي ايثار السين هنا وصريح ذكر الابد اشارة الى سبق رحمته
غضبه ؛ لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ؛ ظلا وافيا ليس فيها شائبة
حرور في مقابلة ظل الكفار ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب
ترمي بشرر كالقصر ؛ ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ؛ ردف
ما نعي به على اهل الكتاب من الخيانة وتحريف الكلم بالامر باداء الامانة والخطاب
للمؤمنين كافة والامانة تعم ما بين العبد وبين الله تعالى وما بين العباد روى
البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
اراد ان يدخل البيت وكان المفتاح في يد عثمان بن ابي طلحة الحجبي فطلبه
منه فابى فقال علي رضي الله عنه اعط المفتاح لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو علمت انه رسول الله ما منعته فلوى علي يده واخذ منه المفتاح فلما
دخل البيت ودخل معه بلال واسامة بن زيد صلى فيه ركعتين ودعا في نواحي
البيت ثم خرج فطلب العباس منه المفتاح لتكون له السدانة والسقاية
فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فلما جاءه علي بالمفتاح
معتذرا قال اكرمت واذيت اولا فقرا عليه الاية وقال الآن نزلت
في شانك فاسلم عثمان مكانه واستمرت السدانة في اولاده الى يومنا هذا
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ؛ قيل الخطاب للولاة لان الحكم شانهم
والحق عمومه كالاول لما روى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول
عن رعيته والرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته والمراة راعية في بيت
زوجها ومسؤولة عن رعيتها ؛ ان الله نعما يعظكم به ؛ ما نكرة موصوفة اي نعم
شيئا الذي يعظكم به او موصولة اي نعم الشيء وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
بفتح النون وكسر العين وابن كثير وورش وحفص بكسر النون والعين
وابو عمرو وقالون بكسر النون واختلاس كسر العين والاول هو الاصل
والثاني لاتباع النون العين والثالث لطلب الخفة لاجتماع الكسرتين

وهو المختار ؛ ان الله كان سميعا ؛ لاقوالكم في الاحكام ؛ بصيرا ؛ باحوالكم من
الميل الى الحق والى الباطل ؛ يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم ؛ امر الرعايا باطاعة الولاة بعدما وصى الولاة بهم
اطاعة الولاة اطاعة الله ورسوله لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الطاعة في المعروف ولا طاعة للمخلوق
في معصية الخالق والاية عامة في كل من ولي امرا من امور المسلمين ؛ فان
تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ؛ الى الكتاب والسنة ولا دليل
فيه لمنكر القياس لان الرد الى الكتاب والسنة لا يكون الا بالجامع وهو
القياس ؛ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ؛ بالمبدا والمعاد اخرها بعد
ايذانهم بوصف الايمان اشارة الى ان النزاع ليس من اخلاق المؤمنين
ذلك ؛ اي الرد ؛ خير واحسن تاويلا ؛ عاقبة والمراد الزيادة المطلقة
او لا خير في عدم الرد ؛ الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت ؛
تعجيب ممن لم يرض بحكم الله ورسوله نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا
فدعاه اليهودي الى رسول الله عليه السلام ودعا المنافق الى كعب بن الاشرف
فتحاكما الى رسول الله عليه السلام فحكم لليهودي فلم يرض المنافق ودعاه الى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله ولم يرض
بقضائه فقال عمر اكذلك قال نعم فقال مكانكما حتى اخرج فدخل وخرج
والسيف في يده فضرب عنق المنافق وقال هكذا اقضي لمن لم يرض
بحكم رسول الله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق صيغة مبالغة كالناموس
والجاسوس والطاغوت كعب بن الاشرف اما لشدة طغيانه او على
التشبيه بالشيطان استعارة او الشيطان بان جعل التحاكم الى غير رسول الله
تحاكما الى الشيطان وهذا اولى لقوله ؛ وقد امروا ان يكفروا به ؛ اي
بالشيطان لقوله ؛ ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا ؛ اسند
البعد الى الضلال مجازا مبالغة في ضلال صاحبه ؛ واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله ؛ من الكتاب ؛ والى الرسول ؛ والى حكمه ؛ رايت المنافقين
من رؤية البصر ؛ يصدون عنك صدودا ؛ يعرضون عنك الجملة في
محل الحال يدل على انهم كانوا مستمرين على الاعراض ؛ فكيف اذا
اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ؛ بما اكتسبوا من الاثم بالاعراض عن حكم
الله تعالى تهويل للعذاب الذي سينزل بهم ؛ ثم جاؤك يحلفون بالله ان

ان اردنا الا توفيقا احسانا : اليك بان لا نشتغل بالك ولذلك
تحاكمنا الى غيرك : وتوفيقا : بين الخصمين لا اعتراضا عن حكمك ففرج
عنا هذه المصيبة بدعائك وقيل جاؤوا اولياء وبشر المنافق يطالبون بدمه
وقد اهدره الله تعالى فعلى هذا اذا المجرد الظرفية : اولئك الذين يعلم الله ما في
قلوبهم من النفاق ورسوخ العداوة : فاعرض عنهم : مجاملة لاظهارهم الايمان
وان لا يقال محمد يقتل اصحابه : وعظهم : كما هو داب الناصح الشفيق : وقل
لهم في انفسهم قولا بليغا : مؤثرا في انفسهم يغتمون به ويستشعرون منه
الخوف بان يقول حالكم في النفاق معلوم ان بدا منكم شيئا آخر من المخالفة
لم يبق الا استيصالكم وهذه المجاملة ليست الا لاظهاركم الايمان او قل لهم قولا
بليغا في الخلوات لان النصح في الخلوة انجع وادعى الى القبول او الجار متعلق بقل
اى قل لهم في شان نفوسهم المالوفة بالجهل ومرض النفاق بان يداووها
بترياق الايمان وصفو الاخلاص فالتبليغ في هذا الوجه من البلاغة وفي الاولين
من البلوغ بمعنى الوصول والتاثير : وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن
الله تعالى : بسبب اذنه في طاعته او بارادته وتيسيره واذا انحصرت الفائدة
في طاعته فمن ابى فقد نازع الله تعالى في احكامه فكان قتله عين الصواب :
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم : بالتحاكم الى غيرك وستر وجوه النفاق جاؤك
معترفين بالذنب : فاستغفروا الله : طلبوا مغفرته : واستغفر لهم الرسول
شفيعا عدل من الخطاب الى لفظ الرسول دلالة على ان من كان في منصب
الرسالة حقيق ان يكون شفيعا للمذنبين : لوجدوا الله توابا رحيما : قابلا
لتوبتهم متفضلا عليهم : فلا وربك لا يؤمنون : لا مزيدة للقسم كما في لا اقسم
والتاكيد الدلالة على ان القسم مستتبع نفيهم : حتى يحكموك فيما شجر بينهم
فيما التبس عليهم ومنه الشجرة لاختلاط اغصانها وفي لفظ التحكيم اشارة الى
انه يجب ان يكونوا هم الطالبين منك لحكم الساعين اليك : ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت : ضيق صدر وقلق : ويسلموا : وينقادوا لك
تسليما : انقيادا ظاهرا : روى مسلم والبخاري انها نزلت في الزبير ورجل
من الانصار اختصما في شراج من الحرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير
ثم ارسل الماء الى جارك فقال الانصاري لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله
وقال اسق يا زبير حتى يرجع الماء الى الجدر كان في الاول امره بما كان فيه رفق
لصاحبه فلما احفظه استوفى لزبير حقه والقول بان خصم زبير حاطب ابن
ابى بلتعة سهو لان حاطبا حليف قريش : ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم كما كتبنا على بني اسرائيل : او اخرجوا من دياركم تنزلا الى الادنى

ما فعلوه

ما فعلوه الا قليل منهم : وقرا ابن عامر الا قليلا وهو الحمل او الا فعلا قليلا
كائنا منهم وفيه توبيخ شديد حيث جعلهم اقل انقيادا من بني اسرائيل وهم
خير القرون من غير امته وعن شريح بن عبيد لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عبد الله بن رواحة وقال هذا من ذلك القليل : ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
آثره على يؤمرون به اشارة الى ان اوامره من قبيل الوعظ والنصح كالدواء
المر من الطبيب : لكان خيرا لهم : عاجلا وآجلا : واشد تثبيتا : لدينهم او لاعمالهم فيه
من المال والمآل : واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما : عطف على الجزاء وزيادة
اذن للدلالة على ان هذا الجزاء بعد ترتب التابق ويحتمل القسم اى اذن والله
لآتيناهم كما في قول الحماسي : اذن لقام بنصري : ولهديناهم صراطا مستقيما : لا
اعوجاج فيه اخره عن اعطاء الاجر لانه المقصود منه : ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين : متصل بقوله اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وحديث المنافقين واعراضهم مستطرد روت عن عائشة وابن عباس
وغيرهما ان ناسا من اصحاب رسول الله شكوا اليه شدة حبهم اياه وخوفهم من
فراقه في الجنة فانه يرفع الى اعلى المنازل فنزلت : من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين : بيان للمنعم عليهم اربعة اقسام الانبياء الذين حازوا قصب السبق
في مضمار السعادة جمعوا بين الكمال والتكميل وهم الواسطة بين الله وبين عباده
في العرفان والاتصال والصديقون المبالغون في التصديق كابي بكر وعمر
ومن نهج منهجهم رضي الله عنهم والشهداء الذين جادوا بارواحهم في اعلاء كلمة
الله تعالى اخلاصا والصالحون الذين صلحت احوالهم مع الله وعباده لا الذين
عرفانهم بالله بامارات واقناعات لعدم الاعتداد بها في العقايد لا سيما
في معرفة الله تعالى : وحسن اولئك رفيقا : الرفيق كالصديق يطلق على المفرد
والجمع والظاهر انه جمع حال او تمييز ويجوز ان يكون تمييزا مفردا قصد به بيان
الجنس كالماء والعسل : ذلك الفضل من الله : مبتدا وخبر على ان الجار والمجرور من
تتمة الخبر حال منه او الفضل صفة ذلك والجار والمجرور هو الخبر اى ذلك الانعام تفضل
منه تعالى وفيه حث على الدخول في زمرتهم : وكفى بالله عليما : بمن هو اهل لذلك
يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم : الحذر والحذر كالاثر والاثر والتيقظ و
الاحتراز جعل ماخوذا على طريقة الاستعارة بالكناية ببيان رتبة التشهيد
لما يحث على المبادرة الى نيلها من غير عدة واسباب فاشار الى ان القصد
اعلاء كلمة الله تعالى واهلاك اعدائه وذلك بالاسباب والآلات : فانفروا
ثبات : جماعات كالسرايا جمع ثبة من ثبيت فلانا اذا ذكرت مآثره
وانفروا جميعا : جيشا واحدا وكوكبة مجتمعة : وان منكم لمن ليبطئن : اللام

اللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان لوقوع الخبر فاصلا والثانية
جواب القسم والقسمية خبر لمن وليبطئن بمعنى تبطأ والتشديد للتكثير والتعدية
اي ليبطئن غيره ويدعوه الى التقاعد هذا كان حال المنافقين كما فعل عبد الله بن
ابي يوم احد انخزل مع ثلثمائة ✽ فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا ✽ بعد ذلك من نعم الله تعالى عليه ✽ ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن
كان لم يكن بينكم وبينه مودة ✽ اعتراض بين القول ومقوله وهو ✽ يا ليتني كنت
معهم ✽ يشتمل على التهكم لان تشبيه حالهم بحال عديم المودة يشعر بثبوت
المودة بينهم ومعلوم ان لا مودة لان الكلام في بيان نفاقهم وجعله داخلا
تحت المقول بان يقول المنافقون لضعفة المسلمين كان لم يكن بينكم وبين محمد
مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز بعيد عن المقام بل غير دافع جزما وقرا ابن
كثير وحفص لم تكن بالتانيث والتذكير احسن لوجود الفاصل ✽ فافوز فوزا عظيما ✽
عدوا ما نالوه من سهم الغنيمة فوزا عظيما لقصور نظرهم على حطام الدنيا ✽ فليقاتل
في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ✽ يشترونها ويختارونها على
الاخرة حث المبطئين على التشمير واللحوق بالفائزين الفاء للتعقيب او حث
للمؤمنين على القتال وان لا يبالوا بالمنافقين والفاء جواب شرط مقدر
والمعنى ان بطأ هؤلاء المؤثرون للحيوة الدنية فليقاتل في اعلاء كلمة الله الذين
باعوا الحيوة الدنيا واشتروا بها الاخرة ✽ ومن يقاتل في سبيل الله كائنا من
كان ✽ فيقتل او يغلب ✽ قدم القتل مع ان قصد المقاتل الغلبة لنفور النفوس منه
فسوف نؤتيه اجرا عظيما ✽ لا يحيط به الا علام الغيوب ✽ وما لكم ✽ مبتدأ وخبر
اي اي صارف لكم ✽ لا تقاتلون في سبيل الله ✽ حال كونكم غير مقاتلين في
سبيل الله ✽ والمستضعفين ✽ وسبيل المستضعفين وهو استخلاصهم من ايدي
المشركين او نصب على الاختصاص لان سبيل الله يشمل ابواب البر كانه قيل واخص
من ذلك خلاص هؤلاء الضعفة ✽ من الرجال والولدان ✽ بيان للمستضعفين
على وجه الترقي من الاقوى لانه اذا كان مستضعفا فالاضعف اولى وذكر الولدان
للدلالة على فرط ظلمهم حيث عذبوا الاطفال الذين هم محل الرافة والترحم وقيل
الولدان العبيد والاماء لاطلاق الوليد عليهما ويجمع على الولدان والوجه هو الاول
لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه كنت انا وامي منهم ✽ الذين يقولون
ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها ✽ هي مكة شرفها الله تعالى وصفت بوصف
اهلها ✽ واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ✽ فاستجاب الله دعاءهم
فخرج من خرج وفتح الله مكة على رسوله فجاءهم خير ولي وخير ناصر من غير كلفة ومشقة
وليس الذي يستتبع القطر دائما كمن جاء في داره وابل القطر فخرج بعد فتح مكة الى هوازن

وهي غزوة حنين وولى عتاب بن اسيد واليا على اهل مكة وكان سنه ثماني عشرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت اسيدا في الجنة وكان مات مشركا فاولته
بابنه ✽ الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله ✽ ترغيب للمؤمنين بان قتالهم
في ازالة لانجاس المشركين واماطة الاذى من سبيل الله ✽ والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت ✽ في طريق الشيطان الموصل الى النار ✽ فقاتلوا
اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ✽ فانه الوسوسة والكذب
كان يوم بدر مع المشركين وقال لا غالب لكم اليوم من الناس فلما راى امداد
الملائكة نكص على عقبيه وقال اني ارى ما لا ترون ✽ الم تر الى الذين قيل لهم
كفوا ايديكم ✽ عن القتال ✽ واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ✽ كان المفروض
بمكة من الاحكام الصلوة والزكوة بمعنى مواساة الفقراء والمساكين
ومقاديرها بينت بالمدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مامورا بترك
التعرض للكفار بقوله ودع اذاهم واصبر ونظائرهما فجاء عبد الرحمن بن
عوف واناس من الصحابة يستاذنون في القتال فلم ياذن لهم ✽ فلما
كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله ✽ كاهل خشية الله
اي حال كونهم مشبهين بهم ✽ او اشد خشية ✽ عطف على الحال والمعنى يخشون
الناس حال كونهم اشد خشية من اهل خشية الله فالتفاضل بين خشيتي الفريقين
ولا يجوز ان يكون اشد صفة مصدر محذوف اي الخشية الموصوفة باشد
يلزم ان يكون اقوى من سائر الخشيات في الخشية ولا يستقيم الا على طريقة جد جده
وقد تقدم مستوفي في اشد قسوة في البقرة ✽ وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب ✽ زيادة توبيخ حيث لم يكتفوا بما في ضميرهم من الخوف
بل اظهروا التضجر ✽ قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى فلم تظلمون
الا فاته على ذلك القليل ✽ ولا تظلمون فتيلا ✽ ادنى شيء من ثوابكم وقرا ابن
كثير وحمزة والكسائي بياء الغيبة والخطاب على الالتفات ابلغ في التسلية
اينما تكونوا يدرككم الموت ✽ في اي مكان كنتم ✽ ولو كنتم في بروج مشيدة ✽ في
قصور مرتفعة حصينة وعن السدي في بروج السماء واذا كان الموت
امرا محتوما وقدرا مقدورا فلا وجه لطلب تاخير القتال ولا للاحجام في القتال
بدنيه ولا للاقدام بقصيه ✽ وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ✽ والضمير للمبطئين وما في البين مستطرد
ولترغيب المؤمنين وقيل نزلت في اليهود وقالوا منذ قدم محمد غلت الاسعار
ونقصت الثمار والحسنة تطلق على الطاعة والنعمة وكذا السيئة على الاثم
والبلية والمراد بهما الخصب والقحط بقرينة الاصابة ونحته لكثرة الوقوع وكان

الظاهر اذا وانما اثرانه للدلالة على انهم احقاء بان يتواتر عليهم النعم: قل كل من
عند الله: بيده القبض والبسط: فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا:
شيئا من الحديث وحديثا كاملا في البيان والبلاغة او هو القرآن احسن الحديث
الناطق بان الامر كله اليه ولا واسطة في احكامه: ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك: لانها الواسطة في استجلابه وان كان من
عند الله ايجادا وخلقا والخطاب عام والاحسن ان يكون الخطاب لرسول الله
دلالة على انه مع زكائه عن الشوائب وقربه من الله اذا كان كذلك فالغير اولى وعن
بعض العارفين اذا عصيت الله علم من خلق وابتلي: وارسلناك رسولا: وبجار يتعلق
برسولا اي للناس كافة فلا ينبغي ان يخرج احد من طاعتك وفيه اشارة الى تعكيسهم
حيث تشاءموا بالرحمة المرسلة وجالب خير الدارين: وكفى بالله شهيدا على رسالتك
بان ايدك بمعجزات ظاهرة وايات باهرة دالة على صدق دعواك: من يطع
الرسول فقد اطاع الله: بالغ في حث على اتباعه بجعل طاعته طاعة ثم تهدد بقوله ومن
تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا: رقيبا ضابطا لاحوالهم ما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
ويقولون طاعة امرنا وشاننا طاعتك: فاذا برزوا من عندك: ظهروا: بيت
طائفة منهم غير الذي تقول: دبرا امرا آخر من بيت الامر اذا دبره بالليل لانه
يجمع الآراء والحواس فالتفكر فيه اصوب وادغم التاء في الطاء ابو عمرو وحمزة لقرب
المخرج: والله يكتب ما يبيتون: علام الغيوب اذا كتب شيئا دل على كمال مجازاة
فاعله والاسناد مجاز لانه الآمر وما موصولة والمصدرية ابلغ: فاعرض عنهم و
توكل على الله: فوض امرك اليه: وكفى بالله وكيلا: موكولا اليه ولا ينافي هذا لبس
آلات الحرب وسائر مكائد القتال لانها اسباب دافعة لوسواس الشيطان
افلا يتدبرون القرآن: فيستدلون به على رسالتك لانه كلام فوق طوق البشر
صادر عن امي لم يتعاط كتابة وترتيبا وخطبا والتدبر النظر في دبر الشيء وعواقبه
والتفكر في مقدماته وسوابقه ثم استعمل في كل تامل: ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا: بان يوجد فيه موضع طعن يدركه ارباب البلاغة ولم يقع ذلك
مع انه نزل منجما بين اقوام حراص على القدح فيه ومعنى بان يوجد فيه نقل تخالف
لما في زبر الاولين مع احتوائه على احوال المبدا والمعاد واحكام الشرائع اصولا
وفروعا وما قيل لو كان من عند غير الله لكان مختلفا بعضه بالغا حد الاعجاز و
بعضه قاصرا عنه بناء على الفرض اي لو فرض وقوع معجز فيه لكان في البعض خاصة
او يكون ماخوذا من كلام الله تعالى على طريق الاقتباس ونحوه: واذا جاءهم امر من
الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الله والرسول والى اولي الامر منهم
عطف على ويقولون طاعة وقوله افلا يتدبرون القرآن اعتراض تحذيرا عن

اظهار

اظهار ما يخالف الظاهر وان في تدبر القرآن ما يجر الى طاعة المنزل عليهم ويجبرهم
بعض ضعفة المؤمنين لان ضمير يقولون يعم الجميع وغيره وكان هؤلاء اذا بلغهم من
سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم امر يسر او يحزن بادروا الى اذاعته وافشائه
فيقع بذلك مفاسد ولو القوا ذلك الخبر بعد سماعه الى رسول الله وذوي التجارب
لعلمه الذين يستنبطونه منهم: اي يستخرجون تدبيره بافكارهم الثاقبة من استنبط
الماء اذا اخرجه من البئر بكدح ومشقة وقيل كانوا اذا وقفوا على امر من الامن
او الخوف من رسول الله واطلعوا عليه من جهته اذاعوه وكان في ذلك مفاسد
لو سكتوا عنه كانهم لم يسمعوا لعلم المستنبطون كيفية تدبيره ولما اشاع ان رسول الله
طلق نساءه سال عمر هل طلقت نساءك قال لا قال عمر انا من الذين يستنبطونه
وقيل كانوا يسمعون امر الامن او الخوف من افواه المنافقين وردوه الى
الرسول والى اولي الامر او عدم اذاعته الى ان يسمعوا منهم فالمستنبطون هم المذيعون
استعلامهم بخبر من الرسول واولي الامر فمن على هذا ابتدائية وعلى الاولين بيانية
تجريدية او تبعيضية: ولولا فضل الله عليكم ورحمته: ايها المؤمنون بارسال
الرسول: لاتبعتم الشيطان الا قليلا: منكم يوفقه الله بعلم من لدنه كزيد بن نفيل
موحد بالجاهلية لم يسجد لصنم ولم ياكل ذبيحة المشركين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثنا عليه يحشر يوم القيامة امة واحدة والتمثيل بورقة بن نوفل سهو لانه ادرك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به واخبره بانهم يستخرجونه من مكة ويعادونه وتمنى
ان يدرك ذلك اليوم رواه البخاري والمعنى ولولا فضل الله عليكم ايها الرسول و
المؤمنون لاتبعتم الشيطان بالاصغاء الى المتبطئين في ترك القتال الا قليلا
هو الرسول والمستنبطون وهذا انسب للمقام وفيه احماد حال الاقوياء وتحريك حمية
الضعفاء واذا وفقت ايها الرسول بهذا التوفيق من تجنب اتباع الشيطان ورايت
هذا الفضل فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك: فعل نفسك: وحرض
المؤمنين: بما اعده الله من الاجر لمن يقاتل في سبيله: عسى الله ان يكف باس الذين
كفروا: من قريش وقد فعل فان ابا سفيان واعد رسول الله يوم احد ان يلقاه في
القابل ببدر فالقى الله الرعب في قلبه فلم يجترئ على المجيء: والله اشد باسا واشد
من كل ذي باس: واشد تنكيلا: تعذيبا كالازم للاول: من يشفع شفاعة
حسنة يكن له نصيب منها: من اجرها والشفاعة من الشفع لان الشافع يضم نفسه
الى ذي الحاجة والحسنة ما كانت لدفع مفسدة دينية او جلب مصلحة لذلك
ومن يشفع شفاعة سيئة: ما يجلب وزرا: يكن له كفل منها: من وزرها
الكفل المثل من الكفالة وهي القيام بمثل ما على الغريم اثره لان جزاء السيئة سيئة
مثلها بخلاف الحسنة فان الاجر فيها يضاعف: وكان الله على كل شيء مقيتا: مقتدرا

من اقامات على الشيء اقتدر قال زبير بن عبد المطلب وكنت على اسآءته مقيتا اسنعافه
من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها
ارد ف الشفاعة التي هي من حقوق المسلمين اموا فضل منها وهو السلام روى
البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الاسلام افضل قال ان تطعم الطعام وتقرأ
السلام على من عرفت ومن لم تعرف وروى ان جريرا ان سلمان الفارسي
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك فقال وعليك
السلام ورحمة الله ثم جاء اخر فقال السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك
السلام ورحمة الله ثم جاء اخر فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الرجل يا رسول الله زدت فلانا
فقال انك لم تدع شيئا وقال الله تعالى او ردوها فرددها عليك ابتداء
السلام سنة وردها فرض وبذا انما يستطرف يقال سنة افضل من الفرض وله
مواضع يستثنى فيها ترك كالخلاء والحمام والصلوة فان سلم لا يستحق الجواب
ومن ادابه ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس
على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر وابتداؤه من واحد كاف
وكذا الرد ان الله كان على كل شيء حسيبا محاسبا مجازيا عليه حث على محافظة
فانه فما يتساهل فيه الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر ولا اله الا هو اعتراض يؤكد
معنى الالوهية والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة واللام جواب قسم محذوف
تعليل لما قبله وعدي بالى لتضمين معنى الحشر لا ريب فيه اي في يوم القيمة حال
من اليوم او في الجمع صفة مصدر ومن اصدق من الله حديثا اي لا احد لان
الكذب بالضرورة او الجهل بقبحه وعلام الغيوب والغني المطلق محال في حقه تعالى
عن ذلك علوا كبيرا اقرا حمزة والكسائي باشمام الصاد زايا لان الصاد
مهموس والدال مجهور وقرب بينهما بحصة من الزاي فما لكم في المنافقين فئتين
نصب على الحال كقولك ما لك قائما اي اي شيء ظهر لكم من امارات الايمان حتى
افترقتم في شانهم روى الامام احمد عن زيد بن ثابت انها نزلت في الذين
انخزلوا يوم احد تكلما ثم رجعوا وعن ابن عباس في قوم تكلموا بالاسلام بمكة وخرجوا
مظاهرين للمشركين وقيل في قوم هاجروا ثم استاذنوا رسول الله في البدو
والاجتواء المدينة فلحقوا بالمشركين وقيل في العرنيين قتلوا راعي رسول الله ونهبوا
سرحه ولا يكاد يصح انهم قتلوا في ذلك اليوم شر قتلة قطعت ايديهم وارجلهم وسمرت
اعينهم والقوا في الحرة حتى ماتوا عطشا والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى الكفر
بما كسبوا من اسبابه من الركس وهو رد الشيء مقلوبا بالجملة حالية تؤكد معنى الانكار
ولذلك اعاده بقوله اتريدون ان تهدوا من اضل الله جعل ترددهم في ايمانهم بعد

ظهور نفاقهم بمثابة الارادة لما اراد الله ضده ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
الخطاب للرسول الله لانه رسول رحمة للعالمين فاذا لم يقدر هو فغيره بمراحل ودوا
لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء في الكفر والشقاء استيناف لبيان بعد حالهم
عن الاهتداء فلا تتخذوا منهم اولياء لا تحبوا اسلميهم حتى يهاجروا في
سبيل الله لا توالوهم ليظاهروا ايمانهم بهجرة خالصة في الجهاد معكم او من مكة
فان تولوا اعرضوا عن ذلك الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في
الحل والحرم اذ لا فرق بينهم وبين سائر المشركين ولا تتخذوا منهم وليا ولا
نصيرا لا يستطيع الحبل بينكم من كل وجه زيادة على سائر الكفار لانهم اخبث
الكفرة وفي ذلك بالغ بتكرير النهي وتنكير المفعول وتكريرا الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم لا من لا تتخذوا
منهم وليا لان اتخاذ الولي حرام بلا استثناء بخلاف القتل والقوم هم الاسلميون
ستيدهم هلال بن عويمر كان بينه وبين رسول الله عهد سنة الفتح ان لا يعينه
ولا يعين عليه ومن وصل اليه والتجأ اليه فله الجوار وقيل هم بنو بكرة بن مناة او
جاءوكم حصرت صدورهم قد حصرت في محل الحال والعطف على الصلة اي
او الذين كفوا عن قتالكم دلالة على ان الكافة عن القتال احد سببي عدم التعرض
كالاتصال بالمعاهدين ويجوز عطفه على الصفة والمعنى او الذين يصلون الى قوم
حصرت صدورهم فان المتصل بمن كف حكمه حكمه والاول اوجه لان المتصل بالكاف
كاف فلا وجه للالحاق به بخلاف المتصل بالمعاهد ولان قوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
تقرير للكف لا للاتصال ولانهم هؤلاء بنو مدلج سيدهم سراقة بن مالك جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسال ان يوادع قومه فان اسلم قريش اسلموا فبعث معه خالد بن
الوليد فصالحهم على ان لا يعينوا رسول الله ولا يعينوا عليه وان اسلمت قريش اسلموا
ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم لان كراهة قتال الفريقين محل الحصر الصدر
ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان يقوي قلوبهم على قتالكم فلقاتلوكم فيه بعد
ذلك الا غزال والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا للتعرض بوجه
ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هؤلاء منافقوا الاعراب
حول المدينة غطفان وبنو عبد الدار وبنو اسد كانوا اذا قدموا المدينة اظهروا
الايمان واذا رجعوا الى قومهم كفروا كلما ردوا الى الفتنة كلما دعوا الى الشرك
او قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها شر قلب لان الواقع في الحفرة منكوسا
شر من الواقع سويا فان لم يعتزلوكم في جانب ويلقوا اليكم السلم الانقياد
ظاهرا اشارة الى عدم ايمانهم باطنا ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم في اي مكان تمكنتم منهم الثقف من قوله حيث وجدتموهم

لانه اشتقاقه في الاصل الخفة وبحذف اولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة
لانكشاف حالهم وعظم جرمهم. وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ما كان
من شيم المؤمن واخلاقه قتل اخيه المؤمن في شيء من الاحوال او لعلة من العلل
او قتلا بوجه الا في حال الخطأ او للخطأ ولا يلزم منه جواز القتل خطأ شرعا نزلت
في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل لانه قتل الحرث بن زيد العامري خطأ وذلك ان
عياشا اسلم قبل الهجرة ولما جاء الى المدينة حلفت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها
سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحرث فوجداه في اطم فقال له ابو جهل اليس
محمد يامر بصلة الارحام صل امك وانت على دينك فلم يزل به حتى انزل فلما فسحا به
من المدينة كتفاه وضرب كل منهما مائة جلدة فقال هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان
تمكنت منك ان اقتلك فقدم على امه فحلفت ان لا تحل كتافه حتى يكفر فارتد ثم هاجر
ثانيا ولما هاجر بعده الحارث فلقيه عياش بقباء ولم يدر باسلامه فقتله والقتل خطأ ان لا يقصد
القتل او الشخص او يقصد بما لا يزهق غالبا او يقصد ولا يكون مكلفا. ومن قتل مؤمنا
خطأ فتحرير رقبة مؤمنة فعليه او فواجبه اعتاق نفس مؤمنة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لا تصح الا اذا عقلت وصامت والتحرير جعل الشيء حرا وهو في الاصل الكريم الخالص من العيب
واطلاق الرقبة من اطلاق الجزء الذي لا يوجد الكل بدونه عليه اثره لانه محل الزينة في
الانسان كطول الذقن وطول اعناقا يوم القيمة. ودية مسلمة الى اهله الى ورثته
فان الدية ميراث لما روى الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله ان اورث
امراة اشيم الضبابي من دية زوجها وهذه الدية على العاقلة مخففة لما روى البخاري عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بها على العاقلة فان لم توجد عاقلة
فعلى بيت المال لما روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه لما قتل خالد بن الوليد بني جذيمة
خطأ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فوداهم وكذا اذا لم يكن للميت وارث فالدية
لبيت المال. الا ان يصدقوا. اي الا ان يعفوا اهل الميت عن الدية عبر عنه بالصدقة حثا
عليه ولان كل معروف صدقة والاستثناء من اعم الاحوال. فان كان من قوم عدو لكم
وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة. اي ان كان المقتول مؤمنا واهله كفرة محاربون
ولا وراثة بين المؤمن والكافر فالواجب التحرير لانه حق الله كيلا يسقط اتلاف نفس
فعليه احياء اخرى لان الرق موت معنى والعدو في الاصل مصدر اطلق على الجمع. وان
كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اي
وان كان المقتول من اهل الذمة او من قوم معاهدين فالحكم في الدية والتحرير حكم
المسلم لان اهل الذمة ضعفة ربما يطمع فيهم والتحرير حق الله لا طالب له ربما يتساهل
فيه وحمل الشافعي الرقبة المطلقة في سائر الكفارات على المؤمنة هنا على حمله من حمل
المطلق على المقيد مطلقا. فمن لم يجد الرقبة بان لم يجدها ولا ما يتوصل به اليها

فصيام شهرين متتابعين قيد التتابع تغليظ عليه فان افطر فعليه الاستئناف
توبة من الله مفعول له المقدر اي شرع ذلك. وكان الله عليما باحوال عباده
حكيما في شرع الاحكام على الوجه المذكور لم يوجب القصاص على الجاني خطأ ولم
يهمل شان المقتول راسا وشرع الدية والتحرير رعاية لحق الله وحق العباد
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما. اي جزاؤه ذلك واللائق به الا ان الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء
او محمول على الاستحلال توفيقا بين الادلة وعلى هذا اجماع الصحابة وروي عن ابن
عباس خلافه روى الترمذي والنسائي وابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لزوال الدنيا اهون على الله من قتل مسلم وروى الترمذي عن ابي هريرة وابي
سعيد رضي الله عنهما لو ان اهل الدنيا اشتركوا في دم مسلم لاكبهم الله تعالى في النار وروي
ايضا عن ابن عباس رضي الله عنه ان المقتول ياتي يوم القيمة واوداجه تشخب دما يقول
يا رب سل هذا لم قتلني فيذنبه الله حتى يدنيه من العرش. يا ايها الذين امنوا اذا
ضربتم في سبيل الله فتبينوا بالغوا في الكشف والاحتياط حتى لا تقعوا في محرم
وقرا حمزة والكسائي هنا وثانيا فتثبتوا بالثاء من الثبات عدم العجلة في
قتل من ترونه في دار الحرب ربما كان اسر اسلاما ولا تقبلوا قول كل مخبر
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه
كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه واخذوا غنيمته فنزلت
وقرا نافع وابن عامر وحمزة بقصر السلام بمعنى الانقياد والطاعة وهو المختار
لانه مناط حقن الدم وعلم الرسم. تبتغون عرض الحيوة الدنيا. لا مهلا وكلمة الله تعالى
فعند الله مغانم كثيرة له خزائن السموات اطلبوا الرزق من وجه اخر كذلك
كنتم من قبل غير مشتهرين بالايمان تا بين العدم فيه فمن الله عليكم بالثبات و
الرسوخ. فتبينوا كرره تاكيدا روى البخاري ومسلم ان سرية اغارت على فدك
فراوا رجلا في غنمه فشد عليه اسامة بالسيف فقال لا اله الا الله فلم يرجع عنه
فقتله فاخبر بذلك رسول الله فشق عليه وقال كيف بك اذا جاء يوم القيمة ولا اله الا
الله معه قال انما قال خوفا من السيف فقال هلا شققت قلبه قال اسامة ما زال
يكررها حتى تمنيت ان لو اسلمت ذلك اليوم. ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما فجازيكم
لا يستوي القاعدون من المؤمنين الامر بالتثبت يوقع في الوهم التقاعد عن الجهاد
فحث على المبادرة اليه والجار والمجرور في محل الحال. غير اولي الضرر ذوي العاهات
من العمى والمرض والعرج وغيرها روى البخاري عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
املى علي لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وفخذه على فخذي
فجاء ام مكتوم وهو يمليها فقال لو استطيع لجاهدت فثقلت فخذه على فخذي حتى خشيت

ان يرضي فخذي ثم سري عنه فقال اكتب غير اولي الضرر قال زيد كأني انظر الى ملحقها
عند صدع الكتف وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة غير اولي بالرفع على الوصف لان القاعدين
لا توقيت فيه والاخبار بعدم التساوي مع كونه معلوما باوائل العقول لاذكار ما
بينهما من التفاوت حتى يعطف السامع لياتف عن التقاعد مثله هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؛ والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
اي في اعلاء الكلمة ؛ فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ؛
استئناف لبيان عدم التساوي وانتصاب درجة بنزع الخافض او على المصدر
وكلا وعد الله الحسنى ؛ كلا من المجاهد والقاعد المثوبة الحسنة ؛ وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما ؛ نصب على المصدر لتضمن فضل معنى اجر ؛ درجات
منه ومغفرة ورحمة ؛ بدل من اجرا ونصب درجات على المصدر كقولك ضربته
اسواطا كانه قيل فضلهم تفضيلا ونصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما وانما كرر
جزاء المجاهدين اعتناء بكون الجهاد وسنام الدين وافرد الدرجة اولا وجمعه ثانيا
اشارة الى ان التنكير للتعظيم فهي في المعنى درجات والاولى درجتهم عند الله تعالى
والثانية مراتبهم في الجنة او الدرجة في الدنيا من الغنيمة والذكر الجميل والدرجات
في الاخرة ولذلك اردفه بالمغفرة والرحمة او الدرجة لمن جاهد بالمال والنفس و
والدرجات لمن ربط نفسه على الله تعالى او الدرجة للجهاد الاصغر والدرجات للاكبر
وهو جهاد النفس على ما روي عنه انه قال في انصرافه من تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر واما قيل ان المفضلين درجة هم المفضلون على القاعدين اولي الضرر
والمفضلون درجات المفضلون على من تخلف من غير عذر اكتفاء بغيرهم لان الجهاد
فرض كفاية ففيه ان اولي الضرر لا ينقص اجرهم دل على الاستثناء كما اذا قلت لا
تساوي زيد وعمرو في العطاء الا اذا كان عمرو فقيرا ولما روى البخاري عن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم
واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ؛ وكان الله غفورا
لما فرط منهم ؛ رحيما ؛ ولذلك اجزل لهم الاجر ؛ ان الذين توفاهم الملائكة ؛ يحتمل
الماضي والمضارع نزلت في قوم اقاموا بين المشركين حيث كانت الهجرة واجبة
ظالمي انفسهم بعدم الهجرة ؛ قالوا فيم كنتم ؛ اي قال الملائكة في اي شان كنتم
حيث لم تهاجروا توبيخا لهم ؛ قالوا كنا مستضعفين في الارض ارض مكة
قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؛ تكذيبا لهم ؛ فاولئك مأويهم
جهنم ؛ دل على انهم كاذبون في الاعتذار عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت
في طائفة منهم قتلوا يوم بدر خرجوا مع المشركين ؛ وساءت مصيرا ؛ اي
جهنم ؛ الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة

من الزاد

من الزاد والراحلة ؛ ولا يهتدون سبيلا ؛ لا معرفة لهم بالطريق ولا يطعرون
بالرفع صفة المستضعفين مع عطف عليه لعدم التوقيت فيه وانما ادخل الولدان
في حكم الرجال والنساء مع انهم لا يستحقون الوعيد وان استطاعوا لعدم التكليف
مبالغة في شان الهجرة وايهاما بان غير المكلف لو استطاع لوجب عليه وآباؤ
الى ان بعد البلوغ لا محيص عنها ؛ فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ؛ ذكر بكلمة عسى
والعفو على التضييق في ترك الهجرة بان من لم يجب عليه ان يعتقد تركها دينا ويحتاج
الى العفو المرجو ؛ وكان الله عفوا ؛ عن المضطر ؛ غفورا ؛ ستارا لزلاته ؛ ومن
يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ؛ اي طريقا واسعا واتساعا
في الرزق ترغيب في الهجرة ؛ قال النابغة كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب
او طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم منهم يقال راغمت فلانا قومه اذا نابذهم
مغاضبة من الرغام بالفتح وهو التراب ؛ ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت ؛ نزلت في حكم بن حزام الاسدي وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت
في ضمرة بن جندب لما سمع قوله تعالى لا يستطيعون حيلة فقال لا ولا دواحملوني على
السرير وكان شيخا كبيرا لا يستمسك على الراحلة فلما بلغ التنعيم ادركه الموت
فضرب بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لرسولك وهذه لك ابايعك على ما بايع
عليه رسولك ؛ فقد وقع اجره على الله ؛ في ايثار وقد ولفظ الوقوع وعلى الدالين
على اللزوم وابهام الاجر والتعبير عنه بالاجر دون الثواب والاسم الجامع شان
في المبالغة ليس بالخفي ؛ وكان الله غفورا ؛ لما فرط منه ؛ رحيما ؛ حيث جعل قاصد
الفعل كفاعله ؛ واذا ضربتم في الارض ؛ ضرب في الارض سار فيها لطلب الرزق
ثم اتسع فيه ؛ فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ؛ الرباعية باسقاط ركعتين
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ؛ خارج مخرج الغالب اذ كانت اسفارهم
غزوات وسرايا ولما روى مسلم عن يعلى بن امية سالت عمر بن الخطاب ما لنا
نقصر وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته وروى
الترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج من المدينة لا يخاف الا رب العالمين يصلي ركعتين الى مكة استدل الشافعي
رحمه الله تعالى بقوله لا جناح عليكم في جواز الاتمام وبما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم كل ذلك فعل وشرطه ان يكون سفرا
مباحا لقوله في المضطر غير متجانف لاثم فاذا شرط جواز اكل الميتة لابقاء المهجة
بعدم العصيان فالقصر اولى بذلك واستدل ابو حنيفة رحمه الله تعالى على اطلاق
السفر باطلاق الاية وعلى كون القصر عزيمة بما روى البخاري ومسلم عن عائشة

فرضت الصلوة ركعتين فاقرت صلوة السفر لما جر رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد
في صلوة الحضر وبهذا يسقط ما قيل ان القصر في الاحوال كلا لا يما ∴ والتخفيف دون الكم
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ∴ علة للتخفيف ∴ واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة ∴
تعلق بظاهره من لم يجوز صلوة الخوف بعده والصواب خلافه لانها اذا جازت
مع وجوده فبعده اولى ∴ فلتقم طائفة منهم معك ∴ مصلين معك ∴ وليأخذوا
اسلحتهم ∴ اي المصلون امر ندب وقيل امر وجوب ∴ فاذا سجدوا فليكونوا من
ورائكم ∴ اي الساجدون لحراسة ∴ ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك ∴
استدل به مالك على ان الطائفة تتم صلوتها ثم تذهب الى وجه العدو والكل صواب
لانه صلى بعسفان وبذات الرقاع وببطن النخل مختلفا وقد روي عنه الامام احمد
ست طرق في كيفيتها ∴ وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ∴ جعل الحذر مأخوذا تنزيلا منزلة
الآلة وانما ضم اخذه الى الاسلحة هنا دون الاول لانه حال الصلوة وقت انتهاز
الفرصة فامروا بكمال التحفظ ∴ ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون
عليكم ميلة واحدة ∴ استئناف تعليلا للامر بالتحفظ ∴ ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى
من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم ∴ دفعا للاذى ورفع الجناح ربما يوهم ان الامر
الاول للوجوب ∴ وخذوا حذركم ∴ لئلا يهجم العدو ∴ ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ∴
تقوية لقلوبهم واشارة الى ان الامر باخذ الحذر والاسلحة لكونها نوعا من العادة
والاعتصام انما هو بعصمة الله تعالى ∴ فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم ∴ اذا اردتم اداءها استدل به الشافعي رحمه الله على وجوب الاداء حال
المسايفة والمقارعة وحمل قوله ∴ فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ∴ على حالة الامن
اي اذا وجدتم سعة لاداء الاركان واتمام الافعال ودونه لم يعدم التراخي بين الخوف والامن
والمعنى عند ابي حنيفة اذا صليتم صلوة الخوف فداوموا على ذكر الله في الاحوال كلها
كقوله يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقوله فاذا
اطمأننتم عطف على واذا ضربتم في الارض وذكر صلوة الخوف مستطرد لتقدم ذكر
الخوف في صلوة السفر ∴ ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ∴ مكتوبة
مقيدة بوقت لا يجوز تأخيرها عنه كسائر الموقتات يؤيد ما ذهب الشافعي من
وجوب الاداء حال المسايفة وقيل موقوتا مفروضا لان الوقت من لوازمه اما مضيقا
او موسعا ولا دلالة فيه على ان الكفار غير مكلفين بالفروع بل هو كقوله هدى للمتقين
ولا تهنوا في ابتغاء القوم ∴ بعد التخفيف عنهم اشد تخفيف حثهم على التعرض ببرهانه
جلي ∴ ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
اي اذا ساويتم الكفار في الالم ولكم رجاء النصر عاجلا والثواب آجلا فالواجب عليكم
المبادرة لظهور الربح نزلت في بدر الصغرى تثاقل بعضهم عن الخروج لما كان بهم

من الجراح

بالجراح والوجع ∴ وكان الله عليما ∴ باحوالكم ∴ حكيما ∴ في كل ما دبر وامر ∴ انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ∴ كان الكلام في شان المنافقين
وتخلفهم عن الجهاد ثم وقع الكلام في احكام السفر استطرادا ثم عاد الى استيفاء حالهم
روي العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في طعمة بن الابيرق احد بني
الظفر سرق درعا وجرابا فيه دقيق من قتادة ابن النعمان واودعه عند زيد
بن السمين اليهودي وكان قد انتشر الدقيق من الجراب في الطريق فلما اصبحوا
تتبعوا الدقيق فوجدوا الدرع عند اليهودي فقال اليهودي اودعنيه طعمة فانكر
طعمة فاحتكموا الى رسول الله فبادر اخوة طعمة بشر وبشير ومبشر وقالوا يا
رسول الله ان لم تجادل نفتضح مع اليهود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة
اهتمامه بشان المؤمنين احب ان يظهر الحق لطعمة دون اليهودي لا انه اهتم بالجدال
باطلا متبرئا عن ذلك وكفى شاهدا قوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
نفى عنه قرب الركون الذي هو الميل اليسير فضلا عن وقوع الميل والنهي عن الشيء لا يستلزم
سبق وجوده فان قلت فما وجه قوله واستغفر الله مقرونا بلا تجادل قلت كونه
يود ظهور الحق لاحد الخصمين دون الاخر مع استواء نسبة الكل اليه وعلو شانه و
واعتلائه غارب التقوى يعد منه امرا موجبا للاستغفار الا ترى الى قوله انه ليغان
على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة ∴ ولا تكن للخائنين خصيما ∴ عطف على مقدر
اي تمسك بما امرت ولا تكن ∴ واستغفر الله ∴ من ذلك الخاطر ∴ ان الله كان غفورا
رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ∴ كائنا من كان ∴ ان الله لا يحب
من كان خوانا اثيما كثير الخيانة مؤمنا كان او كافرا ∴ وايثار صيغة المبالغة
لان الله كريم لا يؤاخذ على القليل وفيه اشارة الى كثرة خيانة طعمة جيء عمر بن الخطاب
بسارق فامر بقطع يده فقالت امه اعف عنه يا امير المؤمنين فانها اول سرقة
سرقها فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ اول مرة روي ان طعمة هرب الى مكة مرتدا
فدخل حائطا ليسرق فوقع عليه الحائط فمات تحت الهدم عليه لعنة الله ∴
يستخفون من الناس ∴ ولذلك يامرونك بالجدال باطلا ∴ ولا يستخفون من الله ∴
وهو احق بالحياء ∴ وهو معهم ∴ عالم بحالهم ∴ اذ يبيتون ما لا يرضى من القول ∴
من رمي البريء بالجناية وتسمية لتحاورهم التبييت التدبير بالليل لان الوقت فيه
اخلى والراي اصفى ∴ وكان الله بما يعملون محيطا ∴ لا يخفى عليه منه شيء ∴ ها انتم هؤلاء ∴
الجهلة الشنيعة ∴ وانتم وهؤلاء مبتدأ وخبر اي انتم الموصوفون بالوصف العجيب ثم
بينه بقوله ∴ جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا ∴ فرضا وتقديرا وقيل الخطاب لقوم طعمة
ويرده قوله ∴ فمن يجادل الله عنهم ∴ اي عن طعمة وقومه ∴ يوم القيمة ∴ اذا حل بهم
العذاب ∴ ام من يكون عليهم وكيلا ∴ حفيظا ومحاميا ∴ ومن يعمل سوءا ∴ ذنبا

يسوء بغيره ∴ او يظلم نفسه ∴ بذنب يختص به وقيل هو الشرك كقوله ان الشرك
لظلم عظيم ∴ ثم يستغفر الله يجد الله غفورا ∴ لذنبه فان قلت حق العبد لا يسقط
بالاستغفار قلت المراد من الاستغفار التوبة بشرائطها ومنها استحلال
حق الغير او الاداء ∴ رحيما ∴ متفضلا بتبديل سيئاته حسنات ∴ و
ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ∴ لا يتعداه وباله ∴ وكان الله عليما
باحوال العباد ∴ حكيما ∴ لا يؤاخذ احدا بذنب غيره ∴ ومن يكسب خطيئة ∴
صغيرة اسم يخطأ بالسهو ∴ او اثما كبيرة ∴ ثم يرم به ∴ بما كسب او بالاثم
او باحدهما ∴ بريئا ∴ عنه ∴ فقد احتمل بهتانا ∴ بما بهت به ∴ واثما مبينا
ذنبا واضحا ∴ ولولا فضل الله عليك ∴ بالعصمة ∴ لهمت طائفة منهم ان
يضلوك ∴ لازمتهم في اضلالك ∴ وما يضلون الا انفسهم ∴ لان وباله عائد
اليهم ∴ وما يضرونك من شيء ∴ اي قليل لان الله يعصمك من الناس
وانزل الله عليك الكتاب ∴ القرآن ∴ والحكمة ∴ علم الشرائع امتنان عليه
واشارة الى انه بعيد عما راموه من الاضلال ∴ وعلمك ما لم تكن تعلم ∴ ما لا يمكنك
علمه بالكسب والنظر كاحوال المعاد وسائر المغيبات التي اخبرها ∴ وكان فضل الله
عليك عظيما ∴ اذ لا فضيلة فوق المعرفة وقد خصك بالحظ الاوفر ∴ وقد آتيناك
من لدنا علما ∴ قال رأيت ربي في احسن صورة فقال لي فيم يختصم الملأ الاعلى قلت
لا اعلم فوضع كفه بين كتفي فعلمت ما بين السماء والارض فقلت يختصمون في الكفارات
والحدود ∴ لا خير في كثير من نجواهم ∴ مما يتناجون به تقبيح لا تسارروا به وتبينوه
في اضلاله بالمجادلة ∴ الا من امر بصدقة ∴ الا نجوى من امر بصدقة ففي نجواه خير
او معروف ∴ او معروف لما روى البخاري الامر بالمعروف صدقة ∴ او اصلاح
بين الناس ∴ فيما اختلفوا وتنازعوا فيه روى الترمذي عن ابي الدرداء ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة
قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وعنه عليه السلام ليس الكذاب من يصلح بين
الناس فينمي خيرا ∴ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله ∴ مخلصا ∴ فسوف
نؤتيه اجرا عظيما ∴ ذكر الامر اولا ورتب على الاجر اما لان الآمر كناية عن الفاعل
لان الغرض هو الفعل او من يفعل كناية من الآمر لوقوع الفعل على كل عمل وقرا
ابو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء والنون ابلغ ∴ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ∴ طريق الصواب المشاقة المخالفة لان كلا منهما في شق غير شق الآخر
ويتبع غير سبيل المؤمنين ∴ ما هم عليه من الدين يشمل الاصول والفروع ∴ نوله
ما تولى ∴ نكله الى ما اختاره من الضلال ∴ ونصله جهنم ∴ من اصليته النار ادخلته
فيها ∴ وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر باسكان الهاء في نوله ونصله تخفيفا ∴ وساءت

مصيرا

مصيرا ∴ اي جهنم استدل بالاية على حجية الاجماع بناء على ان الجزاء مرتب
على كل واحد من المشاقة واتباع غير سبيلهم لان مجرد مشاقة الرسول
كاف في استحقاق الوعيد فان قلت الاجماع اتفاق مجتهدي عصر على
حكم شرعي والمؤمنون جمع مستغرق يشمل كل مؤمن الى آخر الدهر
فاين الدلالة قلت قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال طائفة من امتي
ظاهرين على الحق الى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم دل على ان المراد
اهل عصر والمقلد خارج لعدم اهليته لاخذ الحكم من الدليل ∴ ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون لمن يشاء ∴ كرره اهتماما كتكرير سائر الاحكام
والقصص المهمة ∴ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ∴ وصف
الضلال بالبعد مجاز مبالغة اذ لا ضلال فوق الشرك وختم تلك
بقوله ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما لاتصالها بقصة اهل الكتاب
المحرفين للكلم وهذه بقصة طعمة وقومه الضالين الساعين في ضلال سيد
المعصومين ∴ ان يدعون من دونه الا اناثا ∴ استيناف لتحقير ما اتخذوه شريكا
والاناث اصنامهم كاللات والعزى ومناة وعن الحسن كان لكل حي من
احياء العرب صنم يعبدونه يسمى انثى بني فلان او الملائكة يسمونها بنات الله
وان يدعون في الحقيقة الا شيطانا مريدا ∴ ابليس مجردا من الخير لانهم عبدوه
باغوائه ∴ لعنه الله ∴ صفة ثانية ∴ وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ∴
مقدرا مقطوعا عن غيره صفة اخرى اي جامعا بين اللعن وبين هذا القول
ولاضلنهم ∴ ولامنينهم عن طريق الحق ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام ∴ كما كان
يفعله المشركون علامة للسوائب والبحائر ∴ ولامرنهم فليغيرن خلق الله
كالوشم والوشر والتنميص والتلبيح والتفليج لما روى مسلم والبخاري
عن ابن مسعود رضي الله عنه لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات
والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله وعن مجاهد وابن عباس
رضي الله عنه تغيير دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها ∴ ومن يتخذ الشيطان
وليا من دون الله ∴ متبعا ونازعا عن ولايته ∴ فقد خسر خسرانا مبينا ∴ جليا لا
يحتاج الى روية وتامل ∴ يعدهم ∴ المواعيد الكاذبة ∴ ويمنيهم ∴ الاماني الباطلة
بان الجمادات تشفع لهم ∴ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ∴ باطلا لا حقيقة له
اولئك مأواهم جهنم ∴ مآلهم ومرجعهم ∴ ولا يجدون عنها محيصا ∴ محيدا و
معدلا من حاص عن الشيء عدل عنه مصدر وبه يتعلق الجار او مكان فيتعلق
بالفعل ∴ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا ∴ وعد من الله لاوليائه في مقابلة وعد الشيطان

وعد الله حقا: الاول مصدر موكد لنفسه لان ما تقدمه من الكلام وعد والثاني
موكد لغيره وهو الباطل يعني انه يدفعه ويقطع احتماله: ومن اصدق من الله قيلا
قولا تاكيد آخر ابلغ لدلالته على صدق اخباره وان لا اصدق منه وهذه المبالغات
بازاء مبالغات ابليس في الكاذبة: ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب: و
الخطاب للمشركين لما تقدم من قوله ان يدعون الا اناثا كانوا يقولون ان كان
ما يقوله محمد حقا فنحن احسن حالا افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين
مالا وولدا وقالوا اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل للمسلمين
تنازعوهم واهل الكتاب نحن خير وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون
نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يحكم على كتابكم: من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون
الله وليا: يتولى امره: ولا نصيرا يدفع عنه العذاب فان قلت اذا كان
الخطاب للمسلمين يلزم ان يكون كل مؤمن مجزيا بسوء عمله قلت هو كذلك
الا انه لا يلزم ان يكون في الاخرة لما روى ابو سعيد وابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم
يهمه الا كفر به من سيئاته او مقيد بعدم التوبة والعفو نفي النصوص و
ومن يعمل من الصالحات: بعض الصالحات لان كل مؤمن لا يعمل كل الصالحات
من ذكر او انثى في موضع الحال ومن بيان: وهو مؤمن: اذ لا يعتد بعمل دون
الايمان فان قلت قد روى البخاري ان حكيم بن حزام قال يا رسول الله ارايت
اشياء كنت اتحنث بها في الجاهلية فقال اسلمت على ما اسلفت قلت معناه
ان تلك الحسنات جرتك الى الاسلام او مخصوص به او هو مؤمن في آخر العمر
لاطلاق اللفظ: فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون: اي الفريقان المؤمنون
وغيرهم كذلك ولا ته نقيرا: فعيل من المفعول وهو شق النواة: وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابو بكر يدخلون بضم الياء وهو ابلغ مدحا: ومن احسن دينا ممن
اسلم وجهه لله: ذاته عبر عنه بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومحل السجود والذي
هو اقصى الخضوع: وهو محسن مخلص في ذلك العمل فسره الحديث بان تعبد الله
كانك تراه: واتبع ملة ابراهيم حنيفا: من التوحيد وسائر العقائد حنيفا
مائلا عن كل باطل حال من ابراهيم: واتخذ الله ابراهيم خليلا: اعتراض للترغيب
في اتباعه والخليل من الخلة وهي اقصى غاية المحبة كانها دخلت في اعماق قلبه
وغلاله او من الخلل فان الصديقين يسد كل منهما خلل الآخر او من الخلة بالفتح
هي الصفة فان الخليلين متوافقان في الخصال او بمعنى الحاجة فان كلا منهما
يرغب الى خليله في النوائب او من الخلل فتح الحاء وهو الثوب البالي والجسم
النحيف فان الحب اذا استولى نهك الجسم ابلى الهوى اسفا يوم النوى بدني

وقال ان جسمي بعد خالي كفي وهو الطريق في الرمل لان الخليلين على طريقة واحدة
وفي الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وليس في الكلام دلالة
على انحصار الخلة فيه روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في آخر خطبة
خطبها لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم
خليل الله: ولله ما في السموات وما في الارض: خلقا وملكا يختار من يشاء
ويجوز ان يتصل بقوله ومن يعمل سوءا ومن يعمل من الصالحات وقوله ومن احسن
دينا الى آخره اعتراض بين كلامين متصلين معنى واتخذ الله ابراهيم خليلا
يتعلق بقوله واتبع ملة ابراهيم على انه اعتراض في آخر الكلام: وكان الله بكل شيء
محيطا: علما وقدرة يختار من علم انه اهل للاختيار: ويستفتونك في النساء
عاد الى ما كان مبنى السورة عليه من احكام النساء بعد ما استطرد من احكام
الجهاد واحوال المنافقين: قل الله يفتيكم فيهن: من شانهن: وما يتلى
عليكم في الكتاب: عطف على اسم الله او المستتر لوجود الفصل من قبيل
اغناني زيد وكرمه لان وقيل الحكم هو المتلو وهو قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في
اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل نبي مبتدا وفي الكتاب خبره على ان
المراد بالكتاب اللوح او قسم بما يتلى في الكتاب واما جعل الواو عاطفة على المجرور
فمختل لفظا لعدم التعلل ومعنى اذ التقدير يفتيكم في حق ما يتلى عليكم: في يتامى
النساء: صلة يتلى او بدل من فيهن بدل بعض ولا يجوز جعله ان كان ما يتلى مرفوعا على
الابتداء او مجرورا على القسم اذ لا معنى لتقييد ما في اللوح ولا القسم بهذا
القيد مع ما في الاول من الفصل بالخبر بين اجزاء الصلة والاضافة بمعنى من اللاتي
لا تؤتونهن ما كتب لهن: من الميراث عبر عنه بالكتابة مبالغة في الوجوب
وترغبون ان تنكحوهن: في نكاحهن ان كن جميلات او عن نكاحهن ان كن
دميمات لما روى ابن عباس رضي الله عنه كانوا في الجاهلية اذا كان عنده يتيمة
القى عليها ثوبه فان كانت جميلة تزوجها واكل مالها وان كانت دميمة منعها
عن الزواج حتى تموت عنده فيرثها: والمستضعفين من الولدان: كانوا لا
يورثونهم ويقولون انما يرث من يباشر الحروب ويحمي الحوزة عطف على يتامى
النساء وكذا قوله: وان تقوموا لليتامى بالقسط: ان لم يكن بدلا من فيهن و
الخطاب في شان يتامى النساء وللاولياء خاصة وفي المستضعفين لهم وللورثة
البالغين او للاحياء بان يباشروا على الوجه المشروع وفي ان تقوموا للائمة و
والقوام: وما تفعلوا من خير قليلا كان او كثيرا: فان الله كان به عليما:
مجازيا به ترغيب فيما امروا به: وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا:
ترفعا عليها بعدم المودة والرحمة وتقليل النفقة من النشز وهو المكان المرتفع

او اعراضا: بان تقل موانستها وصحبتها فلا جناح عليهما ان يصالحا
بينهما صلحا: في معنى المصدر والمعنى لا جناح عليهما في ان تتنزل عن بعض
حقها او كلها ولا عليه بان يسامحها في بعض ما يجب عليه روى ابو داود وعن ابن
عباس رضي الله عنه خشيت سودة ان يطلقها رسول الله فجعلت يومها لعائشة
على ان لا يطلقها فامسكها وجعل يومها لعائشة فنزلت وروى البخاري عن
عائشة رضي الله عنها الرجل يكون عنده المراة ليس بمستكثر منها فيقول اجعلك
من شاني في حل فنزلت وقرا الكوفيون يصلحا بضم الياء والقصر هو المختار
والصلح خير: من الخصومة في كل شيء او من الفرقة او النشوز والاعراض او خير
من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وعلى كل تقدير اعتراض مؤكد رفع الجناح
بانه مندوب فضلا عن الجواز واحضرت الانفس الشح: جبل لازما لها غير مفارق
الهاب وتهييج الى تكليفها فانها بالطبع نابية عن الصلح فليدع الطبع اللئيم الى
التحلي بالخلق الكريم وان تحسنوا: ايها الازواج وتتقوا: عن المشاقة وترك
النشوز والاعراض رغب الطرفين في اسباب الالفة ودلالة على الوفاق عنده
احب من الفراق روى ابو داود وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابغض المباحات الى الله الطلاق فان الله كان
بما تعملون خبيرا: فيجازيكم عليه ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء: عدلا
من كل وجه ظاهرا وباطنا كما روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه ثم يقول يا رب هذا قسمي فيما املك
فلا تلمني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم: على العدل اذ لو كان ممكنا لكان رسول الله
اولى به فلا تميلوا كل الميل فتتركوا المقدور فتذروها كالمعلقة: لا مزوجة
ولا مطلقة وان تصلحوا: ما وقع من الخلاف والنشوز وتتقوا في المستقبل
عن ارتكاب مثله فان الله كان غفورا: كثير الغفران يتجاوز عما سلف
رحيما: عسى ان يوفق في المستقبل رحمة ومن رحمته جعل لكم من انفسكم ازواجا
وان يتفرقا ولم يقع الصلح يغن الله كلا من سعته: من فضله الواسع و
وكان الله واسعا: فضله وطريق رزقه يكون تارة بالزوج واخرى بدونه حكيما
ربما كانت الفرقة احسن عاقبة لهما ولله ما في السموات وما في الارض: برهان
على سعة فضله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم جنس الكتاب
واياكم: في القران في مواضع شتى ان اتقوا الله: ان مفسرة او بان مقدرة
والمعنى ان الامر بالتقوى شرع قديم لم يخل عنه كتاب ولا امة وان تكفروا فان لله
ما في السموات وما في الارض: عطف على ان اتقوا اي وصيناكم ومن قبلكم بالتقوى
وقلنا لكم ولهم ان تكفروا بما وصيناكم وكان الله غنيا: عن خلقكم وعن كل شيء

حميدا: في ذاته حمد ام لم تحمدوا حمد ذاته قبل حمد الحامدين والاكوان كلها حامدة
بلسان الحال حيث تبسط على الماهيات بساط الوجود واعطى كل شيء خلقه
ولله ما في السموات وما في الارض: كرره تاكيدا لان التقوى والخشية اصل كل خير
وتمهيدا لما بعده وكفى بالله وكيلا: موكولا اليه ان يشا يذهبكم: لانه المالك
المتصرف ويات باخرين: جنس آخر غير الناس وما يعلم جنود ربك الا هو او الخطاب
لقريش لما روي رسول الله وضع يده على ظهر سلمان وقال هم قوم هذا وكان الله
على ذلك قديرا: بالغ القدرة من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب
الدنيا والاخرة: تقدير لاقداره اي من كان يريد ثواب الدنيا فما له يرضى
بالاخس الاوضع وعند الله الاحسن الارفع وبهذا ارتبط الجزاء بالشرط او
عند الله كلاهما يعطي كلا ما اقتضته الحكمة لقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له
في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وكان الله سميعا بصيرا: ترتيبهما على
الارادة للدلالة على ان ما في الضمير عنده بمثابة المسموع والمبصر يا ايها الذين
امنوا كونوا قوامين بالقسط: شديدي القيام بالعدل جادين فيه شهداء لله
حال كونكم تقيمون الشهادة لوجه الله ولو على انفسكم والمراد بها الاقرار لانه
في الزام الحق كالشهادة او الوالدين والاقربين فان قلت قدم القسط هنا
واخره في المائدة مع اتحاد الاسلوب قلت مع اتفاق اخصهما بالعدل لان
شهادة المرء على نفسه والاقربين مظنة الجور والعدول ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما: ان يكن احد هذين فلا تمنع الشهادة عليه غناه طلبا لرضاه
او فقره شفقة عليه فان الله اولى وارحم بالجنسين وقد حكم باقامة الشهادة
عليهما وانما ثنى الضمير للدلالة او على الامرين في الجملة دائرة على الافراد مع ظهوره
قصدا الى التعميم وان لا يتوهم اختصاص الاولوية باحدهما فلا تتبعوا الهوى
ان تعدلوا: كراهة العدل بين الناس او ارادة للعدول عن الحق وان تلووا
او تعرضوا: اي تلووا السنتكم عن الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله
كان بما تعملون خبيرا: وعيد على اللي والاعراض وقرا ابن عامر تلوا بضم اللام على وزن
تعوا من الولاية او الواو الاولى قلبت همزة ثم خففت فتوافق الاولى يا ايها الذين
امنوا: احدثوا الايمان في الماضي آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على
رسوله والكتاب الذي انزل من قبل: استمروا على ذلك الايمان في المستقبل او ازدادوا
او امنوا بكل الكتب والرسل ان كان الخطاب لاهل الكتاب الذين قالوا نؤمن ببعض
ونكفر ببعض وباللسان والقلب ان كان لاهل النفاق الذين قالوا الذين آمنا
ولم تؤمن قلوبهم وانما نزل في القران لنزوله منجما وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر الفعلين على بناء المفعول ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم

الاخر: اي بشي من المذكورات فان الكفر بواحد منها كفر بسائره: فقد ضل عن
طريق الحق: ضلالا بعيدا: الاسناد مجاز مبالغة في بعد صاحبه: ان الذين
امنوا: بموسى: ثم كفروا: بعبادة العجل: ثم امنوا: بالتوبة: ثم كفروا: بعيسى
ثم ازدادوا كفرا: بمحمد عليه السلام والمراد جنس اليهود والذين هذه صفتهم لم
يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا: طريقا الى المغفرة لانهم اهل الطبع
والختم مستهزؤن بالدين والرسل واستدل الامام احمد على ان من تكرر
ارتداده لا تقبل توبته وروي عن علي رضي الله عنه: بشر المنافقين بان لهم
عذابا اليما: استعارة تهكمية تدل على ان الاية في المنافقين: الذين يتخذون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين: رفع او نصب على الذم: ايبتغون عندهم العزة: لم
لو الاتهم: فان العزة لله جميعا: فيجعل منها لاوليائه نصيبا لقوله ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين: وقد نزل عليكم: ايها المؤمنون: في الكتاب: ان اذا سمعتم ايات الله
يكفر بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم: ان مخففة حذف منها ضمير الشان و
وان الثانية لا تصلح مفسرة فالمعنى نجم عليكم القعود معهم لازم من لوازم النهي
والمراد بالمنزل عليهم اية الانعام واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره نزلت بمكة حين كان المؤمنون يجالسون المشركين
الخائضين في القران فان الخطاب وان كان لرسول الله فالمراد الاصحاب
حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم: لان الرضى بالكفر كفر وقول موسى
في حق فرعون واله واشدد على قلوبهم ليس رضى بالكفر بل دعاء على العدو باقبح الاشيا
مع استقباحه والرضى بالشي استحسان له: ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا: دل على ان الخطاب في انزل عليكم يعم المخلص وغيرهم وان المجالسين هم
المنافقون وانما لم ينكر على المؤمنين في اية الانعام لانهم كانوا عاجزين ضعفة.
الذين يتربصون بكم: بدل من الذين يتخذون منصوب او مرفوع او مجرور صفة للمنافقين
فان كان لكم فتح من الله: ظفر بالكفار وغلبة عليهم: قالوا الم نكن معكم: شاركونا في الغنيمة
كانا شاركناكم في القتال: وان كان للكافرين نصيب: سمى ظفر المؤمنين فتحا لانهدام
ركن الكفر به فتحت له ذلك الاسم بخلاف ظفر المشركين فانه استدراج وحظ قليل: قالوا
الم نستحوذ عليكم: نغلبكم حين كان الظفر للمسلمين وكنا قادرين على قتلكم واسركم وقد
ابقينا عليكم حال الفعل على الاصل وعن ابي زيد قياس مطرد نقل استحاب واستوجب
ونمنعكم من المؤمنين: بان خيلنا لهم شوكتكم وتوانينا في المظاهرة: فالله يحكم
بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا: في الدنيا بالحجة وفي
الاخرة بالتوبيخ او بوجه فيه مذلة واستدل به على بينونة المراة بارتداد الزوج وعدم
صحة بيع المسلم من كافر ومن قال بصحته امر بازالة ملكه: ان المنافقين يخادعون الله

جعل

جعل منهم بانه لا يخادع او فعلهم في ابطان الكفر واظهار الايمان فعل المخادع واوليائه
والاسناد اليه مجاز للتشريف: وهو خادعهم: غالبهم في الخداع باجراء احكام المؤمنين
وهم اهل الدرك الاسفل: واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى: متثاقلين
لانهم لا يرجون ثوابها: روى البخاري ومسلم اثقل الصلوة على المنافقين صلوة
العشاء وصلوة الفجر وفي الحديث لا يقول احدكم كسلت وليقل ثقلت: يراؤن
الناس: استيناف لبيان كسلهم اي يراؤن الناس انهم مثلهم ويريهم الناس
كذلك او المفاعلة بمعنى التفعيل كناعم بمعنى نعم: ولا يذكرون الله الا قليلا:
عند مرآت الناس او لا يصلون الا قليلا او الذكر ذكر القلب والقلة بمعنى العدم
مذبذبين بين ذلك بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو الدفع او من الذبة وهي الطريق
عن ابن عباس رضي الله عنه اتبعوا ذنبة قريش: لا الى هؤلا ولا الى هؤلاء: لا نسبة
لهم الى احدى الطائفتين روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه مثل المنافق كمثل
الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة: ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا: الى الهداية: يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين: فانه صفة المنافق ولانه لا يؤمن ابعدها بين الايمان والكفر: اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا: حجة واضحة لانهم اعداء الله ومصادقة عدو
الصديق معاداة للصديق قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك
عليك بعازب: ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار: لشدة كفرهم
ولجهنم سبع دركات ولها سبعة ابواب وقرا الكوفيون الدرك بسكون الرا
والفتح اكثر: ولن تجد لهم نصيرا: يدفع عنهم العذاب: الا الذين تابوا: عن النفاق
واصلحوا: ما افسدوه: واعتصموا بالله: بدينه: واخلصوا دينهم لله: في ذلك الاعتصام
عكس ما كانوا فيه: فاولئك مع المؤمنين: في زمرتهم وعدادهم: وسوف يؤتي
الله المؤمنين اجرا عظيما: لا يقادر قدره: ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم:
لا حاجة به الى عذابكم لانه غني مطلق وانما يعذب من لم يشكر نعمته ولم يؤمن بمقتضى
حكمته قدم الشكر لان افاضة النعم يقتضي شكر موليها عرف عليها هو عليه اولا ثم
ذلك الشكر الاجمالي يحركه الى ان يعرفه على ما هو عليه وهو الايمان ثم يتبع ذلك
الشكر المفصل بالجنان واللسان والاركان او قدم اهتماما وقليل من عبادي الشكور
وكان الله شاكرا: قابلا للشكر: عليما: كامل العلم باخلاص الشكر ومراتب الشكر
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم: الا جهر المظلوم فانه يحبه لقوله تعالى
ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل: روى ابو داود عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستبان ما قالا فعلى
البادي ما لم يعتد المظلوم: وكان الله سميعا: قول المظلوم: عليما: بحال الظالم

ان تبدوا خيرا تظهروه او تخفوه او تعفوا عن سوء اصابكم فان الله كان
عفوا لكثير التجاوز قديرا بليغ القدرة على الانتقام ومع ذلك يعفو ويصفح
فتخلقوا انتم باخلاقه ارشاد الى الافضل بعد تجويز الادنى ولذلك جعل ابداء الخير
واخفاءه شرطا تمهيدا لوقع العفو جزاء ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله هم اهل الكتاب الذين كفروا ببعض الانبياء
وكفرهم بالله وصفه بالولد او لان الكفر بالرسل كفر به وهذا اوفق لقوله يريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض تشهيا في
الكفر من عند انفسهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا بين الايمان
والكفر طريقا الى الله اولئك هم الكافرون الكاملون في الكفر حقا مصدر
مؤكد لمضمون الجملة اي حق كونهم كاملين في الكفر او كفروا كفرا حقا لا شك فيه
لان انكار احد من الرسل في حكم انكار الكل لاشتراك العلة وهي المعجزة و
واعتدنا للكافرين اي لهم او للكل كافر عذابا مهينا لاهانتهم بالرسل المكرمين
والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم صح دخول بين على احد
لانه عام من يصلح ان يخاطب مفردا كان او جمعا اولئك سوف نؤتيهم اجورهم
سوف لتاكيد الوعد لا لتاخير الموعود وذلك ان المضارع يحتمل الحال و
والاستقبال فاذا دخل عليه سوف اكد ما كان موضوعا له من الاثبات
في المستقبل شدة لن في النفي ولذلك قال سيبويه لن يفعل نفي سوف
يفعل وقرا حفص يؤتيهم بالياء والنون ابلغ وكان الله غفورا لكثير الغفران
رحيما بالغ الرحمة يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
جملة واحدة كما انزل التورية وعن ابن جريج سالوه ان ينزل عليهم كتابا
من الله الى فلان وفلان يامرهم فيه بتصديقه فقد سالوا موسى اكبر من
ذلك جواب شرط مقدر اي ان سالوك انزال الكتاب فلا تعجب فان
اسلافهم سالوا موسى اعظم مما سالوك هولاء فقالوا ارنا الله جهرة
عيانا ما نراه كما ترى بعضنا بعضا نصب على المصدر او الحال والفاء لتفصيل
المجمل فاخذتهم الصاعقة نار محرقة بظلمهم بسبب تعنتهم بعد ظهور الحق
كما صاروا قردة وخنازير بعد صيد السبت وليس فيه ما يدل على عدم
امكان الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل الها من بعد ما جاءتهم البينات
المعجزات الظاهرات فعفونا عن ذلك بعد توبتهم واتينا موسى سلطانا
مبينا لم يبق لهم في نبوته شبهة وانما كانوا يرتكبون المنكر لفرط عنادهم
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب نقض ميثاقهم وهو ترك العمل بما
في التوراة وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا باب المسجد الاقصى حين فتحه

يوشع بعد موت موسى عليه السلام وهو الباب الذي يسمى اليوم بباب حطة وقيل قلنا لهم
ادخلوا الباب سجدا والطور مشرف عليهم بيد جبريل وهو سهو لان نتق الجبل
فوقهم كان في زمن موسى والطور مشرف عليهم بيد جبريل عليه السلام وقلنا لهم لا
تعدوا في السبت بصيد السمك واخذنا منهم على هذه الاحكام ميثاقا غليظا
مؤكدا غاية التاكيد فبما نقضهم ميثاقهم المؤكد والباء للتاكيد تتعلق بمقدر اي
لعناهم صرح به في المائدة وعن الزجاج تتعلق بحرمنا على معنى التسبيبة وما في
الا ان جعل فبظلم من الذين هادوا بدلا عن قوله فبما نقضهم وفيه بعد لطول الفصل
وابدال الجار والمجرور مع الفاء وكفرهم بايات الله التي جاء بها موسى عليه السلام
وقتلهم الانبياء كزكريا ويحيى وغيرهما عليهما السلام بغير حق بغير استحقاق للقتل
في اعتقادهم وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلم فلا حاجة لنا الى علمك او في اكنة
مما تدعونا اليه كما قال المشركون لرسول الله عليه السلام بل طبع الله عليها بكفرهم اي
ليس الامر كما زعموا فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا
لا يعتد به وبكفرهم عطف على فبما نقضهم وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم مستطرد
لنفي قولهم قلوبنا غلف والعطف على بكفرهم مرجوح لان احد الكفرين مستقل بالسببية
للطبع كما في بعض الروايات وقولهم على مريم بهتانا عظيما نسبتها الى الفاحشة
وصفه بالعظيم لانهم قالوا ذلك بعدما راوا منها الكرامات والخوارق وقولهم انا
قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله بل طبع الله عليها بكفرهم اي ليس الامر كما
زعموا فلا يؤمنون الا قليلا وصفوه بهذه الاوصاف الجميلة تهكما كقول
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون او وضع الله الذكر الحسن مكان قبايح
وصفوه بها دفعا للعذره وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اشتبه عليهم الفعل
مسند الى الجار والمجرور ارسله الله تعالى الى بني اسرائيل رسولا فادعى الرسالة وابرأ
الاكمه والابرص واحيى الموتى ودعا على طائفة من اليهود فمسخوا قردة وخنازير
فاجتمعت طائفة منهم على قتله فدخل القامة ومعه شمعون فاوحى الله اليه اني
رافعك الي ومطهرك من اليهود والانجاس فقال شمعون ان القي علي شبهه
فيقتل على يد اليهود لامر اراده الله تعالى من ضلال اليهود والنصارى فدخلوا وعيسى عم
قد رفع وشمعون جالس في صورة عيسى فقتلوه ثم قالوا ان صاحبه وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى عليه السلام والبدن ليس بدنه فذلك قوله شبه لهم وقيل دخل
احد اليهود القامة وعيسى قد رفع فرجع اليهم وقد القى الله تعالى عليه شبه عيسى عم
فقتلوه ثم دخلوا فلم يجدوا في القامة احدا فقالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى
لفي شك منه مستغرقون في الشك لا يخرجون منه اذ ليس من شان العلم

في سوى القرآن وهم لا يؤمنون؛ ما لهم به من علم الا اتباع الظن؛ استثناء منقطع لان
الظن ليس من العلم في شي اذ العلم مطلق الاعتقاد وانه استعمال مشهور ومعنى
اتباع الظن بعد الحكم بالاستغراق في الشك ان قصارى امرهم ان يلوح لهم تارة امارة
ثم تضمحل ثم يعطشون في بحر الشك وهذا اشد في الحيرة من استمرار الشك خالصا
وما قتلوه يقينا؛ اي عدم قتله متيقن قيد للنفي دل عليه قوله؛ بل رفعه الله اليه
ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اي متيقنين قتله بل اشتبه عليهم والوجه هو الاول
لان هذا قد علم مما تقدم؛ وكان الله عزيزا؛ غالبا اذا اراد شيئا؛ كان حكيما
في فعله وتركه؛ وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته؛ واللام جواب قسم محذوف
والاستثناء من اعم الاوصاف والموصوف مبتدأ مقدم او فاعل الظرف اي
وان احد من اهل الكتاب او وان من اهل الكتاب احد الا يؤمن بعيسى قبل موت
ذلك الكتابي ولو عند زهوق روحه عند انكشاف الغطاء حين لا يقبل الايمان عليه
ابن عباس رضي الله عنه وهو الظاهر من اطلاق اهل الكتاب وقيل الضميران
لعيسى عليه السلام بناء على ما رواه البخاري مرفوعا يوشك ان ينزل فيكم
ابن مريم حاكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرفع الجزية ولا يقبل الا الاسلام
فاليهود والنصارى الذين يدركونه يؤمنون كلهم وهذا مناسب للسياق اذ بعد
نزوله يرفع الشبهة ويكذب الطائفتين؛ ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا
بكفرهم وايمانهم؛ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم؛ اي
حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم وهو الكبائر التي عددها
وتلك الطيبات هي التي ذكرها في الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
الى اخر الاية فان قلت تحريمها من احكام التورية قبل الظلم والكفر بعيسى ومحمد عليهما السلام
والصد عن سبيل الله قلت ابتداء التحريم كان بظلم منهم لقوله كل الطعام كان حلا
لبني اسرائيل واستمراره من الظلم الحادث الا ترى الى قوله يحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم في نعت رسول الله عليه السلام
وقيل فبظلم اشارة الى قوله في الانعام ذلك جزيناهم ببغيهم على انه متعلق
بحرمنا وحده؛ وبصدهم عن سبيل الله كثيرا؛ وما عطف عليه متعلق بمحذوف
واخذهم الربوا وقد نهوا عنه؛ حرام في سائر الشرائع وفيه دلالة على ان النهي
يفيد التحريم عند عدم الصارف وخص الاخذ وان كان المعطي ايضا اثما لكونه
اعظم جرما؛ واكلهم اموال الناس بالباطل؛ بالرشوة على الاحكام وتحريف
ما انزل الله؛ واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما؛ عطف على حرمنا؛ لكن
الراسخون في العلم منهم؛ الثابتون القدم فيه المتقنون كعبد الله بن سلام؛ والمؤمنون
منهم او مطلقا؛ يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك؛ خبر الراسخون

والمقيمين

والمقيمين الصلوة؛ نصب على المدح لبيان فضلهم او مجرور عطف على ما انزل
اي يؤمنون بالمقيمين الصلوة وهم الانبياء لان الصلوة شريعة سائر
الانبياء؛ والمؤتون الزكوة؛ عطف على الراسخون او الضمير في يؤمنون لوجود
الفصل وكذا؛ والمؤمنون بالله واليوم الاخر؛ اي المبدأ والمعاد وان جعل اولئك
مبتدأ خبره؛ سنؤتيهم اجرا عظيما؛ لاتصافهم بقدر عظيم بحيازتهم العقائد
الخالصة والاعمال الصالحة وقرأ حمزة سنؤتيهم بالنون وهو ابلغ في الوعد
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده؛ متصل بقوله
يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء وما في البين
استطراد لبعض قبائحهم دلالة على ان ذلك السؤال ليس باول منكر
ارتكبوه وابتداء بنوح لانه اول رسول عذب قومه ولانه ابو البشر الثاني
لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين ولان معجزته كانت في نفسه عاش الف سنة تقريبا
ولم يشب ولم يسقط له سن؛ واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان واتينا داود
زبورا؛ عدد الاكابر منهم اثني عشر وذكر زبور داود دون صحف الانبياء
دلالة على ان فضله به لا بالملك وقرأ حمزة زبورا بضم الزاء جمع زبور بمعنى
مزبور؛ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل؛ قبل هذه السورة في الانعام
والصافات والانبياء وانتصاب رسلا اما بنزع الخافض او بفعل دل عليه
اوحينا اي ارسلنا؛ ورسلا لم نقصصهم عليك؛ روي عن ابي ذر رضي الله عنه
مرفوعا ان جملتهم مائة واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر
عدد اهل بدر وليس في الاية ما ينافيه؛ وكلم الله موسى تكليما؛ من غير واسطة
هو نهاية مراتب الوحي واكده بالمصدر دفعا للتجوز وانما اشار الى اجل
احواله تكذيبا لليهود من دعوى بقاء شريعته ولذلك وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخاتم النبيين؛ رسلا مبشرين ومنذرين؛ نصب على البدل او
التاكيد او المدح وهو اوجه؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل؛ بان
يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا كيف ومع كثرة الرسل يقولون يوم القيمة ما
جاءنا من بشير ولا نذير واستدل به الاشعري رحمه الله تعالى على ان لا تكليف
قبل البعثة؛ وكان الله عزيزا؛ غالبا على امره يفعل ما يريد؛ حكيما؛ في ارسال
الرسل لعدم اهتداء العقل الى احوال المعاد؛ لكن الله يشهد بما انزل اليك
استدراك من مفهوم الكلام السابق كان سؤالهم ان تنزل عليهم كتابا
من السماء تكذيب لما جاء به والمعنى يشهد لك بانه كلامه بان جعله
معجزا خارقا قالبا واله او يشهد لك بان المنزل عليك كلامه قالبا وصله

انزله بعلمه: استئناف يقرر ويؤكد شهادته والمعنى انزله ملتبسا بعلمه الخاص
بان الفه معجزا كما اذا رايت فعلا متقنا تقول فعله بعلم او حال من الفاعل اي انزل
اليك وهو عالم بانك اهل لذلك الله اعلم حيث يجعل رسالته فالجملة بمنزلة
للصلة او انزله متلبسا بعلمه بمصالح العباد مشتملا على بيانها او انزله متلبسا
بعلمه محفوظا من الشياطين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والملائكة
يشهدون: بما شهد الله عليه وذلك باخبار الله تعالى روى الدارمي مرفوعا ان
الله تعالى قرا طه ويس قبل خلق السموات والارض بالف عام فلما سمعت
الملائكة القران قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا القران طوبى لاجواف تحمل هذا
طوبى لالسنة تتكلم بهذا وليس فيه ما ينبه على ان اليهود كانوا يودون ان يعلموا
نبوته من غير نظر كما علمت الملائكة انهم لو اتوا بالنظر الصحيح لعلموا نبوته واي حاجة
الى النظر وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفى بالله
شهيدا: على نبوتك بما ايدك به من المعجزات الباهرة ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله: هم اليهود الذين اضلوا المسترشدين بان حرفوا نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضلوا ضلالا بعيدا: لان المضل عارق في الضلال
بعيد الانقلاع ان الذين كفروا وظلموا: بترك الواجبات او محمدا صلى الله عليه وسلم
بتحريف نعته او تغالوا او فرطوا في الكفر لم يكن الله ليغفر لهم: ان ماتوا على
ذلك ولا ليهديهم طريقا: يوم القيمة الا طريق جهنم خالدين فيها: حكم به
في الازل ومنع ذوي الهداية بهم وكان ذلك على الله يسيرا: لا يتوقف الا على
تعلق الارادة وفي الحديث القدسي خلقت هؤلاء للنار ولا ابالي يا ايها
الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم: خاطب كافة الناس بعد ازاحة
الشبهة والجار والمجرور في الموضعين حال الاول من الفاعل والثاني
من المفعول فامنوا خيرا لكم: انتصابه بمضمر اي اقصدوا خيرا لكم او صفة
مصدر اي ايمانا خيرا لكم او خبر يكن عند الكوفية وان تكفروا: بعد ظهور الحق
بالدلائل وبهذا النصح فان لله ما في السموات وما في الارض: من الاجرام
العلوية والاجزاء الداخلة فهو غني عنكم وانما ارشدكم رأفة بكم وكان الله عليما
كامل العلم باحوال الخلق حكيما: في كل ما دبر يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
لما ازاح الشبهة عن حال محمد عليه السلام اراد ازاحتها عن عيسى عليه السلام
وخص اهل الكتاب لان اليهود والنصارى من افراط وتفريط ولا تقولوا
على الله الا الحق: الذي هو ثابت في الواقع انما المسيح عيسى بن مريم
رسول الله وكلمته القاها الى مريم: فليس هو من غير رشدة كما يقول اليهود ولا
هو ابن الله كما يقول النصارى ارفع عيسى عطف بيان لانه اشهر وتسميته

بالكلمة

بالكلمة تسمية الشيء باسم سببه وروح منه: كانه من جهته كسائر الارواح المخلوقة
سوى انه من غير اب وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الموتى او النفوس الميتة بداء
الجهل بالحكمة والمعارف او ذو روح جسم كسائر الاجسام ان له مقام الالوهية
او التولد ممن لا يجانسه شيء فامنوا بالله ورسله: وعيسى من جملتهم ولا
تقولوا ثلثة: اي الالهة ثلثة قول الملكانية والنسطورية قالوا هو ابن الله واليعقوبية
قالوا هو الله وضلالتهم ظاهرة فلا حاجة الى ايرادها انتهوا اي لا تفعلوا
خيرا لكم: انتهوا عن التثليث وفي اعراب خيرا ما تقدم انما الله اله واحد: لا شريك
له في الوهيته لانها دلالة على ظهور الحكم بادنى تامل سبحانه ان يكون له ولد: انزهه
عن هذه النقيصة لان الولد يشارك الوالد ولزمن وجه وليس كمثله شيء له ما
في السموات وما في الارض: خلقا وملكا فلا يجانسه شيء وهو غني عن ولد يكون له
ظهيرا وكفى بالله وكيلا: حافظا يوكل اليه الامور تقرير لغناه لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله: استفعال من النكف يقال نكف دمعه
اذا نحاه لان المترفع عن الشيء ينحي نفسه عنه او من النكاف وهو ما يأخذ في حلق
البعير ولا الملائكة المقربون: الكروبيون كجبريل وميكائيل ومن يقاربهم رتبة
نزلت في وفد نجران لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا
قال بما ذا عيبه قالوا تقول فيه انه عبد الله قال ان صاحبكم ياباه بذلك تمسك به
من فضل الملائكة على الانبياء لان هذا اسلوب الترقي يقول هذا امر لا يأنف
عنه امير ولا وزير ولا سلطان وهذا مستقيم لو سيق الكلام لبيان الافضلية
بين الفريقين وليس كذلك بل انما سيق لدفع شبهة النصارى وهي انه
موجود من غير اب مع كمال العلم والقدرة على احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص ولا شك ان الملائكة في باب التجرد والاطلاع على المغيبات
والقدرة على الاعمال الشاقة لاسيما المقربين منهم اعلى شانا من عيسى عم
وناهيك ما جرى على المؤتفكات بريشة من جناح جبريل عليه السلام
والقول بانه رد على النصارى وعبدة الملائكة من مشركي العرب مع
كونه السياق يأباه لا يدفع شبهة الترقي وكذا القول بان غايته كون المقرب
افضل من عيسى عليه السلام ولا يلزم منه افضلية الجنس على ما هو المتنازع فيه
يبطل كون خواص البشر افضل من خواص الملك مع انه انما يصلح رد النصارى
لو كان عندهم مسلما كون الملائكة افضل منه وهيهات ومن يستنكف
عن عبادته: الاستنكاف اخص من الاستكبار لانه تكبر مع الاعراض ولذلك
عطف عليه ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا: للمجازاة فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم اجورهم: اجزية اعمالهم سماها اجورا تنبيها على استحقاقهم

ودلالة على لزوم ثبوتها. ويزيدهم من فضله: زيادة على ثوابها. وأما الذين استنكفوا
واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا: اقتصر
في المجمل على ذكر أحد الفريقين وهو المستنكف وفي المفصل ذكر الفريقين لأن ذكر أحدهما
يدل على الآخر فطوى ذكره أو لأن القصد بيان عذاب المستنكف من وجهين
التعذيب بنار الجحيم وبنار الحسرة عند الاطلاع على جزاء ضده بل هذه النار
أقوى وأشد عند أهل العرفان هذا والتصدير بأما يؤيد الوجه الأول. يا أيها الناس
قد جاءكم برهان من ربكم: البرهان الحجة القاطعة والمراد به رسول الله وشرعه
لقوله الصدقة برهان. وأنزلنا إليكم نورا مبينا: هو القرآن لظهور إعجازه و
هدايته إلى كل خير. فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه: في
الجنة من إطلاق الحال على المحل. وفضل: من عطف الشيء على نفسه باعتبار الصفة
أو زائدا على قدر الثواب. ويهديهم إليه صراطا مستقيما: لا اعوجاج فيه أخره
اهتماما بالمقصود. يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة: روى مسلم والبخاري
أن جابر بن عبد الله في حجة الوداع كان مريضا فدخل عليه رسول الله عليه السلام
وهو لا يعقل فتوضأ وصب عليه من وضوئه فأفاق فقال يا رسول الله لا يرثني
إلا الكلالة فكيف الميراث فنزلت وهي آخر آية نزلت كما أن براءة آخر
سورة نزلت وقد تقدم تفسير الكلالة أول السورة. إن امرؤ هلك:
ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر. ليس له ولد: صفة لا حال لأن امرؤ نكرة ولأن
المعنى ليس على التقييد. وله أخت فلها نصف ما ترك: فإن قلت لها النصف
إجماعا إن ترك بنتا والثلث إن ترك بنتين أو أكثر فكان المراد من
الولد الابن فإنها تسقط به قلت الكلام في الفرض المقدر وهي مع البنات
عصبة فلا إشكال والاستدلال على عموم الولد بأن الكلام في الكلالة وهو من لا
يكون له ولد ولا والد ليس بناهض لأن الكلالة اسم مشترك بين الوارث
الذي ليس بأصل ولا فرع وموروث كذلك والكلام في الأول صرح به في حديث
جابر وهو لا ينافي وجود البنات فضلا عن بنت والمراد الأخت من الأبوين
أو من الأب لأن التي من الأم لها السدس لا غير تقدم في أول السورة. وهو
يرثها إن لم يكن لها ولد: أي المرء يرث الأخت جميع ما تركت إن لم يكن لها ولد
أصلا أو مع الذكر ساقط ومع الأنثى له ما بقي بعد الفرض. فإن كانتا اثنتين
أي إن كان الوارث من الأخوات ثنتين أو أكثر كما تقدم في قوله فوق اثنتين
والتأنيث باعتبار الخبر. فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا
ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا: كراهة أن تضلوا
في طريق الحكم أو لئلا تضلوا وما قيل يبين ضلالكم لو خليتم لأنه من شأنكم

ففيه

ففيه أن الذي بينه من أول السورة إلى خاتمته أحكام أصولا وفروعا فلا ضرورة
إلى هذا المعنى القلق. والله بكل شيء عليم: كامل العلم فالذي قرر من الأحكام
ناش عن حكمة وإن وقف على بعض الإبهام. سورة المائدة مدنية وآيها مائة وثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود: وفى وأوفى بالعهد
قام بموجبه والثاني أبلغ والعقد العهد الموثق مستعار من ربط الحبل ولما كانت
السورة مشتملة على أمهات الأحكام أصولا وفروعا أجملها أولا براعة للاستهلال
ثم بينها مفصلة بعد الإجمال. أحلت لكم بهيمة الأنعام: البهيمة لكل ذات أربع
من حيوان البر والبحر من البهامة وهي النكارة ومنه أمر مبهم والأنعام الأزواج
الثمانية من الإبل والبقر والغنم الإضافة بيانية وقيل بهيمة الأنعام الظباء
وبقر الوحش لأنها تماثل الأنعام فالإضافة بمعنى اللام للملابسة أو التشبيه وجعل من
الأول مبالغة في التشبيه. إلا ما يتلى عليكم: إلا محرم ما يتلى عليكم أو إلا ما يتلى عليكم
آية تحريمه لأن المتلو لفظ لا يستثنى من البهيمة. غير محلي الصيد: حال من ضمير
لكم. وأنتم حرم: وأنتم محرمون حال من فاعل محلي فإن قلت هذا ظاهر إن حمل
بهيمة الأنعام على الظباء وبقر الوحش أما إذا أريد بها الأزواج الثمانية من الإبل
فلا لأن إحلالها لا يختص بحال امتناع المحرم عن الصيد قلت ذكرها امتنانا
بعدم التحريج وإن يتوهم أنها كالصيد وعن الأخفش حال من فاعل أوفوا ولا غبار
عليه وإن بعد لفظا. إن الله يحكم ما يريد: لا يسئل عما يفعل. يا أيها الذين
آمنوا لا تحلوا شعائر الله: جمع شعيرة اسم ما جعل شعارا غلب على معالم الحج
لأنها أمور مدركة بالمشاعر والإضافة للتشريف. ولا الشهر الحرام: هو
الأربعة المعروفة. ولا الهدي: ما يهدى للكعبة. ولا القلائد: ما قلد من الهدي
بقلادة شعارا بأنها هدي فلا يتعرض لها من قبيل عطف جبريل على الملائكة
أو لا تحلوا نفس القلائد فضلا عن البدن المقلدة. ولا آمين البيت الحرام
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا: مؤمنا كان أو كافرا. نزلت في حطم بن هند
البكري أتى النبي ثم أغار على سرح المدينة ثم في العام القابل عام عمرة القضاء أحرم
معتمرا والإخبار عن الكافر بابتغاء الرضوان باعتبار ظنه على المبالغة في
الكف عن المسلم الآن لأن توهم ابتغاء الرضوان يوجب الكف فضلا عن
تحققه عن ابن عباس رضي الله عنه والشعبي أنها نسخت بقوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم والحق أنه تخصيص لبقاء الحكم في المسلم إلا أن يشترط مقارنة
المخصص والجملة حال من ضمير آمين لا وصف له لأنه عامل فلا يوصف وقرأ أبو بكر
رضوان الأول دون الثاني بضم الراء وهما لغتان. وإذا حللتم فاصطادوا:
أمر إباحة لأن الحرمة كانت لعارض فلا يلزم منه أن يكون كل أمر بعد الحظر للإباحة

ولا يجرمنكم شنآن قوم وقرأ ابو بكر وابن عامر بسكون النون وكلاهما مصدر
شنئانه بالغ في بغضه والفتح اكثر وجرم بمعنى كسب معدى الى المفعولين ان
صدوكم عن المسجد الحرام مفعول له بتقدير اللام وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة
شرطا دل على جوابه ما تقدمه والفتح هو المختار لتحقق معلله لان الصد عام
الحديبية سنة ست والاية نزلت سنة ثمان ووجه الكسر التوبيخ على ان ذلك
الصد مما ينبغي ان لا يكون الا على وجه الفرض او بتقدير ان كانوا اذ لا صد بعد الفتح
ان تعتدوا تجاوزوا حكم الله ثاني مفعولي يجرمنكم وتعاونوا على البر والتقوى
على فعل الخيرات والاتقاء عن المحارم ولا تعاونوا على الاثم على ترك ما
امر الله والعدوان والتجاوز عما حده الله روى البخاري عن انس رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل هذا نصرته مظلوما
فكيف نصرته ظالما فقال تمنعه من الظلم واتقوا الله في مجامع اموركم ان الله
شديد العقاب حقيق بان يتقى حرمت عليكم الميتة هي التي ماتت حتف انفها
والدم المسفوح كانوا يقصدون البعير ويأكلون دمه ولحم الخنزير وسائر اجزائه
افرد اللحم لانه المتعارف اكله وما اهل لغير الله به ما ذبح باسم الاصنام والاهلال
رفع الصوت والمنخنقة التي ماتت خنقا او خنقت والموقوذة التي
ضربت بالخشب فماتت والمتردية الساقطة من مكان عال والنطيحة التي
نطحها الاخرى والتاء لعدم ذكر الموصوف وما اكل السبع ذو ناب الا ما
ذكيتم ادركتم ذكاته وذلك بقطع الحلقوم والمرئ مع شخوب الدم من الاوداج
بكل محدد لا يكون عظما ولا ظفرا وما ذبح على النصب واحد الانصاب قال
الاعشى وذا النصب المنصوب لا تاتينه وقيل جمع واحده نصاب ككتب
وكتاب او جمع نصب كسقف وسقف كانوا ينصبون الحجارة حول البيت
ويذبحون عليها تقربا اليها وان تستقسموا بالازلام جمع زلم كقتل او زلم
كفرس ثلاثة اقداح مكتوب على احدها افعل وعلى الاخرى لا تفعل والثالثة
غفل كانوا يجعلونها في وعاء فاذا عرض لهم مهم اخرجوا واحدة منها فان
خرج افعل مضوا فيه وان خرج لا تفعل انتهوا وان الغفل اجالوا ثانيا
ومعنى الاستقسام بها طلب اظهار القسم والحظ ذلكم المذكور من المحرمات
فسق خروج عن طاعة الله وشرعه لانه توسل الى استعلام الغيب من غير اسبابه
كاستعلام الخير والشر من الكهنة واهل التنجيم وقيل هو طلب قسمة الجزور
وكونه فسقا لامنيه وليست القرعة التي قال بها الشافعي منه لما روى البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد السفر اقرع بين نسائه وهو خبر شرعي
فيقاس عليه اليوم يئس الذين كفروا من دينكم من ابطال دينكم بان يرجعوا

الى دينهم

الى دينهم محللين لهذه الخبائث فلا تخشوهم بعد اظهار الله دينه واخشون
اخلصوا الي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم بدل من اليوم والمراد به الزمان
الحاضر لا اليوم المتعارف كقولك اصبح فلان غنيا وكان بالامس تكيف
او المتعارف لما روى البخاري عن طارق بن شهاب ان يهوديا قال لعمر
رضي الله عنه آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا
قال عمر رضي الله عنه قد علمنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه نزلت
ورسول الله واقف على ناقته بعرفة ومعنى الاكمال ان الحج آخر اركان الاسلام
الخمسة اتفاقا روى ابن جرير لما نزلت بكى عمر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لم تبكي قال لانا كنا في زيادة ولا زيادة بعد الاكمال فقال صدقت
يا عمر وعاش بعد نزولها احدا وثمانين يوما واتممت عليكم نعمتي باكمال دينكم
وفتح مكة واخراج المشركين من الحرم وتطهير البيت من الاصنام والازلام و
ورضيت لكم الاسلام دينا اخترته لكم من بين الاديان فمن اضطر متصل
بالمحرمات وقوله ذلكم فسق وما بعده اعتراض يؤكد معنى التحريم في مخمصة بان لا يجد
شيئا غيرها مصدر كالمغيبة من الخمص وهو الجوع غير متجانف لاثم منحرف قاصد له
بان ياكل فوق سد الرمق او يتزود منه واستدل به الشافعي على ان العاصي بسفره لا
يتناول وحد الاضطرار ان يخاف الهلاك على نفسه او ما يقرب منه فان الله غفور
لا يتناوله ضرورة رحيم بالترخص فيه يسألونك ماذا احل لهم لما تلا عليهم المحرمات
سأله عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما احله
الكتاب والسنة والقياس واستطابه العرب وما علمتم من الجوارح وصيد
ما علمتم اي صيده لانه عطف على الطيبات ويجوز ان يكون ما شرطية مبتدأ
والجملة عطفا على جملة ما احل ولا حاجة الى تقدير المضاف والجوارح السباع
والطيور من الجرح وهو الكسب ويعلم ما جرحتم بالنهار فيحل مخنوقه ومجروحه مكلبين
حال مؤكدة معلمين الكلاب لان اكثر الصيد بها او لان الكلب يطلق على سائر
السباع واشتقاقه من كلب شديد يقال كلب عليه الدهر وفي الحديث اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك تعلمونهن مما علمكم الله الهمكم من كيفية التعليم
ولطائف الحيل او ما هو شرط في حل صيده من الاسترسال بارساله والانزجار
بزجره وعدم الاكل منه وهذا وجه لافادته ان شرط الكلب ان يكون فقيها في باب الصيد
فكلوا مما امسكن عليكم من غير تصرف فيه بذلك نتيجة تعليمه وهذا عام عند الشافعي
رحمه الله تعالى في جوارح الطيور وخصه ابو حنيفة بالسباع لتعذر تعليم الطيور الى هذا الحد
واذكروا اسم الله عليه على ما علمتم عند ارساله او على ما امسكن ان ادركتم به حياة
واتقوا الله بالمحافظة على حدوده ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن

عن شأن قبحي زيكم علي اشعاركم: اليوم احل لكم الطيبات: بدل من قوله اليوم اكملت
لكم دينكم والسؤال والجواب في البين اعتراض: وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
اخذ بعمومه ابو حنيفة رحمه الله تعالى وخصه الشافعي رحمه الله تعالى بغير متنظرة العرب كتغلب
وتنوخ وبهرام وجذام ولخم وعاملة لما روى ابن جرير عن علي رضي الله عنه لا تاكلوا ذبائحهم
لانهم لم يتمسكوا من النصرانية الا بشرب الخمر: وطعامكم حل لهم: فلا جناح عليكم ان تطعموهم
او حل لهم ان تطعموهم: والمحصنات من المؤمنات: الحرائر واليه ذهب الشافعي
فلم يجوز نكاح الامة لواجد طول الحرة والعفايف وبهذا اوجه لقوله محصنات
غير مسافحات: والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم: الحرائر او العفايف
كما في المسلمات ولذلك لم يجوز الشافعي رحمه الله تعالى نكاح الامة الكتابية والحرة
ان كانت اسرائيلية فذاك والا فلا يجوز نكاحها الا بعد العلم بدخول آبائها
في ذلك الدين قبل النسخ: اذا آتيتموهن اجورهن: مهورهن والمراد التزام المهر
كما في المسلمات وايثار الاتيان مبالغة: محصنين: اعفاء دفع لتوهم حمل الاجر على
معناه واستدل بظاهره الامام احمد فلم يجوز عقد الفاجر على العفيفة: غير مسافحين
حال مؤكدة: ولا متخذي اخدان: جمع خدن وهو الصديق يطلق على الذكر والانثى
والاخدان ما يفعله الفسقة من التعشق والتعلق بمعينه وقيل السفاح الزنا
جهرا وهذا سرا: ومن يكفر بالايمان: بشرايعه: فقد حبط عمله: ان مات عليه لقوله
فيمت وهو كافر في البقرة وهو في الاخرة من الخاسرين من عدادهم ولم يخرجه العمل
الا بتوبة: يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة: اذا اردتم القيام من اقامة
المسبب مقام السبب او احد لازمي الشيء مقام الآخر اي اذا قصدتم التوجه
الى الصلوة وذلك لانه لو اريد به مباشرة الصلوة عقيب القيام يلزم ان يكون
الوضوء في الصلوة او بعدها ولو اريد القيام اليها يلزم ان يكون الوضوء بعد القيام
متصلا بالصلوة والخطاب للمحدثين بقرينة الحال ولكونه صرح به في البدل واما حمل
الخطاب على غير المحدثين والامر للندب وايجابه على المحدث فمع كونه نفيا لاتفاق
العلماء تخصيص لا دليل عليه وكذا القول بانه كان فرضا لكل صلوة ثم نسخ اذ ناسخ
الكتاب لا يكون الا متواترا واني له ذلك هذا وقد روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح صلى
الصلوات بوضوء فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه قال عمدا فعلته يا عمر
وسورة فالامر عنده ظاهر: فاغسلوا وجوهكم: الغسل اسالة الماء والوجه
ما بين منبت الشعر الى آخر الذقن طولا وما بين الاذنين عرضا: وايديكم الى المرافق:
جمع مرفق بالكسر والفتح متصل الذراع والعضد والجمهور على وجوب غسله لان الى
للغاية من غير دلالة على الدخول والخروج فاخذ بالاحتياط وقد روى جابر ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ ادار الماء على مرفقه وقيل اذا انما
صدر الكلام دخلت كما في الاية والا فهي لمد الحكم كما تموا القيام ولا يطرد
ولورود قرأت القرآن الى سورة كذا واسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى طردا وعكسا: وامسحوا برؤسكم: المسح متعد بنفسه بمعنى
الالصاق فعدى بالباء فيصدق بادنى شيء ولو بعض شعرة كما ذهب اليه
الشافعي رحمه الله تعالى والايراد بان ذلك القدر حاصل في غسل الوجه غير موجه لوجوب
الترتيب عنده وذهب مالك واحمد رحمهما الله تعالى الى وجوب الاستيعاب
لما روى مسلم والبخاري عن عبد الله بن زيد انه وصف وضوء رسول الله عليه السلام
فمسح رأسه بيديه فاقبل بهما وادبر وابو حنيفة رحمه الله تعالى الى ربع الرأس لحديث
المغيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على الناصية والظاهر ما ذهب
اليه الشافعي رحمه الله تعالى لان حكاية الفعل لا تعم: وارجلكم الى الكعبين: قرأه
ابن كثير وابو عمرو وابو بكر وحمزة بالجر للجوار كجحر ضب او بتقدير وامسحوا برؤسكم
مرادا به الغسل اشارة الى الاقتصار ولان آخر الوضوء محل الاسراف مع عدم
الالتباس لضرب الغاية فان قلت قراءة النصب بالعطف على محل المجرور
لا على المغسول لوجود الفصل قلت لو سلم تساوي الاحتمالين فالترجيح
بما روى البخاري عن ابن عمر اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
نمسح على ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من النار وبانه اقرب
الى الاحتياط لان الغسل مسح دون العكس وعن الشافعي رحمه الله تعالى اراد
بالنصب قوما وبالجر آخرين يريد به المسح على الخف: وان كنتم جنبا فاطهروا:
بالغوا في الطهارة بغسل البدن كله اصله تطهروا ادغمت التاء فاجتلبت
الهمزة: وان كنتم مرضى: مرض يمنع استعمال الماء: او على سفر او جاء احد
منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء: في هذه الاحوال اما حقيقة
او تقديرا بان يحتاج اليه لعطش محترم: فتيمموا صعيدا: ترابا طاهرا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه: من ذلك التراب: ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج: ادنى حرج او من زائدة والاول اوجه لغاية بعد التراب من الماء
ولكن يريد ان يطهركم: في الاحوال كلها ولذلك جعل التيمم بدل الوضوء اذ قل
ما تفقد التراب وهو ظاهر فيما ذهب اليه ابو حنيفة رحمه الله تعالى من كون
التيمم رافعا للحدث وحمله الشافعي رحمه الله تعالى على التطهير من الذنوب
لقوله في النساء ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا حيث جعل الغسل
نهاية الجنابة: وليتم نعمته عليكم: بافاضة المعارف والتوسعة في اسباب
الطاعات: لعلكم تشكرون: لتكونوا في صورة من يرجى منه الشكر وفيه

اشارة الى كون الانسان كفورا. واذكروا نعمة الله عليكم: نعمة الاسلام
او كل نعمة. وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا: كان اذا
اسلم احد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه على السمع والطاعة في
المنشط والمكره وقيل المراد به بيعة الانصار ليلة العقبة سنة احدى
عشرة من النبوة كانوا اثني عشر رجلا وفي سنة ثلث عشرة بايعوه ايضا
وكانوا سبعين وبايعه الانصار والمهاجرون تحت الشجرة وهم الف وخمسمائة
واربعمائة. واتقوا الله: في نقض الميثاق او في السمع والطاعة ظاهرا وباطنا
ان الله عليم بذات الصدور: من الضمائر. يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط: بالعدل. ولا يجرمنكم: شنآن قوم شدة بغضهم على
ان لا تعدلوا: معهم. اعدلوا هو اقرب للتقوى: صرح بها علم ضمنا مبالغة
في شان العدل واذا كان هذا في شان الكفار الاعداء فما ظنك بالمؤمنين
والضمير للمصدر المدلول عليه. واتقوا الله: في المحافظة على الحدود. ان الله بما تعملون
خبير: حث على الاخلاص. وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر
عظيم: اورد الجزاء جملة اسمية على طريق الاستئناف جوابا لسؤال بخلاف
سورة الفتح مبالغة في تحققه بالاجمال والتفصيل فان قلت لم روعي هنا ولم يراع
هناك قلت لان هذا متاخر نزولا فيفيد زيادة ولذكره بعد الشهادة
والامر بالعدل والتقوى والقيام بها من اشق الاعمال وذكره هناك بعد
الاوصاف الكمالية للصحابة وقيل الجملة مفعول القول المقدر او الوعد لانه
في معنى القول. والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم:
ذكرهم للتقابل ترهيبا بعد الترغيب. يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم: روى مسلم والبخاري
عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة ذات الرقاع
سنة خمس من الهجرة فنزلنا واديا فتفرقنا نستظل بالشجرة وتركت
شجرة ظليلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعلق سيفه ونام في ظلها فا
ستيقظ وسيفه في يد اعرابي مشرك صلتا فقال من يمنعك مني ثم
اجتمع اليه اصحابه رضوان الله تعالى عليهم فنزلت وعن ابن اسحق ومجاهد
ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود بني النضير يستقرض منهم دية
مسلمين قتلهما عمرو بن امية خطأ فقالوا نكرمك يا ابا القاسم واقعدوه
في صفة وامروا واحدا منهم ان يعلو السطح ويلقي عليه رحى فاخبره جبريل
فقام وانصرف سالما فنزلت. واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون:
لتفرده بالامر اعاد والمظهر لدلالته على النعوت الموجبة للتوكل. ولقد

اخذ الله

اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا: اردف الامر بحفظ
الميثاق على بني اسرائيل ونقضهم ذلك الميثاق وما حل بهم بعده من النكال
تحذيرا وتلطفا بالسامعين عن ابن عباس رضي الله عنه لما استقر بنو اسرائيل بمصر
بعد هلاك فرعون امرهم الله تعالى على لسان موسى عليه السلام بالمسير الى اريحا
بارض الشام وقال كتبتها لكم دار قرار وكان يسكنها العمالقة وكانت بنو اسرائيل
اثني عشر سبطا فجعل على كل سبط نقيبا ينقب عن شانهم ويعرف احوالهم و
وقال الله اني معكم: بالنصر والاعانة. لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة: اكتفى
بهما لانهما اما العبادات. وامنتم برسلي: اخر ترتب الايمان بهم. وعزرتموهم:
نصرتموهم من العزر وهو المنع ومنه التعزير قال القطامي تعففني والمرء تنفعه
العزر. واقرضتم الله قرضا حسنا: يشمل انواع البر. لاكفرن عنكم سيئاتكم:
جواب القسم سد مسد جواب الشرط. ولادخلنكم جنات تجري من تحتها
الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم: بعد اخذ الميثاق والوعد المؤكد. فقد ضل
سواء السبيل: اخطأ الطريق المستقيم من اضافة الصفة الى الموصوف. فبما
نقضهم ميثاقهم لعناهم: طردناهم عن رحمتنا الباء مزيدة توكيدا. وجعلنا
قلوبهم قاسية: من القسوة وهي اليبس والصلابة مجاز عن عدم تاثرها
بالايات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهو ابلغ. يحرفون الكلم عن
مواضعه: بيان لقسوة قلوبهم اذ لا قسوة اشد من تحريف كلام الله تعالى والافتراء
عليه. ونسوا حظا مما ذكروا به: نصيبا وافيا من العلم بشؤم معاصيهم عن
ابن مسعود رضي الله عنه ان المرء ينسى بعض العلوم بالمعصية وتلا الاية ومن
تبعيضية او النسيان مجاز عن الترك ومن للتبيين وما ذكروا به في التوراة
وجوب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم. ولا تزال تطلع على خائنة منهم: يريد ان
الاطلاع على طريق الاسلاف دابهم خيانة الرسل والخيانة مصدر كالعافية
او وصف لمقدر كنفس او فرقة او التاء للمبالغة كالراوية. الا قليلا منهم:
وهم الذين امنوا. فاعف عنهم: تجاوز عنهم. واصفح: واعرض ولا تعاتب
قيل نسخت باية السيف والظاهر انه هذا فيما يتعلق به من خياناتهم لاطباق
الجمهور على ان لا نسخ في المائدة ولقوله تعالى ان الله يحب المحسنين لحسن موقعه
على ذلك التقدير. ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم: ميثاق
الذين تقدم ذكرهم او ميثاق الذين قالوا انا نصارى وفي قوله من الذين قالوا
انا نصارى دون ومن النصارى اشارة الى انهم ليسوا من دين النصارى
الا زعما وادعاء. فنسوا حظا مما ذكروا به: تقدم تفسيره. فاغرينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة: اوقعنا والصقنا بهم من الغراء وهو ما يلصق

ان فتحته قصرت وان كسرته مددت ثم ترتيب اللعن على نقض اليهود ووصفهم بالقسوة
والخيانة والاكتفاء في النصارى بالاغراء والاقتصار على نسيان الذكر دل على عتو
اليهود في الكفر وانهم اسوء حالا : وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بقصده
من الكفر والنقض : يا اهل الكتاب : خاطب الجنس بعد بيان حال كل فريق
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب : كآية الرجم ونعت
محمد صلى الله عليه وسلم : ويعفو عن كثير : مما لا تدعو ضرورة الى اظهاره والكثرة
باعتبار ذاته دون التقابل : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين : اي القران
قدم اشرف وصفيه والمبين من ابان لازما ومتعديا ولم يعطفه لاستقلاله
بالهداية : يهدي به الله بالقران : من اتبع رضوانه : ما ارتضاه من الدين :
سبل السلام : طريق السلامة او سبيل الله على ان السلام من اسماء الله تعالى
ويخرجهم من الظلمات الى النور : من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والمعرفة
باذنه : بتوفيقه وتيسيره : ويهديهم الى صراط مستقيم : كرره لتاكيد ويحتمل
ان جمع السبيل للتعظيم ويجوز ان يراد به الفروع : لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم : هم القائلون باتحاد اللاهوت والناسوت : قل فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا
الملك هو الامساك بقوة والحفظ بجزم والمعنى من يقدر على منعه من مراده
ان تعلقت ارادته والاقتصار على من في الارض لان الكلام في عيسى عم
ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء : كيف يشاء ومن ذلك
عيسى وامه واذا كان ابداء الكل وافناؤه منه اني يتوهم لشيء شان الالوهية
والله على كل شيء قدير : ومن ذلك خلق عيسى من غير اب : وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه : اتباع ابنائه كما يقول خواص الملوك
نحن الملوك والاحباء جمع الحبيب بمعنى المحبوب : قل فلم يعذبكم بذنوبكم
بالمسخ في الدنيا والعذاب في الاخرة اياما معدودة ان صح ما زعمتم فان
احدا لا يؤاخذ حبيبه قال : واذا الحبيب اتى بذنب واحد جاءت
محاسنه بالف شفيع : ولا اشياع ابنه والنصارة وفي المثل لاجل عين
الف عين يكرم روي انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
والله لا يلقي الله حبيبه في النار وما قيل من كان بهذا المنصب لا يفعل ما توجب
تعذيبه غير لازم وكم ابن عاق اباه ولا دلالة للكلام عليه : بل انتم بشر وممن
تزعمون انكم اشياعه بشر : ممن خلق : لا مزية لكم اضرب عن الجواب
لقطع بعجزهم عنه : يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء : مؤمنا كان او كافرا
ان لم يتب : ولله ملك السموات والارض وما بينهما : كرره ليرتب عليه

امر المعاد كما رتب على الاول امر المبدا : واليه المصير : فيجازي كل احد على عمله
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم : الدين القويم وفي اضافته اليه
توبيخ لهم حيث لم يرضوا بمن ارتضاه على فترة من الرسل على بعد عهد منهم و
اشده احتياج اليه واصل الفترة الانكسار اطلق على ما بين الرسولين
لضعف الدين وهو الجار يتعلق بجاءكم او في محل الحال روى البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان مدة الفترة كانت ستمائة سنة ولا نبي بين عيسى ونبينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله انا اولى الناس بابن مريم لا نبي بينه
وبيني وقيل كان بينهما اربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب
خالد بن سنان العبسي : ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير : لئلا
تقولوا : فقد جاءكم بشير ونذير : اي لا تعتذروا فقد جاءكم وما ابطل اعتذاركم
والله على كل شيء قدير : واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
اي اذكروا ذلك الوقت لتحيط علما بما فاض من جملة بني اسرائيل فان فيه
ما يشتمل : اذ جعل فيكم انبياء : من لدن يعقوب عليه السلام لم يبعث
الانبياء في طائفة اكثر مما بعث فيهم : وجعلكم ملوكا : يملكون انفسكم بعد ان كنتم
في يد القبط عبيدا او ملوك مصر بعد فرعون وقيل من له زوجة ودار وخادم
فهو ملك روى البخاري عن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له الستنا من فقراء
المهاجرين فقال هل لك من امراة ودار تسكنه قال بلى قال فانت من الاغنياء
قال ولي خادم قال فانت من الملوك : واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر والايات التسع او تظليل الغمام وانزال المن والسلوى : يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة : هي الشام من نهر الفرات الى واد العريش الواد
الايمن وتقديسها بانها موطن الانبياء ومهبط قبلتهم وهي ارض المحشر : التي كتب الله
لكم : تشجيع لهم بانها قد كتبت لهم قبل خلق السموات والارض بخمسين
الف عام : ولا ترتدوا على ادباركم : الى مصر او لمخالفة موسى : فتنقلبوا : جزم للعطف
او نصب على الجواب : خاسرين : خير الدارين : قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
الجبار فعال من جبر بمعنى اجبر هو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وقيل من يقتل
اذا غضب : وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون :
اذ لا طاقة لنا بحربهم : قال رجلان من الذين يخافون : يخافون الله كانا قيل
من الجمل النقيبين وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنة : انعم الله عليهما : بالثبات
وقوة القلب : ادخلوا عليهم الباب : باب المدينة : فاذا دخلتموه فانكم غالبون :
علموا ذلك باخبار موسى عليه السلام او من عادة الله تعالى نصر الرسل او ما شاهدوا من
حال فرعون والظاهر انهم لما راوا عظم اجسامهم علموا انهم لا يتمكنون من القتال في المضايق

وذلك ان موسى عليه السلام ارسل اثني عشر رجلا وهم النقباء جواسيس يأتونه بخبرهم فلقيهم
رجل منهم فجعل كلهم في كسائه واتى بهم قومه فقال لهم من انتم قالوا نحن اصحاب موسى فقال واحد
منهم اوسمهم برجلي فقال ملكهم اطلقوهم ليخبروا بحالكم وماشاهدوه فلما رجعوا واخبروا بحالهم
قال بنوا اسرائيل ما قالوا وقيل كانا رجلين من العمالقة آمنوا بموسى عليه السلام وتبعوه
لائح ؛ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ؛ لانه لا مؤثر غيره قالوا ياموسى انا لن ندخلها
ابدا ما داموا فيها ؛ نفوا الدخول على ابلغ وجه بلن ثم قيدوه بالزمان بذكر الابد ثم اشاروا
الى ان الابد لم يرد به معناه ؛ فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ؛ لم
يريدوا حقيقة الذهاب ولا الكفروا واستهانوا بل ارادوا انك منصور من عند الله
وقد شاهدنا حالك مع فرعون ونصره معك حيث كنت ومعنى انا ههنا قاعدون
انا لا نرجع بل ننتظر خبرك معهم وقيل ارادوا حقيقة الذهاب لجهلهم وعدم مبالاتهم واذا
قابلت بمقالتهم مقالة الانصار يوم بدر لما استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قتال قريش قالوا لا نقول لك كما قال بنوا اسرائيل بل نقول اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكم مقاتلون ولو ضربت اكبادها الى برك الغماد لاتبعناك ظهر لك
ما فضلت به خير الامم ؛ قال رب اني لا املك الا نفسي ؛ نصب لعطف على نفسي او
ضمير اني او رفع عطف على ان وما في حيزها كانه قال انا لا املك الا نفسي وهارون كذلك
او على المستكن في لا املك لوجود الفصل ولم يذكر الرجلين لعدم الوثوق بهما او اشار
الى قلة من يوافقه على طريقة تمثيل حاله بحال من لا يملك الا نفسه واخاه او اراد
بالاخ من يواخيه في الدين والغرض من الاخبار بث الشكوى ؛ فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين ؛ خلصنا من مجاورتهم واخلاقهم الذميمة ؛ قال فانها محرمة عليهم ؛ اي
الارض المقدسة ؛ اربعين سنة يتيهون في الارض ؛ الظرف متعلق بيتيهون و
التحريم على اطلاقه والصحيح تعلقه به لما روى ابن عباس رضي الله عنه ان الله تعالى استجاب
دعاء موسى فمات هارون بعد سنة وهو بعد ثلث سنين فقال حين حضرت الوفاة
اللهم ادنني من الارض المقدسة ولو رمية حجر فاستجاب الله منه فهو في الارض المقدسة
بينه وبين بيت المقدس ثلث فراسخ تقريبا وبعد اربعين سنة بعث الله يوشع بن نون
نبيا فاخبر من بقي منهم ففتح بيت المقدس وقتل الجبابرة وكان يوم الجمعة بعد العصر
فخاف دخول السبت فنادى اللهم احبس الشمس علي فحبسها حتى فتحها الى القصة اشار
ابو تمام بقوله فوالله ما ادري الاحلام نائم المت بنا ام كان في الركب يوشع ؛ فلا تاس
على القوم الفاسقين ؛ بعد استجابة دعائك لرقة القرابة ؛ واتل عليهم نبا ابني آدم
كفرا اهل الكتاب برسول الله صلى الله عليه وسلم ما نشأ من الحسد امره بان يتلو عليهم حال الاول
من حسد وما اثمر له حسده كان في شرع آدم تزويج الاخوات الاخوة وان تزوج
توامته وكانت توامة قابيل اجمل من توامة هابيل فابى قابيل ان يتزوجها هابيل وقال

توامتي انا اولى بها فقال آدم عليه السلام تقربا بقربان فايكما يقبل منه فهو على
الحق وكان قابيل صاحب زرع فجاء بحزمة حصيد اخبث ما كان في زرعه وهابيل
صاحب ضرع فجاء بكبش احسن ما كان في غنمه فنزلت النار على قربان هابيل
بالحق تلاوة بالحق صفة مصدر او حال من المفعول اي نبأ ملتبسا بالحق او
من الفاعل اي واتل محقا ملتبسا بالصدق والباء في الاوجه للملابسة ؛ اذ قربا
قربانا ظرف للنبأ اي حديثهم في ذلك الوقت او بدل بتقدير مضاف اي حديث
ذلك الوقت والقربان ما يتقرب به كالقران والحلوان ولم يثن لانه مصدر في الاصل
فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر ؛ لسوء ضميره ؛ قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله
الله من المتقين ؛ فلو كنت منهم لتقبل منك فان قلت انما يتقبل الله من المتقين
لا يدل على انه يتقبل من كل متق كما اذا قلت فلان لا يقبل اعطاء الملوك لا يلزم ان
يقبل عطاء كل ملك قلت اراد ان قبول قربانه بانه لاجل تقواه ووجهه لو كان متقيا
لكان مثله في قبوله ؛ لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك
لاقتلك ؛ آثر الاسمية في الجواب مؤكدة بالباء مبالغة في اخراجه عن الاتصاف
بهذه الرذيلة على الوجه كما تقدم في وما هم بمؤمنين ؛ اني اخاف الله رب
العالمين ؛ بل اختار الاولى وان كان الدفع جائزا وقيل لم يكن جائزا في شرع
آدم توبيره اني اخاف الله وفي الحديث كن خير ابني آدم فيقتلونه ولا تكن ظالما
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ؛ باثم قتلي واثمك الذي من الحسد
او بمثل اثم قتلي اياك لو باشرته واثم قتلك اياي الذي تباشره كما في
الحديث المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل باثمي
يوم القيمة فان الظالم اذا لم يكن له حسنات يحمل سيئات المظلوم ؛ فتكون
من اصحاب النار ؛ لكفرك بانكار ما شرع الله تعالى ؛ وذلك جزاء الظالمين
عند الله تعالى ؛ فطوعت له نفسه قتل اخيه ؛ سهلت وهونت من طاع له المرتع
اتسع ؛ فقتله فاصبح من الخاسرين ؛ دينا ودنيا اذ لم يظفر بما قتله لاجله وحمله
على ظهره سبعة ايام وانتن به لا يدري ما يفعل به روى البخاري ومسلم عن ابن
مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقتل النفس ظلما
الا كان على ابن آدم الاول كفل منه لانه اول من سن القتل وروي ان الشيطان
جاءه في صورة ناصح وقال هل تدري لماذا اكلت النار قربان اخيك انما اكلته
لانه كان يعبدها ويتقرب اليها فشرع قابيل في عبادة النار ثم قال له انت
في شانه عما فاتك فاشتغل برفع همتك فعلمه آلات الملاهي وشرب الخمر
ونشأت ذريته على الكفر والفسوق ؛ فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوءة اخيه ؛ بعدما اوحش وشق لحمله ارسل الله غرابين فاقتتلا

فقتل احدهما الآخر وحفر له ودفنه فيه: قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل
هذا الغراب: من العويل وهو الهلاك يتاسف بها على ما فات واشار الى
وجه الشبه بقوله: فاوارى سوءة اخي: السوءة كل ما يستحيى منه من السوء
فاصبح من النادمين: على حمله وشقته تلك الايام وقيل على قتله لا توبة بل
لعدم ظفره بالمطلوب ونكد عيشه عن ابن عباس رضي الله عنه لم يكن قبل قتله
شوك على شجر ولا حموضة في ثمر ولا عدو ذئب على غنم ولم يضحك آدم مائة
سنة حتى جاءته الملائكة بتحية من الله تعالى وقالوا حياك ربك وبياك
وينسب اليه شعر ملحون انه رثى به هابيل وهو كذب عليه لان الشعر ليس من شيم
الانبياء: من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيى الناس
جميعا: الاجل مصدر اجل كذا جناه والمعنى ان ذلك القتل جنى وجر على بني
اسرائيل هذا الحكم وهو ان من قتل نفسا لم يبح الشرع قتله بان يقتل نفسا
يوجب القصاص او يفعل فسادا يوجبه كزنى المحصن وقطع الطريق والردة
فكانما قتل كل فرد فرد وولده وولد ولده الى يوم القيمة من مؤمن وكافر وكذلك احياؤها
والتسبب في خلاصها وانما كان كذلك لاستواء الكل في الحرمة المكرمة ترغيبا
في الاحياء وتنفيرا عن القتل والافساد روى ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقي الله تعالى مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله
وتخصيص بني اسرائيل بالذكر لانه في عهدنا لهم ولانهم بعد ان كان هذا في كتابهم
قتلوا الانبياء وسئل الحسن البصري عن هذا فقال ما جعل الله دماء هذه الامة اهون
من دماء بني اسرائيل ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك
المذكور من الكتبة وايات الرسل في الارض لمسرفون: مبالغون في الافساد
ولم ينزجروا بذلك: انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله: محاربة الله ورسوله
محاربة المؤمنين ومن جنبهم من اهل الذمة: ويسعون في الارض فسادا:
للفساد: ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من
الارض: ذهب بعضهم الى ان الامام مخير في قطاع الارض من هذه العقوبات تمسكا
بظاهرها وحملها ابو حنيفة رحمه الله تعالى على التنويع لانها اجزية مختلفة غلظا وخفة فلا
يكون الا في مقابلة جنايات كذلك فان ظفر بهم قبل قتل واخذ مال حبسوا حتى يتوبوا
هو المراد بالنفي وان اخذوا مالا يبلغ نصيب كل واحد نصاب السرقة قطعت ايديهم
وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وان شاء اقتصر على القتل او الصلب وبه قال
الشافعي رحمه الله تعالى الا انه حمل النفي على اقل شوكتهم وتشريدهم في البلاد وتعين القتل
والصلب ان اخذوا المال وقتلوا بان يقتل اولا ثم يصلب ميتا ثلثة ايام والاية نزلت

في العرنيين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمل اعينهم فنسخ بها وقيل نزلت في
قوم هلال بن عويمر مر بهم ناس يريدون رسول الله فقطعوا عليهم الطريق: ذلك
لهم خزي في الدنيا: ذل: ولهم في الآخرة عذاب عظيم: يضمحل ذل الدنيا عنده: الا
الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم: فان حق الله تعالى يسقط دون حق العباد
ان لم يكونوا حربية: فاعلموا ان الله غفور: لما سلف منهم: رحيم: يجعل سيئاتهم
حسنات: يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة: اسم ما يتقرب
به من وسل كذا تقرب به قدم عليه الامر بالتقوى لما تقدم من قول هابيل انما
يتقبل الله من المتقين: وجاهدوا في سبيله: من كل ترتيب يحبب اليه على قتلكم
لعلكم تفلحون: تفوزون بمرضاته: ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا
من صنوف المال ما طفقا وصامتا: ومثله معه: وحد الضمير باعتبار المذكور والواو
بمعنى مع يدل على معية الثبوت ومع على قران الشيئين حال الثبوت والعامل
الفعل المقدر بعد لو لا معنى الفعل في قولهم لجواز العطف لوجود الفاصل ونعته
في العامل المعنوي: ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم: ليس المعنى
على انهم لو زادوا على المذكور تقبل منهم بل ايراد كلمة يفهم منه دوام العذاب
ولزومه على طريق الكناية ويجوز ان يكون تمثيلا لحالهم في عدم التفصي عن العذاب
بحال من يكون له امثال ما في الارض ويريد به الخلاص عن العذاب ولا يجد اليه
سبيلا: ولهم عذاب اليم: يريدون ان يخرجوا من النار: بيان لسوء حالهم
وما هم بخارجين منها: ايراد الاسمية مؤكدة بالباء ردا على ابلغ وجه
ولهم عذاب مقيم: ابدا لا يفارقهم دفع لما يقوله الملاحدة من انهم يعتادون
فلا يحسون بالالم روى البخاري ومسلم عن انس رضي الله عنه قال يؤتى بالرجل
من اهل النار فيقول الله له تفتدي بتراب الارض ذهبا لو كان لك فيقول
بلى يا رب فيقول الله كذبت قد سئلتك اهون من ذلك فلم تفعل يريد
كلمة التوحيد: والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما: جملتان عند
سيبويه كانه قال حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم ثم اشار الى الحكم
بقوله فاقطعوا ايديهما وذهب المبرد الى انها جملة والفاء لتضمن المبتدا
معنى الشرط وليس من قبيل زيدا فاضرب لان الفاء الجزائية يمنع العمل
فيما قبلها والمقطوع اليمين من الكوع بينه فعله عليه السلام وما يقطع به ما لا
يخرج عن الحرز خفية مقدار عشرة دراهم عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وربع دينار
عند الشافعي رحمه الله تعالى ودرهم عند الحسن: جزاء بما كسبا نكالا من الله:
نصب على المفعول له وترك العاطف لان المعنى ان القطع الذي للجزاء
لقصد النكال وقدم السارق لانه اكثر ما يكون في الرجال وقطع العضو لجانبه

منه دون الزاني محافظة على العوض ابقاء النسل • والله عزيز • غالب على امره
حكيم • في كل ما شرع من الزواجر • فمن تاب من بعد ظلمه واصلح • ما افسده
بالرد والاستحلال • فان الله يتوب عليه • يقبل توبته • ان الله غفور • للذنوب
رحيم • بقبول التوبة • الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض • استفهام
تقرير اي قد علمت ذلك والخطاب عام • يعذب من يشاء ويغفر لمن
يشاء • قدم التعذيب لان الكلام في موجب العقاب • والله على كل شيء
قدير • والاختصاص من الارادة • يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر • في تقوية اسبابه واعانة اعوانه وقرا نافع بضم الياء وكسر الزاء وقد
تقدم في ال عمران انه ابلغ • من الذين قالوا آمنا بافواههم • والجار
يتعلق بقالوا دون آمنا • ولم تؤمن قلوبهم • حال او عطف • ومن الذين
هادوا • من اليهود • سماعون للكذب • مبتدا خبره من الذين هادوا او
خبر مبتدا محذوف اي هم والضمير لليهود او للطائفتين باعتبار وقوع الفعل
بينهم واللام للتاكيد والسماع بمعنى القبول كقوله سمع الله لمن حمده او للعلة
والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك بالزيادة والنقصان
سماعون لقوم آخرين لم ياتوك • اي يسمعون منك لانهائها الى سفلتهم
الذين لم يقدروا على مجالستك وقيل لم ياتوك تكبرا او افراطا وترده
قوله • يحرفون الكلم عن مواضعه • لانه وصف عظماءهم الذين كانوا يحاولونه
وكذا قوله بعد اكالون للسحت فانه وصف للاحبار باكل الرشى والجملة حال
من قوم لكونه موصوفا او صفة وهذا ادل على الذم من قوله يحرفون الكلم عن مواضعه
لدلالته بعد على الاستقرار والثبات • يقولون ان اوتيتم هذا • يجري في اعرابه
الوجوه المذكورة • فخذوه • اي المحرف وان لم تؤتوه فاحذروا • قيل نزلت
في يهود زنى شريف منهم بشريفة وكان الحكم في التورية الرجم فطمعوا ان الحكم عند
رسول الله بالجلد فرفعوا اليه وقالوا ان حكم بالجلد فاقبلوا وان حكم بالرجم فلا تقبلوا
فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجم فابوا قبوله وقالوا ليس عندنا الا ان نسود
وجوههما ونحممهما فانزل الله تعالى قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين • فاتوا
بالتورية فوضع القاري يده على اية الرجم وقرا ما قبله وما بعده فقال عبد الله بن سلام
مره يرفع يده فرفعها فوجدوا اية الرجم قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه فامر بهما
فرجما عند المسجد وانا ممن رجمهما • ومن يرد الله فتنته • اضلاله • فلن تملك
له من الله شيئا • من الهداية ودل هذا على ان خزنه كان شفقة عليهم • اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم • من الشرك والنفاق • لهم في الدنيا خزي
بظهور كذبهم على الله تعالى في كتابه الذي يؤمنون به وغير ذلك من الذلة المضروبة

عليهم

عليهم • ولهم في الاخرة عذاب عظيم • لانضمامه لخزي الدنيا اليه • سماعون للكذب
اكالون للسحت • هو الحرام لانه مسحوت البركة او يسحت لها اذا اختلط
بالحرام من سحته واسحته استاصله وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بضمتين
والمراد به ما كانوا ياخذونه من الرشى على الاحكام وتحريف الكلم • فان جاؤك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم • انت مخير نسخ بقوله واحكم بينهم بما انزل الله وقال
الشافعي وابو حنيفة رحمهما الله تعالى الا ان الشافعي في قوله وجوب الحكم بما اذا كان
احد الخصمين مسلما • وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا • من الضرر لان الله تعالى
عاصمك من الناس • وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط • بالعدل • ان الله يحب
المقسطين • العادلين في الاحكام • وكيف يحكمونك • تعجيب من طلبهم
الحكم منه وهم لا يؤمنون به ولا بكتابه واشارة الى انهم انما تحاكموا اليه
لغرض لهم • وعندهم التورية • والحال ان عندهم ما يغنيهم عن السؤال • فيها حكم الله
تقرير لكون التورية مغنية عن طلب الحكم منه • ثم يتولون من بعد ذلك
التحكيم وثم لاستبعاد التولي بعد الرضى بحكمه داخل تحت التعجيب • وما اولئك
بالمؤمنين • بكتابهم فضلا عن الايمان بغيره او ليسوا بالكاملين في الايمان تهكما
بهم لانهم كانوا يزعمون ذلك • انا انزلنا التورية فيها هدى ونور • عظم شان
التورية مزيد توبيخ لهم • يحكم بها النبيون • من لدن موسى الى محمد عليهما السلام
الذين اسلموا • صفة مدح لا للموصوف فان النبوة اعلى شانا من الاسلام
بل للصفة نفسها اشارة الى عظم شانها تعريضا باليهود وبانهم بمعزل عن ملة
الاسلام التي هي دين الانبياء ويجوز ان يراد بالاسلام التفويض بالكلية
والتوجه الى جناب القدس كقول ابراهيم عليه السلام اسلمت لرب العالمين
والمعنى هم مع نباهة شانهم منقادون لحكم التورية ويتولونها ويعرضون عنه
وتحريفونه • للذين هادوا • صلة يحكم او انزلنا لان نفعه عائد اليهم • والربانيون
العلماء والزهاد منسوب الى الرب والالف والنون لتغيير النسب و
والاحبار • جمع حبر بالكسر والفتح العالم الكبير • بما استحفظوا من كتاب الله
لاجل استحفاظ الانبياء اياهم الحكم والقضاء بما فيه ويجوز ان يكون الضمير لهم
وللانبياء اي بان كلفهم الله حفظه من التحريف والتبديل • وكانوا عليه
شهداء • رقباء • يحفظونه عن التبديل والتحريف • فلا تخشوا الناس
اي اذا علمتم ان الاحبار كانوا حافظين للتورية حاكمين بما فيه فانتم اولى بذلك
فلا تجوروا في الاحكام خشية من الناس واخشوني • لان الامر كله بيدي • ولا
تشتروا باياتي ثمنا قليلا • حطاما فانيا كما فعل اهل الكتاب • ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الكافرون • حقيقة ان اعتقدوا جوازه والا كفروا

باشرف نعم الله تعالى وهو العلم الذي لم يعملوا به ✽ وكتبنا عليهم فيها ✽ في التورية ✽ ان
النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن
بالسن والجروح قصاص ✽ استدل به ابو حنيفة رحمه الله تعالى على ان المسلم يقتل بالذمي
والحر بالعبد بناء على انه حكى شرع من قبلنا على انه شرعنا وخالفه الشافعي رحمه الله
لما روى البخاري عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم
بكافر وحكى الاجماع على عدم قتل الحر بالعبد ولما قال ابن عباس رضي الله عنه
ان الاية اوجبت القود لزوما من غير بدل ولا عفو فلا يعمنا ولا تنسخ الحر بالحر
والعبد بالعبد وقرا نافع الاذن بسكون الذال وقرا الكسائي العين وما بعدها
بالرفع عطفا على ان واسمها لان الكتابة فيها معنى القول فالمفتوحة بعدها
في حكم المكسورة وقرا هو وابن كثير وابو عمرو وابن عامر الجروح بالرفع والوجه
ما تقدم فمن تصدق به ✽ بالقصاص اي العفو صدقة ترغيبا ✽ فهو كفارة له
يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه القصاص ولا يخفي بعده ✽ ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ✽ الكاملون في الظلم ✽ وقفينا
على اثارهم بعيسى ابن مريم ✽ قفيت زيدا اذا جئت بعده وتعدى الى
الثاني بالباء تقول قفيت زيدا بعمرو حذف المفعول الاول لان على اثارهم
سادة مسده اي اتبعنا انبياء بني اسرائيل بعيسى ✽ مصدقا لما بين
يديه من التورية واتيناه الانجيل فيه هدى ونور ✽ فيه بدان الوصفان ✽ و
ومصدقا لما بين يديه من التورية ✽ عطف على فيه هدى وكذا قوله ✽ وهدى وموعظة
ويجوز نصبهما على العلية ✽ للمتقين ✽ لانهم المنتفعون به ✽ وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه ✽ اي قلنا لعيسى بن مريم بان يحكموا بما فيه على حد وما
اتاكم الرسول فخذوه وقرا حمزة بكسر اللام ونصب الفعل على انها لام كي
عطفا على هدى لانه في حكم المصدر وان انتصب هدى على الحال يتعلق
باتينا عطفا على علة محذوفة ✽ ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الفاسقون ✽ مفصل اولا بالكفر وثانيا بالظلم وثالثا بالفسق فعن ابن
عباس رضي الله عنه ان الكل في اهل الكتاب لما سئل عنه قال نعم القوم انتم
ما كان من حلو فهو لكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب وعن الشعبي ان الاول
في المسلمين والثانية في اليهود والثالثة في النصارى وعن ابن مسعود
والحسن رضي الله عنهما الكل في الكل وهو الوجه وفي الاية دليل على ان شريعة
عيسى عليه السلام كانت ناسخة لشرع موسى عليه السلام والقول بانه
انزل الله تعالى في الانجيل العمل بما في التورية خلاف الظاهر ورده
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ✽ وانزلنا اليك الكتاب ✽ القران

بالحق ✽ ملتبسا به ✽ مصدقا لما بين يديه من الكتاب ✽ ما تقدمه من الكتب
واللام في الاول للعهد وفي الثاني للجنس ويجوز العهد باعتبار كونه نهاوشا
خص بما عدا القران ✽ ومهيمنا عليه ✽ رقيبا وحفيظا يشهد بصدقه
من الامين اصله مؤامن بهمزتين قلبت الاولى هاء والثانية ياء
تخفيفا ✽ فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من
الحق ✽ منحرفا عنه فضمن جاء معناه فعدي بعن ✽ لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا ✽ الشرعة والشريعة طريق الماء اطلق على الدين الموصل
الى زلال الحياة الابدية والمنهاج الطريق الواضح فالعطف باعتبار
الصفة وقيل المنهاج الدليل الموصل الى الدين ولا يلزم المخالفة في كل
الاحكام فلا ينافي شرع من قبلنا شرعنا ولا قوله فبهداهم اقتده
لانه في العقايد التي لا تتبدل ✽ ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ✽ تابعة
لشرع واحد ✽ ولكن ليبلوكم فيما اتاكم ✽ من الشرائع المختلفة فان ترك
المألوف مخالف لهوى النفس الا ترى انهم لما كانوا لم يروا في اشهر الحج العمرة
في الجاهلية لما امرهم بها كيف شق عليهم وتوقفوا فيه حتى قال لو استقبلت من امري
ما استدبرت لما سقت الهدي ✽ فاستبقوا الخيرات ✽ كلما الاستباق بمعنى
المسابقة وهي القصد الى التقدم على الاخر في السبق ✽ الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون ✽ ويجازي السابق والمقصر على قدر سعيه ويميز المحق عن
المبطل ✽ وان احكم بينهم بما انزل الله اليك ✽ روى ابن اسحق عن ابن عباس
رضي الله عنه ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قالوا تعالوا
نذهب الى محمد نفتنه فاتوا رسول الله وقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار وانا ان
اتبعناك اتبعك اليهود وبيننا وبين قوم خصومة نتحاكم اليك فتحكم لنا
ونحن نؤمن بك فابى ذلك فنزلت ✽ فان تولوا ✽ اعرضوا عن حكمك
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم ✽ اي بسبب توليهم وابهمه اشارة
الى عظمه بين الذنوب كقول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها والمراد
عذاب الدنيا لان العذاب على الكل في الاخرة وكان كذلك عن قريب
قبل قريظة واجلى النضير ✽ وان كثيرا من الناس لفاسقون ✽ خارجون عن
طاعة الله تعالى ✽ افحكم الجاهلية يبغون ✽ كانت بنو النضير اشرف من قريظة
فكان النضيري لا يقتل بالقرظي ودية القرظي نصف دية النضيري فتحاكموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم بالسواء فقالوا نرجع الى حكم اباءنا فنزلت
وفيه توبيخ لهم حيث كانوا اهل العلم ويتبعون الملة الجاهلية وقرا ابن عامر
تبغون بالخطاب وهو اشد توبيخا ✽ ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ✽

اي الاحسن واللام للبيان كما في هيت لك اي القاء هذا الكلام مختص بمن يوقن فانه
الذي يتدبر بغيته ويتحقق ان يكون حكمه لان حسن حكم الله لا يختص قوما دون قوم
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لانهم اعداء الله ورسوله
ثم علل بقوله بعضهم اولياء بعض لان الجنسية علة الضم وفي الحديث المرء على
دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقال الشاعر لا تسأل عن المرء وابصر قرينه
وكل قرين بالمقارن يقتدي ومن يتولهم منكم فانه منهم تشديد وتنفير كقوله
صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ان الله لا يهدي القوم
الظالمين الكاملين في الظلم وهم الذين لا يتركون موالاتهم بعد النهي عن عبد الله بن عتبة
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ليتق احدكم ان يكون يهوديا او نصرانيا
فعلمنا انه يريد هذه الآية فترى الذين في قلوبهم مرض نفاق يسارعون فيهم
روي ابن اسحق ان قينقاع نقضت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
بين عبد الله بن سلول وعبادة بن الصامت وبينهم موالاة وحلف فاما
عبادة بن الصامت فانه تبرأ منهم وقال اتولى الله ورسوله والمؤمنين واما
ابن سلول فهو الذي في قلبه مرض قال انا لا ابرأ منهم وقال ان لي اموالا
واسبابا لا ادري ما يكون من ريب الزمان ودوائره فقال له رسول الله
يا ابا الحباب ما نفست به من ولاء اليهود على عبادة فهو لك دونه فقال
رضيت والمسارعة تستعمل بالى وايثار في للدلالة على انه داخل في عدادهم
واحد منهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح
بفتح مكة وظهور شوكة الاسلام او امر من عنده بقتل قريظة واجلاء
النضير وضرب الجزية على غيرهم فيصبحوا فيصير المنافقون على ما اسروا
في انفسهم من الشك في امر رسول الله نادمين حين لا ينفعهم الندم و
ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا جهد ايمانهم انهم كلام مبتدأ
اي ويقول المؤمنون في ذلك الوقت فيما بينهم هذا الكلام اظهارا لما انعم الله
عليهم او مواجهة لليهود ونصبه ابو عمرو على ان عسى فعل تام وان يأتي بدل من فاعله
ويقول عطف عليه او بتقدير آمنوا اي عسى الله ان يقول الذين آمنوا او لما كان
قول المؤمنين مسببا عن الاتيان بالفتح اقيم مقامه مبالغة في اتحاده او عطف
لانه بتقدير الفعل مع ان او على فيصبحوا لانه جواب الترجي وهو من الله تعالى تحقيق
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بحذف الواو جواب سؤال اي ماذا يقول
المؤمنون اذا جاء الله بالفتح والرسم مختلف ثابتة في العراقي ومحذوفة
في الحجازي والشامي وجهد الايمان اغراق الوسع فيها توكيدا حبطت اعمالهم
فاصبحوا خاسرين في الدارين من قول المؤمنين تعجبا يا ايها الذين آمنوا

من يرتد

من يرتد منكم عن دينه ارتد في زمن رسول الله ثلث طوائف بنو مدلج ورئيسهم
ذو الحمار وهو الاسود العنسي باليمن قتله فيروز الديلمي واصحابه وبنو حنيفة قوم
مسيلمة الكذاب فقتل في ايام الصديق قتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد
قوم طليحة ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع طوائف في زمن الصديق فزارة
وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وبعض تميم وكندة وبنو بكر بن وائل وقرأ نافع
وابن عامر ومن يرتدد بفك الادغام وهو الاصل لان ثاني المثلين سكن
وعليه رسم الامام والمدني والشامي ومن ادغم حرك الثانية ورام التخفيف
فسوف يأتي الله بقوم هم اهل اليمن وقيل فارس روي انها لما نزلت وضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على عاتق سلمان وقال هم هذا وذووه فان
قلت اين الراجع الى المبتدأ قلت ان جعل الخبر الجزاء وحده فالتقدير يأتي الله
بقوم مكانهم وان جعل الشرط والجزاء فضمير دينه يحبهم ويحبونه محبة الله
عبده توفيقه للايمان والطاعة وغفران ذنوبه ومحبة العبد امتثال اوامره
واجتناب ما نهاه والناس في ذلك متفاوتون تفاوتا يفوته الحصر
وقدم محبته لانها الاصل والموجب لمحبة العبد اذلة على المؤمنين من
الذل بضم الذال ضد العزة عدي بعلى اما للمقابلة او لتضمين معنى العطف
والحنو اعزة على الكافرين غالبين عالين بالبأس كقوله اشداء على الكفار
يجاهدون في سبيل الله في اعلاء كلمته ولا يخافون لومة لائم اي يجاهدون
وحالهم هذا لا كالمنافقين الذين يجاهدون نفاقا وطمعا في المغانم خائفين
من لوم اليهود او عطف على معنى انهم في دينهم صلاب او حدتون لا يخشون عبادتهم
يقتلون الآباء والابناء وفيه توكيد وتعميم بناء المرة وتنكير لائم اي لا يخافون
شيئا من اللوم من لائم ما ذلك المذكور من الاوصاف الشريفة
فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع فضله عليم بمن يستحقه انما
وليكم الله ورسوله والذين آمنوا متصل بقوله لا تتخذوا وما في البين تأكيد
للنهي وانما افرد الولي ليكون في الكلام اصل وتبع كقوله عليه السلام للخطيب
لما قال ومن يعصهما فقد غوى قل ومن يعص الله ورسوله بئس خطيب القوم انت
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون رفع او نصب على
المدح او بدل من الموصول يميز المخلص من الذين آمنوا السنة ومعنى راكعون
خاشعون مدح لهم بانهم جامعون بين حسن الاعمال ظاهرا وباطنا وقيل
حال من يؤتون الزكوة لما روي ابن عباس رضي الله عنه ان سائلا اتى لعلي بن ابي
طالب رضي الله عنه وهو راكع فالقى اليه خاتمه فنزلت وعلى هذا ايثار الجمع تعظيما له
وترغيب لغيره والحصر للمبالغة لكونه في اقصى مراتب البر ومن يتول الله ورسوله

ومن يتول الله ورسوله فان حزب الله هم الغالبون والحزب طائفة اجتمعوا لامر
حزبهم اقامه مقام المضمر اشارة الى انهم اعلام في كونهم حزب الله لا يسبق الى الفهم
غيرهم او ذكرته للتوطئة وحزب الله رسول الله والمومنون والمعنى ومن يتولاهم
فقد تولى حزب الله والاول اوفق ؛ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا
دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء ؛ افرد اهل
الكتاب اولا وضم اليهم الكفار ثانيا لشدة عداوة اهل الكتاب والغرض
من الهزء تحقير المهزوء به ومن اللعب جلب الفرح وقرا ابو عمرو والكسائي
والكفار بالجر وهو المختار لقرب المعطوف عليه ولشمول الاستهزاء الفريقين
وللقراءة اي ومن الكفار ؛ واتقوا الله ان كنتم مؤمنين ؛ في اتباع ان ولاية على نوع
موالاة بينهم ؛ واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ؛ اي واذكر ذلك
الوقت ليظهر لكم موجب عدم موالاتهم كانوا يتضاحكون عند ركوع المؤمنين
وسجودهم ويكثرون اللغو يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ؛ ذلك
بانهم قوم لا يعقلون ؛ اذ لو عقلوا لما اتخذوا افضل الاعمال ومعراج العبد ومحل مناجاة
الرب هزوا كيف ولا عبادة بدنية الا وهي موجودة في الصلوة وفي كل ركعة
سجدتان واقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ؛ روى ابن جرير انه
كان بالمدينة رجل من نصارى نجران كلما سمع في الاذان اشهد ان محمدا رسول الله
يقول حرق الله الكاذب فدخلت خادمه بالنار ليلا وهو نائم فتطايرت
منها شرارة فاحرقته واهله وماله ؛ قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان
آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل ؛ اي ما تعيبون منا الا ما هو اصل
المناقب وهو الايمان بكل الكتب المنزلة عن ابن عباس رضي الله عنه ان جمعا من
اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا تؤمن قال بالله تعالى وبما انزل
الينا وبما انزل الى ابراهيم وعد الانبياء الى عيسى عليه السلام فعابوه لما ذكر عيسى
فنزلت ؛ وان اكثركم فاسقون ؛ عطف على ان آمنا اي ما تعيبون الا الجمع
بين ايماننا وفسقكم او على المجرور اي ايماننا بالله وبان اكثركم فاسقون
قل هل انبئكم بشر من ذلك ؛ المتقدم اي اهله ؛ مثوبة عند الله ؛ استعمال
المثوبة في الشر على طريقة التهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم وتحية بينهم ضرب
وجيع ؛ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ؛ خبر مبتدا
اي هو من لعنه الله او بدل من شر او نصب بما دل عليه انبئكم ذكر اليهود
باقبح الاوصاف وهو الطرد من رحمته الواسعة وتبديل خلقهم من احسن
تقويم الى اخس شكل وصورة من القردة والخنازير وهؤلاء هم اصحاب
السبت مسخ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير وقيل القردة اصحاب

السبت والخنازير اصحاب المائدة ؛ وعبد الطاغوت ؛ الشيطان
او الكاهن او الساحر او الصنم وكل رئيس شر طاغوت صيغة مبالغة من طغى
وقرا حمزة عبد بضم الباء وجر الطاغوت على انه اسم جمع او مفرد كحذر وفطن
وهو المبالغ في العبودية ؛ اولئك شر مكانا ؛ اسناد الشر الى المكان كناية
عن ثبوته لهم كقولهم المجد بين برديه والسلام على المجلس العالي ؛ واضل عن سواء
السبيل ؛ عن وسطه المعتدل واسم التفضيل في امثال هذه المواضع من
باب المجازاة والبناء على زعم الخصم والا فلا مشاركة بين المؤمنين وبين
اليهود ؛ واذا جاؤكم قالوا آمنا ؛ هؤلاء منافقوا اليهود ؛ وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به ؛ حال من فاعل جاؤا ولذا دخلت عليه قد ولان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان متوقعا اخبار الله بنفاقهم وزاد الضمير وقدمه في
الجملة الثانية لان خروجهم بالكفر بعد سماع كلام الله ومواعظ رسول الله مستبعد
والله اعلم بما كانوا يكتمون ؛ فيما يرجم من العداوة ؛ وترى كثيرا منهم ؛ من
اليهود ؛ يسارعون في الاثم ؛ في الشرك لقولهم عزير ابن الله او في الزور
بالتحريف والافتراء على الله تعالى لقوله وقولهم الاثم ؛ والعدوان ؛ والظلم المتعدي
واكلهم السحت ؛ الحرام افرده بالذكر لان اليهود موسومون باكل الرشى ؛ لبئس ما
كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت ؛ تخصيص
وحث للزهاد والعلماء منهم على النهي عن المنكر لبئس ما كانوا يصنعون ؛ اي الربانيون
والاحبار آثر لفظ الصنع الذي يحتاج الى تدرب وتعمل زيادة توبيخ لهم لان ترك
المنكر له داعية اليه والتذاذ بمباشرته بخلاف تارك النهي عنه ولذلك قال ابن عباس
رضي الله عنه هي اشد آية في القرآن ؛ وقالت اليهود يد الله مغلولة ؛ الغل والبسط
كنايتان عن البخل والجود او مجازان ولذلك لو جاء مقطوع اليدين يقال بسط يده
بالعطاء الا ترى الى قوله في وصف السحاب جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت
نداه تلاعه ووهاده كانوا اصحاب اموال وزرع فاخذهم الله بالفاقة والقحط لما كذبوا
رسول الله كما فعل بآل فرعون بالسنين ونقص من الاموال والثمرات لانهم لما لم يشكروا
اجل نعم الله سلبهم اياها وهي الخصب والقائل فنحاص بن عازورا اسند قوله الى الكل لانهم
رضوا بما قال ؛ غلت ايديهم ؛ دعاء عليهم بالبخل ولذلك لا ترى ابخل من اليهود ولا
انكد عيشا او بحقيقة الغل في الدنيا بالاسر والرق وفي الآخرة حين يسحبون الى جهنم
والاغلال في اعناقهم ؛ ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ؛ اثبت ما نفوه من جوده
على ابلغ وجه اذ غاية احوال الجواد ان يعطي السائل بيديه ؛ ينفق كيف يشاء ؛
استيناف لبيان بسط اليدين او حال من مضمونه لانه في معنى الجواد اي ينفق
على وفق حكمته لا ينقص الانفاق من خزائنه شيئا كما رواه مسلم عنه عز وجل عطائي كلام

ومبنى كلام ولَيزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اذ سمعوا
مثالبهم وقبائحهم وكما ان الايمان يزداد بازدياد المؤمن به فكذلك الكفر يزداد
بازدياد ما كفر به والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة لا يتفقون على
كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله مجاز عن السعي في اسباب الحرب والفتن
عن قتادة لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر وافسدوا ثانيا
فسلط عليهم فطرس الرومي ثم جاء الاسلام وهم تحت يد المجوس ودل
على ان ذلك كان دابهم ويسعون في الارض فسادا باخذ الرشى وتحريف
كتاب الله وتضليل العوام والله لا يحب المفسدين كل نفسه منهم ومن غيرهم
ولو ان اهل الكتاب آمنوا بما جاء به محمد عليه الصلوة والسلام واتقوا عما
كانوا فيه من السعي بالفساد لكفرنا عنهم سيئاتهم لان الايمان يجب ما قبله
ولادخلناهم جنات النعيم تفضلا بعد العفو عن جناياتهم ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم وهو القران المجيد لانهم مكلفون بما فيه
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم كناية عن السعة في الرزق كقوله ولو ان
اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض او من فوقهم
ثمار الاشجار ومن تحتهم حبوب الزروع او من فوقهم الجنة لانها فوق السماء ومن
تحت ارجلهم الدنيا لانها تحت تصرفهم يتمكنون منها اشارة الى ان ما يصيبهم
من القلة والقحط بسبب كفرهم منهم امة مقتصدة هم الذين آمنوا منهم وكثير
منهم ساء ما يعملون ما اسوء عملهم من الاشراك وتحريف الكتاب يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك من الوحي يشمل المتلو وغيره وان ازداد
اليهود بذلك طغيانا وكفرا فلا تبال وان لم تفعل ما امرت به وتركت
منه ادنى شيء فما بلغت رسالته خرجت منها وسلبت منك اسم الرسول
كالمصلي اذا ترك ركنا من اركانها وشرائطها لم يكن مصليا روى مسلم
عن عائشة رضي الله عنها من قال ان رسول الله لم يبلغ شيئا مما انزل اليه
فقد كذب والله يقول بلغ ما انزل اليك ولو كتم شيئا لكتم وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه وما قيل المراد تبليغ ما يتعلق بمصالح العباد فان من الاسرار
الالهية ما يحرم افشاؤه مع كونه قولا بلا دليل مناقض للحديث وعموم ما دل
عليه كلمة ما وقرا نافع وابن عامر رسالاته لانه جمعها باعتبار الاحكام والله يعصمك
من الناس ازاحة لعذره في عدم التبليغ نزلت في حجة الوداع فلا اشكال في
كسر رباعيته وشج راسه يوم احد وقيل المراد عصمته من القتل عن عائشة وانس
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرس بالليل فكان ليلة من الليالي
في قبة فاخرج راسه من القبة وقال ايها الناس انصرفوا فان الله عصمني ان الله

لا يهدي القوم الكافرين الذين خلقوا للنار وقيل لا يمكنهم منك لان التمكين
لازم للهداية وفيه توكيد للعصمة قل يا اهل الكتاب لستم على شيء من الدين
حتى تقيموا التورية والانجيل بان تزيلوا ما حرفتم وبدلتم وما انزل اليكم
من ربكم وهو القرآن بان تؤمنوا بما فيه وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا كرره ليترتب عليه قوله فلا تاس على القوم الكافرين
لا تاسى اشد الحزن ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون و
والنصارى ارتفع الصابئون على الابتداء والخبر محذوف على نمط
فاني وقيار بها لغريب او المذكور خبره وتقدير ما خبر كقوله نحن بما عندنا
وانت بما عندك راض على ما اختاره سيبويه في زيد وعمرو قائم واما عطفه
على محل ان واسمها فلا يجوز لان ذلك مشروط بتقدم الخبر فلا تقول ان
زيدا وعمرو منطلقان برفع عمرو على الابتداء لاجتماع عاملين مختلفين
على معمول واحد فان قلت فقدر له خبرا وقد زال المانع قلت الخبر صالح
للمجموع والتقدير خلاف الاصل ولا نكتة للعدول من امن بالله واليوم
الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون قدم الابعد فالابعد
فان المنافقين واليهود ابعد عن الايمان من الصابئة وهم ابعد من
النصارى والعائد محذوف اي منهم فان قلت ذكر في سورة البقرة فلهم
اجرهم عند ربهم فلم اختصر ههنا قلت لتقدم ذلك ثمه نزولا فاكتفى باصل
الكلام لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا اعاد
ذكر اخذ الميثاق ليترتب عليه سائر قبائحهم ليعلم ان نقض الميثاق
منهم كان من وجوه شتى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم من
التكليف فريقا كذبوا كمحمد وعيسى عليهما السلام وفريقا يقتلون
كزكريا ويحيى عليهما السلام آثر في القتل المضارع تصويرا لتلك الفعلة
الشنيعة وحسبوا ان لا تكون فتنة بعد ذلك التكذيب والقتل
ان مع ما في حيزه سادة مسد مفعولي الحسبان وفيه اشارة الى خطائهم
في ذلك الحسبان فعموا عن طريق الحق وصموا عن استماعه ثم تاب الله
عليهم قبل توبتهم لما تابوا ثم عموا وصموا مرة بعد اخرى او المراد هؤلاء
اعقاب اولئك كثير منهم بدل من الضمير لكونه موصوفا ولا حاجة
الى جعله من قبيل اكلوني البراغيث والله بصير بما يعملون وعيد لهم
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم اعاده لان ما تقدم
مقالة من عاصر رسول الله الذين حاجوه من وفد نجران وهذه مقالة
من كان في عهد عيسى عليه السلام بدليل قوله وقال المسيح يا بني اسرائيل

اعبدوا الله ربي وربكم: وقد سبق ان هذا مقالة اليعاقبة: انه من يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة: منعه منها كما يمنع المكلف من الحرام
ومأويه النار: منزله المعدة: وما للظالمين من انصار: من كلامه
تعالى اي اذا كان من ادعى له الالوهية هذا كلامه من اين لهم ناصر
بعده او من تمام نصح عيسى مواجهة اي لا ناصر لكم في هذا القول او من
عذاب الآخرة وايثار المظهر للدلالة على انهم بذلك القول داخلون في
زمرة الظالمين وجمع الانصار اما باعتبار زعمهم او على طريق مقابلة الجمع
بالجمع او بتقدير مضاف اي جنس الانصار: لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلثة: هؤلاء النسطورية والملكانية: وما من اله: يستحق العبادة: الا اله
واحد: في ذاته وصفاته: وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب اليم: اقام المظهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر واعلاما
بانهم اعلام في الكفر لان المبين اعرف واعرق من المبين لا محالة: افلا
يتوبون الى الله: عطف على قوله لقد كفروا على يصرون مقدر والهمزة
للتعجيب من اصرارهم بعد تكرر الشهادة عليهم بالكفر: ويستغفرونه
لما سلف من ذنوبهم: والله غفور: لما سلف: رحيم: حيث يحاجج
الى التوبة بعد ذلك الكفر البليغ: ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل: شانه كشانهم ان كانت الشبه في ابراء الاكمه والابرص
فصيرورة عصى موسى حية مع تلك الصفات اعزب وان كان في ولد
انه من غير اب فآدم عليه السلام اولى بذلك منه: وامه صديقة: كسائر
المصدقين وفيه دلالة على انها لم تكن نبية: كما زعم بعضهم ولا موصوفة
بما رماها اليهود: كانا ياكلان الطعام: محتاجان الى ما يحتاج اليه سائر الحيوانات
وتخصيص الطعام لان النصارى لا يقدرون على انكاره: انظر كيف نبين لهم الآيات
على اسلوب بديع حاسم للشبهة: ثم انظر انى يؤفكون: كيف يصرفون عن
الحق بعد ظهوره ثم للتراخي بين التعجبين لان اعراضهم بعد ذلك البيان العجيب
اعجب: قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا: شيئا من المضار
والمنافع دينا ودنيا وفي ابراء الاكمه والابرص لم يكن مستبدا بل مستفيدا والله
هو السميع العليم لاقوالكم: العليم: بعقائدكم: اتعبدون العاجز وتذرون
القادر على ان عدم ضره ونفعه اياكم كناية عن عجزه كما ان السميع العليم كناية عن القدرة
وايثار ما لكون الكلام في مقام الكبرياء وتبعيدا له عن مقام الالوهية: قل يا اهل
الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق: اي غلوا غير الحق على انه وصف مؤكد
كامس الدابر لان الغلو يكون حقا وباطلا لانه تجاوز عن الحد فلا يكون موصوفا

بالحقيقة قط الا ترى الى قوله اياكم والغلو في الدين: ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل: قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم: واضلوا كثيرا: ممن شايعهم وضلوا
بعد بعثته: عن سواء السبيل: متعلق بضلوا لفظا وبالثلثة معنى: لعن
الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم: تنفير
عن اتباعهم بانهم ملعونون على لسان الرسل ثابت لعنتهم في الكتب
الالهية عن ابن عباس رضي الله عنه لعنهم الله في زبور داود وانجيل عيسى
وقيل دعا داود على اهل ايلة لما احلوا السبت فمسخوا قردة ودعا عيسى
على اهل المائدة لما كفروا فمسخوا خنازير: ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
لم يكن ذلك اللعن الا للافراط والغلو في العصيان لان الرحيم لا يؤاخذ الا
بعد الاسراف: كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه: تقرير للاعتداء
في المعصية لان الانسان له داعية الى مباشرة المعصية واما ترك النهي
فلا والمعنى لم ينه بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر
فعلوه او ارادوا فعله روى ابو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا من بني اسرائيل كان يرى الآخر
في معصية يقول له اتق الله ثم يلقاه في الغد فيكون اكيله وشريبه ثم قال
والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن
على يد المسيء او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض او ليلعننكم كما لعنهم روى
ابو داود والترمذي عن ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر: لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا
منهم يتولون الذين كفروا: يرى فيهم الحال في الضلال حتى يوالون من يباشر
اشد المنكرات فضلا عن النهي عنه: لبئس ما قدمت لهم انفسهم: ما هو
ما قدموه ليوم تشتد فيه الحاجة: ان سخط الله عليهم: مخصوص بالذم على تقدير
المضاف اي موجب سخط الله تعالى: وفي العذاب هم خالدون: لا محالة
لو كانوا يؤمنون بالله والنبي الذي آمنوا به: وما انزل اليه: من الكتاب
او بمحمد والقران على ان الكلام في منافقي اهل الكتاب: ما اتخذوهم اولياء
لتنافي بين الولايتين: ولكن كثيرا منهم فاسقون: فلذلك يوادونهم
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا: كفى باليهود
خزيا كونهم ملزوزين مع المشركين في قرن حيث ذكروا: ولتجدن اقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى: وان لم يكونوا من النصارى
حقا: ذلك بان منهم قسيسين: علماء من قس الشيء طلبه قال يصبحن
عن قس الاذى غوافلا: ورهبانا: عبادا من رهب الشيء خافه: وانهم

لا يستكبرون • لرقة طبعهم ورأفة قلوبهم وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة • وفيه حث على محاسن الأخلاق فإنها محمودة من الكافر فكيف من المؤمن لما أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت حاتم وأعطاها نفقة فقال أكرموها فإن أباها يقري الضيف • وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع حزنا عطف على لا يستكبرون يقال فاض الماء إذا كثر وسال عن جوانب الحوض أطلق على الامتلاء إطلاق المسبب على السبب أو الإسناد مجاز مثل جرى النهر والدمع مصدر عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في النجاشي وأصحابه وذلك أنه لعله بعد وقعة بدر أرسل المشركون عمرو بن العاص إلى النجاشي يطلب منه من هاجر إلى الحبشة من أصحاب رسول الله ليقتلوهم بدل قتلاهم ظلما وفد إليه عمرو وذكر له أنهم يعيبون عيسى بن مريم فطالعهم النجاشي إلى مجلسه وجمع القسيسين والرهبان ووضعوا الكراسي ونشروا عليها الإنجيل فلما حضروا مجلسه وكان جعفر بن أبي طالب كبيرهم فسأله النجاشي عن شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما يأمر به فذكر أنه يأمر بالصلوة والصدقة والعفاف وصلة الأرحام وقال هل معك من كلام الله الذي جاء به قال بلى قال فاتل منه وكان جعفر حسن الصوت جهوريا فافتتح سورة مريم فلما سمعوا شأن عيسى في حمله وتولده بكوا هذا البكاء الذي أخبر الله عنه فقال النجاشي لعمرو أين عيب عيسى عليه السلام قال عمرو أليس تقول فيه إنه عبد الله وكان بيد النجاشي قضيب فقال والله إن عيسى بن مريم ليباهي بأن يكون عبد الله ولم يتجاوز عيسى عليه السلام عن كونه عبدا مقدار هذا العود ثم رد هدية المشركين وقال لجعفر وأصحابه كونوا آمنين • مما عرفوا من الحق • من الأولى ابتدائية والثانية بيانية وما موصولة أو تبعيضية أي ما عرفوه بعض الحق أو مصدرية • يقولون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين • الذين يشهدون بالحق أو مع أمة محمد الذين يشهدون للأنبياء بالتبليغ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس • وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق • جملة حالية والعامل فيها معنى الفعل في اللام استبعدوا أن يكونوا غير مؤمنين مع قيام موجب الإيمان روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه أن هؤلاء كانوا ملاحين قدموا مع جعفر وأصحابه عام خيبر فآمنوا برسول الله فقال لهم لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم قالوا وما لنا لا نؤمن • ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين • حال أخرى والعامل فيها هو العامل في الأولى مقيدا بها أي أي شيء يحصل لنا غير مؤمنين والحال أنا نطمع أو حال عن فاعل لا نؤمن أو عطف عليه باعتبار النفي أي وما لنا لا نجمع بين الإيمان والطمع بالدخول في صحبة الصالحين بالدخول في الإسلام • فأثابهم الله بما قالوا

بذلك القول الناشئ عن خلوص الاعتقاد • جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين • كل محسن • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم • الملازمون لها غير الأسلوب دلالة على سعة رحمته وسبقها والتكذيب بالآيات وإن كان داخلا في الكفر إلا أنه صرح به لأنه في مقابلة كلام المصدقين بما جاءهم من الحق • يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم • كما فعل أهل الكتاب أو لا تتركوها ترك الحرام تزهدا وتقشفا روى مسلم والبخاري أن ناسا من أصحاب رسول الله سألوا أزواجه عن عمله سرا فكأنهم تقالوه وقالوا أين نحن منه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال بعضهم أنا لا أتزوج النساء وقال بعضهم أنا لا أنام على الفراش فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال أقوام يقولون كذا وكذا والله إني أخشاكم وأعلمكم بالله لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وعن الحسن أنه دعي إلى طعام فذهب بأصحابه فقعد على المائدة وكان عليها ألوان الطعام وفيها الفالوذج فاعتزل فرقد السبخي ناحية فقال الحسن ما له أصائم هو قالوا لا لكنه يكره الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فرقد لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن ما عابه مسلم وقيل له إن فلانا لا يأكل الفالوذج يقول لا أقدر على شكره فقال جاهل نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من الفالوذج • ولا تعتدوا • لا تتجاوزوا حد الاعتدال إلى الإسراف أو حد الشرع أو بتحريم الطيبات أو لا تظلموا مطلقا • إنه لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا • مقيدا بهذا الحال دل على أن الرزق قد يكون حراما وحمله على الحال المؤكدة أو صفة لمصدر خلاف الظاهر أو مفعول كلوا أو حال حذف العائد إلى الموصول طيبا • واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون • فإن الإيمان به وبصفاته وأفعاله من الثواب والعقاب يوجب التقوى • لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم • هو قول الرجل لا والله وبلى والله من غير قصد إليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى أو ما يظن أنه كذا ولم يكن كذلك وإليه ذهب أبو حنيفة وقيل اليمين في الغضب • ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان عزمتم عليها ووثقتموها بربط القلب وقرأ حمزة وأبو بكر وابن ذكوان بالتخفيف والباقون مشددا وزاد ابن ذكوان ألفا بعد العين إما على أن المفاعلة بمعنى فعل نحو عافاك الله أو عاهدتم عزمكم بالأيمان والمختار القصر والتخفيف اكتفاء بمجرد العزم • فكفارته إطعام عشرة مساكين • لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى ومد من أي كان عند الشافعي رحمه الله تعالى من أوسط ما تطعمون أهليكم • صفة إطعام أو صفة مصدر أي إطعاما من أوسط أو مفعول به أو بدل من إطعام أي من الأعدل بين الأعلى والأدنى توسطا بين الإفراط والتفريط وعن عطاء من خبز • أو كسوتهم • عطف على إطعام على أن الكسوة

فعل فان قلت هل يصح عطفه على محل من اوسط قلت نعم ان قدر مضاف اي الباس
كسوتهم او يجعل من قبيل علفتها تبنا وماء باردا والمقدار من الكسوة ما يطلق عليه
اسمها قلت نعم ان قدر مضاف اي الباس كسوتهم ؛ او تحرير رقبة ؛ مسلمة وشرط
الشافعي رحمه الله الايمان حملا للمطلق على المقيد به في كفارة القتل ؛ فمن لم يجد فصيام
ثلثة ايام ؛ فعليه صوم ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله تعالى التتابع لقراءة ابن مسعود
رضي الله عنه ؛ ذلك ؛ المذكور ؛ كفارة ايمانكم اذا حلفتم ؛ وحنثتم في ايمانكم ؛ واحفظوا
ايمانكم ؛ لا تحنثوا فيها فان الحنث هتك لاسمه تعالى ؛ كذلك يبين الله لكم اياته
مثل هذا البيان الشافي يبين سائر دلائل احكامه ؛ لعلكم تشكرون ؛ نعمة التعليم
او التخيير في الكفارة والتسهيل فيه ؛ يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان ؛ الميسر القمار والانصاب الاحجار المنصوبة التي
كانوا يذبحون عليها او صنامهم او الاصنام والازلام الاقداح التي كانوا يتفألون بها او يستقسمون
بها الجزور والرجس النجس الا انه اكثر فيما يستقذر من الاخلاق افرده لانه مقدر
في الاصل لا لانه خبر الخمر وحده لان قوله من عمل الشيطان بيان له وهو عام في المذكورات
كلها ؛ فاجتنبوه ؛ اي تعاطي المذكورات ؛ لعلكم تفلحون ؛ لكي تفوزوا ؛ انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ؛ افردهما بالذكر لان الكلام مع
المؤمنين وهم لم يتعاطوا الانصاب والازلام ؛ ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة
التي هي عماد دينكم ولذلك افردها ؛ فهل انتم منتهون ؛ ابلغ من ان يقال انتهوا لان
العاقل اذا تأمل ما سبق من الاوصاف يرتدع لا محالة كانه قال قد تلي عليكم ما فيها
من الفساد فبعد هذا البيان هل انتم منتهون ام لا اكد تحريمهما بوجوه تصدير الكلام
بانما وقرانهما بالانصاب والازلام اللذين هما من امارات اهل الاوثان والحكم
عليهما بالنجاسة وجعل الاجتناب عنهما الفلاح وما فيهما من ضرر الدنيا من وقوع العداوة
والبغضاء والدين من الحجاب عن ذكر الله تعالى الذي به حياة القلوب الا بذكر الله
تطمئن القلوب روى ابو داود عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعن في الخمر عشرة بايعها وشاربها وساقيها وعاصرها وحاملها والمحمولة له واكل ثمنها
وروى مسلم ان عثمان الدارمي كان يهدي لرسول الله كل عام راوية خمر فجاء بها بعد تحريم
الخمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حرمت بعدك فقال يا رسول الله ابيعها
وانتفع بثمنها قال ان الذي حرمها حرم ثمنها ؛ واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا ؛ عن
مخالفتهما وامرهما ونواهيهما ؛ فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ؛ فلا تضرون
الا انفسكم فان الرسول قد بلغ ما عليه تبليغه ؛ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا ؛ من الخمر قبل تحريمها روى البزار عن جابر ان ناسا قتلوا يوم احد وقد
صبحوا الخمر فقال فيهم اليهود فنزلت وقيل معناه رفع الجناح عن سائر المستلذات

لئلا يقاس على الخمر وهذا ادق بقوله ؛ اذا ما اتقوا وآمنوا ؛ ثبتوا على ايمانهم و
وعملوا الصالحات ثم اتقوا ؛ ما تجدد حرمته كالخمر ؛ وآمنوا ؛ بانه حكم الله تعالى ؛ ثم
اتقوا ؛ ثم استمروا على التقوى ؛ واحسنوا ؛ واخلصوا في ذلك كله لقوله الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه او احسنوا على الناس بما امكنهم وقيل اشارة في المواضع
الثلثة الى مراتب التقوى الاول ان يتقي ما حرم الله تعالى وهي تقوى العوام والثاني
ان يتقي الشبهات وهي تقوى الخواص والثالث تقوى المقربين وهي ربط البشر
عليه تعالى والى ذلك يشير قوله ما زاغ البصر وما طغى ؛ والله يحب المحسنين ؛ يوفقهم
للطاعات ويجزي لهم المثوبات ويعفو عنهم السيئات ؛ يا ايها الذين آمنوا
ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ؛ نزلت عام الحديبية كثر
الصيد بينهم بحيث كانوا يقدرون على اخذه باليد وتنكير الشيء تحقيرا له لانه
ليس من الامور العظام كبذل الاموال والارواح وحمله احد والشافعي رحمه الله
على التنويع مخصصا له بالماكول لانه المتعارف في الصيد ولقوله خمس من الدواب
ليس على المحرم في قتلهن شيء الغراب والحدأة والفارة والعقرب والكلب
العقور ؛ ليعلم الله من يخافه بالغيب ؛ ليميز الخائف من عذابه ملتبسا بالغيب
عن غيره ؛ فمن اعتدى بعد ذلك ؛ بعد ورود النهي ؛ فله عذاب اليم ؛ في الآخرة
عن ابن عباس رضي الله عنه يضرب ظهرا وبطنا ؛ يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم ؛ اعاد النداء وصرح بالنهي مبالغة وليترتب عليه الجزاء في الدنيا
وذكر القتل دون الذبح لان الصيد قلما يتمكن من ذبحه ؛ ومن قتله منكم متعمدا
قاصدا قتله ؛ فجزاء مثل ما قتل من النعم ؛ اي فعليه جزاء يماثل المقتول حال
كونه من جنس النعم وقرأ غير الكوفيين باضافة جزاء اضافة المصدر الى
المفعول اي فعليه ان يجزي المقتول مثله وجعله من قبيل مثلك لا يبخل لا يلايم
يحكم به ذوا عدل منكم ؛ بانه مثل المقتول ان لم يكن منصوصا من الشارع
هذا اذا كان له مثل في النعم والا فالقيمة وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى سواء كان للمقتول
مثل او لا ليس الا القيمة ثم هو مخير فيها ان شاء تصدق بها وان شاء
اشترى هديا وجوز الشافعي رحمه الله تعالى ان يكون القاتل احد الحكمين ؛ هديا
بالغ الكعبة ؛ تذبح في الحرام باتفاق الائمة فان قلت وجوب الجزاء حكم عام
في العمد والخطاء فما وجه قوله متعمدا قلت انما ذكره ليترتب عليه حكم الانتقام
بقوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه فان قلت كيف لحق به الخطاء
في حكم الجزاء ولا جامع بين الخطاء والعمد قلت لم يلحق به قياسا بل اجماعا على ان
ضمان المتلفات لا يختص بالعمد ؛ او كفارة طعام مساكين ؛ بدل من كفارة
او عطف بيان وقرأ نافع وابن عامر باضافة كفارة نحو خاتم فضة ؛ او عدل

ذلك جنيا ما: يؤدي الطعام بان يطعم كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا
من غيره او يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ طعام مسكين تخير
بين ان يتصدق به او يصوم عنه يوما هذا عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى والشافعي جزاؤه
الا ان طعام كل مسكين مد من اي طعام كان عنده: ليذوق وبال امره متعلق
بمحذوف دل عليه الكلام اي وجب عليه جزاء الصيد على النمط المذكور ليذوق
وخامة جنايته من الوبل وهو الثقل ومنه الوابل للمطر العظيم القطر: عفا الله
عما سلف: من الصيد قبل التحريم اذ لا مؤاخذة على الفروع قبل البيان
اتفاقا: ومن عاد: بعد النهي: فينتقم الله منه: بالكفارة او بالعقوبة
اي فهو ينتقم الله منه خبر مبتدا لان الجزاء اذا كان مضارعا لابد من الفاء
والله عزيز: غالب: ذو انتقام: لا يقدر على منعه احد اذا اراد: احل لكم
صيد البحر: مصيده: وطعامه: ايضا: متاعا لكم وللسيارة: متعلق
بطعامه اي احل لكم الانتفاع بصيد البحر واكل ذلك الصيد طريا لكم ولمن قديدا
يتزود دون منه وقيل الضمير في طعامه للبحر وهو ما قذفه ميتا رواه ابو هريرة
رضي الله عنه مرفوعا وخصص ابو حنيفة رحمه الله تعالى الصيد بالسمك برده حديث
ابن عمر رضي الله عنه هو البحر الطهور ماؤه الحل ميتته رواه البخاري واهل السنن
وكذا حديث جيش ابي عبيدة اكلوا مدة من دابة تسمى عنبر وبقي معهم بقية
اكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما:
ما دمتم محرمين اصطاده بنفسه او غير محرم للمحرم وخصه ابو حنيفة رحمه الله تعالى
بما اصطاده بنفسه او امر غيره ويرده حديث صعب بن جثامة كما رواه البخاري
ومسلم انه اهدى لرسول الله حمارا وحشيا وهو محرم فرده عليه فلما راى انه شق عليه
قال ما رددناه عليك الا انا حرم وانما رده لانه صاده لاجله بدليل انه قبله
من ابي قتادة كما رواه ايضا ولا دليل له في قوله ما دمتم حرما لانه قيد لحرمة ما حرم
سواء كان صيده او صيد غيره ولولا حديث ابي قتادة لحرم مطلقا لدخوله تحت
صيد البر ولا في قوله لا تقتلوا الصيد لانه نهي المخاطب عن قتل الصيد وهو محرم لا يدل
على حل ما صاده غيره لاجله ولا على ان ما قتله لا يحل له اكله ولا لغيره لانه في حكم الميتة
فهذه الآية لاحكام اخرى لا تدل عليها الآية الاولى: واتقوا الله: في المخالفة على حدوده
الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة: لما حرم صيد الحرم اشار الى شرف الكعبة ليدل
على ان من دخل في اكنافها وحرمها حقيق بان يؤمن من اذاه لبركة الامن منها
البيت الحرام: عطف بيان وله في هذا الموضع شان لا يخفى: قياما للناس: قيام
الشيء وقوامه ما به صلاح الشيء واستقامته وكذلك البيت المعظم للتجار يرجون
فضل الاموال ويحطون حمل الاوزار عنده وقرا ابن عامر قيما مقصورا وهي لغة

والشهر

والشهر الحرام: ذي الحجة لانه ايام الحج او الجنس لحصول الامن منها والتمكن من السفر
والهدي: يتمتع بها الفقراء ويثاب بها المتقربون: والقلائد: وذوات القلائد
افردها لانها اشرف والثواب بها اكثر: ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض: فلا يخلو فعله عن حكمة: وان الله بكل شيء عليم: المذكور وغيره:
اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم: قدم صفة الجلال لانه في مقام
التكليف: ما على الرسول الا البلاغ: وقد ادى ما عليه: والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون: حث على الاخلاص: قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك
ايها المخاطب: كثرة الخبيث: في بادي الراي ارد به قصة المحرم لان المحرم محل
القرابين والصدقات على المجاورين المحاويج: فاتقوا الله: في انفاق الخبيث
يا اولي الالباب: يا ذوي العقول الخالصة: لعلكم تفلحون: لكي تفوزوا: يا ايها
الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم: روى الترمذي انهم سألوه
في حجة الوداع افي كل عام فسكت ثم قالوا افي كل عام فقال لو قلت لوجب
دعوني ما تركتكم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم فنزلت وروى البخاري
عن ابن عباس رضي الله عنه ان قوما كانوا يسألونه استهزاء فيقول الرجل من ابي
ويقول الآخر اذا ضلت ناقته اين ناقتي فنزلت: وان تسألوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم: اي ما حين نزول الوحي ان سألتم عنها تظهر لكم ببيان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل ان تسألوا عن تلك الاشياء ما دام رسول الله عليه السلام
فيكم فيظهر لكم ما يسؤكم: عفا الله عنها: عما سلف من المسائل: والله غفور:
للتائبات: حليم: لا يعاجل بالعقوبة: قد سألها قوم من قبلكم: اي المسألة
دل عليها ذكر الفعل والضمير في موقع المصدر او هو من الحذف والايصال اي سؤال
بمعنى الاستعطاء من سأله درهما كسؤال اصحاب المائدة وقوم صالح: ثم
اصبحوا بها بما سألوا عنه او بسبب المسألة كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا
سائبة ولا وصيلة ولا حام: اردف النهي عن السؤال باشياء من اخلاق
الجاهلية تاكيدا للنهي اشارة الى ان تلك المسألة من هذا القبيل ومعنى ما جعل
ما شرع والبحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها
اي شقوه وحرموا الانتفاع ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان الرجل يقول ان
قدمت من سفري سالما او شفيت من مرضي فناقتي سائبة يريد تحريم الانتفاع
بها او عبدي سائبة يريد ان لا عقل ولا توارث واذا ولدت الشاة ذكرا
وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وان ولدت ذكرا وحده ذبحوه
واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا تطرد
عن ماء ومرعى وهذا هو الحام: ولكن الذين يفترون على الله الكذب: كانوا يزعمون

انه شرع ابراهيم روى البخاري رحمه الله تعالى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رايت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف ابا خزاعة يجر قصبه في النار وهو اول من سيب السوائب وغير دين
ابراهيم عليه السلام ❊ واكثرهم لا يعقلون ❊ بل هم كالانعام فلذلك يصدر منهم ما لا
يعقل ❊ واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
آباءنا ❊ تقرير لعدم عقلهم وتناهي بلادتهم حيث لا يتبعون المؤيد بالمعجزات و
يقلدون اباءهم ❊ اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ❊ الواو للحال
والهمزة للانكار والمعنى انقلدونهم وهم على هذا الحال لان شرط المقتدى ان يكون
عالما مهتديا ❊ يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم ❊ نصب انفسكم على الاغراء اي الزموا
انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر بقدر الطاقة او لم يقدروا عليه
لفساد الزمان لما روى الترمذي رحمه الله تعالى عن ابي ثعلبة رضي الله عنه سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر
حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي
برايه فعليك بخاصة نفسك فان من ورائكم اياما الصبر فيهن كالقبض
على الجمر للعامل فيهن اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم ❊ لا يضركم من ضل
مستانف او جزم على الجواب ❊ اذا اهتديتم ❊ بعد ان اديتم ما عليكم
من الامر والنهي ❊ الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ❊ وعد ووعيد
للفريقين ❊ يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت ❊ ظرف
للشهادة اي شارفه الموت ❊ حين الوصية ❊ بدل من اذا قيل في هذا
الابدال دليل على وجوب الوصية لانه جعل زمان حضور الموت الذي لا بد
منه زمان الوصية قلت لا دلالة في ذلك كقولك اغد الي اذا طلعت
الشمس حين صلاة الضحى وحاصله ان لزوم وجود الظرف ليس مستلزما
لوجود المظروف ❊ اثنان ❊ خبر مبتدا على تقدير مضاف اي شهادة
بينكم شهادة اثنين او فاعل شهادة بينكم اي فرض عليكم ان يشهد اثنان
❊ ذوا عدل منكم ❊ صفة اثنان اي من اقارب الموصي وعن ابن عباس
رضي الله عنه من المسلمين ❊ او آخران من غيركم ❊ من غير الاقارب او من
غير المسلمين ❊ ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت ❊ شارفتكم
عطف على ضربتم وجزاء الشرط محذوف دل عليه الكلام اي ان وقع الموت
في السفر ولم تجدوا الاقارب فاستشهدوا من الاجانب او من غير المسلمين
روى الترمذي وابن ماجه رحمهما الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنه ان تميم بن
اوس الداري وعدي بن بداء كانا نصرانيين وكانا بالشام في تجارة فقدم
مولى لبني سهم يقال له بديل بن مريم فلما حضرته الوفاة اوصى اليهما ان يوصلا

ما تركه الى اهله وكان في تركته جام من فضة فباعاه بالف درهم واقتسماه
قال تميم فلما اسلمت جئت اهله بخمسمائة درهم واخبرتهم الخبر فوثبوا على عدي
فانكر فاحتكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحلفوه بما يعظم به اهل دينه
فحلف فقام عمرو بن العاص واخر من قومه فحلفا فنزعت الخمسمائة منه
ففيهم نزلت الآيتان ❊ تحبسونهما ❊ استئناف او صفة آخران ❊ من بعد
الصلوة ❊ صلوة العصر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استحلف عديا بعد
صلوة العصر عند المنبر ولان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدها وقيل
جنس الصلوة لانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ❊ فيقسمان بالله ان ارتبتم ❊
اعتراض بين القسم وجوابه وهو ❊ لا نشتري به ثمنا ❊ اي بالقسم ❊ ولو كان
ذا قربى ❊ اي المقسم له ❊ ولا نكتم شهادة الله ❊ التي امرنا باظهارها وحفظها
والاضافة للتعظيم ❊ انا اذا لمن الآثمين ❊ لو كتمناها او حرفناها والغرض
المبالغة في الصدق وابائه من الداخلين تحت قوله كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ❊ فان عثر على انهما استحقا
اثما ❊ اطلع على انهما جنيا اثما بان كذبا في تلك الشهادة فقال استحق كذا
اذا لاق به ان ينسب اليه ومرتكب الاثم حقيق بان ينسب اليه فجعل
استحق كناية عن الجناية ❊ فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم ❊
من الذين جني عليهم وهم ورثة الميت ❊ الاوليان ❊ الاقربان من الميت
من سائر الورثة رفع على البدل من آخران او من ضمير يقومان او مبتدا
خبره آخران لا العكس لكون الخبر معرفة والمبتدا نكرة او خبر مبتدا محذوف
اي هما الاوليان وقرا حفص استحق على بناء الفاعل على ان الاوليان
فاعل والمعنى استحق الاوليان من سائر الورثة ان يتهما للشهادة في
مقابلة شهادة الجانبين وقرا حمزة وابو بكر الاولين بصيغة الجمع وصفة
الذين مجرورا او نصبا على المدح ❊ فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما ❊
اولى بالقبول كما فعل عمرو وصاحبه مع عدي ❊ وما اعتدينا ❊ في هذه الشهادة
ما هو الحق ❊ انا اذا لمن الظالمين ❊ داخلين في زمرتهم لو تجاوزنا الحق
❊ ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان
بعد ايمانهم ❊ اي شرعية الحكم على الوجه المذكور اقرب الى ان ياتي الشهداء بالشهادة
على وجه الصدق او يخافوا من رد ايمانهم بقيام آخرين من اهل الميت
يقسمان على خلاف ما اقسموا عليه واي واحد من الامرين كان من
اداء الشهادة بالصدق والامتناع عن الاداء على وجه الكذب كان فيه
صلاح فان تلك المائدة لا ينسخ وفي الآيتين احكام لم يقل بها الائمة وجوب

الايصاء الى اثنين وتحليف الشاهد وحلف اثنين من الورثة وكون اليمين
بعد العصر قلت ليس في الاية ما يوجب الايصاء الى الاثنين بل دلالة على الاولى
لا سيما في السفر فانها مظنة الافات والشاهدان اذا كانا وصيين تحليفهما اذا
انهما كما في قصة بديل فان تميما وعديا كانا وصيين في ايصال التركة الى اهل الموصي
واما حلف الاثنين من الورثة فهو اذا ادعى الوصي بعد ثبوت الخيانة تملك شيء
من التركة كما فعل عدي وتميم في الجام فاليمين على الورثة المنكرين فليست اليمين
المردودة بعد حلف الوصيين وذكر الاثنين للاستظهار حتى لو كان الوارث
واحدا كان الحكم كذا بلا خلاف فان قلت المذكور في الاية هو الشهادة فكيف يحمل
على الايصاء قلت الايصاء اشهاد على نفسه كما ان الاقرار كذلك لقوله تعالى كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم فان قلت هلا قيل بالنسخ وبه ارتفاع الاشكال
قلت الناسخ لا بد وان يكون متواترا واني لك به فان قلت اجماع الائمة كاشف
عنه قلت معارض بما ذكر من تقرير الاحكام :: واتقوا الله :: في احكامه :: واسمعوا
سماع تدبر وطاعة :: والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل
متعلق بيهدي او نصب باذكر او بيجمع امر الرسل يكون كيت وكيت او بدل
من كلمة الجلالة كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه :: فيقول ماذا اجبتم :: اجابة اقرار
او انكار والقصد اظهار المعدلة وتوبيخ الامم المكذبة على رؤس الاشهاد وماذا نصب
على المصدر :: قالوا لا علم لنا :: بالنسبة الى علمك الشامل او تختص به دونك
او لا علم لنا ببواطنهم وانما نعلم المنجلي او هو اظهار للشكاية كما يقول المتظلم في جواب
الحاكم بحضرة الظالم ماذا فعل بك قال لا اعلم او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا كقوله
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل يدهشون من هول السؤال ثم يجيبون
بعدما ثاب اليهم عقولهم وفيه ان الرسل آمنون لقوله تعالى لا يخاف لدي المرسلون
ولقولهم :: انك انت علام الغيوب :: وقرا حمزة وابو بكر بكسر الغين لمناسبة
الياء وثقل الضمة :: اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي :: بدل من يوم يجمع الله
الرسل من نمط ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار او نصب باذكر وقيل
لما قال له اذكر نعمتي كان يلبس الشعر وياكل الشجر لا اهل ولا مال ولا وطن ولا دار
واليه اشار ابو العلا بقوله سعد المسيح يسيح في الغبراء لا ولد يموت ولا بناء يخرب
والوجه هو الاول لقوله وكنت عليهم شهيدا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم
عليك وعلى والدتك :: بالاصطفاء على نساء العالمين والنعمة على الاصول نعمة
على الفروع :: اذ ايدتك بروح القدس :: بالكلام الذي به حياة القلوب لقوله
تكلم الناس :: ففي روح القدس مجاز لغوي وحكمي والاضافة الى القدس لانه سبب
الطهر عن اوضار الاثام وقيل بجبريل :: في المهد وكهلا :: في الحالين على السواء وفيه دلالة

على انه رفع بعد الكهولة وهما ما فوق الثلثين وقيل فيه دلالة على انه ينزل في اخر الزمان
لانه حين رفع لم يكن كهلا وليس بشيء لانه حين النزول يكون شيخا والمشهور انه رفع
وهو ابن ثلث وثلثين سنة :: واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة القول الصواب
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني :: بتوفيقي وتيسيري :: فتنفخ فيها :: الضمير للكاف
لانه صفة الهيأة المشبهة :: فتكون طيرا باذني :: كرر الاذن مبالغة في دفع وهم الاستقلال
على ما ظنه اهل الضلال وقرا نافع طائرا اي واحدا من جنس الطير :: وتبرئ الاكمه الذي
ولد اعمى :: والابرص :: باذني :: معجزة لك فان الاطباء معترفون بالعجز عن ذلك :: واذ
تخرج الموتى :: من قبورهم :: باذني :: قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية وكان
اذا اراد احياء ميت صلى ركعتين ثم قال يا قديم يا خفي يا دائم يا فرد يا وتر يا احد
يا صمد وقيل لما احيى سام بن نوح رآه اشمط فقال ما بالك اشمط ولم يكن قبل
ابراهيم عليه السلام شيب قال لما دعوت ظننت انه يوم القيمة فمن ذلك هذا
الشيب :: واذ كففت بني اسرائيل عنك :: اليهود لما هموا بقتله :: اذ جئتهم بالبينات
المعجزات :: فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين :: ظاهر يعرفه كل احد
وقرا حمزة والكسائي ساحر يريدون عيسى عليه السلام :: واذ اوحيت الى الحواريين
على لسانك او في الانجيل لانهم مكلفون بما فيه كانه اوحي اليهم لقوله لقد انزلنا اليكم
كتابا وعن الحسن اوحي اليهم الهاما لقوله واوحينا الى ام موسى :: ان آمنوا بي
وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون :: مخلصون :: اذ قال الحواريون ::
ظرف لمسلمون او لقالوا آمنا :: يا عيسى بن مريم :: المختار في اعرابه الفتح لانه علم
موصوف بابن مضاف الى علم :: هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ::
المائدة خوان اذا كان عليها طعام من ماده اذا اعطاه كانها يعطي من تقدم
اليها واستدل بظاهره على ان القائلين لم يكونوا مؤمنين لان المؤمن لا
يشك في قدرة الله تعالى والحق انهم كانوا مؤمنين لقوله تعالى كونوا انصار الله كما قال
عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله وقولهم هذا كقول ابراهيم عليه السلام
كيف تحيي الموتى وقوله ولكن ليطمئن قلبي او السؤال عن الفعل دون القدرة تعبيرا عنه
بلازمه وقرا الكسائي تستطيع بتاء الخطاب ونصب ربك اي مسئلة ربك :: قال
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين :: كاملي الايمان :: قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا
بينوا غرضهم في طلبها بانهم ارادوها لغرض صحيح وهو ان يكتفى بذلك عن طلب المعاش
وتتوفر لطاعة الله تعالى :: ونعلم ان قد صدقتنا :: في رسالتك علم المشاهدة
الذي هو اعلى مراتب اليقين :: ونكون عليها من الشاهدين :: لبني اسرائيل
قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء :: لما علم صحة غرضهم

دعا الله لما طلبوه تكون لنا عيدا يوم نزولها قيل كان يوم نزولها يوم الاحد ولذلك
اتخذه النصارى عيدا وقيل كناية عن السرور العائد لاولنا وآخرنا وآية منك
بدل بتكرير العامل اي لمن في زماننا ولمن ياتي بعدنا من اهل الدين او المقدم والاتباع
او اخر الناس كاولهم وارزقنا مائدة لنا وانت خير الرازقين اذ غيرك
واسطة وانت الرزاق حقيقة قال الله اني منزلها عليكم لا محالة وانزل الجمع من السؤال
كان لاجلهم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وكذلك
وقع فانهم لما كفروا مسخوا قردة وخنازير ولم يقع بعده مثله فان قلت ذكرت
انهم كانوا مؤمنين لقوله كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري
الى الله اي لكون الحواريين انصار الله فكيف يستقيم ان يكون المؤمنون مامورين
بان يكونوا مثل قوم كفروا ومسخوا قردة وخنازير قلت الحواريون فرقتان فرقة
استمروا على ايمانهم وفرقة كفروا روي ان عيسى عليه السلام لما اراد ان يسأل الله تعالى
انزال المائدة لبس الصوف وصلى ركعتين وقام على رجليه ناكسا رأسه مسبلا دمعه
ودعا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين حتى سقطت بين ايديهم فقال عيسى عليه السلام
ليقم احسنكم عملا فليكشف عنها فقال شمعون انت اولى بذلك فقام عيسى عليه السلام
وبكى بكاء طويلا ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا فيها سمكة مشوية
لا شوك فيها ولا فلوس تسيل دسما عند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها انواع البقول
سوى الكراث وخمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث
سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون امن طعام الدنيا هذا يا
روح الله ام من طعام الجنة فقال ليس من شيء منهما ولكن شيء ابتدعه الله تعالى فكلوا
واشكروا نعمة ربكم فقالوا لو كنت اول آكل فقال معاذ الله ليأكل من سألها فخافوا
فلم يأكلوا فاطعمها القافلة وكانوا اكثر من الف فاكلوا حتى شبعوا ثم طارت
وكانت تنزل كل يوم ضحى ياكل منها الاغنياء والفقراء فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام
ان اجعل رزقي في الفقراء فعظم ذلك على الاغنياء فشكوا وشككوا فمسخوا قردة
وخنازير وما روي عن الحسن انها لم تنزل لا يصح لقوله تعالى اني منزلها عليكم فان
قلت لو نزلت لبقيت الى آخر الدهر لقوله عيدا لاولنا وآخرنا وبه تمسك الناقل
عن الحسن قلت كان ذلك مشروطا بعدم كفرهم واذ قال الله يا عيسى بن مريم
يقوله يوم القيمة وايثار الماضي لكونه محقق الوقوع أأنت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله سوى الله على انه صفة الهين فيكون الآلهة ثلثة او يتعلق
باتخذوني اي شريكين لله في الالوهية واستحقاق العبادة كما قال المشركون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله قال سبحانك انزهك عما لا يليق بكبريائك روي انه يقع
على الارض ويسيل من تحت كل شعرة عين من الدم ما يكون لي ان اقول ما ليس

لي بحق نفي الكون وما ليس بحق على وجه العموم مبالغة في التبري عما نسب اليه
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم معلومي
ولا اعلم معلومك عبر عنه بلا اعلم ما في نفسك مشاكلة انك انت علام
الغيوب لا غيرك تقرير للجملتين لان الحصر يشتمل على الاثبات والنفي
فالاثبات تقرير لتعلم ما في نفسي والنفي تقرير لقوله ولا اعلم ما في نفسك ما
ما قلت لهم الا ما امرتني به رد العلم اليه على ابلغ وجه ثم نفى ما نسب اليه
كذلك ان اعبدوا الله ربي وربكم ان مفسرة لمعنى القول كأنه قال
ما امرتهم الا ما امرتني به الا انه عدل الى المنزل تأدبا لئلا يجعل ربه ونفسه
امرين ولا يطرد ان يجعل مفسرة بعد كل فعل فيه معنى القول ويجوز ان يكون
مصدرية بدلا من المجرور في به ولا يقدح فيه بقاء الموصول بلا عائد اذ ليس
من شرط البدل استقامة المعنى به مع طرح المبدل وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم مدة بقائي فيهم فلما توفيتني برفعي الى السماء كنت
انت الرقيب عليهم المطلع على احوالهم وانت على كل شيء شهيد مطلع
ان تعذبهم فانهم عبادك والسيد متصرف في ملكه وفي اضافة العباد
اليه تعطيف وقيل معناه عبادك العاصون حقيق بالعذاب وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم الغالب الذي لا يغالب والحكيم
الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بل حكم فان قلت كان الظاهر انت الغفور
الرحيم كما قال ابراهيم عليه السلام ومن عصاني فانك غفور رحيم فاي وجه
للعدول قلت قول ابراهيم في الدنيا والعصاة احياء اشار الى انك
قادر على مغفرتهم وان ترحمهم بالتوبة واما العفو عن الكافر في الاخرة فشان
العزيز الغالب الذي يفعل ما يشاء والعفو عن الشرك جائز عقلا وانما
امتنع لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم اي هذا اليوم يوم ينفع صدق الصادقين وقرأ نافع بنصب يوم
مفعولا فيه على ان هذا اشارة الى قوله أأنت قلت للناس اي قال الله
هذا القول لعيسى عليه السلام في ذلك اليوم فان قلت هلا كان مبنيا كما
في يوم لا تملك نفس لنفس شيئا قلت اليه ذهب الكوفيون ومنعه
البصريون لان المضارع معرب ولا يقاس على لا تملك لانه مع مدخوله
غير متمكن فافترقا والمعنى ان في هذا اليوم ينفع الصادقين صدقهم
المستمر بهم في الدارين كصدق عيسى عليه السلام لان الصدق في الاخرة لا
يجدي كصدق ابليس وسائر الكفار لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم الذي

كل فرد دونه ﴿لله ملك السموات والارض وما فيهن﴾ من الكائنات الاجزاء
والجزئيات وفيه تكذيب للنصارى لان عيسى وامه من جملة ما في السموات
والارض وغلب غير العقلاء فاتى بما على من يكون الكلام صادرا عن مقام الكبرياء
والسخط على من اتخذ الهاً دونه ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فيقدر على خلق
الولد بلا والد واشار الى ازاحة شبهة النصارى تمت تفسير المائدة والحمد
لله على نعمة الزائدة سورة الانعام مكية الا ست آيات من قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل
الظلمات والنور﴾ اخبر بالجملة الاسمية الدالة على انحصار المحامد فيه
تعالى اظهاراً للغنى عن حمد الحامدين واشارة الى ان حمدهم لم يثبت له شيئا
لم يكن ثابتا بل ذلك منهم ذكر لبعض اوصافه الكمالية ليعود نفعه اليهم واوقع
خلق السموات والارض وانشاء الظلمات والنور فيهما في مقابلة الحمد
لانها اصول النعم التي تعم الملائكة والثقلين وغيرهم والفرق بين الخلق
والجعل هو انه لوحظ في مفهوم الخلق التقدير والتسوية وفي الجعل معنى الارتباط
بين الشيئين بان ينشأ احدهما من الآخر كالظلمات والنور فانهما ينشآن
من تكاثف الاجرام والنيرات وقد يتعدى الى مفعولين فيكون فيه معنى
التصيير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقدم السموات
لعظمها وشرفها لا لتقدمها في الوجود وجمع السموات دون الارض للتخفيف
لقوله ومن الارض مثلهن وجمع الظلمات دون النور لانه لارادة الجنس
ولم يعكس ليكون فيه نوع طباق للسموات والارض وقيل لان اسباب الظلمة
كثيرة بخلاف النور وتفسير النور بالهدى والظلمات بالاضلال والهدى
واحد والضلال كثير لا يلائم المقام ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ عطف
على الاسمية اي انه تعالى حقيق بالحمد على هذه النعم والكفار يعدلون عن شكره
او على خلق اي الفعلية والمعنى خلق هذه الاجرام وما يترتب عليها من الظلمات
والنور ثم الذين كفروا يساوون به من لا يقدر على شيء فالباء صلة يعدلون من
العدل وثم على الوجهين للاستبعاد ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ قدم عليه دليل
الآفاق كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم لتقدمها وظهورها
وكونها اصولا وموادا ﴿ثم قضى اجلا﴾ هو الموت ﴿واجل مسمى عنده﴾ تفرد به
لا يعلمه غيره وهو القيمة او ما بين الموت والبعث والاجل يطلق على آخر المدة
وعلى مجموعها وقيل الاول النوم والثاني الموت وتنكير مسمى للتعظيم ولذلك
قدم على الظرف بخلاف قولك عندي ثوب جيد وكتاب صحيح ﴿ثم انتم
تمترون﴾ من المرية وهي الشك وهذا الاستبعاد فوق الاول لانضمام دليل

الانفس

الانفس الى الآفاق مع اشتماله على المبدأ والمعاد ولذلك قدم الضمير لتقوى الحكم وخاطب
الذين هم به يعدلون توبيخا لهم وتعجيبا لما هم فيه من الامتراء بعد هذا البرهان الجلي والدليل
النير ﴿وهو الله﴾ مبتدأ وخبره ﴿في السموات وفي الارض﴾ المنفرد بالالوهية فيهما فالجار
متعلق بما دل عليه لفظ الجلالة من الصفات التي اشتهر بها او خبر بعد خبر ﴿يعلم سركم
وجهركم﴾ تقرير لتفرده وتوحده بالالوهية لان الذي يكون السر والجهر عنده سواء هو الله
لا شريك له في ذلك او خبر آخر ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ من افعال سائر الجوارح تعميم بعد
التخصيص واشار الى انه كما تفرد بايجاد السموات والارض وانشاء الظلمة والنور
فيهما وخلق البشر من الطين وحكمه عليهم بالموت ثم بالبعث كذلك تفرد بما بين المبدأ
والمعاد من التدبير والالوهية في السموات والارض والعلم بالجليات بل باحوالهم سرا وجهرا
بل بجميع ما ياتون ويذرون لا يعزب عنه مثقال ذرة ﴿وما تاتيهم من آية من آيات
ربهم الا كانوا عنها معرضين﴾ عاد الى اسلوب الغيبة تبعيدا لهم من ساحة الحضور
لانكارهم الدلائل والمعجزات الباهرة ومن الاولى استغراقية والثانية تبعيضية
واثر كان ايماء الى ان اعراضهم عن الآيات ادام مستمر ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم﴾
في معرض الجزاء لشرط مقدر اي ان كانوا معرضين عن الآيات الدالة على نبوتك
فلا تعجب لانهم كذبوا بما هو اعظم الآيات الدالة على نبوتك وهو القرآن ولكماله في
ظهوره عبر عنه بالحق ﴿فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون﴾ عند نزول العذاب
بهم جمع الانباء كناية عن عظم العذاب لانها لواقعة او عظمت تواترت الاخبار بها
مختلفة ﴿الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن﴾ القرن بالكسر مقارنك في السن والقرن
اهل زمان واحد وقيل سبعون سنة وقيل ثمانون والاول هو المراد قال الشاعر اذا
ذهب القرن الذي انت فيهم ﴿وخلفت في قرن فانت غريب﴾ والاستفهام للتقرير
وكم خبرية والمعنى ان هؤلاء قد شاهدوا آثار المكذبين فما لهم لا يعتبرون وكانت
مساكن عاد وثمود واصحاب الحجر في ممرهم الى الشام ويجوز ان يكون من رؤية القلب
فانهم سمعوا تلك الاخبار وتواترت عندهم ﴿مكناهم في الارض﴾ جعلناهم متمكنين
فيها يتصرفون كيف شاؤوا في اعمار طويلة وقوى واموال متزايدة ﴿ما لم نمكن لكم﴾
يا اهل مكة عاد الى الخطاب ايقاظا لهم من سنة الغفلة كما هو داب السيد الرؤوف
يعرض عن عبده المذنب ثم يلتفت اليه مخالة ﴿وارسلنا السماء عليهم مدرارا﴾
كثيرا متتابعا من الدر وهي صيغة للمبالغة والسماء هو المطر كقول الشاعر اذا
نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا او السحاب او السماء حقيقة
ومعنى ارسالها ارسال ما فيها تجوزا ﴿وجعلنا الانهار تجري من تحتهم﴾ فعاشوا
في ارغد عيش ﴿فاهلكناهم بذنوبهم﴾ اي بالغوا في العصيان فاستاصلناهم ولم
تغن عنهم تلك الاسباب والعدد ﴿وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ بدلا

الارض ويسكنون فيها فنحن قادرون على ان نفعل بكم ما فعلنا باولئك ∴ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ∴ وحيا مكتوبا في الورق والقرطاس بالكسر والضم وكذا القرطس بفتح القاف ما كتب فيه شيء ∴ فلمسوه بايديهم ∴ لان اللمس باليد اقوى ما يكون في رفع الشبهة اذ لو قيده بالرؤية لقالوا انما سكرت ابصارنا وذكر الايدي مع ان اللمس لا يكون الا باليد كقولهم ابصرته بعيني وسمعته باذني ∴ لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ∴ عنادا وان المظهر ليدل على ان ذلك القول ناش عن كفرهم ∴ وقالوا لولا انزل عليه ملك ∴ يشهد له بارسالته ∴ ولو انزلنا ملكا ∴ يشهد له كما اقترحوه ∴ لقضي الامر ∴ اي امر هلاكهم لانهم لا بد وان يكذبوا ثم لا ينظرون ∴ طرفة عين وقد جرت عادته تعالى بانه يستاصل من كذب بعد بالاية المقترحة كما فعل بثمود بعد الناقة وباصحاب المائدة بعد نزولها وقيل لقضي الامر اي لماتوا من هول مشاهدة الملك وعظم خلقته والوجه الاول لقوله ∴ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ∴ اي لو كان ذلك الرسول الذي يطلبونه ملكا لكان في صورة رجل لان البشر لا يقدر على الاستفادة من الملك وهو في صورته ولذلك كان اكثر ما يأتي جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة دحية لانه كان اجمل العرب في زمانه وان راه في صورته مرتين لم يستفد منه في تلك الحالة ∴ وللبسنا عليهم ما يلبسون ∴ جواب لو مقدرا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فانهم اذا راوا الملك في صورة الانسان يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ويكون العمدة في تصديقه المعجزة وهؤلاء لا يؤمنون بها فلا فائدة في ارساله ∴ ولقد استهزئ برسل من قبلك ∴ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان ما يلقاه ليس خاصا به بل شان سائر الرسل مع المعاندين ∴ فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ∴ احاط بالمستهزئين منهم الذين حله الاستهزاء وتسبب له وهو الهلاك والعذاب ∴ قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ∴ لا تقصروا ادراكهم عن الدلائل العقلية امرهم بالنظر في الامور المحسوسة لا سيما البصر فان مدركه اجلى من كل بديهي والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان في الفاء معنى سببية الاول للثاني وليس مقصودا في ذاته ولا كذلك في ثم بل السير مقصود لذاته ∴ قل لمن ما في السموات والارض ∴ خلقا وملكا حالا فيهما او جزءا داخلا ∴ قل لله ∴ متعين للجواب لا يقدرون على انكاره وان كانوا لا ينطقون به ∴ كتب على نفسه الرحمة كناية عن سعة رحمته وانها كالواجب الذي لا يمكن الاخلال به ولذلك ارسل الرسل وامهل بعد التكذيب ∴ ليجمعنكم الى يوم القيمة ∴ جواب قسم محذوف والمعنى يجمعكم في القبور الى يوم القيمة او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل البعض من رحمة لانه جمعه في ذلك اليوم او جمع بعض رحمته وفيه ان الخطاب للفريقين واي

رحمة

رحمة لمن يقول يا ليتني كنت ترابا ∴ لا ريب فيه ∴ في ذلك اليوم ∴ الذين خسروا انفسهم ∴ بابطال فطرتهم ودنسوا مراتها بصدى الغواية وعدم النظر في الافاق والانفس موضعه رفع على الذم او على الابتداء والخبر ∴ فهم لا يؤمنون والفاء بكون عدم الايمان سببا للخسران لكن قصد ان ابطال تلك الفطرة هو الذي ادى بهم الى عدم التصديق ∴ وله ما سكن في الليل والنهار ∴ من السكنى وتعديه بفي كقوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا وقد يحذف كقولك سكنت الدار او من السكون ضد الحركة واكتفى به كقوله سرابيل تقيكم الحر واثر السكون لانه ادخل في كونه نعمة ∴ وهو السميع العليم ∴ كما لا يخرج عن ملكه وسلطانه شيء فكذلك لا يخفى عن سمعه سر ولا يعزب عن علمه ذرة ∴ قل اغير الله اتخذ وليا ∴ كانوا يدعونه الى عبادة الاصنام ويقولون ما نعبد الهتك حتى تعبد الهتنا قدم المفعول لانه المنكر لا اتخاذ الولي مطلقا فان اتخاذ الله وليا مطلوب فاطر السموات والارض ∴ خالقهما من فطرت الشيء شققته وعن ابن عباس رضي الله عنه ما كنت اعلم معنى الفاطر حتى احتكم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها ولعله لغة قريش ∴ وهو يطعم ولا يطعم ∴ يرزق ولا يرزق وايثار الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ بفتح العين في الاول وكسره في الثاني فالضمير لغير الله وعلى بناء الفاعل فيهما اي يطعم تارة ولا يطعم اخرى ∴ قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ∴ لكونه اول داع الى الله فلا يمكن تقدم غيره عليه ∴ ولا تكونن من المشركين ∴ عطف على امرت بتقدير قيل او على قل استدل على عدم جواز عبادة غيره بالعقل بان غيره لا ينفع فلا يختاره ذو عقل ثم بالنقل عمن له الخلق والامر وقدم الدليل العقلي لكونه العمدة لعدم اعترافهم بصحة النقل ∴ قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ∴ قطع لاطماعهم راسا وتعريض بانهم عصاة مستحقون للعذاب واثر لفظ الرب ايماء الى ان من يكون مربيا محسنا عصيانه في غاية القبح والجواب محذوف دل عليه ما تقدم من الشرط وفائدة هذا التقديم الاهتمام ∴ من يصرف عنه يومئذ ∴ ذلك العذاب ∴ فقد رحمه ∴ بالنجاة من عذاب الاخرة اللهم اذقنا برد عفوك واسقنا من صفو رحمتك وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يصرف بفتح الياء على بناء الفاعل ∴ وذلك الفوز المبين ∴ الواضح المكشوف ∴ وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ∴ الخطاب له عليه السلام والمراد تثبيته واتباع غيره او هو خطاب لكل احد ∴ وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ∴ فكان قدر على ايصال الخير اليك قادر على ازالته فعليك تقييده بالشكر وفي

وفي سورة يونس وان يردك بخير بلفظ الارادة بدل المس المنبئ عن اللذة
ترجيحا لجانب رحمته وانما قدم الشرط على الخير لان دفع المفاسد اهم من جلب
المصالح : وهو القاهر فوق عباده : تصوير لعلو شانه ونفاذ امره فيهم وتقرير
للكلام السابق فان من تفرد بالعلو ونفاذ الامر اليه يرجع الامر كله في الشر
والخير : وهو الحكيم : يفعل على وفق الحكمة : الخبير : ببواطن الامور فكما هو متصف
بصفات الجلال كذلك متفرد بنعوت الكمال : قل اي شيء اكبر شهادة :
نزلت حين قال المشركون من يشهد لك بالرسالة فانا قد سألنا اهل
الكتاب فلم يعرفوك والشيء لغة يطلق على ما يتعلق ويمكن الاخبار عنه موجودا
كان او معدوما محالا كان او ممكنا فهو ابلغ في العموم من قولك اي شهيد اكبر
قل الله شهيد بيني وبينكم : يجوز ان يتم الكلام عند قوله الله اي الله اكبر ثم ابتدئ
اي هو شهيد وان يكون الله شهيد هو الجواب : واوحي الي هذا القران لانذركم
يا اهل مكة واكتفى بالانذار لكونه اهم : ومن بلغ : من الاسود والاحمر او الثقلين
او الى يوم القيمة فانه مرسل الى الكل ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى
استفهام تقرير مع انكار بليغ بان من لم يصلح ان يكون معه اله آخر قد اشركوا
معه آلهة : قل لا اشهد : فان شهدوا بتعدد الآلهة فلا تشهد معهم : قل انما هو
اله واحد : حصر الالوهية فيه : وانني بريء مما تشركون : تصريح بما علم ضمنا
الذين آتيناهم الكتاب : من اليهود والنصارى الذين سالهم المشركون
وقالوا ليس ذلك المنعوت في الكتابين : يعرفونه : محمدا : كما يعرفون
ابناءهم : من غير تفرقة في كمال العلم والايقان عن عبد الله بن سلام انه قال
اعرفه اقوى من معرفتي بابني فقال له عمر لم ذلك قال لان ابني ربما لم يكن
مني بان خانت امه واما محمد لم يحتمل غيره فقبل عمر راسه : الذين خسروا
انفسهم فهم لا يؤمنون : استيناف لبيان عدم ايمانهم اي ليس عدم الايمان
لعدم المعرفة به بل لانهم افسدوا فطرة الله التي هي بمنزلة الاكسير : ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا : لا احد اظلم ممن قصد الكذب على الله وهم اليهود
والنصارى والمشركون القائلون باتخاذ الولد : او كذب باياته : المعجزات
الدالة على صدق مدعي النبوة اثرا وان كانوا جامعين دلالة على ان كل واحد
من الامرين كاف في الظلمية المتصف به فكيف بمن جمع : انه اي الشان
لا يفلح الظالمون : فضلا عن الاظلم : ويوم نحشرهم جميعا : للجزاء نصب
بمضمر اي يكون كيت وكيت حذف للتهويل : ثم نقول للذين اشركوا بالله
اين شركاؤكم : اي شركاء الله بزعمكم : الذين كنتم تزعمون : انهم شركاؤه
لعلها لم يكن حاضرة حين هذا القول او لعدم غنائها كانها ليست بحاضرة

ثم لم

ثم لم تكن فتنتهم : اي ضلالهم وكفرهم والفتنة لغة الضلال والافساد
وقال ما انتم عليه بفاتنين : اي مضلين مفسدين : الا ان قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين : يكذبون في ذلك اليوم عند من لا يخفى عليه خافية
وذلك ان المرء يحشر على صفته التي كان عليها يموتون كما تعيشون
وتحشرون كما تموتون وقيل يقولون ذلك من فرط الحيرة والدهشة
كما يقول المؤاخذ بالذنب عند العقوبة وان علم انه لا يروج وانث لم تكن
حمزة والكسائي لتانيث الخبر كمن كانت امك وفتنتهم ابن كثير
وابن عامر وحفص بالرفع ونصب با ربنا على النداء حمزة والكسائي انظر
كيف كذبوا على انفسهم : تعجيب من كذبهم فان الانسان ربما يكذب
على الغير اذا رجا ان يروج منه واما ان يكذب على نفسه مع الجزم بانه
لا يروج منه فهو غاية السفاهة : وضل عنهم ما كانوا يجعلونه عدة لذلك
اليوم : ومنهم من يستمع اليك : من المشركين من يستمع القران حين
تتلوه استمع اليه نفر من المشركين فيهم ابو جهل وابو سفيان والنضر بن
الحارث فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما يقول الا مثل ما اقوله
لكم وكان النضر قصاص المشركين يقرا عليهم وقائع العجم مما جرى بين رستم
واسفنديار : وجعلنا على قلوبهم اكنة : اغطية لا يصل اليها الحق جمع كنان
كازمة وزمام وهو ما يستر الشيء : ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا : صمما
وان استمعوا فلا سماع لفقد آلته وهو بالفتح الثقل في الاذن وبالكسر
هو الحمل وتقديم القلوب على الآذان مع ان ادراك المسموعات
طريقها السمع لانها مناط الفائدة : وان يروا كل آية : ما اتيت بها
وما لم تات مما اقترحوها : لا يؤمنوا بها : لانهم مخلوقون للنار مختوم على
على قلوبهم : حتى اذا جاؤوك : ليس لحتى عمل لانها لا تعمل في الجمل ويجوز تجريدها
عن الظرفية فيكون مجرورها يجادلونك : اي بلغ كفرهم الى ان لم يرضوا
راسا براس بل يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق : يقول الذين كفروا
ان هذا الا اساطير الاولين : بيان للمجادلة او حال من فاعلها وهو العامل
في حتى والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم او اسطارة بالكسر
وهم ينهون عنه وينأون عنه : جمعوا بين الضلال والاضلال وكانوا اذا
ورد مكة مسترشد يحذرونه ويمنعونه عن اتباعه لرسول الله عليه السلام
عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في ابي طالب فانه كان ينهى قريشا عن
التعرض له وينأى ويتجانب عنه وقيل في اعمامه العشرة : وان يهلكون
الا انفسهم : لان ضرره ما يباشرونه لاحق بها : وما يشعرون : ولبسهم

بذلك شعور اشارة الى انهم دون البهائم ∴ ولو ترى اذ وقفوا على النار ∴ اروها
وهي تحتهم مطلعين عليها او عرفوا مقدار عذابها من وقفته كذا عرفته اياه و
الخطاب لكل احد لان شناعة حالهم لا تختص رؤية راء والجواب محذوف
اي لرايت امرا عظيما ∴ فقالوا يا ليتنا نرد ∴ تمنيا من شدة العذاب ∴ ولا
نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين ∴ عطف على التمني عطف الخبر على الانشا
لوقوعه بعد القول او على المتمني او حال من ضميره وقوله انهم لكاذبون باعتبار ما تضمنته
من الوعد والا فالتمني وقرا حمزة وحفص ولا نكذب بالنصب باضمار ان بعد الواو
فانه كالفاء في جواز الاضمار وقرا ونكون بالنصب حمزة وابن عامر وحفص فرفع ابن
عامر الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب ∴ بل بدا لهم ما كانوا يخفون
من قبل ∴ اضراب عما تمنوا به اي ليس الامر كما زعموا بل لما شهدت عليهم جوارحهم
وبدت فضائحهم وبعوا في حيص بيص فذكروا ما ذكروا لا عزما على الايمان بقلوبهم
والقول بان هذا قول المنافقين يرده كون السورة مكية والاتفاق بها ∴ ولو
ردوا ∴ الى الدنيا بعد الوقوف على النار ∴ لعادوا لما نهوا عنه ∴ لكونهم في علم الله كذا انهم من اصحاب النار ∴ وانهم لكاذبون
في ذلك الوعد لعدم مطابقته الواقع ∴ وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ∴ عطف
على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا كما يقولون قبل معاينة القيمة ان هي
الا حياتنا الدنيا او على انهم لكاذبون في كل ما يقولون وهم الذين قالوا ان هي
الا حياتنا الدنيا او عطف على نهوا ∴ وما نحن بمبعوثين ∴ مستانف لتقرير
ما سبق وتوكيده ∴ ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ∴ للسؤال على وجه التقريع كما
يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه وهذا الوقوف اشد من الاول ولذلك اخره
وقيل وقفوا على جزاء ربهم ∴ قال اليس هذا بالحق ∴ مستانف جواب سؤال
كانه قيل ماذا قال لهم ربهم والاشارة الى لقاء الله الذي كانوا ينكرونه لقوله
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله والاستفهام للتوبيخ ∴ قالوا بلى وربنا ∴ اقرار مؤكد
بالقسم واثروا لفظ الرب لعلمهم بان ما كلفوا به في الدنيا كان تفضلا وتربية
مع ما فيه من الاستعطاف ∴ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ∴ بكفركم
وستركم الحق ∴ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ∴ فائدة هذا ترغيب للسامعين
حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة ∴ غاية للتكذيب لا لخسرانهم لانه لا غاية له والساعة
من ساع بمعنى حضر سميت القيمة بها لسرعة مجيئها كانها حاضرة والبغتة
مصدر بغت الامر اذا وقع فجاءة نصبت على الحال او على المصدر لانها نوع من
المجيء ∴ قالوا يا حسرتنا ∴ تعالى فهذا اوانك معناها التلهف والندم من حسرته
اذا كشفه لانها تكشف عن الحزن الكامن ∴ على ما فرطنا فيها ∴ في الدنيا سبق
ذكرها او في الساعة اي في شانها والاعداد لها والتفريط التقصير من فرطت

القوم

القوم سبقتهم لانه لما فاته الامر كانه سبقه فلم يدركه ∴ وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم ∴ اي يقولون ذلك القول والحال ان ظهورهم مثقلة بالاوزار
والاثام واصل الوزر الثقل وذكر الظهر معه لكون الاثقال اكثر ما تحمل على
الظهر نحو قوله بما كسبت ايديكم ∴ الا ساء ما يزرون ∴ وزرهم صدره بحرف
التنبيه ايقاظا للسامع ∴ وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ∴ منحصرة في
ما بين الرذيلين اللعب ما يجلب به السرور واللهو ما يدفع به الهم وتقديم
كل منهما على الاخر من المقام والكلام مع الذين ياكلون كما ياكل الانعام
فلذلك قدم اللعب ∴ وللدار الاخرة خير للذين يتقون ∴ خص المتقين بالذكر
لانهم الفائزون بها وقرا ابن عامر ولدار الاخرة بالاضافة ∴ افلا يعقلون
بياء الغيبة اي المشركون وقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالخطاب
تغليبا ∴ قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون ∴ قد للتحقيق مثل قد يعلم الله المعوقين
وما يقال انه للتكثير فيه ان علم الله كما لا يعلم الزيادة والنقصان والذي يقولون
هو قولهم ان هذا الا اساطير الاولين وامثاله ∴ فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون ∴ فان قلت كذب الخبر عدم مطابقته للواقع والتكذيب
نسبته المخبر لذلك وكانوا مطيعين على تكذيبهم فكيف نفي عنه قلت
جعل تكذيبه تكذيب الله في ابانة المنزلة استعظاما وتسلية له او المنفي صدور
التكذيب عنهم بالقلب او ليس قصدهم تكذيبك لانك موسوم عندهم بالصدق
وانما يقصدون تكذيبي والجحود باياتي روى ابن جرير ان اخنس بن شريق
خلا بابي جهل يوم بدر وقال يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب
فانه ليس هنا غيري وغيرك فقال والله لم يكذب محمد قط وانه لصادق
ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا لسائر
قريش ∴ ولقد كذبت رسل من قبلك ∴ من لم يكن في زمنك ∴ واوذوا
بانواع المحن ∴ فصبروا ∴ عليها ∴ حتى اتاهم نصرنا ∴ الموعود فانت اولى بذلك
ولا مبدل لكلمات الله ∴ لمواعيده نحو قوله انا لننصر رسلنا ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ∴ ولقد جاءك من نبأ
المرسلين ∴ بعض اخبارهم فيما انزل اليك واحطت علما بما كان لهم من
النصر في العاقبة من التبعيضية فاعل جاء ∴ وان كان كبر عليك اعراضهم ∴
عظم وشق آثاره وان كان اعراضهم متحققا وشاقا عليه دلالة على انه ما كان
ينبغي منه ذلك بعد علمه بحال الرسل مع اممهم ∴ فان استطعت ان تبتغي
نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية ∴ جوابه محذوف لانسياق
الذهن اليه اي فافعل مع جوابه جواب للشرط الاول والمعنى قد علمت

بحال الرسل وما قاسوا مع اممهم فعليك بالتاسي بهم وان عظم عليك ما تلقاه
من اعراض قومك فان قدرت على ان تطلب سربا ومنفذا في الارض او درجا
ومصعدا في السماء فتاتيهم باية تكون سبب تصديقك عليك ان تبادر اليها
وهذا الكلام مدح له عليه السلام بشدة حرصه على ايمان قومه ووفور رافته والجار
والمجرور في الموضعين صفة نفقا وسلما او يتعلقان بتبتغي او حالان من مستكنه
اي ذاهبا في الارض او صاعدا في السماء ∴ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو
تعلقت مشيئته تعالى بهدايتهم وجمعهم عليها لجمعهم حذف مفعول المشيئة لدلالة الجواب
عليه ∴ فلا تكونن من الجاهلين ∴ ان الكل بمشيئته تعالى وهذا وامثاله انما يقال له تعريضا
بغيره وتثبيتا له في مواطن يضطرب فيه ∴ انما يستجيب الذين يسمعون ∴ الاستجابة
الاجابة على وفق ما دعي اليه ولا يتصور بدون السماع ∴ والموتى يبعثهم الله ∴ اي
يحييهم بقدرته والمعنى ان هؤلاء لكونهم مختوما على قلوبهم في حكم الموتى ولا قدرة
لك على احياء الموتى مثل قوله انك لا تسمع الموتى ان الله يسمع من يشاء وما
انت بمسمع من في القبور ∴ ثم اليه يرجعون ∴ فيسمعون او فيجازيهم بما يستحقونه
وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه ∴ قالوه عنادا وعدم اعتداد بسائر المعجزات
كما قال قوم هود يا هود ما جئتنا ببينة وتذكير الفعل لان المؤنث غير حقيقي
مع وجود الفاصلة ∴ قل ان الله قادر على ان ينزل اية ∴ اقترحوها ∴ كقولهم
لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه او اية تضطرهم على الايمان كنتق
الجبل على بني اسرائيل ∴ ولكن اكثرهم لا يعلمون ∴ ان نزول الاية المقترحة ضرر لهم
لانهم اذا عصوا بعدها استؤصلوا او لا يعلمون قدرته تعالى على ذلك لجهلهم بالله تعالى وصفاته
∴ وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه ∴ ليس شيء من هذين الجنسين
∴ الا امم امثالكم ∴ محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها وانما جمع الخبر وهو الامم
مع كون المبتدأ مفردا حملا على المعنى لان قوله من دابة ولا طائر دال على الاستغراق
مغن عن ان يقال وما من دواب ولا طيور ومعنى وصف دابة بفي الارض وطائر
بيطير بجناحيه والقصد الى زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع
الارضين السبع ولا طائر قط في جو السماء الا امم امثالكم ∴ ما فرطنا في الكتاب
من شيء ∴ اي اللوح المحفوظ فانه الديوان الذي يضبط امور الملك والملكوت وان
كان لا يعزب عن علمه تعالى شيء اظهارا للعظمة وجريا على اداب الملك والسلطنة
والقصد من هذا الكلام اظهار كمال قدرته وعلمه ليكون دليلا على جهلهم وانه
لو كان نزول الاية من مصلحتهم لانزلها ∴ ثم الى ربهم يحشرون ∴ يعني الامم
كلها وذكر الضمير تغليبا للعقلاء روى الامام احمد عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم راى شاتين ينتطحان فقال ان الله سيقضي بينهما يوم القيمة

وعن ابي هريرة رضي الله عنه يحشر كل ذي نفس لينتصف للمظلوم من الظالم
حتى ينتصف للجماء من القرناء ∴ والذين كذبوا باياتنا صم ∴ لا يسمعون ما
نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم ∴ وبكم ∴ لا ينطقون بالحق ∴ في
الظلمات ∴ مستغرقون فيها لان احوال الدواب والطيور مشاهدة
فمن لم يستدل بها على وحدانيته فهو غريق في الظلمات وقيل ظلمة الجهل
ظلمة العناد وظلمة التقليد ∴ من يشأ الله ∴ اضلاله ∴ يضلله ومن يشأ
يجعله على صراط مستقيم ∴ مستعليا على الطريق القويم متمكنا تمكن الراكب
من مركوبه غير الاسلوب دلالة على غلبة رحمته ∴ قل ارايتكم ∴ اي اخبروني
لما كان العلم والمشاهدة سبب الاخبار صح وضع كل منهما موضع طلب
الاخبار والكاف حرف لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك
زيدا ما شانه فلو كان للكاف محل لكان التقدير ارايت نفسك
زيدا ما شانه وفساده لائح ∴ ان اتاكم عذاب الله ∴ في الدنيا ∴ او
اتتكم الساعة ∴ من تدعونه ∴ اغير الله تدعون ∴ تخصونه بالدعاء
فيما دهمكم ∴ ان كنتم صادقين ∴ ان الاصنام الهة دون الله وجوابه
محذوف اي فادعوها ∴ بل اياه تدعون ∴ عطف على اغير الله اضراب
عنه اي لا تدعون غيره لما تقرر في النفوس وركز في الاذهان انه
لا يقدر على دفع ضر سواه ∴ فيكشف ما تدعون اليه ∴ اي كشفه والفاء
دلت على ان كشفه لا يتراخى عن الدعاء لكمال قدرته ووفور رافته
ان شاء ∴ ذلك الكشف وقيده بالمشيئة ليدل على انه متفضل
في ذلك ∴ وتنسون ما تشركون ∴ به من الاباطيل وفيه توبيخ شديد
لانها كانت معدة للشدائد ودفع المهمات فما نسيت عنده الا
لحقارتها ∴ ولقد ارسلنا الى امم من قبلك ∴ كائنة قبل زمانك ومن
ابتدائية اذ لا يشترط معها تقدير الانتهاء نحو اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم وقيل زائدة وليس بمرضي لان الكلام موجب ∴ فاخذناهم بالباساء
البأساء الجوع والقحط ∴ والضراء ∴ اي البلاء والمرض اسمان مؤنثان
لا مذكر لهما ∴ لعلهم يتضرعون ∴ بدل عتوهم ∴ فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا
ظرف التحضيض اللوم على ترك التضرع لقيام الموجب وعدم الصارف
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ∴ استدراك
بما يوجب شدة الانتقام منهم وهي قسوة القلب واتباعهم لما سول لهم
الشيطان وزينه ∴ فلما نسوا ما ذكروا به ∴ من الباساء والضراء ∴
عدم التذكرة لان العاقل اذا ابتلي بشيء منها توجه الى الله بتضرع تبرئة

ويخضع له فيصرف عنه كما حكاه عن يونس وايوب عليهما السلام ∴ فتحنا عليهم
ابواب كل شيء ∴ فتح الابواب كناية عن افاضة النعم وكثرتها اي انعمنا
عليهم انواعا من كل جنس وكذلك عادة الله تعالى في خلقه يراوح عليهم
بالسراء والضراء امتحانا بالصبر والشكر وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد
حتى اذا فرحوا بما اوتوا ∴ من الخير والنعم ولم يزيدوا على الفرح والبطر من
غير شكر ولا قصد لاعتذار ∴ اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ∴ آيسون من
رحمة الله تعالى من ابلس اذا ايس ومنه ابليس للشيطان ∴ فقطع دابر القوم
الذين ظلموا ∴ اي اهلكناهم عن آخرهم لان الدابر هو الآتي في دبرهم واذا لم
ينجوا هو فالغير من باب الاولى ∴ والحمد لله رب العالمين ∴ على هلاكهم لان
هلاك عدو الله وعدو المؤمنين لانعمة فوقه وفي الحديث الكافر اذا مات
يستريح منه البلاد والعباد ∴ قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم ∴ اي اصمكم
واعماكم قدم السمع لانه آلة تلقي الاوامر والنواهي من الرسل ∴ وختم على
قلوبهم ∴ فلا يدركون شيئا وتاخيره لان صرف القوى واستعمالها على
الادراكات ولذلك يقال من فقد حسا فقد علما ∴ من اله غير الله
ياتيكم به ∴ بالماخوذ لدلالة الفعل عليه او بالمذكور اي ليس غيره ∴ انظر كيف
نصرف الآيات ∴ نكرر الدلائل الدالة على وحدانيتنا وصدقك
باساليب مختلفة تارة في صورة الترغيب والترهيب وتارة بالنقل
وتارة بالعقل والاستفهام للتعجيب ∴ ثم هم يصدفون ∴ يعرضون
استبعادا لان يعرض من له فهم عن مثلها ∴ قل ارايتكم ان اتيكم عذاب
بغتة او جهرة ∴ ليلا او نهارا او غير موقت بوقت معين كما خسف
بقارون او موقتا كما هلاك قوم صالح حين عقروها فقال تمتعوا في داركم
ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب ∴ هل يهلك الا القوم الظالمون ∴
اي لا يهلك به احد سوى الظالمين وانتم منهم اذ لا ظلم فوق الشرك
وما نرسل المرسلين الا مبشرين ∴ من آمن ∴ ومنذرين ∴ من عصى و
كفر ∴ فمن آمن منهم واصلح ∴ وندم على ما كان منه من الكفر والعصيان
فلا خوف عليهم ∴ لان الايمان يجب ما قبله ∴ ولا هم يحزنون ∴ على فائت
بما ارتكبوه قبل الايمان افرد الضمير اولا وجمعه ثانيا نظرا الى لفظ من
ومعناه ∴ والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ∴
المس واللمس باليد اسناده الى العذاب لجعله كالطالب لهم كناية عن
سرعة نفاذ امره وايماء الى سعة رحمته لانه ينبئ عن الغلبة ∴ قل لا اقول
لكم عندي خزائن الله ∴ جواب لقولهم لولا انزل اليه ملك او يلقى اليه

كنز والخزائن جمع خزانة وهي ما يحفظ فيها الاموال من خزنت الشيء كتمته ∴ ولا
اعلم الغيب ∴ جواب لقولهم متى هذا الوعد لما كان توعدهم بمجيء العذاب وهو في محله
نصب عطف على عندي خزائن الله ∴ ولا اقول لكم اني ملك ∴ اقدر على ما يقدر
عليه الملائكة ∴ ان اتبع الا ما يوحى الي ∴ ليس لي من الصفات الا اتباع الوحي
والحصر اضافي يريد التبري عن تلك الدعاوي الباطلة واثبات ما هو نهاية
كمالات البشر ∴ قل هل يستوي الاعمى والبصير ∴ اي لا يستويان مثل في الضلال
والمهتدي او الجاهل والعالم وتقديم الاعمى مع ان الملكات متقدمة على عدمها
لان الكلام مع المتصف بها ∴ افلا تتفكرون ∴ يا تون بالفكر الصحيح ليؤديكم
الى التفرقة بين الحق والباطل ∴ وانذر به ∴ بما يوحى اليك ∴ الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم ∴ من المؤمنين والكفار فان من لا يعتقد الحشر
لا وجه لانذاره ومشركوا العرب كان منهم من يعتقد الحشر ومنهم دهرية
يقولون ما يهلكنا الا الدهر ∴ ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ∴ في موضع الحال
او مستانف ∴ لعلهم يتقون ∴ راجيا انت منهم التقوى او يرجى منهم ∴ ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ∴ روى مسلم عن سعد بن
ابي وقاص كنا ستة نفر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وابن مسعود ورجل
من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما فقال المشركون اطرد هولاء لا يجترؤن
علينا فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقع فانزل الله تعالى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ∴ والوجه الذات والتقييد به للاشارة
الى الاخلاص وان العمل بدونه كلا عمل ∴ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء كانوا يقولون ما تبعك يا محمد هولاء الا لفقرهم واحتياجهم فانه
عليه السلام كان يواسيهم فرد الله تعالى مقالتهم بانه على تقدير صحة ما يقولون ليس
مواخذا بذلك فان حسابهم لا يتعداهم اليك ولا حسابك يتعداك اليهم
والكلام وان كان مسوقا لبيان حسابهم الا انه اردفه بما به يستوفي
معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومن الثانية زائدة لتوكيد معنى الاستغراق
والاولى ابتدائية والجار والمجرور حال من شيء قدم عليه لكونه نكرة وقيل الضمير
للمشركين ويرده قوله ∴ فتطردهم ∴ نصب لكونه جواب النفي ∴ فتكون من الظالمين
جواب للنهي والمعنى لا تطردهم فتدخل في زمرة الظالمين ∴ وكذلك فتنا بعضهم ببعض
ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا ∴ اي مثل ذلك الفتن الذي فتن به
رؤساء قريش مع المؤمنين فتنا سائر الناس بعضهم ببعض حتى كان
ذلك سببا لقول المشركين هذا القول وذلك ان المشركين لقصور نظرهم
على حطام الدنيا كانوا يستبعدون وينكرون ان يكون الفقراء ممنونا عليهم بالتوفيق

دونهم ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه : أليس الله باعلم بالشاكرين : و
والاستفهام للانكار ليفيد الاثبات والمعنى انه اعلم بالشاكرين نعمه وقد اقتضت
حكمته بان يكون الشاكر منعما عليه بالاسلام : واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا
فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة : امره باكرامهم مكان طردهم ووصفهم
بما يوجب ذلك وهو الايمان بايات الله واتباع حججه وان يبشرهم بان الله تعالى
قد اعد لهم ورآء هذا الاكرام من رحمته ما تقر به اعينهم وعبر عن ذلك بالكتابة مبالغة
في صدق الوعد وقيل ان قوما جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا قد
اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت : انه من عمل منكم
سوءا : وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالفتح بدلا من الرحمة : بجهالة : في موضع الحال
اي جاهلا قبحه ولكونه مما يضره في الدين روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشار
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرد الفقرآء عن مجلسه اذا حضره صناديد القريش
او جملة فاعلا فعل الجهلة من غير روية اذ الحكيم لا يرتكب شيئا الا بعد تأمل ونظر في
العاقبة : ثم تاب من بعد ذلك : العمل السوء : واصلح : بالتدارك والعزم
على ان لا يعود : فانه غفور رحيم : فتحه من فتح الاول سوى نافع : وكذلك نفصل
الايات : اي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل ايات القران في احوال المجرمين
والمطيعين فانه ذكر اهل الطبع بقوله والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات
ومن فيه امارة القبول مؤمنا كان او كافرا بقوله وانذر به الذين يخافون ان
يحشروا والمتقين بقوله ولا تطرد الذين يدعون : ولتستبين سبيل المجرمين :
فتعامل كلا بما يليق به فصلنا ذلك التفصيل وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
وحفص عن عاصم بالتاء الفوقانية من استبان بمعنى تبين لمجيئه لازما ومتعديا
والباقون بالياء لان السبيل يجوز فيه التذكير كالطريق اي ليتضح لك : قل
اني نهيت : نهاني الله قبل النبوة بما ركب في من العقل السالم
عن معارضة الوهم وبعده بالايات الزاجرة عن عبادة غيره : ان
اعبد الذين تدعون من دون الله : ما تسمونها الهة والدعا بمعنى العبادة
قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم عبادتكم : قل لا اتبع اهوآءكم : تصريح بما علم ضمنا
قطعا لاطماعهم وتعليلا للانتهاء بانه اتباع للهوى : قد ضللت اذا : على تقدير
وقوع ذلك ضلالا بينا : وما انا من المهتدين : معدودا من جملتهم في
زمرتهم : قل اني على بينة من ربي : دليل مبين للمطلوب يشمل الدلائل العقلية
والنقلية من القران وغيرها : وكذبتم به : الضمير للرب او للبينة لانها في
معنى الدليل : ما عندي ما تستعجلون به : العذاب الذي كانوا يستعجلونه
بقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السمآء او ائتنا

بعذاب

بعذاب اليم وبقولهم متى هذا الوعد مستبطئين نزول العذاب : ان الحكم الا لله
له الامر كله ان قدم العذاب او اخر ليس لاحد عليه اعتراض : يقص الحق : اي
القضاء او مفعول به اي يتبعه قال عليهما مسرودتان قضاهما
داود او صنع السوابغ تبع وقرأ نافع وابن كثير وعاصم يقص بالقاف من قص
اثره اذا تتبعه : وهو خير الفاصلين : الحاكمين : قل لو ان عندي ما تستعجلون
به من نزول العذاب : لقضي الامر بيني وبينكم : لعاجلتكم بالعذاب انتقاما
لله لافترآئكم عليه وازحت الهم عن قلبي : والله اعلم بالظالمين : في معنى
الاستدراك كي تعلموا ان الامر بيده وهو اعلم بالظالمين وسيجازيهم على
ظلمهم : وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو : شبه الغيب بالاشياء
المستوثق بها بالاقفال استعارة بالكناية واثبت لها المفاتح تخييلا جمع
مفتح ومن عرف المفتاح وعرف كيف يفتح به يوصل به الى ما في الخزانة والله تعالى
هو المنفرد بالغيب لا يقدر على التوصل اليها احد لان علمه بمنزلة المفتاح ويجوز
ان يكون جمع مفتح بفتح الميم وهي المخزن اي عنده خزائن الغيب ليس لاحد وصول
اليها يؤيده قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه : ويعلم ما في البر : من الغرائب
والبحر : من العجائب كيف وهو الذي ابدعها واودعها فيه : وما تسقط
من ورقة الا يعلمها : قبل سقوطها ووقت سقوطها : ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس : عطف على ورقة بحسب المعنى : الا في كتاب
مبين : بدل من الا يعلمها بدل الكل لان المراد به علمه تعالى او بدل الاشتمال
ان اريد به اللوح المحفوظ وقرأت الثلثة بالرفع عطف على محل من
ورقة او على الابتداء والخبر الا في كتاب : وهو الذي يتوفيكم بالليل
بالنوم الذي هو الموت الاصغر والتوفي اخذ الشيء وافيا وكذلك
النائم لا فرق بينه وبين الجماد : ويعلم ما جرحتم بالنهار : كسبتم ولا مفهوم
للكلام بل بناء على الغالب : ثم يبعثكم فيه : في النهار الذي بعد انقضاء
الليل والنهار الاول من السابق على الليل وانما قدم التوفي لكونه اغرب
وادل على كمال القدرة : ليقضى اجل مسمى : مدة مضروبة للمستبعد فيعمل
الى اخرها : ثم اليه مرجعكم : بعد بعث الموت : ثم ينبئكم بما كنتم تعملون :
فيجازيكم عليها والخطاب مع الكفار لقوله ثم انتم تشركون ولذلك بسط الكلام
والا فقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو كان دالا عليها فصل : وهو
القاهر فوق عباده : الغالب المتعالي يتصرف فيهم كما يشاء : ويرسل
عليكم حفظة : الكرام الكاتبين الموكلين بحفظ اعمالكم والحكمة في ذلك ان
الانسان اذا علم ان له مراقبا يضبط حركاته وسكناته وسيواجهه بها على

رؤوس الاشهاد ويزجر عن القبائح بخلاف ما اذا كان الامر مفوضا على علم مولاه
فانه كثيرا ما يعتمد على لطفه ولذلك ترى اكثر الناس يستحيون من الناس
ولا يستحيون من الله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك
الموت واعوانه قيل هم اربعة عشر سبعة من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة
العذاب وهو الذي يباشر قبض الروح فاذا قبضه فان كان مؤمنا سلمه الى
ملائكة الرحمة وان كان كافرا فالى ملائكة العذاب والارض بين يديه مثل
الطشت ولا يرفع بصره عنها فاذا حان اجل واحد منهم خط اليه خط فيعلم
بذلك ولم يعلم قبل ذلك الا علام الغيوب وهم لا يفرطون لا يتجاوزون
عن ذلك الوقت ولا يغدرون ثم ردوا الى الله بعد التوفي مولاهم الحق
سيدهم الحق لان سائر الموالي مجازية وهذا الرد يحتمل ان يكون بعد الموت
حين يفارق الروح البدن لما روي عم ان الارواح تعرض على الله تعالى
فيقول الله تعالى ردوها الى آخر الاجل فتستقر ارواح المؤمنين في عليين
وارواح الكفار في سجين او الحشر الى الله تعالى للجزاء الا له الحكم لا لغيره
صدره بحرف التنبيه ايقاظا للسامع وهو اسرع الحاسبين اذ لا
يشغله شان عن شان وفي الحديث يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر كناية عن شدائدهما تدعونه
جملة حالية تضرعا وخفية متذللين جافي الاصوات عما دهاكم من الشدة
قراه ابو بكر عن عاصم بكسر الخاء لئن انجيتنا من هذه الشدائد بتقدير
القول اي قائلين لنكونن من الشاكرين اللام الاول موطئة والثانية
جواب القسم وقرا الكوفيون انجانا بصيغة الغيبة قل الله ينجيكم منها
متعين للجواب لا يقدرون على خلافه شدده الكوفيون وهشام عن ابن
عامر ومن كل كرب غم سواها اذ لا مؤثر في الكون الا هو ثم انتم تشركون
قدم الضمير ليفيد التقوي في الحكم وتخبير الجملة في صورة الاسمية الدالة على
الاستمرار زيادة في التوبيخ حيث بدلوا الشكر على ملك النعمة بالشرك
المستمر قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم بالطوفان
والقذف بالحجارة والصيحة كما فعل بقوم نوح ولوط وهود او من تحت
ارجلكم بالخسف والاغراق والزلزال كما فعل بقارون وفرعون وقيل
من فوقكم من قبل كبارهم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم او يلبسكم
شيعا يخلطكم فرقا بان يشرب في قلوبكم اهواء مختلفة قال الشاعر
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم
بأس بعض شدة من القتل والنهب وعن خباب بن الارت رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فقلت يا رسول الله لقد رأيتك تصلي صلوة
ما رأيتك تصلي مثلها قال اجل انها صلوة رغبة ورهبة سألت ربي فيها
ثلاثا فاعطاني اثنتين وزوى عني واحدة سألته ان لا يسلط على امتي عدوا
من غيرهم فاعطاني وسألته ان لا يأخذهم بالسنة فاعطاني وسألته
ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد
والامر والنهي والانجاء والاهلاك وتصريف الليل والنهار لعلهم يفقهون لكي
يفهموا وفيه انهم من الجهل والبلادة بمكان وكذب به قومك اي
بالقران وهو الحق الكائن الذي لا محالة عنه والحق الصدق متحدان ذاتا
وان اختلفا اعتبارا قل لست عليكم بوكيل بمسلط عليكم املك التصرف
فيكم حتى اجبركم على التصديق به لكل نبأ مستقر لكل خبر اخبر الله به وقت
قرار ووقوع لا يتخطاه وسوف تعلمون ذلك اذا وقع واذا رأيت
الذين يخوضون في اياتنا كان المشركون اذا سمعوا القران كذبوه و
استهزؤا به نهي عن مجالستهم في ذلك الوقت والخطاب له والمراد هو
وامته فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره ذكر الضمير
لكون الآيات عبارة عن القران واما ينسينك الشيطان اسناد مجازي
لكونه بوسوسته وقرا ابن عامر ينسينك مشددا او هو ابلغ فلا تقعد بعد
الذكرى اي بعد تذكرك النهي مع القوم الظالمين اثر الظاهر موضع المضمر
اشارة الى انهم ظالمون بذلك الخوض وما على الذين يتقون من حسابهم
من شيء اذا جالسوهم حين خوضهم جعل نفي الحساب دليلا على نفي الاثم
ولكن ذكرى لكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويعرفوهم قبح صنيعهم فان ذلك
امر بالمعروف يؤجرون عليه نصب على المصدر او رفع على الابتداء ولا يجوز
عطفه على محل من شيء لفساد المعنى ولا على لفظه لان من لا تزاد في الاثبات
ومنع زيادة من هنا وتجويزه في قوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك تحكم
لعلهم يتقون الخوض وتنفعهم الذكرى ويجوز ان يكون الضمير للمتقين
اي لعل المتقين يستمرون على تقواهم اذا نهوا المشركين عن ذلك المنكر
نزلت حين قال المسلمون لئن كنا نقوم كلما خاض المشركون في القران
لم نقدر على الطواف والصلوة وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لم يكن
للمشركين دين وانما اضافه اليهم الذين بمعنى انهم اتخذوا الدين الواجب
الحق شيئا من جنس اللعب واللهو عبادة الاصنام اي اتخذوا ما يتدينون به
ويجعلون بمنزلة الدين من الاوثان شيئا من اللعب واللهو او اتخذوا
دين الاسلام هو دينهم الذي كلفوا به لعبا ولهوا يسخرون به وقيل لكل قوم

عيدا اتخذوه لعبا ولهوا الا المسلمين فان عيدهم الصلوة والصدقة والتكبير ∴ و
غرتهم الحياة الدنيا ∴ فلم ينظروا في امر الآخرة ∴ وذكر به ∴ اي بالقرآن ∴ ان تبسل
نفس بما كسبت ∴ مخافة ان تسلم الى الهلاك واصله المنع ومنه شجاع باسل لامتناعه
من قرنه بقوته ∴ ليس لها من دون الله من دون الله ولي ∴ ناصر يدفع عنها
العذاب بقوته ∴ ولا شفيع ∴ يستوهب ذنوبها بشفاعته والجملة صفة نفس
او حال من فاعل كسبت ∴ وان تعدل كل عدل ∴ وان تفد كل فداء والعدل
يطلق على الفدية كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل والمراد هنا الفداء لكونه
مفعولا مطلقا ∴ لا يؤخذ منها ∴ والفعل مسند الى الجار والمجرور ولا يجوز اسناده
الى ضمير المصدر لان الاخذ لا يقع على المصدر بل على المفدى به كذا قيل والحق اسناده
الى ضمير العدل لانه مفعول به كما في قوله لا يؤخذ منها عدل وفي قوله تعالى ان الذين
كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا لافتدوا به دلالة صريحة على ما آثرناه وانما
الذي لا يسند اليه هو مصدر الفعل لانه للتوكيد ولا يسند اليه والى ضميره الا اذا
كان للنوع او المرة ∴ اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا ∴ اي المتخذون دينهم
لعبا ولهوا اسلموا الى العذاب والهلاك بسبب كسبهم تلك الجرائم ∴ لهم شراب
من حميم وعذاب اليم ∴ استئناف لتفصيل ذلك الابسال او حال من ضمير
ابسلوا مبين لهيئته ∴ بما كانوا يكفرون ∴ بما استمروا على الكفر ∴ قل اندعوا من
دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ∴ نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه
ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قبل اسلامه والمعنى انعبد ما لا نفع فيه ولا ضر
منحازين عن عبادة الله تعالى ∴ ونرد على اعقابنا ∴ راجعين الى الشرك ∴ بعد اذ
هدانا الله تعالى الى الاسلام ∴ اي لا يكون ذلك ∴ كالذي استهوته الشياطين
في الارض ∴ استهامته مردة الجن في تهامة الارض لا يدري مرامه من هوى
يهوي بالكسر اذا سقط من الاعلى الى الاسفل ومحل الكاف النصب على الحال
من ضمير نرد اي مشبهين به ∴ حيران ∴ متحيرا ∴ له اصحاب ∴ لهذا الذي استهوته
الشياطين حال اخرى ∴ يدعونه الى الهدى ∴ الى ان يهدوه او الى الطريق المستقيم
تسمية بالمصدر مبالغة ∴ ائتنا ∴ قائلين له ائتنا رحمة عليه وتعطفا ∴ قل ان
هدى الله ∴ وهو الاسلام او الهداية اليه لا غيره ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه ∴ وامرنا لنسلم لرب العالمين ∴ عطف على محل ان هدى الله داخل تحت
القول واللام فيه للتعليل تقديره امرنا بان نسلم للاسلام لا لغرض آخر وقيل
اللام فيه بمعنى الباء وقيل زائدة ∴ وان اقيموا الصلوة واتقوه ∴ عطف على
لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة وانما امر رسول الله بان يقول هذا الكلام
مع ان الآية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه اشارة الى غاية الاتحاد بينهما وان كلا

منهما يقوم مقام الآخر وانه لو اجاب كان جوابه ما اجاب به رسول الله عليه السلام
وفيه من تعظيم الصديق رضي الله عنه ما لا يخفى ∴ وهو الذي اليه تحشرون ∴ لا الى غيره
فيجازيكم على وفق اعمالكم ∴ وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ∴ اي خلقا
متلبسا بالحق لا بالباطل واللعب كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا والمعنى انا خلقناهما ليتدبروا في شأنهما
ويستدلوا بذلك على كمال قدرة مبدعهما وعلى وحدانيته وتفرده بالالوهية
∴ ويوم يقول كن فيكون قوله الحق ∴ قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مثل
قولك القتال يوم الجمعة والمعنى انا خلقناهما ليتدبروا في شأنهما ويستدلوا
بذلك على كمال قدرة مبدعهما وعلى وحدانيته وتفرده بالالوهية قوله الحق كائن
حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء فيكون برهانا على قوله وهو
الذي خلق السموات والارض بالحق لدخول كينونتهما تحت هذا العموم ويجوز
ان يراد بالقول المقول والمقضي فالظرف يتعلق بمقدر اي يقوم بالحق حين
يقول للمقضية كن لعدم جواز الاخبار بالظرف حينئذ ∴ وله الملك ∴ مبتدأ وخبر
∴ يوم ينفخ في الصور ∴ ظرف له والمعنى لا ملك في ذلك اليوم لاحد حقيقة ولا مجازا الا
له تعالى والصور قرن فيه ارواح الخلائق فاذا كان وقت البعث نفخ فيه اسرافيل
فطار كل روح الى جسده وعن الكلبي لا ادري معنى الصور وقيل جمع صورة
كبسر وبسرة والمعنى ينفخ الارواح في الصور اي الاجساد ∴ عالم الغيب
والشهادة ∴ رفع على المدح او خبر مبتدأ ∴ وهو الحكيم ∴ في كل صنع ∴ الخبير ∴
ببواطن الاشياء واحوالها فذلكة الآية لان من يكون له ذلك الابداع
لا يكون الا كذلك ∴ واذ قال ابراهيم لابيه آزر ∴ كان المشركون يزعمون
انهم على ملة ابراهيم ويدعون الاستغناء بذلك عن سائر الاديان فلما
نعى عليهم عبادة الاصنام كذبهم في دعواهم الانتساب الى ملته فانه قدوة
الموحدين واول من كسر الاصنام وآزر عطف بيان لابيه واتفق
المؤرخون على ان اسم ابيه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب
وقيل آزر لقب له ومعناه الشيخ او المعوج وقيل اسم صنم والمضاف
مقدر وقيل نصب بفعل يفسره ما بعده اي يعبد آزر وقرئ بالرفع على
النداء ∴ اتتخذ اصناما آلهة ∴ اي بصيغة الجمع مبالغة في تجهيله حيث
لم يرض بآلهة آخر من دون الله ∴ اني اريك وقومك في ضلال مبين ∴
ظاهر لان ما لا يسمع ولا يبصر عنه وبين الالوهية بون بعيد ∴ وكذلك نري
ابراهيم ملكوت السموات والارض ∴ كما وفقناه لاطلاعه على ضلال
قومه شرحنا صدره بالمعارف والملكوت من الملك كالرهبوت

من الرهبة وايثار المضارع حكاية عن الماضي وتصويرا له ∴ وليكون من الموقنين
فعلنا ذلك او وليستدل وليكون ∴ فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا
ربي ∴ عطف على قال ابراهيم وكذلك نري جملة معترضة او تفصيل وبيان
لرؤية الملكوت كان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والكواكب فاراد
ان يوقظهم من غفلتهم ويرشدهم الى طريق الاستدلال ويعرفهم ان النظر
الصحيح يابى ان يكون شيء منها الها لظهور امارة الحدوث منها وقيل قاله
هذا الكلام اول اوان بلوغه يقال جنه ستره وجن عليه اظلم ∴ فلما افل قال
لا احب الافلين ∴ الافول الغروب ومن عدم محبته يلزم عدم العبادة
بالطريق الاولى ∴ فلما راى القمر بازغا ∴ طالعا ابتزغ الربيع جا اوله ∴ قال هذا
ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين ∴ استعان به في
درك الحق لما التبس عليه الامر وكثرت الشبه او اراد تنبيه قومه بانهم على
الضلال ان لم يوفقهم الله تعالى واخبر عن نفسه اظهارا للنصفة ∴ فلما راى
الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر ∴ لانه عظيم الالهة مركوز في النفوس او قاله
اظهارا لشبهة الخصم وانما ذكر اسم الاشارة مع ان المشار اليه مؤنثة باعتبار
الخبر وفيه صيانة الرب عن لفظ المؤنث ∴ فلما افلت قال يا قوم اني بريء
مما تشركون ∴ من الاجرام العلوية لانها متغيرة متبدلة من حال الى حال و
ذلك دليل الحدوث مناف للالوهية واستدل بالافول دون البزوغ
مع ان كلا منهما امارة الحدوث لانه بالبزوغ يظهر سلطان الكواكب وكماله
ولذلك تسجد عبدة الشمس حين طلوعه وبالافول ينعدم اثره فهو اظهر في
الدلالة ولتعدد دلالته لكونه مسبوقا بالبزوغ وقيل لانه راى الكوكب
الذي كانوا يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال ولا يطرد
في القمر والشمس لذكر البزوغ فيهما مع ان اللفظ يابى ذلك التوجيه لتنكير
الكواكب ∴ اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
وما انا من المشركين ∴ لما ابطل شبهة قومه وادى ما عليه من النصح
وصرح بالبراءة من تلك الشركاء صرف كليته الى من فطر السموات
السابقة في الوجود وملك تلك الكواكب وتبرا عن الاشراك راسا
بعد تبرؤه عما يشركون ∴ وحاجه قومه ∴ خاصموه بالتوحيد ونفي
الشركاء كما قال مشركوا العرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل الالهة
الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ∴ قال اتحاجوني في الله ∴ انكر المحاجة
في وحدانيته تعالى ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد وقرا نافع وابن
عامر بتخفيف النون ∴ وقد هدان ∴ الله الى توحيده ∴ ولا اخاف

ما تشركون

ما تشركون به ∴ كانوا خوفوه بان الهتهم ستصيبه بمكروه ∴ الا ان يشاء
ربي شيئا ∴ الا وقت مشيئة الله تعالى ان يصيبني بمكروه منها فحينئذ
اخاف ∴ وسع ربي كل شيء علما ∴ لعل ان يكون تعلق علمه تعالى بان يصل
الي منها مكروه او ان علمه تعالى محيط بكل شيء فهو عالم باني لا اخاف
ما اشركتم به فان الخوف فعل القلب لا يطلع عليه غيره تعالى ∴ افلا تتذكرون
وكيف اخاف ما اشركتم ∴ معناه استبعاد لانها لا تضر ولا تنفع و
ولا تخافون انكم اشركتم بالله ∴ بمن بيده الضر والنفع اي ما بالكم تنكرون
علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع
الخوف ∴ ما لم ينزل به عليكم سلطانا ∴ دليلا قاطعا لا يجوز مخالفته
فان حسن الاشيا وقبحها منه تعالى ∴ فاي الفريقين احق بالامن ∴ اذا ما علمتم
كلامي فاي واحد احق بالامن مني ومنكم نظير قوله صلى الله عليه وسلم للمشركين
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين هذا النوع من الكلام يسمى
كلام المنصف وانما عدل الى الفريقين ولم يقل انا او انتم تحاشيا
من تزكية النفس ∴ ان كنتم تعلمون ∴ ما يجب ان يخاف ∴ الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون ∴ ويجوز ان
يكون جوابا منه او من الله تعالى واللبس هو الخلط والظلم هو الشرك
روى البخاري لما نزلت شق على المسلمين فقالوا وايّنا لم يظلم يا رسول الله
فقال ليس ما تظنونه بل هو الشرك قال لقمان لابنه ان الشرك لظلم
عظيم فالتنوين في بظلم للتعظيم ومعنى لبس الايمان بالكفر تغطيته به وستره
ولذلك يسمى ما يستر الانسان لباسا ولو اجري الظلم على عمومه لم
يلزم منه تعذيب العصاة غايته ان لا يكون لهم الامن ∴ وتلك حجتنا
اتيناها ابراهيم على قومه ∴ اي ما استدل به ابراهيم من تلك الدلائل
انما علمه بهدايتنا لانه استعان بنا حيث قال لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين والجار في قوله على قومه متعلق بحجتنا سواء
جعلته خبر تلك او بدلا منه ∴ نرفع درجات من نشاء ∴ بالعلم والمعارف
قراه الكوفيون بالتنوين ونصب درجات على المصدر او التمييز وهو
ابلغ ∴ ان ربك حكيم عليم ∴ في افعاله يجازي من يستحق الرفع والخفض
ووهبنا له اسحق ∴ ولدا من صلبه ∴ ويعقوب ∴ فان الذرية الصالحة
من النعم الجزيلة ∴ كلا هدينا ∴ كلا منهما مفعول هدينا ∴ ونوحا هدينا
من قبل ∴ اي من قبل ابراهيم عده نعمة على ابراهيم لان شرف الاباء
يسري الى الابناء ∴ ومن ذريته ∴ الضمير لنوح عليه السلام لان لوطا

ويونس عليهما السلام ليسا من ذرية ابراهيم عليه السلام وقيل الضمير لابراهيم
والمذكورون من ذريته تغليبا ولعل هذا هو الراجح لان سوق الكلام لبيانه لاقرار
حجة التوحيد وذبّ عنها اكرمه الله تعالى برفع الدرجات وجعل من الانبيا من ذريته
وداود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون
معطوفات على نوح وكذلك نجزى المحسنين كما جزينا ابراهيم بانواع
من الكرامات وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين الكاملين
في الصلاح واسمعيل واليسع وقرا حمزة والكسائي الليسع بتشديد اللام
وسكون اليا على انه اعجمى دخلته اللام ويونس ابن متى ولوطا ابن
هاران بن تارخ وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة ويدخل في العالمين
الملائكة ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا ومن للتبعيض
اى فضلنا كل الانبيا وبعض ابائهم وذرياتهم واخوانهم وعلم من ذكر عيسى
عليه السلام في الذرية اطلاقها على اولاد البنات فالحسن والحسين
رضي الله عنهما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتبيناهم عطف
على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم كرره لبيان ما هدوا
اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدى به من يشاء من عباده
ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اى لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم
مع علو شانهم لحبط عنهم عملهم كما يحبط عمل سائر الناس فان الله غنى عن
العالمين وهذا امر فرضى ولذلك اتى بلو الدالة على الاستحالة وقوع
الشرط اولئك الذين آتيناهم الكتاب جنس الكتاب والحكم
الامر والقضاء على الناس والنبوة ذكرها بعد ايتاء الكتاب دفعا
للتجوز فان الكتاب يضاف الى الامة لقد انزلنا اليكم كتابا فيه
ذكركم فان يكفر بها بالتوحيد او بالثلثة المذكورة هؤلاء كفار مكة
فقد وكلنا بها قوما هم الانبياء المذكورون وقيل هم اصحاب رسول الله
عليه السلام وكل من آمن به وقيل الملائكة وادعى الانصار انها لهم
وقيل هم الفرس قاله مجاهد ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها
والقيام بحقوقها ليسوا بها بكافرين والبا الاولى صلة كافرين و
والثانية تاكيد النفى اولئك الذين هدى الله اى الانبياء المذكورون
فبهداهم اقتده لا بغيرها والمراد بها الالهيات واصول الدين
التى لا تتبدل بتبدل الملل لقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
فلا دليل في الاية على انه عليه السلام كان متعبدا بشرع من قبله
وقرا حمزة والكسائى بحذف الهاء وابن عامر بكسر الها على انها

كناية

كناية المصدر والباقون بسكونها اجراء للوصل مجرى الوقف واتفق الكل
على السكون في الوقف قل لا اسئلكم عليه على التبليغ اجرا حتى تهموني
بذلك ان هو اى التبليغ الا ذكرى للعالمين الا تذكرة وموعظة لكل من
يعقل من الثقلين وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من
شئ لا ذكر رؤسا الانبيا وانفاقهم في الملة وهل الدين شنع على من
انكر النبوة رأسا بانه جاهل بالله تعالى وبصفاته فان ارحم الراحمين كيف يترك
عباده في ظلمة الجهل من غير ارسال رسول يبصرهم طريق الوصول اليه تعالى
ولم يعرفوا ايضا شدة عذابه وقوة بطشه ولذلك اقدموا على هذا القول
روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى الله تعالى وكان مالك بن
الصيف من احبار اليهود حاضرا شرع يدافع كلام رسول الله جهلا وعنادا
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالذى انزل التورية على موسى
عليه السلام هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت
مما اطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقال ما انزل الله على بشر من شئ فقال له قومه ويلك ما هذا الذى
بدا منك فقال انه اغضبنى فقلت ما بلغكم فنزعوه من الحبورة وولوا
كعب الاشرف وقيل نزلت في مشركى مكة لان السورة مكية ويرده قوله
تجعلونه قراطيس لانه صفة اليهود قل من انزل الكتاب الذى جاء به
موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا الزام
لليهود بما لا يقدرون على انكاره مع ما ادرج فيه ما هو نهاية في التقريع بان الكلام
المنزل على موسى جملة جعلوه بحسب اغراضهم اوراقا متفرقة يظهرون بعضه
الذى يوافق غرضهم الفاسد ويخفون الذى لا يلايمهم وقرا ابن كثير وابن عمرو
الافعال الثلثة بالغيبة والخطاب ابلغ توبيخا وعلمتم ما لم تعلموا انتم
ولا آباؤكم زيادة على ما في التورية من المعارف والحكم الذى خص بها القران
الكريم هذا ان كان المراد بالاية اليهود وان كان المشركين فالامر ظاهر
فانهم ما انذروا ولا آباؤهم قل الله متعين للجواب لا يمكن سواه ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون دعهم في اباطيلهم لاعبين فلا عليك بعد ذلك التبليغ
منسوخة باية السيف ويلعبون حال من المنصوب في ذرهم او من المجرور
في خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لا ولذرهم
وهذا كتاب انزلناه مبارك اشار اليه هو القران والمبارك من البركة
وهى النماء والزيادة في الرد عليهم بانزال التورية امر رسول الله عليه السلام
بالجواب وفى انزال القران اجاب بنفسه مسندا الانزال الى ضمير الجمع

والدال على عظم المنزل اجلالا للقرآن: مصدق الذي بين يديه: من الكتب السماوية
فلا وجه لانكاره لا سيما ممن يكون من اهل الكتاب: ولتنذر ام القرى: عطف على ما
دل عليه وصف الكتاب اى المعنى انزلناه للبركات والتصديقات والانذار وقراه
بالغيبة ابوبكر عن عاصم والخطاب احسن لان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المنذر
حقيقة وام القرى مكة لانها مكان اول بيت وضع للناس او لان الارض دحيت
من تحتها او لان الناس يرجعون اليها في المواسم او لعظم شانها وكونها قبلة سائر القرى
ومن حولها: من جميع الجوانب الى انقطاع الارض: والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به
وهم على صلوتهم يحافظون: لان من آمن بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب هو الذي
يتأمل في القرآن ويتدبره ويبعثه ذلك على الايمان به رجاء لذلك الثواب
وخوفا من ذلك العقاب وانما وصفهم بمحافظة الصلوة لانها عماد الدين
لتكررها واشتمالها على شرائط كثيرة ولذلك وصفها بانها كبيرة الا على الخاشعين
ولان الآتي بها لا يخل بغيرها في الاغلب ولذلك وصفها بانها تنهى عن الفحشاء
والمنكر: ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا: اى لا احد اظلم منه وهو الذي
يدعي الرسالة لنفسه افتراء على الله مثل مسيلمة الكذاب والاسود العنسي
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء: كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله
الوحي فلما نزل اول قد افلح المؤمنون القاه اليه رسول الله حتى بلغ خلق الانسان
وتقلبه في اطوار من النطفة الى العلقة ثم الى المضغة ثم الى كسوة العظام
لحما ثم الى انشاء خلقا آخر وكان عربيا بليغا قال فتبارك الله احسن الخالقين
فقال له اكتب كذا انزل فقال ان كان محمد صادقا فقد نزل على الوحي كما نزل اليه
فارتد ثم عاد الى الاسلام واكثر بلاد المغرب فتحت على يديه في زمن عثمان رضي
الله عنه وقيل كان يكتب في موضع عليم حكيم عزيز حكيم وفي موضع سميع عليم غفور
رحيم وهذا باطل اذ لو وقع منه ذلك مرة لنبه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون: ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله
هو النضر بن الحارث القائل لو نشاء لقلنا مثل هذا: ولو ترى اذ الظالمون
المذكورون: في غمرات الموت: شدائده وهي سكراته من غمره الماء اذا ستره
والملائكة باسطوا ايديهم كنا عن غاية التسلط فان الغريم اذا بالغ في التقاضي
بسط يديه جاذبا باطراف صاحبه: اخرجوا انفسكم: قائلين لهم هذا القول
تغليظا عليهم وايحاشا لاسماعهم لتكامل عليهم العذاب من جميع الحواس
او اخرجوها من ايدينا ان كان لكم قدرة وقد علموا ان لا قدرة لهم فهو من النمط
الاول: اليوم تجزون عذاب الهون: من تتمة المقول والمراد به يوم الموت او
الوقت الممتد من الموت الى ما لا يتناهى والهون الهوان الشديد واضافة

رسول الله عليه السلام

العذاب اليه من قبيل رجل سوء يفيد العراقة في الهوان: بما كنتم تقولون على الله
غير الحق: من انزال الوحي ودعوة النبوة واثبات الشريك والولد له تعالى
وكنتم عن آياته تستكبرون: ترفعون انفسكم عن التدبر فيها فلا تؤمنون
بها: ولقد جئتمونا فرادى: منفردين عن الاموال والاولاد والطواغيت
التي كنتم تعبدونها جمع فرد على خلاف القياس كانه لما كان بمعنى الفرد جمع
على وزن السكران جمع جمعه: كما خلقناكم اول مرة: بدل من فرادى او حال
ثانية او صفة مصدر جئتمونا: وتركتم ما خولناكم: ما تفضلنا به عليكم من
متاع الدنيا من خوله الشيء اذا ملكه: وراء ظهوركم: ولم تقدموا منه
شيئا ليوم تشتد اليه الحاجة: وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء: اى شركاء الله في عبادتكم لانهم مشاركون له في الربوبية: لقد
تقطع بينكم: قراه بالرفع نافع وابن عامر وحمزة وابوبكر عن عاصم والمعنى
انصرم الوصل الذي كان بينكم والباقون بالنصب والفعل مسند الى ضمير المصدر
اى وقع التقطع وهذا في بناء الفاعل نظير قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون
في بناء المفعول او تقدير الامر اى تقطع الامر بينكم يؤيده قراءة من قرا
لقد تقطع ما بينكم والبين من الاضداد: وضل عنكم ما كنتم تزعمون: من
الاشراك والشفاعة: ان الله فالق الحب والنوى: برهان على التوحيد
بعد ابطال الاشراك والفلق لغة الشق والمعنى شاق الحب والنوى
باخراج النجم والشجر منهما وعن مجاهد المراد شق الحب والنواة والوجه ما تقدم
يخرج الحي من الميت: اراد النجم والشجر النامية او المؤمن من الكافر
والعالم من الجاهل وهذا ابعد معنى والاول اوفق للمقام: ومخرج الميت من
الحي: كالحب من النبات والبيض من الطير او الكافر والجاهل من المؤمن
والعالم وانما اثر اسم الفاعل عطفا على فالق الحب لان قوله يخرج الحي من
الميت بيان على الوجه الاول واستئناف على الثاني عبر عنه بالمضارع
استحضارا لتلك الصورة لانه ابدع واغرب: ذلكم الله: المحيي المميت
هو الحقيق بالمعبودية: فانى تؤفكون: تصرفون عنه استفهام توبيخ وتعجب
فالق الاصباح: شاق ظلمة الليل عن بياض الصبح وهو غلس آخر الليل لقوله
تعري ليل عن بياض نهار او شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض
النهار: والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بالفتح على صيغة الجمع: وجاعل
الليل سكنا: يسكن اليه ويطمئن ولذلك سميت المراة والنار سكنا
او ما يسكن فيه لقوله وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وانتصابه بجاعل
لكونه بمعنى الاستمرار الشامل للازمنة فبالنظر الى الحال والاستقبال اضافته

غير حقيقية فيعمل وبالنظر الى الماضي حقيقية فلوحظ في مالك يوم الدين وفاطر
السموات جانب ولذلك وصف بهما المعرفة وههنا جانب الحال و
والاستقبال ولذلك عمل الاسم فلا حاجة الى تقدير فعل ناصب له
والشمس والقمر حسبانا: عطف على محل الليل لانتصابه بجاعل وعلى لفظه
في قراءة الكوفيين جعل بصيغة الماضي والحسبان بضم الحاء مصدر حسب
يحسب كنصر ينصر معناه العد والاحصاء ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا
جعلهما على حساب لان الاوقات تنضبط بدورهما والحسبان بالكسر مصدر
حسب يحسب كعلم يعلم معناه الظن والتخمين وما يقال ان كلا منهما بمعنى الظن
سهو: ذلك تقدير العزيز العليم: اي ذلك الجعل او المذكور من الفلق والجعل
تقدير الغالب القهار الذي سخر الاشياء: العليم: الكامل العلم المحيط بكل شي
سخره ما يليق به من المصالح والمنافع: وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في
ظلمات البر والبحر: في ظلمات الليل والاضافة الى البر والبحر لادنى ملابسة او الظلمات
استعارة مشتبهات الطرق واللام الاولى للتخصيص والثانية للعلة: قد فصلنا
الايات: الدلائل الدالة على الوحدانية: لقوم يعلمون: لانهم الذين يفهمون
الدلائل: وهو الذي انشأكم من نفس واحدة: يريد آدم عليه السلام فانه الاصل
والمنشأ بواسطة وبغير واسطة: فمستقر ومستودع: فلكم استقرار في اصلاب
الآباء او فوق الارض او مكانه واستيداع في الارحام او تحت الارض او مكانه
وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر القاف اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع على
ان الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول: قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون:
انما ختم الدليل الاول بالعلم وهذا بالفقه لان انشاء ذرية آدم عليه السلام منه
ادق مسلكا من جعل النجوم اسبابا للاهتداء والفقه يدل على كمال الفطنة ودقة
النظر: وهو الذي انزل من السماء ماء: من السحاب او من جهة العلو فان
ما علاك سماء: فاخرجنا به نبات كل شي: من اصناف ما ينبت فالسبب
واحد والمسببات مختلفة كقوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في
الاكل دليل على كمال علمه وتفرده بالايجاد ولذلك اسنده الى ضمير المتكلم ملتفتا اليه
من اسلوب الغيبة: فاخرجنا منه خضرا: غضا طريا مع يبس الحبة المخرج
منها يقال اخضر وخضر مثل اعور وعور: نخرج منه حبا متراكبا: بعضه فوق بعض
كما يشاهد في السنابل: ومن النخل من طلعها قنوان: جمع قنو وهو من النخل بمنزلة
العنقود من الكرم ويسمى العذق بكسر العين والذال المعجمة قنوان مبتدأ و
ومن النخل خبره ومن طلعها بدل البعض ويجوز ان يقدر الخبر فعلا خاصا لدلالة
اخرجنا عليه اي ويخرج من النخل: دانية: قريبة بعضها من بعض لقوة

الشجر

الشجر بكثير حمله او قريبة المتناول فان النخل يثمر وهو قصير القامة وقد شاهدناه
ما يكون اعذاقه على الارض وانما اقتصر على وصف الدنو وان كان منها ما يكون
عاليا لكونه ادخل في كونه نعمة وقيل اكتفى باحد الضدين لدلالته على الاخر كقوله
سرابيل تقيكم الحر: وجنات من اعناب: عطف على نبات كل شي وقرئ
بالرفع اي وثم جنات من اعناب او ولكم جنات من اعناب او جنات
عطف على قنوان ومن اعناب على من النخل عطف المفرد على المفرد كقول
الشاعر عندي اصطبار وشكوى عند فاتنتي فلا يلزم ان يكون العنب خارجا
من النخل: والزيتون والرمان: عطف على نبات ايضا والاحسن النصب
على الاختصاص لكونهما اشرف الثمار: مشتبها وغير متشابه: حال من الجميع
او من الرمان اي بعض الثمار متشابه في اللون والطعم وبعضه غير متشابه
يقال اشتبه وتشابه بمعنى: انظروا الى ثمره اذا اثمر: حين يبدو نحيفا لا طعم
ولا لون يعتد به: وينعه: وحين نضجه مصدر مضاف الى الفاعل من ينع الثمر
اذا استوى وصلح فانه يصير ذا لون وطعم معجب وقيل يانع كتجر وتاجر فان
ذلك الانقلاب دليل على تأثير حكمة الصانع وقرا حمزة والكسائي ثمره
بضمتين على صيغة الجمع: ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون: فانهم المتأملون
في دقائق صنائعه المستدلون بالآثار على وجود المؤثر وبانتظامها على
حسن الانتظام على تفرده بذلك: وجعلوا لله شركاء الجن: عطف قصة
على اخرى والجن الملائكة لاجتنانها وعبر به عنها تحقيرا وتبعيدا لها عن رتبة
الالوهية لانها مخفية لا عين ولا اثر او الشياطين لان الكفار اطاعوهم وعبدوا
الاوثان بتسويلهم او اعتقدوا ان الله تعالى خالق الخير والشيطان خالق الشر
كما يقوله الثنوية جعل بمعنى صير ومفعولاه لله شركاء الجن بدل من شركاء ولا
يشترط استقامة المعنى لان المبدل ليس في حكم التنحية من كل وجه او شركاء
الجن مفعولاه وقدم المفعول الثاني استعظاما للتشريك ولذلك قدم
على شركاء: وخلقهم: والحال انهم عالمون بان من جاعلوه شريكا له مخلوق من
مخلوقاته زيادة توبيخ وان ذلك العلم لا ثمرة له وقرئ وخلقهم مصدر بمعنى المفعول
عطف على شركاء اي وجعلوا له مختلقاتهم حيث قالوا والله امرنا بها: وخرقوا:
من الخرق وهو الشق كانهم شقوا العدم واخرجوا منه وقرا نافع خرقوا مشددا
مبالغة: له بنين وبنات: قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله وبعض مشركي العرب الملائكة بنات الله: بغير علم: تصريح بما علم ضمنا في
محل الحال من الفاعل اي جاهلين او مصدر اي خرقا بغير علم: سبحانه وتعالى عما يصفون:
اي انزهه الموصوف عما وصفوه به تعالى عن تلك الاوصاف ولحوقها به: بديع

السموات

والارض ∴ تقرير لتعاليه عن تلك الصفات باثبات ما ينافيها وان السموات
والارض التي هي من مخلوقاته بديعة عديمة النظير فكيف يكون له ولد اذ لو كان له ولد
لكان نظيرا له او هو بديع في السموات والارض لا نظير له او هو مبدع السموات والارض
من العدم فلا حاجة له الى الولد ليكون له ظهيرا ∴ انى يكون له ولد ∴ استبعاد لان يكون له
ولد ∴ ولم تكن له صاحبة ∴ يتولد منها الولد وهم يعترفون بذلك وهذا توبيخ وتجهيل لمن
يثبت له الولد مع اعترافه بان لا صاحبة له ∴ وخلق كل شيء ∴ والولد شيء لا محالة وما
كان مخلوقا له لا يكون ولدا لانه ملك وهو ينافي البنوة ∴ وهو بكل شيء عليم ∴ اي كما تفرد
بخلق الاشياء فكذلك تفرد بالعلم الكامل الشامل فانتفت انتفاء الاحتياج الى
الولد وقيل ان الولد كفوء لوالده والله عالم بالذات بجميع المعلومات وغيره ليس كذلك
اجماعا وفيه ان الكفاءة لا تستلزم التساوي من كل وجه كما ترى بين الآباء والبنين
ذلكم ∴ اشارة الى الموصوف بصفات الالوهية ∴ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء ∴
اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا او وصف الخالقية
لانه اجلى البراهين ولذلك اكثر ايراده في القران الكريم ∴ فاعبدوه ∴ مسبب عن
تلك الاوصاف وان كان مستحقا لذاته مع قطع النظر عن كل صفة ∴ وهو على كل
شيء وكيل ∴ حال من المفعول توكيد للامر بالعبادة اي وهو مع تلك الصفات موصوف
بكونه موكولا اليه جميع الامور سواه ورقيب احوالها ∴ لا تدركه الابصار ∴ لا تحيط به
لانه غير جسم ولا جسماني فهو اخص من الرؤية فلا تستلزم نفيه نفيها او لا تدركه الابصار
كلها فالنفي متوجه الى الاستغراق كقولك لم اضرب زيدا عبثا وشبهة نافي
الرؤية انما هي في الوقوع لا في الامكان لان نفي الشيء لا يدل على امتناعه والبصر
النور المودع في الجارحة الذي به رؤية الاشياء ويطلق على الجارحة ايضا والاول
هو المراد لقوله ∴ وهو يدرك الابصار ∴ لان تفرده انما هو بادراك تلك
لا الجارحة ∴ وهو اللطيف الخبير ∴ دقت حكمته في كل شيء او لطيف بعباده
في المضايق خبير بنياتهم والوصفان ستر لما تقدم اللطيف لا تدركه الابصار
والخبير ليدرك الابصار ∴ قد جاءكم بصائر من ربكم ∴ البصائر جمع بصيرة وهي للقلب
كالبصر للعين والمراد الدلائل القاطعة جعلها بصائر دلالة على غاية جلائها
فمن ابصر ∴ بقلبه وآمن ∴ فلنفسه ∴ نفعه لا لغيره ∴ ومن عمي ∴ قلبه عن ادراكها
فعليها ∴ وبال ذلك ∴ وما انا عليكم بحفيظ ∴ ان علي الا البلاغ والآية واردة
على لسانه صلى الله عليه وسلم ∴ وكذلك نصرف الآيات ∴ السابقة الدالة على
الوحدانية نصرف سائر الآيات في القران ∴ وليقولوا درست ∴ متعلقة بمحذوف
اي صرفنا واللام للعاقبة كقوله ليكون لهم عدوا والدرس هو القراءة والتعلم
وقرا ابن كثير وابو عمرو دارست اي اهل الكتاب لكونهم مشهورين بذلك

وابن عامر درست وبناء التانيث من الدروس والمراد التقدم في الزمان
كقولهم اساطير الاولين المد والخطاب اولى لقوله واعانه عليه قوم آخرون
وقوله انما يعلمه بشر ∴ ولنبينه ∴ اللام على اصله من التعليل والضمير للآيات
باعتبار المعنى لانها القران او للمصدر ∴ لقوم يعلمون ∴ لان الجاهل بمعزل عن
عن الفهم ∴ اتبع ما اوحي اليك من ربك ∴ بالتدين به اذ لا عليك بعد البلاغ
الا ذلك ∴ لا اله الا هو ∴ حال مؤكدة بعد الفعلية كقوله تعالى قائما بالقسط او
اعتراض اكد به ايجاب الاتباع ∴ واعرض عن المشركين ∴ منسوخة بآية
السيف او المراد عدم الالتفات اليهم دون الكف ∴ ولو شاء الله ما اشركوا ∴
صريح في ان اشراكهم بمشيئته تعالى ∴ وما جعلناك عليهم حفيظا ∴ رقيبا ∴ وما
انت عليهم بوكيل ∴ متولي امورهم ∴ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ∴
السب ذكر مساوي الشيء على سبيل التنقيص والتحقير وما وصف الله تعالى به
الهتهم من كونها حصب جهنم ونظيره في معرض الاستدلال على عدم صلاحيتها
للالوهية ∴ فيسبوا الله عدوا ∴ تجاوزا عن الحق ∴ بغير علم ∴ جهلا منهم بمن يليق به
السب وسب آلهتهم وان كان طاعة ولكن اشتمل على المفسدة فغلبت
مفسدة ودفع المفاسد مقدم على جلب المصالح والتخلية قبل التحلية
كذلك زينا لكل امة عملهم ∴ كما زينا لهؤلاء سب خالق الاشياء زينا
لكل امة عملهم من الخير والشر ويجوز ان يراد بكل امة الكفار لان الكلام
فيهم ∴ ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ∴ مجاز عن الحساب
والمجازاة عليه ∴ واقسموا بالله جهد ايمانهم ∴ مصدر في موقع الحال اي
بالغين في الايمان جهدهم وطاقتهم والداعي لهم الى هذا القسم التعنت
واستحقار ما اتى به من القران وغيره من المعجزات ∴ لئن جاءتهم
آية ∴ من مقترحاتهم ∴ ليؤمنن بها قل انما الآيات كلها ∴ عند الله ∴ لا
عندي فلا قدرة لي على الاتيان بها الا اذا اراد شيئا منها ∴ وما يشعركم
استفهام انكار ∴ انها اذا جاءت لا يؤمنون ∴ كان المؤمنون يتمنون
مجيء الآي المقترحة لعلها يكون سببا لايمانهم فرد الله عليهم بانكم لا تدرون
عدم ايمانهم اذا جاءت تلك الآيات فلذلك تمنيتم مجيئها فالنفي
انما توجه الى ما هو الواقع لا الى مدعاتهم وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل
كذا روي عن الخليل وعليه قول امرئ القيس ∴ عوجوا على الطلل المحيل
لاننا ∴ نبكي الديار كما بكى ابن خذام ∴ وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر
في رواية انها بالكسر ابتداء كلام كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم
بعد نزول الآية المقترحة ثم اخبر انهم لا يؤمنون وقرا ابن عامر وحمزة

لا تؤمنون بتاء الخطاب فالانكار في وما يشعركم للكافرين مع خلقهم و
ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل تحت الانكار
اى وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم عن سنن الاستقامة
بان نطبع عليها فلا يفقهون الحق ولا يبصرونه تمثيل بحالهم بحال الطرف
المقلوب الذى لا يمسك شيئا كما لم يؤمنوا به اى فلا يؤمنون بالمقترحة
كما لم يؤمنوا بما انزل من سائر الآيات اول مرة قبل الاقتراح ونذرهم
في طغيانهم يعمهون في تجاوزهم عن الحق متحيرين عطف على لا يؤمنون
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اشار
الى بعض تلك الآى المقترحة فانهم كانوا تارة يقولون لولا انزل علينا
الملائكة فتخبرنا بانك رسول الله وتارة يقولون فأتنا بآبائنا ان كنت
من الصادقين وتارة لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا
والقبل بضم القاف والباء جمع قبيل بمعنى الكافل او الضامن او جمع قبيلة
بمعنى جماعة او مصدر بمعنى المقابلة كقبلا بكسر القاف وفتح الباء وهي
قراءة نافع وابن عامر وعلى التقادير حال من كل وانما جاز لعمومه ما
كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقت تعلق مشيئته به استثناء من اعم
الاحوال ولكن اكثرهم يجهلون ولذلك اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم يؤمنون
عند الاى المقترحة او اكثر المسلمين يجهلون ذلك ولذلك يتمنون نزولها
طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن اى كما
جعلنا لك من يعاديك جعلنا لكل نبى تقدمك عدوا من مردة الفريقين لينالوا
بذلك الاجر العظيم ويبتلى العلا اذا ما دأب الجهلة زمنيا تسوا بالانبياء وعدوا
اريد به الجنس ولذلك وقع شياطين بدلا عنه او شياطين اول مفعولى جعلنا
وعدوا مفعوله الثانى وعن مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد على
من شياطين الجن فانى اذا تعوذت ذهب شياطين الجن بخلاف شياطين
الانس وكانه الى ذلك اشير بتقديم شياطين الانس يوحى بعضهم الى بعض الوحى
الكلام الخفي والمراد به وسوسة الشياطين زخرف القول اباطيله وهو في
الاصل الذهب واستعماله كثير في المموه والباطل غرورا خداعا مصدر غره يغره
وهذا الوزن نادر في المصادر المتعدية ونصبه على العلة او الحال ولو شاء ربك
ما فعلوه ذلك الغرور او الايحاء صريح في ان وقوع الشر بمشيئته تعالى فذرهم
وما يفترون فلا عليك بعد الابلاغ منسوخ باية السيف ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة والا فعلى تقدير
اى لينالوا بذلك اجرا ولتصغى اللام فيه وفى ليرضوه وليقترفوا لام العاقبة

لان جعل الانبياء مبتلين بعداوة الشياطين ليس ليصغوا افئدة الكافرين
ولكن لما ترتب عليه جعل كالغرض وليرضوه الضمير المنصوب فيه والمجرور
في اليه عائد الى ما عاد اليه ضمير فعلوه وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام
من قرف لعياله اذا كسب افغير الله ابتغى حكما على ارادة القول اى قل لهم
يا محمد افغير الله اطلب حكما يحكم بينى وبينكم رد لما كانوا يقولون اجعل
بيننا وبينك حكما فالهمزة للانكار وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ولكنه
لا يستقيم لانه غير معرفة بالاضافة لتعين الضد والحكم هو الحاكم مطلقا وفي
المثل في بيته يؤتى الحكم وفي الحديث يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا
وقيل يختص بالحاكم العدل ولاستدله وهو الذى انزل اليكم الكتاب القرآن
المعجز مفصلا الى سور وسورة الى آيات او مفصلا فيه الحق والباطل وقد
دل ذلك المنزل على صدقى وكونى على الحق والذين آتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق عضد دلالة الاعجاز على صدق القرآن
بعلم الكتاب الموصول للجنس فيكفي ان يعلم ذلك علماؤهم وقيل من لم يعلم كان
تمكنا منه بادنى تأمل وانما علم اهل الكتاب بانه منزل من عند الله بموافقته
لكتابهم وتصديقه اياه مع كونه صادرا ممن لم يخالط احدا منهم علماؤهم وقرا
ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين من نمط
لئن اشركت ليحبطن عملك من الكلام الذى يراد به الالهاب والتهييج او
فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون او الخطاب له والمراد امته
لانه الواسطة والمترجم عن احوالهم او المراد كل احد على معنى لا ينبغى لاحد الامتراء
في ذلك فانه غاية في الوضوح وسطوع البرهان وتمت كلمة ربك اخباره
واحكامه صدقا فيما كان من الاخبار وعدلا فيما كان من الاحكام نصب
على الحال او التمييز او المفعول له لا مبدل لكلماته بان يأتى احد باصدق من
اخباره وفي الاحكام باعدل منها او تمت اى استوت ودامت لعدم ورود
النسخ عليها او لا يتطرق عليها التحريف كما تطرق على سائر الكتب فيكون ضمانا
من الله بحفظه كقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فيختص بكلمات القرآن
وقرأ الكوفيون كلمة في الاول بالتوحيد لارادة الجنس وهو السميع لما يقولونه
من المقترحات العليم بقصدهم من ذلك وعنادهم وان تطع اكثر من
في الارض يضلوك عن سبيل الله لان الاكثر في الارض ضلال فلا ينبغى ان
يلتفت اليهم في مقترحاتهم فان اتباعهم مفض الى الضلال ان يتبعون الا الظن
الذى هو الكذب الحديث وان هم الا يخرصون يكذبون والخرص هو التقدير والتخمين
وانما فسر بالكذب لئلا يقع التكرار والمعنى ان حالهم وصفتهم منحصرة في الظن ولما

كان الظن محتملا للصدق حصر ظنهم في الكذب فهو كالعلة للنهي عن اطاعتهم ∴ ان
ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ∴ كان المشركون يقولون
لمن اسلم صبا وضل فرد الله تلك المقالة عليهم اجمل رد بانه اعلم بالضال والمهتدي
من غيره ولم يسند الضلال اليهم صريحا لئلا يشق عليهم ومن موصولة او موصوفة في
محل النصب بفعل دل عليه اسم التفضيل لا به اذ لا يعمل النصب في الظاهر ويجوز ان يكون
استفهامية علق عنها الفعل او اعلميته لا يحتاج الى برهان ولا يتقيد بوجه دون وجه
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ∴ مسبب عن انكار اتباع المضلين كانوا يقولون الميتة
اكلها اولى من المذكاة لانها ماتت بقتل الله تعالى ∴ ان كنتم باياته مؤمنين ∴ فاقصروا
الكلام على ما ذكر اسم الله تعالى عليه والحصر مستفاد من الوصف كقولك كل من قال
الفتى وانما آثر ان وان كان ايمانهم مقطوعا به اذ ربما خالج قلبهم شبهة حين
قال المشركون ما قتله الله تعالى اولى بالاكل مما قتلتم ∴ وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله
عليه ∴ اي ما عرض لكم واي مانع لكم من الكل ما ذكر اسم الله عليه خاصة والقيد علم من
الوصف وقد اشكل حله على بعض فزعم ان المشركين كانوا يحرمون المذكاة ويحللون
ما ذبح باسم آلهتهم او مات حتف انفه ∴ وقد فصل لكم ما حرم عليكم ∴ جملة حالية
وما فصله من المحرمات هو ما في آخر هذه السورة من قوله قل لا اجد فيما اوحي الي
محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا الى آخر الآية فانه وان كان
متأخرا في الوضع متقدم نزولا وقرا نافع والكوفيون فصل على بناء الفاعل وقرا
نافع وحفص حرم على بناء الفاعل ∴ الا ما اضطررتم اليه ∴ من المحرم فانه يحل تناوله
ايضا رخصة مع قيام المحرم ابقاء لمهجة المؤمن وذلك بقدر الضرورة وما
يشتد به الرمق ∴ ان كثيرا ليضلون ∴ بتحليل الحرام وتحريم الحلال او ان كثيرا من
الناس ضالون اشارة الى ان الضلال ليس مختصا بالمشركين وقرا الكوفيون
بضم الياء وهو ابلغ ∴ باهوائهم بغير علم ∴ بما يشتهونه من الباطل غير مستند الى
دليل يفيد العلم ∴ ان ربك هو اعلم بالمعتدين ∴ المتجاوزين حدود الله فيجازيهم
عليه ∴ وذروا ظاهر الاثم وباطنه ∴ اي دعوا الكل ما يوجب الاثم ما يؤتى به جهارا
وما يفعل سرا او ما يكون بالجوارح وما يكون بالقلب ∴ ان الذين يكسبون الاثم
وباطنه ∴ ظاهرا او باطنا ∴ سيجزون بما كانوا يقترفون ∴ يكتسبون ∴ ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه ∴ ظاهر الآية يدل على حرمته ما لم يذكر اسم الله عليه حيوانا
كان او غيره لكن المراد هو الحيوان المأكول اجماعا ويتناول بظاهره متروك
التسمية مطلقا وذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى الى حل متروك التسمية نسيانا
وهو رواية عن مالك وابن حنبل ومذهب داود لما روي انه عليه السلام سئل
عمن متروك التسمية نسيانا فقال كلوه فان تسمية الله على قلب كل مسلم

ولقوله

ولقوله تعالى وانه لفسق لان ترك اسمه تعالى نسيانا ليس بفسق وهذا هو المشهور
عن مالك واحمد وذهب الشافعي الى حله مطلقا عمدا ترك او نسيانا
لقوله وانه لفسق فانه في موقع الحال اذ لا يستقيم عطفه على الانشاء ولا يحسن
القلة وقد بين الفسق بقوله اهل لغير الله به في آخر السورة ولما كان
ما نفاه نزولا اكتفى بذكره ∴ وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ∴ ليوسوسون
الى الكفار ليجادلوكم ∴ بقولهم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون مما قتله الله تعالى وهو اولى
بالطهر ∴ وان اطعتموهم ∴ في استحلال ما حرم الله تعالى ∴ انكم لمشركون ∴ فانكم جعلتم غيره
شريكا في تشريع الاحكام وحسن حذف الفاء من الجزاء لان الشرط لفظه الماضي
اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس ∴ مثل حال المؤمن
بحال من يكون ميتا ثم يحصل له الحيوة واعطي نورا يمشي به حيث اراد من غير
تعب ولا نكد يحصل به مطالبه ∴ كمن مثله في الظلمات ∴ المتراكمة مستمر في تلك
الظلمات لا يهتدي الى مقصد من مقاصده فالحياة هي الايمان والنور الذي يمشي
به في الناس هي معرفة احكام المبدأ والمعاد اصولا وفروعا والظلمات هي الكفر
والشبهات فانها تنقلب ظلمات حقيقية يوم القيمة ∴ ليس بخارج منها ∴ ابدا
حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وكان الظاهر كمن هو
في الظلمات وانما اقحم المثل لدلالته على الحال والصفة روي انها نزلت في حمزة
وابي جهل ∴ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ∴ كما زين للمؤمنين ايمانهم وكما
زين للمشركين عملهم زين لسائر الكفار والمزين هو الله تعالى لقوله تعالى ∴ وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها ∴ اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها يستتبعون
الضعفاء على الكفر جعلنا في كل قرية مثلهم ابتلاء وقوله اكابر مجرميها مفعولا جعلنا
لكونه بمعنى صيرنا قدم الثاني على الاول ويجوز ان يكون في كل قرية اكابر مفعولية ومجرميها
بدلا او مضافا اليه بدليل قراءة اكبر مجرميها وان يكون في كل قرية ظرفا لغوا واكابر مجرميها
مفعولا اول وليمكروا مفعولا ثانيا ∴ وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون ∴ ان ذلك
الضرر لما نزل اليهم ∴ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ∴
والقائل وليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى بالنبوة منك لاني
اكبر سنا واكثر مالا وقيل ابو جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا كنا
كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى ولا نتبعه حتى يأتينا وحي كما يأتيه
والاسناد الى الكل لوقوع الفعل بينهم ∴ الله اعلم حيث يجعل رسالته ∴ كلام مستأنف
للرد عليهم وابطال قياسهم فان النبوة فضل من الله تعالى يختص بها من يشاء
ليس كثرة المال ولا كبر السن من اسبابها ولوازمها وقرا ابن كثير وحفص رسالته
بالافراد وفتح التاء والجمع اظهر نظرا الى الاحكام ∴ سيصيب الذين اجرموا صغار

وضع الموصول موضع الضمير لتشعر القضية بعلية الحكم والصغار هو الذل من صغر
بطل وزن علم : عند الله اى يوم القيمة او ناشيا من استنابها ولوازمها وقرا
ابن كثير وحفص قبله في الدنيا كما وقع يوم بدر : وعذاب شديد : مضافا الى
ذلك الذل : بما كانوا يمكرون : بسبب مكرهم او مكافاة على مكرهم : فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام : مسبب عن الكلام السابق اى اذا تبين
ان النبوة ليست الا فضلا منه فمن اراد هدايته وتوفيقه شرح صدره للاسلام
والانقياد لاوامره تعالى فاتسع بنور الايمان وانكشف عنه ظلمة الكفر والجهل و
ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء : ومن اراد
اضلاله وخذلانه يلقي الشبه وكدورات الجهل على ظلمة النفس التي كانت لها
جبلة فلا يمكن من الوصول الى ذلك لانعدام القابلية ولذلك مثله بمن يريد
الصعود الى السماء والكلام على الاستعارة التمثيلية او التبعية روى ان ابن
عباس قرا الاية ثم قال هل من بنى بكر هنا احد فقال رجل نعم انا من بنى بكر
قال ما الحرجة فيكم قال الوادى الكثير الشجر الذى لا طريق فيه فقال ابن عباس
كذلك قلب الكافر وقد روى مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم سئل عن شرح الصدر
هو نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينفسح قيل هل لذلك امارة قال نعم
التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد لما بعد الموت
وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف والباقون بالتشديد وحرجا بكسر الراء
نافع وابو بكر وقرا ابن كثير يصعد باسكان الصاد وتخفيف العين والباقون
بفتحها مشددة الا ابا بكر فانه لم يشدد العين وزاد الفا بعدها : كذلك
يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون : اى كما جعل عليهم الضيق والحرج في الدنيا
يجعل عليهم العذاب في الاخرة او اللعن والطرد وضع المظهر موضع المضمر
للتعليل : وهذا صراط ربك مستقيما : اشارة الى ما ينبيه من ان النبوة فضل
منه تعالى وان الاسعاد والاشقاء بيده او الاسلام صراطه المستقيم الذى لا اعوجاج
فيه : قد فصلنا الايات : الدالة على حقية تلك الصراط : لقوم يذكرون
العهد الذى اخذ عليهم في عالم الذر او في الكتب السماوية على لسان الانبياء
والتذكر ضد النسيان : لهم دار السلام : اى للمتذكرين دار السلام التى هى
الجنة اضافه اليه تعالى فان السلام من اسمائه تعالى تعظيما للمضاف واختير من
اسمائه للتلميح معنى السلامة فيه او السلام بمعنى السلامة فانها لا سقم فيها
ولا تعب او لان تحيتهم فيها سلام : عند ربهم : اى مخفية حالها لا يعلم كنهها
غيره : وهو وليهم : ناصرهم ومتولى امرهم لا يكل امرهم الى غيره تشريفا لهم
بما كانوا يعملون : بسبب اعمالهم الصالحة فكما لم يشركوا احدا معه في تلك

الاعمال فكذلك لم يشرك في جزائهم احدا ولا يطلعه عليه : ويوم نحشرهم جميعا :
منصوب باذكر او بمقدر اى قلنا او يوم نحشرهم ونقول لهم يا معشر الجن
يكون من الامر ما لا يمكن شرحه والضمير للثقلين والجن قد سبق ذكرهم في قوله
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم : يا معشر الجن : يريد الشياطين منهم
قد استكثرتم من الانس : اى من اغوائهم او استتبعتم كثيرا منهم وانما يقال
لهم هذا الكلام توبيخا وتقريعا على سوء صنيعهم : وقال اولياؤهم من الانس ربنا
استمتع بعضنا ببعض : كان انتفاع الانس بالجن على زعمهم في الجاهلية اذا
نزل مسافر منهم في مفازة يقول اعوذ برب هذا الوادى من سفهاء قومه
فيبيت آمنا في جواره وانتفاع الجن سرورهم بهذا القول الدال على احتياج
الانس اليهم وتلك مرتبة جليلة عند الجن وشرف ظاهر وقيل انتفاع الانس
بالجن اخذ السحر والكهانة واباطيل القول منهم فان قلت كيف خاطب الجن
واجاب الانس وما وجه ذلك قلت خطاب الجن كان لتقريع الانس لكونهم
مع شرفه وعلو شانه يصير تابعا لذلك الشر الخسيس فلم يستحق الخطاب
فانه نوع تكريم فكان الجواب من الانس لكونهم مجرمين يحتاجون الى نوع اعتذار
وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا : هو البعث وعن الماتريدى الموت يقولون
هذا الكلام للتلهف على الفائت والاسف : قال النار مثواكم خالدين فيها :
اى هذا الاعتذار لا يغنى شيئا فان النار مقركم ومقامكم حال كونكم دائمين
فيها : الا ما شاء الله : الا الاوقات التى ينقلبون منها الى الزمهرير او الى
البرزخ وهو ما بين الموت والبعث او بعد البعث الى الاستقرار فريق في الجنة
وفريق في السعير : ان ربك حكيم : في افعاله متقن في كل ما دبر : عليم : كامل
العلم اتقان فعله مسبوق بذلك العلم : وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا :
اى كما ولينا الجن الانس كذلك نولى الظلمة بعضهم على بعض في الاغواء والوسوسة
او في العذاب يوم القيمة وفي الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم
من يخالل : بما كانوا يكسبون : من الكفر والمعاصى : يا معشر الجن والانس
الم ياتكم رسل منكم : من قبيل قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فان خروجهما من الملح
لا من العذب وقيل للجن رسل تشبثا بظاهره ويرده قوله وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا نوحى اليهم وقيل رسل الجن رسل الرسل لقوله واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران : يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء
يومكم هذا : اى يوم القيمة : قالوا شهدنا على انفسنا : اقررنا على انفسنا
بالجرم واستحقاق العذاب : وغرتهم الحياة الدنيا : اى قالوا ذلك القول لحال
انهم كانوا مغرورين بالحياة الدنية واللذات المخدجة السريعة الزوال : وشهدوا

على انفسهم انهم كانوا كافرين كرر الشهادة لان الاولى حكاية لحالهم والثانية ذم لهم و
تخطئة على ما كان منهم من الغرور واقرارهم بالكفر في هذه الاية وانكارهم في قوله والله
ربنا ما كنا مشركين باعتبار الحالين في وقتين مختلفين : ذلك : اشارة الى ارسال
الرسل : ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون : تعليل للارسال وان مصدرية
او مخففة من المثقلة فيقدر ضمير الشان وبظلم حال من القرى بتقدير الاهل اي متلبسين
بظلم حال غفلتهم او من فاعل مهلك اي متلبسا بظلم ويحتمل العلية وفيه دليل
للشيخ الاشعري على ان لا تكليف قبل البعثة : ولكل درجات مما عملوا : اي لكل جمع
من المرسل اليهم مراتب لاجل اعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر واطلاق الدرجات
على القبيلتين تغليب : وما ربك بغافل عما تعملون : عن اعمالهم اعتراض في آخر الكلام
او تتميم وقرا ابن عامر بالخطاب تغليبا : وربك الغني : المطلق لاحد ادنى الاحتياج
عليه : ذو الرحمة : البالغة ولذلك ارسل الرسل وشرع الاحكام تكميلا للعباد وبالمعارف
والاعمال الصالحة : ان يشا يذهبكم : تقرير لمعنى الغنى اي ليس له اليكم حاجة وانما انعامكم
رحمة لكم لتداركوا ما فرط منكم : ويستخلف من بعدكم ما يشاء : من الخلق آثر ما على
من قصدا الى الوصف كانه قيل ويستخلف من بعدكم المطيع لا محالة كما انشاكم من ذرية
قوم آخرين : جيلا بعد جيل : ان ما توعدون لآت : اي البعث واحواله او العذاب او
ظهور هذا الدين على الدين كله : وما انتم بمعجزين : فائتين طالبكم من اعجزه الشيء اذا
فاته ماخوذ من عجز الشيء وهو مؤخره : قل يا قوم اعملوا على مكانتكم : اي تمكنكم مصدر
مكن بالضم فهو مكين اذا تمكن غاية ما يمكن او اعملوا على طريقتكم وجهتكم التي انتم عليها
من الكفر والعصيان فهي من المكان يقال مكان ومكانة كمقام ومقامة وعلى
الوجهين الامر للتهديد على نمط اعملوا ما شئتم والوعيد اذا كان بصيغة الامر يفيد
نهاية الانذار كان المهدد قد عزم على تعذيب المهدد فيامره بما يوجب ذلك
ويفضي اليه وفيه ايماء الى ان المهدد لا يتوقع منه الا الشر فهو لازم له واجب
عليه فعل كالمامور به : اني عامل : على تمكني او جهتي قرا ابو بكر مكاناتكم بالجمع وهو
ابلغ في التهديد : فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار : من استفهامية
والفعل معلق عنه او خبرية مع ما في حيزها قائم مقام المفعولين او العلم بمعنى
المعرفة والموصول مفعوله وعاقبة الدار هي العاقبة الحسنى واضافتها الى الدار
لانها تحصل في هذه الدار من الاعمال الصالحة من كلام المصنف حيث لم
ينسب تحصيلهم الى الضلال صريحا لتانف نفسه : انه لا يفلح الظالمون : كافرا
كان او غيره : وجعلوا لله : اي مشركو العرب : مما ذرا : خلق : من الحرث والانعام
من الزرع والمواشي : نصيبا : محفوظا مفرزا : فقالوا هذا لله بزعمهم : هذا ما يستحقه
ويجب ان يصرف في ابواب البر : وهذا لشركائنا : التي تقربنا الى الله زلفى

يستحق

يستحق صرف بعض آخر اليها لكونها وسيلة الى المعبود بالحق : فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم : كانوا يصرفون ما عينوه لله تعالى
اذا كان ازكى واحسن الى سدنة آلهتهم ويصرفون الردي الى الفقراء والمساكين
زعما لالهتهم الباطلة على خالق الكائنات ولفظ الزعم اشارة الى انه
باطل اخترعوه من عند انفسهم وقرا الكسائي في الموضعين بضم الزاء
والفتح لغة الحجاز وهي افصح : ساء ما يحكمون : بئس شيئا حكمهم هذا : وكذلك
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم : اي مثل ذلك التزيين البليغ والمشبه به
تزيين جعل ما خلق الله تعالى من الحرث والانعام للاصنام منه نصيبا : شركاؤهم
فاعل زين وهم الشياطين من الجن او سدنة الاصنام وكانوا يقتلون
الاولاد اما خشية الاملاق او العار كما في واد البنات او تقربا الى الله تعالى بنحر
الاشياء كما فعل عبد المطلب حين نذر ان ولد له عشرة بنين يذبح لله واحدا
منهم وقرا ابن عامر زين على بناء المفعول مسندا الى قتل ونصب اولادهم وجر
شركائهم باضافة قتل اليه والفصل بين المضافين واقع في شعر الفصحاء ولو لم يثبت
ذلك منهم كانت هذه القراءة كافية في صحته لانها قراءة افصح الخلق ثبتت
عنه تواترا حتى طعن فيها لانها تخالف قول بعض النحاة فقد زلت به قدمه
ليردوهم : ليهلكوهم من الردى وهو الهلاك : وليلبسوا عليهم دينهم : الذي
كلفوا به وهو الدين الحق او دينهم الذي كانوا عليه وهو دين ابراهيم عليه السلام
قبل شركهم واللام ان كان من الشياطين فاللام للتعليل وان كان من السدنة
فللعاقبة : ولو شاء الله ما فعلوه : ما فعلوا التزيين او القتل او ذلك كله لان
افعالهم مخلوقة له تعالى بمشيئته : فذرهم وما يفترون : افتراءهم او ما يفترونه من
مخترعاتهم وينسبونه الى الله تعالى ويزعمون انه شرعه : وقالوا هذه انعام وحرث
حجر : اشارة الى ما جعلوه للاصنام من الحرث والانعام والحجر كالذبح والطحن
بمعنى المفعول وهو الحرام لانه محجور شرعا يستوي فيه الذكر والانثى والواحد
والكثير لانه في عداد الاسماء : لا يطعمها الا من نشاء : وهم خدم الاوثان
او من نشا من الرجال والنساء : بزعمهم : متعلق بالقول اي قالوا ذلك
بمجرد زعم منهم : وانعام حرمت ظهورها : وهي الحوامي التي تقدمت عطف على
هذه انعام : وانعام لا يذكرون اسم الله عليها : بل اسماء آلهتهم وقيل لا يحجون
عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا اموالهم الى هذه الاقسام الثلثة
افتراء على الله : للافتراء او مفترين او افتروا افتراء اذ ذلك القول بمعنى الافتراء
سيجزيهم بما كانوا يفترون : بقدره عذابا او بسبب ذلك وانما زاد لفظ كان
للدلالة على ان ذلك عادة مستمرة منهم فيظهر بذلك استحقاقهم : وقالوا

ما في بطون هذه الأنعام: نوع آخر من أباطيلهم وهو ما في بطون البحائر والسوائب
خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا: حلال لذكورنا وحرام على الإناث أنث
خالصة وذكر محرم حملا على اللفظ: وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء: الرجال والنساء
فيه سواء وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية شعبة تكن بتاء التأنيث ورفع ميتة
ابن كثير وابن عامر وجه التأنيث ورفع الميتة جعل كان تامة ووجه التأنيث
مع نصب ميتة جعل كان ناقصة مضمرا فيه ضمير الأنعام ووجه التذكير مع الرفع
جعل كان تامة ووجهه مع النصب جعلها ناقصة والمختار التأنيث مع الرفع لكون
التأنيث حقيقيا في بعض الصور والرفع لا يحتاج إلى إضمار: سيجزيهم وصفهم
جزاء وصفهم ونسبتهم إلى الله تعالى ما هو بريء عنه وأصل الوصف الكشف والإظهار
تقول وصفت زيدا بكذا إذا أظهرت ما فيه مدحا كان أو ذما: إنه حكيم في
ذلك الجزاء: عليم: باستحقاقهم: قد خسر الذين قتلوا أولادهم: لعاده لأن الكلام
سبق هنالك لبيان أن ما يصدر عنهم من تحريم ما أحله الله تعالى ومن قتل الأولاد
مسبب عن تزيين الشياطين وهذا البيان خسرانهم وهو حكم يتعلق بهم: سفها
لخفة عقلهم: بغير علم: في موقع الحال يؤكد معنى السفه: وحرموا ما رزقهم الله: وهي
البحائر والسوائب والحوامي: افتراء على الله: في إعرابه الوجوه السابقة في نظيره
قد ضلوا: عن الصواب: وما كانوا مهتدين: ولم يدخلوا في زمرة المهتدين
قط: وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات: عطف على
القصة السابقة لإبطال ما تقدم من الأحكام التي اخترعوها والجنات
الكروم لأنها أكثر أشجار البساتين نفعا والمعروش ما رفع قضبانه من الأرض
وغير المعروش ما كان على وجه الأرض وقيل المعروش ما في الأمصار والقرى مما
أنبته الناس واهتموا به وغير المعروش ما نبت في الجبال والبراري: والنخل
والزرع مختلفا أكله: ما يؤكل منه في اللون والطعم والرائحة والحجم وتذكير الضمير
باعتبار المذكور ومختلفا حال مقدرة أو نصب على القطع: والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه: يتشابه بعض الأفراد دون بعض: كلوا من ثمره
أمر إباحة: إذا أثمر: وقت ظهور ثمره دفع لوهم عدم جواز التناول منه
بناء على كون المساكين شركاء فيه: وآتوا حقه يوم حصاده: هو ما يعطيه
المالك لمن حضر تبرعا لا الزكاة المفروضة وإن كانت الآية مكية لأن الزكاة
فرضت بمكة في الجملة وبين المقادير بالمدينة وعن ابن عمر وسعيد بن جبير
أن هذا هي غير الزكاة وهو حق النفل لمن حضر وكما غلب التمر في الأول على الحب
غلب الحصاد على الجداد ثانيا وقرأ حمزة والكسائي ونافع وابن كثير بكسر
الحاء وهما لغتان في نظائره كالقطاف والجذاذ: ولا تسرفوا: بصرفه

في المعصية

بصرفه في المعصية إذ لا إسراف في الإنفاق في وجوه البر لقوله تعالى ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة كذا فسره مجاهد وقيل لا تسرفوا في الصدقة
لما روي أنها نزلت في ثابت بن قيس بن صرم كانت له خمسمائة نخل فجزها
في المساكين ولقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط: إنه لا يحب المسرفين: لا يقبل
فعلهم أن بين تحذيرا عن ارتكابه: ومن الأنعام حمولة وفرشا: عطف
على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ما ينسج
من صوفه ووبره وشعره فرشا وقيل الحمولة الكبار والفرش الصغار كالفصلان
والغنم لدنوها من الأرض: ولا تتبعوا خطوات الشيطان: وسواسه وتسويلاته
في تحليل ما حرم الله تعالى وتحريم ما أحله: إنه لكم عدو مبين: ظاهر العداوة من لدن آدم
عليه السلام: ثمانية أزواج: بدل من حمولة أو مفعول كلوا بتقدير مضاف والزوج
ضد الفرد ويقال للشيء إذا كان له قرين من جنسه يزاوجه كقوله تعالى خلق
الزوجين الذكر والأنثى وهو المراد في الآية: من الضأن: جمع ضائن كركب
وراكب والأنثى ضائنة وقد يجمع على ضئين على وزن فعيل كغاز وغزى: اثنين
بدل من ثمانية إن صح وقوع البدل عن البدل وإلا فهو بدل من حمولة وفرشا
ومن المعز اثنين: الذكر والأنثى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح
العين وهو نظير الضأن في المفرد والجمع: قل آلذكرين حرم أم الأنثيين:
منصوب بحرم والمقصود إنكار التحريم وإنما أورد في صورة إنكار المفعول
ليكون إنكاره بطريق برهاني إذ لا بد للفعل من شيء يتعلق به فإذا نفي جميع
ما يتعلق به مفصلا لزم نفيه: أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين: أم متصلة
عطف على المتصلة الأولى كانوا يحرمون ذكور الجنسين تارة وإناثها أخرى
والأولاد كيف كانت انفرادها واختلاطها أنكر ذلك كله وألزمهم بقوله تعالى
نبئوني بعلم إن كنتم صادقين: أخبروني ملتبسين بعلم أن المحرم على الوجه الذي
تدعونه هو الله لا بالجهل والافتراء كما هو دأبكم وقيل بأمر معلوم من جهة الله تعالى
ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت
عليه أرحام الأنثيين: الكلام هنا هو الكلام المتقدم في الضأن والمعز: أم
كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا: هذا مقابل لقوله تعالى نبئوني بعلم أضرب
عن البرهان إلى العيان لأنه أبلغ في التبكيت كما تقول لصاحبك مكذبا له
الملائكة أخبرك بهذا أم طالعته من اللوح المحفوظ: فمن أظلم ممن افترى
على الله كذبا ليضل الناس بغير علم: كذبهم في دعواهم على أبلغ وجه حيث حكم
بأنه لا أظلم منهم وأتى بمن ليعمهم وكل مفتر على الله تعالى وأدخل عليه الفاء إشعارا
بسببية ما تقدم وعلل فعل المفتري بأقبح علة وهو الإضلال بالجهل الذي كل عيب

دونه ان الله لا يهدي القوم الظالمين الكاملين في الظلم المختوم على قلوبهم
قل لا اجد فيما اوحي الي مسلوا او غيره لعموم لفظ محرما على طاعم يطعمه اي طاعم كان
الا ان يكون ميتة استثناء من محرما لوقوعه في سياق النفي والمراد ما مات
حتف انفه وخص بما عدا السمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا
ميتتان ودمان وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة يكون بالتانيث باعتبار الخبر
وابن عامر برفع الميتة بجعل كان تامة او دما مسفوحا مصبوبا في العروق
لا الكبد والطحال للحديث المتقدم ولكونهما غير مسفوحين عطف على ميتة وفي
قراءة ابن عامر عطف على ان مع ما حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا او لحم
خنزير فانه رجس اي الخنزير او لحمه نجس خبيث او فسقا اهل لغير الله عطف
على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل والاهلال به لغير الله صفة جارية مجرى التعليل
وانما سمي المذبوح لالهتهم فسقا لتوغله في باب الفسق ويجوز ان يكون مفعولا له
قدم على فعله المعلل اهتماما وعلى هذا اهل معطوف على ان يكون والمستكن فيه
راجع الى ما رجع اليه المستكن يكون فمن اضطر فمن دعته ضرورة الى تناول شيء
من المذكورات غير باغ متعد على مضطر مثله ولا عاد متجاوز قدر سد
الرمق فان ربك غفور لا يؤاخذه بذلك رحيم حيث انعم عليه بحله والاية
لا ينفي حرمة شيء آخر غير المذكورات اذ غاية الامر انه لم يجد الى ذلك الوقت
محرما سواها وكذلك الحصر في قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة الى آخر الاية فلا يلزم
نسخ الكتاب بحديث حرم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطيور
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر اي على اليهود خاصة حرمنا لحم كل ذي ظفر
والظفر هو العظم النابت على اصبع الحيوان من دابة وطائر واراد به سوى
البقر والظفر لقوله تعالى ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما وحرمنا الشحوم من
البقر والغنم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه لم يحرم عليهم من معج الاصابع شيء
كالابل والبط والنعام وانما كرر الفعل واضاف الشحوم مبالغة في التحريم الا ما حملت
ظهورهما من الشحم فانه باق على اباحته او الحوايا او ما حملته الحوايا جمع حوية
او حاوية وهي المعاء اي الا ما حملت ظهورهما والا شحوم الحوايا او ما اختلط
بعظم ما اتصل به كالالية وما في القوائم والرؤس والعيون ذلك اي الجزاء المذكور
او التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم هو نظير قوله فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وانا لصادقون ان في هذا التحريم خاصا بهم
لاجل ظلمهم لا ما تدعونه من ان المحرمات كانت في شريعة نوح وابراهيم واسرائيل
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك امهلكم بعد التكذيب ولا يرد
باسه عن القوم المجرمين الكاملين في الاجرام لانه وان امهل لا يهمل سيقول

سيقول الذين اشركوا اخبار عن الغيب ووقوع مخبره دليل على كونه من
عند الله تعالى لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اعتقدوا
ان كل ما هو واقع بمشيته تعالى حق لانهم جعلوا كل مراد مامورا به وكل مامور به
حسنا فاصابوا في الثاني واخطاوا في الاول وهم احسن حالا ممن اخطا
في القضيتين كذلك كذب الذين من قبلهم مثل تكذيب هؤلاء كذب
متقدموهم رسلهم ولو كان الكفر والضلال غير داخل تحت مشيته تعالى لنسبهم
الى الكذب لا التكذيب وحمل المشية على مشية القسر مكابرة ورجم بالغيب
حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا لهم ايماء الى انه سينزل بهم ما نزل باولئك
قل هل عندكم من علم مستندا الى دليل لما زعمونه فتخرجوه لنا تظهروه
مجازاة للخصم ردوا للتبكيت والا كون العلم عندهم معلوم الانتفاء ولذلك
حصر حالهم واعتقادهم في الظن بقوله ان تتبعون الا الظن الذي لا يجدي
في مقابلة القاطع وان انتم الا تخرصون اي تكذبون في ذلك الظن قل
فلله الحجة البالغة الغالبة اي انتم محجوجون ملزمون لانكم تقولون ما فعلنا
من الاشراك بمشيته تعالى وما كان بمشيته لا اعتراض فيه على مرتكبه فحجتكم
ايضا على الحق بل لكل من ادى بفعل فهو محق فيرتفع التكليف ولا تتناقض المذا
فلو شاء لهداكم اجمعين مرتب على دعواهم ان ما ارتكبوه بمشيته تعالى وقوله
فلله الحجة البالغة اعتراض والمعنى اذا كان الكل بمشيته تعالى فلو اراد هدايتكم
لهداكم حذف مفعول المشية لدلالة جواب لو عليه قل هلم شهداءكم الذين
يشهدون ان الله حرم هذا هلم اسم فعل ويأتي لازما كقوله هلم الينا و
يستوي فيه المفرد والجمع عند الحجازيين وبنو تميم يؤنث ويجمع وما في الاية
دليل الحجازيين اي هاتوا شهداءكم المخصوصين بكم الذين قلدتموهم ولذلك
اضاف اليهم واتى بالموصول ليدل على العلم بانهم ولو لم يصف لكان موجها
بان المطلوب منهم الاتيان بشهداء بالحق وليس بغرض لقوله فان شهدوا
فلا تشهد معهم ويجوز ان يكون الكلام على الفرض والتقدير والمراد بالشهداء
الاصنام والغرض تنبيهه صلى الله عليه وسلم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا
تعميم بعد التخصيص لان تلك الشهادة من جملة الاهواء وايثار المظهر اشارة
الى ان تلك الشهادة والاتباع تكذيب بايات الله والذين لا يؤمنون
بالاخرة وهم بربهم يعدلون جملة حالية من الفاعل لزيادة التقبيح و
التشنيع كما تقول فلان تارك الصلوة واخبرك بانه لا يعتقد كعبدة
الاوثان وجوبها قل تعالوا مشتق من العلو اصله ان يخاطب به من كان
في سفل ثم اتسع فيه ابطل ما ابتدعوه من الاحكام بالقواطع ثم دعاهم الى الحق

الواضح : اتل ما حرم ربكم عليكم : ما موصولة منصوبة بفعل التلاوة او استفهامية
نصب بفعل التحريم والجملة مفعول اتل لانه في معنى القول وفي جعلها مصدرية
تعسف لان التحريم ليس بمتلو الا على التاويل وعليكم يصح تعلقه بكل من الفعلين
ان لا تشركوا به شيئا : ان مفسرة ولا تشركوا نهي ليصح عطف الامر عليه
وان هذا صراطي مستقيما متعلق بفاتبعوه بتقدير اللام ويعود الضمير اليه لتقدمه
لفظا ولا يصح عطفه على ان لا تشركوا لكونه ليس من المحرمات في شيء فان قلت
فلذا الاوامر المذكورة المعطوفة قلت اريد بالاوامر اضدادها مجازا اشارة
الى ان انتهاء عن تلك الاضداد غير كاف بل يجب الاتيان بتلك الافعال
او عليكم اسم فعل بمعنى الزموا وان ناصبة مدخولة بلاء الناهية واما جعلها
مصدرية بدلا من ما او من العائد المحذوف فلا لاستلزامه القول بزيادة لا
الناهية : وبالوالدين احسانا : اي لا تسيئوا اليهما واحسنوا : ولا تقتلوا
اولادكم من املاق : لاجل فقركم كقوله خشية املاق وقيل هذه في الفقراء
الذين كانوا يقتلون اولادهم لوجود الفقر وتلك في الاغنياء الذين كانوا
يقتلون الاولاد من خوف حصول الفقر والدليل على ذلك تقديم المخاطبين
هنا وتاخيره هناك والاملاق الافتقار من الملق وهو المحق : نحن نرزقكم
واياهم : تعليل للنهي ازاحة للعذر في ترك المنهي عنه : ولا تقربوا الفواحش
كبائر الذنوب كالزنا والسرقة وقذف المحصن : ما ظهر منها وما بطن
بدل من الفواحش يشمل كل كبيرة لعدم خروج شيء منهما : ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق : افرده بالذكر وما بعده لعظمه والقتل بالحق مذكور في
كتب الفروع : ذلكم : المذكور مفصلا : وصاكم به : امركم بحفظه التوصية
امر بالشيء مع التاكيد : لعلكم تعقلون : يستعملون عقولكم وترشدون
لان المذكورات امور ظاهرة بعد توجه العقل : ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي هي احسن : الا بالخصلة التي هي احسن من تثميره وهي المبالغة
في حفظه : حتى يبلغ اشده : كمال عقله وقواه مفرد كآنك وقيل جمع لا مفرد له
كابابيل وليس جمع شدة كانعم جمع نعمة لان انعما جمع نعم لا نعمة : واوفوا
الكيل والميزان بالقسط : بالعدل : لا نكلف نفسا الا وسعها : ما يقدر
على القيام به اردف ايفاء الكيل والميزان به لان الوقوف على حد التسوية
فيهما عسر جدا : واذا قلتم فاعدلوا : يشمل الحكم والشهادة ولو كان ذا
قربى : اي المشهود عليه كقوله ولو على انفسكم او الوالدين : وبعهد الله اوفوا
بما عاهدكم عليه بقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان : ذلكم وصاكم به لعلكم
تذكرون : افردها بتوصية مستقلة لكونها امورا جساما ولما تقدم

ذكرها في كثير من الآي ختم الآية بالتذكر الذي يقتضي سبق العلم الذي لحقه ع
النسيان وقرا حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال هنا وحيث وقع
وان هذا صراطي مستقيما : اشارة الى ما ذكر من اول السورة الى هنا
من التوحيد وشرائع الاسلام وقرا ابن عامر ان بالتخفيف وحمزة والكسائي
بالكسر مشددة والباقون بالفتح والتشديد والمختار الكسر لسلامته
عن الحذف والتقدير ولكونه في مصحف ابي وهذا صراط ربك وذا ابن
مسعود وهذا صراط ربكم : فاتبعوه : فاسلكوه : ولا تتبعوا السبل :
دواعي الشهوات ومسالك الهوى وعن ابن مسعود خط لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله
وقال هذه سبل وعلى كل منها شيطان يدعوا اليه وقرا الآية : فتفرق بكم
عن سبيله : الموصل اليه وهو ما شرعه على لسان رسله والباء للتعدية اي
يفرقكم ويزيلكم : ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون : اتى بلعل ايماء الى ان سلوكها
امر خطير وعن ابن عباس رضي الله عنه ان هذه الآيات محكمات لم ينسخهن
شيء من جميع الكتب : ثم آتينا موسى الكتاب : عطف على ذلكم وصاكم
لا على الفعلية لعدم استقامة المعنى وثم للتراخي رتبة اي اعظم من تلك
التوصية انزال الكتابين الى موسى عليه السلام واليك وقيل عطف على ما
تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب فثم على ظاهره
تماما : حال او مفعول له لكونه بمعنى اتماما او مصدر من غير فعله اي اتينا
تماما : على الذي احسن : اي تماما للكرامة كل محسن على ان اللام للجنس و
يؤيده قراءة ابن مسعود على الذين احسنوا او للعهد والمراد به موسى
الذي احسن في كل ما امر به من الطاعة او تماما على الذي احسنه موسى من
العلم والمعارف من قولهم احسن فلان فيما فعل اي اجاد والمعنى زيادة
على ما عنده من العلم : وتفصيلا لكل شيء : يحتاج اليه في الدين اصولا
وفروعا عطف على تماما ما يجري فيه وجوه اعرابه : وهدى ورحمة لعلهم بلقاء
ربهم يؤمنون : بجزائه وثوابه : وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه
واتقوا لعلكم ترحمون : اي القرآن عطف على آتينا داخل في حيز ثم
وايثار الاسمية المصدرة باسم الاشارة الدالة على كمال التميز ووصفه
بالانزال الدال على العلو والبركة التي يشمل كل نفع وخير اظهارا
لشرفه وانافة لمحله ثم ختم الآية بالرحمة التي هي صفته وختم الاولى
بالايمان الذي هو فعلهم : ان تقولوا : كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا
بحذف المضاف عند البصريين وحرف النفي عند الكوفيين : انما انزل

الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الحصر لان الزبور لم يشتمل
على الاحكام وان كنا عن دراستهم لغافلين اي قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي
ان مخففة واللام الفارقة بينها وبين النافية او تقولوا لو انا انزل علينا
الكتاب شيء من الكتب لكنا اهدى منهم لغزارة فهمنا وسرعة ادراكنا ودقة
نظرنا فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة لا تقبل ايقاع الشبهة فيها وهدى
ورحمة جعلها نفس الهدى والرحمة مبالغة وتسميتها حجة بالنظر الى الخصم وهدى
بالنظر الى المطلوب ورحمة بالنظر الى الطالب فمن اظلم ممن كذب بايات الله
اي لا اظلم منه وصدف عنها صد ومنع الناس عنها فضل واضل سنجزي
الذين يصدفون عن اياتنا يصدون عنها سوء العذاب العذاب
السيء من اضافة الصفة الى الموصوف بما كانوا يصدفون لم يذكر جزاء
التكذيب بل جزاء الصدف اشارة الى فرط قبحه لانه ضرر متعد وصد
للمسترشد بل ينظرون الاستفهام بمعنى النفي ولذلك صح الاستثناء الا ان
تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب او ياتي ربك امره بالعذاب او الايات
كلها وهو يوم القيمة ولذلك قابله بقوله او ياتي بعض ايات ربك يريد اشراط
الساعة روى مسلم عن حذيفة ابن اسيد الغفاري قال اطلع علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال
انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدجال والدخان والدابة وطلوع
الشمس من مغربها ونزول عيسى وياجوج وماجوج وثلث خسوف خسف بالمشرق
وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد
الناس الى المحشر يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لان الامر عيان
حينئذ والايمان المعتبر هو الايمان بالغيب لم تكن امنت من قبل صفة نفسا
او حال من الضمير المجرور او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت يستدل
به على عدم نفع الايمان المجرد عن العمل وذلك ان او ياتي لعموم النفي كقوله ولا
تطع منهم اثما او كفورا اي واحدا منهما واخرى لنفي العموم وذلك اذا قدر عطف
النفي على النفي ثم جيء باو والاية من قبيل الثاني لتعذر الاول لانه اذا انتفى
الايمان انتفى كسب الخير في الايمان بالضرورة فالمعنى انتفاء الايمان وانتفاء
كسب الخير فيه سيان والجواب انه من قبيل اللف التقديري اي لا ينفع
نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان ان لم تكن امنت من قبل او كسبت فيه
فيوافق سائر الايات والاحاديث او هو من قبيل التغليب اي لم تكن كسبت
خيرا او امنت من قبل وفائدة هذا التغليب التنبيه بتقديم الايمان على ان العمل
الذي نيط به النجاة قل انتظروا انا منتظرون ذلك فلنا فيه النيل ولكم الويل

ان

ان الذين فارقوا دينهم تركوه بالمد وقرأ غير حمزة والكسائي فرقوا اي فرقوه
وهي التجزئة اي امنوا ببعض وكفروا ببعض وهذه ابلغ في الوعيد واوفق بقوله
وكانوا شيعا والقول بان معنى القراءتين واحد لانه من فرق فقد
فارق ذهول عما ملكه اذ من فارق لا يلزم ان يكون فرق وشيعا
جمع شيعة وهي الطائفة التي تشيع اماما لست منهم في شيء فاتركهم
وما هم عليه منسوخة باية السيف اولا تسأل عن شيء من احوالهم كقوله
ولا تسأل عن اصحاب الجحيم او انت بريء منهم انما امرهم الى الله هو يتولى
يحاسبهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون كناية عن العقاب تقول لمن تتوعده
عليك متهددا له سأخبرك بما فعلت من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
تفضلا منه تعالى وهذا اقل ما وعد وقد جاء سبعمائة الى اضعاف لا يعلمها
الا الله تعالى وذلك باعتبار الاخلاص والامكنة والاوقات وقيل المراد
بالعشرة الكثرة وانما حذف التاء لان الامثال في معنى الحسنات
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ان لم يعف عنها وخلود الكفار
جزاء بالمثل لانه كان عازما على الاستمرار لو عاش ابدا وهم لا يظلمون
نقصا من الثواب او زيادة في العذاب جاريا على المعارف والا فالظلم
من المالك الحقيقي مستحيل وان زاد او نقص قل انني هداني ربي الى صراط
مستقيم بالوحي لقوله تعالى ان اهتديت فبما يوحي الي ربي دينا نصب
على البدل من محل صراط او على الاختصاص قيما فيعل من قام كسيد من
ساد وقرأ الكوفيون وابن عامر قيما على وزن عوضا مصدرا كرجل
عدل فهو ابلغ معنى والاول ابلغ صيغة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا
وما شرعه الله تعالى على لسان الرسل يسمى دينا واسلاما باعتبار الانقياد
وملة باعتبار الاجتماع عليه وشرعا وشريعة باعتبار الوصول المتمسكين
به الى نيل رحمته حنيفا مائلا عن الباطل حال من المضاف اليه
وما كان من المشركين رد على المشركين الذين يزعمون انهم على ملته
قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها وافرد الصلوة لزيادة شرفها
او قرباني في الحج لانهم كانوا يذبحون القرابين للاصنام ومحياي ومماتي
ما يقارن حياتي وما يقارن مماتي من الطاعات كالصدقة الجارية و
والولد الصالح والعلم على ما نطق به الحديث وقرأ ورش عن نافع باسكان
الياء في الوصل لان زيادة المد يقوم مقام الحركة لله رب العالمين
خالصة له لا لغيره لا شريك له في ذلك تعريض للمشركين وبذلك امرت
لا بغيره تصريح بما علم ضمنا وانا اول المسلمين زمانا لان اسلام امته

بعده او ربه لان احدا لا يلحقه في كمال الاسلام وهذا اوجه لان الاول ظاهر لا يحتاج
الى الاخبار به ∴ قل اغير الله ابغي ربا ∴ انكار انه يتخذ ربا سواه ∴ وهو رب كل شيء
ومنه ما تعبدونه ∴ ولا تكسب كل نفس الا عليها ∴ والحال ان جناية كل نفس لا
يتخطاها ∴ ولا تزر وازرة وزر اخرى ∴ والوزر لغة الثقل جواب عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم ∴ ثم الى ربكم مرجعكم ∴ يوم القيمة للجزاء ∴ فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون ∴ تبين الرشد من الغي وتجازي المحق والمبطل ∴ وهو الذي جعلكم خلائف
الارض ∴ صفة اخرى دالة على عدم جواز الاشراك ولما كان صلى الله عليه وسلم
آخر الرسل كانت امته خلائف سائر الامم او يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء
الله تعالى في ارضه يتصرفون فيها ∴ ورفع بعضكم فوق بعض ∴ بالملك والشرف والعلم
والرزق ∴ درجات ∴ متفاوتة ∴ ليبلوكم فيما آتاكم ∴ ليعاملكم معاملة المختبر ∴
ان ربك سريع العقاب ∴ لانه وقوعه متعلق بارادته تعالى لا غير وانما قدمه لان
الكلام مع المشركين ∴ وانه لغفور رحيم ∴ اكده باللام واسنده الى ذاته المجيد لكنه
ايماء الى وفور غفرانه وسبق رحمته غضبه وكان افتتاح السورة بالحمد وختامها
بالرحمة التي لا نعمة اجل منها فانتظم آخرها بالاول غاية الانتظام وهو اللائق بكلام
الملك العلام سورة الاعراف مكية الا ثماني آيات من قوله واسألهم
الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الا قوله وأعرض عن الجاهلين وآيها
مائتان وخمس بسم الله الرحمن الرحيم المص اسم السورة او
القرآن والاول اولى لان البعض اذا استقل بالكمال والاعجاز فالكل احرى او
حروف متعددة ايقاظا واعرابا كما سبق في مثله ∴ كتاب ∴ خبر المص
او خبر محذوف اي هو كتاب ∴ انزل اليك ∴ صفته ∴ فلا يكن في صدرك
حرج منه ∴ شك لان الشاك حرج الصدر قلقه كما ان المتيقن منشرح
الصدر منفسحه والمراد نهيه عن حرج الصدر وانما عبر عنه بعدم الحرج تعبيرا
عن الملزوم باللازم ونظيره وليجدوا فيكم غلظة او حرج وضيق صدر في تبليغه
مخافة التكذيب او القيام بحقه كما ينبغي فان الله مؤيدك ∴ لتنذر به ∴
متعلق بانزل اي انزل لانذارك به او بالنهي اي انما نهيت عن الحرج و
التعلق ليكون جسورا على التبليغ ∴ وذكرى للمؤمنين ∴ عطف على تنذر
لكونه مصدرا في المعنى او بتقدير فعل من جنسه اي وتذكر ذكرى فانه بمعنى
التذكير ويحتمل الرفع عطفا على كتاب او خبر مبتدأ محذوف ∴ اتبعوا ما انزل
اليكم من ربكم ∴ جميع ما انزل هذه السورة وغيرها ولذلك اتى بالمظهر ليشمل
السنة ايضا لانه لم ينطق عن الهوى بل ليس كلامه الا وحي يوحى ∴ ولا تتبعوا
من دونه اولياء ∴ من دون الله ∴ من الجن والانس يضلونكم عن طريق

الحق او من دون دين الله دين اولياء ∴ وقرئ لا تبتغوا بالغين المعجمة ∴ قليلا
ما تذكرون ∴ تذكرا قليلا او زمانا قليلا اذ لو تذكرتم حق التذكر لما تركتم ولاية
الله تعالى او دينه الحق وما مصدرية والعامل في قليلا الفعل المذكور اذ ليس لما اول
بالمصدر في حكمه من كل وجه او زائدة لتاكيد معنى القلة ∴ وقرا ابن عامر زيادة
الياء في اول الفعل المذكور لنبصر اي من بعثت اليهم لا يتذكرون الا قليلا
وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وابن عامر تذكرون بتخفيف الذال و
والباقون بالادغام والمختار هو الادغام والخطاب لجري الكلام على السنن
الاول ∴ وكم من قرية اهلكناها ∴ اي كثير من القرى اردنا اهلاكها بدليل قوله
فجاءها باسنا بياتا ∴ بائتين والبيتوتة النوم كالقيلولة نهارا ∴ او هم قائلون
عطف على بياتا وانما حذف الواو الحالية كراهة الجمع بين حرفي العطف
لان الواو الحالية عاطفة في الاصل وانما خص الوقتين لانهما وقت الدعة والاستراحة
ووقوع العذاب فيهما افظع ولذلك اهلك قوم لوط في آخر السحر لانه اطيب
ساعات الليل ∴ فما كان دعويهم ∴ اي دعاؤهم الذي كانوا ينتحلونه ∴ اذ جاءهم
باسنا ∴ وقت مجيء العذاب ∴ الا ان قالوا انا كنا ظالمين ∴ الا الاعتراف
ببطلانه او ما كان دعاؤهم واستغاثتهم الا هذا القول تحسرا لعلمهم بان ليس
الوقت قابلا للاستغاثة ∴ فلنسألن الذين ارسل اليهم ∴ الامم وعن اجابتهم
الرسل ∴ ولنسألن المرسلين ∴ عن تبليغهم وعما اجيبوا به ولا ينافيه قوله
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لاختلاف الحال باختلاف المواقف
ولا قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون لان هذا سؤال توبيخ والمنفي سؤال العرض
والحساب والقول بان المنفي سؤال استعلام سهو لان الاستعلام على علام
الغيوب محال ∴ فلنقصن عليهم ∴ على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه ∴ بعلم ∴ اي
عالمين بظاهرهم وباطنهم ∴ وما كنا غائبين ∴ عنهم فيخفى البعض فائدته التوكيد وتخصيص
العلم بالحضوري الذي لا يقبل شبهة ولا يحوم حوله ريب ∴ والوزن ∴ مبتدأ
يومئذ ∴ خبر المبتدأ ∴ الحق ∴ صفة الوزن او هو الخبر لانه بمعنى الكائن او
خبر محذوف ومعناه العدل السوي الذي لا زيغ فيه والموزون صحائف
الاعمال لما روى الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يؤتى برجل من امتي على رؤوس الاشهاد فينشر عليه تسعة
وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول اتنكر شيئا من هذا فيقول لا
يا رب فيقول الله تعالى ان لك عندنا حسنة ولا ظلم اليوم فيخرج بطاقة
فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول له احضر وزنك

فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم فتوضع
السجلات في كفة والبطاقة في اخرى فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
فلا يثقل مع اسم الله تعالى شئ وفائدة هذا الوزن مع انه تعالى لا يخفى عليه خافية
اظهار المعدلة وازاحة المعذرة بمحضر الخلايق وقيل الوزن القضاء او مجازاة
الاعمال بثوابها · فمن ثقلت موازينه · حسناته جمع موزون او ما يوزن به
جمع ميزان وانما جمع باعتبار الموزونات وتعددها والاول اوجه لقوله تعالى
ونضع الموازين بالقسط · فاولئك هم المفلحون · الفائزون بالنجاة يوم
الحساب · ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم · حيث
اوردوها مورد الهلاك وفوتوها الحياة الابدية ونعيمها · بما كانوا
باياتنا يظلمون · يكذبون · وضع موضع التكذيب دلالة على ان التكذيب
بايات الله ظلم لقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها · ولقد مكناكم
في الارض · جعلنا لكم فيها مكانا تسكنونه او جعلناكم متمكنين متصرفين فيها كيف
شئتم · وجعلنا لكم فيها معايش · جمع معيشة وهي ما به قوام العيش والياء في
الاصل متحركة فلا تقلب همزة في الجمع وكذلك مكايل ومبايع والمحققون على
ان قراءته بالهمزة لحن فاحش ومنهم من شبهه بالياء فيه زائدة فهمزه ·
قليلا ما تشكرون · شكرا قليلا او زمانا قليلا · ولقد خلقناكم · اي اباكم ادم
طينا · ثم صورناكم · بصورة الانسان في احسن تقويم لقوله تعالى · ثم قلنا للملائكة ·
اسجدوا لادم · او لقد قدرناكم في علمنا ثم صورناكم في ظهر ادم ثم تخبركم ان قلنا
للملائكة اسجدوا لادم · فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين · لم يدخل
في زمرتهم · قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك · لا مزيدة لتاكيد معنى الفعل
شبهه لئلا يعلم اهل الكتاب وقد حذفها في قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي وقيل الممنوع من الشئ مضطر الى خلافه كانه قيل ما اضطرك الى عدم السجود
وانما التفت من التكلم الى الغيبة بعد عصيانه لانحطاطه عن ساحة الحضور
بارتكاب المخالفة والتكبر · قال انا خير منه · استيناف بذكر العلة ليكون جوابا
وزيادة · خلقتني من نار وخلقته من طين · تعليل لخيريته واخطا من وجوه
لانه لم يلاحظ الامر بل المامور به وهذا جهل منه لان من كان مربيا يجب ان ينقاد
في كل ما امر به ولانه صرح بافضليته في تلك الحضرة ولو كان الامر كما زعم فرضا كان
الواجب عليه اظهار الطاعة هضما للنفس كما هو دأب العقلاء في المحافل مع
المفضولين ولانه ما قال قول بالحسن والقبح عقلا فهو اول من سن ذلك المذهب
الباطل مع انه لو سلم له القول بالحسن العقلي لم يتم له ما ادعاه لان خيرية النار من

التراب

والتراب ممنوعة لان النار مظلمة بالطبع معدة للعذاب وان كان فيها
نفع ما فبالعرض والتراب اصل المنافع كلها من جميع الاجناس والانواع
حيوانا ونباتا معبد الملائكة ومفخر حياتهم قبل خلق ادم وكان ابليس عالما
بذلك بل قيل انه كان رئيس تلك الطائفة وكان في علمه تعالى ان التراب
يكون مادة اجسام العباد المكرمين من الانبياء والرسل وماويهم في
حياتهم ومرقدهم في جوار الله تعالى بعد مماتهم والنار التي افتخر بها منشأ كل
عقرب وحية وسجن اعداء الله تعالى وموضع سخطه وكانت الحكمة اقتضت ازلا
بان يكون مقدما بما افتخر به قدوة للاشقياء ليعلم انه لم يات ما اتاه الا من جهله
وعظم جهالاته انه لم يتدارك ذنبه بالتوبة ليذيقه برد العفو وحلاوة الغفران
كما فعل صفيه ادم من اعظام الذنب والمبادرة الى التوبة النصوح ونسبة
الظلم الى نفسه بقوله ربنا ظلمنا انفسنا مع ان ما ارتكبه كان في حيز العفو
لانه وقع منه نسيانا لقوله فنسي ولم نجد له عزما · قال فاهبط منها · من الجنة
فما يكون لك ان تتكبر · اي لا يصح ولا يجوز لك التكبر · فيها · وقد وجد منك
ذلك فاوجب طردك · فاخرج انك من الصاغرين · داخل في زمرتهم من
الصغار وهو الذل والهوان وحوله ذلك فانه نازع الحق تعالى رداء الكبرياء
وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وفي الحديث ان الله
خاطب الجبال وقال سنقف على واحد منكم سفينة نوح عليه السلام فتطاولت
الجبال وتقاصر الجودي فانزلها الله اليه واستوت عليه · قال انظرني
الى يوم يبعثون · اي يوم القيمة · قال انك من المنظرين · اجابة الى طلبته
استدراجا · قال فبما اغويتني · اي بسبب اغوائي وايقاعي في الغي وهو ضد
الرشاد والباء متعلقة بفعل القسم لا بلاقعدن لان اللام تصد عنه والباء
للقسم اي اقسم بالاغواء الذي هو فعل الله تعالى · لاقعدن لهم صراطك المستقيم
هو دين الاسلام ونصبه على الظرف وان كان حذف في من المحدود شاذ
نحو قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره ترك على صراطك كقولهم
ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن · ثم لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم · من الجهات الاربعة كما هو شأن قطاع
الطريق على السابلة واستعمال جهة الامام والخلف بمن واليمين والشمال
بعن وارد على لغة العرب واستعمالهم وقيل انما ذكر في الاوليين لانه متوجه
اليهم من تينك الجهتين ومن جهة اليمين والشمال منحرف عنهم فيوجد
فيهما معنى المجاوزة وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن
خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من

من شهواتهم وقيل انما لم يذكر جهة الفوق لان الرحمة تنزل منها وجهة التحت
لانه موضع السجود ومقام القرب منه تعالى ﴿ولا تجد اكثرهم شاكرين﴾ نعمك
منقادين لا وامرك وانما قال ذلك ظنا لانه حين كان آدم جسدا
ملقى بين مكة والطائف رآه خلقا اجوف فقال مخلوق ضعيف لو
سلطت عليه لاغويته والى هذا الظن اشار بقوله ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه او سمعه من الملائكة حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ﴿قال اخرج منها مذؤما﴾ من الذام وهو العيب بهمز ولا يهمز ﴿مدحورا﴾
مبعدا من الدحور وهو الطرد والابعاد ﴿لمن تبعك منهم لاملان جهنم
منكم اجمعين﴾ اللام موطئة والثانية جواب القسم وهو ساد مسد جواب
الشرط وقرئ بكسر اللام والمعنى لمن تبعك هذا الوعيد او متعلق باخرج
﴿ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما﴾ اي وقلنا يا آدم
عطف على قلنا للملائكة اسجدوا لا على ما بعد قلنا لفساد المعنى اذ يؤول المعنى
الى قلنا للملائكة ويا آدم اسجدوا ولم يعطف ايضا على ما بعد قال ليكون
التقدير قال يا ابليس اخرج ويا آدم اسكن لان ذلك في مقام الاستيناف
لجزاء ابليس على ما بدأ منه وعزمه على التعرض لاضلال بني آدم بكل ممكن وهذا
من تتمة الانعام على بني آدم باكرام ابيهم ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ هي السنبلة
وقيل الكرمة وقيل التينة والهاء في هذه عوض عن الياء بدليل تصغيره
على ذيا ﴿فتكونا من الظالمين﴾ فتصيرا من جملتهم جزم على العطف او نصب
على الجواب ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل
الصوت الخفي كالهينمة ومنه وسواس الحلي ﴿ليبدي لهما﴾ ليظهر لهما علة
للوسوسة ولام العاقبة في قصده اضلالهما والايقاع في المعصية ﴿ما ووري عنهما
من سوآتهما﴾ غطي وستر من الوري بمعنى الستر ومنه حتى توارت بالحجاب
والسوأة العورة سميت به لان انكشافها يسوء المرء وكانا لا يريانها من
انفسهما وهذا يدل على ان كشف العورة من العظائم ولا يجوز الا بقدر الضرورة
والزوجان وان كان جائزا لكل منهما النظر الى عورة صاحبه الا انه مخل بالمروة
وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ما رايت منه ولا رآى مني تريد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحذف المفعول لان ذكره مستهجن وانما لم تقلب الواو
الاولى همزة لان الثانية مدة بخلاف اويصل ﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين﴾ الا كراهة كونكما متصفين بها من
الصفتين ولا تدل على فضيلة الملك مطلقا كيف وقد امروا بالسجود له بل كان
القصد من الملكية الانقطاع عن الشهوات وما يحتاج اليه البشر والتبتل بالمرة

على عبادته

على عبادته تعالى كالملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴿وقاسمهما اني لكما لمن
الناصحين﴾ حلف لهما واخرج على وزن المفاعلة مبالغة او حلفا له بالقبول بعدما
حلف لهما بالنصح ﴿فدلاهما بغرور﴾ اوقعهما في الخطيئة بغرور شبيه بغترية وهو المقاسمة
والمقاسمة والتدلية فيه معنى التسفل والنزول ماخوذ من الدلو فكانه بالايقاع
في الخطيئة نزلهما من رتبة عالية ومقام سني قيل كانا لا يعتقدان ان احدا يحلف
كاذبا ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما﴾ فلما اخذا في الاكل فان الذوق عبارة
عن مبادي الاكل ولذلك لا يبطل الصوم به وهذا ظاهر في ان بدو السوأة كان
بعد الذوق قبل الاكل وفي سورة طه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما يدل على ان
ذلك كان بعد الاكل والتوفيق ان البدو كان مبداه بعد الذوق وتمامه وكماله بعد
الاكل لتكامل الجناية حينئذ ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ شرعا
يخصفان ورقة فوق ورقة اصله من خصف النعل وهو ان يجعل طرقة منه
فوق طرقة وذكر الفاء في قوله في سورة طه فطفقا لا ينافي ذكر الواو هنا مع
اتحاد القصة لان الواو للجمع المطلق ﴿وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة
واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين﴾ فيه دليل على ان النهي يفيد تحريم المنهي عنه
ان لم يصرف عنه صارف وانما ذكر اسم الاشارة الموضوع للقريب اولا
وللبعيد ثانيا لانهما بعد وقوع ما وقع واطلاعهما على تغرير ابليس فرا من الشجرة
فكانت حين العتاب بعيدة عنهما ﴿قالا ربنا ظلمنا انفسنا﴾ نقصناها بارتكاب
مخالفة امرك الموجب لانحطاط شاننا والقول بان الظلم تعريضهما للاخراج
من الجنة لا يستقيم لانهما لم يعلما بعد انهما مخرجان بل علم ذلك من قوله اهبطوا
﴿وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ ان لم تغفر زلتنا وترحمنا بقبول
توبتنا لنكونن من الذين خسروا خسرانا مبينا وهذا دليل على ان الصغائر
يجوز العقاب عليها مع اجتناب الكبائر وانما علم عدم العقاب من الشرع
لقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ونظائره من الاحاديث
﴿قال اهبطوا﴾ من الجنة الى الارض خطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس
ذكره ثانيا تبعا لانه قرينهم والاول هو الوجه ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ حال من الفاعل
واني صح وقوع الاسمية حالا بالضمير وحده لانها في معنى المفرد اي متعادين ﴿ولكم
في الارض مستقر ومتاع﴾ موضع استقرار وتمتع او استقرار وتمتع ﴿الى حين﴾
الى حين الموت ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ للجزاء استيناف
جواب سؤال كانه قيل بعد استقرارنا كيف يكون الحال وقرا حمزة والكسائي
تخرجون بفتح التاء والباقون بالضم وهو المختار لقوله ويخرجكم اخراجا ﴿يا بني
آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم﴾ انزلنا اسبابه لان الاجرام السفلية

المركبة من النبات والحيوان والمعادن انما تتكون باسباب سماوية كالشمس
والريح والمطر ومثله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد فيه بأس
شديد وفي الحديث ان المشركين كانوا اذا قدم احدهم حاجا او معتمرا قال
وجد من اهل الحرم من يعيره الثياب طاف فيها والا طاف عريانا فنزلت
وانما ذكره بعد قصة آدم وعثرته باغواء الشيطان ايماء الى انه من وساوس
الشيطان وهو اول محنة اصابت آدم عليه السلام من قبله وريشا والريش
والرياش اللباس الفاخر ومنه ريش الطائر لانه جماله وقيل هو المال والخصب
ومنه ارتاش فلان اذا حسنت حاله ولباس التقوى لباس الورع وخشية الله
تعالى ذلك خير رفع على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل
ولباس التقوى هو خير لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير في ربط المبتدا بالخبر
او ذلك صفة لانه في تاويل المشار اليه وخير خبره وعلى هذا ذلك لتعظيم
لباس التقوى ويجوز ان يكون اشارة الى اللباس المواري تفضيلا له على
لباس الزينة وقيل لباس التقوى لباس الحرب من الدروع والجواشن
والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
لباس بالنصب عطفا على لباسا والمختار الرفع ذلك من آيات الله
اي الانزال او تنويع اللباس من دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور
فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيتعظون ويتوفرون للشكر وانما
التفت من الخطاب الى الغيبة لانتقال الكلام من فعله المشتمل على
التفضل الى فعلهم المشعر بذهولهم عن تصور ذلك الاحسان فتغافلوا
عن القيام بالشكر له فهم احقاء بالبعد عن ساحة الحضور يا بني آدم
لا يفتننكم الشيطان لا يضلنكم عن طريق الحق اذا اصله لا من فتن
بمعنى امتحن واختبر كما اخرج ابويكم من الجنة اوقعهما في الزلة الموجبة
للخروج والاسناد اليه مجاز بعلاقة السببية وانما استانف الكلام
ولم يعطف القصة على القصة لانه شروع في نوع آخر من الكلام وانما
اسند النهي الى الشيطان مبالغة في التحذير كما تقول لا يرينك الله
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج
او منهما والاسناد الى السبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
حث على غاية التحذر منه لانه عدو مترصد والخفاء عن الابصار واستتاره
عنها يوجب كمال اسباب كيده وقبيله جنوده وذريته وهو في الاصل
الجماعة فوق الثلثة اذا كانوا اشتاتا وانما عطف على المستتر في يريكم
لانه مؤكد بالمنفصل ولا دلالة في الآية على عدم امكان الرؤية وقد ورد

في الاحاديث رؤية جماعة من الصحابة رواه البخاري وغيره انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ابلغ في التحذير من الاول ولذلك
لم يعطفه عليه وصرح بان من يوالي الشياطين ليس بمؤمن واسند الجعل
الى نفسه دلالة على كونه حتما مقضيا واذا فعلوا فاحشة اي اولياء
الشياطين والفاحشة ذنب تناهى قبحه كالزنى والقتل والطواف
عريانا قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها استندوا على حسنها بشبهتين
الاولى تقليد آبائهم المخطئين والثانية الافتراء على الله تعالى بانه الآمر بها
ولما كان تقليد الآباء فساده واضحا لم يتعرض له ورد الثانية بقوله تعالى
قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لا لانه قبيح منه اذ لا يتصور منه لانه المالك
المطلق بل لانه يختار لعباده محاسن الاعمال وليس في الآية دليل على
القبح العقلي لان المراد به ما يكون سببا للعقاب آجلا وملائمات الطبع
ووصف الكمال والنقص حسنها وقبحها عقلي اتفاقا وليس فيها ايضا ما
يدل على بطلان التقليد مطلقا بل انما قام البرهان على خلافه اتقولون على
الله ما لا تعلمون انكار وتوبيخ على ذلك القول ويتضمن النهي عن افتراء
مثله وفيه ايماء على ان القول بلا علم مذموم وان لم يكن منسوبا الى الله تعالى
قل امر ربي بالقسط اي بالتوحيد الذي هو اساس كل عمل او بالامر المتوسط
بين الافراط والتفريط الذي هو المحمود واقيموا وجوهكم عطف على مقدر
اي قوموا بالقسط واجعلوا وجوهكم الى القبلة عند كل مسجد في كل وقت
صلوة او في كل مكانها وقيل توجهوا اليه غير عادلين الى غيره من المعبودات
والاول اوفق بالمقام وادعوه مخلصين له الدين اعبدوه مخلصين له
الطاعة وانما اطلق الدعاء لانها مخ العبادات ولان العابد حين الدعاء
يتوجه الى معبوده بالجوار كما بدأكم تعودون جار مجرى التعليل اي اذا
كان منشأكم منه ومعادكم اليه فلا وجه للاشراك في العبادة وتشبيه
الاعادة بالبدء من حيث ان كلا منهما نسبته الى قدرته سواء وهم يعترفون
بالبدء او من حيث التجرد والانفراد عن المال والاهل ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة او من حيث الشقاوة والسعادة لان الخاتمة فرع البداية
ولذلك قال فريقا هدى خلق فيهم الهداية الموصلة الى السعادة وفريقا
حق عليهم الضلالة اي اخذلهم فضلوا ولزمتهم الضلالة وانما اسند الهداية
الى ذاته المقدسة دون الاضلال اشارة الى سبق رحمته وسعتها انهم
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل للزوم الضلالة او تحقيقها
ويحسبون انهم مهتدون اي مع كونهم ضالين لا يلتفتون الى مرشد

لفرط جهلهم وليس يلزم منه تساوي المعاند والمخطئ في الذم والعقاب وان
اشتركوا في الجملة فيهما ۞ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ۞ لما امرهم باقامة
الوجوه نحو القبلة في الصلوة امر بستر العورة الذي هو من شروطها ايضا
وانما عبّر عنه بالزينة لئلا يتوهم الاقتصار على قدر الحاجة وقيل المراد ان يكون
المصلي لابسًا احسن الثياب واجملها كما ورد الامر بذلك في الجمع والاعياد
۞ وكلوا واشربوا ۞ والمراد بهما الطيب الطاهر كما قيّد في غير هذا الموضع ۞ ولا
تسرفوا ۞ بتحريم الحلال والافراط في الاكل والشرب عليه واظهار الخيلاء
باكل المستلذات على الفقراء المحاويج وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وعن علي بن
ابن الحسين رضي الله عنه جمع الله الطب في نصف آية وقرأ كلوا واشربوا ولا
تسرفوا ۞ انه لا يحب المسرفين ۞ المتجاوزين حد الاعتدال وعن مجاهد
رضي الله عنه لو انفقت مثل احد ذهبًا في طاعة الله لم يكن سرفا ولو انفقت
درهما في معصية كان سرفا وقيل لبعض السلف لا خير في السرف فقال
نعم كما لا سرف في الخير وقيل لا تسرفوا لا تشركوا ۞ قل من حرّم زينة
الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ۞ انكار لان يكون ما يتجمل به
حرامًا على المؤمن كيف وقد خلق لهم ما في الارض جميعا روى مسلم عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون
ثوبه حسنا ونعله حسنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال
والكبر بطر الحق وغمط الناس ولم يكتف بذلك بل امر باظهارها شكره
فقال واما بنعمة ربك فحدث والحق ان مناط التقوى هو القلب وفي
الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم ونياتكم ۞ و
الطيبات من الرزق ۞ هي الماكل والمشارب المستلذة والاباحة انما
علمت من هذا النص لا دلالة فيه على ان الاصل فيها الاباحة قبل الشرع ۞ قل
هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ۞ وان شاركهم فيها غيرهم فذلك بالعرض
خالصة يوم القيمة ۞ حال كونها مختصة بهم في ذلك اليوم ولم يقل في
الاخرة في مقابلة الدنيا اشارة الى انهم في ذلك اليوم في تجمل وطيبات
قبل مصيرهم الى الجنة اللهم اجعلنا منهم يا واسع العطايا وقرأ نافع بالرفع على انه
خبر بعد الخبر ۞ كذلك نفصل الآيات ۞ مثل هذا التفصيل نفصل سائر الآيات
لقوم يعلمون ۞ فانهم هم الذين ينتفعون به وزاد لفظ القوم اشارة
الى كمال من قام به العلم ۞ قل انما حرم ربي الفواحش ۞ جاء بصيغة الحصر

توكيدًا

توكيدًا للاباحة ما قدم والفواحش كل ذنب تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج
ما ظهر منها وما بطن ۞ ما خفي والاثم مطلق الذنب ۞ تعميم بعد التخصيص وقيل
شرب الخمر لان الاثم من اسمائه قال الشاعر قالوا شربت الاثم قلت كلا
وانما شربت الذي في تركه عندي الاثم ۞ والبغي ۞ الظلم على الغير سواء تعلق بماله او
بعرضه او بنفسه وقوله بغير الحق والبغي لا يكون الا كذلك تنفير عن ارتكابه ولا يراد
به الكفر لقوله ۞ وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ۞ برهانا يدل على حقيته بل
اختير عمومه سفاهة ۞ وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ۞ من الالحاد في صفاته
كاتخاذ الولد وامره بالفحشاء ۞ ولكل امة اجل ۞ مدة مقدرة لاعمارهم او لنزول
العذاب وفيه اشارة الى ان ظلمهم قد تجاوز حده وانهم اهل لنزول العذاب
بهم لولا ذلك الاجل الذي لا يعلم الحكمة فيه الا هو ۞ فاذا جاء اجلهم ۞ اخر المدة
المقدرة ۞ لا يستأخرون ساعة ۞ عن ذلك الوقت والمراد بالساعة ادنى
ما يتصور في الزمان لا المتعارفة ۞ ولا يستقدمون ۞ جملة عطف على الشرطية لا الجزاء
لعدم استقامة المعنى والسين للتاكيد مثله في سكت ما قالوا وقيل لشدة
الهول لا يطلبون التقدم والتاخر ۞ يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم
آياتي ۞ يتلونها كما امروا من قص الاثر تتبعه وفائدة منكم الترغيب في اتباعهم
لانهم من الجنس الذي يوجب الالفة والاتيان وان كان محققا لكن لما لم يكن
واجبا كما زعمه اهل التعليم آثر لفظ ان واكده بما جبرا لما فات من معنى اذا ۞ فمن
اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞ جواب للشرط اي من اتقى الشرك
والتكذيب واصلح ما افسده فقد جمع بين هذين الفوزين ۞ والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۞ لم يدخل الفاء في الجزاء
لدلالة السابقة على تقديرها او ايماء الى المسامحة في الوعيد او الفاء يدل على
سببية السابق ۞ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ۞ ساوى
بين الامرين في القباحة فالويل لمن قال في الدين قولا بغير علم ۞ اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب ۞ الموصوفون بهذه الصفة لهم حظ من الارزاق والاعمار في
الدنيا يستوفونها فالكتاب بمعنى المكتوب او هو اللوح المحفوظ ۞ حتى اذا جاءتهم
رسلنا يتوفونهم ۞ يقبضون ارواحهم غاية لنيل النصيب وحتى هذه هي التي يبتدأ
بعدها الكلام ۞ قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله ۞ جواب اذا والاستفهام تقريع
اي هذا يوم الحاجة فكان الواجب ان تستعينوا بما كنتم تعفرون جباهكم في عبادتها
قالوا ضلوا عنا ۞ اقرار منهم بعبادتها فان قلت اذا كان قولهم ضلوا عنا اقرارا
منهم بالكفر فما فائدة قوله ۞ وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قلت فائدته
زيادة التوبيخ واظهار لفظ الكفر الذي دل عليه قولهم ضلوا عنا التزامًا ۞ قال ادخلوا

في امم: القائل هو الله تعالى مثل قوله قال اخسئوا وخطابه مع المجرمين لا يستبعد لانه خطاب
غضب وانتقام او بعض الملائكة: قد خلت من قبلكم: صفة امم: من الجن والانس
بيان لها: في النار: متعلق بادخلوا وفي امم حال اي كائنين في زمرتهم وعدادهم
وفيه اشارة الى ان دخولهم في زمرتهم اشد عليهم من عذاب النار ولذلك قدمه كما قال
في النفس المطمئنة فادخلي في عبادي وادخلي جنتي لان دخولها في تلك الطائفة اشرف
واعلى من دخول الجنة والنار في السكان لا في المنزل: كلما دخلت امة لعنت اختها:
وهي الطائفة التي سنت ذلك الكفر وكما ان المؤمنين اخوة في الدين فكذلك الكفرة
حتى اذا اداركوا فيها جميعا: الاتباع والقادة: قالت اخريهم: دخولا: لاوليهم:
لمتقدمة اي في حقهم لا لمخاطبة لقوله: ربنا هؤلاء اضلونا: بان سنوا لنا الكفر
والتكذيب: فآتهم عذابا ضعفا من النار: مضاعفا على عذابنا لانهم ضلوا واضلوا
قال الله لكل ضعف: اي منكم ومنهم اما القادة فللضلال والاضلال واما الاتباع
فللكفر والتقليد او لانهم ضالون مضلون ايضا: ولكن لا تعلمون: ما لكل منكم وقرا
عاصم في رواية ابي بكر بياء الغيبة على الانفصال: وقالت اوليهم لاخريهم فما كان
لكم علينا من فضل: اخذوا هذا الكلام من قوله تعالى لكل ضعف لدلالته على مساواة
الفريقين في الجناية: فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون: من قول القادة او من
قول الله تعالى للفريقين: ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها: عن الاذعان
لاحكامها: لا تفتح لهم ابواب السماء: حتى يصلوا الى الجنة التي هي في السماء فضلا عن
دخولها او لاعمالهم اليه يصعد الكلم الطيب او لارواحهم بل ترد الى سجين لورود
الاحاديث بذلك كله وقرا حمزة والكسائي بياء الغيبة والتخفيف وابو عمرو
بالخطاب مخففا والباقون بالخطاب مشددا والمختار التانيث لوجود الفاعل
فان قلت قوله تعالى مفتحة لهم الابواب في حق المؤمنين يدل على فتح جميع ابواب
الجنة وعلى ذلك القياس يكون معنى قوله لا تفتح لهم ابواب السماء جميع ابوابها ولا يلزم
عدم فتح شيء من ابوابها قلت النفي موجه الى اصل الفعل لا على القيد: ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط: تعليق بالمحال عادة والخياط والمخيط اسم لما يخاط به
وهي الابرة كالازار والمئزر لما يتزر به: وكذلك نجزي المجرمين: الكافرين الكاملين
في الاجرام وانما عبر عن الكفر بالاجرام ايماء الى قبحه وزجرا عن ارتكابه وانما جاء
الكلام مؤكدا بالتاكيدات المبالغة لئلا يتوهم من الخلود والمكث الطويل وترتب
عليه شدائد العذاب التي خلت عنها الاية السابقة من قوله لهم من جهنم مهاد:
فراش فعال بمعنى المفعول: ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي ما يتغطى به جمعه
ليدل على تكاثفه وعظم العذاب منه كقوله تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل وانما لم يجمع الاول لكونه مصدرا في الاصل: وكذلك نجزي الظالمين: العابدين

غير الله

غير الله وهذا الحكم اخص من الاول اذ لا يلزم من عدم دخول الجنة دخول النار
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون: اعاد الكلام ليترتب عليه وصف حالهم فيها وحسن مآلهم
واعترض بين المبتدا والخبر بقوله ولا نكلف نفسا الا وسعها ترغيبا في العمل
الصالح الموصل الى النعيم المقيم بانه مع كونه مورثا لتلك السعادة سهل التناول
ونزعنا ما في صدورهم من غل: اي حقد للنعمة فان من في صدره غل وحقد وان كان
في ارفه حال وارغد عيش لم يخل من حرج صدر وضيق عطن وعن علي رضي الله عنه
حين قتل طلحة والزبير في وقعة الجمل اني لارجو ان اكون انا وهؤلاء منهم تجري من
تحتهم الانهار: لتوفير الحظ الباصرة مع انه يشري سرورا الى سائر الحواس
ويذهب عن القلب الحزن: وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا: لما كان وسيلة
لهذا: وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله: لولا هدايته وتوفيقه وهذا الكلام منهم
على وجه الالتذاذ والسرور اذ لا تكليف هناك وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله
عليه وقرا ابن عامر ما كنا بدون الواو على انه بيان وهو رسم مصحف الشام والمختار
اثبات الواو لعدم ظهور البيان: لقد جاءت رسل ربنا بالحق: اعتراف منهم بعد
عين اليقين كما اعترفوا في الدنيا بعد علم اليقين: ونودوا ان تلكم الجنة اشار
بلفظ البعيد باعتبار ما كانوا يعلمون في الدنيا بالوصف كما تقول لصاحبك مشيرا
الى رجل بين يديك هذا ذلك الرجل الذي كنت تسمع به او تعظيما لها والقول بانه
تعالى لهم قبل الدخول يرده قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا فان هذا النداء بعد ذلك
القول: اورثتموها بما كنتم تعملون: منحتموها بسبب اعمالكم والاعمال وان لم يكن سببا
حقيقيا مستلزما عقلا ولكن جرت عادته تعالى بذلك فكان سببا عاديا وقوله
عليه السلام لا يدخل الجنة احدكم بعمله نفي للسبب الحقيقي وانما عبر عن اعطائه وتفضله
بالايراث لانه اقوى اسباب الملك لحصوله حتما من غير اختيار وشعور وقيل
ورثتموها من الكفار لما ورد في الحديث ان لكل نفس موضعا من النار يضاف
الى نصيب واحد من الكفار ولكل كافر موضعا من الجنة يضاف الى حظ واحد من
اهل الجنة وهذا اوفق بالمقام لمجاورة الطائفتين: ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا: قالوا هذه المقالة
تبجحا واظهارا للشماتة وهو الذ الاشياء كما ان اشد العذاب شماتة الاعداء وانما
اتى بلفظ الوعد في العذاب مشاكلة ولم يضفه كما اضاف الاول اما لانه علم من
الاول لانه قسيمه او لان ما وجدوه لم يكن كله موجودا مخصوصا بهم كالبعث والحساب
قالوا نعم: اقرار بالوجدان وقرا الكسائي بكسر العين وهما لغتان والفتح هو المختار
لانه لغة اهل الحجاز وعامة العرب: فاذن مؤذن بينهم: بعد استقرار الفريقين

وانقضاء تلك المحاورة قيل هو اسرافيل :: ان لعنة الله على الظالمين :: اخبار
بحصول اللعنة لهم وفائدته التحسير عليهم وتنفير السامع عن ارتكاب الظلم
وان هي مخففة حذف عنها ضمير الشان وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
بالتشديد وهو المختار لكونه اصلا مع خلوه عن الاضمار :: الذين يصدون عن
سبيل الله :: يمنعون القاصدين عن الاسلام :: ويبغونها عوجا :: يطلبون لها
عيبا بكسر العين عيب المعاني وفاله انتصاب له وبالفتح عيب الاجسام المنتصبة
ومحله الجر على انه صفة مقررة او رفع على الذم او نصب على الاختصاص :: وهم بالآخرة
كافرون :: منكرون لها وفيه اشارة الى ان ارتكابهم الظلم لعدم اعتقادهم
المصير الى من يجازيهم :: وبينهما حجاب :: هو السور الذي ضرب بينهم بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب :: وعلى الاعراف رجال :: اعراف
ذلك السور اي اعاليه جمع عرف مستعار من عرف الفرس والديك هم طائفة
من المؤمنين قصرت بهم العمل يوقفون بين الجنة والنار على ذلك السور الى وقت
يريده الله تعالى وقيل هم الانبياء والشهداء يوقفون كرامة وقيل هم العلماء ورد
بذلك الحديث يوقفون للشفاعة فيمن عمل بعلمهم :: يعرفون كلا بسيماهم ::
هذا قبل دخول الجنة يعلمون ذلك بالهام الله تعالى وعلامة كبياض الوجه وسواده
يدل عليه لفظ السيما لانها فعلا من الوسم :: ونادوا اصحاب الجنة ان سلام
عليكم :: اهل الجنة اما حين الدخول او بعده :: لم يدخلوها وهم يطمعون :: حال من فاعل
نادوا وقيل ان كان اهل الاعراف المقصرين فالحال عن الواو وان كانوا الانبياء
او الشهداء او خيار المؤمنين فعن اصحاب الجنة وانما ذهب الى هذا استبعادا
لان يكون دخول الانبياء متاخرا عن الامم وليس بشيء لما روى البخاري ومسلم في حديث
الشفاعة عنه عليه السلام انه قال اذا كان يوم القيمة فاخر لربي ساجدا فاشفع
الى ربي فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم اعود فيحد لي حدا فاخرجهم
من النار وادخلهم الجنة ثم ذكر العود ثالثا على هذا وقد روينا ايضا انه تعالى يقول
يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن وهم شركاء الناس
في سائر الابواب فان قلت ما معنى الطمع والانبياء قاطعون بدخول الجنة قلت
لانها في بين الطمع في رحمته والقطع بموجب وعده :: واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار :: وراوا ما فيه من العذاب استعاذوا بالله تعالى :: قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين :: في النار وانما لم يقل ولما نظروا اهل النار اشارة الى ان رؤيتهم
ليس مقصودا بالذات بل كان صارفا صرف ابصارهم نحوهم :: ونادى اصحاب
الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم :: من رؤساء الكفرة :: قالوا ما اغنى عنكم
جمعكم :: كثرة اعدادكم او مالكم :: وما كنتم تستكبرون :: ولا وجود استكباركم عن

الحق

الحق وقرئ تستكثرون من الكثرة :: اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة :: من تتمة
قول الرجال والاشارة بهؤلاء الى الفقراء المهاجرين كخباب وعمار وبلال فان صناديد
قريش كانوا يحلفون انهم لا يدخلون الجنة وليسوا باهل لها :: ادخلوا الجنة
لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون :: وكانهم لما راوا الفقراء بصدد الدخول خاطبوا
المشركين بذلك الخطاب ثم التفتوا وقالوا هذا الكلام وقيل لما عير اصحاب الاعراف
اهل النار حلفوا بانهم لا تدخلونها ايضا فقال الله تعالى اهؤلاء الذين اقسمتم
لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة والوجه هو الاول :: ونادى اصحاب النار اصحاب
الجنة :: بعد استقرار كل طائفة في مستقرها :: ان افيضوا علينا من الماء :: اي صبوا
الافراغ والصب وقيل فيه دليل على ان الجنة فوق النار :: او مما رزقكم الله :: من
سائر الاشربة او من الماكل من قبل علقتها تبنا وماء باردا وهذا يمكن ان
يكون على الحقيقة بانهم لا يعلمون حرمة ذلك عليهم او قالوا حسرة وتحيرا
وان ايقنوا عدم الحصول :: قالوا ان الله حرمهما على الكافرين :: استعارة تبعية
كقول الشاعر ٭ ومن بعد ايام العقيق وعاجز ٭ حرام على عيني ان تطعم الكرى
اذ لا تكليف هناك ٭ الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا :: قول اصحاب
الجنة او من قول الله تعالى واللهو ما يلهو به الانسان اي يعرف همه واللعب
ما يجلب به الفرح وغرتهم الحياة الدنيا :: خدعتهم :: فاليوم ننساهم :: نفعل
بهم فعل الناسين اي نتركهم :: كما نسوا لقاء يومهم هذا :: فلم يستعدوا له
وما كانوا باياتنا يجحدون :: وكما كانوا :: عطف على ما لم يعد الجار للقرب
لفظا ومعنى والحيثية تجازيهم بمثل ما فعلوا :: ولقد جئناهم بكتاب فصلناه
اي باياته يفهم من يخاطب به معانيها :: على علم :: عالمين بما فيه من الحكم
والاحكام ولفظ على للدلالة على كمال العلم حال من المرفوع في
فصلناه وجعله حالا من المفعول ليس بذلك الحسن وفيه دليل على انه تعالى
عالم بالعلم وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب :: هدى ورحمة لقوم يؤمنون ::
حال من منصوب فصلناه :: هل ينظرون الا تاويله :: اي ما ينتظر هؤلاء الا
ما نزل الكتاب اليه من وقوع ما نطق به من الوعد والوعيد والقهر للمكذبين
المستكبرين وقصة اصحاب الاعراف كانت استطرادا للترغيب والترهيب
يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل :: هو يوم القيمة :: قد جاءت رسل
ربنا بالحق :: اي تبين لنا ان ما جاءوا به كان حقا :: فهل لنا من شفعاء
اليوم :: فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل :: عطف على جملة تعليقية
على جملة اسمية وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا والمعنى على الرفع تمني
الشفاعة او الرد وعلى النصب تمني الشفاعة بدون الرد او مع الرد بدو

الشفاعة ويجوز ان يكون او بمعنى الى ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي وعلى
هذا المعنى تمنى الشفيع للشفاعة المقتضية الى الرد: قد خسروا انفسهم: حين اوردوها
موارد الهالكين: وضل عنهم ما كانوا يفترون: من المعبودات الباطلة: ان
ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام: لما بين حال الفريقين في المعاد
كر الى ذكر المبدا وكيفية وجود الكائنات على النمط الذي فطرت عليه ارشادا للغافلين
وتثبيتا للمهتدين والخلق هو الايجاد واقتصر على ذكر السموات والارض دون ما بينهما
لان ذكره في مواضع اخر ولان احدا لم يقل بالفصل اولانهما اذا كانتا مخلوقتين لله تعالى
فغيرهما بالاولى والاخلق والمراد بالايام الاوقات او مقدارها لو كان هناك طلوع شمس
وغروب وفيه دليل على انه فاعل بالاختيار وارشاد للعباد على التاني في الامور تخلقا
باخلاق الله تعالى: ثم استوى على العرش: اي بعد تكامل خلق الاشياء اجرى احكامه
على الموجودات اسعادا واشقاء واماتة واحياء لان ذاته تعالى وان كانت قديمة لم تزل
ولكن اثار سلطنته انما ظهرت بعد وجود الاشياء فمثل حاله كمثل ملك جلس على سرير ملكه
للنظر في شان من تحت حكمه والقول بان العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام
محتمل ولا دليل عليه شرعا وان ثبت ان عرش الرحمن فوق السموات جسم نوراني عظيم
يغشي الليل النهار: اي يجعل كلا منهما غشاء الآخر وهو ما يغطي ويستر به وقرا حمزة و
والكسائي وابو بكر عن عاصم بالتشديد وهو ابلغ: يطلبه حثيثا: يطلب كل منهما
الآخر طلبا سريعا على انه مصدر ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اي حاثا او من
المفعول اي محثوثا: والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وقرا ابن عامر
برفع الاربع وهو المختار لكونه ابلغ في القدرة ولعدم احتياجه الى تقدير العامل: الا
له الخلق والامر: تنبيه لمن سمع هذا الكلام الدال على تاثير قدرته تعالى وعظم شانه
بان يعترف بان لا خلق ولا تصرف لغيره تعالى: تبارك الله رب العالمين: البركة
النماء والزيادة والمعنى وصفه بزيادة التفضل في ترتيب الليل والنهار وتسخير الشمس
والقمر والنجوم ولما كان سياق الآية في سورة قد افلح لخلق الانسان واطواره ختم الآية
بقوله تبارك الله احسن الخالقين: ادعوا ربكم تضرعا وخفية: بعد ما تبين ان شانه
فوق كل شان امرهم بالاستكانة والضراعة الذل اي ذوي ذل وخفية فان الاخفاء
في الدعاء اقرب الى الاخلاص وفيه نوع من الانكسار الملايم للضراعة وفي الحديث
يفضل دعاء السر على الجهر سبعين ضعفا وقرا ابو بكر بكسر الخاء: انه لا يحب المعتدين
المتجاوزين الحد بان يسهب غاية الاسهاب او يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء
وفي الحديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني
اسالك الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما يقرب
اليها من قول وعمل: ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها: بهذا النظام الاحسن

وشرع الاحكام على لسان الانبياء: وادعوه خوفا وطمعا: خائفين عقابه
نظرا الى قلة اعمالكم وبالنظر الى كبريائه طامعين رحمته نظرا الى بحر كرمه وعموم عطائه
روي انه تعالى لما طرد ابليس بكى جبريل وميكائيل فقال الله تعالى ما هذا البكاء فقالا ربنا
بكاء خوف فانه هذا كان عبدا قد قطع اعمارا في عبادتك قال الله تعالى هكذا
كونا خائفين من سطوتي وقهر سلطاني: ان رحمة الله قريب من المحسنين:
اشارة الى ما يتوسل به الطامعون الى رحمته وانما ذكر الفعيل بمعنى الفاعل مع
تانيث الموصوف تشبيها له بالفعيل بمعنى المفعول: وهو الذي يرسل الرياح: من
دلائل وحدانيته الدالة على قدرته على الاعادة ارسال الرياح وقرا ابن كثير و
والكسائي وحمزة الريح بالتوحيد على ارادة الجنس: نشرا بين يدي رحمته
قرا الكوفيون الا عاصما وابن عامر باسكان الشين لثقل الضمتين وقرا
حمزة والكسائي نشرا بفتح النون على المصدر لان الارسال فيه معنى النشر
وقرا عاصم بالباء على انه جمع بشير كقلب وقليب قيل ان الصبا تثير
السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه والحق ان الدبور
معد للعذاب واليه هذا اشار عليه السلام بقوله اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الجمع للرحمة والمفرد للعذاب تشريح للحديث
النبوي: حتى اذا اقلت: رفعته من القل لان المقل للشيء يرفعه: سحابا جمع
سحابة على حد تمر وتمرة: ثقالا بالماء: سقناه: افرد الضمير وذكره باعتبار
اللفظ: لبلد ميت: لاجله اي لاحيائه وسقيه والبلد مرادف الارض قراه
مخففا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر: فانزلنا به الماء: اي بالبلد فالباء
للالصاق او بالسحاب او السوق او الريح فالباء للآلة: فاخرجنا به: اي بالماء
ويحتمل الوجوه السابقة ايضا: من كل الثمرات: بعضا من كل نوع وانما لم
يذكر الحبوب لان الثمرات ابدع وشانها اغرب او لان الحبوب من ثمرة
الارض ايضا: كذلك نخرج الموتى: مثل اخراج الثمرات الذي تشاهدونه
مدة اعماركم: لعلكم تذكرون: متعلق بمقدر اي انما بينا عليكم الاخراج على النمط
المذكور لعلكم تذكرون ان لا فرق بينه وبين الاعادة فتعترفون به: والبلد الطيب
الارض الكريمة التربة: يخرج نباته باذن ربه: بعلمه وارادته: والذي خبث
الارض الردية كالسباخ والقيعان: لا يخرج الا نكدا: يقال فلان نكد اي
قليل الخير والمراد به النبات الذي لا نفع فيه نصب على الحال من المستتر في
خبث مثل ضربه الله للمؤمن والكافر روى ابو موسى الاشعري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى مثل غيث اصاب
ارضا فمنها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير ومنها

طائفة اجادت امسكت الماء فنفع الله الناس به فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب
طائفة انما هي قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ فذلك مثل من فقه
في دين الله تعالى فنفعه ما بعثني الله تعالى به فعلم وعلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم
يقبل هدى الله الذي ارسلت به رواه البخاري ومسلم ❊ كذلك نصرف الآيات ❊
مثل هذا التصريف الجلي سائر الآيات ❊ لقوم يشكرون ❊ نعم الله تعالى فيعلمون
ان تصريف الآيات من اجل النعم ❊ لقد ارسلنا نوحا الى قومه ❊ اللام فيه
للقسم وانما التزم ذكر قد مع القسم لان المخاطب بالجملة المقسم عليها شكرا وتردد
فاذا سمع القسم توقع وقوعها اورد قصة نوح بعد قصة آدم وشرح احوال اهل
الجنة والنار ودلائل التوحيد لانه اول مبعوث عذب قومه وهو نوح بن لمك
ابن متوشلخ بن ادريس بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين وعاش الف سنة
على الاصح ❊ فقال يا قوم اعبدوا الله ❊ وحده بدليل قوله ❊ ما لكم من اله غيره ❊ و
اضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة والنصح وقرأ الكسائي بكسر الراء حملا على اللفظ
صفة او بدلا وهذا اولى من قراءة الجمهور بالرفع لان رعاية اللفظ عندهم اكثر من المحل
❊ اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ❊ تعليل للامر بالتوحيد واليوم يوم القيمة وعظمه لعظم
ما فيه والاسناد مجاز وقيل يوم الطوفان ❊ قال الملأ من قومه ❊ اشرافهم لم يذكر الفاء
كما في سائر السور اشارة الى فرط جهلهم كانه لم يتعقب كلامهم كلامه فردوا نصيحته
من غير تامل في نفعه ❊ انا لنراك في ضلال مبين ❊ واضح ❊ قال يا قوم ليس بي ضلالة ❊
اي واحدة من جنس الضلال رد لكلامهم على ابلغ وجه كما اذا قيل هل عندك تمر فتقول
ليس عندي تمرة ❊ ولكني رسول من رب العالمين ❊ استدراك بحسب المعنى لانه
اذا كان رسولا من الله لا يمكن ان يكون ضالا لظهور التنافي من الرسالة والضلالة
❊ ابلغكم رسالات ربي ❊ استئناف لبيان كونه رسولا او صفة له والرسول
وان كان لفظه غائبا ولكنه عبارة عن ضمير المتكلم فصح كونه صفة له بذلك الاعتبار
وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع رسالة باعتبار الوقائع والاشخاص و
العقائد والاحكام وقراءة التشديد ابلغ ❊ وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون ❊ يقال
نصحه ونصح له واللام يدل على ان النصح خالصا للمنصوح له يراعي به جانبه والمراد علمه
بصفات الله تعالى وشدة بطشه او كان اوحى اليه انهم ان لم يؤمنوا استأصلهم الله تعالى
بالعذاب كانوا آمنين منه العذاب لم يحل بقوم قبلهم ❊ اوعجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم ❊ والهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل
اكذبتم وعجبتم ان جاءكم والذكر هو الرسالة لاشتماله على المواعظ ❊ على رجل
منكم ❊ على لسان رجل من قومكم يعرفون بالامانة معروف السيرة وكانوا يتعجبون
ان الرسول لا يكون بشرا ❊ لينذركم ❊ ليحذركم بأس الله تعالى ونقمته لمن كفر ❊ ولتتقوا

المعاصي

المعاصي ❊ ولعلكم ترحمون ❊ بعد التقوى وانما ذكره بلفظ الترجي على دأب الملوك
وان كان مقطوعا به كقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا او للاشارة
الى ان التقوى لا يوجب شيئا والترحم فضل منه تعالى ولئلا يعتمد العاملون
على عملهم ❊ فكذبوه ❊ صريحا في دعوى الرسالة لان قولهم انا لنراك في
ضلال مبين غير صريح ❊ فانجيناه والذين معه في الفلك ❊ الجار متعلق في
الفلك او يتعلق بمعه او حال اما من الموصول او ضمير معه قيل كانوا ثمانين
نفر اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل كانوا تسعة هم بنوه الثلثة سام
وحام ويافث وستة من قومه كانوا مؤمنين به ❊ واغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا انهم كانوا قوما عمين ❊ عمي القلب جار مجرى التعليل ❊ والى عاد اخاهم
هودا ❊ عطف على نوحا الى قومه وسماه اخا مجازا لانه واحد منهم كقولهم
يا اخا العرب والحكمة في بعث الانبياء من القوم لكونهم يعرفون ديانته
وامانته ولئلا يانفوا من اتباعه ❊ قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ❊ لم يعطفه كما في قصة نوح عليه السلام لانه جاء على طريقة الاستئناف
كانه قيل ما قال لهم وكذلك جوابهم ❊ افلا تتقون ❊ عرض على التقوى كقولك
الا تنزل بنا والجواب محذوف اي تأمنوا من عذاب الله تعالى ❊ قال الملأ
الذين كفروا من قومه ❊ دل على ان من الملأ من كان مؤمنا والقول بانه
بهذا الوصف دل على كونهم اقرب من قوم نوح ليس بشيء لمجيء هذا الوصف
في قومه ايضا في سورة هود وقد افلح والقول بان الوصف في قومه في
السورتين للذم خلاف الظاهر وتحكم بل الوجه في حذفه من قصة نوح انها ما سبقت
هنا مستوفاة وحيث ذكرت على وجه الاطناب ذكر الوصف ❊ انا لنراك
في سفاهة ❊ اي سفاهة كاملة متمكنا فيها وصفوه بالسفاهة وهي خفة العقل
بخلاف قوم نوح وصفوه بعدم الاهتداء لانه نتيجة تلك الخفة ❊ وانا لنظنك
من الكاذبين ❊ مندرجا في زمرتهم والظن بمعنى العلم ❊ قال يا قوم ليس بي سفاهة
كما زعمتم ولم يتعرض لرد الكذب لان منشأه السفاهة حيث لا سفاهة
لا كذب ❊ ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح
امين ❊ وصفه بالامانة وتقديم الضمير المفيد للتقوي وايثار الاسمية يدل على فرط
عنادهم ❊ اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ❊ سبق تفسيره
قريبا ❊ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ❊ ذكرهم نعمة الله عليهم مع رمز
الى انهم ان لم يشكروها يحل بهم من العذاب ما نزل بقوم هم سكنوا مساكنهم
❊ وزادكم في الخلق بسطة ❊ اي جسامة في الخلقة فانها نعمة فائقة قيل كان اطولهم
مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا او بالمال فانهم كانوا في غاية الثروة وقوله تعالى

في حق قارون اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ✽ ثم اشار الى قوم عاد فان شداد بن عاد ملك المعمورة من رمل عالج الى بحر عمان فاذكروا آلاء الله ✽ بالشكر تعميم بعد التخصيص ✽ لعلكم تفلحون ✽ عسى ان يؤديكم الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ✽ لما كانوا معتدين فطرة الله التي يولد عليها كل مولود استبعدوا ان يكون فاطر الاشياء وموجد الكائنات معبودا وحده والمراد من المجئ الاقدام على تبليغ الرسالة او كان معتزلا عنهم كما هو دأب الصالحين كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء قبل بعثته او قالوه تهكما به والمراد المجئ من السماء ✽ فاتنا بما تعدنا ✽ من العذاب اما ان يكون صرح به او فهم من قوله افلا تتقون ✽ ان كنت من الصادقين ✽ معدودا منهم ✽ قد وقع عليكم من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب ✽ وغضب ✽ انتقام من الله تعالى عطف تفسيري او ارادة انتقام عذاب الابد بعد العذاب في الدنيا وانما عبر عنه بالماضي لانه واقع لا محالة لصدوره عمن لا يخلف الميعاد ✽ اتجادلونني في اسماء ✽ في استحقاق عبادتها سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان ✽ برهان دال على استحقاق عبادتها ✽ فانتظروا العذاب ✽ اني معكم من المنتظرين ✽ للنجاة واستيصالكم ✽ فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا ✽ دابر القوم من يأتي في آخرهم فاذا لم يبق فغيره بالاولى والاجدر ✽ وما كانوا مؤمنين ✽ فائدته بعد ذكر التكذيب التعريض بمن آمن منهم ولئلا يتوهم حدوث التكذيب من لفظ الماضي بل لم يؤمنوا قط وقصتهم انهم كانوا قاطنين بين عمان وحضرموت كانوا عبدة الاصنام فارسل الله تعالى اليهم هودا عليه السلام وكان فيهم ذا نسب وشرف فكذبوه فامسك الله تعالى عنهم المطر ثلث سنين وكان الناس اذا نزل بهم قحط وبلاء توسلوا الى الله تعالى في كشفه بالبيت الحرام وكان قطان مكة اذ ذاك العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان سيدهم معاوية بن بكر فوجهت عاد الى مكة للتوسل بالبيت المعظم سبعين رجلا من اشرافهم فيهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد وكان مرثد مؤمنا يكتم ايمانه فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر سيد العمالقة وكان بارزا خارج الحرم وكانوا اخواله واصهاره فاكرمهم فاقاموا عنده في ارغد عيش يشربون الخمر وكان لمعاوية قينتان تغنيانهم فلما رأى معاوية ان شرب الخمر شغلتهم عما قدموا لاجله اهمه ذلك وقال هلكت اخوالي وهؤلاء فيما هم فيه وكان يكره ان يصرح لهم بذلك لئلا يتوهموا انه استثقلهم وكان شاعرا فعمل بيتين وهما ✽ الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما ✽ فيسقي ارض عاد ان عادا ✽ قد امسوا ما يبينون الكلاما ✽ فلما غنت الجاريتان وسمعوا مقالتهما قالوا القوم في هلاك قومنا فادخلوا الحرم واستسقوا فقال لهم مرثد والله ما تسقون الآن اطعتم هودا فقالوا لمعاوية

احبس الله عنا هذا فانه ترك دين آبائه لا يقدم معنا مكة فلما دخلوا الحرم قال قيل اللهم اسق هادا كما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى ثلث سحائب بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد من جهة السماء يا قيل اختر لك ولقومك احدى السحائب فقال اخترت السوداء فانها اكثرهما فتوجهت السوداء الى ارض عاد فكان كما قال الله تعالى فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم فاهلكتهم ونجا هود ومن آمن معه فقدموا مكة وعبدوا الله تعالى الى ان قضوا نحبهم ✽ والى ثمود اخاهم صالحا ✽ وهم طائفة اخرى من العرب سموا باسم جدهم الاكبر وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وقيل انما سموا ثمودا لانهم كانوا ساكنين على ماء قليل والماء القليل يسمى الثمد قال طرفة شعرا واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد الثمد ✽ وكان من قصتهم انهم خلفوا عادا في ارضهم وكان المدر والحجر لا تفي باعمارهم فتنهدم فشرعوا كما اخبر الله تعالى ينحتون من الجبال بيوتا وكانوا عبدة الاوثان فارسل الله اليهم صالح بن عبيد بن جابر بن ثمود فدعاهم الى الاسلام وكان من اشرافهم فسألوه آية دالة على صدقه فقال ما تريدون من الآيات فقالوا اخرج معنا يوم العيد فنسألك اذ ذاك فلما حضر نظر واحد منهم يسمى جندعا الى حجر عظيم بسفح الجبل يسمى كاثبة فقال اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة سوداء عشراء وبراء ذات عرف فصلى صالح عليه السلام ركعتين ودعا فتمخضت الصخرة كما تمخض الناقة النتوج فولدت سقبا تقربها في العظم قيل كان ما بين جنبي الناقة مائة واثنين وعشرين ذراعا ثم قامت والسقب يتبعها فتوسطت القوم فقال لهم صالح عليه السلام لكم شرب يوم ولها شرب يوم وكانت ترد الماء غبا فاذا وضعت رأسها في البئر شربت الماء باسره فشق ذلك عليهم وكانت تصيف بظهر الوادي وتشتو ببطنه فيهرب منها مواشيهم فضجروا من ذلك ايضا وكانت فيهم امرأتان تسمى احديهما صدوف والاخرى عنيزة وكان لكل منهما الف الف صدوف يسمى قدار وصاحب عنيزة مصدع وكان لهما مواش فتحببا الى الفتيين وسألتا قتل الناقة فقالا اصبحنا بالخمر فلما سكرا جاءا الى نادي القوم واستتبعا طائفة من سفهائهم والعاقر اولا قدار وثانيا مصدع فلما قتلوها هرب السقب الى الجبل فقال صالح عليه السلام ادركوه فانكم ان ادركتموه نجوتم فاشرعوا خلفه فلم يلحقوه قيل انه دخل في تلك الصخرة التي كانت امه خرجت منها بعد ان رغا ثلث رغوات فقال لهم صالح عليه السلام سيأتيكم العذاب بعد ثلث اشياء وعلامة ذلك انكم غدا تصبحون ووجوهكم مصفرة وبعد غد محمرة وفي اليوم الثالث مسودة ثم في الرابع يصبحكم العذاب فلما اصبحوا في الغد رأوا العلامات هموا بقتله فانجاه الله تعالى منهم فركب الجمال هو ومن آمن معه واتى الى مكة

وسكن بها الى ان جاءه الموت فدفن صلوات الله تعالى عليه في المسجد الحرام
من جهة الحجر وقيل مات بالشام فلما اصبحوا في اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع
وانتظروا البلاء فجاءتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فاصبحوا في دارهم
جاثمين لم ينج منهم احد فان قلت قد اخبر الله عنهم بانهم ندموا على ما فعلوا
بقوله فاصبحوا نادمين والندم توبة فكيف لم تدركهم رحمة ارحم الراحمين
قلت جرت عادته تعالى بان من كفر بعد الآية المخترعة لا يمهل كاصحاب المائدة
واليه اشار بقوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس
وقيل لم يكن ندم توبة ايمانا بل ندموا خوفا من العذاب العاجل ؞ قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ؞ سبق تفسيره ؞ قد جاءتكم بينة من
ربكم ؞ معجزة واضحة على صدق دعواي وانما وصفها بالوضوح لانها التي
طلبوها ؞ هذه ناقة الله ؞ استئناف لبيان البينة ؞ لكم آية ؞ بيان لمن هي له
الآية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية
والاضافة للتشريف ؞ فذروها تأكل في ارض الله ؞ اي ليس عليكم رعيها و
اسامتها ازاحة للعذر عن التعرض لها ؞ ولا تمسوها بسوء ؞ فضلا عن الاصابة
بالمكروه ؞ فيأخذكم عذاب اليم ؞ نصب على الجواب ؞ واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد ؞ تذكير للنعمة وفيه ايماء الى انهم ان خالفوا يصيبهم
مثل ما اصابهم ؞ وبوأكم في الارض ؞ ارض الحجر واللام للعهد ؞ تتخذون من
سهولها قصورا ؞ سهولة الارض مصدر ضد الحزونة او بعض سهولها جمع
سهل ضد الجبل ؞ وتنحتون الجبال بيوتا ؞ نصب على المفعولية اي من الجبال
بيوتا او حال مقدرة او معنى تتخذون فالمنصوبان مفعولاه ؞ فاذكروا
آلاء الله ؞ تعميم بعد التخصيص ؞ ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين
استكبروا من قومه للذين استضعفوا ؞ لم يلتفتوا الى صالح عليه السلام ولم
يخاطبوه استهانة به بل خاطبوا ضعفاء القوم الذين كانوا مؤمنين به
كما هو شأن الرسل في اول الامر مثل بلال وعمار وصهيب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ؞ لمن آمن منهم ؞ بدل باعادة الجار بدل الكل ان كان الضمير للقوم
وان كان للمستضعفين بعض كفار قومه ؞ اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
قالوا ذلك استهزاء ؞ قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
كان ظاهر الجواب نعم او بلى وانما عدلوا عن ذلك لان الاقرار بالرسالة
لا يستلزم الايمان لجواز الجحد ولان الايمان بما جاء به مستلزم للايمان به
فكان ابلغ من ظاهر الجواب ولان العدول فيه تنبيه على ان ارساله مما لا
يشك فيه عاقل وانما الكلام فيمن آمن ؞ قال الذين استكبروا انا بالذي

آمنتم

آمنتم به كافرون ؞ لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون لاشتماله على اعترافهم برسالته
فعقروا الناقة ؞ جرحوها ؞ اسنده الى الكل لوقوع الفعل بينهم وانما لم يذكر قتلها
اشارة الى ان مجرد العقر من العظائم لا لتعليق العذاب العظيم كان على
مجرد المس بالسوء ؞ وعتوا عن امر ربهم ؞ تجاوزوا عنه ؞ وقالوا يا صالح ائتنا
بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة ؞ اي بعد ثلثة ايام كقوله
في هود تمتعوا في داركم ثلثة ايام والرجفة الزلزلة وفي مواضع بدل الرجفة
الصيحة والتوفيق انهما كانتا معا فصح اخذ كل واحدة منهما فلا حاجة الى
حمل الرجفة على ناشئ عن الصيحة ؞ فاصبحوا في دارهم جاثمين ؞ ساقطين
على الارض ميتين من جثم الطائر بالارض تلبد بها واصبح بمعنى صار لان
هلاكهم كان ضحوة من النهار ؞ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة
ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ؞ خطابه بهذا بعد موتهم مثل
خطابه عليه السلام يوم بدر صرعى القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا او كان
هذا القول منه حين تولى عنهم بعد ما هموا بقتله ؞ ولوطا اذ قال لقومه
اي ارسلنا لوطا في وقت قوله او مفعول اذكروا اذ بدل منه ؞ أتأتون الفاحشة
واللام فيها للعهد كانها علم على الفواحش لا يذهب الذهن الى غيرها والاستفهام
للتوبيخ ؞ ما سبقكم بها من احد من العالمين ؞ كلام مستأنف مقرر للانكار
لان جرم مبتدع المعصية اعظم وفي الحديث ما قتل احد ظلما الا كان على ابن
آدم الاول كفل منه لانه اول من سن القتل رواه البخاري ؞ انكم لتأتون
الرجال شهوة ؞ من اتى المرأة اذا غشيها شهوة مفعول له وفيه تنبيه
الى البهيمية اي لا داعي لكم سواه من جهة العقل لطلب النسل ونحوه وقرأ نافع
وحفص انكم على الاخبار استئنافا وعلى الاول بيان لقوله أتأتون الفاحشة
وفائدة قوله من دون النساء قطع المعذرة ودفع توهم الضرورة ؞ بل انتم
قوم مسرفون ؞ اضراب عن الانكار الى بيان الحال التي اوجبت ارتكاب
الفاحشة وهي انهم قوم عادتهم الاسراف والتجاوز عن حدود الله تعالى
ولذلك وصفهم تارة بانهم قوم عادون وتارة بانهم قوم تجهلون ؞ وما
كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم ؞ اي لم يأتوا بما قاله
ولم يلتفتوا الى نصحه بل غاظهم ذلك وامروا باخراجه من قريتهم مع من
آمن به ؞ انهم اناس يتطهرون ؞ يبالغون في الطهارة قالوه تهكما ؞
فانجيناه واهله ؞ المؤمنين لقوله ؞ الا امرأته كانت من الغابرين ؞ الذين
بقوا في ديارهم وهم الهالكون لكونها على دين قومها والتذكير لتغليب الذكور
وامطرنا عليهم مطرا ؞ اي نوعا من المطر عجيبا وهي حجارة من سجيل والفرق

بين مطر وامطر ان في الثاني معنى الارسال وتعدى الى مفعولين الى المرسل بنفسه والى
اليه بعلى والاول يعدى الى واحد بنفسه وهو من اصابة المطر وقيل هما بمعنى واحد واستعمال
الثاني في الشر غالبا والاول في الخير ذكره الجوهري ∴ فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ∴
والمراد بنظر القلب وهو التدبر والخطاب عام قيل ان لوطا ابن عم ابراهيم
عليه السلام هاجر مع ابراهيم عليه السلام الى الشام فنزل سدوم وتزوج من
اهلها فارسل اليهم نبيا فدعاهم فلم يطيعوه فاهلكهم الله تعالى بان امطر عليهم الحجارة وقيل
امطر على المقيمين وخسف بالمسافرين وقيل كان رجل منهم بالحرم فبقى حجره في الجو
اربعين يوما الى ان خرج فوقع عليه فقتله وقيل كان خمس مدائن ∴ والى مدين اخاهم
شعيبا ∴ اى وارسلنا الى مدين عطف على نوحا الى قومه ومدين اسم بلدة سمى
باسم بانيها وهو مدين بن مديان بن ابراهيم وشعيب بن ميكيل من اولاد ابنه
لوطا ويسمى خطيب الانبياء لحسن قصها حسنه وغاية بلاغته في تبليغ الاحكام والدعاء
الى الله تعالى ∴ قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ∴
معجزة دالة على نبوتي وليست بمذكورة في القران كما لم يذكر معجزة كثير من الانبياء
واما محاربة عصى موسى للتنين وولادة الغنم الدرع وكانت هي الموعودة لموسى
ووقوع عصى آدم عليه السلام في يد موسى في المرات السبع لا يستقيم حملها في الآية عليه
لتأخرها عن هذه المقالة مع احتمالها كرامة موسى عليه السلام وارهاصا من نبوته ∴ فاوفوا
الكيل والميزان ∴ اى آلة الكيل لتعارنه مع الميزان ولقوله والمكيال في سورة هود وحمل
الميزان على المصدر بعيد غير مستعمل ∴ ولا تبخسوا الناس اشياءهم ∴ تعميم بعد التخصيص
وتصريح بما علم ضمنا وذكر الكيل والميزان لفرط احتياج الناس اليه المكيل والموزون
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ∴ اى بعدما اصلح الانبياء شأن اهلها بالشرع
القويم ويجوز ان يكون اضافة الى الفاعل مجازا كاضافة المكر الى الليل والنهار
ذلكم خير لكم ∴ اشارة الى ما امرهم به ونهاهم عنه اى العمل به والمراد بالخيرية الزيادة
المطلقة او في الانسانية وحسن الاحدوثة اذ لا خير فيما كانوا عليه او الكسب
والربح اذ لا بركة مع الخيانة ∴ ان كنتم مؤمنين ∴ مصدقين لقولي لانهم لم يكونوا
من الايمان في شيء ∴ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ∴ كانوا يتفرقون على الطرقات
يترصدون لمن يقصد شعيبا للايمان به توعدونه بالقتل وسائر انواع العذاب
وقيل كانوا يقطعون الطريق ويجوز ان يراد بكل صراط مناهج الحق وشعب
الدين من المعارف والاحكام والحدود على الايمان فان الايمان بضع وسبعون
شعبة والاول هو الوجه لقوله ∴ وتصدون عن سبيل الله ∴ ولقوله قل هذه سبيلي
وان هذا صراطي مستقيما صراط الله الذي له ما في السموات واضافة السبيل اليه
مثل ناقة الله ∴ من آمن به ∴ مفعول تصدون وتقدر لتوعدون اذ لو كان

الاعمال للاول لقيل تصدونه لانه المختار والمضارعان في موضع الحال من فاعل
تقعدون ∴ وتبغونها عوجا ∴ وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه فيها وتحريفكم
للناس على خلاف ما هي عليه ويجوز ان يكون تهكما بهم لانهم يطلبون ما هو محال في
حقها ∴ واذكروا اذ كنتم قليلا ∴ وقت كونكم قليلي العدد ∴ فكثركم ∴ في العدد
او كنتم مقلين فقراء فجعلكم مكثرين موسرين والذكر ذكر القلب والتدبر ليستوفوا
الشكر ∴ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ∴ من الامم وقيل هم قوم لوط
لقوله وما قوم لوط منكم ببعيد ∴ وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به
وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا ∴ امر للفريقين بالصبر والانتظار ∴ حتى يحكم الله بيننا ∴ بنصر
المؤمنين على الكافرين لقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين ∴ وهو خير الحاكمين ∴ اذ
لا يتصور في حكمه الظلم ولا معقب لحكمه ∴ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا ∴ لم يلتفتوا الى
نصحه وقابلوه على داب السفهاء بما يكره وهو احد الامرين واكدوه بالقسم لفرط
الاهتمام وشعيب وان لم يكن على ملتهم لكونه معصوما عن الكفر قبل النبوة ولكن غلب
عليه من آمن معه ولذلك اجرى الجواب على التغليب ∴ قال اولو كنا كارهين ∴ عطف
على مقدر اى نعود فيها ولو كنا كارهين لها والقول بان لو بمعنى ان ليس بشيء لان المعنى على
المضي ∴ قد افترينا على الله كذبا ∴ استئناف فيه معنى التعجب وادخل عليه قد للتحقيق
لا للتقريب من الحال وقيل قسم محذوف اللام ∴ ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ∴
شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه واذ بمعنى ان مصدرية والمعنى ان هممنا
بالعود في المستقبل فنحن في الحال مفترون باعتقاد حقية ما انتم عليه وبطلان ما نحن فيه
وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا ∴ اى يستحيل ذلك العود منا الا اذا
تعلقت مشيته تعالى به فانه يقع لا محالة وهذا صحيح في ان الكفر بمشيته تعالى ∴ وسع ربنا
كل شيء علما ∴ وما علمه لا بد من وقوعه ايمانا او كفرا ∴ على الله توكلنا ∴ وضع المظهر
موضع المضمر لان الالوهية تلائم التوكل والتفويض ∴ ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق ∴ من الفتاحة وهي الحكم والقاضي يسمى الفاتح وقوله بالحق لاظهار الوثوق
من الداعي بانه على الحق ∴ وانت خير الفاتحين ∴ لعدم تصور الجور منك ∴ وقال
الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون ∴ دينكم لانكم على
الحق وهو على الباطل او دنياكم لفوات ما كان يحصل لكم بالبخس والتطفيف
وانما عبر بالاستكبار اولا لملائمة الاخراج والاكراه على العود في ملتهم وثانيا بالكفر لانه
انكار بحت بعد ظهور الحق ∴ فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ∴ الزلزلة وفي
سورة هود الصيحة لاجتماعهما كانه قيل اتاهم العذاب من فوقهم ومن تحتهم ∴ الذين
كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها ∴ في القرية التي كانوا يريدون اخراج شعيب منها من غني

بالكسر اذا اقام كناية عن استيصالهم: الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين
الكاملين في الخسران لذهاب الدين والدنيا لهم لا من اتبع شعيبا كما زعموا
استئناف مقرر وصدر الاستئنافين بالموصول مبالغة في تشويه حالهم وتقبيح مآلهم
فتولى عنهم بعد اهلاكهم: وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي: اكد الكلام لتصور جرمهم
واحياء بصفة الانكار: ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين: كانه قيل لم تأسف
على قومك فاجاب بما اجاب او الكلام مع نفسه لما تأسف عليهم في بدء الامر ثم انب
نفسه بانهم كافرون لا وجه للاسى عليهم او الكلام مع قومه لكن لما وصفهم بالكفر عدل
عن الخطاب تبعيدا لهم: وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء
والضراء: مصدران بمعنى البؤس والضر الاول في البدن والثاني في المال: لعلهم
يتضرعون: لكي يتذللوا ويتبعوا الانبياء: ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة: اي
بعد ذلك اجرينا عليهم الصحة والنعم وطاب حالهم وصفا عيشهم: حتى عفوا
كثروا من العفو بمعنى الزيادة يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وفي الحديث
قصوا الشارب واعفوا اللحى: وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء
اي هذا من عادة الدهر مع اهله: فاخذناهم بغتة: فجأة: وهم لا يشعرون
كما فعل بقوم هود ظنوا ان في الغيم مطرا فكان فيه عذاب اليم وقوم لوط كانوا
نائمين على فرشهم وقت السحر: ولو ان اهل القرى المبعوث اليهم: آمنوا
بلسانهم: واتقوا: بقلوبهم لقوله عليه السلام انما التقوى هاهنا واشار الى صدره
وقيل اتقوا المعاصي: لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض: وسعنا عليهم
من جميع الجهات من قولهم باب فتح اي واسع وقارورة فتح اي واسعة وقيل بركات
السماء المطر والارض النبات: ولكن كذبوا: الانبياء: فاخذناهم: بالعذاب
بما كانوا يكسبون: بسبب كسبهم الكفر والمعاصي وفائدة لفظ كان الدلالة
على استمرارهم في ذلك وتكامل جناياتهم وحمل القرى على مكة وما حولها لا يستقيم
لان السورة مكية ولم يقع العذاب على اهل مكة ورسول الله بها لقوله وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم: افأمن اهل القرى: اي اهل مكة وما حولها عطف
على مقدر ودخله الاستفهام اي ابعد ما علموا حال اولئك وما نزل بهم آمنوا
تعجيب من تماديهم في الغفلة: ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون: اي كما اتى
قوم لوط مصدر في موقع الحال او وقت بيات او بمعنى التبييت كالسلام
بمعنى التسليم: وهم نائمون: حال من المستتر في بياتا ان كان حالا والا فمن
المنصوب في يأتيهم: اوأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون
لاهين عن امر الآخرة فهم كاللاعبين والضحى وقت ارتفاع النهار وقد يراد
وهو في الاصل ضوء الشمس سمي به الوقت المذكور لتكامل شعاع الشمس حينئذ

وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بسكون الواو على ان او عاطفة اي آمنوا احدى
العقوبتين: افأمنوا مكر الله: هو استدراجه اياهم من حيث لا يشعرون
وانما عطف الثاني بالواو وهذا بالفاء لان المعنى افاخذناهم بغتة لما صنعوا
ما صنعوا بعد ذلك امن اهل هذه القرى من مجيء بأسنا بياتا وآمنوا اتيانه
ضحى فالمنكر امنهم اتيان البأس في هذين الوقتين من غير ترتيب واما
الثالث فتكرير للاول على طريقة الجمع بعد التقسيم مبالغة في التحذير: فلا
يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون: الكاملون في الخسران: اولم يهد للذين
يرثون الارض من بعد اهلها: يخلفونهم ويملكون ديارهم وانما عدي يهدي
باللام لان معناه التبيين: ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم: ان الشان لو
نشاء عذبناهم كما فعلنا بمن قبلهم من المصرين فهو فاعل اولم يهد ومن قرأ
بالنون جعله مفعولا: ونطبع على قلوبهم: قلوب هؤلاء المصرين كلام مستأنف
على طريقة الاعتراض قاله الزجاج والفراء او عطف على ما دل عليه الكلام الى نحو
اي يغفلون عن الهداية ولا يستقيم عطفه على جواب لو لافضائه الى انتفاء
الطبع الذي دل على وجوده قوله فهم لا يعقلون تلك القرى هي المار ذكرها
مبتدأ وخبر: نقص عليك من انبائها: نقص اخبار سكانها من اصرارهم
وما لحقهم من العذاب بعده: ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات: المعجزات
الواضحة ازاحة للعذر والزاما للحجة: فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل
لكونهم مختوما على قلوبهم وانما زاد لفظ كان ولام الجحد مبالغة في نفي الايمان
عنهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين: مثل طبعنا على قلوب اهل
القرى المار ذكرهم نطبع على قلب كل كافر سبق علمنا بعدم ايمانه وانما
التفت الى الغيبة لان الطبع صفة قهر فناسب لفظ الجلالة الدالة على
الالوهية والقهر: وما وجدنا لاكثرهم من عهد: اي اكثر الناس وفاء بعهد
اعتراض بين قصة اصحاب القرى او لاكثر الامم المار ذكرهم والعهد ما اقروا به
في جواب الست بربكم او ما عاهدوا الله عليه عند الوقوع في الشدة من
قولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين: وان وجدنا اكثرهم
لفاسقين: وان الشان علمنا ان اكثرهم خارجون عن الطاعة متمردون
والوجدان بمعنى العلم لدخول اللام المستلزمة للمبتدأ والخبر: ثم بعثنا
من بعدهم موسى: اي بعد الرسل المذكورين او المرسل اليهم وانما لم يدرج قصة
موسى تحت تلك القصص ولم يسقها على ذلك النمط لاشتمالها على وقائع كثيرة
وغرائب عظيمة: باياتنا: معجزاتنا: فظلموا بها: كفروا بها ضمن معناه
للدلالة على ان الكفر منهم بتلك الآيات ظلم لانهم حدوا الاتباع عن الايمان

وآذوا من آمن بها او ظلموا انفسهم بكفرهم بها فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين :: تأمل وتدبر الخطاب عام :: وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين :: اليك والى قومك وانما وصفه برب العالمين ليدخل
فرعون فيهم واختار لفظة الرب رمزًا الى انه منعم يجب الايمان به شكرًا
لنعمته :: حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق :: جواب لتكذيبه اياه و
معناه واجب على اداء الرسالة على الوجه المطابق لنفس الامر هذا على قراءة
تشديد الياء كما هو قراءة نافع واما على قراءة غيره بسكون الياء فمحمول
على القلب مبالغة كان الوجوب الذي هو صفته سرى الى القول او ضمن
معنى لحريص او جعل قول الحق بمنزلة رجل يجب عليه شئ ثم جعل قابليته بمنزلة
الوجوب على قول الحق على طريقة الاستعارة المكنية وفرعون لقب
من ملك مصر كتبع لمن ملك اليمن والنجاشي لمن ملك الحبشة واسم
فرعون موسى قابوس وقيل اسمه وليد بن المصعب بن ريان ولشهرته بالعتو
والطغيان يشتق من اسمه الفعل فيقال تفرعن لكل من عتا وتجبر :: قد جئتكم
ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل :: الى موطن ابائهم وهي بلاد الشام
فانه كان استعبدهم بعد الانبياء :: قال ان كنت جئت باية فات بها
اي اظهر ما زعم انك جئت به :: ان كنت من الصادقين :: في دعوى
الرسالة :: فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين :: واضح لكل احد لا
يشك فيه والثعبان ضرب من الحيات طوال وعبر عنه في النمل بالجان وهي حية
بيضاء لاجتماع الصفتين فيها روي انه لما القاه صار ثعبانا اشعر فاتحا فاه بين لحييه
ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون
فوثب فرعون من سريره واستطلق بطنه ولم يكن احدث قبل كان يستفرغ ما يأكله
وحمل على الناس فانهزموا ومات من شدة الازدحام خمسة وعشرون الفا انسان
ونادى فرعون يا موسى خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه
فاذا هو عصا مثل ما كان :: ونزع يده :: من تحت مدرعته وكان عليه جبة صوف
فاخرج يده منها :: فاذا هي بيضاء :: بياضا نورانيا يغلب شعاعه شعاع الشمس
وكان موسى آدم شديد الادمة :: للناظرين :: متعلق ببيضاء والمعنى ان بياضها
كان خارقا للعادة يجتمع له النظار تعجبا واما قصة ولادته وتربية فرعون وفراره
بعد قتل القبطي ترك ذكره هنا لكونه مستوفا في القصص ولم يتعلق بذكره هنا غرض
قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم :: قد قالوا بهذه المقالة عند التشاور فحكي
هنا مقالة الملأ وفي الشعراء مقالته للملأ او هو القائل ابتداء وهذا الكلام للملأ
مع اتباعهم وقالوه للناس تبليغا عنه كما هو شأن الملوك فان الخاصة تبلغ اوامرهم

الى العامة

الى العامة ويؤيده قولهم ارجه واخاه :: يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون :: الامر
على حقيقته ان كان كلام الملأ مع فرعون ومعناه الاشارة ان كان كلام فرعون
مع قومه :: قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم ::
من الارجاء وهو التأخير اي اخره واخاه وحشر من ترى بلادك كل ساحر ماهر
لمعارضته وقرأ نافع في رواية قالون ارجه بكسر الهاء بلا همز وكذا ورش عنه الا انه وصل
كسر الهاء بالياء وابن كثير بالهمز ساكنة مع ضم الهاء الموصولة بالواو وكذا ابو عمرو
الا انه لم يوصل الضم وهشام عن ابن عامر كابي عمرو وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء
دون وصل وعاصم وحمزة بسكون الهاء دون الهمزة والكسائي بكسر الهاء دون الهمزة
والكسائي بكسر الهاء مع الصلة كورش :: وقرأ حمزة والكسائي سحار هاهنا وفي يونس
ويؤيده الاتفاق عليه في سورة الشعراء :: وجاء السحرة فرعون :: اي بعد ارسال
في طلبهم :: قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين :: استفهموا ليقوى اعتنائهم
فيكون ادعى للنصح وقرأ نافع وابن كثير وعاصم في رواية حفص على الاخبار جزما بوجوب
الاجر لعظم الامر :: قال نعم :: جواب عن الاستفهام او تصديق لذلك الخبر :: وانكم لمن
المقربين :: عطف على ما دل عليه نعم زادهم على ما تصوروه تحريضا لهم :: قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين :: خيروه كما هو دأب المتأدبين في المناظرة
وقولهم اما ان نكون نحن الملقين باقحام ضمير الفصل وتعريف الخبر يدل على انهم كانوا
راغبين في البداءة بهم اجابهم الى ذلك :: قال القوا :: تحقيرا لشأنهم وازدراء بهم
وثقة بما عنده :: فلما القوا سحروا اعين الناس :: خيلوا اليهم ما لا حقيقة له
واسترهبوهم :: ارهبوهم ارهابا شديدا والسين للتأكيد لا للطلب او كانهم استدعوا
رهبتهم :: وجاؤا بسحر عظيم :: روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا وجعلوا
فيها الزيبق فتوهموا انها تتحرك وانها حيات عظام بعضها راكبة فوق بعض :: و
اوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف :: من لقف بالكسر اذا تناوله
سريعا :: ما يأفكون :: اي القاه فتلقف ما زوروه وحرفوه من وجهه
من الافك وهو الصرف وانما وضع المضارع موضع الماضي استحضارا لتلك
الصورة الهائلة وقرأ حفص تلقف مخففا :: فوقع الحق :: اي ظهر بعد ما كان خفيا :: وبطل
ما كانوا يعملون :: ظهر بطلانه بحيث لم يبق فيه شبهة لما تلقفت تلك الحبال
والاخشاب فكانت عصا على هيئتها الاول قالت السحرة لو كان هذا سحرا
لازداد حجم العصا :: فغلبوا هنالك :: في ذلك المكان او الزمان :: وانقلبوا
صاغرين :: صاروا او رجعوا الى المدينة اذلاء ملزمين من الصغار وهو الذل
والقي السحرة ساجدين :: من شدة مبادرتهم الى السجود وكان ملقيا القاهم
او بهرهم الحق فلم يتمالكوا او القاهم الله تعالى على وجوههم من غير اختيار منهم فآمنوا

مختارين قالوا آمنا برب العالمين: لم يعطفه ايماء الى ان سجودهم كانه لم يتجاوز
عن هذا القول لشدة مسارعتهم الى الايمان: رب موسى وهارون: بدل من
رب العالمين دفع توهم ان رب العالمين اريد به فرعون لقوله ما علمت
لكم من اله غيري: قال فرعون آمنتم به: بموسى والاستفهام للانكار وقرا عاصم
في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي بتحقيق الهمزتين واسقط حفص الاولى [illegible]
قبل واوا مضا وفي الملك: قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
في مصر قبل ان تخرجوا الى المناظرة: لتخرجوا منها اهلها: اي القبط وتخلو لبني
اسرائيل: فسوف تعلمون: ما اجازيكم به من العقاب اجمال فصله بقوله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف تقطيعا ناشئا من المخالفة بان تقطع
اليد اليمنى مع الرجل اليسرى او بالعكس قيل انه اول من سن هذا العذاب
جعله الله تعالى جزاء قطاع الطريق لعظم جناياتهم ولذلك سمي فعلهم محاربة الله تعالى
ورسوله ثم لاصلبنكم اجمعين: وثم لتغليظه ثم على انه بعد القطع لم يصلبهم
على الفور بل تركهم زمانا منظرا وحين على الارض احتقارا لشانهم ولما افاد
هذا المعنى هنا ذكره بالواو وعن قتادة انهم كانوا اول النهار كفارا سحرة
وآخر النهار شهداء بررة او ان مصيرنا ومصيرك الى الله تعالى فيجازيك

في سائر السور اختصارا: قالوا انا الى ربنا منقلبون: فسقطا بوا وكنا العذاب لكونه وصلة الى لقاء الله تعالى صح

على ما فعلت بنا ويجازينا على اتباع الحق والصبر على عذابك او انا منقلبون
لامحالة سواء كان بقتلك او بطريق آخر من اسباب الموت: وما تنقم
منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا: ما تعيب منا الا ما هو
افضل المناقب واس المآثر ومنه ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب وفيه ايماء الى فرط حماقة فرعون حيث
جعل الايمان الذي لا يدانيه كمال سببا للقتل: ربنا افرغ علينا صبرا
افضه علينا من افرغت الماء عليه اذا غمرته به استعارة تبعية طلبوا
عند اشد العذاب اجزل العطا وقد روى البخاري انه قال عليه السلام
لم يعط احد عطاء خيرا واوسع من الصبر: وتوفنا مسلمين: منقادين
لقضائك: قال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض: بدعوة الناس الى مخالفتك روي انهم لما غلبوا آمن
بموسى ستمائة الف من بني اسرائيل فما لهم ذلك فقالوا هذه
المقالة: ويذرك والهتك: كان من فرط عتوه جعل اصناما لقومه
على طريقة عبدة الاصنام ليتقربوا بعبادتها اليه لدى الحاجة ولذلك
قال انا ربكم الاعلى وقيل كان يعبد الكواكب وليس بشيء لقوله تعالى
ما علمت لكم من اله غيري: ويذرك منصوب بالعطف على ليفسدوا واللام

للعاقبة

للعاقبة على طريقة قوله ليكون لهم عدوا وحزنا او جواب للاستفهام بالواو
كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
والمعنى ايكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك والهتك
قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم: كما كنا نفعل قبل ولادته لئلا
يعلم العامة انه المولود الذي تحدث الكهنة والمنجمون بزوال ملكنا
على يده وقرا ابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بضم النون
وفتح القاف وتشديد التاء وهو ابلغ واوفق بالمقام: وانا فوقهم
قاهرون: متصفون بصفة القهر لم تزل: قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا: جواب سؤال كانه قيل ماذا قال موسى حين قال فرعون
تلك المقالة وانما قال موسى لقومه ما قال تشجيعا لهم وتسلية بقوله
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده: فلا اعتبار بمقالته: والعاقبة
للمتقين: الجامعين من الطاعات واجتناب المعاصي وفرعون
وقومه ليسوا في شيء من ذلك وانما لم يسنده الى نفسه مع كونه جازما
بذلك هضما لنفسه: قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا: بالرسالة
بقتل الابناء والاستعباد: ومن بعد ما جئتنا: باعادة ذلك فنحن
اذا اظهرنا الجزع فلنا فيه معذرة: قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون: اتشكرون ما من به عليكم
من الامارة بعد الرق والعبودية ام تكفرون روي ان عمرو بن عبيد
دخل على المنصور قبل الخلافة فلم يكن على مائدته الا رغيفان فطلب
الزيادة لعمرو فلم يوجد رغيف آخر فقرا عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد
الخلافة فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون: ولقد اخذنا آل
فرعون بالسنين ونقص من الثمرات: بالجدب والقحط وقلة الامطار
والسنة غلبت على عام القحط لان الوقايع بها تؤرخ ولكثرة دورانها على
السنتهم: لعلهم يذكرون: ان ذلك بسبب كفرانهم الخارجي ولما كان
وقوع الخصب والرخاء كثيرا والسيئة التي تقابلهما نادرا اتى في
الاول باذا مع الماضي وفي الثاني بان مع المضارع ولا يرد قوله واذا
مس الانسان الضر لان المراد اتى ضر كان بالنسبة الى الانسان
المعرض الكافر للنعمة الجدير بان يصيبه كل آفة: قالوا لنا هذه مختصة
بنا لمزية فينا توجب الاختصاص: وان تصبهم سيئة: قحط وآفة
يطيروا بموسى ومن معه: يتشاءموا بهم ويقولون هذا بشؤمهم وهذا على
داب العرب فانهم كانوا يسمون التشؤم طيرا وطائرا وطيرة

تشاءمهم بالبارح ونعيق الغراب والآية دلت على فرط غباوتهم لأن دعوى
الاختصاص مع انهماكهم في الكفر والطغيان ونسبة السيئة الى من هو مستغرق
في شكر نعم الله تعالى قائم بأوامره ونواهيه نهاية الغي والجهالة الا انما طائرهم
عند الله اي ذلك الشؤم انما هو بقدر الله تعالى ومشيئته المسبب من كفرانهم
ومعاصيهم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وللتمادي بهم
في الغفلة صدر الجملة بحرف التنبيه وانما ولكن اكثرهم لا يعلمون الامور
على وجهها ليؤديهم ذلك الى العلم بان الامر كله لله وقيد الاكثر يدل على ان
قليلا منهم كانوا عالمين بذلك ولكن تابعوا الاكثر في هواهم وقالوا
مهما اصلها ما الشرطية زيد عليها ما التأكيد ولاستثقال التكرار قلبت
الالف هاء وقيل مركبة من مه الذي هو اسم الفعل بمعنى الكف وما الجزائية
ومحلها الرفع على الابتداء او النصب على شريطة التفسير تأتنا به اي
تحضرنا به من آية بيان لما وتسميتهم ما جاء به آية تهكم او على زعم موسى
لتسحرنا بها ذكر الضمير اولا وانثه ثانيا نظرا الى اللفظ والمعنى فما
نحن لك بمؤمنين اقناط لموسى عليه السلام وردع عن الاشتغال باظهار
المعجزات فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
الطوفان مصدر كالغفران من طاف بالشيء قيل مطروا ثمانية ايام في
ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا يقدر احد على الخروج من داره وامتلأت
بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء وبيوت بني اسرائيل مشتبكة
ولم يدخل فيها قطرة وامتنعوا بذلك عن اسباب المعاش وقيل هو الجدري
وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموت الذريع فا
استغاثوا لموسى عليه السلام فدعا لهم فارتفع عنهم فأقاموا شهرا
ثم نقضوا فأرسل عليهم الجراد فأكل كل شيء حتى الابواب والسقوف
والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل ولا أكل من اموالهم شيئا
ففزعوا الى موسى عليه السلام فدعا واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب
فرجع الجراد الى النواحي فلما كشف عنهم نقضوا العهد فسلط الله عليهم القمل
جمع قملة دويبة اصغر من القردان وعن ابي عبيدة هي كبار القردان وقيل هي
اولاد الجراد وقيل بنات جناحها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس
فأكل ما ابقاه الجراد وقيل لما عصوا بعد انكشاف الجراد كان الى جنبهم كثيب
فضربه موسى عليه السلام بعصاه فصار قملا فأخذ في اكل ابشارهم واشعارهم واشفار
عيونهم وحواجبهم فتابوا الى الله تعالى فانكشف عنهم فأقاموا شهرا ونقضوا التوبة
فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت بيوتهم وآنيتهم ضفادع وكان اذا

اراد

اراد القبطي التكلم وثبت الضفدع الى فيه وامتلأت مضاجعهم فلم يقدروا على
الرقاد فالتجأوا الى موسى فدعا الله فكشف ما بهم فأقاموا شهرا ثم نقضوا
العهد فأرسل الله تعالى عليهم الدم فصارت مياههم دماء فشكوا الى فرعون فقال
هذا من سحره فشرع يجمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فما يلي الاسرائيلي
يكون ماء قراحا وما يلي القبطي دما عبيطا حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها
الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فتفعله فيصير دما في فيها وقيل
جرى عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف قيل مكث موسى عليه السلام
فيهم عشرين سنة بعد قصة السحرة يدعوهم الى الله تعالى ويريهم الآيات يتولون
تارة وينقضون اخرى آيات مفصلات لا يشك العاقل انها من آيات
الله تعالى التي لا يقدر عليها غيره او فصل بعضها عن بعض بزمان ليعلم مآل توبتهم
بل هم مخلصون ام لا الزاما للحجة فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين
مستمرين على الاجرام ولما وقع عليهم الرجز هو العذاب المفصل وقيل هو الطاعون
ارسل عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك
فان النبوة عهد من الله تعالى لرسله كما يكتب الملوك للولاة العهود والمناشير
او بالذي عهده اليك من الاسرار والاسماء التي اذا دعوت بها اجابك
وعلى الوجهين الباء صلة او حال اي متوسلا بما عهد عندك او الباء للقسم
جوابه لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه في علم الله تعالى وهو الوقت المقدر
لاهلاكهم وقيل الى وقت عينوه لايمانهم كانوا عينوا وقتا يجتمع فيه الحاضر
والبادي والوجه هو الاول اذا هم ينكثون فاجئوا النكث ونقض العهد
جواب لما واذا الفجائية سدت مسد الفاء فانتقمنا منهم فأردنا
الانتقام لان ما يعقبه من الاغراق هو الانتقام ويحتمل كون الفاء تفسيرا
فأغرقناهم في اليم في البحر وقيل بحر لا يدرك قعره وقيل لجة بانهم كذبوا
بآياتنا اي ذلك الاغراق بسبب عن تكذيبهم بتلك الآيات وكانوا
عنها غافلين مستمرين على الغفلة اشارة الى ان ما حل بهم ليس ناشئا
من التكذيب وحده حتى لو تداركوا التكذيب لم يحل بهم ما حل واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون بذبح الابناء وسائر انواع الخدم
مشارق الارض ومغاربها ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد هلاك فرعون
والعمالقة وتمكنوا فيها التي باركنا فيها بالاشجار والانهار او بانها موطن الانبياء
ومثابة الاولياء وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ما وعده بقوله
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين

والحسنى تأنيث الاحسن واستعمال التمام بعلى مبالغة في انجاز الوعد كانه استعلام
وتمكن : بما صبروا : بسبب صبرهم حيث قال لهم موسى عليه السلام استعينوا بالله واصبروا
ودمرنا ما كان يصنع فرعون : اهلكنا واعدمنا مكايده ومحونا آثار تخيلاته واباطيله
من الدمار وهو الهلاك : وما كانوا يعرشون : من القصور والبنيان العالية
كصرح هامان وما رفعوه من الكروم والبساتين وقرأ ابو بكر عن عاصم وابن عامر
بضم الراء روي ان فرعون عاش اربعمائة عام لم يصبه مرض وشيد القصور فاهلكه
الله تعالى وما فيه في طرفة عين تمت قصته هنا : وجاوزنا ببني اسرائيل البحر : شرع
في قبائح بني اسرائيل وذكر ما قابلوا به نعم الله العظام من انواع الجهالات : فأتوا
على قوم يعكفون على اصنام لهم : يقبلون على عبادتها ملازمين من عكف على الشيء
اقبل عليه مواظبا والقوم كانوا من العمالقة الجبارين الذين امر الله تعالى بقتالهم
وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف والباقون بالفتح : قالوا يا موسى
اجعل لنا الها : نتقرب به ونجعله وسيلة الى المعبود الحقيقي : كما لهم آلهة يتبركون
بها : قال انكم قوم تجهلون : ذلكم الجهل يحدث منكم وقتا بعد وقت قيل تلك
التماثيل التي رأوها كانت على صورة البقر ومن هنالك مالوا الى عبادة العجل السامري
وفي بلاد الهند الى الآن طائفة من السامرة يعبدون البقر وقد سمعت جما غفيرا
ان ملوكهم يلطخون اشرف مواضعهم بروث البقر تقربا به الى الله تعالى واما ذبح البقر
فعندهم لا جريمة فوقها : ان هؤلاء متبر ما هم فيه : مهلك لا ثبات له من التبار
وهو الهلاك : وباطل ما كانوا يعملون : من عبادة الاصنام لا يؤيده دليل
فالاول بالنظر الى الاعتقاد والثاني بالنظر الى العمل ولذلك نسب الى الاول
الهلاك والى الثاني البطلان : قال اغير الله ابغيكم الها : ومعبودا من بغيته
الشيء طلبته له : وهو فضلكم على العالمين : بانواع الكرامات لم يشاركه في ذلك
احد ولا سبق لكم لذلك استحقاق واي فائدة في ذلك اذا كان هو المنفرد
واذ نجيناكم من آل فرعون : ابتداء كلام من الله تعالى تصديقا لموسى وتقريعا لبني
اسرائيل اي واذكروا تلك النعمة العظيمة وقرأ ابن عامر انجاكم فيكون من
مقول موسى عليه السلام والاول هو المختار لموافقته وواعدنا ولكونه اقعد معنى
وتغيير الاسلوب : يسومونكم سوء العذاب : يريدونكم عليه قهرا من سمته الشيء
اذا جبرته عليه وسوء العذاب من اضافة الصفة الى الموصوف : يقتلون
ابناءكم ويستحيون نساءكم : بيان لسوء العذاب وصيغة التفعيل للدلالة
على كثرة القتل وقرأ نافع يقتلوا بفتح الياء مخففا : وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم : في الانجاء نعمة عظيمة او في العذاب نقمة جسيمة : وواعدنا موسى
ثلثين ليلة واتممناها بعشر : لما كان بنوا اسرائيل بمصر وعدهم موسى بان

بأتيهم

بأتيهم بكتاب بعد هلاك فرعون يكون فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك
فرعون سأل موسى ربه ذلك الكتاب فامره بصوم ثلثين يوما وهو شهر ذي القعدة
فلما فرغ منه استاك فقال الله تعالى له اما علمت ان خلوف الصائم اطيب عندي
من ريح المسك فصام عشر ذي الحجة وقرأ ابو عمرو وعدنا باسقاط الالف حيث
وقع وهو المختار لان الوعد منه تعالى وحده وعليه رسم المصاحف : فتم ميقات ربه
اربعين ليلة : بالغا اربعين نصب على الحال وقيل خبر تم لانه فعل ناقص وانما ذكر
الليل وان كان الصوم في النهار لان الليالي غرر الايام : وقال موسى لاخيه هرون اخلفني
في قومي : كن خليفة عليهم لان هرون وان كان نبيا لكن كان موسى صاحب الشريعة
واقدم منه وان كان اصغر سنا منه : واصلح : ما يفسد منه من امور الدين لعلمه بحاله
بني اسرائيل : ولا تتبع سبيل المفسدين : ولا تسلك سبيل من يدعوك الى الافساد
فلما جاء موسى لميقاتنا : لوقتنا الذي وقتناه لمجيئه فاللام للاختصاص اي اختص
مجيئه بذلك الوقت ويقال له لام التبيين والتوقيت مثله اقم الصلوة
لدلوك الشمس : وكلمه ربه : من وراء حجاب : بلا واسطة : اي اسمعه كلامه القديم
بلا صوت وحرف او اوجد اصواتا وحروفا في سمعه فلما سمع الكلام هاج شوقه الى
رؤية المتكلم : قال رب ارني انظر اليك : ارني نفسك اي مكني من رؤيتك فانظر
اليك فاريك وهذا لان الرؤية مسبوقة بالنظر يقال نظرت الى الشيء فلم اره
قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني : علق رؤيته
الجبل مع استقراره ولا ريب انه امر ممكن فيكون المعلق عليه ايضا ممكنا ولا يلزم
من قوله لن تراني نفي امكان الرؤية مطلقا ولذلك لم يقل ذلك محال او لن
ارى ولا قيد المنفي بل بما يفيد التابيد وقد روى البخاري ومسلم عنه عليه السلام
انهم سترون ربكم كما ترون الشمس وقت الظهيرة ليس دونها سحاب وحمل الرؤية
على المعرفة لا وجه له لانه صرف الحقيقة من غير ضرورة والرؤية بخلق الله لا يستدعي
الجهة ومن جوز سماع كلامه من غير جهة ومنع الرؤية واستحالة كذلك فقد اتى بمحال لا
يرتضيه عاقل واما قوله لا تدركه الابصار فللعموم وبلا لانه الادراك هو الاحاطة
وتحقيق هذه المسئلة مع الاطناب في علم الكلام : فلما تجلى ربه للجبل : بعد ان خلق
فيه الرؤية : جعله دكا : مدكوكا متدترا ساويا للارض وقرأ حمزة والكسائي
دكاء ممدودا اي ارضا مستوية وكان في ذلك ارشاد لموسى الى انه مع تلك
القدرة في هذه الدار لا يمكن له ذلك : وخر موسى صعقا : مغشيا عليه من هول
ما رأى : فلما افاق قال سبحانك تبت اليك : من جراءتي واقدامي على تلك
المسئلة من غير استيذان : وانا اول المؤمنين : بان الرؤية في هذه الدار
لا يكون وله تفسير آخر تقدم : قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس

برسالاتي: باحكام التوراة فان لكل حكم رسالة من الله تعالى وقرا نافع وابن كثير بالتوحيد
وهذا اوفق بما بعده: وبكلامي: بتكليمي اياك: فخذ ما اتيتك: من الرسالة
والتقريب: وكن من الشاكرين: على هذه النعمة التي هي اقصى مراتب البشر
وان تفاوتت الافراد فيها ولو حصلت الرؤية لموسى لم يبق لسيد البشر ما
يمتاز به عن سائر الرسل فكانت مدخرة له صلى الله عليه وسلم: وكتبنا له في
الالواح من كل شيء: يحتاجون اليه في امر دينهم مثله واوتيت من كل شيء:
موعظة: بدل من محل المجرور: وتفصيلا لكل شيء: عطف على البدل اي وكتبنا
له في الالواح المواعظ وتفصيل الاحكام فالاول بالنظر الى الاعتقاد والثاني
الى العمل والالواح كانت عشرة وقيل سبعة كانت من زمرد او زبرجد
او ياقوت احمر وقيل من صخرة لينها موسى فقطعها موسى بيده: فخذها:
الالواح عطف على كتبنا بتقدير القول وجعله بدلا من فخذ والضمير للرسالة
بعيد بقوة: بجد وعزيمة كما هو شان اولي العزم: وامر قومك ياخذوا
باحسنها: ارشدهم الى الاولى والاخلق فان التوراة فيها الاحسن و
الحسن وهذا مثل قوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم: سأريكم دار الفاسقين
مصر دار فرعون واتباعه سترونها خاوية على عروشها او ديار عاد وثمود
في ممركم الى الارض المقدسة او جهنم يوم القيمة وانما ذكره بعد الامر بالاخذ
بما في التوراة من الاحكام تحذيرا عن المخالفة لشيء منها فيحل به ما حل باولئك
ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض: باهلاكهم وعدلهم بانهم
منصورون ويفعل بعد توبتهم ما فعل بفرعون او اصرفهم عن ابطال الايات
وان اجتهدوا وبذلوا وسعهم كما فعل بفرعون بعد ما افرغ جهده في ابطال
معجزات موسى: بغير الحق: صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو
دينهم الباطل او حال من الفاعل اي يتكبرون غير محقين فان المتكبر
حقا هو الله تعالى: وان يروا كل اية: يمكن اتيان الرسل بها: لا يؤمنوا بها
لان الطبع قد سد طريق الادراك عليهم: وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا: لان على ابصارهم غشاوة وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتح
الراء والشين وهما لغتان كالسقم والسقم: وان يروا سبيل الغي
يتخذوه سبيلا: لانهم عماة يقودهم الشيطان اليه: ذلك بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين: اي عدم الايمان بالايات وترك سبيل الرشاد و
سلوك سبيل الضلال بسبب تكذيبهم بالايات او ذلك الصرف للتكذيب
بالايات والغفلة عنها ذلك رفع على الابتداء او نصب على المصدر: والذين
كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة: اي ما وعدهم الله تعالى في الدار الاخرة من اضافة

المصدر

المصدر الى المفعول او الظرف: حبطت اعمالهم: لعدم الايمان الذي هو كالاساس
هل يجزون الا ما كانوا يعملون: لا يجزون الا جزاء اعمالهم: واتخذ قوم موسى من بعده:
من بعد ذهابه الى الطور شروع في نوع اخر من قبايح بني اسرائيل: من حليهم: جمع
حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي بكسر الحاء اتباعا لكسر اللام: عجلا جسدا
كسائر الاجساد: له خوار: هو صوت البقر قيل صار ذا لحم ودم وجعل فيه الحياة لانه رمى
فيه قبضة من تراب موطئ فرس جبريل وقيل بل كان ذا جوف فيه انابيب
وضعه السامري على مهب الريح فاذا دخل جوفه وسرى في تلك الانابيب يظهر
منه صوت يشبه صوت البقر فان قلت الحلي كان للقبط وكان مستعارا في
يد بني اسرائيل والغنايم لم يحل لاحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته بل كانوا
يجمعون الغنايم فيحرقونها بالنار قلت لعل موسى لم يطلع على تلك الحلي في ايدي بني اسرائيل
ولذلك احرق العجل بعد رجوعه ونسفه في اليم نسفا او نفعه بني اسرائيل منشاؤه
نقل القبط ابناءهم واستعبادهم اياهم يدل عليه قوله تعالى كم تركوا من جنات
وعيون: ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل وانما نسب الاتخاذ
الى قوم موسى والمتخذ هو السامري لرضاهم بذلك او لكونهم اتخذوه الها
يعبدونه: الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا: قدروا عدم اقتداره على ما
يقدر عليه احاد البشر من مجرد الكلام والهداية الى السبيل ومع ذلك اتخذوه
الها تفريع على فرط ضلالتهم: اتخذوه وكانوا ظالمين: اعاده مقيدا بما يفيده
زيادة التوبيخ اي ليس ذلك الاتخاذ اول منكر صدر منهم بل دابهم الاستمرار
على وضع الاشياء في غير موضعها: ولما سقط في ايديهم: اي ندموا غاية الندم لان
من اشتد ندمه يعض بنانه قال الشاعر وكاني سبابة المتندم واصل التركيب
سقط افواههم في ايديهم حتى كانهم لم يتمالكوا بل كانوا عضوا الايدي من غير اختيار منهم
فالكلام كناية ايمائية: وراوا انهم قد ضلوا: ظهر لهم ظهور المحسوس: قالوا لئن لم يرحمنا
ربنا: بانزال التوبة: ويغفر لنا: ما صدر منا: لنكونن من الخاسرين: الكاملين في
الخسران وقرا حمزة والكسائي الفعلين بالخطاب ونصب ربنا على النداء و
الخطاب ارفق بالمقام لدلالته على الاستكانة لمن يقبل التوبة من عباده و
الغيبة حكاية فيما بينهم: ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا: اخبره تعالى بقوله
انا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع الى قومه والاسف
الحزين وفي الحديث ان ابا بكر رجل اسيف اي حزين بكاء: قال بئسما خلفتموني
والخطاب لهارون ومن معه من المؤمنين لقوله لهارون اخلفني في قومي وفاعل
بئس مضمر يفسره ما والمخصوص محذوف تقديره بئس خلافة خلفتموها
خلافتكم: من بعدي: اي بعد ما رايتم من التوحيد والذب عن عبادة غير الله تعالى

وحمل التعدية على تعدية الانطلاق يأباه لفظة الخلافة وجعل من قبيل الجهرته
يعني لا يناسب المقام. اعجلتم امر ربكم: ما امركم به من الانتظار اربعين
يوما يقال عجل زيد عن امره اي تركه غير تام فضمن معنى السبق او حذف
عنه الجار روي ان موسى عليه السلام وعدهم بالرجوع في اربعين يوما فعدوا عشرين
يوما اربعين اعتدادا بالليالي لفرط بلادتهم. والقى الالواح: التي كان فيها
التوراة لفرط غضبه وكان مشهورا بالحدة والشدة في الدين وهارون
عكس ذلك من سلامة الاخلاق ولين العريكة ولذلك كان احب الى بني
اسرائيل. واخذ براس اخيه يجره: ظنا منه انه قصر في الخلافة ومن قلع عين
ملك الموت حين دعاه الى الموت لا يبعد منه ان يفعل مع اخيه ما فعل
اذا عبد العجل. قال يا ابن ام: نسبه الى الام وان كانا اخوين من اب وام
ترقيقا له بانهما ولدا من بطن وارتضعا من ثدي وقرا ابن عامر وابو بكر عن
عاصم وحمزة والكسائي بكسر الميم ههنا اي بحذف الياء اكتفاء بالكسر
والباقون بفتح الميم تشبيها بخمسة عشر زوما للتخفيف. ان القوم استضعفوني:
عدوني ضعيفا. وكادوا يقتلونني: ازاح ذلك توهم بانه بالغ في النصح حتى
قاربوا قتله وبهذا القدر كان واجبا عليه من النهي عن المنكر. فلا تشمت بي الاعداء:
لا تجعلهم فرحين بي من الشماتة وهي فرح العدو بما نزل بعدوه. ولا تجعلني
مع القوم الظالمين: في عدادهم وقرينهم. قال رب اغفر لي: ما فرط من القاء
الالواح المسطور فيها من كلامك وعدواني على اخي. ولاخي: ان ندر منه
تقصير. وادخلنا برحمتك: الواسعة كل شيء. وانت ارحم الراحمين:
تجزي النوال على قليل من الشكر. ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب
من ربهم: ابتداء كلام منه تعالى بان من عبد العجل وان لم يصبه على العفو جزاء
جريمته فسينالهم غضب الله وانتقامه وهؤلاء ان كانوا هم التائبين
فالغضب هو قتلهم انفسهم وان كانوا غير التائبين فعذاب الآخرة
وذلة في الحياة الدنيا: بخروجهم عن ديارهم لان ذلة الغربة شديدة
وقيل ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير في زمن رسول الله عليه السلام
من القتل والجلاء. وكذلك نجزي المفترين: على الله تعالى ولا فرية اعظم من ادعاء الالوهية
في ولد البقر. والذين عملوا السيئات: الكفر وسائر المعاصي. ثم تابوا من بعدها:
الى الله منها. وآمنوا: اخلصوا الايمان واتوا بما هو من مواجبه وهي الاعمال الصالحة.
ان ربك من بعدها لغفور: ستار لتلك المعاصي. رحيم: يبدلها حسنات
ومن تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات. ولما سكت
عن موسى الغضب: باعتذار اخيه وتوبة القوم شبه الغضب بالحامل والمغري له على

فعل وسكونه بالسكوت. اخذ الالواح: التي القاها. وفي نسختها: وفيما نسخ فيها
فعلة بمعنى المفعول كالغبطة والنخبة. هدى: الى الرشاد. ورحمة للذين هم لربهم
يرهبون: دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بتقدم المفعول مثل ان كنتم
للرؤيا تعبرون او المفعول محذوف واللام للتعليل اي يرهبون المعاصي لله تعالى
لا لامر آخر. واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا: اي من قومه فحذف
الجار واوصل الفعل وهذا كثير في فصيح الكلام اذا امن اللبس روي انه تعالى امره
ان يأتيه الى الطور في سبعين رجلا من قومه من كل سبط فرقة ليسمعوا كلامه تعالى مع موسى
بالاوامر والنواهي فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة فاختار من كل سبط
ستة نفر او اثنان فتشاحوا في التخلف فقال موسى من يتخلف له اجر من
حضر فقام يوشع وكالب التخلف فخرج موسى متقدما قومه كما اخبر عنه وما اعجلك
عن قومك يا موسى قبل قدومهم وحضورهم كان سؤال رؤيته وما جرى له من
الصعقة واندكاك الجبل وانابته فقال له بعد ذلك عن تقدمه على قومه مع
انه كان مأمورا باستصحابهم فاجاب بان موجب التقدم هو المسارعة الى
مرضاته فقال انا قد فتنا قومك من بعد ذهابك واضلهم السامري فرجع
موسى الى قومه وجرى مع اخيه وقومه ما حكاه الله تعالى في كتابه وعاد الى الطور ومعه
سبعون رجلا فلما دنوا من الجبل غشيته غمامة فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام
وخروا سجدا فسمعوا كلامه بالاوامر والنواهي فلما انكشف الغمام قالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فلما اخذتهم الرجفة: رجف بهم الجبل فخروا
امواتا لقوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم فان قلت قوله تعالى في سورة النساء
فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات يدل
على ان اتخاذ العجل متاخر عن رجفة الجبل بهم قلت ثم هناك محمول على
التراخي الرتبي للاتفاق على ان اتخاذ العجل كان قبل مجيء موسى بالتوراة ولانه
حكى في سورة البقرة قصة العجل قبل اخذ الصاعقة والقرآن يفسر بعضه بعضا
قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي: اي لو شئت هلاكهم وهلاكي من قبل
تمكنت قادرا ولم تفعله فنحن نرجو رحمتك وقيل عنى هلاكهم وهلاكه خوفا من قومه
لئلا يقولوا له انت اهلكتهم روي هذا عن مقاتل وهو بعيد لما رواه البخاري لا
يتمنى احدكم الموت لضر نزل به. اتهلكنا بما فعل السفهاء منا: من طلب الرؤية
عيانا فالاستفهام على حقيقته لانه يفعل ما يشاء في هلكه او بمعنى النفي لا تفعل
ذلك لانك لا تاخذ احدا بجريمة الآخر ولعل ذلك السؤال كان من بعدهم
وقيل المراد بفعل السفهاء عبادة العجل لان موسى اختار السبعين لميقات التوبة
وليس بشيء لان التوبة عن عبادة العجل لم يكن لها ميقات بل التوبة عنها كان بقتل

انفسهم ولا تقدم من انّ اختيار السبعين كان قبل عبادة العجل : ان هي الا
الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء : انت الذي ابتليتهم و
وسببت لهم اسباب تلك الجرأة منك العفو ايضا بر تجي : انت ولينا متولي
امورنا والقائم بها : فاغفر لنا : ما فرط منا : وارحمنا : وتفضل علينا بعد العفو نعمك
وانت خير الغافرين : تكتب بعد التوبة مكان السيئة الحسنة وفي الحديث من هم بسيئة
ولم يعملها كتبت له حسنة وانما فصل الآية الاولى بارحم الراحمين لان غضبه كان تبه
والحدث تراه اخيه بخلاف سؤال الرؤية من قومه فانها جريمة عظيمة يناسب الغفران
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة : عيشة طيبة من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو
مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة : وفي الآخرة : بدخول الجنة والفوز بلقائك : انا هدنا
اليك : اي تبنا من هاد يهود اذا تاب وهو كالعلة للسؤال السابق : قال
عذابي اصيب به من اشاء : لا علة لصنعي ناظر الى قوله ان هي الا فتنتك : ورحمتي
وسعت كل شيء : لم تخل عنها ذرة لان اول الكمالات هو الوجود ذات مل الكائنات
فسأكتبها : قد كتبتها فالسين للمبالغة والمضارع للتصوير بصورة الحاضر فسا
ظهرها : للذين يتقون : الكفر والمعاصي : ويؤتون الزكاة : افرده بالذكر لكونه اشرف
واشق وهذا لامة موسى ثم اردفه بمن يؤمن من اهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه وسلم
بقوله والذين هم باياتنا يؤمنون : بكلها لا يفرقون بين احد من رسله : الذين يتبعون
الرسول النبي : خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره يامرهم او بدل من الذين هم باياتنا
يؤمنون بدل الكل لا البعض وجعله بدلا عن الذين يتقون انما يستقيم اذا جعل الواو
المتوسطة لتغاير الصفات وهو خلاف الظاهر مع انه لم يبق لمتقي امة موسى
ذكر مع تلك الرحمة المدخرة وانما قدم الرسول مع كونه اخص والقياس تاخيره
تقدما لاشرف الوصفين او لكونه رسولا من الله نبيا مخبرا لامته : النبي الامي
هو من لا يكتب منسوب الى امه : اي هو على جبلته والعرب كانت تسمى امية
لعزة الكتابة فيهم قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا او هو وصف كمال نافي
للريب عما اتى به قال تعالى ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون : الذين يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل : الكتابين المختصين بهم باسمه وعلاماته : يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر : يحتمل ان يكون هذا ايضا في التورية والانجيل او هو
وصف مدح له ابتداء منه تعالى : ويحل لهم الطيبات : ما كان محرما عليهم في شريعة موسى
ويحرم عليهم الخبائث : من الدم والميتة ولحم الخنزير والربوا والرشوة : ويضع عنهم
اصرهم : اصله الحبس والضيق وفي الحديث من تاخر عن الجمعة له كفلان من الاصر
اي الاثم وعليه يحمل هنا التكاليف الشاقة علمت من قوله والاغلال التي كانت
عليهم : جمع غل وهو القيد شبهت بها التكاليف الشاقة في شريعة موسى عليه السلام

من بت القضاء بالقصاص وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة
في الثوب والعضو وعن عطا انهم كانوا يغلون ايديهم الى اعناقهم في الصلوة
وقرا ابن عامر آصارهم بصيغة الجمع وهو المختار لكونه نصا في الانواع ولموافقة
للاغلال : فالذين آمنوا به وعزروه : نصروه مرة بعد اخرى واصله المنع : و
نصروه : من عطف العام على الخاص او اريد بالتعزير لازمه وهو التعظيم والتوقير
واتبعوا النور الذي انزل معه : النور هو القران لانه اماط ظلمة الجهل والمراد
انزاله مع نبوته او الظرف متعلق باتبعوا اي اتبعوا القران مع اتباع النبي
في اقواله وافعاله فيكون وصفا لهم بالايمان بشريعته : اولئك هم المفلحون
الفائزون بكل بغية : قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا : بين لهم
ان شانه مباين لشان سائر الانبياء فانه مبعوث الى الناس كافة
لئلا يظنوا انه مبعوث الى العرب وقد رفع البخاري اليه عليه السلام انه قال بعثت
الى الاحمر والاسود وكان كل نبي يبعث الى قومه : الذي له ملك السموات
والارض : الذي جر على الوصف وتوسط الجار والمجرور مع ما يتعلق به
لا يقدح في ذلك او بدل او مدح مرفوع او منصوب او مبتدا خبره : لا اله
الا هو : وقيل على الوجوه الاول بدل اشتمال من الصلة : يحيي ويميت
يقرر معنى الالوهية لان المتفرد بها له الاحياء والاماتة : فآمنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته : وكتبه المنزلة وفي هذا الحث
ترغيب لهم في الايمان فانه مصدق بالكتب المنزلة على سائر الانبياء
وانما التفت الى الغيبة اشارة الى ان المامور باتباعه هو هذا الموصوف
كائنا من كان اظهارا للنصفة وتفاديا عن التزكية : واتبعوه : فيما
يامركم به : لعلكم تهتدون : لكي ترشدوا وانما ختم الاية الاولى بالفلاح وهذه
بالاهتداء لان مضمون تلك الاية ان المتصف بتلك الصفات مفلح
ومضمون هذه الامر بالاتباع للاهتداء الى الحق الموصل الى ذلك الفلاح وقدمه
في الذكر لكونه مقصودا بالذات : ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه
يعدلون : اي من بني اسرائيل طائفة على الحق يدعون اليه وبالحق يعدلون
في الاحكام هم الذين آمنوا برسول الله عبد الله بن سلام واضرابه او هم الذين تمسكوا
بالحق في زمانه واستمروا على ذلك وقيل قوم وراء الصين مر عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فعلمهم عشر سور من القران ولم يكن نزل فريضة
بمكة غير الصلوة والزكوة وفيه ان الصلوة انما فرضت ليلة المعراج
اتفاقا ولم يكن للزكوة فرضية يومئذ قطعا وابعد من ذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرهم بالحج والحج فرض سنة ثمان من الهجرة : وقطعناهم

صيّرناهم فرقًا يمتاز بعضها عن بعض: اثنتي عشرة اسباطًا: مفعول ثان لان التقطيع ضمن معنى التصيير وانما جاء اسباطا وتميز ما عدا العشرة مفرد لانه بمعنى القبيلة لان السبط ولد الولد فلو قيل اثنتي عشر سبطا لفهم منه اثني عشر فردا وليس كذلك فالاسباط والقبيلة كالمترادفين: امما: اي وقطعناهم امما اي قبائل فان كل قبيلة منهم كانت امة عظيمة: واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست: اي فضرب فانبجست والحذف لامن الالتباس وفيه اشارة الى ان الموحى اليه لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن له تاثير في ذلك بل كان ذلك بمحض خلق الله تعالى: منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كل سبط: وظللنا عليهم الغمام: جعلناه ظلة تقيهم الحر: وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول: وما ظلمونا: بطلب البقل والعدس: ولكن كانوا انفسهم يظلمون: ينقصون حظها: واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية: بيت المقدس: وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا: سبق تفسيره في اول البقرة ولا تنافي بين الواو والفاء ولا بين تقديم ادخلوا هناك وتاخيره هنا: نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين: وقرا نافع وابن عامر تغفر بضم تاء التانيث وفتح الفاء وابو عمرو وابن كثير والكوفيون بالنون وكسر الفاء وقرا ابن عامر خطيئتكم بالتوحيد والرفع وقرا نافع ايضا بالرفع بالجمع مصححا وابو عمرو بالجمع مكسّرا خطاياكم والباقون مصححا منصوبا والمختار قراءة ابي عمرو وكثرة خطاياهم: فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون: والرجز هو الطاعون: واسألهم: يريد سؤال توبيخ لتذكرواكم قبيح فعل اصولهم ليظهر لك ان لهم في الطغيان سلفا غير صالح عن القرية: شان اهلها مجازا بالحذف: التي كانت حاضرة البحر: كائنة على شاطئه ايلة او طبرية او مدين: اذ يعدون في السبت: يتجاوزون حدود الله بالصيد ظرف كانت او حاضرة او بدل اشتمال من المضاف المحذوف: اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعض من البدل او بدل بعد بدل والحوت واحد الحيتان بمعنى السمكة: يوم سبتهم: يوم تعظيمهم مصدر سبتت اليهود عظمت ذلك اليوم وصله الراحة والسكون فانهم كانوا لا يشتغلون فيه بشيء: شرعا: شارعات من غمرة الماء الى الحد: ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون: بسبب خروجهم عن الطاعة روي انهم امروا بتعظيم يوم الجمعة فلم يفعلوا واختاروا السبت فحرم الله تعالى عليهم فيه الصيد ابتلاء فكانت الحيتان تاتيهم بارزة على وجه الماء وصله الى ان حل لا يرى وجه الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا ياتيهم لا يرون منها شيئا فلبثوا على ذلك برهة من الدهر ثم احتالوا وشرعوا شارع تدخلها الحيتان يوم السبت ويصطادونها يوم الاحد: واذ قالت

امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا: لما احتالوا تلك الحيلة قالت صلحاؤهم ارتدعوا عما تفعلون فان الله تعالى لا يمشي عليه الحيل وبالغوا في ذلك فلم يرفعوا لذلك راسا قال بعض العلماء لبعضهم لم تتعبون انفسكم في الوعظ والنصح مع قوم مصرين اراد الله استيصالهم في الدنيا او عذابا شديدا يوم القيمة وانما علموا احد الامرين من سنة الله في المجرمين: قالوا معذرة: جواب احدى الطائفتين من الصلحاء للاخرى اي استمرارنا على الوعظ اظهار عذر الى الله تعالى لئلا ينسب الينا تفريط في النصح وقرا حفص عن عاصم معذرة بالنصب مفعولا مطلقا او له والرفع اقعد واوفق لفظا لعلة الحذف الى ربكم ولعلهم يتقون: اذ ما داموا احياء يرجى منهم ذلك وقيل القائلون لم تعظون طائفة من الفرقة الهالكة قالوا ذلك للوعاظ تهكما على ذلك التقدير كان الخطاب لعلكم والاعتذار بان الغيبة باعتبار لفظ الطائفة: فلما نسوا ما ذكروا به تركوه ترك الناسي غير مبال به: انجينا الذين ينهون عن السوء: عن المنكر: واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس: شديد فعيل من بئس يبئس اشتدت حاجته وقرا نافع مكسور الباء وبياء ساكنة كعيس وابن عامر كذلك بهمزة ساكنة كبئر وابو بكر بفتح الباء وسكون الياء بعدها همزة مفتوحة كجعفر: بما كانوا يفسقون: بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه: تكبروا ورفعوا انفسهم عن الامتثال واصل العتو التجاوز عن الحد قال وقد بلغت من الكبر عتيا: قلنا لهم كونوا قردة: تعلقت ارادتنا بذلك بغير عنه بالقول على سنن الملوك او جرت عادته بايجاد الاشياء بلفظ كن: خاسئين صاغرين مطرودين من خسئ بالكسر اذا صغر روي ان الوعاظ لما يئسوا من قبول نصحهم قسموا القرية بجدار وتركوا بابا للطروق فاصبحوا يوما ولم يروا احدا من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فراوهم قردة ثم ماتوا بعد ثلثة ايام وفي الحديث لم يبق من الامم الممسوخة نسل: واذ تاذن ربك: تفعل من الاذن وهو الاعلام ومنه الاذان ولما في صيغته من المبالغة اجري مجرى فعل القسم: ليبعثن عليهم الى يوم القيمة: ليسلطن عليهم جواب القسم: من يسومهم يكلفهم من سمته كلفته: سوء العذاب: العذاب السوء من اضافة الصفة الى الموصوف وقد خرب بخت نصر بعد سليمان ديارهم وقتل كبارهم وسبى ذراريهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة والجزية لانقاذ رقهم: ان ربك لسريع العقاب لذلك عاقبهم في الدنيا وجعلهم نكالا وقد وصف نفسه بسرعة العقاب في آخر الانعام وهنا ولما كان هناك سوق الكلام مع المؤمنين لم يدخل اللام المؤكدة وهنا لما كان مع من عصى من اليهود بعد انزال باسه بهم اكده باللام ثم هذا لا ينافي وصفه بالحلم لان سرعة عقابه بالنظر الى عذاب الآخرة والا فقد امهلهم رويدا: وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن: وقطعناهم في الارض فرقناهم في اقطار الارض هذا ايضا من سخط الله عليهم لئلا يجتمعوا على كلمة فيحصل منهم ضرر

أُمَمًا: مفعول ثان او حال. منهم الصالحون: وهم الذين لم يحرفوا وآمنوا برسول الله
ومنهم دون ذلك: وبعضهم منحطون عن ذلك وهم الكفرة. وبلوناهم بالحسنات
والسيئات: عاملناهم معاملة المختبر بالنقل من الرخاء الى الشدة وبالعكس. لعلهم
يرجعون: عن ضلالتهم فان تقلب الاحوال يورث الانسان بصيرة وسلامة اخلاق.
فخلف من بعدهم خلف: بسكون اللام بدل سوء كان بفتح اللام بمعنى البدل وكل منهما
مفرد لفظا ومعناه قرن من الناس. ورثوا الكتاب: تعلموه من اسلافهم وفهموا ما فيه
ياخذون عرض هذا الادنى: متاع هذا الشيء الذي هو ادنى من الدنو او الدناءة والمراد به
الدنيا فانها ادنى شيء وذلك ما كانوا ياخذونه من الرشا على الاحكام وتحريف
الكلم والجملة حال من فاعل ورثوا. ويقولون سيغفر لنا: قولا بلا دليل كما قالوا لن
تمسنا النار الا اياما معدودة والجار والمجرور قائم مقام الفاعل او الفعل مسند الى المصدر
المدلول عليه بالفعل. وان ياتهم عرض مثله ياخذوه: اي هم مستمرون على الكبائر من غير
توبة استبعاد لما يدعونه مع ما هم فيه والجملة حال عن المجرور. الم يؤخذ عليهم ميثاق
الكتاب: اي في التوراة. ان لا يقولوا على الله الا الحق: بيان للميثاق او متعلق به والاستفهام
للتقرير والتوبيخ بانه قد اخذ عليهم العهد بذلك فكيف يقطعون بالمغفرة واهل السنة
وان جوزوا المغفرة لم يقطعوا بها فمن قال اهل السنة في هذه المسئلة كاليهود
ولم يعلم مقالة اهل السنة. ودرسوا ما فيه: قطع لعذرهم عطف على الم يؤخذ اي قد
اخذ عليهم الميثاق ودرسوا ما في الكتاب او على ورثوا وما بينهما اعتراض. والدار الآخرة
خير للذين يتقون: مما ياخذ هؤلاء. افلا تعقلون: يستعملون عقولهم ليعلموا
فيما هو الخير وقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالخطاب وفيه زيادة توبيخ. و
والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة: عطف على الذين يتقون او مبتدأ
خبره: انا لا نضيع اجر المصلحين: لان المصلحين هم المتمسكون بالكتاب وفيه اشارة
الى ان المانع من الاضاعة هو الاصلاح وقرا ابو بكر يمسكون مخففا وقراءة الجمهور
ابلغ وانما افرد الصلوة بالذكر مع دخولها في التمسك بالكتاب لانافتها. واذ نتقنا
الجبل فوقهم: الطور لقوله ورفعنا فوقهم الطور والنتق الرفع بعد القلع. كانه
ظلة: وهي كل ما اظلك. وظنوا انه واقع بهم: ابوا قبول احكام التوراة
لثقلها عليهم فرفع الله الطور فوقهم على قدر عسكرهم وكان مقدار فرسخ في
فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها من الاحكام والا ليسقطن عليكم فخروا ساجدين
على حاجبهم الايسر ينظرون بعينهم اليمنى فرقا من سقوطه فلذلك ترى اليهود
يسجدون على الحاجب الايسر ويقولون هي السجدة التي كانت سبب رفع
العذاب عنا. خذوا ما آتيناكم بقوة: بجد وعزم حال من الفاعل. واذكروا
ما فيه بالمواظبة على العمل. لعلكم تتقون: لكي تبلغوا درجة التقوى التي هي

اسنى

اسنى المراتب. واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا: ذكر بعض اليهود العهد الخاص بهم والميثاق
المكتوب عليهم في التوراة اردفه بالميثاق العام السابق في عالم الذر وقد اشار
اليه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن معنى الآية فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره
بيده فاستخرج من هو مولود الى يوم القيمة على صفة الذر وقال يا آدم هؤلاء ذريتك
اخذت عليهم العهد بان يعبدوني ولا يشركوا بي شيئا وعلى رزقهم ثم قال لهم
الست بربكم قالوا بلى فقولهم بلى اقرار بوحدانيته وذلك الاقرار هو الفطرة التي
يولد عليها كل مولود فان قلت في الحديث انه اخذ الذرية من ظهر آدم وفي الآية
من ظهور بني آدم قلت لا تنافي لان بنيه يخرجون من ظهره فالمخرج من ظهورهم مخرج
من ظهره وقد يقال ما في الآية هو اخراجهم على النمط المشاهد نسلا بعد نسل و
واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل وتشبيه
الحال بالحال وذلك انه لما ركب فيهم البصائر وافاض عليهم العقول المميزة بين
الحسن والقبيح ونصب لهم دلائل التوحيد وبثها في الآفاق والانفس بحيث
لم يبق لهم معذرة فكانه خاطبهم شفاها واقروا له كفاحا فان قلت على هذا التقدير
كيف يقع الحديث جوابا عما في الآية قلت هو من اسلوب الحكيم فان هذا كان كالتنبيه
وجعل طريق وصول اليه بالتدبر لم يلتفت اليه صلى الله عليه وسلم ووجه الى ذلك
الاخذ الذي لا يمكن الوقوف عليه الا بتوقيف منه وقرا ابن كثير والكوفيون ذريتهم
بالافراد وهو المختار لظهور الاستغراق فيه. ان تقولوا يوم القيمة: اي كراهة ان تقولوا
انا كنا عن هذا غافلين: ولا عتاب مع الغافل. او تقولوا: عطف على الاول وقرا
ابو عمرو كليهما بالياء على الغيبة والباقون بالخطاب التفاتا كما في الست بربكم والمختار
الغيبة جريا على السنن السابق. انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
لم نشعر الا اقتداء بهم. افتهلكنا بما فعل المبطلون: هم آباؤهم المتسببون للشرك
وكذلك نفصل الآيات: ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات. ولعلهم
يرجعون: ولكي يرجعوا الى الحق يفعل ما يفعل والضمائر لليهود خاصة ويخص بني آدم
بهم لان سوق الكلام لهم او لكافة الناس لاندراجهم فيهم. واتل عليهم: اي اليهود. نبا الذي
آتيناه آياتنا: عالم من علماء بني اسرائيل يسمى بلعم بن باعور كان في زمن موسى عليه السلام
فغزا موسى قومه فاستشفعوا اليه وبذلوا له الاموال فدعا عليه فحبس موسى في التيه وقيل
امية بن الصلت روي ذلك عن ابن عمر كان من كهان الجاهلية وكان يظن انه النبي
الموعود فلما بعث رسول الله مات حسدا وقيل عامر الراهب. فانسلخ منها: كما ينسلخ الحية
من جلدها كناية عن الكفر. فاتبعه الشيطان: فلحقه مبالغة في اللحوق كان بعد اللحوق جعله
تابعا له. فكان من الغاوين: فصار من حزبهم او كان منهم في علم الله تعالى. ولو شئنا

لرفعناه بها بتلك المعارف منازل العلماء الذين اوتوا العلم درجات ∴ ولكنه اخلد
الى الارض ∴ ركن اليها من اخلد فلان مال اليه ولازمه شبه العرض الدني مال اليه بالتراب
لسفالته ∴ واتبع هواه ∴ في ايثار الفاني على الباقي ودلت الاية على ان الكفر بمشيته
تعالى وانه لو شاء ايمانه كان واقعا ∴ فمثله كمثل الكلب ∴ حاله الخسيسة كحاله ∴ ان تحمل
عليه يلهث او تتركه يلهث ∴ الشرطية في موضع الحال اي هو دائم اللهث طرد اولم يطرد
واللهث اخراج اللسان وسائر الحيوانات انما يفعل ذلك عند الاعياء والكلب
لم يزل وكذلك الضلال في المتبع لازمه بمقتضى مشيته تعالى وعظ اولم يوعظ وقيل التشبيه
على ظاهره فانه لما دعا على موسى خرج لسانه حتى وقع على صدره ∴ ذلك مثل القوم
الذين كذبوا باياتنا ∴ من اليهود فانهم بدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرفوا
الكلم عن مواضعها وركنوا الى حطام الدنيا ∴ فاقصص القصص ∴ اي قصته من انسلخ من
آياتنا واخلد الى الارض لليهود فانهم على وصفه ∴ لعلهم يتفكرون ∴ فيؤديهم الى الحذر من
سوء العاقبة ويزدادوا ايقانا بنبوتك فانه لا يمكن العلم بذلك الا بالوحي اذ لم تتل
من قبله من كتاب ∴ ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا ∴ لما شبه حال اليهود
في التكذيب بايات الله لحطام الدنيا بحال الكلب اردفه بما وضع لانشاء الذم
مبالغة في التحذير وتقديره ساء مثلا مثل القوم او ساء اصحاب المثل القوم ∴ و
وانفسهم كانوا يظلمون ∴ عطف على كذبوا داخل في الصلة اي جمعوا بين التكذيب
وظلم انفسهم او منقطع والمعنى لم يظلموا بالتكذيب الا انفسهم لا تخطاهم وباله ∴ من
يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ∴ كالبيان لقوله ولو شئنا
لرفعناه بها وكالتذييل لقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وانما افرد الضمير في الاول وجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى وفيه اشارة الى
ان المؤمنين كواحد لاتحاد طريقتهم وفي الحديث المؤمنون كالشخص الواحد اذا اشتكى
راسه اشتكى كله وفي الاقتصار على الاهتداء ايماء الى انه وصف شريف لا يحتاج
الى امر آخر ∴ ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ∴ هم اهل الطبع والرين ∴ لهم قلوب
لا يفقهون بها ∴ خالية عن معرفة الحق والنظر في دلائله ∴ ولهم اعين لا يبصرون بها ∴ لا
يجتلي الآيات في الآفاق والانفس ∴ ولهم آذان لا يسمعون بها ∴ الآيات والنذر سماع
تدبر وتفكر ∴ اولئك كالانعام ∴ في الخلو عن المعرفة والاعتبار ∴ بل هم اضل منها ∴ لانها لا
تدرك ما فيها الضرر فتعدل عنها وهؤلاء موقنون بدخول النار ولا يرتدعون عن ارتكاب
مسالكها ∴ اولئك هم الغافلون ∴ الكاملون في الغفلة كالتاكيد للاولى ولذلك لم يدخل
العاطف وانما قدم البصر هنا والسمع في سائر الآيات لكون الآية مسبوقة للتشبيه
بالانعام وهي تفقد البصر اشد تضررا من فقد السمع لان مدار تعيشها في طلب الماء والكلأ
على حاسة البصر والاية تذييل لقصة اليهود وفيها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم

من

من الذين لا ينجع فيهم الآيات والنذر لكونهم مخلوقين للنار ∴ ولله الاسماء
الحسنى فادعوه بها ∴ لانها تدل على احسن المعاني وقيل المراد الاوصاف القائمة
فانه يطلق عليها الاسم يقال طار اسمه في الآفاق والمراد صفته الحسن وذروا
الذين يلحدون في اسمائه ∴ واتركوا الاسماء التي تسميه بها الزائغون عن
طريق الحق كما نسبت اليهود ويطلق عليه لفظ البخيل والفقير لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير واجلاف العرب يقولون يا ابا المكارم ويا ابيض الوجه
واهل الجاهلية اشتقوا من اسمائه تعالى اسماء آلهتهم كاللات والعزى من
العزيز والمعنى اعرضوا عن هؤلاء ∴ سيجزون ما كانوا يعملون ∴ وقرا حمزة يلحدون
بفتح الياء والحاء لغتان والضم اكثر واشهر ∴ وممن خلقنا امة يهدون بالحق
وبه يعدلون ∴ دل على قلتهم وفي الحديث عنه عليه السلام لا تزال طائفة من امتي
ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك
والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم ∴ استفعال لهم من الدرجة اما
استصعادا وانما استنزالا والمعنى سنستدنيهم من العذاب قليلا
قليلا ∴ من حيث لا يعلمون ∴ ما يراد بهم وذلك بتواتر النعم عليهم ليظنوا
انهم يستحقونها لمعنى فيهم كما قال قارون انما اوتيته على علم عندي ∴ واملي لهم
واحملهم ليزدادوا اثما وما يوجب مضاعفة العقاب ∴ ان كيدي ∴ اخذي
سماه كيدا لانه في الظاهر يرى لطفا واحسانا ∴ متين ∴ قوي شديد ماخوذ من المتن
وهو الظهر ∴ اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ∴ حالة من الجنون وعبر عنه بالصاحب
لان المصاحبة يظهر كذا من الاخلاق فلو كان به جنون لم يخف عليهم بعد طول الصحبة
ان هو الا نذير ∴ منذر ∴ مبين ∴ واضح الانذار قال الشاعر لقد ظهرت فلا تخفى على احد
الا على احد لا يعرف القمرا ∴ اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ∴ فعلوت من
الملك كالرهبوت من الرهبة يطلق على الملك الاعظم ∴ وما خلق الله من شيء ∴ اي شيء
كان وان كان ذرة فان فيها دلائل التوحيد من جهات شتى والاستفهام في
الموضعين للتعجيب من حال المكذبين وتماديهم في الغفلة ∴ وان عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم ∴ عطف على الملكوت وان مخففة من المثقلة يقدر فيها ضمير الشان لا مصدر
بها لان عسى لا مصدر له يؤول به والمعنى ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم فيسارعون الى طلب ما ينجيهم قبل مفاجاة الاجل وحلول العذاب ∴ فباي حديث
بعده يؤمنون ∴ اذا لم يؤمنوا به مع كونه متجاوزا طوق البشر او يتعلق بعسى ان يكون
قد اقترب اجلهم والمعنى اذا عاجلهم الموت من قبل الايمان بهذا القرآن لاي حديث
بعد ذلك يؤمنون به فعليهم الايمان قبل فوت الفرصة ∴ من يضلل الله فلا هادي له
اي ليس في صاحبهم جنة ولا في ملكوت السموات والارض من خفا في الدلالة

ولانه القرآن نوع اشتباه بل اراد الله ضلالهم ومن اراد ضلاله فلا احد يقدر على هدايته
ويذرهم في طغيانهم يعمهون وقرأ ابو عمرو والكوفيون بياء الغيبة جريا على السنن
السابق والباقون بالنون التفاتا وجزم الراء حمزة والكسائي عطفا على محل الجواب
والرفع على الاستئناف وخبر محذوف يعمهون في موضع النصب على الحال يسألونك
عن الساعة اي اليهود تعنتا وان كانوا عالمين بان علم الساعة شيء استأثر الله تعالى به
ولم يطلع احدا من خلقه عليه او مشركوا قريش يسألون عن شيء لا يعنيهم ويتركون ما هو
المهم والساعة من الاعلام الغالبة كالنجم والعيوق وسميت القيمة بالساعة لسرعة
حسابها او وقوعها بغتة او لطولها كما يقولون ابو الحبشي ابو الابيض وللزنجي كافور
ايان مرسيها متى وقوعها وثبوتها من ارست السفينة اذا اثبتها بالنجر وايان فعلان
من اي اصله الاوي وهو الرجوع لان ابعاض الزمان متساندة الى الكل وقيل مأخوذ
من اين وانكره ابن الجني لانه للمكان قل انما علمها عند ربي استأثر به لا يجليها
لوقتها الا هو لا طريق اليه لمن سواه ثقلت في السموات والارض اي شق عدم العلم
بها وخفاؤها على الملائكة والثقلين لان المستعد لمعرفة الشيء اذا انسد عليه طريق الوصول
اليه تام وكل على نفسه او توقع وقوعها وهول شدائدها او ثقل وقوعها على تلك الاجرام
اذ السماء انشقت ودكت الارض دكا وعلى الوجوه لفظة في استعارة للدلالة
على التمكن لا تأتيكم الا بغتة فجأة وفي الحديث انها تقوم والرجل يلوط حوضه
والرجل يسقي ماشيته فيدعها والحكمة في ذلك استدامة الخوف والحذر كل لحظة كالحكمة
في ابهام ليلة القدر تكثيرا للعبادة يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها من حفي الشيء
بحث عنه فان الباحث عن الشيء يرصن علمه به من اطلاق السبب وارادة المسبب
او من حفي الشيء اذا فرح به اي يسألونك عن تفرح بالسؤال والحال انك تكره ذلك
لعلمك بان لا طريق الى العلم او من الحفاوة وهي المحبة والبر لان قريشا سألته بالقرابة
ان يخبرهم بذلك والمعنى لو حصل لك علم بها لم يخفها عنهم كما هو دابك في سائر
الاحكام وعلى التقديرين عنها صلة يسألونك وعلى التقادير كأنك في موضع الحال
قل انما علمها عند الله وليس في الكلام تكرار لان السؤال اولا غير مقيد وفي انما علمها عند الله
زيادة ولكن اكثر الناس لا يعلمون قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا اي اذا لم يمكن
لي علم بما يتعاقب على نفسي التي هي اقرب الاشياء الي فكيف العلم بالساعة الا
ما شاء الله من ذلك منقطع او متصل على التأويل ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير من الاشياء النافعة في الدين والدنيا وما مسني السوء لاني ادفعه قبل حصوله
باسباب دافعة وانما قدم استجلاب الخير على دفع الضر مع ان دفع المفسدة مقدم
لان النفوس القدسية مطمح نظرها الامور الدينية ان انا الا نذير وبشير لا يخالف
حالي حالهم الا في هذين الوصفين لقوم يؤمنون خصهم بذلك لكونهم المنتفعين بهما

اوهو

او هو متعلق ببشيرا ومتعلق الاول محذوف للعلم به هو الذي خلقكم من نفس واحدة
خطاب لمشركي مكة بما فيه الامتنان والنفس الواحدة آدم عليه السلام
وجعل منها زوجها هي حواء خلقت من ضلعه الاعوج ليسكن اليها ليميل ويطمئن
اليها فان الشيء الى جنسه يميل وانما ذكر الضمير العائد الى النفس ذهابا الى المعنى لانها
نفس آدم وليناسب فلما تغشاها لان التغشي كناية عن الوقاع وهو فعل الزوج
حملت حملا خفيفا لم تتعب في حمله كما في الحبال وقيل الحمل الخفيف هو النطفة
فمرت به استمرت به حاملة لم يصب حملها آفة من ازلاق واخراج فلما اثقلت
صارت ذات ثقل بكبر الولد دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا صالحا
ودين ينتفع به ففي الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا عن ثلث ولد
صالح يدعو له بعد موته وعلم علمه الناس وصدقة جارية وقيل صالحا اي سويا
لا نقص في خلقه وقيل ذكرا لان الذكورة صفة صلاح وجودة لنكونن من الشاكرين
لتلك النعمة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما بان سميا المولود عبد
الحرث والحرث من اسماء ابليس روى الامام احمد والترمذي عن سمرة بن جندب
مرفوعا ان حواء كان لا يعيش لها ولد فوسوس اليها الشيطان وقال انه بمنزلة
واتته بدعولها ببقاء الولد ويكون اسمه عبد الحارث فسمياه بذلك الاسم والاعلام
وان لم يعتبر فيها المعاني الاصلية الا ان فيها ايماء اليها وهذا القدر منهما منكر ولذلك
استعظمه وسماه شركاء والاولى في تفسير الاية تقدير مضاف اي جعل اولادهما
شركاء وانما اسند الجعل اليهما لعلاقة السببية والمعنى وفيهما بموجب الشكر ولكن
تشتتا في احداث الشركاء وعلى هذا يظهر وجه قراءة شركاء ممدودا جمع شريك
وهي قراءة ابي عمرو وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ويتضح تفريع
فتعالى الله عما يشركون وعلى الاول يجب حمله على ان الفاء فصيحة وان الضمير
في يشركون لاهل مكة والحرث لم يرد بيانا للاية والقول بان الخطاب لقريش
لان قصيا كان له زوجة من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما
اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد الشمس وعبد قصي وعبد الدار فليس بشيء لان
المخاطبين بقوله خلقكم ليس كلهم من قريش وزوجته لم يكن ايضا قرشية
بل كانت خزاعية ولم يرد خبر يدل على انهما طلبا الولد على الوجه المذكور ايشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون استبعاد لان يكون مثله معبودا وانما اتى بضمير
العقلاء لزعمهم الالوهية فيها ولا يستطيعون لهم نصرا اي الاصنام للمشركين
ولا انفسهم ينصرون ترقي في العجز وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم خطاب
للمشركين اي ان طلبتم منها الهداية الى الحق لا يجيبوكم او ان دعوتم تلك الاصنام
الى الاهتداء لا يتبعوكم لعدم الادراك فهي عن الهداية ومقام الالوهية ابعد وهذا اوجه

وقرا نافع بالتخفيف من تبع والمعنى واحد سواء عليكم ادعوتموهم لذى لحاجات والمنى وفى
ام انتم صامتون مستمرون على الصمت وانما عدل الى الاسمية لان الدعا في اوقات
الحوائج بخلاف الصمت ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم مسخرون للعبادة
وان من شئ الا يسبح بحمده فادعوهم فليستجيبوا لكم فيما تدعونهم اليه ان كنتم صادقين
انها الهة وفيه اشارة الى ان الفارق اى وان كانوا مثلكم في نفس العبودية ولكنها دونكم
في الادراك وصدور الافعال ثم صرح بذلك فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها
ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها والترتيب على هذا النمط لان المدعو للنصرة
اول ما يحتاج اليه آلة المشى وهى الرجل ثم اليد بعد الحضور للفتك بالخصم ثم البصر للتوقى عن
مكايده ثم السمع بعد فقد الالات ليسمع المقال لدى المؤامرة فيورد ما عنده من الآراى
قل ادعوا شركاءكم تهكم بهم ثم كيدون فلا تنظرون فلا تمهلون ان وليى الله الذى
نزل الكتاب المعجز فهو قادر على اعجازه من يخاصمنى وهو يتولى الصالحين ذاتما فكيف
بالانبياء والرسل والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين صورة ولا ابصار خذ العفو
السهل من الامور ولا تعنته فانه ادعى لهم الى اتباعك وهو الفضل من المال و
وامر بالعرف بما عرف حسنه من الشرع مصدر بمعنى المفعول الكتفى به عن ذكر النهى
واعرض عن الجاهلين ان بذا انهم شئ تسوءك وهذا اذا لم يكن هتك حرمات الله
وعن عائشة رضى الله عنها لم ينتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم قط واذا انتهك
شئ من حرمات الله لم يقاومه احد والاية جامعة لمكارم الاخلاق سئلت عائشة
رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقرات
الاية قيل قال رسول الله لما نزلت كيف والغضب يغترى الانسان فنزل قوله
واما ينزغنك من الشيطان نزغ يصيبنك منه وسوسة وتسويل واصله
الطعن وفى الحديث صياح المولود حين يولد نزغة من الشيطان ويطلق
على الافساد كقوله من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى فاستعذ بالله
من نزغه انه سميع لمقالتك عليم باضطرارك منه فيجيبك الى ما استعذت
منه ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان وسوسة وتزيينه من طاف
يطوف وكانه عبر به لعدم تاثيره كالطائف حول الشئ او من طاف يطيف
طيفا واصل الطيف الجنون وفى حديث المبعث قال المشركون بهذا الغلام لمم
او طيف وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى طيف اما على المصدر او مخفف طيف
كلين ويحتمل الواو والياء تذكروا ما امروا به واحترزوا عن اغوائه والاية تقرير
وتعليل للامر بالاستعاذة فانه عادة قديمة لعباد المتقين فهو اولى به لانه يستدعى

فاذا هم

فاذا هم مبصرون بذلك التذكر مكايد الشيطان وعبر عن العلم الحاصل بعد التذكر
بالابصار مبالغة في تيقنهم به واخوانهم يمدونهم الضمير للشيطان لان المراد جنسه
في الغى في الضلالة بالتزيين والتسويل وقرا نافع يمدونهم بضم الياء من الامداد
والمعنى واحد يقال مد النهر انا قيته وامده زاده ثم لا يقصرون لا يمسكون
عن الاغواء حتى يردوهم مورد الهلاك فعلى هذا الخبر جار على ما هو له ويجوز ان
يرجع الضمير في يمدون الى الاخوان فيكون الخبر على اصله واذا لم تاتهم باية قالوا
لولا اجتبيتها اخترعتها واختلقتها زعما منهم ان ما تتلوه من الوحى مختلق
او لولا اقترحت على ربك ان كنت رسوله والاجتبا افتعال من الجباية وهى
اخراج الشئ من منطقته قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى ليس شانى الاختلاق
والاختراع هذا بصائر من ربكم ما يوحى الى وهو القران حجج قاطعة تورث البصائر
او هو كالبصائر للقلوب اطلاقا للسبب على المسبب او تشبيه بليغ وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا
لعلكم ترحمون خطاب للمؤمنين لما ذكر انه رحمة لهم دلهم على طريق الوصول
اليه وهو الاستماع له والانصات هو السكوت للاستماع قيل نزلت في الصلوة
فانهم كانوا يتكلمون فيها والامر كذلك في الصلوة محمول على الوجوب وفى غيرها
الاستحباب وحرمة الكلام والامام يخطب بالحديث والاستدلال به على عدم جواز
قراءة المأموم ليس بظاهر وان كان مرويا عن ابن عباس رضى الله عنه واذكر ربك
في نفسك تضرعا وخيفة ذكر القلب وهو ملاحظة جلال الله وعظمته تضرعا
وخيفة متضرعا وخائفا لانه خائف من سطوته ودون الجهر من القول بالصلاح
وهو السر الذى تسمعه انت ولا يسمع غيرك فانه اقرب الى القبول وابعد من الريا
وحيث لم يقيد يشمل جميع انواع الذكر بالغدو والآصال في اوقات الغدو والعشيات
لانها اشرف الاوقات ومظان الاجابة وقيل في جميع الاوقات وعبر بذكر
الطرفين والآصال من العصر الى المغرب ولا تكن من الغافلين النهى في امثاله للامته
او يهيج له والهاب ان الذين عند ربك هم الملائكة لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه يقدسونه عن الاحتياج الى عبادتهم بل انما يعبدونه تشرفا بعبادته
وله يسجدون لا لغيره فعليكم الاقتداء وفى التقديم وافادة الحصر تعريض لمن يشرك
في عبادته سورة الانفال مكية وايهاست وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
يسئلونك عن الانفال نزلت بعد وقعة بدر وهى اول سورة نزلت بعد الهجرة
او ابتداء بوقعة بدر فانها البطشة الكبرى الانفال جمع نفل بفتحتين وهى الغنيمة من
النفل وهو الزيادة ولذلك سمى ما عدا الفرائض نوافل ثم تسمية الغنيمة نفلا لانها
زيادة شرف لهذه الامة فانها لم تحل في شريعة وسبب نزول السورة ان المهاجرين

والانصار اختلفوا في الغنيمة يوم بدر كيف تقسم وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع الشبان وقتلوا سبعين واسروا سبعين
وطلبوا النفل المشروط وكان المال قليلا فقالت الشيوخ نحن كنا ردآء لكم وفئة
كيف تستبدون بها فنزل: قل الانفال لله والرسول: فقسمها رسول الله صلى الله
عليه وسلم سوآء واستدل به الشافعي رحمه الله على ان الامام اذا نفل لا يلزمه الوفآء به
وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي
ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله فما جاوزت الا قليلا فاذا ان
رسول الله وقال سألتني السيف ولم يكن لي والآن قد صار لي فاذهب وخذه
وذكر الله تعالى في امثاله للتعظيم: فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم: الاحوال التي
بينكم من التخالف والتخاصم في امر الغنيمة وابدلوها بالتحابب والاتفاق و
والتآلف والاضافة لملابسة كقوله تسقي غنى ذا اتاك اجمعا: واطيعوا الله
ورسوله ان كنتم مؤمنين: فان الايمان يقتضي التقوى وطاعة الله ورسوله واصلاح
ذات البين او ان كنتم كاملي الايمان وانما اتى بان لكونهم مؤمنين كملا
مقطوعا به لان ما بدا منهم في امر الغنيمة لم يكن منافيا لكمال الايمان: انما
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم: فزعا لذكر جلاله واستعظاما
لسطوته ولا ينافيه قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب لان ذلك باعتبار
صفة جماله وسعة الرحمة ولذلك كان العبد واقعا بين الخشية والرجاء
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا: لان تظاهر الادلة يوجب زيادة
الانكشاف ولذلك بث الله آيات التوحيد في الآفاق والانفس
والزيادة عند من يجعل الاعمال داخلة في الايمان ظاهرة ومن لم يذهب
الى ذلك يجعل الزيادة في الايمان الكامل والحق ان نفس التصديق ايضا
قابل للزيادة وان مراتب اليقين متفاوتة ولذلك ترى القوم يقولون
علم اليقين وفوقه عين اليقين ثم حق اليقين الذي لا رتبة فوقه واليه اشار
باب العلم كرم الله وجهه بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لبلوغه
الغاية القصوى: وعلى ربهم يتوكلون: يفوضون الامور لعلمهم بان لا مؤثر
الا قدرته ولا موجب الا ارادته: الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون: خصهما بالذكر لكونهما كالدليل على سائرها: اولئك هم المؤمنون
الموصوفون بتلك الصفات: حقا: صفة مصدر اي ايمانا حقا او مؤكد
للجملة كقولك زيد قائم حقا وبهذا استدل من منع الاستثناء في الايمان
والحق ان لا نزاع بين الفريقين لان من جوز الاستثناء انما جوزه نظرا الى

الخاتمة

الخاتمة لانه ليس موقوفا في الحال ومن منعه فانما منعه بالنظر اليه اذ لا ريب انه
لا طريق له الى العلم بالخاتمة: اولئك لهم درجات عند ربهم: منازل عالية في جوار
ربهم: ومغفرة: وتجاوز عما فرط منهم وانما قدم الدرجات على المغفرة لان الكلام
في الكمل من المؤمنين فالاهم معرفة الدرجات لا المغفرة لهم كالمقطوع به: و
رزق كريم: شريف لا آفة فيه ولا انقطاع: كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق: ملتبسا به مصاحبا له خبر مبتدأ محذوف اي كراهتهم تسويتك في الغنائم
بين الشبان والشيوخ او التنفيل مثل كراهتهم خروجك للحرب او صفة
مصدر محذوف اي الانفال استقرت لله تعالى مثل استقرار اخراج ربك من
بيتك والوجه الاول اولى لعدم التقدير وطول الفصل: وان فريقا من
المؤمنين لكارهون: في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك
ان ابا سفيان اقبل من الشام في عير فيه تجارة عظيمة لقريش وفي العير
اربعون راكبا منهم ابو سفيان بن حرب وعمرو بن العاص والقول بان
عمرو بن هشام كان منهم سهو لان عمرو بن هشام اسم ابي جهل وكان في
النفير دون العير وقيل في بدر فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبال
العير فاخبر المسلمين ففرحوا بذلك لعلمهم بكثرة المال وقلة الرجال فلما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها لاخذ الركب وبلغ ذلك اهل
مكة فصعد ابو جهل سطح الكعبة ونادى يا اهل مكة عيركم واموالكم ان اصابها
محمد لن تفلحوا ابدا واما ابو سفيان فانه خاف من خروج رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقصد العير فابعد عن الطريق واخذ ساحل البحر وارسل
يخبرهم بنجاة العير ويأمر اهل مكة بالرجوع فقال ابو جهل كلا والله حتى نرد
بدرا فنشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا المعازف والقينات
وتدور بنا الكاسات وتسمع العرب بانا قد خرجنا وحضرنا بدرا ولمجد
عاد ولم يظفر بما اراده فنزل جبريل واخبر رسول الله بامر العير وخروج قريش
وان الله وعده احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاختر ايهما شئت
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار فقال ان الله
وعدني احدى الطائفتين فايهما احب اليكم العير او النفير فقالوا العير احب
الينا لانا لم نخرج للقاء العدو وليس معنا العدة والعدد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اخذ العير ساحل البحر وابعد وهذا ابو جهل قد اقبل في كفار
قريش فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فلما علم ابو بكر وعمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد لقاء العدو فقاما وتكلما واحسنا في المقال
ثم قام سعد بن عبادة سيد الخزرج من الانصار وقال يا رسول الله امض لامرك

فوالله لو ذهبت الى عدن لم يتخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن الاسود
امض يا رسول الله لما امرك الله فانا لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت
وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون بل نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما
مقاتلون ثم قال رسول الله اشيروا علي ايها الناس وكان يريد بذلك الانصار لانهم
لما بايعوه ليلة العقبة قالوا انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فكان رسول الله
يتخوف ان لا يرى الانصار نصرته الا اذا كان مقيما بالمدينة فقال لذلك سعد بن معاذ
سيد الاوس فقام وقال كانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك
وايقنا ان ما جئت به هو الحق امض يا رسول الله لما اردته فوالله لو استعرضت بنا
هذا البحر لخضناه ولم يتخلف منا رجل وما نكره ان يلقانا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق
عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا يا رسول الله على بركة الله
فاستنار وجه رسول الله ونشطه قول سعد وقال سيروا على بركة الله وابشروا فاني لكاني
ارى مصارع القوم يجادلونك في الحق لقاء العدو بعد ما تبين لهم باعلامك
وكان الاولى بهم الانقياد والتسليم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي
بلغ كراهتهم لقاء العدو هذا المبلغ ولم يكن كراهتهم ذلك لجبن بهم بل لانهم لم يخرجوا
على اهبة القتال وكان الكلام من رسول الله على سبيل المؤامرة ولذلك لما علموا منه
العزم تكلموا في حسن المقال ولما لاقوا العدو فعلوا ما يفعله الابطال واذ يعدكم
الله احدى الطائفتين العير والنفير نصب على اضمار اذكر انها لكم بدل اشتمال
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي العير لقلة رجاله والشوكة شدة البأس
وحدة السلاح ماخوذ من الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته
الآية المنزلة لمحاربة ذات الشوكة وامداد المؤمنين بالملائكة وقتل الكفار واسرهم
ويقطع دابر الكافرين يستاصلهم دابر القوم آخرهم اي تريدون انتم المتاع الدني
العاجل والله يريد معالي الامور من هلاك العدو ونصرة الدين واعلاء الحق
والفوز في الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ما فعل اي لهذا الغرض
الذي هو سيد الاغراض اراد لكم لقاء العدو فلا تكرار اذ الاول لبيان مرادهم
وهذا لبيان تفاوت الغرض ولو كره المجرمون ما فعل اذ تستغيثون ربكم
بدل من اذ يعدكم او تعلق بقوله ليحق الحق وهذا اولى لان زمان الوعد غير زمان
الاستغاثة والبدل والمبدل متحدان ذاتا او منصوب باذكر لما تحققوا ان
لابد من القتال مع قلة العدد والعدد وكثرة العدو اخذوا في الاستغاثة
وطلب النصر من الله تعالى ولما صف رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين رجع الى
العريش ورفع يديه مستقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان
تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض وبالغ في رفع اليدين حتى سقط رداؤه

فقال

فقال ابو بكر كفاك مناشدتك فانه سينجز لك ما وعدك فخرج يثبت في
درعه وهو يقرا سيهزم الجمع ويولون الدبر فاستجاب لكم اني ممدكم اي بالامداد
وقرئ ان بالكسر لان الاستجابة نوع من القول بالف من الملائكة مردفين
متبعا بعضهم بعضا من اردفته اذا جئته تابعا وهي لغة اكثر العرب او متبعا
بعضهم بعضا من قولك اردفته اذا اتبعته قاله الزجاج والاخفش وعلى الوجهين
معناه تلاحق الملائكة الى ان بلغ خمسة آلاف فيوافق ما في آل عمران فيكون ذلك
تفصيلا لهذا الاجمال لكن تلك السورة متاخرة نزولا وقرا نافع مردفين بفتح الدال
على ان الله تعالى اردف الملائكة بعضها بعضا او اردفها المؤمنين فان قلت من فسر
المردفين بالملائكة المتبعين لمؤمنين او المتبعين اياهم كيف يوافق بين ما في السورتين
والقصة واحدة قلت له ان يقول الالف كان مقدمة المؤمنين ولا يلزم منه
انحصار الملائكة المنزلة للنصر فيهم وقد صحت الاحاديث بقتال الملائكة يوم بدر
وما جعله الله اي الامداد بالملائكة الا بشرى الا بشارة تثبت الفعل
ان اريد بالخبر فاطلق عليه البشارة ولتطمئن به قلوبكم اذا رايتم مدد السماء
وكثرة العدد وما النصر الا من عند الله لا اثر للكثرة كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة ان الله عزيز لا يغالب حكيم ينصر من يشاء لسبق حكمته
اذ يغشيكم النعاس منصوب باذكر او بما جعله الله وقيل تعلق بالنصر او بما
في عند الله من معنى الفعل وفيه ان النصر تقييد بذلك الوقت
مع ان المراد عمومه في سائر الازمان والمواطن وقرا نافع بضم الياء وتخفيف
الشين وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء واسكان الغين من باب فعل وفعل
والباقون بضم الياء وتشديد الشين والمختار قراءة ابن كثير وابي عمرو لاسناد
الفعل الى النعاس لكونه المباشر القريب ولاتفاق السبعة عليه في يغشى طائفة
منكم امنة امنا من الله مفعول له فان قلت فعلى قراءة ابن كثير وابي عمرو
كيف يكون مفعولا له وشرط نصبه ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا
قلت لما كان معنى يغشيكم النعاس تنعسون انتصب على ان النعاس والامنة
لهم والمعنى اذ تنعسون لامنكم ومنه صفة اي امنة حاصلة لكم من الله ويجوز ان يكون
الامنة فعل النعاس مجازا ولاصحابه حقيقة كما هو الشائع في نظائره وقد سلك
هذا المسلك من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا يهابك فهو نفار شرود وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته والزجر
لغة القذر فانهم نزلوا على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام ونزل المشركون على الماء
وناموا تلك الليلة فاحتلم اكثرهم فوسوس لهم الشيطان فقال انتم اصحاب
محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون مع الجنابة وقد عطشتم وهؤلاء لا ينتصرون

الآن يغلبكم العطش فيقتلون منكم من شاؤا ويسوقون بقيتكم اسرا فانزل
الله المطر الغزير حتى سال الوادي فاغتسلوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل حتى
تثبت عليه الاقدام. وليربط على قلوبكم: بزوال الوسوسة والوثوق بلطفه تعالى
ويثبت به الاقدام: بالمطر او بالربط وازالة الخوف حتى يثبتوا في المعركة. اذ يوحي
ربك الى الملائكة: متعلق بيثبت. اني معكم: بالاعانة والنصر وقرئ بالكسر
لان الوحي فيه معنى القول. فثبتوا الذين آمنوا: بكثرة العدد او بالبشارة
بان النصر لهم او بالمحاربة. سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب: تفسير
لقوله اني معكم فثبتوا ولا اعانة اقوى من القاء الرعب في قلوب الكفرة
ولا تثبيت اشد من ضرب الاعناق واجتماعهما نهاية النصر ويحتمل ان
يكون قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة وتعليما لهم ما يثبتون
به المؤمنين كانه قال لهم قولوا لهم قولي هذا ومن جعل سألقي في قلوب
الذين كفروا تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا بعد تفسير التثبيت بالبشارة
وتكثير العدد ثم جعل التفسير دليلا على ان الملائكة قاتلوا فقد التزم ما لا
يلزم. فاضربوا فوق الاعناق: اي المفصل بين الرأس والعنق لكونه امكن
للجز وقيل المراد به الرأس لانه المقتل يحتمل ما دنى ضرب. واضربوا منهم
كل بنان: البنان الاصابع جمع بنانة وقيل اطرافها وفائدة الضرب
عليها ابطال اليد فانها الجزء الاعظم في الحرب. ذلك: اي الضرب او الامر به
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او عام. بانهم شاقوا الله ورسوله:
خالفوهما من الشق وهو الجانب وانما سميت المخالفة مشاقة لان كلا من
المتعاديين يأخذ في شق الآخر وكذلك المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم
وهو الجانب. ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب: الخطاب
للكفار التفاتا ومحله الرفع على الابتداء او الخبر اي ذلكم العقاب او العقاب ذلكم
او النصب بما فسره. فذوقوه وان للكافرين عذاب النار: عطف على ذلكم والمعنى
ذلكم العقاب لكم ولكم عذاب النار في الآخرة او مفعول معه اي عذاب الدنيا
مقرونا بعذاب الآخرة وانما وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان العقبة
واستعمل الذوق مع عذاب الدنيا لانه كالمقدمة لعذاب الآخرة. يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا: جيشا يزحفون اليكم والزحف هو المشي
وقيل من زحف الصبي اذا مشى على استه اريد به الجيش الكثيف كانه لكثرته
يدب دبيبا قليلا والمعنى على هذا فلا تولوهم الادبار في هذه الحالة فضلا عن حالة
حازمت وانكم او قلتهم ونصبه على الحال اما من المفعول او منهما اي متزاحفين
او الفاعل فيكون مقدمة نهي عن الفرار يوم حنين لكونهم كانوا اثني عشر الفا

وقوله

وقوله: ومن يولهم يومئذ دبره: اشارة الى ذلك اليوم. الا متحرفا لقتال: يريد الكر خداعا
مع العدو وكثيرا ما يتعاطاه الابطال وقد شاهدنا ذلك في وقعة بين وقايع بني الاصفر
والحمد لله وقد انتصب على الحال والا لغو لا دخل له في النصب او استثناء من المولين
اي الا رجلا متحرفا. او متحيزا الى فئة: اي جماعة اخرى من المسلمين للاستعانة بهم
وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه كان في سرية وقد فروا حتى بلغوا المدينة فقالوا
يا رسول الله نحن الفرارون قال لا بل انتم الكرارون وانا فئتكم اي الكرارون ان
العطافون الى الحرب بعد التولي. فقد باء بغضب من الله: رجع به والتزمه من البواء
وهو اللزوم. ومأواه جهنم وبئس المصير: هذا اذا لم يزدادوا على الضعف كفارا وعدد
من الاثنين لقوله تعالى الآن خفف الله والقول بان الآية مخصوصة باهل بيته ومن
معه في الحرب لا وجه له لمخالفته الاجماع والفرار من الزحف اذا لم يبلغ العدو
الى ضعفه من الكبائر. فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم: روي انهم لما قتلوا من قتلوا
واسروا من اسروا طفقوا يفتخرون بما فعلوا فرد الله ذلك والقتل صورة وان كان
صادرا منهم ولكن لما كان بنصر الله وامداد الملائكة وقاء لهم نفى عنهم القتل وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي ولكن مخففا والذي بعده مع رفع الله. وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى: قيل نزل جبريل لما التقى الجمعان وقال خذ قبضة من الحصباء وارم بها في وجوه
المشركين فقال لعلي ناولني من حصباء الوادي قبضة فناوله فرمى بها وقال شاهت
الوجوه فلم يبق واحد منهم الا دخل عينيه منه شيء فشغلوا به وطفق المسلمون يقتلونهم
ويأسرونهم وسياق الآية ظاهر في ان ذلك كان يوم بدر واهل الحديث على
ان ذلك كان يوم احد والمعنى ان ذلك الرمي وان صدر منك مباشرة بعرف
الآلة ولكن ايصال التراب الى عيونهم كلهم مع كثرتهم وتفرقهم لم يكن الا بصنعه تعالى
وقيل ما رميت خلقا اذ رميت كسبا وليس بشيء لان افعال العباد كلها كذلك
فاي وجه لتخصيص ذلك بالرمي. وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا: وليعطي المؤمنين
عطاء جميلا جزيلا فعل ما فعل والعطاء اجزل من قهر العدو. ان الله سميع عليم: لسميع
استغاثتهم ويعلم نياتهم وقصدهم اعلاء كلمته. ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين: عطف
ذلكم لان الآية بعدها في تأويل المصدر اي المقصد من ذلك الفعل الخارق امران احدهما
بالذات وهو ابلاء المسلمين والآخر بالعرض وهو توهين كيد الكافرين وقرأ بتشديد الهاء
نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون باسكانها والاولى ابلغ وقرأ حفص كيد مخفوضا بالاضافة
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح: خطاب لاهل مكة فانهم لما ارادوا الخروج تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واكرم الحزبين واقرانا للضيف واوصلنا للرحم
ففيه تهكم بهم وقيل الخطاب للمؤمنين واستفتاحهم كان حين الاستغاثة والدعاء بالنصر
ويؤيد الاول قوله: وان تنتهوا: يا اهل مكة عن الكفر. فهو خير لكم: لتضمنه سلامة الدارين

واشتماله على سعادة المنزلين وان تعودوا الى معاداته والاصرار على الكفر نعد
بالنصر والاعانة ولن تغني عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء بعد وقعة بدر ارادوا
ان يجمعوا الجموع كما فعل ابو سفيان يوم احد ولو كثرت وان الله مع
المؤمنين وقرا نافع وابن عامر وحفص بالفتح اي ولان الله مع المؤمنين بالنصر و
والمعونة لن تغني عنكم فئتكم والباقون بالكسر وهذه ابلغ لان العلية تفهم منها مع
الاستقلال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تخاذلوه كما خاذلتم في وقعة
بدر ولا تولوا عنه ولا تعرضوا عنه في الحرب تقدمة نهي عما فعلوه يوم احد وانتم
تسمعون القرآن الامر بطاعته وتاييده وذكر الله تعالى امثاله للتوطئة ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا هم المنافقون وهم لا يسمعون سماع تفهم وتدبر ان شر الدواب
عند الله قدرا الصم عن استماع الحق البكم عن النطق به الذين لا يعقلون
لم يذكر العمى لان الكلام في امتثال اوامره والبصر لا مدخل له في ذلك جعلهم شر
الدواب لانها تسمع وتعقل ما لها فيه النفع ولو علم الله خيرا بالارعواء عن
الضلالة لاسمعهم سماع فهم وتدبر وقد علم استحالة ذلك منهم ولو اسمعهم
ذلك الاسماع لتولوا وهم معرضون واعرضوا لسبق العلم بانهم اهل الطبع و
وكلمة لو هنا مثلها في لو لم يخف الله لم يعصه وهو ان يكون تحقيق الشرط اولى
بترتيب الجزاء فالمعنى ان التولي منهم حاصل على تقدير الاسماع فعلى تقدير
عدمه بطريق الاولى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول الاجابة
والاستجابة بمعنى الاطاعة اذا دعاكم وقت دعائه وتوحيد الضمير لان
ذكر الله تعالى للتوطئة روى البخاري انه نادى ابا سعيد بن المعلى فابطا في
الاجابة فلما جاء قال لها وجب ابطاؤك قال كنت اصلي قال الم تسمع
قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم والقول بان المصلي اتى بسهود
والقول بان اجابته لا تبطل الصلوة اذ كان دعاؤه لامر لا يحتمل التاخير
ليس بشيء لان الكلام في الصلوة والانصراف عنها قصدا مبطل اجماعا وكون
الامر مما لا يحتمل التاخير ليس مخصوصا به لان من راى اعمى يقع في بئر يجب عليه قطع
صلوته اجماعا والاية مسوقة لبيان شرفه وان شانه يباين شان سائر
الناس لما يحييكم به من المعارف والحكم الالهية التي بها حياة القلوب
او الجهاد الذي هو مظنة الشهادة التي هي من سبب الحياة لقوله تعالى بل
عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فان قلوب بني آدم بين
اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء بيده الاسعاد والاشقاء فقلبكم
المسارعة الى اجابة رسوله لعله يلطف بكم وانه اليه تحشرون لا الى غيره
فاسعوا فيما يثمر لكم الاجر والثواب واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا

منكم

منكم خاصة اي ذنبا لا يخص عقابه طائفة منكم كتقرير المنكر بينكم والمداهنة
وسلوك طريق البدعة وافتراق الكلمة وعلى هذا قوله لا تصيبن جواب الامر
اي اتقوا فتنة لا تصيبكم فان اصابتكم لا تصيبن الذين ظلموا خاصة بل تعمكم فانهم
جواب الشرط المقدر بعد جواب الامر ونقامه لتنبيه عنه وعلى هذا من للتبعيض
ودخول النون المؤكدة لتضمن النفي معنى النهي مثل قوله لا يحطمنكم سليمان وهذا
وجه وجيه لما روت عائشة قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون
قال نعم اذا كثر الخبث ويجوز ان يكون لا تصيبن صفة فتنة نهيا على التاويل
اي مقولا فيها وان يكون كلاما مستقلا نهيا واردا بعد الامر لا محل له من الاعراب والنهي
وان كان للفتنة ظاهرا ولكن المراد نهيهم عن التعرض لها على ابلغ وجه نحو قوله فلا يكن في
صدرك حرج وعلى الوجهين من بيانية اذ المعنى لا تتعرضوا للفتنة فيصيب عقابها
ووبالها الظالمين خاصة الذين هم انتم بناء على ظلمكم دون سائر الناس واعلموا
ان الله شديد العقاب من غلط يا ايها النبي اتق الله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض اي ذلك الوقت او الحادثة فيه لتعرفوا قدر نعمة الله تعالى والمخاطبون
هم المهاجرون والارض ارض مكة او جملة الصحابة لان العرب لم يكن فيهم ملك يطاع
ويجتمع اليه فاعزهم الله برسوله لما اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المؤلفة بالعطاء
بعد حنين ولم يعط الانصار شيئا قالوا العجب ان قريشا تقطر سيوفنا من دمائهم
وترد غنائمنا اليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم في قبة وقال ما حديث
بلغني عنكم قالوا هو الذي بلغك قال الم تكونوا فقراء فاغناكم الله بي الم تكونوا
ضلالا فهداكم الله بي فكلما قال كلمة قالوا الله ورسوله امن ثم قال وانا اني لاعطي
رجالا اتالفهم على الاسلام اما ترضون ان يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله
فيكم المحيا وفيكم الممات تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم
من العرب فانهم كانوا اعداء مضادين لقريش او فارس والروم والتخطف
الاختلاس والاخذ بالسرعة فآويكم جعل لكم ماوى وهي المدينة وايدكم بنصره
على الكفار يوم بدر او بمظاهرة الانصار وامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات
باحلال الغنائم لعلكم تشكرون لكي تشكروا هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا
الله والرسول بتعطيل فرائض الله وترك سنن رسوله واصل الخون النقص ومنه
خائنة الاعين وهي مسارقة النظر وفي الحديث كان عبد الله بن عمر يتخوننا بالموعظة
مخافة السامة علينا وقد الم به كعب بن زهير في قوله لم تخونه الاخاليل نزلت
في ابي لبابة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر بني قريظة احدى وعشرين
ليلة فسالوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير وجعلهم كما اجلى اخوانهم الى
اذرعات الشام واريحا فابى فقالوا اجعل بيننا وبينك سعد بن معاذ

ونحن نرضى بحكمه وننزل فرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وارسل اليهم ابا لبابة وكان
مناصحا لهم فلما بلغ الرسالة اشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فلم تزل قدماي
مكانهما حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فندم على ذلك وربط نفسه بسارية
من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله
علي فمكث على ذلك سبعة ايام فخر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك فقال لا والله حتى يحلها رسول الله فجاءه وحله فقال ان من تمام
توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت بها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجزئك الثلث ﴿وتخونوا اماناتكم﴾ فيما بينكم مجزوم داخل تحت النهي
او منصوب بتقدير ان بعد الواو نحو قوله وتكتموا الحق ﴿وانتم تعلمون﴾ قبح الخيانة او حال
كونكم عالمين عامدين ليس ذلك على سبيل السهو او انتم علماء لا يخفى عليكم حسن الاشياء
وقبحها ﴿واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة﴾ تختبرون بها فلا يحملنكم حبهما على الخيانة
وتقديم الاموال لعمومها في الناس او لكونها شقيق الروح وكان ابو لبابة انما وقع
فيما وقع لان عياله وامواله كانت في ايدي بني قريظة ﴿وان الله عنده اجر عظيم﴾ لا
يحاط بمقداره فلا تفوتوه بحب الاموال والاولاد الفانية ﴿يا ايها الذين آمنوا ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ ما يفرق به بين الحق والباطل اي شيء كان كالطلوان و
العنوان والمراد به في الاية اما النصر لانه يفرق به بين المحق والمبطل ولذلك سمي
به يوم بدر يوم الفرقان او ما يلقي الله في قلوب المتقين لدى الاشتباه لقوله واتقوا الله
ويعلمكم الله ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ لان الحسنات يذهبن السيئات ﴿ويغفر لكم﴾
ويتجاوز عن ذنوبكم فالاولى حمل احدهما على الصغائر والآخر على الكبائر لان المتقي تائب
والتوبة تجب ما قبلها من الكبائر وقيل ما تقدم وما تأخر وتخص باهل بدر لان الله تعالى اطلع
عليهم يوم بدر وقال افعلوا بعد اليوم ما شئتم ولا حرج ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ لا يحاط
بفضله ولا يقتصر على المغفرة بل يبدل سيئات التائب حسنات وفيه ايماء
الى ان جزيل نواله تفضل لان العبد لا يستحق اجرا في مقابلة عمله ﴿واذ يمكر بك الذين
كفروا﴾ لما ذكر ما من به عليه من قهر العدو بالقتل والاسر ورد امر الغنيمة اليه وامر
المؤمنين بطاعته واستجابة دعائه والمسارعة الى امتثال اوامره ذكره سوابق نعمه
ليتوفر على القيام بشكرها اي اذكر ذلك الوقت او حادثة ذلك الوقت لما مات
ابو طالب وهاجر من اصحاب رسول الله من هاجر وبايعه الانصار واسلموا فشق ذلك
عليهم وخافوا من تفاقم امره اجتمعوا في دار الندوة للمؤامرة في شانه فدخل عليهم ابليس
في صورة شيخ فقال لهم انا شيخ ذو رأي من نجد وقد سمعت بامركم فدخلت عليكم ولن تعدموا
مني نصحا فرضوا به وشرعوا في التشاور فقال ابو البختري الرأي عندي ان تحبسوه
في بيت وتشدوا وثاقه وتلقوا اليه من كوة طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون

فقال

فقال ابليس بئس هذا اذ لا تأمنوا ان يقاتلكم عليه قومه ويخلصوه وقال بعضهم الرأي
عندي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم وتستريحوا منه فقال ابليس بئس
الرأي اذ لا تأمنوا ان يفسد قوما ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل اني ارى ان تاخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في
القبائل فلا تقدر بنو هاشم على قتال قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال
ابليس الرأي ما يراه هذا الفتى فهو اجودكم رأيا فتفرقوا على ذلك فاخبر جبريل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وامره بالخروج وان لا يبيت تلك الليلة
في مضجعه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب بالبيتوتة في مكانه وقال
له اتشح ببردتي لا يخلص اليك شر وخرج مع الصديق مهاجرا والقوم باتوا مترصدين
له فلما اصبحوا لم يروا الا علي بن ابي طالب ورد الله مكرهم ولما اقتفوا اثره فاعمى
الله ابصارهم وفي الحديث انهم لما لبث بعد الخروج ثلاثة ايام في الغار فقال ابو بكر
لو نظروا يا رسول الله تحت ارجلهم لرأونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك
يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما وقد روي انه عليه السلام لما راى بالصديق اضطرابا قال
له انظر الى جانب الغار فنظر فرأى بحرا وعلى ساحله سفينة ﴿ليثبتوك﴾ بالحبس
والوثاق او الاثخان بالجراح ﴿او يقتلوك﴾ بالسيوف ﴿او يخرجوك﴾ من بلدك
ما شاء على وجهك ﴿ويمكرون﴾ ويخفون ذلك ماكرين بك ﴿ويمكر الله﴾ يعاملهم
معاملة الماكر من حيث لا يشعرون كما فعل بهم يوم بدر بان قلل المسلمين في
اعينهم حتى اجترءوا على القتال ثم امدهم بالملائكة ﴿والله خير الماكرين﴾ لا يؤبه بمكر
الماكرين عند مكره واطلاق مثله عليه على سبيل المشاكلة والازدواج ﴿واذا تتلى
عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ هو قول ابي جهل كذا اسنده
البخاري وقيل نضر بن الحارث وكان قد جاء باكاذيب العجم من قصة رستم واسفنديار
وكانت القريش تجتمع عليه عند الركن ويقرأ عليهم تلك الاكاذيب ويزعم انه احسن
قصصا من رسول الله فاسر يوم بدر فامر رسول الله الزبير فضرب عنقه وانما لم يضف
الايات بالبينات اشارة الى فرط عنادهم وانهم لم يقولوا تلك المقالة عن تدبر
فيها ﴿ان هذا الا اساطير الاولين﴾ نقلت اليه ﴿واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك﴾ كما زعمه محمد ﴿فامطر علينا حجارة من السماء﴾ معدة للعذاب كما انزلها
على قوم لوط واصحاب الفيل ﴿او ائتنا بعذاب اليم﴾ نوع آخر شابه لم يريدون ان ما
يزعمه محمد انه منزل من عندك افتراء عليك ونحن قاطعون بعدم حقيته فان كان
الامر كما زعمه فانزل علينا الحجارة لانا مستحقون لذلك بانكارنا الحق وهذا اسلوب
بليغ في الانكار يستعمل كثيرا ومآله الى التعليق بالمحال وانما عرفوا الحق اشارة الى ان المنكر
حقيقته على الوجه الذي يدعيه محمد من نزوله اليه من عند الله تعالى لانهم لا ينكرون صدقه مطلقا

لقولهم انه من اساطير الاولين روي ان معاوية قال لرجل من اهل اليمن ما اقل عقلا
قوما ولوا عليهم امراة يريد بلقيس فقال اقل عقلا منهم من قال اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة : وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم : يريد ان موجب العذاب
قد تكامل ولكن سنة الله تعالى مع الانبياء ان لا يعذب قومهم ما داموا بين اظهرهم لشرفهم
عند الله تعالى ومكانتهم الا يرى ان الناس اذا خشوا العذاب من غرق او حرق يتوسلون
الى الله تعالى بالاولياء والصالحين في دفعه والمعنى انهم كانوا يستحقون العذاب لما شاقوا ورددوا
في امرك وسبب التاخر الى يوم بدر وجودك بين اظهرهم : وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون : بعد خروجك والمستغفرون هم ضعفة المسلمين الذين لم يقدروا على
الخروج والهجرة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين قال فيهم ولولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات والقول بان استغفار المستضعفين كان للمشركين لا يوافق الايمان بعيد
ولا يلايمه لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات او هو امر فرضي اي لو استغفروا
لم يعذبوا وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون : وما لهم الا يعذبهم الله وهم
يصدون عن المسجد الحرام : رسول الله والمؤمنين وفيه اشارة الى انه من اعظم جناياتهم
لانهم كانوا يعترفون بانه لا يحل منع احد من زيارة بيت الله ومع ذلك ارتكبوه : وما كانوا
اولياءه : اي اولياء المسجد ردا لما كانوا يقولونه من انا ولاة البيت نمكن من زيارته
من نشاء ونمنع من نشاء او ما كانوا اولياء الله لانهم كانوا يقولون نحن نسقي
الحجيج ونفك العاني ونطعم الجائع نحن اولياء الله تعالى : ان اولياؤه الا المتقون : من
الشرك فان المشرك نجس لا يصلح لولاية بيت الله او المتقون هم اولياء الله لا غيرهم
ولا اعتبار بنيل المكارم بدون الايمان : ولكن اكثرهم لا يعلمون : فلذلك يتمسكون بما
لا يصلح دليلا والتقييد بالاكثر اما لان بعضهم يعلم ولكن يعاند او اطلق الاكثر على الكل
كما يطلق القليل على المعدوم : وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية : المكاء
بفتح الميم وتشديد الكاف ممدودا اسم طائر والمكاء صوته والتصدية التصفيق من
الصدى او هو الصوت الراجع الى المصوت من الجبل يعني عدم استحقاقهم لولاية
البيت لانه انما بني لعبادة الله تعالى وذكره وهم كانوا يطوفون مشتبكين بين اصابعهم
الرجال مع النساء يصفرون ويصفقون وانما اطلق عليه الصلوة لوضعهم موضعها
او الصلوة بمعنى الدعاء او كان لهم صلوة يفعلون فيها ذلك : فذوقوا العذاب
ما اصابهم يوم بدر او عذاب الاخرة بما كنتم تكفرون : بسبب استمراركم على الكفر : ان
الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله : طريقه الموصل اليه وهو شريعة رسوله
نزلت في المطعمين لما خرجوا لتلقي العير وكانوا اثني عشر جزائر وقيل في ابي سفيان
رجلا يطعمون كل يوم مع
لما جمع الاحابيش يوم احد واستأجر الفين من العرب باربعين اوقية كل اوقية
وزنها اثنان واربعون مثقالا وقيل في قريش فانهم بعد بدر تشاوروا في اخذ الثار من

رسول الله صلى الله عليه وسلم والتزم كل منهم مقدارا يصرف في تجهيز الجيش وتهيئة العدد
فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة : فالاول انفاقهم على الانفاق ودعوة بعضهم بعضا
الى ذلك وهذا اخبار بانهم سينفقون المال مع عدم ترتب الفائدة بل مع ما يترتب
عليه من الكلف على فواتها وزيادة العذاب يوم القيمة : ثم يغلبون : اخر الامر عاقبة
للتنفيذ كتب الله لاغلبن انا ورسلي : والذين كفروا الى جهنم يحشرون : من مات منهم
على الكفر : ليميز الله الخبيث من الطيب : الكافر من المؤمن متعلق بيحشرون كقوله تعالى
وامتازوا اليوم ايها المجرمون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله مما انفقه
المؤمنون في نصرته واللام متعلقة بحسرة وقرا حمزة والكسائي ليميز بضم
الياء والتشديد وهو المختار لكثرة استعماله والزيادة في المعنى : ويجعل الخبيث بعضه
على بعض فيركمه جميعا : فيجمعه ويضم بعضه الى بعض من الركام وهو السحاب المتراكب بعضه
فوق بعض : فيجعله في جهنم : كله وفائدة التاكيد دفع توهم فوت حصة منه
كما هو المتعارف من الملوك في الدنيا فانهم يسامحون في ذلك : اولئك هم
الخاسرون : كل الخسران لانهم جعلوه وسيلة للنفع في الدنيا لم ينتج وصار زيادة
في العذاب يوم القيمة : قل للذين كفروا : اي في شانهم وحقهم : ان ينتهوا : عن الكفر
يغفر لهم ما قد سلف : اي ذنب كان فان الاسلام يجب ما قبله على عمومه في الحربي
لانه لم يلتزم شيئا من الاحكام واما الذمي فيسقط عنه ما عدا حقوق العباد : وان
يعودوا الى القتال ومشاقة الرسول : فقد مضت سنة الاولين : سنة الله في
الكفار الدارجين وهي انهم اهل النار او سنة الكفار الماضين للرسل وهي الاستيصال
او الاولين منهم وهم قتلى بدر : وقاتلوهم ان لم ينتهوا : حتى لا تكون فتنة : شرك
وضلال : ويكون الدين كله : لا يكون لغيره فيه نصيب لكونه المستحق دون غيره : فان
انتهوا فان الله بما تعملون بصير : يجازيهم على ما عملوا : وان تولوا : واعرضوا عن هذا النصح
والبشارة بمغفرة ما سلف منهم : فاعلموا : ايها المؤمنون والمراد الاستمرار : ان الله
موليكم : ناصركم دائم النصر لكم : نعم المولى : المالك المنعم : ونعم النصير : الناصر الذي
لا يغلب : واعلموا انما غنمتم من شيء : نزلت في غنائم بدر بعد ما ردوا امرها الى رسوله
فصل ذلك المجمل وقدم ما كانوا يمشون عليه مدى الدهر والمعنى اعلموا علما مقرونا
بالعمل ان كل شيء غنمتموه من الكفار مما يقع عليه اسم الشيء جليلا كان او حقيرا : فان لله
خمسه : فثابت لله خمسه خبر للموصول في انما والجملة قامت مقام مفعولي العلم : و
للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل : اي تقسم الغنيمة خمسة
اخماس ثم يؤخذ الخمس الواحد ويصرف على هذه المصارف الخمسة فان ذكر الله تعالى في
اشارته للتوطئة وكانه قيل حق الخمس ان يكون متقربا به الى الله تعالى ثم خص الجهة المصروفة
اليها بقوله والاخصين به وقيل بل هناك سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه

القرب ولم يذهب اليه احد من ائمة المذاهب فان اباحنيفة رحمه الله حصره في اليتامى
والمساكين وابن السبيل لان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوي القربى ساقط
عنده وانما يعطي ذووا قرابته اذا اتصفوا باحدى الصفات الثلثة وقال الشافعي رحمه الله
بل الاخماس باقية كما كانت في عهده عليه السلام فسهمه يصرف لما كان يصرف اليه من الكراع
والسلاح وما كان عده لهما وسائر مصالح المسلمين وسهم ذوي القربى يصرف اليهم
يستوي فيه الغني والفقير للذكر مثل حظ الانثيين وذووا قرابته بنو هاشم وبنو المطلب
دون بني نوفل وبني عبد الشمس وان كان هاشم والمطلب ونوفل وعبد الشمس اولاد عبد مناف
وذلك لما اسنده البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى بني هاشم وبني المطلب
قال له عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان عبشميا وجبير بن مطعم وكان نوفليا يا رسول الله
بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك منهم ولكن نحن وبنو المطلب بمنزلة فكيف اعطيتهم
ودوننا فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصابعه وقال نحن وبنو المطلب هكذا
لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام واشار بذلك الى قصة وهي ان سائر بطون
قريش تعاضدوا على معاداة بني هاشم وبني المطلب وحلفوا على ان لا يناكحوهم
وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها على باب البيت فوافقهم على ذلك بنو نوفل وبنو
عبد الشمس ان كنتم آمنتم بالله حذف جزاؤه لدلالة ما تقدمه عليه فاعلموا ان
خمس ما غنمتم لكذا وما انزلنا على عبدنا من الآيات والامداد بالملائكة او ما انزلنا
عليه يوم الفرقان يوم بدر في امر الغنيمة وجعلنا امر الغنيمة مفوضا اليه وسمي به
لانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان بدل منه للتوضيح والبيان
والله على كل شيء قدير ولذلك نصر شرذمة المؤمنين وامدهم بالملائكة اذ
انتم بالعدوة الدنيا القربى من المدينة والعدوة بالضم شاطئ الوادي وقرأ ابن
كثير وابو عمرو بكسر العين والضم افصح لانه لغة الحجاز منصوب باذكر او بدل
ثان ليوم الفرقان وهم بالعدوة القصوى من المدينة والقياس القصيا كالعليا
والدنيا تفرقة بين الاسم والصفة وقد جاء على الاصل كالقود واستحوذ والركب اسفل
منكم على الساحل وانما يطلق على اصحاب الابل في السفر اذا كانوا فوق العشرة
ولو تواعدتم انتم والمشركون الاجتماع على هذه الهيئة لاختلفتم في الميعاد انتم لقلة
عددكم وهم لرعب رسول الله في قلوبهم وانما ذكر الواقعة مع ذكر الزمان والمكان
مفصلا بانهم كانوا في العدوة الدنيا والعدو في العدوة القصوى والركب باسفل
منهم وهم عالمون بذلك تذكيرا لهم وتصويرا للواقعة المفضية الى اعلاء كلمة الله تعالى
مع ان حالهم كانت منافية للانتصار وقهر العدو لان العدوة الدنيا كانت ارضا
ذات رمل تسوخ الاقدام فيها ولم يكن بها ماء والقصوى كانت ارضا طيبة بها ماء
وكون الركب اسفل منهم قريبا مما يثبت جاش المشركين ويشجعهم على القتال

واذ علم

واذا علم ان ذلك النصر لم يكن الا من الله تعالى لا باسباب منهم فيجب عليهم المبادرة
الى امتثال اوامره التي من جملتها امره بايصال الخمس الى مصارفها ليكون وصلة
الى الانتصار في سائر الوقايع ويكون لطفا بان معان اذا تلبث عليهم الى آخر
الدهر ويتعلق به قوله ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا كان جديرا بان يفعل
من اعلاء كلمة الله تعالى واعزاز دينه متعلق بمحذوف اي دبر ما دبر من خروج الطائفتين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل من الجار والمجرور او متعلق
بمفعولا والمعنى ليكون كفر من كفر صادرا عن حجة واضحة عليه دالة على مكابرته واسلام
من اسلم عن يقين لا تشوبه شائبة وحجة اذ لا علم فوق عين اليقين فيكون الهلاك
والحياة مستعارين او يموت من يموت بعد مشاهدة البينة ويعيش من يعيش
بعد معاينتها وقرأ نافع وابن كثير في رواية البزي وابو بكر عن عاصم بفك الادغام
على الاصل والباقون بالادغام وان الله لسميع اقوالكم عليم نياتكم وانما اردف
الكفر والايمان بهما لانه كلا منهما يكون بالقول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك
قليلا اراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤياه قبل الوقعة شرذمة فاخبر بذلك
اصحابه ليكون ذلك مشجعا لهم ذاهبا بزخرف الشيطان وقيل بل اراهم رؤية عين
والمنام هو العين وليس فيه زيادة معنى المعدول عن الحقيقة واذ مقدر باذكر
وقليلا نصب على الحال من المفعول ولو اريكهم كثيرا لفشلتم جبنتم وخففت
قلوبكم ولتنازعتم في الامر في امر القتال بان يقدم عليه بعضكم ويحجم البعض وتفرقت
كلمتكم ولكن الله سلم عن الفشل والتنازع باراءتكم اياهم قليلا انه عليم بذات
الصدور بمضمراتها كانت او سيكون واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
مطابقا لما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصدقا لرؤياه والضميران مفعولا
الاراءة لانها من رؤية البصر فلا تقتضي ثالثا وقليلا نصب على الحال وعن ابن مسعود
تقللوا في اعيننا حتى قلت لمن كان على يا بني اتراهم سبعين رجلا قال اراهم مائة
ويقللكم في اعينهم حتى قال ان محمدا واصحابه اكلة جزور واوهم ان الجزور كلفة
مائة وهذه الاراءة كانت قبل التلاقي فلما تلاقوا كثرهم الله تعالى في اعين المشركين
حتى رأوهم مثلي عدد المشركين لقوله يرونهم مثليهم رأي العين وذلك من آيات
الله تعالى وامداده كما امدهم بالملائكة ولا كانت الرؤية وسائر الادراكات
بخلق الله تعالى من غير شرط فلا ان يخلق رؤية القليل في صورة الكثير وبالعكس
ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل والى الله ترجع الامور
فيصدرها كيف شاء يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة جماعة كفارا كانوا
او بغاة لقوله تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله او قطاع الطريق لقوله تعالى
يحاربون الله ورسوله واللقاء اشتهر في القتال فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ذكرا

كثيرا لعلكم تفلحون: تظفرون بالنصر روى البخاري عنه عليه السلام لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف وكان يقول عند لقاء العدو اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم: واطيعوا الله فيما امركم به من الثبات في مواطن الحرب ورسوله ولا تنازعوا: وفيكم رسول الله الذي ياتيه الخبر من السماء ساعة فساعة وقد قال لا ينبغي عندي التنازع: فتفشلوا: من الفشل وهو الجبن مجزوم داخل تحت حكم النهي او منصوب باضمار ان: وتذهب ريحكم: دولتكم ونفرتكم مستعار لها لانها في التمشي والنفوذ كالريح في الهبوب او هو حقيقة لان عادة الله تعالى جرت بان من يكون الريح من صوبه وجانبه العدو له النصر ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور: واصبروا: كرره لتقييده بقوله ان الله مع الصابرين: بالحفظ والنصر: ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني مشركي مكة بطرا: مصدر في موضع الحال بالتاويل او بتقدير الفعل والبطر مقابلة النعمة بالكفران تكبرا: ورئاء الناس: عطف على بطرا: وهو اظهار الجميل خلاف ما في الباطن وذلك ان ابا سفيان ارسل الى كفار قريش يخبرهم بنجاة العير و يامرهم بالرجوع فقال ابو جهل كلا والله حتى نرد بدرا فنشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القينات ولما وردوا بدرا شربوا ولكن كؤس المنايا وغنت لهم ولكن النوائح فقد امروا بمقابلة النعمة بالشكر والاخلاص في الاعمال لان النهي عن الشيء امر بضده لا سيما عند القرينة: ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط: عطف على بطرا او صريح الفعل لقصد الحدوث بخلاف البطر فانه امر مستمر: واذ زين لهم الشيطان اعمالهم: التي كانوا يتقربون بها من النحر لالهتهم واطعام المحاويج وسقي الحجيج وفائدة الامر بذكره التحذير عن الاغترار بوسوسة الشيطان وان اباطيله تضمحل عند ورود تباشير الحق: وقال لا غالب لكم اليوم من الناس: لان تلك الاعمال دافعة عنكم ولانكم على الحق وملة ابراهيم: واني جار لكم مجير لكم وانتم في اماني: فلما تراءت الفئتان الجزابة: نكص على عقبيه: رجع القهقرى وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله: عن ابن عباس رضي الله عنه ان ابليس تصور لهم بصورة سراقة بن مالك الكناني وذلك ان قريشا وكنانة كان بينهم حرب فلما ارادوا المسير الى حماية العير قالوا كيف بيننا وبين كنانة ما تعرفون يخلفوننا في اهلينا فقال اني جار لكم من كنانة وذهب معهم له راية في جند من الشياطين الى ان راى الملائكة نازلين وكانت يده في يد الحرث بن هشام اخي ابي جهل فضرب بها في صدر الحرث ثم ولى هاربا فقال له الحرث ويلك يا سراقة اتخذلنا في هذه الساعة فقال اني ارى ما لا ترون فانس على هذا الكناية ويحتمل ان يكون ذلك

التزيين

التزيين بالوسوسة وقوله اني جار لكم من كنانة وذهب معهم ايهامه اياهم ان اتباع خطواته وطاعته مما يغني عنهم شيئا ولما لم ينفعهم ذلك الاتباع شبه بالرجوع القهقرى وهذا مروي عن الحسن وقوله اني اخاف الله على الاول معناه انه يخاف من الملائكة النازلين ان يصيبوه بمكروه او لما راى الملائكة مردفين ظن انه يوم القيمة لما راى من خرق العادة وعلى الثاني شبه تزلزل كيده وعدم ثباته وانهزام جنده من المشركين بمن ولى مدبرا من الخوف والناس محمد عليه السلام وحزبه روى مالك عن طلحة بن عبيد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما روي ابليس اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما روي يوم بدر والله شديد العقاب: من كلامه تعالى اي يحق لابليس ان يفر من خوف عقابه ويجوز ان يكون من تتمة كلام ابليس اظهارا للمعذرة: اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض: واذكر وقت قول المنافقين والذين لم يرسخ الايمان في قلوبهم بعد او المشركين او هم المنافقون والعطف لتغاير الوصفين: غر هؤلاء دينهم مقول قولهم اي اغتروا واثقين بدينهم ولذلك خرج ثلثمائة رجل الى قتال الف ذكره في معرض الامتنان واجاب عن شبهتهم بقوله: ومن يتوكل على الله يثق به ويفوض امره اليه ويقطع النظر عن الاسباب: فان الله عزيز حكيم: غالب لا يغلب ما يفعله انما يفعله بحكمة بنصر اوليائه ويقهر اعدائه وان كان ذلك في بادي الراي مستبعدا: ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة: اي لو رايت ذلك لرايت امرا عظيما هم الذين قتلوا يوم بدر وقيل هم الذين يموتون حتف انفسهم والمراد ان موتهم ليس اخف من موت من قتل وقرا ابن عامر بالتاء ولان الملائكة جمع وعلى قراءة الياء يجوز ان يكون الفاعل هو الله والملائكة مبتدا خبره: يضربون وجوههم: والجملة حالية استغني بالضمير عن الواو وعلى الاول المضارعية حال من الملائكة او من المفعول او منهما لاشتماله على الضميرين: وادبارهم استاههم والمعنى يضربون اشرف اعضائهم واخسها لعدم المبالاة بهم وقيل بوجوههم ضربا ما اقبل منهم وما ادبر: وذوقوا عذاب الحريق: عطف على يضربون بتقدير القول اي قائلين لهم هذا القول مبشرين لهم بعذاب الاخرة بعد هذا الضرب وقيل كان بايديهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار منها: ذلك بما قدمت ايديكم: مبتدا وخبر يحتمل ان يكون من كلام الملائكة وان يكون من كلام الله تعالى: وان الله ليس بظلام للعبيد: عطف على الخبر اي ذلك العذاب بسبب امرين بكفركم وبان الله لا يعذب احدا بغير ذنب وانما اتى بصيغة المبالغة للتكثير المستفاد من الاستغراق فلو وقع الظلم على تلك الافراد لكان ظلما كثيرا او للاشارة الى شدة العذاب والمعنى

ان ذلك العذاب العظيم الذي يحق بهم لو عذب به من لا يستحقه لكان ظلما عظيما لا ظلما
في الجملة. كدأب آل فرعون. الدأب مصدر دأب اذا داوم على الشيء وتمردون عليه
وفي الحديث ان بعيرا شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالكه فقال له يشكي الى
انك تدأبه اي تديم العمل عليه. والذين من قبلهم. من قبل آل فرعون. كفروا بآيات الله
والشأن شأن هؤلاء واولئك سواء في الكفر. فأخذهم الله بذنوبهم. اخذ
باولئك جزاء ذنوبهم كما اخذ بقومك يوم بدر. ان الله قوي. شديد القوة
لا يقاومه احد. شديد العقاب. وفي الحديث ان الله يمهل الكافر حتى اذا اخذه
لم يفلته والملك من ملوك الدنيا اذا عاقب نهاية عقابه القتل وعقاب الله تعالى
العذاب الشديد. ذلك. اشارة الى ما حل بالمشبه والمشبه به. بان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم. لم يزلها عنهم. حتى يغيروا ما بانفسهم. حتى يتركوا شكرها
ويجعلوا مكانه الكفر الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا والنعمة التي غيرها قريش هي رسول
صلى الله عليه وسلم فان الله انعم عليهم به فلم يشكروا نعمة الله لقد من الله على المؤمنين اذ
بعث فيهم رسولا او جعل الله لهم حرما آمنا وجعل لهم رحلتي الشتاء والصيف فاطعمهم
من جوع وآمنهم من خوف فلما اخرجوا رسول الله من الحرم احل الله لهم القتال في
الحرم ولم يحل لاحد قبله حتى قال يوم الفتح للانصار احصدوا اوباش قريش فلم يلقوا
احدا الا اناموه فقال ابو سفيان يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد
اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى السلاح فهو آمن ومن اغلق
بابه فهو آمن. وان الله سميع. لاقوالهم. عليم. بعقابهم تعليل لما حل بهم من العذاب.
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا
آل فرعون. كرر التشبيه للتاكيد وبدل لفظ الجلالة بالرب ايماء الى ان الكفر
بآيات الله كفر نعمة المنعم. وبين ان الاخذ السابق كان باهلاك طائفة
واغراق اخرى. وكل كانوا ظالمين. وكل من هؤلاء واولئك كانوا ظالمين
بالكفر والتكذيب. ان شر الدواب. شر كل ما يدب على الارض. عند الله
الذين كفروا. الصم البكم الذين لا يعقلون فسرهم في تلك الاية فهم لا يؤمنون
لعدم القابلية بانتفاء آلة الادراك والقوة الدراكة الفاء سببية ما قبلها
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة. بدل بعض من الذين كفروا وهم
بنو قريظة من اليهود فانهم كانوا عاهدوا رسول الله هم وبنو النضير فنقضوا العهد
واعانوا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسلوا كعب بن الاشرف
الى مكة ليعقد الحلف معهم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه محمد بن مسلمة
ومعه ثلاثة نفر فقتلوه ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهود وقال يا معشر
اليهود اسلموا تسلموا قالوا لقد بلغت يا ابا القاسم قال ذلك اريد اعلموا

يا معشر اليهود ان الارض لله ولرسوله واني اريد ان اجليكم من هذه الارض فاجلا
بني النضير ومن على قريظة حتى كان يوم الخندق غزوة الاحزاب نقضوا العهد
وحاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوا المشركين عليه فلما رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل جاء جبريل وهو ينفض راسه من
الغبار فقال وضعت السلاح فوالله ما وضعناه اخرج اليهم واشار الى بني قريظة
فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بان يقتل
مقاتليهم وتسبى ذراريهم. وهم لا يتقون. شناعة الغدر او هم لا يتقون
عذاب الله بنصر المؤمنين عليهم وقتلهم وسبي اولادهم وهتك حرميهم.
فاما تثقفنهم في الحرب. تصادفنهم واصله الحذف والسرعة يقال غلام
ثقف اي عاقل حذق. فشرد بهم من خلفهم. نكل بهم نكالا يكون سببا
لتفرق الاخرين الذين لم يحضروا معهم حتى لا ينا صبك بعد ذلك احد والتشريد
هو التفريق من شرد الجمل اذا ذهب وعصى. لعلهم يذكرون. لعل من
شرد يتعظ ويرعوي العاقل من اتعظ بغيره. واما تخافن من قوم
خيانة ولم يبد منهم ما يوجب نقض العهد. فانبذ اليهم عهدهم واخبرهم بان
لا عهد بينك وبينهم. على سواء. كائنين انت وهم على صفة الاستواء في
العلم والعداوة حال من النابذ والمنبوذ اليه. ان الله لا يحب الخائنين. تعليل للامر
بالنبذ او النهي عن الغدر الذي دل عليه الامر بالنبذ وفي الحديث عنه عليه السلام لكل غادر
لواء يوم القيمة ينصب عند استه وينادي عليه هذه غدرة فلان. ولا تحسبن. خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم. الذين كفروا سبقوا. الجملة سدت مسد المفعولين
اي لا تحسبن الكافرين الذين فروا يوم بدر فائتين وقرا حمزة وابن عامر وحفص
بالياء على ان سبقوا ثاني المفعولين والاول محذوف اي انهم سبقوا او الضمير للنبي
على طريقة الالتفات او لكل حاسب ولا تحل في هذه القراءة ودعوى تفرد حمزة بها خلافه
لموافقة ابن عامر وحفص في السبعة وابي جعفر في العشرة وابن محيصن والحسن وطلحة
في الشاذة والمختار الخطاب لجريه على نسق السابق لعدم الحذف ولكونه ابلغ
لتسليته لانها نزلت فيمن افلت يوم بدر ومن جعل ضمير الغيبة لمن خلفهم ابعد عن الفهم
انهم لا يعجزون. استئناف يؤكد عدم السبق المفهوم من لا تحسبن وقرا ابن عامر
ان بالفتح اما لكونه مفعول لتحسبن وسبقوا حال ولا صلة او بتقدير اللام تعليلا
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة. ذكر ان الفارين من بدر ليسوا بفائتين وكان
مظنة ان يتكاسل المؤمنون في امر الجهاد متكلين على ذلك حثهم على اعداد آلة الحرب
لقهر اعداء الله تعالى واعدائهم والقوة خلاف الضعف والمراد به الرمي بالسهم لما روى
مسلم والبخاري عن عقبة بن عامر انه صلى الله عليه وسلم قرأ الاية على المنبر وفسر القوة بالرمي

وكرره ثلاثا ولعل ذلك لانه اقوى في التأثير لانه يدفع العدو من بعيد ولا يمكنه الاحتراز
منه لعدم الاحساس به ولان حرب العرب اكثرها يكون بالحراب والسيوف فحثهم على
تعاطي الرمي وفي الحديث من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا ومن رباط الخيل انما خصه بالذكر
لشدة الامر في ذلك وصرف المال اليه وقيل القوة كل ما يتقوى به من آلة الحرب
وافراد الرباط لفضيلته نحو عطف جبريل على الملائكة ترهبون به عدو الله وعدوكم
استئناف تعليل للامر او جملة حالية وهم كفار مكة وآخرين من دونهم فارس
والروم وقيل المنافقون او اليهود وكانوا ايضا اعداء لكن لم يكن عداوتهم كعداوة مشركي
مكة لا تعلمونهم باعيانهم صفة آخرين الله يعلمهم تنبيه على ان علمه كاف في ذلك
فلا تهتموا في عداوتهم واعداد آلة الجهاد وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم
آجره وانتم لا تظلمون لا تنقصون من اجره شيئا وان جنحوا للسلم مالوا الى الصلح
ومنه الجناح للطائر والجناح الاثم والسلم للاستسلام وقرأ ابو بكر بكسر السين وهما
لغتان كالكسف والكسف فاجنح لها واقبل منهم ذلك اذ ربما يكون في ذلك شوكة
للاسلام بان يختلط المشركون ويسمعوا القرآن ويشاهدوا محاسن الاسلام فيكون
سببا لدعائهم الى الايمان وتوكل على الله فوض امرك اليه دفع لما عسى يتوهم
ان يكون الصلح منهم خديعة وطلب لعزة المؤمنين انه هو السميع لاقوالهم العليم باقوالهم
وضمائرهم فان يمكر فيصدهم الكر فان مكر الله فوق مكرهم والآية محكمة لانها نزلت في
الحديبية لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت وآية السيف
لا تدل على الوجوب بل الاذن في القتال بعد حرمته وليست مخصوصة باهل الكتاب
لاتصالها بقصتهم كما ظن لما تقدم من ان قوله لا تحسبن الذين سبقوا نزل فيمن
افلت يوم بدر وان يريدوا ان يخدعوك تصريح بما اشير اليه بقوله وتوكل على الله
فان حسبك الله كافيك لا يحتاج معه الى آخر يستوي فيه الجمع والمفرد هو الذي
ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم باحداث التحابب والتوادد
وبعد التباغض والتنافر اشارة الى ما كان بين الانصار قبل الاسلام من
الحروب المتكاثرة في الازمنة المتطاولة وهم الاوس والخزرج ولما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدل الله ذلك بالالف والاخوة بحيث لم
يبق لذلك اثر وفي الحديث انهم تذاكروا يوم بعاث وهو يوم مشهور و
كانت الغلبة فيه للاوس حتى تداعى القبيلتان للحرب فجاءهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اتدعون بدعاء الجاهلية وانا بين اظهركم فعلموا انها كانت نزغة
من الشيطان فندموا وتعانقوا لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين
قلوبهم لتمكن العداوة فيهم دهرا طويلا وكثرة الدماء والثارات ولكن الله
الف بينهم انه عزيز لانه قادر على كل شيء وقلوب العباد بين اصبعين من

اصابعه يقلبها كيف يشاء غالب لا يغلبه على مراده شيء حكيم متقن في صنعه
جعلهم بعد ذلك التفرق يدا واحدة على نصرة دين الله واعلاء كلمته يا ايها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين حصرا والكفاية في نفسه لانه المؤثر
ابتداء واضاف اليه المؤمنين ثانيا جريا على الظاهر في اعتبار الوسائط
والموصول اما في محل الرفع عطفا على المرفوع او في محل النصب لانه مفعول معه نحو حسبك
والضحاك سيف مهند او مجرور عطف على المجرور المحل بدون اعادة الجار على مذهب
الكوفيين يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بعد علمه انه كافيه امره ان يحثهم
على القتال الذي هو سبب اعلاء الكلمة والحرض شدة المرض اراد به المبالغة في الحث
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا الفا
من الذين كفروا شرط في الغلبة الصبر وعلل بانهم قوم لا يفقهون فلوبهم خاوية
عن المعرفة لا يرجون من الله ثوابا ليكون باعثا لهم على المصابرة بخلاف المؤمنين
فانهم موقنون بما اعد الله لمن يموت في سبيله من علو الدرجات روي ان خالد بن
الوليد في بعض الحروب مع الروم بارز يوما من الايام بنفسه وكان امير الجيش
فقتل الف بطل من ابطال الروم ثم تقدم عليه بطريق منهم وقال له يا امير هل اخبركم
نبيكم انك لا تموت قال خالد لم ذلك قال لان ما تفعله من الاقدام انما يفعله من اخبره
صادق القول بان كل نفس ذائقة الموت واخبرنا ايضا بما اعد الله لمن يقتل في سبيل الله
من النعيم وكان غدا في اليوم خير الشعير مبتلا بالماء فانا استعجل الموت للفوز بذلك النعيم
فاسلم البطريق مكانه وقرأ ابو عمرو والكوفيون ان يكن منكم مائة في هذه الآية والكوفيون في
الثانية فان تكن منكم مائة صابرة بالتذكير والباقون بالتأنيث والتذكير هو المختار لاعتبار المعنى و
مناسبته يغلبوا الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله كان الامر بمقاومة الواحد
العشرة لقلة المسلمين فلما كثروا وكان ذلك شاقا عليهم خفف منهم بمقاومة المائة
للمائتين والالف للالفين وانما كرر مقاومة القليل للكثير لمعان مختلفة واعداد متباينة
اشارة الى ان الحكم واحد لا يتغير باختلاف الاعداد اذ ربما لا يقاوم العشرون المائتين
ويقاوم المائة الالف وكذلك ربما يقاوم العشرة العشرين ولا يقاوم الالف
الالفين وقرأ ضعفا بفتح الضاد حمزة وعاصم والباقون بالضم وهما لغتان والله مع
الصابرين بالنصر والاعانة حث على المصابرة المشروط بها النصر ما كان لنبي
ان يكون له اسرى ما صح وما كان ينبغي له وقرأ ابو عمرو ان تكون بالتأنيث نظرا
الى لفظ الاسرى حتى يثخن في الارض يكثر القتل من الثخانة وهي الغلظ والكثافة
المناسبة للكثرة وفائدة في الارض والقتل لا يكون الا فيها الاشارة الى انه لا ينبغي له ان
يقصد الى ان يأتيه العدو بل يمشي في مناكب الارض ويسعى لاعلاء كلمة الله تعالى

كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا في عشر سنين سبعا وعشرين غزوة بنفسه وستا
وخمسين سرية وقال لولا ان اشق على امتي ما قعدت خلف سرية تريدون عرض
الدنيا متاع الدنيا والله يريد الآخرة يريد لكم ما يوصل الى ثواب الآخرة من الجهاد
والقتل لاعزاز دينه والله عزيز لا يحتاج الى معاون وانما يامركم بالمحاربة مع اعدائه لطفا
بكم لتنالوا ثوابه وجزيل نواله حكيم في كل يامر به دفع لما يتوهم من قوله فاما منا بعد واما فداء
فانه جوز الفداء والمن وذلك لما كان بالمؤمنين من الشوكة والكثرة وهذا كان عند قلة المؤمنين
وكان اول قتال وقع فكان الاولى الاكثار في القتل ليقع الرعب في قلوب المشركين
لما اسر سبعين من المشركين شاور ابا بكر فقال ما ترى في هؤلاء فقال يا رسول الله
قومك وعشيرتك وعسى الله ان يرزق الاسلام ويخرج من ظهورهم من يشهد
ان لا اله الا الله خذ الفداء منهم يتقوى به المهاجرون والانصار ثم التفت الى عمر بن
الخطاب وقال ما ترى انت يا ابن الخطاب قال لا ارى ذلك الراي يا رسول الله
هؤلاء رؤس الكفار وصناديدهم مكن عليا ليضرب عنق عقيل ومكني ان اضرب عنق فلان
نسيب له وانصحه فاغناك عن فداهم فاختار رسول الله ما اشار الصديق واخذ
الفداء وقال ان مثل ابي بكر مثل ابرهيم حيث قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم ومثل عمر مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فنزلت قال عمر فدخلت على رسول الله وابو بكر عنده وهما يبكيان فقلت
يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال عرض على عذاب اصحابك
في اخذهم الفداء ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وفي الآية دليل على انه كان
يجتهد في الوقايع لا سيما في امر الحرب ويخطي تارة ولكن ينبه على خطائه لولا
كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح ان المجتهد اذا اخطأ
لا يعاقب او ان اهل بدر لا يعذبون او ان الغنيمة التي اخذوها كانت مباحة لهم في علم
الله لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لعظم ما جنيتم له وهو الميل الى الدنيا وترك
جانب الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لو نزل العذاب لما نجا منه الا عمر ويدل ذلك
على ان غيره كان يرى راي ابي بكر وقيل الا عمر وسعد بن معاذ فكلوا مما غنمتم من
جملته الفداء والفاء دخلت على السبب اي احلت لكم الغنائم فكلوا حلالا حال من
المجرور او صفة مصدر طيبا لا عتاب معه كما لا عقاب مع الحلال واتقوا الله
في مخالفته والاقدام على ما لم ياذن فيه ان الله غفور غفر لكم ما فرط منكم في اخذ
الفداء رحيم بكم ولذلك احل لكم الغنيمة قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد
قبلي كان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الاحمر والاسود ونصرت بالرعب
مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا واحلت لي الغنائم واوتيت الشفاعة
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى قرأ ابو عمرو الاسارى وكلاهما جمع اسير والاسارى

جمع الجمع ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم نزلت في عباس بن
عبد المطلب اسر يوم بدر وادعى الاسلام وانه خرج معهم مكرها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا نعلم ذلك منك قال ما ذا تاخذ مني وقد علمت ما انا فيه
من كثرة العيال فقال واين المال الذي قلت لام الفضل ان ذهبت في وجهي
هذا ولا ادري ما ذا يصيبني فان اصابني شيء فقد وضعت في موضع كذا ما لا تنفقه
على الصبية فقال خبر السماء والله لقد قلت لها ما قلت في سواد الليل ففادى نفسه
وعقيل بن ابي طالب وفي الحديث ان ابا عبيدة بن الجراح لما جاء بمال البحرين وكان
اكثر مال جيء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف من صلوة الصبح تعرض له
الانصار فلما راهم تبسم وقال اظنكم سمعتم بمجيء ابي عبيدة فقالوا اجل يا رسول الله
فقال ابشروا والله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط عليكم كما بسطت
على من قبلكم فتنافسوا فيها ثم جاء وجلس فلم يقم وما عاش منه درهم وجاء العباس
فقال يا رسول الله اعطني فاني فاديت نفسي وعقيلا وقال خذ منه فحثا في ذيله
وقام ليحمله فلم يقدر وقال يا رسول الله مر احدا يحمله معي قال لا قال فاحمله انت قال لا
فنثر منه ثم ذهب يحمله فاتبعه رسول الله بصره تعجبا من حرصه وروي انه قال
ان الله قد اعطاني خيرا منه ان لي عشرين عبدا وادناهم ليضرب في عشرين الفا
ويغفر لكم ما سلف والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك ولبس اسلامهم
الاعداء فقد خانوا الله من قبل بالكفر والخروج الى قتالك فامكن منهم اي
فامكنك منهم حتى قتلت واسرت والله عليم بالضمائر حكيم يجازي كلا
على قدر نيته ان الذين آمنوا وهاجروا عن اوطانهم وجاهدوا باموالهم صرفوها في
السلاح والكراع وانفسهم قدم الاموال على الانفس لان صرفها بعد الهجرة من
الوطن غاية الشجاعة في سبيل الله في الجهاد والذين آووا ونصروا جعلوا ديارهم
ماوى المهاجرين ونصروا رسول الله اولئك بعضهم اولياء بعض يتولى بعضهم بعضا
في الميراث لما قدم المدينة آخى بين اصحابه وكان الانصار اصحاب نخل فكانوا يجعلون
شطر اموالهم للمهاجرين حتى قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف خذ شطر مالي ولي
زوجتان ايتهما احببت اليك اطلقها فتزوجها فقال له بارك الله لك في مالك
واهلك وكانوا يتوارثون الى ان نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي لا توارث بينكم وقرا
حمزة ولايتهم بكسر الواو وعن الفراء انهما لغتان كالوكالة وعن الزجاج بالفتح النصرة
وبالكسر الامارة وانما جاز الكسر على التشبيه بالصناعة كالخياطة والحياكة لان
تولي بعضهم بعضا صناعة تامة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم
نصرهم هؤلاء الذين لم يهاجروا كانوا مستضعفين غير قادرين على اللحوق برسول الله

وعن ابن عباس رضي الله عنه انا منهم وعن حذيفة بن اليمان خرجت انا وابي والمشركون
متوجهون الى بدر فقالوا تريدون محمدا قلنا ما نريد الا المدينة فاخذوا علينا ان لا نذهب اليه
فلما جئنا رسول الله ذكرنا له فقال لنا اذهبوا الى المدينة نفي بعهدهم ﴿الا على قوم بينكم وبينهم
ميثاق﴾ فلا يجوز نصرهم عليهم لانه غدر وخيانة ﴿والله بما تعملون بصير﴾ لا يخفى عليه خافية
﴿والذين كفروا بعضهم اولياء بعض﴾ يتوارثون ولا توارث بين مسلم وكافر فلما حج رسول
الله صلى الله عليه وسلم قيل له اين تنزل غدا بمكة قال وهل ترك لنا عقيل من دار وذلك ان
عقيلا كان كافرا لما مات ابو طالب ورثه ولم يرثه جعفر ولا علي ﴿الا تفعلوه﴾ ما امرتم
﴿تكن فتنة في الارض﴾ بذهاب المؤمنين الى الكفار لاخذ ميراثهم وبالعكس ويقع بينهم
التقاتل والتقاتل لان عداوة الدين لا يمكن زوالها ﴿وفساد كبير﴾ في الدين لان
الولاية بينهم توجب مودة الكفار والحب في الله والبغض في الله من اوثق عرى
الايمان لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ﴿والذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا﴾ لا قسم المؤمنين
ثلثة اقسام ميز القسمين منهم بما خصوا به من الزيادة بالسبق في الهجرة وتبوء
الدار وصرف الاموال والانفس في نصرة الدين واعلاء كلمة الله ﴿لهم مغفرة ورزق
كريم﴾ شريف لا تبعة فيه ولا انقطاع ﴿والذين آمنوا من بعد﴾ اي بعد ايمانكم او بعد
هجرتكم ﴿وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم﴾ معدودون منكم يشملهم اسم المهاجرين
وان كان لكم مزية تسلية للمتخلف وترغيب للتابع في رعاية جانبه ﴿واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله﴾ في التوارث يستدل به ابو حنيفة على توريث
ذوي الارحام وهو نص فيه واستدلال قوي ﴿ان الله بكل شيء عليم﴾ كامل العلم يجعل
التوارث عند قلة المسلمين للاجانب ليكون موجبا للتناصر والتظاهر ولما قوي
الاسلام وكثر اهله جعل للقرابة سورة براءة مدنية وقيل الا قوله لقد جاءكم رسول
الى آخر السورة وهي آخر سورة نزلت وآيها تسع وعشرون ومائة عند الكوفيين
وثلثون ومائة عند غيرهم ومن اسمائها الفاضحة لانها فضحت طوائف المنافقين
وهو ظاهر وكذا الكافرون واهل الكتاب بقوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ثم قال قاتلهم الله انى يؤفكون والمؤمنين بقوله يوم يحمى عليها
في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وبقوله لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء وانما
لم يكتب البسملة فيها لانها نزلت بالسيف ونبذ العهد فلم يلائم ذكرها قال الله تعالى
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا لانه لا يلائم السلام الذي يدل على الامن
فكيف يذكر اسم الجلالة مع الرحمة العامة لكافة الخلق انه ملة للدارين في نبذ العهد
والاعلام بالقتل وسفك الدماء وانما تقيد بكتبه صلى الله عليه وسلم بها اهل الحرب
فكان لدعائهم الى الاسلام وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين موضع الآيات

والسور

والسور واتصل بجوار الله ولم يبين موضع هذه السورة وكانت مشابهة بالانفال فلم
يعلم هل هي منها كسائر الآيات او هي سورة مستقلة فعمل بالامرين لم توصل كسائر
الآيات ولم تفصل بالبسملة ﴿براءة من الله ورسوله﴾ خبر مبتدا اي هذه براءة ومن
ابتدائية اي واصلة من الله او مبتدا خبره ﴿الى الذين عاهدتم﴾ والجار والمجرور صفته ومعناه
الانفصال والانقطاع ومنه برئ المرض والمعنى انقطاع الموالاة ونبذ العهد ﴿الى الذين
عاهدتم من المشركين﴾ وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين
لان المعاهدة كانت باذن الله فاذا براء الله من المشركين ومعاهدتهم وجب على
المسلمين نبذ عهودهم وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد
المشركين وكان في تلك الهدنة شرط ان لا يتعرضوا الخزاعة فانهم كانوا خلفاء رسول الله
وفي الجاهلية كانوا خلفاء عبد المطلب فعدت بنو بكر على خزاعة وعاونتهم قريش ثم
وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشده لاهم اني ناشد
محمدا حلف ابينا وابيك الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا
ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فلما سمعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لا نصرت ان لم انصركم فنزلت واعلم المسلمون بان الله
ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين وكان نزولها سنة تسع من الهجرة
والفتح سنة ثمان وحج بالناس تلك السنة ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فاتبعه
عليا بسورة براءة ليقراها في الموسم فقيل له لو بعثت احدا بها الى ابي بكر فقال لما
يودي عني الا رجل مني وكانت عادة العرب في نقض العهود ان لا يباشره الا رجل
عاهدا او ان يكون نسيبا له قريبا منه فلحق علي ابا بكر بمنى وكانت على العضباء ناقة رسول الله
فلما سمع ابو بكر رغاء الناقة قال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما التقيا قال له اميرا او مامور
قال على مامور قال ابو هريرة فجاء علي منا ينادي ان لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا
يطوف بالبيت عريان وقرا عليهم السورة على جمرة العقبة قدر ثلثين او اربعين آية
﴿فسيحوا في الارض اربعة اشهر﴾ عن الزهري انها شوال وذي القعدة وذي الحجة
ومحرم وقيل عشرون من ذي الحجة ومحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر
وحرم قتلهم فيها وقتالهم وذا هو الوجه لان عليا لقي ابا بكر بمنى وانما امهل المشركون
اربعة اشهر ليرجع كل منهم الى مامنه ويقطع علائقه من الديون والمعاملات
التي كانت بينهم وبين المسلمين ﴿واعلموا انكم غير معجزي الله﴾ لا تفوتونه وان امهلكم
﴿وان الله مخزي الكافرين﴾ مذلهم بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة
﴿واذان من الله ورسوله الى الناس﴾ اعلام منهما فعال من الاذن كالامان من الامن
خبر مبتدا المحذوف او مبتدا موصوف والى الناس خبره ﴿يوم الحج الاكبر﴾ سمي الاكبر
لانه في مقابلة العمرة التي تسمى الحج الاصغر قيل هو يوم العيد لانه يتم فيه اكثر اعمال الحج

ولما روينا ان الاعلام فيه وقع وقيل يوم عرفة لانه الركن الاعظم ولذلك يقال الحج عرفة
وقيل وصفه بالاكبر مخصوص بتلك السنة لانه كان فيه المسلمون والمشركون ووافق
عيد اهل الكتاب وامر بتطهيره عن المشركين. ان الله برئ من المشركين. اى من عهودهم و
ورسوله. مبتدا محذوف الخبر اى رسوله كذلك او عطف على محل اسم ان لانها
في حكم المكسورة بعد العلم المقتضي لوقوع المبتدا والخبر بعده وهذا الكسرت في علمت
ان زيدا القائم وانما فتحت لما يقتضيه معنى المفعولية وقرئ بالجر والوجه فيه القسم
من الله مثل قوله لعمرك ولا تكرير لان الاول اخبار وبراءة من الله والثاني اعلام
للناس كافة. فان تبتم فهو خير لكم. من التولي والاعراض والمراد الخبرية مطلقا او هو من قبيل
الصيف احر من الشتاء. وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله. لانه محيط بكل شئ علما
وقدرة وانما كرر زيادة في الايقاظ والنصح وارد فه بقوله. وبشر الذين كفروا بعذاب
اليم. على سبيل التهكم مبالغة في التحذير بخلاف الاول فانه اكتفي فيه بخزي الكافرين
الا الذين عاهدتم من المشركين. عام في الناكثين وغيرهم والمراد من اجل عهده
فوق اربعة اشهر لان الناكث له الامهال اربعة اشهر ويجوز ان يكون استثناء
من قوله فسيحوا اذ التقدير فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر الا الذين عاهدتم منهم
ثم لم ينقصوكم شيئا فاتموا اليهم عهدهم او منقطع اى لكن الذين عاهدتم منهم ولا
يلزم الفصل بالاجنبي لان الاذان بمعنى الاعلام كانه قيل لهم سيحوا واجلوا. ثم لم
ينقصوكم شيئا من موجب العهد بالخيانة. ولم يظاهروا عليكم احدا. من
اعدائكم. فاتموا اليهم عهدهم. اوفوا لهم بالعهد. الى مدتهم. الى آخر الزمان الذي وقع
عليه العهد والمدة برهة من الزمان. ان الله يحب المتقين. عن نكث العهد والغدر
وفيه ايماء الى ان اتمام عهدهم من باب التقوى. فاذا انسلخ الاشهر الحرم. انقضت
الانسلاخ الخروج والانتزاع ومنه سلخ الشاة والاشهر الحرم هي التي ابيح لهم ان يسيحوا
فيها وحملها على الاشهر الحرم التي ورد بها الحديث وهي ذو القعدة وذو الحجة و
محرم ورجب مضر خطأ لان قتل المشركين ليس بمحرم فيها وكونها حرما لزيادة
شرفها. فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. في الحل والحرم وفي الاشهر الحرم وغيرها
وخذوهم. الاخذ لغة الاسير. واحصروهم. وقيدوهم وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم
ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام. واقعدوا لهم كل مرصد. كل موضع يرصدون فيه والراصد
الراقب والترصد الترقب. فان تابوا. آمنوا. واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة.
اقروا بوجوبها لان تارك الصلوة وان كان عند الشافعي يقتل وعند احمد يكفر ولكن
تارك الزكوة ليس بكافر ولا يقتل اذا لم ينكر وجوبها. فخلوا سبيلهم. يتفرقون
كيف شاؤا لاستواء المسلمين في الاحكام. ان الله غفور. ستار بالتوبة ما تقدمها
رحيم. بجعله اياهم بعد الايمان كسائر المسلمين ووعده لهم الثواب على التوبة. وان

احد من المشركين. الذين لا عهد لهم عندك. استجارك. استأمنك مفسر للفعل
الرافع لاحد لان الشرطية من لوازم الفعل لفظا او تقديرا. فاجره. فامنه
حتى يسمع كلام الله. ويتامله ليكون باعثا له على الاسلام وفيه دليل على ان كلام
يطلق على اللفظ كما يطلق على المعنى. ثم ابلغه مامنه. مكانا يامن فيه ان لم يسلم
وفاء بالعهد. ذلك. اى الامر بالاجارة. بانهم قوم لا يعلمون. جهلة لا يعلمون
ما حقيقة الاسلام فاذا تاملوا كلامه تعالى المشتمل على تلك المحاسن والمواعظ
ودعاهم الى الايمان. كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله. استبعاد
لان يكون لهم عهد مع الغدر الذي صدر منهم يريد ان حالهم تنافي ذلك العهد
الذي يزعمونه عهدا مرفوع على انه اسم يكون وخبره كيف وانما قدم لمعنى الاستفهام
وفيه وجوه آخر متعسفة. الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام. هم الذين تقدم استثناؤهم
وهم بنو كنانة وبنو ضمرة وفائدة تقييد العهد بكونه عند المسجد الحرام زيادة الحث على الوفاء
به لكونه واقعا في اشرف البقاع ومحله النصب على الاستثناء او الرفع على ان الاستثناء
منقطع اى لكن الذين عاهدتم. فما استقاموا لكم. على العهد. فاستقيموا لهم
عليه. ان الله يحب المتقين. كرره للتاكيد على حفظ العهد. كيف. كرره
لزيادة الاستبعاد مع التنبيه على العلة بقوله. وان يظهروا عليكم. اى
يظفروا بكم ويكون لهم الغلبة عليكم. لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة. لا يلاحظوا
ولا يراعوا قرابة بينكم قال حسان بن ثابت مخاطبا ابا سفيان لعمرك
ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الال الحلف
وقيل الال من اسمائه تعالى بالسريانية يرادف لفظ الجلالة والمعنى لا
يراقبون الله فيكم ولا يخافونه وقيل الال الذمة والعهد وعطف الذمة عليه
كعطف النجوى على السر في قوله ان الله يعلم سرهم ونجواهم. يرضونكم بافواههم
استئناف يبين حالهم المنافية لدعوى الثبات على العهد وهو النفاق
الذي هو شر الخصال ولا يجوز ان يكون حالا من فاعل لا يراقبوا لان ارضاءهم
بافواههم قبل الظهور. وتابى قلوبهم. عن موافقة ما يتفوهون به. واكثرهم فاسقون
خارجون عن طريق ذوي المروات التي تعين من وصمة الغدر والتقييد
بالاكثر لان قليلا منهم يتحاشى عن شناعة الغدر او اريد بالاكثر الكل. اشتروا
بآيات الله. استبدلوا بالقرآن وسائر الاحكام. ثمنا قليلا. نذرا لا
اعتداد به. فصدوا عن سبيله. شريعته الموصلة اليه او بيته الذي جعله
مثابة للناس ومهبط رحمته. انهم ساء ما كانوا يعملون. ساء شيئا
الذي كانوا يعملونه. لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون
المتجاوزون الحد. تفسير لقوله ساء ما كانوا يعملون فلا تكرير وقيل الاول

في المنافقين وهذا في اليهود خاصة او في الاعراب او الذين جمعهم ابو سفيان واطمعهم
فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم على حذف
المبتدا والمراد الاخوة في الدين والتساوي في الاحكام ونفصل الايات لقوم
يعلمون الكلام حث على التامل فيما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى
المحافظة عليها وكانه قيل من تامل تفصيلها فهو الخليق بان يسمى عالما وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم نقضوا عهودهم او ارتدوا بعد الاسلام لقراءة ابن عامر لا ايمان
لهم بكسر الهمزة والوجه هو الاول لان الاية في ناقضي العهد لا المرتدين واما قراءة
ابن عامر بكسر الهمزة فلا دليل فيه لانه مصدر آمنه اذا اعطاه الامان وطعنوا في
دينكم عابوه فانهم كانوا يقولون دين محمد ليس بشيء فقاتلوا ائمة الكفر رؤساءهم
وصناديدهم لان الارذال اتباع فاذا قتلت يرتدع الاوباش والاتباع وكذلك
الدخول في الدين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهرقل عظيم الروم فان توليت
فعليك اثم الاريسيين وان اسلمت يؤتيك الله اجرك مرتين وقيل وضع المظهر
موضع المضمر لانهم بالنقض ونكث العهود صاروا متمكنين في الكفر راسخي القدم قرأ الكوفيون
بتحقيق الهمزة على الاصل والباقون بالتسهيل على اصولهم المعلومة انهم لا ايمان لهم جمع
يمين اي لا ايمان لهم بارة بل حانثة واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وقال بانعقاد
يمين الكافر ومن تشبث به في عدم قبول توبة المرتد لا يجديه لان الاية في ناقضي العهد ولو
سلم كونها في المرتدين لا دلالة فيها على ذلك بل ربما يستدل بقوله لعلهم ينتهون
على قبوله اذ المعنى التنبيه على ان غرض المقاتل يجب ان يكون انتهاءهم عما هم عليه لا مجرد
الايذاء والتعذيب وقرا ابن عامر ايمان بكسر الهمزة الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم
التي حلفوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فعاونوا بني بكر على خزاعة و
نقضوا العهد وكان هو المانع من القتال وهذا ابلغ من الامر بالقتال لانه انكار لعدم
القتال مع التحريض عليه وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا على ذلك في دار
الندوة فان قلت قد تقدم ان الذي استقر عليه رايهم في التشاور كان قتله فلم ذكره
مع انه اعظم من همهم باخراجه قلت اراد التنبيه بالادنى وان ذلك كاف
في المسارعة على قتالهم ليعلم منه انه اذا كانوا بذلك الهم مستوجبين للقتال فكيف
بما هو اعظم وهم بدؤكم اول مرة من غير ان يسبق منكم ما يوجب العداوة وجزاء
سيئة سيئة والبادي اظلم اتخشونهم تقرير للخشية مع الانكار عليها وانها
لا ينبغي لمثلهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين لان عقابه لا يشبهه عقاب
وكونهم مؤمنين وان كان مقطوعا به اورده في صورة المحتمل تبكيتا لهم عن القتال
بعد تحقق موجبه يوهم ذلك قاتلوهم اعاد الامر بعد بيان الموجب زيادة في
الترغيب وزادها يوجب التشجيع بقوله يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم اسرا

وينصركم عليهم بالغلبة والقهر فان قلت اليس القتل والاسر يغنيان عن ذكر النصر
وما فائدة ذكره بعدهما قلت فائدته الوعد بان العاقبة لهم مع ذلك القتل والاسر
وان لا سبيل للعدو عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وضع المظهر موضع
المضمر اشارة الى ان وصف الايمان هو الموجب لذلك الشفاء وهم خزاعة
الذين انتقض العهد لاجلهم وقيل قوم من اليمن قدموا مكة مسلمين فلقوا من المشركين
اذى كثيرا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب
ويذهب غيظ قلوبهم الغيظ غضب العاجز عن الانتقام فان قلت اليس شفاء
الصدر مترتبا على زوال الغيظ فما الوجه في تقديمه قلت النص على المقصود وتعجيل
المسرة وقرع سماع المكروب من الم الغيظ بلفظ الشفاء المضاف الى الصدر الذي
هو محل الالام النفسانية ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واعلام بان
بعض كفار مكة يتوب عن الكفر وكان كذلك وفى الله بما وعد فكان ذلك معجزة
بتقدير ان على انه جواب الامر معطوفا على الاجوبة السابقة المجزومة على توهم
النصب بعكس قوله فاصدق واكن والله عليم بمن يتوب ومن لا يتوب حكيم
متقن فيما يفعله ام حسبتم ان تتركوا والخطاب للمؤمنين وام منقطعة ومعنى
الهمزة التوبيخ على الحسبان والانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتميز
المخلص منكم من غيرهم نفى العلم واراد لازمه والقول بانه نفي المعلوم بنفي العلم انما يستقيم
على الوجه الذي ذكروا الا فالذوات لا يمكن نفيها ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة معطوف على الصلة داخل تحت حكمها وليجة الشخص بطانته
وخاصته في الولوج وهو الدخول كانها لقوة اختصاصها داخلة في قلبه والله خبير بما
تعملون ببواطن اعمالكم فيجازيكم لا يتوهم من كون نفي العلم محمولا على ظاهره ما كان للمشركين
ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر عن ابن عباس رضي الله عنه
انها نزلت في ابيه لما اسر يوم بدر اقبل عليه المسلمون يلومونه على خروجه الى قتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له القول علي بن ابي طالب فقال
ما لكم تذكرون قبائحنا ولم تذكروا محاسننا فقال علي رضي الله عنه واي محاسن
لكم قال انا عمار المسجد الحرام وسقاة الحاج حجبة بيت الله والمعنى ما استقام لهم
ان يجمعوا بين هذين الامرين المتنافيين وهما عمارة المساجد والاقرار بالكفر لانه
عمارة المسجد انما يكون لعبادة الله تعالى وهم يعبدون فيها غيره ويدعون الالوهية لما
كان لهم حول البيت ثلثمائة وستون صنما وقرا ابن كثير وابو عمرو مسجد الله بالافراد
وهو المختار الموافق للرسم ولقوله عمارة المسجد الحرام ومن قرأ بالجمع اراد به
العموم ويندرج فيه المسجد الحرام لانهم اذا لم يصلحوا لعمارة شيء من المساجد فالافضل
المساجد من باب الاولى اولئك الموصوفون بالاشراك وشهادة

الكفر حبطت اعمالهم: بطل ثوابها: وفي النار هم خالدون: مقيمون ابدا فاين
الثواب الذي يرجونه: انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر: يوم الجزاء على
الاعمال: واقام الصلوة وآتى الزكاة: نفي صلوح العمارة عن اولئك الموصوفين
بما ينافي عمارة المسجد واثبته على جهة الحصر لمن اتصف بالكمالات العلمية والعملية
واقتصر منها على الصلوة والزكاة لان معظم القصد من بناء المسجد هو الصلوة فيه
وهو اساة الفقراء المترددين اليها المواظبين على العبادة فيها وعمارة المسجد تشمل
بناءه واقامة الصلوة فيه وتلاوة القرآن وتعليمه وتعليم سائر العلوم الشرعية و
والاذكار وفرشه وتنويره بالمصابيح والتسبيح وفي الحديث في المسجد ياكل الحسنات
كما ياكل النار الحطب وعنه عليه السلام سمع رجلا يقول من يدل على الجمل الاحمر فقال
لا رد الله عليك انما بنيت المساجد لما بنيت وفي الحديث القدسي قال الله تعالى
ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم
زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره: ولم يخش الا الله: لكمال تقواه ولا يختار
على مرضاة الله تعالى شيئا وقيل كان المشركون يخشون الاصنام فالمنفي هي تلك
الخشية واما الخوف الجبلي من سائر الآلام فلا يدخل تحت القدرة ولا يتعلق به
غرض ديني: فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين: لفظ التوقع كعسى ولعل
وان كان من الله كالوجوب الا ان في ذكره تبعيدا للمشركين عن مقام الاهتداء
والانتفاع بتلك الاعمال التي كانوا يفتخرون بها فان هولاء الموصوفين بتلك
الكمالات اذا لم يكونوا جازمين فما ظنك بغيرهم: اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله: كايمان من آمن او جعلتم
اهل السقاية كمن آمن والاول اوجه لان السقاية وقعت في الافعال لا الاشخاص
حيث راى بطلان دعواهم بان هذه الصفات السنية وهو الايمان بالله واليوم الآخر و
والجهاد في سبيله تلك الافعال لو لم يكن محيطة لم يذكر في مقابلتها ولم تعادلها فكيف وهي
مقرونة بالكفر الذي لا اعتبار للعمل معه: لا يستوون عند الله: اي اهل السقاية والمؤمنون
وان استووا في زعم المشركين وهذا رجحان الوجه الثاني: والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا المسلمين بالتسوية الى الحجة والاستدلال لا الى الاسلام لان منهم من اسلم
كعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه والحمل على الكفرة الذين يموتون على الشرك بعيد عن
المقام: الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله
رد المساواة التي ادعوها واستئناف الكلام في شأن المؤمنين المجاهدين وما اعد
لهم من عظيم الدرجات ابدا سرمدا تنبيها على خطاهم وادراجا لما كان يتوهم من لفظ عسى
من معنى الاحتمال: واولئك هم الفائزون: الظافرون بالبغية لا غيرهم: يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان: استئناف لبيان الفوز والبشارة بشارة الملائكة

عند

عند الموت لقوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم او عند دخول
الجنة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين: وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين
فيها: الرضوان على الخلود في النعيم المقيم لانه المطلب الاعلى لقوله ورضوان
من الله اكبر وفي الحديث استقر اهل الجنة في منازلهم يقول الله تعالى لهم هل تطلبون
مني شيئا يقولون واي شيء نطلب منك وقد بيضت وجوهنا وادخلتنا
الجنة يقول الله تعالى احل لكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا فيفرحون بذلك فرحا
لم يفرحوا بشيء قبله ويخرون له سجدا ولم يلبثه بل توقعه ورآه وصف الوصف
واردف الخلود بالابد لانه يستعمل في المكث الطويل: ان الله عنده اجر عظيم
لا يحاط به ولم يخطر على قلب بشر: يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء
ان استحبوا الكفر على الايمان: عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في المهاجرين قبل
فتح مكة وكان اتمام الايمان موقوفا على الهجرة ومهاجرة الاقارب وفيه ان سورة
براءة نزلت بعد الفتح بلا ريب في ذلك فالاولى ان الله تعالى لما انزل براءته
من المشركين عامة وكان بين المؤمنين والمشركين شجنة القرابة التي هي
مظنة الموالاة والود نهاهم عن ذلك ونبه على الموجب لذلك وهو ايثار
الكفر على الايمان: ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون: لوضعهم الولاية في غير
موضعها وانما نص عليه لان النهي ظاهر في التحريم: قل ان كان آباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم: هي القبيلة من العشرة وهي المخالطة ومن ثمة
سمي الزوج عشيرا قال في زعم النساء يكفرن قيل ايكفرن بالله قال لا يكفرن
العشير وقرأ ابو بكر عشيراتكم بالجمع: واموال اقترفتموها: الاقتراف الاكتساب
وتجارة تخشون كسادها: عدم رواجها لفوات الموسم: ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره
قيل هو فتح مكة وقيل عقوبة عاجلة وآجلة وعلى الوجهين فيه وعيد شديد والمراد
بالحب هو الايثار اختيارا لا الميل الطبيعي لعدم دخوله تحت القدرة وقد ورد في
البيهقي البغض في الله من اوثق عرى الايمان وعنه من احب لله وابغض لله
فقد استكمل الايمان: والله لا يهدي القوم الفاسقين: الخارجين عن طاعته
وهم الذين طبع الله على قلوبهم: لقد نصركم الله في مواطن كثيرة: في مقامات
الحرب ومواقعها بعد النهي عن موالاة الآباء والابناء والعشائر اشار
الى ان الغرض من وجودهم هو التناصر والتقوي بهم على الاعداء وقد علموا ان
النصر من الله تعالى وحده شاهدوا ذلك في حروب كثيرة كيوم بدر والاحزاب
وقريظة وخيبر وغيرها من الغزوات والسرايا: ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم
ونصركم يوم حنين والتقدير وموطن يوم حنين ليكون من عطف المكان على المكان

او الزمان على الزمان بان يراد بالموطن الزمان كمقتل الحسين وسعت الرسول
فعلى الاول اذ منصوب باذكر وعلى الثاني بدل فلم تغن عنكم تلك الكثرة
شيئا من الاغناء مصدر او من امر العدو مفعول به وضاقت عليكم الارض
بما رحبت برحبها في موضع الحال ثم وليتم مدبرين الكفار ظهوركم ثم انزل الله
سكينته الوقار وقوة القلب على رسوله وعلى المؤمنين الذين ثبتوا معه
او من تولى منهم فانهم كروا بعد الفرار وفي الحديث سئل براء بن العازب افررتم
يوم حنين قال لكن رسول الله لم يفر وقصة هذه الغزوة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما فتح مكة وكان معه عشرة الآف وانضم اليهم من الطلقاء الفان فتوجه
الى هوازن وثقيف فتلاقوا بحنين وهو واد بين مكة وطائف وكانوا
اربعة الآف مع ما انضم اليهم من سائر العرب فصاروا ايضا عسكرا
كثيفا فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من القلة قيل هو
الصديق وهو بعيد وقيل رسول الله وهذا ابعد فانهزموا بشؤم تلك الكلمة وتوقع
النصر بالكثرة فبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه العباس عمه وهو آخذ بلجام
بغلته وابو سفيان بن الحرث ابن عمه آخذ بركابه فالتفت رسول الله عليه السلام
الى يمينه فقال يا للانصار فقالوا يا لبيك ثم التفت الى يساره وقال يا للانصار
فقالوا يا لبيك ابشر يا رسول الله نحن معك لم يزد غيرهم ولم يخلط بين الندائين
شيئا فرجعوا اليه وعطفوا كما يعطف بقرة الوحش الى ولدها ثم قال يا عم ناد من
صدر الله السورة بهم وهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ثم قال ناد اصحاب
الشجرة واراد بها الشجرة التي بايعوا تحتها يوم الحديبية على ان لا يفروا فنادى العباس
وكان صيتا فلما سمعوا نداء العباس عطفوا على رسول الله ونزل رسول الله عليه السلام
عن بغلته وقال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقال هذا حين حمي الوطيس واخذ كفا
من الحصباء ورمى به وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فهزمهم فقتل وسبى خلقا كثيرا
حتى بلغ عدد السبي ستة الآف ومن الابل والغنم ما لا يحصى وذلك قوله تعالى وعذب
الذين كفروا اي بالقتل والاسر توقف بضعا وعشرين يوما لم يقسم الغنائم وكان يتوقع
دخول هوازن في الاسلام فلما ابطأوا قسم تلك الغنائم ثم جاؤا تائبين مسلمين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب الحديث الى اصدقه وقد كنت استنظرتكم
والآن اختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال فقالوا لا نعدل بالسبي شيئا
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر خطيبا وقال هؤلاء اخوانكم جاؤا تائبين واني
قد خيرتهم بين السبي والمال فاختاروا السبي فمن طابت نفسه منكم فذاك ومن لم
يطب فليكن على حظه حتى نعطيه من اول ما يفيء الله علينا فقالوا قد رضينا يا رسول الله
فقال انا لا نعرف من رضي منكم ممن لم يرض ارجعوا الى رحالكم حتى يرفع الينا عرفاؤكم

امركم

امركم فلما دفع عرفاؤهم انهم قد رضوا رد اليهم السبي وانزل جنودا لم تروها اي الملائكة ولم يصح
كميتهم قيل كانوا خمسة الآف وقيل ثمانية الآف وقيل ستة عشر الفا والله اعلم
بذلك قيل كانوا في ثياب بيض وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وذلك
جزاء الكافرين ما فعل بهم ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وهم الذين
جاؤا تائبين والله غفور للتائبين ما قد سلف رحيم بر ذراريهم يا ايها الذين
آمنوا انما المشركون نجس بالمنهم كالشيء النجس يجتنب منهم كما يجتنب منه
والنجس بالفتح مصدر نجس فاطلق عليهم مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنه ان
اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا فعليه الوضوء
مستدلا بما رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنهما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين كنت يا ابا هريرة قلت كنت جنبا فكرهت ان اماشيك قال سبحان الله ان
المسلم لا ينجس فلو لم يكن المشرك نجسا لم يكن لقيد المسلم فائدة ولم يذهب اليه
اهل المذاهب لان الصحابة ومن بعدهم كانوا يواكلونهم ويشربون من اوانيهم وفي
البخاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه توضأ من جرة في بيت نصراني فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا فضلا عن الدخول استدل به الشافعي رحمه الله على منع
الكافر من دخول المسجد الحرام وحمل ابو حنيفة رحمه الله على الحج والعمرة لما تقدم ان علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه نادى في الموسم ان لا يحج بعد هذا مشرك وقاس مالك
سائر المساجد على المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهي سنة تسع من الهجرة وكان الامير الصديق
والقول بانه حجة الوداع مردود لا سند له وان خفتم عيلة فقرا وفاقة يقال عال افتقر
قال احيحة وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل كانوا يرتفقون بقدومهم
بالتجارة وانواع المكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله الواسع بان يسبب
لكم اسبابا آخر لم يخطر بخاطركم وكان كذلك فاسلم اهل تبالة وجرش من اليمن
وحملوا بلدان شهرين تارة بالمحصب فامتاروا الحرم من كل نوع ثم تواترت الفتوح والغنايم
وتوجه الى مكة الناس من كل فج عميق ان شاء ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
قيده به ليدل على ان ذلك ليس لعلة وجوب واستحقاق منهم بل متفضل في
ذلك ان الله عليم كامل العلم حكيم في الاعطاء والمنع ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لما بين حال المشركين
وما يعاملون به من القتال والاحكام اردفه بقصة اهل الكتاب وما يتعلق بهم من
الاحكام والمعنى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالمبدأ والمعاد فان النصارى يقولون ان الله
ثالث ثلثة واليهود يقولون عزير ابن الله وايمانهم باليوم الآخر ليس بايمان لانهم يعتقدون
على خلاف ما هو عليه ولا يدينون دين الحق اي دين الله الذي شرعه لعباده او دين
النبي الثابت الذي لا يرد بعده ناسخ او الدين الذي هو الحق وهو الاسلام من اضافة

الموصوف الى الصفة من الذين اوتوا الكتاب بيان حتى يعطوا الجزية غاية
للقتال المامور به والجزية اسم لمال الماخوذ منهم في كل عام فعلة من جزى الدين قضاه
عن يد متعلق بيعطوا اي يعطونها منقادين من قولهم فلان اعطى بيده اذا انقاد
واستسلم من غير حرب او حتى يعطوها بيدا اي نقدا ولهذا لا يجوز التوكيل بادائها
او يدا الآخذ اي يعطوها بسبب يد قاهرة مستولية عليهم او اليد مجاز عن الانعام
اي يعطوها لان من عليهم بالبقاء مهجهم بين اظهر المسلمين آمنين وهم صاغرون
اذلاء من الصغار اي يؤدونها على حالة الذل والحقارة بان ياتي بها ماشيا وياخذ
المسلم بلحيته ويهزها ويقول اد الجزية يا ذمي والآية وان وردت في اهل الكتاب
لكن ابو حنيفة رحمه الله الحق بهم سائر الكفار سوى مشركي العرب لما روى الزهري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح على الجزية عبدة الاوثان الا من كان من العرب
وعند مالك يؤخذ من كل كافر سوى المرتدة وعند الشافعي من المجوس فقط لقوله
عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم واقلها
دينار في كل سنة سواء فيه الغني والفقير وعند ابي حنيفة ثمانية واربعون درهما على الغني
ونصفها على المتوسط وربعها على الفقير المكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله
شروع في بيان عدم ديانتهم والقائل طائفة منهم عن ابن عباس رضي الله عنه منهم
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مسلم ونعمان بن ابي اوفى وشاس بن قيس
ومالك بن الصيف فذكروا ذلك فنزلت وشبهتهم ان الله احياه الله تعالى
وكان يحفظ التوراة فقالوا اجمع الله التوراة في صدره الا لكونه ابنه وقرا عاصم والكسائي
عزير بالتنوين على انه اسم عربي وابن الله خبره والباقون غير منون لانه عجمي مثل
سليمان وعزرون او عربي وابن صفة والعلم الموصوف بابن مضافا الى العلم يحذف
تنوينه والخبر محذوف اي عزير ابن الله الهنا او نبينا وهذا الوجه ليس بوجه فان الانكار
يرجع الى الخبر لا الصفة والجواب بان الوصف هنا للمدح فانكار الخبر يتضمن انكاره
تمحل لا يليق ببلاغة القرآن او ابن خبر حمل على الصفة او حذف لالتقاء الساكنين حملا
للتنوين على حرف المد كما مع مد الصوت كما في رواية هارون عن ابي عمرو في احد الله
وسواء جعل ابن وصفا او خبرا فالالف ثابت في الرسم وقالت النصارى
المسيح ابن الله قول طائفة منهم وشبهتهم انه ولد من غير اب ذلك قولهم
بافواههم ليس له معنى في الاعيان مثل اصوات البهائم تكذيب لهم على ابلغ الوجوه
يضاهون قول الذين كفروا من قبل المضاهاة المشابهة والمعنى يشابهون
قدماءهم في هذا الكفر او المشركين القائلين بان الملائكة بنات الله او اليهود
في قولهم عزير ابن الله لان اليهودية اقدم وقرا عاصم بكسر الهاء وهمزة مضمومة بعدها
من ضاهأ وهي لغة ثقيف والفصحى قراءة الجمهور قاتلهم الله دعاء عليهم بالهلاك

انى يؤفكون والمراد التعجب مما صدر منهم حتى يستحقوا ان يدعو عليهم رب الارباب
بالهلاك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الابلج من انكه صرفه اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله استئناف لبيان افكهم عن الحق الاحبار
جمع حبر بالكسر والفتح ومعناه العالم مشتق من الحبور وهو الجمال والزينة والاجمال
فوق العلم والمراد علماء اليهود والرهبان جمع راهب من الرهبة وهي الخوف
والترهب وهو التعبد عن عدي بن حاتم انه قال انتهيت الى رسول الله عليه السلام
وفي عنقي صليب من ذهب فقال الق الطرحه وقرا اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله فقلت يا رسول الله انهم لم يعبدوهم فقال اليس يحرمون
ما احل الله ويحلون ما حرم الله قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل بن عياض
ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية او صليت لغير القبلة والمسيح ابن مريم اذ جعلوا
فيه الالوهية كما هو مذهب بعضهم او حين اثبتوا له النبوة فقد اثبتوا له الالوهية
الا يرى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا اي
اليهود والنصارى او ما اتخذوه معبودا من الاحبار والرهبان والمسيح الا ليعبدوا
الها واحدا هو المستحق للعبادة وطاعة الرسل والعلماء لا تسمى عبادة لانهم وسائط
في تبليغ الاحكام لا اله الا هو صفة ثانية مفيدة للتوحيد لكون المحصور فيه لا يحتمل الشركة
سبحانه عما يشركون انزهه عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا نور الله
اي آياته الدالة على تفرده بالالوهية في الآفاق والانفس والمعجزة الباهرة التي هي في الجلاء
والظهور كالنور وقد عبر عن القرآن بالنور في مواضع شتى او المراد بالاطفاء تحريف
نعته وانه ليس بالموعود بافواههم بما كذبهم من غير ان يكون لها اصل ترجع اليه و
ويابى الله الا ان يتم نوره لا يرضى الا باعلاء توحيده واعزاز الاسلام الاستثناء مفرغ
في محل النصب مفعول يابى لانه منفي في المعنى ولو كره الكافرون حذف جوابه
لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
بيان لانه اظهر تمام بعد ده من اطفاء نور الله لان الذي تفرد بالتاثير الغالب
يريد اظهار دينه على سائر الاديان واذا اراد شيئا كان لا محالة ولو كره المشركون
ذلك يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال
الناس بالباطل تصدير الآية بنداء المؤمنين في اثناء تعداد قبائح اهل الكتاب للتحذير
من سلوك طريقهم خص الاكل لانه الغرض الاعظم من المال والاموال الماخوذة بالباطل
هي مالك الرشي التي كانوا ياخذونه على الاحكام ويصدون عن سبيل الله بالتحريف
وقولهم ليس لا هو الموعود والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
عطف على كثيرا والمراد الاحبار والرهبان جامعون لخابثين الرذيلتين اخذ الرشي
وكنز الاموال والفضة بها عن الانفاق في سبيل الله او استئناف في محل الرفع والمراد

المسلمون الكانزون قرن بينهم وبين المرتشين من الاحبار تغليظا وزجرا عن ارتكابه
وعن زيد بن وهب مررت على ابي ذر بالربذة فقلت ما انزلك بهذا الارض
قال كنت بالشام فقرأت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم قال معاوية انما هي في اهل الكتاب قلت فينا وفيهم وعن
عبد الله بن عمر ان هذا كان قبل ان تنزل آية الزكوة فلما نزل جعلها الله تعالى طهرة للاموال
وعنه عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز وما ورد من الاحاديث الدالة على اثم كنز الاموال
انما ورد قبل وجوب الزكوة. فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم: انما لم يقل تحمى من قولهم حمي الميسم واحميته لقصد المبالغة
لان معناه ان النار تحمى وتوقد ذات حر شديد على تلك الاموال فاذا كان الاحماء
للنار افاد مبالغة وانما قال عليها والمذكور شيئان نظرا الى الكثرة في المعنى على ما روي عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اربعة آلاف نفقة وما فوقها كنز او الى الفضة والكنوز و
والاموال فان الحكم عام وتخصيص الحجرين بالذكر لكونهما اشرف الاموال واكثرها كنزا وخص
الاعضاء الثلثة بالذكر لان شان الشحيح انه اذا وقع بصره على الفقير يقطب وجهه
ثم اذا علم انه متوجه اليه اعرض عنه واعطاه جانبه فاذا لم يرجع الفقير عنه ولاه ظهره فاختصت
بالعذاب لانها الاعضاء التي طلبه كقوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا او لان طلبهم
لتلك الاموال كان لحب الوجاهة بها والتنعم بالملابس التي تتحلى بها الجنوب والظهور
او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه او لانها اشرف
الاعضاء. هذا ما كنزتم لانفسكم: على ارادة القول لما يحمى عليها في النار ليعلموا
انها هي تلك الاموال فاذا علموا زاد عذابهم لان وجدان الشر من حيث يحسب
الخير اشد: فذوقوا ما كنتم تكنزون: وبال كنزكم او ما كنتم تكنزونه والمراد مقاساة
ذلك العذاب الاشد عبر عنه بالذوق تهكما. ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر
شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض: اشارة الى نوع آخر من قبائح الكفرة
والمعنى ان السنة التي عليها مدار ضبط التواريخ عدد شهورها التي مدارها على القمر في قطع منازله
اثنا عشر شهرا منقسمة على الفصول الاربعة ومعنى كونها عند الله انه الذي قدر ذلك
في الازل وعلى ذلك الوجه ابرزها في اللوح المحفوظ وقت خلق السموات والارض
وهو الوقت الذي ابتدأ منه سير القمر: منها اربعة حرم: جمع حرام رجب مضر ويقال له
الاصب لانه يصب فيه البركات والاصم لانه تصم الاذان فيه عن سماع قعقعة السلاح
نطقت بها الاحاديث وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم: الذي لا اعوجاج
فيها اشارة الى ان ما كانوا فيه من النسيء الآتي ذكره لم يكن من الدين في شيء: فلا
تظلموا فيهن انفسكم: فان حرمة المعاصي فيها اشد سوى رمضان فانه سيد الشهور
والظلم فيه في نهاية القبح على ان حرمة القتال مع المشركين منسوخة بقوله تعالى واقتلوهم

حيث

حيث وجدتموهم اي في الحل والحرم واذا جاز قتالهم في الحرم ففي الاشهر من باب
الاولى وقيل نسخه بقوله براءة من الله ورسوله: وقاتلوا المشركين كافة كما
يقاتلونكم كافة: اي لا تميزوا بين طائفة وطائفة لان اسم الاشراك
شامل لهم وان امتازوا في التهود والتنصر وعبادة الاوثان وكافة
الشيء جميعه من كف البعير منعه لانه يكف الافراد عن الخروج: واعلموا ان الله
مع المتقين: وعد لهم بالنصر يفيد تسكين القلب والجرأة على الاقدام. انما
النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا النسيء فعيل بمعنى المفعول من
نسأت الشيء اخرته وذلك ان العرب كانوا اصحاب حروب وغارات
وكان رزقهم في رؤس سنتهم والاشهر الثلثة المتواليات كان يطول
عليهم انقضاؤها فكانوا يؤخرون المحرم الى موضع صفر ويقدمون صفر مكانه
ويقولون اذا برأ الدبر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر وكان جنادة بن
عوف الكناني يأتي في الموسم وهو على جمل فينادي باعلى صوته يا قوم ان آلهتكم
قد احلت لكم المحرم فاحلوا وفي القابل يقف وينادي باعلى صوته يا قوم ان
آلهتكم قد حرم عليكم المحرم فحرموه وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النسيء
كان في كندة وهي قبيلة باليمن واتفق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة حج فيها حجة الوداع كان المحرم في موضعه لم يؤخروه فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما فيه في المسجد الحرام وقال ان الزمان قد استدار كيوم
خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ومعنى كونه
زيادة في الكفر انه نوع منه ينضم الى كفرهم السابق وقرا حمزة والكسائي
وحفص يضل بضم الياء وفتح الضاد والباقون بكسره والفتح هو المختار
لكونه ابلغ ذما: يحلونه عاما ويحرمونه عاما: الضمير للنسيء وقد سبق تفسيره
ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا العدد الذي قدره الله تعالى وهذا يرد ما قيل
انهم كانوا يزيدون في الاشهر: فيحلوا ما حرم الله: اي لذلك المواطاة في العدد
يحلون ما حرمه الله تقبيح لذلك الصنيع منهم: زين لهم سوء اعمالهم: اي
اضلهم الله حتى رأوا القبيح حسنا: والله لا يهدي القوم الكافرين وان دعاهم الى
الاسلام ونصب لهم الادلة هم الذين ختم على قلوبهم يا ايها الذين آمنوا
ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض لانهم على ما يبدو منهم
من نوع تثاقل وتكاسل وعن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في غزوة
تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من غزوة حنين تجهز لغزوة
بني الاصفر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوري في غزواته ولا يظهر امره الا
في تلك الغزوة فانه صرح بقصده وجلى للناس امره ليتأهبوا فانه توجه الى عدو

كثير مع بعد المشقة وشدة الحر فتخلف عنه المنافقون وبعض المؤمنين على ما يأتي تفصيله
وانما عدي اثاقلتم بالى لانه ضمن معنى الميل واصله تثاقلتم فادغمت التاء في الثاء
واجتلبت الهمزة ∴ ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة ∴ انكار لان يرضوا بالدنيا بدل الاخرة
ثم بين المانع من ذلك بقوله ∴ فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل ∴ نزر لا يعتد به
فكيف يختاره العاقل روى مسلم عن المستورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا
في الاخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما ذا يرجع ∴ الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما
اي ان لم تنفروا اذا استنفرتم واثرتم ذلك المتاع القليل ولا يسلم لكم ذلك ابقا
فان الله معذبكم عذابا اليما يسلط عليكم العدو او نوعا اخر ∴ ويستبدل قوما غيركم ∴
يسارعون الى اوامره وفي الحديث انهم ابناء فارس وقيل اهل اليمن ∴ ولا تضروه
شيئا ∴ من الضرر او من الاشياء فان الله على كل شيء قدير وقيل الضمير للرسول
فان الله وعده النصر ∴ والله على كل شيء قدير ∴ فيقدر على نصره بغيركم وبغير مدد ∴ الا
تنصروه فقد نصره الله ∴ فسينصره من نصره ∴ اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ∴
لم يكن معه من البشر الا رجل واحد اذ لاحظه بلطفه ونصره في ذلك الوقت
فما ظنكم به في سائر الاوقات ∴ اذ هما في الغار ∴ بدل من اذ اخرجه بدل البعض
والغار هو الكهف في اعلى جبل ثور فانه مكث فيه ثلثة ايام لينقطع عنه الطلب
طلبوه في ذلك الجبل وصعدوا فوق الغار فقال الصديق لو نظروا تحت اقدامهم
لرأونا فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما ∴ اذ يقول لصاحبه
لا تحزن ان الله معنا ∴ بدل ثان ∴ فانزل الله سكينته عليه ∴ ما تسكن به القلب
من الامن وقوة الجاش والضمير لرسول الله كسائر الضمائر ولقوله ∴ وايده بجنود
لم تروها ∴ وهم الملائكة يوم بدر والاحزاب ويوم حنين وجعل الضمير لصاحبه وعطف
وايده الى فقد نصره الله تكلف وتشويش للنظم هذا وقد صرح به في قوله فانزل الله
سكينته على رسوله ∴ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ∴ وهي دعوتهم الى الشرك
وكلمة الله هي العليا ∴ وهي الدعوة الى التوحيد او التوحيد او كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله
والله عزيز ∴ لا يغلبه شيء ∴ حكيم ∴ فيما دبر وشرع ∴ انفروا خفافا وثقالا ∴ خفافا
في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها
او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او صحاحا
ومراضا وما قيل ان ابن ام مكتوم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي ان انفر فقال
نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج ليس بشيء لان هذه السورة نزلت بعد رجوعه من
غزوة تبوك وهي اخر غزواته عليه السلام وتلك الاية نزلت في الحديبية وانما الذي
نزل في ابن ام مكتوم قوله تع غير اولي الضرر ∴ وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
اصرفوهما منفردين او مجتمعين وفي الحديث من جهز غازيا فكانما غزا بنفسه

ذلكم

ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ∴ توبيخ لهم على التكاسل والا كونهم عالمين بخيريته لا ريب
فيه لو كان عرضا قريبا ∴ اي متاعا من الدنيا سهل المتناول ∴ وسفرا قاصدا
متوسطا بين القرب والبعد ∴ لاتبعوك ∴ فيه ∴ ولكن بعدت عليهم الشقة
المسافة البعيدة سمي به السفر البعيد لكونه شاقا ∴ وسيحلفون بالله المنافقون
المعتذرون في التخلف ∴ لو استطعنا لخرجنا معكم ∴ لكن لم نستطع لعدم
العدة او سقم البدن وقوله لخرجنا ساد مسد جوابي لو والقسم ∴
يهلكون انفسهم ∴ بايقاعها في العذاب او بارتكاب ما يوجب اهلاكها
وهي الايمان الكاذبة وهو بدل من سيحلفون او حال من فاعله ∴ والله
يعلم انهم لكاذبون ∴ في تلك الايمان لانهم كانوا مستطيعين ∴ عفا الله
عنك لم اذنت لهم ∴ كلام يقال في مقام التبجيل والتعظيم كما تقول
لصاحبك عفا الله عنك ما ذا صنعت في شيء وقيل عتاب له
على ترك الاولى وانما قدم العفو وذكر الاذن الدال على علو رتبته ولورود
الانكار في صورة الاستفهام اجلالا له عليه السلام وكان مجتهدا في امر
الحروب يشاور اصحابه واذا صدر منه خلاف الاولى نبهه عليه كما في
اخذ الفداء والقول بانه فعل شيئين لم يؤمر بهما الاذن واخذ الفداء فعاتبه
الله تع عليهما يرد عليه قوله تع لم تحرم ما احل الله لك ∴ حتى يتبين لك
الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ∴ اي يمتاز الفريقان عندك بالصدق
والكذب وانما استعمل التبين في الصدق والعلم في الكذب لان الصدق
اوضح ابلغ ∴ لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم ∴ اي ليس من داب المؤمنين الاستيذان في الجهاد
بل يبادرون اليه فكيف بالاستيذان في التقاعد عنه ∴ والله عليم
بالمتقين ∴ اي بهم وضع المظهر مكان المضمر شهادة لهم بالتقوى ∴ انما
يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر ∴ تصريح بما علم ضمنا وذكر الله
واليوم الاخر في الموضعين اشارة الى المبدأ والمعاد ولانه الباعث على
الجهاد هو العلم بان الله يجازي عليه يوم القيمة ∴ وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم
يترددون ∴ يتحيرون مذبذبين بين ذلك ∴ ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة
تكذيب لهم في دعوى عدم الاستطاعة اي لهم مكنة للخروج واسباب الجهاد
وليس المانع الا عدم ارادة الخروج ∴ ولكن كره الله انبعاثهم ∴ استدراك من
مفهوم الكلام تقديره لكن ثبطوا لان الله كره انبعاثهم ∴ فثبطهم ∴ فكسلهم وحبسهم
واصله الشغل من قولهم ثبطه عن الامر شغله ∴ وقيل اقعدوا مع القاعدين ∴ المعذورين
من الصبيان والزمنى والنساء تقبيح لحالهم والقائل الرسول لما استاذنوه او بعضهم

لبعض وتمثيل لالقاء الله تعالى في قلوبهم من كراهة الخروج او وسوسة الشيطان بقول
القائل: لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا: تسلية لهم وان الله تعالى انما كره انبعاثهم
لحكمة وهي الفساد والذي يحصل منهم لو خرجوا والخبال هو الفساد وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ان قوما بنوا مسجدا بظاهر الكوفة فاتاهم وقال انما جئت لاكسر مسجد
الخبال اي الفساد والاستثناء باعتبار الاعم اي لا يزيدونكم شيئا الا خبالا
فلا يلزم وجود خبال منهم: ولاوضعوا خلالكم: اسرعوا بينكم بالنمايم وانواع المكر
شبهها بالركائب واوقع عليها الايضاع تخييلا يقال وضع البعير اسرع واوضعته
اسرعته: يبغونكم الفتنة: من بغيته الشيء طلبته له يريدون بذلك الاسراع
وقوعكم في الفتنة والضلال: وفيكم سماعون لهم: من ضعفاء المسلمين او من ينم
حديثكم اليهم فيحصل به الفساد: والله عليم بالظالمين: اي بهم وضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على انهم بذلك الفعل مندرجون في سلك الظالمين: ولقد ابتغوا الفتنة
من قبل: اي قبل غزوة تبوك كما فعلوا يوم احد فان ابن ابي رجع معه بثلاثمائة منافق
وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم او ليلة العقبة حين ارادوا الفتك برسول الله صلعم
لعوده وهو الذي كف ايديهم عنكم تنبيه على قدم عداوتهم ورسوخها: وقلبوا لك
الامور: مكائد وحيلا بطول شرحها: حتى جاء الحق: النصر والتاييد الالهي: وظهر
امر الله: علا دينه: وهم كارهون: ذلك لما في قلبهم من المرض: ومنهم من يقول
ائذن لي ولا تفتني: شرع في تفصيل قبايحهم والقايل جد بن قيس قال قد علمت
الانصار اني مستهتر بالنساء وبنات بني الاصفر حسان فاخاف الفتنة
على نفسي فاعينك بالمال وهذا كان منه استهزاء لعن الله تربته وقيل كانوا يقولون
ائذن لنا فانا ان تخلفنا عنك من غير اذن وقعنا في الفتنة كالجا والساقط الى
الهلاك وان لم تاذن في التخلف هلك اموالنا وعيالنا: الا في الفتنة سقطوا:
فانهم وسموا بسمة النفاق الى آخر الدهر وعذاب الاخرة اشق واشد وصدر
الجملة بحرف التنبيه اشارة الى كمال غباوتهم وجعلهم ساقطين في الفتنة كالجاد
ات فقط باختيار: وان جهنم لمحيطة بالكافرين: احاطة جهنم كناية عن احاطة اسبابها
او اسم الفاعل اريد به الاستقبال مجازا: ان تصبك حسنة تسؤهم: لفرط
عداوتهم وغاية حسدهم ليسوا مكتفين بالتخلف عنك بل تسوؤهم ما يسرك
ويسرهم ما يغيظك: وان تصبك مصيبة: شدة كما في يوم احد: يقولوا قد
اخذنا امرنا من قبل: يحمدون رايهم في عدم الحضور معك: ويتولوا عن ناديهم
الى منازلهم: وهم فرحون: بتخلفهم او بما اصابك: قل لن يصيبنا الا ما كتب الله
لنا: في اللوح المحفوظ فلا راد لقضائه او اوجبه في علمه الازلي: هو مولانا: متولي امورنا
او سيدنا يفعل في عبيده ما يشاء او ناصرنا وان اصابنا مكروه فلنا العاقبة كتب الله

لاغلبن

لاغلبن انا ورسلي: وعلى الله فليتوكل المؤمنون: لا على غيره لعلمهم بان لا مؤثر
سواه: قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين: اي لا تنتظرون بنا الا احدى
الخصلتين اللتين كل منهما احسن الخصال اما نصرنا او الشهادة في سبيله فان
قلت لو كانت كل احسن الخصال لكانت احسن من الاخرى وفساده بين
قلت جاز ذلك باعتبار الجهات: ونحن نتربص بكم احدى المصيبتين
اللتين كل منهما اعظم المصائب: ان يصيبكم الله بعذاب من عنده: كما نزل بعاد
وثمود: او بايدينا: اي بنصرنا عليكم ونقتلكم على الكفر: فتربصوا انا معكم متربصون
اي انتظروا عاقبة امرنا فانا منتظرون عاقبة امركم وهذا النوع من الكلام يقوله
الواثق بحاله الجازم بامره في معرض التهديد: قل انفقوا طوعا او كرها: انشاء
ومعناه خبر لما كانوا يزعمون بان لهم اعمالا تدفع عنهم العذاب وان لهم قربات
عند الله كالمؤمنين وقرا حمزة والكسائي كرها بضم الكاف قيل هما لغتان وقيل
بالضم المشقة وبالفتح الاكراه: لن يتقبل منكم: البتة وانما نفى بلن لكونهم منكرين
غاية الانكار ولذلك علل الحكم بقوله: انكم كنتم قوما فاسقين: خارجين
عن طاعة الله تعالى: وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
بيان لذلك الفسق الذي علل به وانما بينه لان مجرد الفسق لا يوجب ذلك
الحرمان وقرا حمزة والكسائي يقبل بالتذكير: ولا ياتون الصلوة الا وهم
كسالى: جمع كسلان اي متثاقلين: ولا ينفقون الا وهم كارهون: والمعنى لا
ياتون بالاعمال البدنية والمالية على سبيل النشاط والاريحية لعدم اعتقادهم
بترتب الثواب عليها وفي الحديث لا يقل احدكم كسلت وليقل ثقلت
وانما كره لفظ الكسل لوروده في شان المنافقين: فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم: اي لا تستحسن منهم الاموال والاولاد فانما هي زينة الحيوة الدنيا وانت
بمعزل منها والاعجاب بالشيء السرور به مع نوع افتخار وانما اسند الفعل
الى الاموال والاولاد مبالغة في نهيه عنها فكانها كلفت كف اعجابها عنه
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا: اي لم يخولهم بها الا ليعذبهم في الدنيا
بان يبذلوا ارواحهم في جمعها ويكابدوا المشاق في حفظها وتنميتها وكلفهم الانفاق
منها وهم كارهون: وتزهق انفسهم وهم كافرون: شغلتهم فاعرضوا عن
العاقبة حتى ماتوا على الكفر فكان ذلك استدراجا: ويحلفون بالله انهم لمنكم
بعض منكم وان الايمان يشملكم واياهم: وما هم منكم: في الواقع فهم كاذبون و
ولكنهم قوم يفرقون: بيان للباعث على ذلك اليمين الكاذب والفرق هو الخوف
ويتعدى بمن اي يخافون منكم كسائر الكفرة: لو يجدون ملجا: مكانا يلجاون اليه
من قلعة او راس جبل: او مغارات: او كهوفا جمع مغارة وهي الكهف: او مدخلا:

نفقاً في الارض يندسّون فيه لولّوا اليه وهم يجمحون لانقلبوا اليه وهم يسرعون
اسراعاً لا يردّهم شيء كالفرس الجموح لا يردّه اللجام لشدة عداوتهم ونهاية
خوفهم ومنهم من يلمزك في الصدقات اي بعض منهم يعيبك في قسم الصدقات
وينسبك الى الجور وهو ذو الخويصرة الذي كان رأس الخوارج وقصته على ما ورد
روايةً عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بشيء من الذهب
فقسمه بين اربعة نفر من المؤلفة ليتألفهم على الاسلام فجاءه ذو الخويصرة وقال
اعدل يا رسول الله فقال ويلك من يعدل اذا لم اعدل لقد خبت وخسرت
ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي رواية خالد بن الوليد
دعني يا رسول الله اضرب عنقه فانه منافق فقال دعه فان له اصحاباً يحقر
احدكم صلوته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقيل القائل ابو الجواظ
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يريد ان ذلك
القول منهم ليس لاهتمام بالدين ولا لشبهة في طريقه بل رضاهم وسخطهم لحظوظ
انفسهم وفي اذا الفجائية اشارة الى غاية شرههم وانهم بمجرد عدم الاعطاء
يفاجئهم السخط من غير تأمل في ان عدم اعطائهم هل يتضمن مصلحة دينية
ام لا ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله اي لو ثبت رضاهم بما قسم الله
لهم من الغنيمة واعطاهم رسوله وان كان قليلاً وقالوا حسبنا الله اي
كفانا رضاه سيؤتينا الله من فضله رزقه الواسع من سائر الصدقات
والغنائم ورسوله فيوفرنا ما قلتم انا الى الله راغبون الى رضاه والى ثوابه
لا الى الغنائم والاموال وجواب لو محذوف اي لكان خيراً لهم انما الصدقات
للفقراء والمساكين بيان لمصارف الصدقات على وجه تزول شبهة
المنافقين وان ما فعله رسول الله هو الصواب لان المؤلفة قلوبهم من
تلك المصارف والمعنى جنس الصدقات مقصور على هؤلاء المذكورين
لا يتجاوزهم الى غيرهم فيحتمل ان يصرف الى كلهم والى بعضهم كما اذا قلت
انما الخلافة في بني عباس يراد عدم تجاوزها عنهم لا اتصاف كل واحد منهم بها واليه
ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وهو المنقول عن عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن
جبير وعطاء وذهب الشافعي رحمه الله تعالى الى وجوب استيفاء الاصناف الثمانية
ان وجدوا والا فالموجودون منهم يعطى من كل صنف ثلثة فما فوقها نظراً الى اعتبار
الجمع واستدل على ذلك بان اللام للملك لانه كمال الاختصاص هو معنى اللام
كقولك هذا الدرهم لهؤلاء فانهم يشتركون فيه فان قلت فعلى هذا يجب ان يكون
صرفه الى جميع افراد كل صنف ولم يقل به الشافعي قلت لم يذهب الى ذلك لتعذره
ولما روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً الى اليمن فقال له مرهم بالصلوة

فان قبلوا

فان قبلوا ذلك فاعلمهم بان الله قد فرض عليهم زكوة اموالهم بان تؤخذ من اغنيائهم
فترد الى فقرائهم فخص زكوتهم بفقرائهم ولذلك لم يجوز الشافعي نقل الزكوة
من ذلك البلد الى بلد آخر الفقراء اسوء حالاً من المساكين وهو من لا مال له
ولا يقدر على كسبه فكانه اصيب فقار ظهره فهو مقعد والمسكين من له مال
او كسب لا يكفيه لقوله اما السفينة فكانت لمساكين ويدل عليه ايضاً تقديم
الفقير واليه ذهب الشافعي والى العكس ذهب ابو حنيفة لقوله تعالى
او مسكيناً ذا متربة ومنهم من لم يفرق والعاملين عليها وهم السعاة الذين
يجمعونها ويسعون في تحصيلها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ولم يرسخ الايمان
في قلوبهم يعطون من الصدقات ليألفوا الاسلام ولذلك يعطون من
الغنائم نفلاً كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في غنائم حنين آثر فيها بعض مسلمة
الفتح او اشراف يتوقع باعطائهم اسلام نظرائهم كما اعطى رسول الله عليه السلام
ابا سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعباس بن مرداس و
وفي الرقاب في فكها من الرق هم المكاتبون او يشترى بها الرقاب فيعتق
واليه ذهب مالك واحمد او يفدى بها الاسرى واطلاق الرقاب شامل للكل
والغارمين من استدان لغير معصية وليس لهم وفاء او لاصلاح ذات البين
وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله بالانفاق على فقراء الغزاة والحجيج وقيل بناء
القنطرة والمصانع وابتياع آلات الحرب والكراع وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر مؤكد لان معنى قوله انما الصدقات
للمذكورين ان الله فرضها والعدول عن الاربعة الاخيرة اشارة الى انها ارسخ
قدماً في الاستحقاق وذلك لما في فك الرقاب من الانقاذ مما هو كالموت
ولما في تخليص الغارم من الكرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه يستعيذ
من المغرم فقيل له ما اكثر ما تستعيذ من المغرم قال ان الرجل اذا غرم حدّث
فكذب ووعد ولما كان في الغازي الفقير وابن السبيل المنقطع فضل ترجيح تكون
الغازي الفقير جامعاً بين الفقر والعبادة وابن السبيل بين الفقر والغربة اعاد
حرف الجر ايماء اليه والله عليم حكيم يعلم موضع الاستحقاق فلذلك حصر الصدقات
في هؤلاء المذكورين ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن نوع آخر من
قبائحهم عن ابن عباس رضي الله عنه ان جماعة منهم ذكروا رسول الله عليه السلام
بما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانه يبلغه قال جلاس بن سويد نقول ما شئنا
فاذا بلغه جئنا فاعتذرنا اليه فيقبله منا فان محمداً اذن حلوه فعبر بالجارحة كما يقال
للربيئة عين قل اذن خير لكم اي هو كما تقولون اذن سريع الانقياد لكن ليس
كما تعتقدونه بل ذلك مدح فيه والخير هو الصلاح والجودة مثله في رجل صدق

لا اسم تفضيل ثم بين وجه كونه خيرا لهم بانه: يؤمن بالله: يقر بوحدانيته تعالى وما يليق
ويؤمن للمؤمنين: يذعن لقولهم ويسلم لهم ما يقولون لما علم من خلوص طويتهم: ورحمة
للذين آمنوا منكم: عطف على اذن خير والمعنى كونه اذنا رحمة في حق من اظهر الايمان
منكم فانه يقبل ولا يشتغل بالكشف عن سره وانما يفعل ذلك تكرما وتخلقا لا لانه
يخفى عليه حالكم في النفاق: ان الكريم اذا خادعته انخدعا: وقرا حمزة ورحمة بالجر عطفا
على خير: والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم: ردع للمنافقين عن مثل تلك
المقالة: يحلفون بالله لكم ليرضوكم: اذ لاقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حلفوا
لهم معتذرين ليرضوا عنهم: والله ورسوله احق ان يرضوه: تخطئة لهم فيما يؤتونه وتكذيب
لهم في ايمانهم والمعنى ان الله ورسوله اولى واجدر بالارضاء بالطاعة والانقياد وانما وحد
الضمير اشارة الى ان ارضاء رسوله ارضاء له لانه مبلغ اوامره وواسطته الى عباده
او المذكور خبر الاول وتقدير الثاني خبرا وبالعكس وهذا مختار سيبويه لكونه اقرب
وبلا منه من الفصل بين المبتدا والخبر والوجه هو الاول لفظا ومعنى: ان كانوا
مؤمنين: حقا: الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله: يخالفهما ويعاديهما من الحد
لان كلا من المتعادين في حد دون حد الآخر انكار لعدم علمهم فيفيد الاثبات
والتقرير: فان له نار جهنم خالدا فيها: اي فحق ان له نار جهنم فحذف الخبر للعلم به من
القصة وقيل ان تاكيد وتكرير للاول وهو الخبر وانما عيدت لبعد العهد كقوله ثم ان ربك
للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها
لغفور رحيم ويجوز ان يكون عطفا على جواب من محذوفا تقديره الم يعلموا انه
من يحادد الله يهلك فان له نار جهنم: ذلك الخزي العظيم: واي خزي فوق الخلود
في نار جهنم: يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم: الضمائر
للمؤمنين والمنافقين وانما صح ذلك لعدم اللبس ويجوز ان يكون الضمائر كلها للمنافقين
لان النازل فيهم وبيان حالهم كانه نازل عليهم وعن الزجاج ان الخبر في معنى الامر اي ليحذر
المنافقون وعلى التقادير الاسناد الى السورة مجاز: قل استهزءوا: تهديد لا طلب الفعل
مثله اعملوا ما شئتم: ان الله مخرج ما تحذرون: من نزول القرآن فيكم من ظهور نفاقكم
ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب: كان ذلك يوم يسير في غزوة
تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يسيرون فشرعوا يستهزءون به ويقولون
انظروا الى هذا يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه فاطلع الله رسوله على ذلك فاتاهم
فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا ما كنا في شيء من ذلك كنا نخوض في احاديث نقصر بها
المسافة كما يتحدث الرفقة في المسايرة: قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون:
تكذيب لهم فيما اعتذروا به استهزاؤهم برسول لما كان مستلزما الاستهزاء بآياته ذكر رسوله
والطعن في الرسول: بعد ايمانكم: بعد اظهاركم الايمان: ان نعف عن طائفة منكم

لانهم

لانهم تابوا واقلعوا عن النفاق واخلصوا ايمانهم بعدا: ونعف عن طائفة لم يؤذوا
رسول الله وان كانوا منافقين: ونعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين
مصرين على النفاق او مقدمين على ايذائه وقد جرت سنة الله في خلقه بان
من يطعن في رسول الله او في شريعته وسنته يعجل له العذاب في الدنيا تصديقا
لقوله والله يعصمك من الناس: وقرا عاصم ان نعف بنون مفتوحة وضم
الفاء ونعذب بنون مضمومة وكسر الذال وطائفة بالنصب والباقون
يعف بياء التذكير وضمها وفتح الفاء وتعذب بتاء التانيث وضمها وفتح
الذال والمختار قراءة عاصم لانها ابلغ في الانذار: المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض: تكذيب لهم في قولهم انهم لمنكم لانهم متصلون متحدون
في وصف النفاق ذكورهم واناثهم وقوله وما هم منكم وان كان ردا لتلك
الدعوى الا انه لم يكن مشتملا على ما يضاد دعواهم من قوله: يامرون بالمنكر:
ما انكره الشرع: وينهون عن المعروف: ما عرف حسنه من الشرع كالتوحيد
وما يتفرع عليه: ويقبضون ايديهم: عن الانفاق في سبيل الخير: نسوا الله: استيناف
يجري مجرى العلة: فنسيهم: اي اغفلوا ذكره فتركهم وعاملهم معاملة من نسي
الشيء: ان المنافقين هم الفاسقون: الكاملون في الفسق: وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها: لما تبين جرائمهم التي هي اسباب
العذاب اشار الى ما اعد لهم في مقابلة ما اجترحوه ولئلا يظن انهم كالشيء
المنسي لا ثواب ولا عقاب فازال ذلك: هي حسبهم: عقابا: ولعنهم الله
زيادة على ذلك وكان رضى الله تعالى للمؤمنين اجل النعم كذلك لعنته للمنافقين
اشد النقم: ولهم عذاب مقيم: دائم لا ينقطع توكيد للخلود لئلا يظن به المكث
الطويل ورد لما زعمه الملاحدة بان الخلود في النار لا يستلزم العذاب لانه يصير معتادا له
كالذين من قبلكم: خطاب للمنافقين على سبيل الالتفات توبيخا لهم بعد علمهم بما حل
بهم: كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا: بيان لوجه التشبيه من تشبيه الحال
بالحال اذا كانوا اكثر قوة واموالا واولادا ولم تجدهم شيئا فانتم من باب الاولى
فاستمتعوا بخلاقهم: ذم للاولين بقصر نظرهم على الفاني وذهولهم على الباقي ويلزم
منه ذم من يسلك مسلكهم والخلاق ما خلق للانسان من حظه من الخلق بمعنى التقدير
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين بخلاقهم: وغفلتم عن امر الآخرة كما غفلوا: وخضتم
كالذي خاضوا: الخوض المشي في الماء استعير للحديث الباطل المختلق لانه يهون
على الكاذب اختراعه والمعنى كالخوض الذي خاضوا او كالفوج ولذلك افرد الموصول
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة: اي المتقدمون اما في الدنيا فلانهم مرضوا
وما نالوا افتقروا وذلوا بعد العز واما في الآخرة فالخلود الدائم في النار فالمعنى لحبوط

ان تكون مشاكلهم اولى بذلك لكونهم اقبح حالا واقل اولادا واموالا . واولئك
هم الخاسرون . الكاملون في الخسران اذ لا خسران فوق خسارة الدارين . الم يأتهم
نبأ الذين من قبلهم . لا تشبه حالهم بحال من تقدمهم ذكر طوائف لم يشك احد فيما
حل بهم اذ قد تواترت اخبارهم بحيث لم يبق للريب فيها مجال . قوم نوح اهلكوا
بالطوفان . وعاد اهلكوا بريح صرصر . وثمود اهلكوا بالرجفة . وقوم ابراهيم اهلك
نمرود بالبعوضة واهلك اتباعه . واصحاب مدين قوم شعيب ارسل عليهم سحابة
مثل الظلة احرقتهم . والمؤتفكات . مداين قوم لوط من الافك بفتح الهمزة وهو
القلب سميت بها لانه تعالى جعل عاليها سافلها . اتتهم رسلهم بالبينات المعجزات
الواضحة . فما كان الله ليظلمهم . بفعل بهم ما يشبه الظلم او ما هو ظلم في زعمهم يقولون
لولا ارسلت الينا رسولا . ولكن كانوا انفسهم يظلمون . بتكذيب الانبياء بعد وضوح
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض عطف قصة على قصة جمعا بين الترغيب
والترهيب على ما هو سنته في كتابه ومقابلة بين الاضداد في الجزاء اذ بضدها
تتبين الاشياء . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون
الزكاة ويطيعون الله ورسوله . في كل ما يأمر به من سائر الاعمال . اولئك الموصوفون
سيرحمهم الله . لا محالة لان السين في الاثبات مثل لن في النفي . ان الله عزيز . غالب
يفعل ما يشاء . حكيم . لا يفعل شيئا الا وفيه حكمة ولذلك رتب الثواب على
الحسنات والعقاب على السيئات . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة . تفصيل لما اجمل في قوله سيرحمهم
وقد روى البخاري مرفوعا ان للمؤمن في الجنة قبة من ياقوتة حمراء طولها ستون ميلا
وله في كل زاوية منها اهلون . في جنات عدن . اي اقامة من قولهم عدن بالمكان اذا
اقام به وقد صار علما بالغلبة لقوله جنات عدن التي وعدتهم والحديث الذي يرونه
ان عدنا دار الله التي لا يسكنها الا النبيون والصديقون والشهداء ليس له اصل ويرده
هذا النص لانه اثبته لكافة المؤمنين والمؤمنات . ورضوان من الله اكبر . اي شيء
قليل منه اكبر من جنات عدن وما فيها لانه مبدأ كل سعادة وعن بعض العارفين
ليت لي عند الله ركعتين متقبلتين لان القبول علامة الرضا قل العمل او كثر
روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله ان الله يقول لاهل الجنة هل رضيتم
فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم
افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم
رضواني فلا اسخط عليكم ابدا . ذلك هو الفوز العظيم . اي رضوان الله وما ذكر
سابقا . يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين الكفار بالسيف والمنافقين
بالحجة والبرهان لانهم يظهرون الايمان فلا مجال للسيف قال عليه السلام امرت

ان اقاتل

ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحق الاسلام وحسابهم على الله . واغلظ عليهم . بالسيف والقول المر
ولا تحاب احدا منهم . ومأويهم جهنم وبئس المصير . قتلوا على الكفر او ماتوا حتف
انفهم . يحلفون بالله ما قالوا . اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
ينزل عليه القران في شان المنافقين فقال الجلاس ابن سويد والله لئن
كان محمد حقا لاخواننا الذين تخلفوا وهم سادتنا لنحن شر من الحمير فقال عامر
ابن القيس الانصاري والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر الجلاس فحلف بالله ما قال فرفع عامر يديه
وقال اللهم انزل تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل وانما ذكره بلفظ
الجمع لان الفعل واقع بينهم كما يقال بنو فلان قتلوا زيدا والقاتل هو وصدقه الاخرون
ولقد قالوا كلمة الكفر . هو قول الجلاس لئن كان ما يقول محمد حقا وقيل قول عبد الله
ابن ابي في غزوة تبوك حين يقاتل مهاجري مع انصاري فنادى المهاجري
بالمهاجرين ونادى الانصاري يا للانصار فقال ابن ابي فعلوها والله لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . وكفروا بعد اسلامهم . اظهروا الكفر بعد
اظهار الاسلام اذ لم يسلموا طرفة عين . وهموا بما لم ينالوا . وذلك ان
خمسة عشر منهم توافقوا على الفتك برسول الله مقفله من تبوك اذا
تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بخطام ناقته يقودها وحذيفة وراءها
يسوقها فسمع حذيفة وقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم
اعداء الله فهربوا . وما نقموا . ما عابوا وما كرهوا شيئا من امر محمد الا ان
اغناهم الله ورسوله من فضله . الا بهذا الامر الجميل الحسن مثل قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب . وذلك
ان اهل المدينة كانوا اهل زرع ونخل واكثرهم كانوا محاويج فلما قدم عليهم
رسول الله دعا لهم بالبركة وقال اللهم بارك لهم في صاعهم ومدهم اللهم اجعل
البركة بها ضعفي ما بمكة وصحح هواءها وانقل حماها الى الجحفة وحصل لهم الفتح
والغنائم وقيل للجلاس عبد فامر رسول الله بقيمته اثني عشر الفا فاستغنى
فان يتوبوا يك خيرا لهم . وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
بالقتل والاسر والاخرة . بالنار . وما لهم في الارض من ولي . يتولى امرهم
ولا نصير . يدفع عنهم العذاب بالقهر وانما قيد بالارض لان لهم فيها اعوانا و
انصارا وفي الاخرة لا انساب ولا اسباب لما سمع الجلاس هذا قال يا
رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته ولقد صدق عامر فتاب
وحسنت توبته . ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن

ما يقول محمد

من الصالحين: نزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الفقراء كان اذا صلى
خرج مسرعا فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لي وامرأتي
ثوب واحد فاذا صليت قد نزعته لها فقال ادع الله تعالى يا رسول الله ان يرزقني
مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي
بعثك بالحق لئن اعطاني الله تعالى مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له
فاتخذ غنما فنمت كما تنمي الدود فضاقت بها المدينة فنزل واديا وترك
الجماعة والجمعة فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انه اتخذ غنما ونزل
واديا فقال ويح ثعلبة فلما نزل قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها
فارسل مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم فلما
اتيا ثعلبة واقرآه كتاب رسول الله في الصدقات وفرائضها فقال
ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت الاية
فسمع بها بعض اقارب ثعلبة فاتاه فقال ويلك قد نزل فيك القرآن
فاتى ثعلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقته فقال ان الله منعني ان
اقبل صدقتك فشرع يحثو التراب على رأسه فان قلت باب التوبة
مفتوح الى ان يطلع الشمس من مغربها فلم لم تقبل توبته وقد جاء تائبا
قلت توبته لم يكن عن اخلاص دل عليه قوله فاعقبهم نفاقا الى يوم يلقونه
فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بصدقته الى ابي بكر فلم يقبلها
ولما قبض ابو بكر رضي الله عنه جاء بها عمر رضي الله عنه في خلافته فابى ان
يقبلها فلما ولي عثمان اتاه بها فابى ان يقبلها وهلك في خلافته: فلما
اتاهم من فضله بخلوا به: لم يؤدوا زكاته وفيه دليل على ان من ادى زكوة
ماله انسلخ عنه اسم البخيل: وتولوا وهم معرضون: اي دأبهم الاعراض
عن امتثال اوامر الله تعالى: فاعقبهم نفاقا في قلوبهم: اي جعل عاقبة
ذلك البخل النفاق في قلوبهم وانما ذكرنا لانها مصدر الشماح والبخل وسائر الاخلاق
وعن الحسن وقتادة ان الفعل مسند الى البخل ولا
يلائمه الضماير السابقة واللاحقة: الى يوم يلقونه: اي الله او جزاء
نفاقهم: بما اخلفوا الله ما وعدوه: اي بسبب اخلافهم وعد الله: وبما
كانوا يكذبون: في مقالهم وفي الحديث آية المنافق ثلث اذا وعد اخلف
واذا حدث كذب واذا خاصم فجر: الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم
اي قد علموا ذلك تعجب من جهلهم وتوبيخ على فعلهم بعد علمهم والسر هو
الكتمان مطلقا والنجوى ما تساربه اثنان او اكثر: وان الله علام الغيوب
كلها: الذين يلمزون المطوعين: رفع او نصب على الذم: من المؤمنين

في الصدقات: اي يعيبونهم في شانها وقد اسند البخاري عن ابن
مسعود رضي الله عنه انه قال امرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء ابو عقيل
بنصف صاع وجاء انسان آخر باكثر منه فقال المنافقون ان الله
لغني عن صاع هذا وما فعل هذا الآخر الا رياء فنزلت وروي عن عبد
الرحمن بن عوف انه جاء باربعة الآف وقال كان لي ثمانية الآف
فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله عليه السلام
بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فاستجاب الله دعائه
حتى انه لما توفي صولحت احدى زوجاته له لاربع عن ربع الثمن على
ثمانين الف دينار: والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم
فيسخرون منهم: يستهزؤن بهم: سخر الله منهم: بان كشف عن نفاقهم
وفضحهم: ولهم عذاب اليم في الآخرة: استغفر لهم او لا تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم لانهم اصحاب الدرك الاسفل ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم: اريد به الكثرة لا الحصر فانه يستعمل كثيرا في العرف
لمعنى الكثرة وقد اسند البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
لما مات عبد الله بن ابي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن
ابي وقد قال يوم كذا وكذا وكذا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اخر عني فلما اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت ولو اعلم اني ان
زدت على السبعين يغفر له لزدت عليه قال فصلى عليه ثم انصرف
فلم يمكث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الى قوله
وهم فاسقون فان قلت قد جاء في رواية انه قال قيل لي ان تستغفر لهم
سبعين مرة وسأزيد قلت قوله ذلك عن علمه ذلك بانه لا يغفر له
ولو زاد وان ذلك العدد لم يرد منه الحصر ولا مفهوم له وقوله هذا كان
تطييبا لقلب ابنه فانه من خيار الصحابة رضي الله عنه: ذلك بانهم كفروا
بالله ورسوله: ذلك الغضب الشديد لعظم جناياتهم وهو الكفر بالمنعم
الحقيقي والمجازي: والله لا يهدي القوم الفاسقين: والمراد عدم خلق الاهتداء
فان الدعوة والارشاد عامان وفيه ايماء الى انهم من اهل الطبع لا انه غير مقبول الشفاعة
كيف وقد قبلت شفاعته في سائر الامم فضلا عن مذنبي امته: فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله: اي بقعودهم بعد خروجه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم
وعليه قراءة من قرأ لا يلبثون خلافك الا قليلا او هو مصدر بمعنى المخالفة نصب
على العلة او الحال لم يقل المتخلفون اشارة الى انهم جعلوا كالمغادر الذي خلفوا العدم

الانتفاع بهم ∴ وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ∴ في اعلاء كلمة الله ايثارا
للدعة على الطاعة وفيه تعريض بالمؤمنين بان داعي الايمان وباعث الايقان اخرجهم عن
كل لذة سوى لذة مرضاة الله تعالى حتى ان بذل الاموال والمهج عندهم الذ من كل شيء
∴ وقالوا لا تنفروا في الحر ∴ قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا لهم وهذا شان
صاحب السوء ∴ قل نار جهنم اشد حرا ∴ تجهيل لهم وتخطئة لآرائهم لان من ترك
مشقة ساعة وكان موقنا بانه يقع بذلك في مشقة الابد لم يكن احدا اجهل منه
قال مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف
بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب ∴ لو كانوا يفقهون ∴ لما
اختاروه ∴ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ∴ اي فيضحكون
قليلا وسيبكون كثيرا وانما اخرج في صورة الامر للدلالة على ان ذلك حتم واجب
لا محالة لان الامر للايجاب ولا يحتمل الصدق والكذب يروى ان اهل النار
يبكون مدة بقاء الدنيا لا ترقا لهم دمع وقيل الضحك والبكاء كنايتان عن
السرور والغم وعلى الوجهين اريد بالقلة العدم اذ لا ضحك لهم رأسا ∴ فان رجعك
الله الى طائفة منهم ∴ وانما قيد بطائفة لان المخلفين كانوا طائفتين منهم المؤمنون
المخلصون مثل كعب بن مالك وصاحبيه على ما ياتي في قوله وعلى الثلثة الذين
خلفوا وانما قال رجعك الله دون رجعت اشعارا الى انه لم يفعل ما يفعله الا باذن الله
وانه ملاحظ بعناية الله تعالى في حركاته وسكناته ∴ فاستاذنوك للخروج ∴ الى غزوة
اخرى ∴ فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا ∴ اخبار في معنى النهي للمبالغة
وسمهم بسمة النفاق بين الناس لخرجهم عن ديوان الغزاة آيسين من الغنائم
والصدقات ∴ انكم رضيتم بالقعود اول مرة ∴ اي في غزوة تبوك وكانت لبعد
المشقة وشدة الحر وطيب الثمار محك الرجال ومسبار الاخلاص والنفاق
والاولية اضافية واريد بمرة العدم كانه قيل اول المرات مثل قوله هند اكبر النساء
∴ فاقعدوا مع الخالفين ∴ اي المتخلفين اي مع الزمنى والنساء ∴ ولا تصل على احد منهم
مات ابدا ∴ اسند البخاري عن ابن عمر انه لما مات ابن ابي جاء ابنه عبد الله الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله ان يكفنه في قميصه ويصلي عليه فكفنه في قميصه
وصلى عليه ونزل قبره ووضعه على ركبته وتفل من ريقه في فيه كل ذلك رافة
وتطييبا لقلب ابنه واستجلابا لخواطر الناس ولعل ان يكون ذلك باعثا
لبعض المنافقين على الاخلاص مع انه لم يكن نهي عن الصلوة عليهم وما قيل انه
لما اراد الصلوة عليه جذبه جبريل ليس له اصل وانما عبر عن الموت في المستقبل
بالماضي لكونه كائنا لا محالة والقول بان ابدا قيد للموت فان الكافر لما كان حقيقا
بالتعذيب فكانه لم يحي بمخلف لظهور ان المراد نهي رسول الله في المستقبل عن

مثل ما ارتكبه من الصلوة على ابن ابي ∴ ولا تقم على قبره ∴ كناية عن ترك الدعاء لم
كان يقوم على القبور ويدعو للموتى انه قال ان هذه القبور مملوءة ظلمة وان الله
ينورها بدعائي ∴ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ∴ علة للنهي ∴ ولا
تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم
وهم كافرون ∴ اعاده لوقوع التراخي بين النزولين ولكونه من الامور المهمة
التي يجب ان يكون نصب العين فان النفوس حريصة على جميع الاموال
مجبولة على حب الاولاد والمال والبنون زينة الحيوة الدنيا وانما ذكر اولا
بالفاء وهنا بالواو لانه في الاولى رتبه على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون ∴
وكونهم كارهين للانفاق انما هو لاعجابهم بها وهنا لم يقصد سوى الافادة
فلا وجه للفاء ∴ واذا انزلت سورة ∴ اي كاملة او بعضها مجازا وليس كاطلاق
القرآن على الكل والبعض دل على انهم كانوا يتخلفون في سائر الغزوات
وقد صرح به في قوله سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا
ان آمنوا بالله ∴ اي داوموا على ذلك ∴ وجاهدوا مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم ∴ اولوا المال والسعة واصله النفع والغناء ومنه حديث
ابن مسعود في قتل ابي جهل ضربته بسيف غير طائل ∴ وقالوا ذرنا نكن مع
القاعدين ∴ الذين لهم علة وعذر في القعود ∴ رضوا بان يكونوا مع الخوالف
مع النساء جمع خالفة والخالفة لغة من لا نفع فيه وفي الحديث ان اعرابيا جاء
ابا بكر وقال انت خليفة فقال لا انا الخالفة وقد اشتهر في النساء لقلة نفعهن
وقال وليس بولاج الخوالف اعقلا ∴ فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ∴ ما فيه الخير
لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم ∴ لكن قد نفقه من هو
اعلى شانا واخلص طوية وازكى معتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها
قوما ليسوا بها بكافرين ∴ واولئك لهم الخيرات ∴ في الدارين او الحور لقوله
فيهن خيرات حسان ∴ واولئك هم المفلحون ∴ الفائزون ∴ اعد الله لهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ∴ تفسير
للفلاح ∴ وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم ∴ ذكر رؤساء المنافقين
وما كانوا عليه وما آل امرهم اليه من الموت على الكفر ثم اردفه بذكر رسول الله
ومخلص المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من النعيم المقيم ثم ذكر الاعراب وهم
سكان البوادي الذين لا معرفة لهم في امر الاخرة ولا رشد في امر الدنيا
ولهذا اكثرهم معتذرين والمعذر بتشديد الذال هو المقصر في العذر بان يوهم ان له
عذرا ولا عذر له وروي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما بتخفيف
من الاعذار وهو المبالغة في اظهار العذر وكانهم من جملتهم بالغوا فيه حتى صارت

لمكث المبالغة مظنة الكذب وهم اسد وغطفان وقيل رهط عامر بن
الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا وقيل
المعذر اصله المعتذر فادغم كما في المذكر وهو الصادق في عذره وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله طائفة من الاعراب منافقون تخلفوا ولم يعتذروا
فظهر بذلك كذبهم مع الله ورسوله وقيل هم الاولون وصرح بانهم كاذبون
في ذلك الاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم اي لبعضهم
لان من المذكورين من له عذر صحيح او تقاعد للكسل لا للكفر والعذاب الاليم الخزي
في الدنيا والاشتهار بسمة النفاق وفي الاخرة عذاب النار وقيل في الدنيا
بالقتل وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين واعتذر بانه
يقال ان محمدا يقتل اصحابه ليس على الضعفاء كالشيخ الهرم ومن خلق
نحيفا ولا على المرضى الذين بهم مرض لا يستطيعون معه الجهاد ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة حرج في
التاخر اذا نصحوا لله بان اطاعوا الله ورسوله سرا وعلانية ما على المحسنين
من سبيل طريق للعقاب او العتاب وضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على انهم بذلك النصح منخرطون في سلك المحسنين والله غفور للمسيء فضلا
عن المحسنين رحيم لمن يشق على المعذورين ولا على الذين اذا ما اتوك
لتحملهم اي ولا جناح على هؤلاء الاصحاء الذين جاؤك سائلين حملانهم لكونهم
فقراء غير قادرين قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من المفعول بتقدير قد او
استئناف بتقديم العلة على الحكم اقتضاءا كانه قيل ولا على الذين اذا ما اتوك
لتحملهم لقولك لا اجد ما احملكم عليه يتولون باكين تولوا جواب اذا ما واعينهم
تفيض تسيل بكثرة من الدمع من بيانية كانه قيل اعينهم تسيل دمعا اثر
هذا الاسلوب مبالغة في سيلانها كقولك تفيض دمعا فالجار والمجرور في محل
النصب على التمييز حزنا مفعول له او حال او مصدر لفعل دل عليه ما قبله
الا يجدوا ما ينفقون اي لئلا يجدوا علة للعلة اسند البخاري عن ابي موسى
الاشعري قال جئنا نفرا من الاشعريين نستحمل رسول الله عليه السلام فجئته وهو
غضبان فحلف انه لا يحملنا ولا عنده شيء يحملنا عليه فخبثت واخبرت اصحابي
فلما تولينا اذا انا ببلال ينادي يا عبد الله بن قيس اجب رسول الله قال فجئته
فاعطانا ست ذود غر الذرى فلما رجعت الى اصحابي قلت لهم ما كان من الامر
وحلفت ان لا امكنهم من الذود حتى اتي بهم الى من سمع قول رسول الله اولا
ومنعه ثم اعطائه ثانيا لئلا تظنوا اني قلت على رسول الله ما لم يكن قالوا والله انك
عندنا الصدوق ولنفعلن ما تحب فلما جئنا رسول الله قلنا والله لا يبارك لنا

تغفلنا

تغفلنا رسول الله يمينه فقلنا يا رسول الله قد حلفت ان لا تحملنا وقد حملتنا فقال
ما انا حملتكم انما حملكم الله فوالله اني لا احلف على شيء وارى غيره خيرا الا اتيت
الذي هو خير الا اتيت الذي وكفرت عن يميني انما السبيل على الذين يستاذنونك
وهم اغنياء واجدون اهبة السفر وعدة الحرب رضوا بان يكونوا مع الخوالف
استئناف يجري مجرى التعليل كانه قيل انما ارتكبوا ذلك رضاءا بالدناءة
والانتظام في سلك النساء وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون فتح ذلك
يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم من غزوة تبوك قل لا تعتذروا با
بالاكاذيب لن نؤمن لكم لن نصدقكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض
ان نصدق فيما نعتذر به قد نبانا الله من اخباركم بعض اخباركم وهو ما تكتمونه
من الشر والفساد علة لانتفاء التصديق لان الله تعالى اذا اخبر بشيء لزم
كذب ما ينافيه وسيرى الله عملكم ورسوله اي دعواكم انكم تحبون الله ورسوله
سيعلم الله ذلك منكم ورسوله ان كان ما تقولون حقا حث على الاخلاص
والتوبة النصوح ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة في وضع المظهر موضع
المضمر مع ذكر الغيب والشهادة وعيد شديد وردع لهم عن مخالفة الباطن
الظاهر فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم اخبار عنهم بما سيفعلونه في المستقبل لتعرضوا عنهم ولا توبخوهم فاعرضوا
عنهم اجابة لهم الى بغيتهم انهم رجس علة للاعراض لان معاتبتهم كمن لطخة النجس
فيتلوث المتلطخ ولا سبيل الى تطهيره وماواهم جهنم محلفون لها فاي فائدة في
معاتبتهم اذ لا يرجى منهم ارعواء جزاء بما كانوا يكسبون علة لكونهم من اهل جهنم
يحلفون لكم لترضوا عنهم وتدوموا معهم على الود الذي كان بينكم فان ترضوا عنهم
فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي عنهم والاتيان بالاسم الظاهر لتعليل
عدم الرضى والمعنى ان رضاكم لا يجديهم نفعا اذا كان الله ساخطا عليهم لان الامر
كله بيده عاجلا واجلا وفيه ايماء الى ان المؤمن لا يليق به ان يرضى عمن كان في سخط
من الله تعالى لما امروا بالاعراض عنهم فاعرضوا ولم يعاتبوهم شرع المنافقون في اجلاب
الرضا بالايمان الكاذبة والقول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة جاء عبد الله
ابن ابي فحلف انه يتخلف عنه ابدا سهو لان عبد الله كان معه في غزوة تبوك
صح ذلك في البخاري وغيره الاعراب اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لبعدهم عن
استماع العلم والحلم وفي الحديث الجفاء في الفدادين اهل الوبر عند اصول اذناب
الابل والسكينة في اهل الغنم واجدر واولى واخلق ان لا يعلموا حدود ما انزل الله
على رسوله احكام المنزل من الاصول والفروع والله عليم كامل العلم بحال كل شخص
حكيم فيما يصنع ولذلك الحكم على مراتب المنافقين ودرجاتهم ليتعاملوا كلا على

خبث حاله ❊ ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ❊ حكم على الجنس اولا والحكم عليه لا يستلزم
الحكم على جميع الافراد لذلك وفصل افراده بقسمين فالاول هم المنافقون الذين يعدون
ما ينفقونه في سبيل الله خسرانا والغرامة ما يصرفه الرجل فيما لا يلزمه كرها اما لتقية او لانفة
وفتوة وهم كانوا يصرفونه رياء وتقية ❊ ويتربص بكم الدوائر ❊ ويترقب بكم الدوائر و
يترقب بكم الزمان جمع دائرة وهي ما يحيط بالانسان من كل جهة ويدور عليه
واستعمالها في الشر ❊ عليهم دائرة السوء ❊ اعتراض بالدعاء عليهم وفيه من الدلالة على
شدة غضب الله عليهم ما لا يكتنه لان من امره بين الكاف والنون يطلب من نفسه
اصابتهم بالسوء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين على انه اسم للعذاب والبلاء والباقون
بالفتح على انه مصدر والاول ابلغ له لانه على الاستمرار وصراحته ❊ والله سميع ❊ لما يقولون
بافواههم نفاقا ❊ عليم ❊ بضمائرهم وما يبطنونه من الكفر ❊ ومن الاعراب من يتخذ ما
ينفق قربات عند الله ❊ هم القسم الثاني وهم المؤمنون المخلص والمعنى يتخذون ما
ينفقونه سبب قربات وحصولها عند الله ❊ وصلوات الرسول ❊ وسبب صلواته
لانه كان يدعو للمتصدقين لقوله وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم ❊ الا انها قربة لهم ❊
بشارة منه تعالى بان ذلك بموقع عنده صدر الاستيناف بحرف التنبيه
وآثر بصيغة القربة مفردة اشارة الى ان تلك القربات بمثابة القربة
الواحدة التي لا تقبل التجزي ردا وقبولا بل كلها مقبولة ❊ سيدخلهم الله في رحمته
دليل على القبول والرضاء ❊ ان الله غفور ❊ لما فرط منهم ❊ رحيم ❊ حيث قبل منهم
واجزل في الثواب متفضلا ❊ وقرأ ورش قربة بضم الراء وهما لغتان والسكون
اكثر قيل هم عبد الله ذو النجادين ورهطه والاية الاولى في اسد وغطفان ❊ و
السابقون ❊ مبتدأ خبره ❊ الاولون ❊ او من المهاجرين او رضي الله عنهم والجملة
من عطف قصة على اخرى من جزاء المخلص من مؤمني الاعراب الذين لا سابقة
لهم في الاسلام ولا كمال في العرفان اشار الى اكمل الفرق الذين حازوا قصب
السبق في مضمار السعادة وبين منزلتهم عنده وما اعد لهم والسابقون من
الطائفتين من صلى الى القبلتين وشهد بدرا وقيل الذين اسلموا قبل الهجرة
وقيل من سبق الى الهجرة والنصرة مطلقا لاطلاق اللفظ ❊ من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان ❊ من غير الطائفتين لقوله في سورة الحشر
والذين جاؤا من بعدهم وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قرأ والانصار
بالرفع عطفا على السابقين وكان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو
ليكون صفة الانصار فيكون وصف السبق مختصا بالمهاجرين والاتباع بالانصار
حتى قال له زيد بن ثابت انه بالواو فسأل ابي بن كعب فصدق زيد بن ثابت
فقال عمر من اقرأك هذه القراءة قال ابي اقرأني رسول الله عليه السلام

وانت

وانت تبيع القرظ قال عمر صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا
وخذلتم وآوينا وطردتم ❊ رضي الله عنهم ❊ بقبول طاعتهم ❊ ورضوا عنه ❊ بما نالوا
من الكرامة في الدارين ❊ واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قرأ ابن كثير بزيادة من كما في سائر المواضع على انها ابتدائية ومن حذفها جعل
تحتها ظرفا وهو المختار لان انهار الجنة جريانها فظلل بالاشجار والرسم فيه بحذف
والاثبات مختلف ❊ ذلك الفوز العظيم ❊ الذي لا يحاط به ❊ وممن حولكم
من الاعراب منافقون ❊ هم عصية وغطفان والقول بان منهم اسلم وغفارا
سهو ظاهر لما روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله
وغفار غفر الله لها ودعا على عصية لانها عصت الله تعالى ورسوله ❊ ومن اهل المدينة
مردوا على النفاق ❊ تمرنوا عليه وتمهروا فيه ❊ لا تعلمهم ❊ مع كمال فطنتك وصدق
فراستك ❊ نحن نعلمهم ❊ لاطلاعنا على السرائر وذوات الصدور ❊
سنعذبهم مرتين ❊ الاولى بالملائكة حين الموت يضربون وجوههم وادبارهم
او باطلاعك على نفاقهم واخراجك اياهم عن زمرة المسلمين على ما روى ابن
عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على المنبر يوم الجمعة خطيبا
فقال اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج اناسا وفضحهم والاخر عذاب
القبر وعن الحسن اخذ الزكاة من اموالهم فان الاموال شقيق الروح
ثم يردون الى عذاب عظيم ❊ عذاب النار نعوذ بالله تعالى منه ❊ وآخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ❊ عطف على منافقون
اي ومنهم طائفة عملوا صالحا وآخر سيئا ❊ او عطف على قصة اخرى وهذا
اولى لما روى البخاري عن سمرة بن جندب ان رسول الله عليه السلام قال
اتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب
فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا ولبن فضة فتلقانا رجال
شطر منهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا
فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم
فصاروا في احسن صورة فقالا لي هؤلاء قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
تجاوز الله عنهم وقيل كانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس
ابن ثعلبة ووديعة بن خذام وقيل كانوا عشرة سبعة منهم اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد فلما قدم رسول الله ودخل المسجد فصلى ركعتين فسأل
عنهم فاخبر انهم حلفوا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي
يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فنزلت فاطلقهم ❊ عسى الله
ان يتوب عليهم ❊ ان الله غفور ❊ يتجاوز عن الذنب اذا تيب منه

رحيم: يتفضل بعد التوبة بجعل سيئاته حسنات: خذ من اموالهم صدقة
من اموال المعترفين روى انهم لما اطلقوا اخرجوا من اموالهم وقالوا يا رسول الله
هذه اموالنا التي تخلفنا لاجلها فاجعلها فيما اراك الله فقال لم اومر
بذلك فنزلت: تطهرهم: من الذنوب او من حب المال الذي هو
رأس كل خطيئة: وتزكيهم: التزكية مبالغة في التطهير او بمعنى الانماء
والبركة في المال: بها: باخذها تنازع فيها الفعلان: وصل عليهم: وادع لهم
ان صلاتك سكن لهم: تسكن اليها نفوسهم وتطيب بها قلوبهم
وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتوحيد والباقون بالجمع وهو
المختار لاشتماله على انواع الدعاء ويستحب ان يقول اجرك الله فيما
اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت واما قوله لابي اوفى
لما جاء بصدقته اللهم صل على ابي اوفى من خواصه لان الصلوة حقه و
والله سميع عليم: سميع اقوالهم عليم بنياتهم: الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده اي قد علموا ذلك والضمير للمتوب عليهم والمراد تقرير قبول
توبتهم والاعتداد بصدقاتهم لان لفظ عسى وان كان معناها من الله التحقيق
والوجوب الا انها في الاصل للرجاء او لغيرهم ترغيبا وحثا عليها: ويأخذ
الصدقات: كما يأخذ احدكم من يد صاحبه وفي الحديث ان الصدقة
تقع في يد الرحمن قبل وقوعها في يد السائل: ان الله هو التواب الرحيم
من شانه قبول توبة التائبين وفائدة التخصيص على الاخلاص فيها
لانه لا يخفى عليه خافية: قل اعملوا: ايها التائبون: فسيرى الله عملكم: لا يخفى عليه
شيء: ورسوله: يعلم بذلك ايضا: والمؤمنون: بامارات او باخبار الرسول
انكم مخلصون او المصرون على النفاق: ستردون الى عالم الغيب والشهادة
بالموت او بالحشر اليه يوم القيمة: فينبئكم بما كنتم تعملون: فيجازيكم عليه
فان قلت لما ذكر المنافقين اردفه بقوله وسيرى الله عملكم ورسوله
وزاد هنا بعد ذكر المخلصين وقبول صدقتهم المؤمنين ما الحكمة في ذلك
قلت الحكمة ان الاطلاع على حال المنافقين وخبث باطنهم مخصوص بالله
ويعلم بذلك رسوله بالوحي والمؤمنون لا اطلاع لهم على شيء من ذلك واما
اخوانهم فحالهم معلوم عندهم فلذلك ذكرهم مع الله ورسوله: وآخرون مرجون
لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم: قرا ابن كثير وابو عمرو وشعبة عن
عاصم مرجؤون بالهمز وهي لغة بني تميم والباقون بحذفه وهي الثانية اي
وطائفة من المتخلفين مؤخر امرهم لا يعلم حالهم هل تقبل توبتهم ام لا وهم
كعب بن مالك الانصاري من بني سلمة ومرارة بن الربيع الزبيدي و

وصلى ابن امية الواقفي وهم الثلثة الذين خلفوا وسياتي قصتهم فان قلت
قد تواترت النصوص على قبول الله التوبة عن التائب اذا كان مخلصا في توبته
فما الحكمة في تاخير قبولها من هؤلاء الثلثة وارجاء امرهم مبهما قلت الحكمة
في ذلك الاشارة الى عظم جناياتهم وان التخلف عن رسول الله في مثل
ذلك السفر كسلا وركونا الى اللذة امر عظيم الا يرى الى بكاء آدم عليه السلام
على تلك الصغيرة اربعين عاما ولذلك داود عليه السلام وقصة حزنه وشدة
بكائه مشهورة: والله عليم: باحوال الخلق: حكيم: فيما يصنع من قبول التوبة
تارة وتاخيرها اخرى: والذين اتخذوا مسجدا ضرارا: اي من المنافقين وهم
بنو غنم بن عوف فانهم لما رأوا اخوتهم وهم بنو عمرو بن عوف بنوا مسجد قباء
وصلى فيه رسول الله عليه السلام وكان يزوره في كل سبت ياتيه راكبا وماشيا
حسدوهم وقالوا نبني مسجدا ايضا ويصلي فيه رسول الله وابو عامر الراهب
وهو الذي حزب الاحزاب على رسول الله عليه السلام وهرب يوم حنين الى
الشام وارسل يخبر المنافقين بانه يقدم اليهم بجيش بني الاصفر ويحارب
محمدا ويخرجه فمات بقنسرين وحيدا طريدا لعنه الله وقرا نافع وابن عامر الذين
اتخذوا بحذف الواو على انه استيناف قصة للمنافقين وعليه رسم المدني
والشامي والقول بانه بحذف الواو بدل من مرجون غلط لانهم مخلصون آخر
توبتهم: وكفرا: لتقوية الكفر: وتفريقا بين المؤمنين: فانهم كانوا يصلون في
مسجد قباء مجتمعين: وارصادا لمن حارب الله ورسوله: هو ابو عامر من قبل
متعلق بحارب وقيل باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافقوا بالتخلف
وفيه ان نفاقهم كان موجودا قبل: وليحلفن ان اردنا الا الحسنى: اي بعد
اطلاعك على حالهم يعتذرون بالايمان وانهم مخلصون: والله يشهد انهم
لكاذبون: وان ابانهم عمرتة بنوه قبل غزوة تبوك وقالوا بنينا مسجدا لذي
علة والليلة المطيرة ونحب يا رسول الله ان تاتي فتصلي لنا فيه فقال اني على جناح
سفر فاذا قدمنا جئنا ان شاء الله تعالى فلما قدم من غزوته سألوه اتيانه
فنزلت فارسل جماعة من الصحابة وقال لهم اذهبوا الى هذا المسجد الظالم اهله
فاهدموه واحرقوه واتخذ مكانه كناسة: لا تقم فيه ابدا: اي لمحة طرف
فضلا عن العبادة فيه: لمسجد اسس على التقوى: مسجدك الذي بنيته
واسسته لله وهو مسجد المدينة كذا رواه البخاري عنه حين سئل عن المسجد
الذي اسس على التقوى فاشار اليه وقال هو مسجدكم هذا وقيل هو مسجد قبا
لان الكلام فيه وفي مسجد الضرار ولا دلالة في اللفظ على الوحدة بل كل منهما
اسس على التقوى واشارته الى مسجد المدينة حين سئل لاشتهار مسجد قبا

كذلك: من اول يوم تاسيسه لم لشبه ريبة: احق ان تقوم فيه: فان قلت احقية
هذا تدل على حقية ذلك في الجملة ومعلوم ان لا شائبة للحق في ذلك قلت اريد
المبالغة اي لو كان ذلك بنى لله كان هذا احرى بالقيام فيه فكيف وقد بني
لانواع من الكفر: فيه رجال يحبون ان يتطهروا: قيل لما نزلت مشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمهاجرون معه حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار
جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم فقال عمر مؤمنون يا رسول الله وانا
معهم ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم في الطهور فما طهوركم قالوا نتبع الماء
الاحجار في الاستنجاء: والله يحب المطهرين: يرضى عنهم ويفعل معهم ما يفعل المحب
مع محبوبه: افمن اسس بنيانه على شفا جرف هار: وشفا كل شيء طرفه
والجرف ما جرفه السيل وذهب باصله وهو مشرف على السقوط ساقط قاعه
والهار ما انصدع وانشق وهو ثابت بعد لكن بصدد السقوط اسم فاعل وزنه فعل
قلبت واوه الفا وقد يقال انه محمول على القلب مكانا فوزنه فالع ويظهر ذلك
في حالة النصب: فانهار به في نار جهنم: فادى به قلة استمساكه وتجوزه الى السقوط
بتقوى الله وابتغاء مرضاته اساس قوي لا يزعزعه شيء والباطل لا ثبات له لقوله
تعالى واما الباطل فيذهب جفاء ولذلك مثله بشفا جرف هار اذ لا اضعف
منه ولا اقل بقاء ولما جعله مجازا عن الباطل رشحه بالانهيار الذي هو للجرف
لتصور ان المبطل بصدد السقوط في نار جهنم وقرا نافع وابن عامر اسس على
البناء للمفعول والباقون على الفاعل وهو المختار لاسناده الى المباشر ولقوله بنوا
وقرا ابن عامر وشعبة عن عاصم وحمزة جرف بسكون الراء وهما لغتان الضم لغة
الحجاز والسكون لغة تميم والله لا يهدي القوم الظالمين: هم الذين خلقوا للنار
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم: اي سببا لتزايد الشك والنفاق و
ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بهدمه ثقل ذلك عليهم وازدادوا
بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد عداوتهم وبقوا مرتابين في امرهم هل
يبقون بين المسلمين كما كانوا ام يقتلون: الا ان تقطع قلوبهم: قطعا لا يبقى
فيها ما يصلح للادراك والاستثناء من اعم الازمنة وقيل بتقطيع القلوب كناية
عن التوبة ندما واسفا وقرا ابن عامر وحفص وحمزة بفتح التاء مضارع تقطع
بحذف احدى التائين مبنيا للفاعل والباقون بضم التاء على بناء المفعول من
التقطيع والاول اوفق لشيوع تقطع قلبه في الموت: والله عليم: بنياتهم واعمالهم
حكيم: في افعاله ولذلك حبب مساعيهم واظهر نفاقهم لئلا يقدم احد على مثل
فعلهم: ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة: لما بين حال
فرق المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك اشار الى ان المؤمنين بالمبادرة

الى الجهاد بالاموال والانفس رابحون اية ربح ومثل اثابة الله اياهم بالجنة على
ذلك البذل بالشرآء الذي هو عقد لازم من الطرفين وقدم الانفس على
الاموال اشارة الى انهم ببذل ارواحهم اسمح منهم ببذل الاموال يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون: خبر في معنى الامر اي ليقاتلوا في سبيل الله تسليما
للثمن ليتعين فان البيع قد تعين او لما كان هذا البيع في المعنى سلما يجب تسليم
راس المال فيه او استئناف لبيان ما له الشرى وقرا حمزة والكسائي مبنيا
للمفعول في الاول والفاعل في الثاني على عكس قرآءة العامة وفيه مدح لهم بالشجاعة
اذ قد قتلوا العدو بعد وقوع القتل على بعضهم فيدل على قوة ايمانهم وانهم بموت
بعضهم لم يحصل لهم فترة ولا وهن وقرآءة العامة اولى لعدم احتياجها الى التاويل
ولان الرتبة العليا ان الانسان يقتل اولا ثم يقتل لجمع الفضيلتين على ان الواو
لا يدل على الترتيب: وعدا عليه حقا: مصدر مؤكد: في التورية والانجيل
والفرقان: هذا على متعارف الناس فان المبلغ اذا كان له قدر تكتب له الوثيقة
وقد بالغ في ذلك حتى انزله في الكتب الثلثة التي عليها مدار سائر الشرايع
ويحتمل ان يراد بالقران زبور داود لما في الحديث ان داود كان يامر ان يسرج
له الدابة فيختم القران قبل ان تسرج فيكون الوعد مسطورا في الكتب الاربعة
ومن اوفى بعهده من الله: اي لا احد فان الخلف في الوعد كذب والله تعالى مقدس
عن ذلك غني عن ارتكابه اعاده بلفظ العهد ايماء الى ان ذلك الوعد محفوظ
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به: اي افرحوا فرحا شديدا يظهر اثره في
بشرتكم والسين للتاكيد: وذلك هو الفوز العظيم: الذي لا فوز فوقه ولا
ترغيب احسن فلا بانيت اهل الجنان: التائبون: رفع على المدح اي هم المذكورون
ويدل عليه قرآءة عبد الله وابي التائبين ويجوز ان يكون ابتداء كلام خبره ما بعده
اي التائبون الموصوفون بهذه الصفات والقول بجواز كونه مبتدا خبره محذوف
اي التائبون من الجنة لا يناسب المقام ولا فخامة فيه: العابدون: لله تعالى
مخلصين في عبادته: الحامدون: على نعمائه وعلى كل حال: السائحون في
الارض للاعتبار برؤية مصنوعاته وعجائب خلقه وقيل هم الصائمون لما في
الحديث من اطلاق السياحة عليه لانه يسير في المعارف وفي الملكوت لان
الروح اذا كفت عن الشهوات تجلى للنفس عالم الغيب: الراكعون الساجدون
في صلوتهم لا كاهل الكتاب: الامرون بالمعروف: ما عرف من الشرع حسنه
والناهون عن المنكر: عما انكره الشرع وانما عطف احدهما على الاخر لكونهما
في المعنى صفة واحدة لا استقلال لاحدهما بدون الاخر: والحافظون لحدود الله
احكامه من عطف العام على الخاص: وبشر المؤمنين: اي هؤلاء الموصوفين

وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان الحامل على تلك الخصلة هو الايمان وحذف
المبشر به ايماء الى انه من العظم بحيث لا يحيط بها الوصف او العلم به لذكره
في سائر الايات ∴ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ∴
روى البخاري مرفوعا ان ابا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال يا عم قل لا اله الا الله
كلمة احاج بها لك عند الله فقال ابو جهل وعبد الله يا ابا طالب اترغبت
عن ملة عبد المطلب فكان آخر كلمة قالها انه على ملة عبد المطلب ودين اشياخه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اني لاستغفرن لك ما لم انه عنه فنزلت
ما كان للنبي الخ وما قيل ان ابا طالب مات بمكة والسورة مدنية نزلت في غزوة
تبوك فلا اشكال فيه لان رسول الله كان يستغفر له الى وقت نزول براءة
من الله ورسوله من المشركين ثم ما اعجب ممن يفسر كلام الله ويطلع
على هذا الحديث ثم يورد في الكتب ان ابا طالب مات مؤمنا ويجمع لذلك
احاديث مختلفة موضوعة وقيل نزلت في زيارة امه لما في الحديث انه
زارها وبكى قال استاذنت في زيارتها فاذن لي واستاذنته في الاستغفار
لها فلم ياذن لي ∴ ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
بموتهم على الكفر لانهم ما داموا احياء لم يعلم حالهم وهي مسئلة موافاة الاشعري
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ∴ دفع لما يقال
ان لو كان الاستغفار للكافر غير جائز فكيف صدر من ابراهيم وهو
قدوة الموحدين كان لوعد سبق منه بقوله لاستغفرن لك وحقيقة
الاستغفار للكافر طلب التوفيق له بالتوبة ∴ فلما تبين له انه عدو لله ∴
بان مات كافرا او اخبر ابراهيم بانه يموت كافرا ∴ تبرأ منه ∴ وقطع الاستغفار
فان قلت كيف جاز لرسول الله ان يستغفر لابي طالب بعد موته قلت
الاستغفار للكافر جائز عقلا ولم يكن ورد فيه نهي فكان لشدة رافته
بعمه يستغفر له ولذلك قيده بقوله لاستغفرن لك ما لم انه عنه ∴ ان
ابراهيم لاواه ∴ كثير التاوه كناية عن فرط رافته ∴ حليم ∴ يحمل الاذى يقول له
ابوه لارجمنك وهو يقول في جوابه لاستغفرن لك ∴ وما كان الله ليضل
قوما بعد اذ هداهم الى الاسلام ∴ حتى يتبين لهم ما يتقون ∴ تسلية لرسول الله
الذين كانوا يستغفرون لاقاربهم المشركين والمعنى لم يخلق الله الضلال
ولم يحكم به على قوم بعد هدايتهم الى الاسلام حتى يتبين لهم حرمة ما يجب
اتقاؤه وذلك مثل حرمة الخمر فان الصحابة كانوا يشربونها ولم يكن
ذلك من الضلال في شيء ∴ ان الله بكل شيء عليم ∴ يعلم حال الحرمة و

والاباحة ∴ ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير ∴ المالك المتصرف وما امر به يجب المبادرة اليه
وما نهى عنه يلزم الكف عنه واشار الى ان فائدة القرابة هي الولاية والنصر
ولا ولاية ولا نصر الا منه فعلى العاقل ان يتوجه اليه بكليته ويقبل الى جنابه
قدسه بشراشره ويعرض عما سواه ∴ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار ∴ عن ابن عباس رضي الله عنه هو اذنه للمنافقين في التخلف
لقوله عفا الله عنك وقيل ذكر النبي لافتتاح الكلام والمراد التوبة على
من معه من المهاجرين والانصار لما فرط منهم في احد وحنين او بعث للمؤمنين
على التوبة وما من مؤمن الا وهو يحتاج الى التوبة نبيا كان او وليا
لقوله تعالى توبوا الى الله جميعا والتوبة لها مراتب اولاها التوبة من الشرك
واقصاها ربط السر على التوحيد ومطالعة جلال الله فالذهول عن
ذلك ولو لمحة طرف يوجب التوبة على الكمل كما يوجب ارتكاب
الكبيرة على عامة المؤمنين وعليه يحمل قوله عليه السلام وانه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله
في اليوم سبعين مرة ∴ الذين اتبعوه في ساعة العسرة ∴ كانوا في
ضيق من الظهر والنفقة وكان السفر طويلا والوقت حارا ولذلك
سمي جيش العسرة حتى ان جماعة كانوا يتعقبون على راحلة ∴ من بعد
ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ∴ عن الثبات على الايمان واتباع الرسول
كناية عن الشدة وفي كاد ضمير الشان اي الامر والشان قرب زيغان
قلوب فريق وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقيل فيه ضمير القوم
وقرا حفص عن عاصم وحمزة يزيغ بالياء لاسناده الى مؤنث حقيقي والباقون
بالتاء وهو المختار لعدم الفاصل ∴ ثم تاب عليهم ∴ اي على الفريق وعفا عنهم
ذلك وثبت قلوبهم وقيل توكيد للاول وفيه تنبيه على انه انما تاب
عليهم لما كابدوه من العسرة ∴ انه بهم رؤف ∴ كثير الرافة ∴ رحيم ∴ بهم
وعلى الثلثة الذين خلفوا ∴ خلف امرهم اي اخر ولم يبت وهم المرجؤن
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ∴ برحبها اي مع سعتها كناية عن
شدة حزنهم كانهم لا يجدون مكانا يقرون فيه لغاية قلقهم ∴ وضاقت
عليهم انفسهم ∴ من غاية فرط الغم وترك الوحشة ∴ وظنوا ان لا ملجأ من الله
الا اليه ∴ علموا ان لا ملاذ من سخطه الا بالاستكانة اليه عبر عن ايقانهم بالظن مدحا
لهم بان الظن منهم يوجب قصر الهمة والتوجه اليه فكيف وهم موقنون ∴ ثم تاب
عليهم ∴ وفقهم للتوبة او انزل توبتهم ∴ ليتوبوا ∴ عن ارتكاب مثله او ليتوبوا اذا
صدر منهم ذنب لما علموا من هذه الواقعة ∴ ان الله هو التواب ∴ ولو عاد المذنب

في اليوم مائة مرة :: الرحيم :: بعد التوبة يجعل السيئات حسنات :: يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله :: في مخالفته وارتكاب ما لا يرضاه :: وكونوا مع الصادقين :: رسول الله وصحابه
زجر لمن تخلف عنه وهو صادق في ايمانه كالثلثة فانهم كانوا صادقين من خلص
المؤمنين روى البخاري عن كعب بن مالك وهو احد الثلثة ما اعلم احدا ابلاه الله تعالى
في صدق الحديث احسن مما ابلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله
الى يومي هذا كذبا :: ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
نهي اخرج في صورة النفي مبالغة والمعنى ما استقام للطائفتين ان يتخلفوا عنه :: ولا
يرغبوا بانفسهم عن نفسه :: لان نفسه اعز نفس عند الله بل يجب على من آمن
ان يجعل نفسه وقاية لنفسه ويؤثر حياته على حياته كما فعل ابو طلحة يوم احد فانه
كان محنيا عليه بجحفته ويقول لا تنظر الى القوم يصيبك سهم نحري دون نحرك
يا رسول الله وكان يده شلاء وقى بها رسول الله يوم احد فضربت بسيف روى البخاري
ان ابا خيثمة كان من المتخلفين وكانت له امراة حسناء فدخل بستانه وهي
معه ففرشت له وقربت اليه الماء البارد والرطب فلما نظر ذلك قال امراة
حسناء ورطب يانع وماء بارد ورسول الله في حر الشمس والريح ما هذا مقام خير
فوثب ورحل ناقته واخذ السيف وتوجه يخب كالريح الهبوب فلحق رسول الله
وهو بتبوك فلما رآه رسول الله من بعيد يزهاه السراب قال كن ابا خيثمة فكانه
ففرح رسول الله واستغفر له ولا يرغبوا يحتمل الجزم والنصب :: ذلك :: اشارة
الى وجوب المتابعة اي ذلك الوجوب :: بانهم لا يصيبهم ظما :: عطش
ولا نصب :: تعب :: ولا مخمصة :: مجاعة :: في سبيل الله ولا يطؤن موطئا :: لا يدوسون
مكانا من اماكنهم باقدامهم وحوافر خيولهم واخفاف ابلهم ويجوز ان يكون مصدرا
بمعنى الوطئ وهو الاباذة والابتاع كما في قوله عليه السلام لغزوة حنين آخر وطأة
وطئها الله بوج والوج واد بالطائف :: يغيظ الكفار :: وطؤه :: ولا ينالون من عدو
نيلا :: قتلا كان او اسرا او جراحا او نهبا :: الا كتب لهم به عمل صالح :: وصلت
كله مما اوجب المتابعة واقتحام الشدائد :: ان الله لا يضيع اجر المحسنين :: اي اجرهم
وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان الجهاد مع الكفار احسان وان كان فيه
اهلاك النفوس وتخريب الدور لانه سبب اعلاء كلمة الله :: ولا ينفقون ::
نفقة صغيرة ولا كبيرة :: تمرة فما فوقها :: ولا يقطعون واديا :: الوادي منفذ السيل
بين الجبال من ودى اذا سال ومنه الوادي شاع استعماله في مطلق الارض
وهو المراد في الآية :: الا كتب لهم :: ذلك :: ليجزيهم احسن ما كانوا يعملون :: اي كتب
واثبت ذلك في صحائف اعمالهم ليجزوا به يوم القيمة جزاء احسن عمل كانوا عملوه
بان يلحق عملهم الادنى بالاعلى في الجزاء مكافاة لسعيهم وتوفيرا لاجرهم :: وما كان

المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة :: عن ابن عباس رضي الله عنه
ان الله تعالى لما عاب المنافقين والمتخلفين من غزوة تبوك فكان بعد ذلك
اذا بعث رسول الله سرية استبق المؤمنون الى النفير ولم يبق منهم من يسمع الوحي
ويتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد وتبقى طائفة منهم
للتفقه في الدين الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف
وقيل هذا حكم مبتدأ ليس له تعلق بالجهاد وانما ذكره بعد الجهاد لان طلب العلم
والجهاد عبادتان يتعلقان بالسفر لا سيما في زمن الوحي فان العلم كان محصورا
فامروا ان ينفر الى طلب العلم من كل فرقة طائفة لئلا تبطل امر المعاش ليتفقهوا
في الدين :: ليتكلفوا الفقاهة ويتعاطوا المشاق في تحصيلها :: ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم :: وليجعلوا مرمى همتهم ومحل غرضهم انذار قومهم وارشادهم والضمائر
المرفوعة على الاول للطائفة المقيمة وعلى الثاني للنافرة وفيه دليل على ان طلب
التفقه وتعلم الجاهل وارشاده من فروض الكفايات واشارة الى ان طلب العلم
للترفع على الاقران والتبسط في العمران والبلدان محرم روى مسلم اول من يسحب
الى النار ثلثة عالم لم يتعلم لوجه الله بل ليقال انه عالم وتاجر تصدق بماله ليقال
انه جواد وغاز اهريق دمه ليقال انه شجاع وفيه ايضا ان خبر الواحد حجة لان
الطائفة تطلق على الواحد فما فوقه كذا فسره ابن عباس :: لعلهم يحذرون ::
ارادة ان يحذروا بعد التعلم كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء :: يا ايها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار :: الاقرب فالاقرب فان ضررهم
اشد والحذر منه اكثر لانه بعد الاقتراض يتمكن من الاطلاع على عورات
المسلمين روي انه لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر يريد به النفس لانها عدو قريب بين الجنبين يعني الاحتراس منها
وليجدوا فيكم غلظة :: شدة وعنفا في القتل والاسر فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان :: واعلموا ان الله مع المتقين :: الذين يتقون في
محافظته فلا يراقبون بعدوه :: واذا ما انزلت سورة :: من القرآن :: فمنهم
اي من المنافقين :: من يقول ايكم زادته هذه ايمانا :: اي هذه السورة النازلة
والاسناد مجاز يقولون ذلك انكارا واستهزاء بالمؤمنين لكونهم يعتقدون
زيادة الايمان بزيادة المؤمن به من الآيات والاحكام :: فاما الذين
آمنوا فزادتهم ايمانا :: لاطلاعهم على ما فيها من الاحكام والاسرار :: وهم
يستبشرون :: بنيل الكمال وزيادة العرفان لانها اجل المطالب
واما الذين في قلوبهم مرض :: نفاق :: فزادتهم رجسا الى رجسهم :: اي كفرا
الى كفرهم فكما ان الايمان يزداد بزيادة المؤمن به كذلك يزداد بزيادة ما كفر به

وثبتهم عليه عبر عن الكفر بالرجس تنفيراً عنه ∴ وماتوا وهم كافرون ∴ لاستحكام الكفر
فيهم ∴ اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ∴ تعجيب
من عبادتهم وقسوة قلوبهم وذلك انهم لا يخلون عن محن متتابعة واصناف
بليات ولا يتعظون بسبب ذلك فيرجعون عن ارتكابه وقيل الفتنة الابتلاء
بالجهاد مع رسول الله وما يعاينون من نزول النصر والتاييد الالهي ∴ ولا هم
يذكرون ∴ يعتبرون ان ذلك بسوء افعالهم ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم وقرا حمزة اولا ترون خطابا للمؤمنين
تعجيبا لهم عن غفلة المنافقين ∴ واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض
يتغامزون بالحواجب انكاراً وسخرية ∴ هل يريكم من احد ∴ حال بتقدير القول
اى قائلين هل يريكم من المسلمين لننصرف فانا لا نقدر على استماعه اما
غيظا لما فيه من ذكر معايب آلهتهم وآبائهم اولانه يغلب عليهم الضحك
فلا يقدرون على ستره ∴ ثم انصرفوا ∴ بعد ذلك التغامز وما تقاولوا به
صرف الله قلوبهم ∴ دعاء عليهم بالخذلان او اخبار اى اختاروا الانصراف
جازاهم الله بصرف قلوبهم عن الايمان فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ∴ بانهم
قوم لا يفقهون ∴ تنبيه على علة الصرف وعدم القابلية ∴ لقد جاءكم رسول
من انفسكم ∴ عربي مثلكم تعرفون نسبه وشانه من الامانة
والصدق ∴ عزيز عليه ما عنتم ∴ شاق عليه وقوعكم في المكروه ∴ شفيق بكم
لا كبعض ابناء الجنس والاقارب لا يكترث بما اصابكم ∴ حريص
عليكم ∴ على اصلاح شانكم روى البخاري عنه انما انا لكم كالوالد فاذا جئتم
الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولكن شرقوا او غربوا ∴ بالمؤمنين رؤوف
رحيم ∴ بكافة المؤمنين زيادة في مدحه اذ لم تنحصر رافته في اقاربه كما هو شان
الجمهور وتقديم الرؤوف وهو ابلغ على طريقة التتميم وقيل رعاية للفاصلة
فان تولوا ∴ بعد هذا الابلاغ والانذار ∴ فقل حسبي الله ∴ كافي ومعيني اما
جهالهم او في نفسك متسليا ∴ لا اله الا هو ∴ دليل على كفايته والاستغناء
من غيره ∴ عليه توكلت ∴ فوضت امري لا ارجو سواه ∴ وهو رب
العرش العظيم ∴ الملك الذى لا يحاط به او الجسم العظيم فوق السموات
وعلى الوجهين ذكره تقوية داعية التوكل والدلالة على ان من هذا شانه
جدير بان لا يرجى سواه آخر ما نزل من القران هاتان الآيتان وقيل
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات او عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ∴ الر ∴ امال الف را ابن الرجب
وقع امالة تامة ابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وورش

بين بين لان الف را تنقلب ياء في التثنية كذا قاله الفراء وهو
على نمط التعديد اى هذا المعجز مركب من مسميات هذه الاسماء تقريعا لمن
ينكر كونه من عند الله تعالى او اسم سورة كما تقدم ∴ تلك آيات الكتاب الحكيم
اشير بلفظ تلك وان كان السورة في حكم الحاضر قصدا الى التعظيم او لكونها في حكم
الغائب لعلو درجاتها والكتاب السورة او القران باسره لقوله كتاب
احكمت آياته ومعنى كونه حكيما على اشتماله الحكمة او وصف له بوصف مؤلفه
لاسلوب الحكيم ∴ اكان الناس عجبا ∴ تعجيب للتابعين من تعجب الكفار
ان اوحينا ∴ ايحاؤنا اسم كان وعجبا خبره واللام في للناس للبيان مثلها
في هيت لك والمعنى ان هذا العجب مختص بهم ومحصله انهم جعلوه اعجوبة لهم
يتعجبون منه وصار علما عندهم في ذلك ∴ الى رجل منهم ∴ ناشئ منهم ذو نسب
شريف وحسب منيف وان فاته شئ من متاع الدنيا الذى هو شين كانوا
يقولون يا للعجب لم يكن في الناس الا يتيم ابي طالب لولا انزل هذا القران على
رجل من القريتين عظيم ∴ ان انذر الناس ∴ كانه ان مفسرة لان الايحاء في
معنى القول او مخففة حذف منها ضمير الشان تقديره انه انذر الناس على معنى
ان الشان قولنا انذر الناس ∴ وبشر الذين آمنوا ∴ خص التبشير بالمؤمنين
بخلاف الانذار فانه يعمهما دل على ان مجرد الايمان كاف للتبشير ∴ ان لهم قدم
صدق عند ربهم ∴ بان لهم سابقة صدق وعن الاخفش التقديم فانهم قدموا
خيرا قبل لقاء الله ويحتمل ان يراد به ما سبق في علم الله تعالى من سعادتهم فيكون
تسلية لهم وتطمينا لقلوبهم من سوء الخاتمة او يكون تحريضا اى انهم قدم صدق
لما في الحديث حتى يضع الجبار قدمه في النار اى طائفة قدمهم لها ∴ قال الكافرون
ان هذا لسحر مبين ∴ اى القران وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر فالمشار اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الرسم والمعنى به الصدق لان مناط الانكار كونه
رسولا وهو رجل منهم اعترفوا برسالته وانه انكروا لان السحر يحتاج الى تعلم مع
شرارة في الجبلة ونفس خبيثة وهو منزه عندهم عن ذلك ∴ ان ربكم الله الذى
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ∴ اى امر
الكائنات على وفق ما اقتضته حكمته ومن هذا شانه لا يخفى عليه من ان يكون
اهلا للاصطفاء بالرسالة فتعجبهم محل للتعجب ∴ ما من شفيع الا من بعد اذنه
تقرير لعظمته وعز جلاله وعلو شانه وكبريائه وفيه دليل على جواز الشفاعة
باذنه ∴ ذلكم الله ربكم ∴ اى الجامع لهذه الصفات المستلزمة للالوهية معبودكم
لا غير ∴ فاعبدوه ∴ وحدوه بالعبادة ∴ افلا تذكرون ∴ ليؤديكم الى انه الحق
فانه لا يحتاج الى تفكر وترتيب مقدمات بل مجرد التذكر كاف فيه ∴ اليه مرجعكم

جميعا حث على التذكر والتوحيد لان رجوع الكل اليه فيجب الاستعداد للقائه
وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم في معنى الوعد حقا مصدر آخر
مؤكد لغيره وهو ما تضمنه وعد الله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده دليل على رجوع الكل
اليه لا اله غيره لانه المتفرد بالابداء والاعادة ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بالقسط علة للاعادة واشارة الى ثمرتها والقسط هو العدل من اقسط اذا
عدل لا من قسط فانه بمعنى ظلم قال الله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
وهذا من غريب اللغات والمعنى ليجزيهم بعدله ولا يضيع لهم شيئا من عملهم او
او بعدلهم في امورهم وما تحت ايديهم لما روى البخاري كلكم راع وكلكم مسئول عن
رعيته او بايمانهم لانه مشاكل عدل وهذا اوجه لقوله والذين كفروا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اى بسبب كفرهم وانما اسند الى
نفسه جزاء المؤمنين دون الكافرين تشريفا لهم بخلاف الكفار فانه اشار
الى ان ما اصابهم من العذاب ناشئ عن سوء صنيعهم هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا دليل ثبت على استحقاقه الانفراد بالعبودية وشرع كونه دليلا لنعمة جليلة
بها نيط امر المعاش والضياء مصدر ضاء بمعنى اضاء او جمع ضوء مثل حياض
وحوض وهو اقوى من النور ولذلك نسب الى الشمس القول بان الضوء
يكون للشئ بالذات والنور بالعرض فيكون نور القمر مستفادا من الشمس
ليس له اصل لغة وشرعا وقرا ابن كثير في رواية قنبل ضئاء بهمزتين على قلب الياء
او الواو ومكان الهمزة بعد تقديمها ثم قلبت الياء او الواو همزة لتطرفها كما في
رداء وكساء وقدره منازل اى صير القمر ذا منازل لقوله تعالى والقمر قدرناه
منازل وافراد القمر بذلك لان مناط الاحكام الشرعية السنة القمرية
والاشهر الهلالية ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب
حساب الاوقات من الشهور والايام والليالي ما خلق الله ذلك الا بالحق
يفصل الآيات لقوم يعلمون لانهم المنتفعون به وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص
يفصل بالياء مسندا الى ضمير الجلالة والباقون بالنون التفاتا وهو ابلغ اى ذلك
المذكور الا ملتبسا بالحق ليكون مناط المعاش ودليل توحيد الصانع ان في اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من اجزائهما واوضاعهما
وما فيهما من سائر الكائنات لآيات دلائل على وجود الصانع وكمال علمه
وقدرته وتفرده بذلك لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لقوم يتقون
خص المتقين بالذكر لانه الباعث على التفكر في شانها والاعتراف بوحدانية
مبدعها ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه ولا يخطرونه ببالهم فالرجاء
بمعنى التوقع او لا يأملون حسن لقائنا لحقيقته او سوء لقائنا فهو مجاز عن الخوف

ورضوا بالحيوة الدنيا بدلا عن الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا اليها سكون
من ايقن بالخلود فبنوا القصور ونسوا القبور والذين هم عن آياتنا غافلون
كالبهائم منهمكون في المعاصي واللذات العاجلة وانما وسط العاطف باعتبار
تغاير الوصفين وانهما نوعان متمايزان الثاني منهما علة للاول او هما فريقان الاول
من انكر البعث ولذلك اطمأن والثاني من اقر به ولكن شغله حب العاجل
عن النظر والاعداد للباقي اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون باجترامهم
على كسب الكفر والمعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمعوا بينهما
يهديهم ربهم الى سلوك طريق الجنة بايمانهم بسبب ايمانهم الذي هو اساس
كل خير جمع بين الايمان والعمل الصالح اولا لانه في مقام الترغيب وافرده ثانيا
اشارة الى انه المنجي والسبب وما عداه مكمل للاجزاء ولا شرط فان قلت المضاف
الى المعرفة يراد به المعهود ولذلك يصير معرفة فيكون الايمان المضاف ذلك المعهود
السابق وهو المقرون بالعمل قلت ذلك من قبيل الخطابيات وقد دل دليل
قطعي على ان مجرد الايمان كاف وهو قوله اول السورة وبشر الذين آمنوا ان لهم
قدم صدق والاحاديث الدالة على ذلك متواترة المعنى وتسمية العاصي
غير مهدي ان صح فبالنظر الى عدم سلوك طريق الاستقامة تجري من تحتهم الانهار
استئناف او خبر ثان في جنات النعيم خبر آخر او متعلق بتجري او حال من
الانهار دعويهم فيها اى دعاؤهم لقولهم سبحانك اللهم وقيل من الادعاء
اى يدعون له من التوحيد والتنزيه ما كانوا يدعونه في الدنيا ويجوز ان يكون الدعاء
بمعنى العبادة واعتزلكم وما يدعون من دون الله وليس العبادة منهم على وجه التكليف
بل تلذذا قال ابن السامي لم نزده معرفة وانما لذة ذكرناها وتحيتهم فيها سلام
اى ما يحييهم به الملائكة او الله سبحانه مصدر مضاف الى المفعول او تحية بعضهم
بعضا فالى الفاعل وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين يقولون ذلك
تشكرا على ما اولاهم الا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوه عن مجاهدة وقول الانسان لماله وولده
اذا غضب اللهم العنه وقيل نزلت في كفار مكة حين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء استعجالهم بالخير اى تعجيله لهم الخير اذا سألوه
فوضع الاستعجال موضعه اشعارا بانه يجيبهم اسرع اجابة كان استعجالهم تعجيل له
لقضي اليهم اجلهم وقت الدعاء وقرا ابن عامر قضى على بناء الفاعل ونصب
اجلهم وهو المختار لمناسبته ما تقدم وما تأخر وعدم الاحتياج الى الحذف
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على النفي الدال عليه كلمة
لو كانه قيل لا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم الا انه وضع المظهر موضع

المضمر دلالة على ان ذلك المستعجل لم يؤمن بلقاء الله تعالى فلذلك اجترئ على تلك
المقالة وقيل الآية متصلة بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا وذكر المؤمنين
للمقابلة وانما عبر عنهم اولا بالناس تفظيعا للامر ثم صرح بانهم ثانيا. واذا
مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما. في حالاته كلها لان المضرور
اما ان يهلكه المرض فهو مضطجع او يخفف عنه بعض خفة فيقعد او يزول عنه وفيه
بقايا قوة من غير حراك وانما استعمل اللام مع ان الظاهر على اشارة الى انه
لشدة المرض مستقر على تلك الهيئة لا يمكنه غيرها لما في اللام من معنى الاختصاص
نفيه زيادة مبالغة. فلما كشفنا عنه ضره. الذي الم به. مر كان لم يدعنا
الى ضر مسه. استمر على ما كان عليه من الاعراض عن شكر نعم الله تعالى كان الغني
لم يعرفوا ما اذا اكتسى ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا. كذلك زين للمسرفين
ما كانوا يعملون. من الاشراك وصرف الاموال في غير مرضات الله تعالى
وتكذيب الانبياء، ونسبة السحر الى المعجزات والآيات. ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم. يا اهل مكة قرونا كثيرة كانوا يعاملون الله ورسوله ما تعاملون
انتم لما ظلموا. بالاشراك وعبادة غير الله. وجاءتهم رسلهم بالبينات.
لم يكن لهم معذرة فيما فعلوا لكون المعجزات الرسل واضحة الدلالة على صدق
دعويهم. وما كانوا ليؤمنوا. جحدا واستكبارا. كذلك. مثل ذلك الجزاء
نجزي القوم المجرمين. نجزيكم وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان اهلاكهم
متسبب عن اجرامهم وزاد لفظ القوم ليدل على انهم اعلام في ذلك او كل مجرم
فيتناولهم بناء ولا ظاهرا. ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم. استخلفناكم
في الارض بعد القرون التي اهلكناهم. لننظر كيف تعملون. جهة اعمالكم وكيفيتها من
الحسن والقبح فان المعتبر جهة الفعل لا نفسه وهو معمول تعملون لان النظر متعلق باستفهام
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا. اشار الى انهم خلف سوء
وان عملهم لم يقع على جهة مرضية بل سلكوا مسلك المهلكين من القرون الاولى ولم يكن لهم
باعث على هذا الا عدم اعتقاد الحشر فانهم وهم يرون الالتفات الى الغيبة تبعيدا لهم عن
رتبة الخطاب. ائت بقرآن غير هذا. لا يكون فيه تسفيه ايانا اصلا ولا سب آلهتنا
او بدله. بان تجعل مكان آية العذاب آية الرحمة وموضع سب الآلهة مدحها فالاول
تغيير في الذات وهذا تغيير في الوضع. قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي. اجاب
عن الثاني لانه الممكن له فان الاول ليس من مقدوره وان كان في زعم الكفار آية من
مخترعاته وهو قادر على الاتيان بمثله او لانه يستلزم لو تلقاء الثاني هذا وجهه ولما
توجه تلقاء مدح. ان اتبع الا ما يوحى الي. ما شاني الا اتباع الوحي من غير زيادة ولا نقصان
ليس الا التغيير والتبديل. اني اخاف ان عصيت ربي. دليل على انهم لم يطلبوا منه التبديل

من جهة الله تعالى بل من عند نفسه. عذاب يوم عظيم. وفيه اشارة الى انهم مستوجبون ذلك
العذاب لانهم يسعون في تبديل كلام الله تعالى. قل لو شاء الله ما تلوته عليكم. فيه
زيادة تبرئة عما ينسبونه اليه من انه كلامه لان نفس تلاوته بمشيئة الله تعالى فضلا
عن ذلك المتلو. ولا ادراكم به. ولا اعلمكم به وقرا ابن كثير في رواية قنبل ولادريكم
بلام التاكيد اي لو شاء لاعلمكم به على لسان غيري فانه كلامه ليس على البشر الا تبليغه
فانا وغيري سيان. فقد لبثت فيكم عمرا من قبله. اي عمرا مقدرا به وهو اربعون سنة
ايام الشباب والكهولة التي هي مظنة حب الجاه والرياسة ومحل صدور الهفوات
وارتكاب ما لا يليق من الحركات ولقد احسن هرقل لما سال عن سيرته عليه السلام
ابا سفيان هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقد كان سأله
عن عمره واخبره انه ادعى النبوة بعد اربعين سنة فقال هو نبي حقا لانه اذا لم يكذب
على الناس في شبابه فكيف يكذب على الله تعالى في آخر عمره واليه اشار بقوله. افلا
تعقلون. اي تستعملون عقولكم فان مجرد استعمالها كاف في ذلك بلا تكلف. فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا. اي لا احد اظلم منه قطع لاطماعهم والمعنى لو فعلت ذلك
التغيير والتبديل كنت مفتريا على الله تعالى وما نسبوه اليه من زعمهم انه كلامه او تظليم
للمشركين في اثبات الشركاء له بقوله ويعبدون من دون الله. او كذب بآياته.
الدالة على صدق مدعي النبوة. انه لا يفلح المجرمون. آثره على المضمر للدلالة على
العلية. ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم. وهي الاصنام فانها
جماد ومن المعلوم انها لا تضر ولا تنفع وشأن من يعبد ان يكون مثيبا معاقبا
وهذا ناظر الى قبح فعلهم كما ان الاول ناظر الى بطلان قولهم. ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله. اي يعتقدون ذلك او يقولون اذا سئلوا وكان اهل الطائف
يعبدون اللات واهل مكة العزى وهبل قال ابو سفيان يوم احد لما ظهر في
المسلمين انكسار اعل هبل فقال رسول الله لاصحابه الا تجيبونه قالوا ماذا نقول
قال قولوا الله اعلى واجل ثم قال لنا عزى ولا عزى لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا تجيبونه قالوا ماذا نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم والقول بان اسافا
ونائلة كانا صنمين لاهل مكة ليس كذلك بل كانا رجلا وامرأة زنيا في جوف
الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فجعل اسافا على الصفا ونائلة على المروة ليكونا
عبرة لمن يراهما كذا رواه البخاري. قل اتنبئون الله بما لا يعلم. وهو الشريك
او شفاعته لكم لان ما لا يعلمه الله لا وجود له لشمول علمه فلو وجد لعلمه طريق
برهاني بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم. في السموات ولا في الارض سبحانه
وتعالى عما يشركون. عن اشراكهم او ما يشركونه به تاكيدا للنفي بناء على العرف
يقولون لدى الانكار شيء ليس هذا في السماء ولا في الارض والزامي اعتقاد

المشركين ذلك ادار بها جهتا العلو والسفل وما كان الناس الا امة واحدة
في عهد آدم قبل قتل هابيل او زمن نوح بعد السفينة اذ لم يذر الله تعالى على الارض من
الكافرين ديارا او زمن ابراهيم عليه السلام كانوا كلهم كفارا فاختلفوا بعد
ذلك الاتفاق على الحق او الباطل وصاروا فرقتين ولولا كلمة سبقت من
ربك قضية قضاها في الازل بان يكون الدار الآخرة دار القضا ومحل الجزاء
لقضي بينهم في هذه الدار فيما فيه يختلفون بان يثاب المحق ويعاقب المبطل
ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات المقترحة قالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا الى غير ذلك عنادا وتماديا في الضلال وادّعوا في القرآن النازل
بلسانهم آيات لا تعد ولا تحصى وعبر بالمضارع وان كان القول منهم ماضيا او فعلا
لانهم مستمرون على ذلك فقل انما الغيب لله مختص به لا سبيل لاحد اليه
فلو اقتضت حكمته انزال ما تسألونه لانزل فانتظروا العذاب والهلاك
اني معكم من المنتظرين للعذاب النازل عليكم واذا اذقنا الناس رحمة
المشركين الناكبين عن الشكر من بعد ضراء مستهم مرضا وقحطا وفي
اسناد الاذاقة الى الرحمة دون الضراء شان لا يخفى اذا لهم مكر في آياتنا
احتيال في دفعها والتكذيب بها دعا عليهم وقال اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الميتة والجيف وكان الرجل ينظر الى السماء
فيرى دخانا من شدة الجوع فجاء ابو سفيان وقال يا محمد انك تامر بصلة
الرحم وان قومك فيما هم فيه فادع الله ان يسقيهم فدعا فسقوا فعادوا
الى التكذيب وان ذلك باستحقاقهم لا بدعائه وقالوا لو اسقينا بنوء كذا اذ
الاولى الشرطية والثانية فجائية جوابها لقيامها مقام الفاء قل الله اسرع مكرا
دبر جزاء مكركم قبل وقوعه ولما دلت المفاجاة على السرعة ظهر وجه التفضيل والمكر
منه تعالى استدراجهم واطلاقه عليه تعالى لكلمة ان رسلنا يكتبون ما تمكرون مكركم او ما
تمكرونه لا يخفى عليهم شيء منه فضلا عن خفائه علينا وفيه مع الوعيد ايماء الى جهلهم
بعلام الغيوب وشمول علمه هو الذي يسيركم في البر بخلق فيكم دواعي السير فيهما
وقرا ابن عامر ينشركم اي يبثكم فيهما وقراءة العامة اعم حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم اي بكم وانما التفت الى الغيبة ليذكر سوء فعالهم لمن يسمع ويعلم ضلالهم
وليس ما بعد حتى وحده وهو الكون في الفلك غاية للتسيير ليتوهم اتحاد الغاية بل
الغاية الشرطية وما في حيزها من الجمل المتعاطفة نظيره ما سياتي في قوله انما مثل
الحياة الدنيا كماء انزلناه بريح طيبة لا تزعج الراكب الى الشبيبة والاولى
للملابسة وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها ريح عاصف شديد هبوبها ولذلك

لم تؤنث

لم تؤنث وجعل العصف للكمال في كل شيء يقال ناقة عصوف اذا كانت سريعة المشي
وجاءهم الموج من كل مكان من سائر الجهات وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين
له الدين بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم ويحتمل الاستئناف
كانه قيل ماذا صنعوا بعد تلك الحالة واما جعل جاءت حالا ودعوا جوابا للشرط فلا يستقيم
لان فرحهم بالريح الطيبة لم يكن في حال مجيء العاصفة اي اذا شاهدوا اسباب الهلاك
لم يذكروا آلهتهم ووحدوا الله تعالى ولم يخطر ببالهم غيره ورجعوا الى الفطرة التي فطر الناس
عليها والاحاطة كناية عن الموت ماخوذة من احاطة العدو ولئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين على تقدير القول اي قائلين هذا الكلام او هو مفعول دعوا لانه
في معناه فلما انجاهم اجابة دعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجلوا الافساد
في جهات الارض واطرافها كان لم يشاهدوا ذلك الامر يوما بغير الحق قيده
لان الافساد اخراج الشيء عن صلاحه وقد يكون بحق كما فعله رسول الله عليه السلام
من احراق زروع بني النضير وتخريب بيوتهم وكذلك الحكم في اموال الكفار اذا لم يرج
حصولها للمسلمين يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم وباله لاحق بها او على امثالكم
لان من بغيتم عليه من ابناء جنسكم لكلكم اولاد آدم متاع الحياة الدنيا رفع على انه
خبر بغيكم والجار والمجرور صلة والمعنى تعدي بعضكم على بعض انتفاع قليل فيضمحل ويبقى
عقابه وقرا حفص متاع بالنصب على انه مصدر فعل مقدر اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا
او مفعول به لفعل المذكور او مفعول له والخبر محذوف والمعنى بغيكم على امثالكم لانتفاع
قليل البقاء قبيح والرفع هو المختار لسلامته عن الحذف ثم الينا مرجعكم بالموت
او يوم القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحياة الدنيا تبين انه
ما تعدى لاجله الناس بعضهم على بعض هو المتاع القليل الذاهب السريع الزوال
وكشف القناع عن ذلك واوضحه بحال لا مزيد عليه كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض اي حالها العجيبة في سرعة تقضيها وزوال نعيمها بعد اقبالها مثل حال
ماء انزلناه من السماء فاشتبك بسببه نبات الارض واختلط بعضه مع بعض
مما ياكل الناس والانعام من سائر انواعه حتى اذا اخذت الارض زخرفها
وازينت مثل الارض بالعروس لابسة انواع الملابس الفاخرة متزينة باصناف
الزينة من انواع الحلي واصل ازينت تزينت ادغمت التاء في الزاي فاجتلبت
الهمزة للابتداء بها وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من الانتفاع بها
رعيا وحصدا اتاها امرنا ليلا او نهارا اي امرنا باهلاكها من برد او صاعقة
او خسف كما فعل لصاحب الجنتين احيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق
فيها فجعلناها حصيدا جعلنا زرعها كانه محصود في قطعه واستيصاله كان لم
تغن بالامس كان لم يقم ولم يلبث زرعها من غني بالمكان اذا اقام قال الاعشى

طويل الثواء طويل التغني والامس مثل في الوقت القريب والمشبه به مضمون الجمل المذكورة
وهو الهيئة المنتزعة منها كلها وهي عشر جمل كذلك نفصل الآيات مثل هذا التفصيل
الواضح نفصل سائر الآيات لقوم يتفكرون في معاني الآيات ودقائقها فانهم المنتفعون
بها والله يدعوا الى دار السلام اي كل احد مؤمنا كان او كافرا ودار السلام هي الجنة
لعدم الامراض والآفات فيها او لانها دار الله والسلام من اسمائه تعالى وتخصيصه
بالذكر هنا لا يخفى موقعه من الحسن او لان الملائكة تحيي المؤمنين به حين الدخول او الله تعالى
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم بخلق الهداية والتوفيق لمن سبقت عنايته
به والصراط المستقيم هو الاسلام والدعاء الدالة الى ذلك الطريق لا غير وفيه دليل على ان
الامر ليس عين الارادة وان الضال لم يرد الله هدايته للذين احسنوا اخلصوا في اعمالهم
الحسنى الجنة او المثوبة الحسنى وزيادة لقاء الله تعالى وقيل الحسنى جزاء العمل والزيادة
عشر امثاله الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله تعالى وقيل الزيادة رضوان الله تعالى
لقوله ورضوان من الله اكبر ولا يرهق وجوههم قتر لا يصيبها غبار ولا ذلة بل هم
محفوظون عما يشين ظاهرهم وباطنهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
الموصوفون بتلك الصفات اصحاب الجنة حال كونهم خالدين لا موت
ولا خروج والذين كسبوا السيئات كلها وهم الكفار عطف على قوله للذين احسنوا
جزاء سيئة بمثلها عطف على الحسنى بالعاطف الاول عطفا على معمولي عاملين
مختلفين مثل في الدار زيد والحجرة عمرو او التقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات
على انه مبتدأ وجزاء سيئة بمثلها خبره والمعنى ان السيئة لا يزاد على جزائها فقد روى
البخاري ومسلم من هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن عملها كتبت له سيئة
وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم من يعصمهم من سخط الله تعالى وعذابه
على ان من صلة عاصم قدمت عليه او ما لهم من عاصم من جهة الله تعالى او من عنده
على ان الجار والمجرور حال قدمت ومن الثانية زائدة على الوجهين كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما اي جعل غشاء وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها
وشدة ظلامها وقرأ ابن كثير والكسائي قطعا باسكان الطاء على انه مفرد بمعنى
القطعة لان كل وجه له قطعة ومن الليل على الوجهين صفة قطعا وكذا مظلما على الاسكان
او حال لان النكرة موصوفة او حال من المستتر في الجار والمختار فتح الطاء لعدم
التأويل والتناسب اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اذ لا حسنة لهم
يجازون عليها وبه خرج صاحب الكبيرة ويوم نحشرهم جميعا اي الفريقين ثم
نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم اسم فعل انتم تأكيد للضمير المستتر في
مكانكم لانه سد مسد الزموا وشركاؤكم عطف عليه والمعنى لا تبرحوا مكانكم حتى
تنظروا ما ذا يفعل بكم وتشاهدوا عجز من عبدتموه عن تدبير نفسه فضلا عن غيره

فزيلنا بينهم فرقنا بين المشركين وشركائهم من الزيل لغة في الازالة والمعنى قطعنا
الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون القائل المسيح
والملائكة او الاصنام ينطقها الله تعالى زيادة في النكاية مكان الشفاعة التي كانوا
يرجونها كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم تفريع على قولهم المقدر اي فيقول المشركون بل عبدناكم وينكرون مقالة المعبودين
فيقولون كفى بالله شهيدا ان وقع ذلك فانه عالم بكنه الاشياء ان كنا عن عبادتكم
لغافلين ما كنا الا غافلين لم نأمركم بذلك ولم نرض به هنالك اي في ذلك المقام
او الزمان مستعار له كقوله هنالك يجزيني الذي كنت اصنع تبلوا كل نفس
ما اسلفت من البلاء بمعنى الاختبار اي تعرف كل نفس حقيقة ما عملت من
حسن وقبيح وقبول ورد وقرأ حمزة والكسائي تتلوا بتائين من فوق من التلو وهو التبعية
اي تتبع عملها الى الجنة او الى النار او ما كانت تعبده لما روى البخاري اذا كان يوم القيامة
تتبع كل امة ما كانت تعبده وتبقى هذه الامة وفيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى
في صورة لم يعرفوها فيقول انا ربكم فيقولون كلا لا نبرح مكاننا حتى يأتينا
ربنا فيكشف لهم عن الساق فيخرون له سجدا الا من كان منافقا فانه
لم يقدر على السجود ويصير ظهره طبقا او من التلاوة لقوله ونخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك وردوا الى الله مولاهم الحق الثابت
ولايته وربوبيته او الذي يتولى ثوابهم وعقابهم من غير ظلم بل يجازي كلا بعمله
على قدره وضل عنهم ما كانوا يفترون ضاع او بطل ما كانوا يدعونه من شركاء
او من شفاعتهم قل من يرزقكم من السماء والارض بانزال المطر من السماء
والانبات من الارض ارزقه بانواع آخر من دلائل التوحيد على وجه لا يقدرون
على انكار شيء منها امن يملك السمع والابصار يقدر على خلقهما غيره تعالى
لان عقول الخلق عاجزة عن ادراك ما اودع فيهما او حفظهما لانهما جوهران
لطيفان يتأثران بادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت الحيوان من النطفة
او النبات من الحبة والنوى ويخرج الميت من الحي النطفة والحبة من الحيوان
والنبات ومن يدبر الامر امر العالم العلوي والسفلي تعميم بعد التخصيص
فسيقولون الله لا يجدون جوابا غيره فقل افلا تتقون بطشه وسطوته
باشراككم فذلكم الله ربكم اي اذا اعترفتم انه المتفرد بالايجاد والكلاءة فذلك
الموصوف هو المتفرد بالالوهية والربوبية الحق الثابت الربوبية في الواقع
لا من يستمونه فماذا بعد الحق الا الضلال لا شيء بعد الحق الا الضلال لعدم
الواسطة فانى تصرفون عن الحق الابلج تعجيب لهم عن حالهم كذلك
حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية له تعالى او كما ان بعد الحق الضلال

او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله تعالى وحكمه على الذين فسقوا: تمردوا
في الكفر وبلغوا الحد الاقصى انهم لا يؤمنون: بدل من الكلمة اي حق عليهم عدم
الايمان وانتفاؤه عنهم او وعده لهم بالعذاب لقوله حقت كلمة العذاب على
الكافرين وانهم لا يؤمنون تعليل له وفيه دلالة على ان حقيقة العذاب ولزومه
للكفار انما كان لاجل انتفاء الايمان فيدل على نجاة المؤمن وان كان فاسقا
قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده: اي ليس فيهم من هذا شانه
وهم وان لم يقولوا بان الاعادة من خواص الالوهية لعدم اعترافهم بالاعادة
رأسا لكن لظهور امرها ووضوح برهانها جعل منكرة منكر الامر مسلم لا يعبأ بانكاره
قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده: امره بالجواب لانهم بكم لا ينطقون بالحق فاني
تؤفكون: فكيف تصرفون عن قصد السبيل: قل هل من شركائكم من يهدي
الى الحق: تنزل معهم كانه قيل هم من ابدآء الخلق واعادته بمعزل لكن اقل شئون
الاله وصفات ان يكون مرشدا الى الصواب وقد سبق ان هدى يهدي يأتي
لازما ومتعديا الى مفعولين بنفسه يقال هديته الطريق والى الشيء فيأتي بالى او
باللام ولا فرق في المعنى ويجيء بمعنى النقل كما في الهدية وهدى الحاج والقول بانه
ما يسند الى الله مستعمل بالى يرده قوله قل الله يهدي للحق وقوله اهدنا الصراط
المستقيم ويهدي من يشاء: افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي
الا ان يهدى: اي لا يهتدي بنفسه على انه لازم او لا يهدي غيره الا ان يهدى ويعرف
هذا على قراءة حمزة والكسائي على انه مضارع هدى وقرأ ابو بكر عن عاصم بكسر الياء
والهاء وتشديد الدال على ان الهاء كسرت لالتقاء الساكنين والياء للاتباع
وحفص بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال لما ذكر الا انه لم يتبع الياء وقرأ
قالون عن نافع وابو عمرو بفتح الياء واختلاس فتح الهاء والتشديد اشارة الى
عدم اصالة الكسرة وورش وابن كثير وابن عامر بفتح الياء والهاء وتشديد
الدال على ان الهاء حركت بالفتح فرارا عن نقل الكسرة مع الياء كما فتحوا
الميم في الم الله وفي هذه الوجوه مضارع اهتدى ادغمت التاء في الدال لتشاركهما
في المخرج والقول بان ابا عمرو قرأ بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين
سهو لان ابا عمرو يختلس ونقل عن قالون السكون: فما لكم كيف تحكمون:
تعجيب عن حالهم كيف خفي عليهم هذا الامر الجلي وهم يدعون انهم عقلاء
مراجيح: وما يتبع اكثرهم الا ظنا: اي في اقرارهم بالله تعالى والوهيته لانهم مقلدون
آبائهم في ذلك من غير استدلال او فيما يعبدونه والقيد بالاكثر لان بعضهم
شاك جائر وبعضهم مستيقن معاند وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم او
او المراد بالاكثر الجميع: ان الظن لا يغني من الحق شيئا: من الاغناء او شيئا ما

مفعول به

مفعول به والحق هو الثابت الذي لا يتبدل بتبدل الشرائع كالتوحيد وسائر
الاصول والعقائد فان الظن لا يفيد فيها من دليل قاطع: ان الله عليم بما
يفعلون: من التقليد والظنون التي لا يغني من الحق شيئا: وما كان هذا
القرآن ان يفترى من دون الله: رجع الى ما كان بصدده من بيان حقية
القرآن فان السورة معقودة بذلك سابق ولاحق توحيده وربوبيته على
ارشق اسلوب واحسن انتظام ثم كر الى نفي الريب عن كون كلامه والمعنى
ما صح وما استقام وكان محالا عند العقل ان يكون مثله في علو الشان والاعجاز
مفتريا ومختلفا اذ ليس في وسع احد الاتيان بمقدار ثلث آيات تدانيه
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا: ولكن تصديق الذي بين يديه: من سائر
الكتب السماوية شاهد على صدقها لانه معجز دونها فكيف يكون مفترى جعله
نفس التصديق مبالغة على طريقة رجل عدل: وتفصيل الكتاب: وتفصيل
الاحكام المكتوبة على المكلفين او اللوح المحفوظ فانه فصل فيه ما هو مكتوب
هناك لقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ: لا ريب فيه خبر آخر لكان
او حال عن تمة: من رب العالمين: حال من ضمير فيه او من الكتاب
او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض على الوجوه الثلثة: ام
يقولون افتريه: بل اتقولون اختلقه محمد واستبعاد لصدور هذا القول
منهم والحال انهم عاجزون عن الاتيان بمقدار اقصر سورة منه: قل فأتوا
بسورة مثله: في تلك البلاغة وحسن النظم آية سورة كانت لا تفاوت
بالطول والقصر وادناها ثلث آيات: وادعوا من استطعتم من دون الله
من شئتم وقدرتم عليه في الاتيان بمثله كائنا من كان من خلقه فانه عاجز
عن ذلك: ان كنتم صادقين: انه مفترى لانكم باشرتم العرض والخطب
والاتي به لم يكن يباشر شيئا من ذلك: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب
عن دعائهم اليه التحدي وانهم لا يستاهلون ذلك الى حالة اخرى لهم اشنع
من العناد وهي الجهل اذ لا شيء اقبح منه فان العناد ربما يستحسن ومن
امثالهم عاند من يطيق له عنادا والمعنى انهم قبل التدبر في نظمه والاحاطة
بخواص تراكيبه سارعوا الى تكذيبه فاذا عاندوا ونسبوه الى الافتراء بعد العجز
عن الاتيان بمثله لا يستبعد ذلك منهم: ولما يأتهم تأويله: ما يؤول اليه من صدق
اخباره بالمغيبات وانما اثر لما لان التأويل كان متوقعا منتظرا فكان ان
المسارعة الى التكذيب نوعا من الجهل وقيل قوله ام يقولون افتريه فيمن
علم اعجازه وانكر عنادا وقوله بل كذبوا في حق من كان شاكا والوجه هو الاول

وعليه ينطبق النظم: كذلك كذب الذين من قبلهم: انبياءهم: فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين: والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لمن يتاتى منه
النظر وفيه اشارة الى انه سيحل بهم ما حل باولئك: ومنهم من يؤمن به: بان
كلامه تعالى وان انكر به بانه اراد بالايمان مجرد التصديق دون الاذعان
والا كان مؤمنا حقا او سيؤمن به حقيقة لمن اسلم منهم: ومنهم من لا
يؤمن به: في الحال او في الاستقبال: وربك اعلم بالمفسدين: المعاندين
او المصرين والوجه هو الاول لان المصر لبه باطن يخالف ظاهره: وان
كذبوك: اي وان كانوا كذبوك ولم يرعووا عنه بعد الزام الحجة: فقل
لي عملي ولكم عملكم: اي لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم منسوخ باية السيف لدلالته
على اباحة المتاركة: انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون: لا تؤاخذ احد
منا بجريمة الآخر كما لا ينتفع بصالح عمله: ومنهم من يستمعون اليك: من
الكفار من يستمع اليك اذا قرأت القران او علمت الشرائع استماعا لا تدبر
معه ليوصلهم الى درك دقائق معانيه بل يسمعون الفاظا مجردة تشبه عندهم
الصدى والدوي ناظرا الى قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه: افانت تسمع الصم
ولو كانوا لا يعقلون: انكار لوقوع الاسماع مع اجتماع ما بين الصفتين لان
الاصم اذا كان عاقلا ربما تفرس من دوي الصوت او ادرك المقصود
من الاشارة واذا انضم الى فقد السمع سلب العقل فقد تم الامر: ومنهم من
ينظر اليك: افرده نظرا الى لفظ من وجمع الاول باعتبار المعنى تفننا
اي ومنهم من يشاهد دلائل نبوتك اذا نظر اليك ولم يصدق بشيء
منها عنادا لما رأى عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
بفناء متقدمة من مكة فقال وجهه ليس وجه كاذب ثم ساله عن مسائل
فاجابه عنها من ساعته فآمن في ساعته: افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
اي لست قادرا على ذلك لان العمى اذا انضم اليه فقد البصيرة لا يمكن هداية صاحبه
شاهدنا رجلا اعمى متوجها من بيت المقدس الى فلسطين وحده وبين الموضعين
مسيرة يوم ويجوز ان يكون الابصار رؤية البصر والمعنى لست قادرا على هداية
فاقد البصر ويكون تاكيدا للعمى لانه ربما يكون معه نوع رؤية: ان الله لا يظلم الناس
لا ينقص منهم ما يحتاجون اليه في المعاش وما يستدلون به الى تحصيل المعاد من
الحواس والعقل والقوى: ولكن الناس انفسهم يظلمون: بتفويت منافع
الحواس وصرفها الى غير ما خلقت له والاعراض عن سماع الحق واجتلاء الآيات
في الآفاق والانفس وفي الاية دليل على ان الانسان مختار في افعاله كسب
هو مناط الثواب والعقاب وقرا حمزة والكسائي ولكن مخففا: ويوم نحشرهم

كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار: يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا
لان ايام السرور قصار او في القبور لما يشاهدون من اهوال القيمة
والجملة في موضع الحال اي مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وقرا غير حفص
نحشر بالنون التفاتا وهي ابلغ من التاء تهديدا بدليل وحشرناهم و
ويحشرهم يوم القيمة: يتعارفون بينهم: يعرف بعضهم بعضا لقرب
الزمان وهذا عند خروجهم من القبور واما اذا اشتد الهول فلا يسال
حميم حميما والجملة بيان للتشبيهية لان التعارف لا يبقى مع طول العهد
او متعلق الظرف اي يتعارفون يوم نحشرهم: قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله: استئناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسر من كذب
بلقاء الله تعالى او حال بتقدير القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك
وما كانوا مهتدين: عارفين بطريق التجارة او لم يدخلوا في زمرة المهتدين
وهذا تاكيد لكونهم صما عميا: واما نرينك بعض الذي نعدهم: من العذاب
في الدنيا كما اراه يوم بدر: او نتوفينك: قبل اراءته: فالينا مرجعهم
جواب نتوفينك وجواب الاول محذوف اي فذاك والمعنى انك
ظافر بعدوك اما في الدنيا او في الاخرة لا محالة فلا تحزن من تكذيبهم ثم
الله شهيد على ما يفعلون: بعد رجوعهم اليه بان ينطق جلودهم والسنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يكسبون او ذكرت الشهادة واريد مقتضاها
اي يعاقبهم على افعالهم ويحتمل ان يراد التراخي الرتبي لان شهادة الله
عليهم بالكفر اشق من الرجوع اليه والعذاب او هو على التقديم والتاخير
اي ان توفيناك فالله شهيد بعدك على افعالهم فالينا مرجعهم واختيار ثم
على الفاء على هذا التقدير للتفاوت بين الشهادتين وقد روى البخاري
انه صلى الله عليه وسلم قال يؤتى باناس من امتي وانا واقف على الحوض
فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول اصحابي اصحابي فيقال انك لا تعلم
ما احدثوا بعدك فاقول كما قال عيسى بن مريم وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم: ولكل امة رسول: يدعوهم
الى الله ويهديهم: فاذا جاء رسولهم: فكذبوه: قضي بينهم: بانجاء الرسول
واهلاك قومه تسلية لرسول الله ووعيد لقومه او يوم القيمة يقضي بينهم
لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم: بالقسط: بالعدل: وهم
لا يظلمون: تاكيد وتصريح بما علم ضمنا: ويقولون متى هذا الوعد: بهذا الموعود
انكار لصدقه بقوله: ان كنتم صادقين: خطاب للنبي والمؤمنين: قل لا
املك لنفسي ضرا ولا نفعا: دفع سوء ولا جلب نفع لنفسي التي هي اقرب

الاشياء اتى واتهم فكيف املك لكم وانما قدم النفع هنا واخره في الاعراف
لان الكلام هناك في الساعة وعدم الاطلاع على وقتها فكان الاهم النفع واعداد
العمل الصالح لها ولذلك اردفه بقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من
الخير والكلام هنا في وقوع العذاب ولا شك ان المهم دفعه الا ما شاء الله
استثناء منقطع اى لكن ما شاء الله من ذلك كائن او متصل اى الا ما شاء الله
ان املكه فانه يقدرني عليه لكل امة اجل بيان لتاخر العذاب وجواب
عن استبطائهم اذا جاء اجلهم المضروب لاهلاكهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون فلا وجه للاستعجال لعدم امكان التبديل وسينجز ما
وعد قل ارايتم ان اتاكم عذابه تسفيه لاحلامهم بان ما يستعجلونه لا وجه لاستعجاله
بياتا اى وقت بيات وهو النوم نصب على الظرف او نهارا اى
وقت اشتغالكم باسباب المعاش لم يذكر الليل في مقابلة النهار لانه اراد
الاشارة الى انه وقت نوم وغفلة ليدل على انه الوقت الذي يفترض
فيه غرة العدو بخلاف النهار فانه مناط المعاش ماذا يستعجل منه المجرمون اى
فرد من افراده يستعجلون مع انه لا فائدة في شئ منها لان العذاب كله مر
المذاق يجب الفرار منه وعلى هذا من تبعيضية او بمعنى الاستفهام التعجب
اى اى شئ هائل من العذاب يستعجلون فمن للبيان لان ذلك الشئ هو
العذاب نفسه وتحقيق المقام مبني على الوجوه ثلثة الاول ان ماذا
متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني ويقدر للشرط جواب ولما كان في
هذا الاستفهام توبيخ وتجهيل لهم فيقدر في الجواب ما يدل على الخطا الندامة
ويكون الشرط والجزاء مقررا لمضمون الاستخبار ولذلك وسط بينه
وبين متعلقه والثاني ان يكون ماذا يستعجل جواب الشرط والمعنى
اخبروني ان اتاكم عذابه فاى شئ تستعجلون منه فلا موضع للاستعجال
ثم قيل على الوجهين اثم اذا ما وقع آمنتم به على معنى ان العذاب اذا
وقع آمنتم به وعاد تكذيبكم تصديقا واذعانا وفيه زيادة تنديم وتجهيل
لهم وان هذا الايمان والاذعان ادخل في الانكار من استعجال العذاب
ولذلك جئ بثم ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على موجب ترك
الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف العذاب ويسعى في
استدفاعه فضلا عن استعجاله الثالث ان يكون اثم اذا ما وقع جواب الشرط
وماذا يستعجل اعتراض واصل الكلام ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا وتحقق آمنتم
ثم جئ بحرف التراخي بدل الواو استبعادا لما فعلوه ثم زيد اذا الشرطية دلالة
على استقلاله بالاستبعاد وان الاول تمهيد له والكد بما تحقيقا لمعنى الوقوع

وزيادة

وزيادة تجهيل لهم بانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لا ينفعهم البتة وانما دخل الهمزة على ثم
لانه منصب الانكار وهذا الوجه ابلغ معنى الآن على ارادة القول اى قيل لهم
اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن تؤمنون توبيخا لهم والآن هو الوقت
الذي انت فيه ظرف غير متمكن وقع معرفة وليست اللام فيه للتعريف وقرا نافع
بالقاء حركة الهمزة الى اللام وحذفها وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء
ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر قبل الآن ذوقوا عذاب الخلد
الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يقال لهم ذلك دفعا لتظلمهم و
ويستنبئونك احق هو اى ما تدعيه من وقوع العذاب يقولونه انكارا و
تكذيبا ولا دليل في قوله يستنبئونك على ان الاستفهام على اصله لكونهم
جازمين بكونه كذبا كيف وهم الذين يقولون ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء وهو مبتدا والضمير مرتفع به
ساد مسد الخبر او خبر مقدم قل اى وربي انه لحق اكده بانواع من
التاكيد لقوة انكار المخاطب واصراره واى بكسر الهمزة كلمة تصديق بمعنى
بلى تتقدم القسم لا تستعمل مفردة وقيل الضمير انه للقران او لادعاء النبوة
ولا يلايم المقام ويرده قوله وما انتم بمعجزين اى فائتين العذاب و
ولو ان لكل نفس ظلمت اشركت ما في الارض من الاموال والذخائر
لافتدت به جعلته فدية لها والفدية والفداء ما يفدى به الشئ واسروا
الندامة لما راوا العذاب لانهم من شدة الامر وتفاقمه لم يقدروا على بكاء
ولا عويل كما يفعله المصاب بل يسترون الندامة والحيرة وكثيرا ما ترى
من له ولد عزيز عليه اذا مات يبقى كالجماد ولا يسيل له دمع ولا يقدر على صراخ
وقيل اسروها اى اظهروها لان الكلمة من الاضداد وقيل اسروها من سفلتهم
الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من التوبيخ وقيل اسروها اخلصوها من اسر
الشئ خالصته لانه يخفى ويضن به وقضي بينهم بالقسط بين المؤمنين
والكافرين او بين الرؤساء والاتباع او بين المشركين بجعل ذنوب
المظلوم على من ظلمه وليس فيه تكرار لان الاول بين الانبياء ومن كذبهم
وهم لا يظلمون بل يجزون على قدر ذنوبهم فان الكفار متفاوتون في العذاب
الا ان لله ما في السموات والارض يختص به هو المثيب والمعاقب الا ان
وعد الله حق ثابت لا محالة دليل على ان القضاء بين الظالم والمظلوم
كائن وصدر الجملتين بحرفي التنبيه ايقاظا على سنة الغفلة ولكن اكثرهم
لا يعلمون لانهماكهم في الشهوات وعدم تفكرهم في آثار صنعه هو يحيي
ويميت متفرد بذلك لا كما يقولون ما يهلكنا الا الدهر واليه ترجعون بالبعث

لا الى غيره. يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى رجع الى بيان فضائل القران الموعظة النصح مصدر بمعنى الوعظ والقران لاشتماله على الدلائل القطعية الدالة على التوحيد وسائر العقائد موعظة وباعتبار قبولها والتذكير فيها شفاء لداء الجهل فانه مرض للقلب ان لم يداو تدارك قوي وتبعه الهلاك. ورحمة للمؤمنين. لمن آمن به منكم خصها بهم لانهم المنتفعون بذلك كمن وضع ترياقا بين طائفة تناولوا سما قاتلا وقال لهم ان فيه شفاء لدائكم واني انا الطبيب الماهر فصدقه بعضهم فكان فيه شفاؤه ولم يلتفت اليه آخرون فكان في ذلك حتفهم. قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا. تقدير الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا فالتقديم للاختصاص اي بهما فليفرحوا لا بغيرهما من متاع الدنيا والتكرير للتاكيد لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير واشارة لاشتماله على زيادة كمال التمييز فيفيد زيادة تقرير وتثبيت وحذف احدى الفعلين لدلالة المذكور عليه الفاء جواب شرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح والفضل هو الاسلام والرحمة القران اوهما واحد وتوسيط العاطف باعتبار الصفات وهذا اوجه والصق بالمقام. هو خير مما يجمعون. قرا ابن عامر بالخطاب التفاتا الى الكفار وهو المختار لانه ابلغ في النصح. قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق. بيان ما وهو مفعول انزل ان كانت استفهامية وان كانت موصولة يتعلق بارايتم اي اخبروني وفائدة لكم الامتنان عليهم كما في قوله خلق لكم ما في الارض لا للدلالة على ان الرزق اريد به ما حل منه اذ الكلام مع المشركين الذين يجعلون بحيرة وسائبة وحاما ووصيلة. فجعلتم منه حراما وحلالا. ولذلك وبخهم بقوله. قل آالله اذن لكم. في ذلك التحريم والتحليل. ام على الله تفترون. والمعنى اخبروني اي الامرين كائن الاذن من الله ام الافتراء منكم عليه اذ لا حاكم غيره وعلى هذا ام متصلة لانها مع الهمزة متعاقبان ويجوز ان يكون منقطعة اضرابا عن ان يكون الاذن من الله وتقريرا للافتراء وهذا ابلغ في الوعيد والزجر ويدل عليه قوله. وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة. اي اي شيء ظن المفترين على الله في ذلك اليوم ابهمه تعظيما لشان الوعيد. ان الله لذو فضل عظيم بالعقل المميز والرسل الهادين وانزال الرزق. ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعم. وما تكون في شان. لما اطال محاجته مع الكفار واقامة البراهين القاطعة على فساد ما يدعونه من الشريك وقبح اعمالهم من التحريم والتحليل افتراء على الله تعالى شرع تسلية بان ما يقاسيه معهم من المشاق ليس بشيء منه

الا وعلمه محيط به يجازيه عليه يوم القيمة والشان لغة مصدر شانت شانه اذا قصدت قصده. وما تتلو منه من قرآن. من ذلك الشان لان تلاوة القران اعظم شؤون رسول الله او من التنزيل لان كل جزء منه قران لاطلاقه على الكل والجزء والاضمار قبل الذكر للتفخيم او الضمير لله ومن ابتدائية. ولا تعملون من عمل. اي عمل كان عمم الخطاب بعد ان خصص سيد القوم بما كان فيه فخامة اجلالا لمنصبه ورفعا لجنابه. الا كنا عليكم شهودا. مطلعين على احوالكم رقباء اذ تفيضون فيه. وقت شروعكم فيه لا يفوتنا منه شيء من افاض في الامر اندفع فيه. وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة. ما يبعد ويغيب عن علمه ما هو اقل قليل فكيف بما فوقه وقرا الكسائي بكسر الزاء والباقون بالضم وهما لغتان والكسر افصح لانه اخف. في الارض ولا في السماء. في الجهات السفلية والعلوية وتقديم الارض لان الكلام مع اهلها ولان العامة يظنون بعدها. ولا اصغر من ذلك ولا اكبر. وقرا حمزة برفع الاسمين عطفا على محل من مثقال لانه فاعل في المعنى والباقون بالفتح على اللفظ او على ذرة وذلك الفتح جر لانهما غير منصرفين. الا في كتاب مبين. استثناء منقطع والمعنى لا يعزب عنه شيء من الاشياء لكن كله في كتاب مبين على ان الكتاب علمه او اللوح او متصل من قبيل قوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل كلام برأسه لا عطف هناك على المحل او اللفظ بل الفتح على ان لا نافية للجنس والرفع على الابتداء وعلى التقديرين الا في كتاب خبره والجملة مقررة لما قبلها. الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. كانه لما ذكر احاطة علمه بالاشياء كلها كان مظنة ان يسرع الخوف الى قلوب المخلصين اذ ما من احد الا وله نوع تقصير لمقتضى البشرية ازال ذلك بان اولياءه لا خوف عليهم من وصول مكروه ولا حزن من فوات محبوب. الذين آمنوا وكانوا يتقون. تعريف لهم وتمييز عما عداهم وقيل نصب او رفع على المدح او مبتدا وخبر قوله لهم البشرى والوجه هو الاول. لهم البشرى في الحيوة الدنيا. بما انزل الله في كتابه من الثناء عليهم في مواضع شتى وقيل من الرؤيا الصالحة فانها جزء من النبوة كما نطق به الحديث او بشرى الملائكة لهم عند حلول الاجل. وفي الاخرة. ثم تتلقاهم الملائكة بالسلام والبشارة او سلام الله تعالى لقوله سلام قولا من رب رحيم. لا تبديل لكلمات الله. لا خلاف لها مؤكدة لقوله لا خوف عليهم او لقوله لهم البشرى كانه قيل لا خلاف في وعده. ذلك هو الفوز العظيم. اي البشرى وهذه الجملة والتي قبلها معترضتان للتاكيد او الاولى معترضة وهذه تذييل. ولا يحزنك قولهم. بانهم يقتلونك او يتسلطون عليك من يباشر قتلك وفي الحديث كان ابي بن خلف يقول له لي فرس اطعمه كل ليلة فرقا من الشعير اقتلك عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلني ولكن اقتلك وكان كذلك قتله يوم احد

بيده عليه السلام: ان العزة لله جميعا: مستانف للتعليل اي الغلبة والقهر لله جميعا
لا مؤثر للكائنات غيره تعالى وقد وعدك النصر والغلبة: هو السميع: لاقوالهم: العليم
بضمائرهم: او بمن له النصر والغلبة او بمن هو في اهل لذلك: الا ان لله من في السموات
ومن في الارض: من الملائكة والثقلين اقتصر على ذوي العقول لكون غيرهم داخلا
بالطريق الاولى او فيه تغليب واتي بحرف التنبيه واكد الكلام بان اشارة
الى شدة غفلة الناس عنه: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء: لان
من في السموات والارض مملوك له تعالى لا يصلح شريكا في الالوهية ممن سموه
شريكا اسم بلا مسمى ويجوز ان يكون ما استفهامية مفعول يتبعون وشركاء
مفعول يدعون والمعنى اي شيء يتبعون هؤلاء الذين يدعون شركاء من دون الله
اذا كان من في السموات ومن في الارض مملوكا له تعالى تقريرا بجهلهم: ان يتبعون
الا الظن: الذي لا يجدي في الاصول والعقائد: وان هم الا يخرصون: يكذبون
في دعواهم او يقدرون ويحزرون في انفسهم بالا وجود له: هو الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا: جعل الليل مظلما بواسطته يكونون من الاعمال الشاقة
اذ لولاه لحملهم الحرص على اداب انفسهم على الدوام وجعل النهار مضيئا يبصرون
فيه ويسعون في طلب المعاش ولما في الدليل المذكور من الجلاء ختم الاية بقوله
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون: سماع تدبر فانه لا يحتاج الا الى القاء
السمع دون اعمال روية وتكثير مقدمات: قالوا اتخذ الله ولدا: نوع اخر
من جهالاتهم وهو نسبة الولد اليه وذلك ان المشركين كانوا يقولون
الملائكة بنات الله وحمل الاتخاذ على التبني سهو لانهم كانوا يقولون بالولد
حقيقة ولذلك رد عليهم بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة: سبحانه:
تنزيه له تعالى عن ذلك: هو الغني: دليل على بطلان ما قالوا لان الولد انما يطلب
ليكون ظهيرا في حياة والده وقائما مقامه بعد وفاته ومن انتفى عنه الاحتياج
من كل وجه ماذا يفعل بالولد: له ما في السموات وما في الارض: تقرير لغناه
وان ما فيهما ملك له وهو ينافي الولد وفيه اشارة الى انهم جاهلون متناقضون
ان عندكم من سلطان بهذا: التفت اليهم توبيخا وتكذيبا لهم على سبيل
المخاطبة والمعنى ما عندكم من سلطان دليل قاطع على ما تدعونه والاعتقادات
لا بد لها من برهان وبهذا متعلق بالظرف على ان من سلطان فاعل الظرف
لاعتماده على النفي او متعلق بسلطان لان فيه معنى الفعل او نعت له: اتقولون
على الله ما لا تعلمون: تقرير وتوبيخ على نسبتهم الى الله تعالى ما لا علم لهم به: قل ان الذين
يفترون على الله الكذب: خاطبهم اولا ثم لما جهلهم اعرض عنهم وامر الرسل اليهم
بان الذين ينسبون الولد اليه او الشريك او ما لا يليق به: لا يفلحون: في الاخرة

بالنجاة

بالنجاة من النار والفوز بالجنة: متاع في الدنيا: لهم تمتع فيها او افتراؤهم تمتع
قليل فانهم بذلك يقيمون رياستهم بين قومهم: ثم الينا مرجعهم: بالموت: ثم
نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون: لاجل كفرهم وكلمة ثم للتراخي الرتبي لان
الكافر بالموت ساقط في العذاب الا ان عذاب جهنم اشق ولذلك قالوا من
بعثنا من مرقدنا: واتل عليهم نبأ نوح: لما استوفى دلائل حقية القران وتبين بذلك
صدق من ارسل به واردف ذلك بدلائل وحدانيته امر رسوله بان يتلو
عليهم بعض اقاصيص المكذبة الذين اهلكهم الله تعالى واستاصلهم ليكون ذلك زجرا وبدا
بنوح لانه اول نبي عذب قومه ولانهم كانوا عبدة الاوثان مثل قريش اذ قال
لقومه: متعلق بنبأ: يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي: شق عليكم قيامي بين اظهركم
داعيا الى الله تعالى مكث الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ولذلك قال يا نوح
قد جادلتنا فاكثرت جدالنا او نفسي وكوني يقال فعلت هذا لمكان فلان اي
لاجله: وتذكيري بايات الله: بالدلائل الدالة على وحدانيته او الدالة على صدق
نبوتي: فعلى الله توكلت: لا على غيره من الاسباب: فاجمعوا امركم: اقصدوه
واعزموا عليه من الجمع بمعنى العزم وامر كيدهم الذي كانوا يخفونه كقوله فاجمعوا كيدكم
وشركاءكم: مفعول معه والواو بمعنى مع وروي عن نافع اجمعوا بالوصل من الجمع
فيجوز نصب شركاءكم بالعطف على المفعول: ثم لا يكن امركم عليكم غمة: اي بعد اجماعكم
على اهلاكي لا يكن ذلك مستورا بينكم كشان من يريد اهلاك عدوه فانه يغتم في نفسه
وينتهز الفرصة من غم الهلاك اذا استتر والمعنى اذا اهلكتموني لم يبق عليكم ضيق
وغم واتسع عيشكم وفعلتم ما تريدون ولم تجدوا احدا ينكر عليكم شيئا تماما تودون
وتذرون: ثم اقضوا الي: ما هو حق عليكم في اعتقادكم من اهلاكي: ولا تنظرون:
ولا تمهلوني تهكما وعدم مبالاة ثقة بمن توكل عليه: فان توليتم: اعرضتم: فما سألتكم
من اجر: هذا الشرط مرتبط بالشرط الاول والمعنى ان اعرضتم لقيامي بينكم رسولا
فذلك امر ليس لي فاسعوا في ازالته بكل ممكن وان توليتم لاني اطلب منكم شيئا
فلا وجه لتوليكم لاني ناصح لوجه الله تعالى لا اطلب على ذلك اجرا: ان اجري الا على الله
الذي ارسلني: وامرت ان اكون من المسلمين: المنقادين لامره او المخلصين
لا تظنوا بي خلاف ما اقوله وفيه ان اخذ الاجرة على تعليم العلم وهداية الناس ليس
من وراثة الانبياء: فكذبوه: استمروا على تكذيبه بعد الزام الحجة: فنجيناه ومن معه
في الفلك: وجعلناهم خلائف: عن الهالكين: واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
بالطوفان: فانظر كيف كان عاقبة المنذرين: المهلكين او من نجيناه ومن اهلكنا
لاشتراكهم في الانذار والنظر هو التامل والاعتبار: ثم بعثنا من بعده رسلا
الى قومهم: كل رسول الى قومه وفي الحديث كان النبي يبعث الى قومه وبعثت

الى الناس كافة فجاءوهم بالبينات بالمعجزات الواضحة الدالة على صدقهم
فما كانوا ليؤمنوا ما آمنوا بعد تلك المعجزات وانما زاد لفظ كان بلام الجحود
اشارة الى ان عدم ايمانهم لم يكن الا جحدا واستكبارا بما كذبوا به من قبل اى
قبل مجئ الرسل لفرط عنادهم استوى الحالتان عندهم وحمل الباء على السببية
اى انهم لم يؤمنوا بسبب اعتيادهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه فيه ان من امن
من الكفار كان قبل البعثة مكذبا مستمرا عليه كذلك نطبع على قلوب المعتدين
مثل ذلك الطبع الذى طبع على قلوب هؤلاء نطبع على قلب كل معتد كقوله
كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار ثم بعثنا من بعدهم بعد هؤلاء
الرسل وهم المبعوثون من بعد نوح موسى وهارون الى فرعون وملائه باياتنا
الايات التسع وقد سبق تفصيلها فى الاعراف فاستكبروا ترفعوا عن
اتباعها وكانوا قوما مجرمين دابهم الاجرام ولذلك انفوا وحملهم ذلك
الاجرام على الاستكبار اعتراض على سبيل التذييل كقوله وانتم ظالمون بعد قوله
اتخذتم العجل فلما جاءهم الحق من عندنا معجزاته لانها من عند الله تعالى قالوا
ان هذا لسحر مبين واضح لا يشتبه على احد قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم
اسحر هذا اتعيبونه وتطعنون فى الحق لما جاءكم من قولهم قال زيد فى عمرو اى
عابه نظيره قولهم سمعنا فتى يذكرهم وعلى هذا قوله اسحر هذا ابتداء كلام من موسى
عليه السلام توبيخا لهم او المفعول محذوف لدلالة السابق عليه والاستفهام
كما مر وهذا حكاية كلامهم فانهم لما بتوا القول بانه سحر بنوا على ذلك عدم فلاح من اتى به
فالهمزة للتقرير فحكى موسى عليه السلام كلامهم بحسب المعنى دون اللفظ ردا عليهم
منبا كل الفلاح لصاحبه بقوله ولا يفلح الساحرون فلو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل
به سحر السحرة قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا اللفت والفتل من واد واحد ومنه
الالتفات عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة فرعون والهته وتكون لكما الكبرياء
فى الارض العظمة والملك كما هو شان الملوك وما نحن لكما بمؤمنين اى
نقول ذلك وما نحن بمصدقين لما جئتما به وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم
كامل العلم فى سحره وقرا حمزة والكسائى سحار وهى ابلغ لدلالته على انه لم يطلب الا
الحذاق منهم ويؤيده الوصف بالعلم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون جواب لقولهم اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين كما تقدم فى الاعراف
ولا يلزم الرضاء بالسحر لان الغرض ابطاله فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اى الذى
جئتم به السحر لا الحق الذى كنتم تزعمون انه سحر وقرا ابو عمرو بهمزة القطع على ان ما
استفهامية مبتدا وجئتم به خبره والسحر خبر مبتدا محذوف اى اى شئ جئتم به
اهو السحر او السحر بدل من ما والمعنى على الانكار والتقرير وقراءة الجمهور ابلغ

لئلا

لئلا يتوهموا ان الاستفهام على اصله فيعتقدوا انه لم يعلم انه سحر ان الله
سيبطله سيظهر بطلانه باظهار المعجزة ان الله لا يصلح عمل المفسدين
كل مفسد والسحر من الافساد ولا غوائه الناس بل من اكبر الكبائر
ويحق الله الحق بكلماته يثبته ويعلى شانه باياته الدالة على حقيته ولو
كره المجرمون اذ لا تاثير فى الكائنات الا لقدرته تعالى وقد طوى بقية قصة
السحرة لانه حكاها فى طه وفى الشعراء وذكر هنا آخر شان فرعون فما
آمن لموسى الا ذرية من قومه اى لم يؤمن من بنى اسرائيل بعد غلبة موسى
الا شبان من قومه وقيل الضمير فى قومه عائد الى فرعون وقد آمن من قومه
مؤمن آل فرعون وامراته آسية وخازنه وامراته والماشطة وهذا القول
ليس بسديد لان السحرة من قوم فرعون وقد آمنوا اجمعون من غير تلبث
وكانوا الوفا على خوف من فرعون وملائهم اى آمنوا به حال كونهم مشتملين
على الخوف استعار للدلالة على فرط خوفهم والملأ ملأ بنى اسرائيل فانهم كانوا
يمنعون اعقابهم واتباعهم عن الايمان يدل عليه قوله ان يفتنهم اى
فرعون وقيل الملأ من قوم فرعون وانما جمع الضمير لاعتبار التعدد فى نفس
فرعون لتعاظمه كقول الملوك امرنا وفعلنا او باعتبار من يؤامره من
وزرائه والضمير للقوم ان فرعون لعال فى الارض بالقهر والغلبة
وكثرة الجند والاسباب وانه لمن المسرفين لم يرض باقصى مراتب
البشر حتى ادعى الالوهية وفيه ايماء الى ان خوفهم منه لم يقدح فى كمال
ايمانهم نظيره فاوجس فى نفسه خيفة موسى وقال موسى يا قوم ان كنتم
آمنتم بالله فعليه توكلوا فان الايمان بالله يوجب التوكل لان من شرائطه
الايمان بالقدر وان ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن ان كنتم مسلمين
مخلصين فى ايمانكم علق وجوب التوكل اولا بالايمان وحصوله ثانيا بالاسلام
اى الاخلاص كقولك ان شاءك فقير فلا تردده ان وجدت مالا فقالوا
على الله توكلنا فعلوا ما امرهم من غير توقف ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
الظالمين موضع فتنة لهم بان يعذبونا ويصرفونا عن ديننا او يفتنونا
بسببنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا فيزدادون بذلك
طغيانا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وسوء صحبتهم
فان الاخلاق السيئة تسرى الى الطبع ولذلك مثل صلى الله عليه وسلم
جليس السوء بالحداد اما يحرق ثيابك بناره او تجد رائحة خبث الحديد
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا تفعل بمعنى فعل يقال
تبوات منزلا اى نزلته وتبواته الرجل اى هياته له والمباءة المنزل ام

والسكنى مصر الى وقت ارادة الله تعالى ∴ واجعلوا بيوتكم قبلة ∴ مساجد
متوجهة نحو القبلة قيل هي الكعبة وقيل بيت المقدس ∴ واقيموا الصلوة ∴
في بيوتكم خوفا من الكفار كما كان يفعله المؤمنون في ابتداء الاسلام ∴ وبشر
المؤمنين ∴ بالنجاة في الدنيا والاخرة افرد الخطاب لموسى عليه السلام لانه
صاحب الشريعة وهارون كان رداله وانما ثنى اولا لان امر المنزل متعارف
للراي فيه مدخل وجمع ثانيا لان اقامة الصلوة واجبة على كل مكلف ∴ وقال
موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ∴ ما يتزين به من الملابس والمراكب
والغلمان والفرش ∴ واموالا في الحيوة الدنيا ∴ انواعا من المال ∴ ربنا
ليضلوا عن سبيلك ∴ علة للايتاء اي انك فعلت ذلك بهم استدراجا
او اللام للعاقبة فقوله ربنا تكرير للتاكيد وقيل دعاء بلفظ الامر وذلك
لما علم ان ايمانهم كالمحال بما لا يكون الا ذلك فهو تصريح بمقتضى ما جرى به قضاء الله
كقول نوح لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وكما تقول لعن الله ابليس وليس
من الرضاء بالكفر في شيء او لم يرد به الدعاء وسؤال الانجاز بل هو كناية عن
فرط عتوهم وابلاء عذره وقرا ابن كثير وابو عمرو ويضلوا بفتح الياء ∴ ربنا
اطمس على اموالهم ∴ امحها وازلها ∴ واشدد على قلوبهم ∴ اجعلها قاسية مختوما
عليها حتى لا يكون للايمان اليها سبيل ∴ فلا يؤمنوا ∴ عطف على ليضلوا اي ليضلوا
عن سبيلك فلا يؤمنوا ∴ حتى يروا العذاب الاليم ∴ وما بينهما اعتراض او جواب
للامر والمعنى اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية حتى لا يؤمنوا فانهم لا يستحقونه
قال قد اجيبت دعوتكما ∴ كانه دعاء كل منهما وقيل كان موسى يدعو وهارون
يؤمن على دعائه ∴ فاستقيما ∴ على الدعوة الى الله تعالى ولا تعجلا فان نوحا صبر على
اذى قومه الف سنة يدعوهم الى الله تعالى قال بعض العارفين شرط الدعاء
صدق الافتقار في الابتداء وحسن الانتظار وسقوط التقاضي والاستعجال
والثقة بالله تعالى مع جميل الظن قيل مكث موسى بعد ذلك اربعين سنة ∴ ولا
تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ∴ الذين يستعجلون وفي الحديث يقبل دعاء
العبد ما لم يقل دعوت فلم يجب لي وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان
بتخفيف النون على انه خبر والمعنى ولستما تتبعان او الواو للحال او هو
على مذهب يونس والفراء في ادخال المؤكدة الخفيفة بعد الالف وانما حركت
لالتقاء الساكنين وعنه وجه آخر بالنون المشددة من الثلاثي والمختار
قراءة الجمهور بالاجماع على ولئن اتبعت ولا تتبع ∴ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
الى البر جزت المكان وجاوزته اذا خلفته ∴ فاتبعهم فرعون وجنوده ∴
ادركهم يقال تبعت القوم اذا مشيت خلفهم واتبعتهم اذا سبقوك فادركتهم

بغيا

بغيا وعدوا ∴ باغين عادين او للبغي والعدو ∴ حتى اذا ادركه الغرق ∴ اي قاربه
وبدت اسبابه وعلاماته وقيل بفتح الراء غمره الماء وقيل الهلاك بالكلية
هو الهلاك فيه ∴ قال آمنت انه ∴ بانه ∴ لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل
وانا من المسلمين ∴ وقرا حمزة والكسائي انه بكسر النون على الاستئناف
او البدل من آمنت لتضمنه معنى القول ∴ آلآن وقد عصيت قبل ∴ اي اتؤمن
الآن وقد عصيت قبل مدة عمرك ∴ وكنت من المفسدين ∴ حيث لم ترض بعصيانك
بل كنت تصرف الخلق عن عبادة الله تعالى بقوله وصد عن السبيل او بذبح ابناء
بني اسرائيل اجتهد في خلاص نفسه عبر عن التصديق بعبارات الثاني
ابلغ من الاول والثالث ابلغ من الثاني ولكن لم يفيدا في الوقت وهذا
كمن آمن بعد طلوع الشمس من مغربها فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده
وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله اتاه جبريل
يوما برقعة فيها ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته ثم لم يطلب من
ذلك منه شيئا سوى انه يقر بانه عبده فابى وادعى السيادة دونه فكيف حاله فكتب
على الرقعة يغرق في البحر كتبه ابو العباس الوليد بن مصعب فلما ادركه الغرق
ناوله جبريل فعرف وروى الامام احمد والترمذي عن ابن عباس انه لما قال
آمنت اخذ جبريل من حماة البحر فدسه في فيه وذلك لعلمه بانه لا ينفعه ذلك
كمن رأى شخصا يصلي بلا وضوء فقطع عليه صلوته ∴ فاليوم ننجيك ببدنك
نلقيك على نجوة من الارض خاليا من الروح ليراك بنو اسرائيل على تلك
الهيئة زيادة في سرورهم ولئلا يظن الجهلة انك نجوت من الغرق لكونك
الها وقرئ بالحاء اي نلقيك الى ناحية وقيل ببدنك عريانا من غير لباس او كاملا
سويا او بدرعك فانه كان لابسا درعا من الذهب ∴ لتكون لمن خلفك آية ∴
لمن ياتي بعدك الى يوم القيمة اذا سمع ما كنت فيه من الدعوى وما آل اليه امرك
ولمثل هذا حكى الله تعالى في كتابه احوال الامم الهالكة قل سيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ∴ حيث يسمعون مثل هذه الوقايع
ولا يتفكرون في عظمة الله تعالى وكبريائه ولا ينقلعون عن مخالفة اوامره ∴ ولقد بوأنا
بني اسرائيل مبوأ صدق ∴ منزلا مرضيا وهو الشام لكونه موطن الانبياء
او لكونه المحشر يوم القيمة وقيل هو مصر فانهم سكنوا بعد فرعون ووجه كونه منزل
صدق انهم هناك وعدوا بالنجاة وبها غرق فرعون غرقا بموضع يسمى بربش
على عدة مراحل منها ∴ ورزقناهم من الطيبات ∴ من اللذائذ ∴ فما اختلفوا حتى
جاءهم العلم ∴ اي ما تشعبوا وتحزبوا في امر دينهم الا بعد علمهم بما في التورية وهذا غاية ذم

لهم حيث جعلوا ما كان سببا للاتفاق وسيلة للاختلاف فان قلت قد ورد
في الحديث انه قال عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقد اختلفت الائمة في الايات
والاحاديث من الصحابة ومن بعدهم قلت اختلاف الائمة في الفروع ومالاجتهاد
فيه مدخل لا في الاصول والعقايد ستفترق امتي ثلثا وسبعين فرقة كلهم في النار
الا التي يكون على ما انا عليه واصحابي وقيل هو اختلافهم في امر محمد بعد علمهم بنبوتهم ودلايل
معجزاته ∴ ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ∴ فيميز بين
المحق والمبطل ويجازي كلا على وفق عقيدته وما يقتضيه عمله ∴ فان كنت
في شك مما انزلنا اليك ∴ كلام على سبيل الفرض مثل قوله لئن اشركت
والالهاب وتهييجه على التثبت ودفع الوساوس التي ربما يعرض لمن يذنب
الكفرة وفيه اشارة الى ان اهل الكتاب لهم رسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه
حتى انه يصح لمثله ان يسالهم اذا اعتراه شبهة على الفرض ثم اغناه عن السؤال
بقوله ∴ لقد جاءك الحق من ربك ∴ شهادته بحقيته يغني عن شهادة غيره دل
على ان ذلك انما كان امرا على سبيل الفرض وقد روي لما قراه عليه جبرئيل قال
لا اشك ولا اسال ∴ فلا تكونن من الممترين ∴ الشاكين او الخطاب له والمراد
امته او كل من يسمع ويؤيده قوله ∴ ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون
من الخاسرين ∴ اذ هو منزه عن التكذيب ويحتمل ان يكون من قبيل الالهاب
والتهييج او لقطع الاطماع كقوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين ∴ ان الذين حقت
عليهم كلمت ربك ∴ احكامه الازلية او علمه وارادته وقدرته تعلقت بكفرهم
والموت عليه ∴ لا يؤمنون ∴ لاستحالة وقوع خلاف معلومه ومراده وتبدل
حكمه الازلي وقرا نافع وابن عامر بجمع الكلمات والرسم على التوحيد والجمع
اظهر لدلالته على الافراد صريحا ∴ ولو جاءتهم كل اية ∴ لوجود الختم وسبق الشقوة
حتى يروا العذاب الاليم ∴ ولا نفع للايمان حينئذ ∴ فلولا كانت قرية امنت
لوم على ترك الايمان في وقته والاشتغال به في وقت لا يغنيه كما فعله
فرعون ∴ فنفعها ايمانها ∴ لوقوعه في وقته ∴ الا قوم يونس ∴ لكن قوم يونس
استثناء منقطع من القرى لان المراد اهلها ∴ لما امنوا ∴ قبل مشاهدة
العذاب وحصول الياس ∴ كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
ولم يصبهم مثل ما اصاب ساير الامم ∴ ومتعناهم الى حين ∴ الى حين
اجالهم ويجوز ان يكون الاستثناء متصلا لاشتماله على معنى النفي اوجبه لما
عن ابن عباس رضي الله عنه ان لولا في موضعين من القران بمعنى النفي
فلولا كانت قرية امنت وفلولا كان من القرون من قبلكم كانه قيل
ما امنت قرية من القرى العاصية الا قوم يونس بن متى بعث

الى اهل

الى اهل نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الله تعالى فكذبوه فوعدهم نزول
العذاب بعد اربعين يوما وخرج من بينهم فلما مضى خمس وثلثون ليلة
غامت السموات غيما اسود هائلا ثم هبط على مدينتهم فنعتا ما
فلما راوا ذلك لبسوا المسوح وبرزوا الى الصحراء بدوابهم ومواشيهم و
وقرانهم وصبيانهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى البعض
فارتفعت الاصوات وعلا الضجيج والعجيج واخلصوا الايمان والتوبة
فكشف الله عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ∴ ولو شاء ربك لامن
من في الارض كلهم جميعا ∴ اشار الى ان قوم يونس امنوا لان مشيته
الازلية تعلقت بايمانهم ولو شاء ايمان الخلق باسرهم لامنوا كلهم ثم
انكر على رسوله مبالغته على ايمان قوم لم يرد الله ذلك منهم بقوله ∴ افانت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ∴ وانما رتب الكلام بالفاء وادخلا
عليها همزة الانكار مع تقديم الضمير دلالة على ان المنكر كونه مكرها لا الله
قادر على الجائهم ∴ وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ∴ وما صح ولا امكن
الا بارادة الله تعالى ومشيته وانما ذكره لان انتفاء مشيته ايمان كل من في
الارض لا يدل على ان من امن منهم لا يؤمن الا بمشيته تعالى ∴ ويجعل الرجس
العذاب او اسبابه من المعاصي والاثام وقرا ابو بكر بجعل بالنون ∴ على الذين
لا يعقلون ∴ ناظر الى قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون
ومعنى لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الكائنات ليؤديهم الى العلم
بوحدة موجدها ولذلك قال ∴ قل انظروا ماذا في السموات والارض
من عجايب الصنع وبدايع الايات والعبر ∴ وما تغني الايات والنذر
عن قوم لا يؤمنون ∴ اي الانذارات او الرسل المنذرون لسبق القضاء
بعدم ايمانهم ∴ فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم ∴ تفريع على ما
تقدم فلا بقاء لهم الا الاجرا ارادة الله ووقت مضر لنزول العذاب
بهم مثل ما نزل باولئك الامم والايام الوقايع يقال ايام العرب لوقايعها
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ∴ لذلك او فانتظروا هلاكي فاني
منتظر هلاككم ∴ ثم ننجي رسلنا والذين امنوا ∴ عطف على مقدر كانه قيل
اهلكنا الامم ثم نجينا الرسل وانما اتى به على حكاية الحال الماضية
استحضارا للصورة الواقعة ∴ كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين ∴ مثل ذلك
الانجاء وحقا مصدر لفعله المقدر اعتراض اي حق ذلك علينا حقا وقرا
حفص والكسائي ننجي باسكان النون وتخفيف الجيم والتشديد ابلغ
قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ∴ خطاب لاهل مكة ∴ فلا اعبد

الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم : اي ان حصل
لكم ريب في صحة ديني فلا مجال للشك فيه لاني اعبد ربا موصوفا بهذه
الصفات التي كلها صفات الالوهية فاعرضوا هذا على عقولكم ليعلموا انه
الدين : وامرت ان اكون من المؤمنين : اي امرني الله تعالى بان اكون من جملة
المؤمنين بما انزل الي من الوحي وما دل العقل على صحته ووافق قانون الشرع
وحذف الجار من ان كما هو المطرد في ان او هو من الحذف بعد فعل الامر خاصة
كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به : وان اقم وجهك للدين : عطف
على ان اكون غير ان صلة ان هنا انشاء والانشاء والخبر في ذلك سيان
والمعنى امرت بالايمان والاستقامة والاخلاص فيه او الاول اشارة الى
الاصول والعقائد وهذا الى الفروع كاداء الفرائض واستقبال القبلة والوجه
اريد به الذات : حنيفا : حال من الدين او الوجه ومن الوجه اوجه لقوله تعالى
ملة ابراهيم حنيفا ولقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
ولا تكونن من المشركين : تذييل له : ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك : اذ لا مؤثر سواه : فان فعلت : فان دعوت ما لا ينفعك
ولا يضرك كنى عنه بالفعل ايجازا : فانك اذا من الظالمين : اذا حرف
مكافاة وجواب عن سؤال محقق او مقدر بقول الرجل ازورك الليلة
فيقول اذا اكرمك : وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يردك بخير فلا راد لفضله : رجح جانب الترغيب اذ المقصود الاعتصام
به وحده ولا شك ان النفوس الزكية بالطف انس فآثر في الشر
لفظ المس الدال على القلة والوصول الى الظاهر فقط ولم يصرح بالارادة
وان لم يكن الا منها حتى كانه واقع بالعرض واشار بالاستثناء الى انه لا ملجأ له
ان التجاء اليه المصاب وفي الخير الارادة المطلقة الشاملة للظاهر والباطن
وجعل المنفي طلب مراد الخير تابعا وصرح بانه لا راد لذلك المراد لا هو ولا غيره
لان مراده واقع قطعا وسماه فضلا وما كان فضلا منه يشعر بالرافة والعناية
وهذه نكت تعتبر في الكلام البليغ باعتبار المقام ولا يجب اعتبارها في كل مقام
ولذلك ذكر المس في الموضعين في الانعام بقوله وان يمسسك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير والاية ابلغ من
قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره لاختصاصه بالاصنام
وعموم الاية يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فليتوجه
الراجون جناب قدسه وليستعدوا بذلك لجزايا عميم لطفه : قل يا ايها
الناس قد جاءكم الحق من ربكم : القران وسائر الاحكام وما آتاكم الرسول

محذوفه : فمن اهتدى منكم : فانما يهتدي لنفسه لانتجاء ونفعه الى غيره : ومن ضل
فانما يضل عليها : لا ينجو وزرها وباله : وما انا عليكم بوكيل بحفيظ يحفظ عليكم
اعمالكم : واتبع ما يوحى اليك : تتبع اثره ولا تدع منه شيئا لا تبلغه
كانوا يقولون له اترك ذم آلهتنا ونؤمن بك : واصبر على اذاهم
حتى يحكم الله : لك بالنصر والغلبة اي اظهر حكمه : وهو خير الحاكمين : لعدم احتمال
الخطا روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار في اخر موعظة
وعظها انكم ستجدون اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض قال انس رضي الله عنه
فلم نصبر نحن روي ان معاوية لما قدم المدينة حاجا تلقته الانصار وتخلف
ابو طلحة فلما دخل عليه قال له معاوية لم لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب
قال ابو النواضح يعرض به انه من الاكرة قال ابو طلحة قطعناها في طلبك وطلب
ابيك سوره هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلث وعشرون
ايات بسم الله الرحمن الرحيم الر تقدم الكلام في وجوه
اعرابه : كتاب : خبر الر او خبر مبتدا محذوف : احكمت اياته : نظمت
نظما رصينا محكما كالبنيان المرصف لا يتطرق اليه خلل ومنقول من حكم
بالضم اذا صار حكيما قال تمرين تولب والنفس بغيضك بغضا رويدا اذا
حاولت ان تحكما او منعت من الفساد ماخوذ من حكمة الدابة ومنه
قول جرير ابني حنيفة احكموا اسفهاءكم اني اخاف عليكموا ان اغضبا
وقيل المراد آيات السورة والاحكام عدم تطرق النسخ اليها اذ ليس في
السورة آية منسوخة او احكمت بالدلائل والحجج القطعية : ثم فصلت
كما تفصل القلائد بالفرائد كانه شبه الفاظ العذبة ومعانيه الشريفة من
التوحيد والصفات والنبوة والدلائل الدالة عليها وما فيه من الحكم والعبر
والقصص باللدراري ثم ايراد كل في موضعه اللائق به تفصيلها فعلى هذا التراخي
رتبي ويجوز ان يراد بالتفصيل جعله مفصلا سورة سورة وآية آية او تفريقه
في النزول منجما فثم على اصله لان الاحكام بالنظر الى ذات السورة والاية
في نفسها والتفصيل بالنظر الى ملاحظة الصواحب : من لدن حكيم خبير
صفة اخرى لكتاب او خبر آخر او صلة لاحكمت او فصلت نشرا لا تقدم
نحو وهو اللطيف الخبير بعد لا تدركه الابصار : ان لا تعبدوا الا الله : مفعول له
او ان مفسرة لان في التفصيل معنى القول او كلام مبتدا منه صلى الله عليه وسلم
على سبيل الاغراء كانه قال ترك العبادة الا له اي الزموه كقوله فضرب
الرقاب يؤيده قوله : انني لكم منه : اي من الله تعالى : نذير وبشير : بالعقاب
على الكفر والثواب على الايمان والتوحيد : وان استغفروا ربكم : عطف

على ان لا تعبدوا ∴ ثم توبوا اليه ∴ اي استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه
بالطاعة او استقيموا على التوبة واخلصوها فالتراخي رتبي لان الاستغفار
والاخلاص اعلى شأنا منها ∴ يمتعكم متاعا حسنا ∴ يعيشكم عيشة راضية
وتطيلكم نعمة واسعة متتابعة ∴ الى اجل مسمى ∴ الى آخر العمر ∴ ويؤت كل
ذي فضل فضله ∴ اي كل ذي فضل في العمل جزاء فضله لان الدرجات على
قدر الطاعات او فضله الذي هو الثواب وحاصله الوعد بالخير في الدارين
كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون ∴ وان تولوا
فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير ∴ يوم القيمة وصف بالكبر لطوله كما
وصف بالعظم لتعاظم امره ∴ الى الله مرجعكم ∴ رجوعكم وعيد ولذلك اردفه
بقوله ∴ وهو على كل شيء قدير ∴ فهو قادر على ان يعذبكم اشد العذاب
الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ∴ روى البخاري عن ابن عباس
انه سئل عن معنى الآية فقال كان اناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا
الى السماء فنزلت وان يجامعوا فيفضوا الى السماء فنزلت فيهم وقيل
نزلت في اخنس بن شريق وكان حلو المنطق يظهر لرسول الله المحبة ويحب
مجالسته ومحادثته ويضمر بغضه وقيل نزلت في المنافقين وهذا انما يستقيم
على الاخبار بما هو كائن في علم الله لتحقق الوقوع لان السورة مكية والنفاق
انما نجم بالمدينة والمعنى يزورون عن الحق وينحرفون عن سماع الوحي والآيات
يريدون بذلك الاستخفاف من الله ∴ الا حين يستغشون ثيابهم ∴ كراهة
الاستماع يريدون الاستخفاء من الله وما جعلوه وسيلة دالة على خلاف مرادهم
لان الاعراض عن الحق والاستغشاء دليلان ظاهران على النفاق الذي فيهما
ادل شيء عليهم بالجهل المفرط لان ما لا يخفى على احد من الناس يريدون اخفاءه
عمن لا يخفى عليه خافية ولذلك كرر حرف التنبيه ∴ يعلم ما يسرون وما يعلنون
من القول ∴ انه عليم بذات الصدور ∴ بضمائر القلوب التي ليست من جنس
القول فكيف به ∴ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ∴ اي ما من شيء
يدب على الارض الا على الله رزقه وما يكون سببا لبقائه وانما اتى بعلى
الدال على اللزوم لكونه متكفلا به تفضلا وحملا على التوكل وفي الحديث لو
توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
ويعلم مستقرها ومستودعها ∴ اماكن استقرارها من الارض والاماكن التي
كانت مستودعة فيها قبل الاستقرار من اصلاب وارحام ∴ كل في كتاب
مبين ∴ كل ذلك ثابت في اللوح المحفوظ وفيه مبالغة من وجوه طريقة
الحصر وكلمة على الدالة على الدوام واثباته في اللوح ثم وصف اللوح با

في الابانة والظهور كمن يقر بشيء لاحد ثم يكتب على نفسه لذلك صكا
وقد دلت الآية على كونه تعالى عالما بالمعلومات كلها فهو عالم باحوال المنافقين
قادر على مجازاتهم ∴ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ∴ دليل
على كونه قادرا على كل شيء كما ان الاولى دلت على علمه بالاشياء كلها ∴ وكان
عرشه على الماء ∴ اي لم يكن حائل بينهما قبل خلق السموات والارض لا انه
كان فوقه ثم رفع بل العرش الآن كما كان وفيه دليل على الخلاء وفي الاخبار
ان الماء كان على متن الريح ∴ ليبلوكم ايكم احسن عملا ∴ متعلق بخلق والمعنى
ليعاملكم معاملة المختبر فانه جعل الارض فراشا والسماء بناء ورتب الاسباب
ليتولد منها ما يحتاجون اليه من امور المعاش وارسل الرسل وشرع الشرائع
ليثيب الطائع وليعاقب العاصي ولما كان البلوى طريق العلم علق عن
الاستفهام كما تعلق فعل القلب وهذا كما تقول وانظر ايهم احسن وجها
واسمع ايهم اطيب صوتا لكونهما طريقي العلم وانما آثر اسم التفضيل والخطاب
عام حثا على تحري الاحسن من الاعمال فانه نهاية الكمال كانه قيل ليظهر افضلكم
لا افضلكم والعمل يشمل العلم لانه عمل القلب ∴ ولئن قلت انكم لمبعوثون من بعد
الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ∴ سيق لبيان جهل الكفار
يجعلون القول بالاعادة شبيها بالسحر في بطلانه اذ لا باطل اجلى منه وقيل
الضمير للقرآن فانه اذا كان باطلا فقد انطوى تحته بطلان القول بالبعث
وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة
الجمهور ابلغ واوفق للمقام قال ابو عمرو ما تبعه مبين فهو سحر وما تبعه عليم فهو
ساحر ∴ ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ∴ الى حين قريب
ولذلك وصفه بالعد وانما انث باعتبار اللفظ والعذاب عذاب
الآخرة وقيل عذاب يوم بدر ∴ ليقولن ما يحبسه ∴ يستعجلونه به تكذيبا
واستهزاء ∴ الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم ∴ مدفوعا عنهم ويوم منصوب
بخبر ليس واستدل به على جواز تقديم خبره لانه اذا جاز تقديم معموله عليه
فهو اولى بالجواز ∴ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ∴ احاط بهم آثر المضي
لكونه واقعا لا محالة ∴ ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ∴ نعمة وسعة
عيش ∴ ثم نزعناها منه ∴ سلبناها منه ∴ انه ليؤس ∴ كثير اليأس
قاطع رجاءه عن عود مثلها ∴ كفور ∴ كثير الكفران لم يتذكر النعمة الوافرة
الواصلة اليه في المدة المتطاولة لا ينظر الا الى تلك الحالة التي هو فيها
ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ∴ صحة بعد سقم ∴ ليقولن ذهب
السيئات عني ∴ زالت المصائب ونسي ما كان فيه من البلاء وكانه

ان سد طريقه اليه ونجا نجاة الابد: انه لفرح: بطر: فخور: كثير الفخر بما فيه
من الغنى والصحة وقد شغلاه عن القيام بالشكر وفي اذاقة النعمة ولفظ
المس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن انموذج
نزر بالنسبة الى ما يجده في الاخرة وفيه انه يقع في الكفران والبطر بادنى شي
دل عليه لفظ الاذاقة والمس وفي اسناد الاذاقة اليه تعالى دون مس الضر
اشارة الى ان رحمته سابقة غضبه: الا الذين صبروا: على ما اصابهم ولم
يظهروا الجزع استسلاما لقضاء الله تعالى: وعملوا الصالحات: وصرفوا الجوارح
والاركان واللسان الى ما امر الله تعالى به من الطاعات شكرا لنعم الله السابقة
استثناء متصل لكون اللام في الانسان للاستغراق كقوله ان الانسان لفي
خسر الا الذين آمنوا وقيل منقطع لان السابق في الذكر هم الكفار: اولئك
الموصوفون: لهم مغفرة: لما فرط منهم: واجر كبير: بحسب تلك الاعمال الصالحة
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا
تارة يقولون ان كنت نبيا اجعل لنا جبال مكة ذهبا واخرى لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وكان يحتمل من ذلك مشقة شديدة فنزل
منزلة من يتوانى في اداء ما امر به ويتوقع منه بتركه تهييجا له وتحريكا من عطفه
وهذا وامثاله وان كان في الظاهر تاديبا له ففيه اشارة الى انه حريص على
ايمانهم حتى لو امكنه ترك ما امر الله تعالى به في تحصيله لفعل ولذلك اردفه بقوله
انما انت نذير: وضائق به صدرك: بتلاوته عليهم وتبليغه: ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك: يستعين بالمال على الاستتباع بانفاقه
وبالملك على صدق ما يدعيه مخافة هذا القول وانما آثر ضائق على ضيق
لانه كان افسح صدرا انما يعتريه ذلك احيانا: انما انت نذير: ما عليك
الا الانذار تسلية له وازالة لما كان يعتريه: والله على كل شيء وكيل: حافظ
ورقيب مجاز كلا منك ومنهم بحسب عمله: ام يقولون افتراه: ام منقطعة
والضمير لما يوحى اليك: قل فاتوا بعشر سور مثله: في جزالة النظم والبلاغة
مفتريات: على زعمكم انه مفترى مختلق من عندي لانكم مارستم القريض
والاشعار والخطب فانتم اولى بالاتيان بمثله تحداهم اولا بعشر سور
ثم اقتصر على اقصر سورة وهذا داب المناظر الواثق بحاله لان ذلك
اقوى في الزامه كما يقول الشاعر لمن يقدح في شعره عليك بعشر ابيات
مثلها لا بل رضيت منك ببيت واحد الاية سابقة نزولا على البقرة
ويونس: وادعوا من استطعتم من دون الله: الى المعاونة والاستظهار
ان كنتم صادقين: انه مفترى: فان لم يستجيبوا لكم: الخطاب لرسول الله

فانه الداعي الى التحدي والجمع للتعظيم يؤيده قوله فان لم يستجيبوا لك في سورة
القصص اوله وللمؤمنين لان الكفار بالايمان يدخلون في زمرتهم وقيل
الخطاب للكفار والمراد باستجابته من دعوه الى الاعانة اي ان لم يقدروا
على ذلك: فاعلموا انما انزل بعلم الله: ملتبسا بعلمه خاصة لا سبيل لاحد
اليه فانه نظم معجز: وان لا اله الا هو: واعلموا عند ذلك انه متفرد بالالوهية
وعلى الاول المراد الثبات وازديادا لليقين بانه منزل من عند الله تعالى والدوام
على التوحيد: فهل انتم مسلمون: ثابتون مخلصون والاستفهام بمعنى الطلب
يدل على وجوب ايقاع المطلوب لقيام الموجب وزوال العذر او داخلون
في الاسلام اي لم يبق لكم عذر فاسلموا: من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
اشار الى ان الذين يصرون على التكذيب بعد ظهور معجزهم انما حملهم على ذلك
حب الدنيا وزينتها ثم بين حال من يكون كذلك وعين تلك الصفة بقوله
نوف اليهم اعمالهم: جزاء اعمالهم: فيها: في الدنيا وافيا كاملا وهم فيها
لا يبخسون: لا ينقصون حال من المجرور لدفع وهم التسامح في التوفية اولئك
الذين ليس لهم في الاخرة الا النار: لانهم استوفوا ما كانوا يستحقونه في الدنيا فلم
يبق لهم ما يكون وسيلة الى شيء من الثواب: وحبط ما صنعوا: من افعال
البر فيها: في الاخرة لانهم لم يريدوا بها وجه الله او لم يكن على اساس وهو الايمان
وباطل ما كانوا يعملون: علة لحبوطها اي انما حبطت ولم يترتب عليها ثواب
لانها كانت باطلة في نفسها وهكذا شان الباطل سواء صدر من مؤمن او غيره
افمن كان على بينة من ربه: برهان من جهة ربه دال على حقية ما ياتيه ويذره
الاستفهام للانكار والمراد نفي التقارب بين من هذا شانه وبين من يريد
الحيوة الدنيا وزينتها وقصر همته على تحصيلها ولم يلتفت الى الدار الاخرة
ولم يعمل عملا لوجه الله تعالى والتقدير امن كان يريد الحيوة فمن كان على بينة
من ربه والعائد محذوف لدلالة الفاء عليه ومن موصولة عطفت على
مثلها والمعنى لا تقارب بينهم فضلا عن التماثل وهذا ابلغ من قوله افمن
كان مؤمنا كمن كان فاسقا لان المنكر فيه التماثل وهذا حكم تعم كل مؤمن
وقيل المراد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من آمن من اهل الكتاب: ويتلوه
يتبع ذلك البرهان ذكره باعتبار المعنى: شاهد منه: اي من الله تعالى او من
القرآن لتقدم ذكره وعلى هذا من بيانية او تبعيضية وقيل البينة القرآن
ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان رسول الله: من قبله
من قبل هذا الشاهد الذي هو القرآن: كتاب موسى: فانه يتبع ذلك البرهان
ايضا في التصديق جبريل او لسان رسول الله: اماما: مؤتما به في الدين

ورحمة: وصلة الى الفوز بالسعادة مدح لكتاب موسى وتزكية له لانه شاهد
ولم يزك القران لانه معجز لا يحتاج الى ذلك: اولئك: اي الموصوفون
يؤمنون: اي بالقران يؤيد الوجه الاول: ومن يكفر به من الاحزاب: من اهل مكة
ومن انضم اليهم تحزبا على رسول الله: فالنار موعده فلا تك في مرية منه: من
الموعد فانه لا محالة كائن والمرية الشك: انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون: لقلة نظرهم: ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا: بان نسب اليه ما لم
ينزل او سلب عنه ما انزله تقرير وتوكيد لان ما اتى به كلام الله بعد ان اثبته
اولا باعجازه وبشهادة التورية الذي لم يخالف فيه احد ممن يعتد به اولئك
يعرضون على ربهم: اي اعمالهم في الموقف: ويقول الاشهاد: الملائكة او اعضاؤهم
جمع شاهد او شهيد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم: روى البخاري عن ابن عمر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يدني المؤمن من ربه يوم القيمة فيضع
عليه كنفه ويقول هل تعرف ذنب كذا وهل تعرف ذنب كذا فيقر بذنوبه
وهو لا ينكر منها شيئا فيقول له سترتها عليك في الدنيا واغفرها لك اليوم
ثم يطوى صحيفة حسناته واما الكفار فينادون على رؤس الاشهاد هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم: الا لعنة الله على الظالمين: مقول قول الاشهاد اي تعالى لهم
في ذلك الموقف هذا الكلام اشارة الى انهم لا يرحمون ولا يرق لهم احد لعظم
جناياتهم: الذين يصدون عن سبيل الله: دينه الموصل اليه: ويبغونها عوجا:
يصفونها بالاعوجاج والانحراف او اهلها واصل البغي الطلب: وهم بالاخرة
هم كافرون: الضمير الثاني للتاكيد والاختصاص بالكفر بمنزلة ضمير الفصل
وتقديم بالاخرة لافادة الاختصاص كان كفر غيرهم ليس بكفر في جنب كفرهم ادعاء
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض: اي ما كانوا فاتين الله في الدنيا لو شاء
عقابهم: وما كان لهم من دون الله من اولياء: يمنعهم من العقاب وينصرهم
من تمام كلام الاشهاد اثر اولئك الذي يشار به الى البعيد ابعادا لهم
بعد وصفهم بتلك الاوصاف القبيحة: يضاعف لهم العذاب: تقرير من الله
لقول الاشهاد كانه قيل الامر كما قلتم هم مستوجبون للعذاب المضاعف
او من تتمة كلام الاشهاد كانهم لما راوا تلك الاوصاف دعوا عليهم
بمضاعفة العذاب وقرا ابن كثير وابن عامر مشددا من التفعيل
وعن ابي عمرو ان المفاعلة ابلغ لان العرب يقول ضعفت الدرهم
اذا جعلته درهمين وضاعفته اذا جعلته اكثر: ما كانوا يستطيعون
السمع: لتصامهم عن سماع الحق: وما كانوا يبصرون: بعين الاعتبار
لتعاميهم علة لمضاعفة العذاب وقيل بيان لما نفاه من ولاية الهتهم

لانها

لانها لا تسمع ولا تبصر فكيف تقدر على النصرة: اولئك الذين خسروا
انفسهم: اوردوها مورد الهلاك بالافتراء على الله: وضل عنهم ما كانوا
يفترون: وضاع عنهم ما كانوا يزعمون من شفاعة الالهة: لا جرم انهم
في الاخرة هم الاخسرون: حق وثبت ان لا اخسر منهم او كسب
ما ارتكبوه كونهم الاخسرين اعمالا او لا بد ولا محالة انهم في الاخرة
هم الاخسرون: ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
اردف ذكر الكفار وما كانوا عليه وما اثمر لهم في الاخرة من الخسران
بذكر المتقين وما يؤول حالهم اليه من الخلود في الجنان كما هو سنة الله في نظم
القران والاخبات هو الخشوع من الخبت يقال اخبت اذا دخل في الخبت
وكانه ضمن معنى التوسل فعدي بالى: اولئك اصحاب الجنة: اي الموصوفون
هم فيها خالدون: دائمون مؤبدا: مثل الفريقين: المؤمن والكافر:
كالاعمى والاصم والبصير والسميع: تشبيه مفرد باخر لكل فريق مشبه بشبيهين
كقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب
والحشف البالي او تشبيه حال الكفار الذين وصفوا بالتصام والتعامي
عن ايات الله بحال من خلق اعمى واصم لا ينفعه اشارة ولا عبارة وحال
الذين امنوا وعملوا الصالحات وصرفوا الابصار والاسماع الى ما خلقت
لها بحال من يبصر ويسمع فيستضيء بالانوار ويستلذ بلطائف الكلام
وهذا هو الوجه لمتانته ويدل عليه لفظ المثل قالوا وتوسطه بين الصفات
والقول بان الكفار بعضهم مشبه بالاول وبعضهم مشبه بالثاني وكذلك
المؤمنون بعضهم مشبه بالبصير وبعضهم بالسميع مما لا يلتفت اليه: هل يستويان
مثلا: اي لا تساوي ولهذا انكر على من لم يجزم به بقوله: افلا تذكرون:
لانه معلوم بديهة لا يتوقف على فكر: ولقد ارسلنا نوحا الى قومه: بدا بقصة
نوح لانه اول نبي عذب قومه ولان قومه معروفون بالجهل المفرط والتعامي
والتصام: اني لكم نذير مبين: باني لكم وهو على ارادة القول او هو ثاني
مفعولي ارسلنا على الالتفات وقرا نافع وابن عامر وحمزة وعاصم بالكسر
اي ملتبسا بالانذار ابلغ واقل حذفا: ان لا تعبدوا الا الله: بدل من اني
لكم نذير: اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم: مؤلم كالتسبيح بمعنى المسبح
وصف اليوم والعذاب به من الاسناد المجازي لان المؤلم هو المعذب:
فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا: اي لا مزية
لك علينا كانوا يعتقدون ان البشر لا يصلح للرسالة كما كان المشركون
يقولون لولا انزل عليه الملائكة: وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا

جمع ارذل افعل التفضيل مضاف كاكابر مجرميها وقيل جمع رذل
وهو الرجل الدون الخسيس: بادي الرأي: قرأ ابو عمرو بالهمزة من البداء
اي اتبعوك في ابتداء الرأي دون تأمل وفكر في انك تصلح ام لا والباقون
بالياء معتل اللام من البدو وهو الظهور والمعنى اتبعوك في ظاهر رأيهم
دون باطنه وعن الفراء انه مخفف الهمزة لكثرته وعلى الوجهين نصبه
على الظرف اي في وقت حدوث اول رأيهم ولما كان نظرهم مقصورا
على حطام الدنيا وهم عن الآخرة غافلون كان الزهاد العارفون بالله
في نظرهم اراذل لا عقول لهم: وما نرى لكم علينا من فضل: لاستوائنا
في البشرية: بل نظنكم كاذبين: اضراب على الاول اشارة الى كونهم
اولى منه بالنبوة ضموا اليه الاتباع وغلبوه لاصالته قال يا قوم ارأيتم
ان كنت على بينة من ربي: رد تكذيبهم على احسن وجه بان المدعي اذا
اقام برهانا على صدق دعواه خرج بذلك عن ربقة الكذب واضافهم
الى نفسه بلفظ القوم اشارة الى انه ناصح لهم في ذلك لاتصاله بهم رحما
وآتاني رحمة من عنده هي النبوة فانه فضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء
وأخرها عن البينة وان تقدمت في الوجود لان العلم بها يستلزم العلم
بالنبوة وبه يفحم الخصم ولذلك وحد الضمير لها في قوله: فعميت عليكم
لان خفاءها يستلزم خفاء النبوة وقيل التقدير فعميت النبوة
عليكم بعد البينة وقيل الضمير لكل واحدة وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بضم العين وتشديد الميم اي اخفيت وانما جعلت البينة عمياء على
الاستعارة التمثيلية كما جعلت مبصرة والمعنى ان البينة دليل النبوة
فاذا عميت فلم يهتد اليكم فكيف تهديكم اليها كما ان دليل الركب
في المفازة اذا عرض له عمى بقي القوم خابطين حيارى: انلزمكموها:
انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها: وانتم لها كارهون:
لا تختارونها ولا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي: ويا قوم
لا اسألكم عليه مالا: جعلا لتتهموني باني اريد جر نفع: ان اجري الا
على الله الذي ارسلني اليكم: وما انا بطارد الذين آمنوا: سألوه
طردهم استنكافا من مرافقتهم حيث قالوا انؤمن لك واتبعك
الارذلون كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت اتباعنا
اياك فاطرد هؤلاء العبيد والقعاليك حولك وفيهم نزلت
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي: انهم ملاقوا ربهم فلا
بتدوان لهم عما جرى عليهم من الطرد او هم اهل الاكرام لانهم الكمل

الذين

الذين يلاقوا ربهم ويفوزون بلقائه فكيف يطردهم هذا شانه: ولكني
اراكم قوما تجهلون: مستمرون على الجهل لا تعقلون ولذلك سألتم طرد
من هو جدير بالاكرام: ويا قوم من ينصرني من الله: يمنعني من انتقام
الله ان طردتهم: اجابة لسؤالكم واسعافا لطلبكم: افلا تذكرون
ان ما تطلبونه لا يسوغ عقلا فترتدعون: ولا اقول لكم عندي خزائن الله
ارزاقه حتى تنزلوا ما ترى لكم علينا من فضل وتتهموا من اتبعني من الفقراء
لذلك: ولا اعلم الغيب: ولا انا ادعي علم الغيب حتى تكذبوني وتقولوا
افترى الله او اطلع على قلب من اتبعني: ولا اقول اني ملك: حتى تقولوا
انما انت بشر مبطل في دعوى الملكية: ولا اقول للذين تزدري اعينكم
اي في شانهم لقوله لن يؤتيهم الله خيرا: بالغيبة اي ولا اقول لمن استرذلتموهم
من المؤمنين انهم كذلك عند الله تعالى ليس لهم عنده مقدار ولا حظ و
الله اعلم بما في انفسهم: من الايمان الذي هو مناط الشرف وموجب
الكرامة: اني اذا لمن الظالمين: لو فعلت شيئا من الامور المذكورة و
والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه واسناده الى الاعين لان سببه
رثة الحال والبذاذة وهي تدرك بالعين او لانهم احتقروهم في بادي الرأي
من غير تأمل واستعمال روية: قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا:
اتيت بانواعه طول عمرك: فأتنا بما تعدنا: به من العذاب: ان كنت
من الصادقين: في دعوى مجيء العذاب ان لم نؤمن بك: قال انما يأتيكم
به الله ان شاء: اولا مؤثر سواه: وما انتم بمعجزين: بفائتين من العذاب
دفعا: ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم: شرط تقدم عليه ما يدل على
الجواب وهو بعينه في حكم الجزاء لقوله: ان كان الله يريد ان يغويكم: واعترض
الشرط على الشرط اذ كان الشرط الثاني لا ينفك عن الشرط الاول تفيد
تاكيد اللزوم كما في الآية وقول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كنت
زوجتي فالشرط الاول ودليل جوابه المتقدم عليه دليل جواب الشرط الثاني
وفيه دليل على ان الاضلال بارادته تعالى وان خلاف مراده محال: هو ربكم
سيدكم المتصرف فيكم: واليه ترجعون: فيجازيكم اشار الى ان المبدا والمعاد
باوجز كلام مع تضمنه الوعيد: ام يقولون افتراه: بل يقولون افتراه من عند
نفسه وينسبه اليه تعالى: قل ان افتريته فعلي اجرامي: اثمي لا يتعداني يقال
جرم واجرم واجترم بمعنى: وانا بريء مما تجرمون: من افترائكم بنسبتكم
اياي الى الافتراء وانما اخرها في النظم اشارة الى كونهم مجرمين في ذلك القول
وعن مقاتل ان هذا في شان محمد صلى الله عليه وسلم تكرير لقوله ام يقولون افتريه

وانما اورده في اثناء قصة نوح عليه السلام على وجه الاعتراض اشارة الى ان
الى الافتراء بعد اتيانه بقصة نوح على هذا الاسلوب المعجز مع طول الزمان
وعدم مطالعة الكتب والدراسة غاية العناد والمكابرة ∴ واوحي الى نوح انه
لن يؤمن من قومك ∴ بعد ما بلغ الرسالة وبالغ في النصح واحتمال الاذى
اقنطه من اجابة قومه ∴ الا من قد امن ∴ قد دلت على ان من كان يتوقع منه
الايمان وجد منه وقد اصاب المحل لانها على الرجاء المقابل للاقناط المفاد
بلن ولتقابل مدلوليهما استقبالا ومضيا وهذا في الايمان وذاك في عدمه ∴ فلا
تبتئس بما كانوا يفعلون ∴ فلا تحزن افتعال من بئس بالكسر بؤسا وبأسا
قال احمه ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال ∴ واصنع
الفلك باعيننا ∴ بحفظنا وكلائتنا وانما جمع التي هي آلة الحفظ مبالغة
في الملاحظة وان عنايته معه وافرة بقوته لجاشه والكلام على التمثيل لا التجريد
كانوحشم ∴ ووحينا ∴ اليك بذلك الصنع او بصفته وفي الخبر انه لم يكن يعلم
كيفيته فاوحى الله اليه ان اصنعه مثل جؤجؤ الطير ∴ ولا تخاطبني في الذين ظلموا
في شأنهم بالشفاعة لاستدفاع العذاب عنهم ∴ انهم مغرقون ∴ لا محالة فقد سبق
بذلك القدر او لا تخاطبني في شأنهم شاكيا من سوء صنيعهم كما كنت تخاطبني
رب اني دعوت قومي رب انهم عصوني رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا وهذا اوجه لان الوجه الاول فيه منافرة مع قوله لا تذر وقوله اني مغلوب
فانتصر ∴ ويصنع الفلك ∴ حكاية حال ماضية ∴ وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه ∴ يقولون صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وكان يصنعها في برية لا ماء بها
كلما دلت على ان ذلك كان منهم على التكرار والتوالي ∴ قال ان تسخروا منا ∴ على
الاستمرار ∴ فانا نسخر منكم كما تسخرون ∴ نسخر منكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا
والحرق في الاخرة وقيل السخر منهم مجاز عن الاستجهال لان السخرية في شأن الطعام
تعرض لسخط الله تعالى وعذابه ولا جهل فوقه ∴ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
ومن منصوب بتعلمون اي سوف يظهر لكم من الذي يأتيه عذاب يخزيه اي
به على وجه الابهام لئلا يوقعون به مكروها كانوا يضربونه ويرمونه بالاحجار
حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون روي انه عملها في سنتين
وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وارتفاعها ثلثون ذراعا
وكانت من خشب الساج لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاول الوحوش والسباع
والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وهو ومن معه من الناس
في اعلاها وحمل الزاد وما يحتاج اليه وحمل جسد آدم وجعله فاصلة بين الرجال
والنساء وعن الحسن ان طولها كان الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع

روي

روي ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد
سفينة نوح عليه السلام فانطلق بهم الى كثيب فاخذ من ذلك التراب
كفا وقال هل تدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام
ابن نوح فضرب الكثيب بعصاه وقال قم باذن الله تعالى فقام ينفض
التراب من رأسه فقال له عيسى كيف شبت ولم يكن يشيب قبل اليوم
قال شبت من هول القيمة لما قلت ثم ظننت ان القيمة قد قامت قال له
حدثنا عن سفينة نوح عليه السلام قال كان طولها الفا ومائتي ذراع وكانت
ثلث طبقات طبقة للانس وطبقة للدواب والوحوش وطبقة للطيور
ثم قال عد كما كنت باذن الله تعالى فعاد ترابا ∴ ويحل عليه عذاب مقيم ∴ حلول
الدين على المدين استعارة تبعية هو عذاب الاخرة لعدم انفكاكه ∴ حتى اذا
جاء امرنا ∴ غاية ليصنع وما بينهما حال من فاعله كانه قيل يصنعها والحال انه
كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال استئناف على
تقدير سؤال او هو الجواب وسخروا اما بدل من مر او صفة لملأ ∴ وفار التنور ∴ نبع
فار القدر اذا جاشت والتنور هو المعروف فكان خرقا للعادة وقيل التنور
وجه الارض وقيل اشرف موضع فيها وكان ذلك بكوفة في موضع مسجدها
وقيل بهند ∴ قلنا احمل فيها ∴ في السفينة ∴ من كل زوجين اثنين ∴ باضافة
كل على قراءة الجمهور فاثنين مفعول الامر والجار والمجرور اما متعلق به
او حال من المفعول قدمت لكون ذي الحال نكرة وقرأ حفص بالتنوين
اي من كل جنس احمل زوجين ذكرا وانثى واثنين صفة مؤكدة لان
الزوج احد القرينين لا مصطلح الحساب والمختار قراءة القوم لعدم
الاحتياج الى التقدير ∴ واهلك ∴ عطف على زوجين او على اثنين باعتبار
القراءتين ∴ الا من سبق عليه القول ∴ ابنه وامرأته لكونهما كافرين ∴ ومن
امن ∴ عطف على ما عطف عليه اهلك ∴ وما امن معه الا قليل ∴ قيل كانوا
ثمانية نوح واهله غير الهالكة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث ونساؤهم
وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين
رجلا وامرأة واولاد نوح الثلاثة ونسوتهم ونوح واهله فالكل ثمانون والقرية
التي نزلوا من السفينة فيها بذيل الجودي يسمى ثمانين ∴ وقال ∴ نوح او الله
اركبوا فيها ∴ ادخلوا فيها شبه الدخول بالركوب لجريان السفينة
بسم الله ∴ حال من الواو في اركبوا اي اركبوا مسمين الله تعالى او
قائلين بسم الله مجريها ومرسيها ∴ اجراؤها وارساؤها رفع على
الابتداء او على فاعلية الظرف او نصب بتقدير الوقت كقولهم

آتيك خفوق النجم ويجوز ان يكون كلاما منقطعا عن الاول كأنه لما امرهم
بالركوب ذكر لهم ان مجراها ومرساها انما هو بذكر اسم الله تعالى او بارادته
وقدرته فانه قد روي انه كان اذا اراد ان يجري قال بسم الله فجرت واذا
اراد ان يرسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقول
لبيد ثم اسم السلام عليكما وقرا حمزة والكسائي وحفص بفتح الميم مصدر
جرى لقوله وهي تجري بهم والمختار قراءة القوم لازدواج مرسيها ان ربي
لغفور رحيم: متصل باركبوا كأنه قيل اركبوا فيها فلولا مغفرته لفرطاتكم
وشمول رحمته لما نجاكم: وهي تجري بهم: اي فركبوا فيها قائلين بسم الله
وهي تجري بهم: في موج كالجبال: الموج ما يعلو فوق الماء عند اضطرابه
كل موجة منه شبهت بجبل في الارتفاع والعظم وكون السفينة في الموج
ان الامواج تصدمها من كل جانب لا انها داخلة في جوف الماء وقوله
فالتقى الماء لا يقتضي تطبيق ما بين السماء والارض وبقاء السفينة
كالسمكة اذ المشهور ان الماء علا اشمخ جبل اربعين ذراعا: ونادى
نوح ابنه: ظاهر في كونه من صلبه وقيل كان ربيبه: وكان في معزل
في مكان بعيد عزل نفسه عن ابيه او عن دينه: يا بني اركب معنا: في
السفينة وقرا عاصم بفتح الياء في هنا ونافع وابن كثير وابو عمرو
وابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر ووجه الفتح ان اصل ابن بنو فردت الواو
في التصغير ثم قلبت ياء وادغم فيها ياء التصغير والحقت بها ياء المتكلم
في النداء ثم ابدلت الفا كما في يا غلاما ثم اكتفى بالفتحة الدالة عليها
ووجه الكسر حذف الياء لدلالة الكسرة عليها والمختار هو الكسر لانها
الفصحى واقل تغييرا وادغم الياء في الميم قبل ابو عمرو وعاصم والكسائي
باتفاق البزي وقالون وخلاد في احد الوجهين لاتحاد المخرج والتجانس
في بعض الصفات: ولا تكن مع الكافرين: خارج السفينة او في الدين
قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء: من غرقه: قال لا عاصم اليوم
من امر الله: من عذابه: الا من رحم: الا الراحم وهو الله تعالى وضع الظاهر
موضع المضمر اشارة الى ان رحمته هي المعتصم به لا الجبل وفي الموصول زيادة
تفخيم ايضا او الا ذا عصمة الا المرحوم كعيشة راضية على ان فاعل
لمعنى النسبة كلابن وتامر او المكان مقدر يدل ذكره في مقابلة الجبل
اي لا عاصم الا مكان رحمة الله وهو السفينة او الاستثناء منقطع اي لا عاصم
اصلا ولكن من رحمه الله فهو المعصوم: وحال بينهما الموج فكان من المغرقين
من جملتهم وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء واستوت

الجودي

على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين: حكى عن سلطانه ما تعلق بارادته فوقع على
وفقه من غير ريث من عود ما انتجز من الارض الى بطنها وانقطاع طوفان
السماء ونقصان الماء الطاغي وقضاء امر نوح وهو انجاز ما وعده من اهلاك
الكفار وارساء السفينة على الجودي وابعاد الظلمة في اللعن والبوادي نادى
الارض والسماء كما ينادي العقلاء المختارون المنقادون لامره العارفون
وجوب طاعته الخائفون سطوات قهره تشبيها للمراد بالمامور استعار
لنشف الماء البليغ الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم والشبه بينهما هو الذهاب
الى مقر خفي واضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز الحكمي تشبيها لاتصال التصور
باتصال الملك بالمالك واستعار الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل
لاحتباس المطر والشبه بينهما عدم ما كان ولم يصرح بالفاعل في غيض وقضى
وقيل كما لم يصرح بالمنادي في يا ارض ويا سماء لعدم ذهاب الوهم الى ان غيره
جلت عظمته يتصور منه تلك الاشياء ثم ختم الكلام بالتعريض لمن سلك
مسالكهم في تكذيب الرسل وان ذلك العذاب الهائل انما كان منشاؤه
الظلم لا غير والجودي جبل بجزيرة الموصل والقول بانه بالشام او بآمل ليس له
اصل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام
ذلك اليوم شكرا فصار سنة: ونادى نوح ربه: اراد نداءه لقوله: فقال
رب: او النداء على اصله والفاء لتفصيل المجمل: ان ابني من اهلي: بعض
اهلي كان من صلبه او كان ربيبا له فهو ايضا من اهله: وان وعدك الحق: اي كل
وعد وعدته كائن لا محالة وقد وعدتني انجاء الاهل والظاهر انه لم يكن نوح عليه السلام
عالما بكفره وقوله لا تكن مع الكافرين لا يدل على كفره ولم يحمل مقاولة الابن على العناد
لان غلبة الحب يغطي على البصيرة فعوتب على ان مثله كيف يشتبه عليه حال المعاند
وكيف يجعل مناط النجاة كونه من اهله مع عدم علمه بايمانه واولو العزم يعاتبون
على النقير والقطمير وقيل كان النداء بعد الغرق وفيه ان قوله الا من سبق عليه القول
استثناء من الاهل فالسؤال عن موجب عدم النجاة مما لا وجه له بل فيه شبهة
اعتراض وقيل كان عالما بكفره ولم يعلم ان طلب نجاة ولده الكافر محظور عليه وفيه
انه كان عالما بان في اهله من حق عليه العذاب وليس ذلك الا لكفره: وانت احكم الحاكمين
لا حكم فوق حكمك او اعلمهم فلا يتطرق زلل الى حكمك او اعدلهم اذ لا يتصور عدل لقضائك
وقيل الحكم حكيما مشتق من الحكمة: قال يا نوح انه ليس من اهلك: اذ لا ولاية بين
المؤمن والكافر: انه عمل غير صالح: تعليل لذلك وانما جعل نفس العمل مبالغة في ذمه
كقول الخنساء وانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير للسؤال وفيه انه يفوت كون الصلاح
هو مناط النجاة ويلزم منه ايضا تخطئة نوح عليه السلام بتلك العبارة الموحشة

مع ان سنة الله مع انبيائه في ترك الاولى العتاب بالطف وجه وقرأ الكسائي
عمل فعلا ماضيا: فلا تسألن ما ليس لك به علم: بنى نوح الامر على ظاهر الحال
الذي يكتفى به في العمليات فرد عليه بان ذلك راجع ونصب غيره الى العمل فلا بد
فيه من الايقان وانما سمى نداءه سؤالا لسبق الوعد بانجاء اهله قرأ نافع وابن
عامر بفتح اللام وتشديد النون وكسرها وحذف الياء الا ورشا في الوصل
وكذا ابن كثير الا انه فتح النون وابو عمرو والكوفيون باسكان اللام و
تخفيف النون مكسورة ثم وجه تشديد النون مفتوحة انها المؤكدة المثقلة
ووجه كسرها انها المخففة ادغمت في نون الوقاية او المثقلة حذفت
نون الوقاية اكتفاء بها فحركت بحركتها والمختار التشديد توفيرا للمعنى الطلب
والكسر على انها الخفيفة ادغمت لئلا يلزم الحذف وتغيير الحركة: اني اعظك
ان تكون من الجاهلين: معدودا منهم: قال رب اني اعوذ بك ان
اسألك: بعد هذا السؤال: ما ليس لي به علم: قد تعظه وما ذنبت والا
تغفر لي: ما فرطت مني: وترحمني: بالتوبة او بالتوفيق في المستقبل: اكن
من الخاسرين: داخلا في زمرتهم: قيل يا نوح اهبط بسلام منا: مسلما
من جهتنا آمنا محفوظا او مسلما عليك اكراما لك: وبركات عليك
مصحوبا بالخيرات نامية ثابتة مأخوذ من البركة وهي الصدر قال مستقدم
البركة كالراكب ومنه بركة الماء ولما فيه من معنى الثبوت اشتق منه البركة
لثبوت الخير الالهي وجمع اشارة الى وفور آلائه: وعلى امم ممن معك:
الذين معك على ان من بيانية وسمي كل واحدة امة لتحزبهم او باعتبار
المآل او امم ناشئة ممن معك وهم المؤمنون الى آخر الدهر وهذا اوجه
لان الابتدائية بعد المنكر اكثر ويحسن التقابل بين قوله وامم سنمتعهم
وبين قوله وامم ممن معك لان الناشئ منهم فرقتان فرقة مؤمنة واخرى
كافرة وعلى ان اطلاق الامة على القليل لا يلائم فكيف بالامم والتفخيم كما في قوله
ان ابراهيم كان امة مخل بتعظيم نوح عليه السلام: وامم سنمتعهم في الدنيا
ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة هم الكفار من ذريته لقوله وجعلنا
ذريته هم الباقين وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب
ما نزل بهم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى
يوم القيمة وفي المتاع والعذاب كل كافر: تلك: اشارة الى قصة نوح ومحلها
الرفع بالابتداء: من انباء الغيب: بعض اخبار الغيب: نوحيها اليك:
خبران: ما كنت تعلمها انت: خبر ثالث ولمجيء الاخبار هكذا شان في وضع الاخبار
ويجوز ان يكون نوحيها حالا من انباء وما كنت تعلمها من ضمير المؤنث او من كاف

الخطاب

الخطاب في اليك: ولا قومك: ترقي في الكلام لانهم مع كثرتهم وكثرة سماعهم
واختلاطهم اذا لم يعلموها فانت اولى: من قبل هذا: اي هذا الايحاء او علمك
المكتسب به او من قبل هذا الوقت: فاصبر: على اداء التبليغ كما صبر نوح عم
ان العاقبة للمتقين: يثاب او يدال على القوم في الدنيا بالنصر والغلبة
وفي الآخرة بالفوز برضوان الله تعالى: والى عاد اخاهم هودا: عطف على ارسلنا
نوحا وهودا عطف بيان او بدل واخ القوم واحد منهم كقولهم يا اخا العرب
قال يا قوم اعبدوا الله: امنوا به: ما لكم من اله غيره: يستحق العبادة: ان انتم
الا مفترون: في القول بان له شريكا: يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا
على الذي فطرني: ما من نبي الا وصح لقوله بعدم الاجر على التبليغ لان النصح
اذا شيب به وجه الطمع لا يجدي ولا ينجع: افلا تعقلون: تستعملون عقولكم
ليظهر لكم الحق فانه لا يتوقف الا على توجه العقل لجلائه: ويا قوم استغفروا ربكم
بالتوبة عن الاشراك: ثم توبوا اليه: دوموا على تلك التوبة او امنوا به
لان الاستغفار من روادف الايمان فهو كناية عنه والتبري عن عبادة
الغير لا يكون الا بعد الايمان به تعالى وذلك ثم ترجح الاول: يرسل السماء عليكم
مدرارا: نفيض عليكم نعمه لان المطر سبب حصول جميع النعم والسماء ذا كان
واقعا واغزادا المدرار الكثير الدر المتتابع صيغة مبالغة: ويزدكم قوة
الى قوتكم: ليتقووا على الانتفاع بتلك النعم على التمام والكمال وقيل كانوا
اصحاب زروع وبساتين مفتخرين فاستمالهم بانهم امنوا وانتهوا عن الشرك
يزيدهم الله في هذين المطلوبين درجات وقيل قوة الايمان الى قوة الابدان وقيل
حبس عنهم المطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم روي ان الحسن بن علي
وفد على معاوية فلما خرج من عنده تبعه بعض حجابه وقال اني رجل ذو مال ولا يولد
لي فقال عليك بالاستغفار فلما بلغ معاوية فقال هلا سألته من اين يقول
فلما وفد وفدة اخرى سأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم
وقول نوح عليه السلام ويمددكم باموال وبنين بعد الامر بالاستغفار فاكثر الرجل
من الاستغفار فولد له عشرة بنين: ولا تتولوا مجرمين: مصرين على الاجرام
قالوا يا هود ما جئتنا ببينة: تكذيبا بآياته الدالة على نبوته وعنادا كما فعلت
قريش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك
اي لاجل قولك: وما نحن لك بمؤمنين: في شيء من الاوقات اقناطا له بعد
تكذيبه: ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء: اعتراك اصابك من
عراه اصابه قال الشاعر واني لتعروني لذكراك هزة يريدون انه اصابه
جنون من جهة آلهتنا مكافاة له على سبه اياها ولذلك يهدي ويتكلم

بكلام المجانين وكذلك حال اكثر الجهال مع العلماء في كل عصر وهذه الاجوبة
دلت على غلظة متناهية وجهل مفرط حيث اعتقدوا ان الجمادات
تضر وتنفع قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء: اشهد الله على براءته
توكيدا لقوله لانه جاري مجرى القسم ولم يشهدهم بل امرهم بالشهادة
لان الغرض عدم المبالاة بهم ثقة بالله تعالى فلذلك خالف بين
اللفظين: مما تشركون من دونه: من اشراككم او مما تشركونه من آلهة
فكيدوني جميعا: انتم والهتكم ثم لا تنظرون: بعد اجتماعكم على ذلك
افعلوه اعجل ما تفعلون فاني واثق بمن له الخلق والامر وهذا من اعظم
الآيات الدالة على قوة يقينه وكمال ثقته حيث واجه اولئك الغلاظ
الشداد الذين يضرب بهم الامثال بمثل هذا الكلام الدال على الاهانة
بهم والاحتقار بآلهتهم: اني توكلت على الله ربي وربكم: الذي بيده الضر
والنفع اشار الى ما له على الجراءة عليهم وعدم المبالاة بهم وبآلهتهم
لانهم مربوبون مثله ثم اشار الى الوصف المناسب لذلك بقوله
ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها: غالب عليها مسخرة تحت قدرته القاهرة
وهذا على طريقة العرب فانهم كانوا اذا اسروا عدوا ومنوا عليه بالاطلاق
جزوا ناصيته: ان ربي على صراط مستقيم: احكامه جارية على نهج الحق المبين
فان تولوا: تتولوا حذف منه التاء: فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم: والجواب
محذوف: اي لا اعاتب او انتم محجوجون او لا عذر لكم يوم القيمة لاني قد
بلغتكم: ويستخلف ربي قوما غيركم: استئناف للوعيد بان الله يهلكهم ان
تولوا ويأت باخرين يورثهم ارضهم وديارهم واموالهم او عطف على الجواب
بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم: ولا تضرونه شيئا: من الضرر: ان ربي
على كل شيء حفيظ: ومن كان هذا شأنه لا يمكن ان يلحقه ضرر ولا يخفى عليه
شيء من اعمالكم فيلقون وعيدا: ولما جاء امرنا: بالعذاب الموعود: نجينا
هودا والذين آمنوا معه برحمة منا: قيل كانوا اربعة آلاف: ونجيناهم من
عذاب غليظ: ليس فيه تكرار لان الاول اخبار بان الايمان صار سببا
لنجاتهم والثاني بيان النجاة كان من اي عذاب او الاول النجاة من عذاب
الدنيا والثاني من عذاب الآخرة: وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم: انث
الاشارة باعتبار القبيلة او اشار الى قبورهم وآثارهم وآثر البعيد لبعد
العهد بهم او لشدة تبكيتهم في كفرهم: وعصوا رسله: لان من كفر برسول
فهو كافر بالكل لاتحاد الدعوى: واتبعوا امر كل جبار عنيد: رؤساؤهم الذين
يصدرون عن رأيهم لجبار من يقبل على الغضب والعنيد الجائر المائل عن الحق

من عند البعير عنودا اذا عدل عن الطريق: واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة
اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين لاتباعهم الكفار واعراضهم عن الرسل
جزاء من جنس اعمالهم: الا ان عادا كفروا ربهم او نعمة ربهم: الا بعدا لعاد قوم
هود: سمي عادا باسم جدهم وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح كرر حرف
التنبيه واعاد الاسم ودعا عليهم بعد الهلاك اشارة الى انهم كانوا احقاء بما نزل بهم
واوقع قوم هود بيانا لما في الاجمال والتفصيل من الايضاح والتكرير فيوسموا بتلك
الدعوة وسما محققا لا شبهة فيه وما يقال انما جيء به تمييزا لهم عن عاد ارم فانها عاد
ثانية ولذلك وصف قوم هود بعاد الاولى ففيه ان لا احتمال لذلك لتقدم هود
وقومه في صدر القصة: والى ثمود اخاهم صالحا: عطف على قوله الى قومه في قصة
نوح عليه السلام: قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض
بخلق ابيكم آدم لا غيره: واستعمركم فيها: امركم بالعمارة فيها او جعلكم عمارها اي سكانها
او استبقاكم فيها من العمر من العمري وهي ان يقول الرجل اعمرتك هذه الدار
اي لك الانتفاع بها مدة عمرك وعلى هذا فالمعنى انه اعمركم فيها دياركم وهو يرثها
منكم ويرجع اليه بعد موتكم او جعلكم معمرين لغيركم لان من ورث غيره فكأنه اعمره
اياها: فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب: رحمته: مجيب: لمن دعاه
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا: لما نرى فيك من مخايل الرشد
وكنا نتوقع ان تكون مسترشدا في الامور فتصدر عن رأيك فقد تبين لنا ان لا خير
فيك وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا: اتنهانا: استفهام انكار: ان نعبد
ما يعبد آباؤنا: حكاية حال ماضية: واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب:
ارابه او قعه في الريبة وهي قلق النفس واضطرابها او من اراب الرجل اذا كان
ذا ريبة على الاسناد المجازي: يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي: حجة
واضحة دالة على نبوتي واراد حرف الشك لانكار المخاطبين: وآتاني منه
رحمة: هي الرسالة فانها فضل من الله فمن ينصرني من الله: من عقابه: ان
عصيته: خالفت امره: فما تزيدونني: باستتباعكم: غير تخسير: غير ان
تخسروني بابطال اعمالي وتعريضي لعقاب الله تعالى او ما تزيدونني بقولكم هذا
غير ان انسبكم الى الخسران او تخسرون انفسكم وتحملونها زيادة عذاب
لكونكم تدعون مثلي الى الكفر: ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية: نصب على الحال
المؤكدة نحو هذا خالد شجاعا وزيد حاتم جوادا لدلالة اضافة الناقة الى الله
على كونها آية ولكم جار ومجرور بيان واللام فيه مثل اللام في هيت لك
فذروها تأكل في ارض الله: لا تريد منكم مالا ولا علفا حتى تضطروا الى ايقاع
السوء بها: ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب: عاجل: فعقروها

فقال تمتعوا في داركم: في ارضكم تسمى دارا لانها يدار فيها كما تسمى البلد
ثلثة ايام: قيل هو الاربعاء والخميس والجمعة وقد هلكوا يوم السبت: ذلك وعد
غير مكذوب: اي غير مكذوب فيه فحذف الجار واتسع كما حذف من يوم مشهود في قوله
ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد لابد ان يوفى بك فاذا لم يوف
فهو مكذوب: فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن
خزي يومئذ: من عذابه وهو الهلاك بالصيحة او عذاب يوم القيمة وقرا نافع
والكسائي بفتح الميم من يوم لاضافته الى المبني واصله السكون وانما حرك
لالتقاء الساكنين وبالفتح لانه اخف: ان ربك هو القوي العزيز: القادر
على كل شيء الغالب عليه: واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين
ميتين لاصقين بالارض: كان لم يغنوا فيها: لم يسكنوا فيها: الا ان ثمودا
كفروا ربهم: قراءة حفص وحمزة بلا تنوين لانه علم قبيلة والباقون بصرفه لانه
اسم اب القبيلة او باعتبار الحي: الا بعدا لثمود: قراه الكسائي بالتنوين
والكسر لما ذكر آنفا: ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى: ادخل قد لانه
السامع للقصص السابقة يتوقع سماع غيرها والرسل جبرائيل وميكائيل و
واسرافيل كانوا تسعة وقيل اثني عشر على صورة الغلمان الحسان
ابتلاء لقوم لوط والبشرى بشارة الولد لقوله وبشروه بغلام
عليم ويحتمل التعدد له ولاهلاك قوم لوط: قالوا سلاما: نصب
على المصدر بقرينة المقام وقرا حمزة والكسائي قال سلم بكسر السين
وسكون اللام وهي لغة فيه كحرم وحرام وحل وحلال وقيل الصلح لانه جانبهم
والمختار الفتح والمد لانه المشهور: فما لبث ان جاء بعجل حنيذ: فما
ابطا مجيئه به والحنيذ المشوي بالحجارة سمين يقطر منه الدسم من
حنذت الفرس اذا القيت عليه الجلال ليعرق عليه له بعجل سمين: فلما
راى ايديهم لا تصل اليه: لم يكن ينظر الى وجوههم عند تقديم الماكل لئلا
يحصل للضيف نوع خجل فيحصل له فتور في الاكل وهذا شان ارباب
الفتوة مع الضيفان قال الشاعر وناولته من رسل كوماء جلده
واغضضت عنه الطرف حتى تضلعا ● وقيل كان قد نذر ان لا ياكل
الا مع الضيف وكان له مدة لم يرد عليه الضيف فلم يتنبه الا لعدم
اختلاف ايديهم الى الطعام: نكرهم: يقال نكره وانكره واستنكره
شك في معرفته: واوجس منهم خيفة: لانهم حين امتنعوا من اكل
الطعام عرف انهم ملائكة وخاف ان يكونوا مرسلين لامر انكره
الله تعالى ولم يخف على نفسه لان سلامهم كان دالا على انه لا مكروه

منهم

منهم: قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط: اي بالعذاب جواب
من علم انهم مرسلون لامر ولكن لم يعلم ذلك الامر بعينه: وامراته
قائمة: وراء الستر تسمع قولهم وقيل قائمة خادمة كانت تسعى
في الخدمة: فضحكت: حاضت يقال ضحكت السمرة اذا سال
صمغها وقيل بل ضحكت سرورا بزوال العذاب او بنجاة لوط عن
المفسدين او باصابة ظنها فانها كانت تقول لابراهيم ضم اليك
لوطا فاني اعلم ان العذاب نازل بقومه: فبشرناها باسحاق ومن
وراء اسحق يعقوب: قراه ابن عامر وحفص وحمزة بالنصب مفعول
وهبنا الدال عليه البشارة كذا قاله سيبويه ويجوز ان يكون معطوفا
على محل اسحق او لفظه وفيهما ضعف للفصل بين العاطف والمعطوف
ويجوز ان يكون منصوبا بيشرناها على طريقة الايصال كقوله ذلك
الذي يبشر الله عباده والرفع على الابتداء وفاعله الظرف وقيل
الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له هذا ولدك فقال نعم من الولد
وكان ولد ولده وجه البشارة اليها تارة والى ابراهيم اخرى بقوله و
وبشروه بغلام عليم لان السرور بالولد مشترك لانها كانت عقيمة
حريصة على الولد وكانهما بشرا بالولد بشرا ضمنيا بطول العمر حتى يريا
للمولود المبشر به ولدا: قالت يا ويلتا: لم ترد به معناه بل التعجب
والاستبعاد دل عليه قولها: االد وانا عجوز: قيل كان سنها ثمانية
وتسعين سنة وسن ابراهيم مائة وعشرين سنة: وهذا بعلي:
زوجي والزوجة ايضا بعل من المبالغة وهي ملاعبة الزوجين وفي
الحديث ايام من ايام اكل وشرب وبعال: شيخا: نصب
على الحال والعامل معنى الاشارة او التنبيه: ان هذا لشيء عجيب
لم يعهد مثله من هرمين: قالوا اتعجبين من امر الله: ارادته اذا تعلقت
بشيء انكروا عليها التعجب من حصول الولد من شيخ وشيخة وان كان
في ذلك خرق العادة لانها قد شاهدت امثال ذلك من المعجزات
والامور الخارقة وعللوا الانكار بقولهم: رحمة الله وبركاته: على وجه الاستئناف
كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة
عليكم: قيل الرحمة النبوة والبركة الاسباط لان الانبياء منهم والكل
من نسل ابراهيم عليه السلام: اهل البيت: نصب على الاختصاص
لانهم اهل بيت خليل الرحمن وذلك مدح لهم واي مدح: انه حميد مجيد
فاعل ما يحمد عليه ويمجد فعيلان بمعنى المفعول وقعا تذييلا لما تقدم

اي ليس بالفعل محلا للتعجب بل للتحميد والتمجيد فانه مولى متفضل. فلما ذهب
عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى: ما اوجس من الخيفة بما الحقوه
به من البشرى. يجادلنا في قوم لوط: يجادل رسلنا مجادلته قوله
ان فيها لوطا وانما جاء به مضارعا حكاية للحال الماضية او التقدير
اخذ يجادلنا او اقبل او نحوه. ان ابراهيم لحليم: كثير الحلم. اواه: كثير
التأوه على ما يقع منه من تفريط او على الناس ترحما وهذا اليق وابلغ
في مدحه. منيب: تائب الى الله تعالى آئب بما يحبه ويرضاه اردف
مجادلته بهذه الصفات دفعا لما يتبادر من المجادلة من ايراد مقدمة
غير حقة. يا ابراهيم: على ارادة القول اي قالت الملائكة المجادلون
اعرض عن هذا الجدال وان كان ذاتك الرأفة. انه قد جاء امر ربك:
قضاؤه المبرم الذي لا مرد له. وانهم آتيهم عذاب غير مردود: لتعلق
ارادة الله به. ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم: اي ساء لوط بسبب
مجيئهم لانهم جاؤا على صورة غلمان حسان ولم يدر انهم ملائكة فخاف
لهم ان يبلغهم خبث اهل بلده. وضاق بهم ذرعا: كناية عن شدة حزنه
وعدم اهتدائه الى ما يدفع به كيدهم عن اضيافه. وقال هذا يوم عصيب:
قال ذلك فيه او في نفسه تحزنا والعصيب الشديد من عصبه اذا شده
ومنه العصابة والعصب. وجاءه قومه يهرعون اليه: يسرعون من
قولهم دم مهرع اي سائل بين السيلان كان بعضه يدفع بعضا
بالحمل على الجري. ومن قبل كانوا يعملون السيئات: ياتون الفواحش
كلها لا يتحاشون فتمرنوا على فعل المنكرات فلذلك اهرعوا من غير مبالاة
قال يا قوم هؤلاء بناتي: وكانوا يطلبون قبل ذلك التزوج بهن ويابى
لوط عليهم فلما اشتد الامر عليه سمح بذلك وقاية لاضيافه وعدم جواز تزويج
المسلمات للكافر شرع طار والاستدلال بتزويج رسول الله ابنته
لابي العاص بن الربيع مبني على كونه متعبدا بشرع من قبله. هن اطهر
لكم: بمعنى الطاهر اذ لا طهر فيما يرومونه والقول بان ذلك اقل فحشا
مبني على تجويزه في السفاح ولا يقوله متدين. فاتقوا الله: بترك
الفواحش. ولا تخزون: ولا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية
بمعنى الحياء. في ضيفي: في شأنهم. اليس منكم رجل رشيد: يرعوي
عن الجهل والاستفهام على حاله او اريد به التحزن والتأسف. قالوا لقد
علمت ما لنا في بناتك من حق: لان نكاح الاناث ليس بمهم عندنا
بل هو كالباطل. وانك لتعلم ما نريد: لا يخفى عليك. قال لو ان لي

بكم قوة: اي لو ثبت لي قوة لدفعكم. او آوي الى ركن شديد: قوي امتنع
به عنكم لفعلت شبه القوي الايد بالركن من الجبل لشدته ويحتمل ان يكون
لو للتمني فلا يحتاج الى الجواب وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا
كان يأوي الى ركن شديد يستغرب منه هذا القول لان عناية الله تعالى
كانت اشد ركن له ولذلك قالت الملائكة حين وجدت عليه ان ركنك
لشديد بهذه المقاولة معهم كانت من وراء الباب فانه كان قد اغلق
الباب خوفا منهم فلما طال الجدال تسوروا الجدار ولما رات الملائكة
ما اصاب لوطا من الكرب. قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك: باضرار فافتح الباب فلما دخلوا نشر جبريل جناحه وله جناحان
وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم
فطمس اعينهم كما حكاه تعالى فطمسنا اعينهم فخرجوا وهم يقولون النجاة
ان في بيت لوط قوما سحرة. فاسر باهلك بقطع من الليل: بطائفة
قرأه نافع وابن كثير بالوصل والباقون بالقطع وهما لغتان والقطع اولى
لاتفاقهم في اسرى بعبده. ولا يلتفت منكم احد: الى ورائه لئلا
يصيبه ما اصابهم ولذلك لما التفتت امرأته حين سمعت هذه العذاب
لحقها به حجر فقتلها. الا امرأتك: استثناء من اهلك بناء على انه
نهى عن الاسراء بها في جملة اهله او من احد على اللغة القليلة في غير الموجب
لان القراءة تكفي لصحتها وجه نحوي ولا يحتاج الى تاويل الالتفات
بالتخلف على تقدير الاستثناء من احد احترازا من مناقضته الاستثناء
من اهلك لان الاستثناء من الاهل يقتضي ان لا يكون لوط مامورا
بالاسراء بها ولا امتناع في ان يكون سرت بنفسها كيف ولم ينه عن
الاسراء بها بل امره بالاسراء بغيرها وقرأ ابو عمرو وابن كثير بالرفع
على البدل والمختار النصب على الاستثناء من الاهل لسلامته عن
التكلف ويؤيده بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه فاسر باهلك بقطع
من الليل الا امرأتك بالتقديم. انه مصيبها ما اصابهم: اي ما يصيبهم
علة لعدم الاسراء بها او لعدم نهيها عن الالتفات. ان موعدهم الصبح
علة للاسراء. اليس الصبح بقريب: كلام الملائكة جواب لاستعجال لوط
كانه استبعد مجيء الصبح لغاية ضجرته وشدة شوقه الى الاشتفاء ومن هنا
يظهر لك مقام سيد المرسلين لما جاء ملك الجبال وقال ان الله قد
سمع جواب قومك وقد ارسلني اليك بان تامرني فيهم بما شئت ان
شئت طبقت الاخشبين عليهم فقال لا ولكن ارجو ان يخرج من اصلابهم من

يقول لا اله الا الله فلما جاء امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها
جواب لما وانما اسنده الى ذاته وان كان المباشر الملائكة لتعظيم الامر
وان مثل ذلك الفعل انما هو باقداره روي ان جبريل دفع مدائنهم بجناحه
الى حيث سمع الملائكة في السماء نباح الكلب وصياح الديك ثم قلبها
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل اي الحجر
والطين وقيل من السجل اذا ارسله لانها مرسلة للعذاب لقوله لنرسل
عليهم حجارة وقيل من سجل اذا كتب لان الله تعالى كتب عليها ان يعذب
بها منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل متتابعة
بعضها اثر بعض مسومة معلمة كل حجر عليه اسم من يرمى به وقيل كانت
معلمة ببياض وحمرة وقيل كان عليها سيماء يعلم بها انها ليست من احجار
الارض عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد الضمير
للقرى اي تلك القرى قريبة من ظالمي مكة يمرون عليها في مسايرهم
او الحجارة فان كل ظالم كل لحظة يصدد ان يقع عليه حجر وقد روي انه
عليه السلام سال جبريل فقال هم ظالموا امتك والى مدين اخاهم
شعيبا مدين اسم قبيلة سميت باسم جدهم وهو مدين بن ابراهيم او اسم
مدينة بناها مدين سميت باسم ابيها قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره دعاهم اولا الى التوحيد لانه ملاك الامر ولا تنقصوا المكيال
والميزان كان فيهم التطفيف شائعا نهاهم عنه بعد الامر بالتوحيد
لكونه خيانة في حق العباد اني اريكم بخير في ثروة وسعة فانتم في
غنية عن التطفيف او المعنى الذي انتم فيه يقتضي الايفاء شكرا لنعمه تعالى
فلا تقابلوه بالضد او فلا تزيلوه فان المعاصي تزيل النعم واني اخاف
عليكم عذاب يوم محيط مهلك احاط العدو واضافة العذاب الى اليوم
للملابسة واريد باحاطة اليوم احاطة العذاب على سبيل الكناية
لكون اليوم مشتملا على الحوادث فاحاطته يستلزم احاطة تلك
الحوادث ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط الانتهاء المطلوب
لا يتحقق بدون الايفاء فنصه اولا على النهي عن القبيح ثم الامر بالضد
ليس مبنيا على عدم استلزام النهي عن الشيء الامر بضده بل هو من باب التاكيد
كقولك صل لا تقطع الرحم فصل رحمك ولا تقطعها تريد بذلك تاكيد وجوبه
وقيد الايفاء بالقسط دلالة على ان العدل هو المطلوب والزيادة فضل
وقد يكون حراما كما في الربوا ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي شيء كان باي نوع
كان تطفيفا او غيره كانوا يمكسون الناس وقيل كانوا ينقصون من ثمن

ما يشترونه ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي الافساد وفائدة
تقييده بالحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كاتلاف اموال اهل الحرب
وهذا يعم تناوله البخس وغيره كما ان ذلك اعم من الاول لتناوله المقدار
وغيره وقيل العثي السرقة وقطع الطريق والغارة بقيت الله خير لكم ما ابقاه
لكم من الحلال خير لكم وابرك في الدنيا لان الحرام ممحوق البركة وفي الاخرة
لنجاتكم من تبعته وعذابه ان كنتم مؤمنين لان الكافر وان نجا من العقاب
المترتب على البخس والتطفيف لكن لم تظهر تلك الفائدة ظهورها مع الايمان
لكونه مخلدا في النار وفيه اشارة الى عظم شان الايمان لان الشيء الذي بتبين نفعه
لم يعد نافعا بدونه وتعبير البقية بالطاعة لا يناسب المقام وما انا عليكم
بحفيظ احفظ عليكم وانما بعثت مبلغا او لست بحفيظ عليكم نعم الله تعالى
ان لم تتركوا البخس والتطفيف قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا الصلوة وان صح ان تكون امرة بالخير مجازا كما
صح ان تكون ناهية عن المنكر لكن انما ساقوا الكلام مساق الطعن والسخرية
وان صلوته والمداومة عليها نوع من الاباطيل وفن من الجنون والاتيان
بالمضارع للدلالة على الاستمرار كان كثير الصلوة ولذلك اتوا بصيغة الجمع
وقرا حمزة والكسائي وحفص بالافراد ومعنى تامرك ان نترك تامرك
بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره
وان نفعل في اموالنا ما نشاء لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء
عطف على ما اي وان نترك فعل ما نشاء في اموالنا انك لانت الحليم حيث
تامرنا بترك ما كان يعبد اباؤنا الرشيد الخبير عطف على ما اي وان نترك
فعل ما نشاء في اموالنا حيث تامر بترك البخس والتطفيف قصدوا به تعريضه
قالوا تهكما به قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي حجة واضحة ورزقني
منه رزقا حسنا النبوة لان المعارف الالهية اشرف الارزاق
وانفسها وقيل المال الحلال من غير بخس وتطفيف والمعنى اخبروني ان
كنت نبيا حقا ايجوز لي ان لا امرك بترك عبادة غير الله وما فائدة ارسال الله
الرسل الا ذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ما ادل النصح بعدما
ازاح ما فرقوه به على وجه اوضح فيه ان من لا يامر الا بما يفعله ولا ينهى عن شيء
الا وهو منته عنه لم يكن مظنة الجنون والجهل والمخالفة المعاكسة في الافعال
خالف زيد عمرا الى الماء اذا كان احدهما واردا والاخر صادرا ان اريد الا الاصلاح
الا الاصلاح ما افندتم من امر دينكم ودنياكم ما استطعت ما دمت قادرا
ما مصدرية في موقع الظرف او موصولة بدل البعض اي المقدار الذي استطيع منه

او الكل على تقدير المضاف اي اصلاح ما استطعت والاول هو الوجه اذ فيهما
تكلف الاضمار وفوات المبالغة وما توفيقي الا بالله التوفيق خلق قدرة
الطاعة مصدر بمعنى المفعول وماكوني موفقا في امعنا واواخره الا بتاييده
عليه توكلت فوضت امري اليه لا الى غيره واليه انيب لا الى غيره فيه
تهديد بانه لا يبالي بهم لانه مفوض امره الى من بيده الخلق والامر وقطع
لاطماعهم فانهم ما تهكموا به الا استضعافا وهذا كقول نوح عليه السلام فاجمعوا
امركم وشركاءكم ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي لا يكسبنكم معاداتي ان
يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح مفعول ثان يقال جرم ذنبا كسبه
وجرمته ذنبا كسبته اياه جرم واجرم لغتان ككسب واكسب والمزيد اول
دورا على السنة العرب وروي عن ابن كثير بضم الياء او قوم هود او قوم
صالح وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان مدين قريبة من قرى لوط
بينهما مسافة يومين والقرب في المكان والزمان يفيد زيادة معرفة وكمال
الوقوف على الحال ذكر لفظ بعيد باعتبار لفظ القوم لانه يذكر ويؤنث
وكذا كل اسماء الجموع للاناسي مثل رهط ونفر او هو مسند الى ضمير الاهلاك
او الزمان او المكان واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه آمنوا به ثم دوموا عليه
ان ربي رحيم جزيل العطاء يتفضل عليكم بدل ما كان يحصل لكم من البخس و
التطفيف ودود كثير اللطف لمن تاب وعد على التوبة بعد الوعيد
على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه نفهم من فقه بالكسر فهم كثيرا مما
تقول من التوحيد وسائر الاحكام قالوه استهانة لا انهم لم يفهموا مقاله
كقول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة ولا عز لك فينا وقيل اعمى ويرده التقييد
بالظرف ولولا رهطك لرجمناك لقتلناك شر قتلة فان القتل به
شنيع جدا ولذلك شرع حد الزاني والرهط من الثلثة الى العشرة
وقيل الى السبعة وما انت علينا بعزيز بل قومك هذا داب السفيه المحجوج
اذا افحم يشرع في الهذيان حتى يدفع به العار عن نفسه وفي ايلاء الضمير
حرف النفي دليل على ان النزاع في الفاعل لا في العزة ولذلك كان مفيدا
للتقوي والتخصيص وقولهم ولولا رهطك لرجمناك دليل على ذلك ومنطوق
يؤكد ذلك المفهوم ومثله كلمة هو قائلها في افادة التقوي والتخصيص قال
يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله يريد ان رعايتي لكوني رسولا من الله احرى
بكم واحد من القوم وانما كانوا يراعون رهطه لكونهم على دينهم لم يقل
ارهطي اعز عليكم مني لان تهاونهم به وهو نبي الله ومبلغ احكامه تهاون بالله ولذلك

آنه

آنه كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله يد الله فوق ايديهم واتخذتموه
وراءكم ظهريا غير معتد به كناية عن عدم الاعتبار نسبة الى الظهر والكسر
من تغير النسب ان ربي بما تعملون محيط يجازيكم عليه ويا قوم اعملوا
على مكانتكم المكانة بمعنى المكان كالمقامة بمعنى المقام كناية او تمثيل
او مصدر مكن بالضم مكانة فهو مكين اذا تمكن والمعنى على جهاتك او متمكنين
وقرا ابو بكر بالجمع وهو ابلغ اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة للعلم كانه قيل سوف
تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه وان يكون موصولة منصوبة المحل به
والتقدير سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه ادخل الفاء
في سوف في الانعام والزمر وتركها هنا لكونه بتقدير سؤال لانه في
مقام المحاجة معهم في وتينك السورتين بان يقول لهم ذلك الكلام
الذي يتعقبه ذلك الجزاء ومن هو كاذب يريد نفسه على زعمهم لانهم
كانوا يدعونه كاذبا وارتقبوا انتظروا ما يحل بكم اني معكم رقيب
راقب كالقديم بمعنى القادم او المراقب كالعشير بمعنى المعاشر
او المرتقب كالفقير بمعنى المفتقر ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين
آمنوا معه برحمة منا ذكر ساقتي قصة هود وشعيب بالواو لعدم سبق
ما يدل على التسبيب بخلاف صالح ولوط فانه تقدم فيهما الوعد بالاهلاك
بقوله ان موعدهم الصبح في قصة لوط وقوله ذلك وعد غير مكذوب في
قصة صالح فلذلك جئ فيهما بالفاء الدالة على سببية ما قبلها واخذت
الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبريل فاصبحوا في ديارهم جاثمين اي
لازمين لمكانهم موتى كان لم يغنوا فيها كان لم يسكنوها ولم يكن لهم فيها
تصرف او تردد الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وجه الشبه ان
كلا منهما كان هلاكه بالصيحة الا ان صيحة ثمود كانت من تحتهم وصيحة مدين
كانت من فوق وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يهلك الله طائفتين
بعذاب واحد الا ثمود ومدين والبعد ضد القرب ويستعمل ضدا بمعنى البعد
بفتحتين كالرشد من بعد بالكسر اذا هلك ولقد ارسلنا موسى باياتنا
وسلطان مبين ما اتى به من المعجزة سمي آيات باعتبار الدلالة على
صدقه وسلطانا واضحا باعتبار تسلطه به على الخصم او الايات الاحكام
والسلطان براهينها وقيل السلطان استيلاء حبه على قلب من يراه لقوله
والقيت عليك محبة مني لم يره احد الا احبه وقيل لم يأخذه تخشع ولا
خوف من اول شانه ولذلك اخذ بلحية فرعون وهو طفل وقتل

القبطي بين اظهر قومه: الى فرعون وملائه: اشرافه فان العامة اتباع
فان امر فرعون بعد ظهور تلك المعجزات ووضوح ذلك السلطان: وما
امر فرعون برشيد: اي ليس في امره رشد بل ضلال مكشوف اين البشر من
مقام الالوهية لاسيما بشر ظلوم به يضرب الامثال في الغشم واسناد
الرشد الى امره مجاز حكمي يقدم قومه يوم القيمة: لانه كان اماما في الكفر
فاوردهم النار: يوردهم عبّر عنه بالماضي لتحقق وقوعه: وبئس الورد المورود
الورد الماء الذي يرده المتعطشون لتبريد الاكباد استعارة تهكمية
واتبعوا في هذه لعنة: يلعنون الى يوم القيمة لان فرعون وقومه لم
قبح صنيعهم على احد: ويوم القيمة: يلعنهم اهل المحشر او يطردون الى
النار فذلك هو لعن يوم القيمة: بئس الرفد المرفود: هو العطاء و
والاعانة والمعنى بئس العطاء المعطى لعنهم الدنيا مضافا الى لعن الاخرة
او بئس العون المعان والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم ذلك
المذكور: من انباء القرى المهلكة مبتدأ وخبر نقصه عليك: قصصناه
عليك خبر بعد خبر: منها قائم: باق مشاهد: وحصيد: ومنها عافي
الاثر كالزرع المحصود استعارة تبعية والجملة لا محل لها وقيل حال
عن ضمير نقصه ولا ضمير فيه ولا واو: وما ظلمناهم: بما فعلنا بهم: ولكن
ظلموا انفسهم: او اوردوها مورد الهلاك: فما اغنت عنهم آلهتهم التي
يدعون من دون الله من شيء: فما قدرت ان تدفع عنهم من باس الله
ادنى شيء: لما جاء امر ربك: عذابه ظرف اغنت: وما زادوهم
غير تتبيب: اهلاك من تبّ اذا هلك: وكذلك اخذ ربك
ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك: اذا اخذ القرى: اي اهلها: وهي
ظالمة: ايقاع الاخذ ونسبة الظلم الى القرى مبالغة في استحقاق
اهلها ذلك واشارة الى ان كل ظالم يصدر ذلك لوجود العلة
ان اخذه اليم شديد: شديد المه لا يمكن الخلاص عنه صفة بعد صفة
زيادة تحذير: ان في ذلك: فيما اخبرنا عن حال القرى: لاية: عبرة
لمن خاف عذاب الاخرة: يستدل بما نزل بهم في الدنيا على عذاب
الاخرة اولمن يقول بالحشر فان من انكر ذلك من الفلاسفة
والدهرية لم ينجع فيه ذلك لاحالته تلك الوقايع على اسباب فلكية
ذلك اشارة الى اليوم المدلول عليه بالاخرة: يوم مجموع له الناس:
للحساب فيه والثواب والعقاب آثر الاسم على الفعل دلالة على
ان ذلك الوصف لازم له لا محالة وخص الناس بالذكر وان كان

الجن ايضا يحشرون فيه لقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان لان الناس
هم المقصودون اصالة: وذلك يوم مشهود: مشهود معروف
عظمه كقولهم لفلان مجلس مشهود: اي يشهده كل احد جعل الشهود
كناية عن الشهرة فلا يحتاج الى تقدير فيه الا لبيان الاصل ولا يجوز
ان يجعل اليوم مشهودا كما في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه لان ذلك
الشهود قد علم من قوله مجموع له الناس وانما المراد التهويل بانه يوم يشهده
الخلائق قاطبة لا تغيب عنه ذو حياة كما فصّل في سورة كورت
وما نؤخره الا لاجل معدود: الا لانتهاء زمان معلوم اجزاؤه في علمنا
الث مل يوم يات: اي الحساب او ذلك اليوم اي شدائده واهواله
فلا يلزم كون الشيء ظرفا لنفسه او الله تعالى ويؤيده قوله هل ينظرون الا
ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام: لا تكلم نفس الا باذنه: هذا في الموقف
وقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف وبهذا نظائر كقوله فوربك
لنسئلنهم اجمعين وقوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
وما يقال المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعتذارات
الباطلة تكلّف بما لا دليل عليه: فمنهم شقي وسعيد: الضمير للناس
المجموعين او للنفس فانه عام: فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها
زفير وشهيق: الزفير اول صوت الحمار والشهيق آخره لان الزفير
ادخال النفس والشهيق اخراجه شبّه صوتهم في الحالين بصوت
الحمار استقباحا لكونه انكر الاصوات والزفير ايضا اغتراف النفس
من الشدة فالمراد بيان شدة حالهم وتراكم كربهم وهذا مثل
فيمن اصابه شدة وهمّ تراكم له زفرات متوالية يتبعها شهقات
خالدين فيها ما دامت السموات والارض تاكيد للخلود بما يتعارفه
الناس وجرت عادتهم به في التابيد لا يفهمون منه غير ذلك كقولهم
ما لاح كوكب وما اقام ثبير قال امرؤ القيس واني مقيم ما اقام عسيب
او المراد سموات الآخرة وارضها اذ لا بد لهم من مظلة ومقلة وما يقال
انه تشبيه بما لا يعرفه اكثر الخلق ساقط لان هذا القدر ضروري عند
من يقول بالحشر: الا ما شاء ربك: استثناء من الخلود لان
عصاة الموحدين الذين يدخلونها خارجون منها فعلى هذا ما بمعنى من
او اريد بها الصفة كقوله والسماء وما بناها تقديره خالدين فيها الا الذين
تداركتهم رحمة الرحمن لا لاستحقاق منها وعن الزجاج هو من قبيل لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل

هو مدة لبثهم في البرزخ والموقف فان حال الكافر يقتضي ان يكون في النار بمجرد فراق
روحه ولا يمتنع ان يكون الوصفان قائمين بشخص واحد باعتبارين هذا والاحسن ان يقال
من كان آخره الى الجنة من الموحدين وان دخل النار لا يطلق عليه اسم الشقي لقوله الشقي
شقي في بطن امه يريد بذلك شقاء الابد لانه يدخل النار ثم يخرج ولقوله خلقت
هؤلاء للنار ولا ابالي وخلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي والاستثناء باعتبار ايام البرزخ
والموقف فيه خفاء لان الاستثناء من الخلود وظاهر في الاخراج بعد الدخول مدرك
بالذوق السليم وقيل الاستثناء من زفير وشهيق وقيل الا بمعنى سوى والمعنى سوى
ما شاء الله تعالى من الزيادة على بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد
لا اعتراض عليه ولا المانع لفعله واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع بل ممتد الى
النهاية تأكيد لمعنى الخلود ودفع لما يتوهم من الانقطاع بزوال السموات والارض حملا
للكلام على الظاهر وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على بناء المفعول من سعده متعديا
بمعنى اسعده والفتح اولى لانه اكثر ولازدواجه بما تقدم من المقابل فلا تك في مرية
بعد ما قص عليك من احوال الانبياء واحوال اممهم وما نزل بهم بسبب تكذيب
الرسل وعبادة غير الله تعالى مما يعبد هؤلاء من عبادتهم وبطلانها ما يعبدون
الا كما يعبد آباؤهم من قبل استئناف لتعليل النهي عن المرية يريد ان حال هؤلاء
في الشرك مثل حال آبائهم فسينزل بهم مثل ما نزل بآبائهم لان التماثل في الاسباب
يستلزم تماثل المسببات وما مصدرية اي كعبادتهم او موصولة كالشيء الذي
كانوا يعبدونه حذف لفظ كان لدلالة قبل على معناه وانا لموفوهم نصيبهم
لمعطوهم حظهم من العذاب وافيا او رزقهم المقدر فيكون اشارة الى سبب تأخير
العذاب مع قيام موجبه تعالى او في دينه او وفاه اذ لم يبق عليه منه شيء غير منقوص
حال مؤكدة يقطع وهم التجوز ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه اي من
طائفة وكفر بها اخرى كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك هي كلمة
الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذا من جملة التسلي
ايضا وانهم لفي شك منه من القرآن مريب موقع في التعلق والاضطراب
وان كلا التنوين عوض المضاف اليه اي وان كل المختلفين وقرأ نافع وابن كثير وابو بكر
ان مخففا على الاعمال قال سيبويه سمعت من اثق به من العرب ان عمرا لمنطلق
وانشد نظيرا له كان ثدييه حقان وقيس في ذلك على لم يك شيئا لان الفعل اصل في
العمل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام موطئة للقسم وما مزيدة للفصل بين الموطئة
ولام القسم في ليوفينهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما مشددا اصله لمن ما فادغمت
النون في الميم ومن قرأ ان مخففا ولما مشددا جعل ان نافية ولما بمعنى الا ونصب كلا

بفعل

بفعل يفسره ليوفينهم ويجوز ان يكون اللام هي الفارقة في قراءة التخفيف
ولام الابتداء في قراءة التشديد وما زائدة للفصل بين اللامين انه بما يعملون
خبير لا يخفى عليه شيء منها الطنب في الوعد والوعيد واحوال الامم وان الرسل
بعد التبليغ لم يزغ احد منهم عن سنن الصواب ومن آمن معهم ثم قال و
فاستقم كما امرت امره بالاستقامة كما استقاموا ولشدة الوفاء بحق
الاستقامة ثم قال شيبتني هود واخواتها يريد الامر بالاستقامة وروى الترمذي
عن ابن عباس رضي الله عنه ان ابا بكر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سرعة
شيبه فقال شيبتني هود والواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فكان لما
انذارا واهوال القيمة لاشتمال هذه السور عليها ومن تاب معك عطف على
المستكن بلا تأكيد لوجود الفاصل ولا تطغوا لا تتجاوزوا عن حد الاستقامة
نصيحة بما علم ضمنا انه بما تعملون بصير اشارة الى كمال علمه بخطرات القلوب
وهو جنس الفتاح فهي كالمحسوس المشاهد عنده جلاء وظهورا ولا تركنوا الى
الذين ظلموا لا تميلوا ادنى ميل الى من وجد منه ادنى ظلم غاية تحذر فان قرين
السوء اشد اغراء من الشيطان واذا كان الركون الذي هو ميل يسير
الى من وجد منه ادنى ظلم مخلا بالاستقامة فكيف بالميل التام ثم الظلم
الكامل ثم الانهماك فيه فتمسكم النار بما يترتب على الركون
اذ قلما يخلو عن نوع مداهنة ومتابعة معهم في اهوائهم وفي الحديث
مثل صاحب السوء كنافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان يجد
منه رائحة خبيثة وما لكم من دون الله من اولياء اي ولياء يتولى
امركم وينصركم بمنع العذاب والواو للحال ثم لا تنصرون اي لا
ينصركم الله لانه لا ناصر بعدا وتباينهم غيره ثم لاستبعاد النصر بعد
الايقاظ والتحذير عن ارتكاب اسباب العذاب واقم الصلوة
عطف على فاستقم كما امرت طرفي النهار نصب على الظرف وهما
الغداة والعشي والمراد صلوة الصبح والظهر والعصر لان بعد طلوع الفجر
الى الزوال غداة ومنه الى الغروب عشية وزلفا من الليل جمع زلفة
كظلم في ظلمة والزلفة القربة والمراد بها صلوة المغرب والعشاء لقربهما
من آخر النهار روى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنب الكبائر ولذلك
اتبعه بقوله ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها روى البخاري
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني
اصبت من امراة قبلة فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اقيمت الصلوة

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلوة فلما انصرف من الصلوة
تعرض له فقال له رسول الله الم تصل معنا قال بلى قال ان هذه الصلوات
كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر. ذلك اى المذكور من
الاستقامة وما بعده وقيل القران. ذكرى تذكير وموعظة للذاكرين
للمتذكرين فانهم المنتفعون به. واصبر على مشاق امرت به من
الاستقامة والانتهاء عما يخل به. فان الله لا يضيع اجر المحسنين و
وضع الظاهر موضع المضمر اشارة الى علة الحكم والى ان الصلوة والصبر
احسان وايماء الى انه لا يعتد بشيء من الاعمال بدون الاخلاص
على ما فسر به الاحسان في الحديث. فلولا كان من القرون من قبلكم
اولو بقية. لو بمعنى هلا حرف تحضيض معناها اللوم على ترك اللوم في
الماضي اشار الى ان ما حل بتلك الامم كان لامرين الاخلال بما هو
اعظم اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الهوا والمشتهيات
والبقية من بقية الشيء لانها تحفظ وتصان اي فهلا كان اولو بقاء وصيانة
لانفسهم من سخط الله وعقابه او البقية بمعنى الفضل والجودة فان
المنفق يسمح باخراج الردي فيقال زيد من بقايا الناس اي من خيارهم
ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا او من بقيته بمعنى رقبته
وانتظرته ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنه في نومه في بيت ميمونة
كرهت ان يرى اني كنت ابقيه والمعنى هلا كان منهم اولو خشية ومراقبة
من سخط الله تعالى. ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا الاستثناء
منقطع وينهون خبر بعد خبر ومن القرون حال قدمت او ينهون صفة
والاستثناء متصل والمعنى لو كان من القرون اولو فضل صفتهم وشانهم
النهي عن الفساد الا قليلا ممن انجينا منهم. واذا جعل ينهون خبرا فلا
يستقيم الاتصال الا على تاويل ان الاسم كالتمهيد للخبر وان الاستثناء من كل
منهما استثناء من الاخر فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا
ولو اجري الكلام على ظاهره في الاتصال وقيل لم يكن في القرون اولو بقية ينهون
الا قليلا يلزم ان يكون فيهم اولو بقية غير ناهين عن الفساد ولا يخفى فساده
فان قلت فما فائدة الاطناب وهلا قيل فلولا كان من القرون
اولو بقية الا قليلا قلت فائدته المبالغة بان اهل الفضل منهم اذا ندموا
على ترك النهي فغيرهم اولى. واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه. هم المقابلون
للقليل الناهين عن الفساد والاتراف الاطغاء من اترفته النعمة
اطغته والمعنى اتبعوا الشهوات واغفلوا الطاعات عطف على ما دل عليه

الكلام

الكلام اي الا قليلا نهوا عن الفساد والواو للحال والمعنى انجينا القليل وقد اتبع
الذين ظلموا جزاء اترافهم وهو عذاب الاستيصال. وكانوا مجرمين عطف
على اترفوا اي اتبعوا الشهوات وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات غريق
في الاثام او اعتراض يؤكد ظلمهم ولفظ القوم اشارة الى انهماكهم وتمرنهم في
الاجرام وما قيل من ان المراد بالاجرام اغفالهم للشكر عائد الى الوجهين. وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم بغير ذنب لا لانه لو اهلكهم لكان ظلما بل على زعمهم
كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة وقوله وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون وقيل بظلم بشرك. واهلها مصلحون اي فيما بينهم من
معاملة الناس وحقوق العباد فان حق الله تعالى مبناه على المسامحة ولم
يهلك الله قوما على الشرك فقط وفيه ان عذاب الاستيصال قد رتب
على مجرد التكذيب كما في قصة هود وصالح وقوله وقطعنا دابر الذين كذبوا
باياتنا وكانوا مجرمين. ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اي
متفقة على الاسلام لقوله ولو شاء لهديكم اجمعين. ولا يزالون مختلفين
في امر الدين. الا من رحم ربك بان خلق فيه التوفيق والهداية. ولذلك
خلقهم للهداية والتوفيق فالضمير لمن او للاختلاف وفي الاية دليل على ان الامر
يستلزم الارادة وان الله لم يرد ايمان الكافر. وتمت كلمة ربك اي قضاؤه
وارادته قرأه بالافراد ابو عمرو وابن كثير والكوفيون. لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين اي من عصاتهما الثقلين لاستوائهما في التكليف يريد الاملاء
بعد الازواء فلا ينافيه ما رواه البخاري لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع
الجبار فيها قدمه فتنزوي وتقول قط قط. وكلا نقص عليك
من انباء الرسل اي كل نبأ. ما نثبت به فؤادك. بدل من كلا او كل
اقتصاص نقص عليك على انه مصدر وما نثبت به مفعوله ويجوز ان يكون
كلا نصبا على الحال من ما ومن الهاء ان جوز تقديم الحال على ذي الحال المجرور
والمعنى ان تلك الوقايع ايرادها مكررة باساليب مختلفة تثبته كله
مع اداء الرسالة واحتمال الاذى ما شئنا بمن قبلك من الرسل
وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في الانباء المقتصة فيها
ما هو الحق لا كما يقوله اهل الكتاب من خلطه بالباطل وايراد الاخبار
لا على وجهها. وموعظة وذكرى للمؤمنين الى افرادهم اشارة الى الفائدة
العامة. وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم وقرأ ابو بكر بالجمع على
حالكم وتمكنكم. انا عاملون كذلك. وانتظروا بنا من الدوائر
انا منتظرون ان ينزل بكم ما نزل بالمكذبين امثالكم. ولله غيب السموات

والارض هو يعلم وقت ذلك والحكمة في تأخيره ✽ واليه يرجع الامر كله ✽ لا شريك له
في ذلك ✽ فاعبده ✽ استمر على عبادته ادام لكل احد ✽ وتوكل عليه ✽ في مجامع الامور
بعد علمك بتفرده بالامر ✽ وما ربك بغافل عما تعملون ✽ انت وهم فيه تغليب للخطاب
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بالغيب والضمير للذين
لا يؤمنون والخطاب ابلغ سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة
واحدى عشرة آيات بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات
الكتاب المبين تقدم الكلام على الحروف في اوائل السور وان القول المنصور
هو القول لكونها اسماء السور فقوله تلك اشارة الى مدلول الر وهي السورة وايثار
تلك لقصد التعظيم كذلك الكتاب والمعنى هذه السورة المشار اليها بعض الكتاب
المعجز الواضح اعجازه قالت اليهود لمشركي مكة سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب
من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليهما السلام فنزلت ✽ انا انزلناه
اي الكتاب ✽ قرآنا عربيا ✽ الاول حال موطئة والثاني هو الحال او كل منهما حال
لان الاول مصدر بمعنى المفعول وجعله حالا من الضمير في المصدر ضعيف ✽ لعلكم
تعقلون ✽ ارادة ان تفهموا معانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا
لقالوا لولا فصلت آياته او تستعملون عقولكم لتعلموا انه ليس من جنس كلام
البشر لانه اتى باحسن القصص من لم يتعلم ولم يدارس ✽ نحن نقص عليك
احسن القصص احسن الاقتصاص مصدر كالطلب من قص الاثر اذا اتبعه
لان راوي الحديث يتبع ما سمعه ولا يتخطاه كما ان القاري يسمى بالتالي لانه
يتلو ويتبع آية بعد آية فالمخصوص محذوف وهو الوحي له لانه اوحينا عليه ويجوز
ان يكون بمعنى المقصوص كالنبأ بمعنى المنبأ به وان يكون من تسمية المصدر بالمفعول
كالخلق وكونه احسن القصص لكونه مقصوصا على ابدع طريقة واغرب اسلوب ومن
تتبع التواريخ والقصص عرف انه لم يقاربه احد في سلاسة الالفاظ وعذوبة المعاني
او لاشتماله على العبر والنكت وسير الملوك والعلماء والصبر على الاذى والعفو بعد
الاقتدار ✽ بما اوحينا اليك ✽ بايحائنا ✽ هذا القرآن ✽ اي السورة لانه يطلق على
البعض كما يطلق على الكل قيل يجوز ان يكون مفعول نقص ان جعل احسن القصص
مصدرا ويكون مفعول اوحينا محذوفا وليس بقوي لان اعمال الثاني في التنازع
اولى كما في قوله آتوني افرغ عليه قطرا ولان ايقاع الايحاء على القرآن فيه من الفخامة
ما ليس في ايقاع الاقتصاص ✽ وان كنت من قبله لمن الغافلين ✽ عنه لم يقرع سمعك
ولا خطر ببالك يقال ارض غفل لا منار بها وكره زيادة امتنان عليه واشارة
الى فضيلة العلم وان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة ✽ اذ قال يوسف
منصوب باذكر او بدل اشتمال اذا كان القصص بمعنى المقصوص لا مصدرا

لان الاقتصاص على رسول الله لا يشتمل على زمان قول يوسف ✽ لابيه ✽ وهو
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الله روى البخاري عن ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم سئل عن اكرم الناس فقال يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله
الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وليس
في الانبياء من له ثلثة آباء متوالية كل منهم رسول من عند الله غيره وهو
اسم عبراني ولذلك منع الصرف واشتقاقه من الاسف بعيد لان
القراءة بضم السين فلا يصح ان يكون مضارعا ✽ يا ابت ✽ بكسر التاء لانها
عوض عن ياء الاضافة التي الاصل فيها الكسر وفتحها ابن عامر لان التاء لما
حذفت عوض عنها الالف ثم ابدل الالف ياء مفتوحة لتدل الفتحة
على الالف وعن المازني انه اصله ابتا على حد قوله يا ابتا علك او عساكا
فيكون الحرفان عوضا عن حرف ويمنع ذلك احد وخص التاء بالعوض عن
الياء لاشتراكهما في علامة التانيث كما في هذي وهاتي واتفقت المصاحف
على كتابتها بالتاء حيث وقعت واختلف السبعة في الوقف عليها فابن
كثير وابن عامر وقفا بالهاء مخالفا لصورة الرسم وهي لغة قريش والباقون
بالتاء رعاية للرسم وجريا في الوقف على طريقة الوصل ✽ اني رايت
من الرؤيا لا من رؤية العين بدليل قوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل
رؤياي من قبل ✽ احد عشر كوكبا والشمس والقمر ✽ الشمس كانت مثال امه
والقمر مثال ابيه والكواكب اخوته فانهم كانوا احد عشر رجلا ولذلك
لما سجد له ابواه واخوته قال هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا
رايتهم لي ساجدين ✽ جواب سؤال مقدر كانه قيل كيف رايتهم والجمع
بالواو والنون لاجرائهما مجرى العقلاء لكون السجود من افعالهم ✽ قال
يا بني ✽ تصغير ابن تحنانا او لانه كان صغير السن قيل كان عمره ثنتي عشرة
سنة وقرأ حفص بفتح الياء لان المصغر اضيف الى ياء المتكلم حالة النداء
فقلبت الياء الفا كما في يا غلاما ثم حذفت وبقيت الفتحة للدلالة عليها
والباقون بكسر الياء ليدل على حذف ياء المتكلم ✽ لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ✽ كان اثر النجابة لائحا على جماله الفائق
ونور النبوة وبهجة الملك رائقا على وجهه البارق وكان يعقوب عالما
بما وقع لها بل مع شؤم الحسد خاف عليه من حسد اخوته والرؤيا كالرؤية
الا انها تختص بالمنام وليس ذلك بسبب تعلق مشيته تعالى يخلق ذلك
في قلب النائم كما يخلق الرؤية في حالة اليقظة والقول بانطباع الصورة
المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون

باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى
فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه
بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة قول بما لم يدل عليه دليل
شرعي ولا عقلي فلا يليق ان يفسر به كلام الله تعالى وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدون
لتضمنه معنى الاحتيال ليكون آكد وابلغ في التخويف ولذلك اكده بالمصدر ان
الشيطان للانسان عدو مبين: ظاهر العداوة دفع لتوهم استبعاد
كيدهم وهم اخوته واولاد الانبياء المصطفين: وكذلك يجتبيك ربك
اي كما اكرمك بهذه الرؤيا في الصغر يكرمك بالرسالة في الكبر علم
ذلك باعلام الله او اخذه من الرؤيا لما روى البخاري انها جزء من
النبوة وكان رسول الله يفسر الرؤيا ويقع على وفق تأويله والاجتباء
افتعال من جبيت الشيء اذا جعلته لنفسك: ويعلمك من تأويل
الاحاديث: من تمام التشبيه كأنه قال كما خصك بالرؤيا في الصغر
يعلمك تأويلها في الكبر او كلام مبتدأ كأنه قيل وهو يعلمك والتأويل من
الاول وهو الرجوع والمراد به رد الشيء الى غايته علما كقوله وما يعلم
تأويله الا الله وفعلا كقوله ٥ وللنوى قبل يوم البين تأويل ٥ ومنه الايالة
وهي السياسة والنظر في عواقب الامور والاحاديث اسم جمع للحديث
والمراد احاديث النفس في المنام وتأويلها تعبيرها وكان يوسف عم
اعبر الناس للرؤيا واصدق لهجة واشد فراسة ولذلك قال لصاحبي
السجن لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما وقيل
اراد معاني كتب الله تعالى وسنن الانبياء وما اشتبه على الناس من امر
الدين وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله الا ترى الى
قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث: ويتم نعمته
عليك: بالنبوة او بايصال نعمة الدنيا بالآخرة: وعلى آل يعقوب:
بنيه قيل استدل على ذلك بضوء الكواكب: كما اتمها على ابويك من
قبل ابراهيم واسحاق: باصطفائهما بالرسالة وقيل بانجاء الخليل
من النار واسحق من الذبح لم يذكر نفسه وان كان مرسلا مكرما هضما
لنفسه: ان ربك عليم: كامل العلم بالاشياء: حكيم: يختار من يشاء
بحكمته: لقد كان في يوسف واخوته: اي في شأنهم وقصتهم: آيات
للسائلين: ودلائل على كمال قدرة الله تعالى او دلائل نبوته عليه السلام
لانه اتى باحسن القصص من غير تعلم ولا مخالطة اهل الكتاب وقرأ ابن كثير
آية على التوحيد على ارادة الجنس: اذ قالوا ليوسف واخوه احب

الى

الى ابينا منا: ارادوا باخيه بنيامين كان هو ويوسف من راحيل تزوجها يعقوب بعد
موت ليا بنت خالة يعقوب وكانت ام سبعة من بنيه وثلثة منهم كانوا
من سريتين تسمى احديهما زلفة والاخرى بلهة وانما افرد احب وان اريد
به المثنى لان افعل التفضيل اذا استعمل بمن لا يثنى ولا يجمع بخلاف المحلى باللام
والمضاف فان التفرقة واجبة في الاول وجائزة في الثاني: ونحن عصبة: و
الحال انا جماعة اقوياء وهما صغيران لا كفاية لهما في امر والعصبة من الرجال
ما فوق العشرة الى الاربعين من العصب وهو الشد والاحاطة: ان
ابانا لفي ضلال مبين: واضح لايثاره ما لا نفع فيه ولا كفاية على من هو ظاهر الكفاية
والنفع: اقتلوا يوسف: قول بعضهم عند التشاور: او اطرحوه ارضا: من
الاراضي البعيدة عن العمران وتنكيرها ونصبها نصب الظروف المبهمة: يخل
لكم وجه ابيكم: محبته لعدم بقاء من يشتغل عليه وذكر الوجه لتصوير اقباله اليهم فان
الشخص اذا اقبل على الشيء يقبل بوجهه وقيل الوجه كناية عن الذات ادغم ابو
عمرو في رواية واظهر في اخرى لانضعف الكلمة والخفة بالحذف وانما لان المحذوف
كالموجود: وتكونوا من بعده: اي من بعد يوسف او قتله لتقدم اقتلوا كقوله
اعدلوا هو اقرب للتقوى: قوما صالحين: بالتوبة او لعدم بقاء من يصلح لهم ولكم
او يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه له كقولهم اكله الذئب او يصلح وينتظم امر
دنياكم بالظفر بعدوكم وتكونوا مجزوم عطفا على محل لكم او نصب باضمار ان
والواو بمعنى مع: قال قائل منهم: هو يهوذا وقيل روبيل: لا تقتلوا يوسف
فان القتل عظيم بعد النجاة من تبعته: والقوه في غيابة الجب: غيابة الشيء
ما استتر منه عن النظر اراد به قعر الجب وغوره والجب البئر قبل ان يطوى من الجب
وهو القطع وقرأ نافع غيابات هنا والذي بعده بصيغة الجمع لحل الجب على الجنس
كأنه قال في بعض غيابات الجب او المبالغة كقول اخي الغيرة ٥ يزل الغلام
الخف عن صهواته: يلتقطه بعض السيارة: يأخذه بعض السائرين كالملتقط
الصبي المنبوذ: ان كنتم فاعلين: ما عزمتم عليه من التفرقة بينه وبين ابيه او ان
كنتم فاعلين ما اشرت به: قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف: قالوا
ذلك عند التصميم على الكيد به وكأنه كان يحس منهم او علامات البغض ليخفي
قد بدت البغضاء من افواههم قرأ السبعة لا تأمنا باظهار النون الاولى
واختلاس حركتها وبعض النقلة كابن مجاهد نقل عن السبعة ادغام النون الاولى
في الثانية والاشمام وجه الاختلاس ثقل الضمة فخففت به ويوافق الرسم
يستدعي زيادة الخفة ولهذا كان الاصل فيه السكون ووجه الادغام والاشمام تخفيف
ثقل المثلين والاشارة الى حركة المدغم وهو المختار لحصول كمال الخفة مع موافقة صريح

الرسم. وانا له لناصحون: والحال ان حالتنا تقتضي الاعتماد والوثوق اكد الكلام
لظهور مخايل الانكار. ارسله معنا غدا: بعد ان علمت منا النصح. يرتع ويلعب
نتمتع بالفواكه ونلهو بالاستباق والانتضال وسائر انواع اللعب واصل الرتع
اكل الحيوان ما شاء من غير مانع ومزاحم وقرا نافع والكوفيون بالياء في الفعلين
والكوفيون وابو عمرو وابن عامر بسكون العين في يرتع وجه الياء اسناد
الفعل الى ضمير يوسف والنون اسناده الى ضمير الاخوة وانما جاز منهم اللعب
لسبقه النبوة او كان لعبهم الاستباق والانتضال وهما من ادوات الجهاد
التي يثاب على فعلها وجه اسكان العين وجزمه جواب الامر وكسرها
كونها مضارع ارتعى والمختار الياء لكونه ادعى الى الارسال والكسر ليتم سروره
باللعب ونفع ماشيته لان ارتعى معناه رعى الماشية. وانا له لحافظون
اي يناله مكروه. قال اني ليحزنني ان تذهبوا به: كان شديد الحب له ولم يكن معتادا
بفراقه. واخاف ان ياكله الذئب: كان ارض كنعان مذأبة وقيل كان قد راى
في المنام ان ذئبا قد شد عليه وكان ذلك تعليما لهم ليعتذروا وفي المثل
البلاء موكل بالنطق قرا السوسي وورش والكسائي بابدال الهمزة ياء تخفيفا
عن القراء ان كل حرف متحرك اثقل من ساكنه الا الهمزة فان الامر فيها بالعكس
وانتم عنه غافلون: لاشتغالكم بالاستباق. قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة
استبعدوا ذلك لوجود الثاني. انا اذا لخاسرون: جواب القسم واللام في
لئن موطئة والمعنى اذا لم نقدر على حفظ واحد منا فنحن خاسرون مواشينا
لكثرتها وتفرقها او نحن احقاء بان يدعى علينا بالخسار. فلما ذهبوا به واجمعوا ان
يجعلوه في غيابة الجب: والبئر على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وهي بئر معروفة
بجب يوسف لا يخالف فيها احد وما قيل انها بئر بيت المقدس او بئر مصر
او بارض الاردن لا اصل له كيف وقد جاؤا عشاء يبكون وجواب لما محذوف
لايحاشات مع اوطوله اي فعلوا به ما فعلوا روي انهم لما برزوا به الى المسرح
شرعوا في ضربه واهانته وقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا ليسجدوا
لك كلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا ان
يقتلوه فقال يهوذا اما عاهدتموني في ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في البئر
نزعوا عنه قميصه فقال يا اخوتي قميصي اتوارى به فلم يردوه وكان غرضهم ان
يلطخوه بالدم ليحتالوا به على ابيهم فلما دلوه الى نصف البئر القوه ليموت وكان في
البئر ماء فسقط في الماء فاوى الى صخرة فقام عليها وكان جده ابراهيم عليه السلام
حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه
فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق

يوسف

يوسف عليه السلام فجاء جبريل فشقها واخرج القميص والبسه اياه. واوحينا اليه
اوحي اليه بهذا القول: لتنبئنهم بامرهم هذا: وهكذا اوحي الى ام موسى مع الاجماع
على ان النبوة من خواص الرجال وقيل اوحي اليه بالنبوة في الصغر كيحيى وعيسى وفي
الحديث لا نبوة قبل اربعين سنة واتيناه الحكم صبيا مفسر بفهم التورية وعلم الشرايع
وهم لا يشعرون: انك ذلك الصبي الملقى في الجب لعلو شانك وعلو سلطانك
ولان طول العهد تغير الحلية ويبدل الشكل وكان في ذلك الايحاء البشارة
بنجاته ليتسلى بذلك ويدفع بذلك الامل وحشة الانفراد قيل لما رددوا عليه
ممتازين دعا بالصواع ووضعه بين يديه وضربه حتى طن ثم قال اخبرني انه كان
لكم اخ اسمه يوسف وكان احب الى ابيكم فالقيتموه في الجب وقلتم اكله الذئب
ثم بعتموه بثمن بخس ويحتمل ان يتعلق بقوله واوحينا على معنى انسناه بالوحي
الذي لا مفروح به اعظم منه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه في وحشة
وشدة. وجاؤا اباهم عشاء يبكون: متباكين قال لهم مالكم واين يوسف
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق: نتسابق افتعل وتفاعل بمعنى وقيل الاستباق
التناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا
ولو كنا صادقين: وان كنا من اهل الصدق والامانة لشدة حبك اياه
وضعوا لو مكان ان اشارة الى ان تصديقهم كالمستحيل عنده. وجاؤا على قميصه
بدم كذب: ذي كذب او وصف بالمصدر كرجل عدل وهذا هو الوجه لما روي
انه اخذ قميصه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بالدم وقال ما رايت كاليوم
ذئبا اكل ابني ولم يمزق قميصه وعلى قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه
وهو في الاصل صفة دم قدم للاهتمام قال بل سولت لكم انفسكم امرا: زينته لكم
واصل التسول الاسترخاء يقال سحاب اسول اي مسترخ وانما علم ذلك
بالوحي او بامارة وهي سلامة القميص او بما كان يعرف من امارات الحسد منهم
فصبر جميل: وفي الحديث ان الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه الى الخلق ولذلك
قال انما اشكو بثي وحزني الى الله قيل سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تشكوني
فقال يا رب خطيئة فاغفرها لي. والله المستعان على ما تصفون: اي الموصول
اشارة الى عظم الامر كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم. وجاءت سيارة
قافلة سميت سيارة لجدها في السير قيل جاؤا بعد ثلثة ايام من قبل مدين
يسيرون الى مصر فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا من الجب. فارسلوا واردهم
رجلا يقال له مالك بن دعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي
للقوم. فادلى دلوه: القاه في الجب فتدلى يوسف فلما راه قال يا بشرى

هذا غلام: نادى كانه قال هذا اوانك وقراه الكوفيون بدون الاضافة والباقون بها الى ياء المتكلم واماله الفه حمزة والكسائي وكذا ابو عمرو وفي اخر فتح في محضه واسروه: الضمير لاخوة يوسف كانوا ثمة حتى وردت فلما اخرج قالوا كان غلاما لنا قد ابق فاشتروه منا فسكت يوسف عليه السلام خوفا من القتل او لانه اراده الله تعالى او للوارد واصحابه اخفوه عن الرفقة وقالوا دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر: بضاعة: حال من المفعول اي اخفوه حال كونه متاعا للتجارة من البضع وهو القطع لانها المال المقطوع للتجارة: والله عليم بما يعملون: بما عملوا اشارة الى عظم ما ارتكبوه: وشروه: باعوا من الاضداد يستعمل في البيع والشرى بثمن بخس: ناقص: دراهم: لا دنانير: معدودة: تعد عدا ولا توزن قيل كانوا لا يزنون الا ما بلغ اوقية: وكانوا فيه من الزاهدين: غير راغبين والزهد خلاف الرغبة زهد فيه وعنه بمعنى الضمير في كانوا ان كان لاخوة يوسف فظاهر وان كان للرفقة الواجدين انما كانوا زاهدين فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء غير مبال به لانه لم يتعب في تحصيله ولانه بعرضه ان يظهر له مستحق ينتزعه فان قلت كيف استقام من اخوة يوسف ارتكاب هذه العظايم وهم اولاد يعقوب نبي الله وذرية ابراهيم خليل الله عليه السلام قلت لم يثبت نبوتهم ولو ثبت نبوتهم كان ذلك قبل النبوة وقد نطق آخر السورة نبوتهم: وقال الذي اشتراه من مصر: بعد ان باعه اخوته او الرفقة وذهب به المشتري الى مصر رفعه الى السوق فوقع فيه الرغبات حتى اشتراه قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر بوزنه قراريط دراهم ودنانير ان كنت عبدك يا مولاي بنظرك فعندك غيرك محمول على الحدقة وكان فرعون مصر اذ ذاك ريان بن الوليد وكان ليوسف يومئذ من العمر سبع عشرة سنة فدعا الملك الى الاسلام فآمن ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف عم الى الاسلام فابى واستوزره ريان بن الوليد وله من العمر ثلثون سنة وانتقل الى جوار الله صلوات الله عليه وله من العمر مائة وعشرون سنة ونقل موسى عليه السلام تابوته الى حرم الخليل حين خرج فارا من فرعون ومعه بنو اسرائيل وقصة اخراج تابوته من النيل مشهورة: لامراته: المشهور انها زليخا وقيل راعيل: اكرمي مثواه: عسى ان ينفعنا: بان يقوم على اموالنا والمثوى المقام: او نتخذه ولدا: نتبناه فانه كان عقيما وتفرس فيه آثار الرشد والكفاية: وكذلك مكنا ليوسف في الارض: كما مكنا له الود والمحبة في قلوب الناس مكنا له في الارض واتيناه الملك: ولنعلمه من

تاويل الاحاديث: كان ذلك الانجاء والتمكين: والله غالب على امره: ولذلك بلغ شان يوسف عليه السلام ما بلغ وبطل عنه كيد اخوته: ولكن اكثر الناس لا يعلمون: ذلك ولذلك لا يفوضون امورهم اليه ولا يتاملون في دقايق صنعه وخفايا لطفه: ولما بلغ اشده: هو ثماني عشرة سنة وقيل عشرون سنة وقيل اربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون سنة لفظ مفرد كانك لا ثالث لهما وقيل جمع لا مفرد له كابابيل وعن سيبويه انه مفرده شدة يقال بلغ الغلام شدته: اتيناه حكما: بين الناس وملكا لقوله انتني من الملك او نبوة فانها سبب الحكم: وعلما: مخصوصا به وهو علم تاويل الاحاديث: وكذلك نجزي المحسنين وكما جزينا يوسف نجزي المحسنين تنبيه على ان ما ناله من الكرامة كان جزاء حسن عمله واتقانه في عنفوان شبابه: وراودته التي هو في بيتها عن نفسه: المراودة مفاعلة من راد يرود جاء وذهب مجاز عن ارادة مواقعته اياه وخداعها والاحتيال في اسباب ذلك اتى بالموصول سترا عليها لان ذكرها صريحا مستهجن ولان الموصول ادل على كمال تقوى يوسف وطهارة ذيله لانه اذا كان في بيتها معدودا من الخدم فهي متمكنة منه غاية التمكن فاذا لم تنل منه ما رامته كان ذلك لكونه ثابت القدم في باب التقوى: وغلقت الابواب: كانت سبعة ولذلك اتى بصيغة التفعيل الدال على التكثير: وقالت هيت لك: اسم فعل من هيت اذا صاح وقرا ابو عمرو والكوفيون بفتح الهاء والتاء وياء ساكنة وقرا نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان بكسر الهاء وفي رواية هشام بهمزة مكان الياء وله في التاء وجهان الفتح والضم ووافقه ابن كثير في الضم الا انه فتح الهاء ولم يهمز ومن ضم التاء جعله ماضيا من هاء يهيء والتاء ضمير المتكلم واللام صلة له وفي الاول للتبيين كانه قيل الخطاب لك: قال معاذ الله: منصوب على المصدر اي اعوذ بالله معاذا: انه: اي الشان: ربي: سيدي احسن مثواي: كيف اخونه في اهله واجازي احسانه باساءة وقيل الضمير لله اي كيف اعصي مولاي المحسن المتفضل: انه: اي الشان: لا يفلح الظالمون: ومن يجازي الحسنة بالسيئة ظالم: ولقد همت به وهم بها: قصدت مخالطته بعد ان غلقت الابواب وهيأت الاسباب وحصل الميل المركوز في طبع الرجال فاستمرت على ذلك لهم وصممت العزم وكف هو النفس الزكية

من مقتضى ذلك الميل على الفور كما هو شأن ارباب التقوى ومن هم بسيئة
ولم يفعلها كتبت له حسنة فهمّه عليه السلام من هذا القبيل ومن قال الهم هو
القصد والعزم ثم قال المراد ميل الطبع وذلك لا يدخل تحت التكليف
فقد ناقض قوله والتحقيق في هذا المقام ان حديث النفس منه ما ليس خطوره
اختياريا ولا يصدق عليه اسم العزم فذلك غير مؤاخذ به في ملة من الملل
ومنه ما يكون معزوما عليه وليس معه فعل ولا تصميم فذلك ان كان همّا بالحسنة
يكتب حسنة وان كان هما بسيئة فلا يكتب سيئة ما لم يصمم وهذا من خواص
هذه الامة تجاوز الله عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم يتكلم او يعمل فان
قلت الحديث دل على ان التصميم ايضا غير مؤاخذ به لانه جعل الغاية التكلم
او الفعل قلت من قبيل المفهوم وقوله في شأن المقتول انه كان حريصا
على قتل صاحبه منطوق فلا يعارضه ؛ لولا ان رأى برهان ربه ؛ الدليل
القاطع على حرمة الزنا في جميع الملل وحرمة مجازاة الاحسان بالاساءة
وكان عالما باحكام الشرع لقوله واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق وقيل
تمثل له يعقوب عاضا على صبعه وقيل ناداه جبريل وليس بشيء نقلا وعقلا
وليس سوى هذا هفوات وخرافات لا يحل ذكرها وجواب لولا محذوف
اي لخالطها ولا يجوز ان يكون المذكور قبل جوابا لان لولا في حكم الشرط ؛ كذلك
الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر كذلك
لنصرف عنه السوء ؛ وهو الخيانة ؛ والفحشاء ؛ الزنا ؛ انه من عبادنا
المخلصين ؛ المصطفين للرسالة وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام والمختار
الفتح لتوقف معنى الكسر عليه اذ لا يكون مخلصا الا بعد كونه مخلصا
واستبقا الباب ؛ يوسف هاربا وهي طالبة له فحذف الجار او الفعل
ضمن معنى الابتدار ؛ وقدّت قميصه من دبر ؛ شقته من ورائه من شدة
الجذب ؛ والفيا سيدها لدى الباب ؛ فصادفا زوجها على الباب
جاء على عادة الاكابر وسمي الزوج سيدا لانه مالك لبضعها ؛ قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ؛ ارادت
التبرئ واوهمت انها الفارة عنه وما اما نافية او استفهامية وانما لم تذكر
اسمه قصدا الى المبالغة بان من كان بهذه الصفة يستحق ذلك العقاب
يوسف او اكبر منه ؛ قال هي راودتني عن نفسي ؛ دفع بذلك وصمة
الخيانة لانه خاف من السجن او العذاب ولهذا لما اراد الملك اخراجه
من السجن لم يخرج حتى امر الملك باستكشاف حاله روى البخاري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت مكان يوسف عليه السلام لاجبت

الداعي

الداعي اراد الثناء عليه بكمال صبره وانه تثبت في ضيق السجن حتى ظهرت
براءة ساحته ؛ وشهد شاهد من اهلها ؛ صبي كان هناك وفي الحديث
تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف
وعيسى بن مريم عليه السلام وليس فيه ما يدل على الحصر فان ابن صاحبة الاخدود
تكلم ايضا وغيره وكان هذا الكلام من الطفل ارهاصا لنبوة يوسف عليه السلام
ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ؛ لانها تدل على انها
دفعته عن نفسها حين اقبل عليها او انه جرى خلفها فتعثر في قميصه ؛ وان
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ؛ لانه هرب منها فجذبته
من ورائه قدم ما يدل على صدقها لانها كانت مدعية فقدم حجتها ؛ فلما رأى
قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ؛ الخطاب لها ولتوابعها او لجنس النساء
تغليبا ؛ ان كيدكن عظيم ؛ لدقة مسلكه واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله ما رأيت اذهب للرجل الحازم من احديكن وعن مالك بن دينار
اني اخاف من شيطان الانس اكثر مما اخاف من شيطان الجن وذلك
لان شيطان الجن يوسوس وشيطان الانس يواجه لاسيما النساء فان جبلة
الرجال على الميل اليهن وعن علي رضي الله عنه لو كانت الدنيا ذهبا وعشت فيها
دهرا لم اخف على نفسي منها ولا آمن على نفسي ان ابيت في بيت ليلة مع
عجوزة ؛ يوسف اعرض عن هذا ؛ الحديث واجعله نسيا منسيا ؛ واستغفري
لذنبك ؛ ثم ناداها كما نادى يوسف لشدة موجدته عليها ؛ انك كنت
من الخاطئين ؛ المتعمدين للذنب من خطئ بالكسر خطأ وخطاء وفيه تغليب
الذكور كانه اراد المبالغة لان صفة الرجال اكمل ؛ وقال نسوة ؛ قيل كن خمسا
امرأة الساقي والسجان والخباز وصاحب الدواب وامرأة الحاجب اسم
جمع ليس له مفرد من لفظه وتانيث الجموع وهما انها غير حقيقي ولذلك لم يلحق الهاء
في المدينة ؛ ظرف لقال او صفة نسوة يريد مصر فالعهد خارجي ؛ امرأة العزيز
تراود فتاها عن نفسه ؛ تريد مواقعة عبدها اياها قلن ذلك غيرة وتقبيحا لشانها
ولذلك اضافوها الى بعلها ليشتد الامر ويتفحش الانكار والعزيز في مصر هو الوزير
والفتى لغة هو الشاب وفي العرف هو العبد وفي الحديث لا تقل احدكم عبدي
وامتي كلكم عباد الله واماؤه وليقل فتاي وفتاتي ؛ قد شغفها حبا ؛ شق شغافها
والشغاف غلاف القلب اصل التركيب قد شغفها حبه فاوقع الفاعل تمييزا
مبالغة ؛ انا لنراها في ضلال مبين ؛ واضح لاستتاره به لانها زوجة الملك
فكيف رضيت ان تكون عاشقة الغلام ؛ فلما سمعت بمكرهن ؛ سمعت مقالتهن
وسماها مكرا على التشبيه لان الاغتياب يكون خفية كما يكون المكر والخديعة كذلك

وقيل كانت اسرت اليهن واستكتمتهن فافشينه عليها وقيل لم يكن قولهن الا لكونهن
مفتونات بحبه فاردن بذلك انقطاعها ليخلو لهن وجه يوسف ويرده ان
ارسلت اليهن: تدعوهن الى الاجتماع عندها: واعتدت لهن متكأ: ما يتكأ
عليه من النمارق والقطائف: وآتت كل واحدة منهن سكينا: قصدت
بذلك افتضاحهن لانها كانت تعلم ان جمال يوسف عليه السلام اذا ظهر سلب
عقولهن وادمجت فيه انه اذا راى الخناجر بهت وظن انهن قاصدات له
فذعن لها وقيل متكأ مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكأون اذا جلسوا للتناول
ترفها وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمدنا بالسكين لان القاطع
يتكأ على المقطوع وقيل هو الزماورد وهو الرقاق الملفوف المحشو باللحم: وقالت
اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه: استعظمنه لفائق جماله قيل كان يرى تلألؤ وجهه
على الحيطان وقيل اكبرن حضن من شدة الشبق من قوله اكبرت المرأة اذا
حاضت والهاء للمصدر او ليوسف على حذف اللام روى البخاري ان رسول الله
قال رايته فاذا هو قد اعطي شطر الجمال خلق الله واستر ذا الجمال بربيع فالحيث
حاضت في الخدور العواتق: وقطعن ايديهن: من فرط الدهشة: وقلن حاش
لله: معاذ الله كلمة البراءة والتنزيه قيل حرف جر استعمل مصدرا واستدل
عليه بما قرئ به منونا واليه ذهب سيبويه واستدل ايضا على حرفيتها بعدم
وقوعها صلة لموصول وعن المبرد انها فعل واستدل عليه بقول النابغة
وما احاشي من الاقوام من احد ولانه يقال حاش لزيد وحرف الجر لا يدخل
على مثله وصل الكلمة حاشا بالالف وبه قرا ابو عمرو في الوصل والباقون بحذفه
وهي لغة الحجاز وعليه رسم المصحف: ما هذا بشرا: لان هذا الجمال غير معهود
من البشر ونصب الخبر على لغة الحجاز الحاقا لها بليس لكونها لنفي الحال: ان هذا
الا ملك كريم: لانه لم يعهد مثله في الجمال للبشر وقد تقرر في النفوس جمال الملائكة
ولذلك يشبه بها الصور الحسان كما يشبه بالشيطان الصور القبيحة ولا
دلالة في هذا على افضلية الملك عند الله تعالى: قالت فذلكن الذي لمتنني فيه
يا حب يسرها لا رات الساعد دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى فاذا لمته
فعند ذلك عنف واشارت بما وضع للبعيد لعلو شانه وبعد مقامه عن
التصور: ولقد راودته عن نفسه فاستعصم: اقرت بما وقع لها مع علمها بانه
لا يلوم ولا يعدل عنهن والاستعصام المبالغة في التحفظ: ولئن لم يفعل ما آمره: للموصول
بحذف الجار كما في قوله امرتك الخير او ليوسف اي الكلام في المامور به لا المامور
لتعينه وجعل ما مصدرية اي موجب امري مع تكلفه عائد الى الاول: ليسجنن
وليكونا من الصاغرين: الاذلاء من صغر بالكسر يصغر صغارا والنون المؤكدة

في ليكون

في ليكونن ربما كتبت الفا اما اجراء للوصل مجرى الوقف او حملا على التنوين بجامع
ان كلا منهما نون ساكنة وقعت طرفا بعد فتحة: قال رب السجن احب
الي مما يدعونني اليه: اسند الدعوة اليهن كانهن قلن اطع مولاتك واياك
والصغار والسجن فالتجأ الى مولاه وآثر السجن لملاحظة رضاه فان المشاق
تضمحل في جنبها ولذلك ترى اهل الصلاح يلتذون بالعبادات وقيام
الليل اكثر مما يلتذون بالاكل والمعازف والنوم على الحرير: والا تصرف
عني كيدهن: حيلهن وخداعهن: اصب اليهن: امل اليهن من الصبوة
وفي المثل لكل جواد كبوة ولكل حليم صبوة ولكل صارم نبوة: واكن من الجاهلين:
بفضائحهم معدودا من الجهال الذين لا يعلمون عظمة الله تعالى ولذلك قيل من عرف
الله لم يعصه: فاستجاب له ربه: اجابه الى سؤاله وهو الدخول في السجن والنجاة
من كيدهن قيل انما ابتلي بالسجن حيث اختاره ولو سال الله العافية
لنجا من كيدهن مع عدم دخول السجن راى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول
اللهم ارزقني الصبر فقال سالت البلاء فاسال الله العافية: فصرف عنه
كيدهن: بان عصمه عن ارتكاب المعصية: انه هو السميع: لمن دعاه العليم
بمن يصلح للاجابة وعنه عليه السلام رب اشعث اغبر يطيل السفر يرفع يديه
يقول اللهم وماكله ومطعمه حرام وغذي بالحرام انى يستجاب له: ثم بدا لهم من
بعد ما راوا الآيات: ظهر لهم للعزيز ومن في داره من الخدم وامرائه: ليسجننه
حتى حين: الى زمان ثم ينظر في امره وكان العزيز نسي شهادة الطفل والقرائن
قطعن ايديهن كلام نفس لكن كان سلطانا على عادة ملوك مصر وقد نقل
الجمهور انه كان غبيا هذا وقصد امراة العزيز انه اذا لبث في السجن برهة
من الزمان يختار رضاها بترك اللجاج والتورع فانه صبي لا يقدر على تحمل ضيق
السجن وهي تظهر انه حبس لانه مجرم وهذا نوع من المكر بعيد الغور: ودخل معه
السجن فتيان: اتفق ان دخل ساعة دخوله من خدم الملك شخصان آخران
الشرابي والخباز: قال احدهما: وهو الشرابي: اني اراني: حكاية الاتي بالمستقبل
اعصر خمرا: عنبا سماه خمرا باعتبار ما يؤول وقيل الخمر هو العنب بلغة حمير
وقال الآخر: الخباز: اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله
انا نراك من المحسنين: تاويل الرؤيا كان اهل السجن يعرضون الرؤيا عليه
فيحسن تاويلها والاولى عدم التقييد بالرؤيا اي انا نراك من المحسنين فيما
تاتي وتذر كان اذا مرض احد من اهل السجن قام عليه وسعى في امره جهده واذا
احتاج احد جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال
حزنهم فشرع يقول لهم ابشروا واصبروا فان لهذا فرجا وفيه الثواب والاجر

فقالوا بارك الله فيك من تكون يا فتى ما احسن وجهك وما الطف خلقك
لقد بورك لنا في جوارك قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله
اسحق بن خليل الله ابراهيم عليه السلام فقال عامل السجن لو استطعت خليت
سبيلك روي ان الغلامين قالا له انا نحبك فقال اياكما وحبي فوالله ما احبني
احد الا دخل علي من حبه البلاء احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني
ابي ودخل علي من حبه بلاء واحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء
وعن الشعبي انهما امتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا بانا ثلثة
عناقيد من العنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز
اني اراني فوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تاكل منه
والضمير في تاويله راجع الى ما قصا عليه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما
بتاويله قبل ان ياتيكما لما وصفاه بما يعرفان من الاحسان على اهل السجن
وصف نفسه بما هو فوق ذلك وهو الاخبار بالغيب بانه يعلم ما يحمل اليهما
من الطعام كل وقت ويصف لهما ذلك ويقع الامر على وفق وصفه وانما
ذكر هذا القدر من الثناء على نفسه ليتوصل به الى الدعوة الى التوحيد مع انه
ليس كلاما اجنبيا من السؤال لان الاخبار بالغيب يناسب تاويل الرؤيا
وهذه طريقة الاخيار من الانبياء والعلماء يقدمون الارشاد والهداية بين
يدي جواب الفتيا ينبهون بذلك السائل على ان الاولى والاحق به ما ذكر له
لا ما سال عنه وفي حكاية الله ذلك اشارة الى ان العالم اذا لم يعلم منزلته
في العلم فان وصف نفسه بما هو عليه في نفس الامر وغرضه ان لا يضيع علمه لم يكن
ذلك من تزكية النفس المنهي عنها ذلكما مما علمني ربي وحيا والهاما ليس
من الكهانة والتنجيم في شيء اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالاخرة هم كافرون دليل على ان اخباره بالمغيبات تعليم من الله تعالى
بالوحي فان الكهانة والتنجيم فعل اهل الضلال والنفوس الخبيثة واتبعت
ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب وصف نفسه الطاهر بعد ذكر حسبه
تقوية لما هو بصدده من الدعوة الى التوحيد فان السامع اذا عرف
ان طريقة المرشد مسلك الافاضل الاخيار يزداد وثوقه ما كان لنا
ان نشرك بالله من شيء ما استقام لنا معشر الانبياء الاشراك بالله
اي شيء كان ذلك التوحيد من فضل الله علينا معشر الانبياء
وعلى الناس المرسل اليهم باتباعنا ولكن اكثر الناس لا يشكرون
نعمة الله بل يقابلونها بالكفر يا صاحبي السجن يريد صاحبي الرؤيا والاضافة
فيه كالاضافة في كوكب الخرقاء وسارق الليلة او الصاحب بمعنى الساكن

نحو

نحو اصحاب الجنة واصحاب النار ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد
القهار لكل شيء تحت حكمه وسلطانه مثل ضربه لهم في عبادة الله وعبادة
الاصنام لانهم كانوا يعبدون الاصنام ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ازال ما اوهمه الكلام
السابق من كون الارباب لها معنى الربوبية في الجملة كما تقدم ان الحجر
اذا سمي بالذهب لا حاصل له الا ذلك الاسم والضمير في تعبدون لهما ولمن
على دينهما على التغليب ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه لا شركة فيه
لاحد امر ان لا تعبدوا الا اياه بيان لما حكم به ذلك الدين القيم المستقيم
الذي لا عوج به او الذي لا يزول ولا يختلف باختلاف الشرائع ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيقعون في الضلال يا صاحبي السجن اما احدكما
فيسقي ربه خمرا يريد الشرابي لانه الذي راى عصر الخمر في كاس الملك و
واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فلما قص الرؤيا على
الوجه المذكور قال الخباز ما رايت شيئا وانما قلت امتحانا فقال قضي الامر
الذي فيه تستفتيان اي ما قلته كائن لا محالة سواء كنت كاذبا او صادقا
وانما وحد الامر وان كان الرؤيا امرين لانهما اراد استبانة عاقبة ما نزل بهما
وقال للذي ظن انه ناج منهما وانما عبر عن معتقده بالظن لان التاويل
كان بالاجتهاد وقيل الظان الشرابي والاولى ان يكون الظن بمعنى اليقين مجازا
لئلا يلزم جزمه بالاخبار بالغيب اذكرني عند ربك باني محبوس ظلما فانساه
الشيطان ذكر ربه اسناده الى السبب لان النسيان حصل بوسوسته فلبث
في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع قيل
الحكمة في ذلك الانساء عتاب يوسف عليه السلام كيف لم يتكل على لطف
ربه ويستغني به عن الاستعانة بالكافر بل سلك سبيل جده خليل الله لما جاءه جبرئيل
وهو في المنجنيق وقال له هل من حاجة لي يا خليل الله قال اما اليك فلا فقال سل
ربك قال علمه بحالي يغنيني من سؤالي وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
لما دنى فرجه قدر مسبب الاسباب ان راى ملك مصر رؤيا هائلة عجيبة رأى
سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس سبع بقرات عجاف فابتلعت
العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا آخر يابسات
قد ادركت وبلغت اوان الحصاد فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن
عليها وانما استغنى عن بيان حال السنابل بما قص من حال البقرات وانما جعل
السمان صفة المميز دون العدد دلالة على ان العجاف سبع ليس الا وان
السمان لا تنحصر في السبع هذا طبق الواقع لقلة الشدة وكثرة الرخاء والقول بان

التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده ولذلك
لم يضف فيه الى ذلك اذ لم يكن قرينة ذكر البقرات جمع العجاف على عجاف
وان لم يجمع على فعلاء حملاً على سمان لانه نقيضه وسبع سنبلات خضر
قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعاً آخر يابسات وانما علم كونها سبعاً
لانصباب الكلام الى هذا العدد وانما حذفه لتكرره كما حذف البقرات
من العجاف ولا يجوز عطف آخر على سنبلات خضر لكون مجرورا مميزا
للسبع المذكور لان لفظ آخر يقتضي المغايرة فيؤدي الى التدافع يا
ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها نادى الاشراف لزيادة معرفتهم
وللوثوق بتأويلهم وكأنه آثر لفظ الافتاء للاشكال ان كنتم للرؤيا
تعبرون اللام للتقوية لان الفعل يضعف بتقدم المعمول عليه كقولك
لزيد ضربت ويجوز ان يكون الجار والمجرور خبر كان وتعبرون خبراً آخر
او حالا او ضمن تعبرون فعلا يتعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا عبرت الى المقصود منها وجاوزتها
كما تقول عبرت النهر اذا جاوزته وعبرت وعبّرت لغتان قالوا
اضغاث احلام جمع ضغث وهو قبض حشيش مختلط رطبه باليابس استعير
للرؤيا التي لا يعرف وجهها ولا يوجد لها اصل يؤول اليه والاحلام جمع حلم
وهو ما يراه النائم وما رآه الملك وان كان رؤيا واحدة الا انهم جمعوا
للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان او يكون قد قص عليهم مع ذلك الاتّام
منامات اخر وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اي الاحلام المذكورة
لانها نكرة اعيدت معرفة حمله على اعترافهم بانهم ليسوا في علم التعبير نحارير
فيه ان قولهم اضغاث احلام ينافيه لاقتضائه ان لهم علما رصينا بما
ليس من هذا القبيل وقال الذي نجا منهما الشرابي الذي نسي ما قاله
يوسف من ذكره للملك وادّكر بعد امة مدة من الزمان طويلة جملة
معترضة انا انبئكم بتأويله فارسلون يوسف فارسلوه فلما جاءه
قال له يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق الراسخ فيه
شاهد ذلك منه في السجن لاسيما رؤياه ورؤيا رفيقه فانه كان برهانا
جليا افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات وهي رؤيا الملك لعلي ارجع الى الناس بما يؤول به
وانما لم يجزم بالرجوع لانه بصدد الاخترام لعلهم يعلمون قدرك ويكون
سببا لخلاصك لم يجزم بعلمهم فضله لانه كان مسجونا بعدما اراد منه الآيات
الدالة على طهارة ذيله ونباهة شانه فمن لم يؤمن بذلك فلا يبعد ان يجهل

قدره بعد تأويل الرؤيا قال تزرعون سبع سنين دأبا خبر في معنى الامر وهو
ابلغ من صريح ودأبا بسكون الهمزة وحركته مصدر دأب في العمل اذا لازمه
واعتاده وبالفتح قراءة حمزة وحفص فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا
يتسوس اعتراض منه قبل تمام تأويل الرؤيا نصحاً لهم كأنه قد وقع ما اخبرهم به فهو
يأمرهم بما فيه صلاحهم الا قليلا مما تأكلون فانه يداس ويصفى ثم يأتي من
بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن في تلك السنين اسناد الاكل
الى السنين مجاز الا قليلا مما تحصنون تحفظونه للبذر ثم يأتي من
بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث او الغيث يقال استغثته
طلبت منه الغوث او الغيث فاغاثني من الغوث وغاثني من الغيث
قال ذو الرمة قاتل الله ابنة بني فلان ما افصحها قلت كيف كان المطر عندكم
قالت غثنا ما شئنا وفيه يعصرون العنب والزيتون وسائر ما يعصر من
الفواكه والحبوب لكثرتها وعموم الخصب قرأ حمزة والكسائي تعصرون
بالخطاب تغليبا على نمط تزرعون وتأكلون بشارة بشرهم بها بعد
تأويل الرؤيا علم ذلك بالوحي لانه انتهاء الجدب بالخصب وان كان
معلوما لكن لا على الوجه الذي اخبر به من عمومه وبلوغه الغاية حتى يزحزحوا
من تلك الاصناف وفي تكريره فيه وتقديمه ما يشد عضده وكونه مستندا
الى الوحي وقال الملك ائتوني به بعدما بلغه الرسول تأويل الرؤيا واعجبه
ذلك طلب مشاهدته ومشافهته فلما جاءه الرسول واخبره ان الملك
طلبه قال ارجع الى ربك لم يقل فقال ائتيا الى انه قاله من غير تأمل ولا
توقف حتى كأنه لم يتعاقب كلامه كلام الرسول وفي ذلك زيادة ثناء
عليه بان تلك المشقة العظيمة في تلك المدة المستطيلة لم يؤثر فيه بل كان
راته وفكره على الاستعانة ولذلك اثنى عليه سيد الرسل وقال لو لبثت
ما لبث لاجبت الداعي يشير الى علو همته وانه من الصبر والاستقامة
بمكان فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن كان غرض الصديق
في ذلك غرضاً صحيحا خاف كيد الحاسدين مرة اخرى وفي الحديث
لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فاراد ان يبرئ ساحته ليتبين طريق الملك
والتهمة على الحاسدين ويظهر ذلك للناس ولم يذكر امرأته وان كانت هي
السبب الكلي تحاشيا عن ذكر سيدته بما فيه شين اطلق النسوة
وان كن توابع ان ربي بكيدهن عليم كامل العلم وان كان كيدهن عظيما
بعيد الغور قال ما خطبكن لما رجع الرسول واخبر الملك بمقالة
يوسف جمع النسوة وخاطبهن والخطاب لامرأة العزيز ان شهر فيخ

في الامر العظيم لانه الذي يسأل عن سببه ويقع التخاطب فيه اذ راودتن يوسف
عن نفسه هل مراودتهن اياه الا لكارهية قلن حاش لله تعجبن بالمراودة
وبراءة ساحة يوسف عن الميل الى قولهن ما علمنا عليه من سوء قط لا انقيادا ودعونا
اليه ولا في غيره وادعا الجواب ثناء عليه قالت امراة العزيز الان حصحص الحق
ظهر وبان لانه كان قبل مستورا انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين اعتراف
الخصم بان عزيمته على الحق وهو على الباطل لا يكون ابلغ منه في الثناء وامنع للشعب
ولم يكتف بتصديقه في القصة المذكورة بل ادرجته في زمرة المتصفين بالصدق على
الدوام الملازمين له ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كلام يوسف عليه السلام مع
الرسول لما عاد اليه اي ذلك التثبت كان ليعلم الملك انه لما جعلني امينا في اهله
لم يقع مني خيانة وان نسبوني اليها والجار والمجرور حال من الفاعل او المفعول
على معنى انا غائب عنه خفي عن عينيه او غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون
القائل امراة العزيز اي ليعلم يوسف اني لم اخنه بالغيب بل ذكرت على ما هو الواقع
او القائل يوسف والضمير لله اي ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة في الدين
لكن قوله بالغيب على هذا الوجه ليس له ذلك الالتصاق وان الله لا يهدي كيد
الخائنين لا يقضي بكيدهم الى ما توسلوا به اليه والهداية لو كانت لهم وانما
على الكيد ثم تعقيب مبالغة وفيه تعريض بامراة العزيز ان كان هذا قول يوسف بان
كيدها لم ينتج شيئا وما ابرئ نفسي لما ظهرت براءته وكان في قصده ونحو
ذلك دفع وصمة الخيانة تواضع لله لئلا يكون مزكيا نفسه معجبا بذلك وحمله
من قول امراة العزيز بعيد كيف وقد وضح انها كانت منبع الفساد ان
النفس لامارة بالسوء اما في هذه الحادثة فلما وقع منه الهم ولا شك انه فعل
النفس واما في احوالها كلها فان جبلتها على ذلك او لم يرد نفسه بل اراد
الجنس وان بذاتها سواء كانت نبيا او غيره ولهذا استثنى بقوله الا
ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا نفسا رحمها ربي فعصمها وقيل الاستثناء
منقطع والمعنى لكن رحمة ربي هي التي تصرف السوء اشارة الى قوله كذلك
لنصرف عنه السوء واعترافا به ان ربي غفور للذنوب بعد وقوعها رحيم
يرحم من يشاء بالعصمة وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي لا يشاركني
فيه احد لعظم امانته وكمال ديانته فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين اي
ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين خزاين اطلقه ليتناول كل شيء تحت يده
من الاموال وغيرها روي انه لما خرج من السجن دعا لاهله وقال اللهم اعطف
عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار وكتب على باب السجن هذه
منازل البلوى وقبور الاحيا وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل

ولبس

ولبس ثيابا جديدة وتوجه فلما اراد الدخول على الملك قال اللهم اني اسألك
بخيرك من خيره واعوذ بعزتك من شره فلما دخل سلم عليه ودعا له بالعبرانية
فسأله عنها فقال لسان ابائي وقيل توفي العزيز في تلك الليالي فتزوج
يوسف عليه السلام امراته فوجدها عذراء وكان عاقبة التقوى ان اورثه الله تعالى
اراضيهم وديارهم قال اجعلني على خزائن الارض يريد ارض مصر وكان غرضه
في ذلك الاحسان على الناس ورعاية المحاويج والفقراء في ايام الشدة والغلاء
اني حفيظ عليم شديد الحفظ من الضياع كامل العلم بمصارف الخير ووجوه
المكاسب وهذا ايضا اظهار الشرف والفضل لنفع الخلق لا للترفع وتزكية
النفس وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وان كان كافرا فانما تولى
منه يوسف عليه السلام لمصالح الكافة كما تتولى القضاة العادلة من
الامراء الظلمة والملوك الفسقة وكذلك مكنا ليوسف في الارض
اي وكما سخرنا قلوب الملك حتى جعل اموره كلها بيده مكنا له في ارض مصر يتبوأ منها
حيث يشاء اي مكان اراد ان يتخذه منزلا اتخذه من غير مانع ولا مزاحم روي ان
الملك توجه بختمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت
فقال يوسف عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك
واما التاج فليس من لباسي ولباس ابائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا
بفضلك فجلس على السرير وشاع امره وحسنت سيرته واحبه الخلق وباع الطعام
اول سنة من سني القحط بالدراهم والدنانير وفي السنة الثانية بالحلي والجواهر ثم
بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم فانه كان مشروعا في شرعه ثم قال
للملك كيف رايت وماذا ترى فقال الامر اليك والراي ما رايت قال فاني
اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم اموالهم
نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين اما في الدنيا او في الاخرة
او فيهما على حسب ما اقتضته الحكمة وجرت به المشية ولاجر الاخرة خير للذين امنوا
وكانوا يتقون المعاصي والمعنى ان المؤمن المتقي يوجر على حسناته في الدنيا والاخرة
ولكن بين الاجرين بون بعيد اشارة الى ان ما له من ملك الدنيا نزر يسير بالنسبة
الى ما اعده الله تعالى من المنازل ولذلك لم يرض الا بذلك وقال توفني مسلما
والحقني بالصالحين وجاء اخوة يوسف اصاب ارض الشام ما اصاب
ارض مصر من السنة فارسل يعقوب عليه السلام بنيه للميرة واحتبس بنيامين
شقيق يوسف عليه السلام يتسلى به فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه
لانه فارقهم في سن الحداثة ولانهم راوه في ابهة الملك على سرير مرتفع وعلى راسه
تاج مكلل وراوه من بعيد بين يديه الحجاب ولم ينظروا اليه نظرا املا العين وانما

وانما عرفهم لعدم تغير زيهم ولانه فارقهم وهم رجال وعن ما عرفهم الا بعد ان تعرفوا له
فانه كان يتوسم في وجوه الواردين وكانت همته مصروفة الى ان يقف على حالهم
وعلى حال ابيه المحزون: ولما جهزهم بجهازهم: هيأهم للسفر وجهاز السفر بالفتح
والكسر ما يحتاج اليه من الزاد والراحلة: قال ائتوني باخ لكم من ابيكم: لما دخلوا
عليه كلموه بالعبرانية فقال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن
قوم من اهل الشام رعاة من اصابنا الجهد جئنا نمتار فقال لعلكم عيون
تنظرون عورة هذه البلاد قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ
صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك
منا واحد فقال وكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه
يتسلى به عن اخيه الهالك قال من يشهد لكم قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد
قال فدعوا بعضكم رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم يحمل رسالة من ابيكم فاقترعوا
بينهم فوقعت القرعة على شمعون فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم واكرامهم
قيل كان لم يزد كل شخص على حمل فسألوه حملا زائدا له لاخ الذي يأتون به فا
فاعطاهم: الا ترون اني اوفي الكيل: اتمه: وانا خير المنزلين: وكانوا
عاينوا منه ذلك: فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون: لا تعودوا الى هذه
البلاد فانكم كذبة خونة: ولا تقربوا اما نفي معطوف على محل الجزاء اي ان لم تأتوا به
تجمعوا بين حرمان الكيل وعدم القرب او نهي: قالوا سنراود عنه اباه: سنخادعه
ونجتهد في تحصيله: وانا لفاعلون: ذلك لا محالة لكمال قدرتنا على ذلك بحيث
لا مجال للشبهة كلام محقق بالوفاء وانجاز الوعد: وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في
رحالهم: امر غلمانه الكيالين ان يجعلوا بضاعة اخوته في رحالهم بحيث لا يعلمون
ذلك وقرا حمزة والكسائي وحفص فتيانه والباقون فتيته فالاول جمع الكثرة الفتى
والثاني في جمع القلة: لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم: وفتحوا الاحمال: لعلهم
يرجعون: لانهم لا يستحلون اخذ البدلين او لعلهم يعرفون حق التكرم برد البدل
لعلهم يرجعون لذلك الاحسان وشكره: فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا
الكيل: ان لم ترسل معنا اخانا بنيامين: فارسل معنا اخانا نكتل: صريح في ان منع
الكيل مشروط بعدم مجيئه الى الملك معهم وقرا حمزة والكسائي بالياء باسناد
الفعل الى الاخ والباقون بالنون للمتكلم: وانا له لحافظون: البتة لا يناله مكروه
قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل: حيث قلتم يا ابانا ما لك لا تامنا
على يوسف وانا له لحافظون قد قلتم في يوسف ما تقولون الآن في اخيه: فالله خير
حافظا: منكم فاتوكل عليه وقرا حمزة والكسائي وحفص على وزن فاعل وهو تمييز
كقولك طاب زيد فارسا وقيل حال ومنعه ابو علي وقرا الباقون حفظا وهو يبلغ

وعليه الرسم

وعليه الرسم: وهو ارحم الراحمين: فارجو ان لا يجمع علي مصيبتين فيرده الي لا تثكلي
عن اخيه: ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي
ما نافية اذ البغي بمعنى التزيد والمعنى ما نزيد في وصف الملك لاحسان علينا
والاكرام وكانوا قبل فتح المتاع اخبروه بان اكرمهم غاية الاكرام حتى لو كان رجلا
من آل يعقوب لا فعل معهم ما فعل او البغي هو الطلب والمعنى ما نطلب وراء ما فعل
معنا من الاحسان شيئا او ما نطلب بضاعة اخرى غير هذه: هذه بضاعتنا
ردت الينا: فهي كافية لنا وعلى الوجهين الاولين جملة مستانفة جارية مجرى
الدليل: ونمير اهلنا: عطف على مقدر اي ردت بضاعتنا الينا فنستظهر بها
ونمير بالرجوع الى الملك: ونحفظ اخانا: عما نخاف عليه في الذهاب والاياب
ونزداد كيل بعير: ما يحمله بعير باستصحاب اخينا لان يوسف كان في زمن
الغلاء يعطي فلا يزيد كل شخص على حمل ويجوز على الاول عطف الجمل على قوله ما نبغي
على معنى لا نزيد فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما
مبتدأ كانه قيل وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة زيد وينبغي
الى ان اسعى ويجب علي ان لا اقصر: ذلك كيل يسير: مكيل قليل ان لم يكن
اخوهم معهم حثا لابيهم على ارسال اخيه او ذلك اشارة الى كيل بعير كانه
قال ايوهم من ابن لكم العلم بان الملك يسمح لكم بحمل بعير فقال ذلك كيل
يسير لا يضايقنا فيه لوفور جوده وشدة عطفه على الغرباء الواردين
من شقة بعيدة وقيل ذلك من كلام يعقوب عليه السلام يريد ان حمل بعير
شيء يسير لا غناء له فلا يقدر على فراق ابنه لذلك القدر ويرده: قال لن ارسله
معكم: اذ لو كان ذلك من كلامه لم يكن لقال وجه فانه ابتداء حكاية كلام بعد
كلام بينه: حتى تؤتون موثقا من الله: الموثق والميثاق هو العهد المؤكد لانه
اراد تحليفهم وتوكيد عهدهم: لتأتنني به: جواب القسم: الا ان يحاط بكم: الا
ان تغلبوا بالموت عن آخركم من قولهم احيط بفلان اذا اهلك وشبه قوله تعالى
واحيط بثمره او الا ان تغلبوا وتمنعوا من المحافظة او من اعم العلل كانه قال لا تمتنعوا
من الاتيان به لامر الا للاحاطة: فلما آتوه موثقهم: عهدهم المؤكد باليمين: قال الله
على ما نقول علينا من الميثاق وكيل: حفيظ ورقيب هو المطالب بوفاء
العهد والميثاق: وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة: كانوا ذوي جمال وابهة فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة ان يعانوا
ولم يوصهم في المرة الاولى لانهم كانوا اذ ذاك اشتهروا وقيل انما احتاط على بنيه من
وتاثير العين بقوة او دعها الله تعالى في بعض العيون وسياتي انه سبب نزول
قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم: وما اغني عنكم من الله

من شيء فائدته دفع وسواس الشيطان بان لو فعلت كذا ربما لم يقع: ان الحكم الا لله: متفرد به يفعل ما يشاء ولو شاء اصابتكم بشيء لا ينفع الحيل ولا الحذر عليه توكلت: لا على غيره من الاستحفاظ بالاخوة والعهد والميثاق فان تملك الوسائل لا ينافي التوكل وذلك كلبس رسول الله لامتين يوم احد: وعليه فليتوكل المتوكلون: الكاملون في الاتكال حث على ما آثره لنفسه ليقتدي به وتقدم الجار في الفعلين للاختصاص وجمع بين الواو العاطفة والفاء لقصد الجمع والسببية ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم: من ابواب متفرقة: ما كان يغني عنهم من الله من شيء قط اخذوا بالسرقة وحصل لهم الشتات والتفرق ورجعوا الى ابيهم بخبر آخر من خبر يوسف: الا حاجة في نفس يعقوب: استثناء منقطع اي لكن حاجة في نفس يعقوب: قضاها: هي شفقته عليهم واظهارها لهم و وانه لذو علم: ولذلك قال لهم وما اغني عنكم من الله من شيء اعترافا بان الحذر لا يرد شيئا من القدر لما علمناه: لتعليمنا اياه بالوحي امتنان عليه كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ولكن اكثر الناس لا يعلمون: ما علمه يعقوب ويحسبون ان الحذر يدفع القدر كمن يفر من الطاعون اذا وقع بارض او لا ياكل من به جرب ونحوه: ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه: روي انهم دخلوا على يوسف وقالوا هذا اخونا قد جئناك به فقال احسنتم ستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم فلما اصبح اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة بقي اخوه منفردا ليس له اخ يواكله فشرع يبكي وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسه الملك معي فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه على مائدته ثم انزل كل اثنين بيتا وقال هذا ليس له ثان فليترك عندي فبات يوسف يشم رائحته الى الصباح فلما اصبح سأله عن اخيه الهالك وقال اتحب ان اكون لك اخا بدله فقال من يجد مثلك اخا ولكن لم يلدك يعقوب فبكى يوسف وقال بل ولدني يعقوب وراحيل: قال اني انا اخوك: يوسف وقام اليه وعانقه: فلا تبتئس بما كانوا يعملون: فلا تحزن افتعال من البؤس فلما جهزهم بجهازهم فان قلت لماذا ذكر تجهيزهم اولا بالواو وثانيا بالفاء قلت لم يتقدم هناك منه وعد فعطف القصة على القصة وهنا كان قد تقدم انهم اذا جاؤا باخيهم يحسن اليهم ويكرمهم جعل السقاية في رحل اخيه: هي المشربة التي كان يشرب فيها مرصعة بالجواهر كانت صاعا يكال به ولعله انما جعلها صاعا في ايام القحط لئلا يقع التبديل بل بغيرها ويبخس الناس: ثم اذن مؤذن: نادى مناد من الاذان وهو الاعلام يقال آذن اي اعلم واذن اكثر الاعلام ولذلك سمي المنادي الى الصلوة مؤذنا لكثرة وقوعه منه وتكرره: ايتها العير انكم لسارقون: العير القافلة لانها

تعير اي تجيء وتذهب وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير وكانه جمع عير واصله عير بضم العين كسقف فعل به ما فعل ببيض وعين وانكم لسارقون مقول المؤذن او قاله يوسف واراد نفسه لانهم سرقوه من ابيه وباعوه والحق ان يوسف حر لم يقع عليه اسم المال ولا يصدق على فعلهم اسم السرقة بل اطلاق السرقة على وجدان الصاع في رحلهم مجاز بحسب الصورة: قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون: فقدتموه الفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه: قالوا نفقد صواع الملك: هي السقاية المذكورة: ولمن جاء به حمل بعير: جعالة وفيه دليل على مشروعية الجعالة ان قيل شرع من قبلنا شرع لنا: وانا به زعيم: ضامن التزم القيام به وفيه دليل على جواز ضمان الجعل قبل تمام العمل: قالوا تالله: قسم فيه معنى التعجب: لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض: استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما ثبت عندهم من دلائل ديانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا في مسيرها ولانهم ردوا البضاعة التي دستها الفتيان: وما كنا سارقين: يوما من الدهر: قالوا فما جزاؤه: اي الصاع المسروق او السارق منكم: ان كنتم كاذبين: في نفي السرقة: قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه: كان في شرع يعقوب استرقاق السارق سنة وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم باعادته لافادة حقيقته والاحتفاظ به كقول المجيب بعد تحقيق المسئلة هذا لا مرية فيه والشرطية خبر المبتدأ تقديره جزاؤه من وجد في رحله فهو الجزاء وضع المظهر موضع المضمر مبالغة في عدم اللبس او جزاؤه خبر مبتدأ محذوف كانه قيل المسئول عنه جزاؤه تحقيقا للمراد بقولهم فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ثم اجابوا عن السؤال بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه وهذا كما سئل عن جزاء صيد المحرم تقول جزاء صيد المحرم من قتله متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم: كذلك نجزي الظالمين: اي السارقين او كل ظالم نجزيه على قدر خيانته كما جزينا السارق: فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه: لانهم لو فتشوا وعاءه قبل الكل ربما اوهم انه احتيال ومكيدة ولذلك روي انهم لما فتشوا الاحمال لم يبق الا رحل بنيامين قال يوسف عليه السلام لا حاجة الى تفتيش رحل هذا فقال اخوة يوسف لا بد منه لتطيب نفس يوسف ولا يبقى له ريبة: ثم استخرجها من وعاء اخيه: وفي ثم دلالة على انهم لبثوا زمانا بعد تفتيش الاحمال ولم يبادروا الى حمله لابعاد الظنون عن ارتكاب

الحيلة في شانه كذلك كدنا ليوسف كان صورة الكيد ولذلك بينه
بقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي ملك مصر فانه كان في دينه
ضرب السارق واخذ ضعف ما اخذ دون الاسترقاق ومثله جائز للتوصل
الى الحق كقول ابراهيم عليه السلام لسارة انها اختي الا ان يشاء الله اي الا
ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم دين الملك او الاستثناء منقطع اي لكن
اقتضت مشيته ذلك وان لم يكن في دين الملك نرفع درجات من نشاء
بالعلم كما رفعنا درجات يوسف عليه السلام وقرا الكوفيون بالتنوين والاضافة
ابلغ مدحا وفوق كل ذي علم عليم اي فوق كل فرد من العلماء عالم كامل العلم
وهو الله تعالى اشارة الى ان يوسف عليه السلام مع كونه راسخ القدم في العلم
وقد بلغ من علمه ان قال لصاحبي السجن لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله
قبل ان ياتيكما لم يتوصل الى تحصيل اخيه الا باعلام الله تعالى اياه بالوحي وسقط
بهذا قول من استدل به على انه تعالى عالم بالذات الا بالعلم والا لكان فوقه عليم
ذو علم وقيل الكلام في الخلق فسقط الاستدلال من اصله والمعنى على هذا ان يوسف
عليه السلام قد فاق اخوته وان كانوا علماء والوجه هو الاول لقوله كذلك كدنا
ليوسف قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يريدون به
يوسف عليه السلام روي انهم لما اخرجوا السقاية من رحله نكس اخوته رؤسهم
حياء وقالوا ما ذا فعلت بنا قد سودت وجوهنا يا بني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء
فقال بنيامين بل بنوا راحيل لم لهم منكم بلاء وضع في رحلي السقاية من وضع في رحلكم البضاعة
واما سرقة يوسف عليه السلام فقيل كان قد اخذ صنما من اصنام جده فكسره
والقاه في الجيف وقيل كان في البيت دجاجة او عناق فاعطاها السائل
وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها اكابر اولاده فورثها اسحق عليه السلام
ثم بعد اسحق وقعت الى ابنته وهي كانت اكبر من يعقوب عليه السلام وكانت
حاضنة يوسف عليه السلام فاراد يعقوب انتزاعه منها وكانت شديدة الحب له
فاحتالت عليه بان شدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه فصارت
ثم شرعت تفتش عنها واظهرت انها سرقت ثم فتشت يوسف فاستخرجت
من تحت ثيابه فصارت احق به لان جزاء السرقة هو السارق في شرع يعقوب
كما تقدم فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اي الكلمة المقالة او نسبة السرقة
قال انتم شر مكانا اي منزلة لانكم سرقتم يوسف من ابيه قاله في نفسه لان قوله
تعالى قال انتم شر مكانا بدل من قوله فاسرها يوسف والهاء مفسرة بقوله انتم شر
مكانا على تاويل الكلمة او الجملة كما في قوله ووصى بها ابراهيم وليس من التفسير الجملة
والله اعلم بما تصفون اي ان الامر ليس كما تقولون لا سرقت انا ولا اخي قالوا

يا ايها

يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في المقدار يستعطفونه عليه فخذ احدنا
مكانه ان اخاه قد هلك وهو عليه ثكلان يستانس به انا نراك من المحسنين
الينا فتمم الانعام بالاتمام او قد عم الورى احسانك فنحن احق بذلك وقد ذكرنا
لك حال ابينا قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده من ان ناخذ
غيره فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من انا اذا لظالمون في شرعكم
فكيف يجوز لكم خلافه وكيف نسعى في مخالفة ما افتيتم به وقد اوحي فيه ان الله تعالى امر
باخذه فكيف نسعى في مخالفته لو فعلت ما تقولونه لكنت من الظالمين
المتجاوزين ما امر الله تعالى به فلما استياسوا منه حصل لهم الياس الكلي
من جوابه القاطع وقرا ابن كثير في رواية البزي بابدال الهمزة بعد القلب
مكانها كما في ياس فاعطي كل من الهمزة والياء صفة الاخر من الحركة والسكون
لحلوله محله خلصوا نجيا اعتزلوا عن الخلق متناجين مصدر من
النجوى وهو الكلام الذي يسار به ولذلك لم يجمع وعن الاخفش يقال
للجماعة نجي كما يقال صديق لانه على وزن المصدر والجمع الجنة قال اذا
ما القوم كانوا الجنة قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي
وهو شمعون او يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا عهدا وثيقا
من الله من جهته ومن قبل ما فرطتم في يوسف ما زائدة اي من قبل هذا
قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم او مصدرية ومحل مدخولها
الرفع على الابتداء وخبره الظرف والمعنى وقع من قبل تفريطكم في يوسف
او موصولة والمعنى ومن قبل ما فرطتموه في يوسف اي قدمتموه في حقه
من الخيانة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض حتى
ياذن لي ابي في الرجوع اليه وتجاوز عني او يحكم الله لي بالخروج منها
اذ لا راد لحكمه ولا دافع لقضائه او يحكم بخلاص اخي وقيل او بالمقاتلة
مع اهل مصر وفيه بعد وهو خير الحاكمين اذ من سواه يحتمل السهو والنسيان
والغرض في احكامه ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق
سرقة لا ريب فيها وقرئ سرق اي نسب الى السرقة روي ان ابن سيرين
راى يوسف في منامه فقال له يوسف لم تقرا يا ابن سيرين قوله تعالى
ان ابنك سرق على بناء المفعول قال لانه لم يكن سارقا فقال له
يوسف عليه السلام افتح فاك ففتحه فبزق من ريقه في فم ابن سيرين
فالهمه الله تعالى تاويل الرؤيا ببركة ذلك الريق وما شهدنا الا بما علمنا
تيقناه باخراج الصواع من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما كنا للغيب
حافظين ما غاب عنا هل سرق ام دس الصواع في رحله او ما كنا

غائبين بعواقب الامور حين اعطيناك المواثيق انك تصاب به كما اصبت
بيوسف او انه سيسرق واسال القرية التي كنا فيها يريدون مصر فان القرية
مجتمع الناس للتوطن كبيرة كانت او صغيرة والعير التي اقبلنا فيها لتشهد
كل من اهل مصر والعير بذلك وانا لصادقون تذييل بما فيه معنى القسم
قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي ليس الامر كما تقولون بل زينت
لكم انفسكم امرا اردتموه ما فعلتموه والا فمن اين علموا ان السارق يؤخذ
جزاء لسرقته لولا تقولوه فان قلت لم يكن لهم في ذلك تسويل ولا مكيدة
فكيف نسبهم الى ذلك وهم عنه براء قلت بنى على ظنه لما رأى من الامارة
كقوله عليه السلام لما سئل عن الصلوة اقصرت ام نسيت كل ذلك لم
يكن وكان قد نسي لكن لما كان ظنه انه لم يقع شي من النسيان والقصر
كان خبره صادقا فصبر جميل اي امري صبر جميل او صبر جميل اجمل والاول
اوجه عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه المتخلف انه هو
العليم الحكيم الذي وقت حكمته في كل شي وتولى عنهم واعرض عنهم من
شدة الهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفى هذا اوانك اقبل
والاسف شدة الحزن وبين الاسف ويوسف شبه الاشتقاق
وان كان العلم عبرانيا وانما اسف على يوسف وان كان الرزء الاحدث
اشد لان رزء يوسف كان قاعدة للمصائب وفاتحة الاتراح وحبه اليه انه
مع تقادم عهده غض طري ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث
لم يعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا هذه الامة الا ترى يعقوب
لم يسترجع بل قال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه محقت
العبرة سواد عينيه قيل كان اعمى وقيل ضعف بصره وفيه دليل على ان البكاء للمصائب
لا يؤاخذ به وقد صح بكاؤه عليه السلام على ولده ابراهيم وجعفر بن ابي طالب وسئل
عنه فقال هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء
فهو كظيم مكظوم مملو من الغيظ لا يظهره لاحد من كظم السقاء اذا اشتده وقيل
بمعنى مفعول والكظم بفتح الظاء مخرج النفس او بمعنى الفاعل لقوله والكاظمين
الغيظ من كظم الشي اجترعه قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف لا تزال تذكره
فحذف حرف النفي لعدم التباس اذ لو كان على ظاهره فسد المعنى ولوجب
الاتيان باللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي
لديك واوصالي حتى تكون حرضا مصدر حرض بالكسر اشتد مرضه حتى
اشفاه على الهلاك واوهنه الحب قال العرجي اني امرؤ لج بي حب
فاحرضني وفي الحديث يمرض المؤمن حتى يحرضه المرض او تكون من الهالكين

مرة واحدة

مرة واحدة قال انما اشكو بثي وحزني الشديد من البث وهو النشر والتفريق
لان المرض اذا قوي لا يقدر صاحبه على اخفائه وحزني الى الله لا الى غيره فلا
يخرج بذلك من زمرة الصابرين واعلم من الله ما لا تعلمون من فرط رحمته واجابة
المضطر اذا دعاه قيل كان راى ملك الموت في منامه فسأله عن يوسف
هل قبض روحه فقال لا وهو حي فاطلبه وقيل كان علم من رؤيا يوسف انه لابد
وان يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه تعرفوا حالهما
وتطلبوا من التحسس يقال احس بالشي اذا علمه باحدى الحواس ولا تيأسوا
من روح الله من فرجه في الاصل نسيم الريح انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون لان اليأس من رحمته منشاؤه اعتقاد عدم قدرته تعالى على كل شي
او عدم علمه بالاشياء او عدم كرمه وجوده الفياض وقيل كبيرة وليس بكفر لان اليأس
ربما كان لاستبعاد الشي لبعد اسبابه الظاهرة وان كان الايس معتقدا في
الله تعالى كل كمال وقرأ ابن كثير في رواية البزي بالالف ثابتة بعدها ياء مفتوحة
في الكلمتين فلما دخلوا عليه اي لما قال لهم ابوهم ما قال رجعوا رجعة اخرى الى مصر
فلما دخلوا على العزيز قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر سوء الحال من
جهات كثيرة وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة من ازجيت الدابة اذا سقتها
قال تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا وقال الشاعر يزجي اغن كان ابرة روقه
قلم اصاب من الدواة مدادها كانها من الرداءة تدفع من مكان الى آخر
ومن يد الى اخرى قيل كانت دراهم زيوفا وقيل حب الصنوبر والحبة الخضراء
وقيل سويق المقل والاقط فاوف لنا الكيل اتممه وان كان الثمن رديا وتصدق
علينا ارادوا بالصدقة المسامحة والمجاملة سموها صدقة ترقيقا لقلبه
فان الصدقة محرمة على الانبياء والظاهر انهم ارادوا بالصدقة اطلاق اخيهم
الا انهم لم يجترؤا على التصريح به مخافة ان يقول لم نأخذه الا بغيتكم ان الله
يجزي المتصدقين المحسنين الصدقة ماخوذة من الصدق فكل ما تقرب
به الانسان صدقة ومنه قوله عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وتخصيصها
بالعطية لثواب الاخرة عرف طار قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
لما توسلوا الى مطلوبهم باجر الدنيا وما فيه حث على طلب الاخرة اتاهم النصح
في طريق الديانة واستفهامه لم يكن عن نفس ما فعلوه لان الفعل لا وادي مسبوق
بالعلم لا محالة بل انما كان عن قبحه بدليل قوله اذ انتم جاهلون قبح ما فعلتموه حثا
على التوبة عما فرط منهم فان التوبة اولى مقامات السالك شان النفوس
الزكية ترك التشفي والتعرض الى اهم الاشياء وادمج فيه ان هذا الضر اوجب
بالكشف من الضر الذي شكوه وقيل اذ انتم صبيان لا معرفة لكم ورده

قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة مباهين بالقوة الكاملة والحول التام وعلمهم
باخيه التفرقة بينه وبين اخيه يوسف وكانوا يستضعفونه ويخفونه قيل كان
قد كتب اليه يعقوب كتابا من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن
ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدي
فشدت يداه ورجلاه ورمي به الى النار فنجاه الله منها وجعلها عليه بردا
وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن
وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية فاتوا بقميصه ملطخا بدم
وقالوا اكله الذئب وكان له اخ من امه كنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا
وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد
سارقا فاذا وصل اليك كتابي رد علي ابني والا دعوت عليك دعوة تدرك
السابع من ولدك فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك ان خاطبهم بذلك
الخطاب قال ائنك لانت يوسف: سؤال تحقيق وفيه تعجب وتخييل
كانهم من شدة التعجب لبعد حاله عما عاهدوه عليه لم يصدقوا بانه هو مع كونهم
موقنين بذلك ومثله يقع كثيرا ولذلك قال: انا يوسف وهذا اخي:
صرح باسمه واضاف اليه اخاه ولم يكتف ببلى ليكون تعريفا بلا ريب
ولا شبهة وقراءة ابن كثير بحذف الاستفهام صريحة في معرفتهم ومؤيدة لكون
الاستفهام ليس على اصله قد من الله علينا: بالسلامة والاجتماع انه من يتق
الله: ويصبر: عن المعاصي وعلى الطاعات: فان الله لا يضيع اجر المحسنين:
وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان من جمع بين التقوى والصبر داخل في
زمرة المحسنين لا ليدل على ان المحسن من جمع بين التقوى والاحسان اذ لا يلزم
من انتفاء علة معينة انتفاء الحكم قالوا تالله لقد اثرك الله علينا: اختارك
بحسن السيرة والصورة ومحاسن الاخلاق وجعلك ملكا واخرجنا اليك
وان كنا لخاطئين: وان الشان انا كنا آثمين من خطي بالكسر اذا تعمد الذنب
قال لا تثريب عليكم: لا توبيخ من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش ومعناه
ازالة الثرب فاستعير للتقريع الذي يذهب ماء الوجه ثم نفي اليوم متعلق
بالتثريب او بمتعلق الجار والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فكيف
بسائر الايام او بقوله: يغفر الله لكم: والمعنى انكم بعد ما عرفتم قبح ذنوبكم واعترفتم بانكم
كنتم خاطئين فقد غفر الله لكم لقوله واني لغفار لمن تاب ولا ينافيه قولهم يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا لان العلم بوقوعه بخبر الصديق الصادق لا يمنع الطلب على انه
لو استلزم كان من قبيل استغفار الانبياء هضما للنفس فالفرق بين الدعاء و
الاخبار وهو ارحم الراحمين: يغفر الذنوب جميعا ويتفضل بالاعين لت

يوم

يوم فتح مكة اخذ رسول الله بعضادتي الباب وقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم
قالوا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم ومن كرم يوسف وتواضعه انه لما عرف نفسه اخوته وكان يدعوهم
الى الطعام بكرة وعشيا ارسلوا اليه وقالوا نحن نستحيي منك لما فرط منا
فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون عبد ثمنه عشرون
دينارا فلما عرفوا اني اخوكم واني من نسل ابراهيم عظمت في اعينهم اذهبوا
بقميصي هذا: هو القميص الذي كان لابراهيم الذي اخرجه جبرئيل من تعويذه حين
القي في الجب عريانا وكان من حرير الجنة لم يشم مبتلى رائحته الا عوفي
ولهذا قيده بالوصف: فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا: اي يصير بصيرا الاتيان
مجاز عن الصيرورة او يأت الي بصيرا متعاشيا: واتوني باهلكم اجمعين:
النساء والاولاد والموالي فان قلت اذا كان الاتيان مجازا عن الصيرورة
فاين ذكر اتيان الاب وهو المقصود الاعظم قلت علم اتيانه وثوقا بمحبته
مع ان الامر للاخوة بالاتيان به يشعر بنوع اجبار عليه فجعل عنه: ولما فصلت
العير: خرجت من مصر من فصل فصولا لازم لا من الفصل المتعدي قال ابوهم
اني لاجد ريح يوسف: قال لمن حضره من احفاده وسائر اهله لم يتم
رائحته وهو في الجب على مقدار فراسخ وشمها من مسيرة ثمانين فرسخا
حين تعلقت ارادة من لا يسأل عما يفعل لولا ان تفندون: تنسبون
الى الفند وهو الخرف ونقصان الراي لشدة الكبر والهرم ولا يقال عجوز
مفندة لان نقصان الراي في النساء ذاتي وقيل الفند الكذب وكانه سمي
الخرف به لانه لا يخلو عنه وقد جاء في حديث ام معبد في وصفه عليه السلام
لا عابس ولا مفند على اصله قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم: تمكن فيه
لم يخرج عنه ولا يغاير ذلك وهذا هو التفنيد الذي خافه فلما ان جاء البشير: اي
يهوذا فانه الذي اتاه بالقميص ملطخا بالدم فقال كما اخزنته انا ابشره: القاه
على وجهه: لان يوسف امره بذلك فقال القوه على وجه ابي وقيل القاه يعقوب
فارتد بصيرا: فرجع بصيرا يقال رده فارتد: قال الم اقل لكم اني اعلم من الله
ما لا تعلمون: يريد قوله واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل قوله الم اقل لكم آخر الكلام و
المفعول محذوف اي اني لاجد ريح يوسف وقوله واعلم من الله ابتداء كلام:
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين وحق على الانبياء اذا جاءهم تائب
ان يطلبوا له المغفرة قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله و
استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما: قال سوف استغفر لكم ربي: قيل
اخر الاستغفار الى وقت السحر فانه وقت الاجابة وقيل الى ليلة الجمعة رواه الترمذي

ويؤيده لفظ سوف فانه للتراخي في الاستقبال اذ لو كان الى السحر كان استعمال السين وحده
وقيل بل اخره الى ان يطلب من يوسف التجاوز عنهم فان حقوق العباد لا يسقط الا به
وفيه بعد كيف وقد قال لا تثريب: انه هو الغفور: الكثير الغفران: الرحيم: البالغ الرحمة
فلما دخلوا على يوسف: لاخوة يوسف يقال دخلت على السلطان اذا لاقيته
ولو لم يكن في بيت روي انه وجه اليه رواحل واموالا واستقبله هو والملك باهل مصر
وكان اولاده الذين دخلوا مصر معه اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين
خرجوا مع موسى عليه السلام ستمائة الف وخمسمائة وبضعا وسبعين رجلا
سوى الذراري والهرمى آوى اليه ابويه: ضمهما اليه واعتنقهما وعن ابن اسحق ان امه
كانت تحيى وقيل خالته كانت رابته له فكانت ام التربية ولان الخالة بمثابة الام
كما ان العم صنو الاب قيل لما التقيا كان البادي بالسلام يعقوب عليه السلام
فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فقال له يوسف عليه السلام بكيت
وخرجت على حتى ذهب بصرك وقد علمت ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكن
لم اكن اعلم على اي دين انت فكنت اخاف ان يحال بيني وبينك: وقال
ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين: من المكان باسرها ولذلك اطلق و
والمشية قيد للدخول المكيف بالامن الذي هو الغرض الاصلي كقوله تعالى
ادخلوا الباب سجدا ولذلك قيل معناه اسلموا وآمنوا والشرط المتوسط
حذف جزاؤه بل لا يكاد يوجد له ذكر في مثله: ورفع ابويه على العرش وخروا له
سجدا: الخرور مقدم على الرفع وانما قدمه اهتماما وجاز لهم السجود لكونه بمثابة
التحية عندنا وقيل سجدوا لله شكرا فالضمير لله: وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي
من قبل: تقدمت في صدر السورة: قد جعلها ربي حقا: طبق الواقع ولم يجعلها
من الاحلام الباطلة: وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن: لم يذكر الجب لانه
لم يتصل النعمة الا بعد السجن وقيل السجن من الارقاء وان كان عند الله تعالى من
صفوة الانبياء وقيل لم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا يقال احسن اليه وبه: وجاء
بكم من البدو: اي البادية كانوا اصحاب المواشي ينتجعون المراعي ويردون
المياه: من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي: بالقاء العداوة من
نزغ الدابة اذا نخسها شبهه به اضلال الشيطان: ان ربي لطيف لما يشاء
يوجده بالرفق بحيث يدق على الافكار: انه هو العليم: الكامل العلم باحوال
الاشياء ومصالح العباد: الحكيم الذي يوجد الاشياء على وفق ما اقتضته
الحكمة في كل عصر دليل على كونه لطيفا روي انه طاف بابيه في الخزائن فلما دخل
خزانة الاوراق فقال يا بني ما اعقك عندك هذا الورق ولم تكتب الي
الشيخ قال كذا امرني جبريل قال يعقوب اوما تساله لماذا قال انت ابسط

اليه مني

اليه مني فقال يا جبريل لماذا قال كذا امرني ربي لقولك اني اخاف
ان ياكله الذئب فهلا خفتني: رب قد آتيتني من الملك: بعضه وهو
ملك مصر: وعلمتني من تاويل الاحاديث: بعض تاويلها اذ لم يؤت
الا البعض من الكل او هو تاويل الرؤيا: فاطر السموات والارض:
نصب على الصفة كقولك يا اخا زيد حسن الوجه او هو نداء ثان
والفطور لغة الشق وعن ابن عباس رضي الله عنه ما كنت اعلم معناه حتى
تحاكم الي اعرابيان يتنازعان في بئر فقال احدهما انا فطرتها: انت
وليي في الدنيا والآخرة: تتولاني فيهما لا شريك لك في شيء وهذا غاية
التوحيد: توفني مسلما والحقني بالصالحين: في الرتبة والدرجة وليس
فيه ما يدل على انه تمنى الموت لان الامر لا يدل على الفور بل ان يكون
موته على الاسلام ملحقا بابائه الصالحين وسائر الرسل الكرام كما ان واحدا
منا اذا قال اللهم توفني مسلما يريد ذلك ولا يخطر التمني بباله روي ان يعقوب
عليه السلام اقام مع يوسف عليه السلام اربعا وعشرين سنة ثم توفاه
الله تعالى واوصى ان يدفن في الارض المقدسة عند ابويه ابراهيم واسحق
فذهب بجنازته الى هناك ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش ثلثا وعشرين
سنة ثم توفاه الله تعالى طيبا طاهرا فاختصم اهل مصر في مدفنه كل طائفة
تريد ان يكون بقربهم لينالوا بركته ثم اتفقوا على ان يجعلوه في تابوت
من مرمر ويجعلوه في النيل ليمر عليه الماء ويكونوا في ذلك سواء لا غرابة
لاحد على الآخر وكان هناك الى ان خرج موسى ببني اسرائيل فاخرجه
الى الارض المقدسة ودفنه عند آبائه الرسل الكرام عليهم من الله تعالى
افضل الصلوات واكمل السلام: ذلك: حديث يوسف عليه السلام
كما قص عليك مبتدا: من انباء الغيب نوحيه اليك: خبران له: وما كنت
لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون: غاية التهكم بمنكريه لان طريق العلم فيما يتعلق
بالنقل اما السماع او المشاهدة والسماع لا يقولون به لانهم لا يؤمنون
بكتاب فلم يبق الا العيان ولا يظن به الا عاقل: وما اكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين: لما قص عليهم ما سالوه على احسن وجه وابدع نظام واعجبهم ولم
يؤمنوا به اشار تعالى الى ان اظهار الايات والحرص على الايمان منهم لا ينفع
اكثر الناس: وما تسالهم عليه من اجر: على التبليغ حتى يكونوا بذلك
متحرجين: ان هو الا ذكر للعالمين: موعظة لكافة الخلق من غير تخصيص بطائفة
فلا يتصور اخذ الاجر عليه: وكاين من آية: اي كثير منها: في السموات والارض
يمرون عليها: على تلك الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال صنعته وهم

وهم عنها معرضون: لا يتدبرون في شيء منها فاذا لم يتفكروا فيما قصصت عليهم من انباء الغيب ولم يؤمنوا فلا تحزن: وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ابلغ في الذم من الاعراض لان المعرض جهله بسيط وهولاء اداهم النظر الفاسد الى الاشراك بعد التامل في الآيات الدالة على التوحيد والقول بان الآية في المنافقين يرده كون السورة مكية: افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اي مؤمن اكثرهم بالله مع الاشراك فيامنون مع ذلك ان يحيط بهم نوع من العذاب: او تاتيهم الساعة بغتة: فجاة: وهم لا يشعرون: بذلك الاتيان فما حالهم بعد ذلك وما اعتذارهم: قل هذه سبيلي: اي الانبا عن الغيب بالوحي والتوحيد: ادعوا الى الله استيناف لبيان السبيل او حال من الياء: على بصيرة: حال من فاعل ادعوا اي مستيقنا او متعلق به اي مع برهان واضح: انا: توكيد للمستتر في الجار والمجرور ان جعل حالا والا فمن المستتر في ادعو: ومن اتبعني: عطف على المستتر على الوجهين: وسبحان الله: عما لا يليق به: وما انا من المشركين: به تعريض بالخصم: وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم: كما اوحي اليك رد لقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقيل نفي لاستنباء النساء روي عن ابن عباس رضي الله عنه والله اعلم بصحته قرا حفص بالنون هنا وفي النحل وفي الانبياء الباقون بالياء على الالتفات والنون ابلغ نصا على الموحي تصديقا له: من اهل القرى: سكان المدن لانهم الين عريكة واحسن خلاقا وفي الحديث الغلظ والقسوة في الفدادين اهل الوبر: افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم: استفهام تقرير قد ساروا وشاهدوا ما حل بالامم المكذبة فكان ذلك عبرة لهم لو اعتبروا: ولدار الاخرة خير للذين اتقوا: اي دار الحيوة الاخرة او النشاة الاخرة خير من الحطام الفاني: افلا يعقلون: افلا يستعملون عقولهم ليعقلوا وقرا نافع وابن عامر وعاصم خطابا بتقدير القول: حتى اذا استيئس الرسل: والمغيا محذوف دل عليه الكلام اي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا جاهدوا في سبيلي وتراخى عليهم النصر وقرا البزي بالف رابعة بعدها ياء مفتوحة: وظنوا انهم قد كذبوا: بتخفيف الذال قراءة الكوفيين والمعنى ظن الرسل ان انفسهم كذبتهم في تقدير النصر ولم يكن لهم وعد بالنصر في تلك الواقعة من الله تعالى او ظن ان من اطاعهم علانية كذبوهم سرا او الظن مجاز عن الهواجس التي تذهب به نور الايمان وهذا تاويل قول ابن عباس رضي الله عنه على ما رواه عنه البخاري وانكار عائشة رضي الله عنها عليه بناء على ان الظن على ظاهره وعن ابن جبير ان الظان هم المرسل اليهم لدلالة ذكر الرسل عليهم والمعنى ان الرسل

ليهم ظنوا ان الرسل قد اخلفوا الوعد من جهة الرسل: جاءهم نصرنا فنجي من نشاء: اي النبي والمؤمنين قرا ابن عامر وعاصم باسقاط النون الثانية وفتح الياء ماضيا على بناء المفعول من نجاه والباقون باثبات النون وسكون الياء صيغة التكلم مضارع انجى وهو المختار للسياق والسباق ولكونه ابلغ: ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين: غير الاسلوب ليدل وصف الاجرام على استحقاق حلول العذاب: لقد كان في قصصهم: اي الامم المكذبة او يوسف عليه السلام واخوته: عبرة لاولي الالباب: العقول السالمة عن شوب الوهم والف الحس والركون الى العادات: ما كان حديثا يفترى: اي القران: ولكن تصديق الذي بين يديه: من الكتب والشرائع: وتفصيل كل شيء: يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يرجع اليه سائر الادلة الشرعية فلا يستند الاحكام الا اليه اما ابتداء او توسطا: وهدى من الضلال ورحمة: لكونه سببا للنجاة في الدارين واطلاق المصادر مبالغة: لقوم يؤمنون به لانهم المنتفعون باحكامه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الرسل

سورة الرعد عن قتادة مدنية وعن عطا مكية وانها خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر: اسم للسورة او طائفة من الحروف للايقاظ: تلك آيات الكتاب: اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب والمعنى اي هذه السورة آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها فتلك مبتدا ويجوز ان يكون خبر المر وآيات الكتاب بدلا عنه او بيانا: والذي انزل اليك من ربك: مبتدا: الحق: خبره اي القران كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا السورة وحدها اجمال بعد التفصيل اشارة الى كمال الكل بما لا يحيط به الوصف لئلا يتوهم خصوص السورة او الموصول في محل الجر عطفا على الكتاب عطف العام على الخاص وان اريد بالكتاب القران كله فمن عطف الصفة كالحارث فالآيب والسنة والقياس منزل بوسط فلا يرد الحصر المستفاد من تعريف الخبر: ولكن اكثر الناس لا يؤمنون: بكونه كلام الله المنزل لاخلالهم بالنظر او لجحودهم استكبارا: الله الذي رفع السموات: مبتدا وخبر بدليل قوله وهو الذي مد الارض لانه سبق لتقابل السفليات العلويات فيتوافقان اسلوبا والجملة مقررة لقوله والذي انزل اليك من ربك الحق كانه قيل كيف لا يكون كلام من هذه افعاله هو الحق وانما عدل عن لفظ الرب الى الاسم الجامع تقوية لذلك التقرير ويجوز ان يكون صفة والخبر يدبر الامر: بغير عمد: في محل النصب على الحال جمع عماد كاهاب واهب او جمع عمود: ترونها: صفة عمدا او استيناف استشهاد برؤيتها

كذلك والمرئى وان كان سماء الدنيا الا انه يعلم منه تشابههما بالطريق الاولى
ثم استوى على العرش كناية عن اجراء الاحكام فى الملك والملكوت فان
الملك يجلس على سريره ثم يظهر اوامره وسخر الشمس والقمر لما اراد منهما من
الحركة المستمرة وفى ذكرهما اشارة الى معنى الاستواء كل يجرى لاجل مسمى
لوقت معين وهو انتهى فيه دور كل منهما او الامد الذى ضرب لكل منهما اذا السماء
انفطرت واذا الكواكب انتثرت يدبر الامر يفصل الآيات حالان من الضمير
فى قوله ثم استوى على العرش على الوجه الاول لان قوله وسخر الشمس والقمر
من تتمته وخبران على الثانى والاول اوجه لان قوله رفع السموات هو الحكم الذى
جعل دليلا على ما قبله وعلى الثانى يصير ذريعة لتحقيق الخبر وانما لم يعطف احدهما
على الآخر لاستقلال كل منهما بشأن الاول عبارة عن افعاله كالاماتة و
والاحياء بعد الممات والايجاد والاعدام والثانى عن اقواله كالايحاء وانزال
الكتب لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكى توقنوا بالاحياء بعد الممات لان
هذه الاشياء ادلة قاطعة على ان موجدها له كمال القدرة على كل شئ وهو
الذى مد الارض دحاها وبسطها طولا وعرضا ليتكامل فيها المنافع قدم
العلويات لان الكلام فى الدلالة على كمال القدرة وهى ادل وجعل فيها
رواسى جبالا شوامخ من رسا القدم اذا ثبت وانهارا مياها
جارية ومن كل الثمرات متعلق بجعل وقوله جعل فيها زوجين اثنين
مستأنف للبيان او متعلق بالثانى اى جعل فيها زوجين اثنين من كل
الثمرات اسود وابيض حلوا وحامضا او فى بدء الفطرة خلقت زوجين
زوجين ثم تكاثرت وفائدة الوصف بالاثنين لئلا يتوهم متعارف
الحساب يغشى الليل النهار يجعل الليل مكان النهار بعد ذهابه وانما عبر عنه
بالغشيان مبالغة فى الاستتار وعدم بقاء آثاره كالشئ الملفوف فى
لباس ساتر وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائى يغشى بشدّ ذا وهو ابلغ ان
فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون اى فى المذكور من قوله مد الارض الى آخر الآية
او فى كل واحد من المذكورات آيات دالة على كمال القدرة والحكمة باعتبار
الكم والكيفيات لمن تدبرها بعين الاعتبار وفى الارض قطع متجاورات
متلاصقة بعضها طيبة يخرج نباتها وبعضها خبيثة لا يخرج نباتا ولا تمسك ماء
مع الاشتراك فى الماهية واتحاد النوع فذلك الاختلاف مستند
الى ارادة الصانع الحكيم وجنات من اعناب وزرع ونخيل اى وفى تلك
القطع المتجاورة بساتين وزرع ونخيل وقرأ نافع وابن عامر وشعبة وحمزة
والكسائى بجرهما عطفا على اعناب وهو المختار لقرب المعطوف عليه ولدلالته

على اشتمال الجنات على هذه الانواع كما فى قوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
وحففناهما بنخل وقرأ الجعفى عن شعبة واللؤلؤى عن ابى عمرو وجنات بالجر
عطفا على زوجين والمعنى جعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات وجنات
من اعناب وعلى هذا يجوز عطف زرع ونخيل عليها صنوان نخلات
يخرج من اصل واحد وفى الحديث عم الرجل صنو ابيه والمثنى والجمع مشتركان
صيغة والفرق بالتنوين وعدمه وغير صنوان متفرقات والخلاف فيهما قراءة
واعرابا كزرع ونخيل يسقى بماء واحد دفع لما يتوهم من ان اختلاف الادواق
مستند الى الماء الذى هو منشأ حياة كل حى قرأه بالتذكير ابن عامر وعاصم
اى المذكور والباقون بالتأنيث وهو المختار اذ لا نكتة فى العدول عن الظاهر
والقول ونفضل بعضها على بعض قرأه بالغيبة حمزة والكسائى مسندا الى ضمير
اسم الله والنون وهو المختار لكونه ابلغ فى الاكل بسكون الكاف وضمه
الكوفيون وابو عمرو وابن عامر وهو المأكول وفى حديث عائشة رضى الله عنها
تصف عمر بن الخطاب فتح الارض فقاءت اكلها وتفسيره بالثمر لا يستقيم
فى الزرع الا تغليبا وانما خص الاكل بالذكر دون الشكل واللون والرائحة
لانه العمدة فى المنافع ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون جعل الفاصلة
يعقلون وفى السابقة يتفكرون لان بدء خلق الارض وارساء
الجبال فيها واجراء الانهار منها وتكوير الليل على النهار مما يحتاج الى تأمل
وافر بخلاف رؤية البساتين وادراك اختلاف انواعها شكلا
وطعما وان تعجب يا محمد من انكارهم الاعادة فعجب قولهم محل
تعجب وحقيق ان يتعجب منه لان من قدر على انشاء هذه الاصول
والفروع ولم يعى بخلقهن فبالحرى ان يقدر على الاعادة بل هو اهون واليسير
باوائل العقول او المعنى يا من ينظر فى هذه الآيات ولم يتعجب من قدرة
موجدها فازدد تعجبا من منكر الاعادة مع اعترافه بايجادها من العدم أئذا
كنا ترابا ائنا لفى خلق جديد مقول قولهم او بدل منهم والعامل فى اذا محذوف
دل عليه ائنا لفى خلق جديد قرأ ابن عامر الاول بالاخبار ونافع والكسائى
الثانى والباقون بالاستفهام فيهما وهو الاصل السالم عن المعارض اولئك
الذين كفروا بربهم الكاملون فى الكفر الموصول لتعريف الجنس او العهد كما فى
اولئك هم المفلحون واولئك الاغلال فى اعناقهم كناية عن اصرارهم فان
من كان مقيدا بالاغلال لا يبرح عن مكانه وقد تم به من قال لهم امن الرشد تمكن
وانقياد او هو من جملة الوعيد وهذا اظهر لانه جار على الحقيقة ولكونه تأسيسا
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الحصر لاخراج لاهل الكبائر ويستعجلونك

بالسيئة: بالنقمة والعذاب في الدنيا. قبل الحسنة: الايمان متعلق بيستعجلونك
او حال من السيئة هو قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة. وقد خلت من قبلهم المثلات: العقوبات النازلة بمكذبي
الرسل وكان الواجب عليهم الاسراع الى الايمان برسولهم مخافة ان يصيبهم
مثل ما اصاب اولئك والمثلة العقوبات لانها مثل المعاقب عليه
ومنه سمي القصاص مثالا. وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم: دعاهم
الى الايمان بعد ما بين تكاملهم ورسوخ قدمهم في الكفر وانه يغفر ذنوبهم لو
آمنوا مع ظلمهم. وان ربك لشديد العقاب: لمن اصر على الكفر او من شاء.
وفي الحديث لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده
وعقابه لاتكل كل احد. ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه: لم يعتدوا
بما اوتي به من الايات واقترحوا عليه ما حكاه الله تعالى وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا. انما انت منذر: مبلغ فلا عليك بعد الانذار
ولكل قوم هاد: يقدر على هدايتهم ان شاء، وهو الله تعالى لا غير او لكل قوم نبي
داع الى الله تعالى مثلك ولا عليه بعد الدعوة عتاب او انما انت نذير وهاد لكل
قوم لا كسائر الانبياء، ردا لقولهم لولا انزل اليه آية على ابلغ وجه واثباتا
لرسالته على الكافة لانه بعثت للاحمر والاسود ووقف ابن كثير على هادي
بالياء، والباقون بحذفها وعليه الرسم. الله يعلم ما تحمل كل انثى حملها او ما
تحمله واحدا كان او متعددا ذكرا او انثى. وما تغيض: ما تنقصه الارحام
من المدة. وما تزداد: منها واقصى مدة الحمل عند ابي حنيفة رحمه الله سنتان
واربع عند الشافعي وخمس عند مالك وقد روي ان الضحاك ولد لسنتين
وهرم بن حيان لاربع او من عدد الحمل فقيل نهاية ما عرف اربعة واليه
ذهب ابو حنيفة وعن الشافعي ان شيخا باليمن اخبره ان امرأته ولدت
بطونا خمسة خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض
جاء متعديا ولازما وكذلك ازداد اردف عدم اجابتهم الى ما اقترحوه
كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره للدلالة على ان ذلك لتعلمه بانهم
معاندون وانما يجاب المسترشد الطالب للحق. وكل شيء عنده بمقدار:
بقدر وحد لا يتجاوزه لقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر. عالم الغيب و
والشهادة: الغائب عن الحس والحاضر تعميم بعد التخصيص. الكبير البالغ
كبرياؤه وشانه. المتعال: عن كل ما لا يليق بجلال جبروته. سواء منكم
من اسر القول: في نفسه. ومن جهر به: اسمعه غيره. ومن هو مستخف

بالليل

بالليل: مختف غاية الاختفاء. وسارب بالنهار: ظاهر غاية الظهور
من السرب وهو الطريق وفي حديث ابن عمر اذا مات المؤمن يخلى
له سربه حيث يشاء، فان قلت الاستواء يقتضي التعدد فكان حق
العبارة ومن هو سارب بالنهار كما في قوله ومن جهر به قلت هو معطوف
على من هو مستخف كانه قيل سواء منكم انسان مستخف وآخر سارب
وانما لم يات عن الموصوفة كما في المعطوف عليه اشارة الى كمال غاية الخفاء
والاستتار وذلك هو النكتة في زيادة هو ولذلك ايضا قدم السر حالا
في صريح القول واخفى في الجهر بالضمير مؤخرا او معطوف على مستخف
لكن من الموصوفة وان كانت مفردا متعدد معنى كانه قيل سواء منكم
اثنان هما مستخف وسارب كقول الفرزدق يكن مثل يا ذئب
يصطحبان. له معقبات: جمع معقب والتاء للمبالغة او معقبة
يعني جماعة واصل عقب فلانا جاء على اثره ومن تسميته عليه السلام العاقب
لانه جاء بعد الانبياء، فالتشديد للمبالغة وقيل من الاعتقاب ادغمت
التاء في القاف لنظيره وجاء المعذرون والاعتقاب التناوب
وفي حديث ابي هريرة كان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل
اثلاثا. من بين يديه ومن خلفه: اي من جهاته كلها وانما خص الجهتين
بالذكر لان العدو اكثر ما يقصد منهما. يحفظونه من امر الله: صفة معقبات
والمعنى يحفظونه من اجل امر الله او يراقبون احواله وقيل يحفظونه من بأس الله
ونقمته بالاستغفار لقوله ويستغفرون لمن في الارض وما بعد قول من
فسر المعقبات بالجلاوزة والحرس حول السلطان يحفظونه من امر الله
ان الله لا يغير ما بقوم: من النعمة. حتى يغيروا ما بانفسهم: من شكرها
بالكفران. واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له: فلا امكان لرده واذا انتفى
امكان الرد ينتفي قطعا. وما لهم من دونه من وال: من ناصر ومن يلي
امرهم وقد وقف ابن كثير على وال وقد ذكر وجهه في هاد واشار الى ان
الحافظ عنايته والمعقبات آثار سلطنته على داب ما يتعارفه الناس
والا فعلمه اشمل وحفظه اقوى واكمل. هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا
ارادة خوف وطمع مفعول له بتقدير المضاف والمعنى ان عند لمعان
البرق يخاف من الصاعقة ويطمع في الرحمة وقيل الخوف والطمع بمعنى
الاخافة والاطماع او نصبا على الحال من البرق او المخاطبين بتقدير ذوي او اطلاق
المصدر بمعنى المفعول او الفاعل. وينشئ السحاب الثقال: جمع ثقيلة
وصف للسحاب بالجمع لانه اسم الجمع والواحد سحابة. ويسبح الرعد بحمده

اي سامعوه لان الرعد صوت اصطكاك اجرام السحاب او لما هو في الحديث
ان الرعد ملك موكل بالسحاب والبرق من لمعان مخاريق من نار بيده يسوق
بها السحاب فاعتبار صوته الهائل من الايات الباهرة الدالة على كمال قدرته
وعظم مخلوقاته وعن الحسن هو خلق من مخلوق الله تعالى ليس بملك * والملائكة
من خيفته * لكمال علمهم بعظيم سلطانه وعلو شانه ولكل من كان اعلم بالله تعالى
كان اتقى واخشى وقيل الضمير راجع الى الرعد * ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء * فيهلكه او يوقع فيه نقصا بحرق شيء منه * وهم يجادلون في الله
في شانه من كمال العلم والقدرة على الاعادة حتى اوردوا ذلك في معرض
التعجب ممن يحيي العظام وهي رميم والجدال شدة الخصومة من الجدل وهو
الفتل والجملة معطوفة على قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل والمعطوف
على ويستعجلونك والعدول من الفعلية الى الاسمية للدلالة على انهم ازدادوا
بعد تلك الايات التي تبهر الالباب الا عنادا ويجوز ان يكون عطفا
على قوله وهو الذي يريكم البرق على معنى هو الذي يريكم هذه الايات الدالة على
كمال العلم والقدرة وانتم تجادلون والتفت الى الغيبة تبعيدا لهم عن
شرف الخطاب وايذانا بانهم من الانسانية بمعزل والوجه الاول املاء فائدة
وقيل الواو للحال وذلك ان اربد اخا لبيد وفد مع عامر بن الطفيل على
رسول الله قاصدين قتله فاخذ اربد يجادله ويقول اخبرني عن ربنا
امن نحاس ام من حديد ودار ابن خلفه وقبض على سيفه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما بما شئت فاصابته الصاعقة فاحرقته مكانه
وخرج عامر فنزل في بيت سلولية فاصابه طاعون فذهب خلف صاحبه
الى جهنم وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية لان سلول
اذل قبائل العرب * وهو شديد المحال * قوي المكايدة والمكر لا يدافع ومنه
الحديث ان ابراهيم قال كذبت ثلث كذبات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كذب كذبة الا وهو يماحل بها عن الاسلام يمدحه بذلك والمحل قحط المطر
ويجوز ان يكون من حال بين الشيئين اذا دفع احدهما عن الآخر ومن حال
يحول اذا قدر وقوي على الخصم كما في الحديث اللهم بك اصول وبك احول والحيلة
على غير القياس ويجوز ان يكون بمعنى الفقار مستعارا للقوة كقوله عليه السلام
ساعد الله اشد وموساه احد ردا على المشركين في قطع اذن البحيرة *
له دعوة الحق * جملة مستانفة والحق ان كان ضد الباطل فالمعنى ان الله هو الحقيق
بان يدعى ويعبد لانه الذي يسمع ويجيب فدعاء غيره دعاء الباطل وان كان
من اسمائه تعالى فاصل الكلام له دعوته فيدل على اختصاص الدعاء به وانما وضع الحق

موضع

موضع الضمير للدلالة على انه الثابت وما عداه انما يستفيد ثبوتا بالعرض ثم ان كان
الاية في اربد وعامر فالجملتان دلتا على ان هلاكهما من حيث لم يشعرا به محال
من الله واجابة لدعوة رسوله وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله
بحلول محاله بهم * والذين يدعون من دونه * اي الاصنام الذين يدعوهم الكفار ويعبدونهم
والمفعول محذوف * لا يستجيبون لهم بشيء * من دفع ضر او جلب نفع لانها جمادات
الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه * شبه الداعون للاصنام بمن بسط
كفيه ناشرا اصابعه يريد اغتراف الماء في انهما لا يحصلان على طائل لان الماء يتحصل
اليه بالقبض لا بالبسط فالاستثناء من اعم الاحوال ووجه الشبه عقلي اعتباري
او شبه حال الهتهم حين التجائهم اليها في دفع ما اهمهم في عدم الشعور فضلا
عن الاستطاعة للاستجابة بما يرى من عطشان احوج ما هو اليه يناديه عبارة
واشارة والمنادي لا ادراك له ولا حراك وعلى الوجهين فيه شائبة تهكم
وما دعاء الكافرين الا في ضلال * في ضياع لا يجلب نفعا سواء دعوا
الاصنام او الله تعالى او الملائكة تعميم وتأييس لهم من جميع الجهات
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها * ينقادون لما اراده طائعا
او كارها واصل السجود الانحناء والانخفاض قال وقلن له اسجد لليلى فا
فاسجدا اي طاطي يعني البعير وفي الحديث كان كسرى يسجد للطالع
قال الازهري معناه كان يخفض راسه وتخصيصه بوضع الجبهة عرف طار
وقيل المراد وضع الجبهة والكافر يسجد حال الضرورة * وظلالهم * ايضا يسجد
له وينصرف على مشيته امتدادا وتقلصا وفيئا وزوالا * بالغدو * جمع غدوة
والرواح من اول النهار الى وقت الزوال بالغدو والآصال * جمع الاصيل
من العصر الى الغروب والمراد بهما الدوام وانما خص الوقتين لظهور الامتداد
والتقلص فيهما * قل من رب السموات والارض * بعد اقامة الدلائل
القاطعة على تفرده بامر الملك والملكوت امره بان يسالهم عن ذلك
ليلزمهم باعترافهم بذلك وانهم لا يجدون سبيلا الى العدول عنه * قل الله
حكاية لقولهم كانه قيل قل لهم اجابوك به من قولهم الله اذ قلت لهم من
رب السموات او تلقين لهم كانه قيل لقنهم الجواب فانهم يذعنون لك
ثم الزمهم بعد ذلك * قل افاتخذتم من دونه اولياء * شروع في الالزام
والهمزة داخلة على الفاء العاطفة اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض
جعلتم مكانه اربابا تعبدونها وكان مقتضى ذلك العلم التوحيد فكيف عميتم
بضلالكم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فضلا عن احداث ذلك
في الغير * قل هل يستوي الاعمى والبصير * اي المشرك والموحد او الجاهل والعالم

ام هل يستوي الظلمات والنور: اي الكفر والايمان وانما جمع الظلمات
لاشتمال الكفر على الشبهات والشكوك والجهل ونحو البدع والاستفهام
للانكار اي لا استواء وفائدته الحث على التامل وان لا يرضى التابع
بدخوله في زمرة العمي المستغرقين في الظلمات: ام جعلوا لله شركاء
اي بل اجعلوا لله شركاء: خلقوا كخلقه: صفة لشركاء: فتشابه الخلق
عليهم: خلق الله وخلق الشركاء فيقولون لهم في ذلك شبهة يحتاج الى
ازالتها ولما لم يكن لهم في ذلك شبهة فضلا عن حجة كان الحكاية عنهم ادخل
في الذم وفيه تهكم فانهم جعلوا ما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا كمن بيده الامر
كله فنفى الاشتباه نافيا ناعيا عليهم: قل الله خالق كل شيء: موجده وهو
الواحد: في الالوهية: القهار: الكامل القهر والغلبة على الخلايق كلهم فهو
المستحق للعبادة لا غير: انزل من السماء ماء: من السحاب لان ما علاك
فهو سماء او من حقيقة الفلك لانه المبدا الاول: فسالت اودية
جمع واد وهو مسيل الماء: بقدرها: بمقدارها من الصغر والكبر او بالمقدار
الذي علمه الله انه نافع لكل ناحية وتنكير الاودية لان المطر يقع بحسب
العادة بعض بقاع الارض دون بعض: فاحتمل السيل زبدا: غثاء
رابيا: عاليا على وجه الماء: ومما توقدون عليه في النار: من المعادن
ابتغاء حلية: يتخذون به صوغ الحلي: او متاع: من انواع الاواني والالات
الحرب والحرث: زبد مثله: مثل الذي على وجه الماء وقرا حمزة والكسائي
وحفص يوقدون بالياء وهو المختار لان الغرض ارشادهم لا المؤمنين
كذلك يضرب الله الحق والباطل: يمثلهما ويبرزهما في صورة المحسوس
ازاحة للشبهة مثل الحق واهله بالماء المنزل من السماء التي تسيل في اودية
وانتفع الناس به انواع الانتفاع من صوغ الحلي واتخاذ الالات
والادوات التي تبقى مددا متطاولة والباطل في سرعة زواله واضمحلاله
من المنفعة بالزبد الذي يرمي به الماء او الفلز فينعدم في الحال ويمحي
اثره فاما الزبد فيذهب جفاء: مجفوا مصدر جفا اي رمى يرمي به
السيل والفلز نصب على الحال اصله الجفة وفي حديث البراء يوم حنين
انطلق جفاء من الناس الى هذا الحي من هوازن يريد سرعانهم واما ما ينفع
الناس: من الماء في المنابع والابار والحبوب وما ينشا منها من الثمار
الحبوب المدخرة والمعادن: فيمكث في الارض: ازمنة متطاولة وقيل شبه القران
المنزل بالماء والقلوب بالاودية ووساوس الشيطان وهواجس النفس بالزبد
الذي يعلو الماء والحق الذي يستفيد من القران ويستنبط منه بالجواهر والذهب

الخالص

الخالص من الخبث والباطل الذي يتولد من تلك الوساوس بالجفاء وكما
ان الاودية تتفاوت في الصغر والكبر كذلك القلوب في اخذ المعارف
وادراك لطائف التنزيل بحسب الفطرة والاستعداد وقد الم بذلك
المتنبي في قوله ولكن تاخذ الاذهان منها على قدر القرائح والفهوم وكما ان
الماء اذا كان كثيرا قوي الجري تقذف الزبد الى الجوانب ويصفو كذلك
القران اذا استنار القلوب بحفظه وتامل دقايقه دفع الوساوس وهواجس
النفس وكذلك نسبة القلوب الى الجواهر والمعادن والفلزات بعضها
كالذهب وبعضها كالنحاس وبعضها كالحديد: كذلك يضرب الله الامثال
للناس الذين استجابوا: للمؤمنين الذين استجابوا: لربهم الحسنى: الاستجابة
الحسنى: والذين لم يستجيبوا له: عطف على المجرور اي الكفرة الذين لم
يستجيبوا له والمعنى انما ضرب المثل لهؤلاء الطائفتين وقيل الذين استجابوا
خبر الحسنى وهو المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا له مبتدا خبره: لو ان لهم ما في
الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به: فيتم الكلام عند قوله كذلك وهذا الوجه
احسن لانه يعم: اولئك لهم سوء الحساب: في مقابلة الحسنى وفيه زيادة
تحسير لهم او ترك الاجمال في جزاء المستجيبين ايماء الى انه لا يدخل تحت
الوصف بل يقصر العبارة عن الاحاطة به وسوء الحساب هو المناقشة
فيه وفي الحديث من نوقش في الحساب هلك: وماويهم جهنم: اي مرجعهم من اوى
الى كذا رجع: وبئس المهاد: المقام والمستقر والمخصوص محذوف: افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى: اي بعدما ضرب المثل المذكور في ان
حال من علم ما انزل اليك هو الحق واستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم
يستبصر كما ان حال الزبد وخبث الذهب بمعزل من مشابهة الماء والابريز
يمكن خلجان الشبهة: انما يتذكر اولو الالباب: المراجيح الذين لهم عقول خالصة
ينظرون بها نظر الاستبصار: الذين يوفون بعهد الله: الذي عاهدتم عليه حين قال لهم
الست بربكم قالوا بلى او في كتبه المنزلة من الاحكام والحدود: ولا ينقضون الميثاق
سواء كان مع الله تعالى او مع احد من خلقه: والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
من الارحام وساير الحقوق ومنها الاحسان الى كافة المؤمنين للاخوة الثابتة
بالايمان انما المؤمنون اخوة وفي الحديث لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب
لنفسه وفيه ان من الصدقة ان تلقى اخاك المؤمن بوجه طلق: ويخشون ربهم ويخافون
سوء الحساب: خصه بالذكر لانه لا مقام للعبد مع الله تعالى اشد منه وان شئت
تامل وقوفك بين يدي ذلك السلطان العظيم الشان وقد اخرج لك من عنقك
كتابا تلقاه منشورا وقال لك اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا

وغيرها من القبائح ما لو اطلع عليه ادنى الخلق عندك لاستغرقت في الخجل والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم حبسوا انفسهم على المكاره في المواطن كلها طلبا لمرضاة الله تعالى لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل ولا لان لا يعاب بالجزع او يشمت به الاعداء والعطف فيه وفي الذي قبله من عطف الصفات واقاموا الصلوة اي ادوها على وجه الكمال وانفقوا مما رزقناهم بعضه سرا في التطوع وعلانية في الواجب ايثارا للافضل وقيل سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ليقتدى به ولئلا يتهم بالبخل ويدرءون بالحسنة السيئة يدفعون بها قال ان العداوة تستحيل مودة بتدارك الهفوات بالحسنات وفي الحديث اتبع الحسنة السيئة تمحها وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا والاوجه الاطلاق اولئك لهم عقبى الدار خبر الذين يوفون او صفة اولي الالباب والاول اوجه والمعنى عاقبة الدار وما ينبغي ان يكون مآل اهلها والدار هي الدنيا جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن مصدر عدن اذا اقام وسميت جنات عدن لانها دار الاقامة لا ارتحال عنها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على فاعل يدخلونها وساغ للفصل بالمفعول او نصب لان الواو بمعنى مع والانساب اذا تجردت عن العمل الصالح لا تفيد واذا قارنها ادنى عمل صالح نفعت ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طالب لما حضرته الوفاة قل لي كلمة طيبة احاج لها بك عند الله تعالى وبه يحصل التوفيق بين قوله من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه وبين قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب منازلهم للبشارة فوجا فوجا لزيادة الاكرام وتكميل السرور او من كل باب من ابواب التحف التي لا عين رأت ولا اذن سمعت سلام عليكم اي قائلين بهذا القول تهنئة بالسلامة الدائمة بما صبرتم اي هذا بما صبرتم واحتملتم من المشاق او متعلق بعليكم لانه ظرف مستقر فيتعلق بسلام معنى او بسلام والفصل بالجار والمجرور مغتفر كما في قوله عار عليك اذا فعلت عظيم فنعم عقبى الدار من كلام الملائكة ويحتمل ان يكون ابتداء كلام منه تعالى للترغيب والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه هؤلاء مقابلوا اولئك المتصفون باضداد ما وصفوا به ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من صلة الارحام وسائر الحقوق ويفسدون في الارض بالقتال والفتن والهرج اولئك لهم اللعنة الطرد والحرمان واستعماله باللام لتضمين معنى الاستحقاق ولهم سوء الدار سوء عاقبة الدار لانه في مقابلة عقبى الدار او عذاب جهنم الله يبسط الرزق لمن

يشاء ويقدر لا غير بان لموجب اشرهم كانوا في ضيق من العيش فيسر لهم رحلة الشتاء وآمنهم من خوف فكان اللائق بحالهم استدامة ذلك بالشكر وفرحوا بالحيوة الدنيا فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله ورحمته وما الحياة الدنيا في الآخرة في جنبه وبالقياس الى نعيمها الا متاع شيء نزر يتمتع به سريع الزوال كرائحة الورد والرياحين ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه بعد ما شاهدوا خوارق كانشقاق القمر والقرآن المعجز الباهر قل ان الله يضل من يشاء اي قل لهم لا قصور في الآيات التي جئت بها ولكن الاضلال من الله تعالى فاذا شاء اضلال احد لا سبيل الى هدايته وانتم من ذلك القبيل ويهدي اليه من اناب اي رجع عن العناد وعلم ان مدعي النبوة لا بد له من امر معجز للبشر عن الاتيان بمثله اي نوع كان لتشارك الآيات كلها في معنى الاعجاز الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدأ محذوف او الكلام قد تم عند قوله من اناب ثم ابتدأ بقوله الذين آمنوا في مقابلة ويقول الذين كفروا وتطمئن قلوبهم بذكر الله بالقرآن او بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته بقوله تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وهذا الوجه يناسب الانابة كما ان الوجه الاول شديد الملائمة بقوله لولا انزل عليه آية من ربه ويحتمل ان يكون الذكر بمعنى الدليل اي تطمئن قلوبهم بدلائله الدالة على وحدانيته لان الكلام مع الكفار الذين لم ينظروا في ملكوت السموات والارض بعين الاستبصار الا بذكر الله تطمئن القلوب اتى بحرف التنبيه ايقاظا للكفرة المستغرقين في قلق الشبهات الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب بتقدير المضاف اما لان القلوب المذكورة قلوب المؤمنين اولا وجاء هؤلاء الاجلاء وكل القلوب لان الكفار افئدتهم هواء وعلى هذا قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب جملة اعتراضية كانه قيل كيف لا ولا اطمئنان للقلوب الا بذكره تعالى او مبتدأ طوبى لهم خبره وطوبى مصدر على وزن فعلى كزلفى وبشرى من طاب والواو ابدلت من الياء لضمة ما قبلها وروى الامام احمد ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك قال بلى وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني قال رجل وما طوبى قال شجرة في الجنة وعن ابن عباس وابي هريرة في كل دار منها غصن وحسن مآب مرجع وطيب عيش كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك اي ليس ارسالك شأنه خفيا بل من كذبك انما يكذبك عنادا وحسدا فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون في امة قد خلت من قبلها امم كثيرة لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب والحكمة فانت آخر الرسل وامتك آخر الامم ولا تدع في الدين شبهة لانه لا نبي بعدك وهم يكفرون بالرحمن البالغ الرحمة الذي ارسلك رحمة للعالمين ولهذا المعنى التفت من التكلم الى الغيبة مع رعاية خصوص هذا الاسم وكما تفرد المرسل من بين الرسل كذلك كتابه لانفصامه

كتاب «قل هو ربي» ذلك الموصوف بتلك الرحمة سيدي والمتصرف فيّ «لا إله إلا هو»
لا يستحق أحد الألوهية سواه «عليه توكلت وإليه متاب» عليه اعتمدت في أموري
وإليه مرجع الخلق وهو المجازي «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض
أو كلم به الموتى» أي لو كان شيء من الكتب التي تقرأ سيرت به الجبال عن مقارها
أو قطعت به الأرض قطعاً ومزقت تمزيقاً أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان
ذلك القرآن العربي المبين لكونه في الطبقة العليا في باب التذكير وهذا تصريح
بما أشير إليه في قوله لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك من تعظيم القرآن العربي المبين
بكونه غنياً وسيشيد أركانه بقوله وكذلك أنزلناه حكما عربيا وقيل معناه ولو أن قرآنا
وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لما آمنوا به لشدة عنادهم فيتعلق بقوله
وهم يكفرون بالرحمن بياناً لتصميمهم على الكفر بعد ظهور الآيات وقيل إن أبا جهل قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيّر بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها
البساتين والقطائع كما سخرت لداود عليه السلام إن كنت نبيا كما زعمت
فلست أهون على الله تعالى منه أو سخر لنا الريح لنركبها إلى الشام فنتجر ثم نرجع
في يومنا فقد شق علينا قطع المفاوز كما سخرت لسليمان عليه السلام أو ابعث
لنا رجلين أو ثلاثة من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع
الأرض على هذا قطعها بالسير وعن الفراء أنه متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون
بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال فعلى هذا هي جملة حالية وجواب الشرط
محذوف لدلالة السابق عليه وما بينهما اعتراض «بل لله الأمر جميعاً» التأثير
لا يشاركه أحد وله القدرة على كل شيء وإنما لم تقع الآيات المقترحة لعلمه بأنهم
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية «أفلم ييأس الذين آمنوا» ألم يعلم لغة النخع قال سحيم بن
وثيل أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم أو لأن اليأس
عن الشيء عالم بأنه لا يكون والاستفهام للتقرير نحو أليس الله بكاف عبده «أن لو يشاء
الله لهدى الناس جميعاً» أي علموا ذلك ويجوز أن يتعلق بآمنوا والمعنى أو لم يقنط
المؤمنون بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً عن إيمان هؤلاء المعاندين «ولا
يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا» من سوء الأعمال «قارعة» داهية وفي الحديث
من لم يغز ولم يجهز غازيا أصابه الله تعالى بقارعة وأصله الضرب الشديد ومنه قال
عبد الملك بن مروان في وصف سيف الزبير بهن فلول من قراع الكتائب «أو تحل
قريبا من دارهم» فيتفلقون منها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرسل
السرايا فتصيب أموال أهل مكة أو تختطف من حولها وقيل أو تحل أنت يا محمد بجيشك
قريبا من دارهم وذلك عام الحديبية «حتى يأتي وعد الله» وهو فتح مكة أو لا يزال
هؤلاء المشركون تصيبهم بأفعالهم داهية مهلكة كما أصابت أربد وصاحبه عامر

ابن

ابن الطفيل وكما أصابت المستهزئين وعلى هذا «أو تحل قريبا من دارهم» أنت يا محمد نزولك
بالمدينة وإقامتك بها حتى يأتي وعد الله بظهور أمرك أو موتهم أو القيامة أو فتح مكة وهذا أوجه
لأن السورة مكية «إن الله لا يخلف الميعاد» تذييل لتحقيق الموعود «ولقد استهزئ
برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا» تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما
كان يلقاه من عناد الكفرة والإملاء الإمهال والمعنى تركتهم ملاوة من الزمان
في خفض العيش كما للبهيمة في المرعى «ثم أخذتهم فكيف كان عقاب» عقابي إياهم
أي كان شديداً فظيعاً «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت» أفمن هذه أفعاله
كمن شأنهم حتى يكفروا به وبآياته ويعرضوا عنه وعن الخضوع لكبريائه كأنه قال لا عجب
في إنكارهم آياتك بعد ظهورها إنما العجب كل العجب جعلهم القادر على إنزال تلك
الآيات المجازي لهم على إعراضهم عن التدبر فيها كمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً
فضلاً من أن يرجى منه جلب نفع أو دفع ضر فالخبر محذوف «وجعلوا لله شركاء»
استئناف ويجوز أن يقدر ما يقع خبر المبتدأ ويعطف عليه «وجعلوا» كأنه قيل
أفمن هو بهذه الصفات لم يوحدوه ولم يمجدوه وجعلوا له شركاء «قل سموهم» أي
تعجيز أو لا أسماء لها والقصد تحقيرها بأنها من الدناءة بحيث لا يستحق أن يسمى ويذكر
باسم «أم تنبئونه بما لا يعلم» بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم «في الأرض» وهو العالم
بما في السموات والأرض «أم بظاهر من القول» بل أتسمونهم شركاء بظاهر
من القول من غير أن يكون تحته طائل بل هو مجرد صوت فارغ كقوله ذلك
قولهم بأفواههم وهذا استدلال بديع في أسلوب غريب فإنه هدم قاعدة
الإشراك بقوله أفمن هو قائم على كل نفس فإنه احتجاج من طرف الحق ثم ذكر
عليه بالإبطال من طرف النقيض بأن من لا يجوز له شريك قد أشركوا به شركاء
لا أسماء لها فضلاً عن المسمى ثم بالغ في نفيها بأن نفي العلم بوجودها يستلزم
نفي المعلوم على طريقة الكناية وسلك في ذلك مسلك الإنكار توبيخاً لهم
بأنهم يريدون أن ينبئوا عالم السر والخفيات بما لا يعلمه وذلك محال آخر
ثم قال ليس ما تقولونه كلاماً يلتفت إليه ويتأمل بل مجرد صوت ثم أضرب
عن ذلك كله وأشار إلى ما هو الملاك في ذلك الضلال بقوله «بل زين للذين
كفروا مكرهم» كيدهم للإسلام بشركهم «وصدوا عن السبيل» سبيل الحق وقراءة الكوفيين
بضم الصاد والباقون بالفتح والضم أوجه لمناسبة زين ولأن الكلام في ضلالهم
لا إضلالهم «ومن يضلل الله فما له من هاد» يوفقه لسلوك سبيل الرشاد
ووقف عليه ابن كثير بالياء «لهم عذاب في الحياة الدنيا» بالأسر والقتل
وسائر الآلام التي هي ثمرة ذلك الضلال «ولعذاب الآخرة أشق» لشدته ودوامه
«وما لهم من الله من واق» حافظ من عذابه أو ما لهم من جهته واق من رحمته ومن

ابتدائية وقد وقف ابن كثير عليه بالياء وايضا مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من
تحتها الانهار مبتدأ وخبر على طريقة قولك صفة زيد اسمر طويل وعن سيبويه
فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وتجري من تحتها الانهار حال من المحذوف من وعد
المتقون وعن الزجاج مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار اكلها دائم لا ينقطع
وظلها كذلك ليس كظل الدنيا تنسخها الشمس تلك عقبى الذين اتقوا اي الموصوفة
عاقبة حال المتقين ومآل امرهم وعقبى الكافرين النار لم يعطف النار لانها ذكرت
بالعرض بعد ذكر الجنة قصدا والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك
لانه مصدق لكتابهم فيوفقون بانه الكتاب الموصوف في كتابهم اراد مومني اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى قيل هم ثمانون رجلا اربعون من
نجران وثمانية من اليمن واثنان وثلثون من الحبشة ومن الاحزاب وهم
الذين تحزبوا على عداوة رسول الله احبار اليهود ومن ينكر بعضه ما يخالف شرعهم
او ما حرفوه من نعت رسول الله عليه السلام ويقرؤن بما فيه من القصص والوقائع
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين له كانه قال انما امرت
بعبادة الله وتوحيده فانظروا ما ذا تنكرون اليه ادعو الى عبادته ادعوا لا الى
شيء سواه واليه مآب مرجعي لا الى غيره وانتم قائلون بذلك فلا وجه لانكاركم
وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه اصل الكلام مثل هذا الانزال
الذي يشابه دونه مشتملا على التوحيد وانما جي بالمثل زيادة في تفخيمه حكما
عربيا سماه عربيا لكونه مستفادا منه تسمية للحال باسم المحل لان
الالفاظ قوالب المعاني واوعيتها او الحكم بمعنى المحكم المتقن كالذكر الحكيم
ولئن اتبعت اهواءهم كانوا يقولون له نعبد ربك ان عبدت الهتنا
سماها اهواء لان الباعث على عبادتها ليس سوى الاهواء وخطرات
النفوس بعد ما جاءك من العلم بانها اباطيل ما لك من الله من ولي
ناصر يمنعك من عقابه ولا واق يحفظك من شر اعدائك وهذا
ونظائره من باب الالهاب والتهييج له وحث للسامعين على الثبات
والتصلب في الدين والا فرسول الله قبل النبوة كان بمعزل عن ذلك فكيف
به بعد ملك البراهين والحجج القاطعة ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
وجعلنا لهم ازواجا وذرية كانوا يستبعدون ان يكون الرسول بشرا
او يكون له ازواج وذرية فرده الله تع بان الرسول انما ارسل للتبليغ وليس
من لوازم ذلك مخالفة بني نوعه بل كونه مثلهم في ذلك ادعى الى المتابعة
وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله بارادته اذ لا كائن بدون مشيته
لكل اجل كتاب لكل امد حكم يكتب فيه على العباد على ما يقتضيه الحكمة

يمحو

يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يشاء ويثبت ما اقتضت حكمته اثباته وقيل
يمحو من ديوان الحفظة ما ليس من الطاعات والمعاصي لانهم مامورون بكتابة
كل حركة وسكون ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقيل يمحو سيئات التائبين
ويثبت مكانها الحسنات لقوله تع اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وقرأه بالتشديد نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وهو المختار لكونه ابلغ وللوفاق
في قوله يثبت الله الذين آمنوا وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح
المحفوظ او علمه الشامل فان اللوح من الكتب ايضا واما نرينك بعض الذي
نعدهم من العذاب في الدنيا كالقتل والاسر اتى بان دلالة على عدم لزوم
ذلك واكده بما اشارة الى انه كائن لا محالة او نتوفينك قبل وقوعه
فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة فلا عليك من اعراضهم
ولا يهمنك شأنهم اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي قد رأوا
ذلك وهو من آيات النصر وعلو الاسلام فما لهم لا يعتبرون وهذا دليل على ان
السورة مدنية اذ لم يكن قبل ذلك فتح بلاد والله يحكم لا معقب لحكمه لا مغير
ولا مبطل في محل النصب على الحال واصل التعقيب ان تعمل عملا ثم تعود فيه
وفي الحديث سئل انس عن التعقيب في رمضان فنهى عنه وهو ان يصلي النافلة
بعد التراويح وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم بعذاب الشديد
وقد مكر الذين من قبلهم كما مكر هؤلاء فلله المكر جميعا اذ كل مكر مضمحل دون
مكره لتفرده بالتاثير ومكر غيره تخييل باطل يعلم ما تكسب كل نفس من الخير والشر
وقد اعد لكل جزاءه وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار اي العاقبة المحمودة وهذا
كالتفسير لمكره فانه اخفى امر العاقبة عنهم فوقعوا في الضلال المؤدي الى النار
وقرأ الكوفيون وابن عامر الكفار وهو ابلغ لكونه نصا في الافراد ولموافقة قراءة
ابن مسعود الكافرون ويقول الذين كفروا لست مرسلا كافتهم وقيل رؤساء
اليهود فالموصول معهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه ابدى المعجزات
دالة على رسالتي وهي شهادة لا تحتمل الريب ومن عنده علم الكتاب علم
القرآن وما الف عليه من النظم المعجز وهم الكفار الذين علموا اعجاز القرآن
ولم يشهدوا والتعريض بان الخصم لو انصف كان شاهدا وقيل هم علماء اهل
الكتاب الذين آمنوا فانهم يشهدون بانه المنعوت في كتبهم وعن الحسن
هو الله الذي عنده العلم بما في اللوح المحفوظ والعطف للاشارة الى الاستقلال
بالشهادة نظرا الى كل وصف فكانه قال من له الالوهية يشهد لي ومن له
العلم بما في اللوح قد شهد بان ضمن الكتاب المنزل الي من المعارف ما بهر
العقول فيوافق الخاتمة فاتحة السورة سورة ابراهيم عليه السلام مكية

وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الر اي هذه السورة
اسم لها او المؤلف من الحروف مبتدأ خبره كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس
بدعائك اياهم الى ما فيه من المعارف والاحكام من الظلمات الى النور استعارتان
للضلال والهدى باذن ربهم بتوفيقهم وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب
الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور باستعار النور للهدى اولا لظهوره ثم جعله
جادة لا زيغ فيها موصلة ويحتمل الاستيناف كأنه قيل الى اي نور فقيل الى صراط الله الذي
لا شئ اظهر منه الله الذي له ما في السموات وما في الارض قرأه بالرفع نافع وابن عامر
على انه مبتدأ خبره الموصول او خبر مبتدأ محذوف والموصول صفة فالوقف على الحميد
تام والباقون بالجر على انه بدل او عطف بيان وويل للكافرين من عذاب شديد
الويل نقيض الوأل وهو النجاة ينصب نصب المصادر الا انه لا يشتق منه فعل والمعنى حزن
وهلاك لهم من عذاب يقعون فيه او لهم هذه الكلمة عند ذلك فان الواقع في الهلاك ينادي
بها الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المؤثر للشيء يطلب
من نفسه ان يحبه ويصدون عن سبيل الله الناس عن سلوكها ويبغونها عوجا
يطلبون لها عيبا واعوجاجا ليتوسلوا به الى الصد والموصول يحتمل الجر صفة للكافرين
والنصب والرفع على المدح او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد وصف الضلال بالبعد
على الاسناد المجازي لان البعد حال الضال كقولك جد جده ويحتمل ان يكون صفة الضلال
اي ذي بعد كانه قيل له بعد لا نهاية لغوره وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذين
هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم اي ليبين لهم الاحكام ويفقهوا عنه ولو جعلناه قرآنا اعجميا
لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ولا يرد بعثة رسول الله على الناس كافة لان
الانزال بلسان قومه اولى لانهم اقرب اليه ولو انزل اليه بالسنة مختلفة كان
في ذلك اعجاز ظاهر ولكن كان يؤدي الى اضاعة فضل الاجتهاد وقيل نزلت
الكتب كلها بالعربية واداها كل نبي الى قومه بلغتهم وقد روي ذلك عن الضحاك
وليس بشيء لانه يلزم ان يكون التورية نازلة على موسى بتفسيرها بالعربية لقوم محمد
عليه السلام ودفع ذلك برجوع الى كل قوم بدليل السياق لا يعتقد به فيضل الله
من يشاء بعد بيان الرسل والارشاد الى الطريق الموصل ويهدي من يشاء
هدايته وهو العزيز الذي لا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يفعل الا لحكمة
ولقد ارسلنا موسى باياتنا لما بين انه قد ارسل قبل رسول الله رسلا بالكتب
السماوية ذكر قصة موسى مع قومه لكثرة عنادهم وتعنتهم تسلية لرسوله
وآياته العصا وفلق البحر واليد البيضاء وسائر معجزاته ان اخرج قومك
من الظلمات من شبه الضلال الى النور الى الهدى وان مفسرة لان
في الارسال معنى القول او مصدرية لان الافعال سواء في الدلالة على المصدر

فالتقدير

فالتقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله بوقائعه مع مكذبي الانبياء كقوم
نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لوقائعها وحروبها وعن ابن عباس رضي الله عنه
ايام الله نعماؤه وبلاياه ولعل التخصيص فهم من الاضافة فانه لا انصاف الله تعالى
الا له ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور كثير الصبر على بلائه
وانم الشكر على نعمائه وقيل لكل مؤمن كناية عن الايمان نظيره حي مستوي
القامة في الكناية عن الانسان واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
اذ انجاكم من آل فرعون ظرف للنعمة لانها بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك
الوقت ويجوز ان ينتصب بعليكم ان لم يكن صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها
العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدل اشتمال يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم طرح الواو في سورة البقرة لانه جعل
التذبيح بيان سوم سوء العذاب واثبتها هاهنا كأنه زاد على ذلك العذاب
وصار جنسا آخر مستقلا لغاية فظاعته وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم نعمة
عظيمة فذلك اشارة الى الانجاء او نقمة فظيعة اشارة الى التذبيح واذ تأذن
ربكم من مقالة موسى عليه السلام عطف على نعمة الله كانه قيل واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله واذكروا حين اذ تأذن ربكم ومعنى تأذن آذن اي اعلم
مع ما فيه صيغة التفعل من المبالغة فكأنه قال آذن ايذانا لا يبقى معه شائبة
ريب لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت من الانجاء وغيره من النعم
بالايمان الخالص والعمل الصالح لأزيدنكم لاضاعفن لكم ما انعمت ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد لم يسند العذاب الى ذاته كما اسند زيادة النعمة
اشارة الى غلبة رحمته المعطوف والمعطوف عليه مفعول قول مقدر او مفعول تأذن
لان فيه معنى القول وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين
فان الله عن شكركم لغني حميد مستحق للحمد حمد او لم يحمد او يحمده الملائكة وفي
الحديث حمد الله نفسه قبل ان الحامدين الم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود من كلام موسى او ابتداء كلام من الله تعالى مع هذه الامة والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله اعتراض يفيد الترقي كأنه قيل الم يأتكم نبأ هؤلاء
ومن لا يحصي عددهم الا الله فدع التفصيل فانه لا مطمع فيه والذين من بعدهم
عطف على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض كانه قيل الم يأتكم نبأ الجم الغفير
وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا
قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون وقد نفى الله علمها عن العباد جاءتهم
رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت
به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او اشاروا بايديهم الى ما نطقت

بالسنتهم من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به كأنهم قالوا هذا جوابنا لكم ليس لكم عندنا غيره او ردوا
ايديهم في افواه الرسل كأنهم قالوا اسكتوا نحن مصدقون فلا تنفع في الاكثار كقوله: انا لا اصغي
وانت تطيل: او التضحك والاستهزاء مجازا او حمل الايدي على نعم الانبياء من الحكم والشرائع
التي هي اجل النعم لا يخفى بعده: وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به: على زعمكم: وانا لفي شك
مما تدعوننا اليه مريب: موقع في القلق او ذي ريبة من ارابه او من اراب الرجل:
قالت رسلهم افي الله شك: لم ينكروا الشك لوقوعه بل نفوا ان يكون محل الشك
لسطوع البراهين ولذلك وصفوه باظهر الادلة: فاطر السموات والارض: صفة
او بدل: يدعوكم: لم يسندوا الدعوة الى انفسهم كما اسنده اليهم الكفرة اشارة الى
ان الداعي في الحقيقة هو الله تعالى والله يدعوا الى دار السلام: ليغفر لكم: اي يدعوكم الى الايمان
للمغفرة او يدعوكم الى المغفرة لان اللام بمعنى الى بل يدل على ان الغاية غرض مقصودة فتفيد
معنى الانتهاء مع الاختصاص: من ذنوبكم: بعض ذنوبكم وهي التي في ايام الكفر لا التي بينهم
وبين الله لقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف او من بدلية لقوله
اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات او تبعيضية وابقاء البعض على الاحتمال
لئلا يتكلفوا على الايمان لانه يدل على عدم مغفرة الجميع: ويؤخركم الى اجل مسمى الى
تدعيته وهو اخر اعماركم: قالوا ان انتم الا بشر مثلنا: لا فضل لكم علينا فكيف
يكونون رسلا دوننا: تريدون ان تصدونا: بدعواكم الباطلة: عما كان يعبد اباؤنا
فأتونا بسلطان مبين: برهان قاطع يدل على صدق دعواكم وهذا ديدن المعاند
لا يرضى بالمعجزة ويشرع بالاقتراح تعنتا: قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
نحن وانتم سواء في البشرية: ولكن الله يمن على من يشاء من عباده: بالنبوة
والرسالة تفضلا فكوننا مثلكم بشرا لا ينافي رسالتنا: وما كان لنا صح
لنا وما استقام: ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله: بارادته: وعلى الله فليتوكل
المؤمنون: امروا المؤمنين بالتوكل فدخلوا فيهم دخولا اوليا وهذا ابلغ من قوله
على الله توكلنا: وما لنا الا نتوكل على الله: اي عذر لنا وما يحصل لنا في عدم التوكل
وقد هدانا سبلنا: طريقه الذي يوصل اليه فان قلت الطريق اليه تعالى واحدة
وهي سبيل الانبياء وقل هذه سبيلي فكيف اتى بصيغة الجمع قلت اصل الدين واحد
والفروع مختلفة لكل جعلنا منكم شرعة او جمعه للتعظيم: ولنصبرن على ما اذيتمونا
وعلى الله فليتوكل المتوكلون: فليثبت المتوكلون في توكلهم وليزدادوا في التوكل
لان من استوى يوماه فهو مغبون: وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا: منعوا الخلو من احد الامرين اما الاخراج او العود الى ملتهم
والرسل لم يكونوا على ملتهم يوما فالعود اريد به الصيرورة في اطلاق المقيد على المطلق
او غلب الامة على الرسل كما في قصة شعيب عليه السلام واثروا الظرف على الى

لدلالته على الاستقرار: فاوحى اليهم ربهم: الى الرسل: لنهلكن الظالمين: مقول
القول لان الايحاء نوع منه: ولنسكننكم الارض من بعدهم: بعد اهلاكهم وقد روي
عنه عليه السلام من آذى جاره ورثه الله داره: ذلك: اشارة الى الموحى به وهو
اهلاك الظالمين: لمن خاف مقامي: المخصوص بي وهو موقف الحساب وقيل
المقام مقحم: وخاف وعيد: وعيدي: واستفتحوا: اي الرسل من الفتاحة وهي
الحكم كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقيل الكفرة وقيل الضمير للفريقين
كل فريق سأل النصر على عدوه: وخاب كل جبار عنيد: اي فتح للرسل وخاب كل
متكبر عاند فيكون ان المستفتح هم الكفار او الفريقان: من ورائه جهنم: من
بين يديه قال عيسى عليه السلام الهم الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
والوراء وان كان مشتركا الا ان الكافر واقف على حرف جهنم لانه مخلوق لها
او ذلك حاله يوم القيمة اذا بعث: ويسقى من ماء صديد: عطف على مقدر
تقديره يلقى فيها ويسقى من ماء صديد اشد العذاب عليه ولذلك ابهمه اولا
ثم بينه بقوله صديد والصديد ما يسيل من جلود اهل النار نعوذ بالله من ذلك
يتجرعه: يتكلف جرعه لشدة عطشه ويجرع الشرب على العجلة: ولا يكاد
يسيغه: لا يقرب اساغته لغاية بشاعته فكيف بالاساغة يقول شراب
سائغ اذا كان سلس الجريان سهل النزول في الحلق: ويأتيه الموت من كل
مكان كناية عن شدة عذابه وكثرة آلامه وقيل يأتيه من تحت كل شعرة
الم مستقل: وما هو بميت: ليستريح مرة واحدة: ومن ورائه عذاب
غليظ: فيما يستقبله لم يزل يترقى في ذلك وهذا دليل على كذب بعض المتصوفة
الجهلة الذين يقولون اذا اعتادوا بالعذاب لا يحس بالالم وعن فضيل بن عياض
هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد وقيل هذه الآية منقطعة عن قصة الرسل
وانما هي في اهل مكة حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقحط فابتلوا بذلك
حتى اكلوا الجيف فاستفتحوا اي طلبوا المطر والفتح من السماء فخيبت اي فخيب رجاؤهم
وذكر انه يسقيهم من صديد جهنم بدلا وقد صح انهم لما اخذوا بالقحط جاء ابو سفيان
وهو مشرك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انك تأمر بصلة
الارحام وقد ترى ما اصاب قومك فادع الله ان يسقيهم فدعا رسول الله عليه السلام
فسقوا وفيه قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل
مثل الذين كفروا بربهم: صفتهم الغريبة العجيبة مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه اي فيما
يتلى عليكم وقوله اعمالهم كرماد: جملة مستأنفة لبيان حالهم الغريبة او هذه الجملة هي
الخبر اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد او اعمالهم بدل كل من مثلهم وهذا ابلغ معنى
والرماد معروف اصله من الرمد وهو الهلاك: اشتدت به الريح: وقرأ نافع الرياح

على ارادة الجنس من الجنس من الجهات في يوم عاصف العصف شدة هبوب
الريح وصف به اليوم مبالغة كما في نهاره صائم وليله قائم بالغ في وصف الريح بالشدة
حيث اسند فعل الاشتداد اليه ثم وصفه بالعصف الذي هو شدة الهبوب ثم وصف
به زمانه لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى ما هم فيه
من الحسبان الباطل كانوا يطعمون الجائع ويكسون العاري ويغيثون الملهوف ولا
يدعون منفخرة الا سبقوا اليها ولكن حيث لم تكن مسبوقة بما هو الاساس من الايمان
والتوحيد كانت كالصلوة بلا وضوء وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
الم تر ان الله خلق السموات والارض خطاب لسيد القوم والمراد امته او لمن
يتاتى منه الرؤية بالحق بالحكمة التي اقتضته مشيته ليكون اظهر الدلائل على قدرته
على الاعادة وعلى كل ممكن وقرا حمزة والكسائي خالق اسم فاعل والمختار صيغة
الماضي لان المعنى عليه ووفاق سائر الآيات ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد يعدمكم ويخلق مكانكم قوما آخرين لان من قدر على خلق السموات والارض
كان اعدامكم منه والاتيان بامثالكم اهون شيء عنده وما ذلك على الله بعزيز
بعسير لاهل العزة القوة والشدة وبرزوا لله جميعا يبرزون يوم القيمة للحساب
والمجازات عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه او يبرزون تمدحه في اعتقادهم فانهم في
الدنيا كانوا يخفون ما ارتكبوه من الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله
خافيا [illegible] فقال الضعفاء للذين استكبروا اي الاتباع للرؤساء فان
قلت لم رسمت الهمزة واوا في الضعفؤا والشفعؤا ونظائرهما قلت لان
قياس تحقيقها في الوصل التسهيل والوقف بالروم كالواو فرسمت عليه قال ابو عمرو
الداني في المقنع رسمت على مراد الايصال والتسهيل والقول بانها رسمت على لفظ
من يفخم بالالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ليس بشيء اذ لم يقرا به احد من القراء
فان قلت فما وجه الالف بعدها قلت وجه الالف بعدها ما قال ابو عمرو ولما كانت
الواو اشبهت واو الجمع في قالوا فالحقت بها انا كنا لكم تبعا متعلقين بكم معرضين
عن الرسل ونصائحهم جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به فهل انتم
مغنون عنا صارفون من اغنى شره اي كفه من عذاب الله من شيء من
الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض شيء
هو بعض عذاب الله وانما قدم البيان على المبين للاهتمام ويجوز ان يكونا للتبعيض
والاولى حال كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض شيء حال كونه بعض عذاب الله و
يحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب
بعض اغناء قالوا اي الرؤساء لو هدانا الله للايمان لهديناكم ولكن ضللنا
فاضللناكم ما اخترناه لكم الا ما اخترناه لانفسنا فلا عيب سواء علينا اجزعنا ام صبرنا

لا تفاوت الحال لنا وقت الاعتذار ما لنا من محيص من منجى من حاص
اذا فر وفي معناه جاض بالجيم ويجوز ان يكون كلام الفريقين الضعفاء والمستكبرين
جميعا والمحيص اما مكان او مصدر وقال الشيطان لما قضي الامر فرغ منه
فريق في الجنة وفريق في السعير يقوم بعد استقرار الفريقين خطيبا للاشقياء
من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق الذي لا خلف فيه من اضافة الموصوف
الى الصفة ووعدتكم فاخلفتكم جعل بطلان وعده وكذبه فيما وعده كالاخلاف
منه لكونه سببا وما كان لي عليكم من سلطان تسلط واجبار الا ان
دعوتكم لكن دعوتكم الاستثناء منقطع لان تسويله ليس من جنس السلطان
او هو على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع فاستجبتم لي اسرعتم في
اجابتي فلا تلوموني ولوموا انفسكم كيف اغتررتم بقول العدو وبعد تبين
العداوة وليس في الآية الا ان الانسان له اختيار في فعله ليس مجبرا كل الاجبار
كما دل عليه قوله وما كان لي عليكم واما انها تدل على ان الانسان يستقل بخلق
افعاله فكلا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب اصله من الصراخ وهو
الصوت وفي الحديث كان يقوم بالليل اذا سمع الصارخ يريد صوت
الديك وما انتم بمصرخي قراه حمزة بكسر الياء على ان الاضافة الى ياء
ساكنة كياء غلامي فلما سقط النون بالاضافة اجتمع ياآن ساكنان حركت
الثانية لعدم امكانه في الاولى بسبب الاعراب وتمكن الادغام وعند النقاد
ان كسر اذا حرك ان لم تحرك بالكسر قاعدة مطردة وقد نقل من
اهل العربية قطرب والفراء وابو عمرو بن العلاء ممن قال انها ضعيفة فلضعف
بصيرته ولو لم يوافق العربية حيث تواتر عن صاحب الوحي افصح خلق الله
كان واجب القبول والشعر الذي قال انه مجهول هو للاغلب العجلي مسطور في
ديوانه اني كفرت بما اشركتمون من قبل باشراككم اياي من قبل هذا
اليوم في الدنيا ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه في ذلك اليوم فعلى
ما مصدرية ومن يتعلق بكفرت او موصولة بمعنى من وهو الله تعالى اي اني
كفرت بالذي اشركتمونيه معه من طاعتكم اياي حين دعوتكم على عبادة الاوثان
وترك التوحيد من قبل اشراككم اذ ابيت السجود لآدم يقال اشركت زيدا و
واشركته غيري فيتعدى الى المفعول الثاني بالهمزة ان الظالمين لهم عذاب
اليم من كلامه يقوله في ذلك اليوم تحسرا حكاه الله تعالى ليكون ايقاظا
للناظرين في امر الآخرة او هو ابتداء كلام منه تعالى لذلك وادخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم
بتوفيقه وارادته والمدخل الملك الذي بيده مفتاح الجنة والاسناد اليه مجاز

للتشريف تحيتهم فيها سلام تحية الملائكة عند ملاقات المؤمنين سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين الم تر كيف ضرب الله مثلا لما بين احوال الاشقياء
واحوال السعداء اردفها بضرب المثل كشفا عن حقيقتها وابرازا للمعقول
في صورة المحسوس كلمة طيبة اي جعل كلمة طيبة تفسير لقوله ضرب الله
مثلا كما تقول شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان
ينتصب مثلا وكلمة بضرب على تضمين معنى التصيير اي صير كلمة طيبة مثلا
ثم قال كشجرة طيبة على انه خبر مبتدأ محذوف اصلها ثابت في الارض ضارب
بعروقها فيها وفرعها في السماء واعلاها نحو السماء ويجوز ان يريد فروعها
وهي الاغصان واكتفى بلفظ الجنس فيتناول لكل فرع على البدل لا الاستغراق لانه
مثل غلام زيد لا يستغرق تؤتي اكلها ثمرها كل حين كل وقت جرت
عادة الله تعالى لتكون الثمرة فيه باذن ربها بارادة خالقها ومكونها ويضرب الله
الامثال للناس لعلهم يتذكرون فان في ضربها تصويرا للمعقول في صورة المحسوس
تقريبا للمعاني الى الافهام ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض
استؤصلت واخذت برمتها وحقيقة الاجتثاث القطع ما لها من قرار ثبات
يكون عروقها على وجه الارض تخفيف باد في ريح والكلمة الطيبة كلمة التوحيد
وقيل كل كلمة حسنة تورث ثوابا كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة
وعن ابن عباس رضي الله عنه هي شهادة ان لا اله الا الله وهذا هو الوجه لانها اصل
الايمان فينطبق عليه قوله وفرعها في السماء فالتنكير للتعظيم والشجرة الطيبة
كل شجرة لها ثمر طيب كالنخل والتين وعلى قول ابن عباس يشبه ان يكون النخلة
لانها افضل الاشجار على ما قال رسول الله انها مثل المؤمن والكلمة الخبيثة ما يكون معصية
او تؤدي اليها والشجرة الخبيثة الحنظلة وقيل الشريان وانما اردف المثل الاول
بقوله ويضرب الله الامثال ولم يؤخره عنهما اشارة الى شرفه وانه المقصود بالذات
وانما في مذكور بالعرض يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وهو كلمة الشهادة فان المؤمن يفتتن في الدنيا نعوذ بالله تعالى كما فتن اصحاب
الاخدود وانبياء بني اسرائيل نشر بعضهم بمنشار الحديد ولم يصرفهم ذلك
عن دينهم وكذلك في الاخرة اذا جاء فتانا القبر وسالوهم عن دينهم
ثبتوا على ما كانوا عليه في الدنيا كما ان المؤمن اذا سئل عن ربه وعن دينه
وعن نبيه وروى البخاري عن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
المؤمن اذا سئل عن ربه وعن دينه وعن نبيه واجاب نادى مناد من
السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين الذين لم

يستدلوا بآيات الآفاق والانفس على وحدانيته ويشبه ان يكون ذلك
قول الكافر في القبر اذا سئل عن ربه وعن دينه فيقول لا ادري فيقال
لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة فيصيح صيحة يسمعها كل ذي حياة سوى
الثقلين ولو سمعوها لصعقوا من هيبتها ويفعل الله ما يشاء من
الاسعاد والاشقاء وفيه ايماء الى ان المؤمن لا يتكل على ما هو فيه ولا يامن
مكر الله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمة الله الذي كان واجبا
عليهم اتوا بنقيضه فكانهم بدلوه او بدلوا نفس النعمة كفرا فان الآية نزلت
في مشركي مكة حين من الله عليهم بمحمد عليه السلام ولم يقبلوا نعمته وآثروا
الكفر عليها واحلوا قومهم دار البوار الذين شايعوهم على الكفر والبوار
الهلاك وفي الحديث نعوذ بالله تعالى من بوار الايم وهي المرأة التي لا زوج
لها ولا يرغب فيها احد جهنم يصلونها عطف بيان او بدل والمضارعية
حال منها او من الفاعل اي داخلين فيها مقاسين حرها وبئس القرار وبئس
المقر جهنم جعلها نفس القرار مبالغة وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش
بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا الى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه وجعلوا
لله اندادا ليضلوا عن سبيله التوحيد الموصل اليه او جمع ند بالكسر وهو
مثل الشيء المضاد وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء من الاضلال
والفتح هو المختار لان مجرد الضلال كاف في الاستخفاف والضلال الاغر
تهديد والاضلال جعلا غير خبر مجازا كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا قل تمتعوا بالشهوات امر تهديد وفي الاتيان به ايذان
بانهم منهمكون في تلك الشهوات كانهم مأمورون من امر لازم الطاعة
فان مصيركم الى النار فاستوفوا العاجل قبل فواته قل لعبادي الذين
آمنوا اضافهم الى نفسه تشريفا لهم يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم
كما ان الكفرة يتلذذون بالشهوات وهؤلاء يستلذون بعبادته ومفعول
القول محذوف لان جوابه يدل عليه تقديره قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا
وينفقوا ويجوز ان يكون اللام محذوفة لدلالة قل عليه وما حكي عن المبرد من
ان التقدير قل لهم اقيموا يقيموا فلا يستقيم لان الشرط والجزاء متحدان في
الفعل والفاعل ولان الامر المقدر للمواجهة ويقيموا على لفظ الغيبة سرا
وعلانية مسرين ومعلنين او في وقتي سر وعلانية او انفاق سر وعلانية
والسر في الاول خوف التشني ثم اطلق على كل خفي نفلا كان او غيره والمراد
الحث على الانفاق لانه يخلو عنهما والاولى في التطوع الاخفاء لانه ابعد عن

عن آخرها وفي الغرض لاعلان ليقتدي به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال
اي من قبل ان لا يقدروا على تدارك ما فاتكم لانه اما ان يكون بعوض فالاول
او بمساعدة الاخلاء وكلاهما منتف في ذلك اليوم او معناه تحث على الانفاق
بتصوير يوم ينتفع فيه بهذا الانفاق ولا ينتفع فيه بهذان الامران المستمران بين
الناس او عدم الانتفاع بهما لما يليهما وبهما انفق لوجه الله وقرا ابن كثير و
وابو عمرو فيهما بالفتح وهو البيع لكونه نصا في الاستغراق الله الذي خلق السموات
والارض مبتدا وخبر بين فيه من احوال السعداء والاشقياء وترغيب
وترهيب ثم عاد الى دلائل التوحيد وبدا بما ظهرها وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم مفعول اخرج يشمل كل ما ينتفع به الانسان
والجار والمجرور بيان له قدم عليه او حال منه او من التبعيضية مفعول ورزقا
حال او مصدر اخرج لانه في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره اي
بارادته حيث قصدتم وسخر لكم الانهار تتصرفون فيها وقيل تسخيرها تعليم
كيفية الانتفاع بها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين مستمرين على السير من
داب في العمل اذا جد في ذلك منافع عظيمة لا تحصى من الانارة واصلاح
الابدان والثمار بل لولا ذلك لم يتصور تعيش لحيوان وسخر لكم الليل والنهار
للكسب والاستراحة وآتاكم من كل ما سالتموه بعض الذي سالتموه اذ لا
يحصل للانسان جميع ما يطلبه ويجوز ان يكون السؤال بلسان الحال اي اتاكم
من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم يكن تعيشكم الا به فما موصولة او موصوفة
او مصدرية بمعنى المفعول ويجوز ان يكون نافية اي اتاكم من كل شيء غير سائليه
وهو وجه حسن وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها بالعد والحفظ وفي
الحديث كل القران حسبت اي حفظت واذا كان الاحصاء غير مقدور فلا
سبيل الى شكرها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في مقام الحمد لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وقال الشاعر اذا كان شكري نعمة الله نعمة
علي بها كيف السبيل الى الشكر ان الانسان لظلوم كفار ظلوم يضع
الكفران موضع الشكر كفار شديد الكفر لها بل يظلم النعم باغفال الشكر
وقيل ظلوم يشكو في الشدة ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والمراد الجنس
لقوله وقليل من عبادي الشكور واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد
آمنا اي ذا امن زاده الله امنا وشرفا اشار الى ما في الذهن قبل الوجود
بالفعل وذكر في البقرة مشيرا الى الكائن اي اجعل هذه البلدة بلدا آمنا
او بالعكس لان الاول اظهر لان ما في هذه السورة سابق نزولا فلا
اشارة باللام الا الى ما في الذهن فان قلت يلزم ان يكون دعوة الاولى غير مستجابة

قلت

قلت سئل اولا ان يجعله تعالى للتكني ذا امن على وجه الاستمرار كما هو شان
اكثر البلاد وثانيا ازالة خوف يعرض سائر البلاد الآمنة احيانا وقيل سئل
اولا امن الدنيا وثانيا امن الاخرة اورد قصة ابراهيم عليه السلام بعد ذكر الانسان
بانه ظلوم تذكرا لهؤلاء الناقرين ودعوة الى التوحيد الذي دعا ابراهيم عليه السلام
آباءهم اليه وزجرا لهم عما هم فيه فانهم يدعون انهم على ملته واجنبني وبني ان
بعدني واياهم يقال جنب واجنب وجنب بالتشديد فالاولان لغة نجد
والثالثة لغة الحجاز ان نعبد الاصنام عن عبادتها واراد بنيه من صلبه
او عبادة قريش للاصنام لم يخالف فيه احد ولقوله لا ينال عهدي الظالمين
وقوله ومن كفر فامتعه قليلا وما حكي عن سفيان بن عيينة ان احدا من اولاد
اسمعيل لم يعبد الاصنام محمول على اولاده لصلبه رب انهن اضللن كثيرا من
الناس اسند الاضلال اليهن باعتبار السببية فمن تبعني على التوحيد
فانه مني متصل بي وهو حنيف ملتي كما في الحديث من غشنا فليس منا ان فعله
ليس من جنس افعالهم ومن عصاني فانك غفور رحيم بالتوبة وتوفيق الانابة
وفيه دليل على ان الله تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء ربنا اني اسكنت من
ذريتي بواد بعض ذريتي وهو اسمعيل حين تركه مع امه بالحرم وقيل اسمعيل
وذريته فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع عنده بيتك المحرم
اراد وادي مكة اذ لم يكن هناك زرع ولا ماء واراد بالبيت مكانه اذ لم
يكن هناك بناء وانما بناه بعدما نشأ اسمعيل وانما وصفه بالمحرم لانه حرم التعرض
له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه لا يختلى خلاه ولا يعضد شجره او لانه
حرم على الطوفان فلم يستول عليه او لانه لم يزل ممتنعا يهابه كل جبار كالشيء
المحرم الذي حقه ان يجتنب منه وسبب اسكانه ذريته ان هاجر كانت جارية سارة
وكانت سارة عقيما لا تلد فوهبت هاجر لابراهيم عسى ان يرزقه الله منها ولدا
فلما ولدت اسمعيل غلبت عليها الغيرة فلم تقدر على رؤيتهما فناشدت ابراهيم
ان يخرجهما من عندها فامره الله ان يسكنهما بذلك الحرم الشريف فركب ابراهيم
البراق وحملهما حتى وضعهما في موضع زمزم ثم تولى فقالت له هاجر تذهب و
تدعنا في هذا الوادي الذي لا ماء به ولا زاد قال بلى قالت الله امرك بهذا قال
بلى قالت فاذهب اذن لا يضيعنا ربنا ليقيموا الصلوة الجار متعلق
بمحذوف مؤخر اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا
ايثار الشرف الجوار واشار الى ذلك بقوله عند بيتك المحرم ثم صرح بان الغرض
الاصلي هو تعمير ذلك المكان بانواع العبادة من اقامة الصلوة والطواف والعكوف
ثم بعد تقديم الوسيلة دعا بقوله فاجعل افئدة من الناس من تبعيضية ويجوز

ان يكون ابتدائية كما في قوله رب انى وهن العظم منى كأنه قيل افئدة اناس وقرأ ابن
عامر في رواية هشام افئيدة بياء مكسورة بعد الهمزة فصلا بين الشديدين؛
تهوى اليهم؛ تسرع نحوهم من هوى يهوى هويا وفي حديث البراق انطلق يهوى
اى يسرع واذا ضم الهاء في مصدره مع تشديد الياء معناه الهبوط واذا فتح مع
تشديد الياء الصعود وقيل بالعكس فيهما وارزقهم من الثمرات؛ بان يجلب
اليهم من سائر البلاد لكونه واديا غير ذي زرع فاجاب الله دعاءه فجعله حرما
آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء الى آخر الدهر بل يجتمع فيه من انواع الثمار الصيفية
والخريفية ما لا يوجد في ريف من الارياف لعلهم يشكرون؛ تلك النعمة لان
النعمة اذا جاءت من حيث لا يحتسب كانت ادعى الى الشكر؛ ربنا انك
تعلم ما نخفى وما نعلن؛ على لا تفاوت فيه ولا احتجاب الى انه باطنه موافق لظاهره
وسره مطابق لعلنه وان فائدة السؤال اظهار العبودية والتلذذ بالتذلل والا
فشهادة الحال بالافتقار اليه كافية ولذلك سلك في مقام التوكل خلاف
ما يسلك هنا روى انه لما وضعه نمرود في المنجنيق والقاه في النار فكان في الهواء
متوجها الى النار لحقه جبريل فقال هل من حاجة خليل الله فقال اما اليك فلا
فقال سل ربك قال علمه بحالي يغنيني عن سؤالي؛ وما يخفى على الله من شيء في الارض
ولا في السماء؛ لان علمه بالاشياء عياني فالنسبة في الكل على السواء؛ الحمد لله
الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحاق؛ مع الكبر في موضع الحال اى وانا كبير السن
على خلاف المتعارف قيل ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له
اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقيل ولد له اسمعيل وهو ابن اربع وستين
سنة واسحاق لتسعين سنة وانما ذكر حال الكبر اعترافا بكمال النعمة فان المنة
بهبة الولد في سن اليأس اعظم فان قلت قوله انى اسكنت من ذريتى بواد غير
ذي زرع هو اسكانه اسمعيل قبل بناء البيت بلا خلاف وقوله الحمد لله الذى
وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق دل على ان هذا الكلام بعد ولادة اسحاق
قلت ان الله تعالى حكى عنه جملا من كلامه في احايين كثيرة متفرقة لاشتراكها فيما
سيق له الكلام من كونه على الايمان والعمل الصالح مريدا بذلك لذريته رب شعبه
ان ربى لسميع الدعاء؛ من اضافة اسم الفاعل الى المفعول وقد ذكر سيبويه
فعيلا من ابنية المبالغة العاملة عمل فعلها مثل ضراب اخاه ورحيم اباه ومعنى
سماع الدعاء الاجابة لها والاعتداد بها كما في قول المصلى سمع الله لمن حمده؛ رب
اجعلنى مقيم الصلوة؛ معدلا لها مواظبا عليها؛ ومن ذريتى؛ وبعض ذريتى لانه قد
علم من قوله ومن كفر فامتعه قليلا ان من ذريته من هو كافر؛ ربنا وتقبل دعاء؛
اى عبادتى لقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله ثم قال وما اعتزلهم وما

يعبدون

يعبدون من دون الله او هو كلمة التوحيد لقوله صلى الله عليه وسلم دعائى ودعاء الانبياء
قبلى بعرفات لا اله الا الله او هو بعثة محمد لما في الحديث انه قال سأخبركم انا دعوة
ابى ابراهيم وبشارة اخى عيسى؛ ربنا اغفرلى؛ ما فرط منى؛ ولوالدى؛ كان ذلك
قبل النهى وقدم مغفرة نفسه ليكون دعاؤه لهما بعد المغفرة اقرب الى الاجابة؛ و
للمؤمنين؛ كافة يثبت؛ شبه ثبوته بقيام الشخص على رجله كما في قولهم قامت
الحرب على ساق وترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها كانها
قامت على الرجل او اهله واسند الفعل اليه مجازا؛ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون؛ اراد تثبيته على ما هو عليه كما في نظائره ولا تدع مع الله الها آخر ولا تكونن
من المشركين او كناية عن الايذان بانه عالم بما يفعله الظالمون لا يخفى عليه خافية او الخطاب
لمن لم يعرف صفات الله وشمول علمه وعن سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم فقيل له من قال له قال انما قال من علمه يريد نفسه؛ انما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار؛ تشخص البصر ارتفاع الاجفان الى فوق وتحديد النظر وانزعاجه ومنه
الشخص لكل جسم مرتفع؛ مهطعين؛ مسرعين الى الداعى او من اهطع اذا اقبل
على الشيء ببصره لا يقلعه عنه او من اهطع البعير اذا مد عنقه وصوب رأسه؛
مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم؛ رافعي رؤسهم وفي صفة ركوعه عليه السلام
كان اذا ركع لا يقنع رأسه اى لا يرفعه وحديث تعليمه الدعاء ولا تقنع يديك
واصل الكلمة من القنوع وهو السؤال فان السائل يرفع رأسه او يديه لدى السؤال
وعدم ارتداد الطرف كناية من غاية الخوف فان من به شدة الخوف يجمد
عينه وافئدتهم هواء؛ خالية من الفهم والادراك لتوجه القوى المدركة الى دفع
الخطر والتخليط وقيل خالية عن الخير ليس بوجه والهواء بالمد كل شيء خال قال
حسان يهجوا ابا سفيان فانت مجوف نخب هواء؛ وانذر الناس؛ يا محمد
يوم يأتيهم العذاب؛ مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة؛ فيقول الذين ظلموا؛
بالشرك؛ ربنا اخرنا الى اجل قريب؛ اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا
وامهلنا زمانا قليلا؛ نجب دعوتك ونتبع الرسل؛ في اوامرهم ونواهيهم جزم
على الجواب وقيل هذا قولهم عند الموت اذا حضرتهم الملائكة بدون البشرى وهو
كقول المؤمن المقصر لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين؛
او لم تكونوا اقسمتم من قبل؛ على ارادة القول والمعنى انكم اقسمتم جهدا بانكم لا يبعث
الله من يموت؛ ما لكم من زوال؛ ابتداء كلام منه تعالى اى لكم زوال وانتقال من
الحال التى انتم فيها كقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون بعد قولهم ربنا اخرجنا منها فان
عدنا فانا ظالمون وقيل هو من كلامهم ايضا ولعلهم اقسموا على ذلك غرورا او بطرا
او شبه حالهم بحال من ايقن بالخلود مؤكدا بالقسم حيث شيدوا البنيان وطول

بهم الزمان : وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم : كعاد وثمود والاصل في السكنى
تعديته بفي لكونه من قرت في الدار واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه
فقيل سكن الدار كما قيل تبواها واوطنها : وتبين لكم كيف فعلنا بهم : كيف انزلنا
بهم العذاب واستاصلناهم بما شاهدتم آثار ذلك او بلغكم تواترا بحيث لم يبق
لكم اشتباه فاعل تبين مضمون كيف فعلنا لتجرده عن الاستفهام : وضربنا لكم الامثال
فيما قصصنا من احوالهم الغريبة وقبايحها الفضيعة وما انزلنا عليهم من العذاب
الفضيع في مواضع شتى : وقد مكروا مكرهم : اي مكرهم الذي استفرغوا فيه جهدهم كما تقول
لخصمك قد فعلت فعلك فقد حان لي ان افعل فعلي وعند الله مكرهم : جزاؤه
وما يستحقون عليه من العذاب : وان كان مكرهم لتزول منه الجبال : وما كان
مكرهم وان عظم تزول منه الجبال يريد ان ثبات امر محمد مثل بالجبال الراسية
فلا تزعزعه مكر هؤلاء واللام لام الجحود مثل ما كان الله ليعذبهم وقرا الكسائي بفتح
اللام فان هي المخففة واللام الفارقة والمعنى ان مكرهم من عظمه يوهم ان يزيل ما هو
كالجبال وهي شريعته ومعجزاته وقيل ان نمرود لما ركب النسور وصعد الى السماء
فلما توسط الجو خاف على نفسه تخشم فاستنزلها فظنت الجبال انه قد
الجن فزالت عن مواضعها خوفا ورعبا : فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله
اخبر في اماكن شتى انه لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف من مواعده مع سائر خلقه
فكيف يخلفه مع اشرف عباده المرسلين قدم المفعول الثاني اهتماما : ان
الله عزيز لا يغالب : ذو انتقام : من اعدائه : يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات : انتصاب يوم على البدل من يوم او ظرف للانتقام والتبديل
يكون في الذات وفي الصفات وما في الاية يحتمل الامرين عن ابن عباس
رضي الله عنه ان الارض هي تلك الارض وانما تبدل اوصافها فتسير جبالها
وتفجر بحارها فتسوى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتبدل السماء بانتثار
كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما
يحشر الناس على ارض بيضاء كقرصة النقي لا معلم فيها لاحد وروى مسلم عن
عائشة رضي الله عنها انها سالت رسول الله اين تكون الناس يومئذ قال
على الصراط وعن علي رضي الله عنه تبدل الارض ارضا من فضة والسماء سماء من ذهب
والظاهر ان التبديل في الصفات كما قاله ابن عباس لما روى ابو هريرة ان رسول الله
قرا هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله
اعلم قال اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها ويؤيده ما قاله
ثعلب والمبرد من ان التبديل تغيير الصفة مع بقاء الجوهر والابدال تنحية
الجوهر وايجاد آخر : وبرزوا لله : من الاجداث : الواحد القهار : ذكر هذين

الوصفين

الوصفين من اصابة المخبر بكان كما في قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كانه قيل
الامر كله له وهو غلاب لا يغالب : وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد
مجمعين من القران وهو الجمع ومنه قرن بالحج اي جمع بينه وبين العمرة والقرن
بفتح الراء الحبل الذي يجمع به بين الشيئين والاصفاد جمع الصفد وهو القيد
وفي الحديث نهي عن صلوة الصافد وهو ان يقرن بين رجليه كانهما في قيد وذلك
لاشتراكهم في العقايد بل الاصفاد هي تلك الاعمال والمعاصي كما ان المؤمنين
يحشرون غرا محجلين من آثار الوضوء : سرابيلهم من قطران : قميصاتهم جمع
جمع سربال والقطران صمغ الابهل يطبخ ويطلى به جلد الابل الجرب فتحرق الجرب
وهو اسود اللون منتن الرايحة والغرض منه تغليظ العذاب لاشتماله على قبح
اللون ونتن الرايحة وسرعة اشتعال النار فيه وقرا يعقوب قطران على انهما
كلمتان من القطر النحاس والآني هو المتناهي في الحرارة : وتغشى وجوههم النار :
اشرف الاعضاء كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله تطلع على الافئدة
فان القلب اشرف الاعضاء الباطنة قيل ان قوله مقرنين في الاصفاد وسرابيلهم
من قطران وتغشى وجوههم احوال من مفعول ترى روعي فيها الترقي بان جعلت
الثانية جملة اسمية والثالثة مضارعية لاستحضار المقصود والظاهر ان سرابيلهم
استيناف وتغشى وجوههم عطف عليه افادة للاستمرار لان جعل المضارع
المثبت حالا مع الواو لا يرضاه البلغاء : ليجزي الله كل نفس ما كسبت : اي
كل نفس مؤمنة وكافرة لانه اذا جازى على الاجرام والعصيان فعلى الطاعة
والايمان اولى : ان الله سريع الحساب : لا يشغله شان عن شان : هذا بلاغ
للناس : اشارة الى قوله ولا تحسبن الله غافلا او الى القران او الى جميع ما في السورة
من التذكير والعظة فيكون كالفذلكة ويكون خاتمة السورة على منوال الفاتحة
ولينذروا به : عطف على محذوف اي لينصحوا به ولينذروا بهذا البلاغ : وليعلموا
انما هو اله واحد : لانهم اذا انذروا وخافوا مما انذروا به دعاهم ذلك الى النظر
الموصل الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله : وليذكر اولوا الالباب : ذوو العقول
الخالصة العالمون بالله وبصفاته اذ ربما يعرض لهم نوع ذهول فيتذكرون بهذا
البلاغ ذكر للبلاغ ثلث فوائد هي الحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل المرسل
اليهم واستكمال القوة النظرية التي غايتها التوحيد واصلاح القوة العملية
بالتدرع بلباس التقوى حشرنا الله في زمرة المتقين بحرمة محمد وآله الطيبين آمين

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين : تلك اشارة الى ما
تضمنته السورة او هذا المؤلف من الحروف آيات الكتاب والكتاب والقران

السورة او القران كله والعطف لتغاير الصفات او الكتاب اللوح المحفوظ
والقران السورة او المجموع او الكتاب السورة والقران المجموع وهو الوجه لقوله في
اول الرعد والذي انزل اليك من ربك الحق بعد ذكر الكتاب ولما كان في
التعريف نوع من الفخامة وفي التنكير اخر جمع بينهما ونكر القران هنا وعرفه في
النمل وقدمه لان كونه قرانا اول على خصوص المنزل على محمد والحدث هناك
من المنزل المخصوص لقوله هدى وبشرى للمؤمنين ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين رب للتقليل والمعنى انهم لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة
لوجب عليهم الاسراع اليه قبل فوته فكيف وهم يودونه كل لحظة وقيل تدهشهم
الاهوال فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك وقد روى
الترمذي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير الاية اذا اخرج الموحدون
من النار ود الذين كفروا لو كانوا من المسلمين وانما دخلت على المضارع وحق
دخولها على الماضي لان المترقب في كلامه تعالى كالمتحقق وانما حكى ودادتهم بلفظ
الغيبة لانهم مخبر عنهم كما تقول حلف زيد ليفعلن كذا ولو قيل لافعلن
لكان عربيا فصيحا والاول اولى واكثر لانه اللبس قرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف
وهي افصح لانها لغة الحجاز وقيس ذرهم ياكلوا ويتمتعوا بعدما بلغت وانذرت
ويلههم الامل يشغلهم طول الامل واستقامة الاحوال عن الاستعداد لما بعد
الموت فسوف يعلمون سوء صنيعهم جعل الكلم وتمتعهم غاية الامر ليصير
مطلوبا فيكون الامر وسيلة اليها وهذا ابلغ من الامر بها وفيه الزام الحجة لان الامر
بالضد لا يكون الا عند تكرار الانذار وثبوت الجحود وظهور مخايل الياس من فيه
ايماء الى وجه النظم وان الكفار انما قعدوا عن الانتفاع بابلغ نافع هو القران
لطول الامل والانهماك في الهوى وتسلية له عليه السلام وتنبيه على ان ايثار
التلذذ كما هو ديدن اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم اجل مكتوب في اللوح متصل بقوله فسوف يعلمون
اي ان العذاب نازل بهم لا محالة ولكن لوقت معلوم كذلك جرى للامم
المكذبة والواو في ولها كتاب هي الداخلة على الجملة الداخلة صفة كما في رابعهم
كلبهم لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف لدلالتها على الجمع والمعية لان اصل الواو
هو العطف ومعنى اللصوق يناسبه فاستعير له كما في الحال والقول بان الصفة
لما شابهت الحال صورة ادخلت الواو عليها قول بحرانه القياس في اللغة فان
قلت فما الفرق بين هذا وبين قوله في الشعراء وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
حيث جيء بالواو هنا وترك هناك والاسلوب واحد قلت الفرق هو ان
هذا الوصف اللصوق بالموصوف لانه لازم عقلي وذاك عادي جرت سنة الله

ما تسبق من امة اجلها المسطور وما يستاخرون حذف للعلم به وذكر الضمير
لاعتبار المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القران قالوه تهكما لقولهم انك
لمجنون وهذا مثل قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون كانهم قالوا ما نظنه
ملكا جنيا لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين فيشهدوا لك بانك
نبي او للعقاب كما جاءت الامم المكذبة واصل لو للشرط فاذا ركبت مع ما او لا
تاتي لامتناع الشيء لوجود غيره اذا دخلت الاسماء وللتحضيض اذا دخلت
الفعل ما ننزل الملائكة جواب لهم منه تعالى اعطاه الرسول الذي نسبوه
الى الجنون ما تنزل الملائكة بفتح التاء والزاي ورفع الملائكة وقرا ابو بكر بضم التاء
على بناء المفعول وحمزة والكسائي وحفص بالنون مسندا الى الله تعالى وهو المختار
لفخامة المعنى ومناسبة السياق والسباق الا بالحق تنزيلا ملتبسا بالحق
او ملتبسين به والمعنى تنزيل الملائكة لا يكون الا على وفق حكمة اقتضتها المشية
ولا حكمة في ارسال الملائكة لان الملك اذا جاء ويكون على صورة الانسان
لا يمكن الاستفادة منه واذا تصور بصورة الانسان فالشبهة بحالها ومناط
ازالتها هو المعجزة واليه اشار بقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا
عليهم ما يلبسون ولا حكمة في معاجلتهم العذاب لان منكم من سبقت
الشقاوة بايمانه او ايمان من يولد منه وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا
اذا منظرين اذا جواب لهم وجواب شرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة
ولم يؤمنوا لوقع عليهم الاستيصال وقطع دابرهم بذلك جرت سنة الله فيمن كذب
بالاية المقترحة انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم بالذكر وادعائهم جنون
من نزل عليه ولذلك اكد الكلام بوجوه من التاكيد وانا له لحافظون بانه
كسوناه لباس الاعجاز فلا يقبل الزيادة والنقصان بخلاف سائر الكتب السماوية
حيث لم يلتزم حفظها بل استحفظها الاحبار فحرفوها وبدلوها فالقران محفوظ
من حين نزل الى ان يرث الله الارض ومن عليها وقيل الضمير لرسول الله والاول
هو الوجه ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين فرق الاولين السابقين
على هؤلاء جمع شيعة تقع على الواحد والجمع مذكرا كان او مؤنثا من الشايعة
وهي المتابعة او من شاع الامر ظهر واشتهر وفي حديث خالد بن الوليد انه
كان مشيعا اي من غاية اقدامه في الحرب كان له انصار وحماة وما ياتيهم
من رسول ما اتاهم والمضارع لحكاية الحال ولذلك دخل عليه ما النافية
للحال الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء معك فلا تبال بهم كذلك
نسلكه في قلوب المجرمين اي مثل ذلك السلك الذي سلكنا في قلوب
تلك الامم نسلكه الذكر في قلوب المجرمين يقال سلكت الخيط في الابرة

اذا دخله فيه: لا يؤمنون به: بيان وتفسير للسلك بعد ابهامه ويجوز ان يكون
حالا من الضمير المنصوب او المجرمين وجعل الضمير للاستهزاء اي نسلك الاستهزاء
في قلوب هؤلاء كما سلكناه في قلوب هؤلاء اولئك وان صح معنى لكن يوجب
تنافر النظم لان ضمير يؤمنون به للذكر لا احتمال وقد بين في الشعراء ذلك بقوله
كذلك سلكناه في قلوب المجرمين بعد ذكر القرآن بدون سبق الاستهزاء: وقد
خلت سنة الاولين: اي طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حيث لم يؤمنوا بعد
ظهور الآيات وهؤلاء يشبهون بهم: ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
يصعدون الى السماء نهارا لاتبس فيه: لقالوا انما سكرت ابصارنا: سدت
وحجبت من سكرت النهر سددته والتشديد للمبالغة وقرأ ابن كثير مخففا
على الاصل ويحتمل ان يكون من السكر ويدل له لازمه وهو الاختلال والتحير:
بل نحن قوم مسحورون: سحرنا محمد وما رأيناه لا حقيقة له والمعنى انهم من شدة
غلوهم في الكفر والانهماك في العناد لو عرجوا بانفسهم الى السماء ودخلوا
فيها على نحو دخولهم في بيوتهم من باب مهيأ للدخول وفقوا نهارهم في
مشاهدة عجائبها لم يؤمنوا وحسبوا ذلك الى التخييل والاخذة بالسحر: و
لقد جعلنا في السماء بروجا: اشار الى دلائل وحدانيته وآياته المبثوثة
في الآفاق والانفس توكيدا لذلك الرد واشارة الى ان في هذه الآيات
غنية عن طلب غيرها اذ مع كونها آيات باهرة مشتملة على نعم جسيمة و
البروج هي منازل الشمس والقمر من البرج وهو الظهور وقيل هي الكواكب
وزيناها للناظرين: اي زينا السماء بزينة الكواكب نزهة لمن يتأتى
منه النظر وقيل النظر بمعنى التأمل والاعتبار: وحفظناها من كل شيطان
رجيم: مرجوم ومطرود وصفة ذم لا مفهوم له: الا من استرق السمع: بدل من
كل شيطان او نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن من استرق والاستراق
الاختلاس من السرقة وذلك ان الشياطين لم يكونوا محجوبين عن السماء
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا وذلك قوله انا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانما يسترقون للاغواء اذا سمعوا كلمة
من الملائكة من احكام الله يلقونها الى الكهنة واهل النجوم وذلك قوله وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم: فاتبعه شهاب: كوكب شبيه الشهاب وهو شعلة من النار
مبين: ظاهر لكل ذي بصر: والارض مددناها: دحوناها: والقينا فيها رواسي
جبالا ثوابت: وانبتنا فيها من كل شيء موزون: وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار
لا تقبل الزيادة والنقصان او من كل شيء له وزن وقدر في باب النعمة من قولهم
فلان له وزن اي قدر واعتبار وقيل الموزون المعادن من الذهب والفضة

ولفظ الانبات لا يلائمه: وجعلنا لكم فيها معايش: اسباب العيش من ثمار الانواع
جمع معيشة والياء في الاصل متحركة فلا تنقلب في الجمع همزة بخلاف الخبائث
والشمائل: ومن لستم له برازقين: من الخدم والحشم عطف على معايش او على
محل المجرور في لكم والمعنى من تزعمون انكم ترزقونه وانتم مخطئون في ذلك فان الله
هو الرزاق: وان من شيء الا عندنا خزائنه: اي الا ونحن قادرون عليه شبه
اقتداره على الايجاد والتكوين بحال من يكون تحت يده خزائن لا مانع له عن اخراج
ما فيها او المقدورات بالمخزونات: وما ننزله الا بقدر معلوم: اقتضته الحكمة وتعلقت
به الارادة بحسب الاوقات والاشخاص: وارسلنا الرياح لواقح: يلقح الاشجار
من لقح الفحل فهو جمع على خلاف القياس او الرياح لواقح نفسها لانها ذات حمل
بالخير لانها تنشئ سحابا ماطرا كما تسمى الاخرى عقيما وهذا الصق بقوله: فانزلنا
من السماء ماء: والاول على الاسناد المجازي او على طريقة النسب كطامث
وطالق: فاسقيناكموه: جعلناه لكم سقيا بالفتح اسم من السقي: وما انتم له
بخازنين: من قبيل وما انت علينا بعزيز اثبت لنفسه الاقتدار على كل ممكن
بطريق التمثيل بالخزانة المملوة مما يحتاج اليه الناس نفى عنهم الاقتدار على ممكن
خاص هو الماء على وجه يتضمن اثباته لغيره وليس الغير الا ذلك القادر جل شانه
ويجوز ان يكون ما موصولة اي وما انتم بخازنين في الغدران والآبار والانهار فان الماء
يقتضي بطبعه الغور فوقوفه لا بد من مدبر حكيم: وانا لنحن نحيي كرر الضمير واكده بان
واللام ليكون الكلام مع من يقول ما هي الا حياتنا الدنيا وما يهلكنا الا الدهر والحياة
يشمل حياة الحيوان وكل نام: ونميت: اي نزيل الحياة عنها: ونحن الوارثون: الباقون
بعد فناء الخلق ومنه الوارث لبقائه بعد موت مورثه: ولقد علمنا المستقدمين منكم
ولقد علمنا المستأخرين: المستقدم والمستأخر بمعنى تقدم وتأخر والمعنى علمنا المتقدمين
ولادة وموتا والمتأخرين من الاولين والآخرين او من خرج من اصلابكم الآن ومن لم
يخرج والوجهان كاللازم لقوله انا نحن نحيي ونميت وقيل من تقدم في الاسلام
والجهاد ومن تأخر وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا
فنزلت وفيه بيان لكمال علمه كما ان في الاول بيانا لكمال قدرته: وان ربك هو
يحشرهم للجزاء لا محالة: انه حكيم: متقن في افعاله فلو لا الحشر لاستوى المحسن
والمسيء وضاع اجر العاملين: عليم: كامل لا يضيع عنده مثقال ذرة ويجوز ان يكون
الوصفان نشرا لقوله انا لنحن نحيي وقوله ولقد علمنا المستقدمين: ولقد خلقنا
الانسان من صلصال: لما ذكر جملا من الآيات المبثوثة في الآفاق اشار الى آية
الانفس حثا على شكر النعمة والتدبر في عظيم قدرته كيف انشأ اشرف المخلوقات
في احسن تقويم من اكثف المواد وابعدها مما عليه الانسان من النضرة

والرواد والصلصال الطين اليابس الممزوج بالرمل قبل الطبخ فاذا طبخ كان فخارا من
الصليل او الصلصلة وهو الصوت وفي الحديث سمعنا يوم حنين صلصلة بين السماء
والارض من حمإ طين اسود متغير صفة صلصال او بدل باعادة الجار مسنون
مصبوب من سنه اذا صبه او من السنة وهي الصورة وفي الحديث لما حث رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الصدقة قام رجل قبيح السنة وسنة الخد صفحته والمعنى من حماء
مصور صورة مفرغة كما تفرغ صور الجواهر المذابة في قالب معد لها او من سن الآد
اذا تغير وانتن والجان خلقناه من قبل اي قبل الانسان والجان ابو الجن كآدم
للبشر وقيل اريد به الجنس كما اريد بالانسان ذلك من نار السموم النار الشديدة الحر
اصل السموم حر النهار كما ان الحرور حر الليل واضافة النار اليه مبالغة كما في رجل سوء
وكانها سميت سموما لانها يدخل في المسام والكلام في الموضعين على ظاهره فان الله
قادر على ايجاد الحياة في البسائط كما في المركبات او باعتبار الجزء الغالب
وفيه اشارة الى الاعادة فان غاية الاجساد ان تعود ترابا كما كانت حالة
البدء واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون
فان قلت خلق الانسان كان بعد هذه المقالة فلم لم يكن النظم على وفق الوجود
وما الحكمة في تقديمه قلت كان الكلام مسوقا للآيات والدلائل الدالة على الوحدانية
وكمال القدرة والعلم وخلق الانسان على النمط المذكور من اظهر الآيات ولما استوفى ذلك
ذكر الانسان اجل نعمة عليه وهو اسجاد ملائكته المقربين له ليكون داعيا له الى التشكر
وادرج في ذلك بيان عداوة الشيطان قديما ليأخذ حذره فاذا سويته صورته
واكملت خلقه ونفخت فيه من روحي لما كان الروح لطيفا نورانيا جعل ايجاده
في الجسم الكثيف كالنفخ فيه والاضافة للتشريف كما في قوله فارسلنا اليها روحنا
والقول بان الروح يتعلق اولا بالبخار المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة
الحيوانية رجم بالغيب وشيء يصان عنه تفسير كلام علام الغيوب ومن
بيانية فقعوا له ساجدين امر ايجاب واكده بلفظ الوقوع وهو سقوط
الشيء من غير اختيار حثا على المبادرة الى المأمور به بعد وجود الشرط
فسجد الملائكة كلهم اجمعون عطف على مقدر اي ثم بعد تلك المقالة خلقه
ونفخ فيه الروح فسجد الملائكة واكده بتاكيدين لئلا يتوهم خروج بعض المقربين
كجبريل واضرابه وقيل اكد باجمعون للدلالة على ان سجدة الكل في زمان
واحد وفيه ان اجمع من اعلام التاكيد للشمول والاحاطة والزمان ليس بلازم
لمفهومه الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين اي لكن ابليس ابى وان جعل
الاستثناء متصلا لانه كان جنيا مغمورا بينهم فابى استيناف كانه قيل لم
لم يسجد وما الباعث له على ذلك فقيل ابى فان قلت القصة واحدة وقد

اختلف

اختلفت العبارات في التعبير عن امتناعه فقد ذكر في البقرة ابى واستكبر وفي
الاعراف لم يكن من الساجدين واقتصر هنا على الاباء وفي سورة ص على
الاستكبار قلت هذا الاختلاف لا ينافي اتحاد القصة فان تلك الافعال
كلها صادرة عنه ودالة على كفره وتمرده قال يا ابليس ما لك اي اي مانع عرض
لك ان لا تكون مع الساجدين في ان لا تكون مع المطيعين لامري قال
لم اكن لاسجد زاد لفظ الكون مبالغة وايذانا واللام المسمى لام الجحود اذا
وقع بعد نفي الكون لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون صفات ذم
لا يليق بي ان اكون مكرما له وغفل عن قوله من روحي وقد بسطنا الكلام في سورة
الاعراف قال فاخرج منها من الجنة او من زمرة الملائكة فانك رجيم اي
مطرود واصل الرجم القتل بالحجارة ويلزمه البعد فاستعمل فيه وهذا الوعيد دل
على ان شبهته واهية لا يستحق الجواب وان عليك اللعنة الى يوم الدين
يوم الجزاء على الاعمال فانه يرى في ذلك اليوم من العذاب ما ينسي اللعن عنده
او لان يوم الدين ابعد غاية يضربه الناس في كلامهم كقولهم ما دامت السموات
والارض قال رب فانظرني الى يوم يبعثون الفاء جواب شرط دل عليه
الكلام اي اذا كنت مطرودا فامهلني مدة فسيحة اقدر فيها على الاغواء ويوم
البعث نهاية دار التكليف وانقطاع تاثير الاغواء قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو يوم البعث بعينه الذي ساله فانه
وقت ممتد من حين انقراض الخلق الى دخول كل فريق مستقره وقيل انما
سال يوم البعث لانه علم ان لا موت بعد البعث فقد سال ان لا يموت
والتمكن من الاغواء فاجيب الى الثاني دون الاول وفيه انه يعلم ان لا سبيل
الى عدم الموت فكيف سال المستحيل ويؤيده الوجه الاول اطلاق الجواب
في الاعراف بقوله انك من المنظرين قال رب بما اغويتني الباء للقسم
واسم الحلف يقع على كل محلوف به ولذلك ورد النهي عن اليمين بالآباء
وفي عرف الفقهاء الحلف بالذات والصفات دون الافعال او الباء
للسببية والمقابلة كما تقول لخصمك بعد الانتقام هذا بذاك لازينن لهم
في الارض في الدنيا عبر بالارض عنها لانها محل متاعها ومظهر آثارها او اراد بالارض
جهة السفل كانه قال اغويت آدم وهو في السماء فانا على اغواء ذريته اقدر وهذا يدل
على ان هذه المقاولة جرت بعد هبوط آدم او ازين لهم الدنيا حتى يستحبوها على الآخرة
ويطمئنوا اليها وانما عدى الفعل بفي دلالة على انها مستقر التزيين بان يكون فيها تمكن المظروف
من الظرف ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين علم ان كيده لا يعمل في عباد الله ولا يؤثر
فيهم وسوسته وقرا الكوفيون ونافع بفتح اللام من خلصته اخترته وهو ابلغ لان

معنى الكسر مبني عليه ولقوله انا اخلصناهم بخالصة ❊ قال هذا صراط علي مستقيم ❊ اشارة
الى مضمون الاستثناء وهو اخلاص طائفة استعار لفظ الاستعلاء وآثره على لفظ
الانتهاء لكونه ادل على التمكن ❊ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ❊ اي المخلصين او الجنس
الا من اتبعك من الغاوين ❊ استثناء منقطع على الاول متصل على الثاني والحق انقطاعه
على الوجهين او لا سلطان له على الغاوي لقوله وما كان لي عليكم من سلطان ❊ وان جهنم
لموعدهم ❊ الضمير للغاوين ❊ اجمعين ❊ تاكيد للضمير لا حال لانه علم التاكيد والموعد مكان
او مصدر بتقدير مضاف اي مكان وعدهم ❊ لها سبعة ابواب ❊ لكثرة الداخلين او
او الابواب دركاتها لقوله ان المنافقين في الدرك الاسفل وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ان الله وضع الجنان على العرض ووضع دركات النار بعضها فوق بعض
فاسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الهاوية وعن ابن عباس
جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود و
والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ❊ لكل باب منهم ❊ من الغاوين
حال من المستكن في الظرف ❊ جزء مقسوم ❊ افرز له وعين قراه ابو بكر باسكان
الزاء ❊ ان المتقين ❊ وهم الكاملون المخلصون من عباده والحمل على الاتقاء من الشرك
غير سديد لشمول الغاوين بعض اهل التوحيد ❊ في جنات وعيون ❊ لكل واحد جنات
وعيون متعددة او لكل واحد جنة واحدة وعين على الاول هو الوجه لقوله ولمن خاف
مقام ربه جنتان وقوله تجري من تحتها الانهار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وابو بكر
وابن ذكوان بكسر العين لاستثقال توالي الضمتين ❊ ادخلوها ❊ على ارادة القول
بسلام ❊ مسلمين من الآفات او مسلما عليكم فرادى من رب رحيم ❊ آمنين ❊ من
الآفات والزوال ❊ ونزعنا ما في صدورهم من غل ❊ ما كان بينهم في الدنيا من الحقد و
والشحناء اصل الغل الخيانة في كل شيء وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم او من التحاسد في درجات الجنات فان كلا يرضى بما فيه ❊ اخوانا ❊
نصب على الحال من الضمير المجرور في صدورهم والعامل معنى الاضافة كما في ملة ابراهيم وكذا
على سرر متقابلين ❊ ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا وجعل اخوانا وما بعده حالا من ضمير
آمنين او جنات او فاعل ادخلوها وان صح معنى فغيبه بعد لفظا ❊ لا يمسهم فيها
نصب ❊ استئناف او حال اخرى او حال من ضمير متقابلين ❊ وما هم منها بمخرجين ❊
اشارة الى الخلود والذي لا يتم النعمة الا به ❊ نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم ❊ فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد ترغيبا للغاوين وترهيبا
للمتقين سند الغفران والرحمة الى ذاته صريحا دون العذاب ايماء الى وفور رحمته
وفيه تسكين روع الخائفين ❊ ونبئهم عن ضيف ابراهيم ❊ اخبرهم بحديث الضيف
فان فيه تذكرة للفريقين عطف القصة المشتملة على ذكر اهل الرحمة والعذاب وفاعل

بالفريقين

بالفريقين ليكون كالبرهان على الوصفين وبدا بذكر الضيف لانه المنشا وادرج
في القصة ذكر القنوط على طريق السؤال والجواب تحذيرا منه فان نسبته من رحمته تزيل
حبالا من الذنوب ولذلك كان القنوط كفرا لانه تكذيب لقوله وسلب للقدرة منه
اذ دخلوا عليه ❊ اي وقت دخولهم ❊ فقالوا سلاما ❊ اي نسلم عليك سلاما
قال انا منكم وجلون ❊ دخلوا وهم جماعة غير معروفين وقيل انما خافهم لانه لما قدم لهم
الاكل لم يتناولوا منه وهذه المقالة انما جرت بينهم بعد ذلك لقوله فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ ❊ قالوا لا توجل ❊ سكنوا خوفه واتبعوه بالبشارة بالولد
انا نبشرك بغلام عليم ❊ استئناف جار مجرى التعليل والغلام هو اسحق
عليه السلام وحيث ذكره في القرآن مع البشارة وصفه بالعليم وحيث ذكر
اسمعيل وصفه بالحليم ولعل ذلك لتفاوت الاخلاق وكان الغالب على كل
منهما تلك الصفة ❊ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر ❊ امر منكر بمقتضى العادة
ان يولد للمثلي ❊ فبم تبشرون ❊ استفهام تعجب اي فباي اعجوبة تبشرون بهذه
او بغيرها من الاعاجيب وفي الحقيقة نفي للبشارة لعدم القابلية عادة وقرا ابن
كثير ونافع بكسر النون وشدده ابن كثير بادغام نون الجمع في نون الوقاية وحذف
الياء والباقون بالفتح على حذف المفعول والاستغناء من نون الوقاية وهو الوجه
لقلة التغيير ووجود التخفيف ❊ قالوا بشرناك بالحق ❊ الثابت في نفس الامر [illegible]
فلا تكن من القانطين ❊ الآيسين منه فان هذا الكلام شبه مقالهم او لانه حل في
زمرة القانطين والنهي عن الشيء لا يستلزم صدوره كقوله ولا تكن من المشركين
قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ❊ المخطئون طريق الصواب والاستبعاد
انما كان على مجرى العادة كما قال زكريا انى يكون لي غلام وقالت مريم انى يكون لي
ولد وقرا ابو عمرو والكسائي بكسر النون حيث وقع في القرآن يقنط فرقا وهي
لغة الحجاز ❊ قال فما خطبكم ايها المرسلون ❊ اي ما شانكم والامر الذي ارسلتم لاجله
الخطب كل امر يعتد به ويقع المخاطبة في شانه وانما علم كونهم مرسلين لامر
غير البشارة لانهم جمع من الملائكة والبشارة يقوم بها واحد كما في بشارة
زكريا ومريم وانما قدموا البشارة اما لانهم كانوا مامورين بذلك من عند الله
او لانهم لما رأوه وجلا سكنوا جاشه ❊ قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين ❊ اي قوم
لوط ❊ الا آل لوط ❊ استثناء منقطع لان المخرج من الحكم على الموصوف يجب ان
يكون الوصف ثابتا له كما اذا قلت جاءني الرجال العلماء الا زيدا يجب
ان يكون زيد موصوفا بالعلم وصفة الاجرام منتفية عن الآل او متصل من الضمير
في مجرمين كانه قيل ارسلنا الى قوم مجرمين كلهم الا آل لوط لاهلاك اولئك
وانجاء هؤلاء فان قلت الاستثناء من القوم لا يجوز ان يكون متصلا

لكونه نكرة غير محصورة ولا مستغرقة فلا حاجة الى التعليل المذكور قلت النكرة اذا
وصفت كانت محصورة فلا مانع الا ما ذكر. الا لمنجوهم اجمعين: لكن جار مجرى
خبر لكن على الانقطاع اى لكن ال لوط منجون واستئناف على الاتصال كانه
لما قيل انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط فقال ما بال ال لوط فقال انا
لمنجوهم الا امرأته: استثناء من الضمير المجرور لا من الاستثناء الاول لان
شرط الاستثناء من الاستثناء اتحاد الحكم كما فى قولك لفلان على
عشرة الا ثمانية الا خمسة وما فى الاية ليس كذلك لان ال لوط متعلق
بارسلنا او المجرمين والا امرأته تعلق بانا لمنجوهم فان قلت هل يصح ان يجعل
الاستثناء راجعا الى المجموع عند من يجعل الاستثناء بعد الجمل راجعا الى الكل
لا الى الاخيرة وحدها قلت لا لان ذلك فى الجمل المتعاطفة لا المنقطع
بعضها من بعض قرا حمزة والكسائى منجوهم بالتخفيف من الانجاء و
والتشديد ابلغ. قدرنا انها لمن الغابرين: الباقين مع غيرها اذ بقى
وهو من الاضداد وانما علق لتقدير لتضمنه معنى العلم او فيه معنى القول
فيقع المكسورة بعده والتقدير فعله تعالى واسناد الملائكة الى انفسهم
لقربهم منه تعالى كما يفعل خواص الملك من اسناد فعله الى انفسهم يشيرون
بذلك الى فرط اختصاصهم وقرا ابو بكر قدرنا مخففا وهما لغتان والتشديد
ابلغ واكثر. فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون: غير معروفين
تنفر منكم قلوبنا. قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون: يشكون من
نزول العذاب الذى كنت توعدهم به وانما كنوا عن العذاب بالموصول
لما فيه من الاستيناس لوجهين تحقق العذاب وتحقق صدقه ولما فيه لفظ
الامتراء من التذكير بما كان يكابد منهم من التكذيب والجحود. واتيناك
بالحق: بالامر الذى هو كائن لا محالة. وانا لصادقون: فيما اخبرناك
وهذا كله تاكيد ظاهر والقصد منه التسلى وتنفيس الكرب عنه والا فلوط
لم يشك فى قولهم بعد علمه بانهم مرسلون. فاسر باهلك بقطع من الليل: بطائفة
من الليل والقطع يكون القطاع ظلمة اخر الليل قال الشاعر افتحى الباب فانظرى
فى النجوم: كم علينا من قطع ليل بهيم. وقرا نافع وابن كثير بهمزة الوصل من السرى
والباقون بالقطع من الاسراء وهو المختار لاتفاقهم فى اسرى بعبده. واتبع
ادبارهم ولا يلتفت منكم احد: ارشاد الى ما هو ادخل فى الحزم وهو ان يقدم
اهله امامه ليكون مطلعا على احوالهم ذاهبا على اثارهم فارغ القلب
وانما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما اصاب قومهم فيرقوا لهم او لئلا
يروا ديارهم واوطانهم فيتعلقوا فيكونوا كالمتحير وجعل عدم الالتفات كناية

عن السرعة عن مكان حل به غضب الله تعالى لان الملتفت لا بد له من ادنى وقفة
وفيه اشارة الى ان من اراد السفر الحقيقى فهو اولى بقطع العلائق وهدم العوائق
والاقبال بالكلية على الله تعالى. وامضوا حيث تؤمرون: هو الشام او مصر وانما
عدى امضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لابهامه فى الامكنة وكذلك
الضمير فى تؤمرون. وقضينا اليه: اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى
وفائدته الدلالة على انه لا محالة كائن. ذلك الامر تفسيره: ان دابر هؤلاء
مقطوع: ابهمه ثم فسره تعظيما للامر وتفخيما له والمعنى انهم مستاصلون لانه
دابرهم اذا اهلك لم يشذ منهم احد. مصبحين: داخلين فى الصباح نصبه على
الحال اما من هؤلاء او من الضمير حملا على المعنى. وجاء اهل المدينة يستبشرون:
باضياف لوط لما راوهم اجمل الخلق. قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون: فان
الى الضيف اساءة الى المضيف وانزال عاره. واتقوا الله: باجتناب الفاحشة
ولا تخزون: لا تذلونى من الخزى وهو الذل او من الخزاية وهى الحياء. قالوا
اولم ننهك عن العالمين: فانه كان ينهاهم عن التعرض للغرباء والواردين وقيل
كانوا نهوه عن انزال الضيف وقبوله. قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين: اراد
بالبنات نساء امته ومعنى ان كنتم فاعلين الشك فى قبول نصحه كانه قال
ان كنتم فاعلين ما اقول ولا اظنكم تفعلونه وقيل كانت له بنات جبابرة
يطلبون نكاحهن فلما اضطر رضى بذلك فان قلت النظم يدل على ان مقاولة
لوط مع قومه كانت بعد علمه بانهم ملائكة ارسلوا لاهلاكهم فلا وجه للاعتذار بعد
علمه قلت الواو لا يدل على الترتيب الا ترى ان قوله تعالى فى سورة هود انا رسل
ربك لن يصلوا اليك انما ذكر بعد تلك المقاولة ويأسه عن قبول نصحه و
واظهار الضعف بقوله لو ان لى بكم قوة او اوى الى ركن شديد فان قلت لم غير
الاسلوب ولم يرد النظم على وفق الوجود فلا بد لذلك من وجه قلت لما
كانت هذه السورة مصدرة بما فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بل معظم
السورة انما سبق لذلك كان مقتضى الحال تقديم ما هو دال على تفريج الهم
عن القاصرين وتنفيس الكرب عنهم. لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون: جملة
معترضة والمخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير فى سكرتهم لاهل مكة المخاطب
له والضمير لقوم لوط والعمر بفتح العين لغة فى العمر بضمها ولا يستعمل الا باللام
فى القسم وقيل القائل هو الملائكة للوط يريدون كفه عن نصحهم لعدم
القابلية والوجه هو الاول واراد بسكرتهم شدة غوايتهم لانهم من فرط
جهلهم سكارى لا يفرقون بين الخطا والصواب. فاخذتهم الصيحة: اى
صيحة جبرئيل صاح بهم فهلكوا فى مكانهم والتعبير عن الاهلاك بالاخذ اشارة

اى بكمال التمكن ولذلك سمى الاسير اخيذا. مشرقين: داخلين وقت شروق
الصبح او شروق الشمس وقوله مصبحين باعتبار الابتداء. فجعلنا عاليها سافلها
اى قرى قوم لوط. وامطرنا عليهم حجارة من سجيل: من طين متحجر او طين عليه كتاب
من السجل. ان فى ذلك لآيات للمتوسمين: للناظرين بالتأمل فى سمة الاشياء
يقال وسمت فى فلان خيرا اذا عرفت وسمه فيه واصله العلامة. وانها: اى
سدوم وهى مدينة التى كان يسكنها او هى وسائر القرى حولها. لبسبيل
مقيم: طريق واضح ثابت ترونها آثارها المارة من اهل مكة فكان عليكم ان
تعتبروا اذ لا دليل اقوى من العيان. ان فى ذلك لآية للمؤمنين: الذين
يصدقون بالآيات ويفرقون بين الاشياء. وان كان اصحاب الايكة
لظالمين: هم قوم شعيب فانه كان مبعوثا اليهم والى اهل مدين والايكة الشجر
المتكاثف ولم يبين ظلمهم وهو البخس والتطفيف لعدم ايراد قصته هنا
ولذلك غير الاسلوب. فانتقمنا منهم: بعذاب يوم الظلة. وانهما: اى
مدين والايكة دل عليه ذكر الايكة وقيل سدوم والايكة. لبامام مبين: اى
ملتصقان بطريق واضح الامام مصدر معناه ما يؤتم به يطلق على الطريق
لان المارة يأتم به. ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين: هم ثمود
والحجر واد بين الشام ومدينة رسول الله وتكذيبهم الرسل انما هو تكذيب صالح
لان من كذب نبيا فقد كذب سائر الرسل لان المعجزة عامة وهى دليل
النبوة وفى هذا تعظيم ولذلك كثرت هذه العبارة فى قصص سائر الانبياء
وعن جابر رضى الله عنه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال
لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا الا ان تكونوا باكين لئلا يصيبكم مثل ما
اصاب هؤلاء ثم زجر راحلته حتى خلفها. وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها
معرضين: هى معجزات نبيهم منها ما اقترحوه وهى الناقة الموصوفة وقيل
ادلة التوحيد. وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين: طالت اعمارهم
نحتوا بيوتا من الجبال لئلا تخرب او لانهم ظنوا من جهلهم انها تحمى من
عذاب الله تعالى. فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون:
من نحت الجبال وسائرها ادخروه. وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق: اى ملتبسا به كالدليل على استحقاق المهلكين لان خلقها ملتبسا بالحق
يقتضى زوال الباطل وثبات الحق. وان الساعة لآتية: قطعا دفع لما
يتوهم من ان ما يلحقهم من العذاب فى الدنيا كاف لجرائمهم فاصفح الصفح
الجميل: لا تعجل خطاب له عليه السلام لانه الذى يلى عليه القصص. ان ربك
هو الخلاق: لكامل القدرة على الخلق فهو قادر على استيصالهم ولكن الحكمة اقتضت

الاهمال. العليم: بالاشياء وحقائقها لو لم يعلم ان فى الصفح حكمة لما امرك به
نسخت باية السيف وقيل محمول على المخالفة فلا نسخ. ولقد آتيناك سبعا
من المثانى: هى الفاتحة او السبع الطوال واختلف فى السابعة فقيل الانفال
والبراءة لانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل هى آل حم
وقيل سبع صحائف وهى الاسباع والمثانى من التثنية وهى التكرير لان
الفاتحة يكرر فى الصلوة وغيرها او من الثناء لما فيها من الثناء على الله واحدها
مثناة او مثنية صفة للآية واما السورة والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص
ولما فيها من الثناء فكانها تثنى على الله تعالى بما هو اهله ومن اما للبيان او التبعيض
ان اريد بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان ان اريد الاسباع والحق انها الفاتحة
لما فى الحديث انها السبع المثانى والقران العظيم الذى اوتيته ولان القران كله
او الطوال او آل حم لم يكن نازلا والتاويل خلاف الاصل مع مخالفة الحديث
والقران العظيم من عطف احد الوصفين على الآخر ان اريد الاسباع والا
فمن عطف العام على الخاص. لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
اصنافا من الكفار كلام جار مجرى التعليل كانه يقول لما اذا اوتيت القران
العظيم الذى يستحقر دونه كل نعمة فعليك به واستغن عن غيره عن ابى بكر
الصديق من اوتى القران العظيم فراى ان احدا اوتى افضل مما اوتى فقد صغر
عظيما وعظم صغيرا قيل وافت من بصرى واذرعات قوافل سبع ليهود
بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون
لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل
السبع واما حديث من لم يتغن بالقران فليس منا فالظاهر ان المراد به
تحسين الصوت فى قراءته. ولا تحزن عليهم: على فقراء امتك فيؤدى
ذلك الى النظر وتمنى الدنيا لهم او لا تحزن على عدم ايمان الكفار او اهلاكهم
بالعذاب. واخفض جناحك للمؤمنين: مجاز عن التواضع لان الطير اذا
رق على افراخه تخفض جناحه. وقل انى انا النذير المبين: الموضح للانذار
ببرهان قاطع. كما انزلنا على المقتسمين: متعلق بقوله ولقد آتيناك اى
انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب وقوله ولا تمدن عينيك الى آخره
اعتراض لان قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى كلام مسوق
للتسلية عما كانوا ينسبونه اليه من الجنون ومن كونه شاعرا او ساحرا
فالنهى عن الالتفات الى دنياهم والامر بالاقبال اليه تعالى تتمة لتلك التسلية
او بقوله انا النذير المبين اى انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين

الذين جعلوا القرآن عضين من العضو فانهم قالوا بعضه حق وبعضه باطل
فكانهم عضوا اعضاء وهم اليهود والنصارى حيث قالوا انه يوافق كتبهم
انه حق وما يخالفه باطل او القرآن ما يقرأونه من كتبهم فانهم حرفوها وبدلوها
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع صنيع قومه بالقرآن من قولهم
سحر وشعر واساطير الاولين كانوا يقتسمون مداخل مكة ايام الموسم
فيقعدون على الطرقات ينفرون الواردين عن الايمان وقيل هم الذين
قصدوا اهلاك صالح واقتسموا على ذلك على ما حكي عنهم قالوا تقاسموا
بالله لنبيتنه واهله وقيل عضين من العضة يقال عضهه اذا بهته وفي
الحديث لا يعضه بعضنا بعضا وهو البهتة وعن عكرمة العضة السحر بلسان
قريش وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه فوربك لنسألنهم
اجمعين عما كانوا يعملون عن اعمالهم سؤال تقريع ومنها قتادة وعن ابي
العالية يسألهم عما كانوا يعبدونه وما اجابوا به المرسلين او الاول
التعميم فاصدع بما تؤمر فاجهر به وابنه ابانة لا تمحى اثرها الى اخر الدهر كصدع
الزجاجة لا يقبل الالتيام والصدع الزجاجة الابانة التفريق ومنه
الصديع للفجر كانه يشق جيب الليل والصداع للراس كانه يشقه والمعنى
بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت
به ويجوز ان يكون ما مصدرية على بناء المفعول اي بامورك واعرض عن
المشركين نسخ باية السيف انا كفيناك المستهزئين عن عروة
ابن الزبير وهم خمسة نفر ذوو انساب وشرف في قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث
ابن الطلاطلة عن ابن عباس رضي الله عنه ماتوا كلهم قبل بدر جاء جبريل
عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال امرت ان اكفيكهم فاومى
الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق سهم بثوبه فلم ينعطف لاخذه تعظيما فاصاب
عرقا في عقبه فقطعه فمات منه واشار الى اخمص قدم العاص بن الوائل
فدخلت شوكة فيها فقال لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحا
ومات واومى الى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي واشار الى انف حارث
ابن قيس فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وكان قاعدا في
اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك الى ان مات
الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون ما اعد لهم من العذاب
ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الطعن فيك وفيما انزل
اليك اشار الى قولهم انك لمجنون فانتظمت الخاتمة مع الفاتحة وفيه

نفس عن حبيبه وازاح ما ناله من الكرب من تلك المقالة فسبح
بحمد ربك نزه ربك عن كل نقيصة ملتبسا بتحميده ولا تشتغل بمكافاة
اعدائك فان لك ربا يكافح عنك وكن من الساجدين دعاه الى
مقام القرب ومناجاته ومظهر الفناء عن نفسه واعبد ربك ودم
على عبادته فان السر في انه ليس له امد اذا تغييه بداوام بذا يعتني
حتى ياتيك اليقين اي نزول العذاب بهؤلاء او الموت وفي الحديث
لما مات عثمان بن مظعون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد
جاءه اليقين وفي الاية دليل على ان التسبيح والعبادة من اسباب
النجاة من ضيق الصدر والكرب وفي الحديث اذا احزنه امر فزع الى
الصلوة اللهم انا نسبحك ونحمدك بما مدحت وندعوك ان تكشف
عنا كل كرب وهم وغم بحق من انزلت عليه هذه الايات

سورة النحل مكية الا ثلث ايات في اخرها وهي مائة وثمانية وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه قال ابو جهل
او نضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء فقيل لهم اتى امر الله عبر عنه بالماضي لكونه واجب
الوقوع لا محالة وفيه ايقاظ ليكون ما بعده متمكنا في نفس حاضرة
وتمهيد لما يرد من دلائل التوحيد سبحانه وتعالى عما يشركون عن
اشراكهم او عن الذي جعلوه شريكا له كانوا يقولون لو صح ما يقول محمد
تشفع لنا الاصنام فكانه قيل جل سرادق كبريائه عن ان يحوم
حوله الشرك فضلا عن الهتهم الجمادات وقرا حمزة والكسائي
بتاء الخطاب على وفق تستعجلوه والمختار الغيبة اهانة لهم وابعادا
عن ساحة الحضور ينزل الملائكة بالروح من امره اي القران او
الوحي الذي به حيوة القلوب الميتة بالجهل افمن كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا او بما هو في الدين كالروح في الجسد استعارة مكنية
وليس وزانه من امره وزان من النحل بعد ذكر الخطيئين في البقرة
وقرا ابن كثير وابو عمرو وينزل مخففا من الانزال وهو الكثر دورا والتشديد
الكثر معنى على من يشاء من عباده من اختاره للرسالة ان انذروا
بدل من الروح على انها مصدرية او مفسرة لان تنزيل الملائكة بالروح
فيه معنى القول او مخففة بتقدير ضمير الشان اي بان الشان انذروا
فان قلت اذا كان الضمير مقدرا فلا يستقيم الكلام الا بتقدير القول
بعده قلت هي وقوع الانشاء خبرا من غير تقدير القول خلاف على ان

ذلك لا تجري في ضمير الشأن لانه عين الواقع خبرًا كما اذا قلت كلامي اضرب
زيدًا والانذار الاعلام مع التخويف وفي الحديث كان اذا خطب علا صوته
واحمرت عيناه كانه منذر جيش: انه لا اله الا انا فاتقون: ان الشأن
اختصاص الالوهية في نحو مفهوني التفت الى التكلم لان ضمير المتكلم اعرف
وابعد عن اللبس ومقام التوحيد يلايمه: خلق السموات والارض بالحق
دليل على توحده بما يقطع الشبهة اذ لا يقدر احد على انكاره ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله: تعالى عما يشركون: عن اشراكهم
او مما يشركونه وقرا حمزة والكسائي بالخطاب كالاول والتوجيه كما تقدم
وفي الاية دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام: خلق الانسان من نطفة من
ماء يخرج من بين الصلب والترائب: فاذا هو خصيم: منطيق: مبين:
موضح لحجته بعدما كان جمادًا لا حس به ولا حراك فوجوده دليل على قدرته
تعالى اشار الى معنى قوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم او لعد ما كان
جمادًا ثم صار في احسن تقويم خصيم لربه ينكر قدرته قائلًا من يحيي العظام
وهي رميم وهو ابي بن خلف جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم
بال وقال يا محمد تقول ان الله يحيي هذا بعد ما رم: والانعام هي الابل
والبقر والغنم منصوب بفعل يفسره: خلقها لكم: او معطوف على
الانسان ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لمصالحكم يا ايها الناس ثم فصل
لكم المنافع بقوله: فيها دفء: ما يدفأ به لدفع البرد: ومنافع: اخرى
نسلها ودرها واثمانها: ومنها تأكلون: على الاستمرار فلا يصح الاكل من
الطيور وانواع الصيد في تقديم الظرف للتقييد للحصر وقيل انما قدم
محافظة على رؤس الآي ولحم الخيل عند من اباح اكله خرج بقيد الاستمرار
ولكم فيها جمال حين تريحون: تردونها من المرعى الى مراحها: وحين تسرحون
تخرجونها من المراح الى المراعي وانما قدمت الاراحة على التسريح لان الجمال
حين الاراحة اظهر لانها تعود ملأى البطون حافلة الضروع واقعة برأي من
اصحابها في الحضائر: وتحمل اثقالكم: جمع ثقل بفتح القاف متاع البيت
الى بلد لم تكونوا بالغيه: مجردين عن الاثقال فضلا عن حملها على ظهوركم: الا بشق
الانفس: الا بكلفة ومشقة على انه مصدر او بالنصف كانه ذهب نصف
قوته بالتعب وفي الحديث اتقوا النار ولو بشق تمرة: ان ربكم لرؤف رحيم
لكثر الرأفة والرحمة ولذلك خولكم هذه النعم الجسام: والخيل والبغال والحمير
عطف على الانعام: لتركبوها: مصدر بتقدير فعله اي ولتتزينوا بها زينة وانما
غير الاسلوب لان الركوب مقصود والزينة تحصل بالعرض وقيل لانه الاول فعل

الخالق

الخالق واثنا في فعل المخلوق ولا دليل في الاية على حرمة لحم الخيل لان رابط الخيل غرضه منها
الركوب والزينة لا اكل اللحم بخلاف الانعام والذي يقطع مادة الشبهة ان الصحابة
اوقدوا النار على لحم الحمر الاهلية يوم خيبر والاية مكية فلو دلت على الحرمة لم يلتبس عليهم
ويخلق ما لا تعلمون: من الاشياء النافعة او من المخلوقات وما يعلم جنود ربك
الا هو والغرض بيان كمال اقتداره او ما في الجنة مما لم يخطر على قلب بشر والملايمه
لفظ المضارع: وعلى الله قصد السبيل: هداية الطريق الموصل اليه والتعبير بعلى لكونه
واقعا لا محالة والقصد في الاصل الاعتدال بين الافراط والتفريط والسبيل اريد به الجنس
لقوله: ومنها جائر: اي ومن جنس السبيل سبيل جائر لم يوصل الى المطلوب غير الاسلوب
وان كان الضلال بمشيئته لانه ذكره بالعرض ليمتاز عن سبيل الحق: ولو شاء لهديكم
اجمعين: لو تعلقت مشيئته بهدايتكم لخلق فيكم الاهتداء وانتفاؤها لانتفاء سببها
هو الذي انزل من السماء ماء: استدل اولا على وحدانيته بخلق السموات والارض
لانها الاصول ثم بخلق الانسان وسائر الحيوانات ثم باحوال النبات وعجائبه
ازاحة للشبهة عن طريق اشرف المطالب: لكم منه شراب: الشراب ما
يشرب من تبعيضية اي بعض ذلك شراب لكم واللام تتعلق بانزل
ولا حصر في التركيب حتى يتعذر بان سائر المياه منه لقوله فسلكه ينابيع
في الارض: ومنه شجر: تنبتون من ذلك الماء: فيه تسيمون: ترعون مواشيكم
من اسمت الماشية اذا رعيتها من السومة وهي العلامة لانها يؤثر في الارض
بالرعي: ينبت لكم به الزرع: قرا ابو بكر بالنون على التعظيم التفاتا من الغيبة
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات: بعض جميع الثمرات لان
ما في الامكان لم يقع كله بالفعل لا في الدنيا ولا في الجنة وتقديم ما تسيمون فيه
لكونه اهم لا سيما عند العرب لان جل ما كلهم البان الانعام وملبسهم اصوافها
واوبارها واشعارها وفي ترتيب الزرع والزيتون والنخيل والاعناب روعي
ذلك: ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون: ينظرون نظر تامل واعتبار اذ
نسبة العلويات والسفليات الى الكل سواء فالتخصيص بالاشكال والصور
والطعوم المختلفة انما هو بارادة المختار: وسخر لكم الليل والنهار: الليل للسكون
والراحة والنهار للكسب والسعي في اسباب المعاش: والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره: بارادته قرا ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء والخبر ووافقه
حفص في الاخيرين والباقون بنصب الكل على العطف في الثلاثة وعلى الحال في الرابع
ان في ذلك لاية لقوم يذكرون: يستعملون عقولهم: وما ذرا لكم في الارض
خلقه لكم من سائر الاجناس: مختلفا الوانه: بعضه ابيض وبعضه احمر الى غير ذلك
ان في ذلك لاية لقوم يذكرون: افرد الاية في الفاصلة الاولى وذكر التفكر لاثبات

نوع واحد يحتاج الى تأمل وتدبر لان اخراج النبات الخضر النضر من الحبة اليابسة
امر بديع وجمع في الفاصلة الثانية لان الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم يشتمل
على انواع من الدلالات ولما كانت امورا محسوسة لا يتوقف الا على توجيه
العقل جعله الفاصلة ولما كان التوزن وان اختلف اصنافه مسلكا واحدا وهو
في غاية الظهور ختم الاية بالتذكر الذي هو التفات النفس الى الحاصل عنده من
دون تجشم كسب: وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكن من سلوكه كالبر
يشير الى عجايب البحر بعدما بين بدايع صنعه في العالم العلوي والسفلي: لتأكلوا
منه لحما طريا: لحم السمك وصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم يسرع اليه
الفساد وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا يأكل اللحم يحنث
باكل السمك والجمهور على خلافه لان مبنى الايمان على العرف ومن قال
لعبده اشتر اللحم ثم جاء بالسمك لم يعد ممتثلا بل ينسب الى البلاهة وهذا
كما ان الله تعالى سمى الكافر دابة ومن حلف لا يركب دابة ثم ركب كافرا لا يحنث
اجماعا: وتستخرجوا منه حلية تلبسونها: كاللؤلؤ والمرجان جعل اللبس لهم وان كان
اللابس نساؤهم لانه غرض لتزينهن بما نبذ اليهم وفي المثل كل ما يعجبك والبس
ما يعجب الناس: وترى الفلك مواخر فيه: جمع ماخرة من مخره اذا شقه لانها
تشق الماء بصدرها ومن الفراء المخر صوت الفلك عند جريها وانما غير الاسلوب
وزاد لفظة الرؤية اشارة الى ان الفلك المواخر مع كونها نعما ايات باهرة على قدرته
ولتبتغوا من فضله: بالسفر فيها للتجارة عطف على قوله لتأكلوا او هو مع قوله و
ولعلكم تشكرون: متعلق بمقدر كانه قيل لتستدلوا بها على الصانع الحكيم ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكروا نعمته حيث جعل مظنة الهلاك سببا للانتفاع وتحصيل
المعاش على اهون الوجوه فانها تقطع المسافة البعيدة في لمحة الطرف: والقى
في الارض رواسي جبالا ثابتة ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فانها خلقت
على وجه الماء فلم يستقر فارسى الجبال فيها فاستقرت فذلك قوله والجبال
اوتادا والمائد الدائر ومنه مائدة الطعام لاستدارة شكلها والقول بانها
خلقت كرة حقيقية بسيطة وكان من حقها ان تتحرك على الاستدارة كالافلاك
فارسيت بالجبال شيء لا اصل له بل هي اصول فلسفية يصان عنه كلامه تعالى بل يخالف
لقوله كل في فلك يسبحون اذ لو كانت الحركة للافلاك دون الكواكب فاي معنى
للسباحة: وانهارا: عطف على رواسي بحسب المعنى اي جعل فيها انهارا لان
الالقاء يلزمه الجعل: وسبلا لعلكم تهتدون: لمقاصدكم والسعي في اغراضكم او تهتدون
بالتأمل فيها الى معرفته تعالى: وعلامات: الامارة التي يستدل بها السابلة من
جبل وشجر واحجار وغير ذلك: وبالنجم هم يهتدون: بجنس النجم وعن السدي انه

الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وانما اخرج الكلام عن سنن الخطاب
لان المراد بهم قريش الذين كان لهم رحلة الشتاء والصيف وغيرهما من
الاسفار فكان الشكر عليهم اوجب ولذلك اثر طريق الحصر كانه قيل وبالنجم
خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون: افمن يخلق كمن لا يخلق: انكار
بعد اقامة البرهان على تفرده بايجاد المبدعات من السموات والارض
وما فيهما كيف يسوى بينه وبين ما لا يقدر على خلق ذرة وكان الظاهر افمن
يخلق كمن لا يخلق الا انه عدل عنه تنبيها على انهم بالاشراك بالله تعالى جعلوه
شبيها بالمخلوق العاجز واي بون لان تلك الاصنام لما عبدت اجريت
مجرى اولي العلم او للمشاكلة او المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي
العلم فكيف بما لا علم له ولا ادراك وهذا هو الوجه وفي معناه الهم ارجل
يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها يريد انها منحطة
عن درجة هؤلاء فاذا لم يصلح للالوهية فكيف عنها بمراحل: افلا تذكرون
فتعلموا فساد ذلك: وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها: عدد النعم العظام
من انواع شتى ثم اشار اجمالا الى سايرها وانها في الكثرة بحيث لا يقدر احد على
عدها فكيف القيام بشكرها: ان الله لغفور: حيث يتجاوز عن تقصيركم رحيم
لا يقطع النعم بترك الشكر عليها او لا يعاجلكم بالعقوبة ولما ختم الاية في سورة
ابراهيم بقوله ان الانسان لظلوم كفار ختم هنا بقوله ان الله لغفور رحيم
ليكون كل من وصفي العبد من الظلم والكفران مقابلا بوصف من الغفران
والرحمة ايماء الى ان رحمته سبقت غضبه والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
من الاعمال العقايد وعيد وحث على الاخلاص والذين تدعون من دون
الله والمخاطبون بعض من خوطب اولا لعمومه المؤمن والكافر وقرا عاصم
بالياء: لا يخلقون شيئا: من الاشياء: وهم يخلقون: مخلوقون عجزة
تحت قدرة خالقهم ترقي في البرهان: اموات غير احياء: لم تعتريها الحيوة
قط او ليس لها حياة بالذات بل مستفاد ان كان لها حياة فيشمل
الاصنام وكل ما عبد من دون الله ويؤيد هذا الوجه قوله: وما يشعرون
ايان يبعثون: لان من لم يثبت له الحيوة لا يحتاج الى سلب الشعور عنه وفيه
تهكم بالمشركين بان معبوداتهم لا شعور لها بوقت البعث فكيف
يقدر على الشفاعة وايصال الثواب والعقاب واشارة الى ان البعث
من لوازم التكليف لئلا يضيع اجر المحسنين: الهكم اله واحد اعاد
المدعى بعد اقامة البرهان تقريرا: فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون: اي بعد ثبوت الوحدانية ووضوحها لم يكن من المشركين

الآنفس مقتضي الفعل وهو الانكار بالقلب والاستكبار وطلب الترفع عن صرف الجوارح الى ما خلق لها. لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون: حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فاعد لهم جزاؤهم. انه لا يحب المستكبرين: جنس المستكبرين فضلا عن الذين يستكبرون عن التوحيد. واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم: ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل او مرفوع بالابتداء اي اي شيء انزله. قالوا اساطير الاولين: اي ما تدعون نزوله اساطير الاولين اباطيلهم وازارفته فالمعنى المنزل اساطير الاولين نظيره يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب والسائل اما بعض المشركين او الوافدون او المسلمون والمجيب الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون الوفود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألوهم عما انزل اليه سموه منزلا تهكما. ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي انما قالوا ذلك القول اضلالا للناس عن طريق الرشاد فاللام للعاقبة. ومن اوزار الذين يضلونهم: بعض اوزارهم لانهم تسببوا لضلالهم بغير بغير علم: حال من المفعول اي اضلوهم غير عالمين بان القائلين يريدون اضلالهم وفيه دلالة على ان الجاهل ليس بعذر بل كان عليهم البحث حتى يظهر لهم الحق من الباطل وفيه ان كيدهم لا تروج على ذوي الالباب بل انما تقلدهم الانعام وفيه ذم لهم اذ لم يتدبروا الا على اغواء الضعفة المسترشدين. الا ساء ما يزرون: اي بئس شيئا يزرونه فعلهم. قد مكر الذين من قبلهم من قبل قريش برسلهم. فاتى الله بنيانهم من القواعد: جمع قاعدة وهي الاساطين التي تقيم البناء او الاساس. فخر عليهم السقف من فوقهم: اذ لا بقاء للسقف بعد ذهاب القواعد. واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون مثل حالهم في توكيد حيلهم ليمكروا بها رسل الله ببنيان على قواعد محكمة ليكون سببا لنجاتهم وكانوا آمنين اذ هدم الله عليهم فجاءة فكان ما اعدوه للنجاة سببا للبوار وفي المثل من حفر لاخيه قليبا وقع فيه وقيل هو نمرود بن كنعان بنى الصرح طوله خمسة الاف ذراع فاهبت الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا. ثم يوم القيمة يخزيهم: بعذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته. ويقول اين شركاي: اضافهم الى ذاته تخجيلا وتوبيخا لهم. الذين كنتم تشاقون فيهم: تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون على ان اصله نون الوقاية حذف منها الياء اكتفاء بالكسرة تنويها بشان المؤمنين بجعل مشاقتهم مشاقة. قال الذين اوتوا العلم: هم الانبياء او الملائكة او اولوا العلم جميعا. ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين: يقولون ذلك شماتة وتشفيا وحكاه الله ليكون لطفا بالسامعين

الذين

الذين تتوفاهم الملائكة: قرا حمزة بالياء لان التانيث غير حقيقي والموصول يحتمل الاوجه الثلاثة. ظالمي انفسهم: بان عرضوها للعذاب المخلد. فالقوا السلم: عطف على قوله قال الذين اوتوا العلم اي اذعنوا واستسلموا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه والسلم بفتح اللام والسين مصدر بمعنى الاستسلام والانقياد. ما كنا نعمل من سوء: كفر وعدوان جحدوا ان يكون صدر منهم ما كان صادرا ولذلك قال انظر كيف كذبوا. بلى: جواب اولي العلم. ان الله عليم بما كنتم تعملون: وهذا اوان جزائه والقول بان هذا الكلام للملائكة حين توفي الكفار يرده قوله. فادخلوا ابواب جهنم مع انكارهم وقولهم ما كنا نعمل من سوء لا معنى لجريانه مع الملائكة المتوفين لارواحهم. خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين: مثواهم. وقيل للذين اتقوا: اي المؤمنين. ماذا انزل ربكم هو الوافدون للاستكشاف خبر رسول الله من القبائل ايام الموسم. قالوا خيرا: المجيب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الوافد كان يقول اذا كفه المقتسمون عن الاتيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا بشر وافد ان رجعت ولم القه ولم استطلع امر محمد النصب ههنا والرفع فيما تقدم للفصل بين جواب المقر وجواب الجاحد فان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال وقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء ويجوز ان يكون خيرا مفعول قالوا وقوله. للذين احسنوا: وما بعده بدلا من خيرا كانهم اجملوا في الجواب ثم فصلوا ايضاحا للمسترشدين ويجوز ان يكون للذين احسنوا كلاما مبتدأ ثناء على القائلين في جوابهم وانه من حسناتهم معدودا من جملتها وهذا الوجه احسن طباقا لان هذا الوعد في مقابلة الوعيد بقوله ليحملوا اوزارهم. في هذه الدنيا حسنة: مكافاة على فعلهم. ولدار الاخرة خير: ولهم في الاخرة خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة. ولنعم دار المتقين: دار الاخرة حذف المخصوص لتقدم ذكره. جنات عدن: خبر مبتدا محذوف اي لهم ويجوز ان يكون المخصوص وان يكون مبتدا. يدخلونها: خبره. تجري من تحتها الانهار: خبر اخر على الوجهين الاولين حالان اما من فاعل الظرف او من فاعل نعم. لهم فيها ما يشاؤن: من الملاذ وتقديم الظرف للدلالة على ان الانسان لا يجد جميع الاماني الا في الجنة. كذلك يجزي الله المتقين: الكاف في محل النصب على المصدر اي مثل ذلك الجزاء وهذا ايضا يؤيد الوجه الاخير. الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من الكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم او فرحين ببشارة الملائكة فان المؤمن يبشر اذا احتضر من طابت نفسه او بالتوجه الى حضرة القدس. يقولون سلام عليكم: من كل ما يخاف منه. ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون

اذا بعثتم او الآن فان قبر المؤمن روضة من رياض الجنة على ما نطق به من لا ينطق عن
الهوى وقيل هذا وفاة الحشر وليس شيء اذ لا موت بعد البعث : هل ينظرون
الا ان تأتيهم الملائكة : اي الكفار ليقبض ارواحهم ذكر المتقين كان بالعرض لزيادة
تبكيت المشركين وتحسيرهم وفيه اشارة الى ان الرسول قد اوفى ما عليه من التبليغ
او يأتي امر ربك : بعذاب الاستئصال او يوم الجزاء : كذلك فعل الذين من قبلهم : من
الشرك والمشاقة : وما ظلمهم الله : بتدميرهم : ولكن كانوا انفسهم يظلمون :
بكفرهم المؤدي اليه : فاصابهم سيئات ما عملوا : جزاء ما كقوله وجزاء سيئة سيئة
مثلها : وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون : جزاء الاستهزاء افرده بالذكر لغاية
قبحه لبعد مقام الرسل من الاستهزاء بهم وفيه تسلية لرسول الله بان من
تربص به الدائرة عليه دائرة السوء : وقال الذين اشركوا : اتى بالموصول موضع
الضمير اشارة الى ان قولهم : لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شيء : ناشئ وصادر عن الكفر يستلزم رفع التكاليف لكونه
جبرا صرفا يلزم منه سلب القدرة والارادة من العبد وجعله كالجماد ولا يدل
على ان المعاصي ليست بمشيئته تعالى كيف وقد قال ولو شاء الله ما فعلوه : كذلك
فعل الذين من قبلهم : من الكفار : فهل على الرسل الا البلاغ المبين : الواضح
وقد بينوا ان الخير والشر بارادته ومشيئته وان ذلك لا يوجب الجبر بل التوسط
بين طرفي الافراط والتفريط واليه اشار لما قالت الصحابة ففيم العمل يا رسول الله
اعملوا فكل ميسر لما خلق له : ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت : برهان قاطع على فساد ما ادعاه المشركون من الجبر وذلك
ان كل رسول بعث في امة كان مأمورا بان يدعوهم الى التوحيد والاجتناب
عن اتباع الشيطان فلو كانت مشيئته تعالى رافعة للوم على الشرك والمعاصي
لما كان لارسال الرسل فائدة : فمنهم من هدى الله : الى طريق الجنة فاتبعوا الرسل
ومنهم من حقت عليه الضلالة : فكذبوهم وفي ايثار حقت عليهم اشارة الى ان
الفيض وان كان عاما الا ان سبق العلم والارادة مانعان : فسيروا في الارض
يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين : للرسل فتلك بيوتهم
خاوية بما ظلموا وقيل الخطاب للمؤمنين تسلية لهم بان ما اصاب اولئك
سيصيب هؤلاء مثله : ان تحرص على هداهم : يا محمد : فان الله لا يهدي من يضل
يريد اضلاله وقرأ غير الكوفيين بضم الياء وفتح الدال على بناء المفعول والمعنى من
يضلله الله لا هادي له والباقون بفتح الياء وكسر الدال والاول هو المختار لان الضلال
فرع اضلاله تعالى : وما لهم من ناصرين : يدفع عنهم العذاب : واقسموا بالله جهد
ايمانهم : مبلغ طاقتهم اي بالغوا في الايمان : لا يبعث الله من يموت : جواب

القسم والقسم مع جوابه عطف على قوله قال الذين اشركوا ايذانا بانهم
كافرون بالتوحيد والمعاد جامعون بين الفريتين : بلى : رد عليهم : وعدا
مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان البعث وعد من الله لقوله كما بدأنا اول
خلق نعيده : حقا : صفة اخرى للوعد : ولكن اكثر الناس لا يعلمون :
لاخلالهم بالنظر وعدم تصديق الرسل ونسبة المعجزة الى السحر : ليبين لهم
الذي يختلفون فيه : من الدين والعقائد : وليعلم الذين كفروا انهم كانوا
كاذبين : في قولهم لا بعث وذلك ايضا من الدواعي الى البعث وقيل
الجار في الموضعين متعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثنا
ليبين لهم الذي اختلفوا فيه وليعلم المشركون انهم كانوا كاذبين على الله تعالى
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون : تمثيل لسرعة تكون
مراده بعد تعلق الارادة كوجود المأمور به من المأمور المطيع لامر الآمر
المطاع ولا قول هناك وقيل بل جرت سنة الله في ايجاد الاشياء
باحداث كلمة كن اولا وقرأ ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب عطفا
على ان نقول او على انه جواب الامر صورة وان لم يكن هناك حقيقة
الامر لاقتضائها مخاطبا ولا موجودا اذ ذاك فضلا عن المخاطب
والباقون بالرفع على الاستئناف اي فهو يكون وهذا برهان على جواز
البعث لدخوله في العموم : والذين هاجروا في الله : في شأنه فرارا بدينه
وهم رسول الله واصحابه هاجروا من مكة الى الحبشة والى المدينة ثم عام
فتح خيبر هاجر من كان بالحبشة الى رسول الله وهو قد فتح خيبر فاسهم لهم
منهم جعفر الطيار وابو موسى الاشعري وقيل هم المستضعفون الذين
تخلفوا عن رسول الله منهم صهيب هاجر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه
المشركون وآذوه فقال انا رجل غريب وشيخ كبير لا اضر ولا انفع فافتدى
نفسه بماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ربح صهيب افتدى
نفسه بماله فلما جاء ورسول الله بقباء استقبله عمر بن الخطاب وكان قد آخى
رسول الله بينه وبين عمر فناداه عمر وقال ربح البيع والله يا صهيب
فقال صهيب والله هذا خبر السماء يا عمر : من بعد ما ظلموا : بعد الايذاء
والاخراج : لنبوئنهم في الدنيا حسنة : لننزلنهم منزلة حسنة وهي المدينة
او نبوة حسنة : ولاجر الآخرة اكبر : من المعجل في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه
انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء يقول خذ هذا بارك الله لك
فيه وما ادخر الله لك في الآخرة خير من هذا وافضل : لو كانوا يعلمون :
اي لو يعلم الكفار ما ادخر الله لهؤلاء المهاجرين لرغبوا في دينهم او لو يعلم

المستضعفون ذلك لازدادوا اجتهادا في الدين وصبروا على الاذى ونويده
الذين صبروا : اي على الشدائد رفع او نصب على المدح : وعلى ربهم يتوكلون : في
امورهم كصهيب فانه صبر على الاذى وخرج من ماله متوكلا : وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا نوحي اليهم : جواب عن شبهتهم بان الله تعالى لو بعث رسولا كان ملكا
ولو كان رجلا كان معه ملك يصدقه وقرا حفص نوحي بالنون وكسر الحاء : فا
سئلوا اهل الذكر : اهل الكتاب ليخبروكم ان الله لم يبعث في سائر الامم الا
رجالا يوحى اليهم : ان كنتم لا تعلمون : والحكمة في ذلك سهولة الاخذ منهم ولذلك
قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقيل الا ملائكة متمثلين بصورة الرجال وليس
بشيء لقوله في سورة يوسف الا رجالا من اهل القرى لا لان رسول الله عليه السلام
راى جبريل في صورته لان تلك الرؤية لم يكن في حال الارسال بالوحي بل اراه الله
اياه على تلك الصورة كما اراه سائر عجايب الملكوت : بالبينات والزبر :
متعلق بارسلنا او بنوحي اي نوحي اليهم بالبينات وقوله فاسئلوا اهل الذكر
اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للالزام والتبكيت كقول الاجير ان كنت
عملت لك فاعطني اجري مع انه لا شك في عمله وقيل متعلق بارسلنا
او بنوحي داخل تحت حكم الاستثناء والتقدير ما ارسلنا جماعة من الجماعات
بشيء من الاشياء الا رجالا بالبينات والحق عدم جوازه لابتنائه على
جواز تعدد المفرغ والحق عدم جوازه للزوم الالتباس او وجوب ان كل ما وقع
بعد الا محصور فيه وان لا يكون فرقا بين ما ضرب الا زيد عمروا وما ضرب الا
عمروا زيد والفرق واضح ابلج : وانزلنا اليك الذكر : اي القران وتسميته
بالذكر لاشتماله على المواعظ او لكونه شرفا له بقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
لتبين للناس ما نزل اليهم : من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد : ولعلهم
يتفكرون : ولكي يتفكروا فيه ويدركوا اعجازه فيؤمنوا به وبنبوة من انزل اليه
افامن الذين مكروا السيئات : اي المكرات وهم اهل مكة واذ يمكر بك الذين
كفروا او الذين يحتالون لهلاك الانبياء والاستفهام للتقرير اذ لو لم يامنوا
لما مكروا ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون : او ياتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون : كما فعل بعاد وقوم لوط : او ياخذهم في تقلبهم : في اسفارهم
ومتاجرهم كما فعل بالحبشة حين قصدوا هدم الكعبة : فما هم بمعجزين : بسابقي
القدر : او ياخذهم على تخوف : على استشعار بالعذاب كما فعل بقوم صالح مقابل
قوله من حيث لا يشعرون والغرض منه التعميم وقيل التخوف التنقص فقال
هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف
ناقته ٥ لقد تخوف منها تامكا قردا ٥ كما تخوف عود النبعة السفن ٥ قال عمر عليكم

بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم ومعاني
كلامكم : فان ربكم لرءوف رحيم : حيث لم يعاجلكم بالعقوبة : اولم يروا الى
خلق الله من شيء : ما موصولة ومن بيانية والاستفهام للتقرير بما دخله
النفي وهو الاثبات وقد يقال انه للانكار والمعنى واحد وقرا حمزة والكسائي
اولم تروا بالخطاب وهو المختار لقوله ان ربكم لرءوف رحيم : يتفيئوا ظلاله
عن اليمين والشمائل : الفيء هو الظل الراجع بعد الزوال من استعمال المقيد في
المطلق افراد اليمين وجمع الشمائل نظرا الى اللفظ والمعنى لم يعكس لان قوة
اليمين جابرة لنقصان الجمع لفظا وقرا ابو عمرو تتفيئوا مؤنثا والتذكير
احسن لعدم الفاصل : سجدا لله : حال من الظلال : وهم داخرون : حال من
المجرور في معنى الجمع وفيه ترتيب حسن فانه لما اوقع السجود حالا عن الظلال جعل
الدخور الذي الانقياد قهري وصفا لاصحابها وفي جعلها حالين من الظلال فوات
ذلك الحسن والعامل في الحال الثانية يتفيئوا ايضا كما قرر في بل ملة ابراهيم حنيفا
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة : بيان لما في السموات والارض
جميعا على ان في السموات لله خلقا يدبون كما يدب الاناسي وسائر الحيوانات
في الارض او هو بيان لما في الارض وحده : والملائكة : عطف على المبين عطف
الخاص على العام او هي ملائكة الارض او ما في السموات خلق اخر وهو الروح الذي
اخبر الله عنه بقوله يوم يقوم الروح والملائكة وما قيل من انه من عطف المجردات
على الجسمانيات واستدل به على ان الملائكة ارواح مجردة ومعنى السجود ٥
الانقياد الشامل للعقلاء وغيرهم ولفظ ما يشملهم : وهم لا يستكبرون : حال
من الملائكة : يخافون ربهم من فوقهم : حال من ضمير يستكبرون او استيناف
بيان لنفي الاستكبار وهذا اولى لئلا يتقيد الاستكبار وليدل على ثبوت هذه
الصفة على الاطلاق ومن فوقهم متعلق بيخافون والمعنى يخافون نزول العذاب
من تلك الجهة كقوله عذابا من فوقكم او بربهم حال منه اي يخافون عاليا عليهم
كقوله وهو القاهر فوق عباده وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون وانهم خائفون
من عذابه : ويفعلون ما يؤمرون : وفيه دليل على عصمتهم لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون : وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين : وصف الالهين
بالاثنين مع ان المثنى نص في مدلوله كقولك رجلان وثوبان اشارة الى
ان مصب النهي هو الاثنينية فانها تنافي الالوهية رأسا ولو احتمل الكلام ان
يكون لخصوصية الاثنين مدخل في ذلك النهي ازاله بقوله انما هو اله واحد لا
شريك له في الالوهية رأسا ولا خصوصية لعدد بل الوحدانية من لوازم الالهية
فاياي فارهبون : التفت الى التكلم لانه ابلغ في الترهيب وفيه ايماء الى انه ذلك

الواحد: وله ما في السموات والارض: من الكائنات الخارجة والداخلة فيها: وله
الدين لا لغيره: واصبا: لازما لتفرده بالالوهية او من الوصب وهو المشقة اي ذا
كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او الدين الجزاء اي له الجزاء الدائم وهو الثواب
والعقاب: افغير الله تتقون: بعد ما تبين لكم انه المتوحد في الالوهية والمحقيق با
بالتقوى: وما بكم من نعمة فمن الله: وما اتصل بكم من نعمة فهو من الله ولما كان اتصال
النعمة بهم سببا للعلم بكونها من الله تعالى ادخل الفاء في خبر الموصول وما قيل هؤلاء
قوم اعطوا نعما فشكوا اي موليها فكان ذلك سببا للاعلام بانها من الله تعالى نفيه انه
قوله: ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون: صريح في انهم عالمون بذلك المولى كيف
والخطاب شامل للمؤمن والكافر والجؤار رفع الصوت بالدعاء وفي الحديث
كأني بموسى ينحدر في الوادي وله جؤار بالتلبية: ثم اذا كشف الضر عنكم
اذا فريق منكم بربهم يشركون: وهم الكفار: فان قوله وما بكم من نعمة خطاب
عام لشمول النعم المؤمن والكافر وان خص الخطاب بالمشركين فلان منهم من اعتبر
لقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ويجوز ان يكون من بيانا كانه قيل فاذا فريق
كافر وهم انتم ليكفروا بما آتيناهم تلك المعرفة وكان الواجب عليهم شكر تلك النعم
فبدلوه كفرانا ولذلك جعلوه كالغرض فتمتعوا: امر تهديد: فسوف تعلمون: وخامة
ما انتم فيه ولئن كفرتم ان عذابي لشديد: ويجعلون لما لا يعلمون: ما لا يعلمون
الهتهم لاعتقادهم تضر وتنفع فهم جاهلون بها فالعائد محذوف او الضمير في
لا يعلمون للالهة اي الاشياء لا علم لها بل هي جمادات وضمير العقلاء لان زعمهم
ذلك فيها: نصيبا مما رزقناهم: من الحرث والزروع تقربا اليها: تالله لتسألن
عما كنتم تفترون: من انها الهة حقيقة بالتقرب: ويجعلون لله
البنات: كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله: سبحانه: تنزيه
او تعجيب: ولهم ما يشتهون: من الذكور وفيه غاية الوعيد حيث لم يرضوا لانفسهم
البنات وارتضوها لخالق السموات ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء
والنصب عطفا على البنات فان قلت قد نقل من الزجاج ان العرب لا تقول
جعل زيد له ما يشتهي وذلك يدل على عدم جواز النصب قلت قول الزجاج محمول
على جعل الظرف لغوا فيلزم الجمع بين ضميري الفاعل والمفعول في غير فعل القلب
واما اذا جعل مستقرا فلا محذور ولا حاجة الى الاعتذار بانه يجوز في المعطوف
ما لا يجوز في المعطوف عليه: واذا بشر احدهم بالانثى: اخبر عنه بالبشارة
اشارة الى انها بشارة وان كره لان الولد نعمة من الله ذكرا كان او انثى
الا ترى الى قوله يهب لمن يشاء اناثا او هو من استعمال احد الضدين في
الاخر: ظل وجهه مسودا: صار اسود في غاية السواد لاعتراء الغم وتراكم الهم

كما يستنير وجه المستبشر عند عروض السرور او ظل من الظلول فانه وقت اجتماع
الناس وحينئذ يقع الخجل وهو كظيم: مملوء غيظا او كاظم غيظه ساترا اياه
لوجده قوله: يتوارى من القوم: يستتر منهم حياء: من سوء ما بشر به: لاجل
قبح المبشر به وكونه عارا عليه: ايمسكه على هون ام يدسه في التراب: في
موضع الحال من فاعل يتوارى والمعنى يستتر من الناس مترددا بين ان يحفظ
المبشر به ويرضى بالذل والهوان وبين ان يدفنه في التراب وهو الوأد
الا ساء ما يحكمون: حيث يجعلون الولد الذي محله عندهم هذا لمن له ملك
السموات والارض: للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء: الصفة التي تورث
النقص وهي الاحتياج الى الولد والى كل قليل وكثير ووضع الموصول موضع الضمير
اشارة الى ان صدور ذلك القول منهم منشؤه عدم الايمان بالآخرة و
ولله المثل الاعلى: الشان الاعلى من كل ما ينسب اليه وله الغنى المطلق
وهو العزيز: الغالب على كل شيء فلا احتياج له الى ولد يستظهر به: الحكيم
في صنعه: ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم: بكفرهم ومعاصيهم: ما ترك عليها
اي على الارض دل عليها ذكر الناس وهذا اعم من قوله ما ترك على ظهرها
من دابة: قط بشؤم معاصيهم وفي الحديث ان الكافر اذا مات استراح
منه الناس والدواب وعن ابن عباس رضي الله عنه من دابة من مشرك
وعلى هذا ذكر الدابة للتحقير ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى: لحكمة تقتضي ذلك
اما ليتوب بعضهم او يولد له مؤمن او ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين: فاذا
جاء اجلهم المختوم: لا يستأخرون ساعة: عنه ولا يستقدمون: عطف
على الشرطية واضافة الظلم الى الناس باعتبار وقوعه بينهم فلا يلزم العموم: و
يجعلون لله ما يكرهون: من البنات والشركة في الرياسة ومن لهم
ارذل الاموال في الصدقات وابواب البر: وتصف السنتهم الكذب
نظهره: ان لهم الحسنى: بدل من الكذب او ما ان لهم الحسنى عند الله في
مقابلة ذلك القبيح كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
بل لا جرم ان لهم النار: كسبت ذلك لهم النار وانهم مفرطون: متجاوزون
الحد اسم فاعل من افرط في الشيء بالغ فيه وقرأه نافع مفرطون بكسر الراء
من افرط في المعصية بالغ فيها وغيره بفتح الراء اسم مفعول من افرطه
قدمه لطلب الماء والمنزل اي يقدمون الى النار او من افرطه تركه
وراء ظهره اي منسيون من رحمته وهذا ابلغ والبق بالمقام لانهم متجاوزون
قد علم من قوله ويجعلون لله البنات: تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
فزين لهم الشيطان اعمالهم: فاصروا على ذلك الى ان ماتوا على الكفر: فهو وليهم

اليوم حكاية حال ماضية لانه من تتمة حال الامم المرسل اليها او اليوم عبارة عن
زمان الدنيا فيتناول الماضي والمعنى ان الامم السالفة انما كانوا مخذولين في
الدنيا لكون الشيطان كان وليهم وناصرهم فيه تسلية لرسول الله ووعيد للمشركين
او اليوم حكاية حال آتية اي يوم يعذبون بالنار لا ناصر لهم الا الشيطان وفيه
تهكم بهم ونفي للناصر على ابلغ وجه او اليوم هو الزمان الحاضر والمعنى زين للامم
قبلك وفرغ من امرهم فهو الان ولي هؤلاء الذين يكذبونك وفيه مزيد التسلي
والتشفي ولهم عذاب اليم يوم القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين
لهم الذي اختلفوا فيه من احوال المبدأ والمعاد واصولا وفروعا وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين ولم يظهر اللام لانهما فعلا المنزل بخلاف
الاول فان قلت اذا اختص كونه هدى بالمؤمنين فما معنى التبيين للناس
قلت البيان هو الكشف عن موضع اللبس بحيث لا يخفى على احد سواء قبله
واذعن له اولا وكونه هدى للمؤمنين بمعنى انهم قبلوه والتزموا العمل بموجبه و
والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها بعد اقامة البراهين على
وجود الصانع ووحدانيته حكى عنهم انواعا من الكفر والضلالات ثم عاد الى
ابداء الدلائل القاطعة ازاحة للعذر وايضاحا للسبيل لان مقام اثبات الصانع
والتوحيد اجل المقامات واسنى المقاصد فهو خليق بذلك ان في ذلك
لاية لقوم يسمعون سماع تدبر لان من لم يتدبر بعد السماع فكانه اصم وان لكم
في الانعام لعبرة دليلا يعبر به الى العلم بوجود صانع حكيم نسقيكم مما في بطونه
بيان لكونه دليلا وعبرة وتذكير الضمير الراجع الى الانعام لكونه مفردا كما نص عليه
سيبويه واما تانيث الضمير في سورة المؤمنين فباعتبار المعنى لانه اسم جمع وقيل
الضمير للبعض لانعام لان اللبن يختص به وقرا نافع وابن عامر وابو بكر بفتح النون
وهو الكثير ورودا من بين فرث ودم لبنا متوسطا بينهما اسفل البطن محل الفرث
واعلاه مكان الدم لانه القلب والكبد ذات اليمين وذات الشمال مستعليه
ينبوعا الدم والضروع ايضا تحتها في البطن فعلى هذا من في من بين فرث ودم
متعلق بنسقيكم على انها ابتدائية لان بين الفرث والدم محل الاسقاء به ومنه
السكون والظهور كقولك سقيت من الحوض والاكثر تبعيضية لان اللبن بعض ما
في البطون خالصا صافيا لا يشوبه شيء من الفرث والدم يدل على كمال القدرة
كقوله بينهما برزخ لا يبغيان سائغا سهل المرور في الحلق من السوغ وهو الدخول
لبث ربيع ذكره اقتضانا ومن ثمرات النخيل والاعناب ثم عطف على قوله
وان لكم في الانعام او من عصير او عطف على مجموع السابق لا على مما في بطونه
لفا والمعنى او تعلق بنسقيكم مقدرا قوله تتخذون منه سكرا بيان لكيفية

الاسقاء

الاسقاء ويجوز ان يكون متعلقا بتتخذون ومنه تكرارا للتاكيد وتذكير الضمير
لعوده الى العصير المحذوف والسكر بفتح الكاف مصدر سكر مثل رشد
رشدا الخمر تسمية بالمصدر وفي الحديث حرم السكر من كل شراب والاية
منسوخة وقيل السكر الطعام قال الازهري انكره اهل اللغة والعرب لا تعرفه
ورزقا حسنا كالتمر والزبيب وغيرهما ما عدا الخمر وفيه اشارة الى ان الخمر مع كونه
مباح الشرب ليس من الرزق الحسن ولذلك لم يشربها الانبياء فقد ان
فسر السكر بالطعام جاز ان يكون رزقا حسنا هو السكر والعطف للتغاير
صفة ومن للتبعيض لانه بعضها يوكل طريا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في التامل والتدبر في المصنوعات واوحى ربك الى النحل
شروع في نوع آخر من الدلائل على وجود الصانع الحكيم والوحي لغة السرعة
وفي الحديث الوحا الوحا ويطلق على الكتابة والرسالة والاشارة والكلام
الخفي والالهام وهو المراد هنا ان اتخذي ان مفسرة او بان اتخذي
والتانيث لان النحل اسم الجمع كالياس من الجبال بيوتا ومن الشجر
ومما يعرشون بعض الجبال والشجر ومما يعرشون من الكروم والسقوف
لانها لا تبني في الكل ولا في كل مكان منها والبيت ما يبيت فيه الحيوان و
ياوي اليه انسانا كان او غيره ومنه بيت العنكبوت فلا احتياج الى
التشبيه ببيت الانسان ثم كلي من كل الثمرات ارشاد لها الى العمل
بعد اتخاذ المنزل والمراد بعض كل الثمرات وفيه طباق بين من ولفظ
كل فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك في عمل العسل فاسلكي
ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر
عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك واذا اكلت الثمار من المواضع
البعيدة من بيوتك فاسلكي اليها سبل ربك راجعة لا تزل فيها
ولا تضل او اسلكي سبل ربك في طلب النجعة واكل الثمرات ذللا
جمع ذلول من الذل بالكسر وهي اللين ضد الصعوبة حال من السبل
اي مذللة لك او من الفاعل اي وانت مذللة منقادة لما اريد والاوجه
هو الاول يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه عدل من الخطاب
الى الغيبة لفراغ التعليم المقتضي له والشروع في المقصود الذي كان
ذلك الالهام والتعليم لاجله وهو الامتنان على الانسان بايصال
ذلك النفع البالغ اليه والشفاء العالج للمرض الذي هو غاية الاماني
مع كون الدواء من الذ الاشياء واشهى المشتهيات من ذلك
الحيوان الضعيف الذي لا يشهد العقل الى تصور المناسبة بينهما فيه

شفاء للناس: نوع منه فالتنوين للتعظيم وقيل فيه شفاء من كل داء وقد روي
فيه حديث فعلى هذا يكون فيه شفاء لكل داء اما بسيطا او مركبا لا يقتضي وجود
الشفاء في كل وقت بل يعتبر في ذلك مضادة الدواء الوقت الا ترى ان نضج
المادة وسائرها يعتبر طبا وبذلك يؤول الحديث الذي رواه قتادة ان رجلا
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا
فقال سقيت وما نفع فقال اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن اخيك
كذب البطن عبارة عن عدم قابلية المحل عبر عنه بالكذب لوقوعه في مقابلة الصدق
طباقا ونوعا من المشاكلة وقيل الضمير للقرآن وهو بعيد جدا: ان في ذلك لآية
لقوم يتفكرون: في بدايع صنع الله اين النحل من تلك الصنعة البديعة في تلك
البيوت على ذلك الوضع والشكل المسدس الذي هو افضل الاشكال فرجا الذي
لا يطلع عليه الا اهل ذوق في علم الهندسة ولغموض المعنى والاحتياج الى مزيد التأمل
ختم الفاصلة بالتفكر الذي يقتضي اعمال الروية وترتيب المبادي: والله خلقكم ثم
يتوفيكم: عند حلول الآجال: ومنكم من يرد الى ارذل العمر: اخسه وهو الزمان
الذي ينقص فيه القوى والعقل وفي دعائه عليه السلام واعوذ بك ان ارد الى
ارذل العمر روي عن علي رضي الله عنه انه خمس وسبعون سنة وعن قتادة وخمس
وتسعون والحق انه يختلف باختلاف الاشخاص وتفاوت القوى والعقول
لكيلا يعلم بعد علم شيئا كناية عن غاية النسيان وتنكس الاحوال ونقصان
القوة المحافظة كالطفل فانه اذا علم شيئا لم يلبث ان ينساه او لا يقدر
على كسب علم زائد لتوقف الفهم ونقصان الدراكة: ان الله عليم: بالاشياء
قدير: على ما يشاء: والله فضل بعضكم على بعض في الرزق: منكم الغني ومنكم الفقير
ومنكم المكثر ومنكم المقل: فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم لم
يساووهم فيه فيكون ذلك شكرا لتلك النعمة روى البخاري عن معاذ انه رأى
ابا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسأله عن ذلك فقال قال رسول الله عليه السلام
اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم اطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون
ولا تكلفوهم من العمل الا ما يطيقون: فهم فيه سواء: الموالي والمماليك في ذلك
الرزق سواء لان الله تعالى هو الرزاق حقيقة: افبنعمة الله يجحدون: حيث لا
ينفقون على امثالهم مع انهم عباد مربوبون مثلهم والمعنى انكم لا ترضون با
لمساواة مع عبيدكم وانتم مع كونهم شركاءكم في النوع فكيف
تجعلون لله اندادا من مخلوقاته او ان الموالي والعبيد كلهم عبادي وانا رازقهم
فلا يحسبن الموالي انهم رادون على مماليكهم من الرزق شيئا وفيه اشارة الى ان
المن والاعجاب مفتاحان للكفران وقرا ابو بكر يجحدون بالخطاب: والله

جعل لكم

جعل لكم من انفسكم ازواجا: نوع آخر من دلائل الانفس مع كونها نعما جزيلة
اذ بالازواج يحصل الانس والتناسل وقيل اذ خلق حوا من ضلع آدم عليه السلام
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة: اولاد الاولاد وقيل بنات لانهن يسرعن
في الخدمة واصل الحفد السرعة ومنها دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد
وقيل الخدم مطلقا وعلى هذا من ازواجكم حال من بنين مقدما: ورزقكم من
الطيبات: بعضها لان كل الطيبات انما تكون في الجنة وما في الدنيا انموذج
منها: افبالباطل يؤمنون: وهو ما يعتقدونه من منفعة الاصنام وبركتها
وشفاعتها: وبنعمة الله هم يكفرون: حيث يحرمون ما احل الله وتقديم الصلة
للحصر لان من جعل الموهوم متيقنا وانكر المتيقن وجحده مع قيام البرهان لا كفر
منه وقيل للمحافظة على الفواصل: ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم
رزقا من السموات والارض شيئا: نعى عليهم بعد اقامة البراهين على وحدانيته
بانهم اشركوا به جمادات لا حس ولا حراك بها والرزق اسم المصدر
يعمل عمله فشيئا منصوب به او هو بمعنى المرزوق فيكون بدلا منه ومن السموات
مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق: ولا يستطيعون:
نفي للامكان بعد نفي الفعل ترقيا وجمع الضمير وافراده باعتبار لفظ ما ومعناه
وقيل ضمير الجمع راجع الى الكفار اي هؤلاء مع كونهم احياء متصرفين في
الامور لا يقدرون على ذلك فكيف بالجمادات ولا حاجة الى تقدير الراجع
الى الرزق لان المعنى على نفي الاستطاعة رأسا: فلا تضربوا لله الامثال:
فلا تشركوا عدل الى المنزل لان من اشرك به شيئا فقد شبهه به ففي النهي
عن ضرب المثل له تعالى نهي عن التشبيه به ذاتا وصفة وفي لفظ الامثال لمن
لا مثل له نعي عظيم على القائل ويستحيل على عبادته وليس فيه ان اسمائه تعالى توقيفية
ان الله يعلم: قبح ما تقولونه وتعتقدونه: وانتم لا تعلمون: تعليل للنهي عن ضرب
الامثال او نهي عن ضرب المثل حقيقة فانه يستدعي العلم بحال المشبه والمشبه به
وكيفيته ووجه الشبه وانتم عراة عن العلم منهمكون في التقليد لا تعرفون حقايق
الاشياء بل انما تعبدون الاسماء من غير نظر الى المسمى ثم علمهم ضرب المثل
فقال: ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا
رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون: مثل حاله تعالى في كمال
قدرته في ما شاء وحال الاصنام التي جعلوها له شركاء مع انها لا تقدر على
شيء رأسا بالمملوك الذي ليس له قابلية الملك والتصرف اصلا وبالحر الذي
اعطي مالا وافرا وهو مطلق العنان لا حجر عليه ولا حاجز دونه ودون مرامه و
قيد المملوك لاخراج الحر فان العبد يطلق عليهما ولا يقدر على شيء لاخراج المكاتب

وانما ذون والآية دلت على ان المملوك ليس محل التمليك كما ذهب اليه مالك
ومن في من رزقناه الاولى ان يكون موصوفة لوقوعها في مقابلة عبدا وقيد
الرزق بالحسن لاخراج الحرام اذ لا مدحة في انفاقه ويحتمل ان يراد به الكثرة
ليتسع مجال الانفاق منه وجمع الضمير في لا يستوون لارادة الجمع كانه قيل لا يستوي
الاحرار والعبيد لئلا يتوهم ان ذلك التفاوت ناشئ من المخصوص الحمد لله
كل الحمد لانه المنفرد بالايجاد والقدرة المؤثرة فلا استحقاق لغيره بل اكثرهم
لا يعلمون قيد الاكثر لاخراج الاقل فانهم يقولون جحودا وضرب الله مثلا
رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه ابلغ واوضح فيما سبق
له الكلام من بيان عجز ما يعبدونه من المثل الاول والابكم من ولد اخرس وقيده
بكونه لا يقدر على شيء ومع ذلك ثقل وعيال على من يتولى امره وحاله انه عديم
النفع مع الضرر الظاهر اينما يوجهه لا يات بخير لان مناط الخير القول و
والفعل وهو عار عنهما هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم
قابل تلك الصفات بنقايضها لان الامر بالعدل من لوازمه النطق والعلم
والقدرة والاستقامة في الاعتقاد والعمل وانما قدم الامر بالعدل وان تاخر
عن الاستقامة لتقدمه شرفا ولله غيب السموات والارض علم ما غاب
فيهما او علم ما غاب عنهما اي عن اهلهما بيان لكمال علمه بعد ابطال الشبهة وما امر
الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب اذا استهزؤا فعل شيء واستغربوه
يضربون له بذلك مثلا بيان لكمال قدرته وتساوي الممكنات بالنسبة
اليها والمعنى بل مثل الى مائة الف او يزيدون ان الله على كل شيء قدير
برهان على ذلك لاندراجه في الكلية والله اخرجكم من بطون امهاتكم دليل
على كمال قدرته بما لا ينكرونه وقرا حمزة والكسائي بكسر الهمزة اذا وصل بما قبله
للاتباع وزاد حمزة كسر الميم اتباعا للاتباع وهو المختار للخفة لا تعلمون شيئا
من الاشياء وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الآت للادراك
قبل من فقد حسا فقد علما وتقديم السمع لانه يتلقى به اوامر الشارع
لعلكم تشكرون سوى تلك المعارف التي هي اجل النعم بعد ذلك الجهل
الذي لا داء اودأ منه اولم يروا الى الطير من دلائل الافاق بعد ذكر دليل
الانفس مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاسباب المؤدية له
في جو السماء داخله وجو السماء ما بينه وبين الارض من الهواء وفي حديث
علي رضي الله عنه فتق الاجواء وشق الارجاء وفي رواية سكايك الهواء جمع
سكاكة قيل هي البعد من الجو ما يمسكهن الا الله اذ لا دعامة هناك
ولا علاقة ولجسد ثقله يقتضي السقوط ان في ذلك لآيات دالة على

علم الصانع وقدرته من وجوه شتى خلق الطير على حالة التي يمكن له الطيران وخلق
الجو على الوجه الذي يمكن للطير قطعه باجنحته كالسابح وامساك الطير على
خلاف مقتضى الطبع لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها استدلالا على وحدة
الصانع وقدرته والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضع السكنى فعل بمعنى مفعول
البيوت المتعارفة وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا المتخذة من الادم
وكانت العرب تتخذ القباب منها وفي الحديث نزل عليه الوحي وهو في قبة
من ادم تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم تجدونها خفيفة المحمل في الضرب
والنقض وقت النزول في السفر الترحال او في اوقات السفر والحضر فاليوم لمطلق
الزمان قرا ابن عامر والكوفيون بسكون العين وهو اشهر واخف ومن اصوافها
واوبارها واشعارها الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز اثاثا ومتاعا
عطف على سكنا والاثاث متاع البيت لا واحد له والعطف باعتبار الصفة
وعن ابي زيد الاثاث المال والغنم والعبيد والمتاع الواحدة اثاثة وعلى هذا
من عطف الخاص على العام الى حين مدة مديدة لصلابتها او الى حين انقضاء
اعماركم او الى ان تبلى وتفنى والله جعل لكم مما خلق من الشجر وسائر المستظلات
ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مثل الكهوف والغيران
جمع كن وهو ما يستتر به من كننت الشيء سترته والعرب تسمي العروس
كنة لانها تستتر عن الاعين وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو القميص تقيكم
الحر خصه بالذكر لانه اكثر عندهم او اكتفاء باحد الضدين لان دافع احدهما دافع
للاخر وسرابيل تقيكم باسكم في الحروب كالدروع والجواشن قال كعب
ابن زهير شعرا من نسج داود في الهيجا سرابيل كذلك يتم نعمته عليكم
لعلكم تسلمون تؤمنون به وتنقادون لامره اذا نظرتم فيها كيف الكلب
ينقاد ويخضع لمن اطعمه كسرة يابسة فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا ما جئت به
فانما عليك البلاغ المبين فقد تمهد عذرك بابلاغ ما وجب عليك ابلاغه
ذكر السبب ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددت ثم ينكرونها
باضافتها الى الاصنام وقولهم انما نرزق ببركتها وشفاعتها او لما لم يعبدوا شاكر
النعم فكان ذلك بمنزلة الانكار وقيل النعمة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات
ثم انكروها ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون
وانما قيد بالاكثر اما اقامة له مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون او لان
كفر الاقل ليس عنادا بل تفريطا في النظر وقيل او لانه لم يبلغ حد التكليف وفيه ان
ذلك ليس داخلا في الخطاب فلا يحتاج الى القيد محتج ويوم نبعث من كل امة شهيدا
يشهد عليهم ولهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار لفلج حجتهم

لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا لقوله اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ومعنى ثم انهم
بعد شهادة الانبياء يقعون فيما هو اطم منها وهو عدم الاذن في الكلام لان الواقع
في البلية قد ينفس بعض تنفس اذا اذن له في ابداء المعذرة وادلاء الحجة وان
كان موقنًا بانه لا يجديه نفعًا ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم العتبى وهو الرضا
يقال استعتب فلانا اي طلبت منه ان يرضيني فاعتبني اي ارضاني وفي الحديث
لا مستعتب بعد الموت يريد انه لا تكليف حتى يتدارك المعاصي بالطاعات
وانتصاب يوم بمحذوف نحو اذكر واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب
النار يغشيهم جواب الشرط فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون الفاء في شبه فصيحة و
اذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من
دونك انما يقولون هذا الكلام ليدفعوا عن انفسهم العذاب ويوجهوه الى الشركاء
لانهم ضلوا بسببها فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اجابهم الشركاء بهذا القول
فان كان من الملائكة وعيسى وعزير فالمعنى انهم عبدوا الشياطين دونا كقول
الملائكة بل كانوا يعبدون الجن او التكذيب راجع الى تسميتهم شركاء دون العباد
وان كان قول الاصنام والشياطين فلا امتناع في كذبها مع احتمال رجوع التكذيب
الى التسمية والقوا الى الله يومئذ السلم استسلموا لقضاء الله تعالى بعد ذلك
المقالة وضل عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرهم وتشفع لهم الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله ضموا الى كفرهم اضلال الغير وصده عن السبيل زدناهم عذابًا
نوعًا منه او حصة فوق العذاب فوق ما كانوا يستحقونه بما كانوا يفسدون
عن القصد عن سبيل الله الموصل اليه واضلوا المسترشدين ويوم نبعث في
كل امة شهيدًا عليهم من انفسهم نبيهم فان الانبياء كانت تبعث في
نسب قومهم عادة تحذيرًا وزيادة ابقاظ ولذلك اتى به مطنبا وجئنا
بك شهيدًا على هؤلاء الثالث راليه في الذين من المصادر الشاذة فان
المصادر من باب التفعيل كالتكرار والتذكار انما يكون بفتح التاء فان قلت
كيف يكون الكتاب تبيانا لكل شيء وبعض الاحكام انما يؤخذ من القياس
والاجماع والسنة قلت مرجع الكل اليه فبذلك الاعتبار يستقيم اما الحديث
فلقوله وما ينطق عن الهوى والاجماع فلقوله ومن يتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى والقياس فلقوله فاعتبروا يا اولي الابصار ومن قال بحجية قول
الصحابي وفعله فلقوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وهدى للضالين
الى الصواب ورحمة لهم توصلهم الى النعيم الدائم وبشرى للمسلمين في المعاد
لاحكامه العاملين بما فيه ان الله يامر بالعدل استيناف في غاية الجزالة فانه لما
ذكر ان الكتاب تبيان لكل شيء كانه سئل عن كيفيته فبين ذلك على الاجمال

العدل لغة التوسط وعدم الميل والمراد به هنا التوسط بين الافراط والتفريط
اما في العقائد والاصول كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والكسب
المتوسط بين الجبر المحض والقدر واما في الفروع والاعمال كالتعبد بالطاعات
المتوسط بين البطالة والترهيب واما في السجايا والاخلاق كالشجاعة المتوسطة
بين الجبن والتهور والاحسان اي الاخلاص في تلك الامور اصولا وفروعًا على
ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه او الشفقة
على خلق الله تعالى كما هو المتعارف لقوله ما على المحسنين من سبيل وايتاء ذي
القربى وعطاء ذوي القرابة حقهم من الصلة وينهى عن الفحشاء الكبيرة التي تفاحش
قبحها من التفحش وهو التجاوز عن الحد وفي الحديث سئل عن دم البراغيث
فقال لا باس به ما لم يكن فاحشًا والمنكر وكل ما ينكره الشرع صغيرًا كان
او كبيرًا والبغي والظلم على الناس وعلى كافة الخلق افرده بالذكر وان
كان داخلا في المنكر لعظم جرمه وشدة امره فان ما بين العبد وبين الله
اهون واسهل يعظكم لعلكم تذكرون فان قبح الافراط والتفريط يدرك
باوائل العقول قيل لو لم ينزل من الكتب السماوية الا هذه الاية لكفت
ماخذًا للاصول والفروع لاحتوائها على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم مع رسوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله وكل من دخل الاسلام فقد بايع رسول الله والحمل على بيعة الرضوان
غير مستقيم لان الاية مكية وقيل هو النذر وقيل الايمان ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها بعد احكامها وعقد القلب عليها اخرج لغو اليمين و
وقد جعلتم الله عليكم كفيلا مراقبا ومهيمنا فان من حلف باسمه تعالى
او بصفة من صفاته الزم البر على نفسه فكما ان الكفيل يطالب بالاداء
كذلك الحالف مطالب بالبر لئلا يكون استخفافا باسمه ان الله يعلم
ما تفعلون وعيد على نقض العهد ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد
قوة انكاثا هي امراة حمقاء من قريش ريطة بنت سعد بن كعب بن زيد
مناة كانت لها جوار يامرهن بالغزل من الغدوة الى نصف النهار فاذا
انتصف النهار امرتهن بنقض ما غزلن فكان هذا دابها والانكاث جمع نكث
بالكسر كالاوزار جمع وزر نصب على الحال من الغزل او المصدر او مفعول
النقض لانه ضمن معنى الجعل واتى به مجموعا مبالغة وفي تشبيه حال الناقض
بحالها تحذير واشارة الى ان ذلك ليس من فعل العقلاء وان فاعله
داخل في عداد النساء الحمق تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من ضمير لا تكونوا
او من المستكن في الجار اي لا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها دخلا ما

مفعولي تتخذون والدخل الفساد وهو الشيء الذي لم يكن من جنس ما يدخل فيه
وانما كانت الايمان المنقوضة دخلا لوقوع الفتنة بينهم بنقضها: ان تكون
امة هي اربى من امة: علة لاتخاذهم دخلا اي لاجل ان يكون طائفة اكثر مالا
واوفر عددا وذلك ان قريشا كانوا يعتقدون الحلف مع طائفة فاذا
راوا اعداء تلك الطائفة اكثر وشوكتهم اوفر نقضوا العهد وحالفوا ا
اولئك فنهي المؤمنون عن فعل ذلك وكان امة تامة وهي اربى في محل الرفع
صفة او ناقصة والجملة خبرها ولا يجوز ان يكون الضمير فصلا لان الاسم الاول
نكرة: انما يبلوكم الله به: اي انما يختبركم الله بكونهم اربى فينظر بل يتمسكون
بحبل الوفاء ام تغترون بالكثرة فتخفرون عهد الله فالمجرور عائد الى ان يكون
وقيل الى الامر بالوفاء: وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون: عطف
على مقدر اي انما يبلوكم به لينظر وليبين ويميز يوم القيمة المحق من المبطل وفيه
وعد لمن حفظ العهد ووعيد لمن غدر: ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي
متفقة على الاسلام: ولكن يضل من يشاء: اضلاله: ويهدي من يشاء:
هدايته: ولتسئلن عما كنتم تعملون: باختياركم وان كان واقعا بمشيته تعالى
وفيه اشارة الى ما هو الحق من التوسط بين الجبر والقدر: ولا تتخذوا ايمانكم دخلا
بينكم: كرر النهي صريحا وضمنا اظهارا لعظم فساده ومبالغة في التحذير عن ارتكابه
فتزل قدم بعد ثبوتها: مجاز عن تبدل الرشد بالغي والعثير وزلة من الصواب
الى الخطاء وافرد القدم ونكره اشارة الى ان المؤمنين وان تكثروا فلهم زلل قدم
واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة: وتذوقوا السوء في الدنيا من القتل والاسر اشارة
الى ان المؤمنين وان قلوا فلهم الغلبة والعاقبة: بما صددتم عن سبيل الله: اي
اعرضتم من التعهد او منعتم غيركم من التعهد: ولكم عذاب عظيم: في الآخرة لا
يقادر قدره اثر الذوق في عذاب الدنيا لانه انموذج عذاب الآخرة: ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا: ولا تستبدلوا بعهد الله عرضا يسيرا وهو ما كان يعد قريش
من ارتد من المال والنساء: ان ما عند الله: من الثواب والنعيم الدائم: هو خير لكم
من المتاع الفاني: ان كنتم تعلمون: ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم ينفد
يفنى ويزول وما عند الله: من الثواب وخزائن رحمته: باق: دائم لا يزول بيان
على ان ما عند الله خير اذ لا نسبة للفاني مع الباقي: ولنجزين الذين صبروا اجرهم: على حفظ
العهد ومشاق الفاقة وقرا ابن كثير وعاصم وابن عامر في رواية ابن ذكوان بالنون
التفاتا وهو ابلغ لنون العظمة: باحسن ما كانوا يعملون: بارجح اعمالهم كالواجبات
والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم: من عمل صالحا من ذكر او انثى: من
متناولة لاولي العلم مطلقا الا ان الاناث لما لم يدخلن في بعض الاحكام نص على

النوعين

على النوعين ترغيبا للفريقين: وهو مؤمن: اذ لا اعتداد بعمل دون الايمان
فلنحيينه حياة طيبة: اما الغني فظاهر واما الفقير فلانه يرجو ثواب الآخرة
وقد استحلى مشاق الطاعة فلا يحس بالم الفاقة وقد جربنا ذلك في طريق
الحجاز من العطش والحر المفرط فان تصور زيارة بيت الله وحرم رسوله
يخفف ذلك ويسهل الامر: ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
من الطاعات: فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
اي اردت قراءته من اطلاق المسبب على السبب لما روى جبير بن
مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول قبل القراءة اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم وايضا الشروع في العمل هو الذي يقتضي الاستعاذة
من العدو كالمحارب قبل اللقاء يعد آلة الحرب لا بعد فراغه بل لو فعل
ذلك عد عبثا فان قلت قد نقل عن بعض الائمة حمل الاية على ظاهرها
فما وجه ذلك قلت وجهه ان القاري اذا فرغ من قراءته ربما عرض
له اعجاب في نفسه لا سيما اذا كان عالما بان كل حرف يثاب
عليه عشر حسنات وكانت الاستعاذة لدفع ذلك الوسوسة فان
قلت كيف يتلفظ القاري بها قلت تقول اعوذ بالله ولو زاد صفات
التنزيه كالسميع العليم لا باس به وحديث ابن مسعود رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الزيادة لم يصح وتعقيبه بذكر العمل
الصالح ايذان بان القراءة منه ويجوز ان يكون متصلا بقوله ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا وما بينهما اعتراض يبين ذلك انه: ليس له
سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون: اي ليس له تسلط على
المصدقين بالله المفوضين امورهم اليه بل غايته الوسوسة التي تندفع
بالاستعاذة وفيه اشارة الى ان الاستعاذة انما تنفع اذا قارنت
الايمان والتوكل: انما سلطانه على الذين يتولونه: يتخذونه وليا ويطيعونه
اوامره فان قلت قد نفى عنه السلطان في قوله وما كان لي عليكم من سلطان
واثبته بطريق الحصر فما وجه ذلك قلت اراد بسلطانه عمل وسوسته
ونفاذ دعوته عبر عنه بالسلطان للمشاكلة والازدواج: والذين هم به:
بالله او بالشيطان او باغوائه: مشركون: والظاهر ان العطف باعتبار
تغاير الصفة او من يتولاه اي هم من المشركين: واذا بدلنا آية مكان آية
بالنسخ ذكره عقيب الامر بالاستعاذة عند قراءة القران لانه باب
عظيم من ابواب وسوسته يوهم الناقصين انه من البداء والتناقض
والله منزه عنهما: والله اعلم بما ينزل: من مصالح العباد فلعل ما يكون مصلحة

بالاسس يكون مفسدة اليوم وقرا ابو عمرو وابن كثير بتخفيف الزاء
والتشديد ابلغ والجملة اعتراض بين الشرط والجزاء وهو قالوا انما انت
مفتري للتوبيخ وبيان خطاء الكفار والتفت من المتكلم الى الظاهر
لاشعار لفظ الجلال الدالة على الالوهية بكمال العلم: بل اكثرهم لا يعلمون:
ليس من اهل العلم فهم بمعزل عن معرفة حكمة الله في شرع الاحكام: قل نزله
روح القدس: جواب لقولهم انما انت مفتر وروح القدس جبريل كقولهم
حاتم الجود وزيد الخير والمراد كمال تلك الصفة فيه وايثاره للدلالة على
التقدس المنافي للافتراء: من ربك بالحق: بالامر الثابت ملتبسا
بالحكمة وفيه دلالة على ان النسخ حق: ليثبت الذين آمنوا ليثبت الثابتين
على الايمان فانهم اذا تدبروا الناسخ وعلموا ما فيه من الحكمة ازدادوا
طمانينة وترسخت عقائدهم: وهدى وبشرى للمسلمين: معطوفان
على محل ليثبت على ان الافعال الثلثة لجبريل ويجوز العطف عليها
بعد اللام على ان الثلثة فعله تعالى وفي جعل التثبيت له تعالى وهدى وبشرى
فعل جبريل نصبا على العلية وان جاز لفظا يفوت حسن النظم وفي
اثبات هذه الصفات لهم وان تم الجواب بقوله قل نزله روح القدس
تعريض لحصول اضدادها لغيرهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر
ارادوا غلاما لحويطب بن عبد العزى واسمه عايش وكان قد اسلم وحسن
اسلامه وكان صاحب كتب: وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن
الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا قينين بمكة يقرآن التورية و
الانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قراءتهما وقيل سلمان
الفارسي وهو خطاء لان الاية مكية وسلمان لقي رسول الله بالمدينة
لسان الذي يلحدون اليه: لغة الذي يميلون اليه من لحد بالكسر مال
ومنه اللحد للقبر الذي يمال الى جانب القبلة وقرا حمزة والكسائي بفتح
الياء والحاء وهما لغتان والضم اشهر: اعجمي وهذا لسان عربي مبين:
كيف يستقيم ان يكون متعلما منه فدل على ان قولهم ناشئ عن كمال
الجهل وغاية العناد: ان الذين لا يؤمنون بايات الله: لا يصدقون بها
بعد ظهورها عنادا: لا يهديهم الله: لا يهديهم الى الحق والطريق الموصل اليه
ولهم عذاب اليم: تهديد لهم بعد اماطة الشبهة وقلع دابرها باقوى البراهين
انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله: رد لقولهم انما انت
مفتر وقلب عليهم بعد الجواب عنه بقوله قل نزله روح القدس وابلغ
من ان يقال انما انتم مفترون لدلالته على ان منشأ الافتراء عدم الايمان

ومن نسبوا الافتراء اليه منزه عنه بريء من لوثه وفيه تحاش من نسبه المنى طالب
ما يكره: واولئك هم الكاذبون: الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله
من اعظم الاكاذيب واولئك الذين عادتهم الكذب لا يحجبهم عنه مروة ولا دين
او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر او اشارة الى قريش على معنى ان قريشا
هم المقصورون على الكذب نفي الافتراء عنه بطريق البرهان: ومن كفر بالله من
بعد ايمانه: بدل من الذين لا يؤمنون والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله
وبينهما اعتراض او بدل من اولئك على معنى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون
او من الخبر والمعنى واولئك هم من كفر بالله بعد ايمانه وعلى الوجوه المراد بالايمان
التمكن منه كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله: الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان: استثناء منقطع او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله
فعليهم اي من كفر بالله من بعد ايمانه فعليهم غضب الا من اكره والوجه ان يكون
نصبا على الذم متصلا بقوله ولا تشتروا بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فيتسق النظم
ويكون تنفيرا عن الاستبدال المنهي عنه بابلغ وجه بعد اقامة البرهان وازاحة الشبهة
ولكن من شرح بالكفر صدرا: طاب به نفسا وانبسطت له واصل الشرح الكشف
وازالة الابهام فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم: لعظم جرمهم نزلت
في المستضعفين كانت كفار قريش يعذبونهم ويامرونهم بالكفر والارتداد منهم
عمار بن ياسر وابواه اما ابواه فصبرا وقتلا على الاسلام واما عمار فتكلم بكلمة
الكفر فخلوا عنه فاتى رسول الله وهو يبكي وقال هلكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا لا هلكت ومسح عن عينيه وقال ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدميه وان الايمان
قد اختلط بلحمه ودمه والاية دلت على جواز التكلم في الجملة رخصة والصبر لاعزاز الدين
والموت على ذلك هو الرتبة والعزيمة لما صح ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين
من المسلمين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فانا
قال انت ايضا فخلى عنه وقال للاخر ما تقول في محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه فاعاد مقالته فقتله فبلغ ذلك رسول الله
فقال اما الاول فقد اخذ برخصة واما الآخر فقد صدع بالحق فهنيئا له: ذلك
اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى شرح الصدر بالكفر او الوعيد عليه: بانهم استحبوا
الحيوة الدنيا على الاخرة: آثروها عليها: وان الله لا يهدي القوم الكافرين: الذين ذلهم
للنار لقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم: ليس لهم قلوب يعقلون
بها ولا آذان يسمعون بها ولا اعين يبصرون بها: واولئك هم الغافلون: الكاملون
في الغفلة حيث آثروا الفاني على الباقي ولو كانت الدنيا من الذهب والاخرة
من الخزف لما آثرها العاقل فكيف والامر بالعكس: لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون

الكاملون في الخسران لانه من اغتر بالفاني لا اخسر منه؛ بل انبئكم بالاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا؛ ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا
بالتعذيب والاكراه على الكفر وقرا ابن عامر فتنوا على بناء الفاعل اي فتنوا انفسهم
بالتلفظ بالكفر او فتنوا غيرهم كما فعل سهيل بن عمرو بابنه ابي جندل ثم اسلم
والفتن اولى لان المفتون في الاسلام احرى بالرحمة والغفران ممن عذب المسلم
ثم اسلم؛ ثم جاهدوا وصبروا؛ على مشاق الجهاد وبذل المال والنفس؛ ان ربك
ان مع اسمها تاكيد للاولى وقيل الجار والمجرور خبر ان الاولى كانه قيل ان ربك
لهم لا عليهم والثانية مع خبرها بيان لكونه لهم وقيل للاخير للاول لان خبر الثانية
اغنى عنه فلا يحتاج الى التقدير؛ من بعدها؛ من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور
لما صدر منهم؛ رحيم؛ بقبول توبتهم وتبديل سيئاتهم حسنات؛ يوم تاتي كل نفس
كل شخص بقرينة الاتيان؛ تجادل عن نفسها؛ عن ذاتها والنفس جارية مجرى التاكيد
ومجادلتها السعي في خلاصها والاعتذار بمعاذير كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ربنا
هؤلاء اضلونا حتى يقول العبد عند المحاجة لا اقبل شهادة الملائكة ولا اقبل الا شاهدا
مني فتشهد عليه جوارحه بما كسبت فيقول سحقا لكن عنكن كنت اناضل؛ وتوفى
كل نفس ما عملت؛ جزاؤه؛ وهم لا يظلمون؛ لا ينقصون من الاجر شيئا؛ وضرب الله
مثلا قرية؛ اشارة الى عذاب الدنيا الاجل بسبب الكفر فان النفوس تنزجر
اكثر مما تنزجر بعذاب الاخرة ولذلك شرعت الحدود والقرية اما مفروضة
او قرية من القرى جرى عليها ما جرى في الازمنة القديمة وهذا هو الحق لقوله؛ ولقد
جاءهم رسول منهم؛ لان ضرب المثل انما يكون بامر بديع في الشناعة زجرا للسامع
عن ارتكاب توجيه؛ كانت آمنة مطمئنة؛ اي اهلها الى اسناد مجازي؛ ياتيها
رزقها رغدا؛ واسعا؛ من كل مكان؛ من كل جانب من جوانبها؛ فكفرت بانعم الله
ابطرتهم تلك النعم فلم يشكروا موليها جمع القلة استعمل في الكثرة بمعونة المقام
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف؛ وهما آفتان بالطبع لا شئ اشد على النفس
من احدهما فكيف اذا اجتمعا شبه اولا ما يدركه الانسان من الم الجوع والفقر
بما يدركه من طعم المر البشع ثم شبه ذلك الالم والفقر باللباس من حيث
الاشتمال وحذف المشبه وذكر المشبه به وهو اللباس فالاولى استعارة مكنية
والثانية تصريحية واوقع الاذاقة على اللباس دون الكسوة لانه يفيد زيادة
التاثير ومن هذا علم ان قولهم ان الترشيح ابلغ من التجريد لم يكن على اطلاقه فان
قلت المشبه في الاستعارة الاولى والثانية هو ما يدرك من الم الجوع وما يغشى الانسان
ويحيط به منه وذلك امر معقول والمدرك بالذوق لابد وان يكون محسوسا
فكيف يكون الاذاقة تجريدا بل يكون ترشيحا لانه من توابع الطعم المر البشيع قلت

الاذاقة لكثرة استعمالها في البلايا والشدائد بمعنى الاصابة قد جرت مجرى الحقيقة
فبذلك الاعتبار كانت تجريدا وجعل المشبه المستعار له لفظ اللباس انتقاع
اللون ورثاثة الهيئة اللازمين للجوع والخوف يذهب حلاوة الاذاقة؛ بما
كانوا يصنعون؛ من الكفر والاخلال بالشكر؛ ولقد جاءهم رسول منهم؛ اي من
اهل تلك القرية؛ فكذبوه؛ نسبوه الى الكذب ولم يؤمنوا به؛ فاخذهم العذاب
عذاب الاستيصال فقطع شافتهم؛ وهم ظالمون؛ في كفران النعمة وتكذيب
رسولهم وقيل الضمير المنصوب في جاءهم لاهل مكة وفيه ان هذا المثل انما ضرب
لهم قبل اخذ العذاب ليأخذوا حذرهم ولذلك امرهم بقوله؛ فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا واشكروا نعمة الله؛ اي قد استبان لكم ما حل بمن كفر بانعم الله تعالى
فاجمعوا اكل نعمته مع الشكر لئلا يحل بكم ما حل بهم؛ ان كنتم اياه تعبدون؛ ان
صح انكم لا تريدون بعبادة الالهة الا عبادته وانما تعبدونها لتقربكم اليه زلفى ثم
عدد المحرمات بقوله؛ انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم؛ ليعلم ان ما عداها حل لهم فان قلت
تصدير الجملة بانما يدل على حصر المحرمات وقد حرمت السباع والحمر الاهلية قلت
الحصر انما هو بالنسبة الى ما كانوا يحرمونه من السائبة والوصيلة والحام والمعنى
انما حرم عليكم هذه المذكورات لا ما تحرمونه انتم باهوائكم وقد دل عليه؛ ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام؛ اي لا تقولوا الشئ الذي تصفه
السنتكم بالحل والحرمة من غير سند هذا حلال وهذا حرام فالكذب مفعول تقولوا
وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او الكذب مفعول القول الاول ويقدر بعد تصف
قولا آخر اي فتقولوا هذا حلال وهذا حرام واللام في الوجهين صلة القول او ما
مصدرية واللام للتعليل اي لا تقولوا لاجل وصف السنتكم الكذب وكونها
ينبوع الاكاذيب هذا حلال وهذا حرام وهذا اشكل قولهم في الاطراء في المدح ريقه
تصف السلافة وعينه تصف السحر وحاصله انه تخيل تلك الصفة من باب
الاستعارة بالكناية؛ لتفتروا على الله الكذب؛ تعليل خال عن الغرض؛ ان
الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون؛ وان حصل لهم ما حصل فانه فتنة
وخيمة؛ متاع قليل؛ ما يتوصلون اليه بالافتراء؛ ولهم عذاب اليم؛ في الاخرة
وعلى الذين هادوا؛ على اليهود خاصة؛ حرمنا ما قصصنا عليك من قبل؛ ما
سبق في سورة الانعام وهو قوله؛ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر و
من البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما؛ وما ظلمناهم؛ بالتحريم والتضييق عليهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون؛ بالكفر الموجب لزوال النعمة كقوله فبظلم
من الذين هادوا حرمنا؛ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة؛ غير عارفين

بالله وبصفاته او كانوا عارفين ولكن اتبعوا الشهوات فكانت المعرفة جهالة
لعدم الجري على موجبها ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ما افسدوه بالتوبة
ان ربك من بعدها لغفور رحيم اي بعد التوبة يغفر ما سبق منهم ويثيب
على التوبة ان ابراهيم كان امة فعلة بمعنى المفعول كالرحلة لمن يرحل اليه
لان الناس كانوا يأتونه اي يقصدونه ليتعلم الدين ومحاسن الاخلاق او
كان منفردا في زمانه بالدين لم يشاركه احد والرجل المنفرد بمعنى يسمى امة
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيد بن نفيل [illegible] يبعث يوم
القيمة امة واحدة او لاجتماعه صفات لا توجد الا في جمع كثير والى هذا
يشير ابو نواس في مدح الفضل بن يحيى البرمكي ليس من الله بمستنكر ان يجمع
العالم في واحد قانتا لله مطيعا له خاشعا ما يلابس الباطل ولم يك
من المشركين صرح به وان لزم من قوله حنيفا تكذيبا لقريش فانهم كانوا
يزعمون انهم على ملته شاكرا لانعمه اثر جمع القلة ايماء الى انه لم يخل بالشكر
لو قلت فكيف وهي من الكثرة بحيث لا تحصى اجتباه اختاره على
الخلق بالنبوة وهداه الى صراط مستقيم دين الاسلام اجابة لقوله واجعلنا
مسلمين لك واتيناه في الدنيا حسنة ذكرا حسنا اجابة لقوله واجعل لي
لسان صدق في الاخرين الا ترى اهل ملة الا ويثنون عليه ويزعمون انهم على
دينه او امرأته سارة فانها كانت اجمل النساء واتقاهم كما روي عن علي
رضي الله عنه في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة انها المرأة الصالحة وانه في
الاخرة لمن الصالحين لقربه في حضرة قدسه في مقعد صدق اجابة لدعاء والحقني
بالصالحين وكونه من رؤساء المرسلين لا ينافيه لانهم في اعلى درجات الصالحين
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم في لفظ ثم اشارة الى ان اجل ما اوتيه
خليل الله هو اتباع حبيبه ملته ولا يخفى ما في ذلك من التنويه بشأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم في لفظ اوحينا وابهام الملة اشارة الى استقلاله بالاخذ
عمن اخذ عنه ابراهيم عليه السلام حنيفا وما كان من المشركين بل كان قدوة
الموحدين انما جعل السبت على الذين اختلفوا وبال السبت وهو المسخ و
ايراده مثل ايراد ضرب المثل بالقرية آنفا لاشتراكهما في الدلالة على نعم الله التي
انقلبت عليهم نقمة الكفر والعصيان ذكره لطفا بالسامعين فرض السبت اي
تعظيمه على اليهود خاصة فان موسى عليه السلام امرهم بتعظيم يوم الجمعة فلم يفعلوه و
آثروا السبت عليه وقالوا نختار اليوم الذي فرغ الله من خلق الاشياء فيه الا
شرذمة منهم رضوا بالجمعة فاوجب الله عليهم تعظيم السبت فوفى بتعظيمه هو
الشرذمة وخلى به الاخرون فاصطادوا فيه فعاقبهم الله بالمسخ وان ربك

ليحكم

ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يجازي كل فريق بما يستحقه
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن
متصل باتباع ملة ابراهيم كانه قال كيف اتبع فاشار الى كيفية ذلك
بان بين له مراتب الدعوة بحسب المدعوين لان المخاطب اما كامل
القابلية بحسب الفطرة فيخاطب بالمقالة المحكمة اما عيانا او برهانا واما
متوسط فيخاطب بالاقناعيات واما عامي صرف او معاند فالملائم له
معه بالرفق واللين كما فعل ابراهيم عليه السلام حين رأى الكوكب ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا عليك بعد البلاغ على
الوجه الذي وقفت عليه وتقديم الضال لان الكلام فيه وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزلت الايات الثلث الى اخر السورة بعد احد
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء الحرب شرع في دفن
الشهداء والفحص عن القتلى فوقف على عمه حمزة اسد الله فوجده قد بقر
بطنه ومثل به انواع المثلات فشق ذلك عليه فحلف ان اظفره الله
بالمشركين ليمثلن بسبعين منهم فقيل له ان احكام الدنيا على المقاصة
والمماثلة فاذا جازيتهم بمثل فعلهم فقد اخذت ثارك ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين فقال بل اصبر وكفر عن يمينه ونهى عن المثلة فهي محرمة
اجماعا في سائر الحيوانات باسرها في الاقطار كلها والضمير في لهو عائد الى
ضمير المنبي طبعا والقرينة صبرتم والتعبير عنهم بالصابرين للدلالة على انهم اذا علموا
ان الصبر خير لهم فهم كالصابرين بالفعل لعدم اخلالهم بالافضل او الى جنس
الصبر والمراد بالصابرين جنسهم ايضا واصبر في المواطن كلها وليس
تصريحا بما علم وما صبرك الا بالله الا بارشاده وتوفيقه وربط القلب
على لقاء المكروه رجاء ثوابه ولا تحزن عليهم على الكافرين فان الله وعدك
النصر والعاقبة وقيل على المؤمنين وما حل بهم يوم احد وفيه فوات
حسن النظم مع قوله ولا تك في ضيق مما يمكرون من مكرهم وقرا ابن
كثير في ضيق بكسر الضاد وهما لغتان ان الله مع الذين اتقوا المعاصي بالعون
والنصر علة للنهي عن الحزن وضيق الصدر والذين هم محسنون مخلصون في
تقواهم او محسنون بالترحم والشفقة على خلق الله تعالى وفيه اشارة الى ان الصبر
والتجاوز عن المعاقبة محض تفضل وفيه ربط آخر السورة باولها لان قوله اتى
امر الله فلا تستعجلوه في المعنى امر بالصبر لمجيء الفرج سورة بني اسرائيل مائة
وعشرة آيات مكية وعن ابن عباس الا قوله وان كادوا ليستفزونك
الى قوله سلطانا نصيرا فانها نزلت بالمدينة لما جاء وفد ثقيف بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم: سبحان الذي اسرى بعبده ليلا: سبحان
علم للتسبيح بمعنى التنزيه والتقديس البليغ من السبح وهو الابعاد في الارض
او الاتيان به علما دالا على الحقيقة الحاضرة في الذهن للدلالة على ان ما ذكر بعده
من الامور البديعة فانه منزه عن العجز عن ايجادها وقيل علم في غير حال الاضافة
ولا حاجة اليه لان الاضافة لا تنافي العلمية ونصبه بفعل واجب الترك ونصب
ليلا على الظرفية وتنكيره للدلالة على وقوع الاسراء في جزء منه لان الليل وان
كان اسما للجميع الا ان منكره يقع على البعض فاريد بقرينة السرى الذي لا
يكون غالبا الا في بعض الليل وما في الباء من معنى الاتصال واضافة العبد
الى ضمير الله الدال على انه العبد الحقيقي اشارة الى استحقاق تلك الرتبة
السنية التي لم ينلها احد من المرسلين وان العناية به في اقصى الدرجات و
لذلك قال في اخر السورة وكان فضل الله عليك كبيرا: من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى: قد اشتهر وكاد ان يتواتر انه عرج به واختلف في كيفية
ذلك فذهب جمع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان ذلك كان
مناما ورؤيا نوم والذي عليه المحققون انه اسرى بجسده ولذلك وقع الاتيان
والانكار واختلف في وقت الاسراء قيل كان قبل نبوته والاصح قول الزهري
انه اسري به في ليلة السابع والعشرين من ربيع الاول بعد بعثته بخمس سنين
وسياق الحديث انه اتاه جبريل وهو في الحجر الاسود وقيل في الحطيم وقيل في بيت
ام هاني والكل محتمل لاختلاف الاوقات فشق بطنه وقلبه وغسل بماء زمزم
واتى باناء ملي حكمة وايمانا فحشي به صدره ثم اتى بالبراق وهي دابة دون
الفرس وفوق الحمار يقع خطوته حيث يقع بصره فركبه واتى المسجد الاقصى
وهو بيت المقدس سمي بالاقصى لغاية بعده من المسجد الحرام اذ لم يكن
مسجد ابعد منه في ذلك الزمان قال فربطت البراق في الحلقة التي
يربط الانبياء بها ثم مثل لي الانبياء فصليت بهم اماما ثم عرج بي
الى السموات حتى بلغت السدرة المنتهى وهي النبوة ورايت ثمرها
كقلال هجر واوراقها كآذان الفيل ولم يقدر احد على نعتها لما غشيها
من الانوار ثم تخلف جبريل فارتقيت الى مستوى اسمع فيه صريف الاقلام
ففرض الله علي وعلى امتي خمسين صلوات فرجعت حتى مررت على موسى بن
عمران فسالني فاخبرته فقال ارجع الى ربك واساله التخفيف فان
امتك لا تطيق ذلك فاني قد جربت بني اسرائيل قال فرجعت فوضع
عني الشطر فرجعت الى موسى عليه السلام فسالني فاخبرته فقال ارجع واساله
التخفيف فلم ازل اتردد بين موسى وربي حتى بلغت خمس صلوات فقال

ارجع

ارجع فقلت قد استحييت من ربي لكن افوض واتوكل فنوديت يا محمد لا يبدل
القول لدي هي خمس وهن خمسون الحسنة عندي بعشر امثالها وذكر انه دخل
الجنة واتاه مالك خازن النار فسلم عليه وراى في السماء السابعة البيت
المعمور وابراهيم عليه السلام مسند ظهره اليه يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا ياتيهم
النوبة الى اخر الدهر قال فاصبحت بمكة واخبرت قريشا فكذبوني وسالوني
اشياء بيت المقدس لم اكن اثبتها فكربت كربا شديدا فجلى الله لي بيت المقدس
فطفقت اذكر لهم ما يسالوني وسالوه عن عير لهم كانت بالشام فقال
يقدم عيركم يوم كذا مع شروق الشمس يقدمه جمل اورق فخرجوا في ذلك
اليوم الى الثنية فقال واحد منهم هذه الشمس والله قد اشرقت فقال آخر وهذا
العير والله يقدمه الجمل الاورق فان قلت قد ذكر انه راى الانبياء ووصف خلقهم و
شمائلهم حتى قال في يوسف رايته قد اعطي شطر الحسن وقال في ابراهيم صاحبكم اشبه الناس
به يريد نفسه وهم اموات بلا ريب فكيف ذلك قلت قد صح عنه ان لحوم الانبياء
محرمة على الارض وقد اخبر الله عن الشهداء انهم احياء يرزقون والانبياء فوق الشهداء
اتفاقا فان قلت قال رايت موسى في قبره عند الكثيب الاحمر يصلي وفي رواية رايته
ينحدر في الوادي ملبيا وقد ذكر انه رآه في السماء السادسة وتردد بينه وبين
ربه في تخفيف الصلوات وقد رآه في جملة الانبياء في المسجد الاقصى رآه
في تلك المواضع كلها في اوقات مختلفة فان قلت هل راى ربه رؤية عين
قلت قد اختلف فيه انكرته عائشة غاية الانكار وقرات لا تدركه الابصار
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب واثبتها ابن عباس
وعليه المحققون من الصحابة ومن بعدهم لان هذا القول لم يكن الا بالسماع
والمثبت يقدم على النافي وعائشة لم تقل ذلك نقلا وما استدلت به
من القران فالجواب عنه ظاهر: الذي باركنا حوله: بركات الدنيا والدين
لانه موطن الانبياء ومتعبدهم وفيه الانهار والاشجار وغالب انواع الثمار
لنريه من آياتنا: ما راه تلك الليلة التفت الى التكلم لتعداد ذلك: انه هو
السميع: لاقوال عبده: البصير: باحواله ومستحقه من سوابغ نواله: وآتينا موسى
الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا: استطرده
تمهيدا لذكر القران ولان موسى معراجه الى الطور ومعراجه الى السدرة المنتهى
ووصف كتاب موسى بانه هدى لبني اسرائيل والقران بانه يهدي للتي هي اقوم
فوازن بين سبحان الذي اسرى بعبده وبين وآتينا موسى الكتاب وبين وصف
الكتابين يظهر لك تفاوت الرتب وقرا ابو عمرو الا يتخذوا بالياء ولاحتياج
الخطاب الى التقدير: ذرية من حملنا مع نوح: نصب على البدل او الاختصاص

او النداء في قراءة الخطاب او مفعول اول للا تتخذوا من دوني حال من وكيلا وفي ذكره
تذكير بما انعم على آبائهم من الانجاء في سفينة نوح عليه السلام ✻ انه كان عبدا شكورا ✻ تعليل
للنهي كانه قيل انتم اولاد ذلك العبد الشكور فاقتدوا به وان اولاد المحمولين معه اولاده
لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل ثنآء عليهم بانهم اولاد المحمولين معه فهم متصلون به
وليس بذلك لان المساق يا باه ✻ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض ✻
عبر عن الوحي بالقضآء للدلالة على كونه امرا لازما والكتاب هو التورية واللام في لتفسدن
جواب القسم لان القضآء المبرم جار مجراه فاغنى عن تقديره ✻ مرتين ✻ اولاهما قتل زكريا
عليه السلام او تغيير احكام التورية فاستولى عليهم بخت نصر وفتك فيهم وقيل قتل شعيا
وكان قد وعظهم ارميا فلم يرفعوا له راسا ولما اكثر عليهم حبسوه والثانية قتل يحيى بن زكريا
واستيلآء دهردوس وقتله بني اسرائيل وكان من ملوك الطوائف او عزمهم على قتل
عيسى عليه السلام ✻ ولتعلن علوا كبيرا ✻ تكبرا مفرطا وذلك سبب الادبار وقيل الملك
يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم ✻ فاذا جآء وعد اولاهما ✻ وعد عقاب اولاهما عبر عنه
بالوعد دلالة على لزوم وقوعه ✻ بعثنا عليكم عبادا لنا ✻ بخت نصر وقيل سنجاريب
وقيل جالوت ✻ اولي باس شديد ✻ ذي قوة وشوكة ✻ فجاسوا خلال الديار ✻ اي
ترددوا بين الدور كناية عن الملك التام الدال على انواع العذاب قيل قتلوا علماءهم
واحرقوا التورية وخربوا المسجد الاقصى وسبوا منهم سبعين الفا اصل الجوس التردد
وخلال الشيء باطنه ومنه الخلة ✻ وكان وعدا مفعولا ✻ لا بد ان يفعل ✻ ثم رددنا لكم
الكرة عليهم ✻ الغلبة يقال للحرب كر وفر وذلك لما تابوا واخلصوا القى الله الرافة
في قلب بهمن بن اسفنديار فرد اسراهم الى الشام وملك عليهم دانيال
فاستولوا على اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله ✻ و
امددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ✻ مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل
من قومه لقضآء حاجته او جمع نفر كالعبيد او مافر كالحجيج ✻ ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اسأتم فلها ✻ لا يتجاوزها وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما
احسنت الى احد ولا اسأت وتلاها وهذا انذارهم لئلا يعودوا ان كان في
التورية والا فانذار لهذه الامة عن الاتيان بمثله وانما ذكر اللام مع الاسآءة
ازدواجا ✻ فاذا جآء وعد الاخرة ✻ العقوبة الاخرة آثر الاخرة على الاخرى في مقابلة
اولاهما اشارة الى ان لا عقوبة بعدها ان استقاموا فان قلت لم عطف بالفاء
وكان الظاهر الواو لانه تفصيل المجمل قلت للدلالة على ان مجي وعد عقاب الاخرة
لم يتراخ عن كثرتهم وانهم بطروا سريعا ونسوا ما كان حل بهم فجاءهم عذاب الله
ليسوءوا وجوهكم ✻ اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة الاول عليه وذكر
الوجوه لان اثر المساءة تظهر فيها ولانها اشرف الاعضاء او عبر بها عن

الذوات وقرأ الكسائي بالنون على سنن بعثنا وامددنا وابن عامر وحمزة وابو بكر بالياء
وفتح الهمزة مسندا الى الله تعالى او البعث او الوعد والباقون بضم الهمزة بعدها واو
مسندا الى ضمير العباد وهو المختار لقوله ✻ وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة ✻ متعلق
ببعثنا ✻ وليتبروا ✻ ليهلكوا من التبار ✻ ما علوا ✻ ما استولوا عليه ✻ تتبيرا ✻ قيل دخل امير
الجيش مذبح قرابينهم فوجد دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم يحيى قد علم ربك
ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى فسكن الدم ✻ عسى ربكم ان
يرحمكم ✻ بعد المرة الثانية ✻ وان عدتم عدنا ✻ هذا ايضا من المقضي في التورية وقد
عادوا فسلط الله عليهم الاكاسرة وعن قتادة ثم عادوا فسلط عليهم محمدا
وامته فهم في ذل الى يوم القيمة يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ✻ وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا ✻ حاصرا من الحصر فعيل بمعنى الفاعل ولذلك لم يؤنث ✻ ان
هذا القرءان يهدي للتي هي اقوم ✻ للطريقة التي هي اقوم الطرق واشدها اذ ليس فيها
الاصار والاغلال ولذلك قال لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي
✻ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ✻ قرا حمزة والكسائي
بفتح الياء وتخفيف الشين ثلاثيا والباقون بالضم والتشديد وهذا افصح وابلغ
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ✻ عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى
يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر بتقدير اي
ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون ✻ ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير ✻ نزلت
حين قال النضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السمآء فضرب عنقه يوم بدر وقيل نزلت دفع رسول الله اسيرا الى سودة
فسمعت بالليل انينه فسالته فشكا اليها الم الاسار فحلت رباطه فهرب
فلما اصبح رسول الله طلب الاسير فاخبرت به فقال اللهم اقطع يديها فرفعت
سودة يديها جازمة بقطع يديها اجابة لدعائه فاخبر بذلك رسول الله فقال اللهم
بشرا اغضب كما يغضب البشر واني سالت الله ان يجعل دعائي ويعني على
من لا يستحقه رحمة وقيل هو دعاء كل احد على ما له واهله عند الغضب فيتصل على
الوجهين بقوله ان هذا القرءان يهدي للتي هي اقوم اشارة الى انه ليس من ذلك
الاقوم في شيء وحمله على آدم لا يلائم المقام واللفظ يا باه ✻ وكان الانسان
عجولا ✻ في اموره ولذلك يدعو بالشر دعاءه بالخير ✻ وجعلنا الليل والنهار
آيتين ✻ بيان لما يهدي اليه القرءان من دلائل التوحيد والمراد نيرا الليل والنهار
فمحونا آية الليل القمر او الليل والنهار آيتين والاضافة للتبيين كاضافة العدد
المعدود ✻ وجعلنا آية النهار مبصرة ✻ مضيئة يجعل الخلق بصرآء بالاضاءة وعن عمر بن
الخطاب ان رجلا قال له يا امير المؤمنين رايت في المنام ان الشمس والقمر

يتحاربان فقال عمر كنت مع من قال كنت مع القمر فقال اتى لك آية ممحوة فوجد في حرب علي مع معاوية لتبتغوا فضلا من ربكم رزقا في بياض النهار ولتعلموا عدد السنين والحساب بدور القمر في المنازل التي عليه مدار السنة الشرعية والشهور العربية وكل شيء فصلناه تفصيلا كل شيء يحتاجون اليه من امر الدنيا والدين بيناه بيانا شافيا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه جعلنا عمله لازما له لزوم القلادة والغل فكانه طار اليه من وكر القدر وجاء على عرفهم في السانح والبارح من التيمن والتشاؤم وخص العنق لانه محل الزين بالقلائد والاطواق ومناط الشين بالاغلال والادهاق ولانه سيد الاعضاء والبارز للناظرين ونخرج له يوم القيمة كتابا صحيفة اعماله نصب على الحال بتقدير المبتدا من المحذوف العائد الى الطائر اى نخرج عمله حال كونه كتابا وحمله على النفس المنتقشة بالملكات يقتضي اتحاد المخرج والمخرج مع كونه مخالفا للاحاديث له يلقاه منشورا بعدما كان مطويا خفيا وقرا ابن عامر يلقاه بالتشديد وعلى الوجهين المستتر اما للانسان او للكتاب اقرا كتابك على ارادة القول يقرا فى ذلك اليوم من لم يكن قارئا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فعيل بمعنى الحاسب كالضريب ولذلك لم يؤنث نصبه على التمييز كقوله دره فارسا او بمعنى الكافي استعمل بمعنى الشاهد لجواز لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه وعن الحسن لقد انصفك من جعل نفسك عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها على سؤال ان احسنتم احسنتم لانفسكم وفيه دلالة على ان الاطفال لا يعذبون ولا تزر وازرة وزر اخرى لا تحمل نفس اثم اخرى وحمل الوزر الثقل ومنه حتى تضع الحرب اوزارها فان قلت قد قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت ذلك للضلال والاضلال فلا تنافي وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا مبينا للاحكام فيه دليل على ان لا حكم قبل البعثة لانتفاء لازمه وحمل الرسول على العقل لم يوجد في كلام الشارع قط واذا اردنا ان نهلك قرية واذا دنى وقت اهلاك قوم لم يبق حين تعلق الارادة الفعل واجب الوقوع امرنا مترفيها ففسقوا فيها مكناهم من التفسق بان اوسعنا عليهم اسباب الملاذ والوصول الى الشهوات او لما افاض عليهم النعم ليكون وسائل الطاعات جعلوها ذرائع المعاصي فكانهم مامورون بفعل المعصية وفيه اشارة الى انهم علموا النعمة الواجبة وقيل امرناهم بالطاعة فاثروا الفسق وفيه انه حذف بلا دليل لان قولك امرته فقرا لا يفهم منه الا الامر بالقراءة فان قلت قوله ان الله يامر بالفحشاء قرينة وذكر الفسق بعد الامر ايضا قلت التقييد

بالاتراف وزمان ارادة الاهلاك يا باه فحق عليها القول كلمة العذاب فدمرناها فاهلكناها تدميرا اهلاكا اى اهلاك استيصال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا قد احاط ببواطنهم وظواهرهم بالعلم التام فلو لم يكونوا مستحقين لذلك العذاب لما وقع ذكر البصير بعد الخبير تتميما كما في الرحمن الرحيم من كان يريد العاجلة اى يريد بعمله الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء لا ما اراده ما كل ما يتمنى المرء يدركه لمن نريد بدل من له بدل البعض لان كثيرا منهم لا يعطي شيئا منها خسر الدنيا والاخرة ثم جعلنا له جهنم ماوى ومقرا يصليها يدخلها او يحترق بها من صليت الشاة شويتها مذموما بلعنة الملائكة والناس مدحورا مهانا من دحرته اذا دفعته بالاهانة وفي الحديث لم ير ابليس ادحر من يوم عرفة لما يرى من كثرة عفو الله الا يوم بدر ومن اراد الاخرة اى بعمله وسعى لها سعيها حق السعي من امتثال الاوامر واجتناب المناهي وهو مؤمن والحال ان ذلك السعي مقرون بالايمان الذي لا يعتد بعمل دونه وعن بعض الحكماء من لم يكن معه نية صادقة وايمان راسخ وعلم مصيب لا ينفعه عمل فاولئك كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله يثاب عليه كلا كل واحد من المعاصي والطايع والتنوين عوض المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل له الآنف مددا للسابق هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك اسم للمعطى وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا من احد في الدنيا من الحظار وهو الحجاب وفي الحديث قالت امراة دفنت ثلثة من الاولاد فقال لها لقد احتظرت بحظار من النار انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض النظر بالبصيرة والمعنى طلب كل من يتاتى منه وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اجتمع اشراف قريش يوما بباب عمر فخرج الاذن لبلال وصهيب ولم يؤذن لهم فشق ذلك عليهم فقال سهيل بن عمرو يا قوم انما اتينا من قبل انفسنا دعي هؤلاء الى الاسلام ودعينا فاسرعوا وابطانا واذا كان هذا حالنا في باب عمر فكيف حالنا في الآخرة فان حسدتموهم على باب عمر فانتم الى ما اعد الله لهم من المراتب بالحسد اولى لا تجعل مع الله الها آخر لا تعتقد له شريكا في الالوهية وخواصها الخطاب له والمراد امته او هو من باب الالهاب لما تقدم ان من سعى انما يعتد سعيه اذا كان مؤمنا شرع تبيين حقيقة الاسلام ثم فصل فروع ذلك وطرائق السعي فتقعد مذموما يذمك ربك على اتخاذك له شريكا مخذولا لا ناصر لك من الشريك لعجزه عن نفع نفسه فضلا عن غيره المنصوبان خبر تقعد لكونه بمعنى صار وفي لفظ القعود اشارة الى سقوط الرتبة وان لا يليق له الربانية بل الخمول والتستر محلا وقضى ربك ان لا تعبدوا

حكم حكما مبتوتا اى لا يقبل المحو والتبديل ان لا تعبدوا الا اياه بان مفسرة والكلام
انشاء او مصدرية بتقدير الباء والكلام نفي وبالوالدين احسانا واحسنوا
او بان تحسنوا بناء على الوجهين في ان لا تعبدوا والاولى جعله متعلقا باحسانا
وعدم جواز عمل المصدر في الصلة المتقدمة ممنوع اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما اصله ان زيدت ما المؤكدة ولذلك صح دخول النون المؤكدة وقرا
حمزة والكسائي يبلغان مسندا الى ضمير الوالدين واحدهما بدل البعض وكلاهما بدل
الكل لا توكيد لان احدهما صارف عنه اولو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب
فلا تقل لهما اف فلا تتضجر ولا تستقذر منهما ما يستقذر من غيرهما صوت
او اسم فعل ماخوذ من الاف على وزن الفرس وهو الشيء القليل وقرا نافع و
حفص بالكسر والتنوين وابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر بالكسر بلا تنوين وابن كثير
وابن عامر بالفتح بلا تنوين والمختار الكسر بلا تنوين لانها جارية على الاصل في تحريك
الساكن ولا تنهرهما ولا تزجرهما اذا تعاطيا ما لا يعجبك وقل لهما قولا كريما
مراعاة للادب قيل ان تقول لهما يا ابتا ويا امتا كما قال ابراهيم ولا تناديهما باسمائهما
مواجهة واما اذا كانا غائبين فلا باس به قالت عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل
اسيف لا يقدر ان يقوم مقامك واخفض لهما جناح الذل وتواضع لهما غاية
التواضع مشبه هيئة الانسان عند تذلله لوالديه بهيئة الطائر اذ خفض جناحه
على افراخه مشفقا عليها او جناح الذل استعارة بالكناية وتخييل كما في قول لبيد
اذ اصبحت بيد الشمال زمامها وذكر الخفض ترشيح من الرحمة لاجل رحمتك
اياهما وقل رب ارحمهما ادع لهما ربك بان يرحمهما رحمته الباقية ولا تقتصر على
الرحمة الفانية كما ربياني صغيرا كما رحماني بالتربية حين كنت احوج خلق الله
اليهما وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر
الى ان الي منهما ما وليا في الصغر فهل قضيت حقهما قال لا فانهما يفعلان معك
وهما يريدان بقاءك وانت تفعل وتريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم حث
على الاخلاص وان ما تفعله معهما يكون خالصا لوجهه تعالى لا خوفا من لائمة الانسان
والايات والاخبار في بر الوالدين مستفيضة وقد اسند البخاري ان رجلا
راهبا في بني اسرائيل يسمى جريجا كان يصلي فنادته امه يا جريج فقال يا رب
امي وصلوتي فنادته يا جريج فقال يا رب امي وصلوتي فنادته يا جريج فقال
يا رب امي وصلوتي فقالت يا رب لا تمته حتى تنظر في وجوه المومسات
وكانت بغية من بغايا بني اسرائيل زنت مع راع ياوي الى صومعة جريج
فاتت بغلام فقالوا لها ممن هذا الغلام قالت من جريج فجاؤوا وهدموا
صومعته وارادوا قتله فقام وتوضا وصلى ركعتين ثم قال يا غلام من ابوك

قال

قال ابي الراعي فخضعوا له وقالوا نبني صومعتك بالذهب قال لا اعيدوها
كما كانت فاعادوها ربكم اعلم بما في نفوسكم منكم لان علم البشر بعرضية السهو
والنسيان وعد لمن اضمر البر ووعيد لمن خالف ان تكونوا صالحين
كانه قيل كيف نقدر على الوفاء بحقوقهما والبشرية لا تنفك عن نوع تقصير
فقيل ان قصدتم الصلاح ثم وقعت اساءة فانه كان للاوابين غفورا
ستارا لزلاتهم لطفه حاجز دون عقابه والاواب كثير التوبة من الاوب
وهو الجانب فكانه ياتي التوبة من كل الجهات وضعه موضع الضمير ليشمل كل
جان تائب وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذا القرابة
مطلقا تعميم بعد التخصيص لحقهم يشمل المالي وغيره فان قلت كيف
يشمل المالي والزكوة فرضت بالمدينة قلت اراد ما كان فرضا في المال
من المواساة كقوله واتوا حقه يوم حصاده وما فرض بالمدينة مقادير
الزكوة الا يرى الى قوله فويل للذين لا يوتون الزكوة والاية مكية بلا خلاف
وقيل اراد بذي القربى اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسكين المحتاج
فيشمل الفقير وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا التبذير التفريق ومنه
بذر الزرع والمنهي عنه صرف المال في غير حاجة ولا طاعة الله وفي المثل
لا سرف في الخير كما لا خير في السرف وقضية ابي بكر الصديق مشهورة
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين كاخوانهم في الشرارة او قرناءهم
او اصدقائهم تشبيها لقران الصحبة بقران القرابة كانوا في الجاهلية
يصرفون الاموال في غير طاعة الله تعالى رياء وفخرا فامرهم بالانفاق في
طاعته وبين لهم المصارف ثم نهاهم عما كانوا يفعلونه وكان الشيطان
لربه كفورا فلا يدعو الى الخير علة للنهي عن التبذير اشارة الى انه بوسوسته واغرائه
واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها وان اعرضت عن هؤلاء
لفقد ما ترحمهم به من رزق ربك حال كونك راجيا ان يفتح الله عليك
فتسد به خلتهم فوضع الابتغاء موضع الفقد اقامة للسبب مقام المسبب
وفيه لطف وهو ان ذلك الاعراض لهم مالا وحقيقة وان كان عنهم حالا
وصورة او الاعراض كناية عن عدم النفع والابتغاء مجاز عن عدم الاستطاعة
والمعنى ان لم تقدر على نفعهم لعدم الاستطاعة فقل لهم قولا ميسورا
ذا يسر ولين مثل يفتح الله ورزقك الله وفي الحديث الكلمة الطيبة صدقة
وقيل ابتغاء رحمة من ربك متعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم
قولا ميسورا رحمة عليهم مبتغيا بذلك رحمة الله عليك وانما يستقيم على مذهب
الكوفية لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها في غير اما عند غيرهم ولا تجعل يدك

مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط: نهي عن الافراط والتفريط وهما
الشح والاسراف ليلزم منه الاقتصاد المحمود وهو الجود فالغل والبسط
كنايتان عنهما روي انه كان عليه قميص لم يكن له غيره فاستكسته امراة
فكسا اياه وقعد عريانا ثم اذن بلال فلم يقدر على الخروج وانتظره الناس
فنزلت فان قلت قد ذكرتم انه لا سرف في الخير وقد صح عنه انه قال
لو كان عندي مثل احد ذهبا ما ادخرت منه شيئا الا ما ارصده لدين
قلت ذلك حيث لا يترتب عليه مفسدة ولا شك ان قعوده في البيت لعدم
القدرة على الخروج فيه فوات مصالح لا تحصى فتقعد ملوما: يلومك الناس
لاخلالك بمصالحهم فينسبونك الى سوء التدبير وتلوم نفسك اذا علمت
ما فعلت محسورا: منقطعا عن الناس من حسر بصره اذا كل
وانقطع او ملولا من حسرت الناقة اذا كلت واعيت عن السير
او من الحسرة وهي شدة التلهف على الفائت ان ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر: تسلية له بعد العتاب بان ما فيه من ضيق ذات
اليد ليس لهوان منه عليه تعالى وفيه ايماء الى ان الله تعالى مع سعة رزقه يبسط
ويقدر فاستنوا به انتم ايضا انه كان بعباده خبيرا بصيرا: عالما باسرارهم
وعلنهم يبسط لمن اقتضت الحكمة له البسط ويقبض كذلك ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق من خوف الفاقة نحن نرزقهم واياكم ايضا فلا وجه للقتل اذا
ان قتلهم كان خطأ كبيرا: لان قتل النفس من اكبر الكبائر وفيه قطع التناسل
وعدم الاعتماد على ضمان الله الرزاق ونسبة العجز اليه والخطا كالاثم لفظا
ومعنى مصدر خطئ كاثم وقرا ابن كثير وابن ذكوان بفتح الخاء والطاء مصدر
خطأ ايضا كورم ورما ذكره الزجاج وقيل اسم مصدر اخطأ الصواب وقرا ابن كثير
بكسر الخاء والمد وهو اما مصدر خاطأ بمعنى خطئ كقاتل او مصدر الثلاثي كقيام
مصدر قام والمختار الكسر مع القصر لوضوح المعنى وعدم التاويل ولا تقربوا
الزنا: فضلا عن المباشرة والوقوع فيه انه كان فاحشة: زائدة القبح لاشتماله
على انواع من المعاصي وساء سبيلا: بئس طريقا طريقه لان غصب البضع
ليس مشروعا في ملة ولا في حالة ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق
الذي شرع وقد بينه بقوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث
كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم وهذا حال الاختيار فلا
يقتل المسلم في تترس الكفار ولا يقتل المقاتل دفعا ومن قتل مظلوما: لم
يستوجب القتل فقد جعلنا لوليه: من يلي امره سلطانا فلا يسرف في القتل
القاتل ابتداء بان يقتل عمدا فيقتص منه او الولي جماعة بواحد او غير القاتل

كما كان دأبهم في الجاهلية او بعد اخذ الدية او العفو ولا يراعي المماثلة المعتبرة
في القصاص وقرا حمزة والكسائي بالخطاب على تقدير يا قاتل ابتداء او يا ولي
القتيل والنبأ هو المختار لقرب الولي ولان نهي القاتل ابتداء قد علم من
قوله ولا تقتلوا انه كان منصورا: علة للنهي والضمير لولي المقتول اي لكونه
منصورا في الدنيا بتشفيه بالقصاص او للمقتول ظلما لنصره بالقصاص بان لم يهدر
دمه وفي الاخرة بالثواب او القاتل ابتداء خطا لا يقتل ظلما وقيل كان اسراف فيقتل
قاتله ولا تقربوا مال اليتيم فضلا عن الكل الا بالتي هي احسن: الا بالطريقة
التي هي احسن الطرق من حسن النظر فيه حتى يبلغ اشده: كمال القوة والعقل فيستقل
بالولاية واوفوا بالعهد: بينكم وبين الله تعالى وبين سائر الخلق ان العهد كان مسئولا
مطلوبا من المعاهد الوفاء به من سالته الشيء طلبته او العهد مسئول
عن حاله كيف روعي تخجيلا على طريقة واذا الموؤدة سئلت او الناكث يسال
عن حال العهد ويعاتب عليه واوفوا الكيل اذا كلتم للناس وزنوا بالقسطاس
المستقيم: بالميزان المستقيم رومي عرب فلا يقدح في كون القرآن عربيا لاجراء
احكام العربي عليه وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف كالقرطاس وهما لغتان
ذلك خير واحسن تاويلا: مآلا وعاقبة تفعيل من آل الامر الى كذا ولا تقف ما
ليس لك به علم لا تتبع شيئا لا تعلمه قولا كان او فعلا من قفوت الشيء وقفيته
اتبعته وفي الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي
بالمخرج استدل به من نفى الاجتهاد ورد بان الشرع قد اقام غالب الظن مقام العلم
في الفروع وقيل هذا في العقائد والاصول وحيث لا مساغ للاجتهاد ان السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك: اي كل هذه الاعضاء واولاء يشار به للعقلاء
وغيرهم سواء قال جرير والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا: ضمير كان
عائد الى كل وكذا المجرور في عنه والجار والمجرور قائم مقام فاعل مسئولا ومنع تقديم
الفاعل وما يقوم مقامه لخوف اللبس بالمبتدا ولا لبس هنا او في مسئولا ضمير
المصدر المدلول عليه بلا تقف والمعنى ان هذه الاعضاء تسال فيما استعملها
صاحبها ولا تمش في الارض مرحا: ذا مرح وهو الفرح الشديد وفي الحديث كان
رجل فيمن كان قبلكم يمشي فينظر في عطفه فاعجبته نفسه فخسف الله الارض به
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا
بما تفعله في تلك المشية تهكم به ونسبته الى السفه ناول رسول الله يوم احد
ابا دجانة سيفا كان بيده فاخرج عصابة حمراء وشدها في راسه وكان يسميها
عصابة الموت وتمشى فرحا مختالا نحو العدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه مشية لا يحبها الله تعالى الا في هذه المواطن كل ذلك كان سيئه اشارة

الى ما ذكر من الامور والمنهي ولفظ كل للشمول او شئ المنهي فعله والمامور تركه او هو المنهي
والاشياء بالاضافة وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو على لفظ التانيث منصوبا خبر كان
وكل للمنهي وحده وقوله عند ربك مكروها خبر آخر او بدل او حال من المستكن
في كان والتذكير هو المختار لظهور المعنى مع الشمول وكون الفعل مكروها لا ينافي الارادة
كتناول المريض الدواء ذلك اشارة الى ما تقدم من الاحكام مما اوحى اليك
ربك بعضه اوحى اليك من الحكمة بدل مما اوحى او حال من العائد المحذوف
سميت حكمة لعدم تطرق النسخ اليها فكانت في غاية الاحكام او لان الاحكام الشرعية
كلها حكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الايات مكتوبة في توراة موسى عشر
ايات ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على عظم شان التوحيد ورتب
عليه اولا ما يترتب على تركه من الذم والخذلان وثانيا ما يثمره في الآخرة بقوله
فتلقى في جهنم كما تلقى الحطب والحجر ملوما يلومك كل احد او تلوم نفسك
نادما مدحورا مدفوعا مبعدا من رحمته افاصفاكم ربكم بالبنين اثركم بهم
من الصفوة والهمزة للانكار ونهي عن الشرك ثم اردفه بما هو ردية وفرية
وهو نسبة الولد اليه تعالى واتخذ من الملائكة اناثا مفعول اول والثاني محذوف
اى اولادا ويجوز ان يكون متعديا الى مفعول واحد نحو قالوا اتخذ الله ولدا انكم
لتقولون قولا عظيما حيث تنسبون الى الذي ليس كمثله شئ الولد لا سيما وقد جعلتم له
ما تكرهونه لانفسكم ولقد صرفنا في هذا القرآن كررنا القول بعبارات مختلفة اشارة
الى البعض وهو الآيات المشتملة على ابطال الولد لانه فيما كرر او الكل اى ولقد صرفنا
القول في مواضع في هذا القرآن ليذكروا ليتذكروا ويتعظوا فان للتكرار تاثيرا
بليغا وما يزيدهم اى التكرار والتصريف الا نفورا تجافيا عن الحق وعدم طمانينة
وعن الثوري انه كان اذا قرا هذه الآية يقول لئن زاد اولئك نفورا ما زادني لك
الا خضوعا وقرا حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر بضم الذال وهو ذكر القلب ضد
للنسيان والذهول والمعنيان متقاربان الا ان في التذكر زيادة تعمل قل لو كان
معه آلهة كما تقولون قرا ابن كثير وحفص بياء الغيبة اى قل للمشركين مستدلا عليهم
في بطلان الشرك لو كان آلهة كما تزعمون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا
لطلبوا اليه طريقا طلبا للملك وسعيا في المغالبة كما هو ديدن الملوك ولذلك
آثر لفظ ذي العرش او لو كان معه آلهة لتقربوا اليه متوسلين الى وجوده مستكملين
من فضله وفيضه فاترعا الالوهية في المستكمل اعتراف بالتناقض سبحانه
وتعالى تنزيه له عما يقولون من مثل هذا القول فكيف عن ثبوته وتحققه لو له
علوا كبيرا تعاليا زائدا العلو وصف للعلو بالكبر الذي هو من اوصاف الاجسام ليدل
على فرطه قرا ابن كثير وحفص بالتاء والذي بعده قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم

تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يدل على وجوده بحدوثها وامكانها وعلى
وحدانيته باوصافها ونظامها فاشبه الدلالة بالنطق وعبر عنه بالتسبيح استعارة
بالكناية والاسناد الى ما لا يصح منه النطق قرينة وتخييل ومن جوز استعمال المشترك
في المعنيين حمل التسبيح في المعطوف على الحقيقة لان من اريد به الملائكة والثقلان
وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الخطاب للمشركين لانه
قدم ذكر قبايحهم ثم نزه ذاته وبالغ في تلك النزاهة ثم اقام البرهان عليها بان
للاكوان شهادة بها ولكن انتم ايها المشركون ليس لكم فهم تدركون به تلك الشهادة
لتوقفها على التدبر والنظر الصحيح وقيل الخطاب للمؤمنين وعدم الفقه عدم العمل بمقتضى
تلك المعرفة لاستيلاء الغفلة على الاكثر والوجه هو الاول انه كان حليما لا يعاجل
بالعقوبة بعد ظهور اسبابها غفورا يغفر لمن تاب بعدها واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ذا ستر مثل سيل
مفعم او هو حجاب لا يرى فهو مستور عن الابصار او حجاب دونه حجاب وجعلنا
على قلوبهم اكنة حكاية ما كانوا يقولون في آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
او ابتداء كلام تعليل للاعراض والاول الصق بالمقام لان الكلام في عد قبايحهم ان
يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما يمنعهم عن السماع والقرآن معجز
بلفظه ومعناه وانما قدم المانع عن ادراك المعنى وان كان الثاني مقدما في الوجود
لكونه اهم واذا ذكرت ربك في القرآن وحده منفردا عن آلهتهم يقال وحد يحد
وحدا ووحدة كوعد يعد عدة نصب على المصدر قائم مقام الحال يقال جئت وحده
اى منفردا وفي حديث عائشة تصف عمر بن الخطاب لله در ام درت عليه كان
نسيج وحده ولوا على ادبارهم هربوا كائنين على صفة القهقرى من شدة الانكار
نفورا جمع نافر كقعود جمع قاعد او مصدر بمعنى التولية نحن اعلم بما يستمعون به
بالشئ الذي يستمعون لاجله ما زين بك وبالقرآن الجار والمجرور في محل الحال اي
يستهزئون به مستمعين اليك على التضمين قيل كان اذا قرا وقف عن يمينه
رجلان من عبد الدار وآخران منهم عن شماله يصفقون ويخلطون عليه بالاشعار
اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم مبالغة في الوعيد بانه احاط بما فعلوه وبوقته
لم يفته شئ واذ هم نجوى اى ونحن اعلم بتناجيهم ايضا حين هم ذو نجوى او جمع نجي
اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم نجوى ان تتبعون الا رجلا مسحورا بيان
لما وقع به التناجي وضع الظالمون موضع المضمر دلالة على ان تناجيهم من باب
الظلم ولا يجوز ان يكون بدلا من اذ الاول لان هذا القول ليس من الاستهزاء
بل مما يسر به بعضهم الى بعض ولما يلزم ان يكون حدث النجوى فاصلا اجنبيا
والمسحور من سحر به فاختل عقله وقيل الذي سحر وهو الرئة اى بشرا مثلكم انظر

كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر تارة وبالمسحور اخرى وتارة بقولهم
انما يعلمه بشر او لا وجه لان يقال ضرب الامثال له هو قولهم ائذا كنا عظاما الى
آخر المقالات الثلث على انه بيان وتفسير لذلك المجمل فضلوا عن طريق
الصواب فلا يستطيعون سبيلا طريقا اليه لانحصاره في الطريق الذي انت
عليه وهم عنه ناكبون وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا عطف على قوله فضلوا باب آخر
من ابواب الضلال او على مقدر دل عليه الكلام اي قالوا انك مسحور وقالوا ائذا
كنا لما ذكر استهزاءهم به وبما جاء به اتبعه بالاستهزاء بالذي دل عليه جاء به وهو البعث
بعد تفتت الاجزاء والرفات كل ما دق وكسر ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
انكار منهم ودعوى استحالة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لتصدر الاستفهام
وخلقا اما حال بمعنى مخلوقا او مصدر قل كونوا حجارة او حديدا كانت شبهتهم
في دعوى الاستحالة عدم التناسب بين العظام الرفات وبين الحيوة لانها تقتضي
كون المحل غضا طريا وقد استولى اليبس على تلك العظام ورثت ازاح الشبهة بانه
قادر على ايجاد الحيوة فيما هو ابعد مناسبة من العظام الرفات وهو الحجارة والحديد
لان نسبة قدرته الى كل الممكنات سواء ومعنى الامر الاهانة وقلة المبالاة او خلقا مما
يكبر في صدوركم ابعد من الحديد في قبول الحيوة قيل هو الموت فان الله قادر على احياء الموت
وقد صح انه يؤتى به في صورة كبش فيذبحه يحيى بن زكريا بين الجنة والنار فسيقولون من يعيدنا
ابدوا بعد شبهة اخرى تتعلق بالفاعل بعد ازاحة الشبهة عن القابل قل الذي فطركم اول مرة
من القدم وانتم معترفون بذلك فسينغضون اليك رؤسهم يحركونها نحوك
تعجبا واستهزاء يقال نغض رأسه اذا حركه وفي حديث ابن الزبير ان الكعبة لما احترقت
نغضت اي تحركت واشرفت على الانهدام ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا
فما اعذركم بعد الوقوع وكل آت قريب ولم يبين لهم الوقت لانه متفرد بعلمه من الخمس
التي لا يعلمها غيره يوم يدعوكم فتستجيبون هو بدل من قريبا والبعث وهو المنادي من مكان
قريب اسنده الى نفسه اجلالا له وقيل الدعاء والاستجابة استعارتان للبعث
والانبعاث تنبيها على سرعة وقوعهما وسهولة امرهما مع الدلالة على انهم مطلوبون
للحساب والجزاء بحمده قائلين سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين معترفين
بوحدانيته حيث لا ينفع وقيل ابتداء كلام مع المؤمنين وتظنون ان لبثتم
الا قليلا اي في الدنيا او في القبور وذلك لما يرون من الهول وقل لعبادي
اضافهم الى نفسه تشريفا لهم يقولوا التي هي احسن الكلمة او المحجة التي هي احسن لخلوها
عن الجدال والخشونة ان الشيطان ينزغ بينهم بالحمل على المخاشنة فعلى الحازم
ان لا يغتر بوساوسه ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا قديم العداوة
واضحها ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما

اعتراض

اعتراض اي قولوا هذا الكلام لهم ونظائره ولا تقولوا انتم اهل النار وما شاكله فيثير ان
الفتنة مع عدم العلم بالعاقبة وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم
ان عليك الا البلاغ والجدال بالتي هي احسن دون المحاقة والمشاقة وربك
اعلم بمن في السموات والارض رد لانكارهم ان يكون يتيم ابي طالب رسولا
بان من اختاره للنبوة علمه محيط بمن في السموات والارض فلم يختر الا اهلا لما
اختاره ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اي فضلناك على سائر الانبياء
لعلمنا انه ليس فيهم من يوازيك وآتينا داود زبورا ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون دل على كونه خاتم الرسل
وامته آخر الامم ويجوز ان يراد ما بين الرسل من تفاوت الرتب بحسب
ما سبق في علمه تعالى وذكر داود منفردا معروفا بذكر الزبور للدلالة على ان فضله
وشرفه انما هو بالكتاب والمعارف لا بالملك والامارة ونكره لانه اراد
بعضه وهو المشتمل على تفضيل الرسول وامته اولانه من الاعلام المشتقة
كالحسن فيأتي باللام وبدونه وقرأ حمزة زبورا بضم الزاء قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه كالمسيح والملائكة وعزير فلا يملكون كشف الضر عنكم رفعه
وازالته ولا تحويلا عنكم الى غيركم فهم من ايصال النفع ابعد اولئك الذين
يدعون يسمونها آلهة يبتغون الى ربهم الوسيلة خبر اولئك والذين
يدعون صفته ايهم اقرب بدل من واو يبتغون واي موصولة حذف
صدر صلتها والمعنى اولئك المعبودون يطلب اقربهم منه الوسيلة بالطاعة
والخضوع اليه وقيل يبتغون فيه تضمين معنى يحرص اي اولئك المعبودون
يطلبون الى ربهم الوسيلة بالطاعة يحرصون على الاقربية ويبالغون فيها في
الابتغاء واقع على الوسيلة والحرص على الاقربية ويرجون رحمته ويخافون عذابه
كما هو شأن العبيد مع المولى فكيف يصح دعوى الالوهية فيها ان عذاب
ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كائنا من كان لشدة هوله ما [illegible]
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بهلكوا اهلها بالموت والاستيصال
او معذبوها عذابا شديدا بالقتل والسبي وعن مقاتل الصالحة بالموت والطالحة
بالعذاب وقيل المراد قرى الكفار كان ذلك في الكتاب مسطورا في اللوح
المحفوظ لا بد من وقوعه وما منعنا ان نرسل بالآيات مجاز عن ترك الارسال
وان مع مدخولها فاعل المنع جواب لقولهم لولا يأتينا بآية كما ارسل الاولون
الا ان كذب بها الاولون بالآيات المقترحة وقد جرت سنتنا باستيصال
من كذب بها وقد سبقت المشيئة بايمان بعضهم او ان نستأصل هذه الامة
وآتينا ثمود الناقة مبصرة مضيئة واضحة في كونها آية من ابصره او اضاء

لقوله والنهار مبصرا او جاعلة اياهم بصرآء من البصيرة جعلته ذا بصيرة افردها لكونه
قرينة من ديارهم يشاهدها صادرهم وواردهم فظلموا بها كفروا بها او ظلموا
انفسهم بعقرها الموجب لاهلاكهم وما نرسل بالايات الايات المقترحة فانها
طلايع الاستيصال ان كذب بها او الايات النازلة من القرآن بعضها اثر
بعض الا تخويفا من الاستيصال او من عذاب الاخرة والنار مزيده او في موقع
الحال واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس لقوله سيهزم الجمع وقوله قل
للذين كفروا ستغلبون بشارة بنصره وشفاء صدره والتعبير بالماضي كما في نظائره
لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك رآى في منامه مصرعه هلاك عدوه
روى مسلم وابو داود عن انس رضي الله عنه انه لما ورد ماء بدر فقال هذا مصرع فلان
وهذا مصرع فلان ويضع يده على الارض ههنا ههنا فما ماط احد عن موضع يده
فلما سمعت قريش ضحكوا منه سخرية فذلك قوله الا فتنة للناس وقيل هو
رؤيته عالم الملكوت ليلة الاسرى وبه تعلق من قال انها كانت في المنام وليس له
فيه دليل لعدم اختصاص الرؤيا بالمنام كيف وابن عباس رضي الله عنه من اعرف الناس
باللسان وقد حملها على رؤية العين وقيل انما عبر عنها بالرؤيا لوقوعها بالليل وقيل هي
رؤياه انه دخل مكة التي اخبر الله عنها بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام وكون السورة مكية لا يمنع وقوعها بها وحكايتها بالمدينة وكونها
فتنة انه لما صالح وقت ولم يدخل مكة ورجع اضطرب الناس لذلك حتى قال له عمر
الست اخبرتنا انا ندخلها ونطوف بالبيت فقال هل قلت لك هذا العام فقال لا
فقال انك ستدخلها وتطوف به وقيل رأى ان نحلة من بني امية ينزون
منبره نزو القردة والفتنة ما حدث في ايامهم اعظمها لعنهم علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
على المنابر والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا هي شجرة الزقوم لما سمعوا انها
شجرة تخرج في اصل الجحيم فقالوا وعجبا من محمد يقول ان جهنم تحرق الحجارة ثم يقول انه تنبت فيها
شجرة وهذا الاستبعاد انما كان لجهلهم بالله تعالى وبصفاته اذ ليس نبات الشجرة في النار بابعد
من وجود النار بين اجزاء الشجر الاخضر الغض وهم يعترفون بذلك يتعاطونه فيما بينهم
افرايتم النار التي تورون ولعنها في القرآن لاخبار ربانيها طعام الاثيم او مسند اللعن اليها
وهو لآكليها او لانها في اصل الجحيم وهو ابعد مكان من رحمة الله تعالى وقيل هي الشيطان وقيل
ابو جهل وقيل الحكم بن العاص ونخوفهم بانزال ايات الوعيد شيئا بعد شئ فما يزيدهم
الا طغيانا كبيرا الا تجاوزا عن الحد مفرطا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم استطرد
قصة ابليس مع آدم اشارة الى ان هؤلاء من اتباعه الذين لم يجد فيهم الايات
والنذر فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا انكر ان يكون ساجدا لمن هو
صنعته تحقيرا له وطينا نصب على الحال اما من الموصول والعامل فيه اسجد وهو ان لم يكن

حال السجدة طينا الا انه جعله نفس ما كان مبالغة في الاحتقار زاعما ان تلك
الذلة لم تزل او من الراجع المحذوف اليه والعامل خلقت اي خلقته وهو طين
او منصوب بنزع الخافض قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف للخطاب
لا محل له من الاعراب والمعنى اخبرني عن شان هذا الذي فضلته علي لم فعلت ذلك
والحال يقتضي عكس ذلك اذ انا خير منه حذف له لدلالة السابق عليه ثم ابتدأ
الكلام منتقما منه بقوله لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا
منهم لم ينفذ فيهم مكري الاحتناك قلع الشئ من اصله والمراد حملهم على الكفر الموجب
للخلود والعذاب الذي هو بمنزلة الاستيصال وقيل من حنكت الدابة اذا جعلت
حبلا في حنكها الاسفل تسخيرا لها وعلمه بذلك اما من قول الملائكة اتجعل
فيها من يفسد او لما عمل وسوسته في آدم او تفرس في خلقه وما ركب فيه من
القوى الشهوية والغضبية قال اذهب اجابه الى ما طلب من الانظار والتخلية
لما هو بصدده فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا تبين له ما جره
اليه سوء اختياره وغلب المخاطب على الغائب لانه الاصل في ذلك وقيل التفات
الى من تبعه ونصب جزاء على الحال الموطئة او المؤكدة او المصدر لما دل عليه ان جهنم
جزاؤكم والموفور الكامل دفع توهم خفة العذاب لاشتراك الجم الغفير فيه واستفزز
من استطعت منهم بصوتك استخف من الفز وهو الخفة والمراد خفة العقل
ونقصان الرأي واجلب عليهم بخيلك ورجلك من الجلبة وهي الصياح
والخيل الخيالة ايهم جمع وكذا الرجل كركب وصحب وقرأ حفص بكسر الجيم على
انه وصف كرجل يقال رجل راجل ورجل ورجلا اي ماش لا صوت ولا خيل
ولا رجل وانما الكلام على التمثيل من تمكنه من الاغواء وازاحة موانعه وتوفير
اسباب ما هو بصدده ويحتمل ان يكون له خيل ورجل من الشياطين وجنده
وفي الحديث ان ابليس ينصب عرشه على الماء ثم يفرق سراياه للفساد فاقربهم
عنده من فرق بين المرء وزوجته وشاركهم في الاموال كالبحيرة والسائبة
والوصيلة والخيانة وكل تصرف لا ساغ له شرعا والاولاد بتسميتهم
الاولاد بعبد العزى وعبد يغوث وعبد الحارث وتحصيل الولد بالسفاح و
وعدهم بان الاصنام تشفع لهم وبتسويف التوبة والاتكال على كرامة الاباء
وما يعدهم الشيطان الا غرورا شيئا يغتر به لا حقيقة له من الغرة وهي
الغفلة اعتراض لئلا يغتر بمواعيده ان عبادي ليس لك عليهم سلطان واحد
الخالص الذين قال ابليس الا عبادك منهم المخلصين دل على التخصيص اضافة
التشريف وكفى بربك وكيلا يتكلون عليه من وساوسه ودفع اغوائه
ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر عاد الى دلائل التوحيد واتاحة النعم على

غيراك كرين والازجاء السوق والمراد تسييرها بارسال الريح لتبتغوا من فضله
بالتجارة والربح وتحصيل ما يحتاجون اليه انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم
اسباب المعاش في البحر الذي هو مظنة الهلاك واذا مسكم الضر في البحر
خوف الغرق عند تلاطم الامواج ضل من تدعون لم يهتدوا الى انقاذكم من
الضلال ضد الرشاد او ذهب عن خاطركم من تعبدونه من ضل عني اذا ضاع
او من ضلني فلان اذا ذهب وفارقك قال الشاعر واتأمل المبتغى كرامها
تعلم اني يضلني علي الا اياه فانه لا يزول في ذلك الوقت عن خاطركم
ليعلمكم بانه القادر على الانجاء وقيل الاستثناء منقطع وذلك لانهم ما كانوا يدعون
الله الا في الشدائد واما في حالة السراء فكان دعاؤهم مختصا بآلهتهم وحده
فكانه خارج عن المدعوين لذلك الاختصاص فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن التوحيد
واختصاصه بالدعاء او اعرضتم في الكفران واتسعتم فيه من اعرض وكذا اتسع فيه وفي
حديث الاعرابي لئن اقصرت الخطبة فقد اعرضت في المسألة وقال ذو الرمة
عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا
كثير الكفران افامنتم تقرير وفيه معنى الانكار والفاء عاطفة على مقدر اي انجوتم من
الغرق فامنتم ان يخسف بكم جانب البر فيجعلكم تحت الارض مقلوبة عليكم
وهو عذاب من جنس الغرق فلا وجه لامنكم مع استواء القدرة على النوعين من
العذاب وانما ذكر الجانب للدلالة على ان الجوانب والجهات كلها مستوية بالنسبة
الى قدرته ولو ذكر البر في مقابلة البحر كما في قوله فلما نجاكم الى البر فاتت تلك المزية
وقرأ ابن كثير وابو عمرو نخسف بالنون وكذلك الافعال المذكورة بعده التفاتا
من الغيبة وهو ابلغ في التهديد او يرسل عليكم حاصبا ريحا من جانب الغرق
بالحصباء وهي الحصى الصغار فان القتل بها اشد عذابا كما ارسل بها ابابيل على اصحاب
الفيل ثم لا تجدوا لكم وكيلا يقوم بنصركم ومنه الوكيل في اسمائه تعالى ام امنتم ان
يعيدكم فيه تارة اخرى بان يخلق فيكم دواعي الركوب وتشجعكم على ذلك بعد نجاتكم
في المرة الاولى فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته وكسرته
فيغرقكم بما كفرتم اوعد بغرق البحر بعد ايعاده بنوعين من عذاب البر لكونهما قليل
الوقوع فليس للانذار بها ما للغرق من الهول لا سيما وقد نقضوا العهد الذي عاهدوه
ان كشف عنهم حين الاسراف عليه ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يطالبنا
لم فعلت ولقد كرمنا بني آدم حث للانسان على الشكر بعد ما قدم حفظه
وكلاءته له وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن ورزقناهم من
الطيبات من المستلذات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
بان سخرنا لهم ما في السموات والارض اسبابا لمعاشهم وخصصناهم ببديع

الشكل والصورة والحواس والقوى الدراكة بحيث صار نسخة العالم عن الاصمعي
دخلت يوما على الرشيد وبين يديه جام وخبيص وبيده ملعقة فقال لي يا اصمعي
فقلت يا امير المؤمنين حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن
طاوس عن عبد الله بن عباس جدك في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم بالاكل
بالايدي فرمى بالملعقة والضمير لبني آدم اي الصالح والطالح وليس في الآية دليل
على الافضلية بمعنى الاقربية عند الله تعالى على ما هو المتنازع فيه لا للبشر ولا للملك والذي
عليه الجمهور تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وتفضيل رسل الملائكة على عامة المؤمنين
وتفضيل عامة المؤمنين على عامة الملائكة وقيل بتفضيل عامة الملائكة على عامة المؤمنين
ومنهم من فضل مطلقا نبيا كان او وليا ومنهم من فضل الكروبيين مطلقا والحق
ما عليه الجمهور يوم ندعو كل اناس بامامهم منصوب باذكر او بدل من يوم يدعوكم
او ظرف لما دل عليه قوله تعالى لما بين كرامة النوع على الاطلاق في الدنيا اشار
الى التفاوت في الدرجات في الآخرة والامام هو الرسول المبعوث على الامة
نبيا دون بالاضافة اليه يا امة موسى يا امة محمد وقيل الامام الكتاب ينادي يا اهل
القرآن يا اهل التوراة وقيل هو المقتدى نبيا كان او غير نبي وقيل الامام الام ينادي
يا ابن فلانة اجلالا لعيسى عليه السلام والحسن والحسين وسترا على اولاد الزنا
فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم فرحا وسرورا بما فيه من الاعمال
والاعمال الصالحة ولا يظلمون فتيلا هو ما يكون في شق نواة التمرة يضرب
به المثل في القلة ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى عن طريق الرشاد
والاستدلال بالاكوان على المكون فهو في الآخرة اعمى لا يهتدي به الى حجة واضل
سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفوات المهل وان كادوا ليفتنونك
عن الذي اوحينا اليك قيل نزلت في ثقيف قالوا يا محمد نحن اصهارك
وجوارك اعطنا خصلا لا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في
الصلوة وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا يكون موضوعا عنا وان
تترك اللات لنا سنة وان تمنع واد وبادي الطائف كما حرمت مكة
وقيل سأله قريش الكف عن سب آلهتهم وقيل سألوه ان يمسح وجوهها
ليتمكنوه من استلام الحجر وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى انهم
قاربوا ايقاعك من الفتنة والاشراك بتجاوزك عن احكام ما انزل
اليك لتفتري علينا غيره غير الذي اوحي اليك واذا لاتخذوك
خليلا صديقا واخلاصا خليلك في خلال قلوبهم ولولا ان ثبتناك بالعصمة
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا تقاربت ان تميل الى طلبهم ادنى ميل
لشدة كيدهم وغاية احتيالهم بايمانهم اذا لاذقناك ضعف الحيوة

وضعف الممات اي العذاب المضاعف في الحيوة الدنيا في الاخرة حذف
الموصوف لتبادر الفهم اليه والاضافة بمعنى في وقيل ضعف الحيوة حيوة
الاخرة وضعف الممات عذاب القبر وما بعده وفي الكلام دلالة على جلالة
قدره صلى الله عليه وسلم فان الركون هو الميل اليسير وقد قيد بادنى ركنة
مقرونا بلفظ كاد الدال على القرب دون الوقوع فهو منزه عن الهم
بما دعوه اليه فمن قال انه طلب الكاتب وامره ان يكتب بسم الله الرحمن
الرحيم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف
لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله فقالوا
للكاتب اكتب فنظر الكاتب الى رسول الله عليه السلام فقام عمر فسل سيفه
وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم فقد اخطأ في اللغة
واسند الى افضل الرسل ما لا يجوز اسناده على مسلم وهو التصميم على الشروع في تغيير
احكام الله تعالى بل الرضا بالشرك هدانا الله سواء السبيل واعاذنا من زخرف
الاقاويل ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك وان كادوا ليستفزونك
هم اهل مكة ارادوا اخراجه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك يوثرون الضمير فيفتنونك لهم دون ثقيف من الارض ليخرجوك
منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا الا زمانا يسيرا وقد كان كذلك
فان صناديدهم بعد سنتين من خروجه قتلوا ببدر وقيل الوعيد كان على الاخراج
ولم يخرجوه بل خرج بامر ربه وما قيل من ان الارض ارض المدينة فان اليهود زينوا له
سكنى الشام فانها موطن الانبياء ومهاجر ابيه ابراهيم عليه السلام فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اميال فنزلت الاية فرجع الى المدينة فليس له اصل ولا نقله احد
يوثق به وكيف يغتر بقول اليهود وهو بين اظهر المهاجرين والانصار وقرا حمزة
والكسائي وابن كثير وابن عامر خلافك وهما لغتان قال عفت الديار خلافهم
فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا
نصب على المصدر وهي ان كل قوم اخرجوا رسولهم ان يهلكهم بعذاب عاجل ولا تجد
لسنتنا تحويلا تغييرا دل على ان اضافة السنة الى الرسل مجاز لوقوعها لهم
اقم الصلوة لدلوك الشمس قرر التوحيد والالهيات ثم اتبعها بذكر الفروع
وبدا بالصلوة التي هي اعظم الاركان بعد التصديق والدلوك الميل والمراد به زوال
الشمس عن كبد السماء وهو وقت الظهر واللام فيه للتوقيت كما في قولك
قدمت لثلث خلون من شهر كذا وهي اول صلوة صلاها رسول الله عليه السلام
خلف جبريل حين امه لاوقات الخمس الى غسق الليل الى وقت ظلامه يقال
غسق واغسق اظلم وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت قرانا لكون القراءة ركنا

فيها كما سميت بالسجود والتسبيح والاختصاص بكون القراءة فيها اطول ان قران
الفجر كان مشهودا تشهده الملائكة وتجتمع عندها ملائكة الليل والنهار
او تشهده الكثير من الناس لعدم الاشتغال وكلما كثر الجمع ازدادت
الفضيلة والاية جامعة للصلوات الخمس وحمل الدلوك على الغروب بعيد لوجوب
الغاء ذكر الظهر والعصر ومن الليل فتهجد به وعليك بعض الليل فاغراء او هو من
قبيل ما باي فارهبون والتهجد ترك الهجود وهو النوم ويقال تهجد اذا نام فهو من
الاضداد وضمير به عائد الى القران نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات الخمس
لك خاصة دون امتك وقيل كان واجبا عليه وعلى امته ثم نسخ باخر المزمل
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو مقام الشفاعة العظمى لاراحة الموقف
وتمييز الفريقين يرغب اليه الاولون والاخرون ويحمدونه على ذلك نطقت به الاخبار
وعن جابر بن عبد الله اذ قال صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع الاذان اللهم رب
هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه
مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي وانتصاب مقاما على الظرفية بتقدير
اي يقيمك في مقام او على تضمين البعث الاقامة لاستدعائه فلا يكون فيه معنى
الاستقرار فلا يصح ان يكون الفعل المذكور عاملا فيه وقل رب ادخلني مدخل صدق
اي في القبر ادخالا مرضيا من قبيل رجل صدق واخرجني مخرج صدق منه عند البعث
بالاكرام وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليه واخراجه منها آمنا وقيل ادخاله الغار آمنا
واخراجه منها سالما والحق التعميم في كل ما يلابسه من امر الدنيا والاخرة والصدق
يستعمل في الافعال كما يستعمل في الاقوال ويراد به الاخلاص يقال فعل ذلك
الامر بنية صادقة ومنه قوله ان لهم قدم صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة مؤيدة لعنايتك تنصرني بها على من عاداني وقيل ملكا وعزا قويا
ناصرا للاسلام على الكفر فاجابه الله تعالى بقوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن
انا ورسلي وقل جاء الحق وزهق الباطل جاء دين الاسلام وزال ما سواه من
الاباطيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل رسول الله عليه السلام مكة يوم الفتح
وحول البيت ثلثمائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود ويقول جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا كلام مستقل دال على حكم كلي جار مجرى المثل
فان كل باطل وان كان له جولة وصولة يضمحل سريعا وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين من للبيان قدمت على المبين اهتماما او للتبعيض لا بمعنى انه
بعضه شفاء دون بعض بل المعنى ننزل العاضة الشافية على حسب تجدد
الداء شيئا فشيئا وانما كان شفاء لانه يزيل عمى الجهل عن القلب وينجيه عن
حيرة الشك ويستشفى ببركاته الامراض ولا يزيد الظالمين الا خسارا

لازدياد الكفر بزيادة المكفور به كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم ٭ واذا انعمنا على
الانسان ٭ بالامن والعافية وسعة الرزق وتوفير الاسباب ٭ اعرض ٭ عن
ذكر الله والقيام بالشكر ٭ ونأى بجانبه ٭ وترفع بنفسه ولفظ الجانب مقحم للدلالة
على بعده عن الشكر وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان ناء بتقديم الالف
على القلب او بمعناه نهض كما في بيت امرئ القيس اردف اعجازا وناء بكلكل
والمختار قراءة الجمهور لكونها نصا في المراد وهو البعد ٭ واذا مسه الشر كان
يؤسا ٭ شديد اليأس ٭ قل كل يعمل على شاكلته ٭ على طريقته التي جبل عليها من
شاكلت الدابة اذا قيدتها واليه اشار بقوله كل ميسر لما خلق له ٭ فربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا ٭ لانه الذي خلقكم على تلك الشاكلة وجبلكم عليها واهدى
من هدى لازما بمعنى اهتدى ويجوز ان يكون من المتعدي ٭ ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امر ربي ٭ سالوه عن الروح الذي به حيوة الحيوان
فان العقل لا يهتدي الى حقيقته روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنهما
انه قال بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي في خرب المدينة وهو
متكئ على عسيب فمر على اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح وقال بعضهم
دعوه لا يستقبلكم بشيء يكرهونه فقالوا سلوه فسالوه فامسك رسول الله
فلم يرد عليهم فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امري والمعنى انه تعالى مستأثر بعلمه لا طريق لاحد
الى معرفته ولذلك اردفه بقوله ٭ وما اوتيتم من العلم الا قليلا ٭ والروح
من الكثير الذي ما اوتيتم علمه وقيل معناه انه محدث بامر الله تعالى وتكوينه
وفيه ان هذا معلوم لكل من السائل والمسئول عنه وقيل اشار الى ان الروح
لا يمكن ادراكه الا بعوارض تميزه ولذلك اقتصر عليه كما اقتصر موسى عليه السلام
في جوابه وما رب العالمين على ذكر صفاته وهو قياس للتمكن على المستحيل وما
الدليل على عدم امكان معرفة حقيقته وقيل الروح هو جبريل والقران او ملك
آخر فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما تقدم قلت ان اريد بالروح القران
او جبريل فظاهر لقوله وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة وان اريد به ما
به الحياة وهو المختار فهو كلام معترض لبيان خارجهم فان القران انما كان
شفاء لاشتماله على الاحكام الدينية اصولا وفروعا وهم لا يتدبرون فيه
لاقتناصها والسؤال عن ازالة ما فيها من الاشتباه ويشتغلون بما لا ضرورة
تدعوهم اليه لما نزل قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا اعترضت
اليهود وقالوا ما اعجب شان محمد تارة يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا
وتارة يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وهذا من قلة علمهم لان

ما اوتي

ما اوتي البشر من الحكمة قليل بالنسبة الى علم الله تعالى وان كان في نفسه كثيرا على
ان الموصوف بالقلة والكثرة في الآيتين ليس شيئا واحدا لان القليل هو
العلم والكثير هو الخير المرتب على ذلك العلم القليل نظيره ليلة القدر خير من
الف شهر وما قيل لما قالت اليهود تلك المقالة نزلت ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام فليس بسديد لان سورة لقمان مكية وسورة البقرة
مدنية من اخر القران نزولا ٭ ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
قد امتنانا وحثا له على استدامة الشكر بعد ما بين انه شفاء ورحمة
ومعنى اذهابه به محوه عن الصدور والمصاحف وعن ابن مسعود رضي الله عنه
يسرى على القران فيصبح الناس منه فقراء برفع المصاحف وتنزع ما
في الصدور واللام موطئة للقسم المحذوف لنذهبن جوابه نائب
مناب جواب الشرط ٭ ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ٭ تكفلا يتعين رده
عليك ويتوكل علينا بالمطالبة ٭ الا رحمة من ربك ٭ استثناء متصل اي
الا رحمته فانها تقدر على الرد بعد الاذهاب والتوكل بالمطالبة او منقطع
والمعنى لكن رحمتنا ادركتك فتركته غير مذهوب به ٭ ان فضله كان
عليك كبيرا ٭ حيث انزل عليك القران الذي فيه تبيان كل شيء
بعد ما لم تكن تدري ما الكتاب ولا الايمان وقد وصف فضله عليه تارة بالكبر
واخرى بالعظم ملاحظة للكم والكيف دلالة على كمال عنايته به من كل وجه
٭ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران ٭ في الفصاحة و
البلاغة وحسن النظم استئناف لبيان ذلك الفضل الكبير ٭ لا ياتون
بمثله ٭ لكونه خارجا عن طوقهم جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة
لجاز ان يكون جواب الشرط لكونه ماضيا كقوله ٭ وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم ٭ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ٭ معاونا ولم يذكر
الملائكة لكونه مبعوثا الى الانس والجن فهم المخاطبون بالتحدي لان اتيان الملائكة
بمثله لا يخرجه من كونه معجزة لان المعجزة فعل من افعاله تعالى دالة على صدق
مدعي الرسالة فلو احتمل اتيان غيره بمثله لم تبق تلك الدلالة قطعية ٭ ولقد
صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل ٭ كررنا باساليب لكل نوع من انواع
الحكم التي هي في الحسن والغرابة كالامثال من مباحث المبدأ والمعاد ووقائع
الانبياء مع الامم ٭ فابى اكثر الناس الا كفورا ٭ بهذه الحكم التي هي اجل النعم صح
الاستثناء وان لم يصح ضربت الا زيدا لانه في معنى النفي ٭ وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ٭ لعدم الاعتداد بما في القران من الاعجاز الظاهر
والمعنى الباهر وقصر النظر على المعجز الفاني من الآيات والاراضي والثمار كـ

البهائم فانه نضر بن الحارث او ابو جهل والينبوع يفعول من نبع الماء كيعبوب
من عب الماء اذا زخر والبناء للمبالغة اي عينا كثيرة الماء وقرا الكوفيون تفجر
مخففا واصل الفجر الشق والتخفيف هو المختار لافراد ينبوعا ولهذا اتفقوا على
تشديد الثاني لوقوعه على الانهار ولان المعجزة تقتضي وجود الفعل لا كثرته. او
يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا. اي بستانا تشتمل على
هذه الاشياء. او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا. قطعا من كسفت
الثوب قطعته يريدون قوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم
كسفا من السماء وقرا نافع وابن عامر وعاصم ههنا بفتح السين والباقون
بالاسكان فعلى الاول جمع وعلى الثاني اسم جمع. او تاتي بالله والملائكة
قبيلا. كفيلا ضامنا بالصحة ما تدعيه او مقابلا حال من الله تعالى وحال الملائكة
حذف للعلم به كما حذف الخبر في قوله. فاني وقيار بها لغريب. او حال من
الملائكة والقبيل بمعنى الجماعة من الثلثة فما فوقها. او يكون لك بيت من زخرف
من ذهب هذا اصله ويطلق على الزينة والتمويه. او ترقى في السماء ولن نؤمن
لرقيك. وحده لاحتمال ان يكون سحرا. حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فيه
تصديقك. قل سبحان ربي. تعجبا من عنادهم وتعنتهم او تنزيها له تعالى
عن ان يشاركه احد في القدرة. هل كنت الا بشرا رسولا. كسائر الرسل
وشان الرسل الاتيان بالمعجزة الدالة على صدق دعواهم مناسبة لحال
المرسل اليهم وليس ينسب بحالكم من القران معجزة وقد اجاب مفصلا في سائر
الرسل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا
انما سكرت ابصارنا. وما منع الناس ان يؤمنوا. يريد الكفار. اذ جاءهم
الهدى اي الوحي او الرسول الا ان قالوا. فاعل منع. ابعث الله بشرا
رسولا. انكار منهم ان يكون الرسول من الله بشرا. قل جوابا من شبهتهم
لو كان في الارض ملائكة يمشون. كما يمشي الناس لا انهم يطيرون الى السماء
ويأخذون العلم هناك. مطمئنين. مستوطنين احتراز من الملائكة المرسلين
لامر الله والسياحين لسماع الذكر. لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا. من
جنسهم ليسهل لاخذ منه ولذلك كان جبريل يتمثل رجلا في اكثر الاحيان
وبشرا وملكا يجوز ان يكونا موصوفين برسولا والاحسن جعلهما حالين
لان مصب الغرض انكار كون الرسول بشرا و[illegible] وكونه ملكا والتقديم
اوفق واعون. قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم. على اني بلغت ما ارسلت به
وذلك الجهد. انه كان بعباده خبيرا بصيرا. عالما بسرائرهم وظواهرهم

ومن

ومن يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه. يقدرون
على هدايتهم. ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم. لانها اشرف الاعضاء اهانة
لهم ولانهم لم يعفروها بالسجدة لربهم تواضعا قيل يا رسول الله كيف يمشي الا
الانسان على وجهه فقال الذي امشاه على رجليه قادر على ان يمشيه
على وجهه. عميا وبكما وصما. الكلام على التشبيه اي لا يرون شيئا تقر به اعينهم
ولا يسمعون ما يستلذ اسماعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم او على الحقيقة بان
يحشروا كذلك بعد الحساب الى النار لانهم يتكلمون ويرون ويسمعون
قال تعالى يتخافتون بينهم اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
فسوف يعلمون حين يرون العذاب. ماويهم جهنم كلما خبت. سكنت
زدناهم سعيرا. توقدا يقال سعرت النار اذا هيجتها وزدتها لهبا و
الظاهر زدناها سعيرا وانما اوقع الفعل عليهم. ذلك جزاؤهم بانهم كفروا
باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا. يشير
الى الحكمة في افنائهم بالنار واعادتهم على الدوام لانكارهم الاعادة بعد الفناء
فجازاهم الله بالذي كانوا يكذبون به. اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم. الاستفهام للانكار دخل على النفي فيفيد
الاثبات اي قد علموا يقينا ان من قدر على خلق السموات والارض قادر
على اعادتهم لفظ المثل اشارة الى ان الاعادة مثل البدأ كما بدأكم تعودون
وجعل لهم اجلا لا ريب فيه. عطف على اولم يروا لان العطف على الصلة
ممتنعة للفصل بالخبر وعلى ما بعد ان المصدرية لا يحسن معنى والاجل يوم القيمة
بدليل قولهم ائذا كنا عظاما وقيل هو الموت والمعنى انهم قائلون بالموت
لا محالة ولم يخلقوا عبثا فلابد من الجزاء وذا لا يمكن الا بالاعادة فيتعين
الانكار. فابى الظالمون الا كفورا. جحودا اتى بالمظهر دلالة على انهم ظالمون
في الانكار بعد وضوح الحق. قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم
خشية الانفاق. انتم فاعل فعل محذوف يفسره تملكون لان لو الشرطية
لا تدخل الا على الفعل والمعنى ان هؤلاء الذين طلبوا منك ان تفجر لهم من الارض
ينبوعا ارادوا به توسعة الرزق عليهم فهم من الشح بحيث لو ملكوا خزائن
رزق الله التي لا تمسها يد الفناء لبخلوا بها من خوف الفقر مع علمهم بعدم
نفادها. قال الشاعر. ولو ان دارا انبتت لك ارضها. ابرا يضيق بها
فناء المنزل. واتاك يوسف يستعيرك ابرة. ليخيط قد قميصه لم تفعل.
قيل لما برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر افاد الاختصاص وان الناس
هم المختصون بالشح المتبالغ قلت وهذا اذا اقتضاه المقام اذ لا معنى

للاختصاص في قوله وإن أحد من المشركين استجارك. وكان الإنسان قتورًا شديد البخل من قتر على عياله إذا ضيق عليهم النفقة فالكانز واصفا بسرج فائز وكجامه. ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات. متصل بقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا إشارة إلى أن موسى عليه السلام قد أتى بأعظم مما شئتم ولم يؤمن به فرعون وقومه كما قال وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون والآيات التسع هي العصا واليد البيضاء والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل فإن قلت نتق الجبل وانفجار الماء من الحجر ليس من الآيات المذهوب بها إلى فرعون قلت المراد بيان ما أوتي موسى من المعجزات لا ما تحدى به فرعون ألا ترى أن فلق البحر لم يكن في معرض التحدي بل بعدما حق عليه القول ويدل على ذلك قوله بعد هذا ما أنزل هؤلاء لكون الإشارة إلى بعضها بالضرورة لأن الكل لم يكن موجودًا إلا على التدريج والتعاقب وما روى صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الآيات التسع التي أوتي موسى عليه السلام فقال هي الإشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والزنا والسحر والسرقة وأكل الربوا والمشي ببري إلى ذي سلطان ليقتله وقذف المحصنات والفرار من الزحف وعلى اليهود خاصة السبت فلا يناسب تفسير الآية بها لنبو المقام عنها. فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم أي قلنا لموسى سل بني إسرائيل من فرعون وقت مجيئه لقوله أنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل وقيل الخطاب لرسول الله عليه السلام وقوله فقال له فرعون اعتراض من باب زيد فاعلم فقيه والمعنى سل يا محمد عما جرى بينه وبين فرعون أهل الكتاب وإنما لأن تظاهر الأدلة يقوي اليقين وإما للدلالة على أنه أمر محقق عندهم وليس المقصد منه السؤال حقيقة بل كونهم من أهل علمه بحيث تؤمر بالسؤال منهم أو متعلق باذكر على الاستئناف أو يخبروك على جواب الأمر ولا يجوز تعلقه بآتينا لأنه لم يؤت التسع وقت مجيئه وضميرهم لآبائهم. فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورًا. تخبط عقلك حيث تتكلم بما لا يعقل والظن إما بمعنى العلم بقرينة أنه بصدد تكذيبه وعلى طريقة كلام الملوك في أن ظنهم لا يكذب كما أن لعل وعسى عندهم لازم الوقوع. قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء. أي الآيات التي أراكها إياه وقرأ الكسائي وأبو بكر بضم التاء على الإخبار عن نفسه تكذيبا لظن فرعون والأحسن الخطاب لأن علم الخصم بصحة الدعوى أبلغ في الإلزام مثله وقد تعلمون أني رسول الله إليكم. إلا رب السموات والأرض بصائر. بينات تبصرك الحق وصدقي نصب على الحال وإني لأظنك يا فرعون مثبورًا. ذا ثبور أي هالكا أو مصروفا عن الحق من ثبره جبه

وفي حديث أبي موسى أتدري ما ثبر الناس عن طاعة الله تعالى وشتان بين الظنين فإن ظن موسى مستند إلى أمارة كادت تلحق باليقين وظن فرعون كذب محض وتسميته للزنجي بكافور. فأراد أن يستفزهم من الأرض. أراد إزعاج موسى عليه السلام وبني إسرائيل من أرض مصر. فأغرقناه ومن معه جميعًا. أراد شيئا وأردنا غيره فكان ما أردناه فأغرقناه في الماء الذي كان يفتخر به إذ لما كان عاليًا لقصد الصعود إلى السماء جعلناه سافلا تحت الماء. وقلنا من بعده. بعد غرقه. لبني إسرائيل اسكنوا الأرض. التي كان فرعون يريد إخراجكم منها. فإذا جاء وعد الآخرة. وعد الدار الآخرة. جئنا بكم لفيفًا. من ههنا وههنا اللفيف الجماعات من قبائل شتى وأصل اللف الخلط ومنه حديث أم زرع وإذا أكل لف أي خلط من أنواع المأكل. وبالحق أنزلناه وبالحق نزل. أي ما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله وبالحق نزل متلبسا بالحق والحكمة نزل وإنزاله بالحق وإن كان مستلزما لنزوله به إلا أنه ذكره دفعا لتوهم تطرق التبديل إليه بعد الإنزال وقبل الوصول إليه. وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا. إلا مستمعا بهاتين الصفتين فلا عليك بعدهما. وقرآنا. آتيناك دل عليه ولقد آتينا موسى تسع آيات. فرقناه. بيناه وشرحناه في محل النصب على الوصف ويجوز أن يكون مفسرا للناصب قرآنا أي فرقنا قرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث. متمهلا ذا تؤدة وتثبت. ونزلناه تنزيلا. بحسب الحوادث شيئا فشيئا. قل آمنوا به أو لا تؤمنوا. ليس معناه الأمر والنهي مقابل الإعراض عنهم والازدراء بينهم وعدم المبالاة. إن الذين أوتوا العلم من قبله. من قبل القرآن وهم علماء أهل الكتاب تعليل لآمنوا أو لا تؤمنوا كأنه قال لهم إن لم تؤمنوا فإن من هو خير منكم آمن به وهم علماء أهل الكتاب فإن قلت السورة مكية ولم يكن بمكة من آمن بالقرآن من أهل الكتاب وإنما آمن به عبد الله بن سلام وأضرابه بالمدينة بعد الهجرة قلت هو إخبار بما سيقع بدليل قوله. إذا يتلى عليهم. أو أراد من تنصر من مشركي العرب كورقة بن نوفل. يخرون للأذقان سجدا. يسقطون على وجوههم ساجدين شكرًا لله على بعثة الموعود المنعوت في كتبهم. ويقولون. فالمراد الواو من الحكاية لا للمحكي. سبحان ربنا. عن خلف الوعد. إن كان وعد ربنا لمفعولا. أي الشأن كل وعد منه واقع لا محالة. ويخرون للأذقان يبكون. باكين إعادة لاختلاف الحال والسبب فإن الأول للشكر وقت الإنجاز والثاني لما أثر فيهم مواعظ القرآن حال البكاء فإن قلت التسجيد إنما يكون بالجبهة والأنف فما وجه ذكر الذقن دونهما قلت أراد وصفهم بتمكين الجبهة والتحامل عليها

خشوعا حتى انه يلصق الذقن بالارض ايضا او اراد انهم يسقطون على الذقن
مغشيا عليهم سرورا وخشية وتعفير الذقن كناية عن غاية الخشوع وما قيل
لان اول ما يلقى الارض من الساجد ذقنه خلاف للواقع وايثار اللام والظاهر
حرف الاستعلاء للدلالة على شدة الاتصال والالصاق ويزيدهم خشوعا
سماع القران خشوعا لله لزيادة ايمانهم المقتضي لذلك قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
نزلت لما قرا على المشركين اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لا نعرف الا رحمان
اليمامة وقيل لما سمع ابو جهل رسول الله يقول يا الله ويا رحمن وقال ان محمدا ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر والدعا بمعنى التسمية اذ لو كان بمعنى النداء يلزم
الاشراك ان تغاير مدلول الاسمين وعطف الشيء على نفسه ان اتحدا والمفعول
الاول محذوف اي سموه بهذا او بذاك وقيل لما قالت اليهود لرسول الله عليه السلام
ان الله قد اكثر في التورية ذكر الرحمن ونزلت تكثر منه والغرض التسوية بين
الاسمين في الحسن والافضاء الى المقصود اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى
اي اي الاسمين ذكرته فهو من احسن الاسماء عدل عنه الى المنزل سلوكا
لطريق البرهان لان اسمائه تعالى اذ حسنت كلها اندرج فيها هذان الاسمان
ضرورة واو للتخيير والتنوين عوض عن المضاف اليه وما تؤكد ابهام اي
وضميره للمسمى وحسن اسمائه تعالى لدلالتها على الجلال والاكرام ولا تجهر
بصلوتك بقراءتك في الصلوة لان الجهر لا يوصف به ستارا كانها
عن ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مختف بمكة
اذا قرا في الصلوة رفع صوته فسمع المشركون سبوا القران ومن انزله ومن
جاء به فقال الله تعالى لا تجهر بقراءتك بحيث يسمع المشركون ولا تخافت بها
بحيث لا يسمع من خلفك واصل الخفت الضعف وفي الحديث نوم المؤمن
سبات وصوته خفات وابتغ بين ذلك سبيلا قراءة بين القراءتين
دون الجهر وفوق المخافتة روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها انها نزلت
في الدعاء روى ابن جرير عن ابن سيرين مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر
وهو يقرا خفيا ومر على عمر وهو يقرا على الجهر وكان جوهر الصوت فقال لابي بكر
لم تقرا هكذا فقال لقد اسمعت من اناجي وقال لعمر لم تقرا جهارا قال اوقظ
الوسنان واطرد الشيطان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض
قليلا وقيل وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا وجهارا بالليل
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم
يكن له ولي من الذل ناصر يمنعه من الذل اولم يوال احدا ليدفع به الذلة عن
نفسه وانما محبته لمن احب محض لطف وعناية فانه الغني المطلق والتماني

الحمد

الحمد على نفي الاوصاف الثلثة لكونه كناية عن الوصف بكمال الجود لان الولد
منجلة والشريك مانع من التصرف والاحتياج الى من يعتزبه وينذب
عنه مع كونه منافيا للالوهية باعث على الامساك والادخار كما هو شان
الملوك مع الجنود والاعوان ولان المانع من العطاء اما من دونه وهو الولد
ومثله وهو الشريك او فوقه وهو الولي فنفي الكل على طريقة الترقي فانحصر
الجود فيه تعالى كبرياؤه وعظمت نعماؤه فلذلك قال وكبره تكبيرا عن كل
نقيصة فوافق الخاتمة الفاتحة تعديدا وتنزيها وصلى الله على مبلغ كلامه
ومبين احكامه تعالى

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب لما كان
القران مشتملا على الارشاد الى اقامة الدين بمعنى التوجه الكلي الى جناب
قدسه او الاذعان القلبي والاعتراف باللسان وكلا المعنيين من جلائل نعمائه
رتب انحصار الحمد على انزاله ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج واصله الميل قال
ابن السكيت ما كان ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح وما كان
في الارض او في دين او معاش يقال فيه عوج بكسر العين والمراد نفي الاختلال
من جهة اللفظ والمعنى قيما مستقيما لا زيغ فيه عن الحق الى الباطل او قائما بامور
الدين كافلا به من قام بالامر ومنه قيم اليتيم وهو الوجه لقوله تبيانا لكل شيء ولان
الاستقامة علمت سابقا منصوب بفعل مضمر اي جعله قيما او حال على ان ولم
يجعل ايضا حال اخر كانه قال منتفيا عنه العوج مستقيما ويجوز ان يكون ولم
يجعل له عوجا عطفا تفسيريا من تمام الصلة كقوله وصد عن سبيل الله وكفر به
والمسجد الحرام على الاوجه هناك لان المراد منه الكتاب الكامل فيكون حالا
من الكتاب لعدم الفاصل بالاجنبي ومن حمله على التقدم والتاخر فقد عدل
عن الظاهر من غير نكتة لينذر باسا شديدا اي الذين كفروا عذابا شديدا
حذف المفعول الاول لان الغرض هو انذار الباس لا تعميم المؤمن والكافر
بدليل اعادة الانذار بعد التبشير مذكورا معه المنذر من لدنه من عنده
في محل النصب حال او صفة تهويل العذاب وقرا ابو بكر بسكون الدال
مع الاشمام وكسر النون لان لدن كعضد يجوز في مثله اسكان الوسط تخفيفا
واشير بالاشمام الى ان اصله الضم وكسر النون لالتقاء الساكنين والمختار
هو الضم لانه الاصل والشايع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا حسنا هي الجنة عبر عنها بالاجر اعتدادا بالاعمال كرما منه ماكثين فيه ابدا
من غير انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر واعاد الانذار
اشارة الى عظم كفرهم وانما لم يذكر المنذر به اكتفاء بما تقدم ما لهم به من علم بالولد

او باتخاذه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فيه لان الاد نفي العلم بنفي المعلوم لكونه
مستحيلا لا يصح تعلق العلم به لا لانه ممكن والجهل في الطريق كبرت كلمة عظمت
تلك المقالة نصب على التمييز تخرج من افواههم صفة لها منبئ التعجب كانه قيل
ما اكبرها كلمة لانها يكون فيه شبه يتعاظم الانسان ان يتفوه به اذا وسوس
اليه الشيطان فكيف يتبعه من ليس يشبه شئ بالحيوانات في التوالد المحتاج
الى الازدواج وفي تخرج من افواههم اشارة الى انها مجرد صوت وحروف
ان يقولوا الا كذبا تصريح بما علم ضمنا واشارة الى ان عدم العلم لا يخرج الكلام
والتكلم عن الكذب اذا كان غير مطابق للواقع فلعلك باخع نفسك قاتلها
من النخاع وهو عرق في صلب الحيوان متصل بعنقه فاذا وصل الذبح اليه كان غاية
على آثارهم شبه توليهم عن الايمان بارتحال احبة الانسان عن منازلهم فهو
يتلهف عليهم ويقتل نفسه وجدا ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن
اسفا مصدر في موضع الحال من فاعل باخع او مفعول له وهو شدة الحزن انا جعلنا
ما على الارض زينة لها ما عليها من زخارفها ازالة لما كان يتعاظمه من بسط الدنيا
عليهم مع ذلك الكفر المتبالغ كما تعاظم موسى عليه السلام في قوله ربنا انك
آتيت فرعون وملأه زينة واموالا لنبلوهم ايهم احسن عملا نعاملهم معاملة
المختبر بتمييز الزاهد فيها من المغتر بها لا ايثارا لهم ثم زهد فيها بقوله وانا
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا نجعله كالارض البيضاء سمى قبيحا باماتة
الحيوان وتجفيف النبات فيتبدل الزين شينا او نجعله حطاما والصعيد اسم
للارض والجرز الارض التي لا نبات بها وقيل ما كان فيها نبات ثم قطع فلا يقال
للسباخ جرز ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا
ذكر ما يشتمل على امهات العجائب في صدر السورة من تزيين الارض بما خلق
فوقها من الانواع والاجناس الفائتة للحصر ثم اعدامها كان لم تغن بالامس
تمهيدا لذكر قصة اصحاب الكهف التي كانت من اعاجيب الدهر عندهم ولم
للاضراب الدال على ان ذلك اعظم من ابقاء اشخاص احياء مدة متطاولة
فان قلت الاضراب انما يحسن اذا كان الثاني اغرب واعجب وما ذكرته
على عكس ذلك قلت تعجبهم من هذا دون ذلك هو المنكر الاغرب فالاضراب
ناش على ذلك التشنيع والخطاب له والمقصود انكار المتعجب اذ هو صلى الله
عليه وسلم يعلم من قدرته ما لا يتعاظمه والرقيم قيل لوح على باب الكهف مكتوب عليه
اسماؤهم وقيل الوادي الذي فيه الكهف وقيل اسم قريتهم وقيل اسم مكانهم
وهو مكان بقرب فلسطين وقيل اسم كلبهم قال امية بن الصلت وليس
بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل اصحاب الرقيم

خبر اصحاب الكهف وعجبا وصف بالمصدر اي كانوا آية عجبا من آياتنا او ذات
عجب وسبب النزول ان قريشا ارسلوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي
معيط الى يهود المدينة يتعرفون منهم نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو ذاك
المنعوت في التورية ام لا فقالت اليهود سلوه عن ثلثة اشياء عن رجل
ملك مشارق الارض ومغاربها وسلوه عن الروح وسلوه عن طائفة فارقوا
قومهم وفروا بدينهم ووصفوا لهم اصحاب الكهف وقالوا ان اخبركم عن الاثنين
وسكت عن الروح فهو نبي اذ اوى الفتية الى الكهف شبان من
اشراف الروم وكان ملكهم دقيانوس ارادهم على الكفر فهربوا منه فقالوا
ربنا آتنا من لدنك رحمة من خزائن رحمتك بلا واسطة شاملة للامن
والرزق والمغفرة وهيئ لنا من امرنا شاننا الذي نحن بصدده رشدا
اصابة الطريق المؤدي اليه واجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل
التهيئة احداث هيئة الشئ فضربنا على آذانهم اي انمناهم انامة ثقيلة
لا تنبههم الاصوات كما ترى من القي عليه نومة ثقيلة يصاح به فلا يسمع
ضرب الحجاب كناية عن سد طريق الصوت واستحكامه فالمفعول الاول
محذوف كما في بنى على امراته اي القبة في الكهف سنين عددا معدودة
اي كثيرة فان القليل يعرف بدون العد او قليلة فان الكثير عنده امة قليل ان يوما
عند ربك كالف سنة او بالنظر الى مدة اقامتهم احياء الى آخر الدهر ثم
بعثناهم ايقظناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي ليتعلق علمنا
تعلقا حاليا كما كان متعلقا به تعلقا استقباليا او مجاز عن لازمه وهو التمييز
واي لتضمنه معنى الاستفهام علق عنه العلم فهو مبتدا واحصى فعل ماض خبره وما
في لما لبثوا مصدرية وامدا مفعول احصى والمعنى ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم
فانهم لما استيقظوا اختلفوا في ذلك وقيل اختلاف الحزبين من غيرهم وقيل
احصى افعل التفضيل وان كان قياسه من المزيد عند سيبويه الا انه لا يعمل نصب
وتقدير فعله ناصبا تطويل بلا طائل ونصب امدا بلبثوا لا يسد عليه المعنى لان
الاحصاء والضبط انما هو لمدة اللبث لا للبث في الامد ان قالهم في وقت
الانتباه انما كان عن العارف ابن الاعرف لقولهم ربكم اعلم بما لبثتم نحن نقص
عليك نبأهم بالحق حدثهم ملتبسا بما هو ثابت في الواقع ايماء الى ان ما ينقله اهل
الكتاب من قصتهم لم يسلم عن اختلال زيادة او نقصان انهم فتية آمنوا بربهم
قيل كانوا اشرافا متقاربين الاسنان من قبيلة واحدة وزدناهم هدى على الفطرة
التي يولد عليها كل مولود وربطنا على قلوبهم اذ قاموا بين يدي ملكهم والربط مثل
لافراغ الصبر في قلوبهم وتثبيت جاشهم فقالوا ربنا رب السموات والارض

لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً: بعيداً عن الحق غاية في الظلم من شطط الدار
إذا بعد وفي الحديث أعوذ بك من الغنة في السفر والشطط: هؤلاء قومنا اتخذوا
من دونه آلهة: قالوه منكرين: لولا يأتون عليهم بسلطان بين: ببرهان واضح دال على
استحقاقهم الألوهية فإن العقائد لا يجوز التقليد فيها وما لا دليل عليه مردود
فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً: أي لا أظلم ممن قال إن له شريكاً: وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون
إلا الله: ما موصولة أي معبوديهم أو مصدرية أي وعبادتهم أو نافية إخبار من الله تعالى كلام
معترض ثناء على الفتية بأنهم صادقون في الاعتزال: فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من
رحمته: جزموا بذلك إلهاماً من الله تعالى أو علموا ذلك من مشاهدة توالي الرزق على
سائر الحيوانات أو كان فيهم نبي أو أخبرهم نبي موجود في زمانهم ويهيئ لكم من أمركم
مرفقاً: ما ترتفقون به أي تنتفعون من الرفق وهو لين الجانب ضد العنف اسم آلة
كالمفتح والمبرد وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء وهما لغتان وفتح الميم أفصح
لأنها لغة الحجاز: وترى الشمس: إن حضرت مكانهم والخطاب له أو لكل أحد: إذا طلعت
تزاور عن كهفهم: تميل من الزور وهو الميل ومنه الزور للكذب لأنه ميل عن الصدق
أصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بتخفيف الزاي مضارع تزاور
على وزن تباعد حذفت إحدى التاءين ابن عامر تزور كتحمر والأول أبلغ: ذات
اليمين: الجهة المسماة باليمين ولفظ الذات مقحم: وإذا غربت تقرضهم
تتركهم: وذات الشمال: قيل كان باب الغار مستقبل بنات النعش فتميل
عنهم الشمس عند طلوعها وتتركهم عند غروبها فلا يصل إليهم حرها: وهم في فجوة منه:
في مكان يصل إليهم روح الهواء أو هم في فجوة من الغار أي مكان متسع معرض
للشمس لا تصيبهم وتصيب كل ما كان في ذلك السمت آية من آيات الله تعالى
على اختصاصهم بتلك الكرامة وعلى الأول شأنهم وحديثهم من آيات الله: من
يهد الله: بالتوفيق والإرشاد: فهو المهتدي: الذي سلك طريق الصواب
وأصحاب الفلاح ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وصدعوا بالحق أو ثناء على الله
تعالى بأنه الهادي والولي المرشد لقوله وزدناهم هدى والأول أوجه لأن الكلام
لبيان حالهم وأنهم أهل للولاية: ومن يضلل: يخذله: فلن تجد له ولياً مرشداً:
يدله على طريق الصواب وأصحاب الفلاح: وتحسبهم أيقاظاً: خطاب لكل أحد
جمع يقظ: وهم رقود: والحال أنهم نيام ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
لئلا تأكل الأرض أجسادهم قيل في كل سنة تقلبتان وقيل تقلبة واحدة ليلة
العاشوراء: وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد: بفناء الغار وقيل العتبة وقيل
الباب وإنما نصب باسط ذراعيه لأنه حكاية حال ماضية قيل مروا بكلب
تبعهم فطردوه فقال لم تطردوني أنا أحب أحباء الله ناموا أنتم وأنا أحرسكم

وقيل قرؤوا ورابع معه كلب فتبعهم ويؤيده قراءة جعفر الصادق وكالبهم: لو اطلعت
عليهم: لو نظرت إليهم: لوليت منهم فراراً: أدبرت من خوفهم فراراً مصدر في
موقع الحال أو التولية فإن معناها الفرار أو مفعول له: ولملئت منهم رعباً: وذلك
لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة وقيل لطول شعرهم وأظفارهم وعظم أجرامهم
والرعب خوف يملأ الصدر من رعبت الحوض ملأته قال الشاعر: ندى حيدب
رجاء الرلي تحت ودقه ۞ وإنما ماء وكل واد ترعب ۞ وقرأ نافع وابن كثير لملّئت
بتشديد اللام وهو أبلغ معنى والتخفيف أشهر روي أن معاوية غزا الروم
فمر على الكهف فقال لو علمنا خبر هؤلاء فقال ابن عباس رضي الله عنه قد منع الله
عن ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً فقال
لا أنتهي حتى أعلم حالهم فبعث جماعة فلما دخلوا الغار بعثت عليهم الريح فأحرقتهم
وكذلك بعثناهم: أي كما أنمناهم تلك النومة التي تشبه الموت كذلك بعثنا
تلك البعثة التي تشبه إحياء الموتى أو كما أنمناهم أحياء كذلك بعثناهم من غير
نقص في تلك المدة المتطاولة: ليتساءلوا بينهم: ليسأل بعضهم بعضاً و
يتعرفوا حالهم حتى إذا وقفوا عليها ازدادوا يقيناً وشكراً على تلك الكرامة
التي خصوا بها: قال قائل منهم كم لبثتم: مذ نمتم: قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم
كما هو المتعارف لأنه أقصى ما ينام الإنسان يوماً كاملاً وعن الحسن دخلوا
الكهف غدوة واستيقظوا وقت الظهيرة فظنوا أنه ذلك اليوم أو اليوم
الذي بعده ومبنى الكلام على الظن فلا كذب فلما نظروا طول أظفارهم وشعرهم
قالوا ربكم أعلم بما لبثتم: لما رأوا الأمر ملتبساً أخذوا فيما يهمهم قالوا: فا
فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة: الورق الفضة مضروبة كانت أو غير
مضروبة وقرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة بإسكان الراء وهما لغتان ككبد
وكبد الكسر أصل والإسكان خفف والمدينة قيل هي طرسوس وفي حملهم
الورق دلالة على أن حمل الزاد لا ينافي التوكل قيل إن بعض أهل العلم كان
شديد الحنين إلى زيارة بيت الله وكان معدماً لا استطاعة له فتوكل علم
منه ذلك وكان كلما قصد خروج من بخنيا بلدة الحج أتوه وبذلوا له المؤنة الحج
من الزاد والراحلة يتعذر بما ذكرنا فإذا تولوا عنه قال لمن حضره ما لهذا السفر
إلا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن: فلينظر أيها: أي أهلها كقوله واسأل
القرية: أزكى طعاماً: أحل وأرخص: فليأتكم برزق منه وليتلطف: وليتكلف
اللطف فيما يباشره من الشراء لئلا يغبن فإن طلب الربح كمال عرض رسول الله
قد جاء على البيع فقال رجل عندي فيه درهم فأبى فقال الآخر عندي فيه درهمان فقال
بعتك أو ليتكلف اللطف في التخفي حتى لا يعرف: ولا يشعرن بكم أحداً: لا يفعل

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو عين الصدور
وكفى عبده

ما يكون مؤديا الى الاشعار سمّاه اشعارا لكونه سببا له ۞ انهم ان يظهروا عليكم
يطلعوا عليكم من ظهرت على فلان علته ۞ يرجموكم ۞ يقتلوكم شر قتلة قيل كان دأبهم
ذلك ۞ او يعيدوكم في ملتهم ۞ يصيّروكم اليها والاعادة بمعنى التصيير شايعة وقيل
كانوا على دينهم اولا ۞ ولن تفلحوا اذا ابدا ۞ لان الارتداد شر انواع الكفر ۞ و
وكذلك اعثرنا عليهم ۞ اي وكما انمناهم وبعثناهم اطلعنا عليهم غيرهم من العثور
وهو الاطلاع ۞ ليعلموا ان وعد الله حق ۞ اي المعثرون ۞ وان الساعة لا ريب فيها ۞
في وقوعها من عطف الخاص على العام توكيدا لوقوعها لان حال الفتية في نومهم
وبعثهم دليل ظاهر على جواز الموت والبعث لما دخل المبعوث للطعام المدينة
واخرج الدراهم فوجد البياع عليها اسم دقيانوس اتهمه بانه قد وجد كنزا فرفعه
الى الملك وكان مؤمنا بعيسى عليه السلام فسأله الملك فقال من اين لك هذه
الدراهم قال خرجت بها امس من هذه المدينة فقال الملك اظنك مجنونا
فقال بعض الشيوخ الحاضرين انا قد سمعنا ان فتية في زمن دقيانوس هربوا
بدينهم منه لعلهم هؤلاء فركب الملك اليهم فوجدهم في الكهف فسألهم عن
حالهم فقصوا عليه القصص ثم قالوا للملك نعيذك من شر الجن والانس
فعادوا الى مضاجعهم فاماتهم الله تعالى فاتخذ الملك لكل واحد تابوتا من ذهب
ثم رآهم في المنام انهم يكرهون التابوت من الذهب فاتخذ لهم تابوتا من خشب
وقيل لما قربوا المكان الذي هم فيه فقال المبعوث للملك مكانك حتى اخبرهم
بمجيئك فلما دخل عليهم القى الله النوم عليهم وعمّى الكهف على الملك واصحابه
وهذا هو الصواب لقوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات
اليمين وذات الشمال ۞ اذ يتنازعون بينهم امرهم ۞ امر دينهم متعلق
باعثرنا او بيعلمون وكان بعضهم يقول انما تبعث الارواح وبعضهم
يقول يبعثان معا او امر الفتية فقال بعضهم ناموا نومهم اول مرة
وقال آخرون بل ماتوا وقال طائفة بني عليهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم
الناس كما بني على قبر رسول الله الحجرة الشريفة ۞ فقالوا ابنوا عليهم بنيانا
وقوله ۞ ربهم اعلم بهم ۞ من كلام المتنازعين فانهم لما تذاكروا حديثهم
ولم يهتدوا الى حقيقة الحال احالوا العلم الى الله تعالى او هو كلام الله تعالى
رد لكلام المتنازعين ۞ قال الذين غلبوا على امرهم ۞ كانوا اولى بهم وهم
الملك وحاشيته ۞ لنتخذن عليهم مسجدا ۞ يصلي الناس فيه تبركا بمكانهم
۞ سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ۞ اخبار بما سيقع بين اهل الكتاب
والمؤمنين في عدتهم روي ان السيد والعاقب كانا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهما من نصارى نجران فتذاكروا اصحاب الكهف فقال

السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا
كانوا ۞ ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ۞ استعارة جعل الكلام الغائب
عن القائل علمه بمنزلة الرجام المرمي به يجامع قلة الاصابة فان الرجام قلما يصيب
المرمي على السداد واما ايثار الرمي في قوله والذين يرمون المحصنات لاعتبار التأثير
في العرض كتأثير السهم في الرمية او الرجم بمعنى الظن لشيوع استعماله فيه قال زهير
وما هو عنها بالحديث المرجم ولم يذكر السين اكتفاء بذكره في الاول فان المعطوف
في حكمه ۞ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ۞ سبعة خبر مبتدأ محذوف اي هم سبعة
وثامنهم كلبهم صفة والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في قولهم جاءني رجل
ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف وذلك لانه اعتقد لحال استقرار بان الا
يرى ان صفة النكرة اذا تقدمت صارت حالا وجدوى هذه المبالغة والتأكيد
ان هذه العدة هي الصواب ولذلك اتبعه بقوله ۞ قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا
قليل ۞ قال ابن عباس رضي الله عنه بهذه الواو الا جاءت لم يبق بعدها عدة عاد
وانا من ذلك القليل وقال علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا
ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش
وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة والسابع الراعي الذي تبعهم ۞ فلا تمار فيهم
في الفتية اهل الكتاب ۞ الا مراء ظاهرا ۞ الا مجادلة بالتي هي احسن بان تقص
عليهم ما اوحي اليك ۞ ولا تستفت فيهم منهم احدا ۞ لان السؤال اما للارشاد وقد كنت
عنه واما للتعنت وليس من دابك فانك بعثت لمحاسن الاخلاق بشيرا
ومبينا ۞ ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا ۞ لم يرد الغد المتعارف بل الزمان
المستقبل كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ۞ الا ان يشاء الله ۞ متعلق بالنهي اي
لا تقل اذا عزمت على فعل في الزمان المستقبل اني فاعله الا مقرونا بقولك ان شاء الله
او لا تقل لشيء افعله غدا الا ان يأذن الله لك فاذا لم يأذن لك لا تقل لا اذا عزمت
وعلى هذا المراد بالشيء ما يكون من امور الدين لا ما يتعلق بافعال الحيلة وكذا قوله ان شاء الله
كلمة تأبيد كانه قيل لا تقولنه ابدا ولا يجوز تعلقه باني فاعل لانه استثناء اقتران
المشيئة بالفعل فاسد او استثناء اعتراض المشيئة دون الفعل وان صح الا انه
لا يتوجه اليه النهي وهذا تأديب له من الله تعالى فانه لما سأله المشركون عن الروح
وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فعاتبه
الله تعالى على ذلك بان اخر عنه الوحي اياما وكذبته قريش ۞ واذكر ربك ۞ اذا نسيت
تدارك ۞ فرط منك بان تقول ان شاء الله اذا تذكرت انك نسيت
ولا دلالة فيه على ما نقل عن ابن عباس من جواز الاستثناء بعد التذكر فيما يرجع
الى التعويض لا اخراج الحكم عن الجزم روي ان المنصور لما بلغه ان ابا حنيفة خالف ابن عباس

في ذلك ودعاه وسأله عن ذلك فقال يا امير المؤمنين ضرر ذلك عائد اليك
فانك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان تخرجوا من عندك ويقولوا استثنا فاستحسن
منه ذلك او اذكر ربك بالاستغفار كانه جرمة يوجب الاستغفار لها او اذكر ربك
اذا نسيت شيئا فات ذكره تسبب لتذكره وقد حمل على اداء الصلوة المنسية
لقوله اقم الصلوة لذكرى ؛ وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا ؛ اي عند
نسيان شئ لعل ربي ان يهديني الى ما هو خير من هذا المنسي لقوله ما ننسخ من آية او
ننسها نأت بخير منها او هذا اشارة الى خبر اصحاب الكهف اي عسى ان يهديني
ربي الى ما هو اعظم دلالة على صدقي في دعوى الرسالة وقد وقع ذلك حيث اتاه
الله من القصص والاخبار بالمغيبات الى آخر الدهر ما يضمحل نبأ اصحاب الكهف
عنده ؛ ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ؛ بيان لما اجمل في قوله
فضربنا على اذانهم وفيه اشارة الى ان اهل الكتاب كما اختلفوا في مدة لبثهم الى
وقت الانتباه ايضا وانما اخر البيان ليكون معجزة مستقلا وقرا حمزة و
والكسائي باضافة مائة اشارة الى الاصل والاصل في تميز المائة الجمع كثلثة
واربعة اوثر المفرد للتخفيف ومن لم يضف جعل سنين بدلا ؛ قل الله اعلم
بما لبثوا ؛ وقد اخبرك به هذا التذييل كالتذييل بقوله قل ربي اعلم بعدتهم
له غيب السموات والارض ؛ علم ما غاب عنكم فيهما وامر اصحاب الكهف
فوز من ذلك ؛ ابصر به واسمع ؛ فلا تعجب اريد تعجيب المخاطبين اي ما ابصره
واسمعه فانه لا يخفى عليه شئ مما يدرك بهما والهاء يعود الى الله ومحله الرفع
على الفاعلية عند سيبويه والباء مزيدة واصله ابصر نقل الى صيغة الامر بمعنى
الانشاء فبرز الضمير لعدم قابلية الصيغة له والنصب على المفعولية عند
الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية
ومعدية ان كانت للصيرورة ؛ ما لهم ؛ الضمير لاهل السموات والارض ؛ من
دونه من ولي ؛ من يتولى امورهم ايجادا وكلاءة ؛ ولا يشرك في حكمه احدا
من خلقه وقرا ابن عامر ولا تشرك بالخطاب التفاتا على صيغة النهي
والنهي ابلغ ؛ واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك ؛ فان تلاوته اقرب
الوسائل اليه واشرف العبادات لديه وفيه بيان لكل مشكل وهو اشرف
معجزاتك فالواجب عليك القيام بحقه ؛ لا مبدل لكلماته ؛ لا احد يقدر
على تبديله لكونه معجزا بخلاف سائر الكتب ولذلك وقع فيها التحريف
ولن تجد من دونه ؛ من دون الله ؛ ملتحدا ؛ ملجأ تميل اليه ان هممت
بالتبديل فانهم كانوا يدعونه اليه وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن
غير هذا او بدله ؛ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي

ايضا

ايضا مما كانوا يدعونه الى خلافه قالوا ان اردت مجالستنا فاخرج هؤلاء
العبيد والصعاليك من عندك يريدون بلالا وعمارا وصهيبا واضرابهم
والغداة والعشي كناية عن جميع الاوقات وقيل صلوة الفجر والعصر او اريد
الدعاء في هذين الوقتين فانهما اشرف الاوقات وقرا ابن عامر بالغدوة
والوجه انه علم لما قبل الضحى فدخل فيه اللام كما في قوله والزيد زيد المعارك
وعليه الرسم والمختار قراءة الجمهور لعدم التأويل لكونه اسم جنس ودخل
عليه اللام والرسم لبيان الاصل كالزكوة والصلوة ؛ يريدون وجهه ؛ اي
مخلصين له العبادة ؛ ولا تعد عيناك عنهم ؛ متعد بنفسه عدي بعن لتضمنه
معنى النبو والمعنى لا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم وفي اقحام العين
واسناد الفعل اليه متضمنا معنى فعل آخر ليكون مؤديا بمجموع معنى الفعلين
مبالغة لا تخفى ؛ تريد زينة الحيوة الدنيا ؛ حال من الكاف كما في قوله واتبع
ملة ابراهيم حنيفا ؛ ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا ؛ جعلنا قلبه غافلا
عنه من اغفلته اذا صيرته غافلا وجعله من اغفلت الرجل وجدته غافلا
لا اصل له ومن اغفلت الدابة اذا تركتها من غير سمة ترد ذلك عن واتبع
هواه ؛ ما تسوله نفسه ؛ وكان امره فرطا ؛ متجاوزا للحد اسم من افرط
اذا تجاوز الحد في حديث على الجاهل اما مفرط او مفرط ؛ وقل الحق خبر
مبتدا محذوف اي ما تلوته عليكم ؛ من ربكم ؛ حال مؤكدة او خبر بعد خبر او
الحق مبتدا ومن ربكم خبره والاول اوجه لقوله ؛ فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر ؛ لانه لما امره بتلاوة كتابه والصبر مع الذين يتلونه
حق تلاوته مريدين وجهه ونهاه عن الالتفات الى زخارف الدنيا
فكانه قال هذا الذي اوحي الي هو الحق من ربكم فمن شاء فليدخل في زمرة
الفائزين بهذه السعادة ومن شاء فليكن في زمرة الهالكين منهمكا
في الضلالة وانما ابرز الكلام في صورة التخيير ازاحة للعلل ؛ انا اعتدنا
للظالمين ؛ الكاملين في الظلم ؛ نارا احاط بهم سرادقها ؛ ما يحيط بالخيم
والبيوت معرب سرابرده قيل هو دخان يحيط بهم قبل دخول النار
وقيل حائط من النار يطيف بهم لا يمكنهم من الخروج ؛ وان يستغيثوا
من العطش ؛ يغاثوا بماء كالمهل ؛ هو النحاس المذاب وعن ابي عمرو
هو دردي الزيت وعنه ايضا القيح والصديد ؛ يشوي الوجوه ؛ اذا قدم
للشرب من فرط حرارته اعاذنا الله منه ؛ بئس الشراب ؛ انشاء ذم بعد
تعداد الاخبار عن الاوصاف مبالغة في الانذار والوعيد ؛ وساءت ؛ مرتفقا

النار والمرتفق ما يتكأ عليه وهو الوسادة ويسمى مرفقة ولا ارتفاق لاهل النار
فهو على المشاكلة لقوله وحسنت مرتفقا وقيل الارتفاق الاتكاء على المرفق
وهي جلسة المتحزن المتحير ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع
اجر من احسن عملا ان الثانية بما حيزها خبر ان الاولى واستغنت الجملة عن
العائد لان من احسن عملا يعم الذين آمنوا وعملوا الصالحات او الخبر اولئك
لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض على الاول اما استئناف
لبيان الاجر او خبر آخر يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء
او مزيدة لقوله وحلوا اساور والثانية بيان والاساور جمع اسورة جمع سوار وتنكيرها
لتعظيم حسنها ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان ولذلك استعارها
للدنيا في قوله ان هذه الدنيا حلوة خضرة من سندس واستبرق الاشرف
والادنى فان الاستبرق ما غلظ من الحرير معرب استبرك او السندس الظهارة
والاستبرق البطانة لقوله بطائنها من استبرق وهذا اليق متكئين فيها
على الارائك جمع اريكة وهي السرير الذي عليه الحجلة وقيل كل ما يتكأ عليه من وسادة
او منصة وفي الحديث عسى رجل يتكئ على اريكته يأتيه الحديث مني فيقول بيني وبينكم
كتاب الله الا اني اوتيت مثل القرآن او اكثر نعم الثواب المذكور وحسنت
الارائك مرتفقا واضرب لهم مثلا مثلا للمفتخرين بزخارف الدنيا الغافلين
لك لا نجالسك حتى تطرد الصعاليك والعبيد حالهم وحال هؤلاء الفقراء بحال
رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب قيل كانا اخوين من بني اسرائيل احدهما
كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في قوله قال قائل
منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فكان كلما
انفق الكافر في الدور والبساتين والنساء وسائر ما يتمتع به انفق المؤمن في سبيل
الله وابواب البر نظيره راجيا من الله ثوابه وحففناهما بنخل جعلنا الجنتين
محفوفتين بالنخل من حففت الشيء بالشيء اذا الحقته به يتعدى الى مفعول
والى الثاني بالباء ويجيء لازما وترى الملائكة حافين من حول العرش وجعلنا
بينهما زرعا لتكونا جامعتين بين الاقوات والفواكه مع حسن المنظر والترتيب
الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ما يؤكل منها وهو الثمر ولم تظلم منه شيئا
ولم تنقص افرد الضمير حملا على لفظ كلتا لكونه مفردا وفجرنا خلالهما نهرا فانه
ملاك الامر ومادة الخضرة في الكروم والبساتين وكان له ثمر سائر انواع
الاموال من الذهب والفضة قاله مجاهد وسائر الاثاث وقرأ عاصم بفتح الثاء
والميم وابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم تخفيفا ثمر والباقون بضمتين والمختار قراءة

عاصم للخفة وتناول الجنس الانواع فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام
كما يفعله الاصحاب والرفقة وقيل اخذه بيده يريه شيئا فشيئا مفتخرا انا اكثر
مالا واعز نفرا رهط الانسان وعشيرته يطلق على الرجال خاصة من الثلثة
الى العشرة وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون مع الاب دون الاناث فان
قلت قد ذكرت انهما كانا اخوين فلم آثر لفظ الصاحب على الاخ لان المؤمن
ليس اخا للكافر وان اتحد به نسبا ودخل جنته افردها اشارة الى انه لا نصيب له
في الجنة التي وعد المتقون لان الاضافة تفيد الاختصاص وقيل اراد دخوله كل واحدة
او لاتصالهما كانهما جنة واحدة والاول هو الاوجه وهو ظالم لنفسه لانه غره
بالفاني وعرضها للعذاب الدائم قال ما اظن ان تبيد هذه تفنى ابدا لكمال
غفلته وعدم تأمله في القرون الخالية والقصور الخاوية وما اظن الساعة قائمة
ولئن رددت الى ربي على سبيل الفرض والتقدير لاجدن خيرا منها منقلبا
مرجعا وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضمير المثنى عائدا الى جنتين قال له صاحبه
وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب يريد مادته ومادة السابق
ثم من نطفة ثم سواك رجلا عدلك كاملا القوي وانما كفره لكونه شاكا
في قيام الساعة والشاك في قيام الساعة كافر من وجوه لكنا هو الله
ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فنقلت حركة الهمزة الى النون ثم
حذفت وادغم النون في مثلها واثبت ابن عامر الالف في الوصل و
حذفها الباقون قال الزجاج اثبات الالف جيد جبرا للكلمة واشارة الى
الاصل قلت المختار حذفه جريا على الاصل في الضمير المنفصل نحو انا يوسف و
الوقف بين الرسم وهو ضمير الشان والجملة بعده خبره وهو مع خبره خبر انا
والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر لكني مؤمن ولولا اذ دخلت
جنتك وقت دخولك قلت ما شاء الله لامه على ترك هذه الكلمة اي
ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية
لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز وان ما تيسر لك بارادة الله تعالى ومعونته من غير حول
ولا قوة منك وفي الحديث من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله
لم يضره شيء ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا ضمير الفصل ويجوز ان يكون
تأكيدا للمفعول فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الآخرة جواب
الشرط ويرسل عليها حسبانا من السماء آفة سماوية مثل الصاعقة والبرد
والريح وعن يحيى بن يعمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا تجعلها حسبانا
او مصدر بمعنى الحساب والمراد التقدير بخرابها او جمع حسبانة وهي السهام
او الوتد الصغار والمراد ارسال اشياء تشبهها فتصبح صعيدا زلقا اي

ارضا ملساء لا نبات فيها. او يصبح ماؤها غورا. غائرا في الارض مصدر وصف به
مبالغة ويصبح اما نقيل في المنصوب بعده مجرورا بمعنى الدخول في الصباح فان
طروق العذاب بالليل اشد. فلن تستطيع له طلبا. للماء الغائر جعل طلبه غير مقدور لان
طلب المحال كالمحال لا يصدر عن عاقل. واحيط بثمره. كناية عن الهلاك بشأن من احاط
العدو واختلاف القراء ذكرناها. فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها. كناية عن غاية
الاسف والندم فان النادم يفعل ذلك ولتضمنه معنى الندم عداه بعلى. وهي خاوية
على عروشها. ساقطة كرومها على ما كانت معروشة عليه من الاخشاب زيادة للحزن
والحمد اذ اراها كذلك واختصاص الكروم لانها اصل الجنة والنخيل محاطة بها كالتوشيح
لها. ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا. اما في نفسه او جهارا. ولم تكن له فئة
ينصرونه من دون الله. احد ينصره حالة العذاب وانما اثر لفظ الفئة لان اكثر
الانتصار بالشبان الاقوياء في الشدائد. وما كان منتصرا. دفع لما يتوهم انه بسبب
الندم صار تائبا فيدركه رأفة رب القادر على نصره فان قلت قوله يا ليتني لم اشرك
بربي احدا ظاهر في التوبة والايمان وقد قال كان حقا علينا نصر المؤمنين قلت ندمه
انما كان اسفا على الدنيا وانه لو لم يشرك لم يصب جنته ما اصابها ولئن كان
مخلصا في توبته فانها لم تقبل لانها كانت بعد ظهور الاية فلولا كانت قرية آمنت
فنفعها ايمانها الا قوم يونس وقرأ حمزة والكسائي بتذكير الفعل وهو المختار لوجود
الفاصل. هنالك الولاية لله الحق. اي في تلك الحالة التي حل فيها غضب الله النصرة
ولا قدرة لاحد غيره وقرأ حمزة والكسائي بكسر الواو وعن الفراء انهما لغتان والمشهور
ان الكسر معناه السلطنة والفتح النصرة وهو المختار لقوله وما كان منتصرا وقرأ
ابو عمرو والكسائي بجر الحق صفة لله كقوله مولاهم الحق وهو المختار لسلامته عن
الفصل بين الصفة والموصوف وقيل هنالك اشارة الى الاخرة ولا يخفى بعده
هو خير ثوابا وخير عقبا. قرأ عاصم وحمزة بسكون القاف وهما لغتان بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا. اتبع المثل الاول لمن اغتر بالدنيا وزخارفها بما هو
اظهر فان ذلك كان على طريقة الحكاية دون المشاهدة وهذه امور مشاهدة لهم
على التوالي كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض. خالط بعضه بعضا
بسببه وتكاثف وقيل نجع في النبات حتى روي ورف لدخول الماء في اجزائه
وكان الظاهر على هذا فاختلط بنبات الارض وانما عكس مبالغة وصفا للشيء
بوصف ما يجاوره. فاصبح هشيما. مهشوما مكسورا ستحقا والهشم الكسر ومنه
قيل لجد رسول الله عليه السلام هاشم واسمه عمرو قال شاعر عمرو العلى هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف. تذروه الرياح. تفرقه شبه حال الدنيا في نضرتها
وما يعقبها من الهلاك والفناء سريعا بحال النبات يكون اخضر وارفا

ثم

ثم يصير عن قريب حطاما تطيره الرياح. وكان الله على كل شيء مقتدرا. كامل القدرة
وذلك من اثار تلك القدرة. المال والبنون زينة الحيوة الدنيا. خصهما بالذكر لانهما
مناط الغرور وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا. والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا. الاعمال الصالحة وصف للشيء بوصف اثره وما يترتب عليه
لان ابقاء ثوابها قيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله وعن قتادة
كل ما اريد به وجه الله وهو الوجه. وخير املا. لعدم خيبة الامل بخلاف امل الدنيا
فانه تارات. ويوم نسير الجبال. تهويل ليوم القيمة بعد التنفير عن الاغترار بالدنيا و
زخارفها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالتاء على بناء المفعول ورفع الجبال والباقون
بالنون وهو المختار لكونه اشد تهويلا وتسيير الجبال اما قلعها وطيرانها في الجو لقوله تعالى
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب واما اذهابها وجعلها ترابا كقوله
وكانت الجبال كثيبا مهيلا وكلا المعنيين بحسب الاوقات. وترى الارض بارزة
ليس عليها جبل ولا نبات. وحشرناهم. وجمعناهم الى الموقف اثر الماضي اشارة
الى تحقق وقوعه كما في قوله ونادى اصحاب الجنة وقيل للدلالة على ان الحشر قبل تسيير
الجبال وليس بسديد لقوله يومئذ يتبعون الداعي بعد قوله لا ترى فيها عوجا
ولا امتا ولما روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يحشر الناس على ارض بيضاء عفراء ليس فيها علم. فلم نغادر منهم احدا. لم نترك
ومنه سمي نقض العهد غدرا لكونه تركا للوفاء. وعرضوا على ربك صفا. كما تعرض
الجنود على الملوك صفا صفا. لقد جئتمونا فرادى. على اضمار القول وهو العامل
في يوم ويجوز تقديره اذكر. كما خلقناكم اول مرة. حفاة عراة لا مال ولا ولد. بل زعمتم
ان لن نجعل لكم موعدا. اضراب الى ما هو اعظم من التعزز بالاموال وهو انكار
البعث. ووضع الكتاب. اي كتاب كل احد وهو صحيفة عمله. فترى المجرمين
مشفقين مما فيه. من الذنوب الاشفاق الخوف من الشفق وهو الشيء الردي
ويقولون يا ويلتنا. يا هلكتنا المختصة بنا تعال هذا اوانك. ما لهذا الكتاب
استئناف للتعجب. لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها. ضبطها لاشتماله على
شيء فان قلت كان الظاهر تقديم الكثرة كما يقال فلان لا يملك دينارا ولا درهما
قلت ليس من بابهما اذ لا ان محل المسامحة الصغيرة فكان مظنة عدم احصائها
ووجدوا ما عملوا حاضرا. مكتوبا في الصحف. ولا يظلم ربك احدا. فيكتب عليه
ما لم يفعله. واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس. حال الدنيا وزخارفها
وكان الشيطان قد اقسم في مبدأ العداوة لازينن لهم في الارض شار الى ان الاغترار
بها من تزيين ذلك العدو. كان من الجن. استئناف يجري مجرى العلة كانه
قيل لم لم يسجد قيل كان جنيا مطبوعا على الفساد. ففسق عن امر ربه. والفاء

دالّة على سببيّة ما قبله اي كان فسقه لكونه من الجن افتتخذونه ابعد ما وجد ذلك
منه تتخذونه انكار وتعجيب وذريته اولاده ان صح ان له اولادا او اتباعا
مجازا اولياء من دوني بدلا مني وهم لكم عدو حال تؤكد التوبيخ فان موالاة
بدلا من موالاته قبيح منكر يتعجب منه كيف وقد انضم اليه كونه عدوا لكم قديم العداوة
بئس للظالمين بدلا ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا
خلق انفسهم لم يحضروا خلق شيء من المخلوقات فضلا عن الاعانة في التدبير
فكيف يستحقون العبادة واشهادها وخلق انفسهم اشهاد بعضهم خلق بعض كقوله
ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا ابليس وذريته وضع المضلين
موضع الضمير ذما لهم والعضد مظهر القوة يستعمل في العون والنصر كاستعمال
الظهر فان قلت الوصف بالاضلال مشعر بعلية الانتفاء فيوهم جواز الاعتضاد
بغير المضلين قلت لا اعتضاد في الايجاد والخلق بحال وثبت القواطع عليه واما
في اظهار الدين والشرائع فلا مانع منه يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله
وينصرون الله ورسوله ويوم يقول نادوا شركاي الذين زعمتم ابليس وذريته
او من عُبد من دون الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم بل تبرؤوا منهم وقالوا ما
كانوا ايانا يعبدون وجعلنا بينهم موبقا مكان هلاك يشتركون فيه تقال
المال بين زيد وعمرو وهم مكان من وبق هلك الموبقات كبائر الذنوب
وعن الحسن عداوة في الشدة كالهلاك وعن الفراء البين الوصل اي جعلنا
تواصلهم هلاكا وان اريد بالشركاء الملائكة وعيسى وعزير فالموبق البرزخ البعيد
الذي يهلك فيه الاشواط لفرط بعده وفي المثل بلد يهلك فيه اشواط الرياح ورأى
المجرمون النار راوها من مكان بعيد لها تغيظا وزفيرا فظنوا انهم مواقعوها
ايقنوا ولا تبين اجلى منه وظنوا مع بعدها انها ياخذهم في الحال لشدة خوفهم
ولم يجدوا عنها مصرفا مكانا يعدلون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس
من كل مثل كررنا كل معنى في الحسن مثل يضرب به وتقديم القرآن على الناس
في هذه السورة خاصة دون سائرها للاهتمام لان السورة معتذرة به وكان
الانسان اكثر شيء جدلا مراء بالباطل وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرقه وفاطمة وهما في الفراش فقال الا تصليان قلت انما نفوسنا بيد الله ان
شاء ردها الينا فضرب بيده على فخذه ثم قرأ وهو مول وكان الانسان
اكثر شيء جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى هو القرآن او من
اوتي به ويستغفروا ربهم لذنوبهم السالفة الا ان تاتيهم سنة الاولين
وهو هلاك الاستيصال اذ لم يبق لهم عذر او ياتيهم العذاب قبلا عيانا
اي عذاب الاخرة وقرا الكوفيون بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع

والمختار الكسر لخفته وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل عنادا باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات
ليدحضوا به الحق ليزيلوه من ادحض القدم ازلقها والدحض المكان المزلق وفي
الحديث دون جسر جهنم طريق دحض واتخذوا آياتي معجزاتي التي صدقت
بها رسلي وما انذروا والذي انذروا به هزوا مهزوا به وقرا حمزة باسكان الزاء
والباقون بالضم وهما لغتان وابدل حفص الهمزة واوا ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه فاعرض عنها لا اظلم منه لانه كفر بعد ظهور الحق مع كونه له الا علية ونسي
ما قدمت يداه من المعاصي وكان عليه ان يبادر الى قبولها لانه يذهب
بالذنوب قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف انا جعلنا على
قلوبهم اكنة علة للاعراض اذ لا قصور في تلك الآيات ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يمنعهم عن استماع الحق وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا اذا ابدا لسد طرق الادراك عليهم اذا جواب للرسول
على تقدير سؤال كانه قيل ما لي لا ادعوهم وجزاء لكونهم مطبوعا على قلوبهم دعوتهم
لا ينجع وربك الغفور ذو الرحمة الواسعة لو يواخذهم بما كسبوا من
الكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب اي عذاب الاستيصال تعليل لامهالهم
بعدما تحقق انهم من اهل النار بل لهم موعد لا بد من مجيئه فان تاخيرلذلك
الوعد لا لاهمال لن يجدوا من دونه موئلا ملجأ يوم بدر او يوم القيمة وتلك
القرى قرى عاد وثمود واصحاب الايكة اشار اليها لانهم شاهدوها اهلكناهم
خبر تلك لما ظلموا كذبوا الرسل كقريش وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم
مصدرا ضيف الى المفعول او لوقت اهلاكهم اسم زمان وقرا عاصم في رواية
ابي بكر بفتح اللام والميم مصدر هلك او اسم زمان وفي رواية حفص بكسر اللام
مصدرا او اسم زمان على غير القياس كالمرجع والمختار قراءة الجمهور لقوله اهلكناهم
واذ قال موسى لفتاه اذكر وقت قول موسى لفتاه يوشع بن نون اورد
قصة موسى عليه السلام مع الخضر وان لم يسال عنها استظهارا لصدق دعواه
النبوة ودلالة على جهل اليهود الذين امتحنوه فان موسى نبيهم وقصته هذه من عظم وقايعه
وهم لا يعرفونها وقصته على ما رواه البخاري عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس
في بيته اذ قال سلوني قلت اي ابا عباس جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص
يقال له نوف يزعم ان موسى ليس بني اسرائيل انما هو موسى آخر فقال ابن عباس
كذب عدو الله حدثني ابي بن كعب انه سمع رسول الله يقول ذكر موسى يوما في
رواية قام خطيبا في بني اسرائيل حتى فاضت العيون ورقت القلوب فقال
رجل يا رسول الله هل في الارض رجل اعلم منك قال لا فعاتب الله عليه اذ لم يرد

العلم اليه تعالى فقال الله تعالى بلى لي عبد بمجمع البحرين هو اعلم منك قال السبيل اليه
فقال اجعل حوتا في مكتل فحيث فقدت الحوت فهو ثمة فقال موسى عليه السلام لفتاه
لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيرا فانطلقا
حتى اتيا الى الصخرة فوضع موسى راسه فنام وكان في اصل الصخرة عين الحياة فاصاب
الحوت منها شئ فاضطرب وانسل من المكتل فسقط في البحر فامسك الله تعالى
الجرية عن الحوت فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي فتاه ان يخبره
بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه
آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فقال فتاه ارايت اذ اوينا
الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ
سبيله في البحر عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغي ولم يجد موسى نصبا في سفره حتى
جاوز الصخرة فارتدا على آثارهما قصصا يقصان اثرهما حتى انتهيا الى الصخرة
فاذا رجل مسجى بثوبه وفي رواية كان على طنفسة خضراء على كبد البحر فسلم عليه
موسى عليه السلام فقال له الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى قال موسى
بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال يا موسى انك
على علم علمكه الله تعالى لا اعلمه وانا على علم علمنيه الله تعالى لا تعلمه انك لن تستطيع
معي صبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني
فلا تسالني عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل
البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم فوقع عصفور
على البحر فنقر منه الا بمنقاره فقال الخضر لموسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله الا مقدار
ما غمس هذا العصفور منقاره فلم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من الواح
السفينة بالقدوم فقال موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها
لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا وكانت هذه من
موسى نسيانا ثم خرجا من السفينة يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما
يلعب مع الغلمان فاخذه فاقتلع راسه فقال له موسى اقتلت نفسا
زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سالتك عن شئ بعدها فلا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه الخضر
وقال بيده هكذا فقام وكان مائلا فقال موسى قوم اتيناهم فلم يضيفونا
لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم وددنا لو صبر موسى حتى يقص الله علينا من امرهما. لا ابرح اي
لا ازال فحذف الخبر لدلالة حاله والسفر عليه ولقوله: حتى ابلغ مجمع البحرين
لان الغاية تستدعي ما هي غاية له اي لا ابرح اسير او لا يبرح سيري فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الفعل من الغيبة الى التكلم
فالخبر حتى ابلغ وليس الاسناد مجازيا كما توهم ويجوز ان يكون فعلا تاما اي لا
ازول عما انا عليه من السير فلا يستدعي خبرا: او امضي حقبا: ثماني سنة
فان ما بعدها ازول عما انا عليه العمر او دهرا طويلا. فلما بلغا: موسى وفتاه
مجمع بينهما: المكان الذي وعده الله تعالى وهو ملتقى بحر الروم وفارس مما يلي
المشرق وقيل طنجة وصل افريقية من بلاد الغرب وتفسير البحرين بموسى
والخضر باطل. نسيا حوتهما: اي نسيا تفقده والناسي فتاه واسناده الى موسى
لانه في ملابسة. فاتخذ سبيله في البحر سربا: طاقا مفعول ثان لاتخذ وفي
البحر حال من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ. فلما جاوزا قال لفتاه آتنا
غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا: اشارة الى سفرهم بعد فقد
الحوت لانه قبله لم ينصب ولعل الحكمة ان ذلك كان في طلب العلم
وهذا كان خاليا عن الفائدة. قال: فتاه: ارايت اذ اوينا الى الصخرة
فاني نسيت الحوت: اي فقده: وما انسانيه الا الشيطان: بوسواسه
وقرا حفص بضم الهاء مراعاة للاصل المرفوض ان اذكره: بدل من الضمير
واتخذ سبيله في البحر: من كلام فتاه: عجبا: مفعول اي يتعجب موسى وفتاه
عجبا لما روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان للبحر للحوت
سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل مفعول ثان لاتخذ اي اتخذ سبيله في البحر
عجبا اي اتخذ اعجبا وقيل هو قول موسى اي قال يا عجبا كيف نسيت
بعد تلك المشاهدة وامساك الماء: قال ذلك ما كنا نبغ: نريد حياة
الحوت فانه دليل المطلوب: فارتدا: رجعا في الطريق الذي جاءا منه
على آثارهما قصصا: يتبعان آثارهما من قصصت الاثر اتبعته. فوجدا
عبدا من عبادنا: هو الخضر كما صرح به في الحديث: آتيناه رحمة من عندنا
نبوة ان كان نبيا وكرامة ان كان وليا: وعلمناه من لدنا علما: اي علما
مختصا بنا لا يمكن الوصول اليه بالاكتساب: قال له موسى هل اتبعك
على ان تعلمني: على هذا الشرط وانما لم يجزم الفعل مراعاة للادب
مع المعلم لئلا يكون متحكما عليه: مما علمت رشدا: علما ذا رشد وقرا ابو عمرو
بفتح الراء والشين وهي كالنحل والنحل: قال انك لن تستطيع معي صبرا:
لاني ارتكب ما لا يوافق شريعتك: وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا: وتحبر

علم البواطن شعر فلما التقينا صدق الخبر الخبر نصب على التمييز او على المصدر
لان الاحاطة بمعنى الخبرة قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا
عطف على صابرا لانه في تاويل المصدر اي غير عاص او على ستجدني مقولا للقول
وانما علق بالمشية لان افعال العباد بمشيته تعالى يعني اشارة الى ان الصبر على
ما يخالف الحق بظاهره وان كان في نفسه حسنا جميلا في غاية الصعوبة قال
فان اتبعتني فلا تسالني عن شئ تنكره ويخفى عليك سببه حتى احدث
لك منه ذكرا حتى اكون انا البادي فان المعلم ادرى بحال المتعلم من نفسه
كالطبيب مع المريض ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوني ما تركتكم
فاذا امرتكم بشئ فاتوا منه ما استطعتم فانطلقا على هذا الشرط حتى اذا
ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها استفهام انكار وقرا حمزة
والكسائي بياء الغيبة وفتح الراء ورفع اهلها والخطاب بضم التاء ابلغ
انكارا لقد جئت شيئا امرا عظيما من امر الامر اذا عظم وكبر وفي
حديث هرقل قال ابو سفيان لقد امر امر ابن ابي كبشة يريد رسول الله
قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا ذكره بما اعتذر اليه قال لا تؤاخذني
بما نسيت بالذي نسيته فان النسيان لا يؤاخذ عليه والنسيان مغتفر
فان اول ناس اول الناس ولا ترهقني من امري شاقا عسرا بالمضايقة
وتكليف ما لا يطاق مفعول ثان يقال رهقه بالكسر اذا غشيه وارهقه
اذا اغشاه فانطلقا بعد الخروج من السفينة حتى اذا لقيا غلاما
فقتله بان اقتلع راسه كما سبق وقيل ذبحه وقيل ضرب راسه في
الحائط قيل كان اسمه جيسور قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو زاكية وهما لغتان والتشديد ابلغ وعن
البزي الزاكية التي لم تذنب البتة والزكية التي لم تذنب قط فيختلفان
والرسم مختلف لقد جئت شيئا نكرا ذا نكر مبالغة في الانكار
وهذا اشد من الاول ولذلك قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
بزيادة لك مكافحة اياه بالعتاب على قلة الثبات بعدم تقدم
الوصية ووقوع الحجة عليه عن قريب وقرا نافع وابن عامر في رواية ابن
ذكوان وعاصم في رواية ابي بكر بضم كاف نكرا والباقون بالاسكان
وهما لغتان قال ان سألتك عن شئ بعدها بعد هذه الواقعة فلا
تصاحبني وان سألت صحبتك قد بلغت من لدني عذرا تعتذر به
لمفارقتك وقرا نافع وابو بكر بنون مخففة لانها اصلية لدن فحركت نونه
الساكنة بالكسر واشم ابو بكر الدال الساكنة ضمة اشارة الى الاصل

فانطلقا

فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل هي الايلة وقيل هي ابعد ارض
من السماء وقيل برقة وقيل ارض بربر وقيل هروان وقيل باجروان استطعما
اهلها طلبا طعاما وفي الحديث اهل قرية لئاما بخلاء فابوا ان يضيفوهما يقال
ضافه نزل به ضيفا من ضاف السهم اذا مال واضافه انزله ضيفا فوجدا
فيها جدارا يريد ان ينقض مشرفا على السقوط من النقض وهو الكسر استعارة
تبعية كقوله ان دهر يلف شملي بسعدى لزمان يهم بالاحسان فاقامه
بان اشار اليه بيده من غير مباشرة وعلاج قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا
لاحتياجنا وعدم استحقاقهم الاكرام بالتبرع وقرا ابن كثير وابو عمرو لتخذت
عليه من تخذ مرادف اخذ وهي لغة هذيل قال شاعرهم وقد تخذت رجلي
لدى جنب غرزها وقراءة الجمهور افصح وابلغ قال هذا فراق بيني وبينك
اشارة الى الفراق الموعود او الى وقته او الاعتراض البين الوصل اي هذا وقت
فراق الوصلة او ظرف بمعنى الوسط اضيف اليه المصدر اتساعا
سأنبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا تلك الوقايع الثلث اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانوا عشرة خمسة زمنى وخمسة
يعملون في البحر استدل به على ان المساكين يطلق على من يملك شيئا وقيل
سماهم مساكين لزمانتهم وعدم القدرة على دفع الملك فاردت
ان اعيبها وكان وراءهم ملك امامهم او خلفهم وكان طريقهم في الرجوع
عليه يأخذ كل سفينة غصبا كل سفينة سالمة لدلالة الكلام عليه وكان
الظاهر تقديمه على ارادة العيب لانه مسبب عنه وعن كون الملاك
مساكين لكن لما كان مسكنة الملاك هو اقوى الجزئين رتب عليه المسبب
المعنى بشانه تنبيها على ان في التامل ما يدل على الاخر ثم اردفه به على
سبيل التتميم او يقال انه لا يهتدي اليه الخاطر واما الغلام فكان ابواه
مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا يغشيهما لانه كان كافرا
فيوجب حب الابوين والرقة على الدخول فيما هو فيه كذا عن سعيد بن جبير
وابن جريج وعن مقاتل والكلبي كان غلاما طاغيا يقتل ويسرق وكان
ابواه في عز وشرف فاذا طولب بجناية يحلف ابواه انه لم يفعل وقيل
فخشينا حكاية قوله تعالى والخشية بمعنى الكراهة وكان سؤال موسى ومخاطبته
مع الله والخضر واسطة ولا يخفى بعده وكذا ما قيل فخشينا ان يجتمع مؤمنان وكافر
في بيت واحد فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة طهارة ونقاء من الذنوب
وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وهو ابلغ واكثر في القران واقرب رحما
الرحم الرحمة والعطف وقرا غير ابن عامر بسكون الحاء وهما لغتان روى انه ولدت

لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقيل سبعين
نبيا وقيل ولد لهما ابن مؤمن * واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة * قيل
اسمهما اصرم وصريم * وكان تحته كنز لهما * هو مال مدفون من ذهب وفضة
وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح و
عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها
كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله * وكان ابوهما صالحا * اشارة الى ان الله يحفظ
وعن جعفر الصادق رضي الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب الصالح سبعة
آباء وقيل جرى بين حسين بن علي وبين بعض الخوارج كلام فقال الحسين بم حفظ
الكنز للغلامين قال بصلاح ابيهما فقال ابي وجدي خير منه * فاراد ربك ان
يبلغا اشدهما * غاية القوة وهو ما بين ثمانية عشرة الى ثلثين مفرد وعن سيبويه
جمع شدة * ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك * مفعول له او مصدر منصوب
باراد لانه في معنى رحمهما وقد راعى في المقالات الثلث ما يليق فان خرق السفينة
لما كان عيبا واقعا بمباشرته اسنده الى نفسه وابدال الغلام بما هو خير منه كان
بقتله وايجاد الله اسندها والارادة الى نفسه والى الله وبلوغ الغلامين وحفظ الكنز
لما لم يكن له في ذلك مدخل اسنده الى الله تعالى وقيل هو باعتبار حال العارف في النظر
الى الوسائط وارتفاعها * وما فعلته * ما شاهدته * عن امري * صادرا عن شأني
بل بامر الله تعالى * ذلك * المذكور من الحكم الخفية * تأويل ما لم تسطع عليه صبرا *
اصله تستطع حذف منه التاء تخفيفا واختص به دون الاول لانه آخر القصة
فيدل على الاختصار على الاقتصار وهذا من غامض اسرار كلامه تعالى وسيأتي في
آخر الشعراء نظيره وقد اشتملت القصة على جملة من الادب وهي ان العالم
وان كان فريدا في زمانه لا يعجب بعلمه اذ ربما يكون اعلم منه وفي المثل في الزوايا
خبايا وان لا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه اذ ربما كان فيه سر لم يطلع عليه ويراعي
الادب مع المعلم ولا يبادره بالسؤال واذا رأى خلاف الشرع ينكره وان كان
من صدر عنه اجل منه ويعفو عن صاحب الجريمة اذا رجع واعتذر فان قلت
موسى كان اعظم رتبة ام الخضر قلت بل موسى فانه من اولي العزم والخضر مختلف
في نبوته ولا يقدح في ذلك اتباعه اياه في جزئيات لم يتوقف عليها شريعته
وكم من مسئلة استفادها ابو بكر وعمر من اصاغر الصحابة فان قلت ما تقول في
الخضر هل هو حي ام لا قلت العلم عند الله في ذلك اذ لم يرد نص يدل على حياته
ولا موته وارباب القلوب واصحاب الكشوف متفقون على حياته واكثرهم يخبر
عن الاجتماع به رزقنا الله تعالى الوصول الى ذلك * ويسئلونك عن ذي القرنين *

ثالث

ثالث القصص التي امتحنته اليهود بها وذو القرنين لانه ملك المشرق والمغرب كان
نبيا او وليا وليس كما زعم فانه كافر فلسفي تلميذ ارسطاليس قيل كان في زمن ابرهيم
عليه السلام وانما سمي بذي القرنين لانه ملك المشرق والمغرب وقيل لانه رأى في نومه
كانه اخذ بقرني الشمس وقيل كان في رأسه شبه القرنين وقيل كان له ضفيرتان وقيل
كان لتاجه قرنان وسأل ابن الكوا علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال كان عبدا
صالحا احب الله تعالى فاحبه ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله تعالى فمات ثم بعثه الله
ثم ضرب على قرنه الايسر فسمي ذو القرنين وفيكم مثله يريد نفسه فانه
ضرب على قرن رأسه يوم الخندق وضرب على قرنه الآخر ابن ملجم لعنه الله تعالى
اذ اراد انه يحب الله ورسوله ويحبانه وهو الظاهر لقوله عليه السلام يوم خيبر لاعطين
الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبانه * قل سأتلو عليكم منه * من شأنه وحاله
ذكرا * قرآنا او ما يذكر على وجه الزمان الى آخر الدهر لعدم اختلاله * انا مكنا له في الارض *
جعلناه متمكنا يتصرف فيها بلا مانع قيل ملك بسيط الارض مؤمنان سليمان عليه السلام
وذو القرنين وكافران نمرود والضحاك * وآتيناه من كل شيء سببا * ما يتوصل
به الى مقصوده من علم وقدرة وسائر الآلات * فاتبع سببا * اراد بلوغ المغرب
فاتبع طريقا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر اتبع من الافعال متعديا الى
مفعول كقوله فاتبعه شهاب او احد المفعولين محذوف اي امره او سببا
سببا والافتعال ابلغ مع عدم الحذف * حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة * ذات حمأة وهي الطين الاسود وقال اليزيدي قرأ معاوية
في عين حامية فقال له ابن عباس رضي الله عنه حمئة فقال لابن عمر كيف تقرأ
فقال حمئة فارسل الى كعب الاحبار كيف تجدها في التورية قال تغرب في ماء
وهي الحماة وهي الطين الاسود وقد الم به تبع في شعره يصف ذا القرنين فرأى
مغاب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرمد وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر حامية من حمي كرضي اي في عين حارة وعن ابي ذر كنت رديف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس فقال هل تدري اين تغرب الشمس قلت
الله ورسوله اعلم قال انها تغرب في عين حامية وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نظر الى الشمس حين غابت فقال في نار الله الحامية لولا ما يزعها من امر الله
لاحرقت ما على الارض فلا تنافي لامكان الوصفين * ووجد عندها قوما * كفار
لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر * قلنا يا ذا القرنين * نداؤه
ان كان بلا واسطة وهو الظاهر فهو نبي والا فبالهام او على لسان نبي * اما
ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا * خيره بين القتل والدعوة الى الاسلام
قال اما من ظلم * بالاستمرار على الكفر * فسوف نعذبه * بالقتل * ثم يرد الى ربه

فيعذبه عذابا نكرا عذاب النار الذي لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا
فله جزاء الحسنى حسنات اعماله او الكلمة الحسنى وهي كلمة الايمان وقرا حمزة و
والكسائي وحفص جزاء منصوبا منونا على المصدر او الحال من الفاعل او المفعول
او تمييز وسنقول له من امرنا يسرا ذا يسر وسهولة لا مشقة فيه ويجوز
ان يكون التخيير بين القتل الاسر واتخاذ الحسنى ابقاء ارواحهم وعلى هذا جوابه
من الاسلوب الحكيم لانه تعرض للايمان الذي خلا عنه التخيير وعلى الوجهين راعى
تقديم ما من الله تعالى على ما منه ثم اتبع سببا طريقا موصلا الى المشرق في
لفظ ثم اشارة الى انه انما توجه بتمهيد جانب الغرب وضبط احواله حتى اذا
بلغ مطلع الشمس الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وجدها
تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قيل ارضهم لا تمسك البناء لهم
اسراب يدخلونها عند طلوع الشمس فانهم لا يقدرون على حرها فاذا ارتفعت
خرجوا وترددوا في امر المعاش روي ان رجلين وصلا اليهم وهم وراء الصين
فاذا احدهم يفرش احدى الاذنين ويتغطى بالاخرى وقيل لستر اللباس وقد
شاهدنا نحن ببلاد مصر ما يجلب من السودان لا لبس لهم اصلا بل وفي طريق
الحجاز خلق كثير كذلك امر ذي القرنين كما ذكرنا في القوة ورفعة الشان
او بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها او مثل ذلك القوم الذين تغرب عليهم
الشمس في الكفر والضلال وقد احطنا بما لديه خبرا زيادة تعظيم لامره
على الاول وانه فوق ما وصف له اسباب لا يحيط بها الا علم اللطيف
الخبير وعلى الثاني تعظيم للاسباب الموصلة له الى ذلك المكان اتسع
الذي لم يصل اليه احد قبله وعلى الثالث تتميم يؤكد انه سن بهم ما سن
باولئك الذين عند مغرب الشمس ثم اتبع سببا طريقا الى صوب
الشمال حتى اذا بلغ بين السدين وهما الجبلان اللذان بني السد بينهما
قيل هما جبلا ارمنية واذربيجان وقيل منقطع ارض الترك من ورائها
ياجوج وماجوج وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص بفتح السين وهما لغتان وعن
ابي عبيدة الضم لفعل الخالق والفتح لفعل المخلوق وتعارضان وبه استقام
وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لفرط جهلهم وقرا حمزة والكسائي
بضم الياء وكسر القاف اي لا يكادون افهام الغير لغرابة لغتهم قالوا يا ذا
القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض اي في ارضنا هما طائفتان
عظيمتان وراء السد روي انه لا يموت احدهم حتى يولد له الف نفس وهما
من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم
وقيل ياجوج الذكران وماجوج من الاناث وهما اسمان عجميان كهاروت

وماروت وعن الاخفش انهما عربيان من همز وهو عاصم جعل الالف اصلا
فياجوج يفعول وماجوج مفعول ماخوذ من اجيج النار ومن لم يهمز جعل الالف
زائدة فياجوج من يجج وماجوج من مجج وعدم الانصراف للعلمية
والتانيث فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز بيننا
وقرا حمزة والكسائي خراجا والخرج والخراج واحد كالنول والنوال
والحصد والحصاد وقيل الخرج الجعل والخراج ما يضرب على الارض وقيل الخرج
مصدر والخراج اسم وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخراج
اعم على ان زيادة البناء لزيادة المعنى هذا وكل منهما يستعمل في موضع الآخر
قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي
وقرا ابن كثير مكنني بالاظهار اعتبارا للاصل لان نون الوقاية كلمة مستقلة وعليه
رسم المصحف المكي وعلى الادغام سائر الرسوم فاعينوني بقوة من
الصناع والآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا موثقا من قولهم
ثوب مردم اي رقاع فوق رقاع واردمت الحمى دامت آتوني زبر
الحديد قطع الحديد واحدها زبرة وهي القطعة الكبيرة من الزبر وهو القوي
الشديد وهذا لا ينافي رد الخراج لان الايتاء بمعنى المناولة او بمعنى الاتيان
كقوله آتنا غداءنا ودل عليه قراءة ابي بكر ائتوني بهمزة الوصل حتى اذا
ساوى بين الصدفين بين راسي الجبلين صدف الشيء اعلاه ولا يقال الا
اذا قابله مثله كالزوج وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الدال والصاد
واسكان الدال والفتح لغة الحجاز الافصح قال انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا
جعله نارا كالنار قال آتوني افرغ عليه قطرا نحاسا مذابا سمي به لانه يقطر
وقد حذف مفعول الاول لدلالة الثاني عليه ولم يلتبس والا لاضمر في الثاني
على ما هو المختار وقرا حمزة بهمزة الوصل ولابي بكر وجهان قيل حفر الاساس حتى
بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد
بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى
اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد فاختلط والتصق
بعضه ببعض فصار جبلا صلدا لا يقدرون عليه قيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ
فما اسطاعوا ان يظهروه لغاية علوه وما استطاعوا له نقبا لغاية صلابته
وثخانته وقرا حمزة فما اسطاعوا بالادغام جعله استطاعوا مع التاء لتقاربهما
اجراء للوصل مجرى الوقف ردا للخفة قال هذا الردم رحمة من ربي نعمة عليكم
ليس لحيلكم منه فاذا جاء وعد ربي وقت خروج ياجوج وماجوج جعله دكا
مدكوكا من دككت الشيء كسرته وساويته بالارض وقرا الكوفيون دكاء

فعلاً اي صار مستوية وعن الفراء هما مصدران كاللبس واللباس: وكان وعد ربي
حقاً: ثابتا لا محالة: وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض: اي وقت مجي الوعد جعلنا
ياجوج وماجوج يموجون مختلطين من ماج البحر اضطرب وعن ابن عباس ماج
الانس والجن يتردد: ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً: للحساب والجزاء: وعرضنا جهنم
يومئذ للكافرين عرضاً: ليشاهدوها وبرزت الجحيم لمن يرى: الذين كانت اعينهم
في غطاء عن ذكري: اي عن النظر في الآيات المبثوثة في الافاق والانفس ليتوجهوا
الى ذكري بكل جميل او الذكر هو القران والاعين البصائر والغطاء التغافل والاعراض عن
التامل فيه: وكانوا لا يستطيعون سمعاً: كناية عن غاية الاعراض ابلغ من قوله صم لان
الاصم اذا صيح به يسمع وهولاء سلب منهم الاقتدار: افحسب الذين كفروا ان يتخذوا
عبادي من دوني اولياء: عطف على كانت والمعنى ابعد ذلك التعامي والتصام
يعتقدون ان ولاية الملائكة وعيسى نافعة لهم وضع المظهر موضع المضمر دلالة على ان منشا
ذلك الحسبان هو الكفر وقد نسب الى ابي بكر وهي قراءة علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا
بسكون السين والمعنى اكافيهم ذلك عدة لهم من دون سائر العقائد وعلى هذا
ان مع ما في حيزه فاعل النعت: انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً: طعاما مهيا للضيف
اذا نزل تهكم وبشارة الى ان بعده عذابا يستحقر هذا دونه وعن الزجاج هو المنزل الاولى
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالاً: تمييز جمع للدلالة على الانواع وان لكل نوع كافر
زيادة خسرانهم وقد روى البخاري عن مصعب بن الزبير قال سألت ابي عنهم اهم الحرورية
قال لا وهم اليهود والنصارى: الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا: ضاع وبطل خبر مبتدا محذوف
لانه جواب سؤال او نعت للاخسرين والجواب اولئك: وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعاً: باتعاب انفسهم في انواع العبادات مع فوات شرائطها: اولئك الذين
كفروا بايات ربهم: بالقران وما فيه من دلائل التوحيد والنبوة مستانف جار مجرى التعليل
ولقائه لعدم اعتقادهم بالبعث: فحبطت اعمالهم: سقطت ولم يعتد بها: فلا نقيم لهم
يوم القيمة وزناً: ميزانا لعملهم اذ ليس لسيئاتهم مقابل بخلاف الموحد وعن ابن عمرو رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوتى برجل من امتي فينشر له تسعة وتسعون سجلاً
كل سجل مثل مد بصره ثم يقول الله هل ظلمك الحفظة فيقول لا يارب فيقول هل لك عذر
فيقول لا يارب فيقول ان لك عندنا امانة فتخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله
فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات فلا يثقل مع اسم الله تعالى شيء او هو كناية عن
الازدراء بهم فيقال ليس لفلان عندنا وزن اي مقدار وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه لياتي
الرجل العظيم يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة فاقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم
يوم القيمة وزناً: ذلك: اي الامر ذلك: جزاؤهم جهنم: مبتدا وخبر او ذلك

مبتدا

مبتدا او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان او ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد
محذوف اي به او له: بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزواً: مهزوا بهم
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً
هو وسط الجنة روى مسلم والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة ومنه تتفجر الانهار
وهو كلمة رومية: خالدين فيها: حال مقدرة: لا يبغون عنها حولاً: لانقطاع
الاماني فلا مطلب بعده: قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي: المداد اسم
لكل ما يمد به والمراد هاهنا ما يمد به الدوات: لنفد البحر: جنس البحر بحيث
لم يبق منه شيء: قبل ان تنفد كلمات ربي: لا تنفد ابدا لان هناك
نفاذاً محققا او مقدرا على ما يتوهم من معنى القبلية وانما عدل اليه للنزل
للمزاوجة وان ما لا ينفد عند العقول القاصرة ينفدون نفادها وقرا حمزة
والكسائي ينفد بالتذكير والتانيث هو المختار لعدم الفصل: ولو جئنا بمثله
مدداً: عونا او زيادة للتناهي الى غيره: قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الي انما الهكم اله واحد: لا اقول لكم الا بذلك دفع ولو جئنا بمثله مددا
عونا وزيادة تنبيه لطعنهم لا ابطائي جواب السؤال الذي هو سبب نزول
السورة: فمن كان يرجوا لقاء ربه: رؤيته او ثواب الطاعة عند العرض
فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً: لا يرائي بعمله روى البخاري
وابن ماجه واحمد بن حنبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الناس
يوم القيمة نادى منادٍ من كان اشرك في عمله لله فليطلب ثوابه من
عند غير الله فان الله اغنى الشركاء واما اذا احمده الناس من غير رياء فلا عليه
لما روى مسلم عن ابي ذر انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يعمل الخير ويحمده
الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن تمت بحمد الله وكفاه وفضله و
الصلوة على محمد وصحبه واله ما طلع القمر نبراسه واله **سورة مريم مكية الا اية**
السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
كهيعص: اسم السورة او حروف التهجي ايقاظاً وتقريعاً وامال ابن عامر
وابو بكر وحمزة والكسائي ياء من هذه الحروف والسوسي في وجه وامال ابو عمرو
وابو بكر والكسائي ها وامال نافع الف ها وياء امالة تقليلا لان هذه الحروف
اسماء وصل الفها الياء بدليل الانقلاب في التثنية: ذكر رحمت ربك: خبر مبتدا
محذوف اي فيما يتلى عليك او خبر ما قبله ان جعل اسم السورة: عبده: مفعول
الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعل على الاتساع مثل ذكرني جود زيد: زكريا
بدل او عطف بيان وقرا حمزة والكسائي وحفص بحذف الهمزة مقصورا وهي لغة

ونادى ربه نداء خفيا لان الاخفا والجهر عند الله سيان ولانه يشعر بالضعف المناسب
للاجابة ولانه ادخل في الاخلاص اولئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر اولانه خاف
من مواليه الذين خافهم من ورائه فاستره فان قلت النداء رفع الصوت فكيف
يستقيم فيه بخفا قلت النداء ممدودا مطلق الصوت والذي هو مقيد برفعه
مقصور قيل نادى وسنه خمس وستون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون
قال رب اني وهن العظم مني خصه بالذكر لانه عمود البدن واشد ما ركب منه
الجسد فاذا وهن كان ما وراه اوهن وافرده لان الغرض ان هذا الجنس
مع صلابته وشدته تطرق اليه الوهن ولو جمعه لكان المعنى ان الوهن قد اصاب
كل فرد منه لا بعضا وليس هو بصدد بيان ذلك لا انه قصد الاستغراق هو
في المفرد اشمل فانه مع كونه ليس بغرض غير مستقيم في المعرف واشتعل الرأس شيبا
شبه انتشار الشيب في الرأس باشتعال النار في الحطب بجامع النشو والظهور
ثم اخرجه في صورة الاستعارة مبالغة والقرينة اسناد الاشتعال الى الرأس وتشبيه
الشيب بالنار والوجه الانبساط فالاستعارة مكنية والاشتعال تخييل
وانما اطنب لان مقام اظهار العجز يقتضيه ولولا ذلك لكفى ان يقول رب
شخت ولم اكن بدعائك رب شقيا خطا فيما سلف وطلب الولد
من مثلي وان لم يكن معتادا متعارفا ولكن جودك واجابتك دعوتي
متعارف مستمر وقف سائل على كريم فقال له من انت قال انا الذي احسنت
اليه وقت كذا قال مرحبا بمن توسل الينا بنا واني خفت الموالي من ورائي
مواليه بنو عمه كانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان يبدلوا بعده ومن ورائي يتعلق
بمعنى الولاية في الموالي لا بخفت لفساد المعنى وكانت امرأتي عاقرا فهب
معنى لا تلد فهب لي من لدنك من كمال قدرتك التي تخترع بها الاشياء
وان لم يكن حصول الولد من العاقر والشيخ متعارفا وليا ولدا من صلبي
لقوله من لدنك ذرية طيبة يرثني ويرث من آل يعقوب وقرأ حمزة وابو عمرو
والكسائي بالجزم على انه جواب الامر والرفع على الوصف لموت زكريا قبل يحيى
على الاكثر او على التقييد بظنه كما في قوله عليه السلام كل ذلك لم يكن في جواب
ذي اليدين اقصرت ام نسيت مع انه كان ناسيا ويحمل على الاستئناف علة
للسؤال بغير ادخل في المسؤول بعيد والوراثة النبوة والعلم لا المال لقوله عليه السلام
نحن معاشر الانبياء لا نورث ويعقوب هو اسرائيل بن اسحاق اراد بالارث
من آله الملك او العلم والنبوة ويكون من للتبعيض لان آله ليسوا كلهم انبياء
ولا علماء وقيل يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب وعمران ابو مريم اخوان
من نسل سليمان عليه السلام واجعله رب رضيا مرضيا من عندك او راضيا

بقضائك وقدرك يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى سماه الله تعالى
باسم غريب من عنده تشريفا له والبشارة على لسان الملائكة لقوله فنادته
الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك لم نجعل له من قبل شبيها
لقوله هل تعلم له سميا قال بهذا الاسم وكذلك رسول الله عليه السلام
لم يسم احد قبله بمحمد وقيل لم نجعل له من قبل شبيها كقوله هل تعلم له سميا
قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر
عتيا استبعاد عادة وان كان موقنا بان الله قادر على ذلك
او الاستبعاد ليس راجعا اليه بل الى غيره فاذا اجيب بما اجيب ازداد
المؤمنون ايقانا والمبطلون ارتدادا وعن الحسن ليس هناك استبعاد
بل انما سأل كيفية الحصول اهو على تلك الحالة او بعد عود الشباب
يؤيد قوله واصلحنا له زوجه والعتي نهاية السن من عتا الشيخ اذا كبر
وولى واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين فكسروا التاء
فقلبت الواو الاولى ياء لكسرة ما قبلها فاجتمعت الواو والياء و
سبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر العين على الاتباع وهو خفف
والمختار لانفاتهم في حقيقتهم قال كذلك اي الامر على ما ذكرت قال
ربك هو علي هين وان كان مستبعدا عادة ويجوز ان يكون الكاف
في محل النصب مفعول قال الثاني وهو مع قوله مفعول الاول وقوله
هو علي هين مفسر لما اشير اليه بذلك والخطاب لزكريا لقوله وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئا فقط او شيئا يعتد به كقول ابي الطيب شعرا
اذا رأى غير شيئ ظنه رجلا وهذا مجاز شايع فلا يدل على كون المعدوم ليس
بشيئ وقرأ حمزة والكسائي خلقناك قال رب اجعل لي آية علامة
تدل على وقوع المبشر به لتتم على القيام بشكره قال آيتك ان لا تكلم
الناس ثلاث ليال مع ايامها لقوله في آل عمران ثلثة ايام سويا
ليس بك اعتقال من خرس وانما الآية ليقوم بالشكر فسلبت قدرة الكلام مع
الناس لئلا يشتوش بذكر الله غيره فخرج على قومه من المحراب من مصلاه حين
اعتقل لسانه فاوحى اليهم اشار اليهم لقوله الا رمزا وعن ابن عباس كتب
على الارض ان سبحوا بكرة وعشيا صلوا او نزهوا في الوقتين كانهم امروا
ان يوافقوه في العبادة وان مفسرة لان الوحي فيه معنى القول يا يحيى خذ
الكتاب بقوة قلنا له بعد ولادته وبلوغه حد الفهم والكتاب هو التورية
وآتيناه الحكم صبيا العلم والعقل وفي الحديث الصمت حكم قيل دعاه اترابه

الى اللعب فقال ما للعب خلقنا او النبوة احكم الله عقله وارسله الى الناس
وحنانا من لدنا: رحمة وبركة على الناس يتبركون به لما رآى ورقة بن نوفل
بلالا يعذب قال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اراد اتخاذ قبره
مزارا: وزكوة: صدقة على ابويه او تزكوا به الناس يطهرون من الذنوب
او جعلناه زكيا طاهرا من قبيل رجل عدل روى ابن جرير واحمد بن حنبل
عن ابن عباس رضي الله عنه ما من احد الا وعمل سيئة او هم بها الا يحيى بن
زكريا عليهما السلام: وكان تقيا: شديد التقى: وبرا بوالديه: شديد البر
بهما: ولم يكن جبارا عصيا: عاقا يجبر الناس على مراده نفى صريحا ما علم
ضمنا مبالغة في وصفه وايثار عصيا على عاصيا مع كونه اوفق مراعاة
لرؤس الآي: وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا: ثناء
عليه واخبار بان خاتمته على وفق فطرته التي يولد عليها كل مولود وعن ابن
عيينة خصها بالذكر لانها اوحش المواطن: واذكر في الكتاب مريم ابنة
عمران: اذ انتبذت: اعتزلت عن مبالغة بنفسها من النبذ وهو الطرح
وانما اتبع قصة زكريا بقصتها لانها اعجب ترتيبا: من اهلها مكانا
شرقيا: شرقي بيت المقدس او شرقي دارها وعن ابن عباس لذلك
اتخذت النصارى المشرق قبلة: فاتخذت من دونهم حجابا: حائطا
او نحوه كان موضعها المسجد فاذا حاضت انتقلت الى بيت خالتها
فاذا طهرت عادت الى المسجد: فارسلنا اليها روحنا: جبريل لانه
الآتي بالوحي الذي هو سبب الحيوة الابدية: فتمثل لها بشرا سويا:
تام الخلق قيل جاء في صورة امرد وضيء الوجه جعد الشعر اذ لو بدا لها
في صورته لم تقدر على سماع كلامه وقيل ليتحرك شهوتها فيتحدر الى الرحم
قالت اني اعوذ بالرحمن منك: اثرت اسم الرحمن وله موقع لا يخفى
ان كنت تقيا: فان التقوى هي الملائكة في مثل ذلك المقام وايثار
ان يبعد الرجاء مع التعرض والدخول عليها في خلوة بعيدة عن الناس
من غير اذن: قال انما انا رسول ربك: الذي استعذت به: لاهب
لك غلاما: خبيئة لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع
وقرا ابو عمرو وورش ليهب لك بالياء مسندا الى المضاف وعليه رسم
المصاحف فان قلت قد ذكر في آل عمران ان الملائكة بشرتها بغلام
اسمه المسيح وهنا ذكر ان المباشر لذلك هو جبريل وحده فنيت كلام
الملائكة والبشارة به مع ذكره باسمه ولقبه انما كان بعد قصة جبريل ولذلك
اقتصرت على الاستبعاد ولم يستوعب الكلام بذكر ابني وما جرى بينهما

وبين

وبين القوم من المحاورة: زكيا: طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير والصلاح
قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر: يريد النكاح فان السفاح لا يكنى عنه
ولذلك اردفته بقولها: ولم اك بغيا: فعول اذ لو كان فعيلا لقيل بغية
وحمله على المبالغة تشبيها بفعول او على النسب كطالق وحائض تكلف
قال كذلك قال ربك هو علي هين: قد سبق تقريره: ولنجعله آية للناس
معلله محذوف اي فعلنا ذلك وهو مع العلة معطوف على قوله هو علي
هين وفي ايثار الاولى اسمية ودلالة على لزوم الهون ازالة للاستبعاد وقيل
او عطف على مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وفيه تطويل بلا طائل: ورحمة
منا: على العباد بارساله: وكان امرا مقضيا: لا محالة لسبق العلم به او حقيقا
بان يكون لكونه آية من آيات الله فهو من تتمة العلة: فحملته: بان نفخ في الدرع
لقوله فنفخنا فيه من روحنا: فانتبذت به: حاملة به كقوله تدوس بنا الجماجم
والتريبا: مكانا قصيا: بعيدا من اهلها قيل كان لها ابن عم يسمى يوسف
وقد سميت له فلما ظهر الحمل عليها هرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته
نفسه بقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس اياك ان تقتلها
فانتهى عزمه: فاجاءها المخاض الى جذع النخلة: الجاءها وضع الولادة قال
الفراء اصله المجيء وقد جعلته العرب الجاء قال زهير شعرا وجار سار
معتمدا اليكم اجاءته المخافة والرجاء والجذع ما بين العرق والغصن واللام
للجنس او العهد اذ لم يكن هناك غيرها قيل كانت نخلة يابسة لا رأس لها
ولا خضرة فاخضرت واثمرت رطبا وهو خرسة النفساء وشان النخل
ان لا يثمر بدون التلقيح وكان الوقت شتاء حتى اذا رأوا ذلك ارتدعوا
عن اتهامها وايقنوا بان شانها الولادة من غير زوج شان النخلة من غير
تلقيح في غير اوان الثمر: قالت يا ليتني مت قبل هذا: حياء من الناس لا
كراهة لحكم الله تعالى قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت بضم الميم من
مات يموت وهو المختار الاكثر: وكنت نسيا: شيئا حقيرا شانه ان
ينسى وقيل مصدر سمي به وقرا حمزة وحفص بفتح النون قال الفراء هما
لغتان ومعظم العرب على الكسر: منسيا: لحقارته لا يخطر بالبال
فناديها من تحتها: من تحت ثياب مريم عيسى او جبريل فانه كان بمثابة
القابلة لها او من مكان اسفل منها وعن قتادة الضمير للنخلة وقرا نافع وحمزة
والكسائي وحفص بكسر الميم وخفض تحتها في ناديها ضمير عيسى او جبريل
والفتح هو المختار لخفته واغنائه عن الاضمار: ان لا تحزني قد جعل ربك
تحتك سريا: نفيسا شريفا هو عيسى من سرو الرجل سار وفي حديث

ام زرع تزوجت سريا اي سخيا او جدول ما يؤيده قوله وهزي اليك
بجذع النخلة امیله اليك والباء صلة للتوكيد او على معنى افعلي الهز كقوله
يجرح في عراقيبها نصلي تساقط عليك تتساقط ادغمت التاء في السين
وقرا حمزة بحذف التاء رطبا تمييز على الوجهين وقرا حفص تساقط
مضارع ساقط ونصب رطبا مفعولا والتشديد ابلغ جنيا طريا مجنيا
من الشجر قيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل
اذا عسر الولادة لم يكن لذات الطلق خير من الرطب فكلي من الرطب
واشربي من السري او من شراب الرطب وقري عينا طيبي نفسا
نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرى بكسر القاف وهي لغة نجدیة
تدمع باردا وعند غاية السرور ومنه قرة عين فاما ترين من البشر احدا
فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا او نذرت صوما فلن اكلم اليوم
انسيا وكان الكلام حراما على الصائم اخبرتهم بالاشارة لقوله فاشارت
اليه وقيد البشر لاخراج الملائكة فاتت به قومها بعدما طهرت من النفاس
تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من الفري القطع
كانها اخبرت عنه من عندها يا اخت هارون ارادوا اخا موسى عليه السلام
لانها كانت من اعقاب من كان في طبقته وكان بينهما الف سنة وعن
السدي انها كانت من اعقاب هارون وقولهم يا اخت كقولهم يا اخ العرب
اي واحدا منهم وقيل كان في زمانها رجل صالح يسمى هارون شبهوها به اما
حقيقة او تهكما وقيل كان رجلا فاجرا ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت
امك بغيا من ابن شريا ابيك هذا الفعل اشارة الى ان ارتكاب الفواحش
من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه اي الى عيسى ان كلموه قالوا
تسخرينها بنا اشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا
كان صلة من اي كيف نكلم الذي كان بالامس صبيا ولم يزل عنه الصبا
او صفة ما كلمنا موصوفا بالصبا حتى نكلم هذا والعدول الى المضارع لتصوير الاستمرار
او زائدة او بمعنى صار وعلى الوجوه كيف للتعجب قال اني عبد الله اتاني الكتاب
انطقه الله تعالى زكريا وقيل كان يرتضع فلما سمع مقالتهم ترك الثدي والتفت اليهم ورفع اصبعه
وكان اول ما تكلم به الاقرار بالعبودية تكذيبا لمن يدعي فيه الالوهية والكتاب هو
الانجيل قيل استنبأه الله في الصبا مثل يحيى وقيل هو باعتبار المال وجعلني نبيا
وجعلني مباركا واي بركة اعظم من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى اعاد
الفعل للدلالة على كمال الصفتين حيث استقلت كل واحدة بجعل اينما كنت
صرت او كون وايثار الماضي دلالة على تحقق الوقوع واوصاني بالصلوة والزكاة

زكوة المال او طهارة النفس عن الرذائل وايثار الاقتضاء على الامر للدلالة على
اللزوم حتما ما دمت حيا دوام حياتي وبرا بوالدتي عطف على مباركا
وتوسيط الامر بالصلوة والزكاة للاهتمام ولم يجعلني جبارا متكبرا شقيا
عنده والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا واللام
فيه للجنس تعريضا باللعن على اعدائه كقوله والسلام على من اتبع الهدى فانه
تعريض بان العذاب على من كذب وتولى وجعله للعهد لتقدم سلام يحيى غير
سديد لان ذلك السلام لا يكون لعيسى عليه السلام روي سعيد بن ابي عروة
عن قتادة عن الحسن ان عيسى ويحيى التقيا فقال عيسى ليحيى استغفر لي فقال
انت خير مني استغفر لي كيف اكون خيرا منك وسلم الله عليك وسلمت على
نفسي وجعله من قبيل هذا الذي رزقنا من قبل يرده انقطاع هذا الكلام منك
عن ذلك واستقلال القصة ذلك عيسى ابن مريم مبتدا وخبر اي المقر بالعبودية
الموصوف بصفات المخلوقين من الحمل والولادة لا ما يصفه النصارى بصفات
الالوهية ولا ما يصفه اليهود ولد من غير رشدة قول الحق كلمة الله خبر بعد خبر او بدل
او خبر مبتدا محذوف وقرا ابن عامر وعاصم النصب على انه مصدر مؤكد اي قلت
لكم في شانه قول الصدق او على المدح والحق هو الله تعالى والرفع ابلغ مع سلامته
من الحذف الذي فيه يمترون يشكون او يجادلون اي اليهود والنصارى
ما كان لله ان يتخذ من ولد استيناف لتكذيب النصارى سبحانه تنزيه
بفعل لازم الحذف اذا قضى امرا تعلقت ارادته به فانما يقول له كن فيكون
ومن هذا شانه غني عن الولد واشارة الى كون عيسى كلمة كن انما حقيقة لان التعلق
عبرت بان ايجاد الاشياء يكون مسبوقا بها او لما كان يكون الاشياء لازما
لتعلق ارادته بها شبهته ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المامور
الممتثل وان الله ربي وربكم قرا الكوفيون وابن عامر بكسر ان على
الاستيناف او عطفا على اني عبد الله والباقون بالفتح عطفا على الصلوة
او لان الله ربي وربكم فاعبدوه والكسر ابلغ هذا صراط مستقيم
لا زيغ فيه فاختلف الاحزاب من بينهم الذين تحزبوا من تحزب
على الانبياء وهم اليهود الذين لم يصدقوه وارادوا قتله او الذين تحزبوا
بعد رفع عيسى عليه السلام وهم الفرق الثلث من النصارى نسطورية
قالوا هو ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله وملكانية هو عبد الله ورسوله
وهولاء انما كفروا بانكار نبوة محمد عليه السلام فويل للذين كفروا من مشهد
يوم عظيم من الشهود مصدر او زمان او مكان والمعنى من شهود
الحساب وهوله فالاضافة بمعنى في على الاتساع او مكان الشهود فيه

وهو الموقف فالاضافة للملابسة او وقت الشهود فالاضافة بمعنى
من او من الشهادة مصدرا او زمان او مكان والمعنى من شهادة الاعضاء
والسنتهم وايديهم وارجلهم عليهم بالمعاصي او من وقت الشهادة او من
مكانها والاضافة على التفضيل. اسمع بهم وابصر. ما اسمعهم في ذلك
اليوم وابصرهم بعد ما كانوا في الدنيا صما عميا او المعنى شانهم حقيق
بان يتعجب منه المتعجبون فتعجبوا اولا وقيل لا تعجب بل خطاب له
بان يسمعهم مواعيد ذلك اليوم ويبصرهم والجار والمجرور محذوف من
الثاني لدلالة الاول عليه وعن ابن مالك انه مستتر فيه وانما استقيم
عند من يجعل المجرور فاعلا وهو مذهب سيبويه واما اذا جعل مفعولا
او جعل الخطاب امرا فلا وجه له. ويوم ياتوننا يوم القيمة. لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين. الكاملون في الظلم مستغرقون في الضلال المبين
باغفال النظر. وانذرهم يوم الحسرة. لعلهم يتفكرون فيه عن ابي سعيد
الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت في صورة كبش املح
فينادي مناد يا اهل الجنة فيشرئبون فينظرون فيقول لهم هل تعرفون هذا فيقولون
نعم هذا الموت وكلهم قد عرفوا ثم ينادي يا اهل النار فيشرئبون فينظرون فيقول
لهم هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راوه فيذبح بين الجنة
والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم
قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة. اذ قضي الامر. بدل من يوم
او ظرف الحسرة. وهم في غفلة. عطف على الظالمون. في ضلال او حال من
الضمير في الظرف وانذرهم اعتراض يؤكد ما هم فيه من الضلال او متعلق بانذرهم
اي انذرهم غافلين غير مؤمنين حالان فيهما معنى التعليل ولا يرد انما انت
منذر من يخشيها لان ذلك بالنظر الى النفع كقوله انما تنذر من اتبع
الذكر وهذا بالنظر الى التنبيه لقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وهم لا يؤمنون
انا نحن نرث الارض ومن عليها. في ذلك اليوم لا ملك ولا ملك لاحد
لمن الملك اليوم. والينا يرجعون. للجزاء. واذكر في الكتاب ابراهيم. قدوة
الموحدين تبكيتا لمن يدعي الانتساب اليه من اليهود والنصارى والمشركين
والذاكر وان كان هو الله الا انه اسند اليه لانه المبلغ عنه والناطق باوامره
ونواهيه او الذكر بمعنى التلاوة. صديقا. بليغ الصدق لانه صدق بكتب الله
ورسله ومن كان كثير التصديق كان كثير الصدق في تصديقه فيفيد المبالغة كما
وكيفا. نبيا. مخبرا عن الله من باب الترقي لان النبوة اعلى فذكر الصديق
تمهيدا لها. اذ قال. بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان اي كان

جامعا

جامعا بين الوصفين وقت دعوة ابيه او تصديقا وهو وجه حسن لدلالته على كمال
صدقه في نصيحة. لابيه يا ابت. هذه تاء التانيث لحقت المنادى عوضا عن المضاف
اليه ووقف عليها ابن كثير وابن عامر بالهاء وعليها هو الاصل في تاء التانيث والباقون
بالتاء مراعاة للرسم. لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا. لم ينصح
بخطابه مع كونه موقنا به سلوكا لطريقة الادب واشفاقا لقوله وصاحبهما في
الدنيا معروفا بل ساله سؤال منبه على تماديه في الغي وافراطه فيه وتنبيهه مشيرا
الى ان المعبود ولو كان سميعا بصيرا نافعا ضارا الا انه يكون مخلوقا كان المخلوق
لا يستحق العبادة لانها غاية الخضوع فلا يستاهلها الا من له غاية الكبرياء ونهاية العلو
والسناء فكيف بجماد لا شعور له بعبادة من يعبده فضلا عن الثواب او دفع العقاب
ثم دعاه الى الحق مترفقا به متلطفا. يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني
اهدك صراطا سويا. لم يسم اباه جاهلا ولا وصف نفسه بالعلم الفائق بل ان عنده شيئا
من العلم وذلك علم الدلالة على الطريق السوي وكانه قال هب اني واياك في مسير
الى المقصد ولي علم طريقه فلا تستنكف عن اتباع الدليل فانه امر متعارف لم يزل ذلك
داب الملوك في قطع الفيافي والمفاوز يقيدون بالادلاء ولا يرون ان ذلك
يعود عليهم بنقص. يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا. ومن كان
عصيا له حقيق بالمعادات فلا تتخذ من كان عدوا له صديقا واقتصر على كونه عدوا لله
دون آدم لاستلزامه اياه وقيل لترقيه في الربانية. يا ابت اني اخاف ان يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا. لم يجزم بلحوق العذاب بل ذكر خوفه
والمس الدال على القلة مع تنكير العذاب المؤذن بيسير منه مع استحقاقه اشد
العذاب لو استمر على الكفر جريا على مسلك الادب على السنن السابق وآثر
ذكر الرحمن لتقدمه او لان ذلك ايضا شعر بقلته لدلالته على فرط الرحمة وسبقها
الغضب وما قيل ان تنكير العذاب للتعظيم وايثار لفظ الرحمن للمبالغة في ذلك
على ما يقولون نعوذ بالله تعالى من غضب الحليم فمما يابا المقام وانما ذكر ولاية الشيطان
بعد العذاب لانها اشد كما ان رضوان الله من الجنة اكبر. قال اراغب انت عن
الهتي يا ابراهيم. ناداه باسمه ولم يقابل قوله يا ابت بيا بني والاستفهام
للتعجب قيل قدم الخبر لكونه اهم عنده والاولى جعله مبتدا وانت فاعل سادا
مسد الخبر لئلا يقع الفصل بين اراغب ومعموله بالاجنبي. لئن لم تنته لارجمنك
بالشتم واللعن ومنه الرجيم للشيطان او لاقتلنك شر قتلة بالحجارة. واهجرني
عطف على مقدر دل عليه لارجمنك. مليا. دهرا طويلا من الملاوة او سالما
من تمليت عمري اي استمتعت به. قال سلام عليك. متاركة الجاهل يعني
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. ساستغفر لك ربي. بالتوفيق للتوبة

او لم يكن له علم بان الله لا يغفر لمن اشرك به ومنه قول عيسى عليه السلام وان تغفر لهم فانك
انت العزيز الحكيم وهو الاوجه لانه نهي عن الاقتداء به وبين ان ذلك كان لموعدة وعدها
اياه فلا الاستغفار بالتوفيق للايمان لا انكار فيه ∴ انه كان بي حفيا ∴ بليغا في البر والحفاوة
وهي المبالغة والاستقصاء بالشيء ومنه في الحديث ان يكف الشارب ∴ واعتزلكم
وما تدعون من دون الله ∴ بالمهاجرة الى الارض المقدسة كان بارض حران ∴ وادعوا ربي
خاصة ولا اشرك به ∴ عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا ∴ اي بعبادته فان الدعاء
مخ العبادة وفي اشارة عسى اشارة الى ان العبادة امارة النجاة لا جازم معها وفيه
هضم النفس ∴ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب ∴ عاش
حتى رآه ولم يكن مظنة الولد لكونه شيخا وزوجه عجوز ولذلك لم يذكر اسمعيل وقيل ذكر
اسمعيل منفردا اشارة الى فضله ∴ وكلا جعلنا نبيا ∴ من الولد وكافد لاما جرى الله
ابدله من الكفار الاعداء اولادا انبياء ∴ ووهبنا لهم من رحمتنا ∴ بعضها وهي النبوة
وقيل الاولاد والاموال ∴ وجعلنا لهم لسان صدق ∴ ثناء حسنا فان اللسان
مظهره كما طلق اليد على النعمة لذلك ∴ عليا ∴ دائما الى آخر الدهر في الصلوات على ما ورد
في التشهد او عاما في جميع الملل فان ليس من محق ومبطل الا وهو يرعى انه من حزبه ∴ واذكر
في الكتاب موسى انه كان مخلصا ∴ موحدا في عبادته وقرأ الكوفيون بفتح اللام اي مختارا
وهو المختار لكون الاول موقوفا عليه ∴ وكان رسولا نبيا ∴ بشر ارسل بالنبوة ∴ وناديناه
من جانب الطور الايمن ∴ من اليمين والبركة او كان عن يمينه ∴ وقربناه نجيا ∴ رتبة وشرفا
كما يقال فلان مقرب الملك وقيل رفع فوق السموات ولا يثبت لان السبعين سمعوا
كلام الله تعالى معه في الطور ∴ ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ∴ شد ازره به وجعلناه
مؤيدا بالمعجزة ردءا يصدقه ∴ واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ∴ عن ابن عباس
رضي الله عنه واعد صاحبا له في مكان فاخلف صاحبه الوعد فانتظره سنة ولانه صبر على
الذبح بعد الوعد به وصف بما غلب عليه والا فالانبياء كلهم مشتركون في صدق الوعد
وكان رسولا نبيا ∴ وفيه دلالة على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب كتاب او شريعة
مستقلة وانما قدم الرسول لان الانبياء عن الله موقوف الرسالة منه او ليوافق
رؤس الآي ∴ وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة ∴ امته لانهم اهل دينه وقيل اهل بيته
خاصة لقوله وانذر عشيرتك الاقربين فانهم اولى بالبر والاحسان ولانهم اذا صلحوا
اقتدى بهم غيرهم ∴ وكان عند ربه مرضيا ∴ لاتيانه من الافعال بما يرضيه ∴ واذكر في
الكتاب ادريس ∴ اسمه اخنوخ قيل لقب به لكثرة درسه ويرده انه اعجمي لذلك
منع من التصرف الا ان يكون من توافق اللغتين ∴ انه كان صديقا نبيا ورفعناه
مكانا عليا ∴ رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في السماء الرابعة او في السماء السادسة
او رفعناه بالنبوة وما يلقفه الوعاظ من انه آخا ملك الموت ومات ودخل الجنة

لم

كذب لتحقق لان اول من يدخل الجنة رسول الله وامته قيل انه اول من خط بالقلم
وخاط الثياب وكان قبل يلبس الجلود وانزل الله عليه ثلثين صحيفة ∴ اولئك ∴
الموصوفون ∴ الذين انعم الله عليهم ∴ بانواع النعم الدينية والدنيوية ∴ من النبيين
بيان الموصول ∴ من ذرية آدم ∴ بدل باعادة الجار ومن تبعيضية لان ذريته اعم
من الانبياء والكل داخلون في المنعم عليهم ∴ وممن حملنا مع نوح ∴ ومن ذرية
من حملنا مع نوح ∴ ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ∴ يعقوب وقد دخل عيسى
في الذرية لان مريم من ذرية اسرائيل ولزم منه ان يكون اولاد فاطمة ذرية رسول
صلى الله عليه وسلم وانما ذكر انسابهم دلالة على انهم حازوا فضيلة الحسب والنسب
لان من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ∴ وممن هدينا واجتبينا ∴ زيادة مدح لهم كما تقول
زيد من اولاد الاجراء وهو من الصالحين ∴ اذا تتلى عليهم آيات الرحمن ∴ خبر اولئك
ان جعل الذين صفته وان جعل خبرا فاستيناف لبيان اخباتهم وخضوعهم لله تعالى
مع علو طبقتهم بجبابرتهم شرف الحسب الفاخر والنسب الزاهر ∴ خروا سجدا ∴ حال
مقدرة لان الخرور قبل السجود ∴ وبكيا ∴ في الحديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم
البكاء فتباكوا ∴ فخلف من بعدهم خلف ∴ خلفه عقبه والخلف صفة منه الا انه بالتحريك
يستعمل في الخير وبالتسكين في الشر والمراد بنو اسرائيل من اليهود والنصارى
او هم فيشمل المشركين من بني اسمعيل ∴ اضاعوا الصلوة ∴ اما بالترك او بالتاخير
عن الوقت او بنقص شيء من ابعاضها ∴ واتبعوا الشهوات ∴ عن ابن عباس
هم اليهود والنصارى تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمور واستحلوا نكاح الاخت
من الاب وعن علي رضي الله عنه بنوا المشيد وركبوا المنظور ولبسوا المشهور
فسوف يلقون غيا ∴ كل شر عند العرب غي قال المرقش من يفعل الخير يحمد الناس
امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما وقيل
هو واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها وعن قتادة هو في هذه الآية ∴ الا من تاب
وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ∴ قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بضم
الياء وفتح الخاء من الادخال وهو ادخل في الاكرام واوفق لقوله وادخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ∴ ولا يظلمون شيئا ∴ ادنى شيء لان الايمان والتوبة
يجبان ما قبلهما ∴ جنات عدن ∴ بدل البعض من الجنة لانها تشتمل على جنان ثمانية
على ما روى ابن عباس رضي الله عنه وعدن علم لمعنى الاقامة كامس وسحر للوقتين
ولولا ذلك لم يتبع جنات به لان النكرة لا تبدل عن المعرفة ولم يوصف
بالموصول ∴ التي وعد الرحمن عباده بالغيب ∴ غائبة عنهم او وهم غائبون عنها
للانابة والحال عن الضمير المحذوف من الصلة او عن عباده او بايمانهم بالغيب
فالباء للتسبيب والغيب بمعنى الغائبة ∴ انه ∴ اي ان الله او الشان ∴ كان وعده

ماتيا: آتيا فان كل شيء اتيته فقد اتاك او الوعد بمعنى الموعود وهو الجنة قال في
على ظاهره: لا يسمعون فيها لغوا: فضول من الكلام وما حقه ان يلغى ويطرح: الا
سلاما: استثناء منقطع اي ان كان تقيد السلام لغوا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول او لكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فمنقطع وعن المبرد
السلام دعاء بالسلامة اريد به الاكرام لغشوه فيه لان الدعاء في دار السلام
بالسلامة لا معنى له: ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا: طرفي النهار على ما هو داب الافاضل
توسطا بين الزهادة والرغابة او اريد دوامه ودرره تقول انا عند فلان صباحا
ومساء: تريد اتصال الصحبة: تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا
متقيا من الشرك نقوله ونغفر ما دون ذلك ومن قال لا اله الا الله دخل الجنة
عبر عن الادخال بالايراث لان الارث ملك لازم لا يمكن رده وقيل ان الجنة
جزاء الاعمال الفانية فكانها ارث وقيل لانهم يرثون من الكفار منازلهم المعدة لهم
لو آمنوا: وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وما كان ربك نسيا: تاركا لك كما زعمت الكفرة روى البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل لولا تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت
وقيل نزلت لما ترك ذكر المشية حين سالوه عن الروح وذي القرنين واصحاب
الكهف وابطا عليه الجواب وقال المشركون ودعه ربه وقلاه: رب السموات
والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته: تسلية له عما تسبب اليه وان مجي
جبريل ليس بارادته بل عبد مامور منقاد لامر ربك فعليك بعبادته واصطبر على
اذآء تسمعه وفي ايثار الرب على سائر الاسماء الحسنى اشارة الى ان ذلك
الابطاء تربية له وتكميل وتحته فوائد: هل تعلم له سميا: شبيها يعدل الى عبادته
او تتوجه اليه وقيل لا شريك له في الاسم فان لفظة الجلالة لم تطلق الا على ا
المقدسة وكانه انعكس اليه اشعة التوحيد فكلفت اعين المشركين عن الحوم
حوله: ويقول الانسان: اللام للعهد وهو العاص بن وائل او الجنس لوقوع الفعل
بينهم كقولهم بنو فلان قتلوا زيدا قال الفرزدق: فسيف بني عبس وقد ضربوا
به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد: ائذا ما مت لسوف اخرج حيا: من الارض
او من الفناء او هو من قولهم خرج فلان في العلم وخرجه فلان اذا صار ذا فقه ما هزاؤ بذا
منهم على وجه التهكم والاستهزاء وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان انكاره
مستلزم لانكار الحيوة فيه على وجه البرهان وتعلق الظرف بفعل دل عليه المذكور لان ما
بعد اللام لا يعمل فيما قبله وهي مجردة من معنى الحال للتوكيد ولذلك صح دخولها على حرف
الاستقبال كما جردت في يا الله عن معنى التعريف وقرأ ابن ذكوان في احد الوجهين
اذا ما بالاخبار: اولا يذكر الانسان عطف على يقول وسطت الهمزة بين المعطوف

عليه والاصل فيهما التقدم عليهما لان الواو للجمع والمقصود انكاره وان ذلك القول لا كامع
التذكر لان الاعادة اهون من الابتداء عرفا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم يذكر من الذكر ضد
النسيان والتشديد ابلغ: انا خلقناه: مفعول على الاول ويقدر الباء في الثاني: من
قبل ولم يك شيئا: بل كان عدما صرفا: فوربك لنحشرنهم: اقسم بنفسه على تحقيق
البعث بعد اقامة البرهان توكيدا لوقوعه واضافه الى نبيه تشريفا له واثر لفظ الرب
اشارة الى ان في الحشر ايصالا له الى كماله المتوقع وهو المقام المحمود: والشياطين
عطف على الضمير المنصوب وجعله مفعولا معه ابلغ لما في الحديث انهم يحشرون مقرنين
في الاصفاد مع الشياطين مشاهد على وجوههم والضمير ان كان للكفرة خاصة فالمعنى
ظاهر وان كان للاناسي عموما فالمعنى انهم يحشرون والكفرة بينهم مقرنين مع الشياطين
يتشفى المؤمنون برؤيتهم: ثم لنحضرنهم حول جهنم: الكفار او الناس جميعا ليرى السعداء
ما نجاهم الله تعالى منه ويشمتوا باعدائهم فيزدادوا اساءة وحسرة: جثيا: حال مقدرة
من المفعول والمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطي جهنم المؤمن والكافر لما يدهمهم
من هول المطلع وان كان الضمير للكفرة خاصة فربما يحشرون جثاة على ركبهم كما
كانوا في الموقف لقوله وترى كل امة جاثية وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر
الجيم على الاتباع واصله جثوي جمع جاث كقعود جمع قاعد: ثم لننزعن من كل شيعة
فرقة من المشايعة فان كل واحد منهم شايع الاخر وتابعه: ايهم اشد على الرحمن
عتيا: اي اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم الى ان يحاط بهم من كل شيعة شيعة لان
المعنى على استمرار النزع او رؤساء الكفرة وائمتهم فلا حاجة ولا استمرار وارتفاع ايهم
على الحكاية عند الخليل اي الذين يقال فيهم ايهم اشد وعند سيبويه معنى الاحتياج الى
صدر صلته المحذوف وعند يونس معلق لكون النزع سببا للتميز والتمييز مسبب
عن العلم فاجري مجراه والظاهر ما ذهب اليه سيبويه ويجوز جعل من التبعيضية مفعولا
كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي بعض كل شيعة وكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد
عتيا: ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا: اي بعد نزعهم واجتماعهم نحن اعلم بمراتبهم
ودركاتهم فيقدم الاولى فالاولى ونخلصهم من العذاب بقدر اعمالهم وقرأ حمزة و
والكسائي وحفص بكسر الصاد على الاتباع وهو مصدر صلي النار لازمها: وان
منكم: التفات من الغيبة الى الخطاب فان المكافحة بالوعيد اشد زجرا او هو ابتداء
كلام من غير التفات الى المذكور سابقا: الا واردها: حاضرها الورود ولغة الحضور
قال تعالى ولما ورد ماء مدين اذ لا يشك عاقل في ان موسى عليه السلام لم يدخل الماء
وقال تعالى في حق فرعون يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار اي احضرهم من غير
دخول ولذلك قال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وما روي عن ابن
عباس الورود هو الدخول ان صح عنه فالمراد الورود على الصراط فوق جهنم بدليل

يجب اعتقاده والايلزم دخول الانبياء في النار ولا يجري عليهم في قلبه مثقال ذرة من ايمان
فان قلت اذا كان معنى الورود الحضور فاي فائدة في ذكره وقد قال ثم لنحضرنهم حول جهنم
جثيا قلت ان كان الضمير في لنحضرنهم للكفار خاصة فظاهر وان كان عاما فالمبالغة
في الانذار ولذلك غير الاسلوب من الغيبة الى الخطاب وبالغ في التوكيد بقوله: كان
على ربك حتما: واجبا اوجبه على نفسه: مقضيا: حكم في الازل لا يمكن تبديله. ثم ننجي الذين
اتقوا: الشرك: ونذر الظالمين: الكافرين: فيها جثيا: كما كانوا حولها فانهار بهم في
النار ويفارقهم المؤمنون الى الجنة: واذا تتلى عليهم اياتنا بينات: واضحات
المعاني ظاهر الواجب فيه وفي نظائره الحمل على الحال المؤكدة لان ايات الله
لا يكون الا بينات: قال الذين كفروا للذين آمنوا: اي في حقهم او معهم
مواجهة: اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا: اي اذا انجحوا ولم يقدروا بعد
التحدي على المعارضة افتخروا في الخرافات التي لا اساس لها بالمقام يفتخرون
بما لهم من الزينة والحظوظ الناقصة والندي والنادي موضع الاجتماع ويطلق
على الجماعة المجتمعين ايضا وفي الحديث ما كانوا ليقتلوا عامرا وبني سليم
وهم الندي وعن ابي سعيد الخدري كنا اندادا فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانداء جمع النادي: وكم اهلكنا قبلهم من قرن: كم مفعول اهلكنا ومن بيانه
لابهامها وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم من قرن الشيء وهو
اعلاه: هم احسن اثاثا ورئيا: الاثاث متاع البيت لا واحد له وقال
ابو زيد الاثاث المال والغنم والعبيد والمتاع الواحدة اثاثة وقيل هو
ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد تقادم العهد من ام الوليد بنا
دهرا وصار اثاث البيت خرثيا: والري حسن المنظر فعل من الرؤية بمعنى
المفعول كالطحن والذبح وقرأ قالون وابن ذكوان بالتشديد بابدال الهمزة
ياء ساكنة على قياسه فاجتمع المثلان فادغم الاول في الثاني او هو من روت
من الري استعير لحسن المنظر والتنعم والاول هو المختار لكونه نصا في المطلوب
قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا: لا تغتروا نظرهم على التغاني وامدادا
به مد الله لهم في العمر ليلا يبقى لهم عذر يوم القيمة حين يقال لهم اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر وجاءكم النذير واخرج الخبر في صورة الامر الدال على الوجوب مبالغة
وقطعا للمعذرة ويحتمل ان يكون دعاء كقوله ربنا ليضلوا والمغيبان متعارضان
حتى اذا راوا ما يوعدون من نظر المؤمنين او العذاب غاية المد العمر وقيل
غاية لقول الذين كفروا اي يستمر بهم ذلك القول والافتخار الى ان يروا
ما يوعدون والاتيان باعتراض في البين للايقاظ وتوكيد الوعيد وحتى هي
التي يحكي الجمل بعدها ولذلك وقعت الشرطية بعدها: اما العذاب في الدنيا

بالقتل

بالقتل: واما الساعة: بدل من ما يوعدون: فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف
جندا: اذا عاينوا غلبة المسلمين وقتلوهم شر قتلة او انكشف الغطاء عند قيام
الساعة ايقنوا ان الامر على عكس ما كانوا يقدرونه وانهم شر مقاما واضعف
ناصرا لا خير مقاما واحسن نديا وذكر الجند دل على ان المراد بالندي الجماعة ويحتمل
ان يراد به المحل وما قاله الجند لان حسن النادي باجتماع وجوه القوم فيه واعيانهم
وظهر الشوكة في السكان الاول ظاهر: ويزيد الله الذين اهتدوا هدى: عطف على
قوله فليمدد لانه خبر في المعنى كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله ضلالة ويزيد مقابله
هدى والاولى عطفه على الشرطية بعد القول ليكون ذكر المقابل محليا ايضا بحالة
والباقيات الصالحات الايمان وسائر الاعمال الصالحة: خير عند ربك ثوابا:
ما يتمتع به الكفرة من الحظوظ المخدجة او يسمى عقابهم ثوابا تهكما على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع: وخير مردا: نفعا مصدر رد نفع يقال هذا الامر اردّ له
اي انفع او من الرد بمعنى الصرف اي عاقبة وسم التفضيل اما ان يراد به مطلق
الزيادة او هو من قبيل قولهم الصيف احر من الشتاء والمعنى ثواب هؤلاء
الكفرة عقاب اولئك ولا يخل بالتهديد لان الكلام ليس مسوقا له بل لبيان
حال اهل الجنة في مقابلة اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا: افرايت الذي
كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا: كانه قال له بعدما تحققت حال الكفار
في عقائدهم اخبر بقصة هذا الكافر فانها انتجب لكونها على وجه الاستهزاء ولما كانت
مشاهدة الاشياء من اقوى طرق الاحاطة بها علما وان خبار عن الشيء مسبوقا
العلم به استعملوا الرؤية في الاخبار نزلت في العاص بن وائل قال خباب بن
الارت كنت قينا في الجاهلية وكان لي على العاص دين فاتيته اتقاضاه
فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر به حتى يميتك الله تعالى ثم تبعث فقال
اني لميت ثم مبعوث قلت نعم حتى اموت ثم احيى فا وتى مالا وولدا فاقضيك
نزلت وقرأ حمزة والكسائي ولدا بضم الواو وسكون اللام وهي لغة كالبخل والبخل
اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا: لا يمكن الوصول الى ادعاه الا باحد
هذين الامرين الاطلاع هو الاشراف على الشيء فكانه زاعم انه مشرف مستولي
على علم الغيب المخصوص بعلام الغيوب لفرط وقاحته وقيل العهد كلمة الشهادة
فانها عهد بين الله وبين عباده: كلا: ردع له وتنبيه على انه مخطئ فيما يعتقده
سنكتب ما يقول: السين لمجرد التاكيد اي قد كتب او سنظهر له مقالته يوم القيمة
كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة: ونمد له من العذاب مدا: فنطوله الى لا نهاية
له او نزيده عذابا فوق العذاب من المدد ويرثه ما يقول: نميت قوله بان
نزوي عنه ما هو فيه من الاموال والاولاد فضلا عن الزيادة: ويأتينا فردا

منفردًا او نحول بينه وبين هذا القول فياتينا رافضًا له او نضبط قوله هذا في ديوان
الكتبة لنضرب به وجهه في الموقف زيادة في خزيه. واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
لهم عزًّا ليتعززوا بهم وصلة بينهم وبين الله تعالى فان قلت كانوا كافرين بالبعث فما
معنى اتخاذ الالهة وصلة وشفعاء قلت كانوا يقولون ان صح ذلك على سبيل الفرض
تشفع لنا او هذا بقول طائفة وتلك مقالة اخرى وهم الذين يقولون ما يهلكنا
الا الدهر. كلّا ردع وتكذيب لمقالتهم. سيكفرون بعبادتهم يقولون ما كانوا ايانا
يعبدون او المشركون ينكرون عبادتهم كقوله والله ربنا ما كنا مشركين. ويكونون
عليهم ضدًّا اي ذلًّا تعكيس لرجائهم او عونا في العذاب توقد بهم النار عليهم والعون
يسمى ضدًّا لانه نظير المعان والتوحيد لوحدة المعنى الذي به مضادتهم كقوله عليه السلام
في المؤمنين وهم يد على من سواهم وان رجع الضمير في سيكفرون الى المشركين فمعنى كونهم
ضدًّا كفرهم بعبادتها والتبرؤ عنها. الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم
ازًّا سلطناهم عليهم تؤزهم ازًّا تغريهم وتهيجهم على المعاصي قال بالتحريك والازّ
ان تحمل انسانا على امر بحيلة ورفق من الازيز صوت المرجل عند غليانه
والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفرة واغترارهم بتسويلات الشياطين
بعد وضوح الآيات وتماديهم في الغي وعدم ارعوائهم. فلا تعجل عليهم بان يهلكوا
فتستريح. انما نعد لهم عدًّا اي بين ما تطلب وبينك ايام معدودة وساعات
وانفاس محصورة فمن قريب ستنقضي وعن ابن عباس انه كان اذا قرا الآية
بكى ويقول الاخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك
يوم نحشر المتقين الى الرحمن الى من غمرهم بالبر والاحسان نصب باذكر او بمقدر
اي نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز تعلقه بلا يملكون. وفدًا
جمع وافد وهو الوارد على الملوك بالرسالة المنتظرة لعطاياهم. و
نسوق المجرمين الى جهنم كما تساق البهائم. وردًا عطاشًا لان
الوارد على الماء لا يرده الا لعطش. لا يملكون الشفاعة الطائفتان
الا من اتخذ عند الرحمن عهدًا اعدّها بالايمان والعمل الصالح او اذنًا
من عهد اليه بكذا اذن له فيه وامره به. وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا قول
المشركين الملائكة بنات الله. لقد جئتم شيئًا ادًّا منكرًا عظيمًا وعن
علي رضي الله عنه رايت رسول الله في المنام فقلت ما ذا لقيت بعدك من الاد
والاود اي الشدة والاعوجاج والتفت الى الخطاب لتكافح بمقالتهم الشنيعة
تكاد السموات. قرا نافع والكسائي بالياء والباقون بالتاء للتانيث
وهو المختار لعدم الفاصلة. يتفطرن منه. وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر
بالنون من الانفطار والتفطر ابلغ معنى كالتهدم. وتنشق الارض وتخر

الجبال هدًّا مكسورة مضعضعة من هده كسره. ان دعوا للرحمن ولدًا
مجرور بدل من الهاء في منه او منصوب بحذف الجار وافضاء الفعل
علة لتكاد او لتخر او لهدًّا او مرفوع بهدًّا اي هدها دعاء الولد للرحمن
في الدعاء بمعنى التسمية او النسبة من الدعوة. وما ينبغي للرحمن ان يتخذ
ولدًا ما يليق به ولا يدخل تحت الصحة لاقتضائه الازدواج والمجانسة
وهو مستحيل في حقه هذا ان اريد توالده وان اريد التبني فكذلك لعدم احتياجه
وفي ايثار لفظ الرحمن اشارة الى بقائهم مع تلك المقالة تقتضي تلك
الرحمة ثم قرر ذلك وبين بقوله ان كل من في السموات والارض الا
اتي الرحمن عبدًا الا هو فاعل من المواتاة وهي المطاوعة او من اتى
اليه رجع والمعنى كل من الملائكة والثقلين منقاد مطيع لا داعية يقر
بعبوديته اني يكون له ولد. لقد احصاهم ضبطهم وحفظهم. وعدهم عدًّا
عدّ اشخاصهم واقعالهم وانفاسهم لم يخرج من علمه وملكوته او علمه شيء
وكلهم آتيه يوم القيمة فردًا وحده لا اتباع ولا اموال معه يقال جاء القوم
فرادى اي واحدًا واحدًا. ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودًّا محبة في قلوب العباد من غير التكاسب ولا مباشرة
اسباب روى البخاري عن ابي هريرة ان الله اذا احب عبدًا نادى جبريل
اني احب فلانا فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل اهل السماء ان الله يحب
فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض والسين لان
السورة مكية والمؤمنون كانوا بها ممقوتين بين الكفرة وقيل ذلك
يوم القيمة عند عرض حسناتهم ويرده الحديث وعن ابن عباس [illegible]
يحبهم ويحببونه فالسين للتاكيد. فانما يسرناه بلسانك بلغتك وهي
العربي المبين كلام مستانف اشار به الى عظم موقع هذه السورة لما فيها
من براهين التوحيد والرد على فرق الضالين المبطلين ودلائل النبوة
وان القران كلامه تعالى وانما تيسره بتيسير منه فانتظم آخر السورة باولها
المشير الى اعجاز القران على طريق الايقاظ والعاد اما بمعنى على وضمن
التيسير معنى الانزال. لتبشر به المتقين. يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدًا ولا حاجة الى تاويل المتقين بالصائرين الى التقوى. وتنذر به قومًا
لدًّا. ونسوق المجرمين الى جهنم وردًا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة
وفي الحديث ابغض الناس الى الله الالد الخصم. وكم اهلكنا قبلهم من قرن
ترهيب للكفرة وتشجيع له على التبليغ. هل تحس منهم من احد. هل ترى
منهم احدًا. او تسمع لهم ركزًا صوتا خفيا فضلا عن القوي على الرؤية

باخذ منهم والسماع بهم مبالغة لان انتفاء الرؤية عن احد يستلزم انتفائهما
عن الكل والسماع بالعكس والركز الخفاء ومنه الركاز للمال المدفون
تمت والحمد لله والمنة والصلوة على شمس فلك الرسالة واصحابه نجوم الدجنة

سورة طه مكية وهي مائة واربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

طه امال حمزة وابو بكر والكسائي الف طا من طه وامال ورش وابو عمرو
وحمزة والكسائي وابو بكر ها لان اصله يا بدليل الانقلاب في التثنية
والحرفان اسم السورة او من حروف التهجي للاتعاظ والتنبيه على الاعجاز
وعن ابن جبير معناه يا رجل بالنبطية وقيل هي لغة عك بن عدنان
وقيل كلمة سريانية وقيل اصله طأ ها امر من وطئ والها كناية عن
الارض فانه عليه السلام كان يقف على رجل في تهجده حتى ورمت
قدماه فابدلت الهمزة الفا وعلى هذا كتبتهما على صورة الحروف الموافقة
اوائل سائر السور مع ان خط المصحف لا يقاس وقيل الحرفان على
حساب الجمل اربعة عشر فكانه قال يا بدر ما انزلنا القران لتشقى
جواب القسم ان جعل طه مقسما به واستيناف ان كانا من حروف
التهجي او جملة فعلية ومنادى له ان كانا نداء وخبر مبتدا ان جعلا
اسم السورة غير مقسم بها سوآء اريد بالقران السورة او الجنس لقيامه
مقام العائد للاتحاد او الاندراج والشقا التعب ومن امثالهم
اشقى من رائض مهر ولا يعدم شقي مهرا اما لانه كان يتعب نفسه
بالقيام فقيل له ما انزلنا عليك القران لتشقى وتتعب بهذا التعب
المفرط الخارج عن حد الاعتدال او لما قال له ابو جهل والنضر بن الحارث
انك شقي بترك دين ابائك فرد ذلك بان القران سلم الى كل فوز
وسعادة فالمراد به الخسران في الدين الا تذكرة استثناء منقطع
محله للفعل المذكور بدون اللام لاستجماع شرائط الحذف او مصدر في
موقع الحال من الكاف او القران ولا يجوز ان يكون احد الابدال او
المعنى ما اشقيناك بمتاعب التبليغ ومقاساة المردة بانزال
القران عليك الا للتذكرة او الا حال كونك مذكرا فلا يكون الشقاء
منفيا كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا لمن يخشى لمن
في قلبه خشية فانه المنتفع به وقيل لمن علم الله منه الخشية ويؤل امره اليه
على سؤال هذي للمتقين تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا جعل
مفعولا له لفظا والمعنى او نصب باضمار فعله او على المدح او بيخشى ممن
خلق الارض والسموات العلى الى قوله له الاسماء الحسنى صفات

سبقت

سبقت لتفخيم شان المنزل لانه كلام من هذه صفاته والعلى جمع العليا تانيث
الاعلى ووصف السموات وان على عظم قدرة موجدها ولما قدم الارض لكونها
اقرب الى الحس وصف السموات جبرا لما فاتها من شرف السبق والتفت
من التكلم الى الغيبة لان هذه الصفات انما تناسب سردها مع لفظة
الغيبة ولانه فخم شان المنزل باسناده الى المتكلم الواحد على وجه التعظيم
ثم ثنى بالاسناد الى الموصوف بتلك الصفات فافاد التفخيم من
وجهين الرحمن على العرش استوى رفع على المدح والجملة بعده خبر بعد خبر
او خبر مبتدا محذوف والاستواء على العرش كناية عن نفاذ التصرف
واجراء تدبير الكائنات على وفق ما اقتضته الحكمة كما ان بسط اليد
كناية عن الجود له ما في السموات وما في الارض وما بينهما من الاجزاء
الداخلة فيها والموجودات الخارجة منها وما تحت الثرى وما تحت الارض
من الموجودات التي لا يحيط بها الا علمه الشامل والثرى التراب الندي
لان ما فوق الارض يعتريه اليبس حينا ولما كان ايجاد الكائنات
وتدبير امرها لا يتم الا بالعلم اشار الى ثبوته باكمل طريق وان تجهر بالقول
بالقول فانه يعلم السر واخفى منه ما خطر بالبال من هواجس النفس و
والمعنى فان تجهر بالقول فان الله غني عن جهرك لاستواء الحالات عنده
وفيه اشارة الى ان ذكر الله والجهر انما هو لاستعمال العضو فيما خلق له
واسماع الغير ليقتدي به وليشهد له يوم القيمة وايماء الى ان الاخفاء
افضل الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فباى اسم ذكرته فهو ذكر جميل
ذيل به الكلام دلالة على استواء ما به الذكر من اسمائه الحسنى كما استوى
عنده كيفيات الذكر وهل اتيك حديث موسى الاستفهام بمعنى النفي
ان كان اول ما نزل عليه من قصته وان سبق ذكرها للتقرير والمراد تذكيره
ليوطن نفسه على تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة ومقاساة الشدائد
لما قضى موسى الاجل استاذن شعيبا في زيارة امه وكانت بمصر ولم يكن
اوحي اليه بعد فاذن له فتوجه باهله وكان له منها ابنان فلما وصل الى الوادي
الايمن وكانت ليلة شاتية ذات مطر وثلج مظلمة اخذت زوجته في الولاد
فضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده فطفق يقدح الزند فصلد
زنده اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث يصلح ان يكون متعلقا او
منصوب باذكر او بمضمر حين رأى نارا كان كيت وكيت فقال
لاهله امكثوا اي اقيموا مكانكم وقرأ حمزة بضم الهاء اشارة الى الاصل والكسر
لموافقة ما قبله وهو الافصح اني انست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه

يستعمل في ظلام الوحشة: لعلي آتيكم منها بقبس: بشعلة لما كان الابصار مستيقنا
بنى الاخبار عليه بالتحقيق والاتيان بالقبس كان متوقعا او ربما يحول دونه
مانع لم يجزم به: او اجد على النار هدى: هاديا يدلني على الطريق او مرشدا يدلني الى جناب
القدس فان افكار الابرار مصروفة اليه مغمورة به في جميع الاحوال ومعنى الاستعلاء
الاشراف عليها من مكان قريب كما قال الاعشى ؏ وبات على النار الندى والمحلق
فلما اتاها: قيل كانت نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء: نودي يا موسى اني انا
ربك: روي انه لما دنى منها بعدت منه فلما رأى ذلك خاف ورجع فلما رجع
دنت منه فازداد رعبا فالقيت عليه السكينة ثم كلم وتكرير الضمير لتحقيق المعرفة
واماطة الشبهة وقرأ ابن كثير وابو عمرو اني بفتح الهمزة اي باني وانما عرف انه
لان النداء ضرب من القول استدل على انه كلامه تعالى بانه سمعه من الجهات وبجميع
اعضائه وعن الاشعري انه سمع الكلام القديم وقيل فيه تجوزا والا كيف يعقل
سماع ما قام بذاته تعالى: فاخلع نعليك: لانك بالواد المقدس: احتراما للبقعة
كما يحترم الحرم والمساجد وسائر الاماكن الشريفة وقيل كانتا من جلد حمار غير
مدبوغ وقيل المعنى فرغ قلبك من نعليك المال والولد وقيل الدارين وذلك
نهاية مقامات العارفين: طوى: بدل من الوادي علم لذلك المكان ونونه ابن
عامر والكوفيون ومن لم ينونه لم يصرفه باعتبار البقعة وقيل معدول عن طاو
وانا اخترتك: للنبوة والرسالة وقرأ حمزة انا مشددة وانا وقال اتى على الضمير
واخترناك بالنون والجمع والتخفيف لمناسبة ما تقدم وما خبر: فاستمع لما يوحى
اليك: من الاحكام بذا كان اول بعثته عليه السلام: انني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني: بدل مما يوحى دال على الكلام وجمع فيه بين العقائد والفروع اعتناء بتكميلا
للقوة النظرية والعملية: واقم الصلوة: افردها بالذكر لانها افضل الاعمال بعد
التوحيد: لذكري: تعليل لذلك الشرف لكونها مشتملة على ذكري الذي هو المقصود
من شرع العبادة والذكر هو الله في المقرون بذكر القلب روي البخاري من
صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل لذكري اي لان اذكرك
بالثناء عليك كقوله يقيمون الصلوة واقاموا الصلوة في معرض المدح او لاني
ذكرتها في الكتب المنزلة او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة وهذا انما يستقيم
اذا كان في شرعه صلوات موقتة او لذكر صلاتي اذا ذكرتها نوما او نسيانا
بتقدير المضاف لما روي انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الصبح قضاء
وقال لا تفريط في النسيان من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ثم قرأ الآية
ان الساعة آتية: جار مجرى التعليل للامر لانها وقت المجازاة: اكاد اخفيها
عن نفسي مبالغة في اخفائها حتى بني على المستقبل وانما بالاخفاء عن الغير حال

فيتقي ذلك والحق انه بعيد والاخفاء الواقع انما هو من المفصل: لتجزى كل نفس
متعلق بآتية على الاول وبه او باخفيها على الثاني: بما تسعى: بما تعمل وفي ايثاره
اشارة الى الجد والمسارعة في العمل: فلا يصدنك عنها: عن الايمان بالساعة
او اقامة الصلوة: من لا يؤمن بها: بالساعة او بالصلوة المقصود نهي موسى
عن الانصداد واطلاقا للسبب على المسبب او العكس لان عدم تصلبه يورث
صد الكافر: واتبع هواه: لان عدم ايمانه لم يستند الى برهان بل مجرد هوى
فتردى: من ردي بالكسر هلك من التردي مقصورا: وما تلك: مبتدأ وخبر
بيمينك: حال والعامل فيه معنى الاشارة وقيل تلك موصول والجار والمجرور صلته
يا موسى: ناداه للاستيناس: قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي
اخبط بها الشجر فيتناثر منه الورق فيكون علفا واصل الهش الخفة واللين و
عمر بن الخطاب هششت يوما فقبلت امرأتي وانا صائم: ولي فيها مآرب اخرى
قيل كان ظاهر الجواب ان يقول عصى وهي عصا وانما اطنب لان الكلام
بطال مع الاحبة فكيف به والمخاطب رب العزة والحق انه لم يقع منه
اطناب فانه لم يسأل عن ماهية العصا وحقيقتها بل عما فيها من الاوصاف
فاذا ذكرها مستوفاة ثم اوجد الله فيها من الصفات ما يضمحل تلك الصفات
بالنظر اليها ازداد طمأنينته بانتظام عين اليقين الى علم اليقين فهو لم يستوف
الصفات بالنظر اليها تفصيلا بل اجمل بقوله ولي فيها مآرب اخرى سالكا
طريقة الادب في تلك الحضرة التي يحق الخضوع لها والمآرب الحاجات
قيل كانت ذات محجن وشعبتين فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا
طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق عليها ادواته
وان كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل
واذا قصر الرشاء وصله بها وكان يقاتل بها السباع وقد ذكروا اشياء اخر
والله اعلم: قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى: تمشي بسرعة
وخفة قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وغلظت
ولذلك سماها تارة ثعبانا وهي العظيمة وتارة جانا وهي الرقيق من الحيات وتارة
باسم الجنس الشامل لهما وهي الحية: قال خذها ولا تخف: لما رآها حية خاف
منها بمقتضى البشرية قيل لما انقلبت حية تسعى كانت تمر بالشجر والحجر فتبتلعه
سنعيدها سيرتها الاولى والسيرة فعلة من السير ثم اتسع فيها فنقلت الى المذهب
والطريقة يقال من طاب سيرته حمدت سيرته وانتصابه على الظرفية او بدل
الاشتمال او على المصدر اي ستنشأ عصا كما كانت تسير سيرتها الاولى اي تنتفع
بها كما كنت تنتفع سابقا: واضمم يدك الى جناحك: مستعار من جناح

الطائر شبه يدى الانسان بجناحى الطائر لانه بهما قوام تعيشه والمعنى اضمم احدى
يديك وهي اليمنى تحت الاخرى وهي اليسرى وقيل جناح الانسان جنباه والمعنى
اضمم يدك الى جنبك تحت العضد تخرج بيضاء قيل كان عليه مدرعة وكان
رجلا آدم شديد السمرة كانه من رجال شنوءة فاخرج يده من تحت المدرعة لها
شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر من غير سوء صفة بيضاء او حال من ضميرها
او متعلق بتخرج كنى به عن البرص فانه ابغض شيء عند العرب آية اخرى بدل من او
او حال من الضمير في بيضاء او في الجار والمجرور ويجوز ان يكون منصوبا بنحو خذ او
دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المقدر او بما دل عليه آية او القصة
والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها اذهب الى فرعون
انه طغى بهاتين الآيتين انه طغى تجاوز عن حده قال رب اشرح لي صدري اجعله
واسعا فسيحا يحتمل الاذى ولا يعتريه الملل والضيق مما ينالني من متاعب التبليغ
واصله الكشف والبسط ومنه شرح الكتاب ويسر لي امري شأني كله
بتسهيل الاسباب الموصلة الى ذلك المطلوب ابهم في الموضعين ثم فصل لاراءة
المعنى الواحد في صورتي الاجمال والتفصيل المشتمل على التكرير المفيد للتوكيد
واحلل عقدة من لساني كان بلسانه رتة وذلك انه حمله فرعون في صباه
فاخذ بلحيته وعجز فرعون عن اخراجها من يده فنتفها فامر بقتله فقالت امرأته
آسية انه طفل صغير لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضر الجمر والياقوت
بين يدي موسى فمد يده الى الياقوت فضرب جبريل على يده فوقعت
على الجمر فلزقت بها جمرة فوضعها على فمه كما هو من يحترق يده يضع يده على فمه
فاحترق لسانه وبقي به رتة قيل كان للحسين بن علي رتة فقال رسول الله ورثها
من عمه موسى واختلف في زوال العقدة بعد هذا السؤال فقيل زالت بالكلية
استدلالا بقوله قد اوتيت سؤلك وليس بناهض لانه لم يسأل الفصاحة الكاملة
بل قدر ما يحتاج اليه في التبليغ يشير اليه قوله يفقهوا قولي لقول فرعون ولا يكاد
يبين من لساني صفة عقدة والتقدير من عقدة لساني لان العقدة ليست
لا منها والظاهر ان اللسان بمعنى القوة النطقية والجار والمجرور متعلق باحلل
واجعل لي وزيرا من اهلي الوزير من الوزر وهو الثقل فانه يقوم باعباء الملك
او من الوزر وهو الملجأ لان الملك يلتجئ اليه في الآراء والتدابير او ماخوذ من
الازر وهو القوة قلبت واوه همزة لكونه بمعنى الموازر فقدم عليه هارون مفعول
اول قدم عليه ليتا في عناية بشأن الوزارة فانها المطلوب او لي وزيرا مفعول ثان
وهارون عطف بيان او بدل من وزير اخي على الوجهين بدل من هارون
او عطف بيان آخر من وزيرا اشدد به ازري واشركه في امري في النبوة وقرأ

ابن

ابن كثير وابن عامر بفتح الهمزة في الاول وضمها في الثاني على انهما صيغتا المتكلم والجزم
لكونهما جواب الامر والاولى قراءة الجمهور بالامر فيهما على انهما من جملة دعائه لكونه
احرى بحاله وادعى للاجابة كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون في
العبادة تهييج الرغبة ويجلب النشاط ولذلك شرعت الجمع والجماعات انك
كنت بنا بصيرا باحوالنا وضمائرنا وان هرون نعم المعين فانه اكبر سنا مني
وافصح لسانا واحلم جنانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى سؤلك فعل بمعنى
المفعول كالاكل بمعنى الماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك
ما يوحى ما لا يمكن علمه الا بالوحي او ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه والوحي
هو الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل او ارسل اليها ملكا لا على وجه النبوة
كما ارسل جبريل الى مريم واما اخبار نبي في زمانها ففي غاية البعد اذ لم يكن بمصر
زمان فرعون من يدعي النبوة ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم القذف
الرمي ويستعمل بمعنى الوضع كقوله وقذف في قلوبهم الرعب والمراد الوضع
في الاول والرمي في الثاني لقوله فالقيه في اليم فليلقه اليم بالساحل الضمائر
كلها لموسى عليه السلام لما كانت مشيئة الله متعلقة بحصوله بالساحل وما تعلقت
ارادته واجب الوقوع جعل اليم كانه ذو ارادة وتمييز مامور بذلك واذا اراد
الله شيئا هيأ اسبابه بعدما احكمت التابوت ووضعته فيه وقيرته والقته
في نيل مصر وكان يدخل منه نهر الى بستان فرعون وكان فرعون جالسا على
شاطئ ذلك النهر اذ دخل التابوت فاخرجه فاذا فيه صبي من املح الناس
فالقى الله محبته في قلبه فابقاه وكان قد امر بقتل الولدان لما اخبره المنجمون انه يولد
مولود يكون زوال ملكه على يديه فاخذه لعنه الله ليجعله يربيه لزوال ملكه وكان اجهل
الناس لان المنجمين اما صادقون فلا يجدي قتل الاطفال او كاذبون فاولى و
اولى والساحل شاطئ البحر من السحل وهو القشر والكشط وفي الحديث سحلت
ام حكيم له كتفا فاكله ثم صلى ولم يتوضأ ياخذه عدو لي وعدو له جواب للامر ولا
تكرار لاختلاف النسبة والقيت عليك محبة مني كائنة نعت لمحبة اي خلقت
حبك في قلوب الناس او متعلق بالقيت اي بان احببتك ومن احبه
الله احبه الخلق فان قلت كيف استقام محبة فرعون له مع اخبار الله تعالى بانه عدوه
قلت لم يكن حين احبه عدوا وايضا الحب ميل الطبع واستحسانه فرب محبوب
طبعا منكر شرعا كما قال في وصف الخليل فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ولتصنع
على عيني ولتربى برأي مني استعارة تمثيلية فان الامر باتخاذ شيء له مزيد
عناية بامر الصانع بان يتخذه بحضرته ومرآه وفي ايثار على اشارة الى كمال العناية
كانه فوق عينه لا يمكن تجاوز النظر ولا زيغ عنه اذ تمشي اختك كان اسمها مريم

ارسلتها امه ليكشف اخباره فصادفهم وهم يتفقدون على مرضعة له فانه ما كان يقبل
ثدي المراضع واذ ظرف لتصنع او بدل من اذ اوحينا وهو اوفق لما فيه من تعداد
النعم في مقابلة الامتنان ولا يقدح في ذلك اختلاف لاتساع الوقت ولا يستقيم
تعلقه بالقيت لكونه محبوبا قبله ومحفوظا :: فتقول هل ادلكم على من يكفله :: قالت
دلتهم على امه :: فرجعناك الى امك :: وفاء بقولنا انا رادوه اليك :: كي تقر عينها
بلقائك :: ولا تحزن :: بفراقك :: وقتلت نفسا :: هو القبطي الذي استغاثه عليه
الاسرائيلي :: فنجيناك من الغم :: الذي اعتراك بقتله خوفا من الله تعالى وفرعون
بان غفرنا لك والهمناك الهجرة الى مدين :: وفتناك فتونا :: مصدر كثبور او جمع فتن
او فتنة بترك الاعتداد بالتاء كحجزة وبدور سال ابن جبير ابن عباس رضي الله عنهما
فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان وهذه فتنة
يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل القبطي واجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت ماشيته وكان يقول عند كل واحدة يا ابن جبير :: فلبثت
سنين في اهل مدين :: لما اجر نفسه اذ في اقصى الاجلين :: ثم جئت على قدر يا موسى
على زمان يستنبأ فيه الانبياء وهو راس اربعين سنة :: واصطنعتك لنفسي اخترتك
مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك اهلا للتقريب فيقربه ويجعل اليه امره
اذهب انت واخوك باياتي :: مع معجزاتي التي اتيتكما بها او باحكامي التي
ارسلتما بها :: ولا تنيا في ذكري :: اي لا تفترا عن ذكري من الونى وهو الفتور فان
تمشي الامور ليس الا بذكر الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون :: اذهبا الى فرعون :: خصه بالذكر بعد ما قدم ارسالهما
مطلقا فانه القدوة والرعايا تبع له ولذلك كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى هرقل فان توليت فعليك اثم الاريسيين :: انه طغى :: عتا وتجاوز حده
فقولا له قولا لينا :: فانه ادعى له الى الانقياد مثل ان يقولا له هل لك الى ان تزكى
فانه نصح في صورة المشورة كان ابو منصور الدوانقي يطوف بالبيت فلقيه رجل
في المطاف وقال يا امير المؤمنين اني مخاطبك بكلام فيه شدة لا تؤاخذني به
فقال لو قلت شيئا من ذلك ضربت عنقك قد ارسل من هو اعلى منك
الى من هو اسوأ مني وقيل قولا له قولا لينا وقيل انما امروا بذلك لانه كان حق التربية
والابوة لموسى عليه السلام وقيل كنياه ولا تقرعاه باسمه فانه اكثر احتراما وكانت له ثلاث
كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة كنيته ابليس والوجه هو الاول ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك :: لعله يتذكر :: بانه مخلوق عاجز عن احداث
ذرة انى له دعوى الالوهية :: او يخشى :: ان يفضي به الانكار الى الهلاك والاول
مقام الاستحيال ولذلك قدمه والجملة في محل النصب على الحال اي اتيا من الفاعل اي

راجين منه احد الامرين او المفعول اي مرجوا منه ذلك :: قالا ربنا اننا
نخاف ان يفرط علينا :: يعجل علينا ويحول بيننا وبين الدعوة واداء الرسالة
من فرط القوم سبقهم وانما عداه بعلى لتضمنه الحمل والتعدي لم يكن خوفهما
من القتل او لحوق ضرر آخر بل ان ينتهيا الى التقصير وان لا يجري سعيهما
بطائل :: او ان يطغى :: يزداد طغيانا ويقول فيك ما لا يليق بجلالك
وكبريائك فان النفس تزداد بالتحريك قبحا :: قال لا تخافا انني معكما
بالحفظ والكلاءة :: اسمع ما يجري بينكم من القول :: وارى ما يبدو منه
من الفعل والاولى ان لا يقدر للفعلين مفعول والمعنى انني حافظكما سامع
بصير واذا كان الحافظ سميعا وبصيرا استقل بالحفظ على الكل وجه تتميم للكلام
الاول وليس من قبيل ان يرى مبصر ويسمع واع :: فاتياه فقولا انا رسولا
ربك :: اخره في الشعراء لاتحاد المرسل :: فارسل معنا بني اسرائيل :: الى
الشام موطن آبائهم ومستقر اسلافهم كانوا تحت يد القبط رعايا يكلفونهم
الاعمال الشاقة فان قلت ارسالهما كان لدعوة فرعون لقوله اذهب الى
فرعون انه طغى وقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون والاية دلت على
انهما ارسلا لطلب بني اسرائيل قلت كان ارسالهما اصالة الى فرعون وابتداؤهما
بقصة بني اسرائيل من قبيل القول اللين والتدريج من الاهون الى الاشد
ولا تعذبهم :: بالتكاليف الشاقة وقتل الولدان :: قد جئناك باية من ربك
جار مجرى التعليل للارسال او التغيير لانا رسولا ربك فان دعوة الرسالة
انما تثبت بالحجة وانما وحد الاية وكان معه العصا واليد البيضاء لان القصد
اظهار الحجة لا بيان كميتها ايراهين :: والسلام على من اتبع الهدى :: سلامة
الدارين لمن اتبع الهدى او سلام خزنة الجنة حين يتلقون المؤمنين :: انا قد اوحي
الينا ان العذاب على من كذب وتولى :: سلكا معه مسلكا لطيفا بديعا في
الدعوة حيث عمما الامر في الطرفين الهداية والضلالة لئلا يقع مواجهة بما هو
مما يكره وكذلك كان شان رسول الله عليه السلام في المواعظ لم يواجه احدا بمكروه
بل يقول ما بال قوم يقولون كذا او يفعلون كذا وانما ذكر العذاب مسندا
الى الوحي دون السلام لانه المقصود اصالة اكراهه بانه لا دخل لهما في ذلك
وانهما انما علماه بالوحي وان لهما ربا اوحاه اليهما ولذلك :: قال فمن ربكما يا موسى
خاطبهما وحده لانه الاصل وهارون رده ويصدقه او لتفرعنه اراد افحامه لعلمه انه
ارت يدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين :: قال
ربنا الذي اعطى كل شيء :: كل موجود :: خلقه :: صورته وشكله اللائق به من الخلق
بمعنى التقدير او خلقيته كل شيء يحتاجون اليه قدم المفعول الثاني لانه ادل

على الاقتدار او اعطى كل شيء زوجه وقرينه من نوعه فهو الفرد الذي لا نظير له
ثم هدى: بين طريق الرشاد. قال فما بال القرون الاولى: كذبوا وتولوا ولم
يعذبوا وكان دهريا لم يقل بالرجوع الى الله تعالى ليس عنده العذاب الا عذاب
الدنيا. قال علمها عند ربي: سيجازيهم بذلك او ما حالهم في السعادة والشقاوة
بعد الموت بناء على زعمك. في كتاب: هو اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون
تمثيلا حال علمه بحال الكتب واثبت في كتاب. لا يضل ربي ولا ينسى: الضلال
ان يخطي الشيء طريق الشيء فلم يهتد اليه والنسيان ذهابه بحيث لا يخطر بخاطره
وفي الحديث قال رجل لبنيه اذا مت فذروني في الريح لعلي اضل الله اي افوته
فلم يدر مكاني وقيل يجوز ان يكون قول فرعون استبعادا لاحاطة علم الله تعالى
باحوال الامم الدارجة وتفاصيل الجزئيات المتعلقة بها قياسا على نفسه
الخسيسة ويكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بها لا يفوته شيء. الذي جعل لكم الارض
مهدا: مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف والاحسن نصبه على المدح وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو وابن عامر مهادا بالالف كالبساط والفراش لفظا ومعنى او
جمع كنعل ونعال والكوفيون بالقصر اسما لما يمهد كمهد الصبي وعليه صريح الرسم والمختار
المد لاتفاقهم في الذي جعل لكم الارض مهادا. وسلك لكم فيها سبلا: جعل لكم فيها طرقا
نافذة من ارض الى ارض لتكثير المنافع من سلكت الشيء في الشيء اذا ادخلته فيه و
انزل من السماء ماء: مطرا. فاخرجنا به: التفت الى التكلم لان موسى حاكي
كلام ربه تعالى بدليل قوله جعل لكم دون لنا وفيه زيادة الافتنان والاشارة بنون
العظمة الى انه السلطان المطاع الذي لا يتابى على ارادته شيء ولا يخرج
عن قدرته ولذلك اخرج بالواحد. ازواجا: اشياء من نبات شتى: اي
اصنافا متفرقة جمع شتيت كمرضى ومريض مختلفة الالوان والطعوم والاشكال
والروائح بعضها لكم وبعضها لدوابكم ومن نعمه تعالى ان ارزاق العباد
يحصل بعمل الدواب وما لا يصلح لهم يصلح لها علفا. كلوا وارعوا انعامكم
على ارادة القول حال من فاعل اخرجنا. ان في ذلك لايات لاولي النهى
لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل والركون الى ما لا دليل عليه
جمع نهية كما في حديث ابي وائل لقد علمت ان التقي ذو نهية. منها
خلقناكم: ابتداء كلام منه تعالى والمراد خلق آدم او خلق كل احد لما في الخبر
من انه تعالى اذا اراد خلق انسان من نطفة امر الملك بان ياخذ
في كفه ويعجنها بتربة قبره. وفيها نعيدكم: بعد الموت. ومنها نخرجكم
تارة اخرى: يوم القيمة عدد الله عليهم بان علق بالارض من مرافقهم
حيث جعلها لهم فرشا يتقلبون عليها وسلك لهم فيها سبلا يترددون

فيها

فيها لنظم معايشهم واخرج لهم منها اصناف النبات اقواتا لهم وعلوفات
دوابهم وهي امهم التي منها تولدوا وهي الفاتهم احياء وامواتا ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة مشيرا الى معنى
الاية وكان يدخل على المريض فياخذ من ريقه ويخلطه بالتراب ويمسح به المريض
ويقول ارضنا بريقة بعضنا تشفى بها سقيمنا. ولقد اريناه اياتنا
كلها: المعجزات التي اوتيها موسى اليد والعصا وفلق البحر والدم والضفادع
والحجر والجراد والقمل ونتق الجبل سهو وقد اراه موسى الجميع في ابتداء الدعوة
الى اوان الغرق وقيل المراد بالايات الدلائل التي اقامها موسى عليه من قوله
اعطى كل شيء خلقه الى اخر ما ذكره وقيل اراد ما اراه وما عدده عليه من معجزات
سائر الانبياء لانه صادق لا فرق بين خبره وفعله وفيه انه مع بعده ياباه
لفظ الاراءة. فكذب: بالايات كلها. وابى: ان يقبل شيئا منها او كذب
موسى وابى قبول الحق. قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى: كلام
ينبئ عن جبنه ان فرائصه ارتعدت خوفا منه لايقانه انه الرسول
المؤيد الذي لو اراد الجبال سارت عن مقرها والا فما قدر ساحر
واحد ان يخرج ملكا مثله من ارضه بعد ذلك التمكن والعدد وكذلك
شان كل مبطل لا تراه عند الافحام يتشبث الا بما يكون مؤكدا لدليله
مبطلا لدعواه. فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا: اي
مكان وعد للاجتماع فيه. لا نخلفه نحن ولا انت: الضمير للوعد المدلول
عليه كما في اعدلوا هو اقرب والجملة صفة موعدا. مكانا: ثاني مفعولي
اجعل. سوى: صفة مكانا عن ابن عباس معروفا وعن مجاهد منصفا اي
تستوي مسافته الينا واليك وقرا ابن عامر وعاصم سوى بضم السين والكسر
اخف واشهر. قال موعدكم يوم الزينة: من الاسلوب الحكيم لانه يوم
الزينة لهم فيه مكان معروف يجتمعون فيه كما هو شان الناس اليوم
في اعيادهم ومواسمهم وقد دل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنه وقيل
الموعد مصدر ومكانا نصب على البدل من المكان المحذوف مضافا
الى المصدر الذي اقيم مقامه او نصب بالمصدر الموصوف والطباق
في الجواب بتقدير مضاف في الظرف الواقع جوابا اي وعدكم وعد
يوم الزينة وفيه تطويل عنه غنية بما اثرناه وكذا جعل الموعد مكانا
واسناد الاخلاف اليه توسعا وطباق الجواب معنى ويوم الزينة
يوم عاشورا او يوم النيروز او يوم كسر النيل وانما عينه ليظهر الحق
على رؤس الاشهاد ويشيع به الركبان في الافاق. وان يحشر الناس

ضحى عطف على يوم الزينة على تقدير مضاف اى وقت جمع الناس فيه فتولى
فرعون فجمع كيده ما يكاد به موسى يعني السحرة من اطراف بلاده ثم اتى
الموعد بعد ذلك بجمع ومعه السحرة قال لهم موسى للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله
كذبا بنسبة آيات الله الى السحر فيسحتكم بعذاب فيستاصلكم به وقرا
حمزة والكسائي وحفص بضم الياء وكسر الحاء والباقون بفتحتين وهي لغة الحجاز
والاول لغة نجد والسحت الاهلاك والاستيصال ومنه سمي الحرام سحتا لانه يسحت
البركة وقد خاب من افترى وهو فرعون فتنازعوا امرهم بينهم تشاوروا
واخذ بعضهم القول من بعض كقوله يتنازعون فيها كاسا من النزع لا من
التنازع واسروا النجوى فيما بينهم ولم يظهروه لموسى وفرعون وهم كلام بين
المتشاورين وعن ابن عباس كان نجواهم ان كان غالبا نتبعه وعن قتادة
ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله شان وعن وهب لما قال
ويلكم قالوا ما هذا بقول ساحر وقيل تشاوروا فيما يعارضون به موسى عليه السلام
فاجابوا الراى كما ترى اليوم اذا اخذ الملك شرا قالوا ان هذان لساحران
اظهروا بعد النجوى هذا الكلام تشجيعا لانفسهم كما يقول القرن لمن يغالبه قد عرف
كنه امرك وقرا ابو عمرو هذين بالياء كما هو المعروف من نصب المثنى وقرا ابن
كثير وحفص بتخفيف ان وهذان بالالف على ان المخففة غير عاملة نحو ان كل نفس
لما عليها حافظ وشدد نونه ابن كثير كما تقدم في سورة النساء والباقون شددوا
ان مع الالف هذان وهي لغة بلحارث بن كعب وكنانة وخثعم والعنبر وزبيد
يجعلون المثنى في الاحوال الثلث بالالف فالاعراب عندهم مقدر على
الالف قال الاسدي شعرا فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه
الشجاع لصمما وعن سيبويه ان بمعنى نعم وعن علي كم سمعت رسول الله يقول
ان الحمد لله وانما اخرت اللام لصورة ان او على لغة من يجوز دخولها الخبر
كقوله ام الحليس لعجوز شهبرة يريدان يخرجكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا
بطريقتكم المثلى بمذهبكم الامثل لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم طريقة
الرجل دينه ومذهبه او اشراف قومكم ارادوا بني اسرائيل فانهم كانوا تمهروا
في السحر وطريقة القوم امثلهم حكاها ابن السكيت عن الفراء ومنه قوله تعالى
كنا طرائق قددا فالوصف بالمثنى من قبيل اسم التدابير فاجمعوا كيدكم
فاحكموه بالاتفاق عليه وقرا ابو عمرو بالوصل على انه من جمع كيده والقطع ابلغ
ثم ائتوا صفا صفا واحدا فانه اهيب وقيل صفا مصلى علم لمكان معروف
عندهم وقد افلح اليوم من استعلى اى علا وغلب والسين للتاكيد قالوا
يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى خيروه كما هو شان الاقران

عند

عند المبارزة والاعلام لهم لدى المناظرة اما لعدم المبالاة او اظهار
حسن الادب وان مع ما بعده نصب مفعول اخر او رفع خبر محذوف
اى الامر القاؤنا او القاؤك قال بل القوا قابلهم بمثل ما بداوه
فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اى القوا بعدما اذن
لهم اذا الفجائية ظرف زمان والمعنى فاجا موسى تخييله وقت تخييل
سعيها وان مع ما في حيزها قائم مقام فاعل يخيل وقرا ابن ذكوان
بالتانيث مسندا الى ضمير الحبال والعصي وانها تسعى بدل اشتمال و
التذكير اشهر واسلم من التقدير فاوجس في نفسه خيفة موسى
اضمر على طريقة الجبلة وعدم الاختيار فيه كانوا سبعين الفا وبيد كل احد
حبل وعصا قد لطخوها بالزيبق والقوها في واد فلما اشرقت الشمس عليها
اضطربت وقيل انما خاف على الناس ان يداخلهم شبهة قبل ظهوره
قلنا لا تخف انك انت الاعلى تعليل للنهي مؤكد بالاستيناف
وحرف التحقيق وتعريف الخبر وتكرير الضمير ولفظ العلو وصيغة التفضيل
والق ما في يمينك ابهمه اما تحقيرا اى الق هذا الجرم الصغير الذي في
قبضتك او تعظيما اى لا تبال بتلك الكثرة والق هذا العظيم الشان
الذي بيدك تلقف ما صنعوا من الحبال والعصي اصله تتلقف حذف
منه التاء وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان بالرفع على الاستيناف
او على الحال المقدرة وحفص بالتخفيف مضارع لقف واصله اللقف
الخفة واخذ الشيء بالسرعة يقال غلام ثقف لقف اى حاذق
خفيف والتشديد مع الجزم ابلغ واسلم من التقدير انما صنعوا اى
زوروه كيد ساحر وقرا حمزة والكسائي كيد سحر اى ذي سحر او جعلوه
لتوغلهم في السحر عينه او اضافة الكيد للبيان كعلم فقه وانكير لتنكير
المضاف لانه في لفظه معرف كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد
مدت وانما وحد لانه اريد الجنس ولذلك قال ولا يفلح الساحر
اى هذا الجنس حيث اتى اى مكان سلك فالقي السحرة اى بعد
ما تلقف العصا ما صنعوا سجدا شكرا لله تعالى على ان هداهم وعن عكرمة
لما سجدوا اراوا في سجودهم منازلهم في الجنة والنار ودل على انهم لم يترددوا
في الايمان بعد تلقف العصا قالوا امنا برب هارون وموسى قدموا
هارون لانه ردء لتصديق موسى فالايمان به يستلزم الايمان بموسى من غير
عكس وقيل لانه كان اكبر سنا او لان موسى مربي فرعون فلو قدم لوهم
انه ربه قال آمنتم له قبل ان اى لموسى انكار منه واللام لتضمين الفعل

معنى الاذعان قبل ان آذن لكم في الايمان انه لكبيركم الذي علمكم السحر استاذكم
واهل مكة يسمون المعلم بالكبير قيل كان شبهته ان السحرة كانوا اثنين و
وسبعين الفا الاثنان من القبط وسائرهم من بني اسرائيل قوم موسى
فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليمنى مع اليسرى ومن ابتدائية
لان القطع الواقع على موضع الخلاف ملابس له فكانه ابتداء منه ولاصلبنكم
في جذوع النخل على جذوعه شبه استعلاء المصلوب باستقرار المظروف
في الظرف بجامع التمكن واللزوم فاستعير له في قيل هو اول من صلب
واختار النخل لكونه اطول الاشجار فالمصلوب عليه اظهر وامره اشهر ولتعلمن
اينا اشد عذابا مني ومن موسى لقوله آمنتم له واللام في كلام الله مع الايمان
لم تقع استعماله تعالى وابقى ادوم قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من
البينات المعجزات الواضحات وجمع اما باعتبار احوال العصا من انهم
راوها بحرة وهونا ثم واذا ابتلعت تلك الاجرام ولم يرد حجمها ولانهم
لما سجدوا انكشف لهم عالم الملكوت راوا امورا خارقة والذي فطرنا
عطف على ما جاءنا قدم عليه اهتماما واعتناء بشان المعجزات او قسم على عدم
ايثارهم اياه وهو معنى حسن فاقض ما انت قاض الذي انت قاضيه
او عدده قضائك وايام حكمك انما تقضي هذه الحيوة الدنيا في هذه الحيوة الدنيا
تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر و
والمعاصي لم يقولوا آمنا برب هارون وموسى لما قالوه اولا بل وصفوه
بانه ربهم الذي اوصلهم الى ذلك الكمال واكرمهم باجزل النوال وما اكرهتنا
عليه من السحر فانهم لما راوا العصا يحرسه وهو نائم قالوا له ان هذا ليس
بساحر فان الساحر اذا نام بطل سحره والله خير وابقى اي خير ثوابا وادوم
عذابا من عذابك الذي توعدتنا به انه اي الشان من يات ربه
مجرما بان يموت كافرا فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى اي لا يموت
فيستريح ولا حياة نافعة ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا
فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من
الدرجات لدلالته على الاقامة التي هي الملاك تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة وذلك جزاء من تزكى
تطهر من الشرك عن ابن عباس رضي الله عنه من قال لا اله الا الله دخل
الجنة وقوله انه من يات ربه مجرما الى هنا ابتداء كلام منه تعالى بعد تمام مقالة
السحرة ترهيبا وترغيبا او من كلام السحرة وعلمهم بذلك اما من موسى
عليه السلام لما دعا فرعون الى الله تعالى واما نقلوه من اسلافهم من كلام الانبياء

ولقد

ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي لما عالج فرعون واراه الآيات
ولم يزدد الا طغيانا امران يسري بني اسرائيل وقرا نافع وابن كثير بالوصل
وهما لغتان سرى واسرى فذهب بالليل في القطع او الى وفاق ليجمع
عليه فاضرب لهم طريقا في البحر اجعل لهم من ضرب له بسهم في ماله وضرب
اللبن اتخذه من الطين يبسا اي يابسا مصدر وصف به للمبالغة لا
تخاف دركا لحوقا من فرعون وجنوده ولا تخشى الغرق حالا
من الفاعل وقرا حمزة لا تخف بالجزم خطابا على انه نهي او جواب امر وعطف
لا تخشى اما على انه من لم يحذف حرف العلة بالجازم كقوله الم ياتيك
والانباء وتمنى او الالف للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا وخبره
توافق رؤس الآي او الجملة في محل الحال اي خاشيا الغرق فاتبعهم فرعون
بجنوده ادركهم ملتبسا بجنوده والباء للمصاحبة لقوله اتبعهم فرعون وجنوده
يقال اتبع القوم اذا ادركهم بعد سبقهم فغشيهم من اليم ما غشيهم ما لا
يمكن الاحاطة بكنهه تقول اذا تحقق شيئا وكان من الامر ما كان العظيمة
للجنود ولان فرعون التجا الى الساحل واضل فرعون قومه عن طريق الرشاد
وما هدى وما هداهم به لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او ما هداهم في البحر فانه لا
راه منفلقا قال ادخلوه فانه قد انفلق خشية مني يا بني اسرائيل قد انجيناكم
من عدوكم خطاب لهم بعد غرق فرعون وقيل لاعقابهم في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم والاول هو الوجه لانه في اثناء قصة موسى عليه السلام وتعداد
النعم عليهم بعد الانجاء وواعدناكم جانب الطور الايمن لانزال التورية وصف
بالايمن لكونه موضع المناجاة مع الحق ومنزل التورية ونزلنا عليكم المن و
والسلوى في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وقرا حمزة
والكسائي انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بتاء التكلم والنون افخم معنى واقرب
مناسبة لقوله ونزلنا ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بالشكر والتجاوز
الى التبذير والاسراف فيحل عليكم غضبي فيجب ويلزم ومن يحلل عليه غضبي فقد
هوى هلك من الهوى وهو السقوط من مكان عال وقيل هوى وقع في الهاوية
وقرا الكسائي بضم الحاء في الاول واللام في الثاني من حل بالمكان نزل والكسر
اخف ولذلك في انتقوا ان اردتم ان يحل عليكم ويحل عليه غضب مقيم واني
لغفار لمن تاب من الشرك وآمن بما يجب الايمان به ارشدهم الى التوبة
بعد ما بين لهم حلول عقابه بمن عصى وطغى وعمل صالحا ثم اهتدى استقام
على التوبة وما اعجلك عن قومك يا موسى واعده الله تعالى بعد غرق
فرعون ان يكلمه على الطور ويؤتيه كتابا فيه تبيان كل شيء وامره باختيار

سبعين من نقباء بني اسرائيل ليسمعوا كلام الله تعالى فاختار النقباء وخلف
هارون على بقية بني اسرائيل وكانوا ستمائة الف فلما فارق موسى عليه السلام
بني اسرائيل تعجل شوقا الى الموعود فسبق القوم سأله تعالى عن سبب العجلة
والتقدم على النقباء. قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى لما
كان السؤال للانكار على العجلة التي هي نقيصة يتضمن الانكار على السبب الباعث
اجاب اولا بان ليس هناك ما يسمى عجلة وانما تقدمت بخطى يسيرة كما هو
شأن الوفود يكون رئيسهم امامهم واما السبب فرضاك فان المسارعة
اليها من اهم الامور وتغير القوم بمن تخلف مع هارون يرده لفظ الاثر
وان الموعد كان شرطا بخطوه من اختاره. قال فانا قد فتنا قومك
من بعدك: مرتب اي بسبب تقصيرك ابتلينا قومك المتخلفين كان وا
عدهم اربعين يوما فلما مضى عشرون عدوها لغباوتهم اربعين بلياليها وكان
هذا الاخبار لموسى عند مقدمه قبل مضي ذلك العدد بناء على ان ذلك من
المترقب المنزل منزلة المتحقق او اثر ما غاب موسى اخذ السامري في اسباب
ذلك فكان هذا الفتنة موجودا. واضلهم السامري: منسوب الى سامرة
قوم من اليهود نحا نحوهم في بعض الامور قيل كان من اهل باجربا وهي
قرية بقرب الموصل وقيل كان علجا من كرمان منافقا اظهر الاسلام
واسمه موسى بن ظفر من قوم يعبدون البقر. فرجع موسى: بعد ما مضى
الاربعون واوتي التورية. الى قومه غضبان: الذين كانوا مع هارون
غضبان اسفا: ممتلئا غضبا او حزينا. قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا
حسنا: لا خلف فيه او ان يؤتيكم التورية فيه تبيان كل شيء افطال
عليكم العهد: يريد زمان مفارقته منكرا ذلك او طال عليكم زمان
العافية وتوالي النعم بعد ان كنتم في اسر فرعون. ام اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي: وعدكم اياي بالثبات على
الايمان واسناد الوعد الى موسى بمعنى وجدتم الخلف في وعدي برده
قولهم. قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا: وقرا حمزة والكسائي بالضم
ونافع بالفتح مصدر ملك فهو مالك والضم مجاز لعدم تحقق معناه
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم: قوم فرعون كانوا استعاروا
الحلي منهم ليعيد لهم وخافوا ان يردوها فيعلموا بخروجهم ولذلك سموها
اوزارا لانه مال المستأمن حرام ولان الغنائم لم تحل الا لهذه الامة
وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحاء وكسر الميم مشددة
فقذفناها: تلك الاوزار في النار. فكذلك القى السامري: كما

القينا

القينا وهو انه كان اخذ من موطئ قدم فرس جبريل قبضة من التراب
فامرهم بان حفروا حفرة وقذفوا فيها الحلي فالقى هو تلك التربة واوهمهم
انه انما القى الحلي. فاخرج لهم عجلا: على صورة العجل. جسدا له خوار:
كخوار البقر. فقالوا: السامري ومن افتتن به اول ما رآه. هذا الهكم
واله موسى فنسي: اي فنسي موسى ان يطلبه هنا وذهب لطلبه في الطور
او نسي السامري ما كان عليه من الاسلام وتركه والقاء فضيحة على الوجهين
افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا: فضلا عن انشائه ابتداء. ولا يملك
لهم ضرا ولا نفعا: بوجه ابتداء كلام منه تعالى لبيان غباوة بني اسرائيل و
محو نعمتهم العقل وقول هارون وكفرهم بالله الذي خلقهم واعتقادهم
الحلول في جسم حيوان يضرب بجهله المثل. ولقد قال لهم هارون من قبل:
من قبل ان يقول السامري هذا الهكم علم من غباوتهم اول ما وقع عليه بصره
انهم يقعون فيها وقعوا فبادر الى تحذيرهم او قبل رجوع موسى يؤيده قوله
يا قوم انما فتنتم به: وقولهم لن نبرح عليه عاكفين. وان ربكم الرحمن الذي
افاض عليكم جلائل النعم. فاتبعوني واطيعوا امري: بالثبات على الدين
قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك
اذ رأيتهم ضلوا: عن طريق الرشاد. ان لا تتبعن: في نصرة الدين و
المحاماة له ولا مزيدة. افعصيت امري: اذ قلت لك اصلح ولا تتبع سبيل
المفسدين. قال يا ابن ام: نسبه اليها استعطافا فانهما كانا في بطن واحد
وارتضعا ثدي ام وقيل بل كان اخاه من امه وقرا بكسر ميم ام ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر. لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي: كان موسى كما اشتهر عنه
شديد الغضب في الله متصلبا لما رأى بني اسرائيل قد عبدوا العجل بعد ما
رأوا الآيات لم يتمالك ان القى الالواح وشاقه شقيقه بما يكره واخذ بلحيته
التي اشرف محاسنه كما يأخذ العدو من عدوه روي ان هارون يدخل
اللحية بلحيته يضرب الى سترته اكراما لها لما لقيت في الله ما لقيت. اني
خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل: ان لو قاتلتهم بمن معي كان
سعة بمن لم يعبد العجل اثني عشر الفا. ولم ترقب قولي: في الاصلاح
فصبرت حتى ترجع اليهم ورأيت ذلك ضم للنشر واحفظ للدين واتى مع اني
بالغت في النصح حتى بلغ السيل الزبى كما اخبر الله عنه ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني. قال فما خطبك يا سامري: بعد ان ظهر له عذر اخيه
توجه اليه لانه جرثومة الفساد اي ما كان غرضك فيما فعلت والخطب الامر
الخطير الذي يقع لاجله التخاطب. قال بصرت بما لم يبصروا به: بصرت

بالشئ علمته وقرا حمزة والكسائي على الخطاب يريد موسى ومن كان معه والرؤ
الغيبة لان الغرض عدم رؤية الحاضرين بعد ذهاب موسى عليه السلام فقبضت
قبضة من اثر الرسول يريد جبرائيل وقرئ بالصاد فالاول للاخذ بجميع الكف
والثاني باطراف الاصابع وانما لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد
تنبيهه على الوقت وهو وقت ارساله ليذهب به الى الطور او حين ارسل
لاغراق فرعون فانه كان راكبا فرس الحيوة وهي الرمكة التي يسمى حيزوم
وكان ركبها يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قتيل ابي جهل حين ضربته
سمعت راكبا يقول اقدم حيزوم فضربه بمقرعة على راسه قال رسول الله عليه السلام
ذاك جبريل فنبذتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي زينته قال
فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس ابتلاه الله تعالى ببلية عظيمة
وهي انه كان اذا مس رجلا او امراة حصل الحمى للماس والممسوس وكان لم يزل
يقول لا مساس خوفا من حصول الحمى فبقي وحيدا طريدا كالوحش وان لك
موعدا لن تخلفه وهو عذاب يوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو لن تخلفه بكسر
اللام اي لن تجد انه تخلف وعده من اخلفت زيدا وعده اذا وجدته مخلف الوعد كاحمدته
وجدته حامدا والفتح احسن واشهر ومال الكسائي اليه معنى وانظر الى الهك
الذي ظلت عليه عاكفا ملازما على عبادته من الظلول خصه بالذكر لانه شاهد
ولانه اذا عكف عليه بالنهار فالليل اولى لانه محل العبادة لنحرقنه بالنار
ثم لننسفنه في اليم نسفا نذرينه ذري الرماد وهذه كانت عقوبة اخرى له
ليتبين معبوده رمادا اذل من التراب انما الهكم المستحق للعبادة
الله وحده الذي لا اله الا هو المنفرد بالالوهية وسع كل شيء علما احاط علمه
بكل شيء كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق اي كقصة موسى نقص
عليك على ابلغ النظام سائر القصص من احوال الامم الماضية تكثيرا لمعجزاتك
وتاكيدا للحجة على من عاندك وزيادة استبصار لمن آمن بك وتابعك
وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا فيه ذكر الوقايع الماضية والامم الدارجة
او كتابا فيه ذكرك وشرفك كقوله كتابا فيه ذكركم وفيه اشارة الى ان التفكر
فيه يورث السعادة وتغيره بالعتب والذكر الجميل لايلائم قوله من اعرض
عنه اي عن القرآن والاعتبار والاتعاظ بما فيه فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة
ثقيلة سميت وزرا لانها جزاؤه خالدين فيه في ذلك الوزر وساء لهم يوم
القيمة حملا وفي ساء ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف لدلالة السابق
عليه اي ساء حملا وزرهم وجعل ساء بمعنى احزن واللام في لهم للبيان كما في هيت
لك لان خلودهم في النار حزن واي حزن يفوت المبالغة مع ان الاسم باب

عنه

عنه يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة لانه اشد هولا وقرا ابو عمرو بالنون
على بناء الفاعل وهو ابلغ تحذيرا لاسناده الى ذاته ما يباشره الملائكة بامره
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا زرق العيون لان الزرقة اوحش الالوان عند
العرب ولذلك يقولون في ذم العدو ازرق العين اصهب السبال اسود
الكبد او عميا لان حدقة من ذهب نور عينه تزارق يتخافتون بينهم يخفضون
اصواتهم لما يملاء صدورهم من الرعب ان لبثتم الا عشرا يستقصرون
مدة لبثهم في الدنيا لما يعاينون من الاهوال فيتذكرون ما كانوا فيه من الدعة
والنعم فيتاسفون عليها وايام السرور قصار او لانهم يوقنون بالخلود ومابينه
الفاني وان طال الى ما لا نهاية له وقيل ارادوا اللبث في القبور لقوله لقد لبثتم
في كتاب الله الى يوم البعث نحن اعلم بما يقولون من مدة لبثهم اذ يقول امثلهم
طريقة رايا ان لبثتم الا يوما فضله عليهم بكونه اعلم لفظاعة الامر وشدة
العذاب ويسألونك عن الجبال قيل سأل رجل من ثقيف
فقل ينسفها ربي نسفا عن ابي زيد تقلعها قلعا وكذا عن الخليل
والى عبيدة وقيل يجعلها كالرمل تذروه الرياح فيذرها قاعا
بترك مقارها مكانا واسعا يعلوه الماء صفصفا مستويا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا الوصفان الاولان باعتبار
الحس وهذا باعتبار المقياس اي لو قاس بها مهندس لم يجد
عوجا في اجزائها ولا ادنى ارتفاع ولذلك ذكر العوج بكسر العين
الذي يكون في المعاني كانه قيل لا يتعقل فضلا عن الاحساس به وقيل لا ترى
استيناف لبيان الحالين يومئذ اي اذ نسفت او بدل من يوم
نحشر بدلا ثانيا ويسألونك استطراد وله موقع حسن عند ذكر
الحشر يتبعون الداعي الى المحشر وهو اسرافيل يقف على صخرة
بيت المقدس وينادي ايها الناس هلموا الى المحشر فيقبلون الى صوته
من كل اوب لا عوج له اي لا يعوج عنه مدعو واستعماله باللام لان
الفعل كما يختص بالفاعل يقول لا ضرب لزيد كذلك بالمفعول وخشعت
الاصوات للرحمن ذو الاصوات او استعار للخفض فلا تسمع الا
همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وصوت
اقدامهم كانهم بكم من شدة الخوف يومئذ بدل ثالث من يوم القيمة
وفيه ترق حسن لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن رفع بتقدير
المضاف على البدل اي الا شفاعة من اذن له الرحمن او نصب على المفعول
اي لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن له الرحمن ان يشفع له ورضي له

قولا: قولا اثر فعله او في حقه: يعلم ما بين ايديهم: ما تقدمهم من الاحوال
وما خلفهم: وما يستقبلونهم: ولا يحيطون به علما: بمعلوماته او بذاته او بمجموع
ما ذكر فانهم وان علموا منه شيئا لا يحيطون بتفصيله ولا بخفايا بواطن ما علموه
مفصلا: وعنت الوجوه للحي القيوم: ذلت وخضعت ومنه العاني للاسير
وفي الحديث اتقوا الله في النساء فانهن عوان في ايديكم والاسناد الى الوجوه
لانها اشرف الاعضاء او اريد بها الذوات كقوله ويبقى وجه ربك والظاهر
العموم وقيل الوجوه عظماء الكفرة: وقد خاب من حمل ظلما: كفرا والجملة
حالية لكونها في مقابلة قوله وهو مؤمن والاولى جعلها معترضة والتقابل
المعنوي كاف: ومن يعمل من الصالحات: بعضها: وهو مؤمن: اذ بدونه
الايمان لا يفيد بعمل: فلا يخاف ظلما: نقصا من ثوابه الموعود وقرا ابن كثير
فلا يخف بالجزم نهيا وقراءة الجمهور اوكد لكونها اخبارا من اصدق القائلين
ولا هضما: هضم النفس وضعها عن مرتبتها والمعنى لا يخاف نقصان
الثواب ولا حط الدرجة والمنزلة اصلا الكل وقيل الظلم منع الثواب
والهضم نقصانه: وكذلك انزلناه قرآنا عربيا: عطف على كذلك نقص
عليك اي ومثل هذه الآيات في الوعد والوعيد انزلنا القرآن كله عود
الى ما بدأ به من السورة من وصف القرآن بالصفات الكمالية فان حديث
موسى كان متصلا بقوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فانتظم الكلام
احسن انتظام: وصرفنا فيه من الوعيد: والحال انا قد كررنا فيه آيات
الوعيد ومن بيانه: لعلهم يتقون: يبلغون به التقوى التي هي نهاية
مقامات العارفين: او يحدث لهم ذكرا: عظة واعتبارا في الجملة
او للتنويع والامر دائر على التحلية والتخلية: فتعالى الله: في ذاته وصفاته
يستعظم ان لا يكون انزال القرآن وما صرف فيه من الوعد والوعيد بالغا
حد الكمال وفيه استدعاء لمن كان له قلب ان يقبل الى تعظيم كلامه ويتوجه
اليه بشراشره: الملك: الحقيقي النافذ امره ونهيه وفيه دلالة على ان ما
في القرآن من قوارع الوعيد سياسات الهية من تحملها فاز وسلم ومن
تخطاها باد وندم: الحق: الدائم الازلي اللازم لهويته في ذاته وصفاته
وفيه اشارة الى ان ما في القرآن من الوعد والوعيد حق لا يحوم حوم حماه الباطل
وان المحق من كان ممتثلا لاوامره والمبطل من لم يتعظ بزواجره وتمهيد
للنهي عن العجلة بقوله: ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه: فان
ذلك يخل بتعظيمه روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحي شدة وكان يحرك شفتيه عند تلاوة

جبريل عليه يبادر الى الاخذ حذرا من فوت شيء منه فنهي عن ذلك وآمنه
الله من ذلك الخوف بقوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه
لانه نهي عن تبليغ المجمل قبل البيان اذ كم مجمل يبلغ قبل البيان كما هي
بيان الخيط الابيض بالفجر بعد تجربته من الزمان والبقرة من اواخر القرآن
نزولا: وقل رب زدني علما: بدل العجلة فان ما اوحي اليك محفوظ لا
يفوتك منه شيء لم يأمر بطلب الزيادة قط الا في هذه الآية اظهارا لشرف
العلم: ولقد عهدنا الى آدم: اي امرناه مع ما في لفظ العهد من المبالغة لذا
على التحفظ عطف على قوله وصرفنا فيه من الوعيد دلالة على ان عصيان هؤلاء
ليس لنقص منك في التبليغ او لنقصان فيما بلغتهم من القرآن بل ذلك
لما يقتضيه شأنهم فان اباهم آدم خاطبناه كفاحا وبينا له عداوة
ابليس صراحا: من قبل: من قبل هؤلاء: فنسي العهد من قريب ولم
يثبت واغتر بقول العدو حتى تورط فيما تورط: ولم نجد له عزما: على الامر
وتصميما وتصلبا على عهد اليه بحيث يوئس الشيطان عن اقترابه والوسوسة
اليه او لم نجد له عزما فيما اتى به بل كان ذلك خطاء منه والوجه هو الاول
ولم نجد ان كان من وجد الشيء بمعنى علمه فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود
نقيض العدم فله حال من عزما كانه قال عدمنا عزمه: واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم: والمعنى اذكر ذلك الوقت ليظهر لك نسيانه وعدم كونه
ذا عزم مفصلا وفيه اشارة الى ان ما اكرمه به من اسجاد الملائكة كان من
البواعث التامة على التحفظ بالعهد: فسجدوا الا ابليس: قد سبق الكلام
فيه: ابى: استكبارا واستنكافا كانه قيل لم لم يسجد: فقلنا: بعد الاباء
يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة: فلا يكون
سببا لخروجكما النهي لهما في المعنى عن اتباعه توكيدا للامر بالثبات
والعهد السابق: فتشقى: افرده بالذكر لان شقاءه مستلزم
لشقائها او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعيشة وذلك
الى الرجال فانهم قوامون على النساء قيل لما اهبط جاءه جبريل بثور
احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه: ان لك ان لا تجوع
فيها ولا تعرى: لوجود المأكل والملابس من غير سعي ومباشرة اسباب
وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى: لوجود الانهار والقصور يقال ضحيت
الشمس اذا برزت من الضحى والضواحي النواحي البارزة عطف على
ان لا تجوع مع عدم جواز دخول ان على ان لان الواو نائبة عنه والمستكره
دخوله صورة ذكر تقابض مطالبه منتفية ولم يأت بتلك المطالب صريحا لتذكره

باسباب الشقاء الذي حذره منه فان قلت لم لم يذكر الظماء مع الجوع الذي هو
قرينه قلت الشبع والكسوة اصلان والاخيران متممان مع ان الشبع الكسا
يعني الا يرى الى قول الشاعر فاكنت عظام امرئ ماكان يشبع طائره
وقرا نافع وابو بكر وانك بالكسر عطفا على ان لك. فوسوس اليه الشيطان
انهى اليه الوسوسة يقال وسوس له بالام فعل الوسوسة لاجله. قال يا آدم
هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى. بيان لوسوسته ولذلك لم يعطف
عليه شجرة الخلد من اكل من ثمرها لم يمت على زعمه وروى ابوهريرة عن ابي داود
ان في الجنة شجرة تسمى شجرة الخلد والبلى الضعف والزوال من بلى الثوب
بكسر اللام قال العجاج والمرء يبليه بلاء السربال كر الليالي واختلاف الاحوال
في كلاهما فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة. طفق
يفعل كذا شرع من افعال المقاربة ويخصف الزاق الشيء فوق آخر من خصف
النعل خرز عليه الخصاف والورق ورق التين قيل كان مدورا فصار من تحت
اصابعهما على هذا الشكل. وعصى آدم ربه. بارتكاب ما نهاه عنه. فغوى فاخطأ
طريق الرشد حيث اغتر بقول العدو وترك نصح السيد الرؤف
ثم اجتباه. قربه من الجباية وهي الجمع. فتاب عليه. قبل توبته بعدما تاب
اليه او وفقه للتوبة. وهدى. ارشده الى الاستقامة وعدم الوقوع في زلة
بعدها وما صدر من آدم وان كان على سبيل النسيان عبر عنه بالعصيان
والغواية اما لان حسنات الابرار سيئات المقربين واما ليكون لطفا
بانا معين وابقا خالهم فان صفيه الذي سجد الملائكة له اذ بدا منه
صغيرة على وجه النسيان جرى عليه هذا فانظروا انتم ايها المصرون على الذنوب
ماعتبروا. قال اهبطا منها جميعا. الخطاب لآدم وحوا. بعضكم لبعض عدو
يريد اولادهما لانهما اصل البشر فخوطبا مخاطبتهم. فاما يأتينكم مني هدى.
كتاب او رسول. فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا. ولا يشقى في الآخرة
وعن ابن عباس رضي الله عنه ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الآخرة ثم تلا الآية. ومن اعرض عن ذكري. الهدى الذي هو
سبب ذكره. فان له معيشة ضنكا. وذلك ان المؤمن وان قل ماله متوكل
على الله تعالى شاغل وقته بعبادته فهو بما اوتي شاكر فرح وصدره شرح والمعرض
عن ذكر الله تعالى وان اوتي مالا لم يزل منكدو ذا سباعيا في الجمع والازدياد ولا يهنا
يعيش محروم لا ينال ما يريده خير الدنيا والآخرة. ونحشره يوم القيمة اعمى.
لا يبصر شيئا او لا حجة له. قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا.
امال حمزة والكسائي الف اعمى في الاولى والثانية واما ابو عمرو الاول دون الثاني

لبوافق

لبوافق الاول رؤس الآي. قال كذلك. اي كما تقول فعلت ثم بين ذلك
وعلله بقوله. اتتك آياتنا فنسيتها. تركتها وتعاميت عنها. وكذلك اليوم تنسى
تترك على عماك جزاؤك من جنس عملك. وكذلك نجزي من اسرف
اي مثل جزاء هذا القائل نجزي كل مسرف منهمك في اتباع الشهوات معرض
عن تدبر الآيات. ولم يؤمن بآيات ربه. بعد بعينها. ولعذاب الآخرة اشد
فظاعة والم. وابقى. وادوم من حشره اعمى بعد ضيق العيش في الدنيا او الحشر
اعمى لا يزول اشد من ضنك العيش المنقضي او تركنا اياه في العذاب اشد
من تركه لآياتنا وابقى وليس بوجه ولا القول بانه اذا دخل النار زال عماه
ليرى موضعه. افلم يهد لهم. الله ورسوله. كم اهلكنا قبلهم من القرون. مفعول الهداية
معنى كانه قيل اولم يبين الله لهم مضمون هذا الكلام وقد علق عنه لكونه في معنى
الاعلام او الجملة فاعل لم يهد او مضمر لفاعله دال عليه وهي الكثرة. يمشون في مساكنهم
يريد قريشا يمرون على آثار الهالكين من عاد وثمود في اسفارهم. ان في ذلك
لآيات لاولي النهى. العقول الناهية عن التغافل والتعامي. ولولا كلمة سبقت
من ربك. بتاخير العذاب. لكان. العذاب. لزاما. ملازما لهم لم يفارقهم
طرفة عين لتكامل اسبابه قال ابو ذويب فلم ير غير عادته لزاما اي ملازما
واجل مسمى. لاعمارهم عطف على كلمة او على ضمير كان المستكن لوجود الفصل
والمعنى لولا كلمة سبقت بتاخير العذاب لكان العذاب لزاما واجل مسمى.
لازمين معا ولم ينفرد الاجل عن العذاب العاجل. فاصبر على ما يقولون.
في الله وفيما جئت به من القرآن. وسبح بحمد ربك. نزهه عما لا يليق
بجلاله شاكرا لنعمه هدايته او صل وانت حامد ربك الذي اوصلك الى
هذا الكمال. قبل طلوع الشمس وقبل غروبها. فان الذكر فيهما اشرف لكونهما اشرف
الاوقات او صلوة الفجر وصلوة العصر لقوله ان قرآن الفجر كان مشهودا
وقوله عليه السلام من فاته صلوة العصر فكانما وتر ماله واهله. ومن آناء الليل.
ساعاته جمع انى بالقصر والكسر او آنا وبالمد والفتح. فسبح. نزهه تعالى
وقدسه او صل فيهما فان الوقت رائق والقلب فيه اجمع لعدم الشواغل
والنفس مائلة الى الاستراحة فالعبادة فيهما احمز ان ناشئة الليل هي اشد
وطأ واقوم قيلا. واطراف النهار. وقبل الطلوع وبعد الغروب فيتكرر
ذكر صلوة الصبح والمغرب وانما جمع الطرف وللنهار طرفان لامن
الالتباس مع ما في ذلك من زيادة البيان او لان اراده جنس النهار
او التطوع في اجزاء الطرفين من نصفي النهار. لعلك ترضى. بما يعطيك
ربك وقرا الكسائي وابو بكر ترضى على بناء المفعول اي لعل الله يعطيك ما

ما يرضيك اذ يكون مرضيا عنده والمختار بناء الفاعل ولعل للتحقيق من
الفاروق المتفضل لاسيما والخطاب مع المقرب المفضل بتمام رضاه
بقبول شفاعته في امته :: ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به :: نظر عينيك
لم ينهه عن النظر بل عن مده وتطويله فان من زيادة النظر الى الشيء ليحيط به
علما ثم كيف النظر غير ملام وانما المنهي استغراق النظر فيه اعجابا به وتمنيا ان
يكون له مثله كما قالت نظارة قارون يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وقال
الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير وقد شدد العلماء واهل التقوى في
النظر الى ابنية الظلمة ومراكبهم وشاراتهم فانه اغراء لهم على طلب الزيادة
والتعمق فيها :: ازواجا منهم :: اصنافا من الكفرة مفعول متعنا ويجوز ان
يكون حالا من الضمير المجرور في به اي لا تمدن عينيك الى الممتع به وهو
اصناف منهم بعضهم او ناسا منهم على ان من تبعيضية :: زهرة الحيوة الدنيا
مفعول ثان لمتعنا لتضمينه معنى الاعطاء والباء للسببية اي لا تمدن عينيك
الى المال الذي اعطيناه بسببه اصنافا من الكفرة زهرة الحيوة الدنيا اي
بهجتها وزينتها او بدل من ازواجا بتقدير مضاف او من المجرور في به و
والابدال من العائد الى الموصول مختلف فيه والاحسن نصبه على الذم لا
لاضافتها الى الحيوة الدنيا المذمومة فمن اكتحل بنور الهدى يرى تحقيرها
والازدراء بها من اقرب القرب :: لنفتنهم فيه :: لنبلوهم فيه او لنعذبهم
في الاخرة بسببه :: ورزق ربك خير :: وما رزقك من الهدى والنبوة
خير من ذلك الحطام فان الالتذاذ به روحاني مع قطع النظر عن فائدته
في الاخرة وقيل ما ادخر لك من الثواب :: وابقى :: وادوم فان ما بيدهم
يصيبه الافات ويفنى بالانفاق وما لك يزداد :: وامر اهلك بالصلوة ::
اي اهل بيتك او امتك فانك راع وكل راع مسئول عن رعيته وفي
امرهم بها اعانة له ايضا فان الجماعة يشد بعضهم بعضا ويزداد الانسان
نشاطا بخلاف الانفراد فانه يورث الفتور وليشاركهم في الثواب
فان الدال على الخير كفاعله :: واصطبر عليها :: تحمل المشاق في المداومة عليها
لا نسألك رزقا :: ان ترزق نفسك واهلك فان ذلك علينا ففرغ
بالك لامر الاخرة :: نحن نرزقك :: ومن وجب عليك القيام بامره و
عن عروة بن الزبير انه كان اذا راى ما عند الملوك قرا ولا تمدن عينيك
ثم نادى الصلوة رحمكم الله :: والعاقبة للتقوى :: لذوي التقوى اشارة
الى ان ما يتم فيه سريع الزوال :: وقالوا لولا يأتينا باية من ربه :: على عادتهم
في التعنت والعناد وعدم الاعتداد بما جاء به :: اولم تأتهم بينة ما في

الصحف

الصحف الاولى :: يريد القران فانه مع كونه معجزة له دالة على صدق دعواه برهان
على صدق سائر الكتب المنزلة وهم يقرون بصدق تلك الكتب فاقرارهم بهذا
كان اولى واوجب او المراد ببينة الصحف الاولى نعته ونعت امته فيها
كقوله اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقرا غير نافع وابي عمرو و
حفص بالياء بالتذكير وهو حسن لوجود الفاصل :: ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله :: من قبل مجيء البينة او محمد :: لقالوا ربنا :: يوم القيمة :: لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل :: في الدنيا :: ونخزى :: في الاخرة
يريد ان هؤلاء لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية لانهم معاندون والايات
انما ينتفع بها المسترشد والارسال اليهم انما هو لئلا يكون لهم عذر يعتذرون
به يوم القيمة :: قل كل متربص :: منا ومنكم :: فتربصوا :: انتم :: فستعلمون :: عن
قريب :: من اصحاب الصراط السوي :: القويم :: ومن اهتدى :: سلك ذلك
الصراط ومن في الموضعين استفهامية علق عنها العلم ختم السورة بما بداها كانه
يقول لما انزلنا عليك القران لتشقى مع هؤلاء المعاندين فبعد التبليغ لا
تهلك نفسك ودعهم في اودية الضلال يهيمون فسيعلم الذين ظلموا
اي منقلب ينقلبون تمت السورة ولله الحمد على نعمه المتوفرة والصلوة
على من بعثه في الصحف المزبورة سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا
عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم
اللام صلة اقترب اي اقترب منهم فان الاختصاص وابتداء الغاية
متقاربان او تأكيد للاضافة والاصل اقترب حساب الناس اي لهم
ثم قيل اقترب للناس الحساب للاجمال والتفصيل ثم قيل اقترب للناس
حسابهم باقامة الضمير مقام اللام الاقتراب اما بالنسبة الى ما مضى من
الدنيا فلقوله بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى
ولقوله بعثت في نسم الساعة او هو باعتبار المتكلم وان يوما عند ربك
كالف سنة او لان كل ات قريب وكل ماض بعيد والوجه هو الاول
لوجود الاشراط :: وهم في غفلة :: مستقرون فيها :: معرضون :: عن التدبر
والتفكر في العواقب خبر بعد خبر وجعل الظرف حالا من المستكن في معرضون
ضعيف :: ما يأتيهم من ذكر :: قران يوقظهم عن سنة الغفلة :: من ربهم ::
لهم بانزال ذلك الذكر صفة ذكر :: محدث :: انزاله اية عقب اية وسورة
اثر سورة :: الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم :: حالان مترادفان
او متداخلان والمعنى ما يأتيهم الذكر المحدث المشتمل على فنون المواعظ و
انواع البصائر في حال من الاحوال الا في حال استماعهم له لاعبين مستهزئين

به يقولون لو شئنا لقلنا مثل هذا قلوبهم شاغلة عن التدبر فيه والتفكر في عجيب
اساليبه وبديع لطائفه. واسروا النجوى اسم من التناجي ولا يكون الا خفية
فايقاع الاسرار عليه مبالغة في اخفائه او اريد به نفس الفعل وهو التناجي بحيث
لا يفطن له ولا يعلم احد انهم يتناجون وهذا ابلغ. الذين ظلموا بدل من واو اسروا
للدلالة على كونهم موسومين بالظلم في تناجيهم وقيل هو على لغة اكلوني البراغيث
وهي لغة ازدشنوءة اول من تكلم به ابو عمرو الهذلي ووجهه انه اريد بالاكل الاستيلاء
والظلم وهو من فعل العقلاء فرشح بالحاق علامتهم به وقيل منصوب على الذم
وقيل مبتدأ قدم عليه خبره. هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون
عطف بيان للنجوى او بدل منه وكان حق الكلام ان يقال هل هذا الا ساحر
او سحر ثم ترتب عليه الانكار لكن لما كان كون مدعي الرسالة من البشر
وكون معجزته سحرا امرا مفروغا منه عندهم وضع المنزل موضعه ليكون ابلغ. قل
ربي يعلم القول في السماء والارض القول العام الشامل للجهر والسر والاخفى
فضلا عن نجواهم الذي اسروه تناولا اوليا وفي الفرقان قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض لانه رد لما نسبوه اليه من الافتراء على انه
فاشار الى ان ما سموه افتراء انزله من يعلم باطن امر بيته ومقالاتهم الخفاء
وقرا حمزة والكسائي وحفص قال اي ذلك البشر في جوابهم وهو المختار لكونه
مدخالة في الاهتداء الى هذا الجواب الذي طبق المفصل. وهو السميع العليم
برهان على علمه بذلك القبول. بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر
اما حكاية مقالاتهم من غير تدرج وترق في اباطيلهم والمراد انهم خابطون
متحيرون فتارة يقولون كذا وتارة كذا واما ابتداء اخبار منه تعالى عنهم
ملاحظا فيه التدرج فان قولهم القران سحر اقرب من كونه تخاليط الاحلام
لانه النظم الانيق الذي الجم كل منطيق هو اقرب من كونه مفترى مختلقا
لدلالة القواطع على صدقه وهو اقرب من كونه شعرا لكونه كلاما مختلا
لا حقيقة له اين هو من كلام حاز الحقائق النظرية والدقائق العملية التي
نيط بها امر المبدا والمعاد وعلق بها صلاح العالم عن الفساد فان قلت
التدرج من الكذب ههنا الى الشعر عكس التدرج من الشعر الى الكذب
في سورة الطور فما وجه ذلك قلت الكلام ههنا في الذكر المتجدد النزول
فكانه قيل انه كذاب بل شاعر شانه الاتيان بالاكاذيب وما لا حقيقة
له بخلافه هناك فان الكلام في رسالته وكونه شاعرا اقرب من
كونه مفتريا لاشتهاره عندهم بالامانة والصدق. فليأتنا باية كما
ارسل الاولون. كابراء الاكمه والابرص واليد والعصا وصح التشبيه

لان الارسال يستلزم الاتيان بالمعجزة. ما آمنت قبلهم من قرية اهل قرية
اهلكناها صفة قرية. افهم يؤمنون استفهام انكار واستبعاد ودلالة
على انهم اعتى من السابقين وان عدم الاجابة الى ما اقترحوه انما هو
للابقاء عليهم. وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقرا حفص بالنون
وهو المختار لكونه ادل على التصديق وانسب بارسلنا. فاسئلوا اهل
الذكر اهل الكتاب ان كنتم لا تعلمون اذ لو كان كونه بشرا منافيا
للرسالة كان اهل الكتاب اول مكذب له لذلك. وما جعلناهم جسدا
لا ياكلون الطعام رد لقولهم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
وافراد جسدا لكونه مصدرا في الاصل او بتقدير المضاف او ارادة الجنس
او بتاويل الضمير بكل واحد وهو اخص من الجسم لاختصاصه بما له لون
وما كانوا خالدين كانهم كانوا يعتقدون ان الملائكة لا يموتون او جواب
لقولهم يعيش كما نعيش ويموت كما نموت فلا يصلح للرسالة. ثم صدقناهم
الوعد اي في الوعد كقوله واختار موسى قومه. فانجيناهم ومن نشاء
من المؤمنين بهم او من سبق في العلم ايمانه او ايمان من سيولد منه و
واهلكنا المسرفين المتجاوزين المفرطين. ولقد انزلنا اليكم كتابا
خطاب لقريش فيه ذكركم صيتكم وشرفكم لانه بلغتكم منزل على نبي
منكم فانتم حملته واليكم المرجع في حل معاقده او تذكره وموعظة لكم او فيه
ما تحصل به الذكر الحسن والثناء الجميل من مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون
اليها. افلا تعقلون ترجعون الى عقولكم فتؤمنون به. وكم قصمنا من قرية
كانت ظالمة وصفت بوصف اهلها مبالغة والقصم الكسر مع الابانة
كناية عن الاستئصال لعدم بقاء الالتيام بعده وكم للتكثير وما روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انها قرية ببلاد يمن اهلها حضور ارسل الله
اليهم نبيا فقتلوه فبعث عليهم بخت نصر فقتلهم عن اخرهم معناه انها
من جملة تلك القرى. وانشانا بعدها اي بعد اهلها المهلكين قوما آخرين
وسطه في اثناء القصة اظهارا لعظمته وكمال اقتداره كقوله ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز. فلما احسوا باسنا
شاهدوه. اذا هم منها يركضون الركض ضرب المركوب بالرجل
وكانهم حين راوا مقدمة العذاب هربوا عن دوابهم او عدوا على ارجلهم
شبه بالركض بجامع السرعة. لا تركضوا على ارادة القول والقائل اما
الملائكة او المؤمنون منهم او لا قول بل هم احقاء بان يقال فيهم ذلك
وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه الاتراف ابطار النعمة

والمترف المكثر من الملاذ الموسع فيها ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى
فتخبرون عن علم ومشاهدة او ارجعوا الى مساكنكم وتربعوا في المجالس
مباهين بها حتى يسألكم خدمكم وحفدتكم ماذا تأمرون به من المهمات او
يسألكم من تستعينون بهم في الامور المهمة ويستشفون بآرائكم او المجاويح المستمطرون
سحايب اكفكم المستمطرون اخلاف معروفكم كل ذلك على سبيل التهكم قالوا
يا ويلنا انا كنا ظالمين بتكذيب الانبياء فما زالت تلك دعويهم اي
قولهم يا ويلنا سماه دعوى لان المولول ينادي الويل وتلك مرفوع على انه اسم
زال ودعويهم نصب على الخبر لانه مثل ضرب موسى عيسى ومن جوز
العكس لم يلتفت الى قاعدة النحاة ميلا منه الى المعنى حتى جعلناهم حصيدا
مثل النبت المحصود خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا
مفعول ثان لجعل لانهما في حكم الواحد اي جامعين لمماثلة الحصيد والخمود
والمتعدد وبنى مثله كالواحد سواء كان واحدا حقيقة كقولك جعلته حلوا
حامضا اي مزا او لا كعالما شجاعا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين كما يفعله الجبابرة من رفع السقوف وبناء القصور وفرش
الحرير وسائر الزخارف وانما رفعنا هذا السقف المرفوع وفرشنا
هذا المهاد الموضوع وبثثنا بينهما من الخلايق مشحونة بضروب البدايع
ليكون تبصرة للمستبصرين وتذكرة للناظرين مع ما يتعلق لهم بها من
المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى
لاتخذناه من لدنا مما يليق بنا من الحكم الالهية التي اتخذتموها انتم لهوا
والمعنى ان صدور اللهو منا مستحيل سوق الكلام لدفع المطاعن التي تعنت
فيه صلى الله عليه وسلم بعدما ثبته بقوله وكم قصمنا من قرية فان منكر الرسالة
جاعل خلق السموات والارض من باب العبث لان خلق السماء والارض
وما بينهما انما هو لمعرفته تعالى وجزاء من قام بها ومن لم يقم ولن يتم ذلك
الا بارسال الرسل وانزال الكتب وحمل اللهو على الولد او المرأة ليس بذاك
لان نفي الولد يجيء صريحا وقوله ان كنا فاعلين تكرير مبالغة في الاستحالة
اي ان كنا نفعل ما يوصف باللهو فهكذا يكون فعلنا والحمل على النفي ليكون
كالنتيجة للسابق ايضا معنى حسن بل نقذف بالحق على الباطل اضراب
عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته تعالى عنه فيدمغه فيمحقه ويقلع اثره استعار
القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو وصول
الى الدماغ الموجب للهلاك تصويرا لابطاله ومحقه كأنه جرم صلب قذف
به على جرم رخو اجوف فاذا هو زاهق هالك وذكره ترشيح للمجاز ولكم

الويل

الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه من اللهو واللعب وله من في السموات
والارض خلقا وملكا ومن عنده من الملائكة المكرمين افردهم بالذكر اظهارا
لشرفهم ولفظ عنده تصوير لقربهم بمن يكون عند الملوك ذا منزلة قريبة لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون لا يملون من الحسور وهو العي اوثر الاستحسار على
الحسور اظهارا لكمال قيامهم باعباء العبادة التي حقيق ان يستحسر منها يسبحون
الليل والنهار لا يفترون مستمرون على التقديس لا يعتريهم فتور تقرير وتوكيد لما
سبق من نفي اللهو لان من بذاته منزه عن مثل ذلك وتمهيد لما بعده ام
اتخذوا آلهة منقطعة للاضراب او الترقي فان اتخاذ الشريك ادخل في الانكار
من انكار النبوة والقدح فيها وانما قدم عليه كونه مالك السموات والارض ومن
فيهما مستحق العبادة منهم وان المقربين عنده قائمون بها حق القيام لتشييد وجه
الانكار من الارض صفة آلهة ومن ابتدائية لان الاصنام متخذة من جنس
الارض كما تنحت من الحجر او يعمل من بعض الجواهر هم ينشرون الموتى من قبورهم
والمشركون وان لم يقولوا باقتدار آلهتهم على ذلك ولكن لازم ادعاء الالهية
لها لاقتضائها الاقتدار على كل الممكنات وفيه تهكم بهم والمبالغة في ذلك زيد
الضمير الموهم اختصاص الانتشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله الا وصف لآلهة
حمل على غير كما حمل عليه غير في الاستثناء ولا يستقيم فيه الاستثناء ولا البدل لفظا
ومعنى اما لفظا فلان الاستثناء لا يكون بعد جمع منكر لعدم الشمول واما البدل
فلتفرعه على المفرغ المنفي واما معنى فلان ما سبق له الكلام انتفاء التعدد والمفضي
الى الفساد والاستثناء والبدل مفضيان الى ان دخوله الاله الحق
عداد الآلهة يدفع الفساد لفسدتا لم تتكونا او خرجتا عن النظام
للتمانع والتغالب وتحقيق الحق في هذا المطلب لاجل ان موجد الكاينات
خارج عنها واجب دونها فلو فرض اثنان اما ان يتحدا ماهية او
يختلفا وكل باطل قطعا اما الاول فلاحتياج الى المقوم ولاحتياج الى
المميز وبطلانه ظاهر للزوم غناه عند الفرق واما الثاني فلان الاثر
الواحد بالشخص اما بهما او بكل منهما او بواحد منهما والكل باطل وبطلان
اللازم يوجب بطلان الملزوم ووجه اللزوم والبطلان ظاهر هذا
ان اريد بالفساد عدم التكون وان اريد الخروج عن النظام فكذلك
لان حفظهما اما بهما او بكل منهما او باحدهما والكل باطل كما تقدم واما
بالتوزيع واختصاص كل بالبعض فلان المخصص من الخارج لاستواء
القدرة والامكان وذلك عين البعض الاحتياج فالاية برهان نير
ولا اختصاص له بالفاعل المختار كما ظن فسبحان الله رب عما يصفون

العرش

اي اذا دلت السموات والارض على عدم جواز وجود الشريك فانزه
مالك العرش عما يصفون به من الشريك : لا يسأل عما يفعل لانه
عالم بالخفيات وذو حوزة الحكم والملوك الذين يتطرق على آرائهم الخطا
والزلل لا يسألون عن تدبير الملك فكيف عن علم ما كان وما يكون و
وهم يسألون : لانهم عبيد مأمورون خطاؤن : ام اتخذوا من دونه
آلهة : انكار لاتخاذ الالهة الارضية لظهور فسادها ثم الالهة مطلقا ونعى عليه
نفي الحجة بقوله قل هاتوا برهانكم : فان ما لا دليل عليه لا ثبوت له : هذا ذكر
من معي : وهو القرآن ومن معه امته واضافة الذكر اليهم لانهم متعبدون
باحكامه : وذكر من قبلي : وهو التورية والانجيل وفيها دليل على عكس مدعاهم
واكتفى بالسمعي لتقدم العقلي قريبه لكونه الاصل في العقايد : بل اكثرهم
لا يعلمون الحق : فهم معرضون : اضرب عن اقامة البرهان لكونهم فاقدي التمييز
بين الحق والباطل فاني فائدة في ذلك : وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون : كشف عما كان في ذكر من قبلي
ازاحة لما عسى ان تخالج المشركين شبهة على الوجه الاعم وقرا حمزة و
والكسائي وحفص بالنون وقد سبق انه ابلغ : وقالوا اتخذ الرحمن ولدا :
قدم نفي الشريك على نفي اتخاذ الولد ليكون تمهيدا له لانه اشد استحالة
لاقتضائه الازدواج وانفصال الجزء منه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
والآية نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله : سبحانه : تنزيه له
بل عباد : بل هم من العبيد : مكرمون : مقربون تنبيه على محل الخطاء : لا
يسبقونه بالقول : لا يسبق قولهم قوله وانما نفى السبق منهم اولا وجعل
القول اداة ليكون اول ما يقرع السمع عدم السبق منهم مطلقا فيكون
اشد واقوى في مدحهم نظيره شعر : ع قد طلبنا فلم نجد لك مثلا
وهم بامره يعملون : لا بغيره فلا قول ولا فعل لهم الا بامره كما هو شان المقربين
مع الملوك : يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم : لا يخفى عليه منهم شيء والجملة
تقرير وتوكيد لما قبلها : ولا يشفعون : مع قرب مكانتهم : الا لمن ارتضى
ان يشفع له واذن لهم في ذلك : وهم من خشيته مشفقون : من
خوفه خائفون غاية الخوف من الشفق وهو التغير الرقيق روي انه تعالى
لما طرد ابليس بكى جبريل وميكائيل فقال تعالى لم هذا البكاء فقالا يا ربنا انت
اعلم خشية منك واشفاقا من مكرك فقال هكذا كونا والقول بان الخشية
خوف مع تعظيم ولذلك خص به العلماء يرده قوله في حق فرعون لعله
يتذكر او يخشى ولا دليل في قوله انما يخشى الله من عباده العلماء لارادة

الكمال

الكمال كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم : ومن يقل
منهم اني اله من دونه : فرضا كقوله لئن اشركت : فذلك نجزيه جهنم : فكيف
يكون ولدا او اهل احد يلقى ولده في نار جهنم : كذلك نجزي الظالمين : اي
المشركين : اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا : اي
مرتوقين ملصوقا احدهما بالاخرى فكشط السموات عن وجه الارض
واوقع بينهما الفضا او السموات والارض متلاصقة وكذا الارضون لا
فرج منها : ففتقناهما : فجعلنا بينهما فرجا والرؤية فعل القلب فان ثبت
اثبات ذلك العلم على اكد وجه ومتى كان لابي جهل واقرانه علم بان
السموات والارض كانتا رتقا قلت علمهم باعجاز القرآن المخبر عنه مستلزم
عنه وانما آثر هذا الاسلوب وان كان الاستدلال بالاتحاد كاف
بيانا لكيفية الاتحاد الدال على كمال الاقتدار وقيل الرتق العدم
لعدم تمايز الاشياء فيه وقيل ففتقنا السماء بالمطر والارض بالنبات
والقول بان السموات فتقت بالتحريك : الفلكية مع سماجة معناه
مبني على ثبوت حركة الفلك وانما قال كانتا لان المراد جماعة السموات
وجماعة الارضين : وجعلنا من الماء كل شيء حي : اي خلقنا كل حي من نطفة
ابيه كقوله والله خلق كل دابة من ماء او لفرط احتياجه اليه كانه
مخلوق منه او جعل بمعنى صير اي صيرنا كل شيء حي من الماء متصلا به لا يحيى
دونه كقوله عليه السلام ما انا من دد ولا الدد مني اي لا اتصال بيننا
افلا يؤمنون : بعد ظهور الآيات : وجعلنا في الارض رواسي : جبالا ثوابت
تنزل معهم باتباع الاظهر الاخفى فان هذا المحسوس وذاك معقول : ان
تميد بهم : كراهة ان تضطرب بهم من مادية مال : وجعلنا فيها : في الجبال
فجاجا : طرقا واسعة : سبلا : تسلكها ابدله بدل من فجاجا بدل الصفا
على انه خلقها كذلك لتسابله او حال قدمت وان كانت في الاصل وصفا
لقوله سبلا فجاجا للدلالة على انه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فيكون
بيانا لما ابهم هناك : لعلهم يهتدون : الى مصالحهم : وجعلنا السماء سقفا
محفوظا : من الوقوع والاضطراب : او الخروج عن الاوضاع والاشكال مع
عظم الجرم وطول الزمان وقيل بالشهب عن استراق الشياطين الى استماع
سكانه : وهم عن آياتها : المودعة فيها من عظم الجرم بلا عمد وتزيينه بالكواكب
وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب : معرضون : لا يتفكرون
في شيء منها ليؤديهم الى الايمان بوحدة الصانع : وهو الذي خلق الليل
والنهار والشمس والقمر : تفصيل لبعض تلك الآيات : كل : اي كل واحد منه

من الشمس والقمر في فلك يسبحون يسرعون على سطح الفلك سراع السابح
على الماء، خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بالحال دون المعطوف
عليه لعدم اللبس والجمع باعتبار كثرة المطالع وبالواو لان السباحة فعل
العقلاء، وهو صريح في ان الحركة للكوكب دون الافلاك كما يزعمه اهل الهيئة
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كانوا يتقدرون
به ريب المنون كما هو داب الخصم المحجوج اذا لم يبق ما يتشبث به تمنى هلاك
خصمه فقيل ان مت انت كما تتمنونه فانت وهم في ذلك سواء فقل للشامتين
بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا كل نفس ذائقة الموت برهان
على ذلك ونبلوكم بالشر والخير نعاملكم معاملة المختبر بهما لنرى صبركم على البلاء
وشكركم على النعم فتنة مصدر من غير لفظ الفعل والينا ترجعون فنجازيكم
على حسب الصبر والشكر واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا
مهزوا به اطلق المصدر مبالغة اهذا الذي يذكر آلهتكم قائلين هذا الكلام
والذكر بالخير وبخلافه ارادوا عيب آلهتهم لان العدو لا يذكر العدو بخير واسم
الاشارة للتحقير كما في قول عائشة رضي الله عنها عجبا لابن عمر وهذا حين افتى
بان على النساء نقض الظفائر للغسل وهم بذكر الرحمن هم كافرون اي بما يجب
ان يذكر به من الوحدانية او بذكر الرحمن من اسمائه حيث قالوا وما الرحمن
او بالقران الذي انزله الرحمن اليك والمعنى وهم بهذه الصفة فهم احق
بان يتخذوا هزوا وانت فمعزل من ذلك واعادة الضمير لافادة التخصيص
خلق الانسان من عجل عن ابن عباس رضي الله عنه اراد بالانسان آدم
حين بلغ الروح صدره اراد ان يقوم وقيل لما بلغ الروح عينيه راى ثمار الجنة
فلما دخل جوفه اشتهى الطعام والتحقيق ان المعنى ان العجل من لوازم الانسان
جبلة لقوله وكان الانسان عجولا فانه عام دل عليه حديث طروق رسول الله
فاطمة وعليا والاية نزلت في النضر بن الحارث وليس فيه ما يدل على جواز تكليف
المحال ساريكم آياتي التي تستعجلون بها فلا تستعجلون ويقولون متى هذا
الوعد استبطاء ان كنتم صادقين في وقوع العذاب اما في الدنيا او يوم القيمة
لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
جواب لو محذوف اي لو عرفوا القيمة حق المعرفة وما يحيط بهم فيها لا اخبروا
على ما جسروا في التعبير عنها بحين منكرا دون العلم الموصوف وتصويرها بالوصف
الكاشف تهويل لا يخفى ويجوز ان لا يكون للعلم مفعول اي لو كانوا من اهل
العلم لما استعجلوا وعلى هذا حين منصوب بفعل مضمر على تقدير السؤال كانه قيل
متى يعلمون فاجيب يعلمون حين لا يكفون بل تاتيهم بغتة فجاة وهي مصدر

اوحال

اوحال فتبهتهم تجعلهم حيارى مغلوبين فلا يستطيعون ردها النار او العدة
او القيمة لان الحين بمعنى الساعة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير باهمالهم في
الدنيا وتضييق الوقت عليهم وانه لا انتظار بعد ذلك الا مهال الطويل ولقد
استهزئ برسل من قبلك لما ذكر الاجوبة الدامغة لمطاعنهم في النبوة ادرج في
ذلك من المعاني التي هي لباب المقاصد تسلية بان له فيما ناله من الاذى اسوة
باجلة الرسل فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وعده بالنصر في العاقبة
قل من يكلؤكم يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار من الرحمن من باسه وفي ايثار
الرحمن اشارة الى ان لا كالئ لهم الا رحمته الغالبة وايماء الى انه وان عظمت
نعماؤه ما اعظم نعماؤه على ما يتعالى بعفو زيادة من غضب الحليم والسؤال سؤال تقريع ولذلك
اضرب عنه بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا من ان يخافوا من باسه
تسجيلا عليهم بانهم ليسوا اهلا للسماع ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا اضرب من
اعراضهم الى ما هو اشد وادخل في الانكار كانه يقول دع اعراضهم وانظر الى من اعرضوا
من ذكر الرحمن والتجؤا اليه فان هذا الهم لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا
يصحبون استئناف لبيان سخافة عقولهم بان من تركوا ذكر الرحمن لجماد لا يقدر
عن نصر نفسه ولا هو مصحوب من الله بنصر كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم
حتى طال عليهم العمر اضراب الى بيان الداعي الى كلائهم وهو التمتع استدراجا بما قدر
لهم من الاعمار فحسبوا ان لا يزالوا كذلك افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من
اطرافها بيان وتقرير لما هم فيه من الاستدراج وانهم سيخرجون عما هم فيه والرؤية
بمعنى العلم لتعلقها بمضمون الجملة واللام للعهد يريد ارض الكفرة وهذا اخبار عما سيقع
من تسليط المسلمين على الكفرة لان السورة مكية وقد وقع ذلك كما اخبر فالآية معجزة
مستقلة افهم الغالبون لا يكون ذلك قل انما انذركم بالوحي بعدما استوفى الكلام
في الاحتجاج على النبوة والتوحيد ثم ارعد وابرق في الوعيد ثم امره ان يقول ان هذا الذي
اتلوه عليكم وحي من الله تعالى ليكون فذلكة كما يقول احد خواص الملك لمن ينصحه بعد ان
لم يبق له عذرا انما قلته لك كلام الملك ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون الظاهر
لا يسمعون ما ينذرون عدل الى المنزل للدلالة على ان عدم الاستماع انما هو للتصام لا للقصور
في الانذار لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي وقرا ابن عامر
بالخطاب من الاسماع والنبيه من السماع ابلغ لدلالته على عدم القابلية اذ ذهب
يسمع او بالدعاء والتقييد بالانذار لان الكلام فيه ولئن مستهم نفحة من عذاب
ربك ادنى شيء منه من نفح الطيب اذا فاح وفي الحديث ان لربكم في ايام دهركم نفحات
فتعرضوا لها وفيها مبالغات ذكر المس الذي هو اتصال ما والنفح وبناء المرة والتنكير
الدال على القلة يا ويلنا انا كنا ظالمين ندموا حيث لا ينفع ونضع الموازين

القسط يوزن بها صحائف الاعمال او هو تمثيل لحساب السوي والقسط
سو العدل من اقسط عدل لا من قسط وافراده لانه مصدر او ذوات القسط
روى مسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له بيده القسط يرفع ويخفض ليوم القيمة
اللام للتوقيت كقوله لدلوك الشمس ولاجل اهله فلا تظلم نفس شيئا
من اعمالها وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل في الحقارة
ما يزن تلك الحبة تصوير لكمال عدله وان القليل عنده كثير اتينا بها احضرناها
وقرا نافع مثقال بالرفع على كان تامة وقراءة القوم اظهر لان المراد عمل يوازن
الحبة وكفى بنا حاسبين لكمال علمنا وشموله وانما وضع الميزان اظهارا للعدل
ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين شرع لتفصيل
الرسل الذين استهزئ بهم اكمالا للتسلية بعد الاحاطة باحوالهم وبدا بذكر موسى
عليه السلام لكونه اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم في كثرة الايات وتكاثف الامة
ولم يستوف قصته لتقدمها في السورة السابقة مستوفاة ثم ذكر قصة ابرهيم
عليه السلام لكونه على ملته ولكون قصته اغرب القصص لبلوغه اقصى مراتب المتوكلين
والعطف باعتبار الصفات فان التورية لكونه فارقا بين الحق والباطل فرقان
ولاشتماله على الاحكام الدينية ضياء ولكونه موعظة ذكر وقيل الفرقان النصر
لقوله تعالى يوم الفرقان ليوم بدر وقيل فلق البحر بين موسى وعدوه الذين يخشون
ربهم صفة المتقين والاوجه الرفع او النصب على المدح بالغيب حال من الفاعل
او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون غاية الخوف وفي تقديم الضمير
تعريض بغيرهم وهذا ذكر مبارك اي القران اودع فيه النما وزيادة الخير كلمة
جامعة تشمل اوصاف التورية وغيرها انزلناه افانتم له منكرون توبيخ وتقريع
بعد بيان الصارف عن الانكار ولقد اتينا ابرهيم رشده الاهتداء الى
وجوه الصلاح او النبوة والحجة على قومه واضافة الرشد للدلالة على انه رشد له
شان كقوله انزله بعلمه من قبل اي قبل البلوغ حين خرج من السرب ورأى
الكوكب او من قبل موسى وهرون او من قبل نبوة محمد عليه السلام وكنا به عالمين
بما جبل عليه من الزكاة وبديع الاسرار وقوة اليقين وكمال التسليم اذ قال لابيه
وقومه تتعلق باتينا او برشده والاحسن تعلقه باذكر مقدرا اي اذكر من
اوقاته هذا الوقت فانه يستتبع ما تلقاه من قومك ما هذه التماثيل التي انتم
لها عاكفون عبر عنها بالتماثيل التي هي الصورة المصورة اشارة الى انها خالية عن المعنى و
واللام للاختصاص لان صلة العكوف على والاحسن تضمين العكوف معنى العبادة
لقوله قالوا انا وجدنا اباءنا لها عابدين ولان المنكر عبادتها قال لقد كنتم
انتم واباؤكم في ضلال مبين واضح غني عن البيان لان من به مسكة لا يكلف

قصده

قصده الى الجماد فضلا عن ان يتخير الوجه له قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين
استبعدوا ان يكون ما هم فيه ضلالا اي ما بقوله اجد وحق ام لعب وانما اثروا الاسمية
في معادلة الهمزة ميلا الى ترجيحه وانه الذي يليق بحاله وعندي ان ام منقطعة اضرابا
عن كون ما جاء به فيه شائبة حق ولذلك قابلهم بمثل ما بداوه حيث قال بل
ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن ان يكون فيما جاء به شائبة
هزل والضمير في فطرهن للتماثيل او للسموات والارض والاول ادخل في
تضليلهم وان كان الثاني اقرب وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين
الموقنين فان علم الشهود اجلى اليقينيات وتالله لاكيدن اصنامكم في ابدال
التاء التي هي متعجب من حروف القسم ولفظ الكيد الدال على الاحتيال اشعار
منه بان التعرض لها امر خطير وكان كذلك ولكنه اذا لله يسني عقد شيء بتيسر
بعد ان تولوا مدبرين الى مكان عيدكم روي ان آزر وقومه خرجوا الى عيد لهم
فدخلوا بيت الاصنام وسجدوا لها ووضعوا طعاما بين ايدي الاصنام وقالوا
الى ان نرجع يحصل للطعام البركة فدخل ابرهيم عليه السلام لما وجد بيت الاصنام
وكانوا سبعين صنما فاخذ الفاس وكسر الكل الا الكبير لهم وكان من ذهب
وفي عينيه جوهرتان فعلق الفاس في عنقه فجعلهم جذاذا قطعا فعال
بمعنى مفعول وقرا الكسائي بالكسر وهما لغتان وقيل بالكسر جمع جذيذ كخفاف
وخفيف وبالضم اكثر كحطام ورفات الا كبيرا لهم للاصنام لعلهم اليه
يرجعون الى ابرهيم فانه المتفرد بعداوتها فيبكتهم بها او الى الكبير فانه كبير
المعبودين ورئيسهم فيبكتهم ايضا وجعل الضمير به تعبيدا ولا فائدة في ابقاء
الكبير حينئذ قالوا حين رجعوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين بجرأته
وهتك ما كان يجب توقيره او بتوريطه نفسه قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال
له ابرهيم الفعل الاول مع فاعله مفعول ثان لسمعنا والثاني صفة فتى
ورفع ابرهيم على انه نائب عن فاعل يقال لان المراد به الاسم لا المسمى
وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منادى قالوا فاتوا به على اعين الناس
بمرأى منهم وايثار على للمبالغة في تحقيق الرؤية شبه ثبوته وتمكنه في اعينهم
بتمكن الراكب من المركوب لعلهم يشهدون عليه ان انكر او يشهدون
عقوبته ان ثبت انه الفاعل قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم
الاستفهام للتقرير او هو على صله والاضراب الى قوله قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسئلوهم ان كانوا ينطقون معناه ان السؤال لا وجه له اذ لا يصلح لهذا الفعل
غيري وهذا النوع من الكلام من لطف المعاريض اثبت لنفسه الفعل على الوجه
الابلغ متضمنا فيه الاستهزاء والتضليل او هو من الاسناد الى السبب فانه لما كان

غيظ كبير بما يشد عليه واكبر تسبب ذلك لحطم البواقي او هو حكاية لما يلزم مذهبهم
كانه قال من يكون الها يجب ان يقدر على هذا واعظم روي انه لما قال
بل فعله كبيرهم غضبان الصغار لعدم رضاه بالاشتراك معه اشارة الى ان العظيم
الكبير اذا لم يرض بالاشتراك فكيف يرضى خالق الكائنات فرجعوا الى انفسهم
فقالوا انكم انتم الظالمون باتخاذ هذه الجمادات معبودا لا من ظلمتموه ثم
نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون النكس جعل اسفل الشيء اعلاه
والمعنى انحرفوا عن تلك الفكرة الصالحة الى ما كانوا عليه من الضلال بعدما علموا
انها لا قدرة لها ومع ذلك اتخذوها اربابا او رجعوا عن الجدال الباطل الى الجدال
بالحق لان قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اقرار بعدم الالهية وانما عبر عنه
بالنكس وان كان حقا لانه خلاف معتقدهم او النكس عبارة عن مطاطاة
رؤسهم خجلا وقولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون كلمة حيرة اتوا بها وان كانت
حجة عليهم او من الرجوع عن الجدال عنه في قوله انكم انتم الظالمون الى الجدال معه
بالباطل في قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وجوابه وهو قال افتعبدون من
دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم معللا بما ينافي الالوهية يؤيد الوجه
الاول اف لكم ولما تعبدون من دون الله اف صوت اذا صوتت
به علم ان المصوت متضجر واللام للتبيين اي تضجرت لكم وقرا ابن كثير وابن
عامر بفتح الفاء ونافع وحفص بالكسر منونا للتنكير المفيد للتعظيم والباقون
بالكسر غير منون لان اصل بنائه السكون والكسر اصل في تحريك الساكن
افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا حرقوه بالنار اذ لا يتصور عذاب فوقه قال
عليه السلام لا يعذب بالنار الا الله لعله خص به لانه اعظم منه وانصروا
آلهتكم عطف تفسيري ان كنتم فاعلين ان تنصروا آلهتكم كنى عنه بالفعل
مبالغة هذا داب المحجوج اذا الزمت حجته وافتضح بادر في الكناية ناكبا
عن المعارضة والمشير بالاحراق نمرود وقيل رجل من اعراب فارس قيل
حبسوه شهرا حتى جمعوا حطبا كثيرا واججوا له نارا يكاد يحترق الطير في الجو
من وهجها قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اما كلمتها على ما هو الظاهر
او مجاز عن تعلق ارادته وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقل سلاما لاهلكته
بالبرد وكانه اخذه من قوله الغلة وصل المصدر واخراج النار عن طبعها خلاف
المعتاد فاما ان يكون على الاطلاق او يختص بمن خصت به وهو ابراهيم وتبقى في
غيره على اصلها وعلى الوجهين معجزة له او ارهاص لنبوته اذ قيل انه كان عمره
ست عشرة سنة واراد به كيدا فجعلناهم الاخسرين لانقلاب
الحجة في المعارضة عليهم وظلال سعيهم في اتقاد النار واستحقاقهم عذاب

الآخرة

الآخرة ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها هي الارض المقدسة
للعالمين كافة لانها موطن الانبياء منها انتشرت شرايعهم التي هي
مبادي الكمالات الدينية التي بها نيط بقاء الخيرات الدنيوية وهي
محشرهم يوم الميعاد وقيل من ماء عذب الا وصله من تحت الصخرة
ووهبنا له اسحق لما دعا وطلب الولد بقوله هب لي من الصالحين
ويعقوب نافلة ولد الولد فانه عاش حتى رآه او زيادة على سؤاله من
النفل وهو الزيادة ومنه نوافل الطاعات لزيادتها على الفرايض وكلا
جعلنا صالحين للنبوة او صالحين في الدين كاملين وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا مقتدين مكملين بعد الكمال واوحينا اليهم فعل الخيرات
بان يحثوا الناس عليها تكميلا للقوة النظرية والعملية واقام الصلوة
وايتاء الزكوة من عطف الخاص على العام وحذف التاء من الاقامة لقيام
المضاف مقامها وكانوا لنا عابدين لا غيرنا ذكره تنبيها على شرف العبادة
لوصفهم بالصلاح ولوطا نصب على شريطة التفسير اتيناه حكما وعلما
حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث
من الكفر واتيان الذكور وعدم النهي عن المنكر والتضارط في النادي وحذف
المارة بالحصى وصفها بوصف اهلها لقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين
ولعلها اضافة القوم الى السوء مبالغة كما في رجل صدق وادخلناه في رحمتنا
في اهل رحمتنا او في الجنة لانها محل الرحمة روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال حاجت النار الجنة فقال الله للجنة انت رحمتي ارحم
بك من اشاء انه من الصالحين الذين صلحوا للكرامة ونوحا اذ نادى
من قبل من قبل المذكورين لاهلاك قومه بقوله لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان
وما كان فيه من تكذيب قومه ونصرناه جعلناه منتصرا من القوم الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لم ينج الا هو و
ذريته لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وداود وسليمان اذ يحكمان
في الحرث في الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم رعت فيه ليلا بلا راع
واصل النفش التفرق ومنه نفش القطن وكنا لحكمهم لحكم المتحاكمين والحاكمين
وانما صح نسبة الفعل الى الفاعل بالقيام والى المفعول بالوقوع ارادة
المطلق والاختصاص شاهدين حاضرين علما ففهمناها سليمان
الضمير للحكومة حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان
غير هذا ارفق بهما وكان عمره اذ ذاك احدى عشرة سنة فقال داود

كيف يا بني قال أرى يا نبي الله ان تدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها
واصوافها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود ثم يترادّان وفي معنى
داود وحكمه لان حكم داود كان ايضا بالاجتهاد ويحمل على انهما حكما بالوحي بعيد
لكون سليمان عليه السلام صغيرا دون البلوغ وفي لفظ فهمناها اشارة الى ان
ذلك كان بالاجتهاد فان قلت كيف نقض اجتهاد سليمان اجتهاد داود
وقد ذكر الفقهاء ان نقض الاجتهاد بالاجتهاد غير جائز قلت لم يكن هناك نقض
بل ذلك من توافق الاجتهادين ورجوع داود كما رجع ابو حنيفة عن كثير من
اقواله الى قول صاحبيه بعد ظهور الدليل والقول بان كلا الحكمين كان صوابا وحكم
سليمان اصوب غير سديد ونظير هذا قول داود ما قال ابو حنيفة في العبد
الجاني يدفعه المولى بذلك او يفديه ونظير قول سليمان ما قال الشافعي في
العبد المغصوب اذا ابق من يد الغاصب يلزم القيمة للحيلولة فاذا ظهر العبد
يترادّان واما حكم المسئلة في شرعنا فابو حنيفة لا يوجب الضمان الا ان يكون
صاحب الدابة معها لقوله عليه السلام جناية العجماء جبار والشافعي يفرق بين الليل
والنهار يوجب الضمان بالليل لان المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضمان لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته وقال
على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وكلا آتيناه
حكما وعلما مدح لهما بعد ان قدم ان الحق ما قاله سليمان دلالة على ان المجتهد وان
اخطأ ممدوح لبذله الوسع اجتهد واصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن اذ تسبح كما سبحت الحصى في يد رسول الله عليه السلام
وكما حن اليه الجذع وقيل يسبح بمعنى سار من السباحة اي يسرن معه حيث سار
وفيه بعد ومحل الجملتين اما حال او استيناف والطير عطف على الجبال او مفعول معه
وكنا فاعلين مثل ذلك وان كان بديعا عندكم او كنا نفعل مثل هذه الكرامات
مع الانبياء وعلمناه صنعة لبوس لكم صنعة الدرع عن قتادة كانت
قبله صفائح الحديد فاول من سردها وحلّق بعضها على بعض داود وجمعت الخفة
والتحصين لتحصنكم من بأسكم بدل اشتمال من لكم قراءة ابو بكر بالنون مسندا
الى الله تعالى وابن عامر وحفص بالتاء مسندا الى ضمير الصنعة او اللبوس بتأويل الدرع
والباقون بالياء مسندا الى ضمير اللبوس وهو الظاهر لكونه حقيقة من غير تأويل
فهل انتم شاكرون هل انتم تشكرون لان حول هل عن الفعل الدال
عنه لابرازه ما يتجدد في صورة الثابت فكان ادل على طلب الشكر ولسليمان
الريح اي وسخرنا له وزيادة اللام هنا دون الاول لان نفعه عائد الى سليمان
بخلاف تسبيح الجبال والطير عاصفة تجري شديدة الهبوب ولا ينافي وصفها

بالرخاء

بالرخاء وهي اللينة لانها كانت عاصفة في العمل غدوها شهر ورواحها شهر وفي
نفسها رخاء لا تزعزع بل تسير على رفق واراده وكان ذلك آية الى آية ومعجزة
مع معجزة تجري بامره كيف يشاء حال ثانية الى الارض التي باركنا فيها
هي الشام فانه كان يقيم بها وكنا بكل شيء عالمين فنعلم انه اهل لذلك
الاكرام ولذلك وصفه بكونه عبدا شكورا ومن الشياطين من يغوصون له
في البحار ويستخرجون له الجواهر النفيسة من موصوفة عطف على الريح او مبتدا
خبره ما قبله ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون الى اعمال اخر كبناء
القصور واختراع الصنائع البديعة وكنا لهم حافظين ان يوجد منهم فساد
او زيغ عن امره وخروج عن طاعته وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر
قيل كان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر اهله وولده
ثم هدم البيت على اولاده ووهبت امواله وابتلى بمرض في بدنه حتى اكلت
الدود لحمه وبلغت عظامه واستمر به المرض ثماني عشر سنة او ثلث عشر سنة
او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امراته قالت له لو دعوت
الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي
ان ادعو الله وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فان قلت فكيف سأله
قلت روي ان الدود اكلت لحمه حتى وصلت الى قلبه فخاف ان تبلغه فلا
يقدر على ذكره تعالى والضر بالضم ما يلحق الجسم من سوء الحال والضر بالفتح
يشمل كل ضرر وانت ارحم الراحمين الطف في السؤال حيث ذكر مس الضر
نفسه وربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب روي ان عجوزا تعرضت
لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي
على العصي فقال الطفت لاجعلها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا فاستجبنا
له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم احيى الله تعالى
اولاده ورزقه ضعفهم كذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وقيل
ولد له ضعفهم رحمة من عندنا على ايوب وذكرى للعابدين موعظة
للعابدين بعده ليصبروا كما صبر فينالوا به الاجر وحسن العاقبة واسمعيل
وادريس وذا الكفل هو الياس او يوشع بن نون سمي بذلك لكونه ذا حظ
من الله تعالى وقيل لكون عمله كان ضعف عمل الانبياء في زمانه وقيل هو زكريا
لانه كفل مريم او الكفل يحيى لانه رزق في غير اوانه قيل خمسة من الانبياء لهم
اسمان اسرائيل ويعقوب والياس وذو الكفل وعيسى والمسيح ويونس
وذو النون ومحمد واحمد كل من الصابرين على التكاليف ومشاق
النوائب وادخلناهم في رحمتنا في النبوة انهم من الصالحين لها

اوكاملين في الصلاح لعصمتهم او للثنا عليهم لفيا بهم بما اورثهم بذلك و
وذا النون هو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم من طول
دعوتهم وشدة شكيمتهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فابوا الا
فخرج من بينهم فتابوا الى الله تعالى وآمنوا فكشف الله عنهم العذاب فجاء بعد ثلث
فنظر فراهم على حالهم ولم يعلم توبتهم فاستمر واحيا حياءه فظن ان لن نقدر عليه
من القدر وهو التضيق ومنه قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله او مثل حاله بحال من
يظن ان لا نقدر عليه بجامع استعجاله وعدم انتظاره لامرنا والقول يجوز ان يكون
ذلك خطرة شيطانية سبقت الى وهمه خطأ لا يجوز اعتقاده وقياسه
على قوله وتظنون بالله الظنونا باطل وباطلاق الظن على الخطرة وان صح الا ان
المحمل ان عنه ولم يسلم كيف يعاتب على الخطرة التي لا اختيار فيها فنادى في
الظلمات في الظلمة الشديدة كقول الشاعر دليل يقول الناس في ظلماته
سوا صحيحات العيون وعورها او ظلمة بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع
ذلك الحوت حوت آخر ان لا اله الا انت اي بانه لا اله الا انت سبحانك
ان يعجزك شي يحمى اني كنت من الظالمين واخلاني عدادهم بالمهاجرة من غير
امرك فاستجبنا له عقيب الاعتراف ونجيناه من الغم الذي كان فيه
وكذلك ننجي المؤمنين من الشدائد والغموم اذا اعترفوا واخلصوا وعنه عليه السلام
ما دعا بها مكروب الا اتاه الفرج قيل لبث في بطنه اربع ساعات وقيل
ثلثة ايام وقرا ابن عامر وابو بكر نجي بنون مضمومة وجيم مشددة على
ان اصله ننجي مضارع انجي ادغمت النون في الجيم لتجانسهما في الانفتاح
والاستعلاء والجهر كما في اجاص واجانة وعن ابي عبيد هو مضارع نجي
حذفت النون الثانية لاجتماع المثلين مع تأبي الادغام وعليه الرسم
وقد صح النقل تواترا واتضح الوجه فالقادح مباهت وزكريا اذ نادى
ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فلا
ابالي ان لم ارزق ولدا فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه
بعد ان كانت عاقرا او اصلحنا خلقها لانها كانت سيئة الخلق وتقديم
يحيى وان كان متأخرا عن اصلاحها لانه المقصود انهم الانبياء المذكورين
كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون اليها ويدعوننا رغبا ورهبا
راغبين راهبين قدم الرغبة ترجيحا لجانب الرجاء وكانوا لنا خاشعين
دائم الوجل والخشوع فعل القلب والخضوع فعل الجوارح وعن الاعمش سالت
عنه ابراهيم فقال هو بين المرء وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه والمعنى
ان ما نالوه من رفعة المحل والكرامة انما نالوه بهذه الخصال ويجوز ان يكون

بهذه الاوصاف لزكريا ويحيى ووالدته لتقدم سائر الانبياء مع اوصافهم
والتي احصنت فرجها ذكرها بين هؤلاء الكمل وايثار لفظ الاحصان الدال
على كمال التحفظ ينادي على عظم شانها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
سئل فاطمة رضي الله عنها عن طعام اصبح عندها من اين لك هذا قالت هو من
عند الله الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء العالمين فنفخنا فيها
من روحنا فنفخنا في عيسى في بطنها من الروح الذي هو من امرنا او من جهة
روح القدس وهو جبريل اضافه اليه تعالى لتشريفه وجعلناها وابنها آية
للعالمين جنس الآية لان فيهما آيات كثيرة او آية قائمة بهما والبواقي تحقق
بهذه او بتلك ان هذه امتكم فعلة بمعنى المفعول لانها تطلب لسلوك
ذواته وكفور بشارة الى ملة الاسلام وان لم تتقدم ذكرها لكونها مشهورة
في الاذهان ولكمال تميزها لم يوصف اسم الاشارة امة واحدة غير مختلفة
بين الانبياء يريد العقائد دون الفروع التي يتطرق اليها النسخ والتبديل
وانا ربكم فاعبدون كان الظاهر انا الهكم لا رتب عليه العبادة الا انه
آثر لفظ الرب اشارة الى ان دعاهم الى العبادة تربية لهم ودعاء بلسان
اللطف والبسط وتقطعوا امرهم بينهم وتقسموا امر دينهم كما يتقسم
الشركاء الكل باخذ نصيبا غير نصيب الآخر صرف الكلام من الخطاب
الى الغيبة ابعادا لهم كانه ينعى عليهم صنيعهم الى مخاطب آخر وقال انظر الى
هؤلاء اي دين افسدوه واي ضلال ارتكبوه بعد ذلك الارشاد وهذا ابلغ
من قوله فتقطعوا بالفاء في سورة المؤمنين لمجي الواو للمقارنة ولذلك امر
هنا بالعبادة وهناك بالتقوى اشارة الى بعد هؤلاء عن تلك الرتبة
كل الينا راجعون فنجازيهم على حسب اعمالهم فمن يعمل من الصالحات
بعضها بعد ذلك التفرق وهو مؤمن اذ بدونه لا يعتد بعمل فلا كفران سعيه
مثل في حرمان الثواب فان قلت لم ذكر فمن يعمل هنا بالفاء وقد ذكره في
السورة السابقة بالواو قلت لانه ذكر ان بعد ذلك التفرق من عمل صالحا
لا يضيع اجره وهناك ابتداء كلام ترغيبا بعد اهوال القيمة وانا له كاتبون
بكتبه حفظتنا وحرام على قرية اهلكناها عزمنا على اهلاكها وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر حرم بكسر الحاء وسكون الراء وهما لغتان انهم لا يرجعون الى التوبة
لان مراده واقع لا محالة او اهلكناها بالفعل والمراد رجوعهم الى الدنيا كذا عن ابن
عباس وقيل للجزاء والسد على الوجهين والوجه هو الاول لقوله حتى اذا فتحت
ياجوج وماجوج فانهم في ذلك اليوم يرجعون الى التوبة وحتى هي الكلمة التي يحكى
بعدها الجملة لا يكون الا ابتدائية وقرا ابن عامر فتحت مشددا وعاصم الاسمعيل

بالجزم اما لانها الاصل ان كانا عربيتين او جارية مجراها ان كانا عجميتين ﴿وهم من
كل حدب﴾ مرتفع من الارض ﴿ينسلون﴾ يسرعون من النسلان يقال نسل
وعسل اذا اسرع قيد الحدب لان الاسراع فيه اظهر قيل هم تسعة اعشار بني ادم
﴿واقترب الوعد الحق﴾ قيام الساعة فان خروجهم بعد عيسى عليه السلام ﴿فاذا هي
شاخصة ابصار الذين كفروا﴾ شخوص البصر ارتفاع اجفانه من شدة الخوف
والضمير للقصة يفسره الجملة او مبهم يفسره الابصار والجملة جزاء الشرطية واذا
الفجائية وان قامت مقام الفاء الا انها اذا تظاهرتا على ربط الجزاء يكون
الاتصال اكد وتوهم اجتماع البدل والمبدل ساقط لان اذا يراد بها معناها
فلم يتمحض بدلا ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾ مقدر بالقول ﴿بل كنا ظالمين﴾ ا
الى ما هو اقبح وهو الاخلال بالنظر ﴿انكم وما تعبدون من دون الله﴾ يعني الاصنام
وابليس واعوانه لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاه على كفار قريش
قال له ابن الزبعري حججتك ورب الكعبة عبد عزير والمسيح وعبد بنو مليح الملائكة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى
﴿ان الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ وقيل لما قال له ابن الزبعري ما قال قال رسول الله
عليه السلام ما اجهلك بلغة قومك ما انما هي لغير ذوي العقول ﴿حصب جهنم﴾ عن ابي
عبيدة كل ما يلقى في النار حصب من حصب الشيء اذا رميته بالحصباء ﴿انتم لها
واردون﴾ لا لغيرها بخلاف المؤمن فانه وان وردها فهو بالعرض ﴿لو كان هؤلاء
الهة﴾ كما زعموا ﴿ما وردوها﴾ اذ لا يعقل ورود الاله على النار ﴿وكل﴾ من
العابد والمعبود ﴿فيها خالدون﴾ كانوا يرجون منها الشفاعة فاذا وجدوا
الامر بالعكس لم يكن عليهم عذاب اشد من مفارقتهم ﴿لهم فيها زفير﴾ اغتراق
نفس من تراكم العذاب كالمخنوق او من صوتهم وعويلهم شبه بصوت
وآخره شهيق
الحمير فان الزفير اوله ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ لانهم يجعلون في توابيت
لئلا يرى بعضهم بعضا ولا يسمع صوته وهذا بعد اليأس لقوله ونادوا
يا مالك وقولهم ربنا اخرجنا منها ﴿ان الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾
السعادة او البشرى تانيث الاحسن لم يعطف القصة لئلا يشعر بالتبعية
﴿اولئك عنها مبعدون﴾ عن النار ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ حال او استئناف
لبيان البعد والحسيس الصوت الخفي وفيه دلالة على غاية البعد فان صوتها
يسمع من مسيرة سبعين عاما ﴿وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون﴾
مستغرقون في النعيم مع الخلود الذي هو راس النعم ﴿لا يحزنهم الفزع الاكبر﴾
هو عند النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات
ومن في الارض وعن الحسن عند الانصراف الى النار وعن الضحاك

عند

عند اطباق النار وقيل ذبح الموت ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ بالتبشير والاكرام
﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ على لسان الرسل ﴿يوم نطوي السماء﴾
مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف
من توعدون والطي ضد النشر ﴿كطي السجل للكتب﴾ هو الكتاب الكبير
وفي الحديث توضع السجلات في كفة ولا اله الا الله في كفة والمراد به الطومار
والمناسب للكتابة النشر الا ان الطي جعل كناية عن تسويته له حتى اذا
احتيج اليه لا يحتاج الى تسويته وقيل السجل اسم ملك يطوي سجل الاعمال
والقول بان السجل اسم كاتب لرسول الله عليه السلام باطل وقرا حمزة والكسائي
وحفص بضم الكاف والتاء والافراد اخف ويحصل به الغرض ﴿كما بدانا اول
خلق نعيده﴾ جملة منقطعة عن الاول اي نعيد اول كل مخلوق ونوجده
بعد العدم كما اوجدناه سابقا كذلك والمعنى ان تحقق الاعادة مثل تحقق
البدء فالمعاد هو الاول وما كافة او مصدرية والكاف في محل النصب بدانا
تشبيها للاعادة بالبدء وان جعلت موصولة اي نعيده مثل الذي بداناه
فالمعاد هو المثل والمطلوب هو العين ﴿وعدا علينا﴾ نصب بنعيده لان عدته
بالاعادة ﴿انا كنا فاعلين﴾ لا محالة او قادرين ﴿ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر﴾ في الكتاب الذي انزل على داود بعد ان كتبنا في التورية
او في اللوح المحفوظ او في القران فان تاخر نزوله لا يقتضي تاخر الكتبة يشير الى
ان الزبور مع كونه غير مشتمل على الاحكام بل هو تحميد وتمجيد لم يخل عن هذا
الحكم وقرا حمزة الزبور بضم الزاء وهما لغتان او جمع زبر ﴿ان الارض يرثها
عبادي الصالحون﴾ امة محمد لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض او عامة للمؤمنين ﴿ان في هذا لبلاغا﴾ لموعظة وذكرى
اسم بمعنى التبليغ او بمعنى الكفاية قال الشاعر يرج من دنياك بالبلاغ
﴿لقوم عابدين﴾ همهم العبادة ﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾ سبب
لاسعادهم ومن خالفك لا يلوم الا نفسه كمن منع نفسه عن شرب الدوا
حتى مات لا يقدح ذلك في كون الدوا به الحيوة وقيل كونه رحمة للكفار لانهم نجوا
به عن عذاب الاستيصال روي انه عليه السلام قال لجبريل قد سماني الله
رحمة للعالمين فهل اصابك منها شيء قال والله اني اوفر نصيبا لم ازل
كنت وجلا حتى اثنى علي في سورة التكوير وقد ختم سورة الانبياء بخاتمتهم
ليكون الختام مسكا ﴿قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد﴾ اي ما يوحى الي الا ان
لا اله لكم الا الله الموصوف بالوحدانية لمعنى ان المقصود الاصلي المقصود
الاقصى هو ذلك ففي انما قصر الصفة على الموصوف وفي انما بالعكس والثاني

ليس كليّ بل من المقام لقوله وظن داود انما فتناه فهل انتم مسلمون بعد
هذا الوحي المصدق بالحجة وفيه ان التوحيد يصح اثباته بالسمع فان تولوا
عن التوحيد فقل آذنتكم على سواء اعلمتكم من اذن بمعنى علم وقد شاع
استعماله في معنى الانذار والمعنى بعد توليكم فقد اعلمتكم اعلاما شافيا وافيا
انتم مستوون فيه ان الغلبة والعاقبة للمسلمين لا محالة وان ادري اقريب
ام بعيد ما توعدون وما ادري متى يكون ذلك لان الله لم يطلعني عليه وقيل
اعلمتكم اني على سواء اي عدل وتوحيد انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون
فهو مجازيكم على ذلك وان ادري لعله فتنة لكم لعل التاخير ابتلاء لكم وامتحان
لننظر كيف تعملون ومتاع الى حين الى وقت تقتضيه مشيئته قل رب احكم
بالحق اسأله انجاز وعدك من الوعد الثابت الذي لا خلف فيه وقد فعله
يوم بدر رافعا يديه قائلا انشدك وعدك حتى سقطت رداؤه وقرا حفص
قال اخبارا عن فعله وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون من ان الغلبة
لكم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن تمنون بذلك انفسكم الاماني
معرضين عن الذكر لاهية قلوبكم اتصلت خاتمة بالفاتحة والحمد لله حق حمده
ما بدر السحاب برعده

سورة الحج مكية الا ست ايات من هذان خصمان الى قوله صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم زلزلة مضاعف
من زل الزليل وهو انتقال الشيء من مكان الى آخر والمراد بها شدة تحريك
الارض وانتقال الاشياء من مقارها ومراكزها واضافتها الى الساعة
على طريقة المجاز الحكمي او للاتساع في المفعول فيه واجرائه مجرى المفعول به
كقوله بل مكر الليل والنهار واختلف في وقتها فعن الحسن انها يوم القيمة
وعن علقمة والشعبي ان ذلك عند طلوع الشمس من مغربها والاضافة
الى الساعة لانها من اشراطها علل الامر بالتقوى بهولها وما فيها من الهول
حثا على التدرع بلباس التقوى الذي هو الملجا والمنجا في الشدائد
ومن يتق الله يجعل له مخرجا يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
يوم منصوب بتذهل والذهول الذهاب عن الشيء بدهشة وجيء بمرضعة على
مرضع لارادة الحدوث لانها اذا ذهلت حال الارضاع ملقمة ثديها
للرضيع كان الامر في غاية الشدة وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات
حمل حملها في غير اوان الولادة وترى الناس سكارى ظاهرا وما هم
بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فلذلك ذهب عقولهم
وطار تميزهم وقرا حمزة والكسائي سكرى على وزن فعلى وهو مطرد في عاهات

البدن كمرضى وحمقى وعن الفراء جمع سكران سكرى وزمنى والمختار قراءة القوم لانه
فعال قياس جمع فعلان كسكارى ولاجماعهم في لا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن
الحارث كان جدلا يسافر الى العجم ويتعلم من اقاصيصهم ويتبع كل
شيطان مريد متجرد من الخير اصله المرودة الملاسة يقال غصن امرد
لا ورق عليه كتب عليه انه من تولاه فانه يضله مثل وتصوير كان من تولاه
مكتوب عليه ضلاله ويهديه الى عذاب السعير يوصله اليه استعارة
تهكمية يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث في امكانه فانا خلقناكم
من تراب هو خلق آدم لقوله خلقه من تراب ثم من نطفة من مني من
النطفة وهو الصب ثم من علقة قطعة دم جامد ثم من مضغة قطعة
لحم قدر ما يمضغ فعلة بمعنى المفعول مخلقة وغير مخلقة خالية عن العيب
والنقص وغير خالية يقال خلق السواك اذا سواه وجبل املس وعلى
ذلك الاصل التفاوت بين افراد الناس طولا وقصرا تماما ونقصانا
والمعنى ان ارتبتم في شان البعث فانظروا الى هذه المقدمات لتورثكم العلم
الجلي بحيث لا تبقى لكم شائبة ريبة عن انس بن مالك ان الله وكل
بالرحم ملكا يقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فاذا اراد
ان يقضي خلقه قال اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق والاجل و
فيكتب في بطن امه لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا اذ في كل
انقلاب ايات شاهدة بذلك وايراد الفعل غير معدى الى المفعول اشارة
الى ان فعله هذا يتبين به من كمال علمه وقدرته ما لا يمكن الاحاطة به ونقر
في الارحام ما نشاء ان نقره عطف على انا خلقناكم والعدول الى المضارع
لتصوير الحال والدلالة على زيادة الاختصاص الى اجل مسمى الى وقت ولادة
واقله ستة اشهر والاغلب تسعة اشهر ونهايته سنتان عند ابي حنيفة
واربع عند الشافعي ثم نخرجكم طفلا حال من المفعول مستوفية الذكر
والانثى والمفرد والجمع قال او الطفل الذين لم يظهروا وثم للترقي رتبة كانه قيل
ثم نخرجكم بعد تلك الاطوار الخسيسة انشاء بديعا انشأناه في احسن تقويم
ثم لتبلغوا اشدكم معللة بمحذوف اي ذلك الاقرار والاخراج لتبلغوا
الاشد فانه اوان الاستكمال علما وعملا فهو حقيق بان يكون المقصود من
الاقرار والانشاء اللذين هما له كالمقدمة للنتيجة ولذلك اسندهما
الى ذاته المقدسة دونه والاشد تقدم معناه في سورة يوسف ومنكم
من يتوفى من لا يصل الى بلوغ الاشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى ان

بكره ويحتقر استوفى الاجسام بعد الاخراج كما استوفى الاقسام قبله وقدمها
اما نظرا الى الوجود او لانها ادل على البعث فان قلت لم طوى ذكر المضغة
هنا وقد ذكرها في سورة المؤمن حين عد اطوار الانسان بعد الاخراج قلت
الرد الى ارذل العمر لا يمكن بدون التجاوز عنها ولم يكن مقصودا كليا فلما
ذكرها هناك لم يعد ذكرها كما ان الاخراج طفلا لما لم يكن الا بعد المضغة وقد ذكرها
هنا طوى ذكرها هناك كما هو شان الكلام المعجز في اشاراته ورموزه لكيلا
يعلم من بعد علم شيئا ليعود الى ما كان عليه حال الطفولية ضعيف البنية
سخيف العقل يشير الى انه قادر على الاشباه والاضداد على التوارد فتارة
يرقى الانسان في مدارج الارتقاء الى اوج الكمال وتارة ينزله الى حضيض
النقصان ودرك الوهاد ولما استوفى ادلة الانفس التي هي اقرب اخذ في
ادلة الافاق وترى الارض هامدة لا نبات بها من همدت النار اذا خمدت
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت
وانبتت من كل زوج من كل صنف الاسناد الى الارض اسناد الى المحل
بهيج ذي حسن ورواء من بهج بالضم ذلك المذكور من خلق بني آدم وما
بعده على النمط المذكور بان الله هو الحق الثابت الوجود وانه يحيي الموتى
وانه قادر على احياء الموتى وانه على كل شيء قدير لاشتراك الامكان
واستواء نسبة القدرة وان الساعة آتية لا ريب فيها لان الصادق
قد اخبر بوقوعها وقيل لان التغير دليل الانصرام وفيه ان الجنة والنار حادثان
متغيران ولا انصرام لهما وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده و
زبدة الكلام انما كان ذلك لانه تع حق قادر حكيم لا يخل بمقتضى الحكمة بل
يميز بين الطائع والعاصي والمحق والمبطل فاتيان الساعة وبعث من في
القبور من روادف الحكمة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم هو النضر
ابن الحارث والتكرير للتاكيد كاعادة الاقاصيص مع ما زيد من قوله ولا
هدى ولا كتاب منير وعن ابن عباس رضي الله عنه هو ابو جهل وقيل الاول في
المقلدين وهذا في المتقلدين يؤيده ذكر الاتباع هناك والمراد بالعلم العلم
الضروري وبالهدى النظر والاستدلال الموصل الى العلم والكتاب المنير الوحي
ثاني عطفه كناية عن التكبر والاعراض عن الحق ليضل عن سبيل الله وقرا ابن
كثير وابو عمرو بالفتح وانما جعل جداله خروجا من الهدى وان لم يكن فطا في شي
منه لتمكنه منه والمختار الضم لقوله وصدوا عن سبيل الله ولان المختار انه في المقلدين
وهم الرؤساء المضلون له في الدنيا خزي قتل واسر ونذيقه يوم القيامة عذاب
الحريق الاحراق او النار العظيمة ذلك بما قدمت يداك من الكفر والمعاصي

يقال

يقال له ذلك او التفت اليه ليكون التوبيخ كفاحا وان الله ليس بظلام
للعبيد بان يعذب من لا جرم له بناء على ما جرت به سنته ومن الناس
من يعبد الله على حرف شبه حال من لم يطمئن قلبه بالايمان بحال من
يكون على طرف العسكر في المحاربة فان راى نصرة وظفرا قر والا فيتولى
فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه عن ابن عباس
رضي الله عنه كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امراته غلاما ونتجت
خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد امراته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء
خسر الدنيا والاخرة لانه ارتد لفقد الدنيا ذلك هو الخسران المبين
الجلي اذ لا خسران اظهر من خسران فاقد الدارين يدعو من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه اعاد الموصول مبالغة لدلالته على كل من الانتفائين
استقلالا والعطف من قبيل الصفات ذلك هو الضلال البعيد
البعد وصف الضلال وصف به فعله مبالغة يدعو لمن ضره اقرب من
نفعه نفي الضر والنفع عن الاصنام اولا لانها جمادات لا ادراك بها واثبت
كونها سببا للضرر المحقق في الدنيا والاخرة وهي بمعزل عن النفع الذي كان
يترقب منها ويدعوا بمعنى الزعم والاعتقاد واللام معلقة له او لمعنى القول
والجملة بعده محكية والمعنى يقول الكافر اذا راى حرمانه من نفعها وقرن بها
والتقى فيها النار لمن ضره اقرب من نفعه او يدعو تكرير كانه قال يدعو من دون الله
ما لا يضره ولا ينفعه ثم استانف مخبرا لمن ضره اقرب من نفعه اي يدعوه
لبئس المولى ولبئس العشير فان قلت لا نفع في الاصنام بوجه ما فما معنى
الاقربية قلت هذا ونظائره من باب المجازات بناء على زعم الخصم
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
ان الله يفعل ما يريد لا مانع لقضائه ولا يسال عما يفعل من كان يظن
ان لن ينصره الله لما ذكر المجادل بالباطل بانه لا تدلي نظرته ولا وحي سماوي
وبين ماله في الاخرة اتبعه بذكر من يجادل عن دين الله بادلة قاطعة وبراهين
صادقة وهو الرسول المؤيد اختصر الكلام واشار اليه بالضمير دلالة على انه العلم
المرفوع الذي لا يشتبه وان الكلام معه وله وفيه وان غيره وان ذكر فالتبع
والعرض في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء الى سقف بيته
ثم ليقطع ليختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع مجاري
نفسه وفي الحديث اصاب ابن عمر قطاع اي ضيق نفس او فليمدد بحبل
الى السماء المظلة فليقطع الوحي النازل عليه وزبدته ان من يغيظه
نصره واعلاء شانه فليستقص وسعه وليستفرغ جهده فلينظر

فليت هل يذهبن كيده احتياله ما يغيظ وقيل الآية نزلت في قوم
من المسلمين استبطأوا نصر رسول الله واظهروا القلق فالآية حث
لهم على الصبر على الكد وجه وقيل النصر الرزق من نصر الغيث الارض قال
اذا دخل الشهر الحرام فجاوزي بلاد تميم واغدي ارض عامر وعلى هذا الغرض
حث المؤمنين على الرضا بما قسم الله لا كمن يعبد الله على حرف وكذلك
انزلناه اي مثل ذلك الانزال في اثبات البعث قاطعا دابر الشبهة
انزلنا سائر القرآن لاثبات الاحكام والمقاصد آيات بينات اي
واضحات وان الله يهدي من يريد ولارادة هداية من يريد هدايته او
زيادة هدايته انزل القرآن كله كذلك ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا افراد الصابئين
بالذكر ودل على انهم مخالفون للنصارى في معابدهم ان الله يفصل بينهم
يوم القيمة بان لا يجمعهم في مكان واحد ولا يجازيهم جزاء واحدا بل يجازيهم
بحسب تفاوت اعمالهم او يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ان الله
على كل شيء شهيد حاضر بعلمه لا يفوته الم تر ان الله يسجد له من في
السموات ومن في الارض بتأتي من فيها وقابليته لاحداث
ما اراده واقتضته حكمته فيها او دخول افعال المكلف في الطاعة وادخالها على
الانقياد اولا خضوع فوق السجود وتعفير اشرف الاعضاء ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد وفي السجود
تقبل شفاعته في حق العصاة والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر ولذا
خصها بالذكر لانها اشرف الاجرام العلوية والسفلية بعد اولي العلم فاذا
انقادت فما سواها اولى وكثير من الناس من جوز استعمال المشترك
في المعنيين نظمه في سلك المذكورات المتناسقة واراد بالسجود هنا وضع
الجبهة ومن لم يذهب الى ذلك اما ان يجعله مبتدأ خبره محذوف وهو
مثاب او ما في معناه لدلالة مقابله عليه او مرفوعا بمضمر دل عليه الحال
او يسجد المذكور دلالة مقاربة او مبتدأ ومن الناس خبره اي وكثير من
الناس الذين هم ناس حقيقة وهم المتقون اي كائن منهم او كثير
منهم مبالغة في تكثير من حق عليه العذاب كانه قيل وكثير من حق عليه العذاب
والشاق في بابهما لان الكلام لبيان كبريائه وانقياد الكائنات له ذاتا
وافعالا وكثير حق عليه العذاب بابائه عن وضع الجبهة له وترك طاعة والقول
بانه يجوز عطفه على الساجدين بالمعنى العام على معنى ان كثيرا من الساجدين
لارادته حق عليه العذاب مع ركاكته يوجب تفكيك النظم ومن يهن الله

بالشقا فما له من مكرم اشارة الى جملة الطاعة والاباء من الفريقين وذلك
ان الله يفعل ما يشاء لا المانع لصنعه وان اشتمل على حكم هذان خصمان
الخصم مصدر وصف به الفوج او الفريق ولذلك قال اختصموا نظرا
الى المعنى عن ابن عباس رضي الله عنه راجع الى الاديان الستة روى البخاري
عن ابي ذر رضي الله عنه انه كان يقسم انها نزلت في الذين بارزوا يوم بدر
حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد
ابن عتبة وروي ايضا عن علي بن ابي طالب انا اول من يجثو بين يدي
الرحمن للخصومة يوم القيمة وقيل ان اهل الكتاب قالوا للصحابة نحن
احق بالله منكم نبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون بل نحن لانا آمنا بمحمد و
نبيكم فنزلت في ربهم في شأنه من صفاته واحواله او في قربهم منه
فالذين كفروا مطلقا وان كان السبب خاصا قطعت لهم ثياب
من نار اشارة الى وجه فصل الخصومة الذي اجمله في قوله ان الله يفصل
بينهم وتقطيع الثياب من النار بان يجعل الله النار محيطة بهم طبقات كما
كانوا يلبسون في الدنيا ثياب الخيلاء وتنكير النار للتهويل يصب
من فوق رؤسهم الحميم الماء الحار لانه الصق واشد نفوذا في الاعماق
يصهر به بذلك الحميم اي يذاب ما في بطونهم من الاحشاء والجلود
وفي تقديم ما في بطونهم على الجلود ايماء الى انها من فرط حرارتها تؤثر
في الباطن قبل تاثيرها في الظاهر لان ذلك اشرف واشد تاثيرا وهذا
ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم لان الصب على الرؤس
افحش من السقي والاذابة ابلغ من التقطيع وما في البطون اعم من الامعاء
ولهم مقامع من حديد سياط مختصة بهم من القمع وهو الكف كلما ارادوا
ان يخرجوا منها من النار من غم لغم عظيم يعتريهم اعيدوا فيها في النار
في اماكنهم ودركاتهم بعد قصدهم لان الاعادة رتبت على الارادة لا الخروج
او بمعنى الخروج وهو الظهور لانهم يرتفعون مع اللهب الى ضحضاح النار
فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اسماعا لما
يكرهونه زيادة في العذاب من كل جهة اعاذنا الله بفضله ورحمته ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار قسيم لقوله
فاما الذين كفروا غير الاسلوب وصدر الجملة باسمه المقدس تنويها بشأن
المؤمنين واشارة لتحليتهم بان المباشر لذلك هو بذاته تعالى من غير واسطة
ملك يحلون فيها حال مقدرة من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب
بيان ولؤلؤا عطف على ذهب اي اساور مركبة منهما وهو الترصيع وقرا

نافع وعاصم بالنصب عطفا على محل من اساور اي يحلون اساور ويحلون لؤلؤا
وابدل ابو بكر الهمزة واوا والمختار الجر لفظا لرجحان اللفظ على المحل ومعنى لان الرصع
اجمل ؛ ولباسهم فيها حرير ؛ غير الاسلوب لانه المتعارف ؛ وهدوا الى الطيب
من القول ؛ هو الكلمة الشهادة وعن السدي هو القران ؛ وهدوا الى صراط الحميد
الى دين الله تعالى والحميد من اسمائه تعالى او المحمود في نفسه او المحمود عاقبته وقيل هدوا
الى الطيب من القول في الجنة مثل قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقولهم الحمد
لله الذي هدانا لهذا والوجه هو الاول اوجه لفظا ومعنى ؛ ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله ؛ دين الاسلام اثر في المعطوف المضارع للدلالة على الاستمرار والخبر
محذوف لدلالة الكلام عليه اي معذبون وجعله حالا خلاف للمشهور في المضارع
المثبت بالواو ؛ والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ؛
ذهب اسحق بن راهويه وابو حنيفة في احدى الروايتين استدلالا بالاية على عدم
جواز بيع دور مكة وذهب الشافعي الى الجواز لان المذكور الموصوف بالسواء
المسجد ولما رواه البخاري عن اسامة قلت يا رسول الله انزل غدا في دارك
فقال وهل ترك لنا عقيل من دار ولما ثبت ان عمر اشترى دارا من صفوان بن
امية باربعة آلاف وجعلها سجنا ولا دلالة للاية على عدم الجواز لان المذكور هو المسجد
وسواء مصدر بمعنى مستو مفعول ثان لجعلنا ورفعه حفص على انه خبر العاكف والجملة
محل النصب مفعولا ثانيا او العاكف مرتفع به وان جعل للناس مفعولا ثانيا فانتصب
على الحال والعاكف المقيم والبادي الآفاقي ؛ ومن يرد فيه ؛ حذف مفعوله لارادة
العموم اي ما يرد كان ؛ بالحاد ؛ ملتبسا به وهو العدول عن الحق من اللحد وهو
الميل وفي الحديث هو احتكار الطعام فيه والظاهر انه سبب النزول لعموم المراد
لما روي ان عمر كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان
تعاتب اهله خرج الى الحل فقيل له في ذلك فقال كنا نتحدث ان قول الرجل بلى
والله ولا والله في الحرم من الالحاد وقيل لم يتعلق الوعيد في نص على ارادة ما نهي عنه
الا فيه ؛ بظلم ؛ حال ثان او بدل عن الاول باعادة الجار وصلة له اي بسبب ظلم
كالشرك واقتراف الاثم ؛ نذقه من عذاب اليم ؛ جواب من ؛ واذ بوانا لابراهيم
مكان البيت ؛ اي واذكر لقومك ذلك الوقت وما امرنا به ابراهيم الذين يزعمون
انهم على ملته ليظهر لهم انهم ليسوا على شيء من دينه يقال تبوأه اتخذه مباءة واللام في
المنزل من باء رجع لانه يرجع اليه وقيل اللام زائدة اي نزلناه وجعلنا مكانه البيت
مباءة له عن علي بن ابي طالب كان في موضع البيت البيت المعمور وهو ياقوتة حمراء
فرفع في الطوفان فلما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت ضاق به ذرعا لم
يدر موضع البناء فارسل الله اليه السكينة وهي ريح خجوج فتطوفت موضع البيت كا

كالجحفة

كالجحفة فظهر له الاس فبناه عليه ؛ ان لا تشرك بي شيئا ؛ تفسير للتبوئة
لان الغرض منها العبادة اي قلنا لا تشرك بي شيئا ؛ وطهر بيتي للطائفين و
والقائمين والركع السجود ؛ لهؤلاء العابدين ؛ واذن في الناس بالحج ؛ نادهم
عن ابن عباس رضي الله عنه لما فرغ من بناء البيت امره الله تعالى ان ينادي الحاضر
بالحج فصعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمع الله نداءه الارواح
في الاصلاب والارحام فكل من سمع ذلك النداء واجاب يحج لا محالة والحق
ان الآية مكية وعن الحسن ومقاتل بن حيان ان هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع بان يدعو الناس الى الحج والحق ان الاية مكية والسياق انما هو القصة
ابراهيم عليه السلام ؛ ياتوك رجالا ؛ جمع راجل ؛ وعلى كل ضامر ؛ اي ركبانا على كل
بعير مهزول لبعد السفر ؛ ياتين من كل فج ؛ طريق ؛ عميق ؛ بعيد ؛ ليشهدوا منافع
لهم ؛ نكر المنافع لانه اراد منافع دينية ودنياوية مخصوصة بالحج لا توجد في غيره
وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى انه كان يفاضل بين العبادات فلما حج فضله على سائرها
لما راى تلك الخصائص ؛ ويذكروا اسم الله في ايام معلومات ؛ في عشر ذي الحجة
فانها ايام العبادة والطواف والاعتكاف وقيل ايام النحر ؛ على ما رزقهم من بهيمة
الانعام ؛ المراد ذكر اسم الله عند النحر والذبح وانما عدل عنه الى المنزل دلالة الى
ان المقصود من شرع النحر وسائر الاعمال هو ذكره تعالى واشعار بالرزق الى انه محض
فضل منه تعالى وفيه حث على الانفاق وتشويق بالتقرب بها الى الرازق مع اشتماله
على الاجمال والتفصيل ؛ فكلوا منها ؛ امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا يتحرجون من
اكلها او ندب مواساة للفقراء ؛ واطعموا البائس ؛ هو الذي اشتدت حاجته
الفقير ؛ وصف كاشف له كان الامر ساكنه فقاره والامر فيه للوجوب ؛ ثم
ليقضوا تفثهم ؛ يزيلوا ما عليهم من الدرن وما يتبعه من قص الشارب وقلم الاظفار
فان الحاج اشعث اغبر ؛ وليوفوا نذورهم ؛ ما نذروا من التقرب الى الله تعالى فانه
يكثر الوقوع في طريق الحجاز وتلك الاماكن الشريفة ؛ وليطوفوا ؛ هو طواف الزيارة
لانه ركن لا حج بدونه او الوداع لانه واجب او مطلقة لانه افضل الاعمال ؛ بالبيت
العتيق ؛ القديم لكونه اول بيت وضع للناس او العتيق من تسلط الجبابرة عليه
ما قصده جبار الا قصمه الله تعالى والحجاج لم يقصد اهانته ولذلك بناه بعد الانهدام
وهو اليوم على ما بناه او الشريف والعرب تسمي كل حسن عتيقا كانه عتيق عن
الشين والعيوب ؛ ذلك ؛ الامر ذلك كانه قيل احفظ به ومثل للفصل بين
المقاصد انتقالا من نوع الى آخر واكثر ما يقع للكتاب وارباب السباقة ؛ ومن
يعظم حرمات الله ؛ كلها لا يحل انتهاكه جمع حرمة كظلمات وظلمة وقيل ما يتعلق با
بالمناسك ؛ فهو خير له عند ربه ؛ اريد به زيادة مطلقة من غير مفضل عليه نحو علت

لكم الانعام كلها دفع لمعاهدة اهل الاوثان من تحريم البحائر والسوائب الا ما يتلى لكن
ما يتلى عليكم من الميتة والدم والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع حرام فاجتنبوا
الرجس من الاوثان اى اذا اجتنبتم الانجاس التى تبينت فاجتنبوا الاوثان فانها
انجس ايضا من بيانية بالغ في التنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور الكذب قرب
بعبادة الاوثان لفرط قبحه روى الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شهادة الزور
عدلت بالاشراك ثم تلا الآية حنفاء لله مائلين عن الباطل مخلصين له غير مشركين به
تصريح بما علم ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير تشبيه حال
المشرك وهلاكه بحال من يسقط من السماء الى الارض فتخطفه الطير من كل جانب
متفرق مزعا في حواصلها او شبه الايمان في علو شانه باوج السماء وتاركه بالساقط
من ذلك الاوج الى الكفر الذى لا حضيض بعده وقرأ نافع فتخطفه بفتح الخاء و
وتشديد الطاء مضارع تخطف وهو ابلغ او تهوى به الريح في مكان سحيق من باب
او كصيب او بحال من عصفت به الريح فهوت به في بعض المطارح البعيدة او شبه
الشيطان الذى يطرحه في مهمه البوار بالريح التى تهوى بما عصفت به الى جهنام
بعيدة القرار ذلك الامر ذلك ومن يعظم شعائر الله علائم دينه
من الفرائض والسنن والاداب جمع شعيرة واكثر استعماله في مناسك الحج
لانها امور محسوسة او المراد الهدايا فانها من اعظم شعائر الحج اوفق بما بعده وتعظيمها
بان يختارها غالية الاثمان عظام الاجرام وفي الحديث سمنوا ضحاياكم فانها على
الصراط مطاياكم وقد اهدى صلى الله عليه وسلم في حجته مائة بدنة فيها جمل لابى جهل
في انفه برة من ذهب واهدى عمر جملا اعطى فيه ثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب
اسناد التقوى الى القلوب اسنادا الى المحل لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها
الى البيت العتيق اى لكم في تلك الشعائر منافع دينية الى وقت معلوم هو ايام
التشريق ثم محلها اى انتهاؤها بالطواف للوداع من حل الاجل انتهى وحل الاجل
المسمى على الموت والبيت على البيت المعمور او الجنة بعده لا يحج وان خصت
الشعائر بالهدايا فالمعنى لكم الانتفاع بها درا ونسلا وركوبا الى وقت
وجوب النحر من حل الدين وجب والبيت العتيق هو الحرم كله لعدم الانتقال
ولقوله عليه السلام كل منى منحر ولكل امة جعلنا منسكا مكان نسك او نسكا
على انه مصدر وصلة الفعل قال الشاعر ولو نسكت بها دستة اشهر ثم
اطلق العبادة لبنائها على النظافة ثم غلبت على اعمال الحج وقرأ حمزة و
والكسائى بكسر السين وهى لغة اسد والفتح الفصيح لغة الحجاز ليذكروا
اسم الله علة للجعل دال على ان المقصود من شرع المناسك ذكره تعالى
باوصاف الكمال على ما رزقهم من بهيمة الانعام فيه دلالة على اختصاص

الهدى بالنعم فالهكم اله واحد اى بعد علمكم بوحدانيته فله اسلموا اخلصوا
في العبادة وذبح النسك لا كما كان يفعله اهل الاوثان من الذبح
باسماء آلهتهم وبشر المخبتين المتقادين لاوامره من الخبت
وهو المكان المطمئن ومن دعائه عليه السلام اللهم اجعلنى لك مخبتا
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة الجلال
عليها والصابرين على ما اصابهم من النوائب والمقيمى الصلوة في
اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون في وجوه البر والعطف باعتبار الصفات
والبدن جعلناها لكم البدن جمع بدنة وهى من الابل ما يتقرب به ذكرا كان
او انثى سميت بذلك لبدانتها فانهم كانوا يسمنون الضحايا والنصب
على شريطة التفسير والبقرة انما قامت مقامها الحاقا من حيث المعنى لا
تناولا لا بحسب الاسم من شعائر الله من معالم دينه لكم فيها خير منافع
دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها عند الذبح اى باسم كان من اسمائه
الحسنى المندوب ان يقول الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك
صواف قائمات على ارجلهن هو الافضل في ذبح البدنة بخلاف البقر
والغنم فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض بعد النحر فكلوا منها
واطعموا القانع السائل من قنع اذا سأل والمعتر المتعرض للعطايا
من غير سؤال من العرة وهى القذارة كذلك سخرناها لكم اى مثل ما
وصفنا من نحرها صواف سخرناها لكم مع عظم اجرامها وكثرة قوتها
نرى الجمل اذا ند او هاج لا يقدر عليه الجم الغفير لعلكم تشكرون نعمة لن
ينال الله لحومها ولا دماؤها لن يقع منه موقع الرضاء والقبول ولكن يناله
التقوى منكم بان يقصدوا بذلك التقرب اليه من حيث الامتثال لاوامره
كذلك سخرها لكم اعاده تذكيرا بالنعمة وعلله بقوله لتكبروا الله اى لتذكروه
بالتكبير والتهليل خاصة فان ذكر اللسان اشيع وادل ولذلك جعل الحمد
راس الشكر على ما هداكم من المناسك او على هدايته اياكم الى مصالح الدين
والدنيا وبشر المحسنين المخلصين في الاعمال ختم به الكلام اشارة الى انه
ملاك الامر ان الله يدافع عن الذين آمنوا متصل بقوله ان الذين كفروا و
يصدون عن سبيل الله وما وقع في البين من بناء البيت وذكر المناسك
وتعظيم الشعائر مستطرد لمزيد تهجين فعالهم لازدياد قبح الصد بازدياد
عظم ما صد عنه وبه ظهر ان التسوية بين العاكف والباد انما هى في
المسجد الحرام لان الكلام في المناسك وقرأ ابن كثير وابو عمرو يدفع مضارع
دفع وعليه الرسم وقراءة القوم ابلغ لان المفاعلة مبالغة في المبالغة ان

ان الله لا يحب كل خوان: كثير الخيانة: كفور: شديد الكفران تعليل
للدفع عن المؤمنين وايثار بناء المبالغة في الوصفين لان حق الامانة والشكر
عزيز: اذن للذين يقاتلون: اي في القتال حذف لدلالة يقاتلون عليه
وقرأ نافع وابو عمرو وعاصم اذن بضم الهمزة مسندا الى الجار والمجرور
وقرأ نافع وابن عامر وحفص يقاتلون على بناء المفعول وهو ابلغ لشموله
الاذن لمن لا يقدر على القتال بانهم ظلموا: اي بسبب ظلمهم كان المشركون
يؤذون اصحاب رسول الله وكانوا بين مضروب ومشجوج فيأمرهم بالصبر
وتفرق اكثرهم الى الحبشة والى المدينة: وان الله على نصرهم لقدير: وعد لهم
بالنصر على سنن كلام الملوك كما ذكر الاذن في القتال وعلله بان المأذون
له مظلوم ثم ذكر النصر على الوجه الآكد لم يبق للمظلوم ريبة في انه منصور لا محالة
الذين اخرجوا من ديارهم: من مكة: بغير حق: يوجب الاخراج: الا ان يقولوا
ربنا الله: اي الا هذا القول الذي هو اجل المناقب على طريقة ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
بان سلط المؤمنين على الكافرين فالتنوين في بعض للتعظيم وقرأ نافع دفاع
بالالف وكلاهما مصدر دفع: لهدمت صوامع: وقرأ نافع بالتخفيف والتشديد
ابلغ: وبيع: معابد النصارى: وصلوات: كنائس اليهود وهي جمع صلوة اسم
للمصلى بالعبرانية تحكي: ومساجد المسلمين: يذكر فيها اسم الله كثيرا: صفة
المساجد تخصيصا لها ويجوز ان يكون عاما في الاربع وكذا يجوز ان يكون المراد
تسليط اهل الملل على الكفار في ازمنتهم وان يكون للمسلمين على المشركين
والبقاء متعبدات اهل الكتاب الذين لهم ذمة: ولينصرن الله من ينصره:
اي ينصر دينه اي وقت كان وكائنا من كان: ان الله لقوي: قادر: عزيز:
غالب لا يعجزه شيء الذين ان مكناهم في الارض بدل من الذين اخرجوا
اشعار بان تمكينهم في الارض بعد الاخراج انما هو ليتمكنوا من القيام بما
اخرجوا لاجله ولذلك جعل جزاء الشرط: اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
وامروا بالمعروف: ونهوا عن المنكر: وكذا ان جعل بدلا عن قوله من ينصره
فانه يتناول المخرجين تناولا اوليا وايثار الشرطية لكونه جاريا على
سنن كلام الملوك مع الاشارة الى لزوم الوقوع بايقاعها صلة الموصول
التي يستدعي التحقق وفي الآية دليل على حقية الخلافة للراشدين لان
المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم والمتمكنون في الارض هم الخلفاء
منهم: ولله عاقبة الامور اليه مرجعها: فيه تأكيد لما وعده من اظهار اوليائه
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم

لوط واصحاب مدين: لما ضمن النصر لمن اخرج من امته ظلما عقبه بذكر الامم
المكذبة للرسل تسلية له واشارة الى انه اولى بالصبر منهم لانه اشرفهم
وافضلهم: وكذب موسى: غير الاسلوب لكون اياته اوفر واشهر وقيل
لان قومه لم يكذبوه بل غيرهم وهم القبط قوم فرعون وفيه انه قد كذبه من
كذب به قومه قارون ومن تابعه الا ان يقال تكذيب البعض كلا
تكذيب كما ان تصديق البعض من هؤلاء الاقوام كلا تصديق: فامليت
للكافرين: امهلتهم: ثم اخذتهم: استأصلتهم: فكيف كان نكير: نكيري
من النكر بالضم وهو الانكار او انكاري من نكره اذا غيره: فكأين من
قرية اهلكناها: اي اهلها وقرأ ابن كثير كائن على وزن فاعل وابو عمرو اهلكت
بالتاء والنون ابلغ في مقام السخط والغضب بعد اولئك الاقوام اهلكت
كثيرا من القرى او بدل من كيف كان نكير لانه للتهويل فاستؤنف فيه
على وجه ابسط على تحذر امثالكم بما تعملون بانعام ربنيت: وهي ظالمة: تعقيب
على الحال: فهي خاوية على عروشها: ساقطة عليها بان وقعت السقوف اولا
ثم الجدران فوقها من خوى النجم سقط او خالية من خوى البطن خلا قال
الشاعر لقد كنت اختار الخوى طاوي الحشا فالجار متعلق بخاوية اي
خالية مع بقاء العروش او خبر بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي كائنة
على ما كانت عليه دلالة على جدة العهد بالهلاك يؤيده بالعدم من وصف ولا يجوز ان يكون حالا صح
البئر بالتعطيل دون الخراب والجملة عطف على اهلكناها حالا لان الخلو
والسقوط لم يكن وقت الاهلاك ولا محل لها ان نصب كأين على
شريطة التفسير وان رفعته بالابتداء فكذلك ان عطفته على الاسمية وان
عطفت على الفعلية الواقعة خبرا ففي محل الرفع: وبئر معطلة: اي وكم بئر
عامرة في البوادي عطلت بهلاك اهلها: وقصر مشيد: مال باق على علوه
من شاد البناء رفعه او مجصص من الشيد بالكسر وقيل المراد ببئر بئر في سفح
جبل بحضرموت وبقصر مشيد قصر فيها كانا لقوم حنظلة بن صفوان
وكان نبيا ارسل الى قوم صالح بعد ان كفروا وعبدوا الاصنام فقتلوه
فاهلكهم الله تعالى: افلم يسيروا في الارض: حثهم على السفر للاعتبار برؤية
مصارع المهلكين: فتكون لهم قلوب يعقلون بها: اي قلوب بهذه الصفة
تستبصر وتعتبر بعد المشاهدة لان عين اليقين لا يبقى معه ريبة: او آذان
يسمعون بها: الاخبار المتواترة الموجبة لزوال الريب او المعنى انهم اذا
شاهدوا ذلك بعين الاعتبار يعقلون ما يجب تعقله من التوحيد ويسمعون
ما يجب سماعه من الوحي: فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

اي الشان والقصة لا يعتد بعمى البصر بل العمى الذي لا عمى غيره وهو عمى القلب
او المعنى عيونهم سالمة وانما ابقت قلوبهم فعليهم السير في الارض والنظر بعين
الاعتبار فانه دواء لذلك المرض وذكر الصدور لان عمى القلب غير متعارف فاكد
وقرر: ويستعجلونك بالعذاب: الموعود: ولن يخلف الله وعده: لامتناعه
منه وتنزهه عنه: وان يوما عند ربك كالف سنة فلذلك يستقصرونه وهم
يستطيلونه او يوم من ايام عذابه كالف سنة: مما تعدون: او يوم واحد من
ايام عذابه كالف سنة من سني العذاب لشدته وفظاعته فلذا يستعجلونه
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي يعدون بالغيبة: وكاين من قرية: وكم اهل قرية
عطفه بالواو دون ما تقدم لان هناك اما تعقيب او بدل من فكيف كان
نكير وهنا مع ما عطف عليه كالاعتراض تعليلا لانكار الاستعجال: امليت لها
وهي ظالمة: مثل هؤلاء: ثم اخذتها: بعذاب الاستيصال: والي المصير: فا
فاجازيهم بعذاب يستحقر ذلك الاخذ دونه: قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير
مبين: اقتصر على الانذار لان قوله: فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ورزق كريم: وما بعده تفصيل لمن نجع فيه الانذار فآمن ومن بقي على
الكفر غير ناجع فيه وقيل لان قوله يا ايها الناس نداء للمشركين خاصة وانما ذكر
المؤمنين وثوابهم ليغيظ بهم الكفار: والذين سعوا في آياتنا: بالرد والابطال
معاجزين: مسابقين اما من المفاعلة بمعنى فعل او بمعنى المغالبة وقرا ابن كثير
وابو عمرو بلا الف مشددا على انه حال مقدرة وعلى الرسم: اولئك اصحاب
الجحيم: الذين لم يفارقوها: وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي: عطف
النبي على الرسول ظاهر في المغايرة قيل الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب
المنزل عليه وفيه انه ذكر في الكتاب بلفظ الرسول من لا كتاب له كاسمعيل ويونس
والامثل ما قيل ان الرسول من جاءه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه
في المنام: الا اذا تمنى: قرا من الامنية وهي القراءة: ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب الا اماني: القى الشيطان في امنيته: في قراءته شيئا يلبس به على السامعين
فينسخ الله ما يلقي الشيطان: يزيله ويبطله: ثم يحكم الله آياته: الدالة على صدق مدعي
الرسالة: والله عليم: كامل العلم يميز الحق من الباطل: حكيم: فيما يفعله: ليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض: فيقدحون بذلك في رسالته او يزعمون انه
كلامه: والقاسية قلوبهم: التي لا يؤثر فيها الآيات ولا تلين لذكر الله: وان الظالمين
لفي شقاق بعيد: عن الحق حيث ينسبون اليه كلام الشيطان ويعتقدون صدور
ذلك منه: وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك: اي النسخ او القران فكيف
يكون فيه مدح الاصنام بل ليس ذلك الا من الشيطان وقد روى ابن اسحق في سبب

نزوله

نزوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا سورة النجم حتى بلغ ذكر اللات والعزى
خلط الشيطان بقراءته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فظن المشركون
انه هو القاري وفرحوا بانه مدح الهتهم فبين الله ان ذلك من القاء الشيطان
وان ذلك ليس مخصوصا به بل ما من نبي ولا رسول قبله الا وقد القى الشيطان في
قراءته لحكمة اقتضت ذلك هذا هو الحق الذي يجب اعتقاده وما عداه مما ذكره
المفسرون من انه تلاه بنفسه سهوا ثم جاءه جبريل واخبره به الى غير ذلك من
الخرافات فكذب بحت لا يحل لمسلم ان يتلفظ به على انه لو صحت الرواية انه
عليه السلام هو التالي لكانت الاشارة والمدح للملائكة على ما يقتضيه السباق لقوله
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى: فيؤمنوا به: بالنسخ
او بالقران: فتخبت له قلوبهم: بالانقياد: وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط
مستقيم: بتاويل ما تشابه وتخليص الحق عما القاه الشيطان: ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه: من الحق او من القران او من القاء الشيطان: حتى تاتيهم
الساعة بغتة: فجاءة: او ياتيهم عذاب يوم عقيم: يوم بدر لقتل اولاد النساء
فيصرن عقيما فالاسناد مجاز او يوم لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنش مطرا ولم
تلقح شجرا على انه استعارة تبعية شبه ما في اليوم من منع الخير بالعقم او هو يوم القيمة
اذ لا يوم بعده وكانه قال حتى تاتيهم الساعة او عذابها وهذا اوجه لقوله: الملك
يومئذ لله: اي يوم قيام الساعة او يوم يزول عنهم الشك: يحكم بينهم: بين
الفريقين لتقدم ذكرهما ولقوله: فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم و
والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين: ايثار الفاء في الخبر الثاني هنا
دون الاول اشارة الى دخول الجنة بفضل منه تعالى بخلاف دخول النار فانه
مسبب على اعمالهم والاتيان بفي اولا واللام ثانيا فتنبيه على انه رحمة
لدلالته على الاستقرار والتمكن: والذين هاجروا في سبيل الله: في طلب دين الاسلام
ثم قتلوا او ماتوا: حتف انفهم: ليرزقنهم الله رزقا حسنا: في الجنة: وان الله
لهو خير الرازقين: لانه رازق حقيقة وغيره سبب ظاهر او لدوام رزقه
ليدخلنهم مدخلا يرضونه: وهو الجنة بدل من ليرزقنهم الله وقرا نافع مدخلا بفتح
الميم والباقون بالضم وهو ابلغ روي ان ناسا من اصحاب رسول الله عليه السلام
قالوا يا رسول الله اصحابنا الذين قتلوا في سبيل الله وقد علمنا ما اكرمهم الله به ونحن
ان متنا معك فما يكون حالنا فانزل الله هاتين الآيتين: وان الله لهو خير الرازقين
كامل العلم بالاحوال: حليم: لا يعاجل بالعقوبة: ذلك: الامر ذلك: ومن عاقب
بمثل ما عوقب به: ولم يزد على حقه وتسمية الفعل ابتداء بالعقاب للازدواج او
المشاكلة او لانه سببه: ثم بغي عليه: ثانيا: لينصرنه الله: ثانيا لا محالة: ان الله

لعفو غفور كثير العفو والغفران للمنتصر فانه مندوب الى العفو بقوله ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور وبقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وبقوله فمن عفى
واصلح فاجره على الله والمعنى مع انه لم يمتثل ما دعى اليه من الاولى والاخذ ولم ياخذ
بذلك بل منصور ان بغي عليه ثانيا ولذلك قدم لينصرنه الله على قوله ان الله لعفو
غفور مع ان الظاهر تاخيره اذ كان مظنة ان يخذل لعدم مسارعته الى المندوب
اليه وفي الكلام اشارة الى ان العفو عن الجاني بمكان عند الله تع فانه من خلائقه وان
خلافه مظنة العقاب ودلالة على ان المحق منصور من الله تع في كلتا الحالتين عفى او
عاقب وان المبطل مخذول وانما سلوك في قرن من كان في مرية حتى تاتيه
الساعة او عذاب يوم عقيم ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل اي بانه قادر ومن ايات قدرته على الاشياء ايجاده الليل موضع
النهار وايجاده النهار موضع الليل او زيادته في كل واحد ونقصه من الاخر فلا يزال
احدهما غالبا والاخر مغلوبا وان الله سميع بصير وبسبب انه يسمع اقوال العباد
ويبصر افعالهم فهو عالم بمن يستحق النصر ومن يستحق الخذلان من تتمة الدليل
لان القادر لابد له من الوصفين ذلك الوصف بكمال القدرة واحاطة العلم
بان الله هو الحق بسبب انه الاله الحق الثابت الالهية وان ما يدعون من دونه
هو الباطل فان قلت كونه الاله الحق يستلزم لذلك الكمال قدرة وعلما استلزاما
ظاهرا فمن اين يلزم ان يكون ما يدعون من دونه هو الباطل قلت لان غيره ليس
بتلك الصفة اتفاقا فلا يصلح للالوهية وقرا الكوفيون الا ابا بكر
وابو عمرو يدعون بياء الغيبة وهو المختار لشموله على كمال قدرته جو
بايلاج الليل في النهار وعكسه وبين احاطة علمه اتبعه بانواع من الدلائل
الدالة على ذلك مع كونها نعما جسيما قال مقررا الم تر ان الله انزل من
السماء ماء فتصبح الارض مخضرة اثر الفاء وان كان الظاهر ثم للتراخي
الاخضرار عن نزول المطر لانه يبتدي عقيب نزول المطر وان كان تمامه
في مدة ولذلك اثر المضارع على الماضي ورفعه عطفا على انزل لكونه مسببا
عنه ان الله لطيف عليم بدقايق الصنع او بما دبر لعباده خبير ببواطن
الامور علة لانزال الماء مع ما يترتب عليه ويجوز ان يكون اللطيف
راجعا الى الانزال والخبير الى اصباح الارض مخضرة له ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني الحميد مطلقا عن المعاونة
والمشاركة في ذاته موصوف بكمال حمد او لم يحمد الم تر ان الله سخر لكم
ما في الارض من الدواب مذللة للركوب والحمل وسائر الاشياء من المعادن
والنباتات والفلك تجري عطف على ما او على اسم ان تجري في البحر بامره

حال

حال او استيناف لبيان وجه التسخير ويمسك السماء بلا عمد بحوله وقدرته
ان تقع على الارض كراهة ان تقع على الارض الا باذنه بارادته عند قيام
الساعة ان الله بالناس لرءوف رحيم حيث بث ادلة وجوده وتوحيده
في الافاق ولم يخل شيئا منها عن ضروب من النعم وهو الذي احياكم بعد
ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة ثم يميتكم عند حلول الاجل
ثم يحييكم يوم القيمة للجزاء ان الانسان لكفور كثير الكفران ولما كانت
ايات الانفس اقرب واظهر في كونها نعما واشمل واوفر ختم الاية بالكفران
لكل امة جعلنا منسكا شرعا ودينا هم ناسكوه متخذوه نسكا ويستمرون
عليه فلا ينازعنك في الامر الذي انت عليه والشرع الذي شرع لك
لان شانه اظهر من ان يمكن منه النزاع ويجوز ان يكون نهيا له عليه السلام
عن تمكينهم من النزاع على وجه الكناية كقولك لا ارينك ههنا وعن الزجاج
نهي له عن منازعتهم لان من نازعك فقد نازعته والاول ابلغ نزلت
في كفار خزاعة قالوا للمؤمنين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله تع
يريدون الميتة وانما لم تعطف كما عطفت نظيرتها وهي قوله ولكل امة جعلنا
منسكا لان تلك في بيان الشعاير وان النسك لم تزل تتقرب
بها الى الله تع كسائر العبادات واما هذه فسوق الكلام فيها لتعداد الايات
الدالة على التوحيد وادع الى ربك الى توحيده انك لعلى هدى مستقيم
طريق موصل الى الحق لا زيغ فيه وان جادلوك بعد ظهور الحق عنادا
فقل الله اعلم بما تعملون وعيد فيه رفق قريب من قوله واعرض عن الجاهلين
الله يحكم بينكم جاد كلمة الجلال لدلالتها على الالوهية المناسبة للحكم
والقضاء يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان
الله يعلم ما في السموات والارض من تتمة حديث الحكم استشهد بعلمه على
ذلك كانه قيل انت تعلم ان الامر كذلك وان جهلوه ان في ذلك في
كتاب هو اللوح كتب فيه مقادير الاشياء قبل حدوثها ان ذلك
على الله اي ان حفظ ذلك عليه يسير لان علمه المتعلق بجميع المعلومات
بمقتضى ذاته فلا يعزب عنه مثقال ذرة ويعبدون من دون الله ما لم
ينزل به سلطانا برهانا يدل على جواز عبادتها وما ليس لهم به علم
علم ضرورة او استدلال لا لتقليدا واتباع هوى وما للظالمين من نصير
اذا نزل بهم العذاب او يؤيد مذهبهم والغرض اظهار جهالتهم حيث لم يلتفتوا
الى ايات الافاق والانفس وانهمكوا في عبادة ما لا دليل عليه واذا تتلى
عليهم اياتنا من القران بينات واضحات الدلالة على العقايد الحقة

تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفظهور اماره على صفحاتهم آثار الفجور
على المضمر دلالة على ان ذلك الانكار ناش من كفرهم يكادون يسطون
بالذين يتلون عليهم آياتنا من شدة الغيظ السطو الوثوب والبطش
والجملة حال او استيناف قل افانبئكم بشر من ذلكم الغيظ والسطو
النار جواب سؤال كانه قيل ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين
كفروا وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل سمي القصة الرائعة
المتلقاة بالقبول عند ذوي العقول مثلا تشبيها لها ببعض الامثال التي ترد
في الغرابة والحسن فاستمعوا له للمثل استماع تامل وتدبر ان الذين يدعون
من دون الله اي الاصنام لن يخلقوا ذبابا لن يقدروا على خلقه ولو اجتمعوا له
ولو تعاونوا وتعاضدوا على خلق احقر حيوان واذله وان يسلبهم الذباب
شيئا لا يستنقذوه منه اي ولو اختطف هذا الحيوان الاذل واجتمعوا على
استخلاصه منه لم يقدروا وهذا ادل على العجز وانتفاء القدرة ضعف الطالب
والمطلوب وان كان الطالب اضعف لكونه جمادا والمطلوب حيوانا ذا حس
وارادة ولما اجراها مجرى العقلاء اثبت لها الطلب مع الخيبة تهكما عن ابن عباس
رضي الله عنه كان المشركون يلطخون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل و
يغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ما قدروا الله حق قدره
ما عظموه حق تعظيمه حيث جعلوا اذل الاشياء شريكا له في العبادة من قدر الشي
يقدره اذا نظر فيه وتدبر ومنه حديث عائشة رضي الله عنها فاقدروا قدر الجارية
الحديثة السن ان الله لقوي عزيز ذو قوة وغلبة لا يغالبه شي وما يدعونه
من دونه شي اذل من الحيوانات الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس
شرع في اثبات الرسالة بعد هدم قواعد الشرك واحكام دعائم التوحيد
دلالة على ان له عبادا مصطفين يمكن التوسل بهم الى معرفته تعالى ان الله سميع
عالم باقوال المكلفين بصير باحوالهم يعلم ما بين ايديهم ما مضى منها وما
خلفهم وما يتر نوبته لا يخفى عليه خافية والى الله ترجع الامور كلها والذي هذا
شانه لا يسال عما يفعل لاحاطة علمه بكنه الاشياء وقولهم انزل عليه
الذكر من بيننا وقولهم لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ناش
عن جهلهم ودليل على انهم ما قدروا الله حق قدره وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر
ترجع على بناء الفاعل يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا حث على الشرايع
بعد اثبات الرسالة فانها كالنتايج لها وبدأ بالصلوة لانها عماد الدين
وعبر عنها بالركوع والسجود لانهما اعظم اركانها لاحتوائهما على غاية الخضوع والخشوع
الذين عليهما مدار العبادة وقيل اول ما اسلموا كانوا يركعون بلا سجود ويسجدون

بلا ركوع فامروا ان يكون صلوتهم بركوع وسجود واعبدوا ربكم اخلصوا له
الطاعة واقصدوا بها وجهه وقيل حجوا وصوموا وفيه ان الاية مكية وتلك
العبادات مدنية وافعلوا الخير كله من نجاة الملهوف وصلة الارحام
والامر بالمعروف لعلكم تفلحون حال كونكم راجين الفلاح فان الاعمال لا
امارات والاية آية السجدة عند الشافعي رحمه الله تعالى لما روي عقبة بن عامر
قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما ومن
عمرو بن العاص رضي الله عنه اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سجدة
منها سجدتان في سورة الحج وروى مالك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة الحج فضلت بسجدتين ومن ابي حنيفة
رحمه الله قرانها بالركوع دليل على انها سجدة الصلوة لا سجدة التلاوة والحق انه
لا تنافي بين كون السجدة صلاتية وشرع السجود عند تلاوتها كما دلت عليه
الروايات وجاهدوا في الله في احياء دينه حق جهاده اصله جهادا فيه حقا
اضيفت الصفة الى الموصوف مبالغة كقولك زيد عالم حق عالم واضيف
الجهاد الى ضميره تعالى لان الجهاد لوجهه فتلك الملابسة كافية ويجوز ان
يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم وجعلكم
خيرا امة وما جعل عليكم في الدين من حرج حيث شرع لكم الرخص والكفارات
واحل لكم الغنايم ووضع عنكم الآصار والاغلال التي كانت على الامم فكما
لطف بكم غاية اللطف جاهدوا فيه حق الجهاد ملة ابيكم ابراهيم نصب على الاغراء
والاختصاص ولما كان ابا لرسول الله عليه السلام وهو اب لامته لكونه سببا
لحياتهم الابدية جعله اباهم ويجوز ان يكون تغليبا لان قريشا كانوا من ذريته
هو سماكم المسلمين اي الله تعالى سماكم بهذا الاسم الشريف من قبل في سائر
الكتب المنزلة قبل القران وفي هذا اي في القران وقيل الضمير لابراهيم عليه السلام
ومعنى من قبل اي قبل نزول القران وارسال محمد عليه السلام حيث قال
ومن ذريتنا امة مسلمة لك ويؤيد الاول قوله ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فانه يدل على ان الاجتباء
والتسمية كانا لهذا الغرض لانهما بمثابة التزكية فاقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة شكرا لتلك النعمة التي لم يشارككم فيها امة واعتصموا
بالله استمسكوا به في كل ما تأتون وتذرون وهذا قصارى الكمال ونهاية
التقوى فانتظمت الخاتمة مع الفاتحة هو مولاكم متولي اموركم فنعم
المولى ونعم النصير لان من تولاه لا يضيع ومن نصره لا يخذل ولان من
نصره لا ينصر الا اذا اراد فلا ناصر سواه تمت السورة ولمولانا الحمد والثناء

ابراهيم ع

والصلوة على سيد الانبياء وعلى اله وصحبه البررة الاتقياء سورة المؤمنين
مكية وهي مائة وتسع عشرة آيات بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح
المؤمنون قد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وكان المؤمنون يتوقعون
نوع بشارة منه تعالى فصدر السورة بما دل على ثبوت ما توقعهم على ابلغ وجه
بان ادخل قد على المضارع البارز في صورة الماضي الدال على التحقق فكانه
قيل قد تحقق ان المؤمنين من اهل الفلاح والفوز بالاماني ويجوز ان يكون
جواب قسم محذوف فيزداد تاكيدا على تاكيد الذين هم في صلاتهم خاشعون
الخشوع فعل القلب ويسري اثره في الجوارح ولذلك لما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم مصليا تعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت
جوارحه ومن الخشوع في الصلوة ان لا يحدث نفسه بامر لا يتعلق بالصلوة
ويتوقى كف الثوب والالتفات وقلب الحصاء والتدل والاختصار وتشبيك
الاصابع ويلتزم النظر موضع السجود والذين هم عن اللغو معرضون كلما لا يعنيك
من قول وفعل اللغو من لغا الرجل اذا اتى بالباطل ومنه لغو اليمين والنهي ابن عباس
طلاق المكره اي ابطله ولما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض
عن اللغو جمعا لهم بين فعل ما ينبغي وترك ما لا يعني اللذين عليهما مدار الكمال
فهو من تتمة الصلوة فلذلك فصل به بينها وبين الزكوة والذين هم للزكوة
فاعلون اي التزكية فانه اسم مشترك بين العين والمعنى القائم بالفاعل
وعبر عن المزكي بالفاعل تحاشيا عن التكرار مع ان كل فعل يعبر عن مصدره
بلفظ الفعل ضرورة صدق العام على الخاص ومن فسره بالذين يفعلون
ما يفعلون لتزكيهم لعدا وليزكوا انفسهم فالصلوة ينادي على بطلان تخريجه
وكذا نظيره في سورة المعارج والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم اي حافظون فروجهم في الحالات كلها الا في حال تزوجهم
او تسريهم والاحسن تعلق الجار بحافظون من حفظت المال على اليتيم
اي حافظون فروجهم على الازواج لا يتعداهن ثم قيل غير حافظين الا على
الازواج تاكيدا على تاكيد فانهم غير ملومين فيه اشارة الى انه مباح
لا ثواب فيه ولا حرج وهذا اذا لم يقصد به عدم الوقوع في الزنا لما روى
البخاري انهم قالوا يا رسول الله اياتي احدنا شهوته ويكون له اجر قال نعم
ارايتم لو وضعه في الحرام اكان له وزر ونكاح المتعة باطل اجماعا فلا وجه
لعد المنكوحة متعة من الازواج فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فا
اولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون لا يكونون فيما يؤتمنون فيه من حقوق الله تعالى او حقوق العباد

ويراعون

ويراعون العهود والمواثيق لا يغدرون ولم يجمعه لانه اسم للحاصل بالمصدر بخلاف
الامانة فان المراد منها الشيء المؤتمن فيه وقرا ابن كثير بالافراد وجمع
اولى لتناوله الافراد صريحا والذين هم على صلواتهم يحافظون اي
المفروضة او المشروعة يحافظون يؤدونها في اوقاتها مراعيا فيه
الاركان والابعاض والهيئات مواظبون على ذلك على الاستمرار
وقرا حمزة والكسائي بالافراد على ارادة الجنس وعليه الرسم والجمع اظهر
لظهور تناول الافراد مفروضة كانت اولا ولا تكرار لان الاول في
بيان خشوعهم والثاني في مراعتهم اليها وقدم بيان الخشوع لانه
الاصل في العبادات اولئك هم الوارثون الموصوفون بالصفات
المذكورة احقاء باسم الوراثة وبان لا يسمى غيرهم وراثا لحقارة ما يرثه
وانما سمي جزاء اعمالهم ميراثا دلالة على كمال الاعتداد بها وان الثواب
في مقابلتها او لازم كالميراث فانه ملك قهري لا يقبل الرد وقيل لانهم
ورثوا منازل الكفار في الجنة لو كانوا مسلمين لما في الحديث ما من احد
الا كتب له مقعد في الجنة ومقعد في النار الذين يرثون الفردوس
ابهم اولا ثم فسر اظهارا للفخامة والفردوس البستان الواسع الجامع
لاصناف الثمار روي ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة
من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وغرس فيها من جيد الفاكهة و
الرياحين روى مسلم والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم
الله الجنة فاسالوه الفردوس فانه اوسط الجنة ومنه تتفجر الانهار هم فيها
خالدون لا موت ولا انتقال اللهم اجعلنا اهل الفردوس ولما بين ان
الفائزين لديه هم المتصفون بتلك الاوصاف المرضية المتجملون بها
تلك الاخلاق الزكية اشار الى ادلة وحدانيته واستحقاقه ذلك
من عباده بقوله ولقد خلقنا الانسان اي آدم من سلالة خلاصة
فعالة بمعنى المفعول وبناء فعالة تنبئ عن القلة كالقلامة والقمامة
من طين من بيانية والاولى ابتدائية ويجوز ان يكون ابتدائية ايضا
على ما روي عن الحسن انه خلق من ماء بين ظهراني الطين او تبعيضية لان
المسلول خلاصة الطين وانما نكر الطين لكونه طينا مجهول الاجزاء من وجه
جميع الارض وهي القبضة التي قبضها ملك الموت ثم جعلناه نطفة
اي نسله نطفة فحذف المضاف في قرار مكين القرار المستقر من الارض
استعير لمحل النطفة ووصف بالمكانة مبالغة في وصف الرحم بالحصانة
ثم خلقنا النطفة علقة اي قلبنا النطفة البيضاء دما جامدا علق

بعض اجزائه بعضا. فخلقنا العلقة مضغة. قطعة لحم مقدار ما يمضغ. فخلقنا
المضغة عظاما. صلبة. فكسونا العظام لحما. ساترا لها كالكسوة وقرأ ابن
عامر وابو بكر العظم مفردا في الموضعين على ارادة الجنس لعدم اللبس وتخصيص العظام
ثم انشاناه خلقا اخر. مباينا للخلق الاول بان كان جمادا فصار حيوانا
وناطقا بعد ان كان ابكم وسميعا بعد ان كان اصم وبصيرا بعد ان كان اكمه
واودع فيه من القوى الظاهرة والباطنة وانواع الادراكات التي لا تهتدي
على دركه شيء منها الا علمه الشامل واحتج ابو حنيفة رحمه الله تعالى بالاية على ان
من غصب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق اخر
فان قلت لم ذكر العطف بثم اولا واخرا دون المتوسطات مع تساوي المدة
كما نطق به الحديث فيكون اربعين يوما نطفة ثم اربعين علقة ثم اربعين مضغة
ثم ينفخ فيه الروح قلت ثم في الموضعين للتراخي رتبة فان انقلاب النطفة دما
جامدا ابعد حالا من انقلاب العلقة مضغة وانقلابها عظاما واما نفخ الروح
فظاهر ويجوز ان يكون تفننا في الكلام فان ابتداء كل انقلاب يتعقب ما
تقدمه وان كان انتهاؤه متراخيا فاستعمال الحرفين بالنظر الى الحالتين
فتبارك الله احسن الخالقين. تعالى شانه وكثر خيره على المخلوقين حيث اوجد
من طين منقدرجا في الاطوار انشاءنا في احسن تقويم وعن ابن عباس رضي الله عنه
ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب الوحي فلما املى عليه رسول الله عليه السلام
هذه الايات وكان بليغا وسمع ما بهر عقله فلم يتمالك ان قال فتبارك الله
احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا انزل فارتاب
من ذلك فقال انزل الي مثل ما انزل اليه فارتد مدة ثم عاد الى الاسلام احسن
عود. ثم انكم بعد ذلك لميتون. لا محالة والفرق بين الميت والمائت ان الاول
يدل على الثبوت والثاني على الحدوث تقول زيد مائت الان او غدا ولا تقول
ميت. ثم انكم يوم القيمة تبعثون. للجزاء ولا دلالة للكلام على عدم حياة اخرى
في القبر وانما لم يتعرض لها لخفائها شانها فلا يحسن ذكرها في معرض الاستدلال
على كمال الاقتدار. ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق. سبع سموات سميت
طرائق لانه طورق بعضها فوق بعض وكل شيئين جعلت احدهما فوق الاخر
تقد طارقت بينهما واصله من الطرقة وهي الطبقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب
في سيرها. وما كنا عن الخلق غافلين. عن خلق السموات بل كما اوجدنا بحفظها
عن تطرق الخلل كقوله ولا يؤده حفظهما او عن المخلوقات تحتها فانه جعلها معدن
الارزاق بانزال الرحمة يؤيده. وانزلنا من السماء ماء بقدر. بمقدار معلوم اقتضته
الحكمة. فاسكناه في الارض. في عما قهامنه تجري العيون كقوله فسلكه ينابيع

في الارض

في الارض وتخصيصه بالانهار لحكمة لا وجه له. وانا على ذهاب به لقادرون
لانه اهون في العرف من الانزال وانما نكر الذهاب للدلالة على كثرة طرقه وتعدد
اسبابه مبالغة في الايعاد وبه وهذا ابلغ في الوعيد من قوله قل ارايتم ان اصبح
ماؤكم غورا قبل ابلغ منه من ثمانية عشر وجها تعرف بالتامل. فانشانا
لكم به بالماء. جنات من نخيل واعناب لكم فيها. في الجنات. فواكه كثيرة لا
تتفكهون بها. ومنها تاكلون. تغذيا كالتمر والزبيب فانهما من الاقوات
او تحصلون منها ارزاقكم واسباب معايشكم يقال فلان ياكل من حرفته
اي منها وجه معاشه ويجوز ان يعود الضمير الى النخيل والاعناب لاشتمال
ثمرهما على هذه المعاني كلها فان قلت قد جاء في الزخرف لكم فيها فاكهة
كثيرة منها تاكلون وهنا جمع الفاكهة واتى بالواو العاطفة فما الحكمة
في ذلك قلت تلك في وصف الجنة والنوع الواحد من ثمرة يوجد فيه
طعم سائر الانواع واما عدم العاطف فلان ما نوكل هناك بعض الثمرة
لدوامه وعدم انقطاعه ونوكل نقلها فلا يوجد معنى اخر يعطف عليه. وشجرة
عطف على جنات هي شجرة الزيتون افردها بالذكر لشرفها قيل هي اول شجرة
نبت بعد الطوفان وهي الشجرة المباركة. تخرج من طور سيناء. جبل
نودي فيه موسى عليه السلام بفلسطين او بين مصر وايلة والطور لغة الجبل
الثابت اضيف الى سيناء اسم بقعة او هو مركب كبعلبك وحضرموت
وهو الطور سينين وسينا لفظ عجمي والمنع من الصرف للعلمية والعجمة
او عربي ومنع المفتوحة على قراءة الكوفيين وابن عامر لالف التانيث
والمكسورة للعلمية والتانيث المعنوي وليست الفه للتانيث لعدم النظير
واما علباء فالفه للالحاق. تنبت بالدهن. اي الشجرة ملتبسة بالدهن
والجار والمجرور في محل الحال وجعل الباء صلة بمعنى المعنى وقرا ابن كثير وابو عمرو
بضم التاء من الانبات اما لان انبت لازم كالمجرد وعليه قول زهير رايت
ذوي الحاجات عند بيوتهم. قطينا بها حتى اذا انبت البقل او تعدى والهمزة
والمفعول محذوف اي زيتونها وعن ثعلب ان الباء زائدة كقوله ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة وعليه قول شربن بماء البحر ثم رفعت وقراءة الفتح
اثقل تكلفا. وصبغ للاكلين. معطوف على الدهن عطف احد وصفي الشيء
على الاخر كانه قيل تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا وادام وصبل
الصبغ الغمس ومنه في الحديث يؤتى بالكافر المترف فيصبغ في النار
صبغة فيقال له هل رايت من نعيم قط فيقول لا. وان لكم في الانعام لعبرة
تعتبرون به وتستدلون على كمال علم الصانع وقدرته. نسقيكم مما في بطونها.

كما بين في قوله هذا الذي رزقنا من قبل فاشار
بالافراد الى ان ما نوكل منه فيه طعم
من سائر الانواع صح

استيناف لبيان العبرة ومن ابتدائية اي كائنا من العلف الذي في بطونها
او تبعيضية لان اللبن جزء من العلف متكون منه وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر
بفتح النون وهما لغتان والفتح اخف واشهر وقد جمعهما لبيد في بيته ۞ سقى
قوم بني مجد واسقى نميرا والقبائل من هلال ۞ ولكم فيها منافع كثيرة ۞ من
الركوب والحمل والاصواف والاوبار ۞ ومنها تأكلون ۞ من اعيانها او تحصلون بها
سببا لمعاشكم بالبيع والاجارة ۞ وعليها وعلى الفلك تحملون ۞ فان الابل والبقر
تحمل عليها وقيل المراد بالانعام الابل لانها كانت غالب مال العرب وهي سفائن
البر ولذلك قرنها بالفلك قال ذو الرمة يمدح ناقته المسماة بصيدح ۞
سفينة بر تحت خدي زمامها ۞ وقال آخر يمدح ناقته ۞ وعمائم الزور تحت
زورق البلد ۞ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه بعد ما شيد اركان التوحيد
بآيات الآفاق والانفس شرح احوال الامم المكذبة وابتدأ بنوح فانه اول
رسول عذب قومه ۞ فقال يا قوم اعبدوا الله ۞ وحده ۞ ما لكم من اله غيره ۞
استيناف لبيان علة الاختصاص ۞ افلا تتقون ۞ بأسه وسطوته الاستفهام
للحث والطلب مثل فهل انتم شاكرون ۞ فقال الملأ الذين كفروا من قومه
اي اشرافهم لعوامهم ۞ ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ۞ فلذلك يدعي
الرسالة ۞ ولو شاء الله ۞ ارسال الرسول ۞ لانزل ملائكة ۞ لاعتقادهم
ان البشرية تنافي الرسالة ۞ ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ۞ قالوه عنادا
او اما لتطاول الفترة وبعد العهد ۞ ان هو الا رجل به جنة ۞ جنون ما يدري
ما يقول ۞ فتربصوا به حتى حين ۞ الى ان يموت او يرجع عن دعواه ۞ قال رب
انصرني بما كذبون ۞ اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي فان في اهلاكهم نصرته او الباء
بدلية والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة او ما موصولة والباء للآلة
اي بالذي كذبوني فيه وهو العذاب الموعود بقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم اي انجز ذلك الوعد ۞ فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ۞ اي
بحفظنا وكلاءتنا ۞ ووحينا ۞ وامرنا بذلك وقدم الحفظ على الوحي وان
تأخر وجوده لكونه الاصل الذي لا يتم شيء بدونه ۞ فاذا جاء امرنا ۞ باهلاك
القوم ۞ وفار التنور ۞ بالماء قيل لنوح اذا فار التنور اركب السفينة واختلف
في موضعه قيل بمسجد الكوفة عن يمين الداخل من باب كندة وقيل بعين
وردة بالشام وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن علي
رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر ولعل ذلك لان هلاكهم كان بعد طلوع الفجر
فاسلك فيها ۞ ادخل فيها يقال سلك فيها وسلك غيره قال عبد مناف
الهذلي حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ۞ من كل زوجين ۞ من كل صنفين

الذكر

الذكر والانثى ۞ اثنين ۞ ذكرا وانثى مفعول اسلك وقرأ حفص من كل بالتنوين
اي من كل جنس او من كل ذكر وانثى زوجين مفعول واثنين صفة للتأكيد
كما من الدابة ۞ واهلك ۞ واهل بيتك اذ لم تنج غيرهم لقوله وجعلنا ذريته
هم الباقين ۞ الا من سبق عليه القول منهم ۞ وهو ابنه الذي كان من المغرقين
ولا تخاطبني في الذين ظلموا ۞ في استدفاع العذاب عنهم اذا ادركتك رقة جنسية
او لا تدعني لاهلاكهم من اغرى بقولك انصرني ولا تذر من الكافرين ديارا ۞
انهم مغرقون ۞ لا محالة لسبق ذلك القول ۞ فاذا استويت انت ومن معك
على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ۞ فان النجاة من العدو
كل نعمة دونه وفيه اشارة الى علة النهي عن المخاطبة في حقهم لان من هلاكهم نعمة يحمد
عليها كيف يليق السعي في خلاصهم ۞ وقل رب انزلني منزلا مباركا ۞ فيه مزيد
خير الدارين وقرأ ابو بكر منزلا بفتح الميم من النزول مصدرا واسم مكان وقراءة
القوم اوفق لقوله انزلني ۞ وانت خير المنزلين ۞ ثناء اخذ من لفظ الدعاء امره
ان يشفع به الدعاء توسلا الى الاجابة وافرده به لانه سيد القوم لما امر به فيهم
مأمورون به ولان كبرياء الالوهية اجل من مخاطبة اي من كان بل لا يصلح لذلك
الا نبي مرسل او ملك مقرب ۞ ان في ذلك ۞ في شان نوح وقومه ۞ لآيات ۞
كثيرة لمن تامل وتدبر ۞ وان كنا لمبتلين ۞ قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد
او مختبرين عبادنا لننظر من يتذكر لقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ۞ ثم انشأنا
من بعدهم قرنا آخرين ۞ هم عاد قوم هود لقوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح ۞ فارسلنا فيهم رسولا منهم ۞ اليهم وانما جعل القوم موضع الارسال تأكيدا لالزام
الحجة لانه منهم ليس اجنبيا حتى يأنفوا من اتباعه ونشأ فيهم وبين اظهرهم يعرفون
ديانته وامانته ۞ ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ۞ ان مفسرة لارسلنا ۞ افلا
تتقون ۞ سخط الله ۞ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ۞ بلقاء
ما فيها من الثواب والعقاب وانما عطف مقالتهم على مقالة الرسول هاهنا
ولم يعطف في الاعراف وهود لان الكلام هناك في حكاية المقالة بين المرسل
والمرسل اليه الا ترى الى قولهم انا لنريك في سفاهة وقولهم ما نريك الا بشرا
مثلنا واستدعاء ذلك الاستيناف بين كانه قيل فما قالوا في جوابه قيل كيت
وكيت وهاهنا لم يخاطبوه بل قال بعضهم لبعض فلا فاقتصر الى الجمع بين قوله
الحق وقولهم الباطل فلا ساغ للاستيناف ۞ واترفناهم في الحياة الدنيا ۞ بكثرة
المال والاولاد ۞ ما هذا الا بشر مثلكم ۞ لا فرق له ۞ يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون
بيان لوجه المماثلة والعائد الى الموصول الثاني منصوب محذوف وتقدير المجرور و
حذفه مع الجار ضعيف ۞ ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ۞ حيث

تضعون انفسكم لمن لا يستحق واذا جزاء للشرط وجواب لمن جال من قومه
تبعه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون من الاجداث
او من العدم حسن تكرار انكم لطول الفصل ومخرجون خبر عن الاول و
الظرف لغو يتعلق به او انكم مخرجون مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر
عن انكم على معنى ايعدكم انكم اخراجكم كائن اذا متم او انكم مخرجون مرتفع
بفعل هو الجزاء للشرط والشرطية خبر انكم كانه قيل ايعدكم انكم اذا متم
وقع اخراجكم هيهات هيهات من الاصوات المبنية لكونها بمعنى
الماضي لما توعدون واللام زائدة وما توعدون فاعله اي بعد ذلك
الموعود اي بعد ولذلك الكرره او هيهات معناه البعد كما نقل عن الزجاج
والجار والمجرور خبره وفي وجه بنائه على هذا تكلف او اللام لبيان المستبعد
كانه لما صوت به قيل لاي شيء هذا الاستبعاد وقيل لما توعدون وفاعل
هيهات على هذا ضمير البعد كانه قيل وقع البعد لما توعدون نظيره لقد
تقطع بينكم بنصب بين اي وقع التقطع وعن ابن جني ان الفاعل مبهم وفيه
ذهول عن اللام لانه يمتنع ان يكون ما توعدون مفسرا ان هي الا
حياتنا الدنيا الضمير لمبهم وهي عدل عنه حذرا عن التكرار اي ما الحياة
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى يموت بعضنا ويولد بعض او نحيى
ونموت لا حالة نبعث سواهما قدم الموت لانه مظنة الريب وما
نحن له بمبعوثين كما زعم محمد ان هو الا رجل افترى على الله كذبا اخترعه
قصدا ارادة ان يغويكم وما نحن له بمؤمنين بوما قال رب انصرني
بما كذبون بسبب تكذيبهم او بدله قال عما قليل ما لتوكيد معنى القلة او موصوفه
ليصبحن نادمين حيث لا ينفع الندم فاخذتهم الصيحة بالحق صاح بهم
جبريل فهلكوا مكانهم ولا دلالة للصيحة على ان القوم قوم صالح لجواز ان يكون
مع الريح صيحة جبريل تغليظا للعذاب كامطار الحجارة على قوم لوط بعد ان
جعل عاليها سافلها يؤيده قوله ونجيناهم من عذاب غليظ اي هود ومن امن
فجعلناهم غثاء شبه الغثاء وهو حميل السيل شبههم به في البلى وتفرق
الاوصال والخروج عن عدم الانتفاع فبعدا للقوم الظالمين اي بعد
ذلك العذاب النازل بهم هلاكا لهم دعا عليهم بالاهانة والاستحقاق
كانه ما نزل بهم نذر نظرا الى ما اعد لهم من عذاب الاخرة وهو من المصادر
التي يجب حذف ناصبها تعال تعذ بعدا وبعدا كرشد ورشدا ورشد
ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين اي قرنا وامما في ازمنة شتى ما تسبق
من امة اجلها على كثرة القرون وما يستاخرون عن الوقت المقدر

ثم

ثم ارسلنا رسلنا تترى واحدا بعد واحد من المواترة وهي المتابعة بين الاشياء
مع فترة وبينها مداركة والتاء بدل من الواو كتجاه وتراث ونونه ابن كثير وابو عمرو
على ان الالف للالحاق كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول اليهم لوجوب
الملابسة فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون
هلاكا لهم ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا وسلطان مبين وحجة واضحة قيل
هي العصا افردها لكونها اشرف المعجزات باعتبار اشتمالها على معجزات شتى او هو
الايات والعطف باعتبار الصفات الى فرعون وملائه اشراف قومه خصهم
بالذكر لان الرعايا والسوقة اتباع ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهرقل فان توليت فعليك اثم الاريسيين فاستكبروا عن الايمان وكانوا
قوما عالين ذوي شرف وعز من علي بالكسر يعلى علاء فهو علي اي شريف او من
علوت الرجل عليته وعلى الوجهين جار مجرى علة الاستكبار او من علا في الارض
تكبر وكانوا قوما اولهم التكبر فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا يطلق على الواحد والتثنية
والجمع وكذلك المثل وانما افرده كراهة توالي التثنيتين وقومهما لنا عابدون
زعموا ان خدمتهم لعبادة لانه كان يدعي الالهية او اراد بها الانقياد والخضوع فكذبوهما
فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون
اي بني اسرائيل لان التورية نزلت بعد غرق فرعون وقومه وجعلنا
ابن مريم وامه آية دالة على كمال القدرة والعلم افراد الاية لانه اريد ما
تعلق بهما من امر الولادة او حذفت الثانية لدلالة الاولى عليها واويناهما
الى ربوة الى ارض مرتفعة هي بيت المقدس لانها ارفع اجزاء الارض و
واقربها الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل رملة فلسطين وقيل دمشق
وقيل مصر والوجه هو الاول ذات قرار مستقر من الارض يسكنها الناس
لكثرة الثمار ومعين وماء جار من معن الماء اذا سال بعيد لغوته ومنه
المعن في الشبر او هو مفعول من عانه ادركه بعينه وجعله فعيلا من
الماعون لا يناسب المقام يا ايها الرسل كلوا من الطيبات المعنى ان
كل رسول خوطب في زمانه وايراده على هذا الوجه ليعتقد السامع ان امرا
نودي به جميع الرسل حقيق بان يؤخذ به ويجوز ان يكون به ويجوز ان يذا حكاية
ما قيل لعيسى وامه عند الايواء اي علمناهم ان الرسل كلهم مخاطبون بذلك
وفيه ابطال للرهبانية التي ابتدعها النصارى وبعض جهلة المتصوفة في زماننا
والطيبات ما يستلذه النفس من المآكل والفواكه وقيل ما حل من الرزق
وهو ثلثة اقسام حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه
والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل عنه

وعنه صلى الله عليه وسلم كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان السرف
والمخيلة ❊ واعملوا صالحا ❊ فانه المقصود من ذلك ❊ انى بما تعملون عليم ❊ فاجازيكم
على حسبه ❊ وان هذه ❊ ولان هذه متعلق بفاتقون وقرأ الكوفيون ان بالكسر على
الاستيناف او عطف على انى وابن عامر ان بالفتح مخففة والكسر هو المختار لعدم
والتقدير ❊ امتكم ❊ دينكم وملتكم ❊ امة واحدة ❊ فى الاصول والعقائد نصب على الحال
على الوجوه الثلثة ❊ وانا ربكم فاتقون فى مخالفة امرى وقد بينت لكم ان الدين
واحد ❊ فتقطعوا امرهم بينهم ❊ بعد ذلك الوصية خالفوا وتوزعوا الدين وقسموه
زبرا ❊ قطعا جمع زبرة او جمع زبور وهو الكتاب اى كل اخذ بكتابه وكفر بالاخر
فهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا لتضمنه معنى الجعل كل
حزب بما لديهم فرحون ❊ معجبون بدينهم معتقدون انهم على الحق ❊ فذرهم فى غمرتهم
حتى حين ❊ الى ان يموتوا او يقتلوا شبه حالهم فى استغراقهم فى الجهالة بمن غمره
الماء وعلاه كانه قال دعهم فى هذا الجهل الذى لا جهل فوقه ولا له على الياس
وعدم نجع القول فيهم وادرج فيه التسلية ببيان الغاية وهو قتلهم او موتهم
ايحسبون انما نمدهم به ❊ اى نعطيهم ونجعله مددا لهم ❊ اشيئا بعد شئ تقرير مع الانكار من
مال وبنين ❊ بيان ما ❊ نسارع لهم فى الخيرات ❊ اكراما لهم واستدراجا لهم فيه خبر
ويجوز ان يراد جزاء الخيرات كما للمؤمنين فى الاخرة والعائد محذوف اى
نسارع به لهم ❊ بل لا يشعرون ❊ لاشعور لهم بينظروا اهل هم مستوجبون للاكرام
ام ذلك استدراج ❊ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ❊ خائفون غاية الخوف
بهم اضداد السابقين ❊ والذين هم بايات ربهم ❊ المنزلة والمنصوبة فى الافاق
والانفس ❊ يؤمنون ❊ يصدقون ❊ والذين هم بربهم لا يشركون ❊ شركا جليا
ولا خفيا فان كلا منهما يحبط العمل ❊ والذين يؤتون ما اتوا ❊ يعطون من
الصدقات والبر ما اعطوا وقد روا عليه قليلا كان او كثيرا ❊ وقلوبهم وجلة ❊
خائفة ان يقبل منهم ام لا مستقلا لها واعطاها لخباب القدس لحيح ❊ انهم
الى ربهم راجعون ❊ وهو قد احاط بما فى ضمائرهم ❊ اولئك يسارعون فى الخيرات
الباقية سرمدا فيه تعريض لمن تقدم ذكرهم بان همتهم فى المسارعة فى الى فى او
او يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية قبل ثواب الاخرة تلك الاعمال
لقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وهذا ان كان احسن طباقا للاية المتقدمة
فانه اثبت لهؤلاء ما نفى عن اولئك الا انه قاصر لان ثواب الدنيا بالتوسع
لقوله من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ❊ وهم لها
سابقون ❊ اى لتلك الخيرات سابقون الناس او فاعلون السبق
او سابقونها اى ينالونها قبل الاخرة واللام لتقوية الاسم لتقدم معموله ولا

تكلف

تكلف نفسا الا وسعها ❊ اعتراض لترغيب لانه امر سهل لا حرج فيه من تقاعد
وهو القصر والمعنى ان التكليف على قدر الوسع فمن بذل جهده ولم يبلغ تلك
الرتبة فلا عليه ❊ ولدينا كتاب ينطق بالحق ❊ هو اللوح او كتاب الحفظة لا تضيع
فيه مثقال ذرة فمن لم يسم همته الى الاول ولا ينبغى ان تقعد به عن الثانى
وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب الضمير للفريقين ❊ بل قلوبهم
فى غمرة ❊ فى غطاء وسترة اضراب عن الاضراب الاول ترقيا فى وصفهم با
بالغفلة فان عدم الشعور قد يكون لعدم التوجه واما المستور بالغطاء فلا يمكن
الوصول اليه ولو توجه وبذل الوسع ❊ من هذا ❊ اى مما وصف به المؤمنون ❊ ولهم
اعمال من دون ذلك ❊ الذى وصف به المؤمنون او متخطية عما وصفوا به
من الشرك ❊ هم لها عاملون ❊ معتادون بها منهمكون فيها لا يرعوون
حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب ❊ حتى هذه هى التى يبتدا الكلام بعدها
والعذاب قتل المترفين يوم بدر وقيل القحط لما دعا عليهم رسول الله عليه السلام
فقال اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف
فقحطوا حتى اكلوا الجيف ويردده قوله ❊ اذا هم يجارون ❊ يعرضون با
بالاستغاثة ❊ لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون ❊ لا يمنعون القحط
قد ارتفع عنهم بدعائه عليه السلام لما جاءه ابو سفيان وقال يا محمد
انك تامر بصلة الارحام لا يمنعون القحط قد ارتفع عنهم وقد ترى ما
اصاب قومك فدعا فقال الله تعالى انا كاشف العذاب قليلا انكم عائدون
قد كانت اياتى تتلى عليكم ❊ هى القران الدال باعجازه على انه كلامه تعالى ❊ فكنتم على
اعقابكم تنكصون ❊ ترجعون القهقرى كالخائف من الشئ اشارة غاية الى
الشئ عن اصلهم ❊ مستكبرين به ❊ بالبيت الحرام زعما منهم انهم ولاة البيت لا يوخذون
شهوته تضمنت عن سبق الذكر او بالتكذيب او بالايات وتذكير الضمير لانها فى معنى
الكتاب والقران او كان متعلق بقوله ❊ سامرا ❊ والضمير للقران والسمر حديث
الليل اصله ضوء القمر فانهم كانوا يجتمعون حول البيت ويأخذون فى مثالب
القران وسب الرسول تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وتارة يقولون القران
اساطير الاولين انما يعلمه بشر والسامر اسم الجمع يقال هم سمار وسامر ❊ تهجرون
من الهجر بضم الهاء وهو الفحش من القول او من الهجر بالفتح وهو الهذيان والتخليط
فى الكلام وقرأ نافع بضم التاء من اهجر اذا اتى بالهجر اى الفحش او الهذيان فلا
تابيد فى قراءة نافع لاحد المعنيين ❊ افلم يدبروا القول اى القران ليعلموا ان
كلام الله الحق المعجز بل تدبروا مدة متطاولة ❊ ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين
بل جاءهم الكتاب والرسول ولم يات اباءهم الاولين وليس ذلك موضع

الانكار اذ قد تواتر عندهم مجيء الرسول ونزال الكتب الى سائر الامم او جاءهم
من الامن من عذاب الله تعالى ما لم يات آباءهم الاولين كاسمعيل عليه السلام
واعقابه روي عنه عليه السلام انه قال لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين
ولا تسبوا قسا ولا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مرة فانهم كانوا
مسلمين وما شككتم في شيء فلا تشكوا في اسلام تبع فانه كان مسلما على شريعة
سليمان بن داود ام لم يعرفوا رسولهم دينه وامانته وصدق لهجته وشرف
نسبه حيث اقتعد غارب المجد وحل وسطة هاشم فهم له منكرون لفقد شيء
من تلك الكمالات ام يقولون به جنة فلا يبال بكلامه وقد كانوا يعلمون
انه ارجح الناس عقلا واثقبهم رايا ومن وقف على خطبة ابي طالب عند نكاح
خديجة علم ما كان فيه من صفات الكمال من اول نشاته بل جاءهم بالحق
بالتوحيد الذي لم يالفوه وقد اندرج على الشرك آباؤهم واكثرهم للحق كارهون
قيد بالاكثر لان قليلا منهم ما كان يكره الايمان ولكن يمنعه الاستكبار وخوف
لائمة الناس كابي طالب كان يمدحه ويمدح دينه ومات على الكفر خوفا
من لوم الناس ان يقولوا في كبر سنه تبع يتيمه وانما اعاد المظهر لئلا يتوهم
عود الضمير اليه ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن
فيهن لفسد النظام لان الاهواء مختلفة والدواعي متباينة او لو اتبع الحق
اهواءهم انقلب باطلا ولا بقاء للعالم مع الباطل بل اتيناهم بذكرهم
بالكتاب الذي فيه شرفهم او تذكيرهم وعظتهم او الذكر الذي كانوا يتمنونه
بقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فهم عن
ذكرهم معرضون جهلا منهم وعنادا ام تسألهم خرجا تقسيم لقوله ام يقولون
به جنة وما بينهما اعتراض برهانا على انه منزه من الجنون بل جاء به هو الحق الابلج
فخراج ربك خير فالاجر الذي وعدك ربك خير من الفاني الذي بيدهم وقد
رضيت بذلك فلا وجه لتنفرهم وقرا ابن عامر بقصرهما وحمزة والكسائي بمدهما
والباقون بقصر الاول ومد الثاني وهما لغتان وقيل الخرج الجعل والخراج العطية
وقيل الاول مصدر والثاني اسم والاوجه القصر لانه اخف والمعنى عليه
اظهر وزيادة المباني لزيادة المعاني انما هو عند اتحاد المعنى وعدم المعارض
وهو خير الرازقين لدوام رزقه وسعته وعدم شوبه بمنة تقرير لكون خراجه
خيرا وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم لا عوج فيه وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة عن الصراط لناكبون عادلون عنه لان اتباع الحق وسلوك طريقه انما
هو من خوف العقاب ومن لا يؤمن بالآخرة امن من ذلك ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر هو الجوع والقحط للجوا في طغيانهم لتمادوا فيه

يعمهون يتحيرون عن الهدى ولقد اخذناهم بالعذاب بالقحط والجوع فما استكانوا
لربهم فما انتقلوا من كونهم الاول الى آخر استفعال من الكون او افتعال من
السكون وما يتضرعون بل استمروا على عتوهم الذي كانوا عليه حتى اذا فتحنا
عليهم بابا ذا عذاب شديد وهو القتل يوم بدر او عذاب جهنم اذا هم فيه
مبلسون آيسون من الخير اذ الياس هذا وتفسير العذاب الشديد بالجوع
وقول ابي سفيان قتلت بعضهم بالسيف يوم بدر وبعضهم بالجوع لمنع ثمامة
الميرة عن اهل مكة كله سهو لان القحط وقع ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ووقعة
بدر بعده بالمدينة وكذا اسلام ثمامة رواه البخاري وهو الذي انشا لكم السمع
والابصار والافئدة بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما
لا يتعلق بغيرها وقدم السمع والابصار لانهما آلات الادراك وبها يدرك
المعجزات قليلا ما تشكرون بصرفها الى ما خلقت له وهو الذي ذراكم في
الارض خلقكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون بعد ذلك التفرق للجزاء
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار مختص به لا يقدر عليه احد
سواه افلا تعقلون تستعملون عقولكم في النظر والتدبر فيما خلقتم له قبل
فوات الوقت بل قالوا مثل ما قال الاولون اعرض عن خطابهم ناعيا عليهم
جهلهم وجهل اسلافهم الذين اقتدوا به قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون اي انه منكر محال لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل اي قبل
وجودنا ومجيء محمد صلى الله عليه وسلم يريدون ان ما يقوله قول قيل قبله بدهر وقد
ظهر لنا تحقيقنا بطلانه ان هذا الا اساطير الاولين اكاذيبهم المختلقة جمع
اسطورة كالاعجوبة والاضحوكة وهذا البتة لما يتلهى به وقيل جمع اسطار جمع
سطر كافراس وفرس والسطر خفيف من الكتابة والاول احسن واوفق قل
لمن الارض ومن فيها من المخلوقات من تغليب العقلاء ان كنتم تعلمون
ذلك اهانة لهم حيث لا يعلمون هذا الواضح الجلي فهم عن علم التوحيد ودقائقه
بمعزل او ان كنتم من اهل العلم حيث زعمتم ان ما يقوله من اساطير الاولين
سيقولون لله بلا ريب لانه لا يتوقف على فكر قل افلا تذكرون بعد
هذا الاقرار فان توجه النظر الذي هو ايسر الاشياء كاف في حل عقدكم
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله
قراه ابو عمرو والذي بعده باللام وجر الهاء وهو طبق السؤال معنى اذ معنى
من رب الدار لمن الدار وعليه رسم الامام والبصري قل افلا تتقون
عقاب من هذا صنعه قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير يغيث
ويحرس من يشاء ولا يجار عليه ولا يغاث منه احد وتعديته بعلى

تتضمن معنى النصرة : ان كنتم تعلمون : اعادة زيادة فى التوبيخ : سيقولون
لله قل فانى تسحرون : تخدعون عن الرشد مع ظهوره بساق الايات
الثلث على اسلوب بديع ذكر الارض اولا لانها اقرب اليهم ومن فيها
بهم ثم ترقى الى السموات والعرش العظيم التى الارض بالنسبة اليها كلا شى ثم الى
من اليه تقصر العظمة وان الكائنات تحت قدرته بيده ملكوت كل شى
فاتى باعم العام وكلمة الاحاطة ولفظ الملكوت الدال على سعة الملك وغاية الا
الاختصاص وذكر اليد اليه تصويرا للعظمة وان الكائنات تحت قدرته كلعبة
فى يد قادر يقلبها كيف يشاء وراعى فى الفواصل ايضا ذلك حيث ذكر بعد ذكر الارض
التذكر الذى هو ايسر النظر ثم الانتقاء الدال على التوحيد ثم التعجيب من ضعف
عقولهم وتخييل الباطل حقا والحق باطلا بعد الاقرار والاعتراف بتلك المقدمات
القواطع وكانها تقرير لما سبق من ابطال شبهة منكرى البعث كذلك تمهيد
للاحق من ازاحة اوهام اهل الشرك ورافضى التوحيد : بل اتيناهم بالحق اى
بالبرهان الدال على البعث والتوحيد : وانهم لكاذبون : فى انكارهم : ما اتخذ الله
من ولد : فقط لتقدسه عن المماثلة والمجانسة : وما كان معه من اله : يشاركه فى الالوهية
: اذا لذهب كل اله بما خلق : جواب لمن حاجه من المشركين وجزاء الشرط محذوف
دل عليه قوله وما كان معه من اله اى لو كان معه من آلهة لذهب كل اله بما خلق و
ولعلا بعضهم على بعض : كما ترى من ملوك الدنيا قد تقدم الكلام عليه وافيا فى قوله
: لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا : سبحان الله عما يصفون : من شانه الادرا
فتعالى عما يشركون : من اتخاذ الولد والشريك : عالم الغيب والشهادة
برهان آخر دال على بطلان شرك لان من يدعون له الالوهية جماد ليس من شانه
الادراك : فتعالى عما يشركون : وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عالم
بالجر على الوصف وهو المختار لسلامته عن الحذف : قل رب اما تريني ما
يوعدون : يقول ان واما نريك بعض الذى نعدهم : رب فلا تجعلنى فى القوم
الظالمين : داخلا فى زمرة المعذبين وهذا سؤال رعاية حظا لنفسه واظهارا
للتواضع والعبودية مع علمه بانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكرر لفظ
الرب اشارة الى ان التضرع والجوار عنده بمكان : وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون : كانوا يقولون متى هذا الوعد فقيل ان الله قادر على ان ينجز ذلك
الوعد ولكن لكل امر وقت مقدرا اقتضته الحكمة وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم ولان فى اصلابهم من سبق فى العلم انه سيؤمن : ادفع بالتى هى احسن
السيئة : اى ادفع السيئة بالحسنة التى هى احسن من غيرها من الحسنات
فانها متفاوتة والائق بك ايثار احمل الاخلاق وهى الصفح والاحسان بعد

وبذل

وبذل الوسع فيه ومن عود نفسه بهذا تمكن عليه الصفح عن السيئات واتباعها
الحسنات : نحن اعلم بما يصفون : اى يصفونك به على خلاف ما انت عليه
وفيه وعيد شديد لهم : وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين : اى
وساوسها واغرائها على المعاصى الهمز النخس ومنه مهماز الرائض تشبيه
للمعقول بالمحسوس بجامع الحث وجمع اما لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه
: واعوذ بك رب ان يحضرون : اى يحوموا حولى فضلا عن الوسوسة : حتى اذا
جاء احدهم الموت : غاية لقوله ادفع بالتى دال على كون الاية غير منسوخة وان المدارا
مرغب فيها ما لم يؤد الى ثلم دين او ازراء بمروءة او ليصفون على معنى ان طعنهم
ذلك وسوء المقالة مستمر الى حين الموت وعلى الوجهين ما بينهما اعتراض
لتاكيد شان الاغضاء والصفح مستعينا بالله تعالى عن الشيطان ان ينزله عن
الحلم اولقوله وانهم لكاذبون وقوله ما اتخذ الله من ولد الى هنا كالاعتراض
لتاكيد كذبهم وتحقيق استحقاقهم البراءة منهم : قال رب ارجعون : اى اذا عاين
الموت او ركنه الحسرة على ما فرط فيه من الايمان وعنه عليه السلام اذا عاين
المؤمن الملائكة يقولون نرجعك الى الدنيا بقوله الى دار الهموم والاحزان
بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون وخطاب الله بلفظ الجمع
على قصد التعظيم كقوله الا فارحمونى يا اله محمد ويجوز ان يكون الخطاب للملائكة
ورب جر على اضمار حرف القسم : لعلى اعمل صالحا فيما تركت : اى فى الايمان
الذى تركته او فى المال الذى خلفته : كلا ردع عن تلك المقالة واستبعاد : انها
كلمة هو قائلها : لا محالة لاستيلاء الندم عليه كانها هذا الواقع فى بلية تكلم
بما هو موقن بعدم قبوله منه والكلمة طائفة من الكلام : ومن ورائهم برزخ : امامهم
حاجز عن الرجوع البرزخ ما بين كل شيئين : الى يوم يبعثون : اقناط كلى اذ
بعد البعث : لا رجعة : فاذا نفخ فى الصور : نفخة البعث فلا انساب بينهم يومئذ
لا نفع لها وانما النافع هى الاعمال الصالحة روى احمد بن حنبل عن المسور ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الانساب تنقطع يوم القيمة الا نسبى وسببى وصهرى او
لفرط الحيرة لا يتذكر احد نسبه : ولا يتساءلون : اى لا يسأل بعضهم احوال
بعض لشدة الامر كيف ويفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه : وهذا
فى اول الامر لقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وفى الحديث يشفع المؤمن فى
سبعين من اقاربه وخلانه : فمن ثقلت موازينه : موزونات اعماله الصالحة
فاولئك هم المفلحون : الفائزون بكل بغية : ومن خفت موازينه
اى ومن لم له عمل يوزن لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا عبر عنه بالخفة
لوقوعه فى مقابلة الثقل الذى هو ضده فيحسن الطباق : فاولئك الذين

خسروا انفسهم حيث اوردها مورد هلاك الابد وفوتوا حظوظها
في جهنم خالدون بدل من الصلة لا محل له من الاعراب او خبر ثان لاولئك
تلفح وجوههم النار تصيبها على الدوام اللفح والنفح حر النار وحجها والاول
اشد وهم فيها كالحون عابسون تتقلص شفاههم وتبدو اسنانهم روي
الترمذي تتقلص شفته الكافر العليا حتى تبلغ وسط راسه والسفلى حتى
تبلغ سرته الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون تذكير لهم بما لاجله
استحقوا هذا العذاب وجمع بين عذاب النار وعذاب الاخرة الندامة
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا حتى بلغت بنا هذا الحال وقرا حمزة و
والكسائي شقاوتنا بفتح الشين والمد وهما لغتان كالسعادة والكتابة
والقصر اخف واشهر وهي لغة الحجاز وكنا قوما ضالين عن طريق الارشاد
ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى الكفر فانا ظالمون لانفسنا
قال اخسئوا فيها انزجروا كما تنزجر الكلاب يقال خسأت الكلب زجرته
فانخسأ انزجر لازم ومتعد ولا تكلمون في رفع العذاب او مطلقا وعن
ابن عباس رضي الله عنه لهم ست دعوات اذا دخلوا النار ينادون الف
سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا فيجابون حق القول مني فينادون
الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم
فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون
الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فينادون
الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فينادون
الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها فلا كلام لهم بعد الا الزفير و
الشهيق وعواء الكلاب وعن ابن عمر رضي الله عنه ينادون ربنا غلبت
علينا شقوتنا ربنا اخرجنا منها بقدر مدة الزمان الدنيا مرتين لم يجبهم
بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي هم المؤمنون
كافة او الصحابة او اصحاب الصفة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزؤا وقرا نافع وحمزة والكسائي
بضم السين وهما مصدرا سخر زيد فيهما الياء والنسبة للمبالغة وعن يونس
والفراء ان الضم من العبودية والكسر من الاستهزاء وهو المختار لكونه نصا
في المراد واخف حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اي اشتغلتم بالتشاغل
باستهزائكم الى ان جركم الى ترك ذكري في اوليائي فلم تخافوني وفيه دلالة
على كمال اختصاص المسخور منهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم وفي
هذا الاكرام زيادة حسرة لاولئك الاضداد انهم هم الفائزون ثاني

مفعولي

مفعولي جزيتهم وقرا حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف والمفعول محذوف
اي الجزاء الجنة قال كم لبثتم في الارض عدد سنين اي قال الله تعالى او الملك
الموكل بعذابهم وقرا حمزة وابن كثير والكسائي قل على صيغة الامر قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم لان ايام السرور قصار او لانها
المنقضي يستطيل ايام المحنة ويستقصر ايام الدعة او لان المنقضي في حكم ما لم
يكن فاسئل العادين الملائكة الذين كانوا يعدون اعمار العباد او
فاسأل من يقدر على العد فانا في شغل شاغل من ذلك الا انا على
التخمين فظنه يوما او بعض يوم قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون
تصديق لهم على مقال المدة وتوبيخ على غفلتهم التي كانوا فيها وقرا حمزة و
والكسائي قل على صيغة الامر والمامور من في النار والافراد لارادة الجنس
ووافقهما ابن كثير في الاول وعليه رسم الكوفي والمد اوفق لقوله قال
ان لبثتم افحسبتم انما خلقناكم عبثا تقرير فيه توبيخ على ظنهم الفاسد
وعبثا حال اي عابثين او مفعول له اي للعبث وانكم الينا لا ترجعون
عطف على انما خلقناكم ويجوز عطفه على عبثا ان جعل مفعولا له اي للعبث
ولتركتم غير مرجوعين وقرا حمزة والكسائي بفتح التاء من الرجوع فتعالى
الله الملك الحق الثابت الملك الذي لا يزول ملكه من العبث وكيف
يليق به لا اله الا هو رب العرش الكريم وصفه بالكرم لانه مظهر الاحكام ومعدن
البركات او لانه عرش اكرم الاكرمين وصف بوصف مجازا حكميا كما يقال
بيت كريم اذا ساكنوه كراما ومن يدع مع الله الها اخر شرطيه الالوهية
لا برهان له به صفة ثانية للتوكيد لا ان في الآلهة ما يجوز قيام البرهان عليه
او اعتراض بين الشرط والجزاء فانما حسابه عند ربه فيجازي على قدر
استحقاقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان لا يفلح الكافرون و
مفهومه ان المؤمنين مفلحون كما نطق به صدر السورة فانتظمت الفاتحة
مع الخاتمة وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين الامر له والمراد امته
ليتوسلوا بهذا الدعاء الى ذلك الفلاح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال سمعنا دويا كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل رسول الله عليه السلام
القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا
تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي
عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون الخ تمت السورة
الحمد لله رب العالمين سورة النور مدنية وهي اثنتان او اربع وستون
ايات بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف اي هذه

سورة أنزلناها صفته أو مبتدأ موصوف والخبر محذوف أي فيما أوحينا
إليك سورة أنزلناها وفرضناها ألزمناكم ما فيها من الأحكام وأصل الفرض
القطع والتقدير وشدده ابن كثير وأبو عمرو إما للمبالغة والتوكيد أو لأن فيها
فرائض شتى ففيه براعة الاستهلال كما في أوفوا بالعقود ويجيء فصلنا وقيل
لكثرة المفروض عليهم وفيه أنه جار في سائر الفرائض وأنزلنا فيها آيات بينات
واضحات لا يتوقف على فكر وتأمل لعلكم تذكرون فتتقون المحارم الزانية
والزاني مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه أي فيما يتلى
عليكم أي جلدهما ويجوز أن يكون فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ودخول الفاء
لتضمن الموصول معنى الشرط قدم الزانية على الزاني عكس آية السرقة لأن
بواعث الزنى تبدو أولا منها ولأنها المحل فلو امتنعت لم يمكن وقوعه والجلد
هو الضرب على الجلد وفيه إشارة إلى التخفيف وهذا حكم الحر والعبد
يجلد نصفه وأما المحصن فالرجم لقوله الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما
وكان قرآنا نسخ لفظه وزاد الشافعي على الجلد تغريب عام على الحر لما روى مسلم
والبخاري مرفوعا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ولم يقل به أبو حنيفة لأنه
خبر الواحد لا يزاد به على الكتاب وشرط أبو حنيفة الإسلام في الإحصان لقوله
عليه السلام من أشرك بالله فليس بمحصن وينفيه ما في البخاري ومسلم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين قيل إن المحصن في ذلك الحديث
من يتقبل من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله هي شدة الرحمة وقرأ
ابن كثير بفتح الهمزة وهما لغتان في دين الله في طاعته ورفع شأنه إن كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر فإن الإيمان بهما يقتضي ذلك وإيثاران و
وإيمانهم مقطوع به لأن الجنسية وميل الطبع على المسامحة والمساهلة و
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين فإن الحكمة في تشريع الحد الزجر عن
المعاودة والنفوس الآبية تنزجر بالتشهير أكثر من الضرب والفداء
لاسيما بين قومه وأهل حرفته ولذلك قيد بالمؤمنين والطائفة الجماعة
التي يمكن أن يكون حافة حول الشيء من الطواف وعن ابن عباس رضي الله عنه
من الأربعة إلى الأربعين ولا ينافي هذا ما روي عنه من واحد فصاعدا لأن
الغرض هو التشهير ولا يحصل إلا بالعلم وذلك بحسب اللغة وهو الطوف
والدوران الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو
مشرك عن عائشة رضي الله عنها أن حكمها باق وأن من تزوج بالزانية
فهو زان على الدوام قال الإمام أحمد وعن سعيد بن المسيب أن الأمر كان على
ذلك فنسخ بقوله وانكحوا الأيامى منكم وقيل نزلت الآية في أصحاب الصفة

كانوا

كانوا فقراء وكان بالمدينة بغايا موسرات فأرادوا نكاحهن فاستأذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والأصح أنه نهي عن نكاح البغايا وتزهيد
وإشارة إلى أن أهل الإيمان والصلاح لا يليق بهم الرغبة إلا في العفائف
فإن الأخلاق تسري والمصاحبة تؤثر عن المرء لا تسأل وسل قرينه فإن القرين
بالمقارن يقتدي وتقديم الزاني عكس ما في صدر السورة لأن النكاح صنعة
الرجال وهم الأصل في ذلك وحرم ذلك على المؤمنين كأنه تحريم أو تنزيه
على القولين والذين يرمون المحصنات يقذفون العفائف من النساء
بالزنى ودل عليه ذكر الإحصان وتقييد الشهود بالأربعة وقرأ الكسائي بكسر الصاد
ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون بزنى المقذوفة بأنهم رأوا ذكر الزاني في
فرجها كالميل في المكحلة فاجلدوهم ثمانين جلدة إذا كان المقذوف
محصنا والإحصان بالبلوغ والحرية والعقل والإسلام والعفة من الزنا
ولا فرق بين الذكر والأنثى وتخصيص المحصنات لنزول الآيات فيهن
أو لأن قذف النساء أغلب ولا يشترط اجتماع الشهود وكذا لا يقبل
شهادة الزوج عند الشافعي خلافا لأبي حنيفة فيهما وأشد الضرب التعزير
ثم حد الزنا ثم شرب الخمر ثم القذف لتفاوت أسبابها فإن قلت قوله
الحدود تدرأ بالشبهات يقتضي أن لا يحد القاذف لكون خبره يحتمل
الصدق قلت تلك الشبهة مضمحلة حفظا لأعراض المسلمين التي هي كدمائهم
ولذلك أكده بقوله ولا تقبلوا لهم شهادة أي شهادة كانت زيادة
في عقوبته حيث لم يستر على المؤمن عورته المأمور بسترها قال عليه السلام
من ستر على مؤمن ستر الله عليه يوم القيامة ولا يتوقف رد الشهادة
على استيفاء الحد عند الشافعي لأن العطف بالواو لا يقتضي الترتيب
ولأنه قبل الحد أسوأ حالا لكون الحدود كفارات أبدا مدة حياتهم عند
أبي حنيفة أو ما داموا قاذفين عند الشافعي رحمه الله تعالى وأولئك الموصوفون
هم الفاسقون الكاملون فيه إلا الذين تابوا من بعد ذلك راجع
إلى الأخيرة عند أبي حنيفة لأنها منقطعة عن الأوليين فيتعلق الاستثناء بها
لا محالة ولا أبد مدة حياة القاذف وعند الشافعي الاستثناء من الضمير
المجرور وأولئك هم الفاسقون اعتراض يجري مجرى التعليل غير منقطع عن
الأول ولذلك توسط بين المستثنى والمستثنى منه ويجوز أن يكون
الاستثناء عنده أيضا راجعا إلى الأخيرة لأن الحكم يزول بزوال علته وأن
يرجع إلى الجمل الثلاث كما هو الأصل عنده من أن الاستثناء بعد الجمل المتعاطفة
عائد إلى الكل كقولك وقفت على أولادي وأولاد أولادي إلا الأغنياء

منهم فان قلت كيف يستقيم رجوع الاستثناء الى الجمل الثلث مع ان الجلد لا يسقط
بالتوبة اتفاقا قلت الجلد وما يقوم مقامه من الاستحلال من تمام التوبة او ان
ذلك الاصل ظاهر في ترك بالاجماع على وجوب الجلد او خص منه لانه حق العباد
ويؤيد ما ذهب اليه ما رواه البخاري ان عمر جلد ابا بكرة وشبل بن معبد ونافع بن
شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنا ولم يوجد الرابع ثم قال ومن تاب منكم قبلت
توبته واليه ذهب عمر بن عبد العزيز وطاوس والزهري والشعبي وشريح وسعيد
ابن جبير واصلحوا اعمالهم فان الله غفور لما فرط منهم رحيم بقبول التوبة
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم روى البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنه ان هلال بن امية قذف امرأته بشريك بن سحماء فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق
ولينزل الله ما يبرئ ظهري من الحد فارسل رسول الله الى هلال وامرأته فجاءا فتلاعنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فلما
بلغت المرأة الى الخامسة فقالوا لها انها الموجبة فتلكأت حتى ظننا انها ترجع ثم
قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت في الخامسة فقال رسول الله عليه السلام
ابصروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين
فهو لشريك بن سحماء فجاءت به على النعت فقال رسول الله عليه السلام
لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شان وروى مسلم والبخاري
عن سهل بن سعد ان عويمرا جاء الى رسول الله وذكر انه رأى رجلا مع امرأته
فوجده قد نزلت عليه فدعاهما فتلاعنا فقال عويمر كذبت عليها ان امسكتها
ففارقها فكانت سنة المتلاعنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصروها
فان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين فلا اراه الا قد صدق
وان جاءت به احمر كانه وحرة فلا اراه الا كاذبا فجاءت به على النعت
المكروه فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما
رماها به من الزنا وقرا حمزة والكسائي وحفص اربع بالرفع على انه خبر شهادة
بالنصب على المصدر والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
فيما رماها به هذا لعان الرجل وحكمه سقوط الحد عنه وحصول الفرقة بينهما
على سبيل الابد لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وعند ابي حنيفة
رحمه الله تعالى لا بد من تفريق القاضي على انه طلاق ويدرأ عنها العذاب ان
تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا و
الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وقرأ نافع ان
مخففة في الموضعين وكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله ولولا فضل الله

عليكم

عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم حذف الجواب اي لعاجلكم بالعقوبة
او لفضحكم ان الذين جاءوا بالافك هذه ثمانية عشر آية نزلت في عائشة
رضي الله عنها حين قال اهل الافك ما قالوا روى البخاري عن عروة بن الزبير
ان عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع
بين نسائه من خرجت قرعته سافرت معه فغزا غزوة فخرج سهمي فسافرت
بها فلما فصل ودنى من المدينة آذن ليلة بالرحيل فخرجت وجاوزت الجيش
لحاجة الانسان فلما قضيت شأنها وعادت انقطع عقدها فاحتبست
لالتماسه فاحتمل الرهط الذين كان يرحلون هودجها فرحلوه على البعير وهم
يحسبون انها فيه واستمر الجيش فلما عادت الى مكان الجيش وليس به داع
ولا مجيب اقامت بمنزلها كانت به ظانة انهم سيفقدونها وكان صفوان
ابن المعطل السلمي من وراء الجيش متخلفا فرأى سواد انسان فلما دنى
منه عرفها وكان قد رآها قبل الحجاب فعظم عليه ذلك وقال انا لله وانا
اليه راجعون حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل من راحلته واناخها
ثم ولى ظهره حتى ركبته ام المؤمنين فجاء بها وهم قد نزلوا في منزل غزاة
معه وكان في الجيش رئيس المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول فخاض في
حديث الافك واذاعه وبلغ ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر
فصعد رسول الله المنبر وقال ايها الناس ما بال اناس يخوضون في عرض
اهلي والله ما علمت على اهلي الا خيرا ويذكرون رجلا ما علمت منه الا خيرا
فوقع الغلطة وهمت الانصار بالقتال واستمر الامر على ذلك حتى نزلت
الآيات عصبة منكم هو ابن سلول وحسان ومسطح واخرون والعصبة
الرجال من العشرة الى الاربعين لا تحسبوه شرا لكم اي الافك بل هو
خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وكونه سببا لنزول الآيات مشتملة
على الحكم ومحاسن الاخلاق لطفا بالسامعين والتالين الى يوم القيمة
والخطاب لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله وابي بكر وعائشة
وصفوان لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم جزاء له بقدر ما خاض فيه
والخائض والذي تولى كبره معظمه منهم من الخائضين له
عذاب عظيم مكافاة على جناية العظيمة لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيرا باخوانهم واخواتهم جعل المؤمنين كنفس
واحدة كقوله ولا تلمزوا انفسكم روي ان ابا ايوب الانصاري قال لزوجته
يا ام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت انت بدل صفوان اكنت
تظن بحرم رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت

رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك وانما التفت الى الغيبة ليوبخ
بالاعراض وليصرح بالايمان الذي يوجب الاشتراك فيه والاتحاد والمحاماة
وقالوا هذا افك مبين صريح جازمين بذلك حملا على الصلاح كما يقول
المستيقن لولا جاؤا عليه باربعة شهداء كما هو الحكم في مثله فاذ لم ياتوا
بالشهداء فاولئك عند الله اي في شرعه هم الكاذبون ولذلك اوجب
عليهم الحد ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع
الشيء لوجود غيره والاوليان للتحضيض والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل
عليكم في الدنيا بضروب النعم وفي الآخرة بالعفو والمغفرة لمسكم فيما افضتم فيه
عذاب عظيم تعاجلكم على ما خضتم فيه من الافك بعذاب تستحقرون دونه الحد
واللوم اذ تلقونه بالسنتكم اذ ظرف لمسكم او افضتم وتلقي القول وتلقفه
اخذه من الغير ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وتقولون بافواهكم
من غير ان يستند الى ما في القلب ما ليس لكم به علم بل مختص بافواهكم
يجري على السنتكم ليس الا وتحسبونه هينا سهلا وهو عند الله عظيم
لرميكم جبهة حبيبه بما هي عنه بريئة وقصدكم بذلك القدح في عرضه
وحضض رفيع جنابه رتب مس العذاب على آثام ثلثة تلقي الافك
بالالسنة والتحدث به من غير تحقق واستصغار ذلك وعده هينا لا تقولن
لذنب انه حقير فلعله كل عند الله وهو عندك نقير ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي لولا قلتم وقت سماعكم المعنى كان الواجب
عليكم اول ما سمعتموه ان تعرضوا عنه وتقولوا ما ينبغي لنا ان نتكلم به ولا يصح
كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق سبحانك هذا بهتان عظيم
تعجب من شناعته او تنزيه لله تعالى من ان يكون حرم حبيبه موسوما بشين
فضلا عما ذكروه فانه يوم لعرضه منفر عن اتباعه بخلاف الكفر فانه ليس مما
ينفر ولا يعود شناعته عليه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ما دمتم
ان كنتم مؤمنين فان الايمان يستدعي الانصاف بما يليق به من الصفات
الجميلة والآداب الحسنة وفيه توبيخ وتقريع على ما وقع منهم ويبين الله
لكم الآيات الدالة على الحكم والآداب ومحاسن الاخلاق والله عليم
كامل العلم بالاشياء حكيم في جميع ما تعلقت ارادته ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة اي تشيعوها عن قصد ومحبة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في
الدنيا بالحد والآخرة بعذاب النار ان لم يتوبوا والله يعلم وانتم لا
تعلمون فان المحبة فعل القلب ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف
رحيم كرره مع حذف الجواب لكونه معلوما وفي ايثار الرؤف الرحيم ما يدل

على ان

على ان هذا الذنب لا يتوسل الى رفعه الا بمحض رأفته وانه اعظم من ان يرتفع بالتوبة
اذ شتان بين ما يتلقونه بافواههم وما يحبونه بقلوبهم يا ايها الذين آمنوا لا
تتبعوا خطوات الشيطان آثاره وما يدعوكم اليه من المعاصي وقرأ بضم الطاء
ابن عامر والكسائي وحفص وقنبل وهي لغة الحجاز والباقون بسكون الطاء
وهي لغة تميم والفتح افصح واشهر ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء
والمنكر علة للنهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع من عطف
العام على الخاص ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة وشرع الحد ما زكى منكم
من احد ابدا آخر الدهر اي ما طهر من دنس الفاحشة التي ارتكبوها لعظمها ويجوز
ان يكون الخطاب عاما لهم ولغيرهم اشارة الى ان من لم يخض فيها وطهر من دنسها
انما كان بتوفيق الله تعالى ولكن الله يزكي من يشاء بتوفيق التوبة او بالعصمة والله سميع
لاقوالهم عليم بالضمائر ولا يأتل ولا يحلف اولوا الفضل منكم في الدين كان من اهل الافك
مسطح بن اثاثة كان ابن خالة ابي بكر فلما نزلت الآيات في براءة عائشة حلف ابو بكر
ان لا ينفق على مسطح وكان ينفق عليه فنزلت والايتلاء افتعال من الالية وهي الحلف
او من الالو وهو التقصير والمعنى لا يحلفوا على عدم الاحسان او لا تقصروا في ان يحسنوا
والسعة في المال ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات
لموصوف واحد وهو مسطح فانه كان جامعا لها ويجوز ان يراد هو ومن تشبه بها كائنا
من كان وليعفوا وليتجاوزوا عما فرط منهم وليصفحوا وليعرضوا عنه ولا يذكروه
فانه يورث الوحشة بين المؤمنين الا تحبون ان يغفر الله لكم كما غفرتم شتيمة
اخيكم المؤمن ولما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصديق فقال بلى احب ان
يغفر الله لي واعاد النفقة على مسطح والله غفور لذنوب عباده رحيم بجزيل الثواب
فتخلقوا باخلاقه ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات عن
الفاحشة او سليمات الصدر النقيات كقوله اكثر اهل الجنة البله المؤمنات بما يجب
الايمان به قدم عليه الغافلات لاقتضاء المقام ذلك لعنوا في الدنيا بين المؤمنين
والآخرة عند الله ولهم عذاب عظيم لا يقادر قدره يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون يوم ظرف لعظيم والمعنى الاستقرار في لهم وقرأ حمزة و
الكسائي بالياء للغيبة وهو اولى للفصل يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم
اللائق بهم الثابت ويعلمون ان الله هو الحق الثابت ذاته المبين
الظاهر الواضح دلت عليه ذرات الوجود ومن هذا شأنه ينتقم من
الظالم للمظلوم ولقد بالغ في ايقاد قذف عائشة بما لم يوعد به اهل الشرك
وعبدة الاوثان حيث اجمل وفصل وجمع بين انواع العذاب لعن الدارين
والعذاب الذي لا يحاط به في الآخرة والتفضيح الذي كل عذاب دونه في

في مشهد يوم عظيم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يفسر القران بالبصرة
فسئل عن هذه الايات فقال كل من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت
توبته الا من قذف عائشة رضي الله عنها ولعله اراد التغليظ كقوله في قاتل المسلم
عمدا انه يخلد في النار ∴ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات ∴ اي الكلمات الخبيثات مثل القذف
وسائر اقوال الفحش مختصة بالرجال الخبيثين وكذلك الرجال الخبيثون
مختصون بها وكذلك الطيبات والطيبون هذا الكلام جار مجرى المثل كقوله
ان الباطل كان زهوقا فيتناول العائشة والقائلة فيها تناولا اوليا
او الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وكذلك الطيبات منهن
للطيبين منهم وعائشة زوجة سيد الطيبين فاولى ان تكون طيبة ∴
اولئك ∴ اي اهل البيت او عائشة ورسول الله وصفوان ∴ مبرؤن مما يقولون
اي اهل الافك من قالة السوء ∴ لهم مغفرة من الله لذنوبهم ∴ ورزق
كريم ∴ في الجنة قيل برأه الله باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها
وموسى من قول بني اسرائيل انه آدر بان فر الحجر بثوبه حتى راوه عريانا
ما به باس ومريم بانطاق ولدها وعائشة بانزال هذه الايات قلت ههنا
خامس وهو جريج الراهب حيث جاءت بغية من بغايا بني اسرائيل بولد
فقالوا لها ممن هذا قالت من جريج فاتوه وهدموا صومعته وارادوا قتله
فقال لهم من سببه فاحضروه فتوضا وصلى ركعتين ثم قال للطفل يا بابوس
من ابوك قال ابي الراعي فقالوا له نبني صومعتك بالذهب قال لا اعيدوها
كما كانت ∴ يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
كان منشا حديث الافك وجود الخلوة في موضع التهمة اردف الحديث
بما يلائمه والاستيناس اما من الانس ضد الوحشة فالمعنى حتى يؤذن لكم
وضع الاستيناس موضعه لانه يرادف الاذن او استفعال من انس
اذا ابصر والمعنى لا تدخلوا حتى تستيقنوا هل يراد دخولكم ام لا ومنه
بيت النابغة على مستانس وحد ويجوز ان يكون من الانس كانه
يتعرف هل ثمة انسان ام لا ∴ وتسلموا على اهلها ∴ في ذلك الاستيذان
بان يقول ثلث مرات السلام عليكم فان اذن له والا رجع لما روى ابو
داود ان رجلا استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لخادمه اخرج
الى هذا وعلمه الاستيذان فقل له السلام عليكم أأدخل وروى البخاري ان
ابا موسى الاشعري استاذن على عمر في خلافته ثلثا فلم يؤذن له فانصرف
فقال عمر الم اسمع صوت عبد الله بن قيس فقالوا انصرف يا امير المؤمنين

فاستدعاه

فاستدعاه فلما حضر ساله عن الانصراف فقال كذا امر رسول الله فقال عمر
اقم على ذلك بينة والا اوجعتك ضربا فجاء ابو موسى الى جمع من الانصار
واستشهدهم فقالوا لا يشهد لك الا اصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدري فصدق
مقالة ابي موسى وهذا عام في المحارم والاجانب لما روي ان رجلا قال يا رسول الله
ان امي ليس لها خادم غيري ءاستاذن كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة
قال لا قال فاستاذن ∴ ذلكم خير لكم ∴ اي الاستيذان والتسليم خير لكم من الدخول
بغتة ومن تحية الجاهلية فانهم كانوا يدخلون بلا اذن ويقولون حييتم صباحا وحييتم
مساء كما فعله الجهلة اليوم فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف ∴ لعلكم
تذكرون ∴ اي قيل لكم ذلك او انزل عليكم لكي تتعظوا وتعملوا به ∴ فان لم تجدوا فيها
احدا ∴ ياذن لكم ∴ فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ∴ لان المنع من الدخول ليس منحصرا
في وقوع البصر على محل بل لما له او لان لا يطلع على امور لا يريد صاحب البيت اطلاع
احد عليها ولانه يشبه الغصب والتغلب ∴ وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ∴ ولا تلحوا فانه
يؤذي صاحب البيت ويجلب الوحشة والخجل ∴ هو ازكى لكم ∴ اطهر من الدخول بغير
اذن والوقوف على الباب لانه مخل للمروة ∴ والله بما تعملون عليم ∴ هو وعيد ووعد ∴
ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة ∴ من الخانات والرباطات الموقوفة
والخرب التي يدخلها الانسان لحاجته ∴ فيها متاع لكم ∴ تمتع ومنفعة ∴ والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون ∴ تحذير لمن اذن له في الدخول ان يدخل لغرض غير صالح ∴ قل للمؤمنين
ان يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ∴ عن ان يقع عليها بصر من لم يجز نظره وانما ادخل
من في الاول واطلق الثاني لان وجوه الحل في الاول اكثر والامر بالحفظ عن الابداء
او بالحفظ عن الافضاء الا على الازواج او من في حكمها من الاماء ولانه لا يوجد بدون
الابداء او الامر للابداء انما حرم لكونه وسيلة الى ذلك الافضاء وعليه ينطبق
ما روي عن ابي زيد وابي العالية ان كل ما في القران من حفظ الفروج اريد به الزنى
الا هذا فانه اريد به التستر وفي جعل الغض من بعض المبصر غض بعض البصر كناية لطيفة
ذلك ازكى لهم ∴ لبعده عن الريبة ووساوس الشيطان ∴ ان الله خبير بما يصنعون ∴
تعليم الاتقاء في كل حركة وسكون ولما في خائنة الاعين من الخفاء فصل الاية
بالخبير الدال على العلم ببواطن الاشياء والصنع الذي فيه مزيد اعمال وفيه اشارة
الى ان النظرة الاولى من غير تعمد لا يواخذ بها كما روى ابو داود عنه عليه السلام انه قال
لعلي رضي الله عنه الاولى لك والثانية عليك ∴ وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن
ويحفظن فروجهن ∴ خصصهن بالذكر وان كان الحكم معلوما لان ما يحرم من الرجال يحرم
منهن بالطريق الاولى ليترتب عليه ما بعده من الاحكام المختصة بهن ∴ ولا يبدين
زينتهن ∴ كالحلي والثياب فضلا عن مواضعها ∴ الا ما ظهر منها ∴ عند مزاولة الاشياء

كالثياب والخاتم وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف وما ظهر منها
الوجه والكفان عند عامة العلماء ومنع ذلك الشافعي الا عند الضرورة والاصح ان
هذا في الصلوة لا في النظر كما سنذكره مفصلا وما ظهر منها في الصلوة هو الوجه والكفان
وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا للاعناق عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها
قالت رحم الله نساء المهاجرات الاول لما نزل وليضربن بخمرهن على جيوبهن اي
شققن مروطهن فاختمرن بها ولا يبدين زينتهن مواضعها الا لبعولتهن
ازواجهن فانهم المقصودون بكل زينة او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن
او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لعدم خوف الفتنة
لان الطباع تنفر عن مقاربة الاقارب ولذلك يستحب ان لا يتزوج بقرابة قريبة
وما يحل نظر هؤلاء اليه ما يبدو في العادة عند الخدمة كالساعد والساق فمن
وما فوق السرة وتحت الركبة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال اكتفاء بالاخوان لانهم
في معناهم او لان الافضل التستر منهم لئلا يصفوهن لابنائهم فيورث الفتنة او
نسائهن اي المؤمنات دلت عليه الاضافة وعن ابي حنيفة الاطلاق لانه لا منع
للفتنة ولا فتنة في نظر المراة الى المراة والنفط لا يساعده اذ لا فائدة في الاضافة
حينئذ او ما ملكت ايمانهن يشمل الاماء والعبيد وبه قال مالك والشافعي
لما روى ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهب لفاطمة عبدا وكان عليها ثوب
اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال ليس عليك
باس انما هو ابوك وغلامك وعند ابي حنيفة كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة
من الرجال كالشيوخ الهم ومن لا حاجة له في النكاح كالمعتوه والابلة الذين لا يعرفون
شيئا من امور النساء والاربة الحاجة او العقل والدهاء من ارب الرجل بالضم اذا
صار ذا خبرة او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لم يطلعوا عليها
ولم يعرفوا ما العورة لعدم التمييز من ظهر على كذا اطلع او من ظهر على كذا قوي عليه
بمعنى انهم لم يقدروا على الوطئ لعدم توقف الحرمة على ذلك بل اذا صار مميزا حرم
اتفاقا والطفل يقع على الذكر والانثى مفردا كان او جمعا ولا يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن كانت النساء ذوات خلاخل فتنهين على اظهار الحلي نهيت
عن اظهار صوته ايضا لان الغرض دفع الفتنة وصوت الحلي يثير الميل اليهن وتوبوا
الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يخلو احد من نوع تقصير لا الاستقامة شنعت
او منعذرتم او عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جبه الاسلام فالاستمرار على الندم لازم
الى ان يلقى ربه لعلكم تفلحون تفوزون في الدارين خطاب للاولياء والامر للوجوب
عند الطلب وظهور الحاجة والا فالنكاح مستحب ابتغاء للنسل وفي الحديث تناكحوا تكثروا
فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط ولانه سنته صلى الله عليه وسلم وقد رغب فيه وقال

النكاح

النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني والايامى جمع ايم على القلب اصله
ايايم لان فعيلا لا يجمع على فعالى والايم من لا زوج له ذكرا كان او انثى بكرا
كان او ثيبا من ايم الرجل اذا فرطت شهوته وفي الحديث نعوذ بالله من
الايمة والعيمة والصالحين من عبادكم وامائكم ذكر الصلاح للترغيب
في تحصين من حمته التحصن وليس بشرط كقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
وفي الآية دليل على ان المراة لا تلي النكاح والعبد بغير اذن مولاه ان يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله اي لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة مانعا من الانكاح
فان في فضل الله تعالى ما يغني والمال غاد ورائح وليس الوعد به على اللزوم لا محالة
وان كل من تزوج يحصل له الغنى بل مشروط بمشيئته تعالى لقوله يغنهم الله
من فضله ان شاء وعن عمر رضي الله عنه ابتغوا الغنى في النكاح والله واسع
فضله بيده الخير كله عليم بمن يصلح له الغنى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
في الارض وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا اي ليجتهد في العفة وقمع
الشهوة من لا يجد اسباب النكاح روى مسلم والبخاري عن عبد الله بن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له
وجاء حتى يغنيهم الله من فضله تقدمه وعد لهم من فضله وسعة ان صبروا
واستعففوا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب امر اولا
بغض البصر اولا عن موقع الفتنة ثم بالنكاح الذي هو سبب التناسل
وتحصين الدين ان امكن ثم بالصبر وانتظار فضل الله الواسع والذين يبتغون
الكتاب مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
ترغيب فيه في كتابة من يرى فيه آثار الخير والصلاح وليس بشرط وقيل المراد
بالخير القدرة على اداء بدل الكتابة ويسمى هذا العقد كتابة لانه يكون منجما مؤجلا
وجوبا كما قال الشافعي او غالبا كما قاله ابو حنيفة والمؤجل يكتب غالبا واتوهم
من مال الله الذي آتاكم مال الصدقة وبيت المال لقوله تعالى وفي الرقاب
وهم المكاتبون وعند الشافعي يجب حط شيء من بدل الكتابة ولا يمنعه قران
امر الندب لان القران في الذكر ليس قرانا في الحكم واليه ذهب عمر بن الخطاب
وانما حمل امر الكتابة على الندب لان عقود المعاوضة على الاختيار ولفظ
آتوهم يساعد ابا حنيفة لان وضع الدين لا يسمى ايتاء فان قلت من
اين للشافعي وجوب التنجيم وعدم جواز الحلول قلت من ان المكاتب
في حال لا يملك شيئا ولا يقدر على البدل الا بالسعي والتكسب فلو كان
حالا او غير منجم لتعذر عليه ولان الشارع اهتم بفك الرقاب ولذلك

من أعتق شقصا سرى إلى المجموع وعليه حصة شريكه إن كان قادرا وإلا
سعى العبد في خلاصه بخلاف ما لو باع جزءا منه أو وهب والآية نزلت
في حويطب بن عبد العزى كان له مملوك سأله الكتابة ∴ ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء ∴ كانوا في الجاهلية يشترون الإماء ليساعين على مواليهن
وكان لعبد الله بن سلول ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى
وقتيلة يكرههن على الزنا والفتيات جمع فتاة وهي الأمة روى البخاري
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقل أحدكم عبدي وأمتي كلكم عباد الله
وإماؤه وليقل فتاي وفتاتي ∴ إن أردن تحصنا ∴ ليس للكلام مفهوم لأن
الإكراه إنما يتصور عند إرادة التحصن أو لأنه معارض بالإجماع
وإيثار إن على إذا لأن إرادة التحصن من الإماء كالنادر وفيه نعي على من
أكرههن بأن أمة خير منه وليته أو لم يرد التحصن الكتفي ولم يرض فنده لتبـ
لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ∴ علة للمنهي لا للنهي ∴ ومن يكرههن فإن الله من بعد
إكراههن غفور رحيم للمكرهات أو له إن تاب فإن قلت المكره لا يؤاخذ
بالإثم فما معنى المغفرة في حقهن إسقاط العقوبة والإثم بعذر الإكراه وفيه
إشارة إلى أن الكرهة إذا كانت مع قيام العذر بصدد العقاب فما ظنك
بالمكره والقول بأن المراد بالإكراه ما لم يبلغ حد الإكراه الشرعي لا يدل عليه
الكلام وكذا القول بأن الإكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات استدلالا بوجوب
القصاص على المكره لأن حق العباد ولذلك سقط عنه حد الزنى والذي يدل
عليه أن حق الله تعالى يسقط بالإكراه والخطأ والنسيان لقوله عليه السلام رفع
عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه دون حقوق العباد ∴ ولقد
أنزلنا إليكم آيات مبينات ∴ موضحات في الدلالة على الأحكام وقرأ حمزة
والكسائي وابن عامر وحفص بكسر الياء أي يبين الأحكام والحدود
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ∴ وهي قصة أم المؤمنين فإنها في الغرابة
تشبه غرائب قصص الأولين كقصة يوسف ومريم عليهما السلام ∴ وموعظة
للمتقين ∴ يريد ما وعظ به في تلك الآيات من قوله ولا تأخذكم بهما رأفة
في دين الله وقوله لولا إذ سمعتموه وقوله يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا
وقيل الآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته ∴ الله نور السموات
والأرض ∴ أي منورهما هو الهادي لأهل السموات والأرض بنوره يهتدي
ذو الغاية ويرشد ذو الغواية كقولك زيد كرم وعمر عدل أي ذو كرم وعدل
دل عليه ∴ مثل نوره ∴ بالإضافة إليه كمشكاة فيها مصباح ∴ المشكاة الكوة
في الجدار غير النافذة والمصباح سراج ضخم ثاقب ∴ في زجاجة ∴ قنديل من الزجاج

الزجاجة كأنها كوكب دري ∴ تشبه كوكبا أزهر اللون منسوب إلى الدر لصفائه
وتلألئه كالزهرة وسهيل والمريخ ∴ يوقد من شجرة مباركة ∴ أي ابتداء ثقوبه
من الشجرة المباركة يريد زيتونة زيتها وذبالته بزيتها ومعنى كونها مباركة
أنها تنبت في الأرض المباركة وهي الأرض المقدسة التي بارك الله فيها
للعالمين وقيل بارك فيها سبعين نبيا ∴ زيتونة لا شرقية ولا غربية
فإن الشام بين المشرق والمغرب وقيل لا في مشرق الشمس على الدوام
ولا في مغيبها بل يتعاقبان عليها وقيل ليست مما يطلع عليها الشمس في وقت
شروقها وغروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي فهي شرقية وغربية
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ∴ لفرط صفائه ∴ نور على نور ∴ أي نور
متضاعف من وجوه قد تناصرت فيه المشكاة والزجاجة والزيت والمصباح
ولم تبق مما يزيد النور ويمده بالإضاءة بقية وذلك أن المصباح إذا
كان في مكان ضيق غير نافذ كالمشكاة كان أجمع لنوره والقنديل أعون
شيء على الإضاءة وكذلك الزيت الموصوف مثل التوحيد وشرائع الإسلام
مما دل عليه السمع والعقل بالنور في الإضاءة ثم بالغ في المشبه به جالا مزيد عليه
دلالة على المبالغة في المشبه فكما أن هذا غاية في المحسوس ما وراءه شيء
فكذلك ذاك أيضا غاية في المعقول ليس أعلى منه معقول وإليه أشار علي
كرم الله وجهه الله نور السموات والأرض نشر فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره
قلوب أهلها وقيل الشجرة المباركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى كونها
لا شرقية ولا غربية عدم اختصاص دينه بقوم دون قوم أو مكان غير آخر
والمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح معرفته وكما أن نور الزيت لا
دخان له وكذلك عرفانه والحق الذي في قلبه لا يشوبه باطل وقيل الشجرة المباركة
إبراهيم عليه السلام لا شرقية ولا غربية ما كان يهوديا ولا نصرانيا والمصباح المتوقد
من تلك الشجرة رسول الله عليه السلام وقيل غير ذا من تأويلات أخر وهي تخيلات
فأعرض عنها ∴ يهدي الله لنوره من يشاء ∴ أي يوفق من يشاء لإصابة الحق
بالنظر والتدبر ∴ ويضرب الله الأمثال للناس ∴ بإبراز المعقولات في صور
المحسوسات توضيحا وتبيينا والله بكل شيء عليم يستوي عنده المحسوس والمعقول
وإنما يصور المعقولات في صور المحسوسات ليسهل فهمها على الناس وقرأ
أبو عمرو والكسائي دريء بكسر الدال والهمز على فعيل من درأ الكوكب درءا
إذا طلع بغتة مع توقد وانتشار ضوء وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمزة
على وزن فعول كسبوح والباقون بضم الدال والياء المشددة منسوبا
إلى الدر لصفائه وبياضه وزنه فعلي والكسر مع الهمز فصيح وقرأ نافع وابن

وابن عامر وحفص يوقد بالياء التذكير وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء التأنيث وابن
كثير وابو عمرو توقد ماضيا بتفعل في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض
بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما ترى في المساجد نور المشكاة
التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت
والتكرير للمبالغة والتوكيد كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف
نحو سبحوا او بيوقد تقييد للممثل به بما يزيده مبالغة لان قناديل المساجد اعظم
ومصابيحها اضوء لا سيما اذا اريد المساجد الثلثة وحمل التنكير على التعظيم
كما قيل اذن الله ان ترفع اي تبنى كقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من
البيت او تعظم وترفع قدرا او ذكرا اما عن الحسن ويذكر فيها اسمه يشمل كل ذكر
حتى المناظرة في العلم اذا اريد بها اظهار الصواب يسبح له فيها بالغدو و
الآصال رجال صفة مدح ثانية لبيوت اي ينزهونه ويقدسونه في هذه
الاوقات الشريفة او الصلوات الخمس في الغدوات والعشايا لم يجمع الغدو
لكونه مصدرا في الاصل والاصال جمع اصيل كاشراف وشريف وقرا ابن عامر
وابو بكر يسبح بفتح الباء على بناء المفعول مسندا الى احد الظروف الثلثة و
واسناده الى الاول اولى ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح كقوله ليبك يزيد
ضارع لخصومة لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله التجارة يشمل البيع
والشرى للربح وانما افرد البيع لانه ادخل في الالهاء اذ الربح فيه ناجز متيقن
وفي الشراء مظنون مترقب او اطلق التجارة على الشرى اطلاقا للجنس
على النوع بقرينة ذكر البيع وقيل التجارة الجلب يقال تجر اذا جلب المتاع
نزلت في المهاجرين فانهم كانوا تجارا قال عمر شغلني الصفق بالاسواق
وفي الحديث التاجر فاجر الا من اتقى الله واقام الصلوة حذفت التاء
التي كانت عوضا عن العين لقيام المضاف اليه مقامها وايتاء الزكوة اي
المفروضة يخافون حال كونهم خائفين يوما تتقلب فيه القلوب والابصار
تضطرب من الهول كقوله ليوم تشخص فيه القلوب والابصار او تتقلب
من حال الى حال فتفقه القلوب التي كانت في اكنة وتبصر الابصار التي كانت
عليها غشاوة ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن
ما عملوا جزاء احسن اعمالهم بان يجزي على الادنى كما يجزي على الاعلى ويزيدهم
من فضله فوق جزاء الاعمال ما لم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب
تقرير لسعة فضله واشارة الى كمال قدرته ونفاذ مشيئته والذين كفروا اعمالهم كسراب
بقيعة لما بين حال المؤمن ونعمه سعته في الدنيا والاخرة من النعيم المقيم اردفه
بذكر الكافر الذي يكد في العمل من غير ان يكون على الشرط من الايمان والاخلاص فشبه

تلك

تلك الاعمال بالسراب وهو ما يلمع من الارض يحسبه الظمآن ماء فيسارع اليه
ويحمل الجهد والمشقة حتى اذا جاءه لم يجده شيئا من الاشياء لاضمحلاله
وتلاشيه او لم يجد ما كان يظنه من الماء ووجد الله عنده اي عقابه عند ذلك
الموضع الذي كان يظنه ماء فان قلت الضمير في قوله جاءه ولم يجده ووجد للظمآن
فكيف رتب عليه قوله فوفاه حسابه وذلك انما هو للكافر يوم القيمة قلت
المراد بالظمآن هو الكافر الذي غلبه العطش بالساهرة وغشيها السراب من شدة
الحر فيحسبه ماء فاذا جاءه لم يجد ما رجاه بل يرى الزبانية فيأخذونه الى جهنم و
يسقونه ماء حميما والله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان وفي الحديث
الخلائق في مقدار حلبة شاة وقيل كناية عن قرب الساعة كقوله تعالى
اقترب للناس حسابهم او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير كما في
قوله او كصيب من السماء شبه اولا تلك الاعمال بالسراب المرئي من مكان
بعيد في عدم النفع مع الجهد البالغ والكد في الطلب وليته كان كفافا بل
وجد خلاف ما كان يرجوه من الحميم الغساق وثانيا بالظلمات المتراكمة
بعضها فوق بعض لخلوها عن نور الايمان وضياء الحق تعكس اعمال المؤمنين
الموهونة على الايمان والاخلاص التي هي نور على نور في بحر لجي عميق ذي لج
العمق منسوب الى اللج وهو معظم البحر يغشاه اي البحر موج ما يرتفع
عند اضطراب البحر من فوقه موج اعظم منه واعلى من فوقه سحاب
غمام قد ركب الموج وحجب انوار النجوم ظلمات بعضها فوق بعض وقرا ابن كثير
باضافة سحاب وجر ظلمات في رواية البزي وبالتنوين وجر ظلمات على انه
بدل من الاولى في رواية قنبل اذا اخرج يده لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا
منها كقول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية
يبرح والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة الكلام عليه ومن لم يجعل
الله له نورا لم يوفقه ولم يهده فما له من نور بشيء منه وكما وصف نور الحق
بصفات دالة على كمال وصف ظلام الباطل بسبب حجاب دالة
على شدة ظلمته وغاية عمهه الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض
استطراد بعد ذكر تسبيح الرجال تسبيح اهل السموات والارض تعميما واظهارا
للعظمة والكبرياء والاستفهام للتقرير وعلمه بذلك من قوله وان من شيء الا
يسبح بحمده وفي ذكر من تغليب لذوي العقول وقيل المراد الملائكة والانس
والجن وبرزته قوله والطير صافات اي حال كونها في الهواء باسطة اجنحتها
فانها اذا كانت تسبح في تلك الحالة وهي حالة الاشتغال فما ظنك بغيرها وفيه الدلالة
على كمال قدرة الصانع لان وقوف الاجرام الثقيلة في الجو دليل ظاهر على ذلك

كل قد علم صلاته وتسبيحه: كل من المذكورات قد علم الله دعاءه وتقديسه ولكن
لا يفقهون تسبيحهم او كل واحد قد علم صلوة نفسه لله تعالى وتقديسه: والله عليم بما
يفعلون: لا يعزب عنه شي تذييل على الاول يؤكد علمه بحالهم وتكميل على الثاني
لانه دل على العلم البالغ بعدما قدم ما يدل على القدرة الكاملة: ولله ملك السموات
والارض مختص به لا شريك له فيه: والى الله المصير للجزاء: الم تر ان الله يزجي
سحابا: يسوقه ومنه البضاعة المزجاة لانها غير مرضية يزجيها كل احد الى اخر
دليل آخر على كمال صنعه تعالى: ثم يؤلف بينه: بين اجزائه المتفرقة: ثم يجعله
ركاما: مركوما بعضه فوق بعض: فترى الودق يخرج من خلاله: من فتوقه جمع
خلل كجبال جمع جبل والودق المطر من ودق اذا قطر قال الشاعر فلا مزنة
ودقت ودقها: وينزل من السماء من جبال فيها: في السماء: من برد: من الاولى
لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاولى للابتداء
والثالثة للتبعيض والمفعول محذوف اي ينزل منها بردا: فيصيب به: بالبرد
من يشاء عقوبة له ويصرفه عمن يشاء سلامته وقيل الضمير للودق اي يسقي به
من يشاء: سقيه: ويصرفه عمن يشاء: حرمانه والاول هو الوجه: يكاد سنا
برقه: ضوء برق السحاب: يذهب بالابصار: لقوته: يقلب الله الليل والنهار:
يذهب باحدهما ويأتي بالاخر او يخالف بينهما بالطول والقصر او النور والظلمة
او بتغير احوال من فيهما: ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار: لدلالة يعبر بها الى
العلم بوجود الصانع القادر لذوي البصائر: والله خلق كل دابة من ماء: مثل
قوله ويسقى بماء واحد استدل اولا باحوال السماء والارض على وحدانيته
وكمال قدرته وعلمه وثانيا باحوال الآثار العلوية وثالثا باحوال الحيوانات المختلفة
الانواع والاشكال والاحوال مع اتحاد الاصل والمنشا فان قلت كثير من
الحيوانات خلق من غير ماء آدم من تراب وعيسى من نفخ جبريل والجن من النار
قلت جعل الكل من الماء على ما روي ان الله تعالى اول ما خلق جوهرة فنظر اليها
بالهيبة فذابت ماء فمن ذلك الماء يكون النار والنور والهواء والتراب
وقيل من ماء صفة دابة وليس صلة خلق والمعنى كل دابة متولدة من ماء فهي
مخلوقة لله تعالى وهذا وجه حسن وافق بتنكير الماء والمراد به نطفة ابيه او الماء
المختص بتلك الدابة فان قلت فعلى هذا المعنى كل دابة متولدة من ماء مخلوقة
لله تعالى ومفهومه ان ما ليس كذلك ليس مخلوقا له قلت ذلك المفهوم ملغي
في مقابلة القاطع ولان الماء الذي به الحياة اذا كان المتولد منه يحتاج الى الصانع
فالغير من باب الاولى: فمنهم من يمشي على بطنه: كالحيات: ومنهم من يمشي على
رجلين: كالانسان: ومنهم من يمشي على اربع: كسائر الحيوانات قدم الابدع

تمام البيت ولا ارض ابقل ابقالها

فالابدع واطلاق المشي على الزحف للمشاكلة او استعمال المقيد في المطلق
استعارة او مجازا مرسلا: يخلق الله ما يشاء: مما تعلقت به ارادته
كيف يشاء: ان الله على كل شيء قدير: كامل القدرة سواء كان الشيء حقيرا او خطيرا
لقد انزلنا آيات مبينات: هي المذكورات من قوله الله نور السموات
الى هنا وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بكسر الياء: والله يهدي
من يشاء: بهدايته: الى صراط مستقيم: موصل اليه وان كانت الآيات
الدالة عامة للكل فان ملاك الامر توفيقه: ويقولون آمنا بالله وبالرسول
اشار في اثناء قصة المنافقين الى جملة من دلائل التوحيد الدالة على النعم
الجسام والوعيد الشديد توكيدا للتوبيخ ثم عاد الى عد طائفة اخرى من
مقالهم والآية نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
الى رسول الله عليه السلام ودعا المنافق الى كعب الاشرف وقيل نزلت
في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه خصومة
في ماء وارض فقال المغيرة لا اتحاكم الى محمد فانه يبغضني واخاف ان
يحيف علي وكان يظهر انه يؤمن به: واطعنا: اي اطعنا الله والرسول
ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك: ثم للاستبعاد وبعد ذلك القول وما
اولئك بالمؤمنين: اي القائلون كلهم لا المتولي وحده وان كان المتولي
اوغل واغرق في الكفر او من تولى وفائدة الاخبار عنهم بانهم ليسوا مؤمنين
مع العلم بانهم بعد التولي لا ايمان لهم التنبيه عليهم بانهم يقولون شيئا ثم
ياتون بما يضاده: واذا دعوا الى الله ورسوله: ذكر الله للتعظيم والحاكم رسوله
لقوله: ليحكم بينهم: كقولك اعجبني زيد وكرمه: اذا فريق منهم معرضون: اذا
كان الحق عليهم اذا فجائية دالة على فرط كفرهم حيث لم يتوقفوا بعد ظهور
الحق عليهم لمحة طرف: وان يكن لهم الحق ياتوا اليه: الى رسول الله او هو متعلق
بقوله: مذعنين: اي انهم ان الحق لهم لم يرضوا الا بحكمك الذي يسرعون
لا الى غيرك وهذا اوجه لدلالته على شدة نفاقهم: افي قلوبهم مرض ام ارتابوا
ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله: قسم الامر في صدودهم ثلثة اقسام
لان الخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما موجود او مترقب ومنصب النبوة
ينافي الاخيرين فتعين الاول فالاضراب عن الاخيرين: بل اولئك هم
الظالمون: اشارة الى القسم الاول واثبات لمرض القلب وهو النفاق
على ابلغ وجه او اضراب عن الاخير وحده بدليل انهم يسارعون اليه اذا كان
الحق لهم وذلك ينافي توهم الحيف منه بل اعراضهم لكونهم منافقين مرتابين
او اضراب عن نفس التقسيم والمعنى دع التقسيم واحكم بانهم الجامعون لتلك

الا وصاف الكاملون في الظلم انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا سواء كان الحق عليهم او لهم واولئك
هم المفلحون لاغير ومن يطع الله ورسوله فيما يامران به كائنا من كان
اي وقت كان دفع لتوهم اختصاص الفلاح بمن كان في عصره ويخش الله اي
عقابه ويتقه بامتثال اوامره والاجتناب عن المعاصي وعن ابن عباس
رضي الله عنه من يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى
من ذنوبه ويتقه فيما بقي من عمره وقرا ابو عمرو وابو بكر وخلاد عن حمزة
في وجه بسكون الهاء اما لان العرب تسكن هاء الضمير اذا تحرك ما قبلها
نحو ضربته على ما نقل الفراء او حملا على هاء الضمير على ما قاله الفارسي او اجراء
للوصل مجرى الوقف والباقون بالكسر مع الاشباع الا حفصا فعنه ما
وقالون روما للتخفيف والاشباع هو القياس وانفرد حفص باسكان
القاف قياسا على كتف فاولئك هم الفائزون بكل بغية واقسموا
بالله جهد ايمانهم الضمير للمنافقين فان ذكر المؤمنين كان استطرادا
للتقابل وتباين الاحوال والمعنى استفرغوا جهدهم في الايمان الكاذبة
بعد ذلك التولي والاعراض كما هو دابهم في النفاق وجهد منصوب بفعل
مضمر كضرب الرقاب لئن امرتهم ليخرجن جواب القسم والمعنى
انهم كاملون في الايمان بحيث لو امرتهم بالخروج عن الديار والاموال
لفعلوا قل لا تقسموا كاذبين فان ذلك تحمل اثم فوق اخر طاعة
معروفة المطلوب منكم طاعة معروفة كطاعة الخلص او طاعتكم معروفة
بانها بالقول دون الفعل فلا حاجة الى الايمان او طاعة معروفة امثل لكم من
هذه الايمان الكاذبة ان الله خبير بما تعملون مطلع على ضمائركم فيجازيكم
عليها قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واتركوا النفاق لم يقل و
واطيعوني اشارة الى ان كونه رسولا هو المقتضي للاطاعة فان
تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ابتداء الكلام منه تعالى لقوله فانما
عليه دون عليك والمعنى ان توليتم لا ضرر عليه لانه ادى ما عليه وعليكم
غضب الله وسخطه باعراضكم وان تطيعوه تهتدوا الى الحق وتحرزوا نفوسكم
وما على الرسول الا البلاغ المبين الموضح لما كلفتم به وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بحياته وقيل
تتميم لقوله وان تطيعوه تهتدوا بيانا لما لهم في العاجل والآجل ترغيبا ومن للتبعيض
وفيه ان آمنوا يأباه وحمله على الترغيب لا يلايم مع ان الخلفاء لم يكونوا من اولئك
المقتبسين فان قلت لم وسط الجار والمجرور بين الايمان والعمل الصالح وحقه التاخر

في سورة

في سورة الفتح قلت اشارة الى ان الاصل في الاستخلاف هو الايمان ولذلك
لا ينعزل الامام بالفسق ويصح ولاية ذي الشوكة الفاسق بخلاف المغفرة و
والاجر الموصوف بالعظيم فان الايمان والعمل الصالح اصلان فيهما ليستخلفنهم
في الارض ليجعلنهم خلفاء فيها جواب قسم مقدر كما استخلف الذين من قبلهم
بني اسرائيل اورثهم ملك فرعون بمصر والعمالقة بالشام وناهيك
ملك داود وسليمان وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم دين الاسلام لقوله
ورضيت لكم الاسلام دينا وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا فان رسول الله
واصحابه لما كانوا بمكة حالهم في الخوف ومقاساة الاعداء معروفة ولما كانوا
بالمدينة كانوا خائفين من ملك غسان وكان اهل النفاق يرجفون الاخبار
حتى انزل الله فيهم لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة فانجز الله وعده ونصر عبيده فاورثهم ارضهم وديارهم واموالهم
وارضا لم يطؤها وكان الله على كل شيء قديرا يعبدونني لا يشركون بي شيئا
حال من الذين لتقييد الوعد بثباتهم على التوحيد او استيناف لبيان مقتضي
الاستخلاف والامن ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون الكاملون
في الفسق حيث كفروا تلك النعم العظام واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة و
واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون عطف على اطيعوا الله والفاصل ليس باجنبي بل هو
وعد على المامور به مع ان الاصل في العطف مغايرة المعطوف عليه والفاصل
يؤكدها اذ في المحل ورد منطقة الاتصال وكررت طاعة الرسول مبالغة في ايجابها
ورتبت عليه الرحمة ثانيا كما رتبت عليها الهدى اولا لا تحسبن الذين كفروا
معجزين في الارض خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم توكيد لذلك الوعد وقرا ابن
عامر وحمزة بالياء الغيبة اما باسناد الفعل الى الذين كفروا على ان معجزين في الارض
مفعولاه كانه قيل لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض او على حذف
المفعول الاول اي لا يحسبن الذين كفروا اياهم معجزين او في الفعل ضمير الرسول
لتقدم ذكره والخطاب ارجح لعدم الحذف ولكونه ابلغ تسلية ومن جوز ان
يكون الفاعل في قراءة التاء الذين كفروا لم يصب لان قراءة الخطاب
لا احتمال فيها لغير رسول الله ولا يمكن تانيث الفعل المسند الى الذين وماويهم
النار عطف على الحال كانه قيل انى لك او للكافر هذا الحسبان والحال ان
النار معدة لهم ولبئس المصير الماوى يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم متصل بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول والافراد بالذكر لانه
من الاداب فترتيب ناسب فيه وقيل رجع الى الاحكام السالفة التي صدرت
السورة بها بعد الفراغ من الالهيات والوعد والوعيد والخطاب للرجال وتدخل

النسآء بالطريق الاولى لان المستترين اولى نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان قائلا وقت الظهيرة متجردا عن الثياب فارسل اليه رسول الله عليه السلام
مدلج بن عمرو غلاما من الانصار فدخل على عمر من غير اذن فقال عمر وددت ان الله
نهى اولادنا وخدمنا من الدخول في هذه الساعة الا بالاذن فلما جاء رسول الله
وجده قد نزلت عليه وقيل نزلت في اسماء بنت مرشد دخل عليها غلام كبير لها فكرهت
دخوله في ذلك الوقت فشكت ذلك الى رسول الله فنزلت والذين لم يبلغوا
الحلم منكم اي الصبيان من الاحرار الذين لم يبلغوا حد الرجولية فعبر عنه بالحلم
لانه احد دلائله ثلث مرات اي ثلث اوقات من قبل صلوة الفجر لانه وقت
القيام من المضاجع والغالب فيه التجرد عن ثياب اليقظة وحين تضعون
ثيابكم للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه
وقت التجرد من الثياب والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم اي هذه
ثلث عورات او ثلث عورات مبتدأ وخبره لكم وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر ثلث
عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات وتسميتها بالعورات لكونها مظنة لها
ولكل عيب وخلل عورة ومنه في الحديث لا يؤخذ في الزكاة هرمة ولا ذات عوار اي
عيب وخلل واعور الفارس اذا وجد في لبسه خلل ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن
بعد الاوقات الثلث صفة ثلث عورات ان قرئ بالرفع ابتداء وتعليم اي هن
عورات مخصوصة بالاستيذان وليس وراءهن جناح واستيناف يؤكد الامر بالاستيذان
في تلك الاوقات ان قرئ بالنصب فان قلت هلا جعل وصفا في قراءة النصب
كما في قراءة الرفع قلت اذا امر بالاستيذان في الاوقات الثلث فقد حصل
الغرض سواء وصفت بان لا حرج وراءها او لم توصف فيضيع الوصف بخلاف
الرفع فان الوصف للخبر المقصود والاستيذان على اطلاقه كما في النصب
والآية في الصبيان والمماليك وآية الاستيذان السابقة في الاحرار
البالغين فلا تنافي ولا نسخ طوافون عليكم تعليل لرفع الحرج اذ كثرة المداخلة
مع الاستيذان في الاوقات كلها يوجب الحرج بعضكم على بعض مبتدأ
وخبر اي بعضكم يطوف على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات سائر الآيات
في الوضوح والجلاء والله عليم كامل العلم حكيم فيما شرع لكم من الاحكام
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم
اي الذين بلغوا من قبلهم السن الذي يبلغ فيه الغلام عند ابي حنيفة ثماني عشرة
سنة والجارية سبع عشرة والشافعي وعامة العلماء خمس عشرة سنة في الغلام
والجارية وروي عن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة خمسة اشبار واليه
اشار الفرزدق في قوله فيما وادرك خمسة الاشبار واستدل به من

اوجب الاستيذان على العبد البالغ اذا دخل على سيدته ولا دليل له فيه لان المراد
بهم ما عدا المماليك من الاحرار لتقدم المماليك في الذين ملكت ايمانكم كذلك
يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم كرره للمبالغة في شأن الاستيذان واضافة
الآيات اليه في هذه زيادة توكيد لان الاستيذان مما يتهاون فيه وعن ابن عباس
رضي الله عنه ثلث آيات جحدهن الناس الاذن كله وان اكرمكم عند الله اتقاكم
واذا حضر القسمة اولوا القربى وعن ابن مسعود رضي الله عنه عليكم ان تستأذنوا
على آبائكم وامهاتكم واخواتكم والقواعد من النساء جمع قاعدة اي اللاتي
قعدن كطالق وحائض وهي المسنة من النساء تقعد في البيت لعدم
استطاعة الدخول والخروج اللاتي لا يرجون نكاحا لعدم رغبتهن فيه
او لعدم رغبة الرجال فيهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي
الثياب الظاهرة كالجلباب والملحفة ودخول الفاء في خبره لان
اللام في القواعد موصولة غير متبرجات بزينة الزينة الخفية ليتعلق
العلم باختصاص الحكم بها والتنكير لافادة الشيوع وان زينتها وان تلك
داخلة في الحكم والتبرج التكلف في اظهار الزينة من البرج بفتح الراء
وهو سعة العين اذا ظهر احداق بياضها بسوادها وفي الحديث في صفة
عمر بن الخطاب كان طوالا ابرج وان يستعففن خير لهن من وضع الثياب
رغب في الافضل والتقوى بعد بيان الاباحة على نمط الفتوى والله سميع
اقوالهن عليم باحوالهن تحذير لهن عن التجاوز في الاقوال والافعال
وقدم ما يتعلق بالقول اهتماما كما في الحديث ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله
هل نؤاخذ بما نقول بالسنتنا قال ثكلتك امك يا معاذ هل يكب الناس
في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم لان النساء فان الغالب
عليهن كثرة اللغو في الكلام والخوض فيما لا يعني ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج كان المؤمنون لا يتحاشون في ادخال ذوي
العاهات على اقربائهم واصدقائهم واطعامهم مما يطعمون ثم كره الطاعم
والمطعم ذلك فانه اكل مال الغير بالباطل فتحرجوا فقيل لهم ليس ذلك
من الاكل بالباطل وقيل كان ذووا العاهات يتحرجون من مواكلة الاصحاء
استقذارا لانفسهم لان الاعمى لا يخلو تناوله الطعام عن نوع شين ولكون
الاعرج في جلوسه والمريض من كراهة رائحة ونحوها او لان الاعمى لا يرى
الطعام والمريض لا يستوفي الاكل والاعرج لا يتمكن من الجلوس فربما يحرجوا
لئلا يظلموهم وقيل كانوا اذا غزوا خلفوا على اموالهم وتعلقاتهم القاعدين
عن الغزو وكانوا يأذنون لهم في الاكل منها فيتحرجون حتى ان الحرث بن عمرو

خرج غازيا وخلف على امواله مالك بن زيد فلما رجع رآه مجهودا فسأله عن ذلك
فقال لم يكن عندي شيء ولم آكل من مالك شيئا وقيل الآية نزلت في القاعدين
عن الغزو للاعذار وعلى هذا وجه العطف في قوله ∴ ولا على انفسكم ان تأكلوا
من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم
او بيوت اعمامكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم ∴ الجامع بين المعطوف
والمعطوف عليه كون كل منهما منتفيا عنه الحرج كما اذا استفتاك من فرض
جواز الافطار وحاج عن تقديم الرمي على الحلق قلت ليس عليك حرج في الافطار
ولا عليك ايها الحاج في تقديمك فان القضيتين وان تباينتا كل التباين
اذا تقاربتا في الاحتياج الى البيان قرب الجامع والذي دعا الى ذكر بيوتكم
ايذان ان يعطف عليه غيره والاكتفاء بذكره عن ذكر بيوت الاولاد لحديث المشهور
انت ومالك لابيك ∴ او ما ملكتم مفاتحه ∴ كناية عما تحت يد الوكيل والقيم
والامين ∴ او صديقكم ∴ يطلق على الواحد والجمع كالخليط والقطين وهذا اذا دل
الحال على الرضا كما كان دأب السلف حكي ان الحسن دخل داره يوما فرأى
جمعا من اصحابه قد اخرجوا من تحت سريره سلالا فيها اطايب الاطعمة وهم مكبون
عليها يأكلون فاستنار وجهه وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة
من البدريين وقد روي ان الشافعي رحمه الله كان يذهب الى بيت الزعفراني
ويقيم عنده في بيت الكتب اياما وكان دأب الزعفراني ان يكتب صبيحة
كل يوم ما يطبخ في بيته على ورقة ويناولها جارية ليسلمها الى الطباخ فوجد
يوما في السماط طعاما لم يكن كتبه فسأله عن ذلك فاخبرته الجارية ان
اخذ منها الورقة وزاد فيها ذلك الطعام فقال ان كنت صادقة فانت
حرة لوجه الله علي بالورقة فاتوا بها فوجد الامر كما اخبرته عليها الحق بخط
الشافعي رحمه الله وعن ابن عباس رضي الله عنه الصديق اكبر من الوالدين الا
يرى ان اهل النار لم يذكروا الاباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم ∴ ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا ∴ نزلت في
بني عمرو بن ليث بن كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده وقيل من
الانصار كانوا لا يأكلون الا مع الضيف وقيل كانوا يتحرجون من الاجتماع على الاكل
لتفاوت نهمة الناس ∴ فاذا دخلتم بيوتا ∴ من هذه البيوت وغيرها ولذلك
نكره ∴ فسلموا على انفسكم ∴ على من فيها فان المؤمنين كنفس واحدة ∴ تحية
من عند الله ∴ مشروعة باذنه او متعلق بتحية لان السلام دعاء بالسلامة
والحياة ثابتة عليه من الله تعالى وانتصابها على المصدر كقعدت جلوسا ∴ مباركة
يرجى بركتها ∴ طيبة ∴ يوجب الانس ويطيب بها قلب السامع ويسكن روى

البخاري انه صلى الله عليه وسلم سئل عن افضل خصال الاسلام فقال اطعام الطعام
وافشاء السلام وهذا السلام مشروع سواء كان في البيت احد او لا قيل اذا لم
يكن فيه احد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن ابن عباس رضي الله عنه
اذا دخلت المسجد وليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ∴ كذلك
يبين الله لكم الآيات ∴ كرره تفخيما للاحكام المذكورة وجعل الفاصلة في الاولين
العلم والحكمة المقتضيان لتبيين الاحكام وهنا ما هو المقصود من ذلك البيان
وهو قوله ∴ لعلكم تعقلون ∴ اي تتفقهون في الدين في البخاري من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين ∴ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ∴ يريد الكاملين في
الايمان ∴ واذا كانوا معه على امر جامع ∴ وصف الامر بالجامع مجازا والمراد ما يكون
الاجتماع لاجله كالجمعة والعيد والمشاورة في مهم ∴ لم يذهبوا حتى يستأذنوه لتقرر
ايمانهم لا يأتون ولا يذرون الا باذنه ∴ ان الذين يستأذنونك اولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله ∴ صدر الكلام اولا بانما المفيد للحصر واوقع الموصول خبرا عنه
محيطا بالايمانين ثم اعاد الكلام على وجه دل على ان مصداق الايمان هو الاستئذان
وفيه تعريض بان المنافق المتسلل ليس من الايمان في شيء ∴ فاذا استأذنوك
لبعض شأنهم ∴ لمهم يعرض لهم ∴ فأذن لمن شئت منهم ∴ واستصوبت له الاذن
فوض الامر اليه في الاذن والمنع اجلالا له ∴ واستغفر لهم الله ∴ مكافاة لهم على بذل الطاعة
لك وفي الحديث من اسدى اليكم معروفا فجازوه بمثله فان لم تقدروا فكافئوه
بالدعاء وقيل الاستغفار لهم على الاذن فانه ترك الافضل لانه اشتغال بامر الدنيا
ان الله غفور ∴ لفرطات العباد ∴ رحيم ∴ بهم حيث بنى امرهم على اليسر وارسل اليهم
من يستغفر لهم ∴ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ∴ فتنصرفون بغير اذنه
توكيد لامر الاستئذان او لا تجعلوا دعاءكم اياه كما هو المتعارف يا فلان يا فلان
تدعونه باسمه يا محمد بل قولوا يا رسول الله ويا نبي الله بالفاظ تدل على التعظيم كما
خاطبه الله بها يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر ولم يخاطب
الله تعالى نبيا من الانبياء الا باسمه العلم يا نوح يا ابراهيم يا موسى الا هذا المختار
فانه لم يخاطبه الا بتلك الالقاب الشريفة او لا تجعلوا دعاء الرسول واستغفاره
لكم مثل دعاء بعضكم لبعض والاستغفار له فانه مستجاب حتما ∴ قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم لواذا ∴ قليلا قليلا مثل تدرج وتدخل مصدر لاوذ الرجل اذا استتر
بغيره او دخل قد على العلم تحقيقا وتوكيدا لثبوته ليكون ذريعة الى تحقق الوعيد
∴ فليحذر الذين يخالفون عن امره ∴ يعرضون عن طاعته فيشمل الامر الجامع وغيره وعن
الاخفش عن صلة وقيل بمعنى بعد كقوله طبقا عن طبق وقيل يخالفون عن امره
اي يصدون عنه المؤمنين فحذف المفعول لعدم تعلق المقصود ∴ ان تصيبهم فتنة

في الدنيا بالقتل والاسر او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة ظاهر الاية
ان الامر للوجوب عند عدم الصارف الا ان لله ما في السموات
والارض خلقا وملكا قد يعلم ما انتم عليه الخطاب للمنافقين او عام
لهم ولغيرهم ويوم يرجعون اليه اي المنافقون للجزاء والتفات على الاول
فينبئهم بما عملوا بالتوبيخ والمجازات والله بكل شيء عليم افتتح السورة
بقوله انزلناها فيها ايات بينات وختمها بقوله انما المؤمنون اشارة الى
ان المنتفع بتلك الايات المؤمن الذي سلم كله الى صاحب الشريعة لا نعيم
دون اشارته ولا يجيء وقد اورد لبعض كبار المشايخ هذه في بحث آداب المريد
مع الشيخ تمت تفسير السورة والحمد لله على انعم

سورة الفرقان مكية وهي سبعون وسبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تعالى وتزايد خيره من هذا فعله اصله من برك البعير اذا القى
بركه وهو الصدر ففيه معنى اللزوم ومنه البروكا المكان الحرب والبركة
لمجلس الماء ولما كان القران الكريم خيره ومنافعه لا تحصى وهو اصل الدين
والشريعة الدائمة الى انقراض الزمان وصف به من نزله تعالى ولا يوصف
به غيره ولا ينصرف والفرقان علم للقران لانه يفرق بين الحق والباطل
او لانه مفصول بعضه عن بعض بحسب الاحكام او في النزول منجما ليكون
للعالمين نذيرا اي العبد او القران والثاني اوجه لقولهم بعده اساطير الاولين
الذي له ملك السموات والارض بدل من الموصول الاول لان قوله ليكون
تعليل للصلة من تتمتها او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك كما توهمه اهل الضلال وخلق كل شيء اوجده مراعيا
فيه التسوية فقدره تقديرا هيأه لما نيط به من الافعال والملكات
وان شئت فقاتل في الانسان لما كان مكلفا بمعرفة الصانع والقيام
بعبادته كيف افاض عليه القوى الدراكة والنطق للافهام وقيل قدره
للبقاء الى اجل مسمى واتخذوا من دونه الهة اليهود والنصارى والمشركون
والمجوس لما بين انه تفرد بالالوهية اخذ في شأن من ضل عن
السبيل واتخذ له شريكا لا يخلقون شيئا قط وهم يخلقون اي
مخلوقون وايثار المضارع لاستحضار تلك الحالة ولا يملكون لانفسهم
ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع قدم دفع الضر لانه اهم عند العاقل
وعكس في قوله ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم لان غرض العبد
من عبادته هو النفع ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا واذا لم يقدروا
على دفع الضر عن انفسهم وجلب النفع لها فهم عن هذه الامور بمعزل ولا

ولا يصلح للالوهية الا من هذا شأنه وافعاله وقد روعي الاقرب فالاقرب في
الترتيب وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه
اثر المظهرات اشارة الى ان الباعث على هذا القول هو الكفر افتراه اخترعه
قصدا واعانه عليه قوم آخرون ارادوا العداس مولى لحويطب بن عبد
العزى ويسارا مولى العلاء بن الحضرمي وابا فكيهة الرومي او قوما آخرين
من الذين قرأوا قصص الامم الدارجة فقد جاؤا ظلما عظيما حيث
جعلوا الكلام المعجز مفترى وزورا حيث نسبوا الاتي به الى الزور وقالوا
اساطير الاولين اي ما اتى به جمع اسطورة كاحاديث جمع احدوثة
كانوا حيارى في امره تارة يقولون شعرا وتارة يقولون سحرا واخرى مفترى واساطير
الاولين وهكذا شأن المبطل لا يستقر على حال اكتتبها فهي تملى عليه بكرة و
اصيلا اراد كتبها لنفسه فهي تلقى عليه طرفي النهار وهو يكتبها او قد كتبها فهي
في كتاب عنده يلقى اليه طرفي النهار ليحفظها قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض مشتملا على المغيبات التي لا يعلمها غيره مما خلا عنه كتب الانبياء
فكيف يكون اساطير الاولين او مختلقا انه كان غفورا رحيما ولذلك
انزله اليك وارسلك به نذيرا او لكونه غفورا رحيما لم يعاجلهم بالعذاب
مع استحقاقهم له وقالوا مال هذا الرسول اتفقت المصاحف على فصل
اللام والوجه فيه ان اللام الجارة كلمة مستقلة فنبهوا على ذلك في مواضع
يأكل الطعام ويمشي في الاسواق كسائر الناس وهذه شبهة واهية
ذكروها في مواضع بعبارات مختلفة ردها الله تعالى بانواع الاجوبة القاطعة
منها ما سيأتي عن قريب قوله وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا يتعاونان على الانذار ويكون مصدقا قاله او يلقى اليه كنز يستغني به
عن السعي في الاسواق والتردد في طلب المعاش او تكون له جنة يأكل منها
اقل الاحوال بان يكون له قوت يكون قوتا كالبدنه فضلا عن الكنز وقال
الظالمون وضع الظالمين موضع الضمير تسجيلا عليهم بانهم ظالمون في مقالهم
ان تتبعون الا رجلا مسحورا اصيب بالسحر ولا يدري ما يقول انظر كيف
ضربوا لك الامثال الاقوال الغريبة التي يضرب بها المثل لفرط بعدها
عن حالك ورفعة محلك عن الاتصاف بها فضلوا في تلك المقالات
فلا يستطيعون سبيلا الى شيء يستقرون عليه او فضلوا عن طريق الحق
فهم يخبطون خبط عشواء تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك
الذي ذكروه من الكنز والجنة في الدنيا جنات تجري من تحتها الانهار كما

كما وعدك في الآخرة ويجعل لك قصورا وإيثار أن للدلالة على عدم وقوع ذلك
في الدنيا وأنها ليست محلا له لسرعة الانتقال منها وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر
ويجعل بالرفع عطفا على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع
كقوله وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم أو استئناف
على معنى وهو يجعل لك في الآخرة قصورا والأول أوجه بل كذبوا بالساعة عطف
على ما حكى عنهم من قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام إضراب إلى ما هو أعظم فإن ذلك
تكذيب الرسول وهذا تكذيب لله تعالى أو متصل بقوله تبارك الذي إن شاء جعل لك
خيرا من ذلك إنكارا منهم لذلك على أبلغ وجه فإن من كذب بها كيف يصدق
بهذا الخبر وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وعن
الحسن أنه اسم لجهنم فيكون صرفه إما لاعتبار المكان أو لتوافق الفواصل كما في سلاسل
وأغلالا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا روي أن النار تبصرهم
من مسيرة مائة عام ولها تغيظ وزفير وقيل شبه صوت غليانها بصوت المتغيظ
وزفيره والحق أنه على الحقيقة وقد روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال إن النار
اشتكت إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس
في الصيف ونفس في الشتاء فهو أشد ما تجدونه من الحر وأشد ما تجدونه من البرد
ولما كان الحق أن البنية ليست بشرط في الحياة فلله أن يخلق في أي شيء كان
وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا كما يلقى الحجر عن ابن عباس رضي الله عنه يضيق عليهم
كما يضيق الزج في الرمح لشدة عليهم الكرب مقرنين حال كونهم مقرنين في
السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم وقيل يقرن كل إنسان مع شيطانه في
سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد دعوا هنالك ثبورا هلاكا يقولون واثبوراه
تعال هذا أوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا يقال لهم أو هم أحقاء بذلك
القول وادعوا ثبورا كثيرا لعدم انقطاع العذاب أو تكثير أنواعه قل أذلك
خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون الذين اتقوا الشرك لأنهم قوبلوا بالمشركين
المكذبين والاستفهام للتقريع والتفضيل على وجه التهكم كما يقول من يضرب
عبده لمنحا لقنه أمره هذا أطيب أم ذلك كانت لهم جزاء ومصيرا أي تكون
والتعبير بالماضي لجعل المترقب كالواقع وإنما ذكر المصير مع الجزاء كما في قوله نعم
الثواب وحسنت مرتفقا وقوله بئس الشراب وساءت مرتفقا لأن
لذة النعيم لا تكمل إلا إذا انضم إليه طيب المنزل لهم فيها ما يشاؤون كل
ما يتمنونه فإن قلت الجزاء على قدر الأعمال فكيف يكون أدنى المؤمنين مثل
أعلاهم وقد روي ابن عباس رضي الله عنه أن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين
مسيرة خمسمائة عام قلت أدنى المؤمنين إذا كان له مثل ملك الدنيا

عشر مرات

عشر مرات فرضي بذلك ولا اشتهى زيادة على ما هو فيه خالدين حال من فاعل
ما يشاؤون كان على ربك وعدا مسئولا موعودا حقيقيا أن يسأل
ويطلب أو يسأله الناس في دعائهم ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك
أو الملائكة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويوم يحشرهم أي الكفرة
لأن ذكر المتقين استطراد لإظهار مقام الفريقين على وجه التقابل وقرأ ابن
كثير وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير ربك والباقون بالنون التفاتا وما
يعبدون من دون الله بكل معبود سواه واستعمال ما في العقلاء إما لكونه
وضعه على العموم أو لإرادة الوصف كقوله والسماء وما بناها أو تغليبا أو
تنزيلا للعقلاء في مقام الألوهية منزلة غيرهم فيقول أأنتم أضللتم عبادي
هؤلاء أم هم ضلوا السبيل سؤال تقريع وتوبيخ للعبدة حتى إذا أجاب
المعبودون بما أجابوا تزداد بذلك حسرتهم ويفتضحون على رؤوس
الأشهاد وتقديم المسند إليه لكون الفعل متحققا بلا ريب وإنما الكلام في
الفاعل وقرأ ابن عامر فنقول بالنون قالوا سبحانك تعجبا ذلك من
الأنداد وتعجب من نسبة الإضلال إليهم لأنهم إما ملائكة أو أنبياء معصومون
أو جمادات لا حياة لها ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء
ما يليق بنا أن نتولى أحدا دونك فكيف نأمر أحدا بأن يتولانا دونك
ولكن متعتهم وآباءهم بأنواع النعم حتى نسوا الذكر حتى تسبب ذلك
التفضل الذي كان حقه الشكر للسان ذكرك بالتوحيد والتدبر في
آلائك وآياتك وكان حق الكلام بل أنت أضللتهم بإفاضة النعم عليهم
ولكن عبروا عن اللازم بالملزوم تأدبا وكانوا قوما بورا هالكين
في قضائك السابق جمع بائر كعوذ وعائذ أو مصدر وصف به فقد
كذبوكم أيها العبدة التفت إليهم كفاحا بالتوبيخ والتقريع بما تقولون
أي في قولكم إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا ويجوز أن يكون الجار والمجرور بدل
اشتمال لأن كذبته وكذبت به واحد معنى فما تستطيعون صرفا دفعا
للعذاب عنكم بعد ما كذبوكم أو حيلة من صرف إذا احتال وقرأ حفص
بالتاء خطابا للعبدة والغيبة أبلغ تبكيتا لاستلزامه العجز من ادعوا
الاستطاعة فيه ولا نصرا ولا إعانة لأنتم فيه ومن يظلم منكم أيها
المشركون نذقه عذابا كبيرا أصل الكلام نذقهم أو نذقكم وضع من
يظلم موضع الضمير وقيل الخطاب لفرق المكلفين وما أرسلنا قبلك
من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق جواب
عن شبهتهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام والجملة بعده إلا صفة محذوف

اي احد كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي احد وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
محنة وابتلاء اتصبرون حث على الصبر بعد بيان موجبه كقوله فهل انتم
منتهون بعد تحريم الخمر وقيل علة للجعل اي لنعلم ايكم يصبر كقوله ليبلوكم ايكم احسن
عملا وكان ربك بصيرا بمن يصبر وبمن لا يصبر او بمن يصلح للرسالة
والاصطفاء وقال الذين لا يرجون لقاءنا جزاءنا على الاعمال الصالحة
او رؤيتنا او عقابنا بلغة تهامة على ان الرجاء بمعنى الخوف لولا انزل
علينا الملائكة بالرسالة لعدم اعتقادهم جواز ارسال البشر او يصدقون
محمدا والاول هو الاوجه لقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او نرى
ربنا فيأمرنا ويخبرنا بلا واسطة ولا حجاب لقد استكبروا في انفسهم اي
اضمروا الكفر في قلوبهم وعقائدهم وعتوا وتجاوزوا الحد عتوا كبيرا اي
تجاوزا مفرطا واللام جواب قسم محذوف كانه قيل ما اشد استكبارهم
وما اكبر عتوهم يوم يرون الملائكة منصوب باذكر او بيعذبون دل عليه
ما بعده او تنزل دل عليه قولهم لولا انزل علينا الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين
لكل مجرم او لهم فوضع موضع الضمير ليدل على علية عدم البشرى ويقولون حجرا
محجورا من المصادر التي ينجز ذكر ناصبها والوصف للمبالغة كليل اليل
هذه كلمة كانوا يقولونها عند النوائب وشدائد النوازل في مقام الاستعاذة
والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة واذا نزلت استعاذوا من نزولها فانهم
يلاقونهم بما يكرهون وقيل هو من كلام الملائكة اي حراما عليكم محرما الغفران
والجنة او البشرى وقيل الحجر المنع ومنه قيل للعقل الحجر لانه يمنع ارتكاب الرذائل
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كانوا يعمدون الى
المكارم من قرى الضيف وفك العاني وسائر انواع البر ويحسبون
انها ذخر لهم عند الله تعالى ولما لم يكن لبنائهم اساس اذ الاعمال بدون
الايمان كبناء بلا اساس رد الله عليهم في ذلك الحسبان ابلغ رد بان مثل
حالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واغضبوه غاية الاغضاب فقدم الى
ناديهم واناخ ما تحت ايديهم وجعلها كأن لم تغن بالامس والهباء ما ترى
من الذرات عند دخول الشمس في الكوة تشبه الغبار والمنثور المفرق
صفة هباء او مفعول ثالث لجعلناه على انه في الاصل خبران اي جعلناه جامعا
للحقارة والتفرق بحيث لا يحصل منه على طائل اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
مكانا يستقرون فيه للمحاورة والمفاكهة مع الاصحاب كقوله على سرر متقابلين
واحسن مقيلا مكانا للاسترواح والتمتع بالحور والازواج وتسميته مقيلا
على التشبيه اذ لا قيلولة في الجنة كقولهم ورزقهم فيها بكرة وعشيا مع ان في الجنة

ليل ولا نهار او المقيل عبارة عن الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم احسن ما يتصور
والتفضيل اما ان يراد به الزيادة المطلقة او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا
وفي ايثار الاحسن مع المقيل اشارة الى زيادة المحاسن بمحاسن الزخارف
والوجوه الحسان كما يكون للملوك في الدنيا في اماكن النسيم ويوم تشقق
السماء بالغمام اي تنشق بسبب طلوع الغمام منه قيل هو غمام فوق السموات
سمكه مثل سمك السموات وثقله مثل ثقلها فاذا كان يوم القيمة القاه الله تعالى
على السموات فتنشق منه قرا الكوفيون وابو عمرو بتخفيف الشين بحذف
احدى التائين ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بايديهم صحائف الاعمال
وقرا ابن كثير ننزل بزيادة النون مضارع انزل ونصب الملائكة وعليه رسم
المكي على حذفه سائر الرسوم الملك يومئذ الحق للرحمن اي الثابت له
دون غيره من الملوك لمن الملك اليوم والملك مبتدا ويومئذ ظرفه و
الحق نعت وللرحمن خبره وكان يوما على الكافرين عسيرا اي يكون شاقا
عليهم لسقوط جنتهم ويوم يعض الظالم على يديه كل ظالم كناية عن شدة الندامة
فان النادم المتحسر يعض على الانامل ويجمع اليدين اشارة الى غرضه عن ابن عباس
رضي الله عنه نزلت في عقبة بن ابي معيط كان اذا قدم من سفر اتخذ طعاما ودعا
اليه الناس فدعا من جملتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم الطعام ابى ان
يتناوله الا ان يشهد بالرسالة فشهد له بذلك وهو مضمر الكفر وكان
صديقا لابي بن خلف فعاتبه ابي وقال له صبأت فقال ما صبأت ولكن
كره ان يرجع ولم يطعم من طعام دعوته اليه فقال وجهي من وجهك حرام
ان وجدت محمدا فلم تبزق في وجهه ففعل ذلك فعلى هذا اللام في الظالم للعهد
او للجنس ان كان هو سبب النزول اذ لا ظالم الا هو عاض يديه في ذلك
اليوم يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا
واحدا هو طريق الجنة فالتنكير للافراد وتخصيصا او طريقا من الطرق اشارة الى
ان ما كان يسلكه لم يستحق ان يسمى طريقا او القصد الى صفة السبيل او ما جنبه
يا ويلتى حسرة الياء تقلب للالف كما في يا غلاما وامال الالف حيث وقع الدوري
عن ابي عمرو وكذا حمزة والكسائي على ما عرف في اصولهم ليتني لم اتخذ فلانا خليلا
فلان كناية عن علم المذكر يريد ابيا ان اريد العهد وان اريد الجنس فكل من اتخذ خليلا
لابد وان يكون له علم فجعله كناية عنه لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله تعالى او القرآن
انا نحن نزلنا الذكر او كلمة الشهادة والذكر بمعنى العهد لانه عهد بين الله وبين
عبده بعد اذ جاءني ولم يبق لي عذر وكان الشيطان للانسان خذولا اي لعقبة
سماه شيطانا لكونه مضلا مثله او ابليس لانه الذي حمله على ذلك او من اضل

عن طريق الحق من الجن والانس شيطان حكاية لكلام الظالم او هو ابتداء كلام من الله تعالى
تحذيرا للسامع عن الاغترار والخذلان ضد النصرة ﴿وقال الرسول﴾ يريد محمدا
صلى الله عليه وسلم ﴿يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا﴾ متروكا غير ملتفت
اليه او مهجورا فيه من الهجر يعني جعلوه هذيانا وسموه سحرا واساطير الاولين او
خلطوا الهجر هم بها اذا قرئ لئلا يسمعه السامعون وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين﴾ كما جعلنا
لك اقبل عليه بعد سماع شكواه مسليا له بان هذا شان الرسل مع الكفار
لينالوا بذلك المثوبة العظمى ﴿وكفى بربك هاديا﴾ الى طريق الانتقام منهم ﴿و
نصيرا﴾ معاونا لك عليهم فلا تبال واصبر ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القران﴾ نزل بمعنى انزل لقوله ﴿جملة واحدة﴾ والا لكان متدافعا ﴿كذلك﴾ جواب
لهم اي كذلك انزل مفرقا لان قولهم لولا نزل عليه القران جملة يتضمن انكار انزاله
مفرقا ﴿لنثبت به فؤادك﴾ مفرقا منجما تحديث بكل نجم من نجومه قوي قلبك
وازداد ثبات جاشك ولو انزل جملة واحدة مرة واحدة لم يكن له ذلك
الواقع ولا ذلك الظهور التام واطمئنان القلب وايضا اذا تردد اليه جبريل
في الوقايع ازداد بذلك قوة وتوالت عليه الافراح كما يفعله الملوك مع الخواص
المقربين يواصلونهم بالرسائل والكتب وما قيل انه كان اميا يباين حاله
حال موسى وعيسى وداود عليهم السلام فانهم كانوا قراؤا وكتبوا فلو القي
اليه جملة لعجز عن حفظه ففيه ان انزله قادر على ان يجعل له القوة على حفظه في
لمحة طرف بل كان ذلك معجزة اخرى له ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ فصلنا بعضه عن
بعض في الانزال تفصيلا مناسبا بين العبد والقرب من رتل الاسنان
وهو تباعدها بين الثنايا والرباعيات وقيل رتلناه امرنا بترتيله في القراءة
لقوله ورتل القران ترتيلا ﴿ولا ياتونك بمثل﴾ بكلام هو مثل في البطلان
يجادلونك به ﴿الا جئناك﴾ في مقابلته ﴿بالحق﴾ جوابا عنه ﴿واحسن
تفسيرا﴾ كشفا عن المقصود من الفسر وهو الكشف وصيغة التفعيل
للمبالغة وذلك انهم قاسوه بموسى وعيسى في انزال الكتاب جملة واحدة
وقد جهلوا اما في تنزيله مفرقا من الحكم ﴿الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم﴾
رفع او نصب على الذم روى البخاري عن انس ان رجلا قال يا رسول الله
كيف يحشر الكافر على وجهه فقال اليس الذي امشاه على الرجلين
في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيمة ﴿اولئك شر مكانا﴾ اي
منزلة ﴿واضل سبيلا﴾ ممن قدحوا في رسالته اي لو علموا حالهم لعلموا
انهم اشر مكانا وقيل متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا و

وصف

وصف السبيل بالضلال على طريقة المجاز الحكمي مبالغة في ضلال سالكه
﴿ولقد اتينا موسى الكتاب﴾ لما سلاه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
فصل بعض احوال مشاهيرهم وقدم موسى لان امته اكثر وعناده مع الكمال
افرد اشهر ﴿وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا﴾ موازرا له معاونا اياه
في تبليغ الرسالة ولا ينافي بين النبوة والوزارة ﴿فقلنا اذهبا الى
القوم الذين كذبوا باياتنا﴾ فذهبا فكذبوهما ﴿فدمرناهم تدميرا﴾ استاصلناهم
وقلعنا شافتهم ولما كان الغرض التسلية وانه سينزل بالمشركين مما انزل
باولئك اختصر الكلام بذكر طرفي القصة وكذلك سلك في القصص
بعدها ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا
وحده ومن كذب رسولا فقد كذب سائر الرسل لاتحاد دعوتهم
واشتراكهم في الاعجاز ﴿اغرقناهم﴾ بالطوفان ﴿وجعلناهم للناس
اية﴾ عبرة الى يوم القيمة ﴿واعتدنا للظالمين عذابا اليما﴾ لكل ظالم او لهم
وايثار المظهر للدلالة على علية الحكم ﴿وعادا وثمود﴾ عطف على هم او الظالمين
بحسب المعنى اي وعدنا الظالمين وهؤلاء الاعلام في الظلم وقرا حمزة
وحفص ثمود غير منون على تاويل القبيلة ﴿واصحاب الرس﴾ قوم شعيب
والرس اسم بئرهم كذبوا شعيبا فبيناهم حول البئر جلوسا خسف الله
بهم الارض وقيل قرية عظيمة بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية
ثمود وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان وكانوا مبتلين بالعنقاء وهي طير
عظيم سمي بذلك لطول عنقه وكانت تخطف اولادهم فدعا عليها حنظلة
النبي فاصابتها صاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكهم الله تعالى وقيل هم
اصحاب الاخدود وقيل الرس ارض بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار
وقيل اسم بئر انما سمي رسا لانهم قتلوا نبيهم ورسوه فيه اي دسوه
﴿وقرونا بين ذلك﴾ المذكور ﴿كثيرا﴾ لا يعلمها الا الله تعالى روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما تلى الاية قال كذب النسابون يقول الله وقرونا
بين ذلك كثيرا ﴿وكلا ضربنا له الامثال﴾ اي كل قرن بينا له القصص
الغريبة مما جرى على الامم المكذبة للرسل انذارا وتحذيرا ﴿وكلا تبرنا
تتبيرا﴾ حيث لم يعتبروا ولم ينجع فيهم ذلك الانذار والتبار الكسر
من التبر وهو القطع المذهب قبل الضرب وكلا الاول منصوب بما دل
عليه ضربنا اي انذرنا والثاني بتبرنا لفراغ الفعل له ﴿ولقد اتوا على القرية
التي امطرت مطر السوء﴾ يريد قريشا في متاجرهم في التجارات الى
بلاد الشام والقرية اسمها سدوم اعظم قرى قوم لوط سميت باسم قاضيها

وكان آية في الظلم والجور حتى صار مثلا بذا قضاء سدوم ومطر السوء الحجارة ۞ افلم
يكونوا يرونها ۞ الاستفهام للانكار الداخل على النفي فيفيد الاثبات اي قد رأوها
بل كانوا لا يرجون نشورا ۞ فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فان الانسان
انما يتكلف النظر والتدبر اذا كان راجيا ثواب الآخرة خائفا عقابها
او لا يخافون على اللغة التهامية ۞ واذا رأوك ۞ اي المشركون ۞ ان يتخذونك
الا هزوا ۞ اي لم يرضوا بترك الايمان حتى هزؤا بك مكان هزؤا او مهزوا به
أهذا الذي بعث الله رسولا ۞ اسم الاشارة للتحقير كما في حديث عائشة
رضي الله عنها يا عجبا لابن عمر وهذا حين افتى بنقض الظفائر انما اخرجوا البعثة
في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكما به ۞ ان كاد ليضلنا عن
آلهتنا ۞ بكثرة الدعاء الى التوحيد وهذا يدل على انه عليه السلام قد بلغ الغاية
القصوى في الدعوة الى الله تعالى حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دين آبائهم مع
فرط عنادهم وشدة لجاجهم ان مخففة من المثقلة وضمير الشان محذوف
واللام هي الفارقة ۞ لولا ان صبرنا عليها ۞ وثبتنا لولا هذه للدلالة على انتفاء
شيء لوجود غيره كما في لولا علي لهلك عمر ۞ فسوف يعلمون حين يرون العذاب
من اضل سبيلا ۞ انت اوهم جواب من قولهم ان كاد ليضلنا لانه من يضل
غيره لابد ان يكون ضالا في نفسه ۞ أرأيت من اتخذ الهه هواه ۞ تعجب
ممن هذا شأنه في الجهل قدم المفعول الثاني للعناية به والقرينة مقلوبة كما
في قوله بنونا بنو ابنائنا ۞ افانت تكون عليه وكيلا ۞ مسلطا تجبره على الاسلام
انكار اي لست كذلك بل انت مبلغ ولا اكراه في الدين ۞ ام تحسب ان
اكثرهم يسمعون او يعقلون ۞ حتى يسمعوا الكلام او يفهموا خطابك
وهذا اشد مذمة ولذلك اضرب عن الاول قيد بالاكثر لان منهم من كان
يابى عنادا او استكبارا ۞ ان هم الا كالانعام ۞ في عدم الادراك وفهم الآيات
بل هم اضل سبيلا ۞ من الانعام لانها يفرق بين المحسن اليها والمسيء
وتتعلم ما تنفعها الا ترى اجهل من الحمار وقد رأيته قد تعلم انواعا من الحيل
وهؤلاء قد اتبعوا الشيطان وهو عدو عدوهم الذي يجلب لهم شقاء الابد
۞ الم تر الى ربك كيف مد الظل ۞ اشار الى صنعه البديع الدال على كمال العلم
والقدرة بل على الكمال المطلق من كل وجه على اكمل وجه بالمحسوسات لانه
الخصم بعيد عن ادراك المعقولات والتدبر في عالم الملكوت ولم يخاطبهم
بل وجه الكلام اليه تأكيدا لما قدمه من انهم اضل من الانعام فليس من شانهم
الخطاب والاستفهام للانكار دخل النفي فافاد التقرير اي قد رأيت صنع
ربك كيف بسط الظل لمنافع العباد ۞ ولو شاء لجعله ساكنا ۞ لا حقا بكل

ذي الظل كالشجر والبناء والجبال وقيل الظل الذي مده ما بين طلوع الفجر الى طلوع
الشمس فانه اطيب الاوقات اذ الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر
وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر وحاصل الكلام الم تر الى الظل كيف مده ربك
وانما عدل الى المنزل اشارة الى ان المعقول من هذا الكلام كالمرئي لوضوح برهانه
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ۞ متبوعا يتبعه الظل يزيد به وينقص بنقصه ويتقلص
ثم قبضناه الينا ۞ رفعناه بايقاع شعاع الشمس موقعه ۞ قبضا يسيرا ۞ على التدريج
لما في ذلك للعباد من المصالح وثم في الموضعين للترقي من الادنى الى الاعلى وقيل
محله وذلك ان الله تعالى خلق السماء كالقبة المضروبة ثم خلق بعد ذلك الشمس
وسلطها على ذلك الظل وجعلها تبعا ايا ما ويجوز ان يراد قبضه يوم القيمة يوم
نطوي السماء ولفظ الماضي لتاكيده وكذلك يسيرا كما في قوله حشر علينا
يسير ۞ هو الذي جعل لكم الليل لباسا ۞ ساترا كاللباس ۞ والنوم سباتا ۞
راحة من السبت وهو القطع واستعماله في نوم المريض عند العرب والشيخ المسن
قال عمرو بن مسعود رضي الله عنه لمعاوية لا تسال عن شيخ نومه سبات وليله هباب
او موتا لقوله ۞ وجعل النهار نشورا ۞ اي بعثا تشبيها بعثهم من النوم بالبعث بعد
الموت قال لقمان لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وعلى
الاول النشور بمعنى الانتشار لاسباب المعاش ۞ وهو الذي ارسل الرياح
بشرا ۞ بسكون الشين في قراءة الكوفيين وابن عامر جمع بشير وجمع نشور
كصبور فخفف باسكان العين وابن كثير ونافع على الحال وقرأ عاصم بالباء جمع
بشور بمعنى مبشر كصبر وصبورا وبشيرا كقليب وقلب وقرأ ابن كثير الريح بالافراد
على ارادة الجنس والجمع هو المختار لكون المبشرات ثلثا صبا وشمالا وجنوبا والمهلكة
محل قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وهي الدبور قال نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور ۞ بين يدي رحمته ۞ امامه جعل الريح مبشرا القدم
تعظيما له فانه سبب بقاء العالم ۞ وانزلنا من السماء ماء طهورا ۞ مطهرا للاحداث
والاخباث فعول من طهر اسم لما يتطهر به كالوضوء والسحور لان الماخوذ من اللازم
لا يكون متعديا وقول الفقهاء بمعنى المطهر شائع وسالب الطهورية عند ابي حنيفة
ان كان الماء راكدا وقوع النجاسة قليلا كان او كثيرا وعند مالك اذا غير
طعمه او ريحه او لونه وعند الشافعي كابي حنيفة فيما دون القلتين وكمالك
اذا بلغ قلتين والجاري عنده كالراكد وعند ابي حنيفة الجاري لا يتنجس اذا لم يتغير
شيء منه فيه اثر وفي الآية اشارة الى ان الله تعالى لما اكرمهم بانزال الماء الطهور
المزيل للخبث والحدث عن ظاهرهم فعليهم ان يطهروا بواطنهم التي هي محل
الاسرار عن قاذورات العمل وسائر الرذائل ۞ لنحيي به بلدة ميتا ۞ وسقيه

مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وصف الانعام والاناسي بالكثرة لان اكثر الناس
يسكنون بقرب الانهار والاودية فهم في اكثر الاوقات في غنية من المطر وكثير منهم
سكان البوادي لا يعيشهم وانعامهم الا المطر وماء الغدران وقدم الاحياء فالاسقاء
الماء اولا بالطهور لان المقصود الاصلي من انزاله تطهيرهم ليكونوا في حال المناجاة
مع ربهم على اكمل الاحوال ثم احياء الارض بالنبات لانه ابدع ولانه سبب معاشهم
ومعاش انعامهم ثم قدم الانعام على الاناسي لذلك اولان الماء اذا وجد للارض
والانعام فلهم من باب الاولى فذكر الاناسي للاستيعاب والاناسي جمع انسي او جمع
انسان جعله اناسين قلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم اي هذا القول بين
الناس في القران وسائر الكتب والصحف المنزلة اشارة الى انه من الادلة
القاطعة على وحدة الصانع وسن الظهور بحيث لا يختص بهذه الامة التي فاقت
سائر الامم في الفهم والذكاء او الضمير للمطر والمعنى قسمناه بينهم على ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنه ان المطر لا يختلف كل عام قلة وكثرة ولكن يقع تارة هنا وتارة هناك
على نحو ما اقتضته الحكمة ومنه نشأ جواب آخر عن تنكير البلدة والانعام والاناسي اي
لنحيي به بعض البلاد وبعض الانعام وبعض الاناسي ليذكروا بصرف المطر اليهم وعنهم ليعلموا
كمال القدرة وغاية الرأفة بهم ليتفكروا اذا فقدوا ويشكروا اذا وجدوا ولما كان من
المحسوس الذي لا يحتاج الى تأمل جعل الفاصلة التذكر الذي هو ملاحظة الحاصل المغفول
عنه وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا بالتخفيف من الذكر فابى اكثر الناس الا كفورا
تلك النعم الجسيمة بأسرها من الغير ولا يرضى رأسا برأس قالوا مطرنا بنوء كذا واما
من يرى الكل منه تعالى ويجعل النوء من جملة الاسباب والعلامات فذلك لا يقدح
في الايمان ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ليخفف عنك بعض اعباء التبليغ
سلاه تعالى بغاية التسلية بان جعلهم اضل من الانعام وانه ليس عليهم بوكيل وعجبه
من حال من اتخذ الهه هواه فاشار الى ان عموم رسالته وتكليفه التبليغ
الى كافة الناس اجلالا له لئلا يشاركه في منصبه احد فامره بالمصابرة على
المجاهدة وجعل مهالكه على ايمانهم كالطاعة لهم فقال فلا تطع الكافرين وجاهدهم
به بالقران جهادا كبيرا فان الجهاد بالحجة اعظم من الجهاد بالسيف لا سيما
مع السفهاء الذين شأنهم المراء والمكابرة قيل رأى الشافعي يوما مسرورا
فسأله بعض اصحابه فقال الزمت جاهلا قيل له انت اجل من ذلك فقال
لا شيء اشد واشكل من افحام الجاهل وقيل كبيرا موقعه عند الله وهو الذي
مرج البحرين بنوع آخر من دلائل التوحيد والمرج الارسال اي ارسلهما وخلاهما
متجاورين متلاقيين هذا عذب فرات قامع للعطش لكاسره وهذا
ملح اجاج شديد الملوحة وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته غير محسوس

وحجرا محجورا وحدا محدودا او هي الكلمة التي يقولها المتعوذ كان كلا من البحرين يتعوذ
من الآخر بهذه الكلمة كقوله بينهما برزخ لا يبغيان لا يظلم احدهما الآخر با
بالممازجة قيل ان دجلة يصب في بحر فارس ويذهب فراسخ لا يتغير طعمه
وهو الذي خلق من الماء بشرا شرع آيات الانفس بعد آيات الآفاق
والبشر آدم خلقه من تراب خلق من الماء فهو اصله ومادته الاولى او من طين
خمره بالماء او اولاده والماء النطفة فجعله نسبا ذا نسب ينسب اليه فلان
ابن فلان اي ذكرا وصهرا ذات صهر اي انثى قال قطرب ما كان من قبل
الزوج الثابت اصهارا وما كان من قبل المرأة اختانا وكان ربك قديرا كامل القدرة
يخلق من ماء تارة ذكرا وتارة انثى وتارة يجمع بين النوعين بان يخلق من نطفة
واحدة توأمين ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم بعد ظهور دلائل
وحدة الصانع وكان الكافر على ربه ظهيرا معاونا للشيطان فعيل بمعنى الفاعل
كالكليم بمعنى المكالم وهو ابو جهل فانها نزلت فيه او جنس الكافر لان الظهير كالصديق
يطلق على الجمع كقوله والملائكة بعد ذلك ظهيرا او هينا لا يعبأ به كانه ملقى وراء الظهر
قال الاخطل وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
قدم المبشر رعاية للفاصلة قل ما اسألكم عليه على التبليغ من اجر الا من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا الا فعل من اراد ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى لديه
جعل الايمان المنجي للمؤمن اجرا له على اداء الرسالة قلعا لشبهة الطمع واظهارا
لغاية الشفقة حيث جعل تعرضهم للثواب وتخلصهم عن العقاب نفعا عائدا اليه
وفيه اشعار بان له في ايمانهم ثوابا جزيلا لانه الدال المرشد قال لعلي بن ابي طالب
يوم خيبر حين اعطاه الراية ادعهم الى الايمان اولا لان يهدي الله رجلا على يديك
خير لك من الدنيا وما فيها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت فهو كافيك عن
عن اجورهم او يتصل بقوله وجاهدهم به جهادا كبيرا اي فهو ناصرك وكافيك
من شرورهم وسبح بحمده ونزهه عما لا يليق بحضرة قدسه مما يصفه به هواة
الجهلة من الشريك والولد مثنيا عليه باوصاف الكمال شكرا لسوابق نعمه
وطلبا للمزيد وكفى به بذنوب عباده خبيرا ببواطنها وظواهرها فلا عليك بعد
التبليغ آمنوا ام كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش نصب على الاختصاص او خبر مبتدأ محذوف
اي هو الذي او مبتدأ خبره الرحمن ذكر هذه الاوصاف بعد الامر بالتوكل
دلالة على ان من هذا شأنه حقيق بالتوكل عليه والمراد بالايام مقدارها لعدم الليل
والنهار حينئذ او ايام الآخرة والتقدير بالستة دون غيرها مما استأثر تعالى

لعلمه كعدد الركعات ونصب الزكوة وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام
وكان قادرا على خلقها بلمحة طرف تعليما للعباد ان يرفقوا في امورهم ويتخلقوا
باخلاقه. فاسأل به خبيرا. الباء صلة السؤال والمعنى سل عنه رجلا عارفا به
يخبرك عن سعة رحمته. قال الاخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان
او صلة خبيرا اي اسأل خبيرا به يخبرك او بتجربته اي اسأل بسؤاله خبيرا والمعنى
انك ان سألته وجدته خبيرا اي خبيرا او الضمير لما تقدم من خلق السموات
والارض وما بينهما اي اسأل بالسؤال عنها خبيرا كامل العلم بما فيها من الاجزاء والصفات
والاسرار المودعة فيها حتى يظهر له كمال قدرته ودقة حكمته ونهاية رأفته بعباده
حيث خلق لهم الكائنات باسرها مشتملة على حكم لا تحصى ونعم لا تستقصى. واذا
قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن. سؤال عن مسماه فانهم ما كانوا يطلقونه
عليه او عن معناه لانه كان مذكورا في الكتب السالفة وعلى هذا معنى فاسأل
به خبيرا اسأل بهذا الاسم من اهل الكتاب فانهم عارفون به وفي الاية اشارة
الى ان الرحمن الذي شملتهم رحمته اذا ذكر لا يعرفونه. انسجد لما تأمرنا من غير ان
نعلم ما هو وكيف شانه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء الغيبة كانه قال
لهم اسجدوا للرحمن قال بعضهم لبعض تهكما واستهزاء انسجد لما يأمرنا محمد اي
يكون ذلك والخطاب احسن حجاجا والغيبة اقعد لانهم بصدده من الانكار
وزادهم نفورا. فرارا فاعل زاد ضمير اسجدوا. تبارك الذي جعل في السماء
بروجا. استئناف لاثبات رحمانيته جملة يدل صدرها على كثرة نعائه ووفور
آلائه ودوامها وعلو شانه لما تقدم من اشتقاقه والبروج منازل الكواكب
السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب
والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بروجا لظهورها واشتهارها لكونها
منازل الكواكب من برج اذا ظهر فان قلت اي فائدة للناس في البروج
حتى ذكرها في مقام الامتنان وتقرير صفة الرحمانية قلت لكل الفوائد عليها مدار
الفصول التي نيط بها اسباب المعاش. وجعل فيها سراجا. الشمس لكمال ضوئها
استعار لها اسم السراج وقرأ حمزة والكسائي سرجا على ارادة السيارة والافراد
اوفق لقوله. وقمرا منيرا. ذا نور. وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة. لم يعطف
جعل على الصلة بل استأنف دلالة على عظم صنعه في ارداف كل من الليل
والنهار بالاخر كانه قال وهو المتفرد بهذا الصنع البديع والخلفة اسم بمعنى الاختلاف
اي ذوي اختلاف يخلف احدهما الاخر. لمن اراد ان يذكر. يتذكر قدرة الصانع
الحكيم. او اراد شكورا. ليعرف آلائه فان مدار امر الدين على اختلافهما فما فاته
يعمل واعمل منه وقرأ حمزة يذكر مضارع ذكر ثلاثيا والباقون بادغام التاء في الذال

مضارع تذكر وهو ابلغ واظهر. وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا. ذكرهم
في مقابلة الذين اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن والمعنى عباده المختصون
به الذين عرفوه بصفة الرحمانية وتخلقوا بها فاورثتهم هذه الصفات المتعاقبة
والهون الرفق واللين وفي صفته عليه السلام انه يمشي هونا وفي كلام علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه احبب حبيبك هونا. واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
اي قولا سديدا يدل على المتاركة من غير اثم ولا لغو سواء كان بلفظ السلام او غيره
ولا مخالفة قوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين لانه من القول السديد ولا نسخ
باية القتال لان متاركة السفهاء والاغضاء عنهم من الآداب المستحسنة. والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما. يقضون ليلهم في عبادته ساجدين قائمين يقال بات
يفعل كذا اذا فعله ليلا وتأخير القيام للفاصلة جمع قائم او مصدر وصف به والتقييد
بالليل لانه اخلى عن شوب الرياء واعلى للقلب واشق للنفس والمراد اكثر الليل لقوله
قليلا ما يهجعون. والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما
شرا لازما ومنه الغريم لملازمته الانسان وصفهم بالجد البالغ في العبادة ثم وصفهم
بالوجل والابتهال اليه مع تلك العبادة اشارة الى انهم غير متكلين عليها بل لا يرونها
شيئا نظرا الى كبريائه تعالى. انها ساءت مستقرا ومقاما. انشاء ذم فاعله ضمير
مبهم يفسره مستقرا وانما ذكر مع ان المفسر مؤنث لانه في معنى الدار والمنزل
والمخصوص محذوف اي هي وهذا الضمير هو الذي ربط خبر ان باسمها ويجوز ان يكون
ساءت بمعنى احزنت ومستقرا ومقاما منصوبان على الحال او التمييز ثم هذا وقوله
ان عذابها كان غراما تعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا ابتداء
كلام منه تعالى وحكاية قولهم. والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا. القتر والاقتار
والتقتير التضييق والتعلل في الرزق والانفاق والاسراف الانفاق في المعصية
وان قل وقيل التجاوز عن الاعتدال وان حل وهذا اذا لم يكن في القربات وابواب
البر يدل عليه قصة الصديق وعثمان رضي الله عنهما ولذلك قيل لا اسراف
في الخير كما لا خير في الاسراف وقرأ نافع وابن عامر يقتروا بضم الياء وكسر التاء
من الاقتار والكوفيون بفتح الاول وضم التاء وابن كثير وابو عمرو بكسرها
وكلاهما لغتان كما في يعكف. وكان بين ذلك قواما. بين الاسراف والاقتار
والقوام الاعتدال كالسواء لفظا ومعنى وذلك الذي امر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وهكذا كان
حال الصحابة لا ياكلون الا سد جوعتهم ولا يلبسون الا ستر العورة لعورتهم وقيل
ان علي بن ابي طالب دخل السوق واشترى قميصا بخمسة دراهم فرأى في كمه
طولا فقال للبايع اقطع من كمه فقال اشتريت قميصا بخمسة دراهم ثم تقطع

لكم ايضا انك لمجنون فقال علي رضي الله عنه باركك الله فيك سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يكمل ايمان المرء حتى يقال انه مجنون والمنصوبان اعني بين
ذلك قواما خبران معا ويجوز ان يكون بين لغوا وقواما هو الخبر وان يكون
الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وما اجازه الفراء من ان يكون بين اسم
كان وانما بني لاضافته الى غير المتمكن مع عدم اطراده ففيه انه من قبيل كالة
الواجب جاريته صاحبها فليس فيه الخبر الذي هو محط الفائدة فائدة والذين
لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله حرم قتلها
الا بالحق صفة المصدر المحذوف او متعلق بيقتلون ولا يزنون نفي عن
الموصوفين بتلك الخلال العظام عظائم الذنوب الموبقات تعريضا با
باعدائهم المشركين روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب عند الله اكبر فقال ان تجعل لله ندا وهو
خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت
ثم اي قال ان تزني حليلة جارك فانزلت هذه الاية تصديقا له ومن
يفعل ذلك يلق اثاما الاثام بالفتح جزاء الاثم وقيل بمعنى الاثم فالمضاف
محذوف يضاعف له العذاب يوم القيمة للشرك وللذنوب التي
ارتكبها معه لان الكفار يتفاوتون في الدركات كما ان المؤمنين متفاضلون
في الدرجات وقرا نافع وابو عمرو وحفص وحمزة والكسائي بجزم الفعلين
وتخفيف يضاعف وابن كثير بتشديده وجزمهما وابن عامر وابو بكر
برفع الفعلين الا ان ابن عامر يشدد الاول دون ابي بكر ووجه الرفع
الحال والاستيناف والجزم الابدال من يلق كقول ابن الحر متى تاتنا
تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ويخلد فيه مهانا لاستكباره
عن اتباع الحق الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات يمحو الله معاصيهم ويثبت مكانها لواحق الطاعات
او يجعل اعدادها في صحيفة الحسنات بعد محوها من ديوان السيئات وهذا
اصح روي مرفوعا عن ابي هريرة وسلمان فان قلت لم يؤكد الفعل بالمصدر
اعني من عمل صالحا الا في هذه الاية مع كثرة وقوعه قلت لم يقع في القرآن
ارجى من هذه الاية فكما بالغ في رافته اشار الى ان العمل الذي يترتب عليه
هذا الجزاء ينبغي ان يكون عملا معتدا به في باب الصلاح على قيل كما تدين تدان
وكان الله غفورا رحيما ولذلك بدل السيئات بالحسنات ومن تاب
عن المعاصي وعمل صالحا واتى بالطاعات فانه يتوب الى الله متابا
اي يرجع اليه والى ثوابه اما على تقدير المضاف او على جعل الرجوع اليه كناية

عن نيل ثوابه او فانه يرجع الى الله المتصف بالاسماء الحسنى وصدق الوعد ان الله
يحب التوابين وهو الذي يقبل التوبة عن عباده او متابا مرضيا على ان
التنكير للتعظيم فان قلت ما فائدة هذا التكرير وهل يكون الترغيب باكثر
من جعل السيئات حسنات قلت لا تكرير فان المراد من الاولى جعل
اعمال التائب حسنات ومن الثانية بيان جزاء تلك الاعمال والثواب
عليها وقيل الاولى في حق المشرك التائب وهذه في المؤمن العاصي اذا تاب
والذين لا يشهدون الزور اي لا يحضرون مجالس الكذب تنزها عن مخالطة
اهل الاثم وصيانة عن الانسلاك في سلكهم ولان في ذلك تكثير سوادهم
وفيه اغراؤهم على ما هم فيه وقيل لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا
كراما جمع كريم وهو الجامع لانواع الفضائل وشتات المحاسن واسباب
الشرف اي معرضين عنه غير ملتفتين اليه كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه
وقيل اذا سمعوا الشتم من السفهاء صفحوا وتجاوزوا كقوله ولقد امر على
اللئيم يسبني فمضيت ثم قلت لا يعنيني والذين اذا ذكروا بايات
ربهم بمواعظه وحكمه لم يخروا عليها صما وعميانا بل اكبوا عليها والقوا
شراشرهم على حفظها او لا اتعاظ بها باذان واعية وابصار مرعية وقلوب
خائفة لا كالذين لهم اذان لا يسمعون بها واعين لا يبصرون بها والذين
يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين سرورا بان
نريهم مقبلين على طاعتك مسارعين في اسباب مرضاتك واصل القرة
البرودة والمراد بها نهاية السرور والفرح وذلك ان العين تدمع من غاية
السرور دمعا باردا وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من
ان يرى اهله واولاده مطيعين لله تعالى لان الله سائله عنهم كلكم راع
وكلكم مسؤول عن رعيته وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر و
ذريتنا على التوحيد وهو المختار لدلالته على الكثرة بما دونه مع خفته ومن
اما بيانية او ابتدائية اي اجعل لنا قرة اعين من جهتهم وانما نكر قرة مبالغة
كانه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا تاما وآثر جمع القلة لقلة المؤمنين
الموصوفين بتلك الصفات واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا
ننال بذلك زيادة الاجر فان الدال على الخير كفاعله والافراد
لعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في الاصل او التقدير كل واحد
منا او لان المؤمنين كنفس واحدة كما نطق به من لا ينطق عن الهوى
اولئك يجزون الغرفة العلية جمعها غرفات وغرف ووحد لارادة الجنس

وعدم التلبس ولقوله وهم في الغرفات آمنون وهي على قدر الاعمال والتوحيد
انما رتب على هذه الاوصاف الكاملة وهي مضبوطة فالمتصفون بها متحدون في
الجزاء لاتحاد ما عملوا * بما صبروا * بصبرهم * ويلقون فيها تحية وسلاما * يحييهم
الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من
اللقاء اي يصادفون والتشديد ابلغ في الاكرام * خالدين فيها حسنت مستقرا
ومقاما * في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما ومثله اعرابا * قل ما يعبؤا بكم ربي *
يقال عبأت بالشيء واعتددت فما استفهامية في موضع المصدر والمعنى اي
اعتداد يعتد بكم واي وزن مقدار لكم عنده * لولا دعاؤكم * ايمانكم او عبادتكم
اي الكمال في التحلي بالكمالات النظرية والتخلي عن الشواغل وقطع العلاقات
بالتوجه الى جناب قدسه * فقد كذبتم * خطاب لمشركي قريش خاصة بعد ان
خاطب الجنس المتناول لهم ولغيرهم فانتظم الخاتمة مع الفاتحة لان السورة
كانت مصدرة بتكذيبهم * فسوف يكون لزاما * عذابا ملازما يوم القيمة وعن
مجاهد هو القتل يوم بدر لوزم بين القتل لزاما وعن عبد الله بن مسعود رضه
خمس قد مضين الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام * تمت السورة
والحمد لله حق حمده والصلوة على نبيه وعبده * سورة الشعراء مكية الا قوله و
والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخرها وهي مائتان وست او سبع و
وعشرون ايات بسم الله الرحمن الرحيم * طسم * حروف
مبسوطة للايقاظ او اسم للسورة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بامالة
الطاء ونافع بين بين واظهر النون حمزة اشارة الى ان اصل حروف
التهجي عدم التركيب والوقوف عليها * تلك آيات الكتاب المبين * الواضح
اعجازه والمراد السورة او القرآن باسره والمشار اليه ما دل عليه بحروف
لعلك باخع نفسك * قاتل نفسك البخاع بالباء عرق في الصلب متصل
بالعنق وهو نهاية الذبح وبالنون دونه وهو الخيط الابيض ومعنى لعل الاشفاق
اي اشفق على نفسك ان تقتلها اسفا على ما فاتك من ايمان قومك
وفيه نهاية مدح له بما قام به من الاجتهاد في التبليغ * الا يكونوا مؤمنين *
خيفة ان لا يؤمنوا * ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية * ملجئة لهم على الايمان
فظلت اعناقهم لها خاضعين * منقادين اقحم الاعناق لبيان موضع
الخضوع ولما وصفت باوصاف العقلاء اجريت مجراهم في الجمع بالواو
والنون او الاعناق جمع عنق بمعنى جماعة اي جماعاتهم وفي الحديث لا تزال
الناس مختلفة اعناقهم في طلب الدنيا وفيه ايضا يخرج من النار عنق اي
طائفة او رؤساؤهم والعرب يسمي سادات الناس اعناقا * وما يأتيهم

من ذكر * وحي يذكرهم * من الرحمن محدث * تنزيله لتجدد التذكير * الا كانوا عنه
معرضين * الا استمروا على الاعراض * فقد كذبوا * حين اعرضوا * فسيأتيهم
انباء ما كانوا به يستهزؤن * ما اصابهم يوم بدر او يصيبهم يوم القيمة
وافخام الانباء للدلالة على عظم ما ينزل بهم فان الواقعة اذا عظمت
شاعت في الاقطار والبلدان وسارت باخبارها الركبان فان
قلت ذكر مثله في الانعام مصدرا بسوف وههنا بالسين فما وجه ذلك
قلت الوجه والله تعالى اعلم ان كلتا السورتين مكيتان فالظاهر ان آية
الانعام سابقة نزولا لان التراخي في سوف اكثر من السين * اولم يروا
الى الارض * اولم ينظروا الى بدائع ما فيها * كم انبتنا فيها من كل زوج * من
كل صنف والجمع بين كم وكل لافادة الكثرة اجمالا والاستيعاب تفصيلا
فكانه قيل انبتنا فيها افرادا كثيرة من كل صنف صنف * كريم * شريف
مرضي الصفات اما بسيطا او مركبا * ان في ذلك لاية * افراد الآية
مع كثرة الازواج الدال عليها كم وكل لانه اريد الانبات المتعلق بها او
باعتبار واحد * وما كان اكثرهم مؤمنين * مع وضوح الاية لكونهم مخلوقين
للنار * وان ربك لهو العزيز * الغالب على كل شيء فينتقم منهم * الرحيم
حيث ارسل اليهم رسولا بالآيات ولم يعاجلهم بالانتقام بعد التكذيب
والانكار * واذ نادى ربك موسى * بعد ما بين اعراض قومه وتكذيبهم
واستهزاءهم به وبما جاء به اتبعه بقصص الانبياء مع اقوامهم وما جرى
لهم معهم من التكذيب والاستهزاء وكيف صبروا على اذاهم ثم كان
لهم العاقبة وشفاء الصدور وقدم قصة موسى لانه اقرب احوالا
من رسول الله وامته او قرا الامم بعد هذه الامة * ان ائت القوم الظالمين *
فرعون وقومه كانوا مع شركهم قد استعبدوا بني اسرائيل يقتلون ابناءهم
قوم فرعون * بدل من القوم او عطف بيان وفيه دلالة على كون فرعون
علما في الظلم والطغيان لان البدل مقصود بالنسبة ودلالته على المعنى
المراد من الكلام اوفى * الا يتقون * استيناف تعجب به عن تمادي القوم
في الظلم غير ناظرين في عواقب الامور وجعله حالا من ضمير الظالمين يكون
انكار عدم التقوى توبيخا لهم فيفيد انكار الظلم من باب الاولى وان
عدم التقوى هو الذي حرضهم على الظلم حسن الا ان دخول الهمزة على الحال
لا يجوز الا توسعا * قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون * يكذبون بعد اداء الرسالة ويضيق
صدري لما يعتريني من غم عدم الغرض ولا ينطلق بعد ذلك لساني على

على المحاجة والمناظرة معهم مع انهما من ضرورات مدعي الرسالة وكان هذا من
كمال عقله اظهر عجزه واحتياجه الى الموازر والمعين ليكون ذا ما به الى الخصم على نقيضه
وتوفر عدده واسباب فاني متصور منه التعلل بل كان هذا منه بين الطاعة
ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون به قصاصا وليس لي على دفعه قدرة وأتم أخر
خوف القتل وتسط بينه وبين ثالث العلل فارسل الى هارون لئلا يتوهم من ظاهر
كلامه التعلل فان موسى عليه السلام لم يكن في بسطة المقال وسلاطة اللسان
مثل هارون فاستعان به مع انه اخوه الشفيق يعني ان يحصل له شرف
النبوة اذ معنى فارسل اليه اي بالنبوة والرسالة قال كلا فاذهبا باياتنا اجاب
الى ما سأل من ضم اخيه وازال خوفه بقوله كلا اي ارتدع عن ذلك التوهم وعليه
عطف فاذهبا بعد تغليب المخاطب على الغائب انا معكم مستمعون مقارنة
الطرفين والمعية معية الحفظ والكلاءة والنصر وعبر عن السماع بالاستماع الذي
هو الاصغاء والاعتناء بشأن المسموع اشارة الى كمال العناية بهم وهو خبر ثان
او هو الخبر ومعكم غير مستقر فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين خصه
بالذكر بعد قوله ايت القوم الظالمين دلالة على انه قدوتهم والقوم تبع وانما افرد
الرسول مع كون المخبر عنه اثنين لاتحاد المرسل به او لكونهما اخوين متحدين في
الاخوة او على تقدير كل منا او لانه مصدر وصف به كقول الشاعر الا ابلغ
ابا عمرو رسولا باني عن فتاحتكم غني ان ارسل معنا بني اسرائيل الى بلاد الشام
ان مفسرة لتضمن الارسال معنى القول فان قلت كان مرسلا الى القوم
الظالمين ليدعوهم الى الله تعالى وهذا ظاهر في انه انما ارسل لطلب بني اسرائيل
قلت الغرض الاصلي هو دعوتهم وانما بدأ بالاسهل والقول اللين لئلا يشمئز
ويطغى ولذلك ذكر رب العالمين ليدخل فيهم فرعون فيحمله الاستكبار عن
السؤال عنه تجاهلا فيقع المناظرة على وجه الرفق كما سيأتي قال الم نربك
فينا وليدا طفلا سمي به لقرب ولادته ولبثت فينا في منزلنا من عمرك
سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج بعد قتل القبطي ولبث في مدين
عند شعيب عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثين سنة ثم لبث
رسولا بعد غرق فرعون خمسين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يريد قتل
القبطي عظم قتله لانه كان من خواصه قيل كان خباز فرعون واسمه فاتون وانت
من الكافرين بنعمتي لان من كان في نعمة شخص يجب عليه توقيره ورعاية حقوقه او
من الكافرين الذين تدعوهم الى الايمان الآن او من الكافرين برب العالمين
وذلك افتراء منه اذ الانبياء قبل البعثة معصومون من الكبائر وكان غرضه
من هذه المقدمات تبعيده عما هو بصدده بان من يكون متلبسا بهذه الرذائل

كيف

كيف يرشح للمراتب العلية فضلا عن منصب الرسالة قال فعلتها اذا وانا
من الضالين عن طريق الصواب لا لكونه من خواصك بل بالاقدام
قبل الاذن او المخطئين فانه لم يتعمد قتله بل بادر به فادت الوكزة الى القتل
او ما علي فعل اولى بحمل اعتراف منه ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي
ربي حكما فان الانبياء حكام على الناس او حكمة وهي علم الشريعة وجعلني
من المرسلين فبطل ما تشبث به وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني
اسرائيل تلك مبتدأ ونعمة خبره وتمنها وصف وان عبدت عطف بيان
والمعنى تلك الخصلة القبيحة وهي تعبيد بني اسرائيل تعدها نعمة علي باني قد
ربيتك وتجعلني مبينا في مقابلة احسانك واين الاحسان بل انت المبني
اذ لو لم تفعل ما تفعل من قتل الابناء كنت مربى في اهلي وانما افرد الخطاب في
تمنها وجمع في الاولين لان المنة كانت منه وحده والفرار والخوف منه ومن
ملئه وقومه وعلى القراءة ان هذا الكلام اقرار واعتراف من موسى عليه السلام حيث
عبد بني اسرائيل ولم يعبده واراد مكافاة احسانه بارشاده الى طريق الصواب
يقال عبده وعبده اي اتخذه عبدا قال فرعون وما رب العالمين
لما لم يجد تلك المقدمات اخذ في السؤال عن حقيقة من ادعيه تعنتا
لا استرشادا قال رب السموات والارض وما بينهما اشار الى
انه مباين للممكنات لان موجدها يجب ان يكون واجبا خارجا عنها فلا يمكن
تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع تعريفه بنفسه واستحالة الاجزاء لاستلزام
التركيب الامكان ان كنتم موقنين ذوي ايقان محققين للاشياء مطلعين
على احوالها بالادلة قال لمن حوله الا تستمعون يعني الملأ حوله من قوله
لانه سأله عن حقيقته واجاب باللوازم قال ربكم ورب آبائكم الاولين
اذ ربما يتوهم قدم السموات والارضين كما هو مذهب الدهرية وكان فرعون
دهريا لقوله تعالى وظنوا انهم الينا لا يرجعون واما خلقهم وخلق آبائهم فلا مجال
للوهم فيه قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اضافه اليهم لان تسميته
رسولا على وجه التهكم قال رب المشرق والمغرب وما بينهما من الكائنات
موجدها وحافظها ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل فقد اجبتكم جوابا شافيا
لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي قال لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين الداخلين في زمرتهم وقد عرفت حالهم
قيل كان اذا سجن انسانا القاه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق لا يرى
شيئا ولا يسمع صوتا وهذا دليل على انه علم انه محق وخاف ان لو امتحنه
ليصيبه آفة والا فما وجه التوقف اذ لم يكن على فرعون مصيبة اشد من ان يدعي

الى عبادة الغير وهو يقول انا ربكم الاعلى. قال اولو جئتك بشيء مبين: واضح
الدلالة على صدقي والواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل اي تفعل ذلك
ولو جئتك على هذه الحالة. قال فأت به ان كنت من الصادقين: في دعواك
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين: واضح لا يشتبه على احد انه ثعبان وهي الحية
العظيمة. ونزع يده: اخرجها من كمه. فاذا هي بيضاء للناظرين: قيل لما القى عصاه
وصارت ثعبانا قد رميل فاقبلت الى فرعون فاستغاث بموسى فاخذها
فعادت عصا فقال هل من آية غيرها فاخرج له يده فرآها على هيئتها ثم ادخلها
في جيبه فاخرجها بيضاء ولها شعاع يسد الافاق ويكاد يغشي الابصار وفي
ذكر الناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه.
قال للملأ حوله: مستقرين حوله نصب على الحال محلا والعامله نصب بنزع الخافض
ان هذا لساحر عليم: باهر في سحره. يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون
طار رعقله من الرعب فنزل عن دعوى الالوهية الى الاسترشاد والاستفادة
بآراء ملائه لعلهم يرشدونه الى الخلاص مما دهاه. قالوا ارجه واخاه: اخره ولا تناظره
وما فيه من القراءات والوجوه تقدم في الاعراف. وابعث في المدائن
حاشرين. يأتوك بكل سحار عليم: كامل العلم
في فنه. فجمع السحرة لميقات يوم معلوم: لما وقت به من ساعات يوم معين
وهو وقت الضحى من يوم الزينة لقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس
ضحى فان قلت المأمور به كل سحار عليم والسحرة جمع ساحر فقد حشروا ما لم
يؤمروا به قلت الامر كذلك لئلا يقول لهم لم يأتوني بكل سحار. وقيل للناس
هل انتم مجتمعون: القائل فرعون او من هو من قبله وهو للاستبطاء والمراد حثهم
على الاجتماع. لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين: كناية عن عدم اتباع
موسى عليه السلام لان من لوازم اتباعهم لان من يقول انا ربكم الاعلى كيف
يتبع الساحر. فلما جاء السحرة: الموعد للمناظرة. قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين: لموسى في سحره. قال نعم: جزاء للشرط لان قولهم ائن لنا
لاجرا دال عليه. وانكم اذا لمن المقربين: عطف على جزاء الشرط فاذا جواب
وجزاء على جملة زادهم على طلبهم ترغيبا. قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون: اي
ما تختبرا لاجم ملقون وليس الغرض امرهم بالسحر بل التوسل الى الحق. فالقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون: اقسموا بعزته على انهم
غالبون لفرط اعتقادهم لانهم افرغوا جهدهم في الاتيان باقصى ما يمكن من السحر
واليمين بغير الله تعالى وصفاته وافعاله وورد النهي عنه لانه من شعار الجاهلية
فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف: تبتلع وقرأ حفص بالتخفيف. ما يأفكون: اي

ما يزورونه ويخيلون به الناس وحقيقة الافك صرف الشيء عن وجهه وصيغته التي هو
عليها ويجوز ان يكون ما مصدرية تسمية للمأفوك به افكا مبالغة. فالقي
السحرة ساجدين: لتيقنهم انه من عند الله تعالى لانها ابتلعت تلك العصي
والحبال ولم يزد حجمها وانما اوثر القوا على خروا ليذكر بعد الالقاء مشاكلة
مع دلالة الالقاء على انهم من فرط يقينهم لم يتمالكوا فكانهم طرحوا كرها وفاعل
الالقاء هو الله تعالى او هم اي القوا انفسهم. قالوا آمنا برب العالمين: حال
بتقدير قد. رب موسى وهارون: بدل من رب العالمين دفعا لتوهم فرعون
انه المراد برب العالمين. قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم
السحر: وهذا نهاية جهله او من شدة خجله اراد التلبيس على الحاضرين والا فالسحرة
المتفرقون في النواحي متى تمكنوا من رؤية موسى عليه السلام ومجالسته فضلا
عن التعلم والهمزة الثالثة مقلوبة الفا لكل القراء والثانية مخففة لحمزة
والكسائي وابو بكر مسهلة للباقين على اصولهم. فلسوف تعلمون: وخامة ذلك
وعيدهم. لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف: على التعاكس اليمين مع الشمال
او العكس من اليد والرجل. ولاصلبنكم اجمعين: لتكونوا زمانا عبرة للناظرين
قالوا لا ضير: اي لا ضرر علينا في القطع والقتل والصلب. انا الى ربنا منقلبون:
بالموت لا محالة فالقتل اهون اسبابه والشهادة اشرف حالة فما نحن فيه
مرغوب لا مرهوب ولا مهروب فكنوا عن الموت بالانقلاب الى ربهم الكريم
ولا ترى احسن منها كناية. انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين:
من زمرة فرعون او من اهل المشهد فان المسارعة الى الايمان بالرسول بعد
دلالة المعجزة من اقوى وسائل العبد الى الله تعالى والتقدير لان كنا وقرئ ان
بالكسر اما هضما لنفسهم او بالنظر الى العاقبة وعدم الثقة او على طريقة المدل
بحاله والتمكن الذي لا يظن به خلافه كقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي.
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي: وذلك اذ طالت مدة دعوتهم وآراهم
الآيات ولم يؤثر فيهم امره الله تعالى بالخروج ببني اسرائيل وقرأ نافع وابن كثير اسر
بهمزة الوصل من السرى وهما لغتان. انكم متبعون: يتبعكم فرعون وجنوده علة
للامر بالاسراء. فارسل فرعون في المدائن حاشرين: العساكر حين اخبر بخروجهم.
ان هؤلاء لشرذمة قليلون: فالنا هذا الكلام وانما بالغ في تقليلهم بلفظ الشرذمة
وهي الطائفة القليلة ثم وصف الشرذمة بالقلة واتى جمع القلة الدال على القلة ايضا
وكان ستمائة وسبعين الفا نظرا الى ما له من الجنود والكثرة على ما روي ابن عباس
انه خرج بالف الف حصان سوى الاناث من الخيل. وانهم لنا لغائظون: يفعلون
فعلا يوجب غيظنا من خروجهم بغير اذن وتركهم طاعة واخذهم حلي القبط فانهم

استعاروها لعيدهم ثم ذهبوا ولم يردوها: وانا لجميع حاذرون: متاهبون مستعدون
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر في رواية هشام حذرون على الصفة المشبهة
اي خائفون متحذرون والمعنيان يلايمان المقام فاخرجناهم من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم: منازلهم العالية حتى صار مثلا دور الفراعنة: كذلك: نصب
على المصدر اي اخرجناهم مثل ذلك الاخراج او جر على انه وصف مقام او رفع خبر
مبتدا محذوف: واورثناها بني اسرائيل: ملكناهم ملكا لازما لا يرد: فاتبعوهم
مشرقين: ادركوهم داخلين في وقت شروق الشمس يقال اتبعت فلانا اذا
ادركته بعد ما سبقك: فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون: اي لما
راى كل منهما الاخر قالوا هذا الكلام لموسى عليه السلام خوفا: قال كلا: اي ارتدعوا عن
هذا الكلام: ان معي ربي سيهدين: طريق النجاة اذا قابلت قوله هذا بقوله عليه السلام
لا تحزن ان الله معنا ظهر لك الفرق بين مقاميهما فان قلت قد فسرت اتبعوهم
بادركوهم فما معنى ردع موسى عليه السلام عن القول بالادراك بعد وقوعه قلت
المراد بالادراك رؤية بعضهم بعضا وما نفاه موسى عليه السلام ان يلحقوهم بحيث
يصل شرهم اليهم قيل ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام
فقال له البحر امامك وقد غشيك فرعون بجنوده بماذا امرت قال بالبحر
امرت ولعلي اومر بماذا اصنع: فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
بحر القلزم وذلك المكان يسمى سويشا معروف عند اهل مصر لا يختلفون فيه
وتفسيره بنيل مصر فاسد وكيف يتاتى في نهر نيل ما اخبر الله تعالى عنه بقوله
فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم: اي الجبل العالي من طاد الشيء
اذا ذهب الى جانب السماء صعودا وفي حديث عائشة ترثي اباها
تصف ابا بكر ذاك طود منيف والفاء في فانفلق فصيحة والانفلاق
الانشقاق والفرق الجزء من الشيء كالفلق لفظا ومعنى: وازلفنا ثم
ثم الاخرين: فرعون وجنوده حتى سلكوا مسالك بني اسرائيل في البحر او
قربنا بعض آل فرعون بعضا حتى لا ينجو منهم احد روي ان جبريل عليه السلام
كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم
باولكم ويستقبل القبط يقول رويدكم حتى يلحق آخركم واذا اراد الله امرا
هيا اسبابه: وانجينا موسى ومن معه اجمعين: لا يشذ منهم واحد
ثم اغرقنا الاخرين: فرعون وجنوده: ان في ذلك لاية: واية آية: وما
كان اكثرهم مؤمنين: فان القبط الذي كانوا بمصر بعدما سمعوا شان
فرعون لم يزعجهم ذلك ولم يؤمنوا بموسى عليه السلام واما بنو اسرائيل فكما
اخبر الله عنهم وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام

لهم

لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم ارنا الله جهرة واتخاذ العجل
الها: وان ربك لهو العزيز: الغالب على كل شيء المنتقم من اعدائه الرحيم
باوليائه: واتل عليهم نبا ابراهيم: قصته وحديثه مع قومه: اذ قال لابيه
وقومه ما تعبدون: سالهم ليعلمهم ان ما يعبدونه لا يصلح للعبادة كما تقول
للتاجر ما مالك فيقول الرقيق جاني الامال: قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين:
كان حق الجواب اصناما وانما طنبوا افتخارا وابتهاجا فلم يرضوا بتعفير
الجباه للحجارة حتى افتخروا به وانما آثر نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار
اشتهارا لعبادتهم كما يفعله الجهال المرادون او من اطلاق المقيد على المطلق
قال هل يسمعونكم: اي دعاءكم حذف لدلالة: اذ تدعون: عليه: او ينفعونكم
جزاء لعبادتكم: او يضرون: من اعرض عن عبادتها: قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون: اعرضوا عن ظاهر الجواب تحاشيا عن الاعتراف بعدم شيء من صفات
الالوهية فيها: قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون: اخبروني
عن شان ما استمروا على عبادته من تقدم من ابائكم فان تقادم العهد لا
يجعل الباطل حقا: فانهم عدو لي: اي عدو لكم واضاف عداوتها الى نفسه
تصويرا للمسئلة في نفسه مبالغة في اظهار النصح واشار لا يرضى لهم الا ما يرضى
لنفسه ولانه من باب التعريض والتعريض اكثر جدوى من التصريح وادعى
الى القبول حكي ان رجلا واجه الشافعي رحمه الله بمكروه فقال لو كنت
بحالك لاحتجت الى التاديب وراى علي بن سند وكان من المجاورين
بمكة ناسا يتحدثون في الحجر فقال هذا ليس بيني ولا بينكم ومعنى العداوة
ما اشار اليه بقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وافراده لانه
على الجمع كالصديق والظهير: الا رب العالمين: استثناء متصل لانهم كانوا
يشركون ويزعمون انها شفعاء اذ لا يقول احد بانها صانع العالم
الذي خلقني فهو يهدين: الذي عقب خلقي هدايته المتصلة ابتداؤها بهدايته
اذ كان جنينا الى امتصاص دم الحيض وانتهاؤها الى سلوك طريق الجنة والفوز
برضوان الله تعالى ولذلك آثر الاسمية مع كون الخبر مضارعا: والذي هو يطعمني
ويسقين: اي يمكنني من الطعام والشراب بان خلق في الشهوة والقوى
والارادة والعقل الهادي الى ايثار النافع: واذا مرضت فهو يشفين: من
مرضي وفي ايثاره اذا على كلما اشارة الى ان مرض الموت مختوم لا شفاء منه
وغير الاسلوب حيث لم يقل واذا امرضني لانه بصدد تعداد النعم فلم يلائم اسناد
الامراض اليه وقيل لان كثيرا من الامراض انما تحدث من تخليط الانسان
في المطاعم والمشارب قال الشاعر فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام

او الشراب فهو من رواد فيها والوجه هو الاول ۞ والذي يميتني ۞ عده في النعم
لانه وسيلة لقاء الله تعالى ۞ ثم يحيين ۞ يوم القيمة ۞ والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين ۞ قاله تواضعا وهضما لنفسه كقوله ان لي ثلث كذبات
ولم يكذب قط بل كانت معاريض او هي ترك الاولى والافضل فان حسنات
الابرار سيئات المقربين فان قلت لم اتى بضمير الفصل في الافعال الثلثة
الاول ولم يات به في الاخيرين حيث لم يقل يميتني ثم هو يحيين واطمع ان
يغفر لي خطيئتي قلت لان الاسباب الظاهرة لها دخل في تلك الافعال
فدفع بضمير الفصل كون تلك الاسباب اسبابا مؤثرة بخلاف الاحياء
بعد الموت ومغفرة الخطيئة يوم الدين اذ لا يتصور هناك سوى قدرته
وارادته تعالى ۞ رب هب لي حكما ۞ علما احكم به بين الناس ومواعظا شافيا
انتفع بها الناس وفي الحديث الصمت حكم وقليل فاعله ومنه الخلافة في الارض
والحكم في الامصار وقيل يريد العلم والفقه فان اكثر فقهاء الصحابة منهم ۞ والحقني با
بالصالحين ۞ اي وفقني لعمل انتظم معهم او احشرني في زمرتهم ولقد اجابه
الله تعالى فقال فانه في الاخرة لمن الصالحين ۞ واجعل لي لسان صدق في الاخرين
اي ذكرا حسنا وثناء جميلا وقد اجيب الى ذلك لا ترى احدا من اهل
الملل الا وهو ينتسب اليه فان قلت ما نفعه في هذا ولم طلبه وهل هذا الا طلب
الشهرة والانبياء منزهون عن ذلك فضلا عن جلة الانبياء قلت انما
سال ذلك ليقتدى بسيرته الناس الى اخر الدهر فانه اذا اثني
عليه بمحاسن اخلاقه وكريم صفاته كان ذلك باعثا للناس على طلب
اكتساب امثالها وقيل اراد من يدعو الى دينه صادقا في قوله وهو رسول
محمد صلى الله عليه وسلم ۞ واجعلني من ورثة جنة النعيم ۞ داخلا في زمرتهم ۞ واغفر
لابي انه كان من الضالين ۞ طريق الحق دعا له لانه كان وعده ان يستغفر له
بقوله لاستغفرن لك قال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه والقول بان هذا الدعاء ان كان بعد موته فلعل ابراهيم
كان يظن ان اباه مؤمن وانما يخفي ايمانه تقية من نمرود بعيد عن الصواب
دل عليه مناظرته كما تقدم في سورة مريم ولو كان كذلك لحكي كما حكي سائر احواله
ولا تخزني يوم يبعثون ۞ من الخزي وهو الهوان والذل او من الخزاية وهو الخجل
والحياء وقد روى البخاري ان ابراهيم عليه السلام يرى اباه في النار
فيقول يا رب انك وعدتني ان لا تخزني واي خزي اعظم من ان يكون
ابي في النار فيقول الله تعالى يا ابراهيم اني حرمت الجنة على الكفار ثم
اليه فيراه في صورة ضبع قد مسخ فيعرض عنه ۞ يوم لا ينفع مال ولا بنون ۞

الا من

الا من اتى الله بقلب سليم ۞ خالص عن الشرك وسائر الرذائل والمعنى لا ينفعان
الا من قلبه بهذه الصفة او لا ينفعان الا من هذا شانه حيث انفق ماله في
مرضات الله تعالى وارشد بنيه الى طريق الحق وقيل الاستثناء من الكلام بحسب
المعنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من قلبه بهذه الصفة كما ورد في الحديث
انما الغنى غنى القلب او الاستثناء منقطع اي لكن من اتى الله بقلب سليم تنفعه سلامة
قلبه ولا حاجة الى تقدير المضاف قبل من لان وصف القلب بالسلامة يغني عنه
وعن الجنيد شيخ الطائفة ان السليم هو اللديغ بالحب فلا قرار له وعن القشيري
هو السالم عن ذكر غير الله تعالى ۞ وازلفت الجنة للمتقين ۞ في ذلك اليوم وهم بعد في عرصة
القيمة تعجيلا للسرور اليهم ۞ وبرزت الجحيم للغاوين ۞ جعلت مكشوفة لهم يرونها
والتخصيص للغاوين لان المؤمنين لا يرونها لان نفس رؤيتها مما يكدر ويسوء
ولم يصفها بالقرب كما وصف الجنة لان قربها يؤذي اهل المحشر من المؤمنين لما
في الحديث من ان ريحها ونتنها ليسرى مائة عام وقيل اشارة الى غلبة رحمته
وسبق غضبه ۞ وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله ۞ فان هذا وقت نفع العبادة
سؤال توبيخ ۞ هل ينصرونكم ۞ بدفع العذاب عنكم ۞ او ينتصرون ۞ بدفعه عن انفسهم
استفهام انكار تقريع لهم ۞ فكبكبوا فيها هم والغاوون ۞ اي الالهة ومن عبدوها والكب
القاء الشيء على وجهه معكوسا والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا
على تكرير المعنى وتكثيره فانه اذا القي فيها انكب مرة بعد اخرى هكذا الى ان يصل
الى قعرها فان طبقتها السفلى للمشركين ۞ وجنود ابليس اجمعون ۞ من اتبعه من
الانس والجن لقوله لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم ۞ قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفي ضلال مبين ۞ واضح بعبادة غير الله تعالى والضمير في يختصمون
للعبدة اي لما صح الاتباع الرؤساء لقوله واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا او لهم ولمن عبدوه من الاصنام لقوله ۞ اذ نسويكم
برب العالمين ۞ فان الخطاب لها ۞ وما اضلنا الا المجرمون ۞ الكاملون في الاجرام
وهم الرؤساء الذين دعوهم ۞ فما لنا من شافعين ۞ كما للمؤمنين تشفع لهم الانبياء
والملائكة والعلماء والاتقياء والاصدقاء ۞ ولا صديق حميم ۞ رؤف شفوق من
الاهتمام وهو كالاهتمام لفظا ومعنى الا انه ابلغ منه او من الحامة وهي خاصة الانسان
في الحديث انه قال عليه السلام اللهم هؤلاء اهل بيتي وحامتي اذهب عنهم الرجس
وانما جمع الشفيع دون الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الصديق قال الشاعر
صار الصديق وكاف الكيمياء معا ۞ لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا ۞ او لانه يطلق
على الجمع كالواحد مثل العدو والظهير ۞ فلو ان لنا كرة ۞ رجعة الى الدنيا لو في هذا تمني
لان في كل واحد منهما تقدير غير الواقع واقعا فلذلك يصح التجوز ۞ فنكون من المؤمنين ۞

جواب التمني ان في ذلك لاية اي فيما ذكر من مقالة ابراهيم فان العاقل يعتبر بها
ويستبصر وما كان اكثرهم مؤمنين لعدم التدبر وان ربك لهو العزيز الغالب
الرحيم بارسال الرسل كذبت قوم نوح المرسلين القوم من اسما الجموع يطلق على
الرجال خاصة ففيه تغليب وتانيث الفعل باعتبار معنى الجماعة ويقال في تصغيره قويم
بالتذكير والمراد بالرسل نوح كقولهم فلان يركب الخيل او هو وسائر من معه من المؤمنين
او لان من كذب رسولا فقد كذب الجميع لاتحاد دعوتهم واشتراك نبواتهم اذ
قال لهم اخوهم نوح سماه اخا لاتصال نسبه بهم كقول العرب يا اخا بني فلان لواحد منهم
الا تتقون الشرك وعبادة الاوثان اني لكم رسول امين كان مشهورا بينهم بالامانة
فاتقوا الله واطيعون في التوحيد وما اسئلكم عليه على اداء الرسالة
من اجر حتى تتهم ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون
كرره للتوكيد والتقرير في نفوسهم كما هو شان الناصح الشفوق وفي
الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلام اعاده ثلثا ولان علة
الاول كونه امينا والثاني حسم طمعه قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون
اي الفقراء الذين لا مال لهم ولا جاه وهذا كما قال المشركون لرسول الله عليه السلام
يا محمد ما نرى معك الا العبيد والرعاية قال وما علمي بما كانوا يعملون
واي علم لي بما كانوا يعملون لاجله فهم من كلامهم انهم يطعنون في ايمانهم بانهم
امنوا لغرض دنيوي فاجاب بانه انما يطلب الايمان بناء على الظاهر
ان حسابهم الا على ربي فهو المطلع على الضمائر ويجوز ان يكون حمل الرذالة
في قولهم على الرذالة في الدين وان لم يقصدوه اشارة الى ان الرذالة
المعتد بها رذالة الدين لو تشعرون لعلمتم ذلك وما انا بطارد
المؤمنين دفع لما اوهم كلامهم واشار المظهر موضع المضمر ايماء الى ان وصف
الايمان ينافي الطرد ان انا الا نذير مبين ما علي امنتم او لم تؤمنوا او ما
علي ان كان ايمانهم لغرض قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
بالحجارة او الشتم وهذا داب الجاهل المحجوج قال رب ان قومي كذبون
فيما ارسلتني به لم يدع الله لما اصابه من اذاهم بل لتكذيبهم فافتح بيني
وبينهم فتحا احكم بيننا باظهار الحق واذهاب الباطل من الفتاحة وهي
الحكومة لان الحاكم يفتح المشكل في الدين وما يستغلق على الناس و
نجني ومن معي من المؤمنين من اذاهم او من العذاب الذي يرسله عليهم
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون اي المملوء من الناس وسائر الحيوان
التي حملها نوح معه ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين وهم الكفار ان في
ذلك لاية آية اية شاعت وتواترت والقصة اشهر من طوفان نوح وما

وما كان اكثرهم مؤمنين بل اقلهم وهم ثمانون نفسا وان ربك لهو العزيز
الغالب الذي لا يغالب الرحيم بعباده حيث لا يعاجلهم بالعقوبة كذبت
عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم رجل اذ قال لهم اخوهم
هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع اية علامة والريع المكان
المرتفع وعن عمارة هو الجبل اسم جنس واحده ريعة والجمع رياع وهو الطريق
ايضا ومنه قول المسيب بن علس في ريع يلوح كانه سحل تعبثون اي
عابثين بالمارة لا غرض لكم سواه وقيل تبنون ابراج الحمام وقيل كانوا عارفين
بعلم النجوم يهتدون بها في اسفارهم وكانوا يبنون تلك الاعلام الطوال
عبثا وتتخذون مصانع المباني والقصور العالية وقيل مواضع الماء
الحاصل من المطر جمع مصنعة لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا
او حالكم شبه حال من يخلد واذا بطشتم اخذتم بالعنف بطشتم
جبارين قاتلين على الغضب والجبار من يقتل اذا غضب فاتقوا الله و
اطيعون فيما ادعوكم اليه من الايمان وترك القبائح واتقوا الذي امدكم
بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون بالغ في التبليغ انكر عليهم
عدم تقواهم بحسب الفطرة ومقتضى العقل ثم ذكر انه رسول من الله تعالى
صادق امين فامرهم بالتقوى صريحا وبين ان فعله ليس لغرض متعلق بالدنيا
ثم ذكر لهم ما هم فيه من القبائح وامرهم ثانيا بتقوى الله وطاعته ثم امرهم
بالتقوى ثالثا وعلقه بالموصول الدال صلته على ان من يطلب منهم لتقواه
مد لهم نعما متوالية عليهم محيط بها لا يجهلون شيئا منها ثم فصل ذلك المجمل
مبالغة في الوعظ والنصح ثم اشار بقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم الى انهم ان لم يمتثلوا ما امرهم به لحقهم عذاب لا يوصف ولما كانوا
ممن طبع على قلوبهم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
فان وعظك وعدمه عندنا سيان غير الاسلوب في النفي لانه ابلغ في قلة
اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين اي ما هذا الذي جئتنا به من
الاكاذيب والاعادة امثالك من الماضين او ما هذا الذي نحن عليه من
الدين والموت الا عادة السالفين واباتنا الاولين وقرا ابن كثير
وابو عمرو والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام اي ما هذا الذي جئتنا به الا كذب
اختلقه الاولون من اضرابك او ما خلقنا الا كخلق الاولين اخره الموت
ولا بعث وما نحن بمعذبين في الدنيا او في الاخرة فكذبوه فاهلكناهم
بسبب تكذيبهم ان في ذلك لاية واية اية بين كيفية الا انهم في موضع حر

وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال
لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه
على اداء الرسالة من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا
آمنين انكار لبقائهم على ذلك الحال او تذكير للنعمة قبل فوت اوان الشكر عليها
في جنات وعيون وزروع تفصيل بعد الاجمال كما في قصة هود ونخل طلعها
هضيم افرد النخل لمزيد فضله او اراد وصف طلعه وهو ما يطلع منه على مثال نصل
السيف ثم يشق فيخرج منه ثمره وهو الجمار الذي جاء في الحديث ان رسول الله عليه السلام
اتى بجمار والهضيم من الهضم وهو الكسر كأنه منكسر من تراكبه وهو من احسن الفواكه
عند العرب وعن ابن عباس رضي الله عنه هضيم نافع كأنه قيل ونخل هو رطب ثمره
وطاب وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين حاذقين من الفراهة وهي الحذق
او اشرين بطرين وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فرهين على الصفة المشبهة وانه
ابلغ لدلالته على تجدد الاشر والبطر ساعة فساعة فاتقوا الله واطيعون كرره
للتأكيد ولا تطيعوا امر المسرفين اوقع الاطاعة على الامر وهي للآمر لما بينهما من التلبس
او استعيرت الاطاعة للامتثال لما بينهما من الشبه الذين يفسدون في الارض
مستمرون على الافساد ولا يصلحون ولا يوجد منهم صلاح قط كأن المفسدين
يخلطون بالفساد صلاحا قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا
حتى غلب على عقلهم ما انت الا بشر مثلنا اي نزلنا عن كونك مسحورا الى انك
بشر مثلنا الى ان لك رتبة الرسالة فأت بآية ان كنت من الصادقين في
دعواك قال هذه ناقة اختصر القصص لان الغرض تسلية رسول الله
عليه السلام وهو قد احاط بها علما في مواضع اخر فاكتفى بطرفها لها شرب
حظ من الماء كالقيت من القوت والسقي من السقي ولكم شرب يوم
معلوم فلا تتجاوزه ولا تمسوها بسوء فضلا عن العقر والضرب
فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم العذاب الواقع فيه على طريق
المجاز الحكمي حتى كأن شدة العذاب سرت الى الوقت فعقروها
اسند العقر اليهم والعاقر واحد وهو قدار لرضى الكل به روي انه لم يعقرها
حتى دار على المخدرات فرضيت كلهن بذلك فاصبحوا نادمين
على عقرها خوفا من العذاب لا تصديقا لقول صالح والا لنجوا كما نجا قوم
يونس او ندموا بعد فوات الوقت وهو اوان اليأس فاخذهم
العذاب صيحة جبريل ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل انما لم يصب قريشا ما اصاب
تلك الامم ببركة من امن منهم مستدلا بقوله وما كان اكثرهم مؤمنين

وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من بينهم لم يكن آمن من قريش
الا قليل بل انما لم يصبهم ما اصاب اولئك لعدم اتيانه بآياتهم المقترحة
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا
على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين الجار والمجرور حال
من الذكران والمراد بالعالمين الناس لان المأتي الذكر منهم خاصة
فالجمع بالواو والنون على اصله وخروج الملك والجن بقرينة العقل او
متعلق بتأتون فالمراد كل من يتأتى منه الاتيان من سائر الحيوانات
والجمع بالواو والنون للتغليب وخروج غير الانسان بتلك القرينة
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم من اما بيان ما واريد به جنس
الاناث او تبعيض ويراد بما خلق المحل المباح منهم وفيه اشارة الى انهم
كانوا يأتون من نسائهم في غير موضع الحرث بل انتم قوم عادون
متجاوزون الحد في انواع المعاصي وهذه الجريمة من ذلك او انتم احقاء
بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه العظيمة وهذا اوجه لدلالته على ان
هذه الجريمة كل العظائم ولذلك لم يلاحظ متعلق العدوان قالوا لئن لم
تنته يا لوط عن مقالتك لتكونن من المخرجين من بيننا هددوه
بالاخراج لان مفارقة الوطن من اشد العذاب قال اني لعملكم من
القالين من المبغضين اشد البغض فلا ابالي بالخروج من بينكم وهذا
ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه داخل في زمرتهم معدود
من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون من شؤم عملهم فنجيناه واهله
اجمعين حكمنا بنجاتهم الا عجوزا في الغابرين الباقين في العذاب
وهي امرأته مستثناة من الاهل لشموله اياها ثم دمرنا الآخرين
اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا هي الحجارة لقوله وامطرنا عليهم حجارة
من سجيل فان قلت اهلاكهم كان بتقليب القرية عليهم كما تقدم من قوله
فجعلنا عاليها سافلها فما فائدة الامطار عليهم قلت اظهار القهر وشدة
الغضب كما اهلكت عاد بالريح مع الصيحة وعن قتادة امطر الله الحجارة
على شذاذ القوم ولا ينافي الامطار على الحاضرين لقوله وامطرنا عليها حجارة
فان الضمير للقرية فساء مطر المنذرين مطرهم فالمخصوص محذوف واللام
في المنذرين للجنس ليصح وقوع ما اضيف اليه فاعل ساء ان في ذلك
لآية وما كان اكثرهم مؤمنين بل اقلهم وهم الذين مع لوط وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة التي

فيها ام الشجر الملتف وقرا نافع وابن كثير وابن عامر ليكة على وزن ليلة وهما
لغتان كمكة وبكة كذا عن ابن عباس والخليل فمن قال ان ليكة اسم لا يعرف
انما شهد على النفي قال ابو عبيدة رسمت هنا وفي سورة ص ليكة في الامام وفي الحجر
وق الايكة وهم طائفة من اهل مدين ضاقت بهم البلد فخرج منها ارباب الاموال
والمكنة الى ايكة هناك وبنوا بين تلك الاشجار وما قيل ان شعيبا ارسل الى مدين
وهم قومه والى اهل الايكة ولم يكونوا قومه ولذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون
ولم يقل اخوهم فقد وهم كيف وفي الحديث انما كان يبعث النبي الى قومه وبعثت
الى الاحمر والاسود فان قلت فلم لم يذكره باسم الاخ كما في سائر قصص الانبيا قلت
كثر في هذه السورة ذكر الاخ وكانت قصة شعيب اخر القصص فحذف لذلك وليكون
فيه اشارة الى ان القصص قد تمت وقد رمز الى ذلك بحذف التا في كذب اصحاب
وهذا من غوامض اسرار القران واختصاراته اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اذا كلتم للناس
اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوقهم بالتطفيف تصريح بما علم ضمنا ولم يذكر
الزيادة لانها غير واجبة ولا محرمة بل من الجميل فان فعل فيها ولا فلا عيب وزنوا
بالقسطاس المستقيم الميزان السوي من الحسن وهو القبان والقسطاس ان كان
روميا كما قيل فالوزن فعلال والا فمن القسط وهو العدل فالسين زائدة والوزن
فعلاس وليس من التضعيف والا لكان وزنه فعلاع وقرا حمزة والكسائي وحفص
بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصوها من بخست الشي
نقصته وهو عام في كل حق يهضم غصبا وسرقة وغيرها ولا تعثوا في الارض اي
تفسدوا فيها بالقتل والغارة وقطع الطريق مفسدين حال مؤكدة واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين الخليقة الاولين مصدر بمعنى المفعول من جبله الله
خلقه ذكره تؤكيدا لاستحقاقه للتقوى لانه خلق الاولين الذين هم اصولهم واباؤهم
وسميت بهؤلاء الكائنات اولئك قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر
مثلنا ادخل الواو بين الوصفين للدلالة على منافاة كل منهما الرسالة استقلالا
بخلاف قصة ثمود ومع صالح فتكذيب قوم شعيب ابلغ واقوى من اولئك وان
نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت
من الصادقين هذا غاية انكار منهم كما قالت كفار قريش ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقرا حفص كسفا بالتحريك والباقون بالاسكان
وكلاهما جمع كسفة وهي القطعة قال ربي اعلم بما تعملون فيجازيكم على ذلك
الكسف وغيره فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة قيل اخذهم الحر الشديد ومنع عنهم
الهواء البارد حتى قلقوا وخرجوا الى الفضاء فاظلتهم سحابة فوجدوا البرد والروح منها

فامطرت

فامطرت عليهم نارا وكان ذلك اشد لمجي العذاب من مظنة الرحمة كما حل
في قوم هود فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما
استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم انه كان عذاب يوم عظيم وصف اليوم
بالعظم لعظم الواقع فيه على طريقة المجاز ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كرر في اوائل القصص واواخرها ما كرر
لانها تنبيه على ان الصم البكم الذين لا يعقلون فلا جدر التكثير والتكرير بالوعظ
والتذكير ازاحة للاعذار واشاعة للابلاغ والانذار وانه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك خص القلب لانه وعاء العلوم ومدرك
المعقولات والروح الامين جبريل لانه واسطة بين الله والرسول في تبليغ الاحكام
وقرا نافع وابن كثير وحفص نزل مخففا والباقون نزل مشددا مسندا الى ضمير الله
والروح الامين منصوبا لتكون من المنذرين داخلا في زمرتهم بلسان عربي
مبين واضح لئلا يقولوا لولا فصلت اياته ااعجمي وعربي متعلق بنزل وقيل يجوز
تعلقه بالمنذرين بناء على ما قيل ان هودا وصالحا وشعيبا واسمعيل من العرب وهذا
لو فرض صحته معنى ركيك وانه اي القران لفي زبر الاولين اي ذكره او معناه
وقد يستدل به لابي حنيفة ان القران هو المعنى دون النظم ولذلك جوز القراءة
بالفارسية والتحقيق ان المنزل هو النظم المنزل للاعجاز ولذلك صح رجوع الامام الى
قول الجمهور اولم يكن لهم اية ان يعلمه اي القران علماء بني اسرائيل نعته في كتبهم وكان
كفار قريش يسالون اهل الكتاب عن احوال رسول الله والمراد عبد الله بن سلام و
اضرابه ممن امن لان حرف الكلم من بعد مواضعه وقرا ابن عامر تكن مؤنثا ورفع اية
على ان كان تامة واية فاعلها وان يعلمه بدل من الفاعل او خبر مقدر او التقدير ان يعلمه
لان او ناقصة واسمها ضمير القصة واية ان يعلمه اسمية متقدمة لخبر خبرها او لخبر لهم اية وان يعلمه
على الوجوه الثلثة او هو من قبيل قراءة جاعل ثمارد يارد وفيه ضعف والاولى التذكير
والنصب لعدم الاضمار والتقدير ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي القران كما هو بلغة
العجم والعجمة لغة اللكنة ولما كان من يتكلم بغير لسان العرب لا يفقهون كلامه سموه
عجم والاعجمين جمع اعجمي بتخفيف الياء لا اعجم لان افعل فعلاء لا يجمع بالواو والنون
كذا نقل عن الزجاج والحق ان اللفظ منقول فلا مانع فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين
لعدم فهمهم او لفرط عنادهم واستنكافهم كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ادخلناه
اي الكفر والتكذيب دل عليه ما كانوا به مؤمنين او القران عرفوه باعجازه وانكروه
ويؤيده قوله لا يؤمنون به اي القران حتى يروا العذاب الاليم حين لا ينفع الايمان
فان قلت لم اتى في سورة الحجر سلكه بلفظ المضارع قلت لانه فرعه على قوله ما ياتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزؤن الدال على استمرار الامم المكذبة على الاستهزاء والكلام

بهتا في كفار قريش المختوم على قلوبهم فياتيهم بغتة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون
فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا على مقدار طرفة عين لما هم فيه اليوم والفاء
للترتيب الرتبي فان مفاجاة العذاب اشد من رؤيته افبعذابنا يستعجلون
رد لقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم الهمزة للانكار
والفاء لترتبه على الكلام السابق والمعنى ايستعجل بمثل هذا العذاب عاقل
او يقال لهم يوم القيمة توبيخا لهم حكاية لما قالوا والمضارع على هذا بمعنى الماضي
واوثر لاستحضار تلك الصورة او بتقدير كانوا ثم قال افرايت ان متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون مرتبا
على الاستهزاء والاستعجال تعجيبا من حالهم وهذا كما تقول لمن فخر بكثرة الغنا
والاموال تعجب انك نعمت فوق ما تامل اليس بعده الموت والخطاب
عام اشارة الى ان هذه القصة من حقها ان يخبر بها كل احد لتعجب منها
كل سامع وعلى الاول متعلق بقوله هل نحن منظرون وقوله افبعذابنا يستعجلون
معترض للتبكيت وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون من الانبياء والرسل
ذكرى نصب على المصدر بمعنى تذكرة لان ذكر وانذر متقاربان او مفعول له اي
لاجل الموعظة او حال من ضمير منذرون اي ذوي تذكرة او رفع خبر مبتدأ محذوف
بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة لمنذرون اما بتقدير مضاف اي ذوو
ذكرى او جعلوا نفس الذكرى لمبالغتهم في التذكير وامعانهم فيه او متعلق بمقدر
والمعنى ما اهلكنا من قرية الا بعد الزام الحجة ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لمن يفعل
مثل فعلهم وهذا اليق بالمقام لدلالته على وعيد المستهزئين وانهم احقاء بان يجعلوا
عبرة لمن بعدهم وما كنا ظالمين بان نهلك قبل الانذار وهذا على المعارف
اذ لا يتصور الظلم من المالك الموجد تعالى وما تنزلت به الشياطين كما زعم
الكفار انه من القاء الشياطين الى الكهان وما ينبغي لهم ان ينزلوا به وما
يستطيعون وما يقدرون على ذلك انهم عن السمع لمعزولون كانوا يسترقون
السمع الى الملائكة وياخذون منهم الاخبار ويلقونها الى الكهنة فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا ورجموا وهذا ما قالوا انا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فلا تدع مع الله الها آخر فتكون
من المعذبين الخطاب له والمراد غيره فان شان الملوك خطاب الخواص بما لا
يتصور وقوعه منهم مبالغة في زجر العامة او هو من باب الالهاب لازدياد الاخلاص
وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب فالاقرب ليكون تبليغه بعد ذلك في الناس
اجمع ولان عشيرته ربما اعتمدوا على قرابته فقطع دابر شبهتهم روى البخاري عن
ابن عباس انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصفا فجعل ينادي يا بني

فهر يا بني عبد مناف لبطون من قريش وكان الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل
رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال رسول الله ارايتكم لو اخبرتكم
ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك
الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك
سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه
ماله وما كسب واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين خفض
الجناح مثل في التواضع ولين الجانب فان الطائر عند الانحطاط يكسر
جناحه ومن بيانية لان اتبعه اعم من المؤمنين ومن اتبع لغرض آخر او
تبعيضية والمراد بالمؤمنين المشارفون والمصدقون باللسان دون
القلب فان عصوك عشيرتك والمؤمنون فقل اني بري مما تعملون
وتوكل على العزيز الرحيم فوض امرك الى من هو غالب لا يغالب يقهر اعداءك
بنصرك واوليائك وقرا نافع وابن عامر بالفاء عطفا على جزاء الشرط
او على قوله فلا تدع او بدل من جواب الشرط والواو اظهر وعليه الرسم العراقي
والمكي وعلى الفاء المدني والشامي الذي يراك حين تقوم للتهجد وتقلبك
في الساجدين لما نسخ قيام الليل طاف تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر
ما ذا يصنعون حرصا على طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير بين تال ومصل
وذاكر وقيل اراد قيامه وقعوده وسجوده اذا امهم في الصلوة روي ان قتادة
سال ابا حنيفة رحمه الله تعالى هل تجد في القرآن ذكر الصلوة جماعة فقال لم يحضرني
فقرا عليه قتادة هذه الآية وقيل اراد انتقال نوره في اصلاب الانبياء و
بطون الامهات الطاهرة وعلى الوجوه علة لاستحقاقه قهر اعدائه ونصر اوليائه
انه هو السميع لاقوالك العليم بنيتك واخلاصك هل انبئكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل افاك اثيم كثير الكذب والعصيان كالكهنة و
المتنبئة مثل شق وسطيح وطليحة ومسيلمة ومحمد نبي معصوم لا مناسبة بينه
وبين الشياطين يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي يلقي الشياطين الى
الملائكة كما ورد ويخطف كلمة فيقرها في اذن وليه كما تقر الدجاجة فيخلط وليه
فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون المسموع الى اوليائهم او الضمير لكل افاك
اي يستمعون الى الشياطين فيتلقون وحيهم او يلقون ما سمعوه منهم الى الناس
والضمير في اكثرهم ان كان للشياطين فيفيد الاكثرية لا لاخراج من يصدق في
الكلمة المخطوفة وان كان للافاكين فلانه لا يلزم ان يكونوا كاذبين في كل ما يتكلم
به فالاكثرية باعتبار اقوالهم وقيل اراد بالاكثر الكل ومحل يلقون اما نصب
على الحال او جر صفة افاك او استيناف كانه قيل لم تنزل الشياطين

على كل افاك فقيل يفعلون كيت وكيت * والشعراء يتبعهم الغاوون * وما
يتبعهم الا الضالون واتباع محمد علماء متقون فكيف يكون شاعرا كما زعموه
الم تر انهم في كل واد يهيمون * في كل نوع من الكلام مدحا وذما او تشبيبا او غزلا
يلفقون مخيلات باطلة واكاذيب صريحة فذكر الوادي والهيام تمثيل * وانهم
يقولون ما لا يفعلون * سمع سليمان بن عبد الملك قول الفرزدق شعرا فبتن
بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام * قال يا فرزدق وجب عليك الحد
فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عني بقوله انهم يقولون ما لا يفعلون * الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا * استثناء للشعراء المؤمنين كحسان
وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الانصاري وكعب بن زهير المهاجري
وفي وصفهم بذكر الله كثيرا اشارة الى انهم وان وقع منهم في اشعارهم شيء من
التعلق على ما هو دأب الشعراء فغير مؤاخذ به لكونه مغمورا بذكر الله تعالى * وانتصروا
من بعد ما ظلموا * كما فعل شعراء الصحابة حين هجا كفار قريش رسول الله
فقابلوهم بالهجاء ومدح رسول الله بما هو اهله روى البخاري ومسلم والترمذي عن
عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يؤيد حسان بروح
القدس ما نافح عن رسوله * وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون * وعيد
شديد لما في التشنيع وهو شديد واطلق الظلم ليتناول كل ظالم ويدخل فيه
من كذب بالقرآن واعرض عنه وهو الذي صدر به السورة فانتظم الفاتحة
مع الخاتمة وفي ابهام اي منقلب من التهويل ما لا يخفى وما اوصى الصديق من حياته
استكتب عثمان بن عفان كتاب العهد هذا ما عهد ابن ابي قحافة الى المؤمنين في
الحال التي يؤمن فيها الكافر اني استخلف عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذاك ظني به
وان لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تمت تفسير السورة والحمد لله رب العالمين

سورة النمل مكية وهي ثلث او اربع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

طس * اسم السورة او حروف مقطوعة عددت اعجازا وامال الفها حمزة
والكسائي وابو بكر * تلك آيات القرآن وكتاب مبين * تلك اشارة الى آي السورة
والكتاب المبين اما اللوح وابانته كونه مبينا للناظرين ما خط فيه واما السورة
او القرآن وابانتهما اظهار ما اودع فيهما من الحكم والاحكام او كون اعجازهما
مكشوفا وفيه احتمالات آخر ذكرت في اول الحجر والعطف ان اريد به القرآن
باعتبار الصفات والتنكير للتفخيم وتقديم القرآن هنا وتأخيره في سورة الحجر قد اشتهر
الى وجه الى نهاك * هدى وبشرى للمؤمنين * حالان من الآيات اي هادية
ومبشرة والعامل معنى الاشارة او رفعا على خبره محذوف او البدلية او الخبر
بعد الخبر * الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة * اي الذين يعملون الصالحات

كلها اكتفاء بانهما الاعمال البدنية والمالية * وهم بالآخرة هم يوقنون * اعتراض فيه تاكيد
ما وصفوا به لان الايقان بالآخرة يستلزم الخوف المستلزم لتحمل مشاق التكليف و
لذلك كرر فيها الضمير كانه قيل بالآخرة يوقنون لا غيرها وهم المؤمنون لا غيرهم او جملة
من تتمة الصلة وتغيير النظم للدلالة على كمال يقينهم والواو عاطفة لا حالية
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم * اتبع ما للمؤمنين من البشرى بما
للكفار من سوء العذاب وتزيينها جعلها مشتهاة لهم وقوله زين لهم الشيطان اعمالهم
مجاز باعتبار الوسوسة * فهم يعمهون * حائرون بعد ذلك لا يدركون ما فيها
من الضر والنفع * اولئك الذين لهم سوء العذاب * في الدنيا بالقتل والاسر وضرب
الجزية * وهم في الآخرة هم الاخسرون * لانهم خسروا جوار الله تعالى ودار النعيم وقرنوا
مع الشياطين في النار * وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم * لتعطاه
من تلقيت الشيء اخذته وذكر العليم بعد الحكيم تعميم بعد التخصيص اشارة الى اشتمال
القرآن على البراهين والخطابات والتنكير للتعظيم كانه قيل اي حكيم واي عليم
اذ قال موسى لاهله امكثوا * نصب باذكر او متعلق بعليم كانه قال ما علمه اذ
قال موسى فعل وما يتوهم من تقييد العلم بالوقت مندفع لانه مفهوم اللقب
وانما جمع الضمير في امكثوا باعتبار لفظ الاهل اذ لم يكن مع موسى سوى امرأته
اني آنست نارا * ابصرتها * سآتيكم منها بخبر * من حال الطريق واشار
السين لان النار بالليل وان ترى قريبة ربما كانت بعيدة * او آتيكم بشهاب
بشعلة من النار * قبس * مقبوسة يقال اقتبست العلم وقبست النار وقرأ
الكوفيون بالتنوين بدلا او صفة * لعلكم تصطلون * تستدفئون بها فانها كانت
ليلة شاتية من صليت النار مشوية ولا تدافع بين قوله سآتيكم هنا ولعلي آتيكم
في طه لان الراجي اذا قوي رجاؤه يقول سافعل ذلك باعتبار الوقتين
واختار او على الواو بناء على انه ان لم يظفر بكلتا البغيتين فلم يعدم احديهما
ولم يخطر بقلبه انه فائز بما دونه كل الاماني من رتبة الرسالة * فلما جاءها *
اي المكان القريب منها * نودي ان بورك من في النار * اي في البقعة التي
فيها النار وهم موسى والملائكة الحاضرون * ومن حولها * ومن سكن حولها في
الارض المقدسة تتناول كل من يسكن بالشام وفي الحديث الشام كنز الله
في ارضه وبها كنزه من عباده وقيل من في النار الملائكة فانها كانت في نفس
النار ومن حولها موسى والاول هو الوجه لان تصدير الكلام به عند مجيء موسى
بشارة بانه قد قضي امر عظيم ينتشر بركته * وسبحان الله رب العالمين *
من تمام النداء تنزيها له تعالى عن التشبيه المترجح من ايجاد الصوت والحروف
تعجبا منه بعيد لان قوله * والق عصاك * من كلام الله تعالى معطوفا على بورك

وايضا لو كان من كلامه لكان الظاهر ترك الواو وقد اظهر حرف التفسير في القصص
في قوله وان الق عصاك وحذفه هنا وكل منهما شايع تقول كتبت اليك ان حج وان
اعتمر وان شئت قلت ان حج واعتمر يا موسى انه اي الشان انا الله العزيز الغالب
الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة تمهيد لما يريه من قلب العصا واليد البيضاء فلما رآها
تهتز اي العصا وصارت حية فلما راها تتحرك يقال هزه حركه فاهتز كانها
جان حية سريعة ولى مدبرا اعرض هاربا ولم يعقب ولم يرجع بعد الهرب كناية
عن غاية الخوف يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما خاف لظنه ان قلب
العصا حية لامر اريد به اذا كان ذلك اول الامر ولم يدر انه نبي ولذلك قال يا
يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون لانهم مكرمون مقربون وانت منهم
الا من ظلم نفسه منهم بترك الافضل او بارتكاب خلاف الاولى او بترك الامور
سهوا فانه خائف ثم بدل حسنا بعد سوء تدارك ما فرط منه بالانابة كما قال
يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وكما قال موسى عليه السلام رب ظلمت فاغفر لي
وفيه تعريض لطيف بموسى عليه السلام حيث قتل القبطي من غير اذن من الله تعالى وان كان
كافرا حربيا فاني غفور اتجاوز عما فرط منه رحيم انفضل عليه بعد التوبة وادخل
يدك في جيبك قيل كان عليه مدرعة صوف لا كم لها او اريد بالجيب القميص
لانه من لوازمه تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات كلام مستانف
اي اذهب الى فرعون وقومه في تسع آيات كقول الشاعر فقلت الى الطعام فقال
منهم فريق نحسد الانس الطعاما وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمسة والجدب واليد والعصا او متعلق بالمذكور اي الق عصاك وادخل
يدك في تسع آيات اي في عدادها وجملتها واما نتق الجبل وفلق البحر فليسا
من الآيات التي بعث بها الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اي بجعلهم بصراء او وصفت
بوصفهم لانهم تسبب منها بنظرهم وتاملهم على طريقة المجاز الحكمي او جعلت كانها
تبصر فتهدي لان الاعمى لا يهتدي فضلا عن الهداية على طريقة الاستعارة
المكنية قالوا هذا سحر مبين ظاهر لاشتباهه فيه وجحدوا بها الجحد هو
الانكار مع العلم ضمن معنى التكذيب فعدي بالباء واستيقنتها انفسهم
الواو للحال وقد مضمرة اي جحدوا باللسان موقنين بالقلب والاستيقان
ابلغ من الايقان ظلما وعلوا حالان من فاعل جحدوا او منصوبان على العلة
والعلو الترفع وقرئ غلوا بالمعجمة وهو التجاوز فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين تامل يا محمد عاقبتهم وهي الاغراق في الدنيا ويوم القيمة يردون الى
اشد العذاب والاتيان بالظاهر لبيان العلة ولقد آتينا داود و

علما طائفة من العلم وهي علم الشرائع والاحكام او علما غزيرا وانما اورد
قصة داود وسليمان عقيب قصة موسى عليه السلام لان موسى ابتلي فصبر
وهما اعطيا فشكرا اشارة الى حسن الاقتداء بهما في السراء والضراء
وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين لم يعطف بالفاء
كما تقول اعطيته فشكر لانه عطف على مقدر كانه قيل فعلا بذلك العلم
قلبا وجوارحا وقالا الحمد لله اشارة الى ان شكر اللسان انما يحسن اذا كان
مسبوقا بعمل القلب وسائر الجوارح ففيه استيعاب لانواع الشكر على
احسن وجه وهذا احسن مما قيل فوض الترتيب الى العقل لان المقام
يستدعي قرينة الشكر وانما قيدا بالكثير لان قليلا فضل عليهم وهم خواص
الانبياء من اولي العزم وفي الآية دلالة على فضل العلم واهله وان ملك الدنيا
باسره على اكمل وجه كما كان لداود وسليمان دونه وان من اوتي علما ينبغي
ان يتواضع ويعلم انه وان فضل على بعض فقد فضل عليه البعض وورث سليمان
داود ورث العلم والنبوة والملك ومعنى الوراثة فيها قيامه مقام داود
في تملك الصفات وعن الحسن ورث المال لان النبوة عطية مبتداة وان
صح عنه ذلك فلعله لم يبلغه الحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة
وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير تنادي الناس اظهارا لنعمة الله تعالى
ودعا لهم على التصديق بالمعجزة التي هي فهم كلام الطير والمنطق هو الكلام المركب
من الاصوات مفردا كان او مركبا قال الشاعر فلما اتقينا ما نطقت ولا حرفا
وفهم كلام الطيور مثل فهمنا كلام الناس الا انا نفهم ذلك بالفاظ موضوعة
والانبياء يفهمون من غير سبق وضع العلم بل باعلام الله تعالى كما وقع لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من كلام الضب والظبي والبعير وتسليم الحجر روي ان سليمان مر على
قرابطا وبلبل يصيح فقال سليمان هل تدرون ما يقول قالوا الله ورسوله اعلم
قال يقول كما تدين تدان وسمع صياح هدهد فقال يقول استغفروا الله تعالى
يا مذنبون واوتينا من كل شيء كناية عن الكثرة والاشارة واوتينا باعتبار ملكه
وملك داود او على طريقة الملوك ان هذا لهو الفضل المبين الواضح اذ كل من
العلم والنبوة والملك فضل ظاهر فكيف المجموع وحشر لسليمان جنوده من الجن
والانس والطير الحشر الجمع من كل اوب وتقديم الجن لانهم اعتى والعدد التسخير
فهم يوزعون يحبسون اي يحبس سابق الجيش حتى يلحق التوالي وفيه دلالة على انهم
مع كثرتهم كانوا مسوسين مضبوطا احوالهم لئلا يتاذى احد منهم وبهم روي
ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة موزعا على الانواع خمسة وعشرون للجن وخمسة
وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطيور وخمسة وعشرون للوحوش وكان له الف

بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية وكان له بساط من
الذهب والحرير نسجته الجن فرسخ في فرسخ وكان له منبر من الذهب يوضع في وسط
البساط يقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من الذهب والفضة يقعد على كراسي
الذهب الانبياء وعلى كراسي الفضة العلماء وكان يامر فيحمل سريره الريح العاصف
ويسيره الرخاء وكان لا يتكلم احد بشي الا القت الريح ذلك الى سامعه حتى اذا
اتوا على واد النمل اي شارفوا الى ان دخلوا ذلك الوادي وهو واد بالشام كثير النمل
وتعديته باتيان بعلى اما لان دخولهم كان من جانب الاعلى واما لانهم قطعوا الوادي من
قولهم اتى على الشي اذا بلغ نهايته قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم قيل كانت
نملة عرجاء اسمها طاخية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال وما نقل عن قتادة انه
دخل الكوفة فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة اذ ذاك شابا حدثا فقال
سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة رحمه الله
كانت انثى فقيل له من اين لك قال من القرآن في قالت ولو كانت ذكرا لم يلحق
التاء ففيه ان التاء لا تدل على تانيث المسمى بل هي تاء الوحدة تقع على القبيلين
يقال حمامة ذكر وحمامة انثى ولو استدل له بالضمير من قولها لكان اسلم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده لا يكسرنكم واصل الحطم الازدحام ومنه حطيم الكعبة وهو ما بين الباب
والركن لازدحام الناس فيه ولا يحطمنكم اما جواب الامر فدخول النون لكونه نهيا
في المعنى واما بدل من الامر لانه في المعنى نهي لان قوله ادخلوا مساكنكم في معنى لا
تكونوا حيث انتم وهم لا يشعرون علمت ان نبي الله واتباعه لا يفعلون ظلما
وقيل فهم سليمان قولها وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها فتعجبا من اهتدائها
الى التحذير والتحذر مع صغر جثتها او سرورا بما اتاه الله تعالى من الملك الجسيم والعدل
العظيم من حيث ان الحيوان العجم لعلم ذلك وضاحكا نصب على الحال اي شارعا
في الضحك وهذا ضحك الانبياء وما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى
بدت نواجذه كناية عن التبسم الكامل لدلالة سائر الاحاديث عليه وقال رب
اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ادرج ذكر والديه اما لان
النعمة على الولد نعمة على الوالدين لا سيما الدينية فانه اذا كان برا تقيا نفعهما بدعائه
وشفاعته ودعاء المؤمنين لهما اذا ارادوه خيرا بل الاجداد والاسلاف
يقولون رحم الله اجدادك واسلافك واما لان النعمة على الوالدين نعمة على الولد
كما تقدم في قصة بني اسرائيل في اوائل البقرة وان اعمل صالحا ترضاه بقية عمري
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ادخلني الجنة في عدادهم ذكر رحمته اشارة
الى ان دخول الجنة بفضل رحمة الله كما ورد في الحديث وتفقد الطير التفقد
طلب الشي بعد غيبته فقال ما لي لا ارى الهدهد نظر الى مكانه فلم يره فتعجب ام

ام كان من الغائبين ام منقطعة اضرب عن تعجبه واخذ يقول اهو غائب
كانه يريد تحقيق ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا بعد ما تبين له انه غائب
والعذاب الشديد الجمع مع غير جنسه في قفص وقيل نتفه والقاؤه في الشمس
وقيل نتفه والقاؤه بين النمل تاكله وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل
امره بخدمة اقرانه او لاذبحنه سياسة لئلا يجترئ على فعل مثله اخر من
جنسه او لياتيني بسلطان مبين بحجة واضحة دالة على عذره والمحلوف عليه
هو احد الاولين والثالث في معنى الاستثناء وقرا ابن كثير لياتينني بنونين
نون التاكيد والوقاية والاول احسن استغناء بالمؤكدة وعليه رسم المصاحف
سوى المكي فمكث غير بعيد زمانا قليلا دل على سرعة عوده وقرا عاصم فمكث
بفتح الكاف والضم اشهر وقصة الهدهد ان سليمان عليه السلام لما زار البيت
الحرام سار على طريقة الملوك غدوة الى جنوب اليمن وكانت الريح يحمل
سريره وكانت كما اخبر الله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر فراى سليمان
ارضا حسنا مخضرة الجهات فنزل وطلب الماء وكان الهدهد يعرف منابط
الماء بخاصية خصه الله تعالى بها يرى الماء تحت الارض كما يراه احدنا في الزجاجة
فتفقد الهدهد فلم يوجد وكان حين نزل سليمان راى الهدهد واحدا من ابناء
جنسه ذكر له ملك بلقيس وما اوتيت من الاسباب قيل كان تحت يدها
اثنى عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف فذهب معه لينظر صدق مقالته
ولما تفقد سليمان الطيور ولم ير الهدهد قال عريف الطيور عنه وهو النسر
فلم يعلم خبره فقال لملك الطيور وهو العقاب علي به فحيث كان فارتفع
العقاب الى الجو فرآه مقبلا فانقض عليه فقال الهدهد ناشدتك الله
الذي اقدرك علي واعطاك هذه القوة الا رحمتني فقال ويلك يا هدهد
ان سليمان عليك غضبان وقد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قال
بلى فلما قرب من سليمان ارخى جناحه تواضعا فلما دنى منه اخذ براسه
ومده فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه
فقال احطت بما لم تحط به خبرا الاحاطة ادراك الشي من الجهات
كلها بحيث لا يبقى منه خافية الهم الله تعالى الهدهد هذا الكلام فكافح به سليمان
اتعاظا له لئلا يظن ان ليس احد اعلم منه وجئتك من سبا وقرا ابو عمرو
وابن كثير في رواية البزي بفتح الهمزة غير منون على انه اسم القبيلة وفي رواية
قنبل باسكان الهمزة حملا للوصل على الوقف كما في يتسنه وعوجا وقرا
الباقون بكسر الهمزة منونا على انه اسم الحي وهو لقب لعبد شمس بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان قيل سمي بذلك لانه اول من سبا وفي الحديث

سأل رجل رسول الله عليه السلام عن سبأ اهو رجل ام جبل ام واد فقال بل رجل
ولد عشرة الاسد وحمير وكندة وانمار والاشعاريون وخثعم ولخم وجذام وغسان
وعاملة وما في الآية اريد به الناحية التي كانت مساكنهم او القبيلة بنبأ يقين
اي بخبر مشتمل على العلم الذي لا شك فيه كرجل صدق بالاضافة وبنبأ مع سبأ
من التجانس الملحق اني وجدت امرأة تملكهم اي سبأ او اهلها وهي بلقيس
بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان الملك في ابائها اربعين جدا ولم يكن
لابيها ولد ذكر فورثت الملك وفي الحديث لن يفلح قوم تولى عليهم امرأة واوتيت
من كل شيء من اسباب الملك ولها عرش عظيم العرش سرير الملك قيل
قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وكان من الذهب والفضة
مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر وزمرد وعليه سبعة
بيوت وعلى كل بيت باب مغلق وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
كانوا عبدة الشمس وزين لهم الشيطان اعمالهم من السجود لغير الله وغيره من
القبائح فصدهم عن السبيل عن طريق الحق فهم لا يهتدون الى الصواب بعد
ذلك الصد ألا يسجدوا لله بدل من اعمالهم اي زين لهم عدم السجود او عن السبيل
ولا صلة اي فصدهم عن ان يسجدوا او مفعول يهتدون ولا مزيدة او مفعول له اي
فصدهم لئلا يسجدوا او رفع خبر مبتدأ مقدر اي الاعمال ان لا يسجدوا او السبيل
ان يسجدوا وقرأ الكسائي ألا يسجدوا بالتخفيف حرف التنبيه والمنادى محذوف
اي ألا يا قوم وعلى هذا يتم الوقف على يهتدون قيل على هذا هو ابتداء كلام من الله
تعالى او من سليمان وقيل هو من تمام كلام الهدهد والتشديد اوجه لسلامته من
الحذف وعليه صحيح الرسم ويفهم وجوب السجود على الوجهين اما من الامر والذم
على الترك الذي يخرج الخبء في السموات والارض الخبء مصدر بمعنى المفعول
وهو النبات من الارض والمطر من السماء وغيرهما من الاشياء المستورة
في غامض علمه ويعلم ما تخفون وما تعلنون وقرأ حفص والكسائي بالخطاب
فيهما اما الكسائي فقد جرى على النسق الاول لان المنادى مخاطب واما حفص فعلى
الالتفات تهديدا الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي يستحقر دونه عرش
بلقيس كلام مستأنف للدلالة على استحقاق العبادة دون غيره لتفرده بالالوهية
قال سننظر سنعلم لان النظر من اسباب العلم او سنتأمل ونفتش اصدقت
ام كنت من الكاذبين اي ام كذبت والعدول الى المنزل للمبالغة لانه اذا كان
منخرطا في سلك الكاذبين يكون كاذبا لا محالة اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم
اليها ومن تحت حكمها وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة باسكان الهاء ثم تول عنهم
الى مكان قريب ليكونوا بمسمع منك فانظر ماذا يرجعون يرجع بعضهم الى بعض

القول اي يدفعه عند التشاور او هو من الرجعان اي ما يستقر عليه آراؤهم
قالت يا ايها الملأ اي بعد ما ذهب والقى اليهم الكتاب اني القي الي كتاب
كريم وصفوا بالكرم لانه كان من ملك دانت له الانس والجن والوحوش او لشرف
معناه وحسنه او لانه مصدر ببسم الله تعالى او لانه مع وجازته كان وافيا بالمقصود
او لكونه مختوما وفي الحديث كرم الكتاب ختمه ومن ابن المقفع من كتب الى اخيه
كتابا ولم يختمه فقد استخف به انه من سليمان مستأنف جوابا كانه قيل
ممن هذا الكتاب الكريم ثم بين مضمونه بقولها وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان
لا تعلوا علي واتوني مسلمين واذا كان قولها انه من سليمان بيان عنوان الكتاب
سقط سؤال تقديم اسمه على اسم الله تعالى قيل القت الكتاب اليها من الكوة وهي نائمة
مغلقة عليها الابواب وقيل التي اليها وهي على العرش جالسة وحولها الملوك
والقادة والجنود فان قلت الدعاء الى الله تعالى من الانبياء انما يكون بعد اظهار المعجزة
فكيف استقام هذا من سليمان عليه السلام قلت الدعاء الى الاسلام لا يتوقف
على اظهار المعجزة وانما يجب الاظهار اذا طولب به مع ان مجيء الطير بالكتاب
على الوجه المذكور من ابهر المعجزات قالت يا ايها الملأ افتوني في امري في شأني
والمتوجه من جواب الكتاب الفتوى والفتيا جواب الواقعة من الفتاء وهو
حداثة السن او من الفتوة وهو الارتفاع لان المتلبس يترافعون له الى الفقيه
ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون كما هو دأب الملوك لا يعزمون على شيء
الا بعد المشاورة مع ذوي الآراء وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة ملك كل ملك
تحت يده عشرة آلاف جنود قالوا نحن اولو قوة بالاجساد والآلات والعدد
واولو بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك بعد هذا فانظري ماذا تأمرين بما ذا
تأمرين فانا منقادون لك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها بالقتل
والاسر وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وقتل اولادهم وتخريب بلادهم
وكذلك يفعلون اي ذلك دابهم المستمر كانت تعلم ذلك من المشاهدة و
والسماع لانها كانت ملكة بنت الملوك او ابتداء كلام من الله تعالى بين كلامها
تصديقا لها واني مرسلة اليهم بهدية شيئة تليق بالملوك فناظرة بم يرجع
المرسلون من اختياره واحواله فابنى على ذلك من الحرب والصلح ما كان ارفق
فلما جاء سليمان قيل ارسلت برسم الهدية خمسمائة غلام في زي الجواري وخمسمائة
جارية في زي الغلام وحقة فيها درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت من
اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا الرأي وقالت ان كان نبيا يفرق بين الجواري
والغلمان ويثقب الدرة ثقبا مستويا ويسلك الخيط في الجزعة فاخبره جبريل عليه السلام
فامر الجن فضربوا اللبن من الذهب والفضة وفرشوها ميدانا طوله سبعة فراسخ

وامر السياس فربطوا الدواب حول الميدان على فرش الذهب والفضة
وامر باولاد الجن فاقيم باليمين واليسار منهم خلق كثير واصطفت الانس
والشياطين فراسخ وجلس على الكرسي ثم استعرض الرسل فوقفوا بين يديه
بالهدية فامر باحضار الماء وامر الغلمان والجواري بان يغسلوا وجوههم فكانت
الجارية تاخذ الماء في احدى يديها وتعقبه في الاخرى ثم تضرب وجهها والغلام
كما ياخذ الماء يضرب به وجهه ثم طلب الحق وقال ان فيه كذا وكذا ثم استخرج
الدرة وامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجر
وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط بفيها ونفذت في الجزعة ثم نظر في
وجه الرسل بوجه طليق. فال اتمدونني بمال. منكرا عليهم ذلك وقرا حمزة
بنون واحدة مدغما وهو خفف والرسم على الاصل. فما آتاني الله من الدين
الذي هو الحظ الاوفر والنبوة والملك الذي لا مزيد عليه. خير مما آتاكم من
بعض الحطام. بل انتم بهديتكم تفرحون. اي بما يهدى اليكم من اضافة المصدر
الى المفعول او الى الفاعل والمعنى انتم تفرحون بهذه الهدية مفتخرين بها
على الملوك او تفرحون بها اذا رددت اليكم لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من
الحياة الدنيا. ارجع اليهم. خطاب للمنذر بن عمرو رئيس الرسل وقيل للهدهد
محملا كتابا آخر. فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها. لا طاقة لهم قبل بمعنى المقابلة
وفي الحديث ان الله تعالى خلق آدم قبلا اي مقابلة. ولنخرجنهم منها اذلة
كما قالت وجعلوا اعزة اهلها اذلة. وهم صاغرون. والحال انهم مستمرون
على الذل في الاسر متمنون ان يكونوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا. قال يا ايها
الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين. اراد ان يريهم ما خصه الله
تعالى به من المعجزات الظاهرة والعجائب الباهرة وما قيل انه اراد ان ياخذ
العرش قبل اسلامها فانها اذا اسلمت لا يحل اخذها ففيه ان الغنائم مخصوصة
برسول الله وامته. قال عفريت من الجن. خبيث مارد من العفر وهو التراب
لانه يعفر اقرانه والياء فيه للالحاق بقنديل. انا آتيك به قبل ان تقوم من
مقامك. اي مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار. واني عليه
لقوي. على حمله. امين. لا اخون في شيء منه فانه كان مكللا بالجواهر. وقال الذي
عنده علم من الكتاب. هو سليمان نفسه وآثره في النظم على سليمان اشارة
الى ان بلوغه تلك الرتبة انما هو بشرف العلم. انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك. الطرف تحريك الجفن وهو مقدمة النظر كما انه مقدمة
الترؤية والخطاب للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك وقيل القائل
جبريل او آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام او كاتبه او رجل كان

عنده

عنده الاسم الاعظم او هو الخضر. فلما رآه مستقرا عنده. قائما على هيئته
بين يديه. قال هذا من فضل ربي. تلقيا للنعمة بالشكر. ليبلوني. ليعاملني
معاملة المختبر. ءاشكر ام اكفر. بدل من الياء وقد انسلخ عنه الاستفهام
ومن شكر فانما يشكر لنفسه. اذ به يرتبط العقد ويستجلب المزيد
ولذلك قيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة. ومن كفر
فان ربي غني كريم. اي غني عن شكره كريم لا يعاجله بالعقوبة ولا يقطع عنه
بره وافضاله. قال نكروا لها عرشها. غيروه عن هيئته بان تجعلوا اسفله
اعلاه ومقدمه مؤخره. ننظر. جواب الامر. اتهتدي ام تكون من الذين
لا يهتدون. الى معرفته او الى الجواب الصواب وانما غير الاسلوب بعدم
المقاولة لان معرفة الشيء بعد تغيير هيئاته غير عسير على ذوي الفطانة وكانت
قد ذكرت لسليمان بسخافة العقل او الى الايمان اذا رات العرش وقد تقدمها
وكانت قد غلقت عليه الابواب ووكلت به الحرس. فلما جاءت قيل
اهكذا عرشك. والقائل سليمان عليه السلام او احد الحاضرين ولم يقل
اهذا عرشك بل اتى بكاف التشبيه اختبارا لعقلها. قالت كانه هو.
ولم تجزم به لاحتمال ان يوجد الله مثله فدل ذلك على كمال عقلها. واوتينا
العلم من قبلها وكنا مسلمين. عطف على مقدر كانه لما اصابت في الجواب
اثنوا عليها وقالوا معترفين بما انعم الله تعالى عليهم من العلم والايمان قبل
ايمانها وبما فضلوا به على مثلها او من كلامها كانها قالت قبل هذه الواقعة
قد صح عندنا نبوة سليمان وقدرة الله تعالى على كل شيء. وصدها ما كانت
تعبد من دون الله. عن التقدم الى الاسلام ابتداء كلام منه تعالى او صدها
الله تعالى او سليمان عما كانت تعبد من دون الله على نزع الخافض. انها
كانت من قوم كافرين. استئناف جار مجرى التعليل على الوجهين
قيل لها ادخلي الصرح. الصرح القصر المرتفع من الصراحة وهو الظهور
وربما عرصة الدار فالعرصة بالتاء. فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن
ساقيها. روي ان سليمان عليه السلام امر الجن قبل قدومها ببناء قصر من الزجاج
واجرى تحته الماء والقى فيه دواب البحر اما لما قيل له انها شعراء الساقين وفي
عقلها شيء فاختبر عقلها بتنكير العرش وساقيها باتخاذ الصرح على الوجه المذكور
واراد ان يريها عظم ملكه وامرا اغرب لم تره في ملكها وتحقيرا بان تلبس عليها
كما لبست هي عليه في الجواري والغلمان فاهتدى هو ولم تهتد هي فيظهر له
التفضل من كل وجه وقرا ابن كثير في رواية قنبل الساقين بالهمز على انها
لغة كالواو او حملا للمفرد على الجمع وهو سؤق او على نظيره وهو الكاس

قال انه صرح ممرد من قوارير كان جالسا على السرير في صدر القصر فلما نظر
الى ساقيها ولم يكن بهما باس اخبرها بالواقع الممرد الاملس قالت رب اني
ظلمت نفسي بعبادة غيرك او بظني بسليمان فانها لما ظنت الزجاج لجة
تخيلت انه اراد قتلها بالغرق وقيل انها كانت من جنية مكن الجن
ان يتزوجها لئلا يطلع سليمان على اسرار الجن واسلمت مع سليمان لله رب
العالمين آثرت لفظ الجلالة الدالة على الالوهية الموجبة لعبادته و
لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه فاذا هم فريقان
يختصمون ففاجؤا الاختصام والتفرق منهم من آمن به ومنهم من كفر كما
هو شان الرسل في اول البعثة او المؤمن صالح والكافر قومه والوجه الاول
لقولهم اطيرنا بك وبمن معك والخصام التنازع قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة قبل الحسنة اي بالعذاب قبل الايمان حيث قالوا يا صالح ائتنا
بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقيل كانوا يقولون ان وقع ما يعدنا
به صالح آمنا فخاطبهم على وفق اعتقادهم ثم قال لولا تستغفرون الله قبل
نزول العذاب لعلكم ترحمون اذ حين وقوع العذاب لا ينفع الايمان
والتوبة قالوا اطيرنا بك وبمن معك تشاءمنا بكم لوقوع الشدائد
منذ اخترعتم هذا الدين ماخوذ من زجر الطير وهو البارح الذي يمر من اليمين
الى الشمال قال طائركم عند الله اي تعذر من عنده ليس لاحد فيه تاثير بل انتم
قوم تفتنون باعتقاب السراء والضراء او بوسوسة الشيطان اليكم التطير
وكان في المدينة تسعة رهط الرهط من الثلثة الى العشرة والنفر من الثلثة
الى التسعة وافراده وان كان تمييز تسعة جمعا لاشتماله على معناه يفسدون
في الارض ولا يصلحون اي كانوا مقصورين على الافساد البحت لا يخلطون
به شيئا من الاصلاح قالوا تقاسموا بالله اي تقسم بعضكم لبعض على انه امر ويحتمل
الحال بتقدير قد على انه ماض لنبيتنه اي لنهلكنه واهله بالليل مباغتة
انتهازا للفرصة وعن الاسكندر انه قيل له بيات العدو فقال ليس من آيين
الملوك استراق الظفر ثم لنقولن لوليه قرا حمزة والكسائي بتاء الخطاب
في الفعلين على ارادة قول بعضهم لبعض والنون اوفق بقوله ما شهدنا مهلك اهله
اي فضلا على عدم حضورنا ذلك فضلا عن المباشرة قرا السبعة الا عاصما بضم
الميم على انه مصدر اهلك او اسم مكان منه وفتح الميم مع اللام عاصم في رواية
شعبة على انه مصدر هلك او اسم مكان منه وكسر اللام في رواية حفص على المصدر
او اسم مكان على غير القياس كالمرجع وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون في
الحلف لانا لم نشاهد هلاك اهله وحدهم وناهيك بقبح الكذب ان الكفار

مع

مع كفرهم احتالوا في الاجتناب عنه ويجوز ان يكون داخلا في المقسم عليه فلا يحتاج
الى التكلف ومكروا مكرا هو ما دبروه ومكرنا مكرا من باب المشاكلة وهم
لا يشعرون ان ما دبروه وباله عائد اليهم وذلك انهم دخلوا دار صالح عليه السلام
بالليل وكانت داره ممتلئة بالملائكة فقتلوهم عن آخرهم وقيل خرجوا بالنهار يظهرون
السفر وعادوا بالليل فتسوروا جدران داره فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلتهم
وقيل كان لصالح عليه السلام مسجد في الشعب يصلي فيه بالليل فلما دخلوا الشعب قالوا نحن
قتله ليعودوا بعد قتله الى اهله فارسل الله عليهم صخرة فطبقت عليهم فلم يدر احد اين
ذهبوا ولم يدروا ما فعل بقومهم فعذب الله تعالى كلا في مكانهم فانظر كيف كان
عاقبة مكرهم يا محمد او يا من يتاتى منه النظر انا دمرناهم وقومهم اجمعين استيناف
لبيان عاقبتهم وكان ان جعلت تامة اوناقصة كيف خبرها وقرا الكوفيون انا بفتح الهمزة
على ان كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حال اوناقصة وكيف خبرها او حال والخبر انا
او بدل من الفاعل اي كان تدميرنا او خبر مبتدأ مقدر فتلك بيوتهم خاوية
نصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة اي خالية من خوى البطن او ساقطة
من خوى النجم خيا اذا سقطت ولم يمطر في نوئها بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في
ذلك لآية لقوم يعلمون حقايق الاشياء فانهم المتعظون وانجينا الذين آمنوا
وكانوا يتقون احدثوا الايمان واستمروا على ذلك ولوطا اي اذكر لوطا
او ارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على
الثاني اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون اي يبصر بعضكم بعضا لقوله وتاتون
في ناديكم المنكر ولا شك ان الجهر بالمعصية اشد فحشا روي ان بعض اكابر الاشراف
كان له ابن يجاهر بالخمر فقال يا بني الم تسمع قول الحكيم اذا ابتليت فاستتر فقال
في جوابه يا ابتاه اي عبادة حتى يكون في الخلوات وقد الم به ابو نواس حيث قال
فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر او انتم عالمون
من بصر القلب فان قبح الذنب من العالم اشد ائنكم لتاتون الرجال شهوة
بيان لاتيانهم بالفاحشة وتعليله بالشهوة اشارة الى انه من فعل البهائم لان
الحكمة في المواقعة طلب النسل وقضاء الوطر داع اليه ومقصود بالعرض من
دون النساء بل انتم قوم تجهلون مستمرون على فعل القبيح كمن يجهل قبحه او
يجهلون العاقبة واثار الخطاب والموصوف هو القوم ليكافحهم بالجهل
فانه اشد توبيخا فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا ويستقذرونها وعن
ابن عباس انما قالوا ذلك هزوا كما قال قوم شعيب انك لانت
الحليم الرشيد فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين اي

الباقين في العذاب ۞ وامطرنا عليهم مطراً فسآء مطر المنذرين ۞ مطرهم ۞ قل
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ۞ لما قص عليه ما انعم على اخوته من
الرسل من الاصطفاء بالرسالة واهلاك اعدائهم امره بان يحمده على تلك
النعمة شكراً له تعالى اشارة الى انه ما وصل اليهم وصل اليه فان المؤمنين
كنفس واحدة فكيف بالانبياء وبان يسلم عليهم لحسن اصطبارهم على
شدائد اذى الجهال وقيامهم باعباء التبليغ وجعل ذلك تمهيداً للتخلص
الى قصته مع المشركين ايماء الى ان العاقبة له فقوية لحاشه في اقامة
البراهين على وحدانيته تعالى بقوله ۞ آلله خير اما يشركون ۞ شان
الكلام بهذا المساق تبكيت لهم والزام وتنبيهاً على الخطاء المفرط والجهل
المورط والا فكيف يتبس لكون الكائنات بالجمادات ۞ امن خلق
السموات والارض ۞ تفصيل لذلك الخير وام منقطعة وذكر السموات
والارض تمهيد لقوله ۞ وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات
بهجة ۞ الحدائق جمع حديقة وهي البستان الذي له حائط من الاحداق
وهو الاحاطة وافراد الذات على ارادة الجماعة كقولك النساء
ذهبت والبهجة الحسن من بهج بالضم ويجوز ان يكون من بهج بالكسر
بمعنى السرور لان صاحبها يسر بالنظر اليها وانما التفت الى التكلم في
الانبات اشارة الى انه فعله الخاص الذي لا يمكن اسناده الى غيره
ولذلك اكده بقوله ۞ ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ۞ فضلا عما فيها من المنافع
واصناف الفواكه المختلفة لوناً وطعماً وشكلاً ورائحة ولما اثبت الاستحقاق
به على الوجه الابلغ قال ۞ أإله مع الله بل هم قوم يعدلون ۞ منكراً ان يكون له
شريك وجعل القائل بالشرك عادلا عن نهج الصواب او عادلاً به من لا يستحق
امن جعل الارض قراراً ۞ مكاناً يستقر فيه الحيوان بدل من امن خلق السموات
ترق الى ما هو اعظم من انبات الحدائق بل لولاه لا يتم الانبات ۞ وجعل خلالها
انهاراً ۞ جارية ۞ وجعل لها رواسي ۞ جبالاً ثابتة كالاوتاد تسكنها من الاضطراب
مع ما فيها من سائر المنافع ۞ وجعل بين البحرين حاجزاً ۞ بين العذب والملح
أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون ۞ فلذلك يشركون به ۞ امن يجيب المضطر
اذا دعاه ۞ خص به اجابتهم عند الاضطرار ويكشف السوء ۞ والمضار ترق
عما تقدم لكونه لصيقاً بهم دون واسطة ۞ ويجعلكم خلفاء الارض ۞ تنتفعون بها
على اي وجه شئتم مباشرة وامراً ونهياً وهذا اتم واجل موقعاً ولذلك قال
أإله مع الله قليلاً ما تذكرون ۞ فجعل الفاصلة التذكر الذي لا يحتاج الا الى التفات
النفس ۞ امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ۞ اذا سافرتم فيها بالنجوم في السماء

وعلامات

وعلامات في الارض ۞ ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ۞ وهذا من
متممات امر الخلافة لاشتماله على اجابة المضطر وكشف السوء وجلب المنافع
الكثيرة وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير الريح بالتوحيد والكوفيون وابن عامر
نشراً بسكون الشين وفتح نونه حمزة والكسائي وعاصم بالباء مكان النون
ونافع وابن كثير بضم النون والشين ۞ أإله مع الله ۞ يقدر على شيء من ذلك
ولا في ذلك من تاثير القدرة القاهرة مع الجلاد ۞ تعالى الله عما يشركون امن
يبدأ الخلق ثم يعيده ۞ اضرب عن ذلك الاسلوب الى ذكر نعمتي الايجاد و
والاعادة اللتين كل نعمة دونهما وهما مبدأ كل نعمة في الدارين والكفرة وان
كان بعضهم منكراً للاعادة الا انه لظهور الادلة بحيث لا يعتد بانكاره فهو
محجوج ۞ ومن يرزقكم من السماء والارض ۞ اجمال لما تقدم كقولك القصة ۞ أإله
مع الله ۞ يفعل ذلك ۞ قل هاتوا برهانكم ۞ على شيء يخالف ما ذكرنا ۞ ان كنتم
صادقين ۞ في اشراككم تسجيل عليهم بالكذب وان ما يقولون مختلق وهو
النفس ۞ قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ۞ اشار الى انه
كما تفرد بالقدرة التامة كذلك متفرد بالعلم الشامل والاستثناء منقطع ورفعه
على اللغة التميمية لظهور انه تعالى منزه عن المكان والتحيز وايثار الرفع للدلالة
على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض من يعلم الغيب مبالغة في
نفي علم الغيب عنهم ويجوز الاتصال بضرب من التاويل اي من تعلق علمه
بها واطلع عليها فانه عام فيه تعالى ۞ وما يشعرون ايان يبعثون ۞ اي وقت بعثهم
الذي هو اهم الامور عندهم تأكيد لنفي علم الغيب عنهم وايان بمعنى اي فقال
من ان تبين والضمير لمن ۞ بل ادارك علمهم في الآخرة ۞ افتعال من الدرك
وهو الوصول واللحوق وهي قراءة نافع وابن عامر والكوفيين والمعنى
ان ما تتابع علمهم به واستحكم بمعنى استحكام اسبابه وظهور دلائله القطعية
كائنة لا محالة وهم عن ذلك معرضون لا علم لهم فاين هم من علم الغيب
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ادرك على وزن اكرم اي انتهى وتكامل والمعنيان
متقاربان ويجوز ان يكون الكلام على سبيل التهكم لانهم اذا لم يعلموا ما ثبت
تلويح فهم عن علم الغيب بمراحل وما روي عن الحسن ان معنى ادرك
علمهم اضمحل تناسب التهكم لان ماله النفي عليهم ۞ بل هم في شك منها ۞ اي
يتحيرون لا يجزمون بشيء ۞ بل هم منها عمون ۞ لا يدركون شيئاً من دلائلها
والاضرابات الثلث لبيان احوالهم وصفهم اولا بعدم الشعور بوقت
البعث ثم ترقى الى انهم لا يقرون بالآخرة رأساً ثم الى انهم خابطون
في شانها خبط عشواء ثم الى ما هو اسوء حالا وهو عمى البصر وقيل باعتبار الفرق

وهذا مختص بالمشركين واسناده الى من في السموات والارض لوقوعه بينهم كما يقال
بنو فلان فعلوا كذا. وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون
آثر الظاهر موضع المضمر اشارة الى منشأ ذلك العمى الاخير ولذلك كانت هذه
الآية كالبيان للاولى والعامل في اذا معنى الاخراج الذي دل عليه مخرجون لا هو
لان الاستفهام وان واللام كل منها مانع من العمل فكيف بها مجتمعة. لقد وعدنا
هذا نحن وآباؤنا من قبل اي قبل محمد المشار اليه البعث قدم هذا على نحن هنا
وأخره في سورة المؤمنين لان ما قبله هناك أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما فيه
دلالة على بقاء بعض الاجزاء على صورتها واما هنا فلا دلالة على ذلك وقد ضموا
الى انفسهم آباءهم ولا شك ان هذا ابعد عندهم فاستلزم زيادة الاعتناء
فصار اهم بالتقديم. ان هذا الا اساطير الاولين اكاذيبهم التي لا حقيقة لها
كالاسمار. قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اي المكذبين
والتعبير بالاجرام ليكون لطفا بالمسلمين في ترك الجرائم. ولا تحزن عليهم لعدم
اتباعهم اياك. ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرا ابن كثير بالكسر وهما
لغتان. مما يمكرون لاجل مكرهم فان الله عاصمك. ويقولون متى هذا الوعد اي
العذاب الموعود استعجالا منهم. ان كنتم صادقين في قولكم ان لم تؤمنوا تعذب
قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي تبعكم كل شيء تبع آخر فهو ردفه
ومن ثمة سمي الليل والنهار ردفين واردف لغة منه قال الشاعر اذا الجوزاء اردفت
الثريا. وعسى ولعل وسوف في كلام الملوك تدل على الوقوع قطعا والمراد ما وقع
عليهم يوم بدر من القتل والاسر. وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير العذاب
ولكن اكثرهم لا يشكرون نعمة الامهال ويستعجلون العذاب. وان ربك ليعلم
ما تكن صدورهم وما يعلنون من المكائد وانواع المكر تسلية لرسوله وتقوية
لجاشه بعد ان قدم قوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون. وما من غائبة في السماء
والارض الا في كتاب مبين برهان على احاطته بما تكن صدورهم لانه من
جزئيات ذلك الغائب والتاء للمبالغة كما في الراوية او للنقل من الوصفية
الى الاسمية كما في الذبيحة والنطيحة والوجه هو الاول والكتاب المبين اللوح
او علم الله. ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
لما كان القرآن اعظم معجزاته وكان الاعجاز فيه من وجوه اشار الى الوجه الذي
هو عرق في الاعجاز وهو الاخبار عن احوال الكتب السماوية فان المنزل عليه
امي لم يزاول دراسة الكتب وما اختلفوا فيه احوال الجنة والنار وامر عيسى
وعزير قيد بالاكثر لان بعضه باطل في بادي الراي فلا حاجة الى ابطاله وانه
لهدى ورحمة للمؤمنين لانهم المنتفعون به. ان ربك يقضي بينهم بين من آمن

وآخره
ظننت بآل فاطمة الظنونا

ومن كفر

ومن كفر بحكمه اي بعدله او بحكمته. وهو العزيز الغالب فلا يرد قضاؤه. العليم
بالامور كما هي. فتوكل على الله بعدما تبين انك رسول بالكتاب الذي ابهر معجز
انك على الحق المبين علة للتوكل فان صاحب الحق مؤيد. انك لا تسمع الموتى
كلام مستانف تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه قد بلغ الرسالة فلا عليه بعد
ذلك فانهم مختوم على قلوبهم شبه بحال الميت حيث لا يسمعون سماع تدبر وقيل
تعليل ثان للامر بالتوكل كانه قيل اتباعهم اياك امر قد ايس منه فلم يبق الا الاستنصار
عليهم والاستكفاء شرهم فان قلت روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقف على قليب بدر ونادى القتلى باسمائهم وقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني
قد وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له عمر تنادي اجسادا لا ارواح لها فقال لستم
باسمع منهم ولكن لا يقدرون على الجواب فكيف التوفيق بينه وبين الآية قلت الكلام
هنا على المتعارف تسلية لرسول الله عليه السلام الا يرى انه قد شرع السلام على المقابر واذا
كان له احساس بالعذاب فما المانع من السماع. ولا تسمع الصم الدعاء قرا ابن كثير
يسمع بياء الغيبة مضارع سمع ورفع الصم والباقون بالخطاب من اسمع مسندا
الى النبي عليه السلام وهو اوفق بالمقام واقوى معنى. اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم في
تلك الحالة ابعد وفيه اشارة الى غاية بعدهم من الايمان. وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
لان اهتداء الاعمى مستحيل وقرا حمزة تهدي العمي بالفعل المضارع ونصب العمي. ان تسمع
الا من يؤمن باياتنا فانه يسمع سماع تدبر وينظر نظر اعتبار. فهم مسلمون مخلصون
ظاهرا وباطنا. واذا وقع القول عليهم استوفى دلائل التوحيد والمبدا والمعاد و
نبوة المخبر الصادق اخذ في بيان احوال القيمة وآيات الساعة والقول هو الوعد
بقيام الساعة ومعنى وقوعه ثبوت معناه ووجوبه. اخرجنا لهم دابة من الارض
اي دابة عظيمة المنظر والشان وقد ذكر في وصفها اشياء والذي صح في الحديث انها دابة
طولها ستون ذراعا ذات قوائم اربع فيها الوان الحيوانات ينصدع جبل الصفا فتخرج
منه والناس سائرون الى منى وفي رواية تخرج من ارض الطائف معها عصا موسى
وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب بالعصا في وجه المؤمن
تكتب فيه مؤمن وتطبع وجه الكافر بخاتم سليمان عليه السلام تكتب كافر. تكلمهم
يا فلان ويا فلان بلسان عربي وقيل ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون
كلامها عند خروجها تحكي كلام الله تعالى الدال على وقوع آيات الساعة التي
هي منها وهو كلامها حكاه الله تعالى بتقدير حذف المضاف اي بآيات ربنا
او لكونها من خواص خلقه اضافت الآيات الى نفسها كما يفعله خواص
الملوك من اضافة ما للملوك الى انفسهم وقرا الكوفيون بالكسر استئنافا
جاريا مجرى العلة. ويوم نحشر من كل امة فوجا جماعة ممن يكذب

بآياتنا بيان للفوج ومن الاولى للتبعيض فهم يوزعون يحبسون ليلحق بهم اواخرهم
والمعنى ان الله يحشر من كل امة رؤساءها بين يديهم الى شفير جهنم حتى اذا جاءوا
ليكبكبوا كلهم فيها وعن ابن عباس رضي الله عنه ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة
ابن ربيعة يساقون بين يدي مشركي مكة حتى اذا جاءوا الى المحشر قال
أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي كذبتم بآياتي مفاجاة من غير
تدبر فيها ليظهر لكم انها جديرة بالتكذيب ام التصديق او عاطفة اي أجمعتم بين
التكذيب وعدم النظر والتامل فيها فان من ورد عليه كتاب من صاحبه
وان لم يصدق بانه كتابه لا يقصر عن الاحاطة بما فيه فالمنكر في الوجه الاول
التكذيب بادي الرأي وفي الثاني التكذيب وعدم القاء الذهن اماذا كنتم تعملون
اخطا هو ام صدق ثم عدل الى المنزل دلالة على انتفاء الشق الثاني فانه لا يجيء بالتكذيب
كانه قيل اهو ما عهد من التكذيب ام حدث امر آخر ولذلك ادخل ام على اداة الاستفهام
الدالة على الشك والتردد وضعا ووقع القول عليهم بما ظلموا اي العذاب بسبب ظلمهم
فهم لا ينطقون لشغلهم بالعذاب وهذا حين وقوع العذاب فلا ينافي محاجتهم قبله
لقوله انظر كيف كذبوا على انفسهم بعد قولهم والله ربنا ما كنا مشركين الم يروا انا
جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والاستراحة والنهار مبصرا مجاز حكمي لان الابصار
لمن في النهار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فهم الايمان والاستدلال بآثار
الصانع الدالة على وجوده ووجوبه وتوحده وذلك ان من قدر على ترتيب الليل والنهار
وابدال النور من الظلمة وبالعكس على هذا النظام والنمط قادر على ابدال الموت بالحيوة
مع ان النوم نوع من الموت والشمس روح العالم فاتى دلالة اوضح من هذه الدلالة
ويوم ينفخ في الصور هو القرن الذي بيد اسرافيل او تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث
الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الارض عبر بالماضي
لتحقق وقوعه لكونه كلام من لا خلف في قوله الا من شاء الله بان يثبت
قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الحور والخزنة وحملة العرش
وقيل الشهداء فانهم احياء عند ربهم وقيل موسى ولا يستقيم الا اذا كانت نفخة
الفزع نفخة الصعق على ان النفخات ثلث دل عليه حديث لطم اليهودي
وهي نفخة الفزع فانهم يموتون من شدة الخوف ونفخة البعث هذا ما ذكروه و
والظاهر من لفظ يصعقون ويوم القيمة ولفظ نفيق انه ليس بموت وكل اتوه
اي الموقف بعد النفخة الثانية او اتوه بالانقياد والرجوع اليه وقرا حمزة وحفص
اتوه على صيغة الفعل واسم الفاعل وهو المختار لكون الاصل في الخبر الافراد مع
قوة المعنى داخرين صاغرين اذلاء وفي الحديث لم ير الشيطان ادخر
يوم عرفة لما يرى من كثير عفو الله تعالى عن عباده الا ما كان من يوم بدر وترى

الجبال

الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السير سيرا
حثيثا فان الاجرام الثقال اذا تحركت في سمت لا تكاد تتبين حركتها واليه
اشار النابغة في وصف جيش كثيف وبارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف
لحاج والركاب تهملج صنع الله مصدر مؤكد لقوله تمر مر السحاب وقيل
مصدر مؤكد لناصب يوم ينفخ تقديره ويوم ينفخ في الصور اثاب الله
المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله اي الاثابة والعقاب وهذا انما
يستقيم باعتبار امتداد ذلك اليوم الذي اتقن كل شيء احكمه انه خبير
بما تفعلون مستانف كانه قيل ما ذا يكون بعد تلك الاهوال فقيل انه خبير بظواهر
افعالكم فيجازيكم على قدرها وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام عن ابن عامر يفعلون
بالياء الغيبة جريا على سنن اتوه والخطاب احسن للقرب وترى الجبال
ثم فصل ذلك المجمل بقوله من جاء بالحسنة فله خير منها اذ اقل ما يقابلها
عشر امثالها الى سبعمائة الى ما شاء الله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون اي
من الخلود في النار على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الحسنة هي كلمة الشهادة
او الهول العظيم لقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقرا الكوفيون فزع منونا وهو احسن
للتهويل بالابهام وقرا نافع والكسائي بفتح الميم في يومئذ لكونه مبنيا لاضافته
الى المبني ومن جاء بالسيئة اي بالشرك فكبت وجوههم في النار القوا
فيها منكوسين ليكون اول ما يصل الى النار اشرف اعضائهم التي استكبروا
ان يعفروها بالسجود لله تعالى وفي الكب معنى اللزوم والازدحام ولذلك
سميت الجماعة كبة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات او بتقدير
القول وفائدته الاعلام بان الله ليس بظلام انما امرت ان اعبد رب هذه
البلدة الذي حرمها امره بهذا الكلام اشارة الى انه قد اتم الدعوة عليه فلم يبق
له شان الا الاستغراق في العبودية التي هي اشرف صفات العبيد وفي
وصف البلد بالتحريم اشعار بانهم اولى بتعظيم قدره فانهم سكانه وبه يفتخرون
على سائر الناس واسم الاشارة القريب للتعظيم وانما وصف ذاته تعالى
دون البلدة لان اجراء الوصف عليه تعالى يدل على عظم الوصف وعظم ما تعلق
به الوصف ولا كذلك لو وصفت البلدة وله كل شيء خلقا وملكا لا البلدة
وحدها وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لامره المخلصين له
الدين وان اتلو القرآن وان اداوم على تلاوته لتظهر لي اسرار كنوزه
وهو من التلو اي تبعه لقوله واتبع ما يوحى اليك فمن اهتدى بعد البيان
اتباعي فانما يهتدي لنفسه فان نفعه لا يتجاوزه ومن ضل فقل انما انا
من المنذرين لا غير فلا علي من وبال ضلاله شيء وقل الحمد لله على ما خصني

به من رتبة الرسالة ووفقك لادائها: سيريكم آياته: القاهرة من القتل والاسر
تهديد لهم: فتعرفونها: انها آياته لكونها من الخوارق التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو كقوله
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وعلى هذا لا تهديد: وما ربك بغافل عما تعملون
وعد لمن آمن وشكر ووعيد لمن تولى وكفر وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالخطاب جريا
على الخطاب في سيريكم تم تفسير السورة سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون
آيات بسم الله الرحمن الرحيم طسم: اسم السورة او حروف مقطعة
للاتعاظ: تلك آيات الكتاب المبين: اي آيات السورة آيات الكتاب الواضح
اعجازه: نتلو عليك: بلسان جبريل: من نبأ موسى وفرعون: بعض نبأهما
بالحق: ملتبسا به محقين: لقوم يؤمنون: ليقوى بذلك جاشهم او يعلموا ان
العاقبة لهم: ان فرعون علا في الارض: استيناف كانه قيل كيف نبأهما والارض
ارض مصر لم يتجاوز حكمه منها: وجعل اهلها شيعا: فرقا يشيعونه فيما يريد ويطيعونه
او جعلهم اصنافا في خدمته يعين لكل طائفة نوعا او جعلهم احزابا بان اغرى
بعضهم على بعض في التي بينهم العداوة لئلا يتفقوا عليه: يستضعف طائفة منهم
هم بنو اسرائيل حال من فاعل جعل او صفة شيعا او كلام مستانف: يذبح ابناءهم
ويستحيي نساءهم: بدل من يستضعف: انه كان من المفسدين: ولذلك كان
يقتل بلا فائدة لان الكاهن الذي اخبره انه يولد منهم مولود ويكون ذهاب
ملكه على يديه ان كان صادقا فاي فائدة في قتل الاطفال وان كان كاذبا
فما الاولى: ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض: ارض مصر عطف على
قوله ان فرعون علا في الارض داخل تحت النبأ به ولا يجوز عطفه على نتلو له
لاستلزامه خروجه عنه وهو منه بل اعظمه واهمه وكذا عطفه على يستضعف سواء
جعل حالا من ضمير جعل او صفة لشيعا او كلاما مستانفا وقيل حال من ضمير يستضعف
بناء على ان ارادة الله تعالى يجوز تعلقها بتكوين شيء مترقب الوجود وفيه ان المضارع
المثبت لا يقع حالا مع الواو وتقدير المبتدا تكلف: ونجعلهم ائمة: يقتدى بهم
في الدين وعن قتادة ولاة لقوله وجعلكم ملوكا: ونجعلهم الوارثين: ملك فرعون وقومه
ونمكن لهم في الارض: ارض مصر والشام مكنت للشيء جعلت له مكانا ثم استعير
في التسليط والاطلاق في التصرف: ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا
يحذرون: من زوال ملكهم على مولود من بني اسرائيل وقرا حمزة والكسائي ويرى بفتح
الياء والف ممالة مضارع راى ورفع الاسماء الثلثة على انها فاعله والنون اشد
تهويلا او وقع لافعال السابقة واللاحقة: واوحينا الى ام موسى: بالهام او رؤيا
وعن الامام الزاهدي يجوز ان يكون بارسال ملك كما ارسل جبريل الى مريم وكلمها
شفاها: ان ارضعيه: ما امكنك: فاذا خفت عليه فالقيه في اليم: في نيل مصر

ولا تخافي

ولا تخافي: عليه ضيعة والخوف الشديد اولا خوف القتل: ولا تحزني: لفراقه والخوف
غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لكائن او فائت: انا رادوه اليك
تسلية لها: وجاعلوه من المرسلين: بشارة بما يملأها غبطة وسرورا روي انها
لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل وكانت مصافية لها
فلما وضعته رأت القابلة نورا ساطعا بين عينيه واحبته حبا شديدا وقد تقدم في
قوله والقيت عليك محبة مني اذ لم يره احد الا احبه فقالت لام موسى كنت احب
الا اخبر فرعون بولادته ولكن دخل في قلبي حبه فاحفظيه به لئلا يراه عيون فرعون
وسعاته فاخفت شانه وارضعته ثلثة اشهر فلما الح فرعون في طلب المواليد اوحي
الله اليها فجعلته في تابوت والقته في اليم: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا: لم يلتقطوه الا ليكون لهم قرة عين لكن لما لم يترتب على الالتقاط الا ذلك
شبه بما يكون مقصودا وغرضا من الفعل فاستعير له اللام كما يستعار الاسد لمن
يشبه الحيوان المعروف في الجراءة وقرا حمزة والكسائي حزنا بضم الحاء واسكان الزاء
وهما لغتان والفتح لغة الحجازية الشائعة: ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
مستمرين على خلاف الصواب فليس ببدع منهم ان ربوا من يكون زوال ملكهم
على يديه بعد ان قتلوا الوفا من خوفه او كانوا مجرمين احقاء بذلك: وقالت
امراة فرعون قرة عين لي ولك: اراد قتله قالت له ذلك وجزمت به لانها
رات منه مخايل النجابة وقيل كانت لفرعون بنت برصاء فعجزت الا
طباء عن علاجها وقالوا شفاؤها من ريق حيوان في البحر يشبه الانسان
فلما اخرجوه من البحر لطخوها بريقه فبرئت عن الفور: لا تقتلوه الخطاب
لفرعون وجمع للتعظيم او للموكلين بقتل الولدان: عسى ان ينفعنا: لما راوا
فيه من دلائل اليمن امارات النجابة ساطع البرهان: او نتخذه ولدا: نتبناه
فانه يصلح لان يكون من اولاد الملوك: وهم لا يشعرون: حال من آل فرعون
اي التقطوه وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في ذلك وقوله ان فرعون اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه يؤكد خطاهم: واصبح فؤاد ام موسى فارغا
خاليا من العقل لما سمعت بوقوعه في يد فرعون وفيه دليل على ان القلوب
مراكز العقول: ان كادت لتبدي به: اي بامر موسى من فرط الوله والضجرة
لولا ان ربطنا على قلبها: بالهام الصبر القلب وسط الفؤاد وانما ذكر اولا
ان فراغه يستلزم فراغ القلب ولم يكتف به في الربط مبالغة في سلب
القلق والاضطراب عنها او اصبح فؤادها فارغا من الحزن حين سمعت
بان فرعون عطف عليه وتبناه وكادت تظهر شانه فرحا وسرورا لولا ان الله
سكن جاشها واذهب قلقها: لتكون من المؤمنين: المصدقين بوعد الله تعالى

حين قال لها انا رادوه اليك او لتكون واثقة بحفظ الله تعالى وكلاءته لا بتبني فرعون وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره لتعلمي ما يفعل به فبصرت به عن جنب فقصت اثره فرأته من بعيد وهم لا يشعرون انها جاءت تعرف اثره او انها اخته وحرمنا عليه المراضع من قبل قبل مجيئها مجاز عن المنع فان من حرم عليه شيء فقد منع عنه والمراضع جمع مرضع وهي التي ترضع او مرضع اسم مكان او مصدر فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون لا يقصرون في تربيته روي ان هامان قال هذه تعرفه فقالت انما اردت انهم للملك ناصحون وما يقال ان مرجع الضمير مختص بلغة العرب ساقط لعدم الاختصاص ولان فرعون كان من العمالقة وهم كانوا يتكلمون بالعربية فرددناه الى امه روي انها لما جاءت وجدت موسى على يد فرعون يعلله شفقة ولبنه منه والتقمه الثدي فقال فرعون من انت منه فانه ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الرائحة طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها والكلام في انها كيف اخذت الاجر مبني على اختلاف الشرائع بل المذاهب في ذلك مختلفة او انه كان مال حربي كي تقر عينها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علما يزول معه الشبهة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعد الله حق فيرتابون او استدراك لما وقع بعد العلم وفيه تعريض بما تم لموسى حيث اصبح فؤادها فارغا بعد سبق وعد الله تعالى او من العلم اي ولتعلم ان الرد انما كان لهذا الغرض هو علمها بصدق وعد الله وما عداه من قرة العين وذهاب الحزن تبع ولما بلغ اشده المبلغ الذي لا يزيد عليه نماؤه وذلك اربعون سنة مفرد على وزن الجمع وعن سيبويه انه جمع شدة واستوى اعتدل جسمه وعقله آتيناه حكما نبوة وعلما بعلم الشرائع واحوال الامم هذا اجمال في القصة فلا ينافي كون نبوته بعد مراجعته من عند شعيب وكذلك نجزي المحسنين وكما جازينا موسى وامه على احسانهما نجزي سائر المحسنين ودخل المدينة مدينة فرعون وهي مصر فان قلت اين كان حتى قال ودخل المدينة قلت كان ما جرهم يعبد الله تعالى خاليا كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغار حراء ولا يدخل الا لضرورة مستخفيا ولذلك قال على حين غفلة من اهلها اي بين العشائين او وقت القيلولة وقيل بل كان اتيا من قصر فرعون وقيل من الاسكندرية فوجد فيها رجلين يقتتلان اي يختصمان في الدين هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما من قبطي والاخر سبطي واسم الاشارة لتصوير الكائن في صورة الحاضر فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى عليه السلام بعد ما دعاه الى الحق فلم يرجع والوكز الضرب بجميع الكف وفي حديث المعراج فجاء جبرئيل فوكز بين كتفي فقضى عليه فقتله اصل القضاء اتمام الشيء قولا او فعلا قال هذا من عمل الشيطان اي قتل

القبطي سماه عمل الشيطان لانه لم يكن مأمورا بقتله او لكونه مأمونا بينهم وذلك لا يقدح بعصمة الله لانه كان خطأ لم يتعمده بوكزه القتل واستغفاره وعده ظلما وعمل الشيطان وتسميته نفسه ضالا على دأب المقربين في عد المحقرات عظايم انه عدو مضل مبين لما استنباه فيه قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له بعد الاستغفار انه هو الغفور كثير الغفران الرحيم وافر الرحمة قال رب بما انعمت علي من المغفرة وغيرها لانوبن قسم محذوف الجواب او استعطاف اي بحق ما انعمت علي اعصمني فلن اكون ظهيرا للمجرمين لمن اعانته تؤدي الى الاجرام كمظاهرة الاسرائيلي وقيل اراد مظاهرة فرعون فانه كان يركب معه ويكثر سواده فاصبح في المدينة خائفا يترقب المكروه من الاستقادة وغيرها مما يقال فيه فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيث به على قبطي آخر شاجره قال له موسى انك لغوي مبين شديد الغواية ظاهرها لانك بالامس تسببت في هلاك رجل والآن تسعى في هلاك آخر فلما اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى وللاسرائيلي قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس اي قال الاسرائيلي لما سماه غويا وهم بالبطش بعدوه ظانا انه يقصده نم عليه او القبطي لما سمع قول موسى عليه السلام للاسرائيلي انك لغوي مبين وكان قتل القبطي قد اشتهر ولم يعلم قائله ففهم انه القائل ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض تقتل الناس على الغضب او متكبرا لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين بين المتخاصمين فان شأن المصلح ان يدفع بالاحسن لا قتل احد الخصمين وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يعدو صفة رجل او حال من الرجل لانه نكرة موصوفة فان قلت في سورة يس وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى بتقديم الجار والمجرور على عكس ما وقع ههنا فما وجه اختصاص كل بموضعه قلت الكلام ههنا جار على الاصل ذاتا وغير هنالك لان مساق الحديث لبيان معاملة اهل القرية الرسل فكان مظنة ان يتردد السامع هل هناك من فيه خير ام الكل على الباطل فلذلك قدم ذكر الرجل المدعي الى اتباع الرسل وقال يا موسى ان الملأ يأتمرون اي اشراف قوم فرعون يأتمرون بك اي يتشاورون لاجلك الائتمار التشاور لان كلا من المتشاورين يأمر صاحبه بما يظهر له من الرأي ليقتلوك قصاصا عن القبطي الذي قتلت فاخرج اني لك من الناصحين واللام للبيان كما في هيت لك وليست صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم على الموصول فخرج منها من مصر خائفا يترقب اللحوق به قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني من شرهم ولما توجه تلقاء مدين صوبه وما يحاذيه مأخوذ من اللقاء ومدين قرية شعيب سميت

باسم ابيها مدين بن ابراهيم وبينها وبين مصر ثمان او سبع مراحل قال عسى ربى ان
يهدينى سواء السبيل اى الطريق المستوى والسواء العدل الذى لا انحراف فيه
كان قاصدا مدين ولم يعرف الطريق وقيل لم يكن قاصدا مكانا معينا بل اخذ
طريقا يوصله الى اى بلد كان فسنح له ثلث طرق فاخذ فى اوسطها فجاء الطلاب
فى اثره فاخذوا فى الاخيرين ولما ورد ماء مدين بئرا لهم معروفا يقال وردت
الماء اذا جئته للشرب والورود بكسر الواو ذلك الماء وجد عليه اى على
مكان قريب منه امة من الناس جماعة من ناس مختلفين يسقون
مواشيهم ووجد من دونهم اى فى ادنى مكان منهم امراتين تذودان
تمنعان اغنامهما عن الورود وحذف المفعول لمجرد الاختصار وقيل لان الفعل
هو المقصود وذلك لان الترحم انما كان لكونهما على الذود واما ان مذودهما
غنم او غيره فلا دخل له فى ذلك وهذا اذا لم يلاحظ اضافة المفعول واما اذا لوحظ
فلا شك ان ترحمه انما كان لكونهما على ذود غنمهما والقوم على سقى مواشيهم
حتى لو كان القوم على سقى غنمهما وهم على ذود مواشيهم لم يكن للترحم وجه قال
ما خطبكما اى الموجب لمنعكما والخطب الامر المهم الذى يقع الخطاب فى شانه
قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء يصدر بفتح الدال الرجوع بعد الورود وقرا نافع
وابن كثير والكوفيون بضم الياء وكسر الدال من الاصدار وهو رد المواشى بعد الارواء
والفتح اولى لان الغاية رجوع القوم لا رد المواشى ولسلامته عن الحذف وابونا
شيخ كبير لا يستطيع الخروج للسقى وفيه استعطاف ودفع لما يتوهم من العار فى اختلاط
العواتق فانه مخل بالمروة فسقى لهما ثم تولى الى الظل ظل شجرة فقال رب انى
لما انزلت الى من خير فقير اى لاى شىء انزلته من قليل او كثير محتاج دائما وعدى
الفقر باللام لتضمينه معنى السؤال قيل ما قال هذا الكلام الا وكان يرى خضرة البقل فى
بطنه من الهزال او المعنى انى لاجل ما انزلت الى من المعرفة بك وبصفاتك صرت
فقيرا من خير الدنيا فعلى هذا يكون تبجحا منه وسرورا بحاله كما هو داب النفوس القدسية
فجاءته احديهما تمشى على استحياء على وجه الحياء وكمها مغطوحة (?) وجهها كما هو داب
العواتق لاسيما بنات الانبياء قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت
لنا لم يكن اجرا حقيقة بل ارادت المكافاة على الاحسان ولو كان اجرا لم يقدح
فى كمال موسى عليه السلام لانه كان محتاجا وقيل بل لم يتناول طعامه لما قدمه
اليه وقال انا اهل بيت لا ناخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام
كذلك عادتنا مع كل وارد علينا فلما جاءه وقص عليه القصص مصدر
كالعلل بمعنى المقصوص اى ما جرى من امره قال لا تخف نجوت من القوم
الظالمين فرعون وقومه فان حكم فرعون لم يتجاوز بلده قبطيا قالت

احديهما

احديهما وهى التى دعته الى ابيها وهى الكبرى واسمها صفراء وهى الصغرى
صفيراء يا ابت استاجره لرعى الغنم ان خير من استاجرت القوى
الامين قال ابوها من اين علمت قوته وامانته قالت اما قوته فحيث
رفع الحجر من راس البئر وحده وكان لا يقله الا جماعة واما الامانة فانى كنت
امشى امامه فقال امشى خلفى وانعتى لى الطريق وانما جعل خير اسم مع كون
القوى الامين اعرف عناية بخيرية الاجير واثرت الماضى دلالة على انه
امر مجرب معروف وعن ابن مسعود رضى الله عنه افرس الناس ثلثة
صاحب يوسف حيث قال عسى ان ينفعنا وبنت شعيب وابو بكر حين
استخلف عمر قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى
ثمانى حجج اى نفسك ثمانى سنين جمع حجة سميت السنة بها لاشتمالها
عليها وهذا كان مواعدة بينهما لا انكاحا حادا ما (?) اجارة آخر فى المهر قال به الشافعى
ومنعه ابو حنيفة رحمه الله تعالى ولعل الشرائع فى ذلك مختلفة او كان المهر شيئا
آخر وانما اراد ان يكون راعى غنمه لامانته وقوته فان اتممت عشرا فمن
عندك تفضلا وهذا يدل على ان المهر كان اجارة نفسه وما اريد ان
عليك بان الكلفك ما يوقعك فى التعب او يحرجك وهذا شان الانبياء
فى امورهم ومعاملاتهم وعن السائب بن يزيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
شريكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يمارى ولا يشارى ستجدنى ان شاء الله
من الصالحين اى الوافين بالعهد مع حسن المعاشرة ولين الجانب قال
ذلك بينى وبينك اى الذى شارطتنى عليه قائم بيننا لا اخرج عنه انا ولا
تخرج انت ايما الاجلين قضيت فلا عدوان على بطلب الزيادة اى كما
انى ان قضيت اطول الاجلين لا اطالب بالزيادة فكذا ان قضيت اقصرهما
لا تطالبنى بالزيادة والله على ما نقول وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل
اطول الاجلين رواه البخارى روى ان شعيبا كان عنده عصى الانبياء
فامر موسى عليه السلام ان يدخل البيت وياخذ احديها فدخل فخرج بواحدة وكان
شعيب قد كف بصره فمسها فوجد العصا الذى هبط بها آدم عليه السلام من آس
الجنة فقال ردها وخذ غيرها فردها سبع مرات فلم يقع فى يده غيرها وعن
الكلبى انها كانت من الشجرة التى نودى منها شجرة العوسج وعن الحسن ما كانت
الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا ولما اصبح قال له شعيب اذا وصلت الى
مفرق الطريق فلا تاخذ ذات اليمين لان بها تنينا اخاف عليك منه
فلما وصل اخذ الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها فتبعها فاذا عشب وارف
لم ير مثله فنام موسى عليه السلام فاقبل التنين فحاربته العصا فقتلته فاستيقظ

موسى عليه السلام فابطر العصا دامنه فرجع الى شعيب واخبره الخبر ففرح بذلك وعلم ان
لموسى وللعصا شانا ثم قال اني وهبت لك نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعا
فجاء النتاج كله على الصفة المذكورة فوفى له بالشرط وسار باهله فاقصد المصر الذي كان
بها هارون واخته مريم وامه وسائر اقربائه آنس من جانب الطور نارا
اي من الجهة التي في صوب الطور الابناس الابصار في الموضع الذي لا يعهد
قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي بخبر الطريق او جذوة
من النار هي العود الغليظ سواء كان فيه نار او لا والشعلة من النار ايضا وقرا
حمزة بضم الجيم وعاصم بالفتح والباقون بالكسر وهي لغات لعلكم تصطلون
تستدفئون بها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن شاطئ الوادي
جانبه والجمع والايمن الذي يقع في صوب اليمين والوادي المقدس يقع
في جانب يمين الذاهب الى مصر في البقعة المباركة حال من الشاطئ
او صلة نودي من الشجرة من ابتدائية والجار والمجرور بدل من قوله من شاطئ
بدل الاشتمال ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين فان قلت
قد قال الله تعالى في طه اني انا ربك وفي النمل انه انا الله وهنا اني انا الله بالفاظ مختلفة
والقصة واحدة قلت قد خاطبه في ذلك الموطن بهذه الالفاظ كلها وذلك
انه كان ابتداء رسالته فبسط الكلام معه وعرفه بعض صفاته العليا ونقل بالمعنى
في بعض المواضع وان الق عصاك فلما رآها تهتز تضطرب كانها جان حية
صغيرة في السرعة وان كان ثعبانا عظيم الهيئة ولى مدبرا ولم يعقب اي
هرب ولم يرجع من شدة الخوف يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين
نودي بهذا الكلام ليسكن رعبه اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء
من غير آفة برص واضمم اليك جناحك مستعار من ضم الطائر جناحه لعدم
الخوف فان الطائر اذا خاف نشر جناحه وما قيل ان يديه كانتا مبسوطتين
تتقي بهما الحية ففيه انه لما رآها تهتز ولى مدبرا ولم يقابل الحية من الرهب اي
لاجل الرهب وقرا ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بضم الراء والكوفيون وابن عامر
باسكان الهاء والتخفيف فذانك برهانان العصا واليد وقرا ابن كثير وابو عمرو
فذانك بنون مشددة زادوا على نون التثنية نونا آخر بدلا عن لام ذلك والباقون
بفتح الراء والهاء وهو الشايع المختار من ربك كائنين او مرسلا بهما منه
الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله فهم احقاء
بالانذار قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هارون
هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني الردء العون والناصر وقرا
نافع ردا بنقل حركة الهمزة وقرا عاصم وحمزة يصدقني بالرفع والباقون بالجزم لكونه

جواب الامر وهو المختار لبقاء الردء على الاطلاق في التصديق اني اخاف
ان يكذبون في دعوى الرسالة فان قلت اذا كذبوا موسى مع العصا
واليد البيضاء فما فائدة تصديق هارون قلت ليس المراد من تصديقه ان يقول
صدقت بل المراد فان سحبان وائل وباقل فيه سواء بل التصديق مجاز عن
تلخيص الحجة وازاحة الشبهة لكونه افصح من موسى او المراد تصديق المرسل اليهم
اي يصدقوني واسناده الى هارون اسنادا الى السبب وتقويته اني اخاف
ان يكذبون قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به من باب
الكناية لان اليد تشتد بالعضد لانه قوامها والشخص يشتد باشتداد يده و
استعارة تمثيلية بان شبه حال موسى في تقويته باخيه بحال اليد في اشتدادها
بالعضد ونجعل لكما سلطانا غلبة وحجة واضحة فلا يصلون اليكما بمكروه
بآياتنا متعلق بنجعل اي نسلطكما بآياتنا او بلا يصلون على معنى تمتنعون منهم
بآياتنا او هو قسم محذوف الجواب لدلالة لا يصلون عليه او القسم الذي
يتوسط الكلام فلا يحتاج الى الجواب او صلة الغالبون انتما ومن اتبعكما الغالبون
لا له لعدم جواز تقدم الصلة على الموصول فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات
قالوا ما هذا الا سحر مفترى اختلقه من تقدمك صفته تخصيصه او ظاهره
افتراؤه لاشتباهه بالمعجزة من باب نعجة انثى او مفترى كسائر انواع السحر
ثم وصفه بالافتراء تغليب لانه من صفة الاقوال والسحر اعم وما سمعنا بهذا
في آبائنا اي كائنا في زمانهم حال من هذا او المشار اليه اما النبوة على معنى انكار
ان يكون الرسول بشرا او السحر والمراد تفظيعه وكونه سحرا لم ير مثله ولم يسمع
وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فهو عالم اني محق وانتم مبطلون
ليميز السامع بين الصحيح والفاسد منهما وعليه سائر الرسوم وهذا ابلغ معنى
ومن تكون له عاقبة الدار هذه الدار لانه المنزل الاول وعاقبتها الجنة لقوله تعالى
اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن انه لا يفلح الظالمون في الدارين لهم خزي
في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وضرب الجزية وفي الآخرة عذاب النار وقال
فرعون ما علمت لكم من اله غيري جعل عدم علمه مستلزما لعدمه لانه يدعي الالوهية
فلو كان هناك اله لعلمه وقيل اراد نفي المعلوم وهذا انما يصح في العقلية لكونها
لازمة تتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها فاوقد لي يا هامان على
الطين نادى هامان وهو وزيره باسمه وامره بالايقاد على طريقة الجبابرة ولم يقل
اتخذ لي آجرا لكونه اول من وضع صنعة الآجر روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لما دخل الشام ورأى القصور المشيدة قال ما كنت اظن ان احدا يبني بالآجر غير
فرعون فاجعل لي صرحا قصرا لعلي اطلع الى اله موسى اجهله ظن ان الاله جسم

في مكان ثم لو فرض انه كاذب فمن اين يلزم ان يكون في محاذاة قصر فرعون ولو سلم
من اين علم ان القصر يبلغ السماء ولو سلم فمن اين له انه اذا بلغ السماء يجد في
ذلك طريقا اليه وانّي لاظنّه من الكاذبين في انّ له الها غيري وهذا ايضا جهالة
اخرى حيث ظن ان هناك الها آخر بعد علمه بان لا اله غيره واستكبر هو وجنوده
في الارض بغير الحق تجاوزوا عن طورهم لان الكبرياء ردآء الله تعالى وظنوا انهم
الينا لا يرجعون كانوا دهرية لا يقولون بالمعاد ولذلك اقدموا على ذلك
الاستكبار والطغيان وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم يرجعون بفتح
اليآء وفتح الجيم فاخذناه وجنوده اخذ عزيز مقتدر فنبذناهم في اليم كما ينبذ
الشيء الحقير فما ظنك بمن الارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه فانظر تامل كيف كان عاقبة الظالمين انكالهم في الظلم وسوف ترى
عاقبة مكذبيك وجعلناهم ائمة يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي
ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب كما يدفع الاتباع عن العادة في الدنيا و
واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة لعن الناس الا ترى احدا من الناس الا يلعن
فرعون وقومه او طردا من رحمة حيث اهلكهم عن آخرهم ويوم القيمة هم من المقبوحين
المطرودين يقال قبحه الله اي نحاه وطرده او ممن قبح وجوههم ومن قرا هذه الاية ثم قال
بايمان فرعون فهو اكفر من فرعون ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما
اهلكنا القرون الاولى من قوم نوح الى فرعون بصائر للناس ذلك الكتاب مشتملا
على المعارف التي هي من انوار القلوب وهدى الى طريق الجنة ورحمة لان من عمل به
يصل الى رحمة الله تعالى لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وما كنت
بجانب الغربي من الطور اذ قضينا الى موسى الامر ارسلنا اليه الوحي وما كنت
من الشاهدين للوحي او عليه وهم السبعون المختارون للميقات وهذا اوجه لان
الحضور قد علم من قوله وما كنت بجانب الغربي وسياق الاية للدلالة على ان اخباره
بتلك الوقائع ليس الا باعلام الله تعالى ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر اي
لكنا اوحينا اليك لانا انشانا قرونا كثيرة من بعد موسى وتطاول الزمان وتحرفت
الاخبار وخفيت اعلام الشرائع فارسلناك مجددا فحذف المستدرك واقيم
سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين قوم شعيب تتلوا عليهم
آياتنا تتعلم منهم يقال تلوت على فلان القرآن اذا تعلمت منه او لم تكن انت
مرسلا اليهم تتلو عليهم آياتنا بل كان شعيبا فاخبارك باعلام الله تعالى وقيل
الضمير لاهل مكة ولكنا كنا مرسلين اياك وما كنت بجانب الطور اذ
نادينا موسى حين قربناه نجيا او استنبأه وهذا اولى لتقدم ذلك ولكن رحمة
من ربك اعطاكها والتفت الى الغيبة لدلالة لفظ الرب على التربية

الالهية ورحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوع الفترة بينك
وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة وقد روى البخاري عن سلمان
انها ستمائة سنة واللام متعلق بالفعل المقدر لعلهم يتذكرون اذا تلوت
عليهم تلك الوقايع فيعلمون انك رسول من عند الله ولولا ان تصيبهم
مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى
امتناعية والثانية بمعنى هلا تحضيضية والمعنى لولا انهم قائلون اذا عوقبوا
بما قدمت ايديهم من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا لما ارسلنا
اليهم رسولا وكان الظاهر دخول حرف الامتناع على القول وانما دخل على
العقوبة لانها السبب لذلك القول والقول هو السبب لارسال الرسل
وانما لم يكتف بهذا القول بل ذكر سببه منبها على ان قولهم هذا ليس تاسفا على فوات
الايمان بل لما نالهم من العقوبة وفيه دلالة على استحكام كفرهم ولما كان في التحضيض
معنى الامر لكونه باعثا على الفعل شبهه ودخل الفآء في قوله فنتبع آياتك جوابا له
كما يجاب الامر بالفاء ونكون من المؤمنين بتلك الآيات فلما جاءهم الحق
من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى يريدون الكتاب جملة او العصا واليد
البيضاء تعنتا اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يريد ابناء جنسهم ومن مذهبهم
مذهبهم من العناد والتعنت وهم كفرة قد كان للعرب اصل في ايام موسى وذلك
ان فرعون وقومه كانوا من اولاد العمالقة وهم عرب فعلى هذا يتعلق الجار والمجرور
باولم يكفروا وهذا اوجه حسن لدلالته على ان مشركي مكة لهم قدم راسخ في الكفر
وعرق اصيل في العناد ويحسن منه ان كفار مكة كانوا كافرين بموسى عليه السلام
لما طلبوا من رسول الله معجزة موسى رد الله عليهم بانهم قبل محمد كانوا كافرين
بموسى قالوا ساحران اي موسى وهارون او موسى ومحمد عليهم السلام تظاهرا
تعاونا على السحر وقرا الكوفيون سحران على حذف المضاف او على المبالغة او
ارادة الكتابين التورية والقران بقوله تعالى لولا اوتي مثل ما اوتي وعليه اتسم
وهو ابلغ معنى وان كان المشهور قالوا انا بكل كافرون اي بكل واحد من
الرسولين او الكتابين وقيل بكل الانبياء وليس بمستقيم لان كفار مكة لم يكفروا بابراهيم
واسمعيل عليهما السلام قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما من الكتابين
وهذا يؤيد ان السحرين هما القران والتورية والساحران موسى ومحمد عليهما السلام
اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران الاتيان منهم مستحيل وحرف الشك
ارخاء للعنان تبكيتا فان لم يستجيبوا لك اي فان لم يستجيبوا دعاءك الى
الكتاب الاهدى فحذف المفعول لان الغالب ان فعل الاستجابة اذا عدي باللام
يحذف الدعاء فاعلم ازدد علما او دم على علمك انما يتبعون اهواءهم اذ لم

بين لهم شبهة فضلا عن الحجة ومن اضل ممن اتبع هواه اي لا اضل منه بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد لا للتقييد بناء على ان هوى النفس قد يوافق الحق لعدم الاعتداد بتلك الموافقة ان الله لا يهدي القوم الظالمين المجبولين على الظلم المنهمكين فيه ولقد وصلنا لهم القول اي اتبعنا بعض القرآن بعضا في الانزال متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا ونصايح وهذا جواب عن قولهم لولا اوتي مثل ما اوتي موسى لعلهم يتذكرون بعد التفكر في ذلك المنزل المتواصل الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل القرآن او محمد عليه السلام هم به يؤمنون تقديمه للاختصاص او للاهتمام نزلت في مؤمني اهل الكتاب كسلمان وعبد الله بن سلام وعن رفاعة ابن قرظة في عشرة وانا منهم اثنان وثلثون من الحبشة قدموا في السفينة مع جعفر وثمانية قدموا من الشام فهذا اخبار بما سيقع لان السورة مكية وعن محمد بن اسحاق هؤلاء عشرون رجلا بعثهم النجاشي ورسول الله بمكة فقرا عليهم القرآن فآمنوا وعن سعيد بن جبير هم سبعون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله تعالى انه الحق من ربنا تعليل للايمان به لان كونه من عند الله حقيق ان يؤمن به انا كنا من قبله مسلمين استيناف لبيان ان ايمانهم به ليس محدثا بل كانوا سمعوا من اباءهم وقرءوا في كتابهم انه سينزل كتاب نعته كذا والمسلم اسم لكل موحد يؤمن بالله وكتبه ورسله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ضعف اجر من امن بمحمد من المشركين روى البخاري عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله عليه السلام قال ثلثة لهم اجران رجل امن بنبيه وامن بمحمد وعبد مملوك ادى حق الله وحق مواليه ورجل له امة فادبها فاحسن تاديبها ثم اعتقها فتزوجها بما صبروا على اذى الكفار او على تكاليف الشرايع ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعون ما ينالهم من المكروه والشتم والسخرية بالقول الجميل او المعاصي بالطاعات لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير تقربا الى الله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم امان منا لكم عن المقابلة بالمثل لا نبتغي الجاهلين لا نرضى بالتخلق باخلاقهم عن محمد بن اسحق هذا الكلام لبعث النجاشي فانهم لما امنوا اعترضهم ابو جهل ونفر من قريش وقالوا خيبكم الله ارسلكم صاحبكم لتعلموا خبر الرجل فما استقر بكم المجلس حتى فارقتم دينكم انك لا تهدي من احببت لا تقدر على ادخال الايمان في قلبه ولكن الله يهدي من يشاء بخلق الايمان روى البخاري عن سعيد بن المسيب عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابي طالب حين حضرته الوفاة وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله اترغب عن ملة عبد المطلب

فلم يزل

فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيدان تلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فانزل فيه انك لا تهدي من احببت وعن ابن عباس رضي الله عنه قيل له انت شفيع الجنابة لا شريك لهداية وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين له وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها سريعا قاله قريش وقال القائل الحرث بن عثمان بن نوفل واسناده اليهم لوقوعه بينهم تعللوا بعلة باطلة فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا اي جعلنا مكانهم حرما ذا امن يجبى اليه ثمرات كل شيء يجلب اليه ثمرات اكثر الاشياء كقوله واوتيت من كل شيء واذا كان هذا حالهم وهم على الشرك فكيف لو ضموا الى حرمة البيت شرف الايمان وقرا نافع تجبى بالتاء والياء احسن لوجود الفصل رزقا مصدر لان يجبى في معنى يرزق او مفعول له وان جعلته بمعنى المرزوق فهو حال من الثمرات لتخصصه بالاضافة من لدنا تفضلا من غير استحقاق منهم ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك مع ظهوره لكونه مختوما على قلوبهم وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اهلكنا كثيرا من اهل القرى كان حالهم كحال هؤلاء في الامن ولين العيش والبطر شدة الفرح بالدنيا والغفلة عن شكر المنعم وفيه تخويف بليغ لاهل مكة وانتصاب معيشتها اما بحذف الجار كقوله واختار موسى قومه او بحذف الزمان المضاف اي ايام معيشتها او بتضمين بطرت معنى كفرت فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المارة ساعة للاستراحة وقيل لم يسكنها الا الطيور والوحوش او لم يسكن من سكن الا قليلا بشوم معاصيهم يشير الى كل ساكن وكنا نحن الوارثين بان تركناها بلاقع داثرة وبذلك تدخل في عداد خالص ملك الله لانقطاع تعلق الغير وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم اياتنا الزاما للحجة وقطعا للمعذرة اي ما كان الله ليهلك القرى التي على وجه الارض الا بعد ان يرسل في امها رسولا وهي مكة او كل قرية عظيمة في كل وقت سائر القرى توابعها وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي ما كنا في الزمان السالف نهلك قرية الا والحال ان اهلها ظالمون بتكذيب الرسول المبعوث اليهم وفيه تخويف لاهل مكة بانهم بتلك الصفة فهم بصدد ذلك وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي شيء كان وان كان ملء الارض ذهبا ليس الا متاعا قليلا لانه في مقابلة الباقي الذي اشار اليه بقوله وما عند الله خير وابقى لانه ابدي وفي الحديث لو كانت الدنيا من الذهب والاخرة من الخزف لاختار العاقل

فكيف والامر بالعكس ولذلك عقبه بقوله افلا تعقلون لان ايثار الفاني
على الباقي ليس من افعال العقلاء وقرا ابو عمرو بالياء والغيبة على الالتفات
وهو اشد ذما وللخطاب ابلغ موعظة افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه فتقرير
وايضاح لانعدم والمعنى ابعد ذلك التفاوت الظاهر بين الفاني والباقي يسوى
بين ابناء الدنيا والاخرة والوعد الحسن الوعد بالجنة والفاء الثانية للدلالة على سببية
الاول كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين الى النار وثم لبيان
تراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا التراخي في المدة لكونه معلوما لا طائل في ذكره وقرا
نافع في رواية قالون والكسائي ثم هو بسكون الهاء لان الواو والفاء وثم نزلا منزلة
الجزء لعدم استقلالها فصار وهو كعضد فخفف ثم حمل ثم عليها بجامع العطف ويوم يناديهم
منصوب باذكر فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون اضافة الشركاء الى
على زعمهم تهكما بهم ومفعولا زعم محذوفان اي تزعمونهم شركاءي والدال على الحذف
تقدم الذكر قال الذين حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وهو تخلود في النار ربنا
هؤلاء الذين اغوينا اي اغويناهم فحذف الراجع اغويناهم كما غوينا خبر هؤلاء و
والكاف في موضع المصدر ومعنى التشبيه انهم غووا باختيارهم والمعنى اغويناهم
فغووا غيا باختيارهم مثل ما غوينا وان كان ذلك بتسويلنا ويجوز ان يكون اغويناهم
استينافا والذين اغوينا خبرا تبرأنا اليك من كفرهم باختيارهم ما كانوا ايانا
يعبدون بل كانوا يتبعون اهواءهم والجملتان مقررتان للكلام السابق ولذلك
خلتا عن العاطف وجعل ما مصدرية حذف عنها الجار متعلق بتبرانا تكلف
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاستجابة و
والنصرة وراوا العذاب وتيقنوا انهم صائرون الى النار لو انهم كانوا يهتدون
لوجه من الحيل يدفعون به العذاب لدفعوا ولو كانوا يهتدون في الدنيا لما راوه او تمنوا
الاهتداء لما راوا العذاب وتحيروا ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وبخهم
اولا على اتخاذ الشركاء ثم بما يقوله الشيطان او ائمتهم حين تبرؤوا منهم ثم بما يشبه
الشماتة والتهكم بهم لما امرهم بدعائهم والاستغاثة بهم بعد التبرؤ منهم ثم بالسؤال
عما اجابوا به الرسل ازاحة للعلل وتبكيتا فعميت عليهم الانباء يومئذ
فعموا عن الانباء وانما عكس مبالغة كان عماهم سرى الى الانباء فلم تجد اليهم سبيلا
والمراد عمى القلب وتعدى الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون اي لا يسال
بعضهم بعضا لتساويهم في عمى الانباء عليهم فاما من تاب من الشرك وامن
بما يجب الايمان به وعمل صالحا بعد الايمان فعسى ان يكون من المفلحين
ترغيب في الاقلاع فكانه قال ما ذكر حال المصر واما التائب فمن الفائزين
وعسى الكرام انجاز فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز اتصاله بقوله افمن وعدناه

وحدث

وحدث الشركاء مستطردة لذكر الاحضار وربك يخلق ما يشاء ويختار من هداية
احد الفريقين واضلال الاخرى فان قلت ما الفرق بين المشيئة والاختيار حتى جمع
بينهما قلت الاختيار هو القصد الى ايجاد ما تعلقت به الارادة وترجيح احد الطرفين
بعد ملاحظة الاخرى ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار ولذلك لم يدخل العاطف
والخيرة من التخير كالطيرة من التطير رد لقول الوليد بن المغيرة حين قال لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة والمعنى ويختار للعباد الذي
لهم فيه الخيرة كخلق الانبياء ودلائل الافاق والانفس وعلى الوجهين لا يلزم سلب
الاختيار عنهم في افعالهم الجزئية سبحان الله تنزيها له عن منازع او مزاحم فيما يشاء
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او ما يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم وما
يعلنون من عداوة رسول الله والطعن فيه وهو الله لا غيره لا اله الا هو اي لا يستحق
الالوهية غيره توكيد وتقرير للاولى له الحمد في الاولى والاخرة لانه مولى النعم كلها
يحمده المؤمنون في الاخرة تلذذا وابتهاجا كما يحمدونه في الدنيا عن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون يلهمون
التسبيح والتهليل كما يلهمون التنفس وله الحكم لا حاكم غيره واليه ترجعون
للمجازات لا الى غيره قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة
لما ذكر تفرده بالالوهية واستحقاقه الحمد في الدارين اردفه بنعمتين لا يمكن
الانتفاع بسائر النعم بدونهما ولا يشك احد انهما منه اذ لا مجال لتوهم شاركة
الغير والسرمد الدائم من السرد وهو المداومة على الشيء من اله غير الله ياتيكم
بضياء قدم ذكره ظاهرا في التقابل للدلالة على انه المقصود من النهار
والانتفاع بالنهار من روادفه ولذلك جعل الفاصلة افلا تسمعون لان
مدرك العقل بواسطة السمع اكثر من مدركات البصر اذ ما لا يمكن ادراكه
بحاسة يمكن ان يعبر عنه بعبارة مفهمة قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه لم يقابل الضياء بالظلام
لكونه غير مقصود في نفسه مع اشمئزاز النفس من سماعه في معرض الامتنان
وذكر السكنى في الليل ولم يقابل بالتصرف في النهار لانحصار نفع الليل
فيه دون النهار في التصرف فالتوبيخ في افلا تسمعون ابلغ منه افلا
تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
لف ونشر مرتب وهو من محسنات الكلام ولعلكم تشكرون ولكي
تعرفوا نعمة الله فتشكروه جعل ذلك ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي
الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا واخرجناه وهو نبيهم
لان الانبياء شهداء على الامم فقلنا بعد احضار النبي هاتوا برهانكم على

على الشرك وتكذيب الرسل فعلموا ان الحق لله في الالوهية وضل عنهم
غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل وبخهم اولا على اتخاذ
الشركاء بقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي ليبكتهم بعدم صلوحهم
ولذلك عقبه بقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون ليدل على ان ذلك الاتخاذ
لم يكن له حقيقة وقيل الاول لبيان فساد رايهم والثاني لبيان ان
ذلك لم يكن له سند ان قارون كان من قوم موسى لما كان افتخار
المشركين بما كان لهم من الاموال والبنين وما كان فيه رسول الله والمؤمنون من
ضيق ذات اليد ذمهم الله اولا بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها واردفه
بمن ضرب به المثل في الثروة والغنا وما آل اليه امره وجر عليه غروره وكيف صار هلاكه
عبرة لاولي الابصار واشار في اثناء القصة الى انه قد اهلك قبله من كان اشد منه قوة
واكثر مالا قال الكلبي كان ابن عم موسى عليه السلام وعن محمد بن اسحق كان عم موسى عليه السلام
وعن ابن عباس كان ابن خالته فبغى عليهم بان طغى وخرج عن اتباع موسى عليه السلام
وذلك ان موسى عليه السلام جعل الحبورة والقربان لهرون فقال قارون الامر لكما ولست
على شيء قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى وقيل بغى اي ظلم وذلك ان فرعون كان
جعله واليا على بني اسرائيل فظلمهم وقيل تكبر بكثرة الاموال والاولاد واتيناه من
الكنوز من انواع الاموال المدخرة من الكنز وهو الجمع ما ان مفاتحه جمع مفتح بالكسر
وهو ما يفتح به او مفتح بالفتح وهو خزانة المال لتنوء بالعصبة اولي القوة يقال ناء به
اذا اثقله والعصبة الجماعة الكثيرة وقيل من عشرة الى اربعين من العصوبة وهي الاحكام
ومنه عصبة الميت وقد بولغ في اظهار الكثرة حيث ذكر الكنوز والنوء والعصبة ذوي
القوة قيل كان يحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا وكان لكل مفتاح لا يزيد على اصبع اذ قال
له قومه ظرف تنوء لا تفرح بالدنيا التي حبها راس كل خطيئة ان الله لا يحب
الفرحين بزخارف الدنيا وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة فانها دار الاقامة
والمال نعم الوسيلة اليها وفي الحديث نعم المال الصالح للرجل الصالح ولا تنس نصيبك
من الدنيا بان تخرج من مالك كله بل خذ منه قدر كفافك كقوله تعالى ولا تبسطها كل
البسط او ما تصلح به اخرتك فانه نصيب المؤمن من الدنيا كقوله عليه السلام يقول ابن
آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت
فابقيت ويؤيده قوله واحسن كما احسن الله اليك اي انعم به على المحاويج كما انعم الله عليك
ولا تبغ الفساد في الارض لا تطلبه فضلا عن الوقوع فيه ان الله لا يحب المفسدين
والعاقل لا يدخل نفسه في زمرتهم قال انما اوتيته على علم عندي اي علم كان عندي
استوجبت به التفوق على الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتورية
وقيل اراد به علم الكيميا فانه كان تعلمه من موسى عليه السلام وقيل علم التجارة والمكاسب

وقيل علمه بكنوز يوسف عليه السلام والوجه ان عندي جملة مستانفة تقرر ما ذكره
اي هكذا الامر عندي وفي اعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله
من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اي قد علم ذلك قراه في التورية
وسمع من المورخين اخبار غيره والضحاك وما كانوا فيه فكيف لم يتنبه
واغتر بما فيه ولم يقس حاله على اولئك ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون
لان سؤال الاستعلام محال في حقه تعالى وسؤال المعاتبة يكون بين الاحبة
بهذه مقدمة يدل على هلاك قارون بغتة فخرج على قومه في زينته اي
مفتخرا عليهم في زينته المخصوص به قيل كان راكبا بغلة شهباء وعليه الارجوان
وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف من الغلمان على زيه وقيل
ثمانية غلام عن يمينه وثلثمائة جارية عن يساره وعليهن الحلي والديباج
وقيل في تسعين الفا وعليهم المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا
وهم عوام المؤمنين يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا لكونه
حسنا وعن قتادة تمنوا ليتقربوا به الى الله تعالى ويصرفوه في وجوه الخير وقيل
بل كانوا كفارا انه لذو حظ عظيم الحظ النصيب والبخت وفي المثل الدنيا
احاظ وجدود وقال الذين اوتوا العلم بسرعة زوال نعيم الدنيا ودوام
الاخرة ويلكم اصله الدعاء بالهلاك لم يريدوا معناه بل التعجب من ذهولهم
وتمنيهم الفاني ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من
الدنيا وما فيها ولا يلقيها الا الصابرون على الطاعات وعن الشهوات والضمير
لما قاله العلماء لانها كلمة عرفا او للثواب لانه بمعنى المثوبة او للجنة او للايمان والعمل
الصالح لانه في معنى السيرة والطريقة فخسفنا به وبداره الارض كان مع بغيه
يداريه موسى عليه السلام للرحم الذي بينهما حتى طالبه بزكوة ماله وشارطه
على دينار من كل الف فاستكثره فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى عليه السلام
يريد اخذ اموالكم فقالوا انت سيدنا فمرنا بما رايت فقال قد دبرته له بجعل
بغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل بل حكمها في ماله فقام موسى عليه السلام
يوم عيد خطيبا فقال يا معشر بني اسرائيل من سرق منكم قطعناه ومن
زنى غير محصن جلدناه وان كان محصنا رجمناه فقال قارون وان كنت
ذاك الرجل قال بلى قال ان بني اسرائيل يزعمون انك زنيت بفلانة فاحضرها
موسى عليه السلام وناشدها الله تعالى بالذي فلق البحر وانزل التورية فقالت
كلا ولكن جعل لي قارون جعلا لافتري عليك فخر موسى عليه السلام ساجدا يبكي
وقال يا رب ان كنت لك رسولا فاغضب لي فاوحى الله اليه ان مر الارض
بما شئت فقال موسى عليه السلام خذيهم يا ارض وكان يتبعه رجلان وبقية

بني اسرائيل قد اعتزلوا عنه مع موسى عليه السلام فاخذتهم الارض الى الركبة
ثم ناديها خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم ناديها خذيهم فاخذتهم الى الاعناق
وكان في اثناء ذلك يناشد بالرحم ويستغيث به وموسى عليه السلام لا يلتفت
اليه لشدة غضبه ثم ناديها فانطبقت عليهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين قيل فاوحاه ربه بعد هلاك قارون ما اقسى قلبك يا موسى استغاثك
مرارا فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لاجبته ثم اصبحت بنو اسرائيل يتناجون
ان موسى لم يدع على قارون الا طمعا في ماله فانه لم يكن له وارث غيره فدعا الله
ان يخسف بداره بعد ثلثة ايام فما كان له من فئة من اعوان من فاء رجع
لان بعضهم يرجع الى بعض عند الانتصار والمحاماة ينصرونه من دون
الله من دونه عذابه وما كان من المنتصرين بغيرها من الاسباب و
واصبح الذين تمنوا مكانه الذين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
بالامس يقولون قبل هلاكه تقليل ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة المرزوق ولا لهوان الذي
قدر عليه وي صوت يقوله المتندم والمتعجب قال الخليل هذا قول
قوم تنبهوا وتنبهوا والكاف حرف عن التشبيه كقوله عليه السلام
كانك بالدنيا ولم تكن وبالاخرة ولم تزل وعليه قول امرئ القيس
كاني لم اركب جوادا لغارة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال وعند
الكوفيين اصله ويلك حذفت اللام تخفيفا لكثرة استعمال هذه الكلمة
وعليه قول عنترة ويك عنتر اقدم وفتحت ان بتقدير العلم وعن قطرب
بتقدير اللام ورسمت متصلة لتوقف المعنى عليه وقد وقف الكسائي
على الياء وابو عمرو على الكاف والباقون على النون لولا ان من الله علينا
لخسف بنا كما خسف بقارون حيث تمنينا ان نؤتى مثل ما اوتي وقرأ
حفص خسف على بناء الفاعل ويكأنه لا يفلح الكافرون لا محالة
تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم اي التي بلغك خبرها وتبعث
بشأنها العجيب نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا
كارادة فرعون ولا فسادا كارادة قارون وعلق بالارادة مبالغة
في الردع عنهما والعاقبة للمتقين اي الجنة او العاقبة المحمودة وهذا القول
يدل على ان ملاك الامر هو التقوى ولا يكفي في النجاة عدم تلك الارادة
من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان
لا فرق بين من ارتكب سيئة او سيئات ولا لتفيد تكرار الاسناد

من تقبيح حال المسيء المقتضي لتنفير السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثله
واما حذف المضاف مبالغة في المماثلة كما بولغ في جانب الحسنة بلفظ الخير
الدال على الكثرة ان الذي فرض عليك القرآن اي تلاوته وتبليغه والعمل بما
فيه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي خصك به وقيل
اراد مكة وتنكيره لان فتح مكة كان له شان روي انها نزلت في مهاجره حين بلغ
الجحفة واشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم قل ربي اعلم من جاء
بالهدى ومن هو في ضلال مبين امره ان يقول للمشركين ان الله اعلم بمن هو اهدى
واستحق الثواب في المعاد ومن هو بضده ذلك وان اريد بالمعاد فتح مكة فالمعنى ان
ذلك ادنى ما اوتيته وانما النعمة العظمى ما تؤتاه في العقبى ويشار اليه بالهدى المنزل
والضلال المنزه ضده لاعدائه فان قلت قدام موسى عليه السلام بهذا القول ايضا
وزاد لنا ومن عنده قلت كلام موسى عليه السلام كان جوابا لهم حيث قالوا ما هذا
الا سحر مفترى فكان خليقا بالتاكيد وهنا الكلام مذكور ابتداء لبيان رفعة شانه
وما يؤول اليه امره فاقتصر على ما يؤدي الغرض وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب
كنت اميا ناشيا بين الكفار الذين لا يقرؤن كتابا ولا يدرون دينا اين كنت
من القران المعجز وهذا دفع لما يختلج في الوهم من استبعاد رده الى معاد الا رحمة
من ربك لكن رحمة ربك ادركتك ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى
كانه قال وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك لان نفي الرجاء نفي للالقاء
على ابلغ وجه ولا تكونن ظهيرا للكافرين عونا لهم في امرهم باغوائهم ولا يصدنك
عن آيات الله عن تلاوتها وتبليغها بعد اذ انزلت اليك اذ لم ينزل
الا للتلاوة والعمل وادع الى ربك الى توحيده ولا تكونن من المشركين
بترك الدعوة الى التوحيد ولا تدع مع الله الها آخر من باب الالهاب
وقطع اطماع المشركين لا اله الا هو استئناف كالبرهان على عدم صلوحية
غيره للالهية كل شي هالك الا وجهه ذاته كقوله كل من عليها فان وقيل كل ممكن
قابل للعدم وقيل كل عمل باطل الا ما اريد به وجهه له الحكم واليه ترجعون اي القضاء
النافذ للجزاء تمت السورة بحمد الله على تمامه سبحان ربك رب العزة عما يصفون

بسم الله الرحمن الرحيم سورة العنكبوت وهي تسع وستون آيات

الم اسم السورة او حروف مقطعة اتعادها احسب الناس انكار للحسبان
متعلق بما بعده وهو ان يتركوا لكونه سادا مسد مفعوليه ان يقولوا آمنا
متعلق بيتركوا بتقدير اللام والترك بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع
ثاني مفعوليه محذوف لدلالة الحال عليه اي كاتحهم وهم لا يفتنون ثاني مفعولي يتركوا
مع تعلق لدخول الواو على الخبر والفصل بين مفعولي يتركوا بثاني مفعولي حسب

وهم ان يقولوا والمعنى انكار حسبان الناس بعد اجرآء كلمة الايمان على السنتهم انهم
يسلموا بذلك عن كل آفة في هذه الدار مع انها دار الشقاق نحو قوله ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ولقد فتنا الذين من قبلهم
اي سنة الله في المؤمنين ان يمتحنهم روى البخاري عن خباب بن الارت
قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نلقى من المشركين فقلنا الا تستنصر لنا
الا تدعو فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض ثم يجعل فيها
ويؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل بنصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون
لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
علما حاليا به يقع التمييز بين الصادق في ايمانه والكاذب او اريد لازمه وهو التمييز
او المجازاة ام حسب الذين يعملون السيئات جميعها من الكفر والمعاصي ان
يسبقونا ان يفوتونا فلم نجد ثوابه بنفسهم وتمن تماديهم في الغفلة كانهم طامعون
ذلك صلة ان تشتمها على المسند والمسند اليه سد مسد مفعولي الحسبان كما اشار
اليه في الاول ويجوز ان يكون حسب بمعنى قدر ومعنى ام للاضراب للدلالة على ان
هذا الحسبان ابطل من الاول لان شرف الايمان ربما يخيل انه من اتصف به
سلم عن الآفات والشرور بخلاف ظن عدم المجازاة على سيئ العمل فانه ظاهر
البطلان ولذلك اردفه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه او حكما
يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص من كان يرجو لقاء الله حقيقة في الجنة لما روى
البخاري انكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب او الوصول
الى الحساب والجزاء مثلت تلك الحالة بحال عبد قدم بعد عهد طويل الى مولاه
فان اجل الله لآت اي الموت كائن لا محالة وهو الطريق الى تلك الحالة كانه قيل
من يرجو لقاء الامير فان العد قريب اذا علم انه يتقدم فيه والمعنى فليبادر الى ما
يصدق رجاءه ويحقق امله وهو السميع لاقوال العباد العليم بافعالهم
فهو حقيق بالتقوى والخشية ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه نفع مجاهدته مقصور
عليها وانما الترغيب والحث عليها لكمال رافتها لعباده ان الله لغني عن العالمين
تصريح بما علم ضمنا وتوكيد لذلك المفهوم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون لا يبعد ان العمل
الصالح لا يتعدى نفعه العامل بين كيفية جزآء المجاهدة ترغيبا وهي تكفير ما مضى
من السيئات والمجازاة باحسن الجزآء بان يجازيه في مقابلة ادنى عمله
ما يجازيه على افضله تفضلا منه ووصينا الانسان بوالديه حسنا لا بين ان
الايمان والعمل الصالح اشار الى بعض ما يتعين الانسان فيه الوصية بالشيء الامر
بتركه من وصينا الشيء بكذا اذا وصلنه به فقال وصيت الارض اذا اتصل نباته

والمعنى امرنا بايتاء والديه ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه ويجوز
نصبه بفعل مضمر للتوصية اي قلنا افعل بهما حسنا فعلى هذا يحسن الوقف
على بوالديه وعلى الاول تقدير القول في قوله وان جاهداك لتشرك بي ما ليس
لك به علم بان امرك بالاشراك وبلغا طاقتهما فلا تطعهما اذ لا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق وانما نفى العلم والمراد نفي المعلوم اشارة الى ان ما لا يعلم لا يجوز اتباعه
فضلا عما علم بطلانه فان قلت قد ذكر في سورة لقمان فتعرض وان جاهداك على
ان تشرك بعلى وههنا باللام فما وجه اختصاص كل بموضعه قلت الكلام في سورة
لقمان معترض في اثنآء وصية لقمان ليدل على شدة الاهتمام بعدم الشرك وعلى يدل
على القسر والالحاح اي وان قسراك عليه فلا تطعهما وما في الآية انما اشير الى
التعارف من الايمان الذي سيقوله الكلام الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون
المؤمن منكم والمشرك وعد ووعيد والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه
حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس وكانت مشركة فلما اسلم سعد قالت
صبأت يا سعد حلفت لا آكل ولا اشرب ولا يظلها ظل حتى يرجع سعد عن
الاسلام فبقيت على ذلك حتى غشي عليها فنزلت والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لندخلنهم في الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبيآء والصلاح صفة جامعة
لكل الكمالات ولذلك طلبها الانبيآء قال سليمان وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال ابراهيم عليه السلام
رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي
في الله هذا اخبار عما يكون في المستقبل لان الآية مكية ولم يكن بها نفاق ولا قتال
ولا غنيمة وانما اعاد لفظ الجلالة اشارة الى ان الايذاء في الله حقيق بان يحتمل
جعل فتنة الناس كعذاب الله كما ان عذاب الله صارف المؤمن عن الكفر فكذلك
عذاب الناس صارف المنافق عن الايمان ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة
ليقولن انا كنا معكم في الدين فتوسلون بذلك الى سهم الغنيمة اوليس الله باعلم بما في
صدور العالمين تكذيب لهم على ابلغ وجه اي لو كان في صدره رغم ايمان لعلمه وليعلمن
الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين اي ليتميزن بين الفريقين بحيث لا يشتبه
بعضهم ببعض ولذلك وقع كما قال قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من
اخباركم وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم مقالة
صناديد قريش قالوا لمن آمن منهم ان كان بعث على ما يزعم محمد عليه السلام
فانا نحمل عنكم الآثام ان اتبعتمونا علقوا الحمل بالاتباع وامروا طريقة الامر مبالغة في
التشجيع ولذلك بالغ في الرد عليهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
انهم لكاذبون من الاولى بيانية والثانية تبعيضية اي ادنى جزء منه وقيل

مزيدة والتكذيب راجع الى الوعد بالضمان لا الى الاثبات، ولا يتصف بالكذب اذ انهم
كاذبون عند انفسهم يعني انهم يعلمون ان ذلك الوعد غير مطابق للواقع وليحملن
اثقالهم اوزارهم التي اقترفوها واثقالا مع اثقالهم بسبب الاضلال فان الدال
على الشر كفاعله من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون سؤال توبيخ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث
فيهم الف سنة الا خمسين عاما ذكر بعد مقالة المشركين بعض قصص الانبياء تسلية
لرسول الله وابتدأ بنوح اذ لم يكابد من الانبياء ما كابده احد ولبثه في قومه هذه المدة
كان بعد بعثته فانه بعث على رأس اربعين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة
وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة وعن عون بن شداد الفا وستمائة وخمسين سنة
وانما اثر ما في التنزيل على تسعمائة وخمسين لئلا يتوهم تجوز مع كونه اخصر واعذب
وليكون الالف ابتداء انباء عن طول المدة فتوافق فاخذهم الطوفان الطوفان
الماء والمطر الغالب بحيث يغشى كل شيء من طاف حول الشيء مال بكل وقد شبه
العجاج ظلام الليل بذلك شعر وعم طوفان الظلام الاثابا وهم ظالمون بالكفر فا
نجيناه واصحاب السفينة قيل كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم
اناث وعن ابن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نسوة وقد روي عنه عليه السلام
انهم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة سام وحام ويافث مع اهليهم وجعلناها
آية للعالمين اي السفينة او الواقعة يتعظون بها الكل وابراهيم عطف على نوحا
او نصب باضمار اذكر اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ظرف لارسلنا على الاول
وبدل اشتمال على الثاني ذلكم خير لكم من عبادة الاصنام ان كنتم تعلمون الخير
والشر وتميزون بينهما واشار ان للدلالة على ترجيح عدم العلم انما تعبدون من
دون الله اوثانا وتخلقون افكا في تسميتها الهة يصرفون بالناس عن سبيل الحق
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا شيئا مما يطلق عليه اسم الرزق
دليل ثان على بطلان ما هم عليه ابلغ من الاول لان اقل درجات المعبود ان يكون له
نفع في كمال فابتغوا عند الله الرزق كله فانه القادر واعبدوه توسلا بالعبادة
الى مطالبكم واشكروا له على الائه اليه ترجعون وعد ووعيد وان تكذبوا اي
تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم اي كذبوا الرسل ولم يضرهم تكذيبهم بل ضروا انفسهم
وما على الرسول الا البلاغ المبين الواضح او الموضح المزيح للشبهة هذه الآية وما بعدها
الى قوله فما كان جواب قومه اما قول ابراهيم لامته والامم المكذبة قوم شيث وادريس
ونوح او ابتداء كلام من الله معترض بين سائر العرب اعتراضية في اثناء قصة
ابراهيم وذلك ان ذكر هذه القصص انما هو تسلية لرسول الله فكانه قال ان تكذبوا
يا معشر العرب محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها ما اتى به محمد وكذا انما

الرسل قبله وبعده اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق اي علموا علما واضحا كالرؤية بالبصر
والهمزة وكيف مسلوب عنها معنى الاستفهام وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالخطاب
لامن ابراهيم او منه تعالى تنبيها على انها تقدم ولا حاجة الى تقدير القول ثم يعيده عطف
على اولم يروا لا على يبدئ لان الرؤية ليست بواقعة على الاعادة لان الابداء
انما كذلك والرؤية بمعنى العلم يصح تعلقه بها بل لان العلم بالابداء دليل على العلم
بالاعادة ومستلزم له فلا يحسن نظمهما في سلك واحد ان ذلك على الله يسير ولا
يحتاج الا الى تعلق الارادة قل سيروا في الارض اي قل يا ابراهيم او قل يا محمد
فانظروا كيف بدأ الخلق تأملوا في عجائب صنعه في انواع مخلوقاته يدلكم ذلك
على سهولة امر الاعادة عليه ولما كان دليل الانفس اقرب من الافاق اثر
في الاول الرؤية وفي الثاني النظر ولذلك قيل الاول حدسي والثاني فكري ثم الله
ينشئ النشأة الآخرة اي يحييهم ثانيا كما ابدعهم اولا اجمل النشأة والارتفاع
يقال نشأ في بني فلان فكأن الله بالايجاد اخرجهم من حضيض العدم الى اوج الوجود
وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالف بعدها همزة مفتوحة على انهما لغتان او
اسم المصدر والقصر اخف وانما ابرز اسمه لكونه الاسم الجامع الدال على الاوصاف
المعتبرة في الابداء من العلم والقدرة والحكمة فكأنه قال ذلك الموصوف هو
الذي ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير لاستواء نسبة القدرة الى
الكل دليل على المدعى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون تردون
فيجازيكم كلا على وفق ارادته وما انتم بمعجزين الله في الارض بالتواري والهبوط في
مهاويها ولا في السماء التي هي افسح وابسط لو قدر صعودكم اليها او التقدير
ولا من في السماء اي لا تقدرون انتم على دفع قضائه ولا لكم من تلجؤون اليه في ذلك
والذين كفروا بآيات الله من ولي ولا نصير لا في الارض ولا في السماء الدالة على وحدانيته
وقدرته والبعث وما يتبعه من الجزاء او لقائه يئسوا من رحمتي يوم القيمة
لان المنكر للبعث لا يوصف باليأس من شان من يوصف بالرجاء او المراد بيان
ماله حالهم حال الموقنين في ذكر اليأس ايضا كلها او استعارة تبعية شبهوا بمن
مات على الكفر او بمن ايس فضا اشارة الى توغلهم في الكفر وانما التفت الى التكلم
اشارة الى قوله ورحمتي وسعت كل شيء ولذلك لم يضف العذاب في قوله واولئك
لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من
الصادقين في دعوى النبوة او في نزول العذاب قال رب انصرني على القوم
المفسدين بانزال العذاب وصنعهم بادخاله وتوسلا بذلك على استعجال نزول
العذاب فلما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قوم ابراهيم الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه قالوا نصحه بالغ نكره وهو القتل والحرق وابرزوا صيغة التفعيل الدالة

على التكثير والمبالغة فانجاه الله من النار بان قال لها كوني بردا وسلاما فصارت
روضة وانما اختصر كيفية الانجاء لان الغرض بيان ما قاساه من امته ليكون تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان في ذلك لايات هي اخمادها دفعة وانشاء روضة
مكانها وسلب الحرارة عنها واحداث البرودة مكانها لقوم يؤمنون لانهم بالتامل فيها
يزدادون ايمانا ويوقنون بان العاقبة لهم وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة
بينكم في الحيوة الدنيا وقرا نافع وابن عامر بتنوين مودة ونصب بينكم على ان مودة
مفعول له وبينكم ظرف اي اتخذتموها لتتوادوا وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها كما
اليوم اهل كل مذهب كذلك او مفعولا ثانيا كما في قوله اتخذوا ايمانهم جنة وقرا ابن
كثير وابو عمرو والكسائي مودة مرفوعا مضافا الى بينكم على الاتساع كقوله يا سارق
الليلة اهل الدار على ان ما مصدرية والعائد محذوف ومودة خبرها او مصدرية اي
ان سبب اتخاذكم اوثانا ارادة مودة او كائنة ومودة خبر مقدر اي انعكافكم عليها
مودة او مبتدا وفي الدنيا خبره اي تواصلكم في الدنيا وعلى هذين الوجهين الجملة
صفة اوثانا وقرا حمزة وحفص مودة بينكم منصوبا مضافا والمختار نصبه منونا
لظهور المعنى والاستغناء عن التقدير والجري على الاصل ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي بعض العبدة يلعن بعضا كقوله الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين او العبدة والاصنام لقوله ويوم القيمة يكونون عليهم
ضدا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين فان قلت لم لم يذكر هذا قبل جواب قومه
ليكون كلامهم منتظما في سلك واحد قلت ما تقدم كان نصحا وارشادا وهذا
وعيد وتهديد وما يؤول اليه امرهم فلم يحسن نظمه معه فامن له لوط هو اول من
حين راى النار لم تؤثر فيه وهو ابن اخيه وقال اني مهاجر الى ربي الى حيث امرني
انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا بما فيه حكمة كان نزوله
فسار الى حران بديار بكر ثم الى الشام وفلسطين ثم صعد الى مصر وملك مصر
الذي اعطاه هاجر ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حين ايس من
الولد ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب جنس الكتاب
فيدخل تحته الكتب الاربعة واتيناه اجره في الدنيا اجر الهجرة من الثناء الحسن
لا ترى امة الا وهم ينتمون اليه وانه في الاخرة لمن الصالحين لمن الجامعين لمحاسن
الافعال والاخلاق ولوطا عطف على ابراهيم ان نصب باذكر وما عطف عليه ان كان
معطوفا على نوحا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة اي الفعلة البالغة في
القبح وقرا انكم بالاخبار نافع وابن كثير وابن عامر وحفص اكتفاء بالثاني ما
سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لزيادة القبح فيها حيث
اشمازت الطباع باسرها عن ارتكابها في سالف الدين ائنكم لتاتون الرجال

شهوة

شهوة وتقطعون السبيل تتعرضون للسابلة اتفق السبعة على الاستفهام هنا
للانكار والتعجب وتاتون في ناديكم المنكر من اللواطة في المجلس والتضرط
والخذف ورمي البندقة وفرقعة الاصابع وحل الازار فما كان جواب قومه الا
ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في دعوى النبوة
او في نزول العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين بانزال العذاب
وصفهم بالافساد وتوسلا بذلك على استعجال نزول العذاب فلما جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى كانوا ظالمين مصرين على الظلم في الزمن الماضي قالوا ان فيها
لوطا بيان للمانع وسؤال عن كيفية الهلاك مع وجوده بين اظهرهم وهو بريء
مما كانوا يفعلون قالوا نحن اعلم بمن فيها تسلية له على ابلغ وجه بانهم اعلم بعدم
استحقاقه العذاب لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين الباقين
في العذاب لكونها كافرة مثلهم وقرا حمزة والكسائي لننجينه مخففا من الانجاء
والتشديد ابلغ ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ان صلة تفيد اتصال
الفعلين كانه قيل لما جاءت الرسل فاجأته المساءة من غير ريث خوفا عليهم
من قومه وضاق بهم ذرعا كناية عن فقد القدرة على تدبيرهم وذلك
ان طويل الذرع ينال ما لا يناله قصير الذرع فضرب ذلك مثلا في العجز
والقدرة وقيل في عليه رحب الذراع وقالوا لا تخف ولا تحزن لما راوا
فيه اثر الضجرة انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين كانت
في علم الله تبقى في عدادهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وابو بكر منجوك مخففا
والتشديد ابلغ ونصب اهلك بالعطف على محل كاف منجوك انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا من السماء والرجز والرجس لتعلق والاضطراب
اطلقا على العذاب لاضطراب المعذب وقرا ابن عامر منزلون مشددا
بما كانوا يفسقون على الاستمرار ابلغ من قولهم ان اهلها كانوا ظالمين ولقد
تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون فان اثارها باقية ماء اسود ونطق القران
بسوء حالهم وتواترت بها الاخبار والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم
اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وهو
على الصلة والرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة
الزلزلة الشديدة او صيحة جبريل لان القلوب ترجف منها فاصبحوا في دارهم
في ارضهم او في ديارهم اكتفى بالواحد جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا
وثمود منصوبان باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه وقرا حمزة
وحفص ثمود والجمهور منصرف بتاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي
منازلهم وخرابها فان اهل مكة كانوا يمرون عليها في اسفارهم وزين لهم الشيطان

اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل عن طريق الحق وكانوا مستبصرين
ذوي بصائر عاقلين بحقيقة الدين ولكن لجوا حتى هلكوا او كانوا متمكنين من
الاستبصار ولكنهم تغافلوا وقارون وفرعون وهامان عطف على عادا وتقديم
قارون لشرف نسبه وتاخيره في سورة غافر نظرا الى الوجود ولقد جاءهم موسى
بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين امر الله فيهم بل ادركهم
لا محالة فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا حصباء او ملكا يرميهم
بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا
به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وجنوده وما كان
الله ليظلمهم ليفاجئهم بالعذاب ويعاملهم معاملة الظالمين ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بان عرضوها للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا في دينهم بما هو مثل عند الناس
في الوهن والغرض من التشبيه تقرير وهن دينهم وانه ابلغ الغاية التي لا غاية
بعدها وهذا التشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بالراقم على الماء من تشبيه المركب
بالمركب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت تذييل تقرير الغرض لو كانوا
يعلمون جهلهم اولا في الاتخاذ ثم زادهم تجهيلا بانهم لا يعلمون هذا الجهل البين ان
الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ما نافية ومن زائدة او استفهامية ومن بيان
والعلم معلق توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا ويجوز ان مصدرية
او موصولة والعائد محذوف وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي
بتاء الخطاب على اضمار القول والغيبة احسن لجريه على سنن السبق وعدم
التقدير وهو العزيز الغالب على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا وفيه حكمة
وفي الوصفين رمز الى عبادتهم حيث تركوا عبادة الموصوف بهما وعبدوا من لا يطلق
عليه اسم الشيء وتلك الامثال نضربها للناس اي هذا المثل ونظائره كشفا للحجب
عن وجوه محاسن الفرائد وتقريبا للمعاني الدقيقة الى الافهام وما يعقلها الا العالمون تعريض
بالمشركين الطاعنين في القرآن لاشتماله على ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها وقال العالم من عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب
سخطه خلق الله السموات والارض بالحق خلقا ملتبسا به والمعنى خلقها يكون مساكن
عباده ودلائل قدرته وعلمه وعظم شانه ولذلك قال ان في ذلك لاية للمؤمنين
المتاملين فيها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بتلاوته
فانه من افضل الاعمال وعنه عليه السلام من يرويه عن ربه شغله بيانه تلاوة
القرآن عن دعائي ومسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين واقم الصلوة
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر واشتغالها بها والمحافظة على شرائطها

وراقبه

وراقبه اوقاتها يمنعه عن الاشتغال بغيرها اولان الصلوة معراج العبد فاذا واظب
عليها وذاق حلاوة المناجاة ينسى سائر اللذات فلا يكون لهم سواها ولكن شرط
ذلك ان يقبل عليها بقلبه ويصرح ما سوى الله تعالى وراء ظهره روي ان فتى من الانصار
كان مسرفا على نفسه لا يدع شيئا من المنكر الا ارتكبه فوصف لرسول الله عليه السلام
فقال كيف صلوته فقالوا هو يصلي الصلوات مع رسول الله عليه السلام فقال ان
صلاته ستنهاه ثم تاب عن قريب ولذكر الله اكبر اي الصلوة اكبر الطاعات
وعبر عنها بالذكر اشارة الى انها هو العمدة فيها بل في سائر العبادات وهو ملاحظة كبرياء
المذكور او ولذكر الله اكبر من الصلوة لقوله افضل ما قلت انا والنبيون قبلي لا اله
الا الله او ولذكر الله اياكم برحمة اكبر من ذكركم اياه والله يعلم ما تصنعون لا يخفى عليه
شيء ومنها اثار الصنع على العمل حث على العمل بالقلب والجوارح لانبائه عن زيادة تعمل و
تكلف ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن لما بلغ الغاية القصوى في بيان
طريق ارشاد المشركين شرع في بيان مجادلة اهل الكتاب والمناظرة معهم والجدال
بالاحسن هو مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناءة وقيل منسوخ
باية السيف وليس كذلك لانه مشروط بعدم نفع الجدال بالاحسن وقيل المراد
ذو العهد منهم وقيل الداخلين في الذمة ولا يصح الا بابنا وبل هذه السورة مكية الا
الذين ظلموا منهم وافرطوا بنسبة الولد اليه تعالى ووصفه بالبخل بقولهم يد الله مغلولة
وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم من جنس المجادلة بالتي هي احسن
روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصدقوا
اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله والهنا والهكم واحد
ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة تعريض باهل الكتاب وكذلك انزلنا
اليك الكتاب اي ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب مصدقا لما
بين يديه من الكتب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به وهم عبد الله بن سلام
واضرابه ومن هؤلاء العرب من يؤمن به وهم الصحابة وقيل الذين آتيناهم
الكتاب هم المتقدمون على البعثة ومن هؤلاء وهم اهل الكتاب الذين في عهد رسول الله
وما يجحد باياتنا الا الكافرون المتوغلون في الكفر لانها من الظهور في اقصى الدرجات
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وهذا مسلم عندهم اذا
لارتاب المبطلون وقالوا انه تعلمه من غيره وكان اذ ذلك فللارتياب في الجملة
وجه ان اريد بالمبطلين مشركوا مكة وان اريد بهم اهل الكتاب كان لهم ان يقولوا
لست النبي الموعود اذ شرطه ان يكون اميا فان قلت على ذلك التقدير ليسوا
مبطلين لان نعته في الكتابين انه امي فكيف سماهم مبطلين قلت لان مدار
النبوة على المعجزة وكونه اميا لا يخط ليس مما يتوقف عليه امره فكانه قال هؤلاء

المبطلون في كفرهم لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب لارتيابهم مع كونه اميا
بل هو اي القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه عن التحريف
والتبديل بخلاف سائر الكتب وما يجحد باياتنا الا الظالمون اذ التكذيب بعد
ازاحة الشبهة في غير موضعه وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه كمائدة عيسى عنادا
منهم بعدما الزموه قل انما الآيات عند الله لو شاء انزلها وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر
وحفص آيات من ربه لموافقة الثاني وانما انا نذير مبين مقصور على الانذار ليس لي
قدرة على انزال ما يقترحونه اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم شيئا فشيئا
يتأملون معانيه وسلاسة الفاظه وجعل الضمير لليهود بعيد لكون السورة مكية والاستفهام
للتقرير ان في ذلك الكتاب الموصوف لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وموعظة لقوم
يؤمنون لقوم قصدهم الايمان لا التعنت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يصدقني
بالمعجزة الدالة على نبوتي او كفى شهيدا باني قد بلغت ما ارسلت به وأديت الامانة يعلم
ما في السموات والارض برهان على كونه كافيا والذين آمنوا بالباطل هي الاوثان وكفروا
بالله اولئك هم الخاسرون في صفقتهم استعارة تبعية ويستعجلونك بالعذاب وان
جهنم لمحيطة بالكافرين انما ذكر يقولون متى هذا الوعد ولولا اجل مسمى مدة موقتة لعذابهم
لجاءهم العذاب اذ لا مانع سواه وليأتينهم بغتة فجاة كوقعة بدر وهم لا يشعرون
باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين اعاد ذكر استعجالهم وساقه
مساق التعجب واثر الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة والمراد احاطتها
بهم يوم القيمة او الآن لتكامل اسبابها من الكفر والمعاصي يوم يغشاهم العذاب
ظرف لمحيطة على الاول ومنصوب بمضمر على الثاني اي كان كيت وكيت من فوقهم ومن
تحت ارجلهم اي من جميع الجوانب ويقول الله او بعض ملائكته الموكل بعذابهم وقرأ ابن كثير وابن
عامر وابو عمرو بنون العظمة اسنادا مجازيا اذ لا يكلمهم الله يوم القيمة ذوقوا ما كنتم تعملون
اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون لما كان المؤمنون
بمكة لا يقدرون على اظهار دينهم والقيام به على الوجه الاكمل امرهم الله تعالى وارشدهم الى
ذاته تشريفا لهم وبين لهم ان الاقامة بين اعداء الله الا نعين من عبادته لا وجه لها مع اتساع
بلاد الله والفاء في فاياي فالتعقيب عن قوله ان ارضي واسعة كما تقول زيد اخوك
فاكرمه وفي فاعبدون فاء الجزاء كل نفس ذائقة الموت يجرع مرارتها فعلى العامل
المبادرة الى العمل قبل فوات الفرصة ثم الينا ترجعون للجزاء وثم لتراخي رتبته فان
الجزاء بعقب الموت وقرأ ابو بكر يرجعون بياء الغيبة والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم من الثواء
وهو الاقامة وعلى هذا النصب غرفا على تضمين معنى الانزال او بتقدير في او بجعل المكان المعين
على المبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين والمخصوص محذوف

دل عليه

دل عليه ما قبله الذين صبروا على مفارقة الاوطان واذى المشركين وعلى ربهم
يتوكلون في جميع الامور وكأين من دابة لا تحمل رزقها لضعفها عنها او لا
تدخره توكلا على الله الله يرزقها واياكم بان اقدركم على الكسب تشجيع لهم
على هجرة الاحباب ومفارقة الاوطان وان لا يهمهم امر المعيشة وهو السميع
لقولكم حين قلتم كيف نقدم بلدا ليس لنا فيه اسباب المعيشة العليم بضمائركم
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر الضمير لاهل مكة
وايراده لتوكيد ما تقدم كأنه قال ان الذي اوجده ابتداء احرى بان يكون قادرا
على الابقاء فكما اوجد بلا مادة هذه الاجرام يقدر على تيسير الرزق على هؤلاء الضعاف
من غير اسباب ليقولن الله لما تقرر في العقول بحيث لا يقدر احد على انكاره
فانى يؤفكون كيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار تعجب من حالهم الله
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له فكم من ساع لا يقدر على قوت
يومه وكم من فارغ البال يأتيه الارزاق من كل اوب ويجوز ان يكون الموسع
عليه والمضيق واحدا والبسط والقبض على التعاقب ان الله بكل شيء عليم يعلم
من يصلح له البسط او القبض ووقت كل منهما ولئن سألتهم من نزل من
السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله اعترافا منهم بانه الموجد للكائنات
قل الحمد لله اي اذا كان الكل منه فالحمد مختص به لا يشاركه فيه احد وفيه رد
على المشركين وتسفيه لهم لانهم مقرون بالمقدمات وينكصون عند النتيجة
وامتنان عليه عليه السلام حيث عصمه عن مثل تلك الضلالة ووفق لاظهار
الحجة بل اكثرهم لا يعقلون فلذلك يناقضون اضراب من جهلهم الخاص
الى ما هو ابلغ وهو انهم مسلوبو العقول وقوله قل الحمد لله اعتراض يغرر مخالفة
العادة والزامهم او لا يعقلون لماذا الحمد عند مقالتهم الحمقاء فهو من تتمة
قل الحمد لله ومعنى الاضراب انهم اذا لم يفطنوا لتلك المناقضة الظاهرة
فبالاولى ان لا يفطنوا لمكان حمدك وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب
اذ زرا بهذه الدنيا الدنية التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة فهي كالشيء
الذي يتلهى به الصبي ويلعب ثم يتركه بعد لحظة وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي
الحيوة الدائمة وكما بالغ في تحقير الدنيا بالغ في تعظيم الآخرة بتأكيد الجملة وانواع
التاكيدات تصديرها بان وادخال اللام وايثار المصدر الدال على انها نفس
الحيوة ثم ايثار الحيوان على الحياة لما في بنائه من معنى الحركة والاضطراب
اللازمين للحيوة لو كانوا يعلمون لو كانوا من اولي العلم لما استبدلوا بالشريف
الخسيس والباقي الفاني فاذا ركبوا في الفلك نوع آخر من جهالتهم متصل
بما قبله ما دل حالهم عليه دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم بان لا قدرة لغيره

فلما نجاهم الى البر نجاهم من الغرق وصلوا الى البر اذا هم يشركون فاجاؤا الشرك
من غير تلبث ليكفروا بما آتيناهم من النعمة وهي النجاة من الغرق وكان الواجب
عليهم شكرها واللام فيه لام كي ويحتمل ان يكون لام الامر لقوله وليتمتعوا بسكون
اللام وهي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون لان لام كي لا يجوز اسكانها
لحذف ان بعدها وضعف عوامل الافعال ويؤيد هذه القراءة قوله في سورة الروم
ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف يعلمون وخامة العاقبة اولم يروا انا جعلنا
حرما آمنا اي قررا وتوبيخ لاهل مكة خاصة بين المشركين لاختصاصهم بهذه النعمة وهي الامن
في اشرف البقاع ويتخطف الناس من حولهم التخطف سلب الشيء خفية وكان هذا شأن
العرب لم يزالوا في التحارب والتناهب افبالباطل يؤمنون بعد وضوح هذه النعمة
تعجب من حالهم وبنعمة الله يكفرون بالاشراك به وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص
مبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا اظلم منه وفي الحديث ليس الكذب علي
كالكذب على احد واذا كان الكذب على رسول الله لا يشبه كذبا فعلى الله من باب الاولى
او كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول او الكتاب والتعبير عنه بالحق للدلالة على المدح
ولما نظيرة اذا الفجائية في الدلالة على انهم كذبوه من غير توقف كما يفعل العقلاء
المراجيح عند سماع الخبر اليس في جهنم مثوى للكافرين استفهام تقرير كقول جرير الستم
خير من ركب المطايا والمعنى الا يستوجبون الثواء وقد افتروا على الله او قد صح عندهم
ان في جهنم مثوى للكافرين ومع ذلك قد اجترؤا على الافتراء فمدار الاول على تبيين حالهم
للغير واستحقاقهم والثاني على توبيخهم تذكيرا لما صح عندهم والذين جاهدوا فينا خالصة
من غير اشراك جعل ذاته مستقر المجاهدة ليعم الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا
الطرق الموصلة الينا وسبل الحق وان كان واحدا الا انه جمع باعتبار انواع المجاهدة
وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين المخلصين في
عباداتهم تقوية لمباشر المجاهد في العبادة بان الله تعالى معه بالنصر والاعانة تمت
السورة والحمد لله على الاحسان والصلوة على خير البرية وعلى الآل اف
العين

سورة الروم مكية وقيل الا قوله فسبحان الله وهي ستون وقيل سبع وخمسون آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض اي ارض العرب لانها المعهودة عندهم وهي اذرعات وبصرى
من بلاد دمشق وبها كانت غلبة فارس على الروم او في ادنى ارضهم اي ارض الروم
او ادنى ارضهم اي ارض الروم الى العدو وهي الجزيرة والروم من اولاد عيص بن
اسحق وهذه الطائفة من ذريته وكانوا على ملة عيسى بن مريم والفرس كانوا مجوسا
والمشركون عبدة الاوثان ولما بلغهم الخبر فرحوا بغلبة الفرس لانهم ليس لهم كتاب
كالمشركين فنزلت الآية وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ففرح بذلك

المؤمنون وكثر التشاجر بينهم وبين المشركين حتى راهن ابو بكر رضي الله عنه ابي بن خلف
على عشر قلائص ان لم تغلب الروم الفرس في سبع فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام
فقال البضع من الثلث الى التسع فزايده في الخطر والمدة فرجع ابو بكر رضي الله عنه الى
ابي بن خلف وتوافقا على تسع سنين ومائة قلوص فلما دخل السنة السابعة غلبت
الروم وجاء الخبر بذلك ورسول الله بالمدينة وكان ابي قتل يوم احد فاخذ ابو بكر رضي الله عنه
القلائص من ورثته وكان ذلك قبل تحريم القمار لان آية الميسر في المائدة وهي آخر القرآن
نزولا وكان هذا من دلائل النبوة وباهر آياته لله الامر من قبل ومن بعد اي له الحكم و
والارادة من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين
وهو وقت كونهم غالبين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الروم لانهم اهل
كتاب وشريعة مثلهم وفي ذلك تفاؤل لهم وعن ابن عباس رضي الله عنه والثوري
ان غلبة الروم على فارس كانت يوم بدر وعن قتادة وعكرمة والزهري انها كانت
يوم الحديبية سنة ست من الهجرة وهذا اقرب لما روي ان هرقل كان قد نذر لئن
نصره الله على الفرس ليزورن بيت المقدس فلما انتصر ذهب الى بيت
المقدس لقيه دحية بن خليفة الكلبي بكتاب رسول الله يدعوه الى الاسلام ينصر
من يشاء وهو العزيز الغالب بدل من اراد بالجد لانه الرحيم يعز من يشاء
بالنصر وعد الله مصدر مؤكد كقولك له علي الف اعترافا لا يخلف الله وعده
لكونه كذبا وهو عليه محال وللدلالة على العجز وعدم العلم بعواقب الامور تعالى الله
من ذلك علوا كبيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لعدم النظر الصحيح يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا بدل من لا يعلمون بدل الكل او في بادائه المقصود للدلالة
على ان العلم بظاهر الحيوة كلا علم لان الغرض من الدنيا باطنها وهو انها مزرعة الآخرة
وانما نكر ظاهرا اشارة الى كمال بلادتهم وانهم لم يعلموا من ظاهرها الا نزرا قليلا
فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وكيفية الصدور منها والتصرف
فيها وهم عن كلها بمعزل وهم عن الآخرة هم غافلون هم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ
وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وعلى الوجهين تحقيق لما تقدم اولم يتفكروا في انفسهم
توبيخ على عدم التفكر فيما يعود نفعه بل اشتغالهم بالبحث عن نظر المحسوس فزجرهم
بذلك والمعنى هلا احدثوا التفكر في انفسهم الفارغة عنه والفكر لا يكون الا في
النفس فذكرها لتصوير الحال كقولك ابصرته بعيني ويجوز ان يكون في صلة يتفكروا
كقولك تفكر في المسئلة واجال الرأي فيها والمعنى ان انفسهم اقرب الاشياء
اليهم وقد اشتملت على نظائر ما يعرف في الكائنات من العالم العلوي والسفلي
فلم يتفكرون فيها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق
بمقدر اي فيعلموا بعد التفكر ان خلق هذا العالم ليس عبثا بل لحكمة بالغة وهي الابتلاء

ليجازي المحسن والمسيء والباء في بالحق مثل الباء في اشتريت الفرس بلجامه دالة على المقارنة
واللزوم واجل مسمى تعين لا تتجاوزه وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون جاحدون
لكونهم دهرية لا يقولون بالمعاد اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم كعاد وثمود وقوم لوط استفهام تقرير اي قد وقع ذلك السير والنظر مع
التفاتهم اليه وتاملهم واعتبارهم كانوا اشد منهم قوة في الحديث خلق الله آدم على صورته و
طوله ستون ذراعا فلم يزل ينقص الخلق الى يومنا هذا واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها
قلبوا الارض لزرع النبات وطلب المعادن وغرس الاشجار اكثر مما فعل اهل مكة لطول اعمارهم
وقوة اجسادهم وكثرة اموالهم واولادهم فلم يقدروا على دفع العذاب النازل بهم فكيف
بسكان غير ذي زرع لا تبسط لهم في المال ولا تسلط على البلاد وجاءتهم رسلهم بالبينات
المعجزات الواضحات فلم يبق لهم عذر يعتذرون به فما كان الله ليظلمهم بعد ذلك الابطال
وقطع الاعذار ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتعريضها لسخط الله ثم كان عاقبة الذين
اساؤا السوأى اي كان عاقبتهم العقوبة السوأى وهي جهنم وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على ان تلك العقوبة السوأى جزاء اساءتهم ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن
اي لان كذبوا ويجوز ان يكون مفسرة لاساؤا لانها بمعنى قولية وفعلية او السوأى مفعول
اساؤا اي اقترفوا الخطيئة السوأى وان كذبوا عطف بيان والخبر محذوف اي جهنم
وقرا ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على خبر كان فالسوأى اسمه بمعنى العذاب او
دخول جهنم او هي مفعول اساؤا وان كذبوا هو الاسم الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم
اليه ترجعون للجزاء ثوابا وعقابا وفيه وعد ووعيد ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
يائسون من الابلاس وهو الياس ومنه ابليس للشيطان او يدهشون ويتحيرون
ومنه الم تر الجن وابلاسها ولم يكن لهم من شركائهم اي ممن اشركوه بالله في الالوهية
شفعاء كما كانوا يزعمون وكانوا بشركائهم كافرين اي يكفرون بهم في ذلك اليوم
وايثار الماضي لتحقق وقوعه او البا للسببية اي كانوا كافرين في الدنيا بسببهم
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله وامتازوا اليوم
ايها المجرمون وقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار
وانهار واشجار وثمار يحبرون يسرون وينعمون من الحبرة وهي المبالغة في كل شي
ومنه حديث ابي موسى الاشعري لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لقراءته واستحسنه
لو كنت علمت انك تستمع لحبرته تحبيرا واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك
في العذاب محضرون لا يغيب عنهم وما هم عنها بغائبين وانما لم يكتف بالكفر بل اضاف
اليه التكذيب بايات الله ولقاء الاخرة لكونه في مقابلة الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا
وحين تظهرون كانه قال اذا صح عندكم حال المعرضين عن عبادته والمقبلين على طاعته

فسبحوه

فسبحوه في هذه الاوقات هربا من ويل عقابه وطلبا لنيل ثوابه وانما قصد الكلام
بالتنزيه واعترض الحمد اعتراضا لان الكلام مع المشركين فالتقديس هو الغرض المسوق له
الكلام وخص الاوقات المذكورة به لظهور دلالتها على باهر قدرته سئل ابن عباس
رضي الله عنه هل تجد في القران ذكر الصلوات الخمس فقال نعم وقرا الاية وذلك ان
تمسون تدل على المغرب والعشاء وتصبحون على الصبح وعشيا على العصر وتظهرون على
الظهر وما روي عن الحسن ان الاية مدنية والصلوات الخمس فرضت بالمدينة منكر لانها
فرضت ليلة المعراج بلا خلاف وعن ابن عباس رضي الله عنه من قرا هذه الاية ادرك
ما فاته في يومه ومن قراها حين امسى ادرك ما فاته في ليلته ثم اشار الى ما يدل
على استحقاقه التقديس والتحميد بقوله يخرج الحي من الميت الانسان من النطفة
او المؤمن من الكافر او العالم من الجاهل ويخرج الميت من الحي في عكس ذلك
ويحيي الارض بعد موتها باخراج انواع النبات منها مع عدم التجانس وكذلك
تخرجون منها اذ لا فرق بين اخراج النبات الاخضر واخراج البشر بل الثاني
اظهر لكون تلك الاجزاء كانت محل الاية مدة وقرا حمزة والكسائي بفتح التاء
وضم الراء ولابن ذكوان وجهان ومن اياته بعض اياته الدالة على العلم والقدرة ان
خلقكم من تراب اي اصلكم وهو آدم عليه السلام او كل واحد لان المحدث من
النطفة التي يخلق منها الانسان يعجن بالتراب الذي يدفن فيه اذا مات ثم اذا
انتم بشر تنتشرون اي خلق كثير متفرقون في اقطار الارض واكناف البلاد
لاسباب المعايش وسائر الاغراض فان قلت كيف استقام الجمع بين ثم واذا
الفجائية مع تنافي مقتضاهما قلت لا تنافي فان ثم للدلالة على بعد هذه الكثرة
من ذلك الاصل الواحد الكائن من تراب ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا اي من جنسكم اناثا او من نطفكم ولان حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام
وسائر النساء خلقن من اصلاب الرجال لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتالفوا
لان في الوحدة وحشة وفي اختلاف الجنس تنافرا وجعل بينكم مودة بواسطة
شهوة ركبها في كل من الزوجين ورحمة لرقة الخلقة والفة الازدواج وعن
الحسن الرحمة الولد لقوله تعالى ورحمة منا ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
في ذلك ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم كالعربية
وسائر اللغات بان علمها آدم عليه السلام بالالهام او خلق علم ضروري كما قاله الاشعري
او بالاقدار على وضعها كما قاله غيره والاول هو الظاهر والوانكم في اصولها كالبياض
والسواد والحمرة وما تركب منها لا ترى بين افراد البشر تحاذيا في لون فقط
ان في ذلك لايات للعالمين من الملك والانس والجن وقرا حفص بكسر اللام
والفتح ابلغ لهذه الايات وان لا يعقلها الا العالمون الا انه اعم شهودها ومن اياته منامكم

بالليل والنهار لتلبسه به فعدل عنه اهتماما وابتغاؤكم من فضله اي في النهار وكان
ظاهر اللف ان يقول ومن اياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار
الا انه عدل عنه اهتماما بالظرف لان الآية انما تحصل به وقدم المنام لكونه آية مستقلة
مع قطع النظر عن الليل بخلاف الابتغاء ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
سماع تدبر ومن اياته يريكم البرق الفعل مقدر بان وبعد حذفه نزل الفعل منزلة المصدر
وازيل اثره في تسمع بالمعيدي وقول الشاعر وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح
آثر ذي اثير او التقدير ومن اياته ما يليكم ثم بين بقوله يريكم البرق وقيل حال من البرق
مقدم اي ويريكم البرق خوفا وطمعا حال كونه من اياته وقيل صفة حذف موصوفها اي
ومن اياته اية يريكم بها البرق خوفا من الصاعقة او من الاتلاف او للمسافر وطمعا
في المطر او للحاضر ونصبهما على العلة بتقدير مضاف اي ارادة خوفكم او الخوف بمعنى
الاخافة ويجوز كونهما حالين اي خائفين طامعين كقوله كلمته شفاها وينزل من السماء
ماء فيحيي به الارض بالنبات مجاز عقلي بعد موتها بيبسها وذهاب نضارتها مجاز لغوي
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم ولما كان خلق الازواج
للالفة والاطمئنان اليها وايقاع المودة والرحمة بين الزوجين الذي لا يتم امر التعيش
الا به غموض يحتاج الى تأمل وتدبر جعل الفاصلة التفكر وخلق السموات والارض واختلاف
الالسن لما كان محسوسا لا يحتاج الا ان يكون الناظر فيها من اولي العلم او العقل
فجعل الاية به ولما كان وجه الحكمة في تعاقب الليل والنهار للاستراحة وكسب المعاش
في غاية الظهور اكتفي فيها من اولي العلم بالسماع وفي اراءة البرق وانزال الماء واحياء
الارض بالنبات بعد ذهاب نضارتها وكيفية نموها ليظهر كمال قدرة الصانع نوع
خفاء يحتاج الى توجيه العقل نحوه اوقع الفاصلة يعقلون واما قيام السماء والارض
بامره فاظهر فلم يحتج الى ذكر شيء من ادوات الادراك ولذلك قال ومن
اياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
اذا الاولى شرطية والثانية فجائية داخلة على الجزاء قائمة مقام الفاء والجملة الجزائية
في تاويل المفرد ومعطوفة على ان تقوم وانما غير الاسلوب اشعارا بان هذه الآية
خارجة عن جنس تلك الآيات مستقلة مقصودة في ذاتها وبين مقدماتها
من الارض متعلق بدعا كقولك دعوته من المسجد اذا كان المدعو فيه ولا يجوز تعلقه
بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها والداعي هو اسرافيل لقوله يوم يسمعون الصيحة
بالحق ذلك يوم الخروج ولما روي ان اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس وينادي
ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركم بالخروج
للقضاء وقيل هو الله تعالى وذكر دعوة اشارة الى سرعة خروجهم وانه لا يتوقف
الا على مجرد ما ينطلق اسم الدعا والعطف بثم للدلالة على عظم ذلك الامر وكمال

انفراده تعالى ويجوز ان يكون لتراخي زمانه وله من في السموات والارض خلقا وملكا
كل له قانتون منقادون لامره طوعا او كرها من القنوت الطاعة وقد جاء بمعنى
الدعاء والخشوع والصلاة والقيام وطول القيام والسكوت كما في حديث زيد بن ارقم
كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين فسكتنا وعن ابي سعيد
رضي الله عنه مرفوعا كل قنوت في القران بمعنى الطاعة وهو الذي يبدأ الخلق ثم
يعيده وهو اهون عليه من البدء في مجاري عرفكم وان كان الكل تحت قدرته
على السواء وفيه تسفيه لهم حيث جهلوا هذا القياس الجلي وعن ابن عباس رضي الله عنه
الاهون بمعنى الهين وقيل الضمير في عليه للخلق ويرده ما رواه البخاري من الخبر
القدسي كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك بقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول
الخلق باهون علي من اعادته وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان عن ابن
عباس هذا مثل قوله ليس كمثله شيء يريد ان ذاته لا تشبه الذوات ولا صفاته
تماثل الصفات وعن قتادة هو قول لا اله الا الله يريد التوحيد في السموات
والارض يتعلق بالاعلى او بالخبر الذي يتعلق به المجار اي يشهد له من فيهما من الاشخاص
وما فيهما من الاجزاء اما نطقا او دلالة وهو العزيز الغالب الذي لا يغالب
الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا لحكمة ولذلك ضرب لكم مثلا من انفسكم
منتزعا منها فان من الامثال شانا في ابراز المعاني وتقريرها في النفوس لاراءتها
المعقول في صورة المحسوس لا سيما اذا كان المثل حالا من احوال الممثل له هل لكم مما
ملكت ايمانكم من العبيد والاماء من شركاء فيما رزقناكم من الاموال فانتم
فيه سواء تتصرفون فيه على السواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار
بعضهم من بعض ومن الاولى ابتدائية والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد
النفي واذا كنتم تانفون عن مشاركة مماليككم وانتم وهم سواء في البشرية فكيف
تجوزون ذلك لرب الارباب خالق السموات ولملائكته كذلك نفصل
الآيات مثل هذا التفصيل الجلي نفصل سائر الآيات لقوم يعقلون يتدبرون
بعقولهم في الامثال وعن ابن عباس رضي الله عنه كان المشركون يقولون لبيك لا
شريك لك الا شريكا هو لك فنزلت بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم
اي لا خفاء في هذا المثل ولكن المشركين اتبعوا اهواءهم جاهلين لا علم لهم يكفهم عن ذلك
فمن يهدي من اضل الله اي لا احد يقدر على هداية من اراد الله ضلاله وما لهم من ناصرين
لامتناع وقوع خلاف مراده تعالى او كما لا هادي لهم في الدنيا لا ناصر لهم في الاخرة
من العذاب فاقم وجهك للدين حنيفا اي بعد ما ثبت الحق صرف كلك الى طاعته
مائلا عن غيره غير ملتفت الى سواه والتعبير بالوجه لان من اهتم بشيء سدد اليه
نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه ويحتمل ان يكون حنيفا حالا من الدين فطرت الله

اي عليكم او الزموا فطرة الله هي ما جبلوا عليه من القابلية والتمكن من الايمان: التي
فطر الناس عليها: لما روي ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود
يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ولما روي عياض
ان الله تعالى يقول خلقت عبادي كلهم حنفاء فاحتالتهم الشياطين عن دينهم
وقيل الفطرة العهد في عالم الارواح لا تبديل لخلق الله خبر في معنى الانشاء
اي لا تغيروا تلك الفطرة او اعتراض كانه قيل الزموا تلك الفطرة اذ لا قدرة
لكم على هداية من خلق شقيا: ذلك الدين القيم اي الدين المامور به
هو الدين الذي لا اعوجاج فيه: ولكن اكثر الناس لا يعلمون: ذلك لاخلالهم
بالنظر الصحيح: منيبين اليه: حال من ناصب فطرة او من فاعل اقم ومعنى
كون خطابه خطابا للامة باعتبار الحكم وشموله والانابة الرجوع الى الله بالتوبة
مرة بعد اخرى من النوبة: واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين معطوفة
على ذلك المضمر الناصب: من الذين فرقوا دينهم: بدل من المشركين اي امنوا
ببعضه وكفروا ببعضه او كل ذهب الى راي وقرا حمزة والكسائي فارقوا بالف
بعد الفاء اي تركوه وهذا ابلغ: وكانوا شيعا: فرقا كل فرقة تشايع امامها الذي
اضلها: كل حزب بما لديهم فرحون: مبتدا وخبر اي مسرورون بدينهم حقا كان
او باطلا او كل حزب مبتدا ومن الذين فرقوا خبره فيختص بالدين الباطل
وفرحون خبر بعد خبر وقيل صفة كل وفيه انه لبيان النكرة فلا يوصف الا ما دل
عليه فلا يقال كل عالم فاضل في الدار برفع فاضل: واذا مس الناس ضر دعوا
ربهم منيبين اليه: راجعين اليه بالتوبة: ثم اذا اذاقهم منه رحمة: شفاء من المرض
ونجاة من الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون: فاجا فريق منهم الاشراك وفي ايثار
لفظ الرب زيادة توبيخ لهم ليكفروا بما اتيناهم: اللام للعاقبة او تعليل لما دل عليه الكلام
اي افاض عليهم ليكفروا او لام الامر للتهديد كقوله اعملوا ما شئتم بدليل قوله: فتمتعوا: وانما
التفت مبالغة: فسوف تعلمون: وبال تمتعكم: ام انزلنا عليهم سلطانا: اضراب الى
ما هو ابعد فهو يتكلم بما كانوا به يشركون: اي بكونهم مشركين بالله ويجوز ان يكون
ما موصولة والتكلم مجاز عن الدلالة او يقدر مضاف اي ذو سلطان اي ملكا: واذا
اذقنا الناس رحمة فرحوا بها: اي سعة وعافية يريد بعضهم لقوله في سورة هود الا الذين
صبروا: فرحوا بها: بطرا: وان تصبهم سيئة: شدة: بما قدمت ايديهم: بسبب
معاصيهم: اذا هم يقنطون: فاجاوا القنوط لا كالمؤمنين الشاكرين في السراء
والضراء: اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر: فما لهم بالانكار على من بطر
بالنعمة ويئس عند زوالها وقد علم ان القابض هو الله تعالى فهلا رجع اليه بالتوبة
ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون: بان الكل منه تعالى اذ سلبوا نعمة ذكروا الله

فآت

فآت ذا القربى حقه: يا محمد او من بسط له اذ علمت ان البسط والقبض من الله تعالى
فاثر الاحسان على بمولا تكون مجلبة لاحسان الله اليك واستدل به ابو حنيفة
على وجوب نفقة المحارم اذا كانوا فقراء وفيه ان ذي القربى يعم المحارم وغيرهم
وحقه سائر انواع البر والمسكين وابن السبيل: حقهما من الزكوة: ذلك خير
للذين يريدون وجه الله: اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه
لا جهة اخرى وقيل النظر الى وجهه: واولئك هم المفلحون: الفائزون: وما اتيتم
من ربوا ليربوا في اموال الناس: ما اعطيتم اكلة الربوا زيادة على حقهم: فلا يربوا
فلا يزكوا ذلك: عند الله: ولا تبارك فيه لكونه حراما وعن ابن عباس هذا في الربوا
المباح وهو ان يهدي الرجل الى ملك فيريد ان يثيبه اكثر من هديته واستدل بقوله
تعالى ولا تمنن تستكثر وبالحديث المستقرض يثاب من هديته وقرا ابن كثير اتيتم
بالقصر من الاتيان بالفعل ونافع ليربو بضم التاء واسكان الواو خطابا من الاربا
اي لتزيدوا في اموالهم او لتزدادوا انتم: وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله
يشمل الواجب والنفل: فاولئك هم المضعفون: ذوو الاضعاف من الثواب
لم يجد الكلام على السنن السابق كانه يعرف ملائكته وخواص عباده مكانة المقصد فيه
عنده ولما في اسم الاشارة من الاشعار بعلية الوصف ويجوز تقدير الكلام فمؤتوه
اولئك وكم بين الوجهين: الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من
شركائكم من يفعل ذلكم من شيء: الله مبتدا والذي خلقكم خبره او صفته
وهل من شركائكم هو الخبر والرابط اسم الاشارة بهذه خواص الالوهية اثبتها لذاته
بكلام خال عن التوكيد لكونها امورا مسلمة لا نزاع لهم فيها ومن الاولى والتبعيض تفيد
ان ما منهم فاعل قط والثانية ايضا كذلك تفيد ان شيئا من تلك الافعال
لا ياتي من احد من شركائهم فضلا عن الكل والثالثة مزيدة لتوكيد شمول النفي
اي ما ينطلق عليه اسم الشيء ولما بين استحالة الشريك قدس ذاته قائلا سبحانه
وتعالى عما يشركون: عن ان يشركوا او عما اشركوه به: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت
ايدي الناس: عن ابن عباس رضي الله عنه البر هو المفاوز والبحر المدن والقرى التي
روي البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح ملك ايلة وكتب له ببحره اي بلده
وقيل هما البر والبحر المعروفان ومعنى ظهور الفساد فيهما محق البركات وقلة المنافع
في كل صنف من اصناف الاموال وانواع الحرف بشؤم الظلم والمعاصي وفي الحديث
اذا مات الفاجر استراح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وعن الامام احمد بن
حنبل وجد في زمن ابن زياد صرة فيها بر كل حبة مثل النوى التمر مكتوب على الصرة
هذا نبت في زمن العدل: ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون: انما قيل ذلك لهم
ليذيقهم في الدنيا بعض جزاء تلك المعاصي عسى ان يعتبروا ويقلعوا عنها وقرا ابن

كثير في رواية قنبل لتذيق بالنون وهو شديد تهويلا: قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبل: اي اذا قصرا ورا الكلم عن المعقولات سيروا
في الارض لتشاهدوا بالابصار آثار الامم المكذبة وما حل بهم فخلت بيوتهم خاوية
بما ظلموا كان اكثرهم مشركين: مثلكم: فاقم وجهك للدين القيم: البليغ الاستقامة
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله: لا يقدر على رده احد وكان متعلق بياتي ويجوز
تعلقه بمرد لانه مصدر بمعنى الرد اي لا يرد له من جهته لا براعم القضاء بعد تعلق
الارادة: يومئذ يصدعون: يتفرقون: تفرقا لا اجتماع بعده فريق في الجنة
وفريق في السعير: من كفر فعليه كفره: لا يتعداه الى غيره: ومن عمل صالحا
فلانفسهم يمهدون: يسوون المنزل ويفرشونه في الجنة كمن اراد الرقاد في مكان
لا يبقى فيه شيئا مما يؤذي الراقد او يشفقون على انفسهم كناية عن كمال شفقتهم
وفي المثل ام فرشت فانامت قال قراد بن عوية وكنت له عما لطيفا ووالدا
رؤفا: وانا فرشت فانامت: ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات: تعليل
ليمهدون ودل بمنطوقه على اختصاصهم بالجزاء وبمفهومه على انهم اهل الزلفى والمحبة
من فضله: اي ذلك تفضل منه لا اداء للواجب: انه لا يحب الكافرين: ودل
صريحا على ان عدم المحبة اقتضى حرمانهم وبمفهومه على ان مقتضى الجزاء موفر
لاضدادهم فيلزم منه محبة للمؤمنين: ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات
ايام المطر وهي الصبا والشمال والجنوب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا يريد به الدبور فانه للعذاب قال نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور: وليذيقكم من رحمته: عطف على مبشرات كانه قال ليبشركم وليذيقكم
او على علة محذوفة دل عليها مبشرات او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه: ولتجري
الفلك بامره: بارادته لا بمجرد الرياح اذ ليس كل ريح مواتيه وقيل اراد اذ من
اموره الخاصة التي لا يقدر عليها غيره: ولتبتغوا من فضله: هو تجارة البحر: ولعلكم
تشكرون: ولكي تشكروا نعمة الله فيها: ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم
بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا: اي فكذبوهم فانتقمنا من المجرمين للذين
آمنوا: وكان حقا علينا نصر المؤمنين: على المجرمين: رفع من شان المؤمنين
واهلهم للكرامة حيث جعلهم مستوجبين للنصر منه وقد يوقف على حقا اي كان
ذلك الانتقام حقا ثم يبتدئ علينا نصر المؤمنين اي في كل اوان وعن ابي الدرداء
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان
حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا هذه الآية: الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
فيبسطه في السماء كيف يشاء: شرع في كيفية انشاء السحاب ترى السماء
صاحبه فيرسل ريحا فتثير سحابا اما من العدم او من البحر كما قيل فيكثره

فينشئه ويمده كيف يشاء متصلا ومتفرقا كسفا ورقيقا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح مفردا للارادة الجنس: ويجعله كسفا: قطعا جمع كسفة كقطع في قطعة وقرا
ابن عامر في رواية ابن ذكوان واحدى روايتي هشام بالسكون اما لانه مخفف
بالاسكان او مصدر: فترى الودق: اي المطر: يخرج من خلاله: في كلا الحالات
فاذا اصاب به من يشاء من عباده: اي بلادهم واراضيهم: اذا هم يستبشرون
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين: كرر لفظ قبل للتاكيد دلالة
على ان ابلاسهم وقنوطهم كان في غاية الاستحكام فيكون الاستبشار الواقع بعدهما
في اقصى الدرجات: فانظر الى آثار رحمة الله: من النبات والاشجار والثمار اشارة
الى تحقيق طرف المعاد بعد البرهان على طرف المبدأ من ارسال الرياح وانشاء
السحاب وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر بالافراد والجمع احسن لشرح الاثر
كيف يحيي الارض بعد موتها: بعد يبسها: ان ذلك لمحيي الموتى: اي الذي احيا
الارض هو الذي يحيي الموتى لان احياءهم اعادة للحياة في تلك المواد كما ان احياء الارض
اعادة للنضارة واحداث القوى النامية بعد تلاشيها: وهو على كل شيء قدير: برهان
على ذلك لاندراجه في هذه الكلية: ولئن ارسلنا ريحا فراوه: اي اثر الرحمة وهو الزرع
او الريح لانه اذا كان مصفرا لا ينبت: مصفرا لظلوا من بعده يكفرون: واللام
موطئة والثانية داخلة على جواب القسم السادّ مسد الجوابين والريح المصفرة
هو الذي يضرب الزرع بالصفار وهو آفة يصفر منه الزرع ذم المشركين بانهم
يستدلون بالآيات على وحدانيته ولا يستكبرون نعمته ولا يصبرون على بلائه فهم
احقاء بالانتقام في ذلك تسلية له ووعد بالنصر: فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم: لا تكثر في البراهين
القاطعة والادلة النيرة الساطعة ولم يزدادوا الا طغيانا جعلهم موتى لا حس لهم
وصما لا سامعة لهم وقيد الادبار لشدة الامتناع فان الاصم اذا كان مقبلا يدرك
بالاشارة وعميا لا يبصرون وفي هذا الترتيب تنزل من الاقوى الى الاضعف مع اشتراك
الكل في الاستحالة وقرا ابن كثير ولا يسمع بالياء القصر والخطاب ابلغ مع موافقته للاول
ان تسمع الا من يؤمن باياتنا: لمن هم القوى ولحواس الحياة التدبر في آيات الله ويجوز
ان يراد اليشار فهم مسلمون: منقادون لاوامر الله تعالى ولما لم يجمع فيهم آيات
الافاق نبه عليهم آيات الانفس في اطوارها من اول النشأة فانها اول دليل واعدل
شاهد على الصانع القدير: الله الذي خلقكم من ضعف: بنى عليه اساسكم لقوله خلق
الانسان ضعيفا او من نطفة لقوله من ماء مهين وقرا عاصم في رواية ابي بكر واحد عن
حفص وحمزة بضم الصاد وهما لغتان الفتح لغة تميم والضم لغة الحجاز: ثم جعل من بعد ضعف

قوة وقت البلوغ واوان الشبيبة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة بالشيخوخة
والتكبير في المعاد للتغاير وهو العليم القدير كامل العلم والقدرة ولذلك يحدث
في مادة اطوار متباينة ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة في
الدنيا او في القبور لاستعظامهم عذاب يوم القيمة او فيما بين فناء الدنيا والبعث
لما روي انه لا تعذب احدا اذ ذاك الساعة الاولى علم بيوم القيمة كالنجم للثريا و
والكوكب للزهرة والثانية ما يقارنه الناس من الزمان كذلك كانوا يؤفكون
يصرفون في الدنيا عن الحق يبنون امرهم على الباطل بيان لحال المجرمين في الجهل
المفرط واشارة الى ان ما اغتروا به من زخارف الدنيا ليس لساعة باعترافهم
وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في
اللوح او علمه او قضائه والتعبير بالكتاب للدلالة على عدم التبدل كالشئ المكتوب
او القران لقوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث فهذا يوم البعث الذي انكرتموه
ولكنكم كنتم لا تعلمون انه كائن لعدم تعقلكم الرسل والكتب فيومئذ لا ينفع الذين
ظلموا معذرتهم اعتذارهم لفوات وقته وقرا الكوفيون لا ينفع بالتذكير وهو احسن
لوجود الفاصلة ولا هم يستعتبون يدعون الى الاستعتاب كما كانوا يدعون اليه
في الدنيا يقال استعتبني فلان اي طلب مني ازالة العتاب فاعتبته اي ازلت عتابه
ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل من كل نوع من انواع الدلائل الدالة على
على التوحيد وكمال الصفات وصدق الرسل هي كالامثال في الحسن والغرابة ولئن
جئتهم باية من ايات القرآن دالة على شئ من تلك الامثال ليقولن الذين كفروا من
قسوة قلوبهم واستهجانهم حديث الاخرة ان انتم الا مبطلون مغمورون على التزوير
لا تخطئونه كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يسعون في
تحصيل العلم بمزاولة اسبابه فاصبر ان وعد الله حق بنصرتك واظهار دينك ولا
يستخفنك الذين لا يوقنون لا يحملنك على الخرق والقلق تكذيبهم وعده بالنصر
في اول السورة واوسطها وخاتمتها وامره بالصبر اشارة الى ان بين يدي ذلك
شدائد يليق بمثله ان يحملها ليوطن نفسه على تلقيها بصدر رحيب اذا وقعت
صلى الله عليه وسلم صلوة توازي عناه وتجاري غناءه والحمد لله على الشدة والرخا
في كل صباح ومسا. سورة لقمان عليه السلام مكية وهي ثلث وثلثون ايات
وقيل اربع بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم
اي ايات السورة ايات الكتاب وصف الكتاب بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه
كلام الحكيم او لكونه محكما اياته هدى ورحمة للمحسنين المخلصين في الدين لانهم
المنتفعون به او الذين يعملون الحسنات وجميع ما يحسن من الاعمال الذين

يقيمون

يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون وصف كاشف على الاول
واستيناف موقعه اولئك على هدى من ربهم وعلى الثاني في الموصول مبتدأ وخبره
اولئك على هدى وهو استيناف يذكر الصفة الموجبة للاستيهال كما مر والصفة المادحة
بمحل مدح واولئك هم المفلحون الفائزون بالبغية لاجل تلك الاوصاف
ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي الاضافة بيانية وهو الحديث المنكر من
كما يصد عن ذكر الله وفي الحديث الحديث في المسجد ما يلهي الاضافة يأكل الحسنات
وروى الترمذي عن ابي امامة ان الاية نزلت في من كانوا يشترون المغنيات
والاضافة بيانية كخاتم الحديد وقيل الاضافة بمعنى من التبعيضية على ان المراد
بالحديث مطلقه فلا يجب تقييد الحديث بالمنكر كما في الوجه الاول لان الغرض
تمييز اللهو القولي والغرض تعجب الساعين ممن يختار اباطيل الحديث على
الايات والحكم ليضل عن سبيل الله كما كان يفعله النضر بن الحارث يقول
ان كان محمد يحدثكم باحاديث عاد وثمود فانا احدثكم ايضا بمثله ويحكي لهم
حروب الفرس من وقايع رستم وافراسياب وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح
الياء وهو ابلغ لاستحقاقه العذاب بمجرد الضلال وسلامته من الحذف
والمراد زيادة الضلال والاستمرار او اريد به الاضلال لان الضلال المضاعف
لا ينفك عنه بغير علم اي بحاله وانما اثرها في التنزيل لدلالته على فقده
اشرف الاشياء ويتخذها اي سبيل الله هزوا سخرية وقرا حمزة والكسائي
وحفص ويتخذ بالنصب وهو اولى لقرب المعطوف عليه والباقون بالرفع اما
استينافا او عطفا على يشتري اولئك لهم عذاب مهين جزاء من جنس
عملهم لاستهزائهم بالدين واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها
مترفعا شامخا انفه كان في اذنيه وقرا ثقلا لا يقدر على السماع فالاول
حال من المستكن في مستكبرا او في ولى والثاني من المستكن في لم يسمعها
لا بدلا من الحال الاولى لفوات المبالغة المقصودة وذلك انه تشبيه
المتكبر بمن لم يسمع ولما احتمل عدم السماع لعدم الالتفات سلب عنه
القابلية بان في الاذن الالة وقرا نافع باسكان الذال فبشره بعذاب
اليم اثر البشير على الاعلام والاخبار تهكما ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم جنات النعيم كما ان لاضدادهم العذاب الاليم خالدين
فيها حال من ضميرهم او من جنات ان جعل فاعل الظرف وعد الله حقا
مصدران مؤكدان الاول لنفسه لان الاخبار السابق وعد بلا احتمال
واما كونه حقا امر مبهم فهو مؤكد لغيره وهو العزيز الغالب لا يمنعه شئ
من انجاز الوعد الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته من مجازاة الفريقين

على وفق اعمالهم خلق السموات بغير عمد احتجاج على من يشرك به ترونها استئناف
يؤكد اذ لا علم اجلى من المحسوس ويجوز ان يكون في محل الجر صفة عمد والاول هو الوجه
لايهام الثاني نفي المركب من حيث هو والقى في الارض رواسي ان تميد بكم جبالا
ثوابت كراهة ان تميل بكم فان جرم الارض بالنسبة الى الماء في غاية الصغر فلا تخلو من
اضطراب وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواع ما يدب على الارض
وانزلنا من السماء ماء التفت الى التكلم لان انزال الماء من جهة العلو ابدع
واغرب فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع هذا خلق الله
مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما يشركون به بكتهم بما لا مجال لهم عن
من رده بل الظالمون في ضلال مبين جلي لا يخفى على ناظر اثر المظهر للدلالة على
الاشراك بعده بهذه الحجة النيرة لكمال الظلم ولقد اتينا لقمان الحكمة كان المشركون
يرجعون الى اهل الكتاب في امر رسول الله عليه السلام وقصة لقمان ونهيه لولده عن
الاشراك مشهورة عندهم فكانت حجة على المشركين ولقمان هذا عبد حبشي وقيل نوبي
كان اولا راعيا فاتاه الله الحكمة فكان قاضيا في بني اسرائيل الى ان بعث داود
فترك القضاء فقيل له في ذلك فقال كيف لا اتركها وقد كفيت بغيري وقيل لم يكن
عبدا بل كان من اولاد آزر عاش الى زمن داود عليه السلام وعمر الف سنة
واتفق المفسرون من الصحابة والتابعين على انه لم يكن نبيا الا ما تفرد به
عكرمة ومجاهد وعن قتادة انه خير بين النبوة والحكمة فاختارها فقيل له في
ذلك فقال خفت ان اضعف عن القيام بحق النبوة روي ان مولاه امره بذبح
شاة وقال له ائتني باطيب المضغتين منها فاتى بالقلب واللسان ثم امره
بذبح شاة اخرى بعد ايام وقال ائتني باخبث المضغتين منها فاتى بالقلب
واللسان ايضا فقال له كيف وجه ما فعلت فقال هما اطيب شيء اذا طابا
واخبث اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه دخل عليه اسود فقال له لا
تحزن فانه كان من خير الناس ثلثة من السودان لقمان وبلال ومهجع مولى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه والحكمة العلم المشفوع بالعمل وهذا معنى استكمال النفس
بحسب القوة النظرية والعملية ولذلك فسر ايتاءها بقوله ان اشكر لله
ليتناول اعتقاد الجنان وعمل الاركان والقول باللسان ومن يشكر فانما
يشكر لنفسه لان نفعه لا يتخطاه ويجوز ان يكون مما قيل للقمان وان يكون
اعتراضا حثا على الشكر ومن كفر فان الله غني لا ينقص بذلك عن ملكه شيء
حميد في ذاته حمد او لم يحمد وقيل حمده الحامدون او حميد بلسان الحال حيث افاض
الوجود على الماهيات وانار رضيا به الكائنات واذ قال لقمان لابنه وهو
يعظه اسمه اشكم وقيل انعم وقيل ماثان كان هو وامه كافرين فلم يزل بهما

حتى اسلما يا بني تصغير اشفاق وقرا حفص بفتح الياء وكسر الثانية في الكل ووافقه
البزي في الثالثة لدلالته على حذف الالف المقلوبة من الياء واسكن الاول وكسر الثانية
وقنبل باسكان الطرفين تخفيفا وكسر الوسط ونافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر بالكسر بحذف ياء المتكلم اكتفاء به لدلالته عليه لا تشرك
بالله في الالوهية ان الشرك لظلم عظيم لا يحاط بكنهه قبحا اذ ليس من يخلق
كمن لا يخلق والوقف على لا تشرك وجعل ما بعده قسما ضعيف ووصينا الانسان
بوالديه عطف على ولقد اتينا لقمان الحكمة دفع لما يتوهم من عدم جواز القيام بحقهما
اذ لا يشبه العبادة وقيل هو كلام معترض في قصة لقمان للدلالة على ان شكر الوالدين
مقرون بشكر الله تعالى ومع ذلك لا يجوز ارتكاب الشرك رضاهما فكيف لغيره
وقيل عطف على مضمر اي وقلنا له ووصينا الانسان حملته امه وهنا على وهن اي
تزل تتضاعف ضعفها منذ حملته الى حين الوضع اعتراض يؤكد حق الام روى البخاري
ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابر قال
امك ثم امك ثم امك ثم اباك وفصاله في عامين لانه اقصى مدة الارضاع
لقوله يرضعن اولادهن حولين كاملين ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا
او بدل اشتمال من والديه او علة لوصينا الي المصير وعد ووعيد وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي ما ليس بشيء حقيقة ولا يصح ان يتعلق به
العلم حرصا ان الاشراك في جملة دون المعدوم فلا تطعهما في ذلك اذ لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا يرتضيه الدين والمروة
واتبع سبيل من اناب الي في التوحيد والاخلاص ثم الي مرجعكم للجزاء فانبئكم
بما كنتم تعملون فاجازيكم على وفق اعمالكم نزلت في سعد بن مالك حين اسلم
حلفت امه ان لا تاكل ولا تشرب ولا تقعد في ظل حتى يرتد ولذلك قيل من اناب
الي ابو بكر فان اسلام سعد كان على يده يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل
اي الخصلة من الحسنة او السيئة مثقال الشيء ما يوازنه وبخردل نبت حبه يضرب
به المثل في الصغر وقرا نافع مثقال بالرفع والتانيث لان الفاعل مضاف الى المونث
او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض قيل الصخرة
هي التي عليها الثور وهي خارجة عن السموات والارض والمراد داخل الصخرة واعماقها
والغرض بيان احاطة علمه بها وان كانت في حق مكان متصور يات بها الله يوم
القيامة ان الله لطيف يصل علمه الى الشيء وان دق مسلكه خبير بمواطن الاشياء
يا بني اقم الصلوة فانها عماد الدين دل بها على انها عبادة قديمة في سائر الملل
وامر بالمعروف وانه عن المنكر فانه كمال وتكميل روى الترمذي عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتامرن بالمعروف ولتنهون عن

عن المنكر ليبعثن الله عليكم عذابا من عنده واصبر على ما اصابك من المكاره في الاوقات
كلها لا سيما عند الامر والنهي اذ قل ان يسلم من اذى الاشرار ان ذلك من عزم الامور
اي المذكور من اقامة الصلوة الى آخره من الامور المفروضة المقطوعة ومنه الحديث
سجدة ص ليست من عزائم السجود وقوله اذا شائت فاعزم المسئلة مصدر بمعنى المفعول
او بمعنى الفاعل من عزم الامور اذا جد ولا تصعر خدك للناس لا تولهم صفحة وجهك
كما يفعله المتكبرون وفي الحديث ياتي على الناس زمان ليس فيهم الا اصعر او ابتر والصعر داء
يعتري البعير يلوي منه عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي تصاعر بالمد وهي لغة
الحجاز الفصحاء على نمط يسافر ولا تمش في الارض مرحا بطرا وهو شدة الفرح
عوزا حالا او مصدرا اي تمرح مرحا او للمرح ومنه الحديث كان رجل يمشي وعليه برد
فنظر في عطفيه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ان الله لا يحب
كل مختال في مشيته فخور على الغير نشر لما تقدم وتغيير الترتيب لتوافق رؤس الاي
واقصد في مشيك اي توسط بين الاختيال والتخافت فيكون مشيا بين مشيين
وفي الحديث نظرت عائشة رضي الله عنها رجلا كاد يموت تخافتا فقالت ما لهذا
قالوا الرجل من القراء فقالت كان عمر سيد القراء وكان اذا مشى اسرع واذا قال
اسمع واذا ضرب اوجع وفي وصف مشيه عليه السلام كان اذا مشى كانه ينزل من صبب
واغضض من صوتك وانقص منه ولا ترفع صوتك الا مقدار ما تستمع حاجتك
واصل الغض النقص والكسر ومنه في الحديث كان عليه السلام اذا فرح غض طرفه لئلا
يكون اشرا ان انكر الاصوات اقبحها لصوت الحمير ابلغ في التحذير عن
الافراط في رفع الصوت باخراج الكلام مخرج الاستعارة وآثر لفظ الجمع لان
الصوت المنكر اذا ارتفعت عليه الحمير كان انكر هذا مع ان الحمار مثل في الذم حتى
حتى ان اهل الادب يكنون عنه بطويل الاذنين تحاشيا عن لفظه فان
قلت من الاصوات ما هو اشد نكرا من صوت الحمار قلت اذا كان المراد
بالانكرية الفظاعة وليس افظع منه صوت هذا مع ان سائر الحيوانات
انما تصوت عند اصابة مكروه والحمار لا يصوت الا بطرا الم تروا ان الله
سخر لكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب اسبابا
لمنافعكم وما في الارض من الاشجار والانهار والزروع والثمار واسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ما يتعلق بظاهر الانسان مثل الاستقامة
وما في الخلقة من المحاسن والباطنة هي القوى المدركة ونتايجها من المعارف
وما في بواطن الاجسام من الاشياء التي لا شعور للانسان بها وقرأ نافع
وابو عمرو وحفص بكسر النون وفتح العين على صيغة الجمع مضافا الى الضمير
وهذا ابلغ واشمل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم مستفاد من طريق

النقل

النقل ولا هدى ولا هداية من رسول ولا كتاب منير انزله الله بل شاذا واذا
قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا انهما كافي التقليد اولو
كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير عطف على مدخول الاستفهام توبيخا اي
ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب النار والمنصوب في يدعوهم
لهم اولا لآبائهم وثانيا في قوله اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
ومن يسلم وجهه الى الله اي ذاته بالكلية الفرق بين اللام في قوله بلى من اسلم
وجهه لله وبين الى كما في الآية ان اللام تفيد الاختصاص اي جعل نفسه خالصة
له لا شركة فيها لاحد والى تفيد التفويض كما يسلم الرجل متاعه الى الغير وهو
محسن في عمله كانه يرى ربه فقد استمسك بالعروة الوثقى مثل حال المتوكل
بحال من اراد الارتقاء الى شاهق فاستمسك باوثق حبل مامون الانقطاع
والى الله عاقبة الامور فيجازيه بما يليق بكرمه ومن كفر فلا يحزنك كفره
اذ عليك البلاغ وقد وفيت به وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاء
من احزن والباقون بفتح الياء وكسر الزاء قال الخليل حزنه جعل فيه حزنا
واحزنه جعله حزينا كادخله جعله داخلا فالاول ابلغ وعن القراء انهما بمعنى
فالقول بان احزن ليس بمستفيض وهم الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا فنجازيهم
عليه ان الله عليم بذات الصدور بخفيات الضماير آثر في الالتفات
لفظ الجلالة لان الالوهية مستلزمة للاحاطة بالسر واخفى نمتعهم قليلا
ليزدادوا اثما عبر عنه بالتعليل لان الفاني وان طال فقليل بالنسبة الى الدائم
ثم نضطرهم الى عذاب غليظ استعار الغلظ من الاجرام اشارة الى شدته
كانه تجدد من غلظه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
لا يقدرون على غير ذلك لغاية ظهوره قل الحمد لله على هذه النعمة اذ في اقرارهم
الزام لهم وقطع دابرهم بل اكثرهم لا يعلمون اضراب الى جهل هو اقوى من الاول
او المعنى ان جهلهم انتهى الى انهم لا يعرفون ان قولك الحمد لله انما هو لافحامهم
لله ما في السموات والارض من الجزئيات الخارجة والاجزاء الداخلة ان الله
هو الغني المطلق الحميد بشان الكمال وان لم يحمد فعالا لانه الكل خلقه وملكه
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات
الله قرأ السبعة الا ابا عمرو والبحر مرفوعا عطفا على محل ان ومعمولها اي لو ثبت
كون الاشجار اقلاما وكون البحر ممدودا بسبعة ابحر او رفعا بالابتداء والواو للحال وقرأ
ابو عمرو بالنصب اما عطفا على اسم ان او بفعل يفسره يمده وهو المختار رجحان
عطف اللفظ على المحل وعدم الاحتياج الى التقدير والمعنى لو ان اشجار الارض اقلام
والبحر المحيط ممدود بسبعة ابحر وكتب تلك الاقلام بذلك المداد كلمات الله تعالى

لما نفدت كلماته ونفدت تلك الاقلام والمداد وانما اوثر جمع القلة اشارة الى ان
ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير كذا قيل وانما يستقيم اذا لم يجعل الجمع المضاف
مستغرقا اذ عند ذلك لا تفاوت بين الجموع ان الله عزيز غالب لا يعجزه شئ
حكيم لا يخرج عن علمه شئ ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لاستغنائه عن
الاسباب والآلات بل علة وجود الاشياء انضمام الارادة الى القدرة ان
الله سميع جميع المسموعات في آن واحد بصير يبصر المبصرات كذلك فلا
يشغله سمعه وبصره شئ عن شئ فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر من النيرين يجري الى اجل مسمى
دل بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجري كل من النيرين في فلكيهما
كل ذلك على حساب وتقدير على عظيم قدرته وكمال علمه والانتفاع الى الحد يجري معناه
الانتهاء واللام للاختصاص وما كان اثنا في ابلغ كثر في القران ولم يقع الا في هذا
الموضع والمراد بالاجل آخر السنة في الشمس وآخر الشهر في القمر وعن الحسن هو يوم القيمة
لانقطاع جريهما حينئذ وان الله بما تعملون خبير يعلم بواطن اعمالكم ذلك بان الله
هو الحق ذلك الوصف العجيب من كمال القدرة وباهر الحكمة لاجل انه الثابت
الالوهية التي من لوازمها الكمال المطلق في كل وصف يليق بكبريائه وان ما يدعون
من دونه الباطل المتجرد عن الاتصاف بوجوده من ذلك كيف وقرأ ابو عمرو و
الكوفيون الا ابا بكر يدعون بالياء وهو التفات لاخراجهم عن شرف خطابه اذ عبدوا
غيره الباطل فان قلت قد زاد في مثل هذا الاسناد ال ضمير الفصل في قوله وان
ما يدعون من دونه هو الباطل في سورة الحج فما الوجه في تركه هنا قلت الكلام هناك
كان في نصر المظلوم والمشركون كانوا يزعمون ان الهتهم ينصرهم ولذلك لما انهزم
المسلمون يوم احد نادى ابو سفيان باعلى صوته اعل هبل اعل هبل فكان المقام
حقيقا بالتأكيد وان الله هو العلي الكبير العلي شانه الكبير سلطانه وما عداه حقير
صغير تحت قهره الم تر ان الفلك تجري بنعمة بنعمة الله بالريح المرسلة التي هي
من نعم الله تعالى لقوله ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد ليريكم من آياته من عجائب
البحر كما اراكم بدائع البر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن
لانه الصبر على البلاء والشكر على النعماء من صفاته كناية يراد بها الموصوف وفي
اثباتها اشارة الى ان الوصفين جماعتا الايمان واذا غشيهم موج كالظلل جمع ظلة
وهي كل ما اظلك اراد الامواج المتراكمة عند هيجان البحر دعوا الله مخلصين له الدين
لزوال ما ينازع الفطرة من شدة الخوف فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد متوسط
في كفره قد خفض من غلوائه او مؤمن موحد باق على ذلك الاخلاص وفي الكلام شائبة
انكار اذ بعد النجاة من تلك المهالك كان اللائق به ان يكون من الكمل اثبت يقين

وما يجحد

وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فان الختر اشد الغدر قال الشاعر وانك لو رأيت ابا عمير
ملأت يديك من غدر وختر كفور لنعماء الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا
يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا لتشييد اركان
البراهين على قيام الساعة بحيث لم يبق للريب فيه مجال حذر كافة الناس بان لا
يتكل احد على احد فان اقرب الناس واحدهم رحما لا ينفع الوالد والولد اذا لم
يقدر احدهما على نفع الآخر فالغير بالاولى وغير النظم في جانب الولد عن السنن
الاول مؤكدا بضمير الفصل لان المولود لا يقال الا لمن ولد منك بخلاف
الولد فانه يطلق على الحافد واذا لم ينفع من ولد منه فالاحفاد من باب اولى
ان وعد الله حق لابد من وقوعه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بالاشتغال بزخارفها
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بالاغراء على المعاصي قائلا ان الله غفور رحيم
وبالتسويف عن التوبة ان الله عنده علم الساعة لا عند غيره كقوله عند ربي
الخبر وينزل الغيث ويعلم وقت نزوله دون غيره لانه معطوف على المخصص
وقرينة المقام لان المسوق له الكلام شمول العلم والاختصاص لا القدرة على الانزال
ويعلم ما في الارحام من الكمية والكيفية وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
نفس باي ارض تموت عطف على جملة ان الله عنده علم الساعة ولما كان الكلام
مسوقا للاختصاص للافادة وصل العلم لزم من النفي على سبيل الاستغراق اختصاصه
تعالى على الوجه الابلغ كناية وفي اثبات الدراية من جانب العبد اشارة الى انه لا يعلم
وان بذل مجهوده في الحيل ان الله عليم كامل العلم بالاشياء كلها خبير عالم ببواطنها
كعلمه بظواهرها تمت سورة لقمان والحمد لله على الانعام والاحسان والصلوة على
المبعوث من عدنان سورة السجدة مكية وهي ثلثون ايات وقيل تسع وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم الم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب ان جعل
اسم السورة او القرآن وان جعل تعديدا للحروف اتعاظا وتنزيل الكتاب خبر
مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه او من رب العالمين ولا ريب
فيه اعتراض وهو الوجه لان قوله ام يقولون افتراه انكار على الزعم انه من
عند غير الله وتعجيب من ذلك القول مع وجود ما ينفي الريب فحق موقع
الاعتراض ويفيده انه لا التفات الى شغب المكابر ثم اضرب عن ذلك
الى اثبات كونه هو الحق بعد ابطال الشبهة بقوله بل هو الحق من ربك وفي
اضافة الرب اليه بعد اضافته الى العالمين تخلص الى اثبات نبوته وفيه اشارة
الى انه العبد الذي جمع فيه ما فرق في العالمين وفي اسلوب الترقي اشارة الى ان
الكمال فيه اتم مما في كل العالم لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اي بعد الضلال
قوله وان من امة الا خلا فيها نذير ولانهم كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم واما

واما دعوة موسى وعيسى عليهما السلام فلم تكن عامة لعلهم يهتدون باجابتك اياهم
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
دليل على استحقاقه العبودية دون غيره كما تقدم ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم
مجاوزين رضاء الله تعالى ولي يتولى امركم ولا شفيع على ان من دونه حال من ضمير المخاطبين
او الشفيع مجاز من الناصر ومن دون الله حال متقدم كانه قيل ما لكم ولي ولا ناصر
غير الله تعالى افلا تتذكرون بهذه المواعظ الجليلة يدبر الامر من السماء الى الارض اي
الامور به من الطاعات متضمن معنى الانزال ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف
سنة مما تعدون العروج هو الصعود والمعنى لا يصعد اليه ذلك الامور به خالصا
الا في مدة متطاولة لقلة العباد المخلصين فذكر الالف للاستطالة لانها نهاية العقود ثم
للاستبعاد ويدل على هذا الوجه قوله قليلا ما تشكرون او ايام الدنيا كلها من السماء الى الارض
فالامر بمعنى الشان والعروج مجاز عن الثبوت في صحف الملائكة والمعنى انه بكل يوم
من ايام الله تعالى وهو الف سنة يدبر شان الدنيا على التدريج فيقع ذلك في الوجود
ثم اذا تمت تلك المدة دبر لالف آخر وهكذا الى قيام الساعة فكانه قيل يجدد
هذا التدبير مستمرا او هو الوحي ومقدار ما بين السماء الى الارض خمسمائة سنة
فيقع النزول والعروج في الف سنة ولا ينافي هذا قوله في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة لان ذلك عروج الى العرش او المراد ايام الدنيا الى قيام الساعة فالامر
بمعنى الشان والظرف متعلق بالعروج كانه قيل يدبر الامر الى يوم القيمة ثم في ذلك
اليوم الذي مقداره الف سنة يصير اليه ذلك الامر كله فيحكم بموجبه والتوفيق بينه وبين
قوله خمسين الف سنة على هذا التفاوت في الاستطالة بحسب الشدة وقيل في خمسين
موطنا وكل موطن الف سنة ذلك عالم الغيب والشهادة اي ذلك المدبر يعلم
الغائب والشاهد بلا تفاوت وهذا يدل على كمال اتقانه في ذلك التدبير العزيز
الغالب على امره الرحيم بعباده يراعي مصالحهم تفضلا الذي احسن كل شيء
خلقه ما يليق به واقتضته حكمته بدل اشتمال من كل شيء وقرا نافع والكوفيون خلقه
بفتح اللام على انه ماض ومحل الجملة النصب على انه صفة كل او جر صفة شيء وهذا ابلغ
وبدا خلق الانسان من طين يعني آدم عليه السلام ثم جعل نسله ذريته سميت به
لانها تنسل اي تنفصل من سلالة فعالة بمعنى المفعول اي مسلولة من ماء مهين
هي النطفة لانها مستقذرة او نخسة ثم سواه قومه بتصوير اعضائه في احسن تقويم
ونفخ فيه من روحه اضافة تشريف كقوله في جبريل فارسلنا اليها روحنا وحديث
من عرف نفسه على تقدير صحته لا يدل الا على ان النظر يوجب العلم بالصانع كالنظر في
الآفاق لقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اي
الادراك لتستنبطوا الكليات من المحسوسات والتفت الى الخطاب كما في قوله

قليلا ما تشكرون شكرا قليلا تشكرون وقالوا ائذا ضللنا في الارض صرنا ترابا مخلوطا
بتراب الارض لا نتميز بين اجزائنا واجزائها وقرا ابن عامر اذا بدون الاستفهام انا
لفي خلق جديد الاستفهام في الموضعين للتعجب مقالة كلهم وقيل القائل ابي بن خلف
وقرا نافع والكسائي بالاخبار وما دل عليه هو العامل في الظرف المتقدم بل هم بلقاء
ربهم كافرون اضراب الى ما هو اعم من انكار البعث وهو جميع ما يكون بعد الموت
من الحشر والحساب والمجازاة قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم لا كما زعمتم
نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر ولا ينافي هذا قوله توفتهم الملائكة لانهم اعوانه
وقيل ينزعون الروح الى الحلقوم فاذا بلغه قبضه ملك الموت والتوفي اخذ الشيء
بتمامه وكذا الاستيفاء لان التفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا ثم الى ربكم ترجعون
للمجازاة ولو ترى يا محمد او يا من يتاتى منه الرؤية اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند
ربهم من الخجل والخزي لرايت امرا فظيعا والمراد وجود الرؤية فلا يقدر له مفعول
ويجوز ان يكون تمنيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليشمت بهم حين تجرع الغصص ولو واذ
وان اختصا بالماضي الا ان المترقب في كلامه تعالى كالثابت قطعا ربنا ابصرنا
وسمعنا ابصرنا ما وعدته وسمعنا تصديق رسلك منك او كنا عميا وصما فابصرنا
وسمعنا فلا يقدر مفعول فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون اذ لا علم اجلى من المشاهدة
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان بخلق قدرة الطاعة
فيها ولكن حق القول مني ثبت وتحقق الحكم ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن و
والانس لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين هذا لازم لذلك الحكم او القول
هو هذا فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم اي بترككم النظر والتدبر فيه ترك الناسي
هذا اي ما انتم فيه من الخزي مفعول ذوقوا وقيل صفة يومكم والآية صريحة في ان الله
لم يرد ايمانهم بناء على التوسط الذي هو مناط التكليف وكون الامر بين الامرين
لا جبر ولا قدر انا نسيناكم تركناكم في العذاب ترك المنسي وفي الاستئناف
وبناء الفعل على ان واسمها اشارة الى شدة الانتقام وذوقوا عذاب الخلد
بما كنتم تعملون من الكفر وسائر المعاصي والخطاب للمشركين فلا يدخل فيه
اصحاب الكبائر انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا وفي ايثار
التذكير اشارة الى انها من الوضوح بحيث لا يحتاج الى تامل خروا سجدا لله
وفي لفظ الخرور اشارة الى انهم لم يتمالكوا حين ذكروا وسبحوا قدسوا الله
عما لا يليق به بحمد ربهم ملتبسين بحمده على التوفيق وهم لا يستكبرون تقريع
بهم وتعريض بالمشركين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ترتفع وتبعد مستمرين
على ذلك يدعون ربهم خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه عن اسماء بنت
يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم

القيمة نادى فيها بصوت يسمع الخلائق سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي
ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم فيقومون وهم قليل: ومما رزقناهم ينفقون: في وجوه
الخير جمعا بين انواع ما يتقرب به: فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين: مما تقر به
اعينهم والفاعل هو الله تعالى وانما ابهم لعدم ذهاب الوهم الى الغير وقرا حمزة اخفي بسكون
الياء مضارع اخفي وما موصولة او استفهامية والعلم بمعنى المعرفة: جزاء بما كانوا
يعملون: اي جوزوا جزاء او اخفي جزاء ومن الحسن اخفوا عن الناس اعمالهم اخفى الله
جزاءهم لم يطلع عليه لا نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرءوا ان شئتم
فلا تعلم نفس: افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا: خارجا عن الدين رد لما كانوا
يزعمون ان لو كان بعث فنحن احسن حالا من هؤلاء الضعفاء لكن قياسا للدار
الاخرة على الدنيا وعن عطاء بن يسار والسدي انها نزلت في علي بن ابي طالب
وعقبة بن ابي معيط وقيل في علي والوليد بن عقبة وليس بصواب لان المراد بالفاسق
هنا الكافر ولان السورة مكية فنزول الاية بعد بدر غير مستقيم لا يستوون في الرتبة
وجمع الضمير بالنظر الى المعنى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات
المأوى لانها دار الاقامة فهي المأوى حقيقة والدنيا كمنزل المسافر وقيل جنة
المأوى جنة مخصوصة عن يمين العرش تأوي اليه ارواح الشهداء نزلا طعام
يعد للنازل ثم صار عاما في كل عطاء: بما كانوا يعملون: بسبب اعمالهم: واما الذين
فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها: فهم خالدون
فيها لا في كلها من التكرار: وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
يقال لهم هذا زيادة في العذاب بتوفير حظ حاسة السمع كقول ابي نواس الا
فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر: ولنذيقنهم من العذاب الادنى: في الدنيا من
القحط والاسر: دون العذاب الاكبر اي عذاب الاخرة: لعلهم يرجعون: بالتوبة
وعن مجاهد العذاب الادنى عذاب القبر ومعنى لعلهم يرجعون يطلبون الرجوع
من باب فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا او الترجي راجع اليهم: ومن
اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها: اي لا اظلم منه وثم للاستبعاد والاعراض
مع الجلاء كقول الحماسي: يرى غمرات الموت ثم يزورها: انا من المجرمين
منتقمون: طرا فكيف باظلمهم: ولقد آتينا موسى الكتاب: كما آتيناك
فلست ببدع من الرسل: فلا تكن في مرية من لقائه: من لقاء الكتاب وان
ما اوتيته نظير ما اوتي موسى وقيل من لقاء موسى الكتاب وقيل من لقائك
موسى يوم القيمة او ليلة الاسراء والاول هو الوجه لقوله فان كنت في شك

مما انزلنا

مما انزلنا اليك الكتاب فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك: وجعلناه هدى
لبني اسرائيل: اي كتاب موسى او موسى: وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس
بامرنا: بتوفيقنا او بامرنا اياهم بذلك وفي الحديث اخذ الله العهد على العلماء كما
اخذ على الانبياء ليبيننه للناس ولا يكتمونه: لما صبروا: على الطاعات وقرا حمزة
والكسائي لما بكسر اللام وتخفيف الميم اي لصبرهم ومآل الوجهين واحد: وكانوا
باياتنا يوقنون: لتدبرهم فيها فكانوا احقاء بالامامة لكمال قوتيهم العملية والنظرية
وتقديم الاول لكونه المقصود من العلم: ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون: اي يميز بين المحق والمبطل من سائر الامم او من بني اسرائيل
اولم يهد لهم: اي لاهل مكة عطف على منوي مثل الم يكشف والفاعل ما دل عليه
كم اهلكنا من قبلهم من القرون: اي كثرة المهلكين او هذا الكلام بمضمونه كقولك
لا اله الا الله يعصم الدماء والاموال وقيل فيه ضمير الله: يمشون في مساكنهم: اي في
اسفارهم وهي مساكن عاد وثمود وقوم لوط: ان في ذلك لايات افلا يسمعون
سماع تدبر فان قلت كان الظاهر بعد ذكر المشي في مساكنهم ورؤية غضب الله تعالى
افلا يبصرون قلت تلك الرؤية كانت وقت مرورهم وقد ذهلوا عنها فلما ذكرهم
اياها حذرهم الذهول عنها بان حثهم على سماع الاتعاظ: اولم يروا انا نسوق الماء
الى الارض الجرز: التي انقطع نباتها لعدم المطر من جرز الشيء قطعه لا الارض التي لا
تنبت لقوله: فنخرج به زرعا: والمراد كل ارض هذه صفتها وعن ابن عباس رضي الله عنه
ارض اليمن وذلك لانها مرتع انعام اهل مكة: تاكل منه انعامهم: من التبن
والاوراق: افلا يبصرون: ابصار اعتبار فيستدلون به على ان من قدر على
ذلك قدر على الاحياء: وانفسهم من الحب والثمر: ويقولون متى هذا الفتح
ان كنتم صادقين: يوم الفتح يوم القيمة لقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا
من الفتاحة وهي الحكم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة وعلى هذا معنى قوله قل يوم
الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون: هم المقتولون في ذلك
اليوم وانطباق هذا الجواب على سؤالهم حيث التهكم والاستهزاء بهم لما كانوا
يستهزءون في سؤالهم واستعجالهم فكانه قال كاني بكم وقد جاء ذلك اليوم الذي
لا ينفع فيه ايمانكم ولا تنظرون اذا استنصرتم: فاعرض عنهم: بعد ما بلغت
الغاية القصوى من التبليغ والانذار: وانتظر: النصر الموعود: انهم منتظرون
ما تمنيهم انفسهم من العاقبة والغلبة: تمت السورة والحمد لله على آلائه الموفورة
والصلوة على محمد ذي الايات المشهورة **سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث**
وسبعون ايات بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله
لم يناده الا ملقبا بما يدل على رفعة محله من الرسول والنبي والمزمل بخلاف

بسائر الانبياء من قوله يا موسى ويا آدم اجلالا له واما ذكر اسمه في قوله محمد رسول الله
وما محمد الا رسول فللتعليم عليه بالرسالة الا ترى الى قوله لقد جاءكم رسول وقوله
آمنوا بالله ورسوله اتق الله دم على التقوى او ازدد منها فانه غير متناهية
ولا تطع الكافرين والمنافقين روي ان ابا الاعور السلمي وابا سفيان بن حرب
وعكرمة بن ابي جهل قدموا المدينة فنزلوا على ابن ابي رأس المنافقين وجاء ابن
قيس فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ادع اللات والعزى وقل ان لها
شفاعة فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال قد اعطيتهم الامان فنزلت
وقيل نزلت في بني قريظة والنضير ويهود بني قينقاع كان ناس منهم اسلموا على
النفاق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلين لهم الجانب ويتجاوز عنهم اذا اتاه
قبيح منهم وقيل ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن
دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوج شيبة بن ربيعة ابنته ان الله كان بما تعملون
خبيرا بما هم فيه من المنكر حكيما في عدم معاجلتهم بالعذاب واتبع ما يوحى
اليك من ربك لا تعدل عنه تأكيد للنهي انه كان بما تعملون خبيرا فيوحي اليك
ما تصلحون به اعمالكم انت وامتك وقرا ابو عمرو بالتاء على انه وعيد للكافرين
والمنافقين وتوكل على الله في مجامع امورك وكفى بالله وكيلا حافظا
موكولا اليه الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه عن ابن عباس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يوما يصلي والمنافقون يصلون معه فنسي
في صلوته فقال المنافقون ان له قلبين قلب معكم وقلب مع اصحابه وعن الزجاج
ان عبد الله بن خطل كان يقول ان لي قلبين وقيل هو ابو معمر وكان من احفظ
العرب وقيل هو جميل بن اسد الفهري فلما انهزم المشركون يوم بدر رؤي له
مر بابي سفيان فقال ما فعل القوم قال هم بين مقتول وهارب وكان له علق
احدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له ما بال احدى نعليك في يدك فقال
ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وجعل ذلك اصلا بنى عليه نفي شيئين
لا حقيقة لهما وهما التبني والظهار وذكر الجوف لزيادة التصوير وتقوية الانكار
وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم كان الظهار في الجاهلية طلاقا وحقيقته
ان يقول الرجل لزوجته انت علي كظهر امي او كالام سائر المحارم فاخبر الله تعالى بان
ذلك القول لا اصل له ولم يثبت له حكم في علم الله تعالى كما لم يتعلق ارادته بخلق القلبين
في جوف وقيل لان هذا يؤدي الى التناقض وان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير
اصل ولان الام مخدومة والزوجة خادمة فان الزوجين اعوان والكل ويكون الحسن
شرعا نقض الظهار يعني التجنب عدي بمن وقرا الكوفيون وابن عامر واللائي بهمزة
مكسورة بعدها ياء ساكنة على الاصل والباقي فرده بتغيير ها وورش بهمزة مكسورة مسهلة

اذا وصل ويقف بياء ساكنة ولابي عمرو والبزي وجهان الياء الساكنة وتحقيق الكسرة
وقرا قالون وقنبل بهمزة مكسورة بعدها ياء وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء في
تظاهرون والهاء وتشديد الظاء وبلا الف وابن عامر بالفتحتين وتشديد الظاء
وتخفيف الهاء والالف بينهما وعاصم بضم التاء وكسر الهاء وتخفيفها والالف بينهما وحمزة
والكسائي بالفتحتين والالف وتخفيف الهاء فيهما والوجه في الكل واضح لكن التخفيف
اشهر وما جعل ادعياءكم ابناءكم جمع دعي وهو الذي يدعى ابنا من غير ولاد وهذا
هو المقصود من سوق الكلام وذلك ان رسول الله كان دعا زيد بن الحارثة ابنا
قبل النبوة لانه كان قد سبي ووقع في يد حكيم بن حزام فوهبه لخديجة زوج رسول الله
فوهبته له فجاء بعد ايام ابوه وعمه في طلبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه فلما
طلباه منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نخيره فان اختاركم فهو لكم وان اختارني دعوه
قالوا رضينا انصفتنا منهم بانه لا يختار على الله احدا فلما خير اختار رسول الله وقال اني
رايت منه شيئا لم يره احد من ابويه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد زيد واخرجه
الى المسجد الحرام ونادى يا معشر قريش ان زيد بن الحارث ابني فلما تزوج زينب
قدح المنافقون وقالوا كيف تتزوج زوجة ابنه وهو ينهى عن ذلك فرد الله ذلك
بان الادعياء ليسوا ابناء ذلكم قولكم بافواهكم من غير ان يترتب عليه امر في
الاحكام الشرعية والله يقول الحق وسواه باطل وهو يهدي السبيل طريق
الجنة وقد اوقع النظم في رد مقالتهم احسن موقع وذلك بان بناه على
قضيتين بهما كانتا هاتين مسلمتين عندهم ثم اتى بالفذلكة للدلالة على
ان الثالث مثلهما مذكور في قرن بلا انفصام ثم ذيل الكل بقوله والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل تاكيدا على تاكيد وتمهيدا لما بعده من قوله ادعوهم
لابائهم الى آخر السورة فانه تفصيل لقوله الحق وهداية السبيل هو اقسط
عند الله اي النسبة الى الآباء هو القول الصواب اسم التفضيل اريد به
الزيادة المطلقة فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين لقوله تعالى انما
المؤمنون اخوة ومواليكم اولياؤكم فيه فقولوا يا اخي يا مولاي وليس
عليكم جناح فيما اخطأتم به قبل ورود النهي او بعده على سبيل الخطأ وسبق اللسان
ولكن ما تعمدت قلوبكم مجرور عطف على ما اخطأتم او مبتدأ خبره محذوف
اي ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح ويجوز ان يراد العموم في الخطأ والعمد
لقوله عليه السلام لا الخطأ اخشى عليكم ولكن العمد وعلى الوجهين ذكرها يؤكد
امتثال ما ندبوا اليه وكان الله غفورا للمخطئ رحيما بقبول توبة العامد
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فيجب عليهم وقايته بالازواج والمهج وايثار
رضاه على رضاهم ولذلك تحرم مرغوبته على زوجها وفي الحديث لا يؤمن احدكم

حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين وهذا دفع لما عسى ان يقال
وان لم يكن الداعي ابنا فليس في المراة نكاح زوجته او المعنى ارأف بهم من انفسهم
لما روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا
وانا اولى الناس به في الدنيا والآخرة فاقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا
او ضياعا فليأتني فانا مولاه. وازواجه امهاتهم في الاحترام والتعظيم وحرمة
النكاح لا في تحريم بناتهن وامهاتهن وفي قراءة ابي وهو اب لهم وقيل لا يقال
لرسول الله ابو المؤمنين لقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم والصواب الاولى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث نسخ توارث الموالات بين المهاجرين
من بيان اي اولوا الارحام الذين هم هؤلاء وبعضهم اولى ببعض في التوارث من
الاجانب او ابتدائية او تبعيضية اي اولوا الارحام الكائنين من هؤلاء او هم
بعضهم. الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا. برا واحسانا استثناء من اعم العام
كقوله لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون
من اقامة المظهر مقام المضمر على تقدير الابتداء والتبعيض دون البيان لان الاجانب
مدلول عليهم سياقا. اذ ذلك. كان ذلك في الكتاب مسطورا. اي المذكور من
الاحكام والكتاب وما ذكر انفا. واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم. اي اذكروا
الميثاق اخذ العهد عليهم بان يبلغوا رسالته. ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى بن مريم. هؤلاء اولوا العزم من الرسل افردهم بالذكر تنبيها على عظم شأنهم
وقدم سيدهم اشارة الى انه المتقدم رتبة وان تأخر زمانا ومن الزجاج هو اولهم
خلقا وان كان اخرهم بعثا وتأخره في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لان
المراد بيان اصالة دينه وقدم عهده. واخذنا منهم ميثاقا غليظا. هو ذلك الميثاق
استعار له الغلظ من الاجرام اجلالا له وقيل هو العهد المؤكد باليمين. ليسأل
الصادقين عن صدقهم. اي الانبياء عن صدق عهدهم في اداء الرسالة او من
تصديق الامم اياهم تبكيتا لمن كذب من وضع المظهر موضع المضمر به حال للرسل
بالتصديق او المؤمنين الذين صدقوا في عهدهم حين اشهدهم على انفسهم الست
بربكم ليشهدهم الانبياء بوفاء العهد واداء الامانة التي حملوها او تصديقهم الرسل
فان تصديق الصادق صدق. واعد للكافرين عذابا اليما. عطف على اخذنا من
النبيين معنى اذ التقدير اكد الله العهد على الانبياء في اداء الرسالة لاثابة المؤمنين
واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب
هؤلاء واعد لهؤلاء وذلك لان سؤال الصادقين عن صدقهم اثابة لهم وعتاب على
خبر اذ لا يسأل المجرمون يومئذ. يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم

جنود قريش وقائدهم ابو سفيان وغطفان وقائدهم عيينة بن حصين وانضم اليهم بنوا
قريظة والنضير من اليهود وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة وسبب هذا الاجتماع
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلى بني النضير من المدينة الى خيبر فذهب اشرافهم الى ابي
سفيان واتفقوا على حرب رسول الله وبذلوا في ذلك وسعهم فاتوا واحاطوا بالمدينة
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة باشارة سلمان الفارسي فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها. وذلك بعد ان اقاموا على محاصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريبا من شهر فارسل الله عليهم ريح الصبا والفا من الملائكة فكبروا حول عسكرهم وقطعوا
اطناب خيامهم والقوا قدورهم وسفت الريح في وجوههم والقى في قلوبهم الرعب فقال
طلحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر النجا النجا فنادوا بالرحيل وانصرفوا
خائبين. وكان الله بما تعملون بصيرا. لا يخفى عليه شيء. اذ جاؤكم من فوقكم من اعلى الوادي
بنو غطفان من شرق المدينة. ومن اسفل منكم من جهة الغرب وهم قريش وكانوا عددا
كثيرا قريبا من اثني عشر الفا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلثة الاف واسند ظهره
الى سلع وحصن الذراري والنساء في اطام المدينة. واذ زاغت الابصار عن مستوى
نظرها حيرة او مالت عن كل شيء وشخصت نحو العدو. وبلغت القلوب الحناجر
جمع الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وهذا مثل في اضطراب القلوب من شدة الخوف
وقيل اذا خاف الانسان او غضب انتفخت الرئة وارتفعت الى الحنجرة وارتفع
القلب بارتفاعها. وتظنون بالله الظنونا. يظن المؤمنون ان الله سينجز ما وعده
رسوله من النصر ولكن خائفون ضعف الاحتمال والمنافقون يظنون ان الكفار
يستأصلون محمدا واصحابه حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى
وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب الى الغائط او المؤمنون الذين في ايمانهم ضعف
وليس لهم فيه قدم راسخ يقولون لو كان الله اراد نصر المؤمنين لا يبلغ الامر في الشدة
والضيق هذا المبلغ. وقرأ ابو عمرو وحمزة الظنون بالقصر في الحالين وابن كثير وحفص و
والكسائي بالقصر وصلا والمد وقفا ونافع وابن عامر وابو بكر بالمد في الحالين متابعة
للمصحف وعليه الرسم والقصر هو الاصل. هنالك ابتلي المؤمنون. امتحنوا فتمايز
الثابت من المتزلزل. وزلزلوا زلزالا شديدا. روى مسلم باسناده الى حذيفة
بن اليمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلي تلك الليلة التي رحلت الاحزاب
ثم قال من يأتيني بخبر القوم ويكون له الجنة حتى اعاد الكلام مرارا فلم يجبه احد ثم قال
يا حذيفة فلم اجد بدا من الجواب فقمت وبي من البرد والجوع ما لا يعلمه الا الله تعالى فقال
يا حذيفة ادخل في القوم وانظر ماذا يفعلون ولا تحدث شيئا قال فمضيت وكنت
كانما امشي في حمام ولا ادري اثر الجوع فلما دخلت فيهم رأيت ابا سفيان يصطلي ظهره
بنار فوضعت سهما في كبد القوس ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدث

شيئا فرجعت واخبرت رسول الله عليه السلام بخبرهم واخذني البرد الذي كان بي اولا
فالبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عباءة كان يصلي فيها فنمت حتى الصباح
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان ❊ واذ يقول المنافقون والذين في
قلوبهم مرض ❊ من عطف الصفات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام او من في قلبه
مرض وضعف اعتقاد ❊ ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ❊ باطلا لا حقيقة له ❊ واذ
قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم ❊ قاله اوس بن قيظي ومن وافقه
على رايه وعن السدي قاله ابن ابي ويثرب اسم المدينة في الجاهلية سميت
باسم رجل من العمالقة نزل بها ثم ورد النهي عن تسميتها بذلك وسماها رسول الله
صلى الله عليه وسلم طابة وقرا حفص مقام بضم الميم من الاقامة والباقون
بالفتح وهذا ابلغ والمعنى لا قيام لكم او لا اقامة او لا امكان لكم عند رسول الله
في وجه العدو ❊ فارجعوا ❊ الى بيوتكم او فارجعوا عن دينه واسلموه الى عدوه ❊ و
يستاذن فريق منهم النبي ويقولون ان بيوتنا عورة ❊ اي معرضة للعدو واصل
العورة الخلل عيب وخلل يستحيى منه ❊ وما هي بعورة ❊ تكذيب من الله لهم ❊ ان يريدون
الا فرارا ❊ من القتال ❊ ولو دخلت عليهم من اقطارها ❊ من جوانب
المدينة ولم يذكر الفاعل اذ لم يتفاوت الحال سواء كان الداخل هؤلاء او غيرهم
ثم سئلوا الفتنة ❊ الردة عن الاسلام ❊ لاتوها ❊ لارتدوا ❊ وما تلبثوا بها الا يسيرا
ريثما سئلوا لعدم ذوقهم حلاوة الايمان او لم يلبثوا في المدينة بعد الردة
الا زمانا يسيرا ويهلكهم الله ثم وقرا الكوفيون وابو عمرو وابن عامر لآتوها
بالمد بمعنى لاعطوها والقصر ابلغ ❊ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار ❊ هم بنو حارثة لما نزل في الغازين يوم احد ما نزل عاهدوا الله ان
لا يفروا بعدها وقيل هم السبعون الذين عاهدوا ليلة العقبة ان يمنعوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكشفوا الكربة عن وجهه والكل خلاف الظاهر
والظاهر انه في المنافقين ❊ وكان عهد الله مسئولا ❊ مسئولا عنه للمجازاة ❊ قل لن
ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل ❊ اذ الموت لابد منه اما حتف
انف او قتلا ❊ واذا لا تمتعون الا قليلا ❊ جواب وجزاء اي وان نفعكم الفرار
لا يكون ذلك الا زمانا قليلا لا يرغب العاقل في مثله ❊ قل من ذا الذي يعصمكم
من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ❊ اي لا احد يقدر على خلاف مراده وكان اصل
الكلام او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاختصر الكلام
او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع وهذا مقرر ومؤكد لعدم نفع
الفرار ❊ ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ❊ في حال من الاحوال ❊ قد يعلم
الله المعوقين منكم ❊ المانعين من العوق وهو المنع والتعويق للتكثير الفعل

فيه

فيه ❊ تحقيق وهم المنافقون المثبطون للمسلمين عن القتال ❊ والقائلين لاخوانهم ❊
من اهل المدينة من الانصار ❊ هلم الينا ❊ قربوا انفسكم منا وتمتعوا بظل الاشجار واكل الثمار
ودعوا محمدا واصحابه فانهم الا اكلة راس وهلم اسم الفعل يطلق على الواحد وما فوقه عند اهل
الحجاز وعند تميم يثنى ويجمع ❊ ولا ياتون الباس الا قليلا ❊ الا اتيانا قليلا يوهمون
بذلك انهم مع المؤمنين ❊ اشحة عليكم ❊ بخلاء بالمعاونة والانفاق في سبيل الله وقيل
اشحة بكم شفقين عليكم متحنين كما يفعل الذاب عن المناضل عنه والشح البخل اذا
قارنه الحرص ونصبه على الحال او الذم ❊ فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور
اعينهم ❊ احداقهم لا تستقر في مكانها من شدة الخوف ❊ كالذي يغشى عليه من الموت ❊
كمن وقع في سكرات الموت ❊ فاذا ذهب الخوف ❊ وحيزت الغنائم ❊ سلقوكم
بالسنة حداد ❊ سلقوكم سالقين السلق رفع الصوت ومنه في الحديث لعن الله
الحالقة والسالقة ❊ اشحة على الخير ❊ الغنيمة كانها من اموالهم ويقولون لولا نحن و
شوكتنا لم تظفروا ونصب على الحال ايضا او على الذم ❊ اولئك ❊ الموصوفون
لم يؤمنوا ❊ قط لان الايمان فعل القلب ❊ فاحبط الله اعمالهم ❊ لم يعتد بها وجعلها هباء
منثورا لعدم الاساس ❊ وكان ذلك على الله يسيرا ❊ لكونها حقيقة بالاحباط لما صادف
عنه ❊ يحسبون الاحزاب لم يذهبوا ❊ وقد انهزموا بذهابهم وذلك من غاية جبنهم
وغلبة الوهم على القوة العاقلة ❊ وان يات الاحزاب ❊ مرة اخرى ❊ يودوا لو انهم
بادون في الاعراب ❊ ساكنوا البدو بين الاعراب لا يبالون بفراق المال
والوطن ❊ يسالون عن انبائكم ❊ كل قادم من جانب المدينة او يسال هؤلاء
القائلون لاخوانهم بعضهم بعضا عما جرى بينكم وبين الاحزاب ❊ ولو كانوا فيكم ❊ في جيشكم
حاضرين ❊ ما قاتلوا الا قليلا ❊ رياء او خوفا من التعيير ❊ لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة ❊ الاسوة ما يؤتسى به اي تقتدي والمعنى انه في نفسه اسوة حسنة
اي قدوة كما تقول في البيضة كذا منا من الحديد اي هي في نفسها عشرون منا او فيه
خصلة من حقها ان يؤتسى بها وقرا عاصم بضم الهمزة وهي لغة تميم والكسر لغة الحجاز
الفصحاء ❊ لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ❊ اي يامل ثوابه او يخاف عقابه وخصوصا
اليوم الاخر لان هوله شديد والجار صلة لحسنة لا لاسوة لان المصدر الموصوف لا يعمل
او مع المجرور بدل من لكم بدل البعض اي لمن كان يرجو الله منكم وامتناع الابدال
من ضمير المتكلم والمخاطب انما هو في بدل الكل ايضا وكذلك في الابدال عن الضمير وهذا
ابدال الجار والمجرور ❊ وذكر الله كثيرا ❊ في حياته جامعا بين الرجاء والذكر وبهذا كانت
سنة المقتدي به صلى الله عليه وسلم فحصل بها كمال التاسي ❊ ولما راى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ❊ بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
ورسوله ❊ حيث قال ان الاحزاب سائرون اليكم في آخر تسع ليال او عشر فلما راوهم

وزلزلوا زلزالا شديدا ايقنوا بالنصر والعاقبة. وصدق الله ورسوله اى ظهر صدقهما
فيما وعدا او بان المظهر في الاسمين للاستلذاذ ولان هنا والصدق لله التصريح ابلغ
وما زادهم ذلك الا ايمانا بصدق وعد الله وتسليما لقضائه والانقياد له. من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه لما ذكر صدق وعده اردفه بذكر صدق
العهد من عباده الذين قد تخلفوا بالخلافة نزلت في انس بن النضر لم يكن شهد بدرا
فقال اول مشهد شهده رسول الله غبت عنه لئن شهدت معه مشهدا ليرين الله
ما اصنع فلما كان يوم احد نادى سعد بن معاذ يا ابا عمرو واها لريح الجنة اجدها من قبل
احد قال سعد فاردت ان اصنع مثل ما يصنع فلم اقدر فقتل شهيدا قالت اخته ما عرفته
الا ببنانه ووجدت فيه بضعا وثمانين من ضربة وطعنة. فمنهم من قضى نحبه كانس
وحمزة ومصعب بن عمير النحب النذر اريد به الموت لانه لازم لزوم النذر. ومنهم
من ينتظر كطلحة وعثمان والزبير. وما بدلوا تبديلا كما غير المنافقون الذين
عاهدوا الله من قبل. ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء
او يتوب عليهم متعلق بالمثبت والمنفي على سبيل التعليل والمعنى قصد الذين صدقوا
بصدقهم العاقبة الحسنى والمبدلون العذاب وعكس ذلك وجعل التبديل علة
مجازا كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وبعد الاستعارة انتظام
في سلك الحقيقة. ان الله كان غفورا لما فرط من الصادقين. رحيما بقبول توبة
المنافقين ان تابوا. ورد الله الذين كفروا اى الاحزاب بغيظهم متلبسين
لم يفارقهم لم ينالوا خيرا قط بوجه مع ما خسروا من الاموال ومشاق
السفر وقتالهم بين بيان لسبب الغيظ. وكفى الله المؤمنين القتال بارسال
الريح والملائكة عليهم وهذا زيادة امتنان على المؤمنين حيث انجاهم من تلك
البلية العظمى من غير حول منهم ولا قتال. وكان الله قويا عزيزا ذا قوة بالغة
لا يغالب. وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب اعانوهم وهم بنو قريظة
كانوا معاهدين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد. من صياصيهم من
حصونهم جمع صيصة وهي ما يدفع به ويتحصن ولذلك يقال لقرن البقر
صياصي. وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا. يعني الرجال
الكبار وتأسرون الصغار والنساء. وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
رجع من مقاتلة الاحزاب دخل ام سلمة رضي الله عنها ووضع السلاح وشرع الغسل
نبدى له جبريل معتجرا بعمامة فقال اوضعت السلاح قال بلى قال لكن الملائكة لم
تضع السلاح وهذا الآن رجوعي من طلب القوم اخرج اليهم واشار الى بني قريظة
وكان بعد صلوة الظهر فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير اليهم وقال لا يصلين
احد العصر الا في بني قريظة فصلوا منهم في الطريق وقالوا لم يرد وعفا عليهم المؤمنون

بهم ولم يصل آخرون امتثالا للقول فلم يعنف على احد فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى
جهدهم الحصار فرضوا بان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه يرجون
ان يستطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل ابن ابي بيهود بني قينقاع
وكان سعد قد جرح يوم احد في اكحله فاتوا به راكبا على حمار فلما قرب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فقاموا فانزلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان هؤلاء قد نزلوا على حكمك فاحرض من رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا وقال
قد حكمت بان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله عليه السلام
وقال لقد حكمت بحكم الله تعالى فوق سبع ارقعة ثم امر بالاخاديد فخدت في الارض
ثم قدمهم وضرب اعناقهم وكانوا بين سبعمائة الى ثمانمائة. واورثكم ارضهم مزارعهم
وديارهم حصونهم واموالهم سائر ما يملكون من الصامت والناطق. وارضا
لم تطؤها بعد بشارة بفتح مكة وقيل خيبر وقيل فارس والروم والوجه انها كل ارض
تفتح الى يوم القيمة. وكان الله على كل شيء قديرا لا يعجزه شيء. يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها اي متاع الحيوة الدنيا
وزخارفها. فتعالين امتعكن اعطكن المتعة. واسرحكن اطلقكن سراحا
جميلا من غير ضرار ولا مضارة. عن جابر رضي الله عنه ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله نساؤه وهو واجم فقال عمر لاقولن
كلاما اضحك به رسول الله عليه السلام فقال يا رسول الله لو رايتني اليوم وقد سالتني
بنت زيد نفقة فخنقت فوجأت عنقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن حولي يطلبن النفقة فقام ابوبكر رضي الله عنه الى عائشة وعمر الى حفصة
يريدان ضربهما فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها
وقال يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا تعجلي حتى تستامري ابويك فتلا عليها
الآية قالت افي هذا استامر ابوي اني اختار الله ورسوله وقالت له لا تذكر لازواجك
اني اخترتك فقال لا تسألني واحدة الا اخبرتها انما بعثت مبلغا ولم
ابعث متعنتا والتخيير نفسه ليس بطلاق لقول عائشة خيرنا رسول الله عليه السلام
فلم يعد ذلك طلاقا وانما اذا اختارت نفسها قبل الاشتغال بما يدل على الاعراض
فطلقة رجعية عند الشافعي وبائنة عند ابي حنيفة رحمهما الله تعالى وعنده ولا متعة حيث
لا مهر وكان لكل المهر وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى اذا لم يكن مدخولا بها ولم يعرض لها في
العقد شيء متعتها واجبة وسائر المطلقات متعتهن مستحبة وتقديم التمتيع على التسريح
المسبب عنه اختاما بما هو من محاسن الاخلاق. وان كنتن تردن الله ورسوله
والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن من بيان لانهن كلهن محسنات
وتبديل المظهر موضع المضمر لدلالة على اختيار رضى الله ورسوله اتيان بالحسن اجرا

اجرا عظيما لا يحاط به ولا نسبة بينه وبين زخارف الدنيا يا نساء النبي من
يأت منكن بفاحشة كبيرة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين اذ الذنب
منهن اقبح وكما ان ثوابهن يضاعف فكذلك العذاب وقرأ نافع والكوفيون
يضاعف بالياء والفتح والتخفيف ورفع العذاب وكذا ابو عمرو الا انه قد شدد
وابن كثير وابن عامر بالنون والقصر وكسر العين والتشديد ونصب العذاب
والباء وهو المختار لعدم التصريح بالفاعل في تضعيف العذاب بخلاف ايتاء الاجر
مرتين المقابل له جريا على سنن سبق رحمته وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه
واعتبار كن انما هو لطاعة الله ورسوله فاذا خرجتم عن ذلك زال موجبه ومن
يقنت منكن لله ورسوله تطع لاوامره وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الفعل
ومرة لكونها في شرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا حمزة والكسائي يعمل ويؤتها
بالياء باعتبار من في الاول ولفظ الجلالة في الثاني واعتدنا لها رزقا كريما زائدا على
ذلك الاجر تفضلا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء همزة احد لحقيقة وهو اسم
لمن يخاطب مفردا كان او اكثر مذكرا كان او مؤنثا والمعنى لستن كجماعة من النساء
ليطابق المشبه لان الغرض تفضيلهن من حيث كونهن نساء النبي على سائر النساء
لا تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة وشبه لا نفرق بين احد منهم من احد
حاجزين ان اتقيتن ان صح ما وصفن به من التقوى سوقا للعلوم مساق المجهول
او ان اردتن التقوى فكيف وانتن متقيات فلا تخضعن بالقول لا ترخين اصواتكن
في خطاب الاجانب فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وفجور وقلن قولا معروفا بعيدا
من الريبة وقرن في بيوتكن ملازمات للطاعة فانه افضل واستر وفي الحديث
صلوة المراة في مخدعها خير من صلوتها في بيتها وصلوتها في بيتها خير من صلوتها في حجرها
وقرأ نافع وعاصم قرن بفتح القاف اما لانه من قر بكسر العين والامر منه اقررن
حذفت الراء الاولى استثقالا بعد نقل حركتها الى القاف ثم حذفت الهمزة استغناء
عنها او امر من قار يقار كخاف يخاف اذا اجتمع والامر منه قر كخف والباقون بكسر القاف
اما من قر بفتح العين يقر بكسرها وحذف الراء والنقل كما تقدم واما من وقر يقر وقارا
فالامر منه قر كعد من وعد ولا تبرجن لا تظهرن زينتكن تبرج الجاهلية الاولى قيل
هي بين نوح وادريس عليهما السلام وقيل بين آدم ونوح وقيل زمن ولادة ابراهيم
وقيل بين داود وسليمان عليهما السلام وكانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ ثم تمشي
فيه تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام
او جاهلية في الاسلام تشبه جاهلية الكفر لما في الحديث ابي ذر قال ساببت رجلا فعيرته
بامه فقال لي رسول الله عيرته بامه انك امرؤ فيك جاهلية قلت جاهلية الكفر قال نعم
واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر الطاعات وافراد الصلوة

والزكوة

والزكوة بالذكر لانافتهما انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت اي انما يريد
الله بهذه الاوامر والنواهي الا ان يذهب الآثام عنكم ولا استعارة الرجس الذي
هو النجس للاثم لانه يدنس العرض وشحه بقوله ويطهركم تطهيرا مبالغة في
التنفير واهل البيت نصب على النداء او على المدح وهذا نص على ان نساءه اهل
بيته واتفاق الكل على انهن سبب النزول وما روته ام سلمة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج وعليه كساء اسود فجاء علي وفاطمة وابناه الحسن والحسين
فجلسوا ولف عليهم الكساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي فلا يقتضي الحصر ولكن ان
كل من حرمت عليه الصدقة من نسائه وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس
رضي الله تعالى عنهم كلهم داخلون في اهل البيت على ما رواه زيد بن ارقم واذكرن ما
يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة اي اشكرن هذه النعمة وهي الكتاب الجامع بين كونه
معجزة دالة على النبوة وعلم الشرائع وانتن قاعدات في مهبط وحي يتردد بالوحي خلال
منازلكم فمن اولى بالشكر منكن ان الله كان لطيفا يدرك مسالك علمه ولذلك
جعل الكلام معجزا خبيرا ببواطن الامور ولذلك جعله مع اعجازه مشتملا على الحكم
والشرائع ان المسلمين والمسلمات المنقادين لاوامر الله تعالى المتوكلين عليه
والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب التصديق به والقانتين والقانتات
المداومين على الطاعات والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين
والصابرات على مشاق الطاعات وترك المعاصي والخاشعين والخاشعات اي
المتواضعين لله بالقلوب والجوارح والمتصدقين والمتصدقات الصدقة المفروضة
اوالم والصائمين والصائمات ما فرض عليهم والحافظين فروجهم والحافظات
عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بالقلب واللسان وفي الحديث سيروا
فقد سبق المفردون قالوا يا رسول الله ما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات
اعد الله لهم مغفرة لما فرط منهم واجرا عظيما على طاعتهم وعن ابي سعيد رضي الله عنه
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل العباد قال الذاكرون الله كثيرا قلت
ومن الغازي قال ولو ضرب بسيفه حتى يتكسر ويختضب دما وعن ام سلمة رضي الله عنها
قلت يا رسول الله ذكر الله الرجال ولم يذكر النساء فخشينا ان لا تذكر فنزلت وقيل
لما نزل في ازواج النبي ما نزل قالت النساء فما لنا لم نذكر فنزلت وعطف
الاناث على الذكور في الآية لا بد منه لتغاير الذوات والمقصد الى الاشتراك
في الحكم واما عطف الزوجين فلا لاتحاد الذوات وكما في قوله تائبات عابدات
وانما عطف اشعارا باستقلال كل من اتصف بتلك الصفات بالخبر ويجوز تركه
اعتمادا على الانتظام وشدة الاتصال معنى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى
الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم نزلت في زينب بنت جحش الاسدية

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فاستنكفت فلما نزلت قالت رضيت
بقضاء الله ورسوله وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم نزلت في ام كلثوم بنت عقبة
ابن ابي معيط اول من هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الحديبية مع اخيها
خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة بعد فراق زينب فسخطت هي واخوها
وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت استسلما لقضاء الله ورسوله
وعن انس بن مالك ان امرأة من الانصار خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجليبيب فابت امها فقالت الجارية لا تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت
لجليبيب فزوجها اياه فلم ينفق ايم في الانصار ما انفقت والمعنى ما صح لمن خالف
رسول الله في اجرائه وذكر الله للتعظيم والاشعار بان قضاءه قضاء الله تعالى
وجمع الضمير المجرور نظرا الى المعنى لوقوع النكرة في سياق النفي والخيرة على وزن
الفعلة المختار من الشيء يقال محمد خيرة الله في خلقه وقرا الكوفيون وهشام بن عامر
يكون بالتذكير وهو المختار لكون المؤنث غير حقيقي مع وجود الفاصل ومن يعص الله
ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا جليا لا يخفى على احد واذ تقول للذي انعم الله عليه
بشرف صحبتك والاسلام والخروج عن الرق وانعمت عليه بتقريبه ورفع شانه
وهو زيد بن حارثة عبده الذي تقدم ذكره امسك عليك زوجك وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى زينب بعد ما زوجها زيدا فوقعت في نفسه
فقال سبحان الله مقلب القلوب وكان النبي محبتها في قلبه القى بغضها في قلب زيد
لما اراد الله واقتضت الحكمة انه لا يابى احد نكاح زوجة دعيه ولا يستقبح فتاور
زيد في فراقها فقال له هل رابك منها شيء قال لا ولكن تتعظم علي بشرفها فقال
لا تفعل امسك عليك زوجك واتق الله فان الطلاق من غير ضرورة ابغض المباح
الى الله تعالى وتخفي في نفسك نكاحها ان طلقها زيد وقيل تعلق قلبه بها وقيل
مودته فراق زيد والاول هو الوجه لقوله ما الله مبديه ولم يبد سوى نكاحها
ولما روى ابن ابي حاتم عن الامام زين العابدين ان الله تعالى كان اعلمه انه سيزوجها
بعد فراق زيد فعاتبه الله تعالى على قوله امسك عليك زوجك بعد علمه بان ذلك
واقع لا محالة وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
مما انزل اليه لكتم هذه الاية وتخشى الناس ان يقولوا تزوج امرأة ابنه والله احق
ان تخشاه وقد اشكل انها زوجتك بعد زيد بهذا على الوجه الاول وان كان في
ما تخشى الواو للحال وعلى هذا المعاتبة ليس على الاخفاء وحده فانه يستحسن بل على
الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار خلاف ما في الضمير فلما قضى زيد منها وطرا
حاجة الرجال من النساء زوجناكها اي بعد انقضاء العدة وعن الشعبي
ان زينب قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ادل عليك بثلث ليس لاحد بها

في شانك

في شأنك جدي وجدك واحد وزوجني الله اياك فوق السماء وجبريل كان
السفير وقد روى البخاري عن انس رضي الله عنه ان زينب كانت تفتخر على
سائر ازواج النبي زوجني الله تعالى وزوجكن اهاليكن لكيلا يكون على المؤمنين
من حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وفيه دليل على ان
حكمه حكمه ما لم يقم دليل وكان امر الله مفعولا مكونا لا محالة مثل الارادة من
تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدره سنة الله
في الذين خلوا من قبل اي سن به سنته في الانبياء وهو انه لا حرج عليهم فيما اباح
لهم من النساء والتسري روي ان سليمان عليه السلام كان له ثلثمائة مهيرة و
سبعمائة جارية وكان امر الله ارادته اذا تعلقت بشيء قدرا مقدورا قضاء
مبتوتا وهذا ابلغ من الاول الذين يبلغون رسالات الله بدل من الذين خلوا
او رفع او نصب على المدح وما بينهما اعتراض ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
وحده ليس فيه تعريض كما ظن لانه لم يكن ما اضمره مما امر بتبليغه ولذلك قالت
عائشة رضي الله عنها لو كتم شيئا لكتم هذه الآية كيف وقد قال انا اخشى الناس
واتقاهم وهو اصدق القائلين الذي ما ينطق عن الهوى وكفى بالله حسيبا
كافيا للمخاوف فلا ينبغي ان يخشى غيره او محاسبا على الصغير والكبير ما
كان محمد ابا احد من رجالكم حقيقة يريد ابا الولادة فلا ينافي التبني
لزيد ولا كونه جد الحسنين واما اولاده الذكور لم يبلغوا مبلغ الرجال
بل ماتوا صغارا وما قيل لو عاشوا لكانوا انبياء الا باعتبار النقل
والعقل ولكن رسول الله وخاتم النبيين لا نبي بعده وقرأ عاصم
خاتم بفتح التاء وما يختم به وقراءة العموم اولى لتأيدها بقراءة ابن مسعود
رضي الله عنه وختم النبيين وكان الله بكل شيء عليما كامل العلم وقد علم
انه يليق به ان يكون خاتم الرسل يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا في اغلب الاوقات يعم ذكر القلب واللسان بانواعه وسبحوه
بكرة واصيلا خصوصا في هذين الوقتين الشريفين كالتسبيح فانه
اشرف الاذكار لكونه تنزيها عما لا يليق بكبريائه وقيل الفعلان موجهان
اليهما وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اريد بالتسبيح الصلوات
الخمس في اوقاتها هو الذي يصلي عليكم بالترحم وملائكته لانهم يستغفرون
للمؤمنين مجابوا الدعوة فكانهم مترحمون او اريد بالصلوة مطلق العناية
باصلاح الاحوال وقيل الصلوة لاشتمالها على الركوع والسجود استعيرت
لانعطاف المعنوي والحسي ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمة
المعصية الى نور الايمان والطاعة حيث لم يكتف بترحمه امركم بالذكر

والكثرة والتوفر على الصلوة والطاعة * وكان بالمؤمنين رحيما * بليغ الرحمة حيث
لم يكتف بترحمه حتى يشغل ملائكته المقربين به * تحيتهم يوم يلقونه * اضافة المصدر
الى المفعول واللقاء بعد الموت او عند الخروج من القبر او عند دخول الجنة * سلام *
اخبار بالسلامة عن كل مكروه * واعد لهم اجرا كريما * اي الجنة وما فيها من النعيم روي انه
لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
ما خصك الله بشرف الا واشركنا فيه فنزلت * يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا *
على من بعثت اليهم بالتصديق والتكذيب * ومبشرا * بالجنة لمن آمن * ونذيرا * بالنار
لمن اشرك وكفر * وداعيا الى الله باذنه * بتيسيره وفيه اشارة الى ان الدعوة
الى التوحيد امر صعب لا يتاتى الا بتيسيره فان قلت كونه داعيا الى الله هو
عين كونه مبشرا ونذيرا فما وجه الجمع قلت روعي في الجمع حال المرسل والمرسل اليه
صريحا وان كان كل منهما مستلزما للاخر * وسراجا منيرا * يستضاء به في ظلمات
الجهل وكما يمد نور السراج نور الابصار كذلك امد الله بنور نبوته نور البصائر
وانما وصف السراج بالانارة لان من السراج ما لا يضيء كما اذا قل سليطه ودقت
فتيله وفي كلامهم ثلثة تضني القلب رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة
لا ينتظر عليها من يجيء وقيل المراد بالسراج هو القران والمعنى ذا سراج او تاليا
سراجا ويجوز ان يكون عطفا على كاف ارسلناك اي ارسلناك والقران
اما على سبيل التبعية واما من باب متقلدا سيفا ورمحا * وبشر المؤمنين *
عطف على مقدر اي فراقب احوال امتك وبشرهم * بان لهم من الله فضلا
كبيرا * على سائر الامم وفي الحديث تقدمكم سبعون امة انتم خيارها او فضلا
زائدا على مقدار الجزاء * ولا تطع الكافرين والمنافقين * اي دم واثبت
على ما انت عليه تهييج والهاب * ودع اذاهم * ما يؤذيك به لا تلتفت اليه
او ما يؤذيهم به مجازاة او مؤاخذة على الكفر مصدر مضاف الى الفاعل او الى
المفعول وعن ابن عباس رضي الله عنه نسخت باية السيف * وتوكل على الله *
فان فيه كفاية * وكفى بالله وكيلا * موكولا اليه الامر وصف خير خلقه بصفات
خمس ثم قابل كلا منها بما يناسبه فقابل الشاهد بالمراقبة وحذفه لان ما بعده
دال عليه مفصلا والمبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن طاعة
الكفار وعدم المبالاة بهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج
المنير بالاكتفاء به لان من جعله نورا اضاءة الشرق والغرب جدير بان يكتفى به *
يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن *
والنكاح لغة الوطي واطلاقه على العقد اطلاق على السبب وقيد المؤمنات
اشارة الى ان الاولى بالمؤمن ان يؤثر لنطفته وان لا يجمع فراشه ولي الله وع

وثم لدفع ما عسى يتوهم من ان طول المدة يورث في ايجاب العدة والمس كناية عن الوقاع
وجعل ابو حنيفة رحمه الله تعالى اعم منه ومن المس بشهوة وجعل الخلوة الصحيحة قائمة
مقامه * فما لكم عليهن من عدة تعتدونها * تستوفون عددها من عددت الدراهم
اذا عددها لنفسه كقولك اكتاله واتزنه وفي اللام وعلى دلالة على ان وجوب
العدة انما هو للرجال وكونه من حقوقهم * فمتعوهن * شطر المهر ان كان لها فرض
والا فالمتعة الواجبة ومن جوز استعمال المشترك في اكثر معنى او الجمع بين الحقيقة
والمجاز فالتمتيع يشمل الواجب والمسنون عنده * وسرحوهن سراحا جميلا *
اخرجوهن من غير ضرر ولا منع حق * يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي آتيت اجورهن * مهورهن سماه اجرا لكونه في مقابلة البضع والتقييد
بايتاء الاجر وان صح النكاح بدونه اشارة الى ايثار الافضل عليها هو اللائق *
كما في قوله * وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك * اي اغنمك فان الجارية
اذا كانت مغنمها بسيفه احل واطيب من المشتراة من شق الجلب
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك * توسط
بين الافراط والتفريط فان اليهود ينكحون بنت الاخ وبنت الاخت والنصارى
لا ينكحون الا اذا تباعدا بسبعة اجداد وافراد العم والخال للتخفيف وايثارهما
بذلك للشرف نظيره عن اليمين والشمائل وفي ذلك ايماء الى الخيار الناقص
بصيغة الجمع * اللاتي هاجرن معك * من قبيل الاول كما تقدم لان غير المهاجرة
لا تحل وقيل لم تحل له غيرهن لما روى ابن ابي حاتم باسناده الى ام هانئ انها قالت
خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فاعذرني ثم انزل هذه الاية
فلم اكن احل له لاني كنت من الطلقاء * وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي
ان اراد النبي ان يستنكحها * اي واحللنا لك احلال امراة مؤمنة ان وقع انها
تهب ويستنكحها انت وايثار لفظ النبي اشارة الى ان علة هذا الاحلال شرف
نبوته ولذلك عدل الى الخطاب في خالصة لك من دون المؤمنين * وعن الشافعي
ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى والمعنى مختص به وعند ابي حنيفة
رحمه الله تعالى الاختصاص في المعنى دون اللفظ ولا لزوم بين اللفظ والمعنى لان
دلالة الالفاظ وضعية واختلف في انه هل قبل نكاح واهبة نفسها ام لا والحق
انه لم يثبت وقيل قبل اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة وام شريك
وخولة بنت حكيم * وخالصة * مصدر مؤكد كوعد الله اي خلص لك احلال الواهبة
او صفة مصدر اي هبة خالصة * قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم * من اشتراط
الولي والشهود والمهر والحصر في الاربع * وما ملكت ايمانهم * لا يملكون شيئا الا ارثا
او هبة او بالعوض ولك صفي المغنم ما شئت * لكيلا يكون عليك حرج * متعلق

بخالصة وما بينهما اعتراض يؤكد معنى اختصاصه بما اختص به وانّ هذه الاربعة مما يليق بسبب
ناشئة عن علم تام بالحال من فضل عليه من المؤمنين وقيل خالصة مصدر مؤكد لاحلالنا
الاربع ولكيلا يكون عليك حرج متعلق به والاعتراض بحاله وفيه ان ما عدا الواهبة ليس
من خصائصه بما اختص به لتساوي امته معه في الاحلال والاولوية ايثار الافضل وكان الله
غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن
تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء من ازواجك
او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لمن تشاء او تترك تزوج من تشاء
وتتزوج بمن تشاء من امتك فالارجاء والايواء باطلاقهما يتناولان هذه الاقسام
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ترجئ بالهمزة والباقون بالياء ومن ابتغيت ممن
عزلت وتراجع من تشاء من المطلقات فلا جناح عليك في شيء من ذلك وفي ذلك
دليل على انه لم يجب عليه القسم بين زوجاته ودل عليه ما روت معاذة عن عائشة رضي الله عنها انه
لما نزلت هذه الآية كان يستاذن المراة منا فقلت ما كنت تقولين قالت كنت اقول
ان كان ذاك اليّ فاني لا اوثر عليك احدا ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين
بما آتيتهن كلهن اي ذلك التفويض اليك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن
كلهن لانه ان سوّيت علمن ان ذلك الذي تفعله تفضلا منك واحسانا وان لم تقسم
لم تجدن عليك لعلمهن بانه حكم الله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم من الميل الى البعض دون البعض
وقد روت عائشة رضي الله عنها انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه
ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك وكان الله عليما بالمصالح
حليما لا يعاجل بالعقوبة حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من
ازواج عن مجاهد والضحاك وابن عباس رضي الله عنهم انها نزلت بعدما اختارت نساؤه
الله ورسوله كرامة ومجازاة لهن فلم يكن له بعد نكاح امراة لكن له التسري وعن عائشة
وام سلمة رضي الله عنهما انه احل له ونسخت هذه الآية بقوله ترجي من تشاء فانها وان تقدمت
في ترتيب المصحف فهي المتأخرة نزولا وقيل انما حرم عليه غير الاجناس المذكورة من الاربع
في ازاء المهاجرات والغرائب في ازاء القرائب والكتابيات بازاء المؤمنات
ونكاح الاماء اكتفاء بما ملكت يمينه وعن ابي بن كعب انما نهي عن التبدل
الذي كان في الجاهلية كان يقول احدهم انزل عن زوجتك لي وانزل عن
زوجتي لك روى البزار باسناده ان عيينة بن حصن دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة رضي الله عنها فقال له يا رسول الله اين الاستئذان
يا عيينة فقال ما استاذنت على احد من مضر منذ ادركت يا رسول الله ثم قال
ما هذه الحميلة الى جانبك فقال عائشة ام المؤمنين فقال انزل لي عنها وانزل
لك عن احسن الخلق قال ان الله قد حرم ذلك فلما ادبر قالت عائشة من

هذا قال احمق مطاع في قومه ولو اعجبك حسنهن حال من فاعل تبدل او من
المجرور في من ازواج لانه في سياق النفي مستغرق فكان يصلح مبتدا ويصلح ذا
حال الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء وكان الله على كل شيء
رقيبا فتحذروا من تخطي حدوده يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يؤذن لكم الا وقت الاذن لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه في
معنى يدعى غير ناظرين اناه حال من ضمير لكم وقيل حال من ضمير لا تدخلوا والاستثناء
واقع على الوقت والحال كانه قيل لا تدخلوها الا وقت الاذن الا غير ناظرين
اذ في تعدد الاستثناء المفرغ كلام وهذا مختص بطائفة كانوا يتحينون طعام
رسول الله والا لما جاز دخول بيوته الا اذا اذن للطعام واني الطعام
ادراكه يقال انى الطعام انى كقلاه قلى ومنه قوله من حميم آن اي بالغ غاية
الحرارة ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا
مستانسين لحديث ولا تطلبوا الجلوس لاستيناس بعضكم ببعض لحديث
او ان تستانسوا حديث اهل البيت لتسمعوا وتجسسوا مجرور معطوف
على ناظرين او نصب على الحال من مقدر اي ولا تدخلوها مستانسين لحديث
كالم تدخلوها ناظرين اناه الطعام ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم فيحمله
ولا يظهر لكم حياء والله لا يستحيي من الحق يعني اخراجكم وكان حقا ابيح او يستقيم
الجلوس في بيته بغير رضاه طرفة عين فكيف وقد تاذى بذلك وهو اعز
الخلق واكرمهم على الله تعالى والمعنى لا يتركه ترك من يستحيي نزلت في وليمة زينب
بنت جحش لما بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم لها وليمة لم يولم على امراة وليمة
مثلها ذبح شاة واشبع الصحابة خبزا ولحما فخرج القوم بعد الطعام وتخلف منهم نفر
يتحدثون في بيته فثقل ذلك عليه واستحيى منهم فخرج ودار على حجرات نسائه يسلم عليهن
ودعت كل واحدة منهن له بالبركة في اهله وعاد فوجدهم في الحديث فشق ذلك
عليه فاحسوا بذلك فخرجوا فقال انس كنت باسكفة الباب حين نزلت عليه
فنزلها وارخى الحجاب وحرم النظر الى نسائه وهذه هي آية الحجاب وعن ابن ابي حاتم
باسناده الى عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعشى ودنا اكل معه عمر
فدعاه الى الطعام فاصاب اصبعه اصبعي فتاوّه وقال لو اطاع فيكن ما رآتكن
عين وذلك انه كان يحث رسول الله على ضرب الحجاب على نسائه ويقول
راهن البر والفاجر فلما وقع اصبعه على اصبع عائشة وقال ما قال نزلت الآية
واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب لحرمة النظر اليهن لانهن
كن امهات احتراما واجلالا ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن دفعا للهواجس النفس
وخواطر الشيطان الجاري من الانسان مجرى الدم وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله

في وقت من الاوقات توبيخ لهم على عدم احتياطهم والترحم الى مراقبة احواله حتى يدركوا بالقرائن
ما يرضاه ويبادرون اليه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فانهن ازواجه حيا
وميتا واختلف فيمن فارقها في حياته ولم يمسها والحق جوازه ان ذلكم كان عند الله عظيما
ذنبا لا يعادله ذنب اجلالا له من ان يطأ فراشه غيره ونقل الى الغير الى حرمة ان تبدوا
شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما كامل العلم كما ان عنده سواء وعيد شديد لمن
يخفي في صدره شيئا مما يؤذيه وان لم يقله ويفعله لا جناح عليهن في آبائهن ولا
ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن لما نزل الحجاب سال
هؤلاء الاقارب عن حالهم في الحجاب فنزلت وانما لم يذكر الخال والعم لانهما بمنزلة الوالدين
وعن عكرمة والشعبي لانهما يصفان لابنائهما وهم غير محارم فكره ذلك سدا لباب
الشيطان ولا نسائهن اي نساء المؤمنات وهن المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن
من الارقاء ذكورا واناثا وعن سعيد بن المسيب اناثا لا ذكورا واتقين الله في
السر والعلانية ان الله كان على كل شيء شهيدا حاضرا فخافوه في السر كما تخافونه
في العلن ان الله وملائكته يصلون على النبي لما استبد اركان شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اختصه به من عبادة المؤمنين من خصائص الاحكام بما تحسن بذهب الوهم الى انه
لا مزيد على هذا في الاكرام اشار الى انه قد بلغت كرامته الى انه تعالى وملائكته المقربون من الملأ
الاعلى والكروبيين مشتركون في اظهار شرفه والاعتناء بتبجيل شانه يا ايها الذين
آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما بجلوه بما في وسعكم وقد روى البخاري باسناده
الى كعب بن عجرة قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف نصلي قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
وجملة الكلام ان الله تعالى امر العالم العلوي والسفلي بالاشتغال بما فيه تبجيل له كل
بما في وسعه وكان في ذلك اشارة الى انه المقصود والنتيجة وهما المقدمتان
اللتان رتبهما العلام الحكيم ولذلك كان متقدما خلقا وان تاخر بعثا وقد اختلف
في وجوب الصلوة عليه اما مرة في الدهر فاتفاقا واما كلما جرى ذكره فقيل لا يجب
والحق وجوبه لتظاهر الاحاديث الكثيرة ولدلالة يصلون على الاستمرار والتجدد
واما الصلوة على غيره من الانبياء فالافضل ان يصلي عليهم عند جري ذكرهم واما
غيرهم من الصحابة والتابعين فلا يجوز الا تبعا لانه صار شعار الرفضة ان الذين
يؤذون الله ورسوله ذكر الله للتوطئة اشعارا بان ايذاء رسول الله ايذاؤه وايذاؤه
نسبة ما لا يليق بجلاله وكبريائه اليه لما روى ابو هريرة رضي الله عنه يؤذيني ابن آدم
يسب الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار وايذاء رسوله اما بقولهم ساحر او شاعر
واما بفعلهم كما كسروا رباعيته وشجوا راسه الى غير ذلك لعنهم الله في الدنيا بالقتل

والهم

والاسر والآخرة بعذاب النار واعد لهم عذابا مهينا مجازاة على اذائهم رسوله
فانهم اذاه قصدا واما ايذاء المؤمنين لم يكن كذلك بل عن غفلة والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية توجب ذلك قيده لان ايذاء المؤمن
قد يكون حقا بخلاف ايذاء الله ورسوله فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا يشمل
البهتان والغيبة والروافض اول داخل فيه نزلت في المنافقين الذين كانوا يؤذون
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل في الزناة الذين كانوا يتبعون او يتعرضون للنساء
وهن كارهات وهذا اوفق بقوله يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن كانت بيوت المدينة لا كنف لها وكانت
النساء يخرجن لقضاء حاجة الانسان الى المانع اذا اختلط الظلام وكان الفساق
والشطار يتعرضون لهن لاشتباههن بالاماء فامر الله تعالى رسوله بان يامر نساءه وبناته
ونساء المؤمنين يلبسن الجلباب وهو ازار فوق الخمار او الملحفة ليتميزن عن
النساء الجاهلية والاماء ومن تبعيضية اي بعض الجلباب وعن ابن سيرين سالت
عبيدة السلماني عن معناه فغطى وجهه وابرز عينه اليسرى ذلك ادنى ان يعرفن
فلا يؤذين لعدم اللبس وكان الله غفورا لما سلف رحيما يراعي مصالح عباده
لئن لم ينته المنافقون عن النفاق والذين في قلوبهم مرض وهم الزناة واهل
الفجور لقوله فيطمع الذي في قلبه مرض وقيل قلة ثبات في الايمان والمرجفون في المدينة
ناس من المؤمنين يخبرون عن سرايا رسول الله اخبار السوء من القتل والانهزام
وغير ذلك من الرجفة وهي الزلزلة لانه خبر تزلزل قلوب المؤمنين لنغرينك
بهم لنسلطنك عليهم من الغراء وهو ما يلصق به الشيء بالشيء ولذلك عدي بالباء
ثم لا يجاورونك فيها اي في المدينة الا قليلا عطف على لنغرينك جوابا للقسم
وايثار ثم للدلالة على ان جلاء الوطن اعظم المصائب عندهم ملعونين نصب
على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا ولا يجوز تعلقه بقوله اينما ثقفوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله سنة الله في الذين
خلوا من قبل من الامم الماضية مصدر مؤكد كوعد الله ولن تجد لسنة الله تبديلا
اذ لا يقدر احد على تبديلها وما تعلق به ارادته كائن لا محالة يسألك الناس عن الساعة
عن وقت قيامها والسائل المشركون استهزاء او اليهود تعنتا لما في التورية وسائر
الكتب ان علمها مما استاثر الله به قل انما علمها عند الله لا عند غيره وما يدريك
لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون عن قريب تهديد للمستعجل كقوله
ما ذا يستعجل منه المجرمون واسكات للممتحن ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا
نارا ذات هيجان ولهب خالدين فيها ابدا اي ما لا نهاية له لا يجدون وليا
يتولى حفظهم ولا نصيرا يدفع عنهم العذاب يوم تقلب وجوههم في النار

تتصرف فيهما من جهة الى اخرى كالبضعة من اللحم في القدر حال غليانها او تتغير
بعينها تارة او يطرحون منكوسين والتعبير بالوجه لانه اشرف الاعضاء يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا: فتمنى على ما فات: وقالوا ربنا انا
اطعنا سادتنا وكبراءنا: اشرافنا وعلماءنا: فاضلونا السبيلا: بما زينوا
لنا يقال ضل السبيل واضل غيره والالف في الرسولا والسبيلا كالالف
في الظنونا والتوجيه ما تقدم: ربنا آتهم ضعفين من العذاب: للضلال
والاضلال: والعنهم لعنا كبيرا: افرده قرأ عاصم بالباء الموحدة اي
اشد اللعن واعظمه وقراءة القوم اوفق لدلالة الضعفين على التعدد
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا روى
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى
ابن عمران كان رجلا حييا وكان بنو اسرائيل يغتسلون عراة وكان
موسى عليه السلام لا يغتسل الا مستترا فقالوا ما يمنعه ان يغتسل معنا
عريانا الا انه آدر فاغتسل يوما ووضع ثوبه على حجر ففر ثوبه فاخذ
العصا وعدا خلف الحجر وهو ينادي ثوبي حجر ثوبي حجر فوقف الحجر على ملأ
من بني اسرائيل فقالوا والله ما بموسى من بأس وقيل اتهموه بقتل
هارون وقيل افتراء قارون عليه بالزنا كما مر في القصص: وكان عند الله
وجيها: ذا مكانة ورتبة فكان جديرا بان يتبرأ عما يشينه وشتان ما بين
وجاهة الكليم والحبيب: يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله: في كل الامور
لا سيما فيما يؤذي رسول الله: وقولوا قولا سديدا: صوابا مستقيما لا اعوجاج
فيه فيشمل قصة زينب وغيرها: يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم: جواب
الامر اي اذا فعلتم ما امرتم به حصل لكم ما هو غاية طلبه كل عاقل وهو
تقبل حسناتكم او التوفيق لمجيء اعمالكم في المستقبل مرضية وهذه الآية مقررة
لما تقدمها مع اشتمالها على الوعد كاشتمال تلك على الوعيد فيقوي الصارف
عن الاذى: ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما: لنجاته من عذاب الدارين
ونيل ما لا عين رأت: انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان: لما علق بالطاعة الفوز العظيم عظم شانها
وفخم امرها وعبر عنها بالامانة اشارة الى انها لازمة الرعاية وواجبة الاداء والمراد منها
ما يعم الاليق بالجماد من حيث كونه مسخرا لما اريد منه ولم يمتنع عن المشيئة وبالانسان
من الانقياد لاوامره ونواهيه فحيث جرت تلك الاجرام وعجزت على ما سخرت له
والانسان خاس به ولم يف بما كان في وسعه حكم عليه بالجناية من قولهم حمل فلان الامانة
اي استمر على حملها ولم يؤديها الى صاحبها فعلى هذا الاباء والعرض والاشفاق مجازات متفرعة

على تمثيل حال الجماد بالمأمور الذي اذا ورد عليه امر سيده المطاع بادر بالامتثال وفيه
تعريض بالانسان وانه كان احق بذلك: انه كان ظلوما: في ترك الاداء مع
التمكن جهولا: شديد الجهل بوخامة العاقبة لتفويته الفوز العظيم وتوريطه نفسه
في العذاب المقيم وفيه اشارة الى عظم شان الطاعة حيث كان ما يشبهها مما يتبادر
الجماد وقيل اريد بها الطاعة حقيقة والآية مبني على الفرض والتصوير وذلك بان مثلت
حال التكليف في صعوبته وثقل محمله وما في المحافظة على الامانة عليها لا مخلتها ولا اثرتها
اختيارا والانسان الذي خلق ضعيفا آثره واحتمله وكان ظلوما واضعا لنفسه
غير موضعها لحمله عليها ما عجزت عنه السموات والارض والجبال جهولا بوخامة العاقبة
وان ترك حفظها مع الامكان يورث الهبوط من اوج السعادة الى حضيض الشقاء
وقيل الامر على ظاهره وان الله تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما واهلية خطاب
وقال اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن
مسخرات لما خلقتنا له لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا نرضى لانفسنا عقابا والاوجه
ان يقال العرض مجاز عن نسبة الامانة اليها واباء الحمل عن عدم الاستعداد والقابلية
لها وحمل الانسان عن استعداده وكمال القابلية وحسن نشأته على ما اشير اليه بفطرة الله
التي فطر الناس عليها وبكل مولود يولد على الفطرة وكان ظلوما حيث افسد تلك
الفطرة التي هي بمثابة الاسير جهولا شديد الجهل بما يترتب على ذلك بلا حافظ على
القوة العاقلة التي هي بمثابة الملك على سائر القوى ويقهر بها جنود القوة الغضبية
والشهوية التي هي بمنزلة الشياطين: ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات: التعذيب نتيجة
حمل الامانة مجازا كما ان التأديب نتيجة الضرب حقيقة والمعنى ليعذب الله الخائن
في الامانة والمخلس في ضمانه ويتوب على الامين الوافي بحق الامانة القائم بما ضمنه
وفي هذا نوع آخر من عذاب لخائن الغادر: وكان الله غفورا: لفرطات المؤمنين
رحيما: متفضلا بثواب طاعاتهم تمت سورة الاحزاب والصلوة على من انزل
عليه الكتاب وآله واصحابه مدى الليالي الى يوم الحساب سورة سبأ مكية وهي
اربع وخمسون آيات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في
السموات وما في الارض: ما دخل في خواصها وما يكون فيها واستقر فان كل
ذلك نعمة دنيوية يحمد موليها: وله الحمد في الآخرة: على تلك النعم فكانه قال له الحمود
على نعم الدارين لا غير وكما دل على الاختصاص هنا تقديم الصلة دل عليه الاول اذ لا يسقط
ما قيل قدم الصلة هنا لا نعم الدنيا قد يكون بواسطة من يستحق الحمد الاثري الى قوله
في سورة القصص له الحمد في الاولى والآخرة بتقديم الصلة فيهما مع ان قوله نعم الآخرة
لا يكون بواسطة من يستحق الحمد ممنوع واي واسطة اقوى من شفاعة رسول الله الملائكة

والصالحين وانما هي مقام شفاعته مقاما محمودا لانه يحمده الاولون والاخرون
كما رواه البخاري وهو الحكيم المتقن امر الدارين الخبير ببواطن الامور وفي
الوصفين اشارة الى ان كل ذلك انما هو على وجه الحكمة وعلم تام بموضع الانتفاع
يعلم ما يلج في الارض من الامطار والكنوز والاموات وسائر ما له الارض
كفاة وما يخرج منها من الاشجار والفلزات وانواع النبات وما ينزل من
السماء من الامطار والثلوج والملائكة باصناف البركات وما يعرج فيها
من الاعمال والعبادات تقرير لوصف الخبرة وتفصيل لما اجمله في قوله ما في
السموات وتبصير لانواع النعم الكلية وهو الرحيم المتفضل باغاثتها الغفور
لفرطاتهم وتقصيرهم في شكرها وتقديم وصف الرحمة لان الكلام الانعام فذلك
اوفق بالمقام وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها واستبطاء
سخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربي لتاتينكم رد لانكارهم واكده بالقسم
ثم اكد ذلك التاكيد بقوله عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر لان هذا الوصف بمنزلة الشاهد
على وقوع المقسم عليه من غير مجال ريب واو من بين صفاته العلى احاطة علمه
بالمغيبات في العالم العلوي والسفلي لان العلم بوقت الساعة من امهات
الغيوب فاذا وصف بالعلم الشامل دخل ذلك تحته ففيه رعاية حسن الاتمام
وقرا حمزة والكسائي علام على صيغة المبالغة بالجر ونافع وابن عامر بالرفع على انه
خبر مبتدأ او مبتدأ خبره ما بعده والباقون بالجر وقرا الكسائي لا يعزب بكسر الزاي
الا في كتاب مبين هو اللوح وجعل الضمير في عنه للغيب على معنى لا ينفصل عن
الغيب شيء الا مسطورا في اللوح لا يلايم المقام ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
علة لقوله لتاتينكم ردا لانكار صدق المخبر المؤكد خبره بالقسم البالغ كانه قيل
له القدرة التامة على ايجاد العالم والعلم الشامل بجليات الاشياء وخفياتها
والحكمة تقتضي جزاء المحسن والمسيء وبهذا الانضمام كون في غرضهم فقدم المقتضي
وارتفع المانع اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من والذين
سعوا في اياتنا في ابطالها والتصد عنها معاجزين مسابقين في زعمهم تعال
عاجز فلان اذا ذهب فلم يوصل اليه وقرا ابن كثير وابو عمرو بلا الف ومن التعجيز
هو المختار لانه ابلغ اولئك لهم عذاب من رجز من عذاب اليم من بيان
اي لهم حقه من العذاب الاليم وقرا ابن كثير وحفص برفع اليم والجر اولى لعدم
الفصل ولانه امكن معنى ويرى الذين اوتوا العلم عطف على قال الذين
كفروا هم الصحابة ومن بعدهم او علماء اهل الكتاب الذين امنوا الذي
انزل اليك من ربك هو الحق هو الحق مفعول يرى وهو ضمير الفصل ويجوز

عطفه

عطفه على ليجزي والمعنى وليعلم الذين اوتوا العلم اذا عاينوا علما لا مزيد عليه
في الاتقان فيحتجوا به على من انكرها او ليعلم من لم يؤمن بها من الاحبار
فيزدادوا حسرة ويهدي الى صراط العزيز الحميد هو دين الاسلام وقال
الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل نكروه متجاهلين به كانه غريب
جاء بامر بديع لا يقبله العقول ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق اي كل تمزيق
على انه مصدر او ذهبت بكم السيول وصرتم في اجواف الطير وسفت
بكم الريح على انه مكان انكم لفي خلق جديد ما دل عليه هو العامل في اذا
كما تقدم في سورة السجدة والجديد فعيل بمعنى الفاعل كالحديد وعند الكوفيين
بمعنى المفعول لقولهم ملحفة جديد والجواب انه من قبيل رحمة الله قريب افترى
على الله كذبا ام به جنة حصروا خبره الكاذب في الكذب قصدا او غير قصد اذ
لا عقل لهم في صدقه والعدول عن الفعل في الثاني ايماء الى انه الكائن اذ لم يجربوا
عليه كذبا قبل النبوة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد
اضراب من ذلك لحصر الباطل الى ما هو الحق وتقديم العذاب على الضلال المتقدم
عليه اشارة الى تحقيق استحقاقهم وتوفر اسبابه ووصف الضلال بالبعيد وهو
الضلال على طريقة المجاز الحكمي مبالغة فيه وانهم لا يرجى خلاصهم افلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم
كسفا من السماء اي اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض المحيطين بهم حيثما كانوا
سفرا او حضرا والمعنى قد علموا ذلك ولهم علم بانا ان نشأ نخسف بهم الارض
كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم قطعة من السماء نهلكهم بها واذ علموا
ذلك وايقنوا فهلا استدلوا بذلك على القدرة على الانشاء والاعادة ثانيا
وقرا حمزة والكسائي الافعال الثلثة بالياء اسنادا الى ضمير الله والباقون
بالنون وهذا ابلغ وعيدا لقوله ولقد اتينا وقرا حفص بفتح السين في كسفا
ان في ذلك لاية لكل عبد منيب راجع الى الله تعالى بالتوبة فانه الناظر في ايات
الله ثم ذكر ما يرغب في الانابة وما يتفضل الله على المنيب بما تبعه من قصة
داود لاشتمالها على انابته وما يترتب عليها ولقد اتينا داود منا فضلا
يا جبال اوبي معه اي قلنا يا جبال اوبي معه اي رجعي معه في التسبيح لقوله انا
سخرنا الجبال معه يسبحن والترجيع هو الرجوع الى الصوت الاول ومنه رجيع
الاذان والفضل المبين الجمع من النبوة والملك وتسبيح الجبال التي هي الجمادات
والطيور السارحات وقيل كانت تسير معه بالنهار حيث سار والتاويب
سير النهار والطير بالنصب معطوف على محل يا جبال او على فضلا او مفعول
مقدر مثل وسخرنا والنا له الحديد كالشمع يفتله بيده من غير نار وآلة ان

ان اعمل سابغات اي امرناه بعمل الدروع الوافية من سبغ الشي اذا في
وكمل وان مفسرة او مصدرية وقدر في السرد في النسج بان يناسب بين
الحلق ومنه سرد الصوم اذا تابع الايام وقيل قدر في السرد اي اجعل المسامير
على قدر الحلق لا دقيقا فتقلق ولا غليظا فتخرق واعملوا صالحا الخطاب له ولاهله
اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه وعن وهب بن منبه ان داود عليه السلام
كان يتنكر ويسال الركبان عن حال داود وكانوا يثنون عليه فارسل الله
تعالى ملكا في صورة رجل فسأله فقال هو خير الناس لولا انه ياكل هو واهله
من بيت المال فسال الله تعالى ان يعلمه صنعة ياكل منها هو واهله فعلمه الله
الدرع فيكون سببا لمعاشه وآلة للجهاد فكان كل يوم يفرغ من درع
ويبيعه باربعة الاف درهم وقيل بستة الاف ينفق على نفسه واهله
منه ثم يصرف الباقي الى مصالح بني اسرائيل ولسليمان الريح اي
وسخرنا له الريح غدوها شهر جريها مسيرة شهر بالغدوة ورواحها
شهر سيرها آخر النهار كذلك كان يغدو من دمشق الى اصطخر
فيتغدى به ثم يروح الى كابل فيتعشى به وكل من المسافتين شهر فيحكى ان
رجلا وجد مكتوبا كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام بناحية دجلة نحن
نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدوناه من اصطخر فقلناه ونحن
رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له عين القطر
النحاس المذاب جعله ينبع ينبوع الماء وكان ذلك باليمن ببلدة
صنعاء ومن الجن من يعمل بين يديه مبتدأ وخبر او من يعمل عطف
على الريح ومن الجن حال تقدمت اهتماما لان كونه من الجن هو المستغرب
باذن ربه بارادته وتيسيره وفيه اشارة الى ان تسخيرهم اجري غاية العبد
لولا تسهيله لما تيسر ومن يزغ منهم عن امرنا عما امرناه به من طاعة
سليمان عليه السلام نذقه من عذاب السعير الحريق يعملون له ما يشاء
من محاريب قصورا حصينة واماكن شريفة لانها يحارب عنها ويذب
وتماثيل صور الملائكة والانبياء يروهم على تلك الصور تذكيرا للناس بحالهم
ليعبدوا عبادتهم وتحريم التصوير شرع مجدد او كانت بلا رؤس او لم يكن
صور حيوان لان التمثال كل ما صور على صورة غيره وجفان كالجواب
كالحياض جمع جابية لانه الماء يجبى فيها اي يجمع قال الاعشى تروح على
آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق وقدور راسيات اي
ثابتات في اماكنها لعظمها لا تنزل من الاثافي اعملوا آل داود شكرا
حكاه ما قيل لآل داود وشكرا نصب على العلة لان العمل لله تعالى للشكر

وفيه اشارة الى ان العبادة يجب ان تؤدى شكرا او مصدر لان اعملوا معناه
اشكروا او مفعول به اي اعملوا انتم شكرا لان الحق تعالى لكم بما شئتم وقليل من
عبادي الشكور المتوفر للشكر باللسان والجنان والاركان الباذل وسعه
في القيام وعن ابن عباس رضي الله عنه الشكور من يشكر على الاحوال كلها
وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى العجز عن الشكر وقد روى البخاري
ومسلم رحمهما الله تعالى باسنادهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احب
الصلوة الى الله تعالى صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
واحب الصيام الى الله تعالى صيام داود وكان يصوم يوما ويفطر يوما وقيل لم يخل
بيت آل داود من قائم يصلي لا ليلا ولا نهارا فلما قضينا عليه الموت اي
على سليمان عليه السلام ما دلهم على موته اعاد المظهر لئلا يتوهم عود الضمير
الى سليمان عليه السلام الا دابة الارض دويبة تسمى سرفة والارض فعلها
ولذلك يقال لها الارضة تاكل منساته عصاه لانه ينسأ بها اي يطرد ويزجر
وقرأ نافع وابو عمرو بالالف بدلا من الهمزة من غير قياس مبالغة في التخفيف
وابن ذكوان عن ابن عامر باسكان الهمزة نقلا من التخفيف الى الاخف
وهي لغة الحجاز فلما خر تبينت الجن علمت علما جليا ان لو كانوا يعلمون
الغيب كما كانوا يزعمون ويوهمون الناس ذلك وان مع صلتها بدل
من الجن بدل الاشتمال ما لبثوا في العذاب المهين وذلك ان داود
عليه السلام اسس بيت المقدس مكان فسطاط موسى عليه السلام ثم مات
قبل تمامه فوصى به سليمان عليه السلام فاستعمل فيه الشياطين فلما دنى موته
ولم يكمل بعد سال ربه ان يعمي موته على الجن حتى يتموا المسجد فامر الجن ان
يبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب واتكى على المنساة يصلي فقبض
في الصلوة على تلك الهيئة فاكلت الارضة العصا فخر على الارض فوضعوا
الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوه فكان موته منذ
سنة وكان عمره حين ملك ثلث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلث
وخمسين سنة وابتدأ بناء المسجد لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ
وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان اريد به القبيلة لقوله تعالى في
مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال اي كان لكل رجل له بستانان
احدهما عن يمين مسكنه والآخر عن شماله او كانت البساتين عن الجانبين
متصلة متضامنة كانها جنتان وقرا ابو عمرو والبزي سبأ بفتح الهمزة
من غير تنوين لارادة القبيلة وقنبل باسكان الهمزة اجراء للوصل
مجرى الوقف والباقون بالكسر والتنوين باعتبار الحي وقرا حمزة والكسائي

وحفص مسكن بفتح الكاف مفردا لارادة البلد او مسكن كل واحد والكسائي بالكسر
على الشذوذ كالمسجد والباقون جمعا على التوزيع وهو الظاهر كلوا من رزق ربكم
حكاية لما قال لهم نبيهم قيل بعث اليهم احد عشر نبيا او قيل لهم بلسان الحال او احقاء
بان يقال لهم ذلك واشكروا له طلبا للمزيد ومحافظة على العتيد بلدة طيبة ورب
غفور استيناف لبيان موجب الشكر وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت اخصب
البلاد واطيبها كانت تخرج المراة وعلى رأسها المكتل فتسير بين الاشجار لحاجتها
فيمتلئ مما يتساقط فيه وقيل لم يكن فيها ذباب ولا بعوض ولا برغوث فاعرضوا
عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم هو الجرذ الذي نقب السكر الذي كان بناه بلقيس
الملكة بالصخر والقار يجتمع فيه ماء العيون والامطار وكانت جعلت فيه ثقبا على قدر
الحاجة يفتح في وقت وقيل العرم السكر وهو السد وقيل المطر الشديد وقيل اسم
واديهم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط ثمر بشيع عطف بيان او صفة
وقرا ابو عمرو بالاضافة على ان الخمط هو الشجرة شجر الاراك عن ابن عباس وقيل
شجر ذي شوك ثمر وعن الزجاج كل شجر مر واثل هو الطرفاء عطف على اكل لا على
خمط لان الاثل لا ثمر له وشيء من سدر قليل عطف على خمط وهو النبق وله ثمر حسن
والحكمة في ابقائه زيادة العذاب عليهم كلما رأوه تذكروا ما فاتهم ولذلك قلله وتسمية
ما بدلوا بجنتين تهكم او مشاكلة ذلك جزيناهم بما كفروا اي ذلك الجزاء
الذي جزيناهم لاجل كفرهم النعمة او الرسل بالتكذيب وهل نجازي الا الكفور
اي لا نجازي ذلك الجزاء الا البالغ في الكفر والمراد الجزاء عقابا لان ما
يصيب المؤمن تمحيص لذنوبه ولانه اريد العقاب على جميع ما فعله من السوء
ولا كذلك المؤمن لان حسناته يذهبن السيئات وقرا نافع وابن عامر وابن
كثير وابو عمرو وابو بكر بالياء على بناء المفعول والباقون بالنون وهو ابلغ
تهويلا وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة هي قرى الشام
وقيل قرى بصنعاء وقرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن
الطريق ظاهرة للسابلة وقدرنا فيها السير على ما يلايم المسافر فيصل
الغادي في قرية والرائح يبيت في اخرى سيروا على ارادة القول حالا او
مقالا ليالي واياما آمنين لا يختلف الامن باختلاف الاوقات ليلا
ونهارا او سيروا فيها مدة اعماركم فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشرا
البطرة سئموا العافية وتطاولوا سألوا الله خراب تلك القرى ليكون مكانها
مفاوز يركبون فيها الرواحل ويتزودون الازواد كما استبدلت بنو اسرائيل
الثوم والبصل بالمن والسلوى وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام عن ابن عامر
بعد بتشديد العين وهما لغتان بمعنى والمد اكثر وظلموا انفسهم حيث

حملوها الشقاء بعد النعيم والرخاء فجعلناهم احاديث يتحدث بعدهم بما
جرى عليهم ويضربون بهم الامثال اذا بالغوا في وصف القوم بالتفرق قالوا
ذهبوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق فرقناهم كل تفريق لحق غسان بالشام
والانمار بيثرب والاسد بالبحرين وخزاعة بتهامة والازد بعمان والاية والتي
قبلها تفصيل لما تقدم من حال الجنتين واربابهما وما جزوا على سبيل النشر وقدم
جعلهم احاديث على التمزيق لانه الغرض ان في ذلك لايات لكل صبار شديد
الصبر على البلايا شكور كثير الشكر على النعم والمزايا ولقد صدق عليهم اي
اهل سبا ومن هو على طريقتهم ابليس ظنه تحقق ظنه وتنبيه لما كفروا وكذبوا
الرسل هو الظن الذي حصل له لما وسوس الى آدم وحواء وراودهما بغرور او لما
سمع مقالة الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقرا غير الكوفيين
صدق مخففا على ان ظنه مفعول فيه او مفعول مطلق لمقدر فاتبعوه الا فريقا
من المؤمنين من بيان اي الا فريقا هم المؤمنين او تبعيض اي الا فريقا
من المؤمنين وهم المخلصين ويؤيد الاول قوله لاملأن جهنم منك وممن تبعك
منهم وما كان له عليهم من سلطان من تسلط واستيلاء بالاغواء والوسوسة
الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك اي ليتميز بين المؤمن والشاك
او لنعلمهما موصوفين بالصفتين او علما يترتب عليه الجزاء او لنؤمن من قدر
ايمانه ونشك من قدر ضلاله فالمراد من حصول العلم ما تعلق به مبالغة في
وفي اسلوب نظم الصلتين اشارة الى نكتة لا تخفى وربك على كل شيء
حفيظ مراقب فعيل بمعنى الفاعل وعد ووعيد قل ادعوا الذين زعمتم اي
زعمتموهم آلهة حذف المفعولان لطول الصلة من دون الله صفة آلهة ولا
يصح ان يكون هو المفعول الثاني لعدم الالتيام مع الاول لا يملكون مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض اي في العالم العلوي والسفلي ولا يعبد المعبود الا
لجلب نفع او دفع ضر وفيه تبكيت لهم وانهم لا ينطقون بغير هذا وما لهم فيهما
في العالمين من شرك لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير من عون
يعينه في امر ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له دفع لما كانوا يتوهمونه
من الشفاعة ان لو كان بعث ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله والمعنى لا
تنفع الشفاعة الا لمن اذن الله له ان يشفع او يشفع له فاللام هي المقدرة
في شفاعة زيد اما فاعلا او مفعولا ويجوز ان يكون لام العلة اي الا لمن وقع
الاذن للشفيع لاجله كقولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وقرا ابو عمرو وحمزة
والكسائي اذن على بناء المفعول بضم الهمزة والفتح اولى وخف ولذلك
نفوا عليه في لمن اذن له الرحمن حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمقدر دل عليه

المقام اى يتربصون فزعين فهم فى ذلك الفزع يتوقفون ملقى عليهم رداء الهيبة
حتى اذا كشف عنهم ذلك الفزع بالاذن فى الشفاعة سال بعضهم بعضا وقرا ابن
عامر فزع على بناء الفاعل وهو اولى لكونه الاصل وخفف قالوا ماذا قال ربكم قالوا
الحق وهو الاذن فى الشفاعة ولاتيا لفظا اقرب من ان لا يخفى وما روى ابو هريرة
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله امرا فى السماء ضربت
الملائكة اجنحتها خضعانا كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال
ربكم قالوا الحق وكذا روى عن ابن مسعود رضى الله عنه مثله فلا شك فى جنبها وكلاهما ذلك لا
ان ذلك تفسير للاية فلا لعدم الارتباط ومن قال به انما نظر الى ظاهر اللفظ نظرا
وتقدم الملائكة ضمنا لا يجدى وهو العلى شانه الكبير سلطانه ليس لاحد ان يتكلم
احد الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض تقرير لقوله لا يملكون مثقال
ذرة قل الله اذ لا جواب له سواه وان يتكلموا مخافة الالزام وانا او اياكم لعلى هدى
او فى ضلال مبين بعد البرهان النير والتقرير الوافى البليغ تنزل ورد الامر بين
الفريقين بان المحق واحد وفاقا فليتامل من المصيب منا ومن المخطئ ومثله يسمى
كلام المنصف لان من سمعه من موال ومخالف يقول لمخاطبه قد انصفك ولا
ترى اشد تبكيتا منه للخصم ولا اوصل للمناظرة الى الغرض ولا اهجم منه بالغلبة ولا
ادفع لشغب المكابر ومنه بيت حسان يخاطب ابا سفيان اتهجوه ولست له
بكفؤ فشركما لخيركما الفداء وانما خالف بين الصلتين لان المحق كانه عال جوادا
ركضه حيث شاء والمبطل كانه مرتبك فى ظلمة لا يدرى اين يتوجه قل لا تسئلون
عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون فاذ لا غرض لى فى دعائكم الا النصح وفيه تنزل
ابلغ من الاول حيث عبر عما نسب الى انفسهم بالاجرام وعما نسب الى الخصم بالعمل
قل يجمع بيننا ربنا للاحتجاج والخصام ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويجازى المحق والمبطل
كلا على حسبه وهو الفتاح الحاكم بالصواب العليم لا يحتمل تطرق الخلل الى حكمه
قل ارونى الذين الحقتم به شركاء كان يريهم ويعرفهم ولكن اراد التنبيه على خطائهم
وقياسهم كلا اى ليس الامر كما زعمتما بل هو الله العزيز الحكيم واين تلحق الجمادات
من هذه الصفات الضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس صفة
مصدر اى الا ارسالا عامة لكف خروج احد منهم وعن الزجاج حال من الكاف والتاء
للمبالغة كعلامة والمعنى كافا لهم اى جامعا فى الابلاغ والانذار كقوله بعثت الى الاحمر
والاسود وعن ابن مالك حال من المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لعدم التدبر فى شانك او علمهم كلا علم حيث قارنه الانكار ويقولون متى هذا الوعد
المبشر به والمنذر عنه ان كنتم صادقين خطاب له وللامة قل لكم ميعاد يوم
وعدا وزمان وعد لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون جواب تهديد

موافقا لما قصدوا بسؤالهم من التعنت والانكار فلوحظ المقصود دون ما يعطيه
ظاهر اللفظ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذى بين يديه
من الكتب الدالة على قيام الساعة ونشر الاموات وذلك ان كفار مكة سالوا
اهل الكتاب عن نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدونه فى كتبهم
فاغضبهم ذلك فكفروا بها جميعا وقيل الذى بين يديه يوم القيمة الذى دل القران
على وقوعه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم فى ذلك اليوم الذى ينكرونه
يرجع بعضهم الى بعض القول يتجاوبون ويتحاورون كل يحيل الذنب الى الاخر يقول
الذين استضعفوا للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم اى اضلالكم لكنا مؤمنين
بما جاءت به الرسل قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم اى ادخلوا همزة الانكار على الاسم لان الغرض انكار كونهم صادين
عن الايمان لا انكار الفعل من اصله وانما اضيف بعد الى اذ وهو لازم الظرفية لما يضاف
الزمان الى الجمل اتساعا بل كنتم مجرمين بسوء اختياركم وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا كرروا عليهم ثانيا وابطلوا اضرابهم بقولهم بل مكر الليل والنهار اذ
تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اى مكركم بالليل والنهار دائما وحملكم ايانا
على الكفر بالله اتخاذ الانداد واضافة مكر الى الليل والنهار للملابسة والاتساع فى
الظرف باجرائه مجرى المفعول [illegible] او جعل الليل
والنهار ماكرين على الاسناد المجازى واسروا الندامة لما راوا العذاب اى كل
من الضال والمضل مخافة التعيير او اظهروها وازالوا سترها ونظيره فى الوجهين تشكى
كقول الشاعر فما زلت الايام اتشكانه وما زلت الايام تشكى لا اشتكى وجعلنا
الاغلال فى اعناق الذين كفروا اى فى اعناقهم والاظهار للدلالة على الموجب هل يجزون الا ما
كانوا يعملون اى لا شئ سوى ذلك ومحل ما نصب بنزع الخافض او بتضمين الجزاء معنى
القضاء وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها بعد استثناء الدال على الحول
والرسالة وضرب امثال بالقوارع التى صابت من لم يقابل النعم بالشكر تسلية
رسوله بان من قبلك من الرسل كل قد كابد من الجهلة ما يكابده انا بما ارسلتم به كافرون
عنادا وجحودا من غير شبهة فى الطريق فضلا عن امارة او برهان وقالوا نحن اكثر اموالا
واولادا للذين فيها زينة الدنيا وما نحن بمعذبين فى الاخرة قياسا على الدنيا
جهلة وسفاهة ولم يدروا ان الدنيا بحذافيرها لا تساوى عند الله جناح بعوضة
وان الله اعز جواره ذلا واهل عرفانه فكيف يقاس احدهما على الاخرى
قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى حظوظ الدنيا انما هى بمقتضى مشيئة الله
وحكمته فى البسط والقبض ولا يلاحظ فيها القرب والمحبة بخلاف الثواب
والجزاء فانها منوطة بالايمان والعمل الصالح ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليسوا

في زمرة العلماء فيجزون على احد النقيضين ما يجزونه على الآخرة وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى اي قربة مفعول مطلق اي وما اموالكم واولادكم توجب عندنا
زلفى وقربا او التي كناية عن التقوى اي ما اموالكم ولا اولادكم بالتي هي التقوى حتى
تقربكم عندنا زلفى ولا متقرب سواها الا من آمن وعمل صالحا استثناء من
مفعول تقربكم اي الا مال من آمن فانه يقربه لصرفه في وجوه البر وعلى انه منقطع
استثناء من اموالكم على معنى الا مال من آمن وفيه مبالغة حيث جعل مال المؤمن
وولده نفس التقوى ولا يصح الاستثناء على هذا من مفعول تقربكم لانه ثبت
فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي الموصوفون بالايمان والعمل الصالح يجازون
اضعاف استحقاقهم واقله العشر واكثره لا يعلمه الا الله وهم في الغرفات آمنون
في القصور آمنون عن المكاره وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة قصورا ترى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها
فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله قال لمن اطعم الطعام وادام الصيام وطيب الكلام وقرأ
حمزة الغرفة على ارادة الجنس كقوله يجزون الغرفة والذين يسعون في آياتنا معاجزين
مغالبين وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالقصر مشددة وقد سلف انه ابلغ اولئك
في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون قل ان ربي يبسط الرزق من عباده
ويقدر له اي الرزق لمن يشاء يوسع عليه تارة ويضيق اخرى الاولى في رزق شخصين
وهذه في شخص على الانفاق بدليل قوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فلا تكرار
اي وما انفقتم ما يتصدق عليه بعلم الشئ فان الله تعالى يجعل له خلفا في الدنيا فقللوا
او كثروا وفي الحديث المشهور ان لله تعالى ملكين ينزلان كل صباح ينادي احدهما
اللهم اعط كل منفق خلفا والآخر ينادي اللهم اعط كل ممسك تلفا وهو خير الرازقين
اذ غيره انما يكون رازقا مجازا كانه قيل فلينفق فان الله يرزقه من حيث لا
يحتسب ويوم نحشرهم جميعا الرؤساء والضعفاء او العابدين والمعبودين
ثم نقول للملائكة خصوصا لكونهم اشرف من عبدوه ولانهم ما عبدوا الاصنام
الا انها صور الملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون والغرض من هذا السؤال
تقريع المشركين وزيادة تعذيب بان من عبدوه ليكون شفيعا تبرأ منهم
مواجهة ويكذبهم احوج ما كانوا قالوا سبحانك تنزيها لك عن الشريك انت
ولينا من دونهم متجاوزين عنهم لا ولاية ولا مودة لنا الا لك بل كانوا يعبدون
الجن حيث اطاعوهم وقيل كانوا يعبدون الاصنام والجن تدخل في اجوافها
فيعبدون بعبادتها وقيل صورت الشياطين صور الجن وقالوا هذه صور
الملائكة اكثرهم اي كلهم بهم مؤمنون الضمير الاول للمشركين والثاني للجن فـ
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر في ذلك اليوم ولا نافع الا الله

ونقديم النفع اهتماما لانه الغرض من عبادتهم ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للغرض من تمهيده واذا تتلى عليهم
آياتنا بينات قالوا ما هذا اي محمد الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم
ارادوا نفي رسالته وحصر اوصافه في هذا الغرض الفاسد وقالوا ما هذا اي القرآن
الا افك كذب لا يطابق الواقع مفترى في نسبته اليه تعالى وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم اي القرآن او كلما جاء به رسول الله ان هذا الا سحر مبين واضح
لاسترة به وفي اظهار المظهر موصولا وما في اللام من معنى المبادرة على التكذيب من غير
تامل انكار شديد كانه قال اولئك الكفرة المتمردون قالوا للحق الثابت قبل
ذوق معناه ليس شيئا سوى السحر وما آتيناهم من كتب يدرسونها ليكون لهم
في قولهم الباطل متشبث كاهل الكتاب وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم
الى ترك الشرك ويتوعدهم بالعقاب على تركه فهم جهلة اميون ثم توعدهم بقوله
وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم اي كذب الذين من قبل
هؤلاء وما بلغ كفار مكة عشر ما آتينا اولئك من المال والقوة او ما بلغ اولئك
معشار ما آتينا كفار مكة من الآيات والهدى فكذبوا رسلي عطف المقيد على
المطلق وما بينهما اعتراض وجعل الاول للتكثير فانه الى الاطلاق او عطف على بلغوا
من تتمة الاعتراض والضمير لاهل مكة وتكذيبهم للرسل هو تكذيب محمد عليه السلام
فانه تكذيب لهم من وجوه فكيف كان نكير انكاري عليهم بالتدمير تنزيلا للفعل
منزلة القول قل انما اعظكم بواحدة بخصلة واحدة ان تقوموا لله تفسير
لواحدة والجار والمجرور في محل النصب اي مخلصين من غير اتباع هوى ولا تقليد
والقيام اما هو التعارف والنهوض بالرأي والهمة مثنى اثنين اثنين وفرادى
واحدا واحدا لان الكثرة تشوش الخاطر وتفرق البال والاثنان كل منهما يعرض
رأيه على الآخر والواحد يؤامر نفسه ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة فتعلموا انه
ليس به جنون وذلك ان ما ادعاه من الشأن الذي دون ملك الدارين
لا يدعيه الا احد رجلين مجنون لا يدري ما يقول او مؤيد من عند الله تعالى بمعجزة
باهرة اذ العاقل لا يرضى بافتضاحه لدى المعارضة ومحمد عليه السلام ما رئي من
الجنون قد صاحبتموه دهرا وتبين لكم انه اصدق الناس لهجة وارجحهم عقلا وازيدهم
حلما بل هو مركز دائرة الفضائل والمحامد وهذا وقد ايده الله تعالى بمعجزات باهرة
من انواع شتى لا يبقى شبهة في امره فيجوز ان يكون ما بصاحبكم مستأنفا
تنبيها لهم على وجه النظر وهذا ارجح واشد طباقا وما نافية للاستفهام وجحد اي اي
شيء فيه من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه قال
بعثت في نسيم الساعة قل ما سألتكم من اجر فهو لكم اي اي شيء سألتكم من اجر

تجاوزت عنه وتركته لكم نفي لسؤال الاجر على ابلغ وجه ويجوز ان يكون ما موصولة
والذي ساله منهم هو قوله لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله ما اسالكم
عليه الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ولا شك انه لهم لا له ان اجري الا على الله
الذي ارسلني وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدق مقالتي وخلوص نيتي قل ان
ربي يقذف بالحق القذف الالقاء بدفع واعتماد ويستعير للايجاد والانزال اويرمي
به الباطل فيدمغه علام الغيوب لا يخفى عليه شيء فهو يعلم من يستحق الاصطفاء
او ما هو جدير بالدمغ والاذهاب وقرا حمزة وابو بكر بكسر الغين لمناسبة الياء و
والباقون بالضم على الاصل كالقلوب قل جاء الحق وهو القران او دين الاسلام
وما يبدئ الباطل وما يعيد الباطل ما عبد من دون الله تعالى لا يقدر على الانشاء والا
على الاعادة اللذين هما من لوازم الالوهية او كناية عن الهلاك كقولهم لا ياكل ولا
يشرب كناية عن الميت فان الحي يبدي الفعل ويعيده وقيل الباطل ابليس
لانه ذو الباطل او لانه هالك وفيه تقرير لما تقدمه لانه اثبات الحق وهذا ازالة
الباطل وعن الزجاج انه ما استفهامية قل ان ضللت فانما اضل على نفسي فان وبال
وزره لانها الامارة بالسوء فكل ضرر مترتب به وباله لا يتخطاها وان اهتديت فبما
يوحي الي ربي فبهداية الله وتوفيقه وان كان لها مدخل في الكتابة هذا وان خوطب
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد دخل تحته كل مكلف انه سميع قريب لا يخفى عليه شيء
من مقالي ولو ترى اذ فزعوا يوم القيامة او عند الموت او يوم بدر فلا فوت
منا واخذوا من مكان قريب من الموقف الى النار او من ظهر الارض الى بطنها
او صحرا بدر الى القليب وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في خسف البيداء وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغزو جيش الكعبة حتى اذا كانوا بالبيداء خسف
بهم قالت عائشة رضي الله عنها فقلت كيف لمن كان مستكرها قال يخسف
بكلهم ثم يبعثون على نياتهم واخذوا عطف على فزعوا او على فلا فوت على معنى فلم يفوتوا
واخذوا والاول اوجه لانه يقتضي اعادة فلا فوت تقريرا فيفيد تاكيدا ولو واذ والافعال
الواقعة بعدهما من فزعوا واخذوا والاول اوجه لانه يقتضي وحيل وان كانت للمضي اريد
بها المستقبل لان فعله المستقبل كالواقع وقالوا امنا به واني لهم التناوش هو التناول
السهل اي قال الكفار حين اخذوا امنا بمحمد عليه السلام لتقدم ذكره في قوله ما بصاحبكم
من جنة من مكان بعيد مثل حالهم بحال من يريد تناول الشيء مع بعد المكان وقرا
ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر التناؤش بهمزة مضمومة من ناش تناول من بعيد
والباقون بالواو من ناش ينوش والمعنى واحد وقد كفروا به من قبل اي اوان
التكليف ويقذفون بالغيب يرجمون به عطف على كفروا والمضارع لحكاية الحال
من مكان بعيد وذلك قولهم في رسول الله شاعر او ساحر او في القران شعر او سحر

الاولين

الاولين او سفسطة لا التباس مثل حالهم بحال من يقذف شيئا من بعيد لا يظهر لحوقه او
توهم ان هناك بعث نحن احسن حالا من اصحاب محمد عليه السلام قياسا بلا جامع
مع ظهور الفارق وحيل بينهم وبين ما يشتهون حيث امنوا حين لم ينفعهم ايمانهم او كانوا
يتصورون من انهم احسن حالا كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من الامم
المكذبة الذين كانوا يشيعونهم في الاعتقاد انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة
او ذي ريب كلاهما اسناد مجازي والوجه مختلف تمت السورة والحمد لله على جزيل نعمه
والصلوة على من فاق البرية باخلاقه وشيمه سورة الفاطر مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض خالقهما من
فطر الشيء شقه كانه شق العدم واخرجهما منه والاضافة محضة ولذلك وصف به
المعرفة جاعل الملائكة رسلا بينه وبين عباده في الاحيآء وكتبه الاعمال اولي
اجنحة ذوي اجنحة والوجع ذو من غير لفظه كالمخاض وهي حوامل النوق مفرده خلفة
مثنى وثلث ورباع نعتها على الوصف غير منصرفة للعدل والوصف وفي الاختلاف
في الكمية تنبيه على تفاوت رتبهم فلا دلالة فيه على عدم الزيادة ولذلك اردفه
بقوله يزيد في الخلق ما يشاء من الاجنحة وغيرها على ما اقتضته الحكمة راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته الحقيقية له ستمائة جناح وبين كل جناحين
ما بين المشرق والمغرب والاية باطلاقها تتناول كل ما قيل في تفسير الزيادة بالوجه
الحسن والصوت والخط الحسن والملاحة وغيرها من السجايا والمزايا ان الله على كل شيء
قدير فالموجب للتخصيص تعلق الارادة ما يفتح الله للناس ما يرسله ويطلقه عبر
بالسبب من رحمة نعمة سماوية او ارضية كالمطر والامن والعافية فلا ممسك
لها لا يقدر احد على منعها وما يمسك فلا مرسل له من بعده بعد امساكه وتذكير الضمير
العائد الى ما تارة وتانيثه اخرى نظرا الى المعنى واللفظ واوثرها في التنزيل دون
العكس لان الاول فسر بالرحمة فحسن التانيث وفي ذلك اشارة الى سبق رحمته
وترك تفسير الثاني لدلالة الاول عليه او اطلق ليتناول كل ما يمسكه من غضبه
ورحمته وهو العزيز الغالب يرسل ويمسك على وفق مشيته الحكيم لا
يفعل الا ما اقتضته الحكمة يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بالقيام بشكرها
وصرف القلب والجوارح الى طاعة موليها هل من خالق تلك النعم او مطلقا فيتناولها
تناولا اوليا والاستفهام الزام وتبكيت غير الله صفة خالق على المحل او بدل
وقرا حمزة والكسائي بالجر حملا على اللفظ يرزقكم من السماء مستانف فلا يمنع اطلاق
الخالق على غيره تعالى وان جعل صفة او جرا او مفسرا للرافع من خالق محلا امتنع لاختصاصه
بالرزق من السماء والارض لا اله الا هو مستانف لتقرير النفي في الوجه الاول اذ لو جعل
صفة لخالق لزم التناقض لان هل من خالق غير الله اثبات للخالقية له تعالى فاذا وصف

ذلك الخالق بانه لا اله الا هو كان متناقضا: فانى تؤفكون: فكيف تصرفون عن التوحيد
بعد هذا البيان: وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا: فاصبر
فانك اولى بذلك لانك سيد المقدم: والى الله ترجع الامور: فيجازيهم على قدر الصبر
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم: يا ايها الناس ان وعد الله حق
ثابت لا محالة بتقريرها تقدم: فلا تغرنكم الحيوة الدنيا: التمتع بلذاتها بعد علمكم بزوالها عن قرب
ولا يغرنكم بالله الغرور: الشيطان بالاغراء على المعاصي والوعد الكاذب: ان الشيطان لكم
عدو: قديم عداوته عادى اباكم قبل كونه بشرا سويا: فاتخذوه عدوا: واحذروا عن كيده
لان ازالة عداوته غير ممكنة: انما يدعو حزبه: شيعته ومن تبع خطواته بالوسوسة الى
المعاصي ليكونوا من اصحاب السعير: الملازمين لها واللام للعاقبة: الذين كفروا لهم عذاب
شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير: بعد التحذير عن اتباعه بين حال
حزبه وحزب الله ترغيبا وترهيبا وفي وصف العذاب بالشديد اشارة الى ان مخالفة
الهوى ليس امرا شاقا بالنسبة الى ذلك العذاب: افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا:
اي راى القبيح حسنا كقوله يحسبون انهم يحسنون صنعا وجواب محذوف اي كمن زين
وهداه الله فحذف لدلالة قوله: فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء: ونقل عن الزجاج
ان الكلام على التقديم والتاخير اي فمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة
فحذف لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات: والمعنى اذا علمت ان الاضلال والهداية
بيده تعالى فلا تتاسف ولا تذهب وتهلك نفسك للحسرات على عدم ايمانهم والاوجه ان
يكون حالا كان نفسه صارت عين الحسرات وفيه اشارة بالجمع مبالغة كان له حسرات
بعدد كل شخص منهم او بعدد كل سيئة والجار والمجرور يتعلق بيذهب لا بحسرات لتقديم
معمول المصدر شائع: ان الله عليم بما يصنعون: فيجازيهم عليه: والله الذي ارسل الرياح
من جهات مختلفة: فتثير سحابا: حكاية الحال تصويرا لتلك الهيئة البديعة ولان المراد
بيان احداثها بتلك الخاصة ولذلك اسند الفعل اليها ويجوز ان يراد باختلاف الافعال
الاستمرار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح بالافراد على الجنس: فسقناه الى بلد
ميت فاحيينا به الارض: اي بالمطر دل عليه ذكر السحاب او بالسحاب لانه سبب
ولما كان في الفعلين مزيد صنع التفت الى ضمير المتكلم لانه ادخل في الاختصاص وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ميت مخففا: بعد موتها: بعد يبس نباتها
وذهاب نضارتها: كذلك النشور: في محل الرفع مثل احياء الاموات
الاحياء وعن ابي رزين قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى قال هل مررت بوادي
قومك يا ابا رزين محلا ثم مررت به يهتز قلت بلى قال فكذلك يحيي الله الموتى وقيل
الكلام في الكيفية المخصوصة لما روي انه ينزل مطر من تحت العرش مثل المني ينبت منه
الموتى من كان يريد العزة: الرفعة والشرف: فلله العزة جميعا: في الدارين فليطلبها

منه فان الشيء لا يطلب الا عند مالكه وعزة رسوله والمؤمنين عزته تعالى رد لتعززهم بالاصنام
بقوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا الا ترى الى ابي سفيان يوم احد لما راى
بالمسلمين اضطرابا كيف نادى لنا عزى ولا عزى لكم ثم قال اعل هبل اعل هبل
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه: اشارة الى ما ينال بالعز من عند الله تعالى
وهو الايمان والعمل الصالح روى الطبراني باسناده الى ابن مسعود ان الكلم الطيب
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قال العبد احدهن الملك تحت جناحه
لا يمر على الملائكة في السموات الا استغفروا لقائلها فيحيي بها وجه الرحمن وعن
ابن عباس رضي الله عنه العمل الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله تعالى وادى الفرائض
حمل عليه ذكره ومن لم يؤد رد ذكره فعلى هذا المستكن في يرفع للعمل وقيل للذكر
اذ لا يقبل العمل الا من الموحد وقيل الرافع هو الله تعالى والحق ان الكلم الطيب يتناول
كل كلمة صالحة وقراءة القرآن افضل من الذكر: والذين يمكرون السيئات لهم
عذاب شديد: حث على الاخلاص مع العمل الصالح فلا يدنسه بالرياء قاله مجاهد
وسعيد بن جبير وقيل هم المشركون الذين ادارو الراي في شانه عليه السلام
بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليقتلوك: اخبارا بالغيب قبل وقوعه ونصب
السيئات على المصدر لان يمكر فعل لازم اي المكرات السيئات: ومكر اولئك
هو يبور: لا غيره وهو مكر الله حيث استدرجهم الى الدرك الاسفل او الى قليب بدر
ثم الى العذاب السرمد: والله خلقكم من تراب: اي آدم: ثم من نطفة: سائر
ذريته: ثم جعلكم ازواجا: ذكرانا واناثا: وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه: اي
ملتبسة بعلمه محفوظا احوالها اشار بقوله والله خلقكم من تراب الى الحول الكامل
وبهذا الى العلم الشامل ثم الى القضاء والقدر بقوله: وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره
خطابا بالافراد اي ما يمد في عمر احد ولا ينتقص من عمر احد: الا في كتاب: اي
الا في علمه او في اللوح وقيل التعمير والنقص راجع الى شخص على الفرض والتقدير وذلك
ان كتب عمره اربعين ان لم يتصدق بكذا وستين ان تصدق لما روي ان الصدقة
وصلة الارحام تزيدان في العمر وعن سعيد بن جبير نقص العمر ما يمر من عمره والكتاب
كتاب الحفظة يكتب فيه مضى يوم ومضى يومان وهكذا وعن قتادة المعمر من بلغ
عمره ستين والمنقوص من مات دونه وهذا راجع الى الوجه الاول الا انه اشار
الى الغالب الاعمار: ان ذلك: المذكور: على الله يسير: لحصوله بتعلق الارادة لا غير
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج: العذب
الحلو والفرات ما يكسر العطش من الفرت والسائغ السهل الانحدار والاجاج
الذي يحرق بملوحته مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ثم استطرد وصف البحرين
بما يشترك بهما من المنافع بقوله: ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها:

لانه الكلام في ادلة واحدانيته تعالى وكمال قدرته وقيل هو من تتمة المثل للتفضيل المشبه
استتبدالا كالدعوى الاشتراك في المليح خاصة لاشتماله على فوائد لم توجد في
المشبه فلا ترشيح وقيل هو من تتمة التمثيل على معنى ان البحرين وان اشتركا في المليح
في بعض الفوائد لكن خالط احدهما ما افسد فطرته الاصلية كذلك المؤمن والكافر
وان اتفقا في بعض الاخلاق والمكارم تفاوتا فيما هو الاصل لبقاء احدهما على الفطرة
دون الآخر وترى الفلك فيه مواخر شواق من مخر شق وقيل هو صوت جريها وانما
قدم الجار والمجرور هنا واخره في النحل لان الكلام هنالك في تعداد النعم وكون الفلك
ماخرة سبب قريب لها وهنا وقع استطرادا او تتمة للغرض لتبتغوا من فضله با
بالمسافرة للتجارة ولعلكم تشكرون تلك النعمة حرف الترجي باعتبار ظاهر حالكم
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هو
تمام دوره او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الموصوف مبتدا الله ربكم له الملك
اخبار مترادفة وفي اسم الاشارة اشارة الى علية الوصف لثبوت الاخبار
ويجوز ان يكون له الملك كلاما مبتدا في قران قوله والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير لفافة النوى واما ايقاع اسم الجلالة صفة لاسم الاشارة
فلا يصح لفظا لكونه علما ولا معنى لان الغرض انه متفرد بالالوهية لان المتفرد بالالوهية
هو ربكم وكذا عطف البيان لايهامه تخيل الشركة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
لانهم جماد ولو سمعوا فرضا اذ كانوا من جهلهم يزعمون ذلك ما استجابوا لكم لعدم
القدرة وهذا محسوس لا يكابرون فيه ويوم القيمة يكفرون بشرككم ينكرون
عبادتكم كقوله ويكونون عليهم ضدا اي تنتفي النفع وتثبت الضر واي ضر ولا ينبئك
مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل عالم خبير بحقايق الاشياء وبواطنها دونهم
وفيه تحقيق وتقرير لما اخبر به عن حال آلهتهم يا ايها الناس انتم الفقراء
الى الله في ذاتكم واحوالكم وتعريف الفقراء لافادة ان فقر غيرهم كلا فقر لشدة
احتياجهم من باب ذلك الكتاب وحاتم الجواد والله هو الغني في ذاته وصفاته
وافعاله الحميد المحمود على آلائه من باب التكميل اذ ليس كل غني جوادا وسوق
هذا الكلام لدفع توهم ان دعاءهم الى التوحيد والعبادة ليس للاحتياج ان يشا
يذهبكم ويأت بخلق جديد بان ينشئ عالما آخر او من بعده وما ذلك على الله
بعزيز متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر الثقل اريد به الاثم اي لا تحمل
نفس اثم نفس اخرى وانما سيق للدلالة على ان الله تعالى غني عن عبادتكم ورسوله
لا يحمل وزركم فليس له الا رسالة وفائدة الايمان الا راجعة لكم وان تدع مثقلة الى حملها
لا يحمل منه شيء اي ان تدعو كل نفس مثقلة بالاوزار كل من يمكن ان يكون منه
تحمل بعض الاوزار لا يجيبها الى ذلك المدعو لشدة الهول فالاولى دلت على كمال

العدل وهذه على شدة الهول ولو كان ذا قربى اي المدعو دل عليه ان تدع وكيف
ينفع ذو القرابة في يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه انما تنذر الذين يخشون ربهم
بالغيب اي لا تقدر الا على انذار هؤلاء لانتفاء القابلية عن غيرهم ومحل بالغيب
نصب على الحال اي غائبين او من المفعول اي غائبا عنهم او الباء صلة اي في
خلواتهم واقاموا الصلوة خلطوا ظاهرهم بالعبادات كما زينوا باطنهم بالخشية
والايمان بالغيب والاكتفاء بالصلوة لاشتمالها سائر الطاعات ومن تزكى
تطهر ظاهرا وباطنا اعتراض يؤكد ما تقدم فانما يتزكى لنفسه نفعه لا يتخطاها والى
الله المصير للجزاء وعد لهم وما يستوي الاعمى والبصير مثل الكافر والمؤمن او للمقلد
والعمه والمحق فعلى الاول عطف على قوله وما يستوي البحران وعلى الثاني من تتمة قوله
ذلكم الله ربكم له الملك والاول اولى لانه شبها اولا بالبحرين ثم فضل المليح على الكافر
ثم بالاعمى والبصير ففيه ترق ولا الظلمات ولا النور ولا شبهات الكفر ولا الاسلام
ولا الظل ولا الحرور الحرور هو السموم وقيل الحرور بالليل والسموم بالنهار وما يستوي
الاحياء ولا الاموات المؤمنون والكفار ترق ثان بهذا وكلمة لا في ولا الظلمات
ولا الظل مذكرة للنفي مؤكدة له كما في ولا الضالين واما التي في ولا النور ولا الحرور ولا
الاموات فليست كذلك اذ لا يصح تقدير الفعل بعدها لان الفاعل مجموع المتقابلين
فهي زائدة للتوكيد وقيل قصد بها نفي الاستواء من كل منهما منضما الى الآخر فان قلت
لم لم يعد لا المؤكدة في البصير كما اعاد في سائر المعطوفات قلت لانه تمهيد للترقي
الى التشبيه بالاحياء والاموات الا ترى كيف اعاد وما يستوي وما بينهما من التمثيلين
مقصودان ذاتا فلذلك اعيدت دائما وسطا لا بين فقدان نور البصر والنور
الخارجي من الظلام ان الله يسمع من يشاء هدايته وما انت بمسمع من في
القبور ترشيح لتشبيه المصرين على الكفر بالاموات ان انت الا نذير وقد انذرت
وليس عليك الاسماع انا ارسلناك بالحق محقين او محقا حال من الفاعل
او من المفعول او منهما او صفة المصدر او متعلق بقوله بشيرا ونذيرا بالوعد الحق
والوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا فيها نذير اي ليس من امة الا بعث
اليها نذير فاذا ذهب واندرست آثاره بعث آخر ويجوز ان يكون النذير اعم
من النبي والعالم القائم مقامه وانما اكتفى بالنذير لكونه قرين البشير غالبا ولتقدم
ذكره آنفا ولم يعكس لان الانذار هو الاهم وان يكذبوك فقد كذب الذين من
قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالشواهد على نبوتهم وبالزبر الصحف وبالكتاب
المنير كالتورية والانجيل والزبور والمجيء بالكتاب لا يقتضي الاتيان به اصالة
لقوله يحكم بها النبيون وقيل الاسناد الى الكل بمعنى شمول البعض للكل كالبينات
واختصاص البعض بالبعض ثم اخذت الذين كفروا بالاستيصال وقلع شافتهم

فكيف كان نكير: انكاري تعجيب مما صنع بهم: الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها: انواعها واصنافها ومنه تلوين الكلام ورجل
متلون او المتعارف من الحمرة والصفرة وغيرهما كقوله: واختلاف السنتكم والوانكم
ومن الجبال جدد: ذو جدد اي خطط جمع جدة من الجد وهو القطع لانها مقطوعة
من سائر الالوان وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الطرائق: بيض وحمر مختلف
الوانها: في الشدة والضعف بيقق وقان ودونهما: وغرابيب سود: اي متحد
اللون جمع غربيب وهو الذي تناهى سواده صفة مضمر تقديره سود اذ لا يجوز
ان يكون سود تاكيدا له او سود بدل منه: ومن الناس والدواب: كل ما يدب
او الخيل والبغال والحمير: والانعام: الابل والغنم والبقر من عطف الخاص على
العام على الاول: مختلف الوانه: اي بعض منها مختلف الوانه: كذلك: كما اختلف
الثمرات والجبال نصب على المصدر او رفع اي الامر كذلك ولما خاطبه وعدد
عليه دلائل التوحيد من العالم العلوي والسفلي من البسائط والمركبات
من الحيوان والنبات وسائر الهيئات من الالوان والصفات قال
انما يخشى الله من عباده العلماء: كانه قال انما يخشاه مثلك او من يدانيك
في المعرفة من الذين قدروا الله حق قدره وسلك في ذلك طريق الكناية كقولهم
العرب لا تخفر الذمم دلالة على ان العلم صفة تناسب الخشية وراعى في ذلك
براعة المطلع بذكرا ولبابه: ان الله عزيز: لا يغالب: غفور: لفرطات من خشيه
ان الذين يتلون كتاب الله: يداومون تلاوته فانها من افضل الاعمال او يعملون
بما فيه وقيل اريد به جنس الكتب ثناء على المصدقين من الامم: واقاموا الصلاة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية: اي في الاوقات كلها وقيل السر في التطوع
والعلانية في الفرض واوثر في التلاوة المضارع دون التاليين اشارة الى استمرارهم
الماضي والمستقبل بالطاعات: يرجون تجارة لن تبور: لن تكسد من البوار وهو
الهلاك خبر ان: ليوفيهم اجورهم: علة لما دل عليه لن تبور اي تنفق عند الله
ليوفيهم بها اجورهم: ويزيدهم: على ما يقابل اعمالهم من فضله: كقوله ويؤت
من لدنه اجرا عظيما ذلك ان يجعل يرجون حالا عن فاعل ما تقدمه اي فعلوا
جميع ذلك راجين لهذا الغرض وخبر ان: انه غفور شكور: اي غفور لفرطاتهم
شكور لطاعاتهم: والذي اوحينا اليك من الكتاب: من بيان ان اريد بالكتاب
القران وتبعيض ان اريد به الجنس: هو الحق مصدقا لما بين يديه: حال مؤكدة لان
الحق لا ينفك عن هذا التصديق ان الله بعباده لخبير بصير: عالم العلم بواطن
احوالهم وظواهرها فلو لم يكن اهلا لهذا الكتاب المعجز المهيمن على سائر الكتب لما
اثرك به وتقديم الخبير اهتماما لانه اطلاع على الخفايا والسرائر هو المحوج تقدمه وذكر

البصير

البصير على طريقة التنبيه وقيل لانه العمدة في ذلك الامور الروحانية عند اهل الحق
ثم اورثنا الكتاب: حكمنا بتوريثه منك او نورثه وعبر بالماضي كما في نظائره
لتحقق وقوع ما اخبر به واورثناه من الامم السالفة وقيل الذين يتلون
ثناء على المصدقين من الامم والذي اوحينا اليك اعتراضا لبيان كيفية التوريث
الذين اصطفينا من عبادنا: هم امة محمد عليه السلام كنتم خير امة اخرجت
للناس وقيل العلماء ورثة قوله: فمنهم ظالم لنفسه: بترك الاعمال وارتكاب
المحرمات: ومنهم مقتصد: متوسط خلط عملا صالحا وآخر سيئا: ومنهم سابق
بالخيرات: بالاتيان بالطاعات وترك المنكرات: باذن الله: بتوفيقه وتيسيره
هذا الذي عليه اكثر المفسرين من الصحابة ومن بعدهم ودل عليه التعظيم بالايراث
والاصطفاء وكيف لا وقد اشار الى القسم بعده بقوله والذين كفروا لهم نار
جهنم وهو غير من انزل عليه الكتاب روى الترمذي باسناده الى ابي سعيد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الاية قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة
وكلهم اهل الجنة وقد وافقه رواة آخر تكاد ان تتواتر وترتيب النظم على هذا
لان الظالم اكثر والمقتصد كثير والسابق قليل وقيل الظالم هو الكافر والتقدير
عائد الى عبادنا: ذلك هو الفضل الكبير: اشارة الى الايراث او الاصطفاء
جنات عدن يدخلونها: مبتدأ وخبر والضمير للفرق الثلث بدل عن الفضل
الكبير: يحلون فيها: خبر آخر او حال مقدرة: من اساور من ذهب: من الاولى
تبعيضية والثانية للبيان: ولؤلؤا: عطف على اساور في قراءة نافع
وعاصم بالنصب وعلى لفظ ذهب في قراءة غيرهم والمعنى من ذهب
مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ: ولباسهم فيها حرير: على الدوام
بخلاف الاساورة ربما تنزع كما هو المتعارف في الدنيا: وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن: جنسه او كل فرد منه مما يشفق منه في الدنيا والاخرة
وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة
في القبور ولا في النشور وكاني بهم ينفضون التراب ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن: ان ربنا لغفور: لكثير الغفران: شكور: خبير: الذي
احلنا دار المقامة من فضله: اذ لا يستحق العبد على مولاه اجر العمل: لا يمسنا فيها
نصب: مشقة اذ لا تكليف هناك ولا آفة ولا طلب رزق ولا اذى يوجب
المس تكليف ما فوقه: ولا يمسنا فيها لغوب: فتور يعتري الانسان من التعب
وانما نفاه صريحا مبالغة: والذين كفروا لهم نار جهنم: تختص بهم: لا يقضى عليهم
بالموت: فيموتوا: ثانيا ويستريحوا نصب باضمار ان: ولا يخفف عنهم من عذابها
طرفة عين كما لقيا: كذلك نجزي كل كفور: مبالغ في الكفر او الكفران وقرا ابو عمرو

نجزي بالياء على بناء المفعول والنون اشد بهو ملا: وهم يصطرخون فيها: يتصارخون
من الصراخ وهو الصياح بشدة استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث يجهد في الصياح
ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل: اذا كان في حسبانهم انهم على عمل صالح فال
لحوهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والمراد التحسر على ما فاتهم من العمل الصالح
فالوصف على الاول مميز وعلى الثاني مؤكد: اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
جواب منه تعالى على وجه التوبيخ والاقناط: وجاءكم النذير: وهو النبي الصادق لقوله
وان من امة الا خلا فيها نذير احتجاجا عليهم بالعمر القابل للعمل مع الرسول المزيح للتنبه
وقيل الشيب او العقل او موت الاقارب: فذوقوا فما للظالمين: اي لكم والاظهار
للاشارة الى العلة: من نصير يدفع عنهم العذاب: ان الله عالم غيب السموات
والارض: لا يخفى عليه شيء وقد علم انهم اهل الطبع وانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
انه عليم بذات الصدور: وهي الضمائر التي لم تبرز واذا علمها فعلمه بغيرها اولى: هو الذي
جعلكم خلائف في الارض: جمع خليفة وهو الذي استخلف على الشيء والقي اليه مقاليد
التصرف فيه وفيه تقرير لقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر: فمن كفر فعليه كفره
اي جزاؤه: ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا: لانهم كلما ازدادوا واجروا
بالاصرار ازدادوا بعدا وتمكن ذلك الزمن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
خير الناس من طال عمره وحسن عمله والمقت اشد البغض: ولا يزيد الكافرين كفرهم
الا خسارا: في الاخرة لازدياد العذاب بازدياد الاثام والتكرير لافادة استقلال
الكفر بافتضاح كل من الامرين: قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله: اي
اخبروني عن حالها بل يستحق الشركة واضافتها اليهم لانهم المثبتون لها: اروني
ماذا خلقوا من الارض: اي جزء من اجزائها بدل اشتمال من ارايتم: ام لهم شرك في
السموات: بان شاركوه في خلقها فشاركوه في الالوهية: ام اتيناهم كتابا: ينطق
بذلك: فهم على بينة منه: على حجة وضحة والكلام على الترقي في اثبات الشركة لان
الاستقلال بخلق شيء من الارض شركة تام والاشتراك معه في خلق السموات اول
ثم انزال كتاب بانهم شركاؤه ادل وادل ويجوز ان يكون على التدرج من الاستقلال
الى الشركة ثم الى حجة مكتوبة بها وان يكون الضمير في اتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا
عليهم سلطانا وقرا نافع وابن عامر وابو بكر والكسائي بينات بصيغة الجمع وفيه ايماء
الى ان الشرك امر خطير لا بد فيه من دلائل والافراد ابلغ لان الكلام مسوق للتبكيت
وانهم ليس لهم في ذلك شبهة فضلا عن دليل وعليه الرسم: بل ان يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا: اضراب عن تلك الاقسام الى ما هو الواقع وهو قول الرؤساء
للاتباع هؤلاء شفعاؤنا عند الله: ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
كراهية زوالهما بل وانها لا تبين عجز الشركاء عن خلق ذرة في العالم العلوي والسفلي

اتبعه بما يدل على كمال قدرته وفيه دلالة على ان الممكن حال بقائه يحتاج الى مبقي: ولئن
زالتا ان امسكهما من احد من بعده: من بعد الزوال او من بعد الله من الاولى زائدة
والثانية ابتدائية: انه كان حليما: لا يعاجل بالعقوبة وفيه ايماء الى ان دعوى الشريك
لما تزيل هذه الاجرام عن مقارها لولا حلمه كقوله تكاد السموات يتفطرن منه: غفورا
لمن تاب عن الشرك ما قد سلف: واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
اهدى من احدى الامم: هذه كانت مقالة مشركي العرب قبل بعثة رسول الله عليه السلام
يقدحون في الامم المكذبة من اليهود والنصارى وغيرهم فكذبهم الله تعالى في تلك المقالة
ومعنى احدى الامم افضلها كقولهم زيد واحد القوم وقول لبيد او يرتبط بعض النفوس
حمامها او بعض الامم من غير تعيين: فلما جاءهم نذير محمد: ما زادهم: شيئا الا نفورا:
تباعدا عن الحق: استكبارا في الارض: مفعول له او بدل من نفورا: ومكر السيء اي
برسول الله ومن امن به عطف على استكبارا او على نفورا اصله وان مكروا السيء
اي المكر السيء ثم حذف الموصول استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم
اضيف وقرا حمزة ومكر السيء وحده بامكان الهمزة اجراء للوصل مجرى الوقف: ولا يحيق
المكر السيء الا باهله: اي لا يحيط وكذا كان يوم بدر ومن امثالهم من حفر لاخيه قليبا
وقع فيه ومن حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا: فهل ينظرون: اي ينتظرون: الا سنة
الاولين: من الامم المكذبة وان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك: فلن تجد لسنة
الله تبديلا: تغييرا بان يجعل مكان العقاب ثوابا: ولن تجد لسنة الله تحويلا:
بان ينقل عقاب العاصي الى الطائع: اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم: اي قد ساروا وشاهدوا في اسفارهم الى العراق والشام
واليمن اثار تلك الامم ولا يقين اعلى واجلى من المشاهدة فكان ينبغي ان يعتبروا
ويعلموا اصدق مقالتك: وكانوا اشد منهم قوة: عددا او جاها او اموالا: وما
كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته: في السموات ولا في الارض انه كان عليما:
كامل العلم: قديرا: تام الاقتدار اشارة الى ان امهالهم بعد الاصرار مع كمال الاقتدار
لا في علمه انما هو للحكم: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا: من المعاصي: ما ترك
على ظهرها: اي على ظهر الارض: من دابة: ما يدب على الارض من سائر الحيوانات
بشؤم المعاصي وقيل الدابة الانسان وعن انس بن مالك ان الضب ليموت
في جحره هزالا بذنب بني ادم وفي رواية ان الحبارى تموت: ولكن يؤخرهم الى اجل
مسمى: اخر اعمارهم او يوم القيمة: فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا: فيجازيهم
على حسب حالهم تمت السورة والحمد لله حق حمده والصلوة على رسوله وعبده واله وصحبه
الذين داموا بشكره وحمده سورة يس مكية وآيها ثلث وثمانون
بسم الله الرحمن الرحيم: يس: اسم السورة او حروف مقطعة كما تقدم

وعن ابن عباس معناه يا انسان بلغة طي ووجهه الاقتصار على شطر الكلمة لكثرة
الاستعمال بعد ان صغر على انيسان وعن ابن جني حروف معجمة وفاتحة مقام
انسان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه الم معناه انا الله اعلم ونحوه وحمزة
والكسائي وابو بكر يا وادغم النون في الواو ابن عامر وابو بكر والكسائي في ورش
والقرآن الحكيم ذي الحكمة على معنى النسبة كلابن او ناطق بالحكمة استعارة مكنية
او وصف بوصف صاحبه مجاز حكمي انك لمن المرسلين على صراط مستقيم
خبران او حال من المستكن في الجار والمجرور وهو التوحيد ودين الاسلام والمرسل
وان كان من لوازمه ان يكون على صراط مستقيم الا ان الغرض وصفه ووصف
ما جاء به صريحا وتنكير الصراط تعظيم منهاجه على طريق سائر الرسل لكونه حنيفية
سمحة تنزيل العزيز الرحيم خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص بالنصب على المصدر المقدر او على المدح وهذا ابلغ واولى لتنذر
قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر آباؤهم اي الاولون كقوله
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فلا نافية في قوله وان من امة الا خلا فيها نذير او ما
موصولة اي لتنذر هؤلاء الذي انذر به آباؤهم او مصدرية اي انذار آبائهم فهم
غافلون متعلق بالنفي على الاول بمعنى ان سبب غفلتهم عدم انذار آبائهم وبقوله
انك لمن المرسلين لتنذر على الثاني بمعنى الباعث كقولك اسقه ماء فانه عطشان
لقد حق القول على اكثرهم بانهم يموتون على الكفر لقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا
من الجن والانس وقوله خلقت هؤلاء للنار ولا ابالي فهم لا يؤمنون نتيجة ذلك
القول وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى
الاذقان اي واصلة اليها والغل قد يجمع به الايدي الى العنق ولذلك يقال له الجامعة
ويكون ملتقى طرفيه تحت العنق فيه عمود يمنع المغلول من ان يطاطي راسه ويوطي
قذاله فهم مقمحون من قمح البعير رفع راسه اي يركب الاغلال رؤوسهم مرفوعة من
الضيق وهو مثل ضربه الله لمنع التوفيق وبيان حالهم من التصميم على الكفر والاعراض عن
وعدم التامل في آيات الله تعالى استكبارا بالمغلول الذي لا يقدر على النظر خلفه ولا قدامه
ثم قرر ذلك واكده بقوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا حاجزا وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بفتح السين والباقون بالضم وعن ابي عبيدة الضم
لفعل الخالق والفتح لفعل المخلوق ويتعارضان فاغشيناهم فهم لا يبصرون شبها
اما الآفاق فلان السدين قد احاطا بها واما السدين فلان الشي اذا قرب غاية لا يمكن
رؤيته وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون لانهم اهل الطبع انما تنذر
من اتبع الذكر اي الانذار الذي يترتب عليه الغرض لان مطلق الانذار عام لهم
ولغيرهم والذكر القرآن او هو وخشي الرحمن بالغيب حال كونه ملتبسا بالغيب

لاخبابك او بقلبه الذي هو غائب عن الخلق وفي ذكر الرحمن مع الخشية اشارة
الى انه لا يغتر برحمانيته فانه شديد العقاب فبشره بمغفرة واجر كريم لا مثل فيه
ولا تعب انا نحن نحيي الموتى نبعثهم للجزاء وعدا ووعيدا ومن نحن نخرجهم من
الشرك الى الايمان ونكتب ما قدموا من الاعمال الصالحة والطالحة قال حكيم بن
حزام يا رسول الله أرأيت اشياء كنت اتحنث بها في الجاهلية فقال اسلمت
على ما اسلفت وآثارهم الباقية بعدهم من علم علموه وولد صالح زكوه وحسنة
سنوها واضدادها من السيئات وقيل الآثار هي الخطى الى المسجد لما روي جابر ان
بني سلمة ارادوا الانتقال الى قرب مسجد رسول الله فقال يا بني سلمة دياركم تكتب
آثاركم دياركم لم تكتب آثاركم وكل شيء احصيناه في امام مبين في اللوح المحفوظ
واضرب لهم مثلا لنفسك ومثل من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي اذكر
لقولك قصة عجيبة اصحاب القرية اي قصة اصحاب القرية وهي انطاكية اذ جاءها
المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية اذ ارسلنا اليهم اثنين وهما يحيى ويونس
عليهما السلام وعن ابن اسحاق باروص وماروص وعن مقاتل تومان ومالوص
واسناد الارسال اليه لانه فعل رسوله المرسل باذنه فكذبوهما فعززنا بثالث وهو
شمعون اي قويناهما من عز المطر الارض لبدها وقرأ ابو بكر مخففا من عزه غلبه
والتشديد ابلغ وانما حذف المفعول لان الغرض ذكر المعزز به فقالوا انا اليكم
مرسلون وذلك ان اهل انطاكية كانوا عبدة الاصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام
اثنين يدعوهم الى عبادة الله تعالى فلما قربا المدينة رأيا حبيب النجار يرعى غنما له فاخبراه
فقال هل معكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ابن
ثم شفي صح
مريض فمسحاه فشفي على يديهما خلق كثير ونما خبرهما الى الملك فدعاهما وسألهما
فاخبراه الخبر فامر بحبسهما ثم ارسل عيسى شمعون فدخل متنكرا وصاحب حاشية
الملك حتى اتصل به ونال مكانة عنده وكان يدخل معه بيت الاصنام ويتذلل
لها فقال يوما للملك سمعت انك حبست رجلين فقال نعم قال هل سمعت
مقالتهما قال لا قال لو سمعت فارسل فدعاهما فاخبراه الخبر فقال ما آيتكما فقالا
ما تتمنى فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى فشق له بصرا فاخذا بندقتين
فوضعا موضع العينين فصارتا مقلتين فقال له شمعون ايها الملك لو سألت
الهتك حتى تفعل مثل هذا لكان شرفا لك قال ليس لي عنك سر ان الهتنا
لا تبصر ولا تسمع ولا تنفع ولا تضر ثم قال الملك ان قدر الهكم على احياء ميت
آمنا به فدعيا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني وجدت سبعة
اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه وقال اني نظرت الى السماء ففتحت
ابوابها فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثة فلما رأى شمعون ان القول

تدارك فيه ودعاه الى الله تعالى فآمن وآمن معه جمع وصاح جبريل على من لم يؤمن
فهلكوا: قالوا ما انتم الا بشر مثلنا: لا مزية لكم زعما ان البشر لا يكون رسولا
وما انزل الرحمن من شيء: من الوحي لا عليكم ولا على غيركم نصيحة باعلم منا
قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون: اكدوا الكلام بان واللام وما يجري مجرى القسم
لاقوى الانكار منهم: وما علينا الا البلاغ المبين: الواضح المؤيد بالمعجزات: قالوا
انا تطيرنا بكم: تشأمنا بكم اي ما سمعنا منكم نخاف ان يسخط علينا الهتنا وقيل
حبس عنهم المطر: لئن لم تنتهوا لنرجمنكم: بالحجارة او الشتم: وليمسنكم منا عذاب
اليم: مؤلم: قالوا طائركم معكم: شؤمكم دائر معكم بسبب كفركم: ائن ذكرتم جواب
الشرط محذوف اي تطيرتم انكروا ان يكون التذكير الذي هو سبب السعادات
كلها جالبا للشؤم: بل انتم قوم مسرفون: دابكم الاسراف في العصيان وذلك اجلب
شيء للشؤم والشقاء: وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى: هو حبيب النجار وكان في
غار يعبد الله تعالى فلما بلغه ان القوم عزموا على قتل الرسل سعى اليهم وجاء باسلامه
ليشتغلوا به عن الرسل: قال يا قوم اتبعوا المرسلين: اضاف القوم الى نفسه والحث على
الرسل اظهارا للنصح: اتبعوا من لا يسألكم اجرا: بدل من الاول واوفى بالمقصود
وهم مهتدون: الى البغية فلا خسار لكم في الدنيا ولا في الاخرة: وما لي لا اعبد الذي
فطرني: اي ما لكم لا تعبدون بدليل قوله: واليه ترجعون: وانما اسنده الى نفسه ابرازا
له في معرض المناصحة وانه لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه: أأتخذ من دونه آلهة ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا: اي كيف افعل وكيف اترك ما حق عبادة
من بيده ملكوت كل شيء الى عبادة من لا يغني في الدارين شيئا: ولا ينقذون
بالنصر والمظاهرة: اني اذا لفي ضلال مبين: واضح لا يخفى على احد: اني آمنت
بربكم فاسمعون: اي اسمعوا قولي واطيعوا فقد ارشدتكم بما لا مزيد عليه وقيل لما
ارادوا قتله خاطب الرسل اي اسمعوا كلامي واشهدوا لي عند الله تعالى: قيل
ادخل الجنة: استيناف كانه قيل ماذا كان حاله بعد ذلك التصلب والتسخي في
نصرة دينه فقيل قيل له ادخل الجنة وانما حذف له لان الغرض بيان المقول
ولكونه معلوما: قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين: ليكون
ذلك باعثا لهم الى اكتساب الايمان وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه للعالم ان لا يشتغل بالشماتة باعدائه الجهلة و
يتلطف معهم لعل ان يقتدوا به الا يرى الى هذا العبد كيف تمنى الخير لقتلته
[illegible] لديه وقيل تمنى ان يعلموا انهم على خطاء وانه كان على الحق وقد فاز
ليكون ذلك زيادة في سروره والاولى اوجه للحديث المرفوع والتنبيه المذكور
وما مصدرية او استفهامية او موصولة: وما انزلنا على قومه من بعده من جند

من السماء

من السماء: لاهلاكهم والانتقام منهم بل كانوا احقر من ذلك اذ كفى ذلك
صيحة جبريل عليه السلام بهم: وما كنا منزلين: وما اقتضت حكمتنا ذلك
وفيه اشارة الى ان انزال خمسة آلاف من الملائكة مسومين او الف مردفين
انما كان اجلالا لقدرك وعظاما لشأنك التي لم يؤمل لها احد من اولي العزم
فضلا عن حبيب النجار الا يرى كيف رفع جبريل مدائن لوط بريشة من جناحه
ان كانت الا صيحة واحدة: اي ما كانت الاخذة الا صيحة واحدة من جبريل وقرا ابن
مسعود رضي الله عنه زقية واحدة من زقا الطير يزقو اذا صاح: فاذا هم خامدون
كما تخمد النار استعارة تبعية اي ميتون: يا حسرة على العباد: اي المشركين
كانه قال تعالى فهذا اوانك وهو ما دل عليه: ما يأتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزؤن: فان المستهزئين بالناصحين الدالين على خير الدارين حقيقون بان يتلهف
عليهم او الملائكة والمؤمنون يتحسرون عليهم كما تمنى حبيب ايمان قومه بعد موته
او يتحسر من الله تعالى على عظم ما جنوه على انفسهم كالتعجب والضحك على
سبيل الاستعارة: الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون: اي قد علموا ذلك
فما لهم لا يعتبرون والفعل قد علق عن العمل في كم الخبرية لان الخبرية اصلها الاستفهام
انهم اليهم لا يرجعون: بدل من كم اهلكنا معنى اي الم يروا كثرة اهلاكهم غير راجعين
وان كل لما جميع لدينا محضرون: وان مخففة واللام هي الفارقة وما مزيدة
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما مشددا بمعنى الا وان نافية وانما جمع
بين كل وجميع لافادة كل معنى الاحاطة وجميع الاجتماع كقوله ذلك مجموع له
الناس لانه فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون: وآية لهم الارض
الميتة: وقرا نافع مشددا: احييناها: استيناف لبيان كونها آية او
صفة الارض اذ لم يرد بها معينة او خبر الارض والجملة خبر آية: واخرجنا
منها حبا: جنس الحبات الشامل لانواع شتى: فمنه يأكلون: قدم الصلة
للدلالة على ان الحب اعظم واعم معاشهم: وجعلنا فيها جنات من
نخيل واعناب: لم يذكر التمر مع الحب والاعناب لاختصاص شجره بمزيد
الصنع وكثرة المنافع وفي الحديث انه مثل المسلم: وفجرنا فيها من العيون
صفة محذوفة اي اشياء من العيون او من زائدة كما قاله الاخفش: ليأكلوا
من ثمره: اي ثمر المذكور او ثمر النخيل ويعلم حال الاعناب منه او الاصل من ثمرنا
فالتفت الى الغيبة اشارة الى انحطاط التمر عن الحب وقرا حمزة والكسائي
ثمره بضمتين لغة فيه او جمع ثمار: وما عملته ايديهم: ما موصولة او موصوفة
اي شيء عملته ايديهم وهو ما يتخذ من الثمار كالدبس واشباهه
او نافية اي ليس ذلك التمر بكسبهم وان غرسوا وسقوا بل هو خلق الله تعالى

كقوله تعالى أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون وهذا أحسن لكونه أبين وقرأ حمزة والكسائي
وأبو بكر بحذف الهاء لجواز حذف المفعول عائداً كان أو غير عائد وليس فيه تأييد
للوجه الأول لأن حذف العائد إلى الموصول والموصوف إنما يكون أحسن إذا لم
يعارضه قوة المعنى ومناسبة المقام أفلا يشكرون أبلغ من الأمر لأنه إنكار
على الترك سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم
نزه ذاته تعالى عن الشريك لتفرده بخلقها في الآفاق والأنفس من الأجناس
والأصناف ومما لا يعلمون ماهياتها وخواصها مفصلة وإنما أعلمهم بها مجملة
للدلالة على كمال القدرة روي أن موسى عليه السلام سأل ربنا تعالى إنك لما قلت
للسموات والأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين لو قالتا ائتيا
ما كان عقابهما قال كنت آمر دابة تبلعهما قال يا رب وأين تكون تلك الدابة
قال في مرج من المروج قال يا رب وأين يكون ذلك المرج قال في غامض علمنا
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشط عن مكانه وملقي ظله والكلام في الآية
ما سبق في وآية لهم الأرض الميتة فإذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس
تجري لمستقر لها لمكان استقرارها من فلكها وهو ما تنتهي إليه في آخر السنة
شبه بمستقر المسافر ومنتهى المشارق والمغارب وهو أقصى ما تنتهي إليه فيهما
ثم ترجع أو لحد من مسيرها كل يوم وهو المغرب أو الوقت الذي ينقطع فيه
جريها عند خراب العالم ويؤيد هذا ما روى أبو ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إن الشمس إذا غربت تذهب فتسجد تحت العرش فيقال لها اذهبي فاطلعي
حيث كنت تطلعين ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها ويقال ارجعي
حيث جئت فتطلع من مغربها ذلك الجري على هذا المنوال تقدير العزيز
الغالب القاهر العليم الكامل العلم بالأشياء ودقائق أحوالها التي
يدهش فيها الفطن والقمر قدرناه منازل ذا منازل أو سيره في منازل
نصب بإضمار المفسر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالرفع على الابتداء أو على أنه
خبر والعطف على السابقة وهو المختار للتقوي والسلامة عن التقدير ويجوز
انتظامه في سلك الآيات كأنه قيل ومن آيات الليل ومن آيات الشمس ومن آيات
القمر وهي ثمانية وعشرون موزعة على اثني عشر برجاً ثم يستتر إلى أن يهل
حتى عاد كالعرجون القديم العرجون فعلون من الانعراج وهو الانعطاف
وهو ما عليه حبات الرطب بمثابة العنقود من العنب والقديم ما تقادم عهده
لأنه يدق ويصغر وينحني فيشبه به من ثلاثة أوجه لا الشمس ينبغي لها أن تدرك
القمر فيزيل سلطانه ويبطل ما نيط به من الفوائد ولا الليل سابق النهار أي
آيته أو الكلام فيهما بدل عليه السابق واللاحق وإنما أوثر طريق الكناية لبديع فيه

الاشارة

الإشارة إلى اختلاف الليل والنهار أيضاً ولما ذكر في الشمس الإدراك الدال على أنها طالبة
للحاق ردفه بالمنبغي أي لا يصح ذلك لها ولما نفى السبق في القمر لأنه أسرع سيراً أكده بالجملة
الاسمية فلم يبق لذكر الانبغاء وجه وكل في فلك أي كل واحد والتنوين عوض
يسبحون يسيرون سيراً من سبح الفرس إذا جرى أو من السباحة في الماء
وبه أصح في أن الحركة للكوكب خلاف ما عليه أهل النجوم وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في
الفلك المشحون المملوء من شحن السفينة أو قرها وهي سفينة نوح عليه السلام وإنما
ذكر ذريتهم دون أنفسهم لأنه أعرق في الامتنان أو أريد سائر السفن والذرية أولادهم
ونساؤهم فإن الذرية يطلق عليهما إطلاق السماء على المطر وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم
بالجمع وخلقنا لهم من مثله ما يركبون أي من مثل سفينة نوح أو من الإبل فإنها سفائن البر
وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم مصدر في الأصل كالصراخ ولا هم ينقذون
ينجون من الموت إلا رحمة منا أي إلا لرحمة ومتاعاً وليتمتع بالحيوة لكن
رحمة وتمتيعاً إلى حين إلى وقت آجالهم التي لا بد لهم منها وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما
خلفكم ما تقدم وما تأخر من الذنوب أو نوائب السماء والأرض أو عذاب الدنيا والآخرة
أو ما تقدم من عقابات الله تعالى للأمم المكذبة أن ينزل بكم مثلها وما تأخر من عذاب الآخرة
لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب إذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من
آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين أي دأبهم الإعراض عند كل آية وإذا قيل
لهم أنفقوا مما رزقكم الله وهم الدهرية قال الذين كفروا أي الذين قيل لهم للذين آمنوا
أي في شأنهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه تهكماً بالمؤمنين القائلين بأنه متصف
بالمشيئة والاقتدار ولما كان مدار الإيمان على تعظيم الله تعالى والشفقة على خلقه سلب
عنهم الوصفين في الآيتين إن أنتم إلا في ضلال مبين من كلام الكفار أو جواب
المؤمنين أو قول الله تعالى بخذلانهم ويقولون متى هذا الوعد هو الذي أشير إليه بقوله
وما خلفكم أي عذاب يوم القيامة إن كنتم صادقين في دعواكم ما ينظرون إلا صيحة
واحدة هي نفخة الفزع الأولى تأخذهم وهم يخصمون أي تأخذهم وهم غافلون
مشتغلين بالخصومات في متاجرهم ومعاملاتهم أو تأخذهم وهم يخصمون المؤمنين
مرتين بحجتهم الفاسدة على أن لا بعث وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وهشام
عن ابن عامر بفتح الخاء وتشديد الصاد على أن أصله يختصمون فأدغمت التاء في
الصاد للتقارب وأبو عمرو وقالون كذلك إلا أنهما اختلسا الفتحة لكونه أخف
وكافياً في تحريك الساكن وقرأ عاصم والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر بكسر الخاء
وتشديد الصاد تحريكاً للساكن بالكسر الذي هو الأصل فيه وحمزة بإسكان الخاء
وتخفيف الصاد فلا يستطيعون توصية في أمر من أمورهم ولا إلى أهلهم يرجعون
بل يموتون حيث أخذتهم وقيل تحيط بهم النار وتسوقهم أحياء إلى المحشر تبيت معهم

حيث يا توا كما جاءت به الاحاديث ونفخ في الصور نفخة البعث فاذا هم من
الاجداث جمع جدث وهو القبر الى ربهم ينسلون يسرعون قالوا يا ويلنا
من بعثنا من مرقدنا موضع نومنا لما شاهدوا اهوال القيمة عدوا عذاب القبر
راحة وعن مجاهد والحسن وقتادة يرفع الله تعالى عنهم العذاب بين النفختين فيهجعون
هجعة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدا وخبر او هذا صفة مرقدنا وما وعد
الرحمن مبتدا وخبره محذوف اي ما وعده الرحمن وصدق فيه المرسلون حق او وقع
او خبر محذوف وما موصولة او مصدرية وهو من كلام الكفار اقرارا لما كذبوا به من
قبل او كلام الملائكة او المؤمنين او كلام الفريقين معا والسؤال وان كان عن
الباعث الا انهم عدلوا عن التسنن الظاهر تخطئة لهم حيث حسبوه بعث النائم
كانهم قالوا الباعث معلوم وليس فيك البعث الذي تظنونه بل هو بعث آخر
ذو الاهوال والافزاع الذي جاءت به الرسل والكتب ان كانت الا صيحة واحدة
هي النفخة الاخيرة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد الصيحة تهوين لامر البعثة
وانها لا تحتاج الى اسباب فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
تصوير لذلك الموعود في صورة المحاضر تمكينا له في النفس وترغيبا للسامعين
ولطفا بهم وكذلك قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون الفاكه والفكه
المتنعم ومنه الفكاهة وهي حديث ذوي الانس والعشرة والتنكير في شغل للتعظيم
اي في اي شغل عن ابن عباس رضي الله عنه هو افتضاض الابكار وضرب الاوتار
وعن ابن كيسان التزاور وعن الحسن عن اهل النار وعذابهم وقيل في ضيافة الله
تعالى وروى ابن ماجه باسناده الى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الا مشمر الى الجنة ورب الكعبة نور كلها يتلألأ وارسلامة وريحانة
تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وزوجة جميلة وحلل كثيرة قالوا يا رسول الله
نحن مشمرون قال قولوا ان شاء الله تعالى وقرا الكوفيون وابن عامر بضم
العين هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كقوله وظلالهم وقرا حمزة والكسائي
في ظلل جمع ظلة وهو الساتر العالي كقوله في ظلل من الغمام على الارائك
متكئون على السرر وهي مهيأة جلوس اهل الدعة والفراغ وهم مبتدا وازواجهم
عطف عليه وفي ظلال خبرهما كقولك زيد وعمرو منطلقان وعلى الارائك جملة مستانفة
او خبر ثان لهم فيها فاكهة ما يتفكهون به ويتلذذون لا للاكل [illegible] لدفع الجوع
ولهم ما يدعون لانفسهم من اللاذ كقولك اكتال واتزن اذا كال ووزن لنفسه
والمعنى لهم كل ما يطلبه احد لنفسه لان هناك طلبا او لهم الطلب والاجابة من الملك
المتفضل بعد الطلب توجب لذة سنية او يدعون بمعنى يتداعون كقولك ارتموا بمعنى تراموا
والمعنى كل ما يصح ان يطلب احد من صاحبه فهو حاصل لهم او الدعاء بمعنى التمني اي لهم ما يتمنونه

موصولة

موصولة او موصوفة سلام بدل من ما لانه موصوف بقوله من رب رحيم اي سلام
يقال لهم قولا من رب رحيم او ما يدعون مبتدا وخبره سلام اي لهم ما يدعون سلام خالص
لا شوب فيه او صفة لما بعد صفة وقولا مصدر مؤكدا ونصب على المدح وهو احسن الوجوه
والمعنى يسلم الله تعالى عليهم بواسطة الملائكة مبالغة في اكرامهم ولذلك اثر من التسمية الرب
الرحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون عطف قصة المجرمين على قصة المؤمنين كقولك
زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر فلان عمروا بالعفو والاطلاق والانشاء في معنى
الخبر كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون واوثر صورة الطلب لانه ابلغ في التهويل
كقوله اصلوها وعن قتادة معناه اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت ينفرد به
[illegible] في [illegible] والقران في ايثار الطلب كما تقدم الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا
الشيطان من جملة ما يقال لهم في ذلك اليوم توبيخا لهم وقطعا للمعذرة والعهد التوصية
والمراد به ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية وعبادة الشيطان الاغترار بوسوسته
او عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة تعليل للنهي وان اعبدوني هذا صراط مستقيم اشارة الى عبادته
او الى العهد والتنوين للتعظيم ويجوز التبعيض اي لو كان بعض الصراط المستقيم يكفي ذلك
في انهاجه فكيف وهو الحق الذي ليس بعده الا الضلال ولقد اضل منكم جبلا كثيرا
افلم تكونوا تعقلون فتحذروه وقرا نافع وعاصم بكسر الجيم والباء وتشديد اللام جمع
جبلة كقوله والجبلة الاولين بمعنى الخليقة وابن كثير وحمزة والكسائي بضمتهما والتخفيف
جمع جبيل بمعنى مجبول كسبيل بمعنى مسبول وابو عمرو وابن عامر بالضم والاسكان
مخفف جبلا هذه جهنم التي كنتم توعدون على لسان الرسل يقال لهم اذا برزت
الجحيم للغاوين اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها بكفركم في الدنيا اليوم نختم على
افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الكافر يا رب اني لا اجيز على الا شاهدا
من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي
فتشهد عليه بما عملت فيقول سحقا لكن فعنكن كنت اناضل وقيل الكلام والشهادة
لظهور آثار المعاصي على الاعضاء مستغنى عنه ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي
مسحنا عليها ومحونا آثارها فاستبقوا الصراط اي الى الصراط بحذف الجار وايصال
الفعل او تضمين الاستباق معنى الابتدار او نصب على الظرف اي استبقوا في الطريق
او مفعول به اي جاوزوه من توهم استبق الصراط خلفه اي لو شئنا اعميناهم فلو ارادوا
سلوك طريق غير الذي الفوه ما قدروا عليه كما ترى العميان لا يقدرون الا على سلوك
الطريق المالوف دون غيرها فانى يبصرون كيف يبصرون بعد ذلك والغرض انه
تعالى يسلب بصائرهم فضلوا طريق الآخرة ولو شاء سلب ابصارهم فلم يقدروا على

على الاهتداء الى مقاصدهم لكن لم نفعل ذلك لاقتضاء الحكمة امهالهم ولو نشاء لمسخناهم
على مكانتهم المسخ تحويل الصورة الى ما هو اقبح منها والمكان والمكانة بمعنى كالمقام والمقامة
والمعنى لو تعلقت ارادتنا لجعلناهم جامدين في مكانهم وعن ابن عباس رضي الله عنه جعلناهم قردة
وخنازير وعن قتادة جعلناهم زمنى والاول اشد وعيدا واوفق بقوله فما استطاعوا مضيا
ولا يرجعون ولا رجوعا وايثار المضارع للدلالة على الاستمرار وليوافق الفواصل ومن نعمره
ننكسه في الخلق اي من نطل عمره ننكسه ونرده من قوة الشباب ونضارته الى ضعف
الهرم وانتقاص القوى وانعدام الادراك وهو ارذل العمر وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من
التنكيس اشارة الى كثرة المراتب من الصبا الى الشباب الى الكهولة الى الشيخوخة الى الهرم
افلا يعقلون ان من قدر على انشاء هذه الاطوار قدر على الطمس والمسخ ولذلك عطف
عليه عطف العلة على المعلول وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر قاله قتادة والقائل عقبة
ابن ابي معيط قاله عنادا واتى يلتبس بالشعر كلام مشتمل على تخيلات المبدأ والمعاد واخبار الوعد
الحكاية المتضمن لمنافع الدينية والدنيوية وعلى اسلوب تخم كل منطيق وما ينبغي له وما
يليق به ان يكون في طبعه وتجتنبه ان يكون شاعرا ليكون ابعد من مخايل الشبهة لكونه ابنا
الا يرى الى قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون
وما صدر منه من الكلام الموزون انما وقع اتفاقا بحسب السليقة كما وقع مثله في القران
من سائر الابحر وشرط الشعر ان يكون موزونا مقفى بالقصد وما روي عنه من نوع الشعر
ومدحه محمول على ما يتعلق به من الغرض كهجاء المشركين ومدح الله ورسوله والنقل الكاذب
والاكاذيب ان هو الا ذكر وقران مبين واضح الاعجاز والعطف باعتبار الصفات
ذكر لما فيه من الموعظة والارشاد وقران يتعبد بلفظه يتلى في الصلوات وغيرها ومعناه
من الاحكام النظرية والعملية لينذر من كان حيا عاقلا سامعا فان
الغافل المعرض كالميت ويحق القول على الكافرين اي كلمة العذاب وقرأ نافع
وابن عامر لتنذر بالخطاب التفاتا وهو احسن اذ هو المنذر حقيقة ولا يحتاج
في اول السورة ففي الخاتمة عود الى الفاتحة ثم الانتقال من حديث المعاد الى كون
الرسول او القران منذرا الا يرى حسن تخلصها منه اولم يروا انا خلقنا لهم
مما عملت ايدينا اي قد علموا ذلك توبيخ لهم على الاشراك بعد العلم بذلك وذكر
الايدي على طريقة التمثيل وزيادة التصوير وفي ايثار المثنى اشارة الى كمال الاقتدار
انعاما خصها بالذكر لكثرة وجودها عندهم وهي مراتعهم على الدوام في طرفي النهار
الا يرى الى قوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ولما فيها من بدائع
الفطرة وكثرة المنافع التي فصل بعضها بقوله فهم لها مالكون لا نراهم فيها
ولهم في ذلك عز وسرور او متمكنون من ضبطها متسخرونها كقوله اصبحت لا احمل
السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا ويؤيد الاول قوله وذللناها لهم اتماما

لنعمه اذ لو كانت مملوكة وهي نادة لم تتم النعمة فمنها ركوبهم مركوبهم كقوله وتحمل اثقالكم
ومنها يأكلون اي يأكلون منها تفريع على كونها مذللة ولهم فيها منافع اخر من جلودها
واصوافها واوبارها واشعارها ومشارب وما يشرب من اللبن وما يتخذ منه ويجوز
ان يكون اسم مكان وهو ما يتخذ من جلودها من الروايات والقرب والمزاود افلا
يشكرون واتخذوا من دون الله الهة لم يرضوا بترك الشكر على تلك النعم حتى اشركوا
في الالوهية جمادات لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا لا يستطيعون نصرهم الذي
كانوا يتوقعونه وهم لهم جند محضرون والمشركون جند لالهتهم يحفظونهم ويذبون
عنهم لغوهم حرقوه والهدوا المقلكم وهذا كالشفاعة او الالهة جند واتباع محضرون
يوم القيمة ليكونوا وقود النار عليهم فلا يحزنك قولهم في الله ما تنزه عنه جناب قدسه
وقرأ نافع يحزنك من احزنه انا نعلم ما يسرون من العقائد وما يعلنون من الاقوال
والافعال فنجازيهم على ذلك اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
ظاهر بخصومته وضرب لنا مثلا امرا عجيبا بان شبهنا بالمخلوق حيث سلب القدرة
عنا على الاعادة ونسي خلقه من تلك النطفة القذرة التي لم يكن حل فيها حياة قط
فضلا من ان يكون انسانا مكرما في احسن تقويم فاجعنا ناطقا قال من يحيي العظام
وهي رميم والقائل ابي بن خلف او عاص بن وائل كان جمع من قريش جلوسا
قال احدهما ان محمدا يزعم ان الله تعالى يبعث الموتى فاخذ عظما باليا وقال لاصيرن
اليه والرميم بمعنى الرمة والرفات اسم لما بلي من العظام وليس بفعيل حتى يسال
لم لم يؤنث وبه استدل الشافعي على نجاسة عظم الميتة لان الحياة تحله والجواب
ان المراد بالحيوة ردها الى ما كانت عليه غضة طرية قل يحييها الذي انشاها اول مرة
فان قدرته القدرة لا تختلف وفي العرف الاعادة اهون كما اشار اليه بقوله وهو
اهون وهو بكل خلق عليم بكل مخلوق كامل العلم باجزائه وصفاته فاذا تقرر عندكم
انه قادر على كل شيء عالم بكنه احواله فما وجه انكاركم المعاد ثم انتقل من الدليل العقلي
الى المحسوس الذي لا يمارون فيه بقوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وهو المرخ
والعفار المرخ الذكر والعفار الانثى او بالعكس يكونان بارض الحجاز وفي المثل استمجد
المرخ والعفار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار قيل يؤخذ منه غصنان
رطبان فيحك الذكر على الانثى فيسيل منه الماء ومن ذلك الماء تحصل الحقيقة النارية
ودل بعد توهم البعد من ما بين النار والماء فالذي قدر على ذلك كيف لا يقدر على
ايجاد الحيوة في اجزاء التي هي مادة لها مدة من العمر ثم ترقى الى دليل اخر اجلى
واظهر من كل جلي وقال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم اي لو لم تكن تلك الاجزاء باقية حتى يعيد فيها الحيوة من خلق هذه الاجرام العظام
وفطرها من العدم كيف لا يقدر على ايجاد صغير حقير وهل يتوقف في هذا من به مسكة

أولئك كالأنعام بل هم أضل. وهو الخلاق العليم. بلى قادر على ذلك وأشار إلى
الوصفين اللذين هما العمدة في الإيجاد وهما الاقتدار الكامل والعلم الشامل ثم
أشار إلى أن الإيجاد والإنشاء الذي يعدونه مستبعدا بل مستحيلا في مقام كبريائه
أهون شيء ولا توقف له إلا على تعلق إرادته واقتضاء حكمته بقوله: إنما أمره إذا
أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. فإن كلمة كن مجاز عن سرعة التكوين بعد تعلق
الإرادة. فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء. تنزيه وتعجيب عما قالوا في
نفي قدرته على هذا الشيء اليسير مع تلك البراهين القواطع والملكوت من الملك
بضم الميم يدل على مبالغة الاستيلاء وعلى كل ما يطلق عليه الشيء في العالم العلوي و
والسفلي فهو تحت قهره وسلطانه آخذ بناصيته. وإليه ترجعون. للجزاء فاختاروا
بعد هذا البيان ما شئتم وتحته وعيد ليس فوقه وعيد ولذلك التفت إلى الخطاب
سكاً مجيء به روى أبو داود والنسائي وأحمد بن حنبل أن رسول الله صلى الله عليه و
سلم قال لكل شيء قلب وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر له وإنما
كانت قلب القرآن لأن لب كل شيء وخلاصته قلب ذلك الشيء وإنزال الكتب
وإرسال الرسل مقدمات بل خلق العالم وإنشاؤه لمعرفة المعاد ولا شك
أن السورة تشتمل على فنون من الدلائل الدالة على تحقق ذلك بلا مرية عند من
له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فكان هذا معنى تلك الإشارة منه عليه السلام
تمت السورة والحمد لله على نعمه وصلى الله على أفضل الخلق وأشرفهم

سورة الصافات مكية وآيها اثنان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا. أقسم تعالى بطوائف من ملائكة قدسه الكل الواقفين في مقام العبودية صفا
على وجه الخشية من هيئة الصف واجتماع الأنفاس العظم واتحاد توجه الكل إلى
عند الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه ألا تصفون كما تصف الملائكة عند
ربها. فالزاجرات زجرا. يزجرون السحاب ويسوقونه إلى حيث أمر بالأمطار في
من البقاع أو الناس إلهام الخير وفي الحديث أن للملك لمة وهي الإيعاد بالخير.
فالتاليات ذكرا. آيات الله تعالى من كتبه المنزلة وغيرها يتلونه تعبدا أو يلقونه إذا أو
يتلونه على الأنبياء فهو جبريل وأتباعه من المقربين أو بطوائف العلماء والقراء أصحاب
الصافين في عبادته تعالى منتقعين على إعلاء كلماته التالين لكتابه المتدبرين في
رموزه وأسراره أو بنفوس الغزاة الصافين عند اللقاء والزاجرين الخيل في الكر
والفر التالين لذكره لا يشغلهم الخوف والفزع عند اللقاء والمبارزة وهذه كانت
صفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول عند
أخذ المضجع ثلاثا وثلاثين تسبيحة وثلاثا وثلاثين تحميدة وثلاثا وثلاثين تكبيرة قال
ما تركتها منذ سمعتها قيل له ولا ليلة الصفين قال ولا ليلة الصفين والعطف لاختلاف

الصفات

الصفات إن قدر الموصوف متحدا وإلا فباعتبار الذات والفاء لتفيد الترتيب
في الرتبة يحتمل أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو العكس وقيل الصافات
الطير لقوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عما نهى الله تعالى والتاليات كل من
تلا كتاب الله تعالى وأدغم حمزة وفاقا لأبي عمرو التاء في الكلمات الثلاث. إن إلهكم
لواحد. جواب القسم. رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق. دليل
على تحقق القسم عليه لأنهم يسلمون أنه متفرد بخلق السموات والأرض لأنه أبلغ في
النعمة والكمال في القدرة. إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. من إضافة المصدر
إلى المفعول بأن زان الله الكواكب وحسنها فزينت السماء بحسنها أو إلى الفاعل بأنه
زانت الكواكب السماء وقرأ حمزة وحفص بزينة الكواكب بالتنوين وجر الكواكب على أنه
عطف بيان أو بدل والزينة على هذا اسم لما يزان به أو جعلت الكواكب نفس الزينة
مبالغة وأبو بكر بالتنوين ونصب الكواكب على أنها مفعول المصدر أو على أن الزينة اسم
والكواكب بدل على الموضع أو نصب بأعني والمختار الإضافة لأنها أخف وأهم السماء
الدنيا القربى وهي فلك القمر وتزيين الكواكب بالأضواء والأشكال والأوضاع الشروق
والغروب ولا يلزم أن يكون محلها لعدم توقف الزينة على ذلك. وحفظا. عطف
على المحل أو مصدر لمقدر. من كل شيطان. خارج عن الطاعة كقوله وجعلناها رجوما
للشياطين. لا يسمعون إلى الملأ الأعلى. صفة لكل شيطان على معنى لا يتمكنون من التسمع
مع أوصافا أو لا يتمكنون من التسمع مع سعيهم في ذلك الجملة في محل الحال مع المبالغة
كما هو قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد أو استئناف عن سؤال كيفية ما يكون
عند حفظ فإن قوله وحفظا مما يحرك أن يخاطر له فقيل لا يسمعون وقيل كلام مستطرد
لبيان حالهم بعد الحفظ وقراءة الجمهور لا يسمعون من السماع أبلغ لقوله فمن يستمع الآن
يجد له شهابا وقوله إنهم عن السمع لمعزولون وتعديته بإلى لتضمن معنى الإصغاء وهو إمالة
الأذن للسماع فيفيد مبالغة في نفيه. ويقذفون من كل جانب. من جوانب السماء.
دحورا. علة أي للدحور وهو الطرد أو مصدر لأنه يقذفون كقعدت جلوسا أو حال. ولهم
عذاب واصب. في الآخرة دائم من وصب الأمر دام أو من الوصب وهو المرض.
أي شديد. إلا من خطف الخطفة. اختلس كلمة الملائكة استراقا ومن في محل
الرفع بدل من واو يسمعون. فأتبعه شهاب ثاقب. نجم مضيء والشهاب ضوء الكوكب
من مركزه تمثل وقيل شعلة من النار وقوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح لا
ينافيه لأن كل ما في الجو من النيرات مصباح والأول هو الظاهر من السباق ولقوله
صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا انقض كوكب وأتبعه بمعنى تبعه وإدراكه
في الحديث بخرقه لما روى ابن عباس كانت للشياطين مقاعد في السماء يستمعون
الوحي فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قعد شيطان مقعده جاءه شهاب

فلم يخطه حتى يحرق وقيل منعوا حالين ولد: فاستفتهم: بعد ما تلوت عليهم هذه الآيات
والاستفهام للانكار الا انه لوحظ معناه قيل فاستفتهم: اهم اشد خلقا: اى
اصعب واشق انشاء بعد الرفات: ام من خلقنا: من العالم العلوي والسفلي وما
فيهما من الاجرام والاوضاع وآثر من تغليبا لاولي العقل وقيل من عاد وثمود وسائر
الامم الدارجة من المكذبين لما اراهم الآيات وكذبوا بها فكانه قال لهم انتظروا الهلاك
لمن قبلكم ويرده قوله: انا خلقناهم من طين لازب: اذ لا فارق بين السابق
واللاحق في ذلك ويدل عليه الاطلاق ايضا اكتفاء بالبيان السابق واللازب
اللزج الذي يلزق بعضه ببعض وفيه رد لانكاره لانهم خلقوا منه ابتداء ولم يكن
شاك فكيف ينكرون الاعادة وتلك الاجزاء المائية والارضية بحالها والقادر
الذي انشاء اشد منهم خلقا قدرته كما كانت لانها ذاتية: بل عجبت ويسخرون:
اضراب من الاستفتاء لانهم لا يجيبون بما هو الحق اي بل شكك بقربه وتعجب
من تلك الدلائل الدالة على كمال الاقتدار او من انكارهم الوحي او من انكارهم
البعث وهو اهون من البداء وقرأ حمزة والكسائي بل عجبت بصيغة التكلم والتعجب
انفعال يعتري النفس عند رؤية شيء خفي سببه وهو على الله محال فالمعنى انه
حالهم حقيقة بان من يراها يقول عجبت او قل انت عجبت او هو على الفرض من انه
لكان استعظاما لانكارهم او ويسخرون هم من تعجبك لكمال سفاهتهم ثم قرر
ذلك بقوله: واذا ذكروا لا يذكرون: اي دابهم انهم اذا وعظوا لا يتعظون فاذا
لم يقدروا على الخطابيات فهم عن تحقيق القطعيات بالبراهين بمعزل: واذا راوا
آية: اي اذا شاهدوا بالابصار معجزة: يستسخرون: يبالغون في السخرية او
طلب بعضهم من بعض ان يسخر بها واذا كان حالهم في المحسوسات بالبصر هذا فلا
يبعد منهم انكار البعث: وقالوا ان هذا الا سحر مبين: ظاهر كاسحريته: ائذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون: اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية
بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الاستفهام مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث
في هذه الحالة عندهم اشد استحالة وقرأ ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة الجمهور
ابلغ او آباؤنا الاولون: وهذا ابعد عطف على محل ان واسمها او على الضمير المستكن
في مبعوثون للفصل بالهمزة وقرأ نافع في رواية ابن عامر بسكون الواو على الترديد
والباقون بفتح الواو على اعادة همزة الانكار واوفق بقوله ائذا كنا ترابا وآباؤنا
قل نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وانتم داخرون: صاغرون اذلاء كما زعموا ان
بعث نحن اخس حالا من صعاليك المؤمنين: فانما هي زجرة واحدة: جواب شرط
مقدر اي اذا كان ذلك والضمير مبهم يفسره الجملة بعده والزجرة الصيحة من زجر
الراعي بغنمه صاح بها قال نابغة زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم

فاذاهم

فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين: الجزاء الذي انكرناه وكذبنا فيه الرسل
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون: هو كلام بعضهم لبعض او جواب الملائكة والفصل
القضاء او الفرق بين عباده: احشروا الذين ظلموا وازواجهم: امر الله تعالى للملائكة
او الملائكة بعضهم لبعض وازواجهم اخوانهم من الشياطين او اضرابهم عابد الصنم
مع عابد الصنم والزاني مع الزاني والسارق مع السارق وفي الحديث يحشر المرء
على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل او نساؤهم اللاتي كانت على دينهم: وما
كانوا يعبدون من دون الله: من الآلهة وخرجت الملائكة وعيسى بقوله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى: فاهدوهم الى صراط الجحيم: عرفوهم طريق النار وهذا يدل
على ان الحشر من الموقف الى النار وقوله: وقفوهم انهم مسئولون: لا ينافيه لانه
لان الواو لا ترتيب فيه وتقديم الحشر الى النار لانه اشق واوحش على السمع من
الوقوف للسؤال: ما لكم لا تناصرون: ينصر بعضكم بعضا تهكم بهم اذ كانوا في
الدنيا يقولون نحن جميع منتصر: بل هم اليوم مستسلمون: منقادون خاضعين لا
يقدرون على المكابرة: واقبل بعضهم على بعض يتساءلون: تسائل الاختصام والتوبيخ
قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي قال الضعفاء للرؤساء بيان للتساؤل الواقع
بينهم واليمين اقوى الجانبين واشرفه ولذلك سمي يمينا من اليمن وكان على هذا
اهل الجاهلية يوثرون لليمين الافعال الحسنة وينسبون اليه الخير واليمن وقرره
الشارع وابده لان الحكمة اقتضت المناسبة وفي الحديث كانت يمين رسول الله
صلى الله عليه وسلم للطيبات كالاكل والشرب والسواك فاستعيرت لجهة الخير
والمعنى كنتم تاتوننا من تلك الجهة وتصدوننا عن الايمان والخير او اليمين مجاز عن
القهر والتسلط: قالوا بل لم تكونوا مؤمنين: اجابهم الرؤساء بانهم ما وقعوا في
الضلال لم يكن بصدهم اياهم عن طريق الخير بل لم يكونوا مؤمنين مصدقين في عقائدهم
وما كان لنا عليكم من سلطان: قهر واجبار: بل كنتم قوما طاغين: شأنكم الطغيان
والتجاوز عن الحق وعدم الاكتراث به: فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم
انا كنا غاوين: اقروا على انفسهم بانهم الذين سبقت كلمة الله فيهم انهم اصحاب النار
ورتب على ذلك انا اغويناكم ودعوناكم الى الضلال فآثرتم باختياركم انا كنا
غاوين استيناف جار مجرى التعليل فانهم يومئذ في العذاب مشتركون:
كما اشتركوا في الدين والعقائد وان زاد المضل على الضال في العذاب: انا كذلك
نفعل بالمجرمين: بكل مجرم منهم ومن غيرهم: انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله
يستكبرون: عن الاقرار بالتوحيد بيان لاجرامهم: ويقولون ائنا لتاركوا
آلهتنا لشاعر مجنون: ويقدحون في المؤيد بالمعجزات والكلام الذي جاء به
بانه مجنون وما اتى به شعر مجنون لا يدري ما يقول: بل جاء بالحق: الابلج وصدق

المرسلين * بقرآن عربي مصدق لما بين يديه فكيف يكون مثله شعر مجنون * انكم
لذائقو العذاب الاليم * لا محالة * وما تجزون الا ما كنتم تعملون * من انكار الحق
بعد ظهوره بالبراهين القاطعة * الا عباد الله المخلصين * استثناء منقطع
اي لكن حال المخلصين المختارين من عباده بخلاف هؤلاء * اولئك لهم رزق
معلوم * حاله انه للتلذذ لا للتقوت ودفع الم الجوع * فواكه * بيان له لان الفاكهة
لا يقصد باكلها الا التنعم او معلوم باوصاف وخصائص من طعم ورائحة متميز له
عن ارزاق الدنيا وفواكه على هذا بدل دلالة على انه مع تميزه بذلك فواكه * وهم
مكرمون * ينالهم ذلك الرزق من غير سعي وتعب * في جنات النعيم * ظرف
مكرمون او حال من مستكنه او خبر * اولئك * على سرر * حال او خبر * متقابلين
لا ينظر احد في قفا احد ليكمل لذتهم بالمشاهدة * يطاف عليهم بكأس * يدار
عليهم بالقدح او بالشراب كقول الاعشى وكاس شربت على لذة واخرى تداويت
منها بها * من معين * يجري كانهار الدنيا لقوله وانهار من خمر والمعين الجاري وفيه
اشارة الى كمال نظافته باق على خلقته لم يمسه يد ولا مزاولة عمل * بيضاء *
تلتذ حاسة البصر برؤيتها * لذة للشاربين * هي عين اللذة لا يشوبها خمار
ولا يعتري شاربها ما يعتري شارب الخمر * لا فيها غول * صداع وسلب عقل
تقرير له والتقديم الظرف للاختصاص * ولا هم عنها ينزفون * بضم الياء وفتح
الزاء يسكرون من انزف الخمر اسكره وقرأ حمزة والكسائي ينزفون بكسر الزاء
من انزف الرجل سكر كقوله لعمري لئن انزفتم او صحوتم او من انزف بمعنى
اي لا ينفد شرابهم بل دائم * وعندهم قاصرات الطرف * على ازواجهن لا ينظرن
الى غيرهم * عين * نجل العيون * كانهن بيض مكنون * مصون في الكن عن
الغبار ونحوه باق على صفائه من البياض المشوب بادنى صفرة كما يكون
في بيض النعام وهو احسن الوان البدن بخلاف البياض المفرط * فاقبل
بعضهم على بعض يتساءلون * عما جرى لهم في الدنيا كما هو عادة الندماء اذا خلصوا
على الشرب قال * واذا جلست على المدام وشربها * فاجعل حديثك كله في
الكاس * وقال الآخر وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام
قال قائل منهم * في اثناء المحاورة * اني كان لي قرين * مجالس في الدنيا يقول
ائنك لمن المصدقين * بالبعث منكرا على موبخا * ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمدينون * لمجزيون باعمالنا اي لا يكون ذلك * قال القائل
المذكور * هل انتم مطلعون * الى ذلك القرين او القائل هو الله تعالى اي ان شئتم اريكم
لتعرفوا منزلتكم او بعض الملائكة * فاطلع فرآه في سواء الجحيم * في وسطه * قال تالله
ان كدت لتردين * ان هي المخففة واللام فارقة والمعنى كدت قاربت اهلاكي وانبار

انّا لنتعجب كيف نجا منه * ولولا نعمة ربي * بالتوفيق * لكنت من المحضرين * معك
في العذاب * افما نحن بميتين * عطف على محذوف اي انحن مخلدون فما نحن بميتين
اي بمن شأنه الموت * الا موتتنا الاولى * التي في الدنيا وهي قول لما في القبر بعد الاحياء
لانه في حكم الدنيا كذا قيل والحق ان ذلك لا يسمى موتا لانه اما منعم او معذب * و
ما نحن بمعذبين * ان هذا لهو الفوز العظيم * اذ لا طيب للعيش مع مراقبة الموت * هو
كلام القائل او الكل او كلام الله تعالى وكذا قوله تعالى * لمثل هذا فليعمل العاملون *
اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم * عاد الى ذكر الرزق المعلوم بعد استطراد مقالة
المؤمن في الكلام بجر الكلام والشيء بالشيء يذكر والنزل ما يعد للنازل من الرزق
المعد له البيت وحمله الريع وما يحصل من الشيء ومنه في الحديث العسل
ليس من انزال الارض وبه استدل الشافعي على عدم الزكوة فيه لانه من انزال
الطير والتفاضل بين الشيئين على التهكم اذ لا خير في نزل اهل النار ونصبه على التمييز
او الحال وهذا اوجه لان المفاضلة بين النزلين في هذه الحال لا بين الوصفين
وشجرة الزقوم شجرة صغيرة الورق مرة كريهة الرائحة تكون بتهامة * انا جعلناها
فتنة للظالمين * عذابا لهم في الآخرة او سبب ضلالهم فانهم لما سمعوا قالوا ما اعجب
هذا ان محمدا يقول نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجر وعن ابن عباس
رضي الله عنه لما سمع ابو جهل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم خلط التمر بالزبد وقال
تزقموا وذلك لان الزقوم كان اسم طعام لهم من التمر والزبد فانزل الله تعالى
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم * في قعرها وترتفع اغصانها الى دركاتها في مقابلة طوبى
لاهل الجنة * طلعها كانه رؤس الشياطين * في تناهي القبح ونهاية الكراهة لما تقرر
في النفوس ان الشيطان اقبح الاشياء كما ان الملك احسنها والطلع ثمرة النخلة
استعير لثمر الزقوم تخييلا على وجه التهكم وقيل الشياطين حيات هائلة في النار
لها اعراف * فانهم لآكلون منها * لغاية الجوع او اجبارا وقسرا * فمالئون منها
البطون * اي من الشجرة او من ثمرها * ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم * ماء حار مخلوط
بصديد والاتيان بثم للتراخي زمانا لانهم لا يسقون منه الا بعد زمان ليتناهى
عطشهم تعذيبا لهم او رتبة اشارة الى ان كراهة ذلك الحميم وبشاعته فوق
الزقوم * ثم ان مرجعهم لالى الجحيم * اي بعد ذلك الاكل والشرب مصيرهم اليها
فان ذلك نزلهم قبل الاستقرار في دركاتها وقيل يخرجون من مقارهم الى شجرة
الزقوم فاذا ملأوا بطونهم اوردوا على الحميم ثم يرجعون الى تلك المقار وقيل
الحميم خارج عن الجحيم لقوله هذه جهنم التي يطوفون بينها وبين حميم آن ولا دليل فيه
انهم الفوا آباءهم ضالين * فتقلدوهم تعليل لاحقيتهم فيه فهم على آثارهم يهرعون يسرعون
من الهرع وبناؤه للمفعول مبالغة كانهم يزعجون قسرا لقلة التفاتهم الى التامل

والنظر. ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين. من الامم. ولقد ارسلنا فيهم منذرين. الرسل
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين. تسلية له وتحذير لقومه فانهم سمعوا اخبارهم وشاهدوا
آثارهم. الا عباد الله المخلصين. في التوحيد والايمان استثناء من الاولين او من
المنذرين وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام وهو المختار كما تقدم ثم اورد احوال
من غير الرسل مع المكذبين وبدا بنوح لانه ابو البشر ثانيا واول رسول كذب
قومه فقال. ولقد نادينا نوح. حيث قال اني مغلوب فانتصر. فلنعم المجيبون
نحن حذف لدلالة الكلام عليه واللام جواب القسم والفاء تدل على سرعة الاجابة
ونجيناه واهله من الكرب العظيم. وهو الغرق او اذى قومه. وجعلنا ذريته
هم الباقين. لم يبق احد ممن كان معه في السفينة الا بنوه الثلثة وهم سام ابو العرب
وفارس والروم وحام ابو القبط والسودان ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج
وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح. اي هذا القول جيئ به على صورة الحكاية اي يسلمون
عليه وقيل هو من الله تعالى ومفعول تركنا محذوف. في العالمين. دعاء بالثبات كانه قيل
ثبت هذه التحية وادامها في الملائكة والثقلين. انا كذلك نجزي المحسنين. تعليل لاكرام
تلك الاكرامات دلالة على ان موجب ذلك احسانه لا غير ترغيبا فيه. انه من
عبادنا المؤمنين. بيان لاحسانه اشارة الى شرف الايمان وجلالته وانه مستجلب
لكل كمال. ثم اغرقنا الآخرين وان من شيعته لابراهيم. ممن شايعه في اصول الدين
والتصلب في الدين ومصابرة الاعداء المكذبين ويجوز توافق شرعيهما في اكثر الاحكام
وكان بينهما الفان وستمائة سنة وقيل الف ومائة واثنان واربعون
سنة. اذ جاء ربه. متعلق بما في الشيعة من معنى الفعل اي شايعه في دينه حين جاء
ربه. بقلب سليم. من آفات القلوب من الشرك والغل والحقد وهذا ما اشار
اليه ابن عباس رضي الله عنه كان يحب للناس ما يحب لنفسه او بقلب حزين من قولهم
للديغ سليم تفاؤلا او ذكر المجيئ تمثيل كانه جاء به متحفا. اذ قال لابيه وقومه ما ذا
تعبدون. بدل من الاول. ائفكا آلهة دون الله تريدون. ائفكا مفعول له قدم على
المفعول به اولى بهمزة الانكار لان الغرض لكان نجابهم على الباطل او هو مفعول به والهة
بدل منه على انها نفس الافك مبالغة او في موقع الحال اي آفكين او بتقدير مضاف
اي عبادة آلهة. فما ظنكم برب العالمين. حتى تخذتم له شريكا اذ توحده في الالهية
اظهر من ان يختلج فيه شبهة او اي شيئ من الاشياء ظننتم حتى جوزتم ان يكون له
الاصنام شريكا او ما ظنكم بعقابه حتى اجترأتم على ذلك. فنظر نظرة في النجوم فقال
اني سقيم. قال ابن عباس انما نظر في النجوم لان قومه كانوا يتعاطون علمه فاوهمهم انه
ليتمكن من التخلف او النظر يعني التامل في علم لذلك لايهام فقال اني سقيم اي مشارف
كونكم على الشرك وعبادة غير الله تعالى او ساسقم لقوله انك ميت او مزاجي خارج من

الاعتدال وما رواه ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب
ابراهيم عليه السلام غير ثلث كذبات ثنتين في ذات الله تعالى قوله اني سقيم
وقوله بل فعله كبيرهم فالمراد بها المعاريض لقوله في المعاريض مندوحة من الكذب فهو
كقوله نحن احق بالشك من ابراهيم عليه السلام فان قلت ما تفعل بقوله في حديث
الشفاعة حيث يعتذر بقوله لست لها وذكر كذباته فلو كانت معاريض لم تكن لكذب
حقيقة حتى يعتذر به قلت هو من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين ولما كانت
صورتها صورة الكذب عدها كذبات. فتولوا عنه مدبرين. الى عيدهم. فراغ
الى آلهتهم. فمال اليهم خفية من روغان الثعلب واصله الميل بحيلة. فقال الا تاكلون
وذلك انهم كانوا وضعوا قدامها من اطعمة العيد ليتبركوا عليها. ما لكم لا تنطقون
قاله تهكما واشارة الى انحطاطها عن درجة عبدتها. فراغ عليهم ضربا باليمين ضربا
مصدر راغ لانه بمعناه او لمقدر اي يضربهم ضربا او حال اي ضاربا وذكر اليمين لانها
اقوى الجارحتين وقوة الآلة يستلزم قوة الفعل او اليمين هو الحلف اي بسببه وهو
قوله وتالله لاكيدن اصنامكم. فاقبلوا اليه يزفون. يسرعون من زفيف
النعامة وقرا حمزة يزفون من ازف اي دخل في الزفيف كاصبح او معدى اي
يزف بعضهم بعضا ثم اسند الى الكل لانهم كلا منهم حامل ومحمول. قال اتعبدون ما
تنحتون. الذي تنحتونه من الاصنام. والله خلقكم وما تعملون. الذي تنحتونه فان جوهرها
بخلق الله تعالى وليس لكم فيه الا التشكيل والتصوير فكيف يجوز عبادة مخلوق لاخر
محتاج اليه وقيل ما مصدرية اي وعملكم وفيه فوات الاحتجاج لان الغرض المسوق له
الكلام كون المخلوق عابدا الآخر والمناسبة لان ما في تنحتونه موصولة والاستدلال
بالمصدرية بناء على ان فعلهم اذا كان بخلقه تعالى فالموقوف عليه وهو المفعول من باب
الاولى لا يجدي لان الخصم قائل بان العبد وارادته وقدرته بخلقه تعالى والفعل المتفق
عليها بخلق العبد والحق ان القوم ما كانوا ينكرون ان تلك الاجرام قبل الصنع
مخلوقة له تعالى ولا يصح لالوهية وانما يصلح لذلك تاثيرهم فيها فكانه قيل لهم ذلك
التاثير ايضا بخلقه تعالى فلم يزد بذلك الا بعدا عن تلك الرتبة فيتم الحجاج سالما
واما ترجيح المصدرية على الموصولة وجعل العمل بمعنى المعمول بسلامتها من الحذف
والمجاز فمعارض بكثرة الموصولة وكون المصدر بمعنى المفعول مجازا مشهورا. قالوا
ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم. كل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم واللام بدل الاضافة
اي جحيم ذلك البنيان. فارادوا به كيدا. لما قهرهم بالحجة قصدوا احراقه. فجعلناهم
الاسفلين. بان جعلنا نارهم عليه بردا وسلاما وكان ذلك برهانا على علو شانه
وقال اني ذاهب الى ربي. حيث امرني ربي او الى حيث اتجرد فيه لعبادته. سيهدين. الى ما فيه صلاح حالي
وانما بت القول لسبق وعد الله تعالى له بذلك او للفرط توكله او للبناء على عادته معه

اولانه تعالى تجلى له بصفة الرحمة وتجلى لموسى عليه السلام بصفة الغنى ولذلك قال حسبي ربي
ان يهديني سواء السبيل: رب هب لي من الصالحين: بعض الصالحين ليؤنسني في الغربة
اراد الولد لان الهبة شائعة فيه: فبشرناه بغلام حليم: انطوت البشارة على ثلث
بشارات كون الموهوب له ذكرا وكونه يبلغ اوان الرجال فان الصبي لا يوصف بالحلم
وكونه حليما فيه ستر من ابيه شاهد لطهارة اصله ولم يوصف من الانبياء احد بالحلم غيره
وغير ابيه وحالهما المذكور بعده يكشف عنه الغطاء: فلما بلغ معه السعي: اوان ان يسعى
مع ابيه في اشغاله وذكر الاب لانه ارفق به فانه كان ابن ثلث عشرة سنة لم يستحكم قواه
ويتعلق مع لا يجوز ان يكون ببلغ لاقتضائه ان يكون بلوغهما حد السعي معا ولا بالسعي لان
معمول المصدر لا يتقدمه لا سيما وهو معرفة فبقي ان يكون بيانا كانه قيل فلما بلغ حد السعي مع من
قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك: قيل انه لما طلب الولد وبشرته الملائكة به قال هو ذبيح
فلما بلغ حد السعي معه قيل له في المنام اوف بنذرك فلما اصبح روى في ذلك اليوم فسمي يوم
التروية فراى ذلك المنام في الليلة القابلة فلما اصبح علم ان ذلك من الله تعالى فسمي يوم عرفة
وفي اليوم الثالث عزم على نحره فسمي يوم النحر وانما راى في المنام دون ان يؤمر بذلك
في اليقظة ليعلم بذلك تساوي حالتيه في الاحكام الشرعية ولذلك كانت رؤيا الانبياء
وحيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي وانما شاوره مع
انه كان امرا لازما امتحانا وليوطن نفسه على شدة تلك البلية ويتلقاها بصدر رحب
ويكون المشاورة سنة بعده وفي المثل ما خاب من استشار ولو شاور آدم الملائكة
لما اصاب الخطيئة: فانظر ماذا ترى: والمراد النظر بالبصيرة وترى من الرأي بمعنى التفكر
وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء وكسر الراء: قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله
من الصابرين: اجابه بانه ليس من مجاز المشاورة بل يجب البدار اليه: فلما اسلما
انقادا لامر الله تعالى اسلم وسلم واستسلم بمعنى واصله من سلم المال لفلان اذا خلص له عن
منازع: وتله للجبين: صرعه على احد الجبينين وانما القاه على هذا الوجه لئلا يرى وجهه
فيرق له: وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا: بمباشرة المقدمات وقيل ان السكين
على المذبح فصار صفحة نحاس وقيل كلما قطع مكانا التحم وليس بشيء اذ لو كان كذلك لم يحتج
الى الفداء وجواب لما محذوف اي كان من الامر ما لا ينطق به الحال ولا يحيط به المقال
من السرور والحبور من ذلك الفداء: انا كذلك نجزي المحسنين: المخلصين الصابرين
على البلاء والشاكرين في الرخاء: ان هذا لهو البلاء المبين: الاختبار الجلي الذي يكون فيه
الاختبار ولذلك قال في حقه وابراهيم الذي وفى والمحنة التي لا محنة اشد منها او النعمة
العظمى وهي نجاة الولد من الذبح: وفديناه بذبح: ما يذبح بدله: عظيم: فدى من كبش
ارسله الله تعالى تحفة من عنده وعطاء الملك جليل القدر وان قل كما ترى الآن اذ القى الكبش
لا احد حوله لنقاحة قوله فانما وربما قيل الارض له وليس الا افتخارا بما للملك معه من الغنا

وايضا

وايضا فدى به ابن خليل وابن حبيب الله واي عظيم فوق ان يكون كبش وقاية تلك
النفس الزكية والشجرة المثمرة وعن قتادة كان الكبش تقرب به هابيل وكان يرعى في
الجنة ويربى لهذا المقصد المنيف وفي كون هذا من قبيل النسخ قبل الفعل كلام طويل الذيل
قال به الشافعية وانكره الحنفية: وتركنا عليه في الآخرين: الذكر الحسن والثناء الجميل
سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين: اعاده تركيبه لما سبق من حسن استقلالها
وانما سعد وان من المحسنين وادخال في زمرتهم دخولا اوليا: انه من عبادنا المؤمنين
الكمل الذي يؤثر رضاء الله تعالى في كل الاحوال: ثم الولد الموصوف هو اسمعيل لانه الكبر
من اسحاق اتفاقا ولانه الذي نشأ ببلاد الحجاز وبنى البيت مع ابراهيم والذي نبعت
له بئر زمزم ولكونه وصف بصدق الوعد وهو قوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين
واثنى عليه تعالى بالصبر في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين ولقوله عليه السلام
انا ابن الذبيحين ولقوله وبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ومن بشر بانه
يولد له ابن اسمه كيف يكلف بذبحه وهو غلام مراهق ولقوله تعالى: وبشرناه
باسحق نبيا من الصالحين: بعد استئناف ذكر صفاته والذي وقع لبعض انه اسحق
من تخاليط اهل الكتاب حسدا منهم ان يكون الذبيح من اجداد رسول الله عليه السلام
وباركنا عليه وعلى اسحق: بان وهبنا ابراهيم اسحق واخرجنا انبياء بني اسرائيل من
نسله او بان افضنا عليهما بركات الدنيا والدين: ومن ذريتهما محسن وظالم
لنفسه: بالكفر والمعاصي: مبين: ظاهر ظلمه وانما قيد الظلم بالظهور لان النفوس الكاملة
قلما تخلو عن ادنى خطرات وارتكاب خلاف الاولى وفي بيان كون ذريتهما منقسما
الى المحسن والظالم اشارة الى ان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقص فان المرء لا يؤاخذ
بسوء فعل غيره كائنا من كان: ولقد مننا على موسى وهارون: بالنبوة التي كل نعمة
دونها: ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم: ظلم فرعون وطغيانه وقتل الابناء
ونصرناهم: ارونا نصرهم: فكانوا هم الغالبين: على عدوهم وهذا ابلغ في الامتنان
من الانجاء لان في هلاك العدو حسم مادة الاوهام والامن الكلي: وآتيناهما
الكتاب المستبين: الواضح الجلي او المبين للاحكام يقال استبان الشيء وابانه
وهديناهما الصراط المستقيم: وهو دين الاسلام وسبيل الذين انعم الله عليهم وفيه
تعريض باليهود والنصارى واللام للعهد: وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى
وهارون: اي هذا الكلام اورده على وجه الحكاية: انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا
المؤمنين وان الياس لمن المرسلين: هو الياس بن ياسين من سبط هارون وقرأ
ابن ذكوان عن ابن عامر بالوصل على ان الاسم ياس واللام للتعريف والباقون على انه
عجمي غير منصرف: الا تتقون: من الشرك: اتدعون بعلا: اسم صنم لهم والبعل لغة المالك
وكانهم سموا معبودهم بعلا لذلك لمعنى وهم اهل المدينة المشهورة ببعلبك وتذرون

وتذرون احسن الخالقين اي عبادته وفيه اشارة الى علة الانكار وكونه احسن الخالقين
لا يقتضي جواز كون غيره خالقا لقوله تعالى هل من خالق غير الله. الله ربكم ورب اباءكم
الاولين. الله ربكم مبتدا وخبر ورب ابائكم عطف على الخبر وقرا حمزة والكسائي
وحفص بنصب الاسماء الثلثة على البدل او البيان في الاول والنعت في الثاني
والعطف في الثالث فيحسن الوقف على الخالقين في الوجه الاول ويقبح في الثاني
فكذبوه فانهم لمحضرون في العذاب وانما اطلقه لاشتهاره في الشر الا عباد الله
المخلصين مستثنى من واو كذبوا لا من المحضرين وقرا الكوفيون ونافع بفتح اللام و
وتركنا عليه في الاخرين سلام على الياسين بكسر الهمزة قطعا هو الياس المذكور انفا
لغة فيه كطور سيناء وطور سينين وقرا ابن كثير وابو عمرو والكوفيون ال ياسين
كال محمد وعليه الرسم وهو المختار لكثرة الفائدة وزيادة الدلالة على شرف المضاف
اليه وقيل الياسين صيغة الجمع اراد به نفسه واتباعه وقيل ياسين محمد اضيف
اليه ال القران وذكر ياسين لانه لقب القران والوجهان لا يناسبان نظم سائر
القصص. انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اي الياس. وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين سبق ذكره. ثم دمرنا
الاخرين اهلكناهم من الدمار وهو الهلاك. وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم اي على
منازلهم واثارهم فان قرى لوط على طريق الشام. مصبحين داخلين في الصباح. و
وبالليل وتعيين الوقتين لان السفار اكثر ما يمرون سائرا اول النهار وبالليل ويحتمل
في اثناء النهار او لعلها كانت تقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها
مساء. افلا تعقلون ويحذرون عن سخط الله تعالى. وان يونس لمن المرسلين
اذ ابق اي كان رسولا زمان اباقه. الى الفلك المشحون المملوء. فساهم فقارع
من في السفينة وذلك ان زعم البحاري هو ان السفينة اذا كان فيها آبق لا تجري
فكان من المدحضين مغلوبين في المقارعة من الادحاض وهو الازلاق. فالتقمه
الحوت وهو مليم نفسه عليها فعل او واقع في الملامة. فلولا انه كان من المسبحين
اي المصلين او الذاكرين الله تعالى بالتقديس وفيه دلالة على ان المعرفة السابقة والعمل
الصالح ينفعان في المضايق وقد دل عليه دلالة صريحة حديث الثلثة في الغار الذي
رواه البخاري ولذلك ايمان فرعون لم يقبل لعدم سابقة المعرفة وعلى هذا داب
الملوك مع خدمهم اذا جنى احد منهم يجعلون سالف خدمته سببا للعفو
عن تلك الجريمة يقولون لولا ان لك علي هذا الخدمات لفعلت بك كذا وكذا وقيل
اراد تسبيحه في بطن الحوت حين نادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين. للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا
فنبذناه بالعراء بالمكان الخالي عن الشجر والنبات وذلك حين اجتبب

اعاده

دعاؤه واراد الله نجاته فامر الحوت ان يلقيه الى البر واختلف في مدة لبثه
فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل بعض يوم وفي
شعر امية بن ابي الصلت: وانت بفضل منك نجيت يونسا. وقد بات في
اضعاف حوت لياليا. وهو سقيم بدنه مما ناله في بطنه لواقعة الحائلة
او قلقه مما اركبه من الخروج والذهاب بغير اذن الله تعالى. وانبتنا عليه شجرة
من يقطين كل ما انبسط على الارض من النبات دون الشجر كالقثاء والدباء من
قطن وهو الاقامة وروي انه عليه السلام قال في الدباء انها شجرة اخي يونس
عليه السلام والحكمة في انباتها ان ورقها يستظل به ولا يقربها الذباب
ويؤكل نيا ومطبوخا وقيل شجرة الموز وقيل التين وقيل سخر الله له ظبية
تختلف اليه ليشرب من لبنها ويحكى ان المسك اول ما خلق في تلك الغيضة
مكافاة لها. وارسلناه الى مائة الف هم قومه اهل نينوى وبها قبره الان
بارض الموصل يقطع بينها الشط قيل ارسل اليهم ثانيا فامنوا به وقيل ارسل
الى غيرهم. او يزيدون بل يزيدون عن ابن عباس رضي الله عنه كانوا مائة وثلثين
الفا وروى الترمذي عن ابي بن كعب انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يزيدون عشرين الفا. فامنوا فمتعناهم الى حين اجالهم المسمى ولعله
لم يسلم على لوط ويونس كما سلم على من تقدم من الرسل لانه تكرر فاختصر الكلام
ولقوله وسلام على المرسلين في اخر السورة فيتناولهما وقيل تفرقة بين ارباب
الشرائع واولي العزم وفيه ان الياس ليس منهم. فاستفتهم الربك البنات
ولهم البنون عطف على فاستفتهم في اول السورة وما بينهما اخذ بعضه بحجز بعض
وذلك انه استفتاهم اولا عن انكار البعث بقوله اهم اشد خلقا ام من
خلقنا من السموات والارض ثباتها وقرانها واردفه بقصص المكذبين
المنكرين للبعث تسجيلا على المشركين بانه سيحل بهم ما حل باولئك ثم
استفتاهم ثانيا عاطفا على الاول اشارة الى ان كونه خالق السموات والارض
يدل على توحده وكمال اقتداره يدل على تنزهه عن الولد الا ترى الى قوله تعالى بديع
السموات والارض انى يكون له ولد ثم لم يرضوا باثبات الولد مطلقا بل اثبتوا له
اخس النوعين وهو الاناث التي لا يرضى بها احدهم واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وزادوا على الشرك انواعا من الكفر كالتجسيم
لان الولد يستلزمه وتفضيل انفسهم ونسبة الملا الاعلى الى الانوثة التي يانف
منها ادنى الناس بل كل عيب دونها. ام خلقنا الملائكة اناثا لم يذكر كونه منزها
عن الولد بل نفي الانوثة عن الملائكة لان استحالة الولد منه تعالى جلي لا يتوقف
فيه الا من هو كالانعام بل هم اضل. وهم شاهدون تهكم واستهزاء بهم فان العلم

يوصف بهم الانوثة لا يمكن الا باخبار صادق ولم يعتمد قوا رسولا او باستدلال
عقلا ولا سبيل للعقل اليه او بالمشاهدة ولا يشكون في انتفائها او مبالغة في جهلهم
بالكفر اي يجترءون على هذا القول الذي تكاد السموات يتفطرن منه كانهم شاهدوا
ذلك ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله اي حين لكاذبهم هذا القول وفيه تقرير
لسفاهتهم وان من ينسب الى الله تعالى الولد لا يستبعد من جهله ان يثبت للملائكة
ما لا يليق بهم من وصف الانوثة وانهم لكاذبون في ذلك القول اصطفى البنات
على البنين اي آثرها واختارها على الذكور وهل يقبل ذلك من به مسكة ولذلك
قال جهلهم بقوله ما لكم كيف تحكمون يعتقدون شيئا لا يقدر العاقل على اعتقاده
تعلية فضلا عن ان يتخذه دينا افلا تذكرون تتعظون لبعد هذا البيان ام
لكم سلطان مبين نزل عليكم نص قاطع لا يمكنكم العدول عنه وان كان معناه
غير معقول كبعض نصوص الشارع فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين في دعواكم
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا حيث قالوا ان الملائكة بنات الله وانما
عبر بالجنة لاستتارهم عن الابصار وفيه دلالة على جنة مقدارهم عن مجانسة
الاله وفي حقد انهم مقربون وعباده مكرمون واشارة الى ان ما من شانه
الاستتار الذي هو من خواص الاجسام كيف يجانس المنزه عن سمات الحدوث
وقيل كانوا من غاية سفاهتهم يقولون ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة
وقيل كانوا يقولون الشيطان والرحمن اخوان ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
في العذاب اي الكفرة الذين يعبدونهم بكفرهم وافترائهم او الانس والجن ان فسرت
الجنة بغير الملائكة سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين استثناء
منقطع من المحضرين او متصل من ضميره ان فسر بما يعمهم وما بينهما اعتراض
او من واو يصفون فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين حقر شانهم وما هو عليه
من الاضلال الا من هو صال الجحيم الذي خلق للنار مثلكم من قولهم فتن
على فلان امراته افسدها ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع سادا مسد الخبر كقولك
كل رجل وضيعته اي انتم وما تعبدون لا تبرحون قرناء ثم قال ما انتم عليه بفاتنين
اي على معبودكم حاملين على عبادته الا من يكون ضالا مخلوقا للنار مثلكم وما
الا له مقام معلوم وقوله سبحان الله عما يصفون الى هنا من كلام الملائكة فانهم
كذبوا من نسبهم الى الله تعالى واستثنوا من ذلك المخلصين ثم تبرءوا عن الكفرة
بانهم لا يقدرون الا على اغواء امثالهم ثم اعترفوا بانهم منقادون لامر الله تعالى لكل واحد
منهم مقام في العبودية لا يتجاوزه وقوله فانكم وما تعبدون التفات كقوله فقد كذبوكم
بما تقولون ويجوز ان يكون حكاية قولهم وان يكون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانه قيل لما استفتهم وقل ما منا الا له مقام معلوم اي انع عليهم مثالهم في كفرهم

والنت

والنت لهم ما انت واصحابك تتصف به من اضدادها وموقعه الاستطراد وعلى هذا
لقوله وان كانوا ليقولون وانا لنحن الصافون في طاعته تعالى على الاقدام منا
قائم وراكع وساجد او صافون باجنحتنا مذعنين لاوامره خاشعين من هيبته
او صافون حول العرش يستغفرون للذين آمنوا روى مسلم باسناده عن حذيفة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلث جعلت صفوفنا كصفوف
الملائكة وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وقال يوما اطت السماء
وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا عليه ملك راكع او ساجد وقال لاصحابه الا
تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا كيف ذلك قال يتمون الصف الاول
فالاول وانا لنحن الصافون المسبحون المقدسون عما لا يليق بكبريائه وان كانوا ليقولون
لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ان هي المخففة واللام الفارقة
اي كانوا يؤكدون كلامهم قائلين ان لو اتانا كتاب من الله تعالى لتلقوه وعملوا بما فيه
مخلصين لله لا كاهل التورية والانجيل الذي نقضوا لما فيه من الاوامر والنواهي فكفروا به
اي بذلك الكتاب الذي كانوا يتمنونه وفي الفاء دلالة على انهم كفروا به بغتة من غير
روية فسوف يعلمون ما يحل بهم من الانتقام ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
وهي قوله انهم لهم المنصورون ولا يقدح في ذلك ما يقع من الانهزام في بعض المواضع
لان الامور بخواتيمها وعن الحسن لم يقتل نبي في حرب ولا غلب وكذلك شان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يول في حرب قط وعن ابن عباس رضي الله عنه ان لم ينصروا في الدنيا
نصروا في الآخرة وان جندنا لهم الغالبون هم الطائفة التي تقاتل في سبيل الله
بالسيف او بالحجة سواء كان فيهم نبي اولا والمذكور وان كان كلمات سماها كلمة لانتظامها
في معنى واحد كما تقول نبعث ثمرة بستاني وان كان فيه ثمرات فتول عنهم بعدما فرغت
جهدك في التبليغ حتى حين الى زمان قريب يؤذن لك في القتال او هو يوم بدر او
وقت الموت او يوم القيمة وابصرهم فسوف يبصرون وما يقضي عليهم من القتل
والاسر في ايثار الابصار والامر تنفيس عنه وتقريب لمدة كانما يحل بهم قدام عينيه
فسوف يبصرون ما يكون لك من النصر والتأييد او الدرجات العلى في الآخرة
وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون اي اسلبت عقولهم افبعذابنا
الذي يحق له ان يستعاذ من شره يستعجلون فاذا نزل بساحتهم بفنائهم
منازلهم شبهه عذابه النازل اعاذنا الله منه بجيش اغار على قوم انذرهم بعض
نصحائهم فلم يلتفتوا اليه فاجاحهم وقطع دابرهم فساء صباح المنذرين اي
صباحهم توشيح للاستعارة والصباح من اسماء الغارة ومن ذلك يا صباحاه اذا وقعت
الاغارة ينادون يا صباحاه وذلك انهم كانوا يغيرون في الصباح عن انس بن
مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح بخيبر قال الله اكبر خربت خيبر انا

اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف
يبصرون تسلية بعد تسلية وتاكيد الى تاكيد واطلاق الفعلين للدلالة على ان ما يبصر
ويبصرون من انواع المسرة والمساءة مما يضيق عنه نطاق البيان وقيل اريد
ما يبصرون في الدنيا وبهذا في الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين سوق الكلام من اول السورة الى هنا لاثبات التوحيد وازاحة
المشركين وابطال ما نسبوا اليه تعالى مما تقدس ساحة عزه ومقام كبريائه عنه فنزه
ذاته المقدسة بهذه الآية التي هي من الجوامع الكوامل فذلكة ذلك واثنى على رسله
الذين قدروه حق قدره وجاهدوا في اعلاء كلمته حق جهاده ثم ختم بالختام المسكي
بقوله والحمد لله رب العالمين اشارة الى اختصاص المحامد كلها به تعالى وان ثناءه
على الرسل تفضل منه اذ هو الذي اختارهم ووفقهم لما استحقوا به الثناء الجميل
الذي يعطي ويثني عن زيد بن ارقم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال
في دبر كل صلوة سبحان ربك رب العزة الى آخره ثلث مرات فقد اكتال بالجريب
الاوفى وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه من سره ان يكتال الاجر يوم القيمة
بالمكيال الاوفى فليقل آخر مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخره
تمت تفسير السورة والحمد لله رب العالمين سورة ص مكية وهي ست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ص بالسكون على الوقف حرف من حروف الهجاء
للتحدي والانعاظ والقران الحكيم قسم حذف جوابه لدلالة التحدي عليه كانه قيل والقران
المؤلف من هذه الحروف لمعجز او اسم السورة خبر مبتدا كانه قال هذه السورة
اعجزت العرب والقران كقولك هذا حاتم والله تريد انه ذلك المشهور بالسخاء ويجوز
ان يكون مقسما بها اسما للسورة او القران والعطف باعتبار تغاير الصفات
والجواب محذوف اي انه لمعجز ذي الذكر اي الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك
او الموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين والدنيا من الشرائع والقصص بل الذين
كفروا في عزة وشقاق اي انه لمعجز ومن كفر به انما كفر استكبارا ومشاقة مع الله تعالى
ورسوله وتنكير الاسمين مع ايراد في الدال على الاستقرار اشارة الى كمال اتصافهم
بالوصفين واستغراقهم فيهما وايماء الى ان من لم يكن بهذه المثابة لا ينكر ذلك
الامر الجلي كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي كثيرا من القرون المكذبة اهلكنا قبل
هؤلاء فنادوا رفعوا اصواتهم بالاستغاثة والجؤار ولات حين مناص
ذهب الخليل وسيبويه الى انها لا النافية شبهت بليس زيدت عليها التاء
كما زيدت في رب وثم لتاكيد النفي وحدث لها احكام بعد هذه الزيادة
اختصاصها بالاحيان وحين منصوب به كانك قلت ولا حين مناص
لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص لهم وعندهما

ان النصب على ولات الحين حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم كائن
من انفسهم يعرفون صدق قوله وامانته وقال الكافرون هذا ساحر كذاب
لم يقل قالوا اشارة الى ان هذا القول بعد ذلك الاعجاز لم ينشا الا عن كفر
بواح وانهماك في الغي اجعل الالهة الها واحدا روى الترمذي عن ابن عباس
رضي الله عنه لما مرض ابو طالب دخل عليه مشيخة قريش وقالوا ان ابن اخيك
يشتم آلهتنا فلو نهيته فبعث اليه ابو طالب فلما حضر قال ابن اخي ان
قومك يشكونك انك تشتم آلهتهم فقال يا عم اني اريدهم لكلمة تدين
لهم بها العرب ويؤدي الجزية اليهم العجم فقالوا ما هي تلك الكلمة نعم نعطيك عشرا
قال تقولوا لا اله الا الله فقاموا ينفضون ثيابهم يقولون اجعل الالهة الها واحدا
قيل كان هذا بعد اسلام عمر رضي الله عنه ان هذا لشيء عجاب بليغ العجب مخالف
لما اطبق عليه اباؤنا الاولون ولم يكونوا ينكرون ان مدبر الكائنات وموجدها
هو الله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلا وجه لما قيل
انما قالوا لان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء وانطلق الملا منهم ان امشوا
اي انطلق اولئك الاشراف بعدما سمعوا مقالته وان بمعنى اي لان المنطلقين
عن مجلس التقاول لا يخلون من تفاوض واصبروا على آلهتكم على عبادتها و
التمسك بها ان هذا الامر الذي انتم فيه لشيء يراد يطلب ليؤخذ منكم
وتغلبوا عليه او ان هذا لشيء اراده الله تعالى فلا محالة كائن او ان هذا الذي يطلبه
من الترفع على كافة الخلق مراد كل احد او هذا من ريب الدهر ونوائبه الذي
اريد بنا فلا بد من وقوعه ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة اي ملة النصارى
التي هي آخر الملل يريدون ان لو كان التوحيد حقا لم يثلثوا او ملة قريش التي
ادركوا عليها آباءهم او في الملة الآخرة حال اي كائنا في الملة وليس متعلقا بسمعنا
اي لم نسمع من احد من اهل الكتاب ولا الكهان ان يحدث في الملة الآخرة القول
بالتوحيد ان هذا الا اختلاق افتراء مخترع لم يسبق له نظير ءانزل عليه
الذكر من بيننا انكروا اختصاصه بشرف النبوة مع كونه واحدا منهم بل من فيهم
من له الاسباب من الاموال والاولاد والحشم الكثير منه ولهذا قالوا لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم وهذا منهم منشاؤه الحسد لا غير وتلك الخرافات
التي تقدمت ناشئة منه بل هم في شك من ذكري اي جزمهم باختلاقه ليس
عن اعتقاد وثبت بل قول بافواههم اذا شاك لا حكم له فان قلت الشاك
في الذكر وهو القران لا ينافي الجزم بان التوحيد مختلق قلت بل ينافيه لاشتماله
على دلائله والمرتاب فيها شاك فيه بل لما يذوقوا عذاب اضراب عن حديث
الحسد والشك والمعنى انهما لا يزولان الا ان يذوق العذاب كقوله فلا يؤمنوا حتى

يروا العذاب الاليم ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم حتى
يتصرفوا فيها خزائن من التصرف بالغلبة والفيض المطلق حتى يجعلوها لمن شاؤا والمراد
عن قولهم اانزل عليه الذكر نظير قوله اهم يقسمون رحمة ربك وفي وصفه بالعزة
اشارة الى بطلان ما هم فيه من الترفع والتجبر على من خص بالنبوة لانهم تحت غالب
لا يغالب وبالوهاب الى ان النبوة تحصل موهبة ربانية فلا وجه لمشاقته وذكر الوهاب
يناسب الخزائن وفيه اشارة الى ان النبوة ليست عطية واحدة بل عطايا جمة ام
لهم ملك السموات والارض وما بينهما يريد ان ملك السموات والارض شئ من خزائنه
المدنية لان العالم الجسماني لا يقاس بعالم الروحانيات واذا كانوا عاجزين عن
التصرف فيه فهم عن غيره اعجز ثم بين عجزهم بقوله فليرتقوا في الاسباب الموصلة
الى العرش والاستيلاء عليه وانزال الوحي الى من يختارونه ثم حقر شانهم وختام
بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ما زيدة للتقليل وهنالك ظرف مهزوم
اشير به الى المحل الرتبة كقول الخليل عليه السلام في حديث الشفاعة لست هناك
والمعنى هؤلاء الكفار اعوان وانصار قليلون من الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام
عما قريب لمكسورون في المحل الذي وضعوا انفسهم فيه اين هم من التعرض لتلك
المقالة والاعتراض على مالك الملك والملكوت وقيل هنالك اشارة الى يوم بدر
او يوم الخندق او يوم فتح مكة والاول هو الوجه كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الاوتاد هؤلاء الاحزاب الذين اهل مكة منهم وصف فرعون بذي الاوتاد
اشارة الى طول مدته استعارة من اوتاد البيت المطنب للثبات كقوله في ظل
ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يعذب بالاوتاد ويجعل اعضاءه الاربعة الى اربعة
اطراف ويضرب على كل واحد وتدا ويتركه الى ان يموت وكان يرسل عليه
وهو كذلك الحيات والعقارب او الاوتاد مجاز عن الجموع لان بعضهم يشد بعضا
وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة قوم شعيب والايكة الغيضة وقرا نافع وابن
كثير وابن عامر وليكة على وزن ليلة اولئك الاحزاب اي الاحزاب الذين منهم
جند مهزوم هم هؤلاء او المعنى المشار اليهم هم الذين يقال لهم الاحزاب لقوتهم ووفور
والاسباب وطول الاعمار لا جند مكة كما تقول بعد ذكر زيد وعمرو زيد الرجل ان كل
الا كذب الرسل اعاد التكذيب ثانيا على اوكد وجه او هو طريقه وافاد ان كل واحد
من تلك الامم كذبت كل رسول الله لان تكذيب واحد منهم تكذيب لهم كلهم لان
بعضهم يصدق بعضا فحق عقاب بعد ذلك الا قرار لا التكذيب وما ينظر هؤلاء
اي اهل مكة الا صيحة واحدة هي النفخة وقيل العذاب المفاجي من قولهم صاح الزمان
بفلان قال صاح الزمان بال برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان ما لها من فواق
من لبث مأخوذ من فواق الناقة وهو ما بين الحلبتين فانها لا تدر دفعة بل يترك ساعة

امل

زمان وقرا حمزة والكسائي بضم الفاء وهي لغة وقالوا ربنا عجل لنا قطنا القط القسط من الشيء
من القط وهو القطع اي نصيبنا الموعود من العذاب يريدون تكذيبه او نصيبنا من الجنة
لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وعد المؤمنين الجنة قالوا ذلك الكلام استهزاء قبل
يوم الحساب قبل يوم القيمة او لنؤمن به كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد اي تحمل اذاهم واذكر لهم قصة داود وانه
لم يكن في زمان نبوته على وجه الارض اكرم على الله تعالى ولا اعز منه ومع ذلك جرى عليه من ادنى خطرة
خطرت له ما جرى وبكى على ذلك مدة طويلة ونقش جنايته في باطن كفه حتى لا ينساها فما الظن
بهؤلاء المسرفين المستهزئين بالله تعالى وآياته او اصبر على ما يقولون واذكر لنفسك حال داود
وحافظ على تذكر ما لا يليق بك في المصابرة ما عوتب عليه كما عوتب ذلك وعلى هذا
تذكر ذكر القصة ذا الايد والقوة في الدين والمحافظة على الطاعات بدليل قوله انه اواب
وقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وافضل
الصلوة صلوة داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وللاولوية
لا دخل لها في قوة البدن انا سخرنا الجبال معه يسبحن على الدوام بالعشي والاشراق
اي في هذين الوقتين يقال شرقت الشمس شروقا طلعت واشرقت اضاءت وصفا
شعاعها وعن ابن عباس رضي الله عنه انه لما سمع ام هاني تقول جئت رسول الله عليه السلام
يوم فتح مكة فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره فلما اغتسل التحف بثوب وصلى ثمان ركعات
وذلك ضحى فقال قد ظننت ان لهذه الساعة صلوة ولما كان ظلت كيف دل
تسبيح الجبال معه على الصلوة في تلك الساعة قلت لما روي في الحديث ولان تسبيح الجبال مجاز
تحمل تسبيح داود عليه السلام على المجاز لان المجاز بالمجاز انسب والطير محشورة مجموعة
مسخرة ولذلك لم يراع المطابقة بين الحالين اذ حشرها على هذا الوجه ادل على كمال
القدرة كل له اواب رجاع الى الله تعالى رجوعا بعد رجوع ويلزمه الذكر والتسبيح
كأنه قال كل معه تسبيح على الدوام او الرجاع كناية عن المرجع ومعلوم ان الترجيع
في التسبيح لا في فعل اخر وشددنا ملكه قويناه بالرجال والعدد وقيل كان يحرس
محرابه اربعون الفا من ذي الاسلحة وقيل كان القى عليه مهابة وذلك ان رجلا ادعى
على اخر بقرة فانكر المدعى عليه فاوحى الله الى داود ان اقتل المنكر فقال له لم تواخذني
بهذا بل اني قتلت اباه غيلة فامر بقتله فهابه الناس واتيناه الحكمة
النبوة وعلم الشرائع كل كلمة وافقت الحق فهي حكمة وفصل الخطاب المفصول
الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه مصدر بمعنى المفعول او الفاصل
بين الحق والباطل في القضايا والتدابير فانه اذا انضم الى العلم والحكمة كمل
شأن الحاكم وتحقيقه انه كان كاملا في البلاغة يورد كل كلام على مقتضى الحال
خاليا من الاملال والاخلال ويدخل فيه كل ما ذكروه من الوجوه وهذا اشمل ما

في وصف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر ولا هذر وهل أتاك نبأ الخصم
إذ تسوروا المحراب الاستفهام للتشويق والدلالة على انه من الامور المستغربة
التي العلم بها امر خطير والخصم مصدر في الاصل يقع على الواحد والجمع مثل الضيف
كقوله حديث ضيف ابراهيم المكرمين تسوروا المحراب تصعدوا والسور حائط
المدينة اراد حائط مسجده والمحراب الغرفة وصدر المجلس واذ متعلق بمقدر
بالنبأ لانه وان كان بمعنى القصة الا انه في الاصل مصدر والظرف يكفيه رائحة
من الفعل او متعلق بمقدر اي تحاكم الخصم وتعلقه باتاك لا يستقيم إذ دخلوا على داود
ظرف لتسوروا او بدل من اذ والضمير للخصم ففزع منهم لانهم نزلوا من الحائط
من غير اذن وهم ناس اجانب لا يعرفهم وكان خاليا للعبادة كان جزأ الزمان
جعل يوما للعبادة وجعل يوما للقضاء ويوما يعظ فيه بني اسرائيل ويوما للتشغل
بخاصته قالوا لا تخف لما شاهدوا منه آثار الخوف خصمان اي نحن فوجان
بدليل قوله تسوروا ودخلوا فهو كقوله خصمان اختصموا ولا ينافيه ان هذا اخي
لانه قول بعضهم بغى بعضنا على بعض وهذا على التمثيل والغرض فلا يمتنع صدوره من
الملائكة فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكم من الشطط وهو مجاوزة
الحد في كل شيء وفي الحديث لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط واهدنا الى سواء الصراط
الى وسط الطريق الى الحق الذي لا ميل فيه ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي
نعجة واحدة هي الانثى من الضأن يكنى بها عن المرأة للين عريكتها وضعف جنبتها
وكثيرا ما يطلق اهل مصر على الرجل الجبان الخوار نعجة فقال اكفلنيها اي اجعل
امرها الي لاكفلها كما اكفل ما تحت يدي وحقيقته القيام بامرها كقوله عليه السلام
انا وكافل اليتيم كهاتين واشار بالسبابة والوسطى وعزني في الخطاب غلبني
في الجدال لا اقدر على رده وقيل غلبني في الخطبة وبنا فيه ولي نعجة وقوله لقد ظلمك
في سؤال نعجتك وقوله اكفلنيها اذ لا يخاطب به المخاطب بل ولي المخطوبة الا ان
يجعل مجازا قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك جواب قسم محذوف وانما اقسم
مبالغة في الانكار حكم عليه بالظلم اما لاعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال
مضاف الى المفعول الى نعاجه ضامًا اليها وان كثيرا من الخلطاء من [illegible]
المتعارفين كقوله ان الخليط اجدوا البين فانصرموا ليبغي بعضهم على بعض
فلا تعجب مما شجر بينكم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي في غاية
القلة وما زائدة وهذا الكلام منه على طريق الموعظة والترغيب في انتهاج مسالك
ذلك القليل وايثار عادتهم والتدرع بلباسهم وحمل الخلطاء على الشركاء وحديث
الكلائل بات عنه وظن داود انما فتناه اي ايقن انا ابتليناه استعار الظن
للتيقن لان الظن الغالب يدانيه فاستغفر ربه وخر راكعا سجد لله تعالى لان الركوع

وحده ليس بعبادة فاطلق على السجود لانه مبداه وبدانيه في الخضوع او اراد به الصلوة
مجازا واناب رجع الى الله تعالى بالاستغفار وانما بدا بالسجود او الصلوة المشتملة
عليه لانه مظنة الاجابة واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد
الى الله تعالى وهو ساجد وهذا من عزائم السجود عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لما روى
ابن عباس رضي الله عنه سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ص وقال سجدها داود
عليه السلام توبة ونسجدها شكرا واستدل الشافعي رحمه الله تعالى بما رواه ابن عباس
رضي الله عنه سجدة ص ليست من عزائم السجود ولكن رأيت رسول الله عليه السلام
يسجد فيها فقال بها استحبابا فان قلت ما صدر عن داود عليه السلام حتى وجب
هذا الابتلاء والانبياء معصومون عن الصغائر قصدا فضلا عن الكبائر منزهون عنه
قلت هذا على طريقة حسنات الابرار سيئات المقربين وغاية ما يمكن في حقه انه رأى
نعجة امرأة اوريا وهو رجل من غزاته فقال له ان ينزل له عنها فاستحيا منه فنزل
وهي ام سليمان عليه السلام وقيل لم يكن امرأته بل خطب على خطبته فعوتب في ذلك
وقيل له ما كان ينبغي لشانك ان يمد عينيه الى متاع الدنيا مع ما خولناك من الملك والدين
وكثرة النساء كيف يسأل رجلا له امرأة واحدة ان ينزل لك عنها بل كان الجواب
عليك ان لو سألك هو ان تنزل عنها الا تأبى الكل وقهر النفس ومخالفة الهوى كما
فعله سيد الرسل حين شاوره زيد في فراق زينب هذا ان صح عنه كان مصيبا خلا انه
انه خلاف الاولى وقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف انه لما نزل على سعد بن
الربيع قال له لك نصف مالي وانظر اي امرأتي اعجبتك نزلت عنها وان كان [illegible]
لم يحكه الله تعالى مفصلا بل ستره عليه فنحن اولى بذلك فما لنا وللخوض فيه ولذلك لما
حكى عند عمر بن العزيز رجل قاص على خبر هذا الوجه من تلك الخرافات التي لا يجوز
اشاعتها وكان رجل من اهل المعرفة حاضرا فقال ايها الرجل ان كان القصة علمها
في كتاب الله تعالى فاعظم بها ذكرت فرية وان كانت كما ذكرت وقد سترها الله تعالى
على عبده فكنت اولى بذلك فقال عمر لسماعي لهذا الكلام احب الي مما طلعت
عليه الشمس وعن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب قال من حدثكم بحديث
داود عليه السلام على ما يحكيه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وقيل ما وقع منه هو
قوله لقد ظلمك بمجرد قوله قبل ان يسأل المدعى عليه ويؤيده قوله بعد هذا فاحكم
بين الناس بالحق فغفرنا له ذلك بعد الانابة وان له عندنا لزلفى قربة ومكانة
لم يحصل له بتلك الجناية تنزل وحسن مآب مرجع هو جوار الله تعالى في عالي الجنان
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض يقال استخلفه على كذا اذ جعله واليا متصرفا
فيه كقوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه او خليفة عن الانبياء الذين تقدموا
فاحكم بين الناس بالحق الذي امرك الله تعالى به اي بحكم الله تعالى ولا تتبع الهوى

فيضلك عن سبيل الله طريقه الموصلة اليه ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب اى ذلك الضلال بسبب نسيان ذلك اليوم
او لو تذكروا وراقبوا احواله وبحالا للمعرفة فى ذلك اليوم بعلم العلام الخبير لم يرتكب ضلالا
قال عبد الملك بن مروان يوما لابي زرعة انك قرات الكتاب الاول والقران العظيم
هل وجدت ان الخلفاء لا يجرى عليهم القلم فقال يا امير المؤمنين الخلفاء اعظم ام الانبياء
ثم تلا هذه الاية وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا عبثا خاليا عن الحكمة كقوله
ما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين بل انما خلقناهما ابتلاء لكم بالتكاليف
والشرائع ذلك ظن الذين كفروا اى كونهما مخلوقين باطلا مظنون الكفار فويل
للذين كفروا من النار ومن بيانية او ابتدائية ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين فى الارض انكار لذلك وكيف يستوى الحكم بين المؤمن والكافر ام
نجعل المتقين كالفجار من المؤمنين كالفجار كالفساق منهم او تكرير للاول باعتبار
الوصفين واذا كان التساوى منكرا وليس هذا الدار الجزاء ولذلك ترى اكثر اهل
الدين والتقوى ناقصة حظوظهم فيها فلا بد وان يكون دار اخرى تقع فيها المجازاة
كتاب انزلناه اليك مبارك لآ يتن جملة من المقاصد الصحيحة التى يذعن لها
العقل الصحيح ازدفه بوصف الكتاب المشتمل عليه بالبركة واى بركة اعظم من الارشاد
الى البقاء سرمدا فيها لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ليدبروا
اياته ويستنبطوا منها دقايق حكمه وليتذكر اولوا الالباب ذووا العقول كانهم
المبرؤن عن العوائق المؤيدون بالتوفيق الناظرون بنور الله حتى كان ما ليس المقابل
كالمعلوم عندهم لا يحتاج الا الى التفات الذهن ووهبنا لداود سليمان ارتب
قصة الوالد بقصة الولد لانه فتن مثل ما فتن واناب مثل ما اناب عبر عن اعطائه
بالهبة اشارة الى جلال قدره نعم العبد حذف المخصوص للعلم به اى سليمان انه اواب
رجاع الى الله او مؤوب اى مسبح ولا يكون الا اوابا اذ عرض عليه العشى الصافنات
الجياد الصافن من الصفون وهو الوقوف على ثلث قوائم قال الف
الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلث كسيرا والجياد جمع جواد من الجودة
بضم الجيم الفرس الواسع الجرى وهو الواسع العطاء ايضا من الجودة بفتح الجيم
وصفها بالصفون والجودة جمعا للحسن فى حالتيها كانه قال ساكنة عند الوقوف
وسراع عند الجرى وقيل الصفون وصف لها بالاصالة فانه يكون فى العراب
دون الهجين قيل غزا سليمان عليه السلام بدمشق فاصاب الف فرس
وقيل ورثها من ابيه واصاب ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر وكانت
ذات اجنحة وهذا هو الوجه اذ فى الارث والاصابة غنيمة اشكال لقوله عليه السلام
نحن معاشر الانبياء لا نورث ولقوله اوتيت خمسا لم يؤت احد من قبل

وعد منها حل الغنائم فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى استعمال احببت
بعن لتضمين معنى انبت او الجار متعلق بمقدر حالا اى مستغنيا والخير المال لقوله
تعالى ان ترك خيرا الوصية للوالدين والمراد به الصافنات المذكورة وكان اصله
احببت الخير وانما اقحم الحب اشارة الى فرط المحبة كانه احبها حتى احب حبها
حتى توارت بالحجاب الشمس وفاتته صلوة العصر وقيل توارت الخيل بالحجاب
اى بظلام الليل وفيه بعد ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق اى شرع
يقطع اعناقها لاتها وعراقيبها قربانا فى سبيل الله وحضها ذلك لانها كانت
سببا فى الاشتغال وهذا القطع بدل السارق لانها آلة الخيانة وفى الحديث سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول لناقته يا ملعونة فقال ردوها لا يصحبنا
دابة ملعونة ولما فاتته صلوة الصبح ارتحل من ذلك الى مكان آخر ثم قضاها
كراهة له حيث نام عن الصلوة فيه وقيل مسح اعرافها وعراقيبها احترازا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمسح اعراق الخيل وقال الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيمة
من اعزها اعزه الله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا روى
البخارى باسناده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سليمان عليه السلام
قال يوما لاطوفن الليلة على اربعين امراة ياتى كل واحدة بغلام يجاهد فى سبيل الله
فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل فما حملت الا واحدة انت بشق ولد فوالذى
نفسى بيده لو قال ان شاء الله تعالى لجاهدوا فرسانا وروى انه كان له ابن يخاف عليه
من الجن فكان يربيه فى السحاب فكان يوما جاءت فوقع على كرسيه ميتا فعلم انه كان
تاركا لما هو اللائق من التوكل ثم اناب رجع الى الله تعالى بالتوبة وما ذكروه من ان خاتمه
وقع فى يد صخر الجنى وانه استولى على ملكه اربعين يوما وما يفترون اليه من الخرافات
فلا يجوز ذكرها لانها اكاذيب لا يساعده نقل ولا عقل قال رب اغفر لى وهب لى
ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى كان ما تشيا فى بيت الملك سال معجزة تناسب حاله
وقيل لانه شفقة على اخوانه النبيين حيث راى الدنيا غدارة ولا سيما ابهة الملك
فطلب من الله تعالى ان يزويه عن غيره ويخصه به وقيل لم يرد الا سعة الملك وعظمه
لا الاختصاص ويرده قوله عليه السلام تفلت على البارحة شيطان فقصدت
ان اربطه بسارية من سوارى المسجد فيلعب به صبيان المدينة ثم تذكرت
دعوة اخى سليمان قيل للحجاج انك حسود فقال احسد منى سليمان حيث قال
هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وقد كفر فى ذلك كما كفر فى قوله طاعتنا اوجب
من طاعة الله تعالى لان الله تعالى قال فاتقوا الله ما استطعتم وقال واولى الامر منكم فاطلق
وقد عمى فى كفره لان اولى الامر عطف على طاعة الله تعالى ورسوله فكيف يكون طاعة
مطلقا والاخر مقيدا وايضا ما استطعتم قيد الاطلاق انك انت الوهاب

لا غيرك فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء لينة من الرخاء وهو لا يعصف او طيعة وفي
ذلك تمام النعمة كالفرس الذلول حيث اصاب اي قصد حكى الاصمعي عن العرب
اصاب الصواب فاخطا وقصد رؤبة الشاعر رجلان ليسألاه عن هذا اللفظ فقال ما
تصيبان قالا هذا الجواب والشياطين كل بناء وغواص في البحار لاستخراج الدرر
والجواهر وآخرين مقرنين في الاصفاد في القيود كفالشرح جمع صفد بالتحريك وهو العطاء
ايضا لربطه المنعم عليه بالمنعم قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا ويروى من برك اسرك
ومن جفاك اطلقك والفعل للعطاء اصفد والقيد صفد عكس وعد واوعد هذا عطاؤنا
اشارة الى الملك المذكور فامنن اعط ما شئت منه او امسك بغير حساب حال كونك
غير محاسب بل الامر مفوض اليك تتصرف كيف شئت كما هو شان الملك وفيه انه عليه السلام
خيره الله بين ان اكون عبدا نبيا او نبيا ملكا فاشار اليه جبرائيل ان تواضع فاخترت
ان اكون عبدا نبيا ولذلك كان مامورا لم يطلق له التصرف قال انما انا قاسم والله هو
المعطي ولما تواضع ولم يلتفت الى ملك الدنيا عوضه المقام المحمود وان له عندنا لزلفى
قربة ومنزلة وحسن ماب مرجع في جوارنا ولم ينقص ملك الدنيا شيئا من مكانته
واذكر عبدنا ايوب هو ايوب بن عيص بن اسحق لما ذكر اولا النعم والآلاء اردف بذكر
ذوي المقامات والبلاء ليعلم انهم كانوا مع الله في السراء والضراء ولذلك قال بعد شرح
ملك سليمان ونصب ايوب في كل منهما نعم العبد ومن ذلك افترق اهل الحق في الغني
الشاكر والفقير الصابر ايهما اقرب الى الله تعالى اذ نادى ربه بدل اشتمال اني مسني الش
الشيطان بنصب وعذاب اي تعب ومشقة في بدني وعذاب الم في القلب وقيل
الاول في البدن والثاني في المال والاولاد وانما نسبه الى الشيطان وان كان الكل ذلك
بخلق الله تعالى تادبا او لانه ما حصل له بفعل ترتب على وسوسته اذ اعجب بكثرة المال او استغاثه
مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية كافر فداهنه او كان يغريه على الجزع والقنوط
وان لو كان له عند الله منزلة لما ابتلاه اركض برجلك اضرب بها اي قيل له ذلك اما
بلا واسطة او بواسطة هذا مغتسل بارد وشراب وانما قدم البارد لانه اعم للمريض الحار
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء وان صح ما يقال
لما ركض برجله نبعت عينان حارة وباردة فتقديم بارد للفواصل وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل خر عليه رجل من جراد ذهب ووهبنا له
اهله ومثلهم معهم اي اضعاف ما كان رحمة منا عليه وذكرى وموعظة لمن يسمع
بحاله فيصبر على بلائه لاولي الالباب لارباب العقول الخالصة عن شوائب الاوهام
ومن الامثال لكل شيء آخر والصبر نعم الناصر وخذ بيدك ضغثا حزمة من حشيش او
ريحان او غيره واصله الاختلاط ومنه اضغاث الاحلام فاضرب به ولا تحنث في
يمينك فان زوجته كانت ذهبت في حاجة فابطات عليه فحلف ليضربنها مائة جلدة

فحلل الله تعالى يمينه بهون عليه وتلك السنة باقية في الحدود انا وجدناه صابرا ولا
ينافيه الشكوى الى الله تعالى واختلف في مدة بلائه وقد تقدم في سورة الانبياء نعم العبد
انه اواب رجاع بالذكر والتوبة واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب هؤلاء
ايضا اهل البلاء وقدم ايوب لانه علم في ذلك وقرا ابن كثير عبدنا بالافراد اما لقصد
الجنس او لارادة ابراهيم عليه السلام اشارة الى شرفه والجمع هو المختار لقوله تعالى اله
ابائك ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار ذوي القوة في الاعمال
والبصائر النافذة في التدبر والافكار وفيه تعريض بالبطلة الجهال كالزمن والعمي
انا اخلصناهم جعلناهم خالصين اصفياء لا كدر فيهم ثم بينه بقوله بخالصة اي
بخصلة لا يشوبها شيء ذكرى الدار بيان للخالصة وحاصله نزعنا من قلوبهم
حب الدنيا فليس لهم الا هم الدار الآخرة وانما اطلقها لانها الدار حقيقة وانما الدنيا
كمنزل راكب اراح عشيا وهو في الصبح راحل وقرا نافع وهشام بالاضافة اما الى
الفاعل اي بان خلصت ذكرى الدار لهم ولم تشب بغيرها او الى المفعول على ان الخالصة
مصدر متعد بمعنى الاخلاص اي بان ذكروا الناس ورغبوهم في الآخرة وزهدوهم وهذا
الوجه احسن لانه تكميل يستدعي سبق الكمال وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار
جمع خير بكسر الخاء كشرير واشرار او بفتح الخاء جمع خير مشددا او مخففا كميت
واموات المصطفين بمعنى المختار قد لا يكون خيرا واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل
هما ابناؤهم وكل من الاخيار اي كل هؤلاء هذا ذكر اي القرآن شرف تذكرة به
او هذا ذكر من مضى من الانبياء ولما اريد نقل الكلام من ذكر الانبياء الى ذكر الجنة
وهما نوعان من الكلام قال هذا ذكر كما يقول الكاتب اذا فرغ من باب واراد
الشروع في باب آخر هذا وان للمتقين لحسن ماب مرجع جنات عدن بدل
او عطف بيان وهو من الاعلام الغالبة مفتحة لهم الابواب حال والعامل
هو العامل في الجار والمجرور والتقدير جنات عدن استقرت للمتقين حال كونها
مفتحة لهم الابواب بدل اشتمال بلا راجع اكتفاء بدلالة المعنى كقولك في بدل
البعض ضرب زيد اليد او الرجل متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب
حالان مترادفان من ضمير لهم او متداخلان وايثار المضارع في الثانية دون
الاولى للتجدد والدعاء بهما دون الاتكاء والاقتصار على الفاكهة والشراب لان
ما يتناول في الجنة انما هو للتلذذ لا لدفع الم الجوع وعندهم قاصرات الطرف
لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب متفقات السن او لازواجهن فان
التحاب بين الاقران اثبت جمع ترب بمعنى المتارب كالمثل بمعنى المماثل لانه
التراب مسهن معا هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب
لاجل الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو يوعدون بالياء جريا على سنن ما تقدم

والباقون بالخطاب التفاتا وهو احسن معنى واوفق لقوله وانتم فيها خالدون
بعد قوله يطاف عليهم. ان هذا لرزقنا ما له من نفاد: انقطاع. هذا: تقدم الوجه فيه
آنفا. وان للطاغين لشر مآب جهنم: بدل او بيان. يصلونها فبئس المهاد: المهاد
مستعار من فراش النائم. هذا فليذوقوه حميم: هذا مبتدا وحميم خبره وفليذوقوه
اعتراض على نحو زيد فاعلم رجل صالح او لهذا وقوه فليذوقوه بالاضمار على الشريطة او خبر مبتدا
اي العذاب هذا. وغساق: عطف على حميم وهو ما يسيل من صديد اهل النار من
غسق الدمع نطف قيل هو شراب يحرق بالبرودة كما ان الحميم يحرق بحرارته وعن
الحسن عذاب لا يعلم عظمته الا الله تعالى مقابل لما اعده لاهل الجنة الذي اشار اليه بقوله
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرا حمزة والكسائي وحفص مشددا وعن الفراء هما لغتان
وقيل الاول اسم كالنكال والعذاب والمشدد صفة او نسبة كالثمار. وآخر من شكله
من هذا المذوق عطف على حميم وغساق. ازواج: صفة للثلاثة او لآخر لانه ضروب وجنس
وقرا ابو عمرو واخر بضم الهمزة جمع اخرى ككبر وكبرى وازواج خبره ومن شكله صفة المفرد
اخف والجمع اظهر ولا يخفى ما في ابهام آخر من التهويل. هذا فوج مقتحم معكم: كلام الرؤساء
من الطاغين للاتباع حين دخول النار كقوله كلما دخلت امة لعنت اختها الا ان الآية
هناك هي الاتباع وهنا بالعكس والاقتحام الدخول في الشيء عنفا وقيل هو كلام الخزنة
وقوله لا مرحبا بهم انهم صالوا النار: كلام الرؤساء تعليل باستيهال الاتباع بذلك الدعاء
وقيل الكل كلام الخزنة. قالوا: اي الاتباع. بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا: بالاغواء
والاغراء فانتم احق بهذا الدعاء. فبئس القرار: مكاننا. قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده
عذابا ضعفا في النار: اي مضاعفا للضلال والاضلال كقوله ربنا هؤلاء اضلونا
فآتهم ضعفا من النار وان جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة فوجه قوله بل انتم لا مرحبا
بكم ان يكون كلام الاتباع للرؤساء لما دعا عليهم الخزنة صرفوا الدعاء اليهم لانهم السبب
وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار: استفهام تعجب وتحسر. اتخذناهم
سخريا: صفة رجالا. ام زاغت عنهم الابصار: ام منقطعة متصلة بقوله ما لنا لا نرى
كانهم لما لم يروهم في النار تعجبوا من ذلك فبناء على حظوظ الدنيا ستروا انفسهم
ببعض التسلي وقالوا بل زاغت عنهم الابصار فلا نريهم في النار وهم فيها وقرا نافع وابن
عامر وابن كثير وعاصم بالاستفهام انكارا على انفسهم كيف اتخذوا سخريا من كان اعلى شأنا
منهم ثم اضربوا الى قولهم بل زاغت عنهم الابصار او متصلة ومعادلها اتخذناهم على انكار الامرين
جميعا كانهم قالوا منكرين على انفسهم اي الفعلين فعلنا بهم السخرية والازدراء بهم كانهم لفرط
كراهتهم تحجبهم الاعين وان قرئ بحذف همزة الاستفهام فالوجه الاول لدلالة ام عليه يستوي
القراءتان وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بضم السين وعن مجاهد ان الضمير في قالوا للصناديد
قريش ولا دليل له فالوجه التعميم في كل طائفة. ان ذلك لحق: اي ما ذكر من التقاول كائن

لا محالة

لا محالة. تخاصم اهل النار: بيان له وكان الظاهر ان ذلك لتخاصم حق وانما قدم لحق اهتماما
قل: يا محمد لمشركي مكة. انما انا منذر: لا ساحر كذاب كما تقدم منهم في اول السورة
وهذا الدعوى منه بعد ما قدم ما يدل على كونه رسولا باثبات كون القرآن معجزا وما اردفه به
من ذكر الانبياء مع اممهم مما يستقل انواعا من الاعجاز. وما من اله الا الله الواحد القهار:
اي مبعوث بهذين الامرين الانذار والدعوة الى التوحيد والمعنى انما انا منذر وليس لي علم بمقدار
عقاب من بدا شانه فالانذار هو المبعوث به وهذا التحقيق منهم والاول هو الوجه لقوله
رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار: واذ التعقيب بهذه الصفات دليل
على كون الدعوة مقصودة ولان هذا المخصص مما تقدم ومن ذلك قولهم اجعل الآلهة الها واحدا
قل هو نبأ عظيم: اي ما انبئت به من الانذار والدعوة الى التوحيد وقيل يوم القيمة وقيل
القرآن. انتم عنه معرضون: لتماديكم في الغفلة. ما كان لي من علم بالملأ الاعلى: دليل على كونه
رسولا. اذ يختصمون: متعلق بمقدر اي بكلامهم في ذلك الوقت. ان يوحى الي الا انما انا نذير
مبين: اي الا لاني انما انا نذير كقولك لرسل بخادم لمملكك الا لانك حليم رشيد او لم اوحى
الا بهذا الامر والمشتمل على الامور كلها صريحا او التزاما او لم اوحى الا بهذا الانذار دون
الهداية. اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين: بدل من اذ يختصمون فان قلت
اذ يختصمون ظرف لكلام الملائكة وهذا الكلام الله تعالى فكيف يصح ابداله منه قلت ذلك
زمان ممتد وقع فيه الفعلان فان قلت ما كان ذلك الاختصام قلت هو تقاولهم في شان
آدم عليه السلام واباء ابليس فان قلت الملأ هم الاشراف وذلك التقاول انما كان
من جميع الملائكة كما صرح به في البقرة بقوله واذ قال ربك للملائكة وقوله قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء قلت ذلك القول نسب الى الكل لكونه صادرا من البعض
كما يقال بنو فلان قتلوا زيدا ولا شك ان المتصدي بجواب الله تعالى انما هو الاشراف
فان قلت الملأ اسم الجمع فلم وصف بالمفرد قلت بالنظر الى اللفظ وما قيل من انه يجوز
ان يكون مقاولة الله والملائكة اياهم بواسطة الملك وان يكون الملأ الاعلى ملا
الله تعالى والملائكة فلا يخفى بعده من غير ضرورة يدعو الى ارتكابه هذا والوجه ان
يكون المراد باختصام الملأ الاعلى ما في الحديث وهو قوله رايت ربي في احسن
صورة فقال لي فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا اعلم فوضع كفه بين كتفي فوجدت
برده في صدري فعلمت ما بين السماء والارض ثم قال لي فيم يختصم الملأ الاعلى
قلت في الكفارات والحدود ثم اشار سبحانه تعالى الى قصة العبد وعرب
بقوله اذ قال ربك للملائكة ومما يؤيده قوله ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين
في صلاح البين. فاذا سويته: عدلت خلقته. ونفخت فيه من روحي: الاضافة
للتكريم. فقعوا له ساجدين: من غير تراخ لم يذكر جواب الملائكة لانه تكرر
مرارا ولان مصب الغرض هنا حديث ابليس اشارة الى انه بمخالفة امر من

من الاوامر جرى عليه ما يلي عليهم فكيف بهم وهم مغمورون في الكفر وانواع المعاصي وايا
الى انه امامهم في الدنيا لانه اول من سن العصيان وفي الاخرة قائدهم الى النار
فسجد الملائكة كلهم اجمعون التاكيد بكل واجمعون للمبالغة في الاحاطة والشمول
وقيل للدلالة على ان سجود الكل كان في زمان واحد وذلك لملاحظة المعنى الاصلي
في لفظ اجمع وان كان علما من اعلام التاكيد ولمناسبة المقام لان الاحاطة على
وجه الاجتماع في زمان اتم واكثر مدحا للملائكة واشد تقريعا لابليس على اللعنة: الا
ابليس استكبر: ترفع عن قدره لم يذكر اباه لان الاستكبار يستلزمه: وكان
من الكافرين: في علم الله تعالى في الازل او صار بين الملائكة كافرا: قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي: ذكر اليد تمثيل او تصوير والتثنية للدلالة
على كمال الاعتناء وبشانه وان لو كان خلقه مما يحتاج الى الجارحة واستعمال
الالة لكان من العظم بحيث لا يزاول الا باليدين: استكبرت ام كنت من
العالين: اي ترفعت من غير استحقاق ام كنت من العالين بعضا ما شيا بينهم
معدودا من جملتهم: قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين: هذه الشبهة
الفاسدة لم يلاحظ شان الامر وانه المالك المتصرف له ان يامر الاشرف
بخدمة الاخس وان الجنس ما جنسه والملائكة الذين هم الملا الاعلى لم يجنسوا
حال المادة ولا نظروا في التفاضل بين الاصلين بل بادروا بعد الامر الى ما امروا به
هذا وهم مخلوقون من النور وجواب ابليس اختيار للشق الثاني ودعوى انه
في نفسه من العالين معتقدا بكونه مخلوقا من النار وترتيبا ف وتعليقه الاخراف
قال فاخرج منها فانك رجيم: مرجوم مطرود من دار الكرامة ومحل الانس لان
العادة رجم المطرود بالحجارة او مرجوم بالشهب: وان عليك لعنتي: البعد
من جواري ذكرها بعد الرجم اشارة الى كمال خسرانه ببعده من الله تعالى: الى يوم
الدين: الى انقطاع التكليف وحرف الغاية ليس للانقطاع بل لانه يرى بعدها
من العذاب ما هو اطم: قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم: اجابه لسؤاله وانما عبر عنه بالوقت المعلوم اشارة
الى ان ذلك كان في علم الله تعالى قبل سؤاله بل في الازل وقيل لم يجبه الى ما سال
اذ قصد ابليس ان يوم البعث لا موت فيه فينجو منه: قال فبعزتك: بصفات
جلالك التي انا من مظاهرها ومحل حلولها: لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام وهو المختار: قال فالحق والحق اقول: بنصب الاسمين
على ان الاول مفعول مطلق اي احق الحق: لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
توكيد للضمير المجرور في منهم على معنى اني لا ابالي بمن تبعك من الناس كائنا من كان وترك
ذكر الاتباع من الشياطين اكتفاء اذ هم اولى بذلك من الناس لقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا

لي

من الجن والانس او تاكيد للضمير منك اي من جنسك والمجرور في من تبعك فيشمل الكل والاول
اوجه لان التقاول بينه تعالى وبين ابليس انما هو في شان عباده الذين نادى اباهم وبعض
وجهتم: قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين: بان اتقول على الله تعالى واقول شيئا ليس
عندي اوليس الغرض من قوله هذا الاملاء فائدة هذا الخبر الاستشهاد بمعرفتهم حاله على صدق
مقالة: ان هو الا ذكر للعالمين: اي القرآن موعظة للثقلين وهذا ابلغ من قوله ذي الذكر
في اول السورة فانتظم خاتمة مع الفاتحة: ولتعلمن نباه بعد حين: بعد الموت او قيام
الساعة او ظهور الاسلام وفيه تهديد ووعيد شديد. تمت السورة والحمد لله وحده سورة الزمر
مكية وهي اثنتان وسبعون اية مكية الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم الى اخره ثلاث ايات بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب:
مبتدا اخبر عنه بقوله: من الله العزيز الحكيم: او خبر مبتدا محذوف اي هذا والجار صلة
التنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف او حال عمل فيه معنى الاشارة وان المقدر كا
كالملفوظ والكتاب على الاول القرآن لاطلاق اللفظ وتخاتمه المعنى وعلى الثاني السورة
بقرينة الاشارة والاول اوجه لما ذكرنا ولقوله: انا انزلنا اليك الكتاب بالحق: ملتبسا
او بسبب الطهارة: فاعبد الله مخلصا له الدين: ممحضا له الدين عن شوب الشرك والرياء
الا لله الدين الخالص: اي تنبهوا ايها السامعون بان الدين الذي يجب ان يخلص له
هو الخبير لاتصافه بصفات الجلال والجمال والاطلاع على الاسرار: والذين اتخذوا من دونه
اولياء: والمسكن في اتخذوا للموصول وهم العابدون والخبر يقولون مقدرا قبل قوله
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او الخبر ان الله يحكم بينهم: والقول حال او الموصول
للمعبودين والساكن للمشركين وان لم يسبق ذكرهم لدلالة السياق والعائد
الى الموصول محذوف اي الذين اتخذهم المشركون اولياء. ويتعين ان الله يحكم
بينهم للخبرية والقول المقدر حال وقيل بدل من الصلة وليس بذلك اذ حذف
البدل مناف لمقصودية: فيما هم فيه يختلفون: اي العابدون والمعبودون
واختلافهم انهم يلعنونهم ويتبرؤن منهم وهم يرجون تقريبهم الى الله تعالى او المتقابلين
من المؤمنين والكفار واختلافهم ظاهر والحكم بينهم ادخال المحق الجنة والمبطل
النار: ان الله لا يهدي: لا يوفق: من هو كاذب كفار: اي لا يهديهم والا
والاتيان بالمظهر تعليل الحكم وايثار صيغة المبالغة في الوصف الثاني لانه
منشأ الاول: لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء: اي لو
اراد اتخاذ الولد لامتنعت تلك الارادة اي تعلقها لان الاتخاذ محال والارادة
صفة ترجح بعض الممكنات فحذف الجواب وجيء ببدله لاصطفى اشارة الى ان
الممكن في حقه هو هذا لان المخلوق لا يماثل الخالق فلا يتاتى التوالد حقيقة فلو
عنا مثلها في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ثم اشار الى دليل الامتناع

بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار لا غير فلو كان له ولد لكان شريكا له لكان جزءا منفصلا منه والواحد الحقيقي من كل جهة لا يعقل فيه ذلك ولانه يماثل الوالد في تمام الماهية فيتاز كل منهما بتعين ولا يستند ذلك التعين الى الماهية والا لا لانحصرت في فرد فيكون بسبب منفصل وهو عين الاحتياج تعالى عن ذلك القهار الذي لا يغالب وكل شيء تحت قهره فيبا في الزوال المحوج الى الولد الذي يقوم مقامه ثم بين ذلك بما لا مزيد عليه بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل التكوير اللف من كار العمامة وكورها لفها على راسها وكان الليل والنهار خلفة يعقب كل منهما الآخر شبه احاطة كل منهما بالآخر اي بمكانه بان يصيره اسود مظلما بعد ما كان ابيض مشرقا وبالعكس باللباس الملفوف على صاحبه او شبه تغيب كل منهما الآخر بستر الشيء الظاهر عن مطامح الانظار او لان كل منهم على الآخر كرورا متتابعا كتتابع اكوار العمامة شبه به وهذا اوجه لاشتماله على الزيادة وهي الاطراد الدال على كمال الاقتدار ولا يفتقر كون الاكوار في العمامة متظاهرة وفيهما متعاقبة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى منتهى دورة او منقطع حركته الا هو العزيز الغفار لما كان الدليل الذي ساقه يحسم مادة توهم الولد بل الشركة مشتملا على كمال الاقتدار مدمجا فيه معنى الرافة بما اشار اليه من التكوير الذي هو مدار الراحة والتكسب ذيله بالوصفين ترغيبا للمذنب في التوبة وترهيبا للمصر بالعقاب خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها قدم دلائل الآفاق لكونها اكثر واظهر وقدم دلائل الانفس لكونها اقرب وابدع باعتبار المقامات وفيها ثلث دلالات الاول خلق آدم من تراب ولم يصرح به لشهرته والثاني اخراج حوا من ضلعه الاقصر وثم لتراخي رتبته لان خلقها على النمط المذكور ابدع من تشعب الخلق الكثير من ادم جواب او عطف على مقدر اي خلقكم من نفس واحدة خلقها ثم خلق منها زوجها او على خلقكم اشارة الى اخراجهم في عالم الذر وخلقها في هذا العالم وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج هي التي عدت في الانعام من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضان اثنين ومن المعز اثنين والانزال اما انزال الماء الذي هو سبب تعيشها او لان قضاياه تعالى توصف بذلك لانها مسطورة في اللوح او لانه انزل هذه الاجناس من الجنة والتزوج هو لكل شيء معه آخر من جنسه فاذا انفرد فهو فرد ووتر يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلقها ذكر خص الانسان لانه المقصود ويعلم حال الباقي منه او على طريقة التغليب خلقا من بعد خلق بشرا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطفة في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والبطن والرحم ذلكم الموصوف الله ربكم الذي اوجدكم له الملك السلطان ودون غيره لا اله الا هو فانى تصرفون كيف يعدل بكم بعد هذا البيان الى الشرك تعجيب ان تكفروا

فان الله غني عنكم لان ذاته تعالى كافية في كل كمال تعالى عن ان ينتفع بخير او يتضرر بشر ولا يرضى لعباده الكفر لكل عبد فان الرضى ايثار الشيء مع الاستحسان فهو اخص من الارادة يقابل السخط والارادة الكراهة فهما غيران بالضرورة ثم في العدول من الخطاب اشارة الى ان كونهم عبيدا له يقتضي ان لا يرضى لهم بذلك وانهم اذا اتصفوا بالكفر خرجوا عن ربقة العبودية ثم اشار الى مزيد اختصاص بقوله وان تشكروا يرضه لكم قرا ابو عمرو في رواية السوسي وهشام عن ابن عامر والدوري عن ابي عمرو في احد الوجهين باسكان الهاء لما نقل القراء ان العرب تسكن هاء الضمير اذا تحرك ما قبلها وضم بلا صلة عاصم وحمزة وهشام في وجه ونافع بالضم والصلة ابن كثير والكسائي وابن ذكوان والدوري في الوجه الآخر وهو الاصل لوقوعها اي الضمير بين متحركين ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور بمضمراتها واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه لا الى غيره لزوال ما ينازع العقل ثم اذا خوله اعطاه مالا او ملكه من الخول وهو التعهد الذي لا يقصد به عوض اذا كان له ووقع لان صلته التعاهد والحفظ يقال فلان خايل مال اذا اصلحه وقام بامره ومنه حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة كراهة السآمة علينا او من الخول وهو الافتخار والتكبر ومنه الخيال لانه توقع فيه لا حقيقة له نعمة منه كائنة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اي الضر الذي كان يدعو الله تعالى لكشفه او الله الذي كان يتضرع اليه وما اريد بها الصفة كما في قوله وما خلق الذكر والانثى وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله تعليل للجعل وان لم يكن غرضا وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح اليا والضم ابلغ ذما اذ كل مضل ضال قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد لا ايراد منه وجود الفعل انك من اصحاب النار تعليل له على سبيل المبالغة اقناطا له عن نعيم الجنة امن هو قانت آناء الليل قائم بوظائف الطاعات في ساعات الليل لان القيام فيها اشق واستر وابعد من الريا واقرب الى الاجابة وام متصلة ومعادلها محذوف لتقدم ذكر الكافر وبقوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والاستفهام للتثبيت كانه بعد ما لخص الموجب لاخلاص الدين له قال سلهم هل من اثار الكفر كمن قام بشكر النعمة ويجوز ان تكون منقطعة كانه قال اعرض عن بيان الموجب لانه جلي وقل اهو خير ام ذاك وقرا نافع وابن كثير وحمزة امن مخففا على انها همزة استفهام دخلت على من الموصول والمعادل محذوف لما تقدم ساجدا وقائما حالان يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه حال آخر او استيناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اي هل يستوي القانت وغيره وانما اثرها في التنزيل دلالة على ان ذلك مقتضى العلم وان العلم اذا لم يقترن بالعمل ليس بعلم سواء جعل من اقامة المظهر مقام المضمر او استيناف سؤال تبكيت ويجوز ان يكون على طريقة التشبيه اي كما لا يستوي

بين العالم والجاهل فكذا بين القانت وغيره ولا ارتياب لهم في الثاني لانه مركوز في الطبائع
وقيل همزة امن حرف النداء كانه قيل يا من هو قانت آناء الليل قل لهم هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون على ان المنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم والوجه هو الاول لوفور
فوائده : انما يتذكر اولوا الالباب : العقول الخالصة من شوائب الوهم : قل يا عبادي
الذين آمنوا اتقوا ربكم : اذ قد علمتم ان الطائع ليس كالعاصي : للذين احسنوا في هذه الدنيا
اي اخلصوا الدين لله فيها : حسنة : واي حسنة : وارض الله واسعة : اعتراض لدفع ما عسى
يتعلل به المفرط : انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب : من تتمة الاعتراض كانه قال
عليهم بان في ارض الله سعة حال في جلدهم بل يكون الانسان فارغ البال في غير
بلده وحيثوا بان اجر الصابرين بغير حساب انما هو لارتكاب مشقة الهجرة ومفارقة المحاب
وعن السدي ان حسنة مبتدا وفي هذه الدنيا بيان وللذين احسنوا الخبر والمعنى ان لهم
في هذه الدنيا حسنة يسيرة هي الصحة والعافية وتمام توفية الاجر في الاخرة : قل اني امرت
ان اعبد الله مخلصا له الدين : جواب لقريش لما دعوه الى ملة عبد المطلب : وامرت
لان اكون اول المسلمين : وامرت بذلك الاخلاص لاكون مقدما في الدنيا والآخرة
حائزا قصب السبق ويجوز ان يكون اللام مزيدة يدل عليه قوله امرت ان اكون اول
من اسلم اول المؤمنين اول المسلمين وفائدتها تاكيد الطلب والارادة ولا تزاد
اللام مع ان جبرا لما فات من الاصل اذ الاصل في المفاعيل صريح الاسماء والمعنى
امرت ان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام ويلزم ان يكون اول مسلم في زمانه
ومن قومه واول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره : قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم : بترك الاخلاص : قل الله اعبد مخلصا له ديني : وليس
فيه تكرار لان الاول للاخبار بانه مامور بالاخلاص والثاني امر بالاخبار باختصاصه
لحاله به دون غيره : فاعبدوا ما شئتم من دونه : امر تهديد كما تقدم : قل ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة : اي ان الكاملين في الخسران الذين
اوردوا انفسهم واهليهم في النار او خسروا اهليهم بان فارقوهم مفارقة لا رجوع
بعدها ان كان من اهل الجنة او اهليهم في الجنة ان لو كانوا مؤمنين وفي الحديث
ما من عبد الا وله مقعد في الجنة ومقعد في النار : الا ذلك هو الخسران المبين
استيناف صدر بحرف التنبيه والمبتدا اسم الاشارة ووصف الخسران بالمبين
بعد توسيط الفصل وتعريف الخبر مبالغة في خسرانهم ثم زاد عليه بقوله لهم
من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل : اي يحيط بهم النار المتكاثفة
من جميع الجهات واطلاق الظلل على الاطباق السفلى من اطلاق اسم الضد
او المماثل لتشابههما في الحرارة وقيل لانها ظلل لاخرين ويرد عليه اهل الدرك
الاسفل مع التكاثف هناك اشد : ذلك يخوف الله به عباده : اي ذلك

العذاب

العذاب المذكور يخوف الله به عباده : يا عباد فاتقون : اي عبادي المؤمنين فاتقوا العذاب
المعد للكافرين : والذين اجتنبوا الطاغوت : اصله طغيوت او طغووت من الطغيان
قدم اللام على العين ففيه مبالغات من حيث البناء والتسمية بالمصدر والقلب
اذ لا يصار اليه الا للمبالغة يطلق على الشيطان حقيقة لانه راس في الضلال وعلى غيره
مجازا : ان يعبدوها : بدل اشتمال : وانابوا الى الله : اقبلوا اليه بشراشرهم لهم البشرى
من الله تعالى على السنة الرسل والملائكة عند الموت : فبشر عبادي الذين يستمعون القول
اي فبشرهم واثار المظهر لبيان تعدد موجب الاستحقاق : فيتبعون احسنه اي
احسن الجائزين اي الراجح كالعفو على القصاص والاعفاء على الانتصار والاخفاء
على الابداء فهو خير لكم وحاصله حرص على ايثار الافضل فالافضل نقادا وفيه تحقيق الانابة
وعن ابن عباس رضي الله عنه هو الرجل يسمع الحديث فيه الحسن وغيره فيحدث بالحسن
ويكف عما سواه : اولئك الذين هداهم الله : وفقهم لذلك الايثار ذكره اعتنانا
واولئك هم اولوا الالباب : العقول الخالصة عن شوائب الوهم ثناء عليهم بانهم
يدنسوا الفطرة : افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار : جملة
شرطية عطف على محذوف اي انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه
وكررت الهمزة لتاكيد الانكار لان الشرط والجزاء جملة واحدة والاستفهام انما توجه
الى مضمون الجملة ويجوز تنزيله على الجملتين تقديره افمن حق عليه كلمة العذاب
فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار على ان الثانية استيناف يدل على الجزاء المحذوف
وحاصل الوجهين انه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخول النار
انا لان ضلالهم موصل اليها وشبهت حاله عليه السلام في المبالغة معهم بحال من يريد
انقاذ من في النار : لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف : قصور عالية مقابل
لقولهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل : مبنية : محكمة لا كعلالي الدنيا يكون
اضعف من الاسفل : تجري من تحتها الانهار : لان الماء الجاري جالب للسرور : وعد الله
مصدر مؤكد : لا يخلف الله الميعاد : لانه كذب ويجل تعالى عن ذلك وعن علي رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها
من بطونها فقال له اعرابي لمن هي يا رسول الله فقال لمن اطعم الطعام واطاب الكلام
وصلى بالليل والناس نيام وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اهل الجنة يتراؤن اهل الغرف كما تتراؤن الكوكب الدري في الافق
الشرقي او في الغربي فقالوا يا رسول الله اولئك النبيون قال والذي نفسي بيده
واقوام آمنوا بالله ورسله : الم تر ان الله انزل من السماء ماء : المطر وسائر
المياه لما روي انه ينزل تحت الصخرة ثم يقسمه الله تعالى : فسلكه ينابيع في الارض
ادخله في اعماق الارض حال كونه عيونا تجري في المجاري كالعروق في الجسد : ثم يخرج

به زرعا مختلفا الوانه انواعه واصنافه من بر وشعير وسائر الحبوب او كيفياته
من السواد والبياض ثم يهيج يتم جفافه فتراه مصفرا من غاية اليبس ثم يجعله
حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى تذكرة بدل على ان للعالم صانعا مدبرا او على
ان هذا مثل الدنيا وسرعة زوال نعمها فيكون تنفيرا عنها بعد الترغيب في الاخرة
لاولي الالباب اذ غيرهم لا يتذكر به افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه اشارة الى ان علة عدم قبول المشركين ما يدعوهم اليه من الايمان وان ذلك
ليس لقصور في الدلائل ولا لبغي وفتور في المبلغ بل لما استأثر الله تعالى به من العذاب
وفي الحديث ان الله خلق الخلق في الظلمة ثم القى عليهم نوره فمن اصابه من ذلك النور
اهتدى ومن اخطاه غوى وشرح الصدر كناية عنه لانه محل القلب الذي به الادراك
والنبي اشار بقوله اذا دخل النور القلب انشرح له الصدر فقيل هل لذلك علامة قال نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتأهب لما بعد الموت وهذا مثل من
هو قانت في حذف الخبر والدال عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله في اسناد
شرح الصدر اليه تعالى والقسوة الى قلوبهم اشارة الى سبق رحمته اولئك في ضلال مبين
ظاهر بادي تأمل نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث
عن ابن مسعود رضي الله عنه ملوا ملة فقالوا حدثنا يا رسول الله فنزلت ثم ان
ايقاع اسم الله مبتدا وبناء نزل عليه دليل على احسنيته لصدوره ممن لا يتصور
الكمل منه فهو احسن حديث صدر من اكمل متكلم كتابا متشابها ابعاضه بدل
من احسن اي تشابه ابعاضه في الصحة والاحكام والبناء على الصدق والحق
وتناسب الالفاظ وتجاوب النظم وتاليفه في الاعجاز مثاني جمع مثنى
من التثنية او مثنى مفعل من التثني لانه ثني قصصه واحكامه ومواعظه تكرر
في اساليب مختلفة وفيه رمز الى نوع اعجاز وذلك ان كل حديث اعيد يسمج
في المسامع بخلاف القران فانه كلما اعيد حلا وازداد تحلا فكان الوصف به
مؤكدا لاحسنيته او جمع مثنية لاشتماله على الثناء على الله تعالى والرسل والملائكة
والمؤمنين وانما وصف الكتاب باعتبار تفاصيله لقيام المعنى بها لا بالجملة
ويجوز ان يكون مثاني بيانا لما تشابه به كقولك رايت رجلا حسن شمائل
فيتقيد التشابه والاول اعلا معنى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
تصوير للخوف بذكر آثاره وتشبيه حاله بالجوى على طريقة التمثيل او ذكر له بذكر
لازمه او هو تحقيق الواقع وانهم اذا سمعوا تلاوة القران تعتريهم خشية تلك
وان تقشعر انقباض الجلد ووقف الشعر ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
الى رحمته الواسعة وانما لم تذكر لاشتهاره في سبق الرحمة فلا تستبق من
ذكر الله تعالى الى الخاطر غيرها وقد دل عليها بين الجلود والقلوب ايضا وانما لم يذكر

القلوب

القلوب اولا لان اقشعرار الجلد منشؤه خشية القلب وقدم الجلود ثانيا اشارة
الى فرط رحمته وشدة سرايتها ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ذلك الكتاب
المنعوت نفس الهداية التي يوفق الله بها كقوله هدى للمتقين وفي ايثار من يشاء
على الضمير تفخيم لشأنهم كانهم ممتازون من سائر العباد لكونهم مصب المشية
ومن يضلل الله فما له من هاد اذ خلاف مراده تعالى محال افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب مثل اخر للمؤمن والكافر كقوله امن هو قانت وقوله افمن شرح
والمقابل محذوف لعلم به اي كالامن وذكر الوجه لان الكافر يلقى في النار مغلولا
مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه يوم القيمة متعلق بيتقي او هو
من تتمة سوء العذاب والمعنى افمن يتقي عذاب يوم القيمة كالمصر على الكفر
ويجوز ان يراد بالوجه الجملة والاصل العذاب السوء وصفا بالمصدر ثم قدم
الوصف واضيف مبالغة على مبالغة وقيل للظالمين يقال لهم واثار
المظهر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بالموجب والواو للحال ذوقوا ما كنتم
تكسبون اي وباله كذب الذين من قبلهم شرع يهددهم بعد ضرب الامثال و
شرح مباينة الاحوال وما للكفار من الويل والاهوال كانه يقول ان لم يكن لهم قلوب
يعقلون بها فلا اقل من ان يدركوا المحسوس فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
تاتاهم بغتة من جهة لا يخطرون بخيشهم منها وذلك افظع وان توطين النفس
على الشدة قبل اللقاء مما يهون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا بالقتل والسبي
والخسف وغيرها ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون اولئك او هؤلاء لاعتبروا
ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل مما يحتاج اليه تتميما لما تقدم من الامثال
وتمهيدا لما سيضرب لعلهم يتذكرون لان المثل يجعل المعقول كالمحسوس قرانا
عربيا حال مؤكدة لان ذكر الموصوف تمهيدا كانه قال عربيا محققا غير ذي عوج
لا عوج فيه بوجه قط لانه في سياق النفي وهو ابلغ من قولك لا عوج فيه لانه يحتمل
المبالغة كما في لا نبي الا علي ولذلك اوثر على مستقيما وغير معوج واختصاصه بالمعاني
لعلهم يتقون بعد ذلك التذكر ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سلما لرجل ارشده الى طريق المحاجة والتبكيت في اوانها وكانه قال اضرب لقومك
هذا المثل وقل لهم ما تقولون في عبد مشترك بين شركاء مختلفين فيه متغالبين فيه
يسعى في خدمته كل منهم على حسب اغراضهم ثم هو مع هذا التعب متحير في شأنه
لا يدري على من يعتمد وممن يطلب مؤنته دائما ضائع الحال مضطرب فهمه شائع
وقلبه اوزاع وآخر لواحد من غير شركة فيه فهو فارغ البال رضي الحال احواله منضبطة
ومقاصده بالنجاح منوطة فهذا مثل من يثبت الهة شتى يتغالبون فيه فلا يدري
على ايهم يعتمد ولا احد منهم يقوم بامره ومن لا يثبت الا الها واحدا يقوم بالكلفة

به والمولى راض عنه ملاحظ له بعين عنايته وقرأ ابن كثير وابو عمرو سالما بالالف بعد
السين اسم فاعل اي خالصا عن الشركة والباقون بفتح اللام من غير الف
مصدرا بمعنى الخلوص اما بتقدير مضاف او جعل عينه مبالغة كرجل عدل وعلى الرسم
هل يستويان مثلا نصب على التمييز اي هل يستوي المثلان شبهين كلا لا يستويان
وهم يعترفون بذلك فهم اذا محجوبون مبكتون مثلا الحمد لله اي كل الحمد لله
على ما انعم عليك بل اكثرهم لا يعلمون انك لم تحمد الله او لا يعلمون ان المحامد
مختصة به تعالى لا يشاركه فيها احد انك ميت وانهم ميتون آثر الميت على
المائت مع ان المعنى على الاستقبال لان من كان الموت طوق عنقه فحياته [illegible]
وان طال المدى ثم انكم يوم القيامة غلب المخاطب عند ربكم تختصمون بالبرهان
على انك اجتهدت وبلغت ويعتذرون بما لا طائل تحته مثل قولهم انا وجدنا
اباءنا وقولهم انا اطعنا سادتنا وكبراءنا وقيل الاختصام اعم من ان يكون بينه
وبينهم او بين المؤمنين والكفار او المؤمنين بعضهم مع بعض وهذا منقول عن اهل
الصحابة والتابعين وذلك لان ضرب المثل للقبيلين ولعموم الموت والتنبيه
في قوله بل اكثرهم واما قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق وقوله
والذي جاء بالصدق انما يدل على دخوله معهم دخولا اوليا والكذب على الله تعالى
نسبة الولد اليه والصدق ما جاء به محمد جعل نفس الصدق مبالغة اذ جاءه من
غير تامل بل عنادا ومكابرة اليس في جهنم مثوى للكافرين فهو كاف لهم مجازاة
والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وصدق به
ابو بكر وفيه تقدير الموصول غير جائز ويجوز ان يراد الجنس ويقيد قبله فوج او فريق
لقوله اولئك هم المتقون والاحسن ان يراد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاتباع
يدخل بدلالة السياق كقوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون لهم ما يشاءون
عند ربهم من انواع الكرامة ذلك جزاء المحسنين كل محسن ليكفر الله عنهم اسوأ
الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اضافة الاسوأ والاحسن
من اضافة الشيء الى ما هو بعض منه كاعلم قريش الاشج اعدل بني مروان من غير ترك
المضاف اليه في اصل المعنى مع قصد التفضيل على معنى ان الزلة المكفرة عندهم هي
الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو الاحسن عند الله حيث
جازاهم على الحسن مجازاته على الاحسن اليس الله بكاف عبده رد لمقالة المشركين
حيث زعموا ان محمدا سيصيبه آفة لذمه آلهتهم وهمزة الانكار دخلت على النفي ما
فافادت تقرير الاثبات اي كاف وقرأ حمزة والكسائي عباده اي الانبياء كلهم
او رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه والاغراء وقع بقوله ويخوفونك بالذين
من دونه وقوله انا كفيناك ومن كفاية الله فهذا هو الوجه وعليه الرسم

ودونه

ويروى انها نزلت حين ارسل خالدا لكسر العزى فقال له سادنها احذركها
يا خالد ومن يضلل الله بخذلانه فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا
راد لقضائه ولا شيء دون ارادته اليس الله بعزيز غالب ذي انتقام من اعدائه
فما لهم يخوفونك بعد علمهم بهذا ثم استدل على ذلك بقوله ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله لا يقدرون على غير هذا القول قل أفرأيتم ما
تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة
هل هن ممسكات رحمته اي اتقرون بانه المنفرد بالخلق فاخبروني عن حال
الهتكم ان اراد ذلك الموصوف المنفرد ايصال ضر او خير الي هل يقدر على منع
شيء من ذلك وانما انث الضمير بعد قوله بالذين من دونه تحقيرا وتبعيدا
عن رتبة الضر والنفع لما ان الانوثة تنبئ عن الرخاوة والعجز وتقديم الضر لان
دفعه اهم واهون وقرا ابو عمرو كاشفات ممسكات منونا ناصبا بعده لانه
اسم فاعل معتمد على صاحبه روي انه لما تلى عليهم سكتوا فنزل قل حسبي الله
اي كافي عليه يتوكل المتوكلون لتفرده بايجاد الضر والنفع قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم المكانة ترادف المكان شاعت في الاحوال واترتب استعارة محسوسة
لمعقول وقرا ابو بكر بالجمع للتوزيع اني عامل لم يقل على مكانتي ليقابل بمكانتهم
لعدم استمراره على حاله بل شانه في التزايد كل يوم وقد دل عليه قوله فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم دائم في الآخرة
فانه اشارة الى كونه منصورا مظهرا دين الاسلام على الدين كله انا انزلنا
عليك الكتاب لاجل نفعهم بالحق بالتوحيد والدين الثابت فمن اهتدى
فلنفسه اذ نفعه لا يتجاوزه ومن ضل فانما يضل عليها لذلك وما انت عليهم
بوكيل بمسلط يجبرهم كان عليك البلاغ وقد تمت به قيام الابد الله
يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها تقرير لما تقدم من تفرده
بالالوهية واشارة الى ان الضلال والهداية كالاحياء والاماتة لا يقدر عليهما
غيره والنفس ترادف الروح وهي الجسم النوراني في البدن باتصاله الحيوة
وبانفصاله الممات فان قلت التوفي اخذ الشيء كملا فكيف يستقيم في
النائم والميت قلت النائم والميت في عدم الحس والارادة سواء وتفاوت
التعلق لا يمنع ذلك الاطلاق وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان في ابن
آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فبالنفس التعقل والتميز و
بالروح التحرك فالمقبوض عند النوم النفس دون الروح لم يوافق عليه دلالة
في ذلك برهان والله اعلم بصحة النقل عنه فيمسك التي قضى عليها الموت
ويرسل الاخرى الى اجل مسمى الوقت المضروب لموته وقرا حمزة والكسائي

قضى على بناء المجهول: ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون: فى نوعى الاماتة
والارسال: ام اتخذوا من دون الله شفعاء: تشفع لهم: قل اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون: اى ويشفعون ولو كانوا جمادات لا قدرة ولا علم لهم
قل لله الشفاعة جميعا: لا يملكه احد منها شيئا الا باذنه كانوا يقولون ان
الاصنام تماثيل لاناس مقربين عند الله تعالى او الملائكة رد ذلك بان اولئك
ايضا لا يملكون شيئا من الشفاعة لاختصاصه به تعالى: له ملك السموات والارض
تقرير لذلك الاختصاص: ثم اليه ترجعون: يوم القيمة وله الملك فى ذلك اليوم
واذا ذكر الله وحده اشمأزت: انقبضت من التوحيد من شمز بعزته زائدة
ومن ابي زيد اشمأزت ذعرا: قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين
من دونه: مما يعبدونه: اذا هم يستبشرون: فاجاؤوا الاستبشار والامتلاء
سرورا لشدة غفلتهم واغراقهم فى الكفر حتى لم يوازنوا مبدع الكائنات بملك
الجمادات: قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة: بلغ علمهم
فى الكفر وشدة شكيمتهم الى ان لم يبق الا الالتجاء الى رب العباد بان يحكم
بينه وبينهم وفيه اشارة الى ان ما اتى به من بذل الجهد وبلوغه اقصى الغاية
بمكان عند الله تعالى حيث امره بهذه المقالة: انت تحكم بين عبادك: فى ايثاره
على قوله احكم بينى وبينهم مبالغة اخرى وكذا فى اجراء الاوصاف الدالة على كمال
الاقتدار واحاطة علمه بالجنابة ايماء الى الاستبصار والبطش الشديد: فيما كانوا فيه
يختلفون: من التوحيد والشرك او الحق والباطل: ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة: اجابة لدعائه بانه قد اعدهم
عذابا لو كان لاحدهم الدنيا ومثلها معه وافتدى نفسه بها لم يقبل منه: وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون: من العذاب الذى لم يخطر على قلب بشر كما لاهل الجنة ضد ذلك
وقيل من اعمال عملوها على انها حسنات فاذا هى سيئات قال ابن دريد يقال
رصت كذا اجرا عند الله تعالى: وبدا لهم سيئات ما كسبوا: من اعمالهم حين عرضت
الصحائف او جزاؤها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها: وحاق بهم ما كانوا به
يستهزئون: احاط بهم جزاؤه: فاذا مس الانسان ضر دعانا: تكشفه العطف
بالفاء دون ما تقدم اول السورة لسببيته ما قبله كانه قال اذا ذكر الله وحده اشمأزوا
واذا مسهم ضر دعوا الذى كانوا يشمئزون من ذكره ونسوا ما كانوا يستبشرون
بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم: ثم اذا خولناه نعمة منا: كانه
هنا تفضلا وتحقيق معنى التخويل تقدم فى اول السورة: قال انما اوتيته: اى فرار
الخلاص من النعمة وما فى انما موصولة والضمير لها: على علم: منى بوجوه كسبه او بانى سأعطاه
لما فى من الاستحقاق او العلم تعالى بذلك: بل هى فتنة: ابتلاء وامتحان ليتميز الشاكر

من الكا

من الكافر وتأنيث الضمير باعتبار اللفظ او الخبر كقولهم: ولكن اكثرهم لا يعلمون:
ذلك دليل على ان الانسان للجنس والاكثر بمعنى الكل كما تقليل بمعنى العدم
قد قالها الذين من قبلهم: اى هذه المقالة مثل مقالة هؤلاء وهم قارون والذين قالوا
نحن اكثر اموالا واولادا: فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون: من تلك الاموال
فاصابهم: بعد تلك المقالة عن قريب: سيئات ما كسبوا: جزاؤها
والذين ظلموا: من هؤلاء المشركين: سيصيبهم سيئات ما كسبوا: كما
اصاب اولئك: وما هم بمعجزين: الله: اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر: باعتبار الاوقات فدل ذلك على ان الباسطين
لذاته وانما هو مشيئته تعالى: ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون: بان المؤثر
فى الكائنات هو وحده ولما شدد فى الوعيد وهدد اردفه بما يدل على رحمته
الواسعة كل شىء السابقة غضبه بان امر رسوله بان يسكن خوف المؤمن
والكافر بقوله: قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم: افرطوا فى الظلم جاملين
عليها: لا تقنطوا من رحمة الله: روى البخارى ومسلم ان ناسا من اهل الشرك
كانوا قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا قالوا يا محمد ان ما تدعو اليه لحسن لو علمنا
ان لما عملناه كفارة فنزلت فسقط ما قيل ان اضافة العباد اليه تخصص
بالمؤمنين ثم توسيطه: ان الله يغفر الذنوب جميعا: مصدرا باسم الجلالة
الدال على الالوهية المستلزمة للغنى المطلق انه لا يبالى فى كل ما يفعل و
يحكم بين المعطوف والمعطوف عليه وتعقيبه بقوله انه هو الغفور الرحيم
الدال على انحصار الغفران والرحمة فيه مع كون الجمع المحلى باللام مفيدا
للاستغراق نص على الشرط التوبة كلام من حاد عن الحق بدلالة نظائر
كقوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وتقييد المشيئة بالتوبة كنسخ العنكبوت وقرأ
ابو عمرو والكسائى لا تقنطوا بكسر النون وقد تقدم انهما لغتان: وانيبوا
الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون: اى توبوا الى الله
واخلصوا له العمل قبل فوات وقته لان مغفرته لغير التائب ليست بلازمة والعاقل
يغرس ضمان الآفة: واتبعوا احسن ما انزل اليكم: القرآن لانه احسن الحديث
او الناسخ منه او المأمور به دون المنهى عنه او العزائم دون الرخص: من ربكم: من
سيدكم المربى لكم بالارشاد الى الكمال: من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا
تشعرون: بمجيئه: ان تقول نفس: كراهة ان تقول والتنكير لان القائل بعض
النفوس وهى الكافرة او النفس الممتازة بشدة الكفر او عظم العذاب والتكثير
حسرتا على ما فرطت فى جنب الله: فى طاعته مستعار من الجارحة لما يلزم الشىء

كقول سابق البربري: اما تتقين الله في جنب عاشقة له كبد حرّى عليك تقطع
وان كنت لمن الساخرين كانه قال فرطت وانا ساخر والواو للحال. او تقول
لو ان الله هداني لكنت من المتقين الشرك والمعاصي. او تقول حين ترى العذاب
لو ان لي كرة فاكون من المحسنين. ثم وجه هذا الترتيب ان النفس اذا رأت اهوال
يوم القيمة عند تطاير الصحف ومجازاة الناس باعمالهم تتحسر على التفريط ثم
تتعلل بان التقصير لم يكن منها ثم تتأمل فترى ان هذا لا يجدي نفعا لوقوع التقصير منها
فتأخذ في تمني الرجوع واذا تقرر هذا علم ان او هنا مثل او في او كصيب دلالة على
ان كل واحد يكفي صارفا عن الكفر وداعيا الى اتباع احسن ما انزل. بلى قد جاءتك
اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد للقرينة الثانية وهي
قوله لو ان الله هداني وانما فصل عنها لئلا ينفك نظم القرائن ولو اخرت الثانية
لاختل الترتيب الذي عليه الوجود كما تقدم انفا وتذكير الخطاب على ارادة الشخص
ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله كل كذاب على الله وجوههم مسودة جملة
موضحة للحال ان تعلق به الرؤية او حالية وقيل في محل النصب مفعول ثان لان
الرؤية رؤية القلب وفيه ان الغرض بيان فضاحتهم فلا يلايم رؤية القلب
اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اي لهم وابراز المظهر للاشعار بالعلية والاستفهام
للتقرير. وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم بفلاحهم اسم مصدر من فاز يفوز ظفر
او اسم مكان بمعنى النجاة لان النجاة من اعظم الفلاح او المراد العمل الصالح او
الايمان من اطلاق اسم المسبب على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بصيغة
الجمع لمطابقة المضاف اليه. لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون استيناف لبيان
الفوز على الوجه الاول حال على الثاني. الله خالق كل شيء عاد الى ادلة التوحيد
بعد توفيته مقام الوعد والوعيد حقه. وهو على كل شيء وكيل حافظ رقيب
له مقاليد السموات والارض كناية عن كونه مالكا لامورها بيده ازمتها
لان حافظ الخزائن هو الذي بيده مقاليدها جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ
كالمذاكير جمع ذكر وقد روى ابن ابي حاتم عن عثمان رضي الله عنه انه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال له يا عثمان ما سألني احد قبلك هي لا اله الا
الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول
والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ولعل المراد
ان من مجده بها فاضت عليه سجال نواله. والذين كفروا بايات الله اولئك
هم الخاسرون متصل بينجي الله الذين اتقوا والتقدير وينجي الله المتقين والذين كفروا
بايات الله اولئك المخصوصون بعدم النجاة او بما عليه كانه قيل له مقاليد السموات
والكافرون يجحدون ذلك اولئك هم الخاسرون وهذا احسن لقربه ولان نوبه

وينجي

وينجي الله متصل بقوله ويوم القيمة ترى الذين كذبوا فلا يحسن ان يتخلل بعده والذين كفروا
كذا وكذا والمراد بايات الله دلائل قدرته. قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون
اي اتزون بعد هذه الدلائل فغير الله تأمروني اعبد وانتصاب غير اما باعبد وتأمروني اعتراض
والمعنى افغير الله اعبد بامركم ولولا هذا التقرير لما صح لان ما في حيز المصدر لا يتقدم عليه او
بما دل عليه تأمروني اعبد اي اتعبدونني بمعنى تقولون لي اعبد غيره والاصل ان اعبد فحذف
ان كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وقرأ نافع تأمروني بنون واحدة مخففا
وابن عامر بنونين الاولى نون الاعراب والاخرى نون الوقاية والباقون
مشددا بادغام الاولى في الثانية. ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك من
الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك اللام الاولى موطئة والثانية لام جواب
القسم انت وسد مسد الجوابين وهذا الكلام على سبيل الفرض في الرسل لايقاظ المؤمنين
واغاظة الكفار والمعنى اوحي اليك والى كل واحد من الرسل هذا القول لئن اشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين لحبوط عملك مقيد بالموت عليه لقوله ومن يرتدد
وهو كافر في الدنيا بعد الكفر اتفاقا وان بقي عليه ايضا عند طائفة وللعقول بان
هذا من خصائصهم لا شدة مع فوات الغرض وهو تحذير الامة. بل الله فاعبد رد لما
كانوا يدعونه اليه من استلام اوثانهم اي فقصر عبادتك عليه وكن من الشاكرين على
هذا التوفيق. وما قدروا الله حق قدره ما عرفوا قدر شيء عظمته على حسبه فتعبير عن اللازم
بالملزوم ثم نبه على عظمته وكبريائه بقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه ولما دلت البراهين على انه تعالى منزه عن الجارحة والقبض
بها فاما ان يؤول المفردات بمعان مجازية تناسب المقام او يؤخذ زبدة الكلام من
غير التفات الى المعاني الحقيقية والمجازية بان يراد كمال اقتداره وتحقير الافعال العظام
التي تتحير فيها الافهام والاوهام بالنسبة الى قدرته على طريقة التمثيل والتخييل فان قلت
اللفظ المستعمل في المعنى لا يخلو من كونه حقيقة او مجازا فما وجه ما ذكرته قلت المراد عدم
الالتفات الى معاني المفردات بالنظر الى الموصوف المجري عليه وهو الله تعالى شانه لافادة
زبدة الكلام ولا يقدح ذلك في استعمال المفردات في احد المعنيين من حيث هي والارض
اي الارضون السبع لقوله تعالى والسموات ولاقتضاء المقام ذلك ولذلك اكده قبل
المجيء بقوله جميعا ومنه يظهر ضعف ارادة الابعاض البادية والغائرة. قبضته
والقبضة مرة من القبض اطلق على المقبوض تسمية بالمصدر كما روي انه عليه السلام
نهى عن خطفة السبع وكقولهم الجزور اكلة لقمان وايثار لفظ اليمين في السموات لدلالة
على زيادة الاقتدار الملائم لعظمهن روى البخاري باسناده الى ابن مسعود رضي الله عنه
ان حبرا من احبار اليهود قال يا محمد ان الله تعالى يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع
والشجر على اصبع والماء على اصبع والثرى على اصبع والخلائق على اصبع فيقول انا الملك

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قرأ الآية ÷ سبحانه وتعالى عما يشركون ÷ به من كان
ما ابعد ما ازاموا شم بعد ما لم يبق ريبة في ادلة التوحيد بضرب الامثال في طرق شتى
متى وضح الصبح لذي العينين شرع في المقصود وهو بيان كيفية وقوع الساعة وما فيها
من الاهوال بقوله ÷ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
هذه هي النفخة الاولى التي يموت فيها كل حي ثم يموت ميكائيل واسرافيل ثم جبرئيل وملك
الموت واتيهما تقدم خلاف وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام لما تقدم في سورة
النمل ثم نفخ فيه اخرى ÷ وهي نفخة البعث فاول من يحيى بعد الصعق اسرافيل صاحب
الصور والعطف بثم لما روي ان بين النفختين اربعين يوما ÷ فاذا هم قيام ينظرون ÷
ينتظرون ما يفعل بهم او يقلبون ابصارهم حيرة كالمبهوت ÷ واشرقت الارض بنور
ربها ÷ عبر عن الحق والكتاب والدليل بالنور الذي هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره وفيه
استعير هنا للعدل الذي يقيمه في ذلك اليوم وقد دل على ذلك اضافته الى اسمه ثم اضافة
اسمه الى الارض فبشر العدل وبسطه رونقها وكما افتتح الآية ختمها بنفي الظلم ولقوله
عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيمة ولان ما عطف عليه من وضع الكتاب وما
بعده تفاصيل العدل وعلاماته وقيل هو عرض يخلقه في الارض من غير شمس ولا قمر
وقيل هو نور التجلي الجلالي او الجمالي باعتبار الاوقات ÷ ووضع الكتاب ÷ ديوان
القضاء وهو اللوح المحفوظ فيه كل حركة وسكون او كتاب الحفظة واكتفى باسم الجنس
وجيء بالنبيين والشهداء ÷ المؤمنين من امتهم يشهدون لهم بالتبليغ او الكتبة او
استشهد في سبيل الله فانهم كانوا حول العرش طائفين متقلدي السيوف
فيحضرون ذلك اليوم وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ÷ وقضى بينهم بالحق
بين العباد ÷ وهم لا يظلمون ÷ بنقص حق او زيادة عقاب ÷ ووفيت كل نفس ما
عملت ÷ جزاؤه تقرير لما تقدم لان القضاء بالحق لا يكون الا كذلك ÷ وهو اعلم بما
يفعلون ÷ من الاعمال وحقائقها من الاخلاص والرياء ÷ وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا ÷ سائقهم الملائكة بعد القضاء الى جهنم سوق الدواب بالعنف عطاشا
عميا والزمر جمع زمرة الجمع القليل شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة
ولعله بالنظر الى الجمع والمراد طوائف الكفار مع ما عبدوه يتبعونه الى النار ÷ حتى
اذا جاؤها فتحت ابوابها ÷ حين وصولهم بلا لبث ÷ وقال لهم خزنتها ÷ على وجه التبجح
الم يأتكم رسل منكم ÷ من جنسكم استفهام تقرير ÷ يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء
يومكم هذا ÷ اي لقاء ما فيه من الجزاء وفيه دليل على ان لا تكليف قبل البعثة ÷ قالوا
بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ÷ اي علينا وذكر المظهر للاشعار بالعلية
والكلمة قوله لاملأن جهنم اعترفوا بان لم يكن من الرسل تقصير وان في الآيات من خفاء
وانما التعارف القضاء الازلي الذي لا يتبدل ÷ قيل ادخلوا ابواب جهنم طبقا

تقدر مراتبهم في الكفر وابهم القائل تهويلا اذ من حقهم ان يقول لهم هذا القول كل قائل
خالدين فيها ÷ مقدرين الخلود ÷ فبئس مثوى المتكبرين ÷ جهنم واللام للجنس لان
كل من سبق الحق وانكره فهو متكبر وفي الحديث التكبر هو الترفع على الناس
وغمط الحق ÷ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ÷ طوائف النبيين والشهداء
والعلماء والزهاد وسوق هؤلاء سوق مراكبهم ليصلوا الى الحور والقصور سريعا
كما كانوا يسارعون الى الخيرات ÷ حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ÷ وجدوها
مفتحة لهم الابواب قبل مجيئهم اكراما واجلالا كما ترى الملوك في الدنيا كذلك
وقال لهم خزنتها سلام عليكم ÷ آمنين من كل مكروه ÷ طبتم فادخلوها خالدين ÷ اي طهرتم
عن الذنوب فادخلوا الجنة طبقاتها على مراتبكم وترتيب الدخول على الطيب والطهارة
اشارة الى انه لا يدخل الجنة الا من طهر من دنس الآثام اما ابتداء او بالتوبة او بالشفاعة
او بعد تمحيص الذنوب ويجوز ان يكون دعاء من الملائكة كما تقول لمن يكون في سرور
طاب عيشك ÷ وقالوا الحمد لله ÷ تلذذا لا تعبدا ÷ الذي صدقنا وعده ÷ بقوله ان
المتقين في جنات ÷ واورثنا الارض ÷ ارض الجنة يراها المساكنة ÷ نتبوأ منها حيث
نشاء ÷ لغاية اتساعها ÷ فنعم اجر العاملين ÷ الجنة من كلام الله تعالى او من كلامهم
بعد الدخول ÷ وترى الملائكة حافين من حول العرش ÷ محدقين به دائرين حوله
اجلالا من مزيده ÷ يسبحون بحمد ربهم ÷ ملتبسين به حال اخرى او مقيدة للاولى
والمعنى ذاكرين في طوافهم صفات جلاله وجماله ÷ وقضي بينهم بالحق ÷ اي بين العباد
كلهم ÷ وقيل الحمد لله رب العالمين ÷ اعاده لان الحمد الاول على التفريق بينهم
في الوعد والوعيد والسخط والرضا وهذا على التفريق في الابدان فريق في الجنة
وفريق في السعير وقيل القضاء اثنا بين الملائكة والحمد منهم على تخصيص كل منه
بمنزلته ومقامه اللائق به والقائل هو المقضي بينهم او الكون كله ولذلك ابهم
تمت سورة الزمر والصلوة على خير البشر واصحابه اشرف الزمر من اهل المدر
والوبر سورة المؤمن مكية وهي اثنتان وثمانون آيات بسم الله الرحمن الرحيم
حم ÷ امال الحا حمزة والكسائي وابو بكر وابن ذكوان لان الفها تنقلب ياء في التثنية
اسم للسورة اتسع صرفه للعلمية والتأنيث او التركيب والعلمية او لكونه على وزن
العجمي كقابيل وهابيل او حروف مقطعة وامال امالة صغرى ورش وابو عمرو ÷
تنزيل الكتاب ÷ خبر حم او مبتدأ خبره ÷ من الله العزيز العليم ÷ اثار الوصفين
للدلالة على ان من يجادل آياته جاهل مقهور ÷ غافر الذنب وقابل التوب ÷
الاتيان بالواو للدلالة على ان التائب فائز بالطلبتين غفران الذنوب
وقبول التوبة الذي هو من عظم المقاصد ولا يمنع ذلك غفران غير التائب
والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعه والاضافة حقيقية لان اراد الاستمرار ÷ شديد

العقاب اضافة لفظية تعمد تنكيره ولدلالته على زيادة الانذار كقوله عند مليك مقتدر
لكمال الاقتدار اي لا يوصف ملكه ولا يكتنه اقتداره فهو بدل على ما نقل عن الزجاج
وحده او الكل ابدال او وصف بنية اللام كما قال الخليل في قولك ما يحسن بالرجل خير
منك ان يفعل كذا انه على نية اللام ذي الطول الفضل او الغنى من الطول بالضم الطول
الامتداد وفي توحيد صفة العذاب وتكثير صفات الجمال دلالة على غلبة رحمته وانها
مقرونة بها لا اله الا هو الا ذلك الموصوف اليه المصير للجزاء لا الى غيره فلا يعبد غيره
ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا بعد ما بين ان القرآن تنزيل من الاله الموصوف
بالجلال والجمال اشار الى ان المجادل فيه كافر واراد الجدال بالباطل لقوله تعالى وجادلوا
بالباطل ولقوله عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر اراد نوعا منه وهو المراء واما الجدال فيه
لايضاح مشكله وازاحة الشبهة وتكثير الفوائد واستخراج الفوائد فهو شان رسول الله
والراسخين في العلم فلا يغررك تقلبهم في البلاد في رحلتي الشتاء والصيف الى الشام
واليمن بالتجارات النافعة والمكاسب المربحة والفاء لسببية ما قبله اي اذا تبين
انهم كفار عند الله تعالى فلا ينبغي لاحد ان يلتفت الى ما هم فيه من الحطام او لكونه تنبيها للرسول
كقوله فلا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم كذبت قبلهم قوم نوح رسولهم
كما كذبوا انت والاحزاب من بعدهم الذين تحزبوا على الرسل كعاد وثمود وفرعون
وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه قتلا او اسرا يقال للاسير اخيذ وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق ليزيلوه من مغفرة وفي لفظ الحق اشارة الى عدم امكان ادحاضه
فاخذتهم اي لم يتم لهم ما راموه وتسبب ذلك لاخذي اياهم جزاء كلا لا عقوبة
فكيف كان عقاب تعجيبا منه انها التي تمرون فالكم قد شاهدتم آثارهم وفيه
وعيد للرسول بانهم ماخوذون عما قليل وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا
فقضاؤه انهم اصحاب النار بدل من كلمة والمعنى كما ثبت للكفار العذاب المستاصل
في الدنيا كذلك ثابت لهم عذاب النار والموصول معهود وهم كفار قريش واللام
محذوفة من ان واذا اشارة الى الامم المتحزبة اي كما حق اهلاك اولئك فكذلك
اهلاك هؤلاء لانهم معاندون مجادلون هامون باخذك فالعلة متحدة وانما لم يعلل
تلك الصفات لان كونهم اصحاب النار آخرها ونتيجتها الذين يحملون العرش
ومن حوله وجه اتصاله بما تقدم هو ان الجامع بين من يجادل من هؤلاء وبين ارباب
الكفر وبين هؤلاء الملائكة المقربين وبين المؤمنين هو الايمان يسبحون بحمد ربهم
يقدسون عما لا يليق بكبريائه مثنين عليه بكل كمال وانما جعل التسبيح اصلا والحمد حالا
لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح لانهم مظهر الجمال ويؤمنون به حامل العرش المقدس
والحامد لا يكون الا مؤمنا وانما ذكره لاظهار شرف الايمان والدلالة على ان ايمانهم وايمان
غيرهم سيان في كونها بالدليل والبرهان دون المشاهدة والعيان والمانع خارج عن

الطرق

الطرق السوآء ويستغفرون للذين آمنوا ربنا قائلين ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلما توسلوا الى الله برحمته الواسعة وعلمه الشامل وجعلوهما تمهيدا لما طلبوه بقولهم
فاغفر للذين تابوا اي رحمتك واسعة وعلمك محيط بما اخفوا وما اعلنوا وهم يتضمن
ذلك وفيه اشارة الى طهارتهم من كدر الرياء والهوى فان قلت اي فرق بين
هذا وبين قوله ويستغفرون لمن في الارض قلت يحتمل ان يكون هذا مفسرا لذلك
وان يكون من عاما في المؤمن والكافر وترك المعاجلة بالعقاب وادرار الرزق
والانفاق بما خلق من المنافع وان كان المؤمنون هم الاصل في ذلك فان قلت
بل يحمل التوبة على التوبة من الشرك وجه قلت لا لتقدم ذكر المؤمن ولان التوبة
عند الاطلاق تنصرف الى التوبة عن الذنوب فان قلت التائب المنيب سبيل
الحق اي حاجة له الى استغفار الملائكة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له
قلت ليس فائدة الاستغفار منحصرة في طلب الغفران بل لاظهار شرف الايمان
وان المؤمنين بمكان عند الله تعالى حتى ان حملة العرش والمقربين من الكروبيين
يشتغلون بالدعاء لهم الا ترى انا مأمورون بالصلوة على رسوله الذي يصلي الله
عليه وملائكته وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واتبعوا سبيلك الطريق
الموصل الى رحمتك التوبة اشارة الى التخلية وهذا الى التحلية وقهم عذاب
الجحيم تصريح بما علم ضمنا فان المغفور له لا عذاب عليه والتقييد بالجحيم لشدة
هوله ربنا اعاده للتلذذ بذكره وتذللا للعزة وتوسلا الى ما طلبوه وادخلهم
مع هؤلاء ليتم سرورهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم مع هؤلاء ليتم سرورهم كقوله تعالى
الحقنا بهم ذرياتهم او على الثاني لعموم الوعد انك انت العزيز الذي لا يمتنع
عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا الحكمة ومنه الوفاء بالوعد وقهم السيئات
العقابات او على تقدير المضاف اي جزاء السيئات تعميم بعد التخصيص لان عذاب
الجحيم منها وقد علم ان الغرض اظهار شرف المؤمنين فلا يصح ان الكبائر مكفرة بالتوبة
والصغائر باجتناب الكبائر او التعميم لمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمته اي من وقيته في الدنيا فقد رحمته في الآخرة و
ذلك هو الفوز العظيم لانه ملك الابد بعمل يسير ان الذين كفروا ينادون يوم
القيمة لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان المقت اشد البغض
واذ تدعون ظرف لمقت الاول ولا يمنعه فصل الخبر للاتساع في الظروف والمعنى
ان مقت الله لكم في الدنيا حين دعاكم الرسل الى الايمان فتكفرون فكفرتم بالله
وكذبتم الرسل اشد من مقتكم انفسكم الآن وايثار المضارع للدلالة على استمرار
الرسل على الدعوة واستمرارهم على الكفر او مقت الله يوم القيمة اكبر من مقتكم فيه

وادعون نفعيل للثاني لانه لم يكن حين الدعاء قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين الاماتة الاولى السابقة على افاضة الحيوة في النطفة والثانية عند انقضاء
الآجال والاحياءة الاولى هي المتعقبة لتلك الاماتة والاخرى الابدية التي بعد البعث
وطوى ذكر الاماتة والاحياءة في القبر لان شكر الحيوة الابدية بعد البعث منكر لها
هكذا عن ابن عباس رضي الله عنه وابن مسعود واليه اشار بقوله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم والتحقيق ان الاماتة لا تستدعي سبق الحيوة حقيقة لا عرفا
المصنوع عن احد المجازين كنقله عنه كما يقولون للرهم اوسع الدائرة هذا ومن
قال ان الاماتتين هي الاولى المعروفة والتي في القبر لزمه ثلث احياءات
فان اجاب بان احياء القبر واحياء البعث نوع واحد وهم ينكرون بقسميه
فلذلك اقتصر على احدهما ورد عليه ان الاماتة في القبر على قائله دليل على ان
التعدد وتخصيص الاسم الا ان يقال المراد بالاحياءتين احياء القبر واحياء البعث
لانهما المنكران وتفرع عليه قولهم فاعترفنا بذنوبنا وهي التكذيب للاماتة
والاحياء فهل الى خروج من سبيل من طريق فنسلكه سريع او بطي
كلام القانط يقوله تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم اي ما انتم فيه
بانه اذا دعي الله وحده كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا
بالاشراك مستمرين على ذلك الايمان لا ارعواء ولا تدبر فالحكم لله
بعدما اعترفتم العلي الكبير ذي العظمة والكبرياء فلا يكون عذابه لمن كفر به
الا ابدا سرمدا لوقوع افعاله على اتم الوجوه وهو اللائق بجبروته هو الذي
يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا المطر الذي هو سبب الاكل والمشرب
وما يتذكر وما يلتفت الى هذا الامر الجلي الا من ينيب يرجع عن الانكار
والتقليد ويتدبر فادعوا الله مخلصين له الدين خطاب للمنيبين مسبب
عن الانابة التفت اليهم تقريبا لهم وتنشيطا للاقبال على العبادة او مسبب
عن قوله هو الذي يريكم يعم المؤمن والكافر وما يتذكر الا من ينيب اعتراض
يفيد ان الانتفاع بتلك الايات انما هو للمنيب ولو كره الكافرون
ولو غاظ ذلك اعداءكم فكان قد حصل ذلك ووقع القضاء بينهم رفيع
الدرجات ذو العرش خبران آخران لهو او لمبتدأ محذوف والدرجات
مصاعد الملائكة كقوله ذي المعارج ورفعها دليل على عزته وملكوته كما ان ذي
العرش كناية عن ملكه وسلطانه او درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه وهذا
انسب بقوله فادعوا الله مخلصين له الدين كما ان قوله يلقي الروح من
امره على من يشاء من عباده انسب بالاول والروح هو الوحي الذي به
الحيوة الابدية ولذلك اوثر عليه ومن بيان للوحي فالامر هو بحث على الخبر

لقا

كما وامتنا لا لان تلك الحيوة انما يكون بعد التخلي والتحلي لينذر يوم التلاق اي
الله تعالى او الروح او الملقى اليه وهو الرسول وهذا اقرب لفظا وهذه معنى ويوم
التلاق يوم القيمة لتلاقي الخلائق والعابد والمعبود باطلا كان او حقا يوم هم
بارزون بدل من الاول اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء
حفاة عراة او اعمالهم وسرائرهم لقوله يوم تبلى السرائر لا يخفى على الله منهم شيء
من ذواتهم وصفاتهم واعمالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قد سبق في حديث
موت الخلق طرا ان الله يقول ثلث مرات لمن الملك اليوم ثم يجيب نفسه تعالى
بقوله لله الواحد القهار وقيل ينادي مناد في اهل المحشر لمن الملك فيجيبه بعضهم
لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان خيرا فخير وان
شرا فشر ولا ظلم بنقص ثواب او زيادة عقاب ان الله سريع الحساب لا يشغله
شان عن شان بهذه نتايج تفرده بالملك في ذلك اليوم والتقييد بذلك اليوم
لانقطاع العلائق المجازية فيه وانذرهم يوم الآزفة يوم القيمة سميت بها لازوفها
اي قربها او الخطة الآزفة وهي حال مشارفتهم دخول النار كقوله فلما رأوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا اذ القلوب لدى الحناجر مرتفعة الى حلوقهم زائلة عن اماكنها
من شدة الخوف كاظمين على الغم من كظم القربة اذا ملأها وشد فاها والمعنى ممسكين
انفاسهم حابسين اياها على القلوب لئلا يخرج معها او حال من القلوب اي كاظمة
على الغم والجمع بالواو والنون لاسناد فعل العقلاء اليها ما للظالمين اللام فيه للجنس
اشارة الى الكمل في الظلم وهم الكفار من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع
اذا توجه النفي الى المقيد اما ينفي القيد وحده كما اذا كان عندك كتاب لا تريد
بيعه فتقول ليس عندي كتاب ابيعه وتارة يتوجه الى اصل الكلام فينتفي القيد مع
المقيد كما في الاية اذ لا شفيع لهم راسا لقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وفائدة ذكر
القيد ثم سلبه مع المقيد الاستدلال بانتفاء الموصوف على انتفاء الصفة
كانه قيل كيف يتصور الاطاعة ولا شفيع لهم يعلم خائنة الاعين الخائنة
صفة النظرة وهي النظرة الثانية قصدا الى غير المحارم او مصدر كالعافية
وجعل صفة العين للمبالغة وما تخفي الصدور اي مضمراتها والله يقضي بالحق
لانه الغني العليم الحكيم ولذلك اعاد الاسم الجامع والذين يدعون من دونه
لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا حراك به فضلا عن الحكم والقضاء
وقرأ نافع وهشام بالخطاب على الالتفات تقريعا وهو حسن ان الله
هو السميع البصير تقرير لعلمه خائنة الاعين ومضمرات الصدور ووعيد
لهم بان ما يفعلونه ويقولون بمرأى منه ومسمع وفيه اشارة الى ان شرط القاضي
ان يكون سميعا بصيرا اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة

الذين كانوا من قبلهم اي قد ساروا ونظروا فما بالهم لا يعتبرون حتى لو لم يكن عذاب
الآخرة لكان الواجب ان يحذروا عذاب الدنيا كانوا هم اشد منهم قوة ابدانا
وعددا وايقاع ضمير الفصل بين كان وافعل من لمضارعته المعرفة في امتناع دخول
اللام وقرا ابن عامر منكم تغليبا وعليه رسم مصحف الشام وآثارا في الارض كالقلاع
والحصون والمدن الحصينة او اكثر آثارا كقولك تقلدت سيفا ورمحا فاخذهم الله
بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يقي عذاب الله ذلك الاخذ بانهم كانت
تاتيهم رسلهم بالبينات المعجزات الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد
العقاب وقد دل عليه تلك الآثار ولقد ارسلنا موسى بآياتنا معجزاتنا لما ذكر انه
اهلك اشد منهم قوة اردفه باشدهم وهو فرعون وهامان وقارون فرعون بالعتو
وهامان بالوزارة وقارون بالمال وسلطان مبين وحجة واضحة والعطف باعتبار
الصفات او اريد اشهرها كاليد البيضاء والعصا الى فرعون وهامان وقارون فقالوا
ساحر كذاب جعلوا افعاله سحرا واقواله كذبا فلما جاءهم بالحق من عندنا بالرسالة
قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم عن ابن عباس رضي الله عنه اعيدوا
القتل فانه كان امر اولا بالقتل خوفا من المولود الذي اخبره الكهان فلما مضت تلك
السنة ومنع القتل فلما جاء موسى عليه السلام واظهر المعجزات اعاد القتل غيظا له وتخويفا
لبني اسرائيل عن مظاهرته وما كيد الكافرين الا في ضلال اي كيدهم واثبات المظهر
ليوسموا بالكفر ويقاس عليه كيد كل كفار وثبات ربه الى ان كيده قرين كذلك وقال
فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه كان سخافة الرجاء اي اهون شي فكيف
بمن جاء قبل عرشه ويهدم ملكه ولكنه تيقن من اياته انه رسول العزيز المقتدر وخاف
انه لو هم بقتله ان يعاجل بالوبال وتعلل بهذا الكلام ومن انه لا يبالي بموسى وربه اني
اخاف ان يبدل دينكم الذي شرعته لكم كان قد امرهم باتخاذ الاصنام وارتيادها
ليتقربوا بذلك اليه فانه الرب الاعلى او ان يظهر في الارض الفساد من التهارج
والتحارب وابطال اسباب المعاش وقرا الكوفيون او على معنى الخوف من احد الامرين
والباقون بالواو لقصد الجمع بين الامرين وهو اوفق بالمقام اذ قصده التنفير عنه
وقرا نافع وابو عمرو وحفص بضم ياء يظهر وكسر الهاء ونصب الفساد والباقون
بفتحهما والاول ابلغ واوفق بما تقدم وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب لما خاطب فرعون قومه مستشيرا بهم تحكيما الراي في شانه
خاطب موسى قومه ايضا واضاف الرب اليهم حثا لهم على الاقتداء وثبات راي
ان الا عياذ في هذه القضية مالح الالتجاء الى الله تعالى وآثر لفظ الرب دلالة على ان المربي
يراعي احوال تربايه والمتكبر بمعنى المستكبر ذكره على طريقة التعريض لئلا يلتبس حاله
وعدم ايمانه بيوم الحساب هو الذي بعثه على هذه الجرأة وكان لعنه الله تعالى دهريا

وقال

وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه يكتم ايمانه من فرعون وقيل من آل
متعلق بيكتم وهو اسرائيلي والاول هو الصواب لقوله يا قوم مكررا ولقوله رجل مؤمن
نكرة ومؤمني بني اسرائيل وقد دل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه واختلف
في اسمه قيل سمعان بالمهملة او المعجمة وقيل حبيب وقيل غيرهما والله تعالى اعلم اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله اتقصدون قتل من هو بهذه الصفة التي هي داعية العقد
وانجز المناقب وثب الى اثبات مدعاه بقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم حججا
نكرة قواطع فلا وجه لانكاركم على من ثبت انه رسول ربكم ثم تنزل معهم وقال وان
يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي لا تتعرضوا له فانه ان كان
آثم كذبه لا يتعداه وزره ولا يصيبكم من اثمه وعاره شي ويحتمل ان يكون مصحقا اقل
ما يصيبكم بعض ما يعدكم وهذا يقتضي ان يكون المقدم على قتله مقدما على فعل سيراح
فيه متثبت الا العناد ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب رجح جانب صدقه
بانه لو كان مسرفا كذابا لما عضده الله بالبينات ويحتمل ان يريد بانه كان مسرفا
كذابا كما تزعمون فيضمحل امره عن قريب لان الباطل كنار العرفج وفيه تعريض
بفرعون بانه مسرف كذاب وسوف يتلاشى شانه يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين في الارض اي ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا ادخل نفسه
معهم الكلام للنصح قال فرعون ما اريكم الا ما ارى ما اشير اليكم الا ما ارى من استصواب
قتله وما اهديكم الا سبيل الرشاد وما ادلكم عليه من قتله هو الصواب كان يعلم انه
كاذب في قوله وان ما دل عليه انما هو عين الهلاك وانما كان يقول ما يقول خيفة
ومكابرة وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب افرد اليوم
اختصارا لدلالة المضاف وعدم اللبس لقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولانه بينه
بقوله مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والمعنى جزاء ما كانوا دائبين عليه دائبين
من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد
ظلما للعباد واذا لم يرده فعن ارتكابه ابعد ولذلك كان ابلغ من وما ربك بظلام
للعبيد او لا يريد الظلم للعباد اي لا يترك الظالم حتى ينتقم منه والى كلا المعنيين
اشار في الحديث القدسي يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وحرمته فيما بينكم ويا قوم
اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي بعضهم بعضا استغاثة او ينادي
اهل الجنة واهل النار واصحاب الاعراف كما تقدم او التنادي بالويل والثبور او ينادي
مالك النار ليقض علينا ربك يوم تولون من الموقف بدل الاول مدبرين اي
منصرفين الى النار وعن مجاهد فارين من النار ما لكم من الله من عاصم زيادة تهديد
ومن يضلل فماله من هاد يهديه الى رحمه لما تبين شكيمتهم بعد ذلك الارشاد والتناصح البليغ
عرض بانهم الذين ختم الله على قلوبهم ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب

على ان فرعون يوسف قد عاش الى زمن موسى عليه السلام وقيل هو يوسف بن
ابراهيم بن يوسف الصديق عاش فيهم قبل موسى عليه السلام عشرين سنة : من قبل
بالبينات : بالمعجزات : فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث
الله من بعده رسولا : ليس هذا اقرارا برسالته بل الغرض تكذيب من يدعي الرسالة
بعده مضموما الى تكذيب رسالته : كذلك يضل الله : مثل هذا الاضلال : من هو مسرف
في العصيان : مرتاب : في المعجزات : الذين يجادلون في ايات الله : بدل من من
لانه في معنى كل مسرف : بغير سلطان اتاهم : بل بمجرد تقليد واتباع هوى : كبر مقتا
عند الله : وحد الضمير باعتبار من لان الذين بدل منه كاعتبار التذكير والتانيث
في قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا او الذين يجادلون مبتدا بتقدير
مضاف اي جدال الذين وضمير كبر عائد اليه او الذين مبتدا وبغير سلطان خبره وفاعل
كبر ضميره : وعند الذين آمنوا : ايضا : كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار : استيناف
لبيان موجب الجدال وقرا ابو عمرو وابن ذكوان قلب منونا بقطع الاضافة وهو
الوجه لانه محل التكبر وسائر الاوصاف النفسانية والجملة انما توصف بها بالواسطة
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا : اردف وصفه بالتكبر افعاله الدالة عليه والصرح
القصر العالي الظاهر من صرح الشئ ظهر : لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات : الطرق
الموصلة اليها ابهم اولا ثم فسر لما في الابهام والايضاح من المبالغة وتشويق السامع
ليعطيه حق السماع لانه امر بديع : فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا : وقرا حفص
فاطلع بالنصب حملا للترجي على التمني بجامع عدم التحقق : وكذلك زين لفرعون
سوء عمله : المزين هو الشيطان لقوله وزين لهم الشيطان او الله تعالى لقوله زينا لكل
امة عملهم : وصد عن السبيل : الفاعل فيه هو الفاعل في الاول وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر
وابن كثير صد على بناء الفاعل وهو فرعون الذي صد الناس عن اتباع موسى عليه السلام
وهو المختار لان الحديث عنه والسوق لعدة تاليه : وما كيد فرعون الا في تباب : في
من تب هلك مبالغة في خسرانه : وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد
مقصد وترك ما ادراه بايراد الكلام في الحجاج لما لم يرعو فرعون عن غوايته وجهله الغرض شرع
بمعارضته وانه الدال على سبيل الرشاد ودونه : يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا : شئ يتمتع به
يسيرا : وان الاخرة هي دار القرار : لخلودها : من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها : اي لم
يضعف فلا يزيد الا مثلها : ومن عمل صالحا من ذكر او انثى : سيان في جزاء العمل لا تفاوت
كما في الدنيا : وهو مؤمن : اذ لا عبرة بعمل دونه ولذلك اوقعه قيدا : فاولئك
يدخلون الجنة : تلك الاعمال وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون على بناء المفعول
وهو ابلغ معنى واوفق بقوله وادخل الذين آمنوا : يرزقون فيها بغير حساب : تفضلا
منه تعالى : ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار : كرر نداهم ايقاظا لهم عن سنة غفلتهم

[illegible] اعاد الواو فيها دون الثاني لانه بيان لما اجمل لانه ذم الدنيا وعظم الاخرة
وهو عين الارشاد والدلالة على سبيل الرشاد واما قوله ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة
وتدعونني الى النار فللموازنة بين دعوته التي ثمرتها الجنة ودعوتهم التي ثمرتها النار فليس
من تفسير الارشاد : تدعونني لاكفر بالله : بدل من الاول والدعاء كالهداية يتعدى
باللام والى : واشرك به ما ليس لي به علم : ما ليس له بنفي للمعلوم على طريق الكناية
وانا ادعوكم الى العزيز الغفار : المستجمع للصفات فانهما مستلزمان للعلم و
والارادة المسبوقان بالحيوة : لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا
في الاخرة : رد لما يدعونه اليه واستدلال على بطلان صلوحه للاشتراك اي حق
بطلان دعوته لانه لا يدعو الى دعوته في الدنيا وشان المعبود ان يدعو عباده
المكرمين كالانبياء اولا ثم يدعو بعضهم بعضا وفي الاخرة اذا خلق الله تعالى فيه الادراك
بلبس العبادة ويتبرأ منهم او ليس له استجابة دعوة في الدارين تسمية للاستجابة باسم الدعوة
كما يسمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء ويؤيده قوله والذين يدعون من دونه
لا يستجيبون لهم بشئ وجرم بمعنى كسب والفعل مسكنا اي كسب ذلك الدعاء
اليهم ان لا دعوة لما تدعونني اليه بمعنى انه لم يظهر الا بطلان دعوته او معناه لا بد
من التبديد وهو التعريق اي لا قطع لبطلان دعوة الاصنام بل مستمر وقد سبق في النحل
ان هذا اصله لكن كثرة استعماله في معنى حق ولذلك يجاب باللام كما يجاب القسم
وان مردنا الى الله : بالموت : وان المسرفين : المبالغين في العصيان السفاكين
الدماء بغير موجب تعريض بما افتتح به من قوله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
هم اصحاب النار : الملازمون لها ملازمة المالك ملكه : فستذكرون ما اقول لكم
اذا جاءكم بأس الله اما في الدنيا كوقت الغرق او عند معاينة عذاب الاخرة و
وافوض امري الى الله : لما راهم لا يدعون وقد بان لهم انه على دين موسى عليه السلام
التجا الى الله تعالى في دفع مكرهم : ان الله بصير بالعباد : فيجازي كلا على حسب حاله
فوقاه الله سيئات ما مكروا : شدائد مكرهم قيل فر منهم فامر فرعون بطلبه فوجده
يصلي والوحوش حوله فرجعوا الى فرعون فقتلهم : وحاق بآل فرعون سوء العذاب :
اي العذاب السوء : النار : بدل منه وقوله يعرضون عليها غدوا وعشيا : حال منها
او من الآل او خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدا
خبره يعرضون عليها والجملة مستانفة بيانا وتفسيرا لقوله وحاق بآل فرعون سوء
العذاب وهذا اوجه للابهام والتفسير ولافادة الاولى احاطة سوء العذاب
والثانية ان لا اسوء من ذلك المحيط وهو النار المعروض هم عليه غدوا وعشيا وتخصيص
الوقتين لانهما اطيب الاوقات فاذا اذاقوا فيهما سوء العذاب كان اقطع وما
بينهما مسكوت عنه اما لانهم يعذبون بذلك العذاب ايضا او بجنس اخر او ينفس عنهم

وقيل كناية عن الدوام لقوله ويوم تقوم الساعة اي هذا دائما الى ذلك الوقت
وفيه دليل على ان عذاب القبر حق دليل على عذاب القبر ادخلوا آل فرعون اشد
العذاب وهي جهنم او اشد عذابها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بقطع الهمزة
وكسر الخاء والوصل اليق توفقه لخط المصاحف من العذاب فانه نوع آخر منه واذ
يتحاجون في النار اي واذكر لقومك محاجة اهل النار لعلهم يرعوون فيقول الضعفاء
اي الاتباع تفصيل للمحاجة للذين استكبروا وهم الرؤساء انا كنا لكم تبعا اتباعا
كخدم جمع خادم او ذوي تبع فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل
ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له على التضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن
وانتم سواء فكيف نستغيثون بنا ان الله قد حكم بين العباد فريق في الجنة
وفريق في السعير لا تبديل لحكم الله وقال الذين في النار كلهم التابع والمتبوع
لما ايس الاتباع من نصرة الرؤساء والاختصار على الحجة لخزنة جهنم اي
للموكلين بها وانما جهنم للتهويل وقيل لان جهنم ابعد طبقات النار قعرا من
قولهم بئر جهنام وهذا انما يستقيم ان لو كان اللفظ عربيا والاكثر على انه اعجمي
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب شيئا من الاوقات قالوا اولم
تك تأتيكم رسلكم بالبينات المعجزات الدالة على صدقهم وينذرونكم لقاء
يومكم هذا استفهام توبيخ وتقريع قالوا بلى قالوا فادعوا انتم اذ لا نقدر على
الشفاعة الا بشرط ان يكون المشفوع له مؤمنا ولا يؤذن لنا في الشفاعة وما
دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا مبنى السورة
على بيان مجادلة الكفرة مع الرسل ولذا اشتد الكلام في الرد عليهم عاد الى تسلية
رسوله وانه منصور لا محالة والذين آمنوا لانهم اتباع الرسل في الحيوة الدنيا ويوم
يقوم الاشهاد اي في الدارين وان وقع لبعض فتور في شانهم فذلك امتحان ولهم العاقبة
والاشهاد جمع شاهد وهم الذين يشهدون على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين
والتعبير عن يوم القيمة هو يوم الاشهاد للتهويل ولذلك ابدل عنه يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم ظاهره انهم يعتذرون ولا يقبل منهم والحق انه مبني على الفرض اي لو اتوا بمعاذير
لا ينفع لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ الكوفيون ونافع ينفع بالتذكير وهو احسن
لوجود الفصل ولهم اللعنة الطرد من رحمة الله تعالى ولهم سوء الدار هو ما يسوءه من النار
نغير لعدم قبول المعذرة اذ من كان هذا حاله كيف يرجى قبول عذره ولقد آتينا
موسى الهدى التورية وسائر ما يحتاج اليه في باب الدين واورثنا بني اسرائيل الكتاب
اي جعلناهم متصرفين فيه تصرف الوارث في مال مورثه وفي ذكر الكتاب اشارة
الى ان ما عداه ذهب بذهابه عليه السلام وان الكتاب كاف لقوله هدى وذكرى لاولي

الالباب

الالباب اي هاديا ومذكرا لذوي العقول وهذا اشمل قوله في هذه الاية ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا وفيه بيان نصر المؤمنين في الدنيا بالحجة بعد ذهاب
اونبيا فاصبر ان وعد الله حق وهو قوله انا لننصر رسلنا وقوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون حق كائن لا محالة وقد سمعت حال موسى ومن
كذبه واستغفر لذنبك لذنب امتك لقوله واستغفر لهم او تهييج لامته او لما وقع
منه من خلاف الاولى بحالك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار طرفي النهار لشرفي
الزمانين او ودام على ذكره بصفات الجلال والجمال في جميع الاوقات او المراد الصلوات
الخمس وقيل كان بمكة الواجب ركعتين بكرة وركعتين عشيا والمستدل به مع انه يوهم ان
الخمس وجبت بالمدينة والاجماع انها وجبت بمكة ليلة المعراج ان الذين يجادلون
في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر اعاد ذكر المجادلين ببيان الموجب
لجدالهم وهو الكبر والترفع خوفا من فوات رياسته او النبوة سبب كل ملك ورياسة
ما هم ببالغيه ليسوا ببالغين موجب ذلك الكبر وهو ما تعلقت به ارادتهم من الترؤس
او دفع الآيات فاستعذ بالله من شرهم انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم
نزلت في المشركين وقيل في اليهود قالوا سيخرج صاحبنا المسيح بن داود ويسير
معه الانهار ويبلغ سلطانه البر والبحر يريدون به الدجال لغنهم لله تعالى ويؤيد الاول قوله
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فانه استدلال به على من انكر
البعث وهو لا ينكرونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لاغفالهم النظر الصحيح
وما يستوي الاعمى والبصير ضربا مثلا للمحسن والمسيء لتغاير الوصفين في المقصود
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى
والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او التصريح والتمثيل ولا في المسيء تذكيره وانه لم
تبتا ويا فلا بد من مجازاته وليس ذلك في الدنيا فلا بد من ان يكون بعد البعث
قليلا ما تتذكرون الضمير للناس او الكفار والقلة بمعنى العدم لقوله وما يتذكر الا
من ينيب وقرأ الكوفيون بالخطاب اما تغليبا او امر الرسول عليه السلام بالمخاطبة
او التفاتا وهذا اوفق لان العدول الى الخطاب في مقام التوبيخ تنبيها ابلغ في
الانكار ان الساعة لآتية لا ريب فيها لا ارتياب في وقوعها لما تقدم من الادلة
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك لقصور النظر وقال ربكم عطف على ان الذين
يجادلون عطف قصة على قصة اخرى ادعوني اعبدوني استجب لكم لقوله ان الذين
يستكبرون عن عبادتي ولما روي عن الثوري انه قيل ادع الله تعالى فقال ان ترك
الذنوب هو الدعاء اراد ان ترك الذنوب من اجل العبادات وسئل الحسن عنه
فقال اعملوا وابشروا او الدعاء والاستجابة على ظاهرهما وقوله ان الذين يستكبرون
عن عبادتي معناه عن دعائي لان الغرض من العبادة الخضوع ولا شك ان

ذلك في الدعاء لظهور انقياع العبادة صلة الاستكبار مما يؤيد هذا لان الداعي مستكين
خاضع سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وقرأ ابن كثير وابو بكر بضم الياء وفتح
الخاء وهذا ابلغ امانة الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا اي خلق الليل
باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس ولما كان السكون والاستراحة
علة غائية في الليل دون الابصار في النهار بل العلة ابتغاء الفضل صرح به في الاول
واشار اليه في الثاني رمزا مع ما افاده الاسناد المجازي من المبالغة حتى كان
الابصار سرى في نهار المبصر ان الله لذو فضل على الناس اي فضل لا يوازيه فضل
ولذلك نكره واثره على المتفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعم الله تعالى تكرير
لايقاع عدم الشكر على صريح اللفظ ذلكم الموصوف بصفات الالوهية الله
ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة او كل بدل عن سابقه ان جوز
البدل والا فالكل عن الاول فان قلت قد وقع مثل هذا التركيب في سورة الانعام
خالق كل شيء متأخرا عن كلمة التوحيد وقدم هنا فما وجه ذلك قلت وجهه
والله تعالى اعلم ان خالقيته لكل شيء دليل توحيده وفي الانعام قدم قوله خلق كل
شيء وهو بكل شيء عليم فكان نتيجة المقدمتين لا اله الا هو ثم اردفه بقوله خالق
كل شيء على سبيل التقرير والتوكيد وهنا لم يتقدم مثله فكان حقه ان يقدم ليكون
كلمة التوحيد نتيجة له فانى تؤفكون من اي وجه تصرفون عن عبادته انكار
وتوبيخ كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون مثل صرف هؤلاء
صرف الذين كانوا قبلهم ينكرون ايات الله عنادا فهم على اثارهم مقتدون
الله الذي جعل لكم الارض قرارا تستقرون فيها احياء وامواتا والسماء بناء
قبة والعرب تسمي القباب ابنية على التشبيه وصوركم فاحسن صوركم اي
خلقكم باحسن الصور في احسن تقويم وفي الحديث خلق الله ادم على صورته طوله
ستون ذراعا ورزقكم من الطيبات اللذائذ الانواع طعاما وشرابا وفاكهة
ذلكم الله ربكم اي الموصوف الممتاز فتبارك الله رب العالمين فان ما سواه
مربوب مفتقر ولما كانت الادلة المذكورة من الافاق والانفس مع كونها ادلة
نعما جب ما عقبها بقوله فتبارك الله الدال على كثرة نعمائه وتوافر الائه هو الحي
لا غير لان من عداه اما ميت او بصدده لا اله الا هو لان من يعتريه الموت
كيف يصلح للالوهية فادعوه مخلصين له الدين فكما انفرد بالالوهية افردوا
له العبادة لانه المستحق الحمد لله رب العالمين قائلين الحمد لله رب العالمين عن
ابن عباس رضي الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل بعده الحمد لله وذلك للدلالة على
الحمد فيه كانحصار الالوهية قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله
لما جاءني البينات من ربي شامل للادلة العقلية والنقلية والايات الدالة على

فانها كلام معجز يؤيد الادلة العقلية وتناصر الادلة اقوى في ابطال مذهبهم وامرت
ان اسلم لرب العالمين انقاد له اشار الى انه لا يريد بهم الا ما اراد لنفسه هو الذي
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا لما امتن عليهم بانه خلقهم
في احسن الصور اشار الى بدء خلقهم من التراب الذي هو مادة ابيهم ادم عليه السلام
او مادة كل واحد منهم لان مادة النطفة تعجن بالتربة التي يكون مضجع الميت ثم بعده
الانقلابات البديعية الدالة على كمال الاقتدار وافراد طفلا لارادة الجنس او كل احد
ثم لتبلغوا اشدكم اللام تتعلق بمقدر اي يبقيكم ثم لتكونوا شيوخا وقرأ نافع وابو
عمرو وهشام وحفص بضم الشين اتباعا لضم الياء ومنكم من يتوفى من قبل اي قبل
الشيخوخة او قبل هذه الاحوال كما اذا وقع سقطا والاول هو الوجه ولتبلغوا اجلا
مسمى اي ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة والاول هو
الوجه لقوله اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة واوفق بالسياق ولعلكم تعقلون ما
في ذلك من دلائل كمال الصانع والعبرة هو الذي يحيي ويميت اي القادر الذي نقل
النطفة من تلك الاطوار بعضها الى بعض هو الذي شأنه الاحياء والاماتة ثم بين
شأن ذلك بقوله فاذا قضى امرا توجهت ارادته اليه فانما يقول له كن فيكون
بلا احتياج الى آلة وتعمل كان اسرع شيء وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب بتقدير ان
الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون كرره لان مبنى السورة على رد
المجادلين في ايات الله الدالة على التوحيد والبعث يفتنون مختلفة من الدلائل
ولما تفتنوا في تلك الفنون ولم تؤثر فيهم تعجب السامع من حالهم الذين كذبوا
بالكتاب بالقرآن او بجنسه وبما ارسلنا به رسلنا من الآيات تؤيد الوجه الثاني
فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ولا تنافي بين سوف
واذ لان المترقب في كلامه تعالى كالكائن والسلاسل عطف على الاغلال يسحبون
في الحميم الماء الشديد الحرارة حال من الفاعل او خبر سلاسل ان لم يعطف بحذف
العائد ثم في النار يسجرون يحرقون اي ظاهرهم ليراهم اهل الجنة من سجرت
التنور اوقدتها وحمله للانتقال سجرت الثمار اذا امتلئت من المطر والمعنى يملئوا
نارا ظاهرا وباطنا كقوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ثم قيل لهم اينما
كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا يقال لهم توبيخا ومعنى ضلوا عنا
غابوا ولا ينافي قولهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لجواز كونهم غيبا
اوان التوبيخ او لانهم لم ينفع حضورهم كانهم غيب بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا
لعدم غنائهم كانهم ليسوا بشيء او قالوه كذبا على انفسهم كقولهم والله ربنا
ما كنا مشركين كذلك يضل الله الكافرين اي مثل ضلال الهتهم يضلهم الله في
الدنيا عن طريق الحق وقيل يضلهم عن الهتهم حتى لا يتصادفوا ولو تطالبوا وفيه

نظر ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم
تمرحون تبطرون وتفرطون في الفرح والعدول الى الخطاب لكونه ابلغ في التوبيخ اد
ادخلوا ابواب جهنم طبقاتها على قدر الاعمال كقوله لكل منهم جزء مقسوم خا
خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين مثواكم او جهنم فاصبر
على اذاهم وجدالهم الباطل ان وعد الله حق في نصرتكم واتمام ما ارسلت به فاما
نرينك ان شرطية وما زائدة للتوكيد ولذلك لحقه نون التاكيد وجواب الشرط
محذوف اي فذاك بعض الذي نعدهم من العذاب كالقتل والاسر يوم بدر
او نتوفينك قبله فالينا يرجعون فنعذبهم اشد العذاب فان قلت قد
تقدم مثل هذا التركيب في الرعد ولم تقدر لكل واحد من المعطوف والمعطوف عليه
جزاء فهلا سلكت تلك الطريقة قلت سياق الكلام هنا لانجاز الوعد بالنصر وقهر رسول الله
والمؤمنين معقود به فاقتضى تقدير الجزاء مستقلا تعجيلا للمسرة بخلافه ثم في الرعد فان
الكلام في ايجاب تبليغه وليس عليه الا ذلك كيف ما دارت القضية ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك دل على انه لم يخبره
بتفاصيل سائر الانبياء وقد روى ابو ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عدتهم
فقال مائة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا
وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله بارادته وتيسيره جواب لاقتراحهم
الآيات عليه كانه قيل لهم اذ كان الامر في الآيات الى الله تعالى ولم يكن لاحد ممن تقدم
ان ياتي باية فمن اين لي ان اتي باية فاذا جاء امر الله بالعذاب قضي بالحق و
خسر هنالك المبطلون اي اذا جاء يوم القيمة الذي هو يوم الفصل قضي بينك
وبينهم بالحق وخسر اذ ذاك المبطلون في الاقتراح المجادلون عنادا الله الذي جعل لكم
الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون من جنسها ما يؤكل كالغنم وما يؤكل ويركب
كالابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة
في صدوركم من المسافرة لمقاصدكم وعليها في البر وعلى الفلك في البحر
تحملون وانما قال على الفلك دون فيها كما في قوله تعالى قلنا احمل فيها لان الفلك
وعاء ما فيها وحمولة له مع ما في ذلك من المزاوجة مع ما قبله من الازدواجة وانما
غير النظم في الجمل الاربع لان الركوب وبلوغ الحاجة قد يكون في امر ديني واجب
او مندوب بخلاف الاكل وسائر الانتفاعات فكانا اولى بدخول اللام الدالة
على العلية والغرض وقيل فرقا بين العين والمنفعة وانما جعل مكتنفين بما خلا عنه
الى المقصود عنها وعن الزجاج ان الانعام هي الابل خاصة وعلى هذا تتضح الوجه
لان الركوب وبلوغ الحاجة من اتم الغرض منها ويريكم آياته فاي آيات الله تنكرون
لم يقل اية لان التفرقة في غير الصفات بالتاء نحو حمار وحمارة غريب وفي اي لتضمنه

على الابهام اغرب افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض قصورهم المشيدة
ومصانعهم المحكمة وقيل مشيهم بالاقدام لعظم اجرامهم وبعده لا يخفى فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة المحل والثانية
موصولة او مصدرية اي مكسوبهم او كسبهم رفع على الفاعلية فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم بامور الدنيا واسباب المعاش
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا او علم الفلاسفة والدهرية ويدفعون تلك
الادلة علم الانبياء كما روي ان سقراط كان في زمن موسى عليه السلام
فقيل له بل لا تتبعه فقال نحن مهذبون او سمي جهلهم المفرط علما اي لم يفرحوا بعلم
الرسل وفرحوا بجهلهم المفرط سماه علما على طريقة التهكم او المراد علم الرسل وفرحوا
بما اوتوه من العلم بسوء عاقبة الكفار وشكرهم لله تعالى عليها منهم وفيه تفكيك
الضماير او المعنى فرح الكفار بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء
ويؤيده قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن الا ان في الدلالة على هذا المعنى
غموضا فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين والباس
شدة العذاب لقوله بئس فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لفوات
وقته والوجه في ترتيب الفاءات ان قوله وحاق بهم ايضاح لذلك
المجمل وكيف انقلب الحال بهم الى العكس بما تلوه وقوله فلما راوا باسنا
مترتب على قوله فلما جاءتهم تابع له كانه قال فلما جاءتهم رسلهم كفروا فلما راوا
باسنا امنوا الا انه فصل ذلك الكفر المشتمل على سوء معاملة الرسل
وكفران اعظم نعم الله تعالى وكذا فلم يك مع الايمان سنت الله التي قد خلت
في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد مصدر مؤكد وخسر
هنالك الكافرون هنا مستعار من المكان للزمان اي خسروا وقت
رؤية الباس لزوال ما كانوا فيه من النعيم ولزوم الخلود في عذاب الجحيم
تمت سورة غافر والحمد لله على فضله الوافر والصلوة على محمد سيد الاوائل والاواخر
واله وصحبه ذوي المحاسن والمآثر سورة السجدة وهي ثلث او اربع وخمسون اية
بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته اسم السورة كان مبتدأ تنزيل من
الرحمن الرحيم خبره وان جعل تعديدا فتنزيل خبر مبتدأ محذوف كتاب بدل
من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف او تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة
وكتاب خبره فصلت اياته جعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام
وامثال ومواعظ ووعد ووعيد او ميزت باعتبار اللفظ والمعنى قرانا
عربيا نصب على المدح او الحال وفي كونه عربيا امتنان لسهولة قراءته

وفهم معناه لانه افصح اللغات لقوم يعلمون صفة اخرى لقرآنا اي كائنا لقوم يعلمون
العربية او لاهل العلم والنظر وقيل يتعلق بتنزيل وفيه الفصل بين المتعلقين وهو كتاب
الى قوله عربيا وبين الصفات ايضا لان بشيرا ونذيرا صفتا قرآنا وقيل يتعلق
وفيه التفريق بين الصفات والفصل بين الصلة وموصولها ايضا بشيرا
ونذيرا للمقبل والمعرض فاعرض اكثرهم انكروا اعجازه ولم يقبلوا ما فيه
فهم لا يسمعون لا يذعنون لسمع العلم بانه الحق وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه في اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم اصله الثقل اي نحو ابين الاعراض
وهذا القول مبالغة في الانكار فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما في سورة
بني اسرائيل والكهف قلت المراعى في البلاغة جانب المعنى وهو كذلك في الآيتين
لان الاستعلاء والاحتواء من واد واحد مع رعاية التفنن فان قلت كان
العكس محتملا لذلك فلا بد من اختصاص كل بموضعه من نكتة قلت الكلام
في بني اسرائيل والكهف منسوب اليه تعالى فالاستعلاء والقهر انسب وههنا حكاية
مقالهم فالاحتواء اقرب ومن بيننا وبينك حجاب البين هو الوسط
بالسكون يصدق على كل جزء من المسافة فاستوعب اولا فزيد من ليدل على
الاستيعاب الذي هو غرضهم وذلك لان من لابتداء الغاية الذي هو طرف
المتكلم فيقع الطرف الآخر غاية فاعمل اننا عاملون اعمل في دينك او في ابطال
ديننا فانا على ديننا او ابطال دينك قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد كان انكارهم نبوته لكونه بشرا مثلهم قلت
عليهم القول بان البشرية هي التي تناسب الرسالة ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا انما الهكم اله واحد اشارة الى ما هو الغرض من البعثة وهو التوحيد فاستقيموا
اليه اي فاستقيموا على التوحيد والاخلاص متوجهين اليه واعرضوا عن اغراضكم
معرجين على تقليد آبائكم الضالين واستغفروه واطلبوا الغفران منه على ما
ضيعتم فيه اعماركم من عبادة الجماد وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
توكيد للامر بالاستقامة وترغيب فيه وترهيب عن الشرك قرن به الزكوة من
بين سائر الاعمال لانها شقيقة الروح والمعيار على الايمان المتمكن في القلب
والزكوة على هذا الوجه المقرر في الاحاديث والفروع وان فرض بالمدينة الا ان
اخراج طائفة من المال على وجه القربة كان شايعا اطلاق اسم الزكوة عليه في
الجاهلية ايضا كما وقع في شعر امية بن ابي الصلت الفاعلون للزكوة والى ذلك
اشار في آخر المزمل واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة والمزمل من اوائل القرآن نزولا
وهم بالآخرة هم كافرون دهرية لا يقولون بالمعاد ولا يعترفون بالجزاء رغبة
الى علة منع الزكوة فان قلت اذا كانوا دهرية فلم كانوا يعبدون الاصنام

قلت

قلت تبركا بها في رد الارزاق واندفاع البلايا ولو فرض وقوع المعاد كانت
شافعة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون غير مقطوع او
غير مشوب بمنة لان الواهب غني عن ذلك مقابل سابقه كانه قال
ويل للمشركين وطوبى للمؤمنين وفيهما من التحذير والترغيب ما يؤكد امر الايمان
والاستقامة تاكيدا لا يخفى وقيل نزلت في المرضى والهرمى فانه يكتب لهم
من الاجر على قدر الطاعات حال العافية ولا ينقطع من ذلك شيء قل
ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين بعد تقرير دليل التوحيد والامر
بالاستقامة انكر على من يعلم منه هذه الصفات ثم يعدل الى عبادة غيره ثم
اعترض في البين بقوله وتجعلون له اندادا اي من لا يتصور له ند واحد تجعلون
له اندادا ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين موجد الكائنات
كلها وجعل فيها رواسي عطف على خلق مقدرا او استيناف اذ لا يعطف
على خلق المذكور للزوم الفصل بين اجزاء الصلة من فوقها مرتفعة بارزة
للنظار ليبدو ما فيها من ضروب الاستبصار ظاهرا لا تمام النعمة وكمال
الاقتدار وخص بالذكر هنا لانه تم موضع تفصيل هذا البيان في القرآن
وبارك فيها بان جعلها منابع المياه ومنابت الاشجار ومراتع الحيوان وقدر
فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يليق به او خص كل قطر بنوع منه
بحسب النظام في اربعة ايام سواء فذلكة ما تقدم وتحصيل ما فصل كانه قال
كل ذلك في اربعة ايام كوامل مستوية ولو قال يومين آخرين لاحتمل التداخل
على الاكثر عادة تجوزا وقال الزجاج في اربعة ايام اي في تتمة اربعة وهما يومان
والاول اولى وفائدة هذا التقدير تعريف والمراد المقدار الذي وقع فيه الخلق لا اليوم المصطلح
وقرأ حمزة واكثر في خفض سواء بالنصب للسائلين متعلق بقدر اي هذا الحصر
للسائلين عن المقدار او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين للرزق وانما يستقيم
على تقدير الزجاج ثم استوى الى السماء توجهت ارادته الى ايجادها من قولهم
استوى الى كذا قصده قصد السهم الذي لا يلوي الى غيره وثم على اصله من التراخي زمانا لا رتبة
استدلالا بان وجود الارض متاخر وهي دخان وان الارض بعد ذلك دحاها لان خلق الاقوات
فيها قبل الدحو غير ممكن فان قلت التقدير لا يستلزم الخلق بالفعل قلت فسره قوله
في سورة البقرة قوله خلق لكم ما في الارض جميعا فان قلت يحمل الخلق على التقدير قلت
الابي مقام الامتنان فالوجه ان دحاها ليس بمنافي بعد ذلك بل هو حكاية
كما تقدم الاشارة اليه في سورة البقرة قيل كان عرش الرحمن على الماء فصعد منه
دخان فخلق منه الارض ثم فتقها ارضين وخلق من ذلك الدخان السماء فقال
لها وللارض ائتيا اي كونا متسخرين لما اريد منكما بان يكون احدكما مقلة والآخر

متصلة وابرازها او دعها من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او تكونا على
ان معنى الخلق اولا التقدير والكلام على التمثيل بان شبه حالهما في سرعة التكون على وفق
الارادة ومقتضى الحكمة بحال المامور المطيع المبادر الى امتثال الامر المطاع طوعا
او كرها مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وامتناع عدم حصول ما اريد منهما وحاصله
تصوير كمال عظمته وكبريائه وعدم تخلف مراده في شىء مستدلا بالعالم العلوى
والسفلى قالتا اتينا طائعين منقادين اجرى عليهما وصف العقلاء لما جعلهما
مخاطبين كقوله رايتهم لى ساجدين فقضاهن سبع سموات الضمير للسماء
على المعنى كقوله اعجاز نخل خاوية او مبهم فسر بسبع سموات وهو على الاول
حال في يومين خلقهن وما فيها في يومين فتم شان العالمين في ستة ايام خلق
الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الاشجار والمياه
يوم الاربعاء وخلق السماء يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة
في ثلث ساعات وفي آخر ساعة خلق آدم عليه السلام قيل هي الساعة التي
تقوم فيها الساعة واوحى في كل سماء امرها ما امر به ودبر او اوحى الى اهلها بالاوامر
وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا وحفظناها حفظا من ان يقع فيها
خلل ومفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة
وحفظا وانما قدم اليومين مع ان ما ذكر بعدهما من تدبير امر السموات واقع فيهما
للاهتمام اشارة الى ان العالم العلوى الذى نسبة السفلى اليه نسبة الحلقة الى
الفلاة تكون وتم امره في اقصر من مدة تكونه فيعلم ان ايقاع هذه الافعال على
التدريج انما هو لارشاد العباد الى التانى في الامور والا فامره في الايجاد
انما هو بين الكاف والنون ذلك تقدير العزيز العليم اى المذكور صنع الغالب
على كل شىء العالم به فان اعرضوا بعد هذا البرهان النير فقل انذرتكم صاعقة
عذابا شديدا يشبه الصاعقة في الرفع والشدة مثل صاعقة عاد وثمود
مثل ذلك العذاب في الشدة كان ابو جهل في ملأ من قريش فقال قد التبس
علينا امر محمد فهل منكم احد يأتينا ببيان منه قال عتبة بن ربيعة انا لكم فاني
قد علمت من السحر والشعر والكهانة ما لا يخفى فاتى رسول الله ودعاه الى ترك
سب الاصنام وذكر آبائهم فلما فرغ من كلامه تلا عليه السورة الى ان بلغ
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ان
يكف وولى هاربا اذ جاءتهم الرسل صفة صاعقة الثانية لا الاولى لان الظرف
انذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من كل جانب واجتهدوا
في كل حيلة ومن نحس حذرهم بالوقائع في الامم الماضية وبعذاب الاخرة
او ان هودا وصالحا كل منهما دعا قومه الى الايمان به وبمن تقدم من الرسل وممن

يأتي من بعد فان الايمان بالكل واجب فكان الكل قد جاءوا او الحمل على الكثرة
كما في قوله يأتيها رزقها رغدا من كل مكان لا يستقيم لاختصاص كل قوم
بنبيهم الا تعبدوا الا الله ان مخففة حذف منها ضمير الشان او مفسرة
قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة اى ارسال الرسل لانزل ملائكة بالرسالة فانا بما
ارسلتم به كافرون ليس اقرارا بالرسالة بل قالوه تهكما والخطاب
لهود وصالح ومن دعوهم الى الايمان به من سائر الرسل فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق بغير استحقاق وذكر اولا كفرهم ثم بين ما خص كل
طائفة وقالوا من اشد منا قوة اى لا احد كانوا طوالا عظاما شدادا
حتى كان الرجل منهم يقتلع الصخرة من الجبل بيده فاغتروا بذلك اولم
يروا اى يعلموا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة اذ هم لا يقدرون
على مثل فعله انه اقوى واقدر وكانوا باياتنا يجحدون اى كانوا يعلمون
ذلك الاقتدار منا وغيره من الايات الا انهم كانوا ينكرون عنادا
وعتوا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ريحا باردة تهجر ما اصابته اى
تقفيه وتشده ومنه الصرة لانه يجمع الدراهم او من الصرير وهو صوت
هبوبها في ايام نحسات هي الثمانية في قوله تعالى سبع ليال وثمانية
ايام والنحس ضد السعد وقرأ الكوفيون وابن عامر بكسرها والباقون
بالاسكان والكسر اولى لانه قياس الصفة من فعل كحذر فهم ونهم وروى
امالة السين عن الكسائى لنذيقهم عذاب الخزى في الحيوة الدنيا اى
الذل صفة للمعذب وصف به العذاب كشعر شاعر على الاسناد المجازى مبالغة
كان الخزى سرى من المعذب الى العذاب ولعذاب الآخرة اخزى لكونه اشد واهم
وهم لا ينصرون في الدارين بدفع العذاب واما ثمود فهديناهم بنصب الادلة
وارسال الرسول فاستحبوا العمى على الهدى اى هديناهم على طريق الضلالة والرشاد
لقوله وهديناه النجدين وفيه دلالة على ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وفي الاستحباب
اشارة الى عدم استقلال العبد بالايمان لان القاء الحب في القلب
ليس بقدرة العبد وان كان اثاره الحب باختياره وهذا مما يلقم القدرية
حجرا فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء والهون الهوان
والكلام في اضافة العذاب اليه كما تقدم في عذاب الخزى بما كانوا يكسبون
من الكفر ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة
ويوم يحشر اعداء الله الى النار اراد بيان عذاب الآخرة بعد ذكر
عذاب الدنيا وقرأ نافع بالنون على نمط ونجينا وبنصب اعداء والباقون
بالياء على بناء المفعول والنون اشد تهويلا فهم يوزعون يحبس اولهم

حتى يلحق اخرهم كناية عن الكثرة حتى اذا ما جاؤها ما مزيدة للدلالة على ان وقت
مجيئهم لا محالة وقت الشهادة شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون وفي الحديث ان الكافر يقول يوم القيمة يا رب اليس قد وعدتني انك
لا تظلم فيقول بلى فيقول اني لا اقبل الا شاهدا من نفسي فيختم الله على فيه وينطق
جوارحه بالاعمال التي صدرت منه فيقول سحقا لكن فعنكن كنت اناضل وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا توبيخا لهم على عدم مراعاة النصيحة مع ان
العذاب مشترك والخطاب للجلود وحدها لشمولها سائر الاعضاء قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شيء اعتذروا بان ذلك لم يكن باختيار
منهم بل من انطق كل حي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون اي الذي
انطقنا هو الذي انشأكم ابتداء واليه تردون للجزاء فلا عجب منه اذا انطق
ويجوز ان يكون ابتداء كلامه تعالى يؤيده قوله ترجعون وقوله وما كنتم
تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي ما كان استتاركم
وقت فعل القبائح خيفة من شهادة الجوارح كيف وانتم منكرون للبعث
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون اي ولكن كان استتاركم من الناس
دونه لانكم ظننتم انه غير عالم بخفيات اموركم وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارديكم اهلككم خبران لذلكم او ظنكم بدل عنه اي ما اهلككم الا ذلك
الظن الكاذب فاصبحتم من الخاسرين داخلين في زمرة الكاملين في
الخسران وعلى العاقل ان يكون في خلواته اشد حياء وهيبة واوفر
تحفظا لعلمه بانه لم يزل عليه من الله عين كالئة ورقيب مهيمن فان
يصبروا فالنار مثوى لهم فيقاسون حرها واحراقها وان يستعتبوا يطلبوا
العتبى وهو الرضاء عنهم فما هم من المعتبين من الذين يعطون الرضا
ويفوزون به والعدول الى الاسمية من لم يعتبوا مبالغة في اخراجهم عن
زمرة المعتبين وقيضنا لهم قرناء قدرنا لهم شياطين يشابهونهم فصاروا
اخوانا واحبابا واصل القيض البدل ومنه يقال ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين
ومنه لقشرة البيض القيض لانها بقدره وكذا المقايضة لتقدير تساوي الثمنين
في البدلين فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا وما خلفهم ما تقدم من قبائحهم
وما هم عازمون عليها في المستقبل او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات
وما خلفهم من امر الاخرة بان لا بعث فاقتنصوا اللذات قبل فواتها وحق عليهم
القول كلمة العذاب في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس في جملة اولئك
الذين كانوا على مثل اعمالهم ليكونوا في العذاب قرناء كما كانوا في الدنيا احبة
واخلاء انهم كانوا خاسرين في استبدال الضلالة بالهدى تعليل لاستحقاقهم

العذاب

العذاب وبشارة الى ان ذلك الشقاء نتيجة هذا الخسران وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه كانوا يعلمون فصاحة القران وحلاوة
معناه وانه جلاب للقلوب سلاب للعقول والنبي ومن سمعه سماع بالتقبل
ويتأثر به وايقنوا انه ليس بشعر ولا سحر وانه خارج عن طوق البشر فتواصوا
بانهم اذا سمعوا قارئا يقرؤه يكثرون اللغط والاباطيل حتى لا يفهم ويشوش القاري
لعلكم تغلبون الخصم فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا هم هؤلاء واتباع الكفر
جملة اشارة الى علة العذاب او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون
اي اسوأ جزاء اعمالهم او جزاء العمل الاسوء والاول اولى لقوله ذلك جزاء اعداء
الله فانه خبر عن الاسوء النار عطف بيان او خبر مبتدأ محذوف لهم فيها
دار الخلد هي دار الاقامة كما تقول لك في هذه الدار دار سرور على طريقة التجريد
جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون يكذبون بها عالمين عنادا ولذلك جوزوا الجزاء
الاوفى وفيه اشارة الى ان عذاب الاخرة كله اسوء بالنسبة الى عذاب الدنيا
وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس الشياطين
على قسمين كما اشار اليه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس
والجن وقيل هما ابليس وقابيل سنا الكفر والقتل نجعلهما تحت اقدامنا انتقاما
منهم لقوله هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار ليكونا من الاسفلين ليكونا
اشد كفرا للضلال والاضلال ان الذين قالوا ربنا الله اقرارا به معترفين بربوبيته
ثم استقاموا ولم يزل قدمهم عن طريق العبودية قلبا وجوارحا وهذا مقام عزيز
واليه اشار عليه السلام شيبتني هود واخواتها وروى الامام احمد عن سفيان بن
عبد الله الثقفي انه قال يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به فقال قل ربي الله ثم استقم
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
ان مفسرة بمعنى اي او مخففة حذف منها ضمير الشان والخوف يكون من
مكروه مترقب والحزن على فائت في الماضي والمعنى لا تخافوا مما تقدمون
اليه ولا تحزنوا على ما خلفتم من الاهل والمال وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون على
لسان الرسل قيل يبشر الملائكة في ثلثة مواطن عند الموت وفي نزول القبر وعند
البعث والظاهر ان ما في الاية هو الاول بقوله نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا
بالمحافظة عن الشياطين والهام الخير وفي الحديث ان للملك لمة وللشيطان
لمة اما لمة الملك فايعاد بالخير واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وفي
الاخرة بالشفاعة والتلقي بالاكرام هؤلاء في مقابلة القرناء للكفار
ولكم فيها ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون تطلبون
من الدعاء بمعنى الطلب اعم من الاول وحمل الدعاء على التمني

لا يلايم المقام نزلا من غفور رحيم حال من الضمير في لكم لانه خبر ما تدعون
اي المدعي كائن لكم حال كونه نزلا لا من المحذوف العائد الى ما لان الاول عام
والتمني ليس في حال كونه نزلا وفيه اشارة الى ان هذا نزل الضيف وله
بعده الذي لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومن
احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا اي وافق فعله
قوله وقال انني من المسلمين اي اتخذ الاخلاص دينا كما تقول هذا
قول ابي حنيفة رحمه الله اي معتقده وما يدين به وقيل قاله مفتخرا به وهذه
الرتبة اعلى من الايمان والاستقامة فانها الكمال وتلك كمال ولذلك
قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والحق انها عامة وهو اول داخل
فيها وما يروى انها نزلت في المؤذنين يرده كونها مكية والاذان شرع
بالمدينة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة اي الحسنات تتفاوت الى حسن و
احسن وكذلك السيئات الى السيء والاسوء ادفع بالتي هي احسن اي
ادفع السيء والاسوء باحسن الحسنين كما اذا قدرت على من اساء اليك فالحسنة
ان تعفو عنه والاحسن ان تحسن اليه مكان اسائته وانما ترك الفاء لان الاستيناف
اقوى الوصلين فهو على تقدير قائل قيل لا مزيد والمراد نفي المساواة بين الجنسين
والاعلام بان بينهما بونا بعيدا وكان الظاهر ادفع بالحسنة السيئة عدل الى المنزل
لان من دفع بالاحسن هان عليه الدفع بالحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم اي اذا جازيت المسيء بالاحسان صار عدوك الشاق كانه
ذو قرابة شفوق وفي معناه قال الشاعر ان العداوة تستحيل مودة
بتدارك الهفوات بالحسنات وما يلقيها الا الذين صبروا اي ما
يعطى هذه الخليقة الا من حبس نفسه على المكروه وما يلقيها الا ذو حظ
عظيم من الحلم وكمال النفس وعن الحسن ما عظيم حظ والله دون الجنة
واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ هو النخس اريد به وسوسته
وبعثه على الشر وهو الانتقام والدفع بالاسوء وقيل من قبيل جد جده
او وصف للشيطان بالمصدر على طريقة التجريد فاستعذ بالله من
شره انه هو السميع لاستعاذتك العليم بقصدك ومن اياته
الليل والنهار والشمس والقمر دلائل اقتداره ووحدانيته ذكر ان لا احسن
قولا من الداعي الى الله ثم ارشده الى ما يدعو به فهو من ادلة الآفاق لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر كانوا يسجدون للكواكب على قصد التقرب الى الله تعالى فنهوا
عن ذلك واسجدوا لله الذي خلقهن فانه المستحق وحده والضمير للاربعة
لانها جماعة ما لا يعقل ان كنتم اياه تعبدون ان كنتم موحدين غير مشركين

قال

فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة المقربون
يسبحون له بالليل والنهار مداومون على تقديسه وهم لا يسامون
لا يملون هذا موضع السجود عند ابي حنيفة والشافعي رحمهما الله تعالى في اصح
الوجهين لانه تمام المعنى واحتياطا لانه ان كان عنده يعبدون فالفصل
يسير والتقديم غير جائز في وجه يعبدون لاتصاله بواسجدوا فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت وربت انتفخت وتزخرفت بالنبات
كالمختال في زيه بعدما كانت كالذليل في اطماره ان الذي احياها بالنبات
النضر البهيج لمحيي الموتى لا محالة انه على كل شيء قدير كامل الاقتدار ان الذين
يلحدون في اياتنا الحد ولحد مال عن الاستقامة استعير لصرف الكلام عن وجهه
وقرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء لا يخفون علينا وعيدهم افمن يلقى في النار
خير امن ياتي امنا يوم القيمة تهديد لمن يلحد في ايات الله بانه كما انحرف في
تاويل الايات كذلك يعدل به عن الصراط الموصل الى النعيم الى الجحيم اعملوا ما
شئتم اذ قد علمتم حال الرجلين وما لهما الامر للتهديد لا للايجاب الفعل انه
بما تعملون بصير فيجازي على وفق ما علم ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من الذين
يلحدون اشارة الى ان الحامل على الالحاد مجرد كفرهم وفيه امداد التحذير بوضع الذكر
موضع الايات تحقيرا لهم وما في لما من الدلالة على انهم كفروا اول ما قرع سمعهم من
غير تدبر وتمهيد لتحديث عن كمال الكتاب بقوله وانه لكتاب عزيز شريف
جم المنافع او غالب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل حاله بحال
الشيء المحمي من جميع الجوانب فلا يمكن للعدو الوصول اليه وفيه اشارة الى انه محفوظ
من حين النزول الى آخر الدهر كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ورد
لالحاد الملحدين فيه بان سعيهم في ذلك كالرقم على الماء تنزيل من حكيم واتى
حليم حميد افعاله واقواله على وجه الاتقان والكمال فكيف يتطرق الباطل الى حميه
ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي ما يقول لك كفار قريش الا شيئا
قيل لمن تقدمك من الرسل مثله كقوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائه او ما يقول لك الله الا
ما قد قال للرسل قبلك وهو الوعد بالمغفرة لمن آمن وبالعقاب لمن كفر وانما وصف
العقاب دون المغفرة لان الكلام في الترهيب ولو جعلناه قرآنا اعجميا اي
فرض كذلك لقالوا لولا فصلت اياته بينت بلسان عربي نفهمه والغرض ان
تعنتهم لا سبيل الى دفعه ااعجمي وعربي اي هذا امر منكر والاعجمي هو الذي لا يفصح
ولا يفهم كلامه من اي لغة كان والياء للنسبة والعجمي منسوب الى الطائفة المعروفة
وانما اتى بالمفرد مع ان المنزل عليهم ائمة العرب لان القصد بيان تنافر حالتي

الكتاب والمكتوب اليه فلو جمع كان اتيانا بما لا مدخل له في الغرض بل هذا اصل كلي
في الاثبات والحذف والاطلاق والتقييد الى غير ذلك في كل كلام بليغ
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بتحقيق الهمزتين على الاصل والباقون بتسهيل
الثانية تخفيفا سوى هشام فانه قرا باسقاط الاولى اما على الاخبار
على معنى لولا فصلت اياته فيكون بعضها اعجميا وبعضها عربيا ليكون لكل [illegible]
منه حظ او على حذف وتقدير فيوافق الاولى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء
[illegible] هدى الى كل خير وشفاء عن داء الجهل والشبهة والذين
لا يؤمنون في اذانهم وقر عطف على المجرور اي هو للذين امنوا هدى وشفاء
وللذين لا يؤمنون وقر في اذانهم بيان لمحل الوقر او حال من المستكن في الظرف
عاملا اي وقر وهو من العطف على عاملين مختلفين او مبتدا ما بعده خبره اي
والذين لا يؤمنون هو في اذانهم وقر او وقر منه في اذانهم بحذف الرابط وهو
عليهم عمى اي مستولي على ابصارهم ولم يتعرض لحال القلب لانه علم مما في شفاء
من التعريض انه مريض بعلة الطبع اولئك ينادون من مكان بعيد لا يمكن
لحوق الصوت اليهم تمثيل لبعدهم عن الحق ولقد اتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه فقال بعضهم حق وكذب البعض فكذلك حالك وحال من
ارسلت اليه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم باستيصال المكذبين
وانهم اي اليهود او الذين كفروا لفي شك منه في التورية او القران مريب
موقع للقلق والاضطراب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا
يتجاوزها خيره وشره وما ربك بظلام للعبيد بان يواخذ من غير جرم والكلمة
السابقة هي العدة بالفصل يوم القيمة وفيه تخلص الى ذكر الساعة بقوله
اليه يرد علم الساعة ارشاد للمومنين الى الجواب ان سئل احدهم عنها
بان يقول لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع
الا بعلمه الاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة والاستثناء من الكل اي لا يحدث
شي من هذه الاشياء الا ملتبسا بعلمه وليس من الاستثناء المتعقب
للجمل المختلف في متعلقه لاتحاد المقصود ولاختصاص ذلك بغير المفرغ
وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع ويوم
يناديهم اين شركاءي قالوا اذناك ما منا من شهيد اي اعلمناك
ان احدا منا لا يشهد اليوم انهم شركاؤك فاعادة السوال عليهم زيادة
التوبيخ او ما منا احد يشاهدهم لانه ضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل
او معناه انك علمت بواطننا انا لم نعتقد الان فيك شريكا فالاعلام
بيان لحال او اذناك انشا فلا تقتضي سبق اعلام ويجوز ان يكون من كلام

المعبودين والضلال مجاز عن عدم النفع وفيه تفكيك الضمائر وظنوا ما لهم
من محيص ايقنوا ان لا مهرب والظن معلق بحرف النفي لا يسأم
الانسان من دعاء الخير من طلب الزيادة في المال والجاه وان
مسه الشر في بعض الاوقات فيؤس كثير الياس قنوط ظاهر
عليه اثاره فالاول فعل القلب والثاني للجوارح بولغ فيه بناء وتكريرا
وهذا شان الكافر ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن
هذا لي لاني كنت مستحقه ولا ارى في ذلك منة المنعم والاستلقاه بالشكر
عظم الرحمة بالشكر والوصف وحقر الضراء بلفظ المس وما اظن الساعة
قائمة اجلب له الاعتزار بذلك سوء الاعتقاد في المعاد ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى اي لو فرض ذلك ان لي عند الله الحالة
الحسنى فاث امر الاخرة على الدنيا فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
بعكس ما اعتقدوه ولنذيقنهم من عذاب غليظ مفرط في العظم وفق
جهلهم المفرط واذا انعمنا على الانسان اعرض عن شكر المنعم ونأى
بجانبه تكبر ولفظ الجانب مقحم اشارة الى تعاظمه كقول الكتاب
الجناب العالي والمجلس السامي او على اصله فانه عند الاعراض يثني
عطفه كقوله تولى بركنه وقرا ابن ذكوان عن ابن عامر ناء بتقديم الالف
على الهمزة مقلوب نأى او من ناء بمعنى نهض والقلب اولى ليوافق الاولى
في معنى البعد زائدا على الاعراض واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير
استعير مما له عرض وهو ابلغ من الطويل فانه اقصر الامتدادين فاذا كان
كذلك فالطول اولى وذكره اولا على شدة حرصه على الجمع وغاية جزعه على
الفقد وثانيا بطيشه المتولد عن الاستكبار عند وجود النعمة والاستكانة
عند فقدها لا في حالة السعة شاكر ولا في حال الفقد صابر مدمجا فيه الاشارة
الى غاية حماقته فان الياس والقنوط ينافيان الدعاء العريض وابن ادعاء
استحقاقه الحسنى عند الله من هذا بل هو كالغريق في المثل قل ارايتم ان كان
من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي اخبروني ان صح
ان القران من عند الله فلم تستمر على حجة في انكاره وقد كفرتم به من يكون
اغرق في الشقاق منكم واتيان ثم لبيان بعد الكفر بالقران والا فقد كذبوا به
لما جاءهم من غير تلعثم اورده على اسلوب كلام المنصف حثا على التامل
واستدراجا الى الاقرار ثم تمم بقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اي عن قريب نريهم ما يدل على ان القران
حق لا ريب فيه او الرسول او التوحيد بما تجري على يدي رسولنا ومن بعده

من الخلفاء وسائر الصحابة من الفتوح في مشارق الارض ومغاربها لاسيما في جزيرة
العرب ونواحيها وفي ذلك من الدلالة على قوة الاسلام واهله ووهن الباطل
وحزبه ما يحقق صدق قوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وبه يتبين
انه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد : يعلم الاشياء على ما هو عليه يستوي عنده كل غيب
وشهادة تحقيق لتلك الاراءة فانها نزلت والمؤمنون في غاية الضعف
والقلة كذا عن مجاهد والحسن والسدي وعن عطاء آيات الافاق والانفس
ما في اقطار السماء والارض وما في الانسان من بدايع الصنع ولطايف الحكم
والالتفات الى التكلم لزيادة الاختصاص تحقيقا لثبوت الاراءة ومعنى
يتبين لهم الحق اي الله ذاتا وصفة وقولا وفعلا هو الحق من كل وجه واذا تبين
لهم ذلك تبين حقيقة القران فانه كلامه ثم قيل اولم يكف ربك شهوده على كل
شيء فمنه يشهد الاشياء على التحقيق لانه استدلال بالمؤثر على الاثر على طريقة
البرهان اللمي وهو اقوى من الاستدلال بالاثر وفي اضافة الرب اليه اشارة
الى ان ذلك ليس للعقل فيه مدخل بل محض عناية كما اشير اليه جذبة من جذبات
الرحمن توازي عمل الثقلين : الا انهم في مرية من لقاء ربهم : لعدم ذلك الشهود
فهم في ظلمة متكاثفة : الا انه بكل شيء محيط : علما وقدرة فمنه شهده شهد
كل شيء تمت السورة والصلاة على من به دائرة الرسالة ونحمده وحده

سورة الشورى مكية وهي ثلث وخمسون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق : مقطعات للايقاظ او اسماء للسورة ولذلك فصل بينهما
او ليوافق سائر الحواميم : كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك
اي مثل المعاني التي في هذه السورة اوحى الله اليك في سائر السورة
اوحى الله اليك والى الرسل من قبلك في سائر الكتب اشتمالا لما في
التكرير من التقرير والتذكير والدلالة على انها امور مهمة وايثار المضارع
حكاية الحال الماضية لافادة الاستمرار وان ايحاء مثله حقيق به وقرأ ابن
كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره والله مرتفع بما دل عليه يوحى
كارتفاع رجال في يسبح بفتح الباء كانه قيل من الموحي فقيل يوحي الله
على ان قوله : العزيز الحكيم : وصفان له او يوقف على من قبلك ويقف
التمام والله مبتدا والاسمان بعده خبران او الاول خبر والثاني نعت
او كلاهما نعت والخبر لما بعدهما وايثار الوصفين للدلالة على انه غالب
على امره يختار من يشاء لرسالته حكيم في افعاله يوحي الى رسله بالعبادة
فيه خير الدارين : له ما في السموات وما في الارض : مالكهما وخالقهما : وهو العلي

شأنه

شأنه العظيم : سلطانه : تكاد السموات : وقرأ نافع والكسائي بكاد
بالياء والتاء تانيث اولى لعدم الفصل : يتفطرن : يتشققن وقرأ نافع وابن كثير
والكسائي وحفص يتفطرن بالتاء المفتوحة وتشديد الطاء من التفعل وهو اولى
لدلالة الصيغة على المبالغة الحقيقية بالمقام والانفطار ربما من عظمة الله تعالى
وكبريائه كما دل عليه العلي العظيم او من نسبة الولد لما يأتي من قوله ام اتخذوا من
دونه اولياء ولقوله في سورة مريم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
ان دعوا للرحمن ولدا والاول اولى بالمقام : من فوقهن : من جهة الفوق كالعرش
والكرسي دلالة على ان كل ما عظم وعلا من الكائنات اخضع لجلال جبروته او
من عالي سطوحهن فان الكلمة الفحوآ وهو اتخاذ الولد جاءت من تحتها
فحيث اثرت في جهة الفوق كان تاثيرها في جهة التحت من باب الاولى
والملائكة يسبحون بحمد ربهم : يداومون على تقديسه وتمجيده خاضعين لكبريائه جاهدين
عليها ولاجلها او يقدسونه عن اضافة الولد اليه حامدون له على عصمتهم عن موجبات
سخطه : ويستغفرون لمن في الارض : اي للمؤمنين لقوله ويستغفرون للذين
آمنوا او لاهل الارض قاطبة حرصا على نجاة الخلق بان لا يعاجلهم بالعذاب عسى ان
يتوب المسيء : الا ان الله هو الغفور الرحيم : حث على الاستغفار وان الناس
اولى بذلك من الملائكة ولذلك صدر الكلام بحرف التنبيه : والذين اتخذوا
من دونه اولياء : الله حفيظ عليهم : رقيب فيجازيهم على وفق اعمالهم : وما انت
عليهم بوكيل : بموكول اليه امرهم : وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا : ذلك
اشارة الى كونه رقيبا وحده وهذا المعنى مكرر في القران والكاف مفعول به وقرانا
عربيا حال منه او الى مصدر الايحاء اي مثل ذلك الايحاء اوحينا اليك
قرانا عربيا بلسانك تفهمه : لتنذر ام القرى : وهي مكة لان الارض دحيت
من تحتها فهي اصلها : ومن حولها : من العرب انذره وانذر به بمعنى : وتنذر يوم
الجمع : يوم القيمة لاجتماع الخلق فيه او الارواح والاجساد او العامل وعمله وافرده
بالذكر لعظم اهواله او ليوقع عليه لفظ الانذار صريحا : لا ريب فيه : اعتراض
لا محل له : فريق في الجنة وفريق في السعير : اي منهم فريق لدلالة الجمع عليه والمعنى
بعد الجمع والقضاء يتفرقون : ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة : في الهدى والضلال
ولكن يدخل من يشاء في رحمته : وهم المؤمنون بالتوفيق : والظالمون : المتخذون
من دونه وليا اي بالظاهر ليكون علة لقوله : ما لهم من ولي ولا نصير : او عام
فيدخلون دخولا اوليا وتغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد لان الكلام في الانذار
ام اتخذوا من دونه اولياء : انكار لاتخاذهم اولياء من دونه وما بين الاتخاذين
اعتراض : فالله هو الولي : جواب شرط مقدر اي ان ارادوا وليا بحق فالله

هو ذلك الحق ارشاد الى من يصلح بعد انكار من لا يصلح وفيه شد لعقد الانكار
وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وهذا شأنه حقيق بالولاية وما اختلفتم فيه
من شيء من امور الدين انتم والكفار حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحكمه الى الله مفوض اليه يثيب المحق ويعاقب المبطل او ما وقع بينكم ايها المؤمنون
من الخصومات فتحاكموا الى رسوله او ما اشتبه من الكتاب ردوه الى المحكم او
في المجتهدات لجواز الاجتهاد في زمانه وبحضرته دل عليه حكم الصديق في سلب
ابي قتادة [illegible] رواه البخاري من غير معارض ذلكم الله ربي عليه توكلت في
اموري واليه انيب في حل المعضلات فانتم اولى بذلك فاطر السموات
والارض خبر آخر او مبتدأ خبره جعل لكم من انفسكم من جنسكم ازواجا
نساء ومن الانعام ازواجا اناثا للتوالد والتناسل يذرؤكم يكثركم
الذرء والذر اخوان فيه اي في هذا التدبير والجعل الضمير لما دل عليه الفعل
وفي يذرؤكم تغليب العقلاء والخطاب ليس كمثله شيء نفي لمن يماثله على
طريق الكناية وذلك ان البرهان دل على نفي مثله فلو كان لمثله مثل كان مثلا له
وهذا اسلوب معروف بين البلغاء يقولون النعت لذاته وبلغت اترابه وفي المدح
بالجود مثلك لا يبخل ولا فرق بينه وبين قولك انت لا تبخل الا ما تعطيه الكناية
من المبالغة من وجهين اكد لالة على موجب عدم البخل واثباتي ادخاله في زمرة
من لا يبخل فهو اول على عدم البخل وقيل حرف التشبيه لما كيد والوجه ما تقدم وهو
السميع بكل المسموعات البصير بكل المبصرات تقرير لنفي المماثل له مقاليد
السموات والارض خزائنها او مفاتيحها تضمن ذكر سائر الصفات الذاتية
وافراد السمع والبصر لانهما اخص اوصاف المعبود من حيث انه معبود الا ترى
الى قول ابراهيم عليه السلام عند نصح ابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق في وقتين انه بكل شيء عليم
فيغني ويفقر على حسب علمه شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك
وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى تفصيل لما اوحي اليه والى الذين من قبله وهو اب
الالهيات والعقائد التي لا تتبدل لا الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ان اقيموا
الدين بدل من مفعول شرع او استئناف جواب ماذا شرع ولا تتفرقوا فيه
اي في هذا الاصل كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب الضمير لله والاجتباء والاصطفاء وتقدم على اجل
الاهتداء وان اتخذوا في التوحيد لشرفهم او للدين والاجتباء من
الجباية وهي الجمع لانه لما نهى عن التفرق وان ذلك شاق على
المشركين اردفه بان الله يجمع على دينه من يشاء بتوفيقه على رغم المشركين

والاول اعلى فائدة لدلالته على ان لله عبادا هم صفوته ولان الاجتباء في
الاصطفاء اظهر والثاني اوفق بالمقام وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
اي لم تتفرق الامم بعد موت الانبياء ما تخلى من لدن نوح عليه السلام الا بعد
علمهم ان الفرقة ضلال وفساد او وما تفرق ابناء الموحدين الا بعد العلم
من الانبياء بان التفرق ضلال لان الناس كانوا بعد الطوفان امة واحدة
مؤمنين فاختلفوا او ما تفرق اهل الكتاب الا بعد ما جاءهم العلم من المبعوث
المصدق لكتابهم آمن بعضهم وكفر آخرون بغيا بينهم ظلما بينهم
لطلب الدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى هي العدة الى يوم
الساعة لقضي بينهم باستئصال المبطل وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم اعقابهم الذين كانوا في عهده لفي شك منه من كتابهم ضموا
الى التفرق الشك في الكتاب الذي هو اصل دينهم وعلى الثالث هم
مشركوا مكة اورثوا القرآن فهم في شك منه مريب معلق فلذلك فادع
اي لاجل تشعب الكفر في الامم فادع الى الملة الحنيفية القديمة والاتفاق
عليها او اشارة الى مضمون شرع وما يتصل به اي لاجل ما شرعت مع
اولئك الرسل من الامر باقامة الدين والنهي عن التفرق فادع واستقم
كما امرت على الدعوة ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل
الله من كتاب اي كتاب انزله فانهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت
لاعدل بينكم ان تحاكمتم الي فالاول اشارة الى القوة النظرية وهذا الى
العملية الله ربنا وربكم لا اله غيره لنا اعمالنا نجازى بها ولكم اعمالكم
كذلك تجازون فانظروا لانفسكم لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج لان الحق
قد ظهر والمراد ترك المقاولة الله يجمع بيننا يوم القيامة واليه المصير
لا الى غيره والذين يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له
من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا او استجاب الله لرسوله بالنصر
والوعد باظهار دينه حجتهم داحضة عند ربهم ساقطة هم المشركون
الذين كانوا يصدون عن سبيل الله بان ما اتى به محمد عليه السلام شعرا
او سحرا وقيل هم اليهود كانوا يقرون بنبوته ويستفتحون به فلما جاءهم كفروا
فان قلت التقييد بقوله من بعد ما استجيب له يدل على ان قبل الاستجابة كانت حجتهم
داحضة قلت لا دلالة فيه بل انما ذكره اشارة الى فرط جهلهم اذ بعد ظهور تباشير
النصر وشروق شمس الحق لا وجه للانكار اذ الانكار بعد الاقرار حماقة نعم في
ذلك كان اتم وعليهم غضب واي غضب ولهم عذاب شديد ملايم
لشدة جهلهم الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان تهديد للكفار بعد ظهور

بالحق والميزان العدل والمعنى انه الذي انزل جنس الكتاب مشتملا على الحق وامركم
باقامة العدل بينكم وما يدريك لعل الساعة قريب فيفاجئكم اليوم الذي
يحاسبكم فيه فيوفي لكل ذي حق حقه ويطفف لمن طفف والساعة في تاويل البعث
ولذلك قيل قريب او على تقدير الجني يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها تهزؤا
منى هذا الوعد والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها عناية الخوف كيف وهو لا
يجعل لو لا ان شيئا ويعلمون انها الحق الذي لا مرية فيه يؤكد الاشفاق الا ان
الذين يمارون في الساعة يجادلون في وقوعها من المراء او من المرية فعال من
التمريس اذا استخرجت ما عنده من مجرى فان كلا من المناظرين يستخرج ما
قريحته ما يقدر عليه لفي ضلال بعيد عن الحق لا يوافق العقل والنقل على وقوعها
الله لطيف بعباده بليغ البر بهم ولذلك اخر العذاب عن منكر الساعة ثم تحقق
استحقاقهم واللطف ايصال نفع له موقع برفق يرزق من يشاء بما شاء فترتب
على الشاني ترتيب الانواع على الجنس فالحل الكل بخصيص بهما بنعمة وذلك باخرى
وهو القوي العزيز بليغ القدرة الغالب على ما اراد ولا شمل رزق الدارين قال
من كان يريد حرث الآخرة الحرث القاء البذر في الارض شبه به العمل الذي
يطلب به الثواب فان الدنيا مزرعة الآخرة نزد له في حرثه اي في ثواب عمله
بعشر امثالها الى ما شاء الله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا
منها وهو المقدر له اذ ليس كل ما يتمناه يدركه ولم يذكر ما للمؤمن من الدنيا لحقارة ولانه
ليس مرادا له بل وسيلة الى المراد كاثنا بالعرض وما له في الآخرة من نصيب اذ لم
يزرع لها شيئا ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله من الشرك
وانكار البعث وقصر النظر على حرث الدنيا والهمزة في ام للتقرير والتوبيخ اضراب عن
قوله شرع لكم من الدين وما في البين اعتراض تتميما للاول وتاخيرا للاضراب عنه ليدل
على ان ما شرعوه مخالف لشرع الله من كل وجه ولولا كلمة الفصل اي القضاء
السابق بتاجيل العذاب او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين
المؤمنين والكافرين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم
يوم القيمة وكل آت قريب ثم هول شانه بقوله ترى الظالمين في ذلك اليوم
مشفقين مما كسبوا من وباله وهو واقع بهم لا محالة اذ قد فات وقت
التلافي والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في انزه اماكن
الجنة واطيبها لهم ما يشاؤن عند ربهم نصب بالظرف لا بيشاؤن لفوات
غرض المبالغة لانك اذا قلت لك عند فلان ما شئت افادت لك ما طلبت
ثابتة عنده واذا قلت ما شئت عند فلان فهو ثابت لا يفيد حصول كل مطلوب
والآخر جعل خبرا آخر وانما اخر ترقيا من الادنى وذلك ان الوافد الكريم ينزل

اولا في انزه الاماكن ثم يقدم اليه الطعام اولا ثم يقربه رب المنزل ويجعله حالا بعد
هذا المعنى ايضا الا انه فضله ذلك هو الفضل الكبير اي يعطي المؤمن هو الذي
يصغر دونه كل فضل ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اي يبشر به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي يبشر الله عباده وقرا ابن
كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الياء واسكان الباء وضم الشين مخففا
والتشديد ابلغ قل لا اسألكم عليه اجرا على تبليغ الرسالة الا المودة في القربى
الا ان تودوني لقرابتي منكم وذلك انه لم يكن في قريش بطن الا كان لرسول الله
عليه السلام فيهم قرابة كذا روي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه لما سئل
عن تفسير القربى في الآية وقيل الا التقرب الى الله تعالى بالطاعة وقيل الاستثناء
منقطع والمعنى لا اسألكم عليه اجرا قط لكن اسألكم المودة في القربى حال
اي ثابتة متمكنة في حق القرابة وما روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من
هؤلاء الذين امر الله بمودتهم قال فاطمة وعلي وابناهما فحديث منكر لان الآية
مكية اتفاقا وعلي انما تزوج فاطمة بعد بدر وما رواه مسلم باسناده الى زيد بن
ارقم انه عليه السلام قال في خطبته اذكركم الله في اهل بيتي اني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ففيه كفاية في ايجاب حب
اهل بيته واجلال قدرهم وانا شارع على الارواح والمهج واذا كان الحب في الله
بين المؤمنين من الايمان فكيف بحب ذريته اللهم اني احبهم واحب من
يحبهم اللهم ايقني على محبتهم واحشرني في زمرتهم اللهم اشدد وطأتك على من
ناواهم وآذاهم ومن يقترف حسنة يكتسب طاعة وعن السدي
هي المودة في القربى والحق عمومها لكن تناولها اولى لاتصالها بها نزد له فيها حسنا
لمضاعفة ثوابها ان الله غفور لمن اذنب شكور مجازي عن اعتداده بالطاعة
ام يقولون افترى على الله كذبا اضراب ثان اعظم من الاول فان شرع الشركاء
لهم الدين وان كان شنيعا الا انه لا يبلغ محنته رتبة الافتراء على الله فعالى
من مدعي الرسالة والاستفهام للتوبيخ كانه قال ايقدرون على اجراء هذه
الكلمة على افواههم ولا يخافون ان تصيبهم قارعة من السماء فان يشا الله
يختم على قلبك فتكون منهم اشارة الى ان الفرية من الله تعالى شان من
كان مختوما على قلبه وفيه تعريض بهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استئناف
يؤكد مفهوم السابق اي كيف يكون افتراء وعادة الله القذف بالحق على
الباطل وازهاقه وما اتى به يزداد كل يوم فهو الحق الذي يؤيده بوحيه او
بقضائه وقيل هو عدة لرسول الله بالنصر ومحق ما جاؤا به بالقرآن فهو اعتراض
يؤكد كونهم مبطلين في نسبة الافتراء الى من هو اصدق الناس لهجة

جاء بالصدق حديث من اصدق متكلم وعن قتاده يختم على قلبك يقطع الوحي عنك
او يربط الصبر على قلبك حتى لا يشق عليك قولهم فيك. انه عليم بذات الصدور
مضمراتها فيجازيهم على ما اضمروا من نفوسهم وحسدهم اياك فضلا عما اظهروه. وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده لا عظم جرمهم ودعاهم الى التوبة اشارة الى ان الذنب
وان عظم فعفوه اعظم واضافتهم اليه ايذانا الى انهم لم يخرجوا بالذنب عن حوزته
ولم ينقطع بذلك العلاقة وحقيقة التوبة الاقلاع عن الذنب خوفا منه تعالى واما
الندم على الماضي والعزم على ان لا يعود فمن شرائطه. ويعفو عن السيئات لمن
يشاء صغيرها وكبيرها الا ما استثناه من الشرك. ويعلم ما تفعلون من خير وشر
وقرا حفص وحمزة والكسائي بتاء الخطاب التفاتا مقبلا عليهم ليكون ادعى لهم
الى الرجوع. ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب لهم بحذف
الصلة وايصال الفعل او دعاؤهم بحذف المضاف. ويزيدهم من فضله زيادة
على ما سالوه وقيل الاستجابة فعل المؤمنين حين دعاهم الى التوحيد وما يروى
من ابراهيم بن ادهم قدس سره انه قيل له ما لنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم
فلم تجيبوا ثم قرا والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا فيؤيده وهو من
قبيل كما تدين تدان ومن تقرب الي شبرا تقربت اليه باعا. ويزيدهم من فضله
على هذا معطوف على مقدر اي فيوفيهم اجورهم ويزيدهم. والكافرون لهم عذاب شديد
بدل ما للمؤمنين من النعيم. ولو بسط الله الرزق لعباده بان يفيض عليهم فوق
حاجتهم. لبغوا في الارض لافسدوا فيها بطرا واشرا فان الغنى مبطرة ماشرة
وكفى بحال قارون عبرة وفي الحديث والله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخاف
ان يبسط عليكم فتنافسوا فيها كما تنافس من قبلكم وفيه عنه تعالى ان من عبادي
من لا يصلح له الا الفقر والمراد البغي الذي يخل به النظام فلا يرد ان البغي كان
والحالة هذه. ولكن ينزل بقدر ما يشاء بتقدير حسب المشيئة واقتضته الحكمة
انه بعباده خبير بصير يعلم بواطنهم وظواهرهم فتقرر لهم ما يليق. وهو الذي ينزل الغيث
المطر النافع الذي يغيثهم وقرا نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد من بعد ما قنطوا
ايسوا لبعد العهد وعدم ظهور العلامات. وينشر رحمته بركات الغيث ومنافعه
او رحمته من سائر الوجوه فيمن شكى الى عمر قحط المطر فقال مطرتم وتلا الاية وهو
الولي الحميد المستحق لان يحمد. ومن اياته خلق السموات والارض فانها
الدالة على انه صانع حكيم. وما بث فيهما من دابة ما مرفوع او مجرور اي من اياته ما بث
وقيل نسبة الدابة الى السموات والارض مع اختصاصها بالارض تشبه اللؤلؤ الى
العذب والاجاج وكقولهم بنو فلان فعلوا كذا ولا داعي الى هذا الوجه لانه يجوز ان يكون
فيها حقيقة دل عليه حديث البراق ولبشر سبيل ومراكب اهل الجنة مهما كانت

اتون في السماء وهو من مفردات القرآن لبنا التسوية على بيان كمال الاقتدار وفي تغليبها
على العقلاء اشارة الى كثرة الانواع والاصناف وما يعلم جنود ربك الا هو. وهو على
جمعهم اذا يشاء قدير اي وقت اراد واذا يدخل على المضارع دخولها على الماضي كقوله
والليل اذا يغشى. وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم من المعاصي فذاك كفارة
لها ومن بعض العارفين اني اذا ارتكبت معصية اعرف ذلك من خلق دابتي وذكر
الايدي لتجوز لان اكثر الاعمال بها وقرا نافع وابن عامر بدون الفاء لان ما الموصولة
تتضمنها فيوتى بها تارة ويحذف اخرى خطا للمشتبه عن المشبه به مع ما يفيد به
اثبات من معنى السببية والنظم لا يدل على الحصر بما يصيب اهل العصمة كالانبياء و
الاطفال لرفع درجاتهم ودرجات ابائهم بالصبر. ويعفو عن كثير لا يؤاخذ به
وما عفى عنه فهو اكرم من ان يرجع عن عفوه ولذلك قال علي رضي الله عنه هي ارجى اية
وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم. وما لكم من دون الله من ولي يتولى
امركم. ولا نصير يدفع عنكم ما قضاه فلولا لطفه بكم لما عفى عن كثير. ومن اياته الجواري
في البحر من ايات كمال اقتداره السفن الجارية في البحر مسخرة تحت امره كالاعلام
كالجبال لقول الخنساء كانه علم في راسه نار. ان يشا يسكن الريح فيظللن
رواكد على ظهره اي فيصرن واقفات على ظهر البحر من ركد اذا سكن. ان في ذلك
المعترف لايات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن لانهما صفتاه حالتي الضراء
والسراء. او يوبقهن بما كسبوا يهلك السفن بسبب معاصيهم عطف على يسكن
الريح وايقاع الايباق عليها مع ان الغرض ايباق اهلها للدلالة على ان شؤم معاصيهم
قد سرى الى ملكهم الجمادات. ويعف عن كثير عطف على يوبقهن بمعنى ان يشا
يهلك بالريح العاصفة ناسا وينج اخرين وقيد الكثرة في مقام الانتقام
اشارة الى سبق رحمته. ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص
او عطف على مجموع الشرطية كانه قال يعترف باياتنا المتدبرون ويعلم المجادلون
فيها ما لهم من محيص او على ومن اياته الجواري وما بينهما اعتراض بما يدل على عنيده
المجادل فيها مع الاشارة الى اشتمال تلك الاية ايات وقرا نافع وابن عامر
بالنصب عطفا على تعليل مقدر نحو لينتقم منهم وكم مثله في القران نحو ولتجزى
كل نفس وقدر الزجاج ان ناصبة ولم يستحسن سيبويه تقدير ان بعد الواو
والفاء في مثل ان تاتني اتك واكرمك او فاكرمك لكونه عدولا عن الاصل بلا
فائدة. فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله من الثواب خير
افضل وابقى وادوم. للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون. عن علي رضي الله عنه
كان عند ابي بكر مال فتصدق به فلامه المسلمون فنزلت. والذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش عطف على للذين امنوا وكذا ما بعده اي الكبائر من

بها الجنس وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم اي الشرك لما روي عن ابن عباس رضي
او الجنس اولان فعيلا يقع موقع الجمع نحو جنس او تسكن رفيقا والجمع اظهر واذا
ما غضبوا هم يغفرون اي هم اخصاء بالغفران والتجاوز عن المسيئ اذ لا يغتال احلامهم
الغضب والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان دعا سائر العرب فلم يجيبوه وامرهم
شورى بينهم ذو شورى بمعنى التشاور وكانوا على ذلك قبل مقدم رسول الله
فلذلك عطف لا سيما على الفعلية وبالغ بجعل الامر نفس الشورى ومما رزقناهم
ينفقون اي يصرفه في وجوه البر والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي
هم مخصوصون بالانتصار وهو الاقتصار على قدر الاستحقاق دون غيرهم فانهم
يعتدون لا انهم ينتصرون ولا يغفرون لما تقدم وجزاء سيئة سيئة مثلها
والثانية سيئة لانها تسوء من تنزل به وقيل للازدواج وفيه اشارة
الى ان طريق الانتصار غير مأمون العثار لانه انما يحمد بشرط رعاية الاحتياط
وهي عسيرة ولذلك فرع عليه فمن عفى واصلح بالتجاوز عن خصمه واصلح
ما بينه وبينه فاجره على الله لا يقادر قدره انه لا يحب الظالمين فليحذر
المنتصر عن التجاوز لئلا يدخل في زمرة الظالمين فقد ارشد الى ايثار
الاحسن على ابلغ وجه ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل
لانه لو ترك الحسن لا عتب عليه بترك الافضل لا حالا ولا مآلا
انما السبيل على الذين يظلمون الناس ابتدا بظلمهم عليه ويبغون
في الارض بغير الحق يتكبرون ويفسدون اولئك لهم عذاب اليم على
بغيهم ولمن صبر وغفر لمن ظلمه ان ذلك لمن عزم الامور الامور المطلوبة
المرغوبة وهذا اذا لم يزد طغيان الظالم بالعفو عنه لما روي عن عروة بن
الزبير عن عائشة رضي الله تعالى عنها دخلت علي زينب وهي غضبى فاغلظت
الكلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبلت علي فاعرضت عنها حتى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دونك فانتصري فاقبلتها حتى جف ريقها
في فمها ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده يتولى امره عطف على اولئك
لهم عذاب اليم كنى به عن الظالم تسجيلا عليه بالضلال وما في البين اعتراض
يحذر عن الظلم وترى الظالمين لما رأوا العذاب يرونه والماضي لكونه
لازم التحقق والخطاب عام يقولون هل الى مرد من سبيل الى الدنيا
وتراهم يعرضون عليها على النار دل عليه العذاب خاشعين من الذل
متخضعين لما يحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي من بين اجفان
كالمصبور اذ نظر السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا

انفسهم

انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب يوم القيمة يتعلق بخسروا على ان
قول المؤمنين في الدنيا او بالقول على طريق التنازع بينه وبين خسروا
والاعمال انهم والعدول الى المنزل للتسجيل عليهم بكمال الخسران والقول كالرؤية
وان كان عاما الا انه اسند الى المؤمنين لانه حكم بالنجاة الا ان الظالمين
في عذاب مقيم دائم من كلام المؤمنين او تصديق من الله تعالى وما كان
لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى
او النجاة استجيبوا لربكم اذ لم يبق في البيان موضع اشتباه من قبل ان يأتي
يوم لا مرد له من الله صلة مرد اي بعدما قضى به لا يرده او يتعلق بيأتي اي اذا
اتى لا يقدر احد على رده ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير انكار يجدي في ذلك
بعد شهادة الجوارح عليهم فان اعرضوا بعد الدعاء عن الاستجابة فما ارسلناك
عليهم حفيظا رقيبا تحفظ احوالهم حتى تهلك على هدايتهم ان عليك الا البلاغ
وقد فعلت به قيام الآية وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها فرح بطر لا
استبشار بما تفضل به متلقيا اياه بالشكر وان تصبهم سيئة آفة في المال
او في البدن بما قدمت ايديهم تشئوم ما اكتسبوا من الكفر والمعاصي فان الانسان
كفور بالغ الكفران والمراد بالمجرم لا تقدم فاللام للعهد وانما وقع موقع
المضمر للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بالكفران مثل قوله ان الانسان لظلوم
كفار واشار اذا في الحسنة وان في السيئة لتحقق الحسنة وشيوعها وندرة
السيئة ووقوعها لله ملك السموات والارض فيذيق مارة الحسنة واخرى
السيئة كما يشاء بيده الآلاء والبلاء وفيه اشارة الى انه كان يجب عليه عند
اذاقة الرحمة الاستكانة شكرا لموليها لا البطر والاشر وعند اذاقة ضدها
الرجوع بالتوبة الى مبتليها لا الجزع والكفور يخلق ما يشاء احوال الكائنات من
الآلاء والبلاء ثم تبينه بامر مسلم لا مجادل فيه فقال يهب لمن يشاء اناثا
ويهب لمن يشاء الذكور ولما كان الكلام فيما لا يهواه الانسان ولم يكن
عندهم بلاء اعظم من الاناث وحديث واد البنات اصدق شاهد قدم
الاناث وحيث فات الذكور من رتبة التقدير بان عرف اشارة الى انه
الحاضر في خواطرهم اول كل حاضر ثم اعطي بعد انقضاء هذا الوطر كلا منهما حقه
بقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا ولم يعد لفظ المشيئة بركته من الاولين واعاد
في قوله ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له اصلا لانه قسيمهما انه عليم قدير
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء يشير الى انه كما خص من يشاء ما شاء من الاناث
والذكور كذلك تكليمه لخواص البشر اطوار على مقتضى المشيئة والظاهر الحصر

في الاحوال الثلثة واراد بالوحي ما يعم الالهام كام موسى والمنام كما لابراهيم عليه السلام
او من وراء حجاب كما يكلم موسى عليه السلام او يرسل رسولا ملكا كما اكثر احوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم او رسولا من البشر الى الامم وعم الرسل ووحيا وان
يرسل ومن وراء حجاب احوال من فاعل يكلمه او مفعول له او الثلثة موضوعة موضع
كلاما لان الوحي كلام خفي والارسال كلام على السنة الرسل او التقدير به في الثلثة
هذا وليس في الاية دليل نفي الرؤية ولا اثباتها فيها بل انها لو وقعت لم يكن في احد
الاحوال الثلثة وعليه يحمل الوصول اذ في مقام الشهود يرتفع حجاب المخاطبة
لكون البقاء فيه فناء وفي ايراده روعي اسلوب الترقي وقرا نافع او يرسل بالرفع
خبر مبتدا اي هو يرسل وكذا فيوحي انه علي متعال في ذاته وصفاته وافعاله
فلذلك كان كلامه على النعت المذكور حكيم يضع كل شيء موضعه وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا كما اعطيناك مراتب الكلام اوحينا اليك القران
الذي يحيى به القلوب الميتة بالجهل وقيل هو جبريل ارسل بالوحي ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان اي شرائعه وتفاصيله اذ كان اكمل المؤمنين
قبل النبوة وانما تعبدا بالاجتهاد او شرع او نفس الايمان فان الذي نفي
هو العلم به لا وجوده ولا تلازم بينهما ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
من عبادنا بالتوفيق وانك لتهدي الى صراط مستقيم لا عوج فيه صراط
الله شرعه الذي شرعه لك الذي له ما في السموات وما في الارض وهم
يكون هذا شانه صراطا اقوم السبل الا الى الله تصير الامور ويري كل جزاءه
تمت السورة الشورى والحمد لله في الاخرة والاولى سورة الزخرف مكية وعن
مقاتل الا قوله واسال من ارسلنا وهي تسع وثمانون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا
اقسم بالقران على انه جعله قرانا عربيا وهو من بدائع الايمان لتناسب الظاهر
وهي اشارة الى انه لا شيء اعلى منه فيقسم به ولا اهم من وصفه فيقسم عليه مثله قول
ابي تمام وثناياك انها اغريض والمبين الواضح لمن تدبره او الموضح طريق الهدى او ما
يحتاج اليه في الدين او باعجازه صدق الرسول به وجعل بمعنى صير معدى الى مفعولين
او خلق فالى واحد وقرانا عربيا حال وعلى الاول او فرق وانه لم يقع الكلام في كونه مخلوقا
بل في كونه واردا على اسلوب كلامهم ليدركوا اعجازه صدق الرسل به وجعل بمعنى صير معدى
الى مفعولين لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه في ام الكتاب في اللوح لانه اصل
الكتب منه تنقل وقرا حمزة والكسائي بكسر همزة ام لدينا لعلي شانه وشرف
او عال على سائر الكتب باعجازه او عن تطرق التحريف ووجوه الفساد اياه
حكيم ذو حكمة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران وفي ام الكتاب متعلق بهما واللام غير

مانعة

مانعة لاتساع الظروف ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم
الذكر صفحا عطف على مقدر اي انترككم فنذود عنكم انزال القران ونحيه مثل تنحية
حال الذكر تنحية بحال غرائب الابل وذودها كقول طرفة اضرب عنك الهموم
طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والمعنى انكار ان يكون الامر على خلاف
ما تقدم من انزال القران عربيا ليعقلوه وصفحا مصدر من غير لفظه او حال اي صافحين
او مفعول له او ظرف بمعنى الجانب اي ننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين
لان كنتم وقرا نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر شرطا لقصد التحقيق وان كان
العلم بكونهم مسرفين قطعيا كقول الاجير ان عملت لك فاعطني حقي وكم ارسلنا
من نبي في الاولين في الامم وما ياتيهم من نبي حكاية الحال الماضية ولانه علي
استمرارهم الا كانوا به يستهزءون فاهلكنا اشد منهم بطشا من المسرفين صرف
الخطاب عنهم بعد الانكار ومضى مثل الاولين قصتهم وحالهم نزل بهم من
الامر الغريب الذي ينبغي ان يسير مسير المثل وسينزل بهؤلاء مثله سنة الله في
الذين خلوا من قبل وقيل مضى سالف في القران ذكر قصتهم في مواضع ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الوصفان
وما بعدهما من الصفات من كلامه تعالى لقوله الذي جعل لكم الارض مهدا
ولقولهم خلقهن الله في مواضع والمعنى لينسبن خلقها الى الموصوف بهذه
الصفات كما اذا سالت من طلب رجلا باسمه العلم ليسبقه عنك كلاما
نسباه عنه التبليغ بمقتضى الحال على المدح وقيل هما من كلامهم وما بعده استيناف
الذي جعل لكم الارض مهادا فراشا وقرا الكوفيون مهدا اسم لما يمهد راجع الى
الاول وجعل لكم فيها سبلا طرقا تسلكونها لقضاء الاوطار او ما يوصلكم
بالتدبر فيها الى الصانع ووحدانيته لعلكم تهتدون لكي ترشدوا والذي نزل
من السماء ماء بقدر بمقدار وجدا اقتضته الحكمة لا افراط ولا تفريط فانشرنا به
بلدة ميتا غلبها اليبس فزادتها النضارة والنماء وتذكير ميتا باعتبار المكان
كذلك تخرجون من القبور اذ كل منهما نوع حياة وانما وسط بين الصفات اهتماما
لكونها الغرض المسوق له الكلام وليكون تمثيلا بالادلة واشارة الى ان [illegible]
السابق واللاحق كاف على جهالة دلالة وقرا حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء
والذي خلق الازواج كلها الاصناف بلا واسطة وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون يقال ركبت في الفلك وركب الانعام غلب المتعدي لقوته وتقديم الفلك
والانعام ما تركبون تركبونه يقال ركب في الفلك وركب الانعام
غلب المتعدي لقوته وتقديم الفلك لكونه اغرق في كونه نعمة لتستووا
على ظهوره ظهر المركوب والضمير لما باعتبار اللفظ ثم تذكروا نعمة ربكم

اذا استويتم عليه باللسان والقلب ولذلك اثره على الحمد والمراد مقابلة
تلك النعمة بالشكر وفي ثم اشارة الى انه لا يفوت وقته بالتراخي لو ذكر عند
الركوب ؞ وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ؞ مطيقين
لولا تسخيره واصله من القران وهو الجمع ومنه الاقتران لاجتماعهم في الزمان
والصفات عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله عليه السلام
اتى بدابة فلما اراد الركوب قال بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ثم ضحك فقلت مم تضحك يا رسول الله
قال تعجب الرب من عبده اذا قال رب اغفر لي فيقول علم عبدي ان له
ربا يغفر الذنوب ؞ وانا الى ربنا لمنقلبون ؞ بعد الموت تذكرة بسيره
الحقيقي وركوب الجنازة ولانها حالة اغترار والنفس في ذلك الوقت
شموخ فيذكرها الموت والرجوع اليه تعالى حافيا عاريا لا مركب له سوى العمل
الصالح هذا في ركوب الدابة ويقول عند ركوب السفينة بسم الله مجريها
ومرسيها ؞ وجعلوا له من عباده جزءا ؞ متصل بقوله ولئن سألتهم حال من
فاعل ليقولن اي بعد ذلك الاعتراف المنافي لهذا القول ارتكبوه ولم
يخشوا وصمة التهافت والتناقض وهو قولهم الملائكة بنات الله وعبر
بالجزء لان الولد بضعة من ابيه كقوله عليه السلام فاطمة بضعة مني وفيه
اشارة الى استحالة مقالتهم لان الواحد الحقيقي لا يعقل له جزء بوجه وقرا ابو بكر
باسكان الزاء وهما لغتان كالكفو والكفؤ ؞ ان الانسان لكفور مبين
ظاهر الكفران ؞ ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين ؞ انكار وتعجيب من
فرط جهالتهم حيث اثبتوا له اخس الصنفين ثم بين ذلك بقوله ؞ واذا بشر
احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ؞ بالبنات سماه مثلا لانه يبلغ في الشناعة الى
حد يجري بين الامثال ؞ ظل وجهه مسودا ؞ صار اسود غاية من شدة
الحياء ؞ وهو كظيم ؞ مملوء غيظا او كاظم على غيظه ؞ اومن ينشأ في الحلية وهو
في الخصام ؞ انكار آخر اشد من الاول لتشنيع حال ذلك الاخس والمعنى جعلوا له
من يربى في الزينة والحال انه لا يقدر على اقامة برهان عند الجدال والحجاج فالاول
اشارة الى ضعف بنيته والثاني الى نقصان العقل وقلما تصدت امراة الى محاجة
الا انقلبت بما هو عليها وقرا حمزة والكسائي وحفص ينشؤ بضم الياء وتشديد الشين
وهو اولى لدلالته على زيادة الاحتياج ؞ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
اي جعلوا عباده المكرمين والملأ الاعلى المقربين اناثا مع ان ادنى مخلوق يستنكف
من هذا القسم والغرض من ذكره على وجه الاعتراض الدلالة على ان ما هم عليه من اعتقاد
الولد مشتمل على ما هم عليه من تانيث الملائكة وانه مع عدم ملاحظة لنسبة الولد اليه في نفسه

كفر عظيم

كفر عظيم وتحقير لما عظمه الله تعالى وافتراء على سكان ملكوته وفي العباد اشارة
الى تكذيبهم وقرا نافع وابن عامر وابن كثير عند الرحمن كقوله الذي عند
ربك والمراد قربهم رتبة وهو ابلغ ذما ؞ اشهدوا خلقهم ؞ وذلك لم يكن
قط ولا دليل لهم عقلا ولا سبيل عندهم نقل فليس ذلك الا افتراء وقرا نافع
أؤشهدوا بزيادة همزة مضمومة مسهلة كالواو وسكون الشين و
لقالون عنه وجه آخر هو الفصل بينهما بالالف ؞ ستكتب شهادتهم ؞ على
الملائكة اي كتبت لا محالة والسين للتوكيد ؞ ويسألون ؞ سؤال تقريع
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ؞ قالوه استهزاء ولو قالوه جادين
لكانوا مؤمنين لما تقرر ان لا كائن دون مشيئته هذا والحق انهم لم يكفروا
بمجرد قولهم ان الكفر بمشيئته تعالى بل لقولهم انه اذ شاء ذلك لا يجوز نهيه الامر
بالايمان وذلك جهلهم بقوله ؞ ما لهم بذلك من علم ؞ لاعتقادهم عدم الانفكاك
بين الامر والارادة مع تحققه ؞ ان هم الا يخرصون ؞ يكذبون ويجوز ان يكون
اشارة الى جميع ما سبق من قوله وجعلوا له من عباده جزءا والاول اقرب
عرفا والتعقيب كل بانكار مستقل ولطابقته ما في الانعام ؞ ام اتيناهم
كتابا من قبله ؞ ابطال لطريق النقل في ذلك بعد ابطال طريق العقل ؞ فهم به
مستمسكون ؞ معتصمون لا يقدرون على تركه ؞ بل قالوا انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على آثارهم مهتدون ؞ اي ليس لهم في ذلك دليل عقلا ونقلا بل مبني
امرهم على تقليد آبائهم الضالين والامة الطريقة التي تقصد من الام كالرحلة
لمن يرحل اليه ثم اشار الى ان هذا الضلال طريقة امثالهم في تكذيب الرسل بقوله
وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على آثارهم مقتدون ؞ وفي ذكر المترفين دون غيرهم اشارة الى ان
التنعم يوجب البطالة وعدم النظر في العواقب او لان غيرهم اتباع لهم
بقوله صلى الله عليه وسلم لهرقل فان توليت فعليك اثم الاريسيين ؞ قل اولو
جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم ؞ اي اتقتدون بهم ولو جئتكم بما هو اهدى
من دين آبائكم وهذا على زعمهم اذ لا هداية من آبائهم والمخاطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او النذير ويؤيده قراءة ابن عامر وحفص قال ؞ قالوا انا بما ارسلتم
به كافرون ؞ كناية عن الثبات على دين آبائهم واشارة الى ان مقصودهم
غير حاصل ولو انتقلوا من دين آبائهم لانهم كافرون بما ارسلوا به ؞ فانتقمنا
منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ؞ فتامل وتسل فانك سترى مثله فيمن
كذبك ؞ واذ قال ابراهيم لابيه وقومه ؞ اي اذكر لقومك وقت قوله لاعزة
انني براء مما تعبدون ؞ من الاصنام كيف ترك التقليد وتبرأ منه وهم يفتخرون

بان سماه الله جهلا اتبعوه وحسب انهم لا يرجعون عن تقليد الآبا فكان تقليد الاب الافضل
الاعلم اولى واحق وبرآء كسماع مصدر وصف به الا الذي فطرني استثنا منقطع
او متصل لشمول المعبود الحق والباطل ويجوز ان يكون بدلا لان معنى قوله انني برآء
مما تعبدون لا اعبد ما تعبدون فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او يزيدني
وجعلها كلمة باقية في عقبه اي كلمة التوحيد كقوله ووصى بها ابراهيم بنيه الذرية
لعلهم يرجعون يرجع المشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء
وآباءهم بطول العمر والرزق والعافية فاشتغلوا به عن التوحيد والنظر في
حتى جاءهم الحق ورسول مبين واضح الرسالة بالمعجزات ولما جاءهم الحق
اي القرآن قالوا هذا سحر وانا به كافرون اي لما جاءهم الرسول بالحق
لينبههم عن سنة الغفلة ويزجرهم عن الانهماك في اللذات عكسوا فجعلوا
ما هو سبب للتنصل موجبا للتوغل فضموا الى الشرك والغفلة هذه القبائح
بعد مجيء ما يقلعه عن اصله وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم باب آخر من كفرهم اخذوا في التحكم والاعتراض على العلام الخبير كانوا
ينكرون ان يكون الرسل من البشر فلما تكرر عليهم الحجج قاسوا امر النبوة
على خطوط الدنيا اي لو كان الامر كذلك كان الاليق بهذه الرتبة رجل من
مكة او من طائف ذو مال ووجاهة قيل ارادوا الوليد بن المغيرة وعروة
ابن مسعود الثقفي وقيل الوليد وحبيب بن عمرو الثقفي وقيل عتبة بن ربيعة
وابن عبد ياليل وعن ابن عباس رضي الله عنه جبار من جبابرة قريش وهذا
اظهر اهم يقسمون رحمة ربك وهي النبوة انكار وتعجيب من تحكمهم نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ما يعيشون به ويتمتعون ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات في المال والجاه والقوة والضعف فمنهم الموالي ومنهم الخدم
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يسخره في اشتغاله ويستعمله في خدمته واعماله حتى يتم انتظام
ويحصل بينهم التآلف والانضمام واذا كانوا عن تدبير المنزل عاجزين اين هم من
تدبير الدارين واختيار من يكون واسطة بين الله وبين عباده ورحمة ربك
النبوة والدين خير مما يجمعون من حطام الفاني ثم حقر شان ما هم فيه من الدنيا
وزخارفها بقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة في الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج جمع معرج وهي المصاعد عليها يظهرون اي
العلالي والسطوح وانما انتفى الثاني لوجود الاول وهو كراهة اجتماع الكل
على ملة الكفر المنافي للحكمة لبيوتهم بدل اشتمال وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا
السين مفردا لدلالة جمع البيوت ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون
ترقيها وزخرفا اي ولجعلنا لهم زخرفا زينة من الذهب في كل شيء من الاواني

والآلات ويجوز عطفه على محل من فضة اي بعضها ذهبا والغرض تحقير زهرة الدنيا
وفي معناه قوله عليه السلام لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة
ما سقى منها كافرا شربة ماء وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا شيء يتمتع
ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ حمزة وعاصم وهشام بخلاف عنه لما
بتشديد الميم بمعنى الا وان نافية والآخرة عند ربك للمتقين الكفر والمعاصي
ومن يعش عن ذكر الرحمن يقال عشي الرجل اذا صار لا يبصر بالليل دون
النهار فهو اعشى واذا نظر نظر الاعشى ولم يكن به آفة يقال عشا يعشو نقيض
له شيطانا نزين له المعاصي ويوسوس اليه فهو له قرين مصاحب
ملازم وانهم اي الشياطين ليصدونهم عن السبيل الطريق الموصل
الى الله تعالى وجمع الضمير لارادة الجنس لقوله وقيضنا لهم قرناء ويحسبون
انهم مهتدون باتباع الشياطين كذلك يضل الله من يشاء حتى اذا
جاءنا الغاشي وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وابو بكر بلفظ المثنى جاءنا اي
للفعل الى القرينين والاول اولى لان الآتي قصته اي العاشي بدليل قال
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين القائل هو العاشي والمعنى بعد المشرق
من المغرب لانه غاية البعد لا بعد ما من شيء آخر فاقتصر لامن اللبس فغلب
الاشرف فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب
مشتركون اي لا ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في محنة اشتراكهم
تحمل الاعباء وتقسيم العناء لان لكل منكم قد حمل ما لا يبلغه طاقته او لا ينفعكم هذا التمني
لان حقكم ان تشتركوا في العذاب كما اشتركتم في سببه وانكم تعليل وليس لكم ما يجده
المكروب من الترويح والتأسي اذا راى من شاركه في العذاب كقول الخنساء اعزي
النفس عنه بالتأسي واذ بدل من اليوم بتقدير ماض اي تبين افانت تسمع
او تهدي العمي انكار وتعجيب من ان يكون له القدرة على ذلك فانه من خواص
مقام الربوبية وفيه مدح له حيث بالغ في تحصيل هدايتهم الى ان بلغ هذا الحد
شبههم بالوحشي نظرا الى البداية وحكم بالصمم والعمى بعد التمرن ومن كان في ضلال
مبين مستغرق فيه لا يرجى خلاصه عطف على العمي باعتبار الوصف وفيه
اشارة الى ان ذلك الاستغراق هو علة العمى والصمم فاما نذهبن بك قبل
نصرك واهلاكهم فانا منهم منتقمون اشد انتقام في الآخرة لا محالة او نرينك
الذي وعدناهم او ننجز في حياتك العذاب الموعود لهم فانا عليهم مقتدرون
لانهم تحت ملكتنا لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي اليك سواء عجلنا
لك الظفر او اخرنا لا تضجر وتمسك بما اوحي اليك وتصلب على الحق كما
تصلبوا هم على الباطل انك على صراط مستقيم استئناف في موضع التعليل

وانه لذكر لك ولقومك: اي القرآن مع كونه هاديا الى سبيل السعادة شرف
لك ولقومك في الدنيا. وسوف تسألون: عن معاملتكم اياه وهل وفيتم بحقه
واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا: كان انكارهم عليه انه نهى عن عبادة
الاوثان اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب فاستشهد عليهم باجماع
الرسل على التوحيد وانه شرع قديم والمراد سؤال اتباعهم الذين آمنوا كقوله تعالى
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون: هل اذنا بذلك في ملة من الملل. ولقد
ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب
العالمين: كما قلت فكذبوه كما كذبوك واتخذوا بما اوتوا من زهرة الدنيا كما
افتخرت قريش. فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون: اي فاجاؤا وقت مجيئها
الضحك من غير تامل ليظهر لهم الصدق من الكذب ولذلك لم يصفها بالبينات
لان فائدة ذلك انما يظهر لمن تدبر. وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها: الا
الآية ما يكون مثلها ولما كان في سياق النفي افاد ان كل واحدة اكبر من البواقي
اذا نظر اليها فردا فردا منفصلا وان لوحظ الكل يتوقف كقوله الاغاربة في بنيها
الكملة وقول الحماسي من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري
بها الساري والمعنى ان الكل موصوفات بالكبر لا تفاوت بينها في افادة المقصود
على التمام. واخذناهم بالعذاب: الطوفان وما عداه جملة لانه بصدد بيان كفرهم
لا ببيانه. لعلهم يرجعون: لكي يرجعوا. وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد
عندك: من النبوة او من استجابة دعائك او كشف العذاب عمن آمن بك
او بما عهد اليك من الايمان والطاعة فوفيت. اننا لمهتدون: لاننا في هذا
نسميه ايا ساحرا لانهم لفرط حيرتهم سبق لسانهم الى ما تعودوه او لان السحر
كان عندهم فضيلة يسمون العالم الماهر ساحرا وقيل كان هذا من جفائهم وقيل
قولهم اننا لمهتدون وعد منوي فيه الاخلاف فلذلك سموه ساحرا وكلاهما بعيد
او حالة التضرع تنافي اظهار الاخلاف والحمق. فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم
ينكثون: فاجاؤا نكث عهدهم. ونادى فرعون في قومه: لاجتماعهم او امر بان ينادي
في المجلس او الاسواق والاسناد مجاز. يا قوم اليس لي ملك مصر: نفسر للنداء
وهذه الانهار تجري من تحتي: تحت امري او قصري او بين يدي في جناني وجداولي
والواو اما عاطفة للانهار على الملك فتجري حال منها او وهذه الانهار مبتدا موصوف
وتجري هو الخبر. افلا تبصرون. ام انا خير: ام متصلة وذلك انه لما قدم ذكر
اسباب التقدم عقبه بافلا تبصرون اشارة الى انه من الوضوح بحيث
لا يخفى على ذي بصر ثم وضع ام انا خير مكان ام تبصرون دلالة على ان هذا

الشئ هو الواقع كانه يحكيه على انهم وقيل هو من اقامة المسبب مكان
السبب لان تلك الاسباب بسبب ان يقال فيه انت خير وقيل لان علمهم
بانه خير يستفاد من الابصار. من هذا الذي هو مهين: يريد موسى عليه السلام
من المهانة وهي القلة. ولا يكاد يبين: لا يقرب من بيان المقصود [illegible]
لما كان به من الرتة. فلولا القي عليه اسورة من ذهب: كناية عن اسباب
الملك فانهم كانوا اذا ملكوا رجلا سوروه وطوقوه وقرا حفص اسورة
جمع سوار وقراءة القوم اساورة جمع الجمع او حق الهاء المعنى على الكثرة
او جاء معه الملائكة مقترنين: مقرونين به يعينونه ويصدقونه. فاستخف
قومه: استخف احلامهم واستنزل عقولهم فاطاعوه. وعن الرشيد لما تلى
اليس لي ملك مصر قال لاولينها اخس عبيدي فولاها خصيبا وكان على وضوئه
وعن عبد الله بن طاهر لما ولي مصر سار اليها فلما اشرف عليها قال هذه
القرية التي ادعى فرعون الربوبية بملكها والله لهي اقل عندي من ان ادخلها
فثنى عنان فرسه. انهم كانوا قوما فاسقين: ولذلك اطاعوا ذلك الفاسق
فلما آسفونا: اغضبونا من الاسف وهو شدة الغضب. انتقمنا
منهم: اردنا الانتقام. فاغرقناهم اجمعين: التابع والمتبوع. فجعلناهم
سلفا ومثلا للآخرين: قدوة في العذاب لمن عمل مثل عملهم وحديثا عجيبا
يضرب به المثل كما ترى في الالسنة اطلاق فرعون على كل جبار مسرف
وقرا حمزة والكسائي سلفا بضم السين واللام جمع سلف كاسد واسد
او سليف كرغيف ورغف او سالف كصابر وصبر. ولما ضرب ابن مريم
مثلا: باب آخر من كفر قريش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلا عليهم قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعرى
اخاصة لنا ولآلهتنا يا محمد ام عامة فيمن عبد من دون الله قال بل عامة فقال
خصمتك ورب الكعبة عبدت الملائكة والمسيح فسكت رسول الله عليه السلام
حتى نزل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقيل
لما سمعوا ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب فقالوا ان النصارى
وهم اهل الكتاب قد عبدوا من هو مخلوق من تراب ونحن عبدنا الملائكة
وقيل لما سمعوا ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا يريد محمد ان نعبده
كما عبد عيسى وليس بظاهر وفيه ايضا وقيل لما انكر عليهم عبادة
الملائكة فقالوا لم نفعل بدعا فان النصارى ايضا قد عبدوا عيسى والمعاني
الغريبة والحجج البديعة تسمى امثالا لانها تسير مسيرها. اذا قومك
منه يصدون: يضحكون من الصديد وهي الجلبة واللغط في الكلام وقرا نافع

وابن عامر والكسائي بضم الصاد وهو الاعراض والاول ابلغ وعن الفراء هما لغتان
وقالوا أآلهتنا خير ام هو: اي عيسى او محمد: ما ضربوه لك الا جدلا: لاجل الجدل او مجادلين
ابطال لقولهم اجمالا اشارة الى ان قالوه لم يكن اعتقادا بل عنادا اذ لا يقول عاقل ان عيسى
والملائكة في النار ذو مسكة لكن التعصب يغطي على الابصار والبصائر: بل هم قوم
خصمون: لد شداد في الخصام: ان هو الا عبد انعمنا عليه: بالرسالة رد لما اوهمه
النصارى وما فرطه اليهود: وجعلناه مثلا لبني اسرائيل: شأنه بديعا اشارة الى جم
افتتان النصارى واليهود فيه: ولو نشاء لجعلنا منكم: ولدنا من الانس ملائكة
في الارض يخلفون: كما يخلفكم اولادكم تذييل له لانه على كمال اقتداره واشارة الى
بعد المسيح عن ذلك الافراط والتفريط: وانه لعلم للساعة: شرط من اشراطها يعلم
دنوها روى البخاري مرفوعا يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا يكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام او لانه كان يحيي الموتى
فدل على جواز البعث: فلا تمترن بها: فلا تشكوا جاحدين بها: واتبعون
هداي او رسولي او قل واتبعون فلا يحتاج الى التقدير: هذا صراط مستقيم اشارة
الى ما ذكره من الجواب وبيان شأن المسيح: ولا يصدنكم الشيطان: عن اتباعي
انه لكم عدو مبين: ظاهر العداوة من لدن آدم عليه السلام والبغض والحب
يتوارثان: ولما جاء عيسى بالبينات: المعجزات الواضحات او الاحكام الجلية
قال قد جئتكم بالحكمة: الانجيل او الشريعة: ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه
ما يتعلق بامر الدين عطف على مقدر اي لادعوكم الى الله تعالى: فاتقوا الله واطيعون
فيما امركم به: ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه: وحده واتيان ضمير الفصل هنا
دون غيره لان الكلام في كونه عبد من دون الله فكان المقام جديرا بالتاكيد
هذا صراط مستقيم: من كلامه عليه السلام او من كلامه تعالى تنبيها عليه ودلالة على
ما يقتضي اتباعه: فاختلف الاحزاب من بينهم: الذين تحزبوا بعد عيسى عليه السلام
وهم الملكانية واليعاقبة والنسطورية وقيل اليهود والنصارى المتغيرين من خاطبه
عيسى عليه السلام: فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم: وعيد للاحزاب بعد الجواب
عن شبهتهم بشارة الى ان حال عيسى عليه السلام مع من ارسل اليهم مثل حالك ودعاهم
الى الله تعالى فاختلفوا فيه كما اختلف فيك قريش ثم هددهم بقوله: هل ينظرون
الا الساعة: اي لا ينتظرون شيئا سواها لقيام البراهين وانزياح الشبه
ان تأتيهم بغتة: بدل من الساعة: وهم لا يشعرون: غافلون في اشغالهم قيد
بالاتيان لجواز اجتماع البغتة والشعور: الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين: شرع بعد ترهيبهم بمجيء الساعة ببيان بعض احوالها والمعنى ان في ذلك
اليوم تنقطع المحبات وتنقلب عداوة ويلعن بعضهم بعضا الا محبة المتقين الذين

اتقوا الله واتقوا ان يشوب خلتهم غرض غير الهي فان ذلك باق لانه من اوثق عرى
الايمان: يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون: حكاية لما ينادي به المتقون
المتحابون في الله وعن معتمر بن سليمان اذا كان يوم القيامة ينادي بها فيرجوها
كل احد ثم يتبعها: والذين آمنوا بآياتنا: فييأس غير المؤمنين فالعام مخصوص
اما بآياتنا بالسابق او باللاحق والاول اوفق: وكانوا مسلمين: مخلصين حال من الواو
ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون: تسرون من الحبار وهو الاثر او تنعمون
من الحبرة وهي المبالغة فيما وصف به بجميل: يطاف عليهم بصحاف من ذهب
اواني اي كل مع صحفة قصعة تشبع خمسة: واكواب: جمع كوب كوز لا
عروة لها مع ما يتعارفه اهل السكر من السراحيات: وفيها ما تشتهيه الانفس
وتلذ الاعين: اي يتوافق فيه العين والقلب وهو الغاية والعين رائد القلب
وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر ومدرك سائر
الف عز ادرج في مدرك القلب: وانتم فيها خالدون: هذا رأس النعم بل النعمة بدونه
قال لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم: وتلك الجنة
التي اورثتموها بما كنتم تعملون: اي الموصوفة هي الجنة التي اورثتموها جزاء لعملكم والتعبير بالارث
مبالغة لان ملك الارث لازم لا يمكن رده وقيل لان المؤمن يرث ما كان معدا
للكافر لو آمن لقوله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وكتب له مقعد من الجنة ومقعد
من النار: لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون: من الفاكهة ما تأكلون لا من غيرها اذ الاكل
اهل الجنة لا يكون الا تفكها وقيل من تبعيضية لانهم لا يأكلون الا بعضها: ان المجرمين
في عذاب جهنم خالدون: اردف الوعد بالوعيد على الدأب المستمر والمراد الكاملون
في الاجرام: لا يفتر عنهم: لا يخفف من عذابها من فترت الحمى سكن حرها قليلا من قال
يتمادون غلا بالموت فقد كذب القرآن: وهم فيه: في العذاب: مبلسون: اي
آيسون: وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين: بتعريضها للسخط: ونادوا
يا مالك ليقض علينا ربك: بالموت لنستريح ولا ينافيه الابلاس لاختلاف
الاوقات ولانه تطاير اولشدة ما بهم لا يدرون ما يقولون كما ترى الواقع
في شدة تناقض كلامه معترفا بذلك: قال انكم ماكثون: اقام المكث مقام
الخلود للاشعار بالانقطاع تهكما والقائل هو الله تعالى بقوله: لقد جئناكم
بالحق: اي بالارسال او انزال الكتب: ولكن اكثركم للحق كارهون: لما فيه من
ترك الترؤس ومفارقة الالوف واحتمال اعباء التكاليف روي
ان الاخنس اراد القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه احد المشركين فقال له
تقال يأمر وينهى فقال عما ذا ينهى قال ينهى عن كذا وكذا حتى بلغ الخمر فقال
ان للنفس فيه للذة اقضي منه الوطر هذا العام واقدم في القابل فمات

قبل تمام السنة أم أبرموا أمرًا أحكموا وأتقنوا تهلكهم بهم بإتمام ما هم فيه من أنواع المكر
وما يختزعونه من الحيل رغمًا على الآيات فإنا مبرمون تدبيرًا لمجازاتهم أم يحسبون أنا
لا نسمع سرهم ما في أنفسهم قبل التكلم به ونجواهم وتناجيهم في شأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلى نسمع ورسلنا لديهم ملازمون يكتبون كل حركة وسكون
ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين
إن صح ببرهان أن له ولدًا فأنا أول من يعظم ذلك الولد وهذا على الفرض
لغرض المبالغة في نفي الولد تعليقًا بالمحال وقيل أول الجاحدين بقولكم الموحدين
لله بحج وقيل أول الآنفين من عبد بالكسر استنكف واشتد أنفه وقيل إن نافية
أي ما كان له ولد ويؤيده ما روي أنه لما نزلت فقال النضر قد صدقني الله تعالى
فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد ثم نزه
ذاته المقدسة بقوله سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون
أي من هذا شأنه كيف يكون جسمًا يتولد منه أجزاؤه إن هذه الأجسام لما كانت
أصولا ذات استمرار تنزهت عن التوالد فكيف بمبدعها الذي ليس كمثله
شيء فذرهم يخوضوا في أباطيلهم ويلعبوا في دينهم ودنياهم كالصبيان
والبله الذين لم يجر عليهم القلم وفيه إشارة إلى أنهم أهل الطبع حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون يوم جزائهم وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله أي
المعبود فيهما ولذلك صح تعلق في السماء وفي الأرض به والعائد محذوف
لطول الصلة وزاده طولا أن المعطوف داخل في حيز الصلة ويجوز أن يكون
في السماء صلة الذي وإله خبر مبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه
في السماء والإلهية لا بمعنى الاستقرار وهو الحكيم في الصنعة العليم كامل العلم
وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة أي
مختص به متصل بقوله حتى يلاقوا يومهم مسوق للوعيد وإليه ترجعون وقرأ ابن
كثير وحمزة والكسائي بياء الغيبة على سنن السابق والخطاب على الالتفات
أشد تهويلا ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق
بالتوحيد استثناء متصل إن أريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لشموله
الملائكة وإن خص بالأصنام فمنقطع وهم يعلمون ما يشهدون به عن يقين
مخلصين ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله لا يقدرون على غيره فقدم المسئول
عن الآفاق ثم عن أنفسهم وذكر الجواب منهم متحدًا ثم تعجب من حالهم بقوله
فأنى يؤفكون يصرفون عن التوحيد بعد هذا الإقرار وقيله يا رب الضمير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم القيل والقال والقول مصادر بمعنى وجره عاصم
وحمزة عطفًا على الساعة أي عنده علم قيله ونصبه الباقون عطفًا على محل

الساعة

الساعة وأثره الزجاج ولا يقدح وجود الفاصل للاتصال معنى وارتباط اللاحق
بالسابق أو مفعول مطلق أو عطف على سرهم ونجواهم أو النصب على
حذف حرف القسم والجر على إضماره وإن هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه
والإقسام بقوله تعظيم لجنابه فاصفح عنهم أعرض عن إبائهم وقل
سلام متاركة لا تحية فسوف يعلمون عاقبة أمرهم تسلية له ووعيد لهم
وقرأ نافع وابن عامر بالخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أوفق
لعدم الفصل وأشفى للعليل وأنكى للخصم تمت السورة والحمد لله وحده والصلاة
على نبيه الكرام تمت سورة الدخان مكية وهي خمس أو سبع أو تسع وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين الواو للقسم إن جعلت
حم تعدادًا أو اسم السورة خبر مبتدأ محذوف وللعطف إن جعل حم مقسمًا به
إنا أنزلناه في ليلة مباركة جواب القسم وهي ليلة القدر لقوله إنا أنزلناه في
ليلة القدر ولقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وكونها في رمضان كأنه
بتواتر وكونها مباركة لكثرة منافع الدين والدنيا فيها وكفى بإنزال القرآن فيها
بركة وقيل هي ليلة النصف من شعبان وليس له دليل سوى حديث مرسل
ومعنى إنزاله فيها إنزاله إلى السماء الدنيا جملة كما تقدم في شهر رمضان الذي أنزل
فيه القرآن إنا كنا منذرين مستأنف لتعليل الإنزال أي أنزلناه لأن شأننا
الإنذار والتحذير فيها يفرق كل أمر حكيم جواب عن تخصيص الإنزال بتلك
الليلة كأنه قال هي جديرة بذلك لأن الله تعالى أثرها بفصل كل أمر محكم لا يبدل من
الأرزاق والآجال وغيرها من شئون الكائنات الحالية فيدفع نسخة الأرزاق
وإيصالها إلى ميكائيل ونسخة الحروب وما يلائمها من الزلزال والصواعق إلى جبريل
ونسخة الموت والمصائب إلى ملك الموت ونسخة الأعمال إلى إسمعيل صاحب
سماء الدنيا أمرًا من عندنا نصب على الاختصاص وما فيه من التنكير والتوصيف
ذو اختصاص يزيد فخامة الأمر الحكيم والمعنى أمرًا كائنًا من لدنا كما اقتضاه
تدبيرنا ويجوز نصبه على المصدر لأن يفرق بمعنى يؤمر كأنه قيل يؤمر فيها بكل شأن
على وجه الحكمة أمرًا وأن يكون حالا من فاعل أنزلناه أو مفعوله والفاصل بين الحال
وصاحبه ليس بأجنبي إنا كنا مرسلين بدل من إنا كنا منذرين أي إنا أنزلناه
لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب رحمة من ربك أي لأجل الرحمة على العباد
وإبراز لفظ الرب للدلالة على أن مقام الربوبية اقتضت ذلك لأنه من أجل
أنواع النعم وإفراده بالخطاب إشارة إلى أن كونه ربك وإرسالك رحمة للعالمين
اقتضى إرسال الرحمة أو علة ليفرق أو أمرًا ورحمة مفعول به والمعنى في تلك
الليلة تفصل كل أمر أو تصدر الأوامر من لدنا لأن من شأننا أن نرسل الرحمة

ولا يستقيم ان يكون على هذا مفعولا له انه هو السميع لاقوال عباده العليم بحالهم
وهما يحملان الربوبية رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
في قولكم حين تسألون من خلق السموات والارض الله وكانه دليل على ان لا نزال
للرحمة وان المنزل في غاية الشرف لانه كلام من هذا شانه وقرأ الكوفيون
رب بالجر بدلا من ربك او صفة والباقون رفعا بدلا من السميع العليم او صفة
وهو المختار لعدم الحرف والفصل لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب اباءكم
الاولين والنعمة على الاصل اقبال على الفرع بل هم في شك يلعبون رد لكونهم اذا
منزلة ان لكن ثم يتجل عليهم بالشك قطعا لانهم وان اقروا لم يكن اقرارهم
عن علم ولذلك لحدوا اثر صفاته واشركوا به ولما لم ينتفعوا بالمنزل عليه وقابلوا
النعمة بالكفران اردفه بقوله فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ولانه
على انهم اهل السخط والخذلان لا اهل الرحمة والغفران عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان قريشا ابطأت عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين كسني
يوسف فاصابتهم السنة حتى اكلوا الجيف وكان الرجل ينظر الى السماء
ويرى شبه الدخان من غاية الجوع ثم قال مضى خمسة الدخان والروم
والقمر والبطشة واللزام وقيل الدخان مرتقب بعد لما روى حذيفة
ابن اسيد الغفاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة
حتى تروا عشر آيات قبلها فعد منها الدخان يمكث اربعين يوما يملأ ما بين
المشرق والمغرب اما المؤمن فيأخذه كهيئة الزكام واما الكافر فكهيئة
السكران ولا تنافي لجواز الامرين الا ان السياق يقوى ما رواه ابن مسعود
اشد ملاءمة يغشى الناس يحيط بهم هذا عذاب اليم ربنا اكشف
عنا العذاب مقدر بقول وقع حالا انا مؤمنون وعد بالايمان على
تقدير الكشف انى لهم الذكرى بكشف العذاب وقد جاءهم رسول
مبين واضح الشان باهر البرهان ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون
اعرضوا عنه ولم يكتفوا بالاعراض حتى قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي
وبعضهم لما رأى ان صدور مثله عن الاعجمي محال قال انه مجنون انا
كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون الى الكفر في ذلك الزمان
القليل اشارة الى ان ذلك الايمان لم يكن عن اتقان بل كان اضطرارا
عن خوف العذاب هذا على قول ابن مسعود ظاهر وعلى قول حذيفة
هو مثل قوله ولو ردوا لعادوا يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر
او يوم القيمة ونصب بيوم يجادل عليه انا منتقمون لا بمنتقمون لان ان
حاصرة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون بان وسعنا عليهم الارزاق

واسباب البطر من العافية وطول العمر وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين
او في نفسه شريف النسب كريم الحسب ان ادوا الي عباد الله وهم بنو اسرائيل
الذين استعبدهم القبط كقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل وان مفسرة لان الرسالة
في معنى القول او مخففة اي بان ويجوز ان يكون عباد الله منادى والمعنى ادوا الي حق الله
من الايمان وقبول الدعوة اني لكم رسول امين على وحي الله وقد بان بالمعجزات صدقي
وان لا تعلوا على الله لا تتكبروا اني آتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولا يخفى
حسن المراعات في ذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء واني عذت
بربي وربكم ان ترجمون ضربا او شتما وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون لا موالاة
بيننا او كفوا شركم عني ولا ان يفعل الله ما يشاء فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون
اي بان هؤلاء لما تجار صلة الدعاء كما تعالى دعا بهذا الدعاء وقيل هو قوله تعالى ربنا
اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم او قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
وقوله ان هؤلاء قوم مجرمون من كلامه تعالى بيانا لما استوجبوا به الدعاء من موسى
عليه السلام والاجابة منه وانه ما دعا الا بعد اليأس فاسر بعبادي ليلا انكم
متبعون بقطع الهمزة وقرأ نافع وابن كثير بالوصل وهما لغتان والتقدير فقال
اسر او تقدير شرط اي ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي بني اسرائيل انه
تشريف واترك البحر رهوا ساكنا فاتحا على حاله ليدخله فرعون وجنوده
فانه اراد بعد العبور ان يضربه بالعصا ليعود الى ما كان لئلا يلحقه القبط او
مفتوحا من بين رجليه اذا اتسع انهم جند مغرقون لا محالة كم تركوا
من جنات وعيون وزروع ومقام كريم كم خبرية للتكثير والمقام الكريم
منازلهم الحسنة او المنابر ونعمة كانوا فيها فاكهين ناعمين وقرئ فكهين
لطرين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم والكاف في محل النصب او مرفوعة
اي الامر مثل ذلك وهي مقحمة للدلالة على ان الوصف لا يفي به فكانه قال
الامر مثل ذلك وما شابهه واورثناها قوما آخرين احاديث لا قرابة بينهم
وهم بنو اسرائيل لقوله واورثناها بني اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض
تمثيل على سبيل التهكم وعدم الاكتراث بهم او اهل السماء والارض من المؤمنين
والملائكة او هو حقيقة لما روى ابو يعلى عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا مات العبد المؤمن بكت السماء والارض عليه ثم تلا
هذه الاية وابن جرير اذا مات المؤمن بارض غربة وغابت عنه بواكيه بكت
عليه السماء والارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما تبكي عليه الارض اربعين صباحا
وما كانوا منظرين ممهلين طرفة عين سنة الله في الذين خلوا ولقد نجينا بني اسرائيل
من العذاب المهين علم نجاتهم من هلاك عدوهم الا انه ذكر لينبني عليه قوله من

من النعم من فرعون بدل من العذاب المهين جعل نفسه العذاب لافراطه
ولذلك علله بقوله انه كان عاليا من المسرفين متكبرا متجاوزا في عتوه
خبران او الاول خبر والثاني حال من المستكن في الاول ولقد اخترناهم على
علم بانهم احقاء بذلك او مع علمنا بانه قد تفرط منهم فرطات على العالمين
عالمي زمانهم كقوله في موسى عليه السلام اني اصطفيتك على الناس او على الكل من
حيث ان فيهم الانبياء فلا ينافي تفضيل الاحاد عليهم واتيناهم من الايات
ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة سميت بلاء لوقوع الاختبار بها او اختبارا
ظاهرا او حمله على المحنة لا يلايم لانه في مقام الامتنان ان هؤلاء ليقولون ان
هي الا موتتنا الاولى اشارة الى كفار قريش الذين هم في شك يلعبون وقصة موسى
عليه السلام كانت استطرادا الموتة الاولى هي التي اشير اليها بقوله وكنتم امواتا
فاحياكم وذلك انهم لما قيل لهم لكم حياة بعد الموت قالوا لا نعرف الا الموتة الاولى
التي يعقبها الحياة والاظهر ان الموتة الاولى هي التي بعد الحيوة الدنيا وهي المبادرة
المتعارفة وذلك انهم انذروا بان في القبر احياء ثم موتا الى وقت البعث فانكروا
موتة القبر وما بعدها كقولهم وما نحن بمنشرين على ان الاولى لا يقتضي ان يكون لها ثانية
كما تقول قتلته باول ضربة وصرعته اول سكة فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين
في ان هناك حشرا احيوا لنا واحدا من سلف لنسأله وقيل سألوه
ان يحيي قصيا لنشاوره وهل ينبغي ام لا اهم خير ام قوم تبع ملك اليمن اسعد بن
كرب اول سلاطين بني قحطان وكان مسلما وقد اسلم قومه على يده ثم بعده
قيل انه عاش ملكا ثمانين سنة وهو اول من كسى كسوة الكعبة وكان قد عزم على تخريب
الكعبة ثم ندم وتاب وقرب قربانا كثيرا واحسن على اهل مكة مات قبل البعثة بسبعمائة
سنة ولما اجتاز بالمدينة قالت له احبار اليهود ان نبي آخر الزمان هذه البلدة
مهاجره فقال في ذلك ابياتا توارثها اهل المدينة وقد صح ان رسول الله عليه السلام
قال لا تسبوا تبعا فانه كان مسلما ولا ادري اكان نبيا ام لا والذين من قبلهم
كعاد وثمود والتفاضل في الخيرية ولا خير في الكل انما هو باعتبار القوة والاسباب
اهلكناهم استئناف او حال بتقدير قد انهم كانوا مجرمين بيان لموجب الجامع
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين بلا حكمة بل لا بد من حشر
ومجازاة لا يفوت مثقال ذرة كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا ما خلقناهما
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق هو الايمان والطاعة كقوله وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون ولكن اكثرهم لا يعلمون هذه الحكمة لاغفالهم النظر وانتا...
ان يوم الفصل يوم القضاء بين المحق والمبطل او يوم الفصل بين المرء واحبائه
ميقاتهم اجمعين يجمع هؤلاء المشركين واولئك المتقدمين يوم لا يغني

بدل من ميقاتهم او صفته او بدل من الفصل ومعمول لما دل عليه الفصل لا له لوجود الفاصل
مولى صديق اي صديقا كان من قرابة او غيرها عن مولى شيئا عن اي صديق
كان شيئا نذرا يسيرا من الاغناء ولا هم ينصرون لو طلبوا النصر الضمير لمولى
الاول والجمع لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وبقبول الشفاعة رفع على البدل
من واو ينصرون او نصب على الاستثناء انه هو العزيز الرحيم الغالب لا ينصر من
خذله ولا يسعد من اشقاه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طعام اهل النار هو الزقوم
واهل اليمن اكل الزبد والتمر يسمونه التزقم فدعا ابو جهل بزبد وتمر وقال هلموا الى ما
يخوفكم محمد فنزلت ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اي الكافر الكثير الاثام كالمهل اي
كالحديد او النحاس الذي اهل في النار حتى ذاب وقيل هو دردي الزيت
يغلي في البطون خبر ثان او حال من المستكن في فيه للطعام دون المهل اذ المعنى وقرأ ابن
كثير وحفص بالياء والتانيث مسند الى ضمير الشجرة والاول احسن لكونه اقرب مع سلامته
عن الحذف كغلي الحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه خذوه فاعتلوه فجروه
والعتل الاخذ بتلابيب الرجل بعنف وغلظة ثم جره الى ما يكره الى سواء الجحيم
الى وسطه وافسح اماكنه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم جعل العذاب
مصبوبا دون الحميم كما في قوله يصب من فوق رؤسهم الحميم ايثارا للابلاغ وهو
طريق الاستعارة لانه في مقام الكبرياء واظهار السخط العظيم وقرأ نافع وابن كثير
وابن عامر فاعتلوه بضم التاء وهما لغتان ذق انك انت العزيز الكريم
امرا له تهكما به والقاء الحق حاسة السمع من العذاب نزلت في ابي جهل
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بين جبليها اعز ولا اكرم مني ان هذا ما كنتم
به تمترون تشكون ضمن معنى التكذيب ان المتقين في مقام امين هو
موضع القيام ثم اتسع فيه فاستعمل في مطلق المكان والامين من الامانة فهو ضد
الخيانة استعير للامكروه فيه في جنات وعيون بدل من مقام لدلالته على
الاكل والشارب التي بها قوام الملاذ يلبسون من سندس مارق من الديباج
واستبرق ما غلظ منه معرب وبالتعريب صار عربيا بالتصرف واجراء احكام
لفظ العرب عليه على ان وقوع الفاظ يسيرة لا يخرجه عن العربية متقابلين ينظر
بعضهم بعضا في مجالس الانس كذلك وزوجناهم بحور عين زوجات حسان
الحور شدة بياض العين مع شدة سوادها وعن ابي عمرو هو ان يكون العين
كلها سوداء كعين الظباء وفي الانسان على التشبيه والعين جمع العيناء وهي
العين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين اي نوع ارادوا في اي وقت كان آمنين
من كل المكاره لا يذوقون فيها الموت هذا راس النعم كلها الا الموتة الاولى
التي في الدنيا من التعليق بالمحال لان موتة الدنيا لا يمكن وقوعها في الجنة

او فان المؤمن لا يموت حتى يرى مقعده من الجنة فكان موته فيها او التقييد بالاخرة
والموت اول احوالها او الاستثناء منقطع ، ووقاهم عذاب الجحيم اي والحال
انهم حفظوا من عذاب النار ولا ينافي دخول بعض المؤمنين لهذا الكلام في المتقين
فضلا من ربك ، اي اعطوا كل ذلك تفضلا لا انه بقه وجوب اذ العبد
لا يستحق على مولاه اجرا ، ذلك هو الفوز العظيم ، لانها نعم خالصة عن شوب
كدر ، فانما يسرناه بلسانك ، فذلكة للسورة تذكيرا بما سلف من انزال
الكتاب وما ترتب عليه واجمال بعد التفصيل ، لعلهم يتذكرون ، يتعظون
فارتقب ، فانتظر ما يحل بهم ، انهم مرتقبون ، منتظرون ما يحل بك روى
الترمذي باسناده الى ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان
في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وباسناده ايضا من قرأ
في ليلة الجمعة غفر له ، تمت سورة الدخان والحمد لولي الاحسان والصلوة
على المبعوث من عدنان واله وصحبه السابقين الى الايمان

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلثون ايات وقيل ست اية بسم الله الرحمن الرحيم

حم ، حروف مقطعة ، تنزيل الكتاب ، مبتدأ ، من الله العزيز الحكيم خبره او حم
السورة مبتدأ بتقدير مضاف اي تنزيل حم فان اريد بالكتاب السورة
فمن اقامة الظاهر مقام المضمر اشارة الى انه الكتاب الكامل وان اريد القرآن
فللاشعار بان انزاله كانزال كله في غرض التحدي والهدى فان قلت فلم نوع
هذا الاسلوب في حم تنزيل من الرحمن الرحيم قلت افاد هذا المعنى بقوله
كتاب فصلت مع الافتنان في الكلام ، ان في السموات والارض لايات
للمؤمنين ، اي في انفسهما لما فيهما من فنون الدلالة على القادر الحكيم او في خلق
فيهما من الكواكب والجبال وسائر الكيفيات والاول ابلغ ، وفي خلقكم ، عطف
الخاص على العام على الثاني ، وما يبث فيهما من دابة ، اي وخلق ما يبث لان العطف
على المجرور بدون اعادة الخافض غير فصيح ، ايات لقوم يوقنون ، وقرا حمزة
والكسائي بنصب آيات عطفا على المجرور بدون اعادة الخافض غير فصيح آيات
لقوم يوقنون وقرا حمزة والكسائي بنصب ايات عطفا على لفظ الايات
والباقون رفعا على الابتداء اما عطف مفرد او عطف جملة ، واختلاف الليل
والنهار وما انزل الله من السماء من رزق ، من مطر لانه سبب الرزق ، فاحيا
به الارض بعد موتها ، بنبت النبات بعد اليبس ، وتصريف الرياح ، تغييرها
من جهة الى اخرى وقرا حمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس ، لايات لقوم
يعقلون ، عطف على معمولي عاملين مختلفين ان رفعت آيات او نصبت
كقراءة حمزة والكسائي ففي الرفع الابتداء وفي النصب ان وفي فاجازه الفرا

والكوفيون

والكوفيون مطلقا والاخفش اذا تقدم المجرور المعطوف ومنعه سيبويه والبصريون معللين
بقصور الحرف عن نيابة العاملين فالوجه عندهم النصب والرفع على الاختصاص
او بتقدير في المتقدمة في الاولين وفي ترتيب الفواصل روعي الترقي في الدليل والمدلول
وذلك ان السموات والارض اظهر الكائنات جعلت دليلا على اصل الايمان ثم نظر
الانسان في حاله وحال سائر الحيوانات لكثرته وتكرره ادخل في نفي التشكك و
واجلب لاطمئنان القلب جعل دليلا على الايقان الذي هو اعلى درجات الايمان ولما
كان التامل في الاختلاف والتصريف وما بينهما ادل على استحكام اليقين لانه تجدد
حينا فحينا وتجدد فيه النظر والاعتبار جعل دليلا على التعقل الذي هو مدار الايمان واليقين
تلك ايات الله ، دلائله الدالة على وحدته وكمال اقتداره ، نتلوها عليك بالحق ، حال
الفاعل او العامل معنى الاشارة ، بالحق ، ملتبسا به او ملتبسين ، فباي حديث بعد الله
واياته يؤمنون ، اي بعد ايات الله وتقديم الاسم الاعظم تعظيم لايات الله كقولك
اعجبني زيد وعلمه دلالة على انه لا بيان ازيد من هذا البيان ولذلك اشار اليها بما وضع
لكمال التمييز واضاف الآيات الى ضميره اخرى او بتقدير مضاف اي بعد حديث
الله وهو القرآن وحسن الاضمار لتقدمه وعطف الايات عليه عطف المفصل
على المجمل او اريد ما فيه من الدلالات وقرا ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بالخطاب
وهو ابلغ تقريعا ، ويل لكل افاك ، كذاب ، اثيم ، كثير الاثم ، يسمع ايات الله
تتلى عليه ، ينشأ تلوها ويؤمن بما فيها ، ثم يصر ، يقيم على كفره من احتقارها وبغيه
مستكبرا ، عن الايمان وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماعها كقوله يرى غمرات
الموت ثم يزورها ويجوز ان يكون على اصله لان اصراره يكون بعد تردد ، كان لم
يسمعها ، حال من فاعل مستكبرا اي مثل غير سامع وكان مخفف كان وحذف
منه ضمير الشان كقوله كان ظبية تعطو الى ناضر السلم ، فبشره بعذاب اليم ، استعار
البشارة تهكما ، واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا ، ترقى من الاصرار الى الاستهزاء
بايات الله بعد علمه بانها ايات الله ولم يقل اتخذه اشارة الى افراطه في طغيانه بانه اذا
علم شيئا من الايات خاض في الكل ولم يقتصر على بلغه او اذا علم ذا شيء من المواضع
التي يمكن التلبيس والمغالطة فيها كما فعله ابن الزبعرى والنضر حيلة وتمويها على الغافلين
وزعم ان الكل من هذا القبيل فالاول قبل التامل وهذا بعده والضمير للايات او للشيء
لانه في معناها ، اولئك لهم عذاب مهين ، لاهانتهم بايات الله ، من ورائهم
جهنم ، من قدامهم او خلفهم اي بعد اجالهم والوراء اسم للمتواري الشخص من قدام او
خلف ، ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ، من العذاب ، ولا ما اتخذوا من دون الله
اولياء ، من الاوثان ، ولهم عذاب عظيم ، لا يحاط بكنهه ، هذا ، اي القرآن ، هدى والذين
كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم ، لهم من العذاب اليمة وقرا ابن

كثير وحفص بجر اليم على انه صفة الرجز وهو اشد العذاب اى لهم من هذا الجنس ما هو ابلغ وادق ليوم
الفصل: الله الذي سخر لكم البحر بان خلقه على وجه يمكن الانتفاع به: لتجرى الفلك فيه بامره
باذنه وتسهيله: ولتبتغوا من فضله: بالتجارة والغوص على اللالي العقيق وغيره: ولعلكم
تشكرون: عقب به الايات المتلوة زيادة في توبيخهم ولذلك رتب عليه الاغراض
العاجلة التي يستجلب بها الشكر من الكافر غالبا الكائنة قال كانه اولى بالشكر منه:
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه: حالان من فاعل سخر او منه خبر مبتدا
اى منه والمعنى كما ان التسخير منه كذلك الايجاد والتكوين او وسخر لكم تاكيد الاول و
العطف لتعقيبه بقوله: ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون: لان المتفكر يزداد
ايقانا فكان الثاني غير الاول وعلى هذا ما في السموات مبتدا خبره منه: قل للذين
آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله: وقايعه وانزل باسه بالمكذبين يقال ايام العرب
لوقايعها والاوقات التي وقتها الله تعالى للجزاء من الثواب والعقاب في ابتداء الاسلام
كانوا مامورين بالصفح وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل من غفار والقول
بنزولها في غزوة بني المصطلق سهو: ليجزي قوما بما كانوا يكسبون: من الغفران
والصبر علة للامر وتنكير قوما للتعظيم كانه قيل قوما واي قوم ففي هذا التنكير كمال الترغيب
ايما اليه انهم لا يخفون عرفوا او نكروا مع العلم بان المجزي لا يكون الا الغافر ومن حمل
قوما على الكفار او على الشيوع استبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرا ابن عامر
والكسائي وحمزة لنجزي بالنون التفاتا لكون اشد تعظيما من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها: تقدم جوابا: ثم الى ربكم ترجعون: للجزاء: ولقد آتينا بني اسرائيل
الكتاب: التورية: والحكم والنبوة: اي الحكمة او الفقه او فصل الخصومات: و
رزقناهم من الطيبات: المن والسلوى وسائر الماكل والثمار: وفضلناهم على
العالمين: بالملك والنبوة لم تجمعا في غيرهم: وآتيناهم بينات من الامر: معجزات
دالة على حقيقة دينهم: فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم: جعلوا
ما هو سبب الالفة موجب الاختلاف ظلما وحسدا: ان ربك يقضي بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون: ويجازي المحق والمبطل: ثم جعلناك على شريعة
من الامر: على منهاج خاص من امر دينك والتنوين للتعظيم كما اشار اليه بقوله
جئتكم بالحنيفية السمحة ولو كان ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي: فاتبعها
اي اثبتها على سلوكها: ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون: يعني الجهال كانوا ادعوه
الى ملة عبد المطلب: انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا: ان خالفت امره من
قبيل الالهاب والتهييج: وان الظالمين بعضهم اولياء بعض: اذ الجنسية
علة الضم: والله ولي المتقين: فتوالهم وانت امامهم فعليك بمراعاته: هذا بصائر
للناس اي القرآن والمراد ما فيه من المعارف والحكم بصائر للقلوب كما جعل

روحا وحياة: وهدى من الضلالة: ورحمة من العذاب: لقوم يوقنون: لمن آمن وايقن
ام حسب الذين اجترحوا السيئات: اكتسبوها ومنه جوارح الطيور لكواسبها: ان
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات: نصيرهم مثلهم: سواء محياهم
ومماتهم: كالمؤمنين المنكر حسبان المجترحين تساوي حاليهم على معنى انهم
لان ساووا المؤمنين في الحياة الدنيا في شمول الرحمة لم يساووهم موتا
لانهم في النعيم وهؤلاء في الجحيم او على معنى ان لا تساوي في الحالين اذ حياتهم
في الطاعة وهم في المعصية وفي الآخرة هم اهل الزلفى والرضوان وهؤلاء اهل
الخذلان والنيران وعلى التقديرين ان كان الضمير للموصول الاول فالجملة
بدل من الكاف وان كان للفريقين فاستيناف يدل على ان المشابهة
بمعنى التشابه والتساوي دون التفاضل ويجوز ان يكون كلاما
مستانفا غير داخل في حكم الانكار يبين حال المؤمنين في الحالين خاصة
وكذلك حال المجترحين فهو تعليل للانكار دال على عدم المماثلة في
الحالين لان المؤمنين تساوي حالاتهم كما ان اولئك كذلك وان
اختلف وجه التساوي وقرا حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب
على انه حال من الضمير المنصوب ومن الكاف وما اضيف اليه اتى: ساء ما يحكمون:
بئس حكمهم هذا: وخلق الله السموات والارض بالحق: دليل على الحكم الاول
لان العدل يقتضي عدم تساوي المسيء والمحسن وليس ذلك في المحيا ولا بد
وان يكون في الممات: ولتجزى كل نفس: عطف على علة محذوفة مثل ليدل
او ليدل على قدرته او على بالحق لكونه في معناه: بما كسبت وهم لا يظلمون:
بنقص ثواب او زيادة عقاب وقد تقدم جوازا ان مثله جار على المجاز
لانه لو فعله لكان ظلما لعدم امكانه: افرايت من اتخذ الهه هواه: اى هواه
تعجيب من حال من يتبع ما يهواه من غير نظر وتامل كما كان المشركون
عليه يعبد واحد منهم حجرا ثم اذا راى حجرا احسن منه رمى الاول بعد تعظيمه
وجهله زمانا: واضله الله على علم: اى على علم منه تعالى بانه يستحق الاضلال
لكونه مخلوقا للنار او بعد بلوغ العلم اليه وقيام الحجة عليه: وختم على سمعه وقلبه
فلا يبالي بما يسمع ولا يتوجه عليه الى التدبر في آيات الله تعالى وتقديم السمع
على القلب عكس ما في البقرة لان الكلام في المعرض عن الهدى المتبع لما يهواه
المستكبر عن الآيات كان لم يسمعها وما في البقرة ابتداء كلام منه تعالى
اشارة الى الجبلة والقلب هو الاول في ذلك: وجعل على بصره غشاوة:
لا يبصر آيات الله بعين الاستبصار وقرا حمزة والكسائي غشوة وهما
لغتان والاول اشهر ولذلك اتفقوا عليه في البقرة: فمن يهديه من بعد الله

استفهام انكار اي لا احد: افلا تذكرون: ان الكل منه تعالى وفيه نهي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تهالكه على ايمانهم: وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا: ما الحيوة
الا هذه التي نحن بها: نموت ونحيى: نموت بعضنا او نكون نطفا ونحيى بعد
ذلك او نموت نحن ونحيى اولادنا او يحيينا الاعراض: وما يهلكنا الا الدهر: الا
الزمان كاثرات الاشجار والنبات في الاصل اسم لمدة بقاء العالم من المبدا
الى الانقضاء، وقوله عليه السلام انا الدهر انا الخالب لحوادث الدهر: وما لهم
بذلك من علم ان هم الا يظنون: تقليدا لآبائهم: واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات: الدالة على عكس ما يظنونه لعلهم يرشدون: ما كان حجتهم الا
ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين: سماها حجة تهكما او على زعمهم
قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه: اجاب عن حجتهم
بما هو اثبات للمطلوب وذلك انهم معترفون بان الاحياء والاماتة منه تعالى
ومن سلم قدرته على هذا لزمه ان يسلم على ذلك وعدم الاتيان بالآباء لحكمة
اقتضت ذلك: ولكن اكثر الناس لا يعلمون: لاخلالهم بالنظر والتدبر في الآيات
المبثوثة في الآفاق والانفس: ولله ملك السموات والارض: هو الخالق لهما
والمدبر ومن هذا شانه فالاعادة منه اهون ما يكون: ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون: المنكرون لها سماهم مبطلين لان انكارهم ابطال
لحكمته تعالى والعامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه: وترى كل امة جاثية: باركة على
الركب من شدة الخوف او مجتمعة ومنه قول علي بن ابي طالب انا اول من
يجثو بين يدي الله للخصومة او مخففة لما روي ابن عمر ان الناس يكونون جثا
كل امة تتبع نبيها: كل امة تدعى الى كتابها: كتاب اعمالها كقوله ووضع الكتاب
اليوم تجزون ما كنتم تعملون: على تقدير القول كقوله ينبؤا الانسان يومئذ
بما قدم واخر هذا كتابنا: اضافه اليهم اولا لانه صحائف اعمالهم وثانيا اليه
لانه كتب بامره: ينطق عليكم بالحق: ما هو ثابت في نفس الامر من غير زيادة ولا
نقصان: انا كنا نستنسخ: على ايدي الكتبة: ما كنتم تعملون: من نقير وقطمير تقرير
وتوكيد لشهادته بالحق: فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
في رحمته: في الجنة: ذلك هو الفوز المبين: الجلي لاحتياج الى تردد: واما الذين
كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم: جوابه محذوف اي فيوبخون ويقال لهم هذا القول
وفيه دلالة على ان اهل الجنة يدخلون الجنة وهم في الموقف بعد كذا قيل وفيه نظر
لان الواو لا تدل على الترتيب والحديث يخالفه: فاستكبرتم عن الايمان: وكنتم
قوما مجرمين: دأبكم الاجرام اشارة الى علة الاستكبار: واذا قيل ان وعد الله
حق: كائن لا محالة: والساعة لا ريب فيها: افردها بالذكر اهتماما بشانها

وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان والرفع حسن للاستقلال والتاكيد حاصل
لا بدونها في المؤكد: قلتم ما ندري ما الساعة: اي شيء هي لكنكم ما يعلمون معنا ثم
ان نظن الا ظنا: اي الا ظنا ضعيفا او لا اعتقادا ولا فعل اطلاقا للخاص على العام
او ما الثابت الا ذلك الظن اشارة الى ان المورد كله مظنون وقيل النفي ظنهم
فيما سوى ذلك مبالغة ولا دلالة للكلام عليه: وما نحن بمستيقنين: توكيد
لظن بسلب نقيضه يؤيد الوجه الاول: وبدا لهم سيئات ما عملوا: اي جزاؤها
من اطلاق السبب على المسبب او ما يسوؤهم والالتفات الى الغيبة لحكاية
حالهم بعد تمام التوبيخ: وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون: احاط بهم جزاء استهزائهم
بحيث لا محيص عنه: وقيل اليوم ننساكم: اي نترككم في العذاب لان من نسي
شيئا تركه او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي على الاستعارة التمثيلية: كما نسيتم
لقاء يومكم هذا: اي كما تركتم الاستعداد له ولم تكترثوا به واضافة اللقاء الى اليوم
اضافة المصدر الى الظرف اما اجراء له مجرى المفعول به واما مجرى الفاعل لانه ما
لقيته فقد لقيك: ومأواكم النار وما لكم من ناصرين: يدفعون عنكم العذاب
ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا: اي انما تركتم الاستعداد لاستهزائكم بآيات الله
ولم تتأملوا فيها: وغرتكم الحيوة الدنيا: فظننتم ان لا حياة بعدها: فاليوم لا يخرجون
منها: بسبق القول وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء والضم ابلغ واوفق بقوله ولا هم
يستعتبون: يطلب منهم ان يعتبوا ربهم لفوات وقته يقال اعتبه ارضاه بمعنى
ازال عتباه التفت الى الغيبة بعد تمام التقريع كانه يخبر غيرهم سوء جزاءهم ليعتبر
فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين: اي له الحمد كلها نطقا
وحالا سواء احمده الحامدون اولا اذ الكائنات كلها منه وبه بقاؤها: وله الكبرياء
في السموات والارض: لا اثر له فيها احد ولا يليق الا لجلال حضرته: وهو العزيز
الغالب الذي لا يغالب تقرير لكبريائه: الحكيم: المتقن كل شيء فلا يحمد غيره او له
الكمال المطلق ختم السورة بما افتتح به ولله الحمد والكبرياء والصلوة على افضل اهل الارض
والسماء واصحابه البررة الاتقياء سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم: والكلام في
اعرابه كما تقدم في اول الجاثية: ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
الذي تقتضيه الحكمة المستدعية لاثابة المحسن وعقاب المسيء: واجل مسمى وبتقدير
اجل مضروب وهو يوم القيمة الذي تنتهي اليه امور الكل وقيل كل واحد وهو اخر بقائه
ولا بد منه الكلام في تقرير ما ينكره المشركون من البعث: والذين كفروا عما انذروا
به من هول ذلك اليوم او عن انذاره على ان ما مصدرية: معرضون: لا يتفكرون فيه ولا
يستعدون لحلوله: قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض

ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال الاوثان التي تعبدونها هل خلقت جزءا
من اجزاء الارض او خلقت شيئا منها من النبات والحيوان اشيروا اليه فانه امر في وسعكم ام
دليل على ان لها شركا في شيء من السموات وقيل تخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم
ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية قلت فعلى هذا كان اللازم فلم ذكر
الوعد كما في سورة الرعد يستغني باية واحدة ومع ذلك لا يلائم له لقوله في سبا وما لهم فيهما
من شرك ائتوني بكتاب من قبل هذا اي القرآن اذ ليس فيه ما يدل على ذلك او
اثارة من علم بقية من علوم الانبياء او من اثر الحديث نقله ومنه الاثار للاخبار ان
كنتم صادقين في دعواكم ولا الحكم يبقى عليهم بقوله ومن اضل ممن يدعو من دون الله
من لا يستجيب له الى يوم القيمة لا يقدر على الجواب لكونه جمادا فضلا عن كشف ضر او
دفع بلية وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات او ملائكة مكرمون ليس لهم علم بما
هذا وهم في عبادتهم في الدنيا فاذا حشر الناس فالاظهر كانوا لهم اعداء لعبادتهم او
لهم يلعن بعضهم بعضا وكانوا بعبادتهم كافرين فالذين كانوا يعبدون الجن والعباد
يقولون والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات قال
الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين نوع اخر من كفرهم كما جاء من غيرهم بركما هو شان
اللبيب لحالهم ودلالة على عنادهم في الكفر ام يقولون افتراه اضراب عن تسميته السحر
الى ما هو اقبح في الانكار وذلك لان السحر او خارق لا يقدرون على الاتيان حينئذ
كما ان الاول كان جحدا عبرا او لا بالنبات وثانيا بالحق واتى بالمظهر الدال على علة
العناد ودلالة الدال على كفرهم مع انه كان عندهم صفة ذم واما الكذب فكان عندهم
اقبح ما يوصف به كما دل عليه حديث ابي سفيان مع هرقل لا سيما الكذب على الله تعالى
قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا ان اراد عقوبتي فكيف اجترئ على الافتراء
واي فائدة لي في ذلك هو اعلم بما تفيضون فيه افاض في الحديث اندفع فيه من
غير روية كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالتبليغ وعليكم بالتكذيب وهو الغفور
الرحيم ترغيب لهم في التوبة مع الاشعار بحلمه عنهم مع عظم جريمتهم قل ما كنت
بدعا من الرسل بديعا منه خف بمعنى خفيف والمعنى لست اول رسول حتى
تستبعد عليكم شيئا بل قد تقدمني رسل دعوى الكل واحدة وكلهم من البشر لم
يقدر احد على الاتيان باية الا باذن الله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم مفصلا
لانه غيب وعن ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة رضي الله عنهم نسخت بقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ولما نزلت قال المؤمنون هنيئا
لك يا رسول الله فما لنا فنزلت ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وعن بعضهم
ان هذا في امر الدنيا وما يؤول اليه حالهم نعمهم او نقمه قوله ان اتبع الا ما يوحى الي
لا قدرة لي على الاتيان بما تقترحون وما انا الا نذير مبين لا ساحر ولا كذا

قل ارايتم

قل ارايتم ان كان من عند الله اي القرآن وكفرتم به عطف على محل الشرط
وشهد شاهد من بني اسرائيل عطف على الشرط وما عطف عليه على مثله
على الكتب المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد فامن بالقرآن
واستكبرتم انتم والشاهد بني اسرائيل موسى عليه السلام او عبد الله بن سلام فان
نزلت الاية بمكة وعبد الله بن سلام بالمدينة قلت نزل ما سيكون منزلة الواقع
وتحقيقه ان مناط الالزام ايمان شاهد بني اسرائيل لما راه موافقا للتورية اي
لو وقع ذلك الستم اضل الناس ثم امن عبد الله بعد مدة فكان هو ذلك الشاهد
هذا ما ربط روي انها نزلت فيه ان الله لا يهدي القوم الظالمين دليل على الجواب
المحذوف واشعار بان ضلالهم ناش من ظلمهم وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا في حقهم ولاجلهم ارادوا عمارا وبلالا وصهيبا
واضرابهم من فقراء الصحابة وقيل قاله غطفان وبنو عامر واشجع واسد طوائف
من الاعراب لما اسلم غفار واسلم ومزينة وجهينة واذ لم يهتدوا به ظرف
لمحذوف اي ظهر لعدم جواز تعلقه بقوله فسيقولون لتدافع دلالتي المضي والاستقبال
وليس من قبيل فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم نظرا للمستقبل في سلك
المقطوع لان عدم الهداية محقق ولا اول سيقولوا بمعنى قالوا والعدول كالاعتذار
لكون السبق مانعا هذا افك قديم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله كتاب
موسى مبتدا وخبر اماما ورحمة نصبا على الحال والعامل الظرف وهذا القرآن
كتاب مصدق لكتاب موسى ولغيره لسانا عربيا حال من فاعل
مصدق وفيه دلالة على انه كما دل على صدق كتاب موسى دل باعجازه
على انه في نفسه كلام الله لينذر الذين ظلموا اي القرآن وقرا نافع وابن
عامر والبزي في وجه بالتاء مسندا الى رسول الله او الله وبشرى للمحسنين
اي هو بشرى او عطف على محل لتنذر مفعولا له لما استشهد شاهد بني
اسرائيل على صدق القرآن وكونه كتاب الله استطرد لكتاب موسى
بانه والقرآن متطابقان كل منهما يصدق الاخر وذلك كاف شهد
الشاهد او لم يشهد وتقديم من قبله للاهتمام بان انزال الكتاب امر مستمر
او نزلوا منزلة من لا يعرف ان كتاب موسى انزل من قبله لعنادهم
تقدم تخصيصا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين
اعتقادا وعملا فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على
فوات محبوب اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن
في اصحاب جزاء بما كانوا يعملون يشمل الاعتقاد لانها عمل القلب
ووصينا الانسان بوالديه افرده بالذكر بعد اندراجه تحت الاستقامة

اخصهما لان طاعتهما سبقية طاعة الله ﴿حسنا﴾ فعلا ذا حسن وقرا الكوفيون
احسانا وعليه رسم المصحف وهو من الحذف ﴿حملته امه كرها ووضعته
كرها﴾ ترجيح لجانبها في البر على الاب اي ذات كره او حملا ذا كره وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان والضم في المشقة اشهر
والفتح في الاجبار ﴿وحمله وفصاله﴾ مدة حمله وفطامه ﴿ثلثون شهرا﴾ وبه
علم ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لقوله حولين كاملين في مدة الرضاع
ولذلك عبر عن الفطام بالفصال اذ قد تفطم قبل الرضاع التام ﴿حتى اذا
بلغ اشده﴾ ثلثا وثلثين سنة ﴿وبلغ اربعين سنة﴾ وتكامل قواه واستحكم
عقله ولذلك لم يبعث نبي الا بعد اربعين سنة وذلك لان القوى الشهوانية
ياخذ في الانتقاص فيقل نزاعها مع العقلية ﴿قال رب اوزعني﴾ الهمني
اصل الايزاع الاغراء بالشيء ﴿ان اشكر نعمتك التي انعمت علي﴾ بالتوفيق
لدين الاسلام ﴿وعلى والدي﴾ لذلك قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه فانه
اسلم ووالداه واولاده واولاد اولاده ولم يتفق في المهاجرين والانصار اربعة
بطون صحابيون غيرهم وما يقال لم يكن في المهاجرين والانصار من اسلم هو
وابوه غيره سهو في المهاجرين ابن عمر وابوه وفي الانصار جابر وابوه وغيرهم
﴿وان اعمل صالحا ترضاه﴾ تقبله ﴿واصلح لي في ذريتي﴾ اجعلهم مكان الصلاح
وموقعه ﴿اني تبت اليك وانى من المسلمين﴾ المخلصين جعله وسيلة ﴿اولئك
الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا﴾ جميع حسناتهم لقولهم الاشج اعدل بني مروان
او غير المباح فانه حسن لا ثواب عليه ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم﴾ ذكره لان قبول العمل
لا يستلزم العفو عن الزلل ﴿في اصحاب الجنة﴾ كائنين في زمرة الانبياء والصديقين
والشهداء والصالحين ﴿وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ مصدر مؤكد
لان نتقبل ونتجاوز في معنى الوعد وقرا حفص وحمزة والكسائي في الفعلين
بالنون ونصب احسن والسيئات وهو احسن لكونه نصا على الفاعل مع
التعظيم ﴿والذي قال لوالديه اف لكما﴾ هذا العاق ضد ذلك الصالح
والمراد به الجنس الذي هذا شانه يدل عليه الاخبار باولئك وما قيل انها
نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر كذب لان عبد الرحمن من كبار الصحابة
وقد اخبر في الاية ان هذا حق عليه العذاب ولما روى البخاري ان عائشة رضي الله عنها
لما بلغها ان مروان بن الحكم هو الذي قال هذا القول لما طلب من عبد الرحمن
البيعة ليزيد وابى عبد الرحمن قالت والله عبد الرحمن ليس بذلك ولكن انت
لعنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت في ظهر ابيك اراد به الحكم
ابن العاص طرده رسول الله الى الطائف وقرا ابن كثير وابن عامر اف

بفتح

بفتح الفاء والباقون بالكسر ونونها نافع وحفص تنكيرا والكسر احسن لانه الاصل
عند التقاء الساكنين ﴿اتعدانني ان اخرج﴾ من القبر وقرا ابن عامر في رواية
هشام بالادغام ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ ولم يخرج واحد منهم ﴿وهما يستغيثان
الله﴾ من شره كيلا يصيبهما او ان يوفقه ﴿ويلك امن﴾ اصل الويل الدعاء
بالهلاك اريد به الحث على الايمان لدلالته على ان مرتكبه حقيق بان يدعى عليه
بالهلاك ﴿ان وعد الله حق﴾ في قيام الساعة والجزاء على الاعمال ﴿فيقول ما هذا
الا اساطير الاولين﴾ الا اباطيل التي تواترها الناس ﴿اولئك الذين حق
عليهم القول﴾ بانهم اهل النار ﴿في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس﴾
كقوله في ضده في اصحاب الجنة ﴿انهم كانوا خاسرين﴾ استيناف لتعليل الحكم و
﴿لكل درجات﴾ اي لكل من الفريقين والدرجات على التغليب او لكل مؤمن و
ولهم حال المقابل منه او اريد مراتب اعمالهم ﴿مما عملوا﴾ من جزاء اعمالهم و
﴿ليوفيهم اعمالهم﴾ اي جزاءها وقرا نافع وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون
وهو ادل على التعظيم ﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص ثواب او زيادة عقاب تعليل
حذف معلله كانه قيل ليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم قدر لهم جزاء اعمالهم على مقاديرها
ولما كان مبنى السورة على تهديد الكفار ومن يقابلهم ذكر اعتراضا شرح حالهم
بقوله ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ العرض على النار التعذيب بها يقال
عرضه على السيف اذا قتله به وعن ابن عباس رضي الله عنهما يكشف التعذيب
لهم عنها ﴿اذهبتم﴾ اي استوفيتم هو العامل في يوم وقرا ابن كثير وابن عامر بالاستفهام
تقريرا ﴿طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ فتمتعتم تمتع الانعام ﴿فاليوم
تجزون عذاب الهون﴾ عذاب الهوان ﴿بما كنتم تستكبرون في الارض﴾ تتكبرون
﴿بغير الحق﴾ ولم تخضعوا له لانه الكبرياء رداء الله ﴿وبما كنتم تفسقون﴾ اي
تخرجون عن الطاعة والاحسن ان الفسق الى العذاب والهون الى الكبر اشارة
بعد التلف ﴿واذكر اخا عاد﴾ اي هودا مع قومه لتعتبر فانه علوهم واغراقهم
في الكفر شبه اغراق او كفك ﴿اذ انذر قومه بالاحقاف﴾ بدل اشتمال والاحقاف
جمع حقف وهو الرمل المستطيل الذي فيه انحناء من احقوقف الشيء اعوج
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه واد بحضرموت يلقى فيه ارواح الكفار وعن
قتادة مكان ببلاد يقال له الشحر ﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾
حال من الفاعل اي معلما اياهم انذار الرسل او المفعول اي عالمين بذلك اما باعلامه
او بما تواتر عندهم فان قلت من لم يات من الرسل كيف يصدق عليه قد خلت
قلت نظما اياتي به سلك الماضي لتحقق وقوعه او اعتراض بين المفسر والمفسر
والمعنى اذكر لهم اخا عاد وسائر الرسل الذين قبله والذين بعده وغير الاسلوب

اشارة الى الآيات المذكورة حالة قوم هود وهذا اسلم من التكليف في الجمع بين الماضي والمستقبل
ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم: هائل: قالوا اجئتنا لـ
تأفكنا عن آلهتنا: لتصرفنا عن عبادتها: فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين:
في وعدك العذاب كما قال في حق قريش يستعجلونك بالعذاب: قال انما العلم
عند الله: ما يعلم ذلك الوقت الا هو: وابلغكم ما ارسلت به: فاتيان العذاب
وكنت بينكم وقرأ ابو عمرو وابلغكم مخففا: ولكنى اريكم قوما تجهلون: تمادون في جهل
مستمرين لا يجدي فيكم الآيات والنذر وهل يكون اجهل ممن يطالب حلول بأس الله
سريعا قال معاوية لم يكن اجهل عقلا من اهل سبا حيث ولوا عليهم امرأة فقال رجل
من اهل سبا بلى اقل عقلا منهم من قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم: فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم
قالوا هذا عارض ممطرنا: لما استمروا على تكذيبه امسك الله تعالى عنهم الغيث فارسلوا
رجلا منهم يسمى قيلا ليستسقى لهم عند الكعبة فلما استسقى ظهرت لهم سحابة فظنوا انه
سحاب ممطر على ما تعارفوه والعارض السحاب الذي يعرض في افق السماء والضمير
في رأوه اما عائد الى ما تعدنا او مبهم يفسره عارضا حالا او تمييزا وهذا احسن للاجمال
والتفصيل والاضافة في مستقبل وممطرنا اضافة الصفة الى معمولها: بل هو ما استعجلتم به
من العذاب والقائل هود وقيل كلام الله تعالى وفيه ذلك لفظا ... ان المناظرة
بينهم وبين هود: ريح: بدل من ما: فيها عذاب اليم: صفتها: تدمر كل شيء بامر ربها:
تهلك كل شيء تمر به من اموالهم وانفسهم عام خص واضافة الرب اليها للدلالة
على انها في تصريفه وتحت ارادته وان شان المربى ان يكون في طاعة المربي
ساعيا في قضاياه. وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لم ينفتح على عاد من الريح الا قدر موضع الخاتم ثم عتت على خزائنها فلا يعلم قدر ما يخرج
الا علام الغيوب قيل اول ما رأوها تطير بمواشيهم واهل الحرث بين السماء والارض
كالجراد فدخلوا البيوت واغلقوها فخربت البيوت وامالت عليهم الاحقاف
فبقوا سبع ليال وثمانية ايام تحت الرمل لهم انين ثم اخذتهم والقتهم في البحر
فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم: ايها الرائي او يا محمد وقرأ عاصم وحمزة بيا الغيبة
اي لا يرى الا آثار ديارهم والخطاب ابلغ واعلم: كذلك نجزي القوم المجرمين: كل مجرم
كامل: ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه: ما موصولة وان نافية والمعنى مكناهم فيما
في شيء من الاسباب والاموال ما مكناكم فيه ولم نعطكم ما اعطينا اولئك
وقد علمتم حالهم وما جرى عليهم وقيل ان شرطية اي ان مكناكم فيه كنتم اكثر بغيا منهم
وقيل صلة والوجه هو الاول لقوله كانوا اشد منهم قوة واثارا في الارض: وجعلنا
لهم سمعا وابصارا وافئدة: ليستدلوا بها على وجود المنعم ويقابلوا النعم بالشكر

فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء: ادنى شيء من الاغناء:
اذ كانوا يجحدون بآيات الله: اذ منصوب باغنى جار مجرى التعليل
لان مؤدى التعليل والظرف واحد كقولك ضربته لاساءته وضربته
اذ اساء. الا ان اذ وحيث غلبتا بذلك دون سائر الظروف
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن: من العذاب: ولقد اهلكنا ما حولكم
من القرى: اي اهل القرى وهم عاد بحضرموت وسبا باليمن وقوم
شعيب بمدين وثمود بالحجر وقوم لوط بسدوم وكانوا يمرون عليها في
اسفارهم: وصرفنا الآيات: كررناها عليهم قبل الاهلاك فلم تنفعهم حجة
لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة: فهلا
نصرهم لما جاءهم بأسنا كما كانوا يزعمون انهم شفعاؤهم وما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى احد مفعولى اتخذوا والعائد المحذوف والثاني آلهة
وقربانا حال وجعله مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه غير سديد لان المنكر اتخاذهم آلهة
دون الله يتقربون بهم لا اتخاذهم قربانا دون الله وليس من شان الله ان يكون
قربانا حتى يكون التجاوز عنه منكرا: بل ضلوا عنهم: غابوا عن نصرتهم وقت الاحتياج
وذلك افكهم وما كانوا يفترون: اي ذلك الامتناع عن نصرهم اثر افكهم وصرفهم
عن الحق وهو الاتخاذ واثر افترائهم على الله تعالى: واذ صرفنا اليك نفرا من الجن:
اي اذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا من الجن كيف لم يتوقفوا في الايمان
لما سمعوا القرآن روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه انه لما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيل بين الجن وبين خبر السماء فقالوا ما هذا الا لامر حدث
فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانصرف نفر منهم نحو تهامة فوافقوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنخلة في طائفة من اصحابه عامدين سوق عكاظ يصلي بهم الصبح ببطن
نخلة فلما سمعوه قالوا هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء والنفر ما بين الواحد
الى العشرة قيل كانوا تسعة يقدمهم زوبعة: يستمعون القرآن: استيناف
او حال اي مقدرين استماعه: فلما حضروه: القرآن او الرسول: قالوا انصتوا
اي قال بعضهم لبعض والانصات السكوت لقصد الاستماع: فلما قضي ولوا الى
قومهم منذرين: بما فهموا من كلام الله تعالى: قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى: كانوا يهودا آمنوا بموسى ولم يسمعوا بعيسى ولم يكن شريعة ناسخة
بل كان اكثر احكامه بالتورية وهذا اوجه: مصدقا لما بين يديه: من الكتب السماوية
يهدي الى الحق: الى الثابت من العقائد الذي لا يتبدل: والى طريق مستقيم: اي
شريعة لا عوج فيها: يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم: بعض
ذنوبكم ولا ينافي قوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف لانها في الحربي وهؤلاء كانوا

مؤمنين بنبيهم ثم برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمن لا يسقط عنه تبعات
الناس الا بالاداء او الاستحلال مع ان غفران البعض لا ينافي غفران الكل
فانه مفهوم اللقب ويجركم من عذاب اليم استدل به من قال ان الجن لا يدخل
الجنة اذ لم يذكر الا النجاة من العذاب وهو يروى عن الامام ابي حنيفة رحمه الله تعالى
والحق دخولهم لانهم مكلفون بما كلف به الانسان ولقوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان فباي آلاء ربكما تكذبان ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز
في الارض لا ملجأ له وليس له من دونه اي من دون الله اولياء اولئك في
ضلال مبين حيث اعرضوا عن الحق بعد ظهوره اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض ولم يعي بخلقهن صدر السورة بما حقق به المبدا وختمها
بما حقق المعاد وقرر بينهما التوحيد والنبوة وهذه هي المقاصد وما عداها
فروع وتوابع يقال عيي بالامر اذا كل ولم يهتد لوجهه بقادر على ان يحيي
الموتى خبر ان ودخل الباء لان المقصود اثبات القدرة ولهذا اجيب من
روبتهم كانه قال اليس الله بقادر ولذلك اجاب بقوله بلى انه على كل شيء قدير
تقريرا لها ويوم يعرض الذين كفروا على النار نصب بقول مضمر مقوله اليس هذا
بالحق والاشارة الى العذاب لقوله قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون معنى الامر الاهانة فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولو الثبات
والجد منهم فان من للبيان فيشمل الرسل كلهم او للتبعيض لقوله في آدم فنسي ولم نجد له عزما
وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت وهم اصحاب الشرائع الذين جدوا واجتهدوا
في تقريرها وصبروا على اذى المعاندين ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى
عليهم السلام وقيل الصابرون على البلاء نوح كان يضرب حتى يغشى عليه
وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده واسمعيل صبر على الذبح ويعقوب على
فقد يوسف عليه السلام ويوسف على السجن وايوب على الضر وموسى على
طغيان فرعون عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صام ثلثة
ايام موصلا ثم قال يا عائشة ما ينبغي هذه الدنيا لمحمد ولا لآل محمد ان الله لم يرض
من اولي العزم من الرسل الا بالصبر وقد كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل واني لاصبرن كما صبروا ولا تستعجل لهم اي لكفار قريش كانهم يوم
يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا المدة
من هول العذاب بلاغ اي هذه السورة او هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة
لمن كان له قلب او القى السمع او تبليغ من الرسول وقيل مبتدا خبره لهم وما بينهما
اعتراض والمعنى لهم وقت يبلغونه فاذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة لبثهم
فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي بعد هذا البلاغ لا يهلك الا الخارج عن الاتعاظ

تمت سورة الاحقاف والحمد لمن له الفتح والالطاف والصلوة على من كلت
عن نعته الاوصاف واله وصحبه اهل التقى والانصاف سورة محمد وتسمى
سورة القتال مكية وقيل مدنية وهي تسع او ثمان وثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي
اعرضوا عن الاسلام او منعوا الغير عن الدخول فيه والاول اوفق بقوله والذين آمنوا
عن ابن عباس رضي الله عنه هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل اثنى عشر رجلا من
اهل الشرك وقيل هم اليهود اضل اعمالهم المكارم التي كانوا يباهون بها من فك
الاسارى وصلة الرحم وقرى الاضياف والذين آمنوا وعملوا الصالحات يشمل
كل مؤمن وقيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل مؤمنوا اهل الكتاب يعتبره
قوله وآمنوا بما نزل على محمد وعلى الاول افراده اشعار بتعظيمه وانه الاصل الذي لا
يعتد باعتقاد ولا بعمل دونه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اي الثابت
الذي لا يعقبه نسخ كفر عنهم سيئاتهم سترها خبر ثان او حال بتقدير قد واصلح
بالهم وسدد حالهم في الدين ذلك اشارة الى ما مر من اضلال طائفة وتكفير
سيئات اخرى مبتدا خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا
اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق
او خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك والجار والمجرور منصوب على الحال والعامل
فيه معنى الاشارة والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد هو الشيطان كذلك مثل ذلك
الضرب يضرب الله للناس امثالهم اي امثال الناس او امثال المذكورين
للناس ليعتبروا وذلك بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق
مثلا لعمل المؤمنين او جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات
مثلا لفوز المؤمنين فالمثل على هذا مستعار وبناء الوجهين على اختلاف
المشار اليه بذلك فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب اي بعدما
علمتم من ضرب المثل اذا حاربتم الكفار واللقاء اسم الحرب فاضربوا
الرقاب فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه اختصارا مع ما يفيده من التاكيد
والمراد به القتل كيف كان وانما عبر به لما جرت العادة بان من يقتل يضرب
عنقه مع ما في اللفظ من الغلظة وتصوير القتل باشنع صورة وهو اطارة الرأس
الذي هو راس الاعضاء وزاد على هذه الغلظة في قوله فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم القتل من الثخن وهو
الغليظ فشدوا الوثاق اي شدوا الاسرى بالوثاق وهو ما يوثق به فاما
منا بعد واما فداء اي فاما تمنون عليهم بالاطلاق او هم يفدون فداء والمذكور
ترتيبهم وهذا دليل على ان الاية نزلت بعد بدر اذ لو نزلت قبلها لم يجمع

رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في اخذ الفداء وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى المن
مأول بالاسترقاق او بان يخلي سبيله ليكون ذمة للمسلمين ولا فداء عنده
وعند الشافعي رحمه الله الامام مخير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء لما
بما روى البخاري ان رسول الله عليه السلام منّ على ثمامة بن اثال وفادى رجلا
من المسلمين برجلين من المشركين وقتل عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث
بعد الاسر حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها من السلاح والكراع سميت اوزارا
لان الحرب لا تستقل بدونها فكانها حاملة لها وقيل آثامها حتى لا يبقى لاهل الشرك
شوكة غاية لما تقدم من الضرب وما بعده والمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم
حتى لا يكون حرب مع المشركين وقيل ذلك عند نزول عيسى عليه السلام لما في حديث
ان الجهاد ماض من امتي حتى يقاتل آخرهم الدجال ذلك اي الامر ذلك او افعلوا
ذلك اشارة الى ضرب الرقاب وما بعده ولو يشاء الله لانتصر منهم اي
استاصلهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض بان يستوجب المؤمنون الاجر العظيم
ويرى الكفار على ايديهم بعض العذاب لكي يرتدع اخرون والذين قاتلوا في
سبيل الله فلن يضل اعمالهم لن يضيعها ترغيب في الجهاد وقرا ابو عمرو وحفص
قتلوا اي استشهدوا وعليه الرسم وهو المختار لما روى قتادة انها نزلت
في قتلى احد سيهديهم طريق الجنة ويصلح بالهم حالهم [illegible]
بالقتل من ان يبدل لهم اعضاء خيرا من اعضائهم ولذلك سمي جعفر بن
ابي طالب الطيار لان الله تعالى عوضه عن يديه المقطوعتين في الحرب
جناحين مرصعين يطير بهما في الجنة ويدخلهم الجنة عرفها لهم من
العرف وهو الرائحة اي طيبها لهم او اعلمهم طريقها عن مقاتل ان الملك
الذي وكل بعمله يقدمه حتى يدخله الجنة وعنه عليه السلام والذي نفسي
بيده ان احدهم لاعرف بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وذلك لانه
يفتح له في قبره باب الى منزله في الجنة فيعد راى منزله مدة متطاولة
يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصروا رسوله ودينه ينصركم على
عدوكم في مواقف القتال ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام
فلا يعتريكم شكوك وريب والذين كفروا فتعسا لهم عثورا وسقوطا
في مقابلة التثبيت للمؤمنين نصب على المصدرية اي تعس الذين
كفروا دعاء من الله تعالى دال على استحقاقهم الهلاك وتحققه وتعس
في عكسه والدعاء بالسلامة قال الشاعر لحا الله قوما لم يقولوا
لعاثر ولا ابن عم ناله الدهر تعسا واضل اعمالهم جعلها ضائعة
عطف على ناصب تعسا اما دعاء او على تقدير فتعسا لهم

ذلك الهلاك بانهم كرهوا ما انزل الله من الاحكام والشرائع لكونها على
خلاف ما الفوه من اطلاق العنان والانهماك في الشهوات والملاذ فاحبط
اعمالهم كرره اشارة الى شدة اللزوم وعدم الانفكاك ومبالغة في التحذير
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي
قد ساروا وشاهدوا فما لهم لا يعتبرون دمر الله عليهم يقال دمره اي
اهلكه ودمر عليه اهلك كل ما له من نفس ومال وولد ومتاعه حذف
المفعول وجعله نسيا مع الاتيان بكلمة الاستعلاء وللكافرين امثالها
اي لهم تلك العاقبة او السنة لقوله سنة الله التي قد خلت وجمع الامثال
للدلالة على ان لكل من هؤلاء امثال عاقبة اولئك لتغلظ جناياتهم لان
الكفر بمحمد والقران ليس كالكفر بسائر الانبياء والكتب او على التوزيع
ذلك بان الله مولى الذين امنوا ناصرهم وان الكافرين لا مولى لهم لا ناصر
لهم ومعنى قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق اي مالكهم وسيدهم فلا تنافي لما راى ابو
سفيان يوم احد بالمؤمنين بعض انهزام نادى باعلى صوته اعل هبل اعل هبل ثم
قال لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله لاصحابه وهو جالس بوادي جرح الا تجيبونه
قالوا ماذا نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار تقرير للتولية والذين كفروا يتمتعون
اياما قليلة ويأكلون كما تأكل الانعام غالين في الكفر غافلين عن العاقبة غفلة
الانعام عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم ماوى ومقام النصب
على الحال وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك وقرا ابن
كثير وكاء على وزن فاع بعد بيان ما للفريقين التفت اليه تسلية اي وكم من اهل
قرية كانوا اشد قوة من هؤلاء واكثر اسبابا واموالا اهلكناهم لما كذبوا
الرسل فلا ناصر لهم اي لم يكن من ينصرهم والعدول الى المنزل لاجرائه مجرى الحال
المحكية كانه قيل فهم لا ينصرون افمن كان على بينة من ربه اراد به رسوله
والبينة ما معه من القران المعجز الدال على الوعد والوعيد او كل مؤمن لقوله
افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى كمن زين له سوء عمله
وهم مشركوا مكة واتبعوا اهواءهم لا شبهة فضلا عن حجة مثل الجنة التي
وعد المتقون مبتدا وخبره كمن هو خالد في النار رتب على الانكار السابق
في افمن كان والمعنى امثل الجنة التي وعد المتقون كمثل جزاء من هو خالد في النار
فحذف المضاف لدلالة ما تقدم عليه وفائدة التعرية عن حرف الانكار الدلالة على
ان من اشتبه عليه الاول في اثباته شكله واذ ذاك يسقط عن رتبة الخطاب
فيها انهار من ماء غير آسن تكرير للصلة وتفصيل للموعود ولذلك لم يدخل

للعاطف أو حال مؤكدة أو استئناف بتقدير مبتدأ كأنه قيل ما مثلها كذا أو كذا أو
خبر المبتدأ وعن سيبويه فيما قصصنا عليك مثل الجنة وعلى الوجهين كمن هو خالد خبر مبتدأ
محذوف أي ليس المتقي الذي له الجنة كالخالد في النار وقرينة المحذوف وعد المتقون
والآسن المتغير من أسن وقرأ ابن كثير على فعل الأول أبلغ لأن نفي العام يستلزم
نفي الخاص دون العكس وأنهار من لبن لم يتغير طعمه كحموضة وغيرها وأنهار من خمر
لذة للشاربين أي لا أهل لذة الشاربين خالية من آفات خمر الدنيا من ذهاب
عقل وغول وخمار تأنيث لذ كجد وجدة أو مصدر وصف به مبالغة وعنه عليه السلام
من سأل منكم الجنة فليسأل الله الفردوس فإنه وسط الجنة منه تتفجر الأنهار وأنهار
من عسل مصفى خلق كذلك لا يخالطه شمع ولا روائح نحل ولهم فيها من كل الثمرات
ما عدا المذكور ومغفرة من ربهم من ستر ذنوبهم أجل من تلك النعم إذ لا يوازي رضى الله شي
كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما بالغا في الحرارة يشوي الوجوه فقطع أمعاءهم
من شدة الحرارة ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم
ماذا قال آنفا كان المنافقون يحضرون خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالس تذكيره
ومواعظه ولا يلقون السمع إليه تعالى ولا يكترثون به فإذا خرجوا من عنده سألوا
الصحابة ماذا قال محمد في أول الساعة القريبة منا استهزاء وإيذانا بأنهم يحضرون
بأبدانهم دون قلوبهم وقرأ ابن كثير في رواية البزي أنفا مقصورا قال أبو علي وهما
لغتان كفاكه وفكه أولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلا يمكنهم إدراك معانيه
واتبعوا أهواءهم فلذلك يستهزئون ولا يبالون بها والذين اهتدوا إلى الإيمان
وإدراك المعارف والحكم زادهم هدى بالتوفيق والإلهام والإيمان بما يتجدد
من الوحي والأحكام وآتاهم تقواهم جزاء تقواهم أو منحهم تقويهم الخاص وهو
التنزه على التدنس وكما أن المعاصي بالمداومة عليها تؤدي إلى الطبع والرين فكذلك
الطاعات تؤدي بالسالك إلى الفناء عن وجوده فيكون الرب تعالى سمعه وبصره
فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة أي ما ينتظرون
إلا إتيانها فقد جاء أشراطها علة للانتظار كأنه قال ما ينتظرون إلا إتيانها
بغتة لأن أشراطها قد جاءت وبعد مجيئها لا بد من مجيء الساعة والأشراط جمع شرط
بفتح الراء بمعنى العلامة والمراد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بإصبعه الوسطى
وما فتح على المسلمين من الأموال والأسباب وكثرة السبايا وعن سهل بن سعد أن
رسول الله عليه السلام يشير بإصبعه الوسطى والتي تليها بعثت أنا والساعة كهاتين
ثم تعجب من نفع التذكر بعد وقوعها بقوله فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم توبيخ على
ترك التشمر لها قبل فوات الوقت فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك
مسبب عن جملة ما سبق من أول السورة من حال الفريقين كأنه قال إذا علمت ذلك

قدم

قدم على موجبات السعادة وتمسك بها وللمؤمنين والمؤمنات والطلب لذنب
متبعيك المغفرة من الله تعالى فقال استغفر لذنبه ومن ذنبه والأول أبلغ كأنه
قيل لا تأت بذنب وفي إعادة الجار دلالة على أن ذنوبهم نوع آخر إذ لا يجوز في
حقه إلا ترك الأولى نادرا والله يعلم متقلبكم بالنهار في حوائجكم ومثواكم و
استقراركم بالليل كقوله الذين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون
فراقبوه في الأحوال كلها أو في حياتكم وفي القبور أو في أعمالكم ومثواكم في الجنة فأخلصوا
له العمل وفيه إشارة إلى فضل العلم وأن لا عمل بدونه وأن فضله إنما يظهر إذا شفع بالعمل
ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة قبل الإذن في القتال حين كانوا مأمورين
بالصبر فإذا أنزلت سورة محكمة في شأن القتال لم يعتريها نسخ ولا اشتباه وذكر
فيها القتال أي الأمر به رأيت الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون لقوله في قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا ولقوله ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم
أي فأهلكهم الله هلاكا أقرب من كل شيء ولا يمكن هذا في حق مؤمن ضعيف الإيمان
طاعة وقول معروف أمثل لهم أو أمرهم طاعة استئناف ومقول قولهم قبل
القتال بقوله ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي
يقول فإذا عزم الأمر جد هو فعل صاحب الأمر أسند إليه مجازا كقولهم قام الحرب
فلو صدقوا الله أي المنافقون لكان خيرا لهم فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا
في الأرض وتقطعوا أرحامكم نقل الكلام معهم إلى الخطاب ليكون أنكى وأشد توبيخا
والاستفهام للتقرير والمعنى أنكم تعرفون كيف تقاتل العرب وهم من جلدتنا فتظهروا
بها من ديانتكم وفور حرصكم وكمال خبثكم فلو فوض الأمر إليكم وتوليتم واستقام لكم
الأمر بلا منازع هل يتوقع منكم إلا الإفساد في الأرض وقطع الرحم الذي لا شيء أقبح عند العرب
منه ولا في الشرع أشنع منه وإن كان بعض الكبائر أكبر منه وهذا منه تعالى على لسان العباد
كأنه قال يقول لكم قائل هذا الكلام ثم كشف عن حالهم بما لا مزيد عليه بقوله أولئك
الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم طردهم عن مظان الرحمة ومهاب نسيم لطفه
وأزال حاسة السمع عنهم فلا يستطيعون تلقي المعارف والحكم ولم يصل نصائح
الوحي إلى شغاف قلوبهم وأزال أبصارهم فلا يدركون الآيات المنتشرة في الآفاق
والأنفس فهذا التقرير يرشدك أن الكلام كله بعضه مرتبط ببعض في شأن الكاملين
في النفاق ولا مجال لتوهم إرادة ضعفاء المؤمنين الغير الراسخين في الإيمان مع هذا
الغضب الشديد على أن الالتفات لا يقع موقعه إلا إذا كان الكلام مع المنافقين
أفلا يتدبرون القرآن ألفاظه الرائقة ومعانيه المونقة التي لو أنزلت على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله أم على قلوب أقفالها أم بمعنى بل والهمزة
للتقرير لهذا الشق من الترديد وأن القلوب مقفلة مختوم عليها والتنكير في القلوب

أو للتهويل وتفظيع شأنها في القسوة كأنه لا يمكن تعريفها أو لا يقادر قدرها أو لأنها
قلوب متميزة من سائر القلوب وهذا أيضاً معنى حسن وأمّا إضافة الأقفال
فهي التي لا يجوز غيرها لأنها تفيد أنّ تلك الأقفال مختصة بها لا ترفعها أبداً ‹ إنّ الذين
ارتدوا على أدبارهم › هم المنافقون ‹ من بعد ما تبيّن لهم الهدى › ظهر لهم بحيث
لم يبق شبهة ‹ الشيطان سوّل لهم › أي سهّل لهم ارتكاب تهوّنه من السوال
أجوف واوي وقيل من السؤال مهموز العين بمعنى التمني وفي صحته تصريفاً
واشتقاقاً نوع تكلف ‹ وأملى لهم › أرخى لهم العنان ومدّ لهم في العمر ومنّاهم الأماني
والآمال وقرأ أبو عمرو وأملي على بناء المجهول ماضياً ‹ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا
ما نزّل الله › والقائلون هم المنافقون والذين كرهوا ما أنزل الله هم اليهود لقوله
تعالى بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزّل الله من فضله
على من يشاء وقيل القائل اليهود والذين كرهوا المنافقون وقيل قول المنافقين
لقريظة والنضير أو أحد الفريقين للمشركين والوجه هو الأول كما أشير إليه مراراً
‹ سنطيعكم في بعض الأمر › وهو الأمر الذي يحتاج إلى التظاهر والتعاون كعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاتفاق على تكذيبه والتكذيب بالتوحيد ‹ والله يعلم
أسرارهم › فإنّ هذه من تلك الأسرار وقرأ حمزة والكسائي وحفص إسرارهم بكسر الهمزة
مصدر أسرّ وهذا أبلغ وذلك أظهر وأنسب بالتوجيه ‹ فكيف إذا توفّتهم الملائكة
يضربون وجوههم وأدبارهم › أي حال لهم حال كونهم بضرب أشرف أعضائهم
وأخسّها ‹ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه › اتبعوا الطاغوت وكرهوا
الكلام المنزل وسمّاه رضواناً مبالغة لأنه سبب رضوانه أو الإسلام أو رسول الله
‹ فأحبط أعمالهم › أسقطها عن درجة الاعتبار وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباءً منثوراً ‹ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم › أي بل كان
حسبانهم ذلك إذ لو علموا أنّ رسول الله عليه السلام والمؤمنين سيطّلعون على ما هم
فيه من النفاق لم يرتكبوه ‹ ولو نشاء لأريناكهم › لعرّفناك ذواتهم وأعيانهم
‹ فلعرفتهم بسيماهم › بتلك العلامات التي أعلمناك ‹ ولتعرفنّهم في لحن القول ›
جواب قسم محذوف ولحن القول أسلوبه وفحواه وقيل إمالة الكلام عن ظاهره إلى
نحو من الأنحاء قال ولقد لحنت لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الألباب ومنه
اللحن في الإعراب لأنه عدول عن الصواب وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قولهم
ما لنا من الثواب إن أطعنا ولم يقولوا ما علينا من العقاب إن عصينا وعن عثمان
رضي الله عنه ما أسرّ أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه ‹ والله
يعلم أعمالكم ولنبلونّكم › بالأوامر والنواهي الدالة على التكاليف الشاقة ‹ حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين › على مشاقها علماً متعلقاً بوقوعها ‹ ونبلو أخباركم ›

أعمالكم فإنّ المخبر على وفق المخبر عنه إن حسناً فحسن وإن قبيحاً فقبيح وإذا تميّز
المخبر القبيح فقد تميّز المخبر عنه كذلك فصحّ أن يكون بلاء الأخبار كناية عن
بلاء الأعمال وقرأ أبو بكر الأفعال الثلاثة بالياء ‹ إنّ الذين كفروا وصدّوا
عن سبيل الله وشاقّوا الرسول من بعد ما تبيّن لهم الهدى › قريظة و
النضير أو المطعمون يوم بدر ‹ لن يضرّوا الله شيئاً › لا ينقص ذلك من ملكه
شيئاً أو رسول الله عليه السلام ولفظ الجلالة مقحم ‹ وسيحبط أعمالهم › أي
يبطلها ولا يثيب عليها أو مكايدهم وحيلهم التي يبتغونها لرسول الله عليه السلام
والمؤمنين فلا يصلون إلى مقاصدهم منها ‹ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم › كما أبطل هؤلاء بالنفاق أي لا تأتوا بها
على وجه لا يثاب عليها بأن تقرنوها بالعجب والمنّ والأذى عبّر عن ذلك
بالإحباط بجعل ما كان بصدد الثبوت كالثابت مبالغة في التحذير وعن
ابن عمر كنّا معشر أصحاب محمد عليه السلام نرى كل حسنة مقبولة حتى نزل
لا تبطلوا أعمالكم قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا حتى نزل إنّ الله لا يغفر
أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك ولا دليل فيه لمن يقول الكبيرة تحبط
العمل ولذلك أردفه بقوله ‹ إنّ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ثم ماتوا
وهم كفار فلن يغفر الله لهم › إذ مفهومه أنّ من لم يمت على تلك الحالة
جائز أن يغفر له كائناً من كان من ذنوبه ‹ فلا تهنوا › أي بعد ما علمتم أنّ
الغرض من الأمر بالقتال وسائر التكاليف تعلّق علمه بالمجاهدين الصابرين
فلا يكن منكم وهن بل تجلّد تنالوا أجر الصابرين ‹ وتدعوا إلى السّلم ›
الصلح وترك القتال ابتداءً فإنه يطمع العدوّ ولا ينافي ما صالح عليه
في الحديبية إذ لم يكن ذلك إلا بسؤال المشركين وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر السين
‹ وأنتم الأعلون › والحال أنكم الغالبون في الوقائع والحروب ‹ والله معكم ›
بالنصر والإعانة فلا وجه للوهن ‹ ولن يتركم أعمالكم › ينقص من ثوابها
شيئاً دفع لما يتوهم من أنّ النصر إذا كان منه تعالى فأنّى أجرهم يقال
وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً قريباً كالولد والأخ فإنك أفردته
عن قريبه فشبّه به الإفراد عن العمل في عظم المصيبة ومنه قوله عليه السلام
من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولا بدّ من تضمين معنى السلب
ليتعدى إلى المفعول الثاني ‹ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو › اللعب
ما يجلب السرور واللهو ما يدفع به الغموم والهموم ‹ وإن تؤمنوا › أي
تداوموا على الإيمان ‹ وتتقوا › مخالفة أوامره ونواهيه ‹ يؤتكم أجوركم ›
كاملة ‹ ولا يسألكم أموالكم › عطف على الجزاء وفيه مقابلة حسنة بين

الاجور كلها واخذ بعض المال وهو العشر او ربعه ان يسئلكموها
فيحفكم: يجهدكم بطلب الكل والاحفاء المبالغة في السؤال من احفى الشارب اذا استأصله
تبخلوا: بالعطاء جميع المال: ويخرج اضغانكم: ويظهر كراهتكم ومقتكم لدينه
لذهاب اموالكم والضمير في يخرج لله تعالى او البخل فانه سبب الاضغان: ها انتم
هؤلاء: اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله: تدعون: استئناف كأنهم
قالوا وما وصفنا فقيل تدعون او صلة هؤلاء على ان يكون موصولا وتدعون صلته: لتنفقوا
في سبيل الله: في الجهاد والفقراء يشمل الزكوة: فمنكم من يبخل: بهذا القدر
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه: اذ ضرره لا يتعداه والبخل يتضمن المنع والتضييق
يعدى بعن نظرا الى الاول وبعلى نظرا الى الثاني ثم قرر ذلك بقوله: والله الغني
وانتم الفقراء: اي كما ان الغنا لازم ذاته لا يفارقها كذلك الاحتياج لكم فقال
فالفقر وصف لذاتكم دائما كما ان الغنى ابدا وصف له ذاته: وان
تتولوا: تعرضوا عطف على ان تؤمنوا: يستبدل قوما غيركم: كقوله ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد: ثم لا يكونوا امثالكم: بل يكونوا سامعين مطيعين
روي ابن جرير باسناده الى ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله عليه السلام
تلا هذه الاية قالوا من هؤلاء يا رسول الله فضرب بيده على كتف سلمان فقال
هذا وقومه ولو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من الفرس تمت سورة
القتال والحمد لمولى النعم والنوال والصلوة على سيد المفضال وآله وصحبه خير
صحب وآل

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا: نزلت بعد صلح الحديبية بكراع الغميم وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قصد زيارة البيت قبل الفتح سنة قبل الهجرة فحال كفار
قريش بينه وبين البيت واجتمعوا الى الحديبية وهي بئر بقرب مكة فوقع بينهم
الصلح على ان يدخل في العام القابل مكة ويطوف بالبيت ويقيم بها ثلثة ايام فقال ناس
من الناس قال عمر بن الخطاب اوفتح هو يا رسول الله قال اي والذي نفسي بيده
وانما كان فتحا لانه سبب لفتوح كثيرة لانه تفرغ لقتال سائر العرب وفتح في تلك
السنة خيبر وآمن الناس واجتمع المؤمن بالكافر والصديق بالصديق وسمعوا القرآن
واسلم بشر كثير وانتشر العلم والايمان وقيل هو فتح مكة والتعبير بالماضي على دلالة الاخبار
لتحققه وفيه فخامة حيث جعل المترقب كالمتحقق وان الازمنة كلها عنده على السواء
فما اخبر من حادث فهو كائن لا محالة: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر: علة للفتح من حيث انه متسبب عن جهاده والسعي في ازاحة الكفر وتكميل
النفوس واعلاء كلمة الله تعالى او جمع ما بعده معلول للفتح من حيث المجموع فانه علة
للنصر العزيز والذنب المغفور له مما لا يخلو البشر عنه من خلاف الاولى وقيل

ما تقدم

ما تقدم تحريم مارية وما تأخر اخفاء قصة زينب وفيه ان قصة زينب متقدمة
ويتم نعمته عليك: نعمة الاسلام واعلاء كلمته: ويهديك صراطا مستقيما: هو صراطا
لا عوج فيه وهي الملة الحنفية وشرعية القرآن: وينصرك الله نصرا عزيزا: غلبة على العدو
مع العز اذ النصر قد يخلو عنه وذلك صلح الحديبية لانه كان بسببه لما القى الله تعالى
في قلوبهم من الرعب والعز للمنصور فالاسناد مجازي: هو الذي انزل السكينة
في قلوب المؤمنين: لما اصطلحوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحر الهدي انكر اصحابه ذلك
وقالوا كان وعدنا انا نطوف بالبيت حتى قال لهم ذلك ثلث مرات لم يتحرك منهم احد
فدخل على ام سلمة وشكا اليها ما رأى منهم فقالت انحر انت بيدك واحلق رأسك
متى تبعوك ففعل فاتبعوه فالسكينة هي الطمأنينة التي كانت بعد القلق والاضطراب
او انزل السكون الى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرائع: ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم: اذ لم يكن في بدء الاسلام الا التوحيد ثم نزلت الصلوة والزكوة و
سائر الشرائع قالت عائشة رضي الله عنها لو نزلت الفرائض جملة لم يؤمن منهم احد
ولله جنود السموات والارض: لو اراد اهلاك اعدائه لاهلكهم طرفة عين ولكن
اجرى الامور على وفق حكمته ومن ذلك قضية الحديبية وما كان في ذلك من الحكم
وكان الله عليما: كامل العلم: حكيما: في كل ما دبر: ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها: متعلقة بمحذوف اي دبر ما دبر
وقضى ما قضى ليعرف المؤمنون نعمه عليهم فيشكروها ويدخلوا بها هذه الرتبة
او بدل اشتمال ليزدادوا: ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا
عظيما: اذ هو منتهى المطالب وغاية الثابات وعند حال من المسكن
في عظيما: ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
عطف على ليدخل الا اذا جعل بدلا فعطف على المبدل وتقديم المنافقين
لان غلام الاسلام واهله كان احبط لهم: الظانين بالله ظن السوء: وهو ان الله
لا ينصر رسوله والمؤمنين او ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون والسوء الفساد
والذم والاضافة فيه كرجل صدق والمعنى ظن الشيء الفاسد: عليهم دائرة
السوء: دائرة ذلك الفنا والذي يظنونه بالمؤمنين الدائرة ما احاط بالشيء
من جميع جهاته خيرا كان او شرا غلبت في الشر كغلبة الدولة في الخير فالاضافة
للبيان كشمس النهار وقرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين وهو الشر والعذاب
والبلاء وهو ابلغ واصح: وغضب الله عليهم: اراد الانتقام منهم لان
المصارف قد لا يكون مغضوبا عليه: ولعنهم: طردهم عن رحمته اذ الغضب
ربما لا يؤدي الى الطرد ثم اشار الى ما لهم في الاخرة بقوله: واعد لهم جهنم و
ساءت مصيرا: ولم يعطف الاخيرين بالفاء مع ان لكل واحد سبب

عن سابقة اشارة الى استقلال الكل بالوعيد ولله جنود السموات والارض فلو اراد
لانتقم منهم واستاصلهم كما فعل بعاد وثمود وكان الله عزيزا حكيما غالبا لا يغلب
حكيما في تاخير العذاب لما فيه من المصالح انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا
ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله اى المرسل اليهم وتعزروه
التعزير النصر القوي وتوقروه تعظموه وتسبحوه تنزهوه بكرة واصيلا
دائما او في هذين الوقتين لانهما اشرف الاوقات وعن ابن عباس رضي الله عنه
يريد صلوة الصبح والظهر والعصر والضحى لله تعالى وقرا الكوفيون ونافع وابن عامر
بتاء الخطاب في الافعال الاربعة والمخاطب رسول الله وامته لانه مؤمن بما
به قبل كل احد فغلب على الغائب ان الذين يبايعونك المضارع لتصوير
الماضي بصورة الحال انما يبايعون الله لانك رسوله والواسطة بين الله وبينهم
يد الله فوق ايديهم اراد يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المبايعة والله تعالى منزه
عن الجارحة بل هو سبيل التخييل وان العقد والميثاق مع رسوله انما هو معه تعالى
وهذه البيعة هي بيعة الرضوان واهلها كلهم في الجنة وهم الف وثلثمائة او اربع
او خمسمائة وسببها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عمر بن الخطاب ليرسله الى اشراف
كفار قريش وراسهم ابو سفيان ليخبرهم انه انما جاء زائرا لا يريد حربا فقال
فقال عمر يا رسول الله قد علمت كفار قريش ما كان مني الغلظة وليس بمكة من بني
عدى من يحميني ولكن ادلك على من ترسله عثمان بن عفان فانه من بني امية
فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجف الناس ان الكفار قتلوا عثمان
فعند ذلك دعاهم الى البيعة واختلفت الرواية في كيفية البيعة عن سلمة بن الاكوع
انهم بايعوه على الموت وعن جابر انهم بايعوه على ان لا يفروا ولما بايع الحاضرين
رفع يده وقال هذه يد عثمان ووضعها على الاخرى ثم قال كلكم في الجنة الا صاحب
الجمل الاحمر قال جابر فابتدرنا اليه فقلنا تعال بايع رسول الله وكان قد اضل جمله
فقال لان اصيب جملي خير لي من ان ابايع صاحبكم فمن نكث فانما ينكث على
نفسه اذ لا يعود ضرره الا اليها قال جابر ولم ينكث احد منا ومن اوفى بما عاهد
عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما الجنة وقرا حفص بضم الهاء في عليه وقرا نافع وابن
كثير وابن عامر بالنون التفاتا وهو ابلغ في الترغيب سيقول المخلفون من
من الاعراب هم المنافقون منهم بنو لحيان وغطفان وعصية والديل وغفار
واسلم ومزينة وجهينة عن سفره لانهم تخلفوا حين استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة الحديبية حذرا من قريش ان يحاربوه او يصدوه عن البيت فاعتذروا
بالاموال والاهل ولما رجع رسول الله قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا لم يكن من
يقوم مقامنا فاستغفر لنا قالوه نفاقا واستهزاء يقولون بالسنتهم

ماليس

ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله
شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا اى قل لا احد يدفع ضره ولا نفعه فليس
الشغل بالمال والاهل عذرا اذ لا يرد ذلك من الضر شيئا ولا معاقبة العدو
بمنع النفع ان اراده واللام اما للبيان كما في هيت لك او صلة وقرا حمزة والكسائي
بضم الضاد على انهما لغتان او هو الاذى وسوء الحال وبالفتح ضد النفع مصدر ضره
اوفق واخف ثم ترقى الى التهديد بقوله بل كان الله بما تعملون خبيرا بما اكننتم
في انفسكم ثم كشف النفاق عنه بقوله بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى اهليهم ابدا وذلك انه عليه السلام لما استنفرهم قالوا غزوه في المدينة وقتلوا
اصحابه وشارفوا على قتله كيف يذهب اليهم وزين ذلك في قلوبكم المزين
هو الله تعالى حقيقة والشيطان تسببا وظننتم ظن السوء الظن وهو ان لا
ينصر الله رسوله وكنتم قوما بورا هلكى وصف بالمصدر مبالغة او جمع بائر كعائذ
وعوذ قال كعب عوذ مطافيل ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا ومن لم يؤمن بالله ورسوله ظاهرا وباطنا فانا اعتدنا لهم وضع الظاهر
موضع المضمر وتنكير سعيرا لانها نار مخصوصة كنار تلظى ولله ملك السموات
والارض يتصرف فيه كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا راد
لصنعه وفيه ترغيب لمن نافق وتخلف في التوبة وكان الله غفورا رحيما اى
كثير الغفران والرحمة سيقول المخلفون عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم
لتاخذوها يعني مغانم خيبر وعد الله رسوله والمؤمنين ان يعوضهم عن غنائم قريش
بشرط ان لا يشاركهم فيها احد والتعبير بالمغانم والاخذ اشارة الى سهولة حصولها
ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله حكمه السابق لاهل الحديبية بان يكون
غنائم خيبر لهم دون شريك الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى جعفر بن ابي طالب
ومن قدم معه من الحبشة فانهم جاؤا ورسول الله على خيبر وقرا حمزة والكسائي كلم الله
جمع كلمة وقراءة الجمهور اولى اذ لا بد من تاويل هذا الكلام قل لن تتبعونا كذلكم قال الله
من قبل هو ذلك الوعد فسيقولون بل تحسدوننا يكذبون كلام الله كما هو دابهم
بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اضراب عن اضافة الحسد الى المؤمنين الى ما هو اقبح منه
وهو الجهل وعدم الفهم لكل داء دونه ولذلك نسبوا الحسد الى من طلق الدنيا
وزخرفها وما زاغ البصر الى المشتهى دون جناب القدس وما طغى قل للمخلفين من الاعراب
كرر بهذا الاسم لشناعته تشنيعا [illegible] ستدعون الى قوم اولي باس شديد
[illegible] قيل هم هوازن وثقيف قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح وقيل
فارس والروم وعن الضحاك هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب قاتلهم خالد بن
الوليد في خلافة الصديق تقاتلونهم او يسلمون استئناف وليس لبني حنيفة قوم منهم

دعوا الى قتال قوم لا الى قتال قوم موصوفين بالمقاتلة والايراد بانه لابد من
تاويله بالامر اذ قد يتركوا شيئًا او بهذا غير قادح اذ الكلام فى قوم مخصوصين
وقد وقع الانقياد وعلى اى تقدير فسر القوم اما ايمانا او جزية او النفوس وحصر
اذ لا ثالث فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا: الغنيمة فى الدنيا والجنة فى
العقبى وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما ليس على
الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج استثنى المعذورين عن التخلفين
ووعيدهم ومن يطع الله ورسوله كما نا من كان يدخله جنات تجرى من تحتها
الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما قرا نافع وابن عامر ندخله ونعذبه وهو ابلغ
ترغيبا وترهيبا لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهى
السمرة نوع من شجر الطلح عن سعيد بن المسيب ان اباه اخبره انهم جاؤا فى
العام القابل فتفتشوا عليها فلم يظفروا بها وكان ذلك حكمة من الله تعالى لئلا
يفتتن بها اقوام فعلم ما فى قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة
الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر لما عاهد قريشا على ان يرد اليهم من جاءه
مسلما قلت الست رسول الله حقا قال بلى قلت الست تعدنا ان تطوف بالبيت
قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا قال انى رسول الله ولن يضيعنى الله تعالى هل
قلت لك انك تطوف بالبيت فى هذا العام قلت لا قال فانك آت ومطوف
واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما غالبا اى حاكما
وعدلا فيكم وعدكم الله مغانم كثيرة هى ما يفيئ الله على المؤمنين الى يوم القيمة
تاخذونها ذكر الاخذ فى الموضعين للدلالة على سهولة الحصول فعجل
لكم هذه غنائم خيبر كانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم وكف
ايدى الناس عنكم اهل خيبر وحلفاؤهم اسد وغطفان جاؤا لنصرهم فقذف
الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا او اذ لين او اهل مكة بالحديبية حين سالوا
الصلح ولتكون آية للمؤمنين اى هذه الكفة ليعلموا انهم بمكان من الله تعالى
وعين كالئة والعطف على علة محذوفة مثل لينفعكم بها او وليكون الكف آية
للمؤمنين فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما اذا وجدتم وعد الله ورسوله
صادقا ازددتم ايقانا وتفويضا اليه لانه العالم بعواقب الامور واخرى
لم تقدروا عليها قد احاط الله بها عن ابن عباس رضى الله عنهما هى الفتوح التى
تفتح الى يوم القيمة واخرى مجرور برب او مرفوع على الابتداء وقد احاط الله
بها صفة خبره وقيل عطف على هذه والمراد بها غنيمة هوازن يوم حنين ومعنى لم
تقدروا عليها انتم انهزموا والمعنى غنمكم الله تعالى من غير حول وقوة وفى
جعلها صلحا او عنوة من الغنيمة المعجلة فتح مكة بعده وقيل فتح مكة وهذا الله

اذ لم يكن فيها غنيمة سوا فتحت صلحا او عنوة وعن ابن ابى ليلى انها الروم والكرد
وكان الله على كل شيء قديرا لا تتفاوت نسبة الممكنات الى قدرته ولو قاتلكم
الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله مصدر مؤكد اى سن
غلبة انبيائه التى قد خلت من قبل فى الامم الماضية ولن تجد لسنة الله تبديلا اى
تغييرا كتب الله لاغلبن انا ورسلى تشجيع لهم ليثبتوا فى مواطن الحرب بعد ان علموا
ذلك وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة روى انس بن مالك ان
ثمانين رجلا من المشركين نزلوا من جبل التنعيم يوم الحديبية يريدون غرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذهم المسلمون واتوا بهم رسول الله فقال هل نزلتم على عهد احد
من اصحابى قالوا لا وكذا عن سلمة بن الاكوع وعكرمة مولى ابن عباس الا ان فى
رواية سلمة سبعين وفى عكرمة اربعين فعفا عنهم وقال دعوهم يكن بدء الفجور منهم وثناؤه
وقيل ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة فارس يريد قتال رسول الله عليه السلام
فارسل اليه خالد بن الوليد فهزمه حتى ادخله حيطان مكة وفيه ان خالدا لم يكن اسلم يوم الحديبية
بل كان طليعة للمشركين كما رواه البخارى وقيل كان ذلك يوم الفتح وبه استدل على ان
فتح مكة فتحت عنوة ولا يستقيم اذ لم يكن يوم الفتح مع رسول الله بل جاء فى جيش
كثيف محاربا من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون من اعمال البر ومحاسن
الاخلاق بصيرا لا يخفى عليه وقرا ابو عمرو يعملون بياء الغيبة والخطاب اوجه لان الكلام
فى مناقب المؤمنين هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ
محله الهدى ما يهدى الى الكعبة من الانعام معكوفا محبوسا عن البلوغ الى محله المعهود
وهو منى لقوله صلى الله عليه وسلم نحرت هنا ومنى كلها منحر واستدل به الشافعى رحمه الله
على ان المحصر ينحر حيث احصر كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وقال ابو حنيفة
رحمه الله تعالى يبعثه الى الحرم لان الاراقة قربة فلا يقع موقعها الا فى زمان ومكان اعتبره
الشارع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاج مكة كلها منحر وكان مضارب رسول الله
فى الحل ومصلاه فى الحرم فدل على انه نحر فى الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم ان تطؤهم اى تهلكوهم وتستاصلوهم اصله الدوس بالقدم عبر به عن الاهلاك
لان من وطئ برجله على شئ فقد استقصى فى هلاكه قال الشاعر ووطئتنا وطأ على حنق
وطء المقيد نابت الهرم وفى حديث خولة بنت حكيم انه قال رسول الله عليه السلام
آخر وطأة وطئها الله بوج فتصيبكم منهم معرة بغير علم مشقة وكراهة من المعرة
وذلك انهم لو قاتلوا لقتل من بمكة من المستضعفين وكان يجب عليهم الدية والكفارة
ولشاع المشركون ان محمدا قتل من آمن به فى الحرم والجار والمجرور متعلق بان تطؤهم
على ان حال من ضمير المخاطبين ولا تكرار سوا جعل ان تطؤهم بدل اشتمال من رجال
ونساء او من المنصوب فى لم تعلموهم لان عدم العلم فى الاول بالايمان وفى الثانى بالاهلاك

وجواب لو محذوف دل عليه الكلام وفي حذفه اشارة الى شدة غضب الله عليهم
اي لولا حق المؤمنين ومكانهم عند الله تعالى لاوقع بمن صدكم عن بيته ما لا يدخل تحت
الوصف. ليدخل الله في رحمته من يشاء: كان ذلك الكف وذلك بان يسلم
المؤمنين من القتل ويدخل في الاسلام من وفقه ممن كان مشركا. لو تزيلوا لعذبنا الذين
كفروا منهم عذابا اليما: لو تفرقوا وامتاز بعضهم عن بعض من زال يزيل كما زيل بمعنى
ومعنى ومنه قوله تعالى فزيلنا بينهم وجوز ان يكون لو تزيلوا تكرارا لقوله ولولا رجال
مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب. اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحمية: ظرف لعذبنا او صدوكم او نصب باذكر. حمية الجاهلية: التعصب الباطل
لا لحمية الاسلام من المحافظة على حرمات الله. فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
اي الوقار والطمانينة وقد تقدم ما كان من عمر واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الامتناع عن نحر الهدي ولما كتب علي كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى
عليه محمد رسول الله اهل مكة فقال سهيل بن عمرو اما الرحمن فلا نعرفه اكتب باسمك
اللهم ولو عرفناك انك رسول الله ما قاتلناك اكتب محمد بن عبد الله فقال لعلي
امح رسول الله قال والله لا امحاه ابدا فاخذ منه ومحاه وكتب محمد بن عبد الله. والزمهم
كلمة التقوى: الوفاء بالعهد وذلك انه لما وصل الى الحديبية بركت ناقته فقالوا خلات
القصواء فقال والله ما خلات وليس ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل
والله لا يسئلوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم فكل ذلك كان وفاء بما
عاهد الله عليه وقيل كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم اختارها الله للمؤمنين دون
ابى المشركون والاضافة الى التقوى لانها سببها. وكانوا احق بها: واولى من غيرهم
غيرها لكما توجهم. واهلها: والمستاهلها. وكان الله بكل شيء عليما: علم استحقاقهم لها وانهم اهل
للهداية. لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام: راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل الحديبية في المنام انه دخل هو واصحابه المسجد الحرام وطافوا وحلقوا او قصروا
فقصها على اصحابه ففرحوا بذلك وانقبضوا انه يكون ذلك في تلك السنة فلما كان من امر الصلح
ما كان تغيرت خواطرهم ووسوس اليهم الشيطان حتى قال عمر ما قال واجاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما اجاب فانزل الله ان ذلك المنام حق ولا بد من وقوعه على الوجه الذي
راه وما قيل ان عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث قالوا والله ما حلقنا
وما قصرنا ولا راينا المسجد الحرام لا يستقيم لانه لم يكن معه في الحديبية منافق الا صاحب
الجمل الاحمر كما تقدم. بالحق: صفة مصدر اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالحكمة البالغة من الابتلاء او
حال من الرؤيا اي لم يكن من اضغاث الاحلام او قسم اما باسمه تعالى او بنقيض الباطل
وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف. ان شاء الله امنين
محلقين رؤسكم ومقصرين: كما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تبدل ولا نقصان والتقييد

بالمشية

بالمشية تعليم للعباد في العزم على المترقب واشارة الى ان ذلك بمجرد مشيته تعالى لا بجلادتهم
او هو حكاية ما قاله ملك الرؤيا او رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قص الرؤيا وقيل المعنى
امنين ان لم يمت منكم احد او يغيب ويرد ان عليه تعالى ينافي ذلك. لا تخافون: اي
بعد الدخول حال مقيدة لان الاحوال المتقدمة احوال مقدرة. فعلم ما لم تعلموا: من الحكمة
والفاء للتعقيب في الذكر. فجعل من دون ذلك فتحا قريبا: صلح الحديبية لما تقدم ان
عمر رضي الله عنه قال او فتح ذلك قال اي والذي نفسي بيده وقيل فتح خيبر. هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق: ملتبسا بالهداية ودين الاسلام الذي ارتضاه له او الدين
الحق اضيف اليه مبالغة كرجل صدق. ليظهره على الدين كله: ليجعله عاليا بحيث لا يبقى
لملك الاديان نفاذ واذا كان عناية الله معه في هذه الرتبة فكيف يستبعد دون
فتح مكة ودخول المسجد الحرام امنين. وكفى بالله شهيدا: على انجاز هذه
المواعيد. محمد رسول الله: صرح باسمه العلم دفعا لتوهم غيره من لفظ الرسول اي
ذلك الرسول الموصوف محمد ورسول الله عطف بيان ولا يكون تركيبا بليغا
منه ويجوز ان يكون مبتدا ورسول الله خبره. والذين معه اشداء على الكفار رحماء
بينهم: وصفهم بكمال الرجولة والحكمة حيث وضعوا كل شيء موضعه وفي الحديث
المؤمنون في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر
الجسد بالحمى والسهر ولما تمشى ابو دجانة الى القتال يتبختر فنظر اليه الناس واحد
يختال في مشيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مشية يبغضها الله الا في هذا الموطن
تريهم ركعا سجدا: هذه معاملتهم مع الله تعالى وتلك معاملتهم مع الناس. يبتغون فضلا
من الله ورضوانا: الثواب والرضاء الذي هو اعلى المطالب وفيه تعريض لمن يقصد
الذين يراؤن الناس. سيماهم في وجوههم من اثر السجود: والسيما العلامة من
السومة والياء بدل من الواو ومن بيان اي سيماهم التي هي اثر السجود وقد روي
ابن ماجه باسناده من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار واليه اشار عليه السلام في
قوله الصلوة نور ولذلك ترى تارك الصلوة على وجهه ظلام ولو فعل من البر
ما فعل وعن منصور سالت مجاهدا فقال هو خشوع فقلت ما ارى الا الاثر في الوجه
فقال ربما كان ذلك بين عيني من هو اقسى قلبا من فرعون. ذلك الوصف
العجيب. مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل: في الكتابين اللذين لم ينزل قبل
القران اعظم منهما ثم ابتدا فقال كزرع اخرج شطاه: فراخه وجمع اشطا ما يخرج
حول السنبلة من الفروع وقرا ابن كثير وابن عامر في رواية ابن ذكوان بفتح الطاء
لغة فيه. فازره: فقواه واعانه من الازر او من الموازرة وقرا ابن ذكوان
ازره كنصره لغة والمد اشهر والاولى. فاستغلظ: فصار من الدقة الى الغلظة او
استحكم غلظه. فاستوى على سوقه: على قصبه جمع ساق مبالغة في استحكامه وقرا ابن كثير

في رواية قبل الهمزة على ان مفرده كحهوز كالكاسي يعجب الزراع بقوته وحسن منظره
اي مثل محمد في قيامه وحده في مكة ودعواه الرسالة ثم تأيده بالصحابة كمثل هذا
نباتها ليغيظ بهم الكفار تعليل لما دل عليه الكلام اي كونهم بهذه الصفة ليغيظ الكفار
ويجوز تعلقه بالقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
من بيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان تمت والحمد لله وحده والصلوة
على من عليه الاملاك صلت

سورة الحجرات مدنية وهي ثمانية عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
التقديم جعل الشيء متقدما اي بحيث مفعوله محذوفا ليذهب النفس كل مذهب
او نسيا كيحيي ويميت وجاء بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش والاول ابلغ واشهر يقال
فلان بين يدي زيد اذا كان قريبا منه بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله وذكرها
مع الله تعالى على سنن المجاز المسمى تمثيلا وفيه تصوير لشناعة ما نهوا عنه والمعنى
لا تقطعوا امرا دينيا ولا تحكموا به من دون اذن الله ورسوله والاولى ان يجعل ذكر الله
توطئة من قبيل اعجبني زيد وكرمه لان الكلام مسوق لاجلال رسول الله عليه السلام
وفي ذلك من قوة الاختصاص والمكانة ما لا يخفى وهو الموافق لقوله تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه ثم اذا علم شان التقديم بين يدي علم شان التقديم بين يدي ثمة من باب
الاولى واتقوا الله فان التقوى ملاك الامر من تمسك بها جانب كل ادب
وجانب كل شبهة وريب ان الله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم
يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اذ من كان بغايته
ومكانته عند الله من القرب والحظوة ما تقدم كان حقيقا بخفض الصوت والتأني
بالكلام بين يديه ادنى ما يجب اليه من التوقير والاجلال ولذلك جاء النداء
حثا على الاستبصار وايقاظا من سنة الغفلة تذكيرا واعتبارا روى البخاري
باسناده الى ابن ابي مليكة قال كاد الخيران ان يهلكا ابو بكر وعمر رفعا اصواتهما
عند رسول الله لما قدم عليه ركب بني تميم اشار الصديق بابن بنت القعقاع
ابن معبد عليهم واشار الفاروق الى الاقرع بن حابس فارتفعت في ذلك
اصواتهما فنزلت فقال ابو بكر والله لا اكلمك بعد هذا الا كالسرار وكان عمر اذا
خاطب رسول الله لم يسمعه حتى يستفهمه ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
فضلا عن رفع الصوت فوق صوته ان تحبط اعمالكم فان الاستخفاف به كفر
محبط للعمل والمعنى انتهوا عن ذلك خشية من حبوط العمل على ان المنهي معلل و
الفعل لاجل الحبوط مبني على ان المعلل منهي لانه لا ادى اليه فكانه فعل لاجله ولما
نزلت افتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس الانصاري فندب
اليه عاصم بن عدي فوجده يبكي في بيته فاخبره بما رسول الله فدعاه فقال

ما يبكيك

ما يبكيك يا ثابت فقال قد خفت ان يكون قد حبط عملي وكان جهوري الصوت
قال لست هناك تعيش حميدا وتموت شهيدا قال انس لما كان يوم قتال
مسيلمة الكذاب تحنط ولبس كفنه فقاتل حتى قتل في كفنه وانتم لا تشعرون
بذلك وعنه عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يكتب
له بها الجنة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار
ابعد ما بين السماء والارض ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
يخفضونها كل شيء كففته فقد غضضته اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
اي علم انها اقوياء على احتمال التكاليف والمشاق لان الامتحان سبب المعرفة
والجار والمجرور حال اي كائنة للتقوى خليقة بها كقولك انت لهذا الامر اي
مختص به لا يتجاوزك او ضربها بانواع المحن ليظهر تقواها لان حقيقة التقوى
لا يعلم الا عند الابتلاء او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذابه وخلص ابريزه
وعن عمر اذهب شهواتها ثم في جعل اسم ان المؤكدة موصولا اشعارا بعلته
الى وجه بناء الخبر وتعريفه والاتيان باسم الاشارة والاشارة باللام الى الاختصاص
والاستئناف في لهم وابهام الجزاء وتنكيره في مغفرة واجر عظيم ايذان
ارتضاء لمن تأدب بهذا الادب وسلك مع رسوله سبيل التوقير و
والاجلال وتعريض باضدادهم نزلت في الشيخين ايضا ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات ناس من بني تميم مقدمهم الاقرع بن حابس نادوه باسمه
وهو في حجرة الحجرات بيوت ازواجه جمع حجرة فعلة بمعنى المفعول من الحجر وهو
المنع والوراء وان كان حقيقة في الخلف والقدام الا انهما لم يرادا بخصوصهما
لان مناط الانكار نداؤه على الوجه المذكور في اي جهة كان والجمع لانها كانت
متصلة فالمنادي من وراء الكل او تفرقوا فيها او على التعاقب وانما علم
انه كان داخلا في الحجرات من زيادة من اذ لا بد ان يختلف المبدأ والمنتهى
اكثرهم لا يعقلون اي كلهم واطلاق القلة على النفي والعدم غير عزيز او يكون
فيهم من لم يرض ذلك ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم في الدين
لان الاداب مغناطيس القلوب والآخرة فان توقيرك من اجل الطاعات
والقربات وفي التقييد باليهم اشارة الى ان خروجه لو لم يكن اليهم بل لامر اخر
لم يكن لهم ان يبادروه بالخطاب فضلا عن ندائه على ذلك الوجه والله
غفور رحيم وافر الغفران والرحمة ترغيب لهم في التوبة ولما ارشدهم الى
طريق السلوك معه وشيد اركان اجلاله بما لا مزيد عليه شرع يبين
معاملة المؤمنين بعضهم مع بعض بقوله يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط ارسله

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ليأخذ صدقاتهم فاستقبلوه
اكراما له لانه رسول رسول الله عليه السلام وكان بينه وبينهم مشاحنة فظن
انهم مقاتلوه فكر راجعا واخبر انهم منعوا الزكوة وارادوا قتله فبعث اليهم
بعثا فلما كانوا بالطريق راوا الحرث بن ضرار وهو ابو ميمونة زوجة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع قومه فسألوا البعث فقالوا اخبرناك مقاتلين اردت
قتل الوليد ومنعت الزكوة فقال معاذ الله فورد مع قومه الى رسول الله عليه السلام
وحلف له فنزلت وروي انه بعث بعد الوليد خالدا فرآهم مواظبين على الطاعات
فاتى بصدقاتهم وقصد بتنكير فاسق ونبأ العموم اي فاسق كان باي نبأ كان
فان النكرة في الشرط تعم والفسق الخروج كيف ركبت وقرأ حمزة والكسائي
فتثبتوا بالثاء وقراءة الباء اوفق لانه المقصود من التثبت ولما روي انه قال
بعد نزولها الا ان التبين من الله فتبينوا وفيه دلالة على رد خبر الفاسق و
قبول خبر العدل. ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين كراهة ان تصيبوا
قوما بمكروه وهم براء عن موجبه حال كونكم جاهلين بحقيقة الحال فتصيروا ذوي ندم
وهو الغم اللازم اما لفوته او لعدم عقيبه موجبه او لكثرة تذكره كالتائب الصادق
في توبته وتركيب الحروف يدل على الدوام ومنه النديم والمدمنة والادمان
واعلموا ان فيكم رسول الله نعى عليهم ما فرط من الوليد وما كان من بعض المؤمنين
من حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايقاع ببني المصطلق قبل التثبت
ونزلهم منزلة من لم يعلم انه بين اظهرهم وبه وقد تقدم لهم النهي عن التقديم بين يدي
الله ورسوله. لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم. تعجب على الحال من المستكن في
الفعل او البارز المجرور اي هو فيكم على حالة يجب تغييرها وهي ارادتكم اتباع
رأيه لا يطيعكم في كثير من الامور وذلك مما يوقعكم في المشقة في ايثار لو اشارة
الى ان ما ارادوه حقه ان يكون مفروضا كالمستحيل واتيانه بالمضارع تصويرا
لاستهجان ما كانوا عليه من ارادة الاستمرار فيما حقه ان يكون مفروضا والعنت
الذي هو الكسر بعد الجبر الى اشد المحذور مع الرمز على انه ليس باول بادرة منهم
وتعميم الخطاب ليكون تعريضا وهو اردع لمرتكبه وازجر لغيره فان قلت اذا نزلوا
منزلة الجاهل كان قوله واعلموا ان فيكم رسول الله كلاما مفيدا وكان الاستئناف
في لو يطيعكم ظاهرا كأن قائلا قال ماذا فعلوا حتى نسب الى ذلك التفريط وكان
بانهم يريدون ما يوقعهم في العنت بسبب اتباع من يتعلى على المجرة في الكمال
وتتضاءل الشمس دون رأيه لدى الظهيرة قبل الزوال قلت ذلك وجه حسن
لولا ارتباط الكلام بما تقدم من شأن الوليد ومبادرة البعض الى تصديقه وحث
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايقاع فيفوت التعريض وينفك النظام. ولكن الله

حبب

حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان.
استدراك ببيان عذرهم وهو ان فرط حبهم للايمان وكراهة الكفر وما يخالف
طاعة الله ورسوله حملهم على ذلك او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لهم وذما
لغيره تعريضا. اولئك هم الراشدون. يؤيد الثاني والكفر عدم الايمان والفسوق
الكبائر والعصيان الصغائر وكل ما انكره الشرع والرشد الاستقامة على الحق
من الرشادة وهي الصخرة. فضلا من الله ونعمة متحدان ذاتا والاول بالنظر
الى المنعم والثاني الى المنعم عليه ونصبه على المصدر لغير الرشد فعل او مفعول له المقدر
اي جرى ذلك فضلا او لحبب وما عطف عليه واولئك هم الراشدون اعتراض
او للراشدين لان الرشد لما كان بتوفيقه فكان فعله ولا يخلو عن تعسف. والله
عليم باحوال الناس حكيم. يتفضل وينعم على ما اقتضته حكمته. وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا. الجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع وايثار ان مع
كثرة الاقتتال اشارة الى ان الايمان حقيق بان لا يوجد معه الاقتتال الا نادرا.
فاصلحوا بينهما. بين الطائفتين. فان بغت احداهما على الاخرى. تعدت. فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء الى امر الله. ترجع الى حكمه وايثار المضارع لان المقابلة باعتبار
البغي الحالي. فان فاءت. رجعت. فاصلحوا بينهما بالعدل. قيده بالعدل
دون الاول اشارة الى ان الباغي بعد الفيء حكمه حكم العادل والتائب من
الذنب كمن لا ذنب له لا سيما وكانت لهم شبهة. واقسطوا. في سائر الامور
او تأكيد للاصلاح بالعدل. ان الله يحب المقسطين. يثيبهم على فعلهم وفي الحديث
المقسطون على منابر من نور يوم القيمة يقال قسط ظلم مصدره القسط
بالفتح واقسط ازال القسط بالكسر نزلت في الاوس والخزرج
ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا يعود سعد بن عبادة فمر على مجلس
فيه الانصار وابن ابي المنافق فاخذ بانفه وقال لا تؤذيني بنتن حمارك
فقال عبد الله بن رواحة ان حماره اطيب ريحا منك فوقع بين الطائفتين
القتال بالايدي والنعال. انما المؤمنون اخوة. في الدين اتى بالحصر اهتماما
بشأنها واشارة الى ان مع الايمان زالت الاجنبية وهي اشرف من
اخوة النسب لانقطاع الانساب يوم القيمة واخوة الدين باقية ابدا
صافية لا كدر فيها بخلاف اخوة النسب اذ قلما يخلو عن كدورة ومجانبة
فاصلحوا بين اخويكم. ان وقع شنآن وايثار المثنى لانه اقل ما يكون بين
الاثنين ولانه اذا وجب الاصلاح بينهما ففي الاكثر اوجب والزم. واتقوا الله
في مجامع اموركم او في ترك الاصلاح بين الاخوين فانه كثيرا ما يتساهل فيه
لعلكم ترحمون. حال كونكم راجين رحمة الله تعالى. يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم

عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن: القوم رجال
خاصة ولذا قوبل بالنساء ولانهم قوامون على النساء ولقول زهير اقوم آل
حصن ام نساء وقوم نعت ونظائره تغليب او لانهن توابع مصدر في الاصل نعت بهم
اذا الملك احبت قوما والبغضت قوما اي قياما او جمع قائم كزور في زائر والتنكير
لارادة البعض او الشيوع ولم يقتصر على التوحيد لان السخرية اكثر ما يكون في المحافل
والراضي بها كالساخر ولم يعطف عسى بالفاء لكونه مستانفا جوابا عن سؤال
الموجب للنهي: ولا تلمزوا انفسكم: اي لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين
كنفس واحدة كقوله ولا تقتلوا انفسكم او لا تفعلوا ما تلمزون بسببه كقوله عليه
السلام لا يستبن احدكم اباه قالوا وهل يسب احد اباه قال نعم يسب اباه احد
فيسب اباه واللمز في الاصل الاشارة بالعين شاع في القول كالهمز في الفعل
ولا تنابزوا بالالقاب: النبز بالتحريك اللقب والمراد به ما يسوء الانسان
وفي الحديث على المؤمن ان يدعو اخاه باحب اسمائه وقد غير رسول الله عليه السلام
كثيرا من الاسماء: بئس الاسم الفسوق بعد الايمان: المراد بالاسم الذكر
تعالى طار اسمه في الآفاق اي ذكره والفسوق مصدر نصح الحمل والمعنى ذم
اجتماع فانه الايمان ياباه ذلك كما تقول بئست الصبوة بعد الكبر او ذكر المرء
بالفسق بعد ما اتصف بضده كما لو قيل لمن اسلم من اليهود يا يهودي او سمي
الاسم الفسوق بدل الايمان تغليظا كانه بذلك يخرج من الايمان والآية نزلت
في الانصار كانوا يتنابزون بالالقاب رواه ابو داود وقيل في شان
النبي عليه السلام عن زينب الهلالية بالقصر او صفية شكت الى رسول الله
عليه السلام ان نساء يقلن لي يا يهودية بنت اليهودي فقال هلا قلت
ان ابي هارون نبي وعمي موسى نبي وانا زوجة نبي: ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
الكاملون في الظلم لاستمرارهم على الباطل بعد العلم به: يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن: اي كونوا في جانب منه وتنكير كثيرا ليحتاط في كل ظن كان
بعد التامل ولو عرفه لكان المنهي عنه الظن الموصوف بالكثرة: ان بعض الظن اثم
الاثم ذنب يوجب العقاب من الوثم وهو الكسر والهمزة بدل من الواو
وعن مالك عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فانه اكذب
الحديث وعن عمر رضي الله عنه لا تظن بكلمة تسمعها من اخيك سوءا وانت
تجد لها محملا: ولا تجسسوا: ولا تفتشوا على عورات المسلمين من التجسس وهو
الاختبار باليد شاع في الشر كالتحسس بالحاء في الخير كقوله فتحسسوا من يوسف
واخيه وعن عقبة بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ستر على مسلم عورة
فكانما احيا موؤودة من قبرها: ولا يغتب بعضكم بعضا: الغيبة ذكر المسلم بما كان فيه

بما يكره وان لم يكن فيه فبهتان وعن عائشة رضي الله عنها ذكرت صفية عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالقصر فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بالبحر لمزجته وعنه عليه السلام
عرض المؤمن كدمه الا اذا كان المغتاب مجاهرا بالفسق كما روي عن الحسن انه قال في
الحجاج قال اللهم امته فانه قطع سنته اخفش اعيمش اخرج الله منه بقية ولا من اخفش
الناس [illegible] فيه وفي الحديث [illegible] المغتاب اذا تيب عنه
سقط الاثم: ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا: تصوير وتمثيل لما ينال المغتاب
من عرض اخيه على افحش وجه مع مبالغات منها الاستفهام التقريري الذي لا يكون الا في كل
مسلم عند كل سامع وجعل ما هو في الغاية من الكراهة محبوبا وتخصيص لحم الانسان الذي تنفر
منه الطبائع حال كونه ميتا من غير ذكره وكون ذلك من جنسه و [illegible] والفعل الى
احد دلالة على ان احدا من الاحد لا يرضى بذلك وقرا نافع ميتا بالتشديد فكرهتموه
لا محالة انتم فاعلون به ففيه تم الالزام والفاء فصيحة اي فقد كرهتموه [illegible] وعن
ابي هريرة رضي الله عنه لما رجم ماعز فقال رجلان [illegible] ستر الله عليه فلم يستر على نفسه
حتى رجم رجم الكلب فمر رسول الله عليه السلام وسرنا معه حتى مر بجيفة حمار
فقال اين فلان وفلان فقالا ها نحن يا رسول الله فقال انزلا فكلا من لحم هذا
الحمار فقالا لا يغفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل لحم هذا فقال ما نلتما من عرض
اخيكما اشد من هذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان سلمان كان يخدم رجلين
من الصحابة فنام عن شأنه فبعثاه الى اسامة وكان على طعام رسول الله
يطلب لهما ادما فقال ما عندي شيء فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها
فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا ما
اكلنا طعاما منذ نزلنا قال قد اغتبتما سلمان وفي لفظ الخضرة زيادة تهجين
لانه من خواص لحم الجيفة فنزلت: واتقوا الله ان الله تواب رحيم: شديد
الاعتناء بقبول التوبة والافراز حة بعد الاسراف دهرا طويلا [illegible] تاب
قبل الغرغرة بجعله تبدل معاصيه طاعات: يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى: آدم وحواء او كل منكم من اب وام فلا وجه للتفاخر: وجعلناكم شعوبا
وقبائل: للعرب في الانساب مصطلح حصروه في ست مراتب الشعب
والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة على هذا الترتيب علا فالشعب
كخزيمة [illegible] وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس
فصيلة: لتعارفوا: الانساب فلا يعتزي احد الى غير ابيه وتسهل نقل الاخبار
فلان بن فلان ورعاية الاحوال في صلة الارحام ومراعاة الاكفاء في الازواج و
تحمل الدية: ان اكرمكم عند الله اتقاكم: لا دخل للانساب في امر الآخرة من ابطا به
عمله لم يسرع به نسبه روى البخاري باسناده الى ابي هريرة رضي الله تعالى عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اكرم الناس عند الله تعالى فقال اتقاهم وانه
لا فضل لاحد على احد الا بالتقوى ان الله عليم خبير يعلم حقيقة التقوى تحذير
من شوب الرياء بعد حصر الكرامة فيها قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا اسلمنا لما ذكر ان ملاك الامر هو التقوى اشار الى ما به قوامه وهو
الايمان الذي لا يعتد بعمل دونه وساق الكلام لهذا الغرض سياقا بديعا
حيث اوجه في غرض آخر وهو توبيخ من يزعم انه احاط بهذا المطلب الشريف
وهو عنه بمراحل ولم يصرح بتكذيبهم لئلا يقلبوا ما لبهم ويلبسوا جلد النمر و
ويرشد المنزل عليه في سلوك هذا المنهج مع الجاهلين وكون احدى الجملتين
خبرية والاخرى انشائية ونفي الايمان ومقابلة اثبات الاسلام دون لانه
لا يقدح في الغرض بعد وجود المطابقة المعنوية مع ما فيها من الفوائد والزوائد
ولما يدخل الايمان في قلوبكم في موقع الحال من واو قولوا اي قولوا اسلمنا والحال
ان الايمان غير داخل محله ولكن لما للتوقع لا يستلزم وقوع ما دخله وان تطيعوا
الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا لا ينقصكم من لاته نقصه ومنه الحمد لله
الذي لا يفات ولا يلات لغة اسد والحجاز وقرا ابو عمرو وفي رواية الدوري
يألتكم من الالت السلطان حقه وهي لغة غطفان ان الله غفور لما فرط
منكم من الدعوى المجردة رحيم حيث ارشدكم الى طريق الصواب انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا في هذا الحصر تعريض وكشف عن حقيقة
الايمان ومعنى ثم انهم استمروا على ذلك ولم يعتريهم ما ينافي الايمان من الار
من الارتياب بل هم على ثلج الصدر ودام حياتهم او هو من عطف جبرئيل
على الملائكة وايثارا ثم للدلالة على ان حالهم في الايمان على الترقي والازدياد
اما في الكمال او في اصل الايمان عند القائل بالزيادة والنقصان ومن
لم يقل به فبانتظام العيان الى البيان وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
ليشمل سائر العبادات لانها اما مالية او بدنية او مركبة ثم اما ان ينوي
مجاهدا كالشيطان والهوى او يكون فاعل بمعنى فعيل جيء به على صيغة المبالغة
ليكون ابلغ واقوى وفي تأخير الانفس رعاية الترقي اولئك هم الصادقون
اي الذين لم يكذبوا او الذين ايمانهم ايمان صدق وثبات على ان الصدق
شامل للقول والفعل والعقد وعلى الوجهين تعريض بالاعراب واثبات في
احسن وادق بقوله لم تؤمنوا لانه في معنى كذبتم قل اتعلمون الله بدينكم
توبيخ لهم على تلك الدعوى المجردة اي اتخبرون بدعواكم ان اشتبهت علينا فلا ابا
محله خفي فكيف شانكم مع الله تعالى تعلمونه بما لا يعلم والله يعلم ما في السموات
وما في الارض والله بكل شيء عليم اعاد لفظ الجلالة مبالغة في احاطة علمه

الا له حجة ذلك وقد دل على ان خارج السموات والارض شيئا لا يحيط به
الا علمه يمنون عليك ان اسلموا اي ذلك الايمان الذي ليس شيئا وراء الاسلام
الذي هو الانقياد ويمنون عليك به قل لا تمنوا علي اسلامكم باسلامكم على نوع كان
واضافته اليهم اشارة الى خساسته وانه شيء يمتن بامثاله بل الله يمن عليكم
ان هداكم للايمان وحكم عليها هو ايمان حقيقة ولم يضفه اليهم لعدم الملائمة ولذلك
اكده بقوله ان كنتم صادقين دلالة على ان ذلك كذب واختلاف والجواب
محذوف لدلالة ما قبله عليه ان الله يعلم غيب السموات والارض يطلعك على ما يخفى
عليك ويفيض من المعارف والحكم ما ليس لك اليه سبيل والله بصير بما تعملون
عيان عنده سركم وعلانيتكم وقرا ابن كثير يعملون بالياء الغيبة مسندا الى ضمير الاعراب
تمت سورة الحجرات والحمد لله خالق الارض والسموات والصلوة على محمد المبعوث بباهر
المعجزات وآله وصحبه ذوي المكارم واولي الكرامات سورة ق مكية وهي خمس
واربعون آيات بسم الله الرحمن الرحيم ق حروف الهجاء او اسم السورة
مقسم به والجواب محذوف اي انك لصادق والقران المجيد عطف
على القسم او قسم والمجيد الشرف المتسع من مجدت الابل اذا رعيتها في مرعى
واسع فهو المبلغ من قوله ذي الذكر ولذلك عقبه بقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر
منهم انكار لتعجبهم والا على جهلهم لان التعجب يكون من شيء خفي سببه وكونه
مجيدا المعالي فائقة على سائر الكتب او وصف بنعت منزلة او لانه من احاط به
على مجد فقال الكافرون هذا شيء عجيب في اضمار ذكرهم ثم اظهاره اشارة الى
ان اقدامهم على هذا القول ناشئ من الكفر وهذا اشارة الى الرجع الدال عليه الانذار
ءاذا متنا وكنا ترابا مستانف لبيان موجب تعجبهم وعقولها على المنذر به دون
التعرض للمنذر لانه ادخل في الانكار لاستقصارهم القدرة بخلاف كون واحد
منهم رسولا فانه مجرد استبعاد ذلك رجع بعيد من كلامه تعالى مصدر بمعنى المفعول
تحقيقه لهم في المناظرة اي مرجوع كلامهم ومحقق جوابهم بعيد عن الصواب
لكون ما انكروه اهون مما ثبت بدونه كخلق السموات والارض اكبر من
خلق الناس ويجوز ان يكون من كلامهم وذلك اشارة الى ءاذا متنا
وانه جواب لاذا والبعث الدال عليه قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي
ما تأكل من اجسادهم والقدرة على الاشياء مسلمة عندهم فلا انكار لاذا
وعندنا كتاب حفيظ ضابط للحوادث ما كان وما يكون فلو فرض
خروج شيء من علمنا بناء على جهلهم لم يخرج من ذلك الكتاب او محفوظ
عن التبديل وفيه كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا بل كذبوا بالحق
لما جاءهم بالنبوة ريثا فان انكارها انكار المنبأ به الذي البعث وما

وما تبعه من خرافاته او الاخبار بالبعث فان التكذيب به اسوء من التعجب منه
او القرآن فكان قوله بل عجبوا اضرابا عن حديث القرآن ومجده وما يدل
عليه اعجازه من صدق من اتى به فالانكار حقيقته او خلفه الانكار من انكار
ما يلزم منه من النبوة والبعث وعلى كل تقدير الاضراب الثاني ابلغ وامّا
لهم من الاول فهم في امر مريج مختلط تارة يسمون المؤيد بالمعجز الباهر
ساحرًا وتارة شاعرًا الى غير ذلك من خرافاتهم افلم ينظروا حال اعراضهم الى السماء
فوقهم كيف بنيناها من غير سبق مثال فيدركهم ذلك النظر على ان اعادة امثالهم
اهون شيء اي قد نظروا ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وزيناها بزينة
الكواكب وما لها من فروج فطور وفتوق بان خلقناها ملساء ولا شك
ان هذا الصنع اتقن من ذي خشونة ومسام والارض مددناها بسطناها
والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت شامخات اوتادا لها وانبتنا فيها من
كل زوج بهيج من كل صنف يبهج بحسنه ورواءه تبصرة وذكرى لكل عبد
منيب راجع الى الله تعالى في التدبر في بدايع صنعه علتان للافعال المذكورة الاولى
للمتحيرين والثانية للقاصرين ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير الخير والنافع
فانبتنا به جنات اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد ما شأنه ان يحصد
مما يقتات واخره لقلته عند العرب فان اكثر ما يعيشهم الماء والتمر ولذلك
عقبه بقوله والنخل باسقات لها طلع نضيد بعد تناول الجنات اياها
الباسق الطويل والطلع ثمر النخل والنضيد المنضود اما لتراكمه او لكثرة ثمره
رزقا للعباد علة للانبات او مصدره لانه بمعناه واحيينا به بلدة ميتا
ارضا ماتت باتحاد النبات والنضارة فيها ولم يؤنثه باعتبار المكان
والبلد كقوله والبلد الطيب كذلك الخروج اي الخروج من القبور مثل ذلك
على انه مبتدا والكاف خبره وقيل عكسه والاول اظهر والثاني ابلغ كانه قال مثل
هذا المحسوس الخروج الذي يستحيلونه والمشار اليه خروج النبات لا الاحياء
كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس قوم شعيب وثمود وعاد وفرعون
اي قومه وانما ذكره دلالة على كونه السبب لتكذيبهم والداعي اليه فاستخف
قومه فاطاعوه واخوان لوط اي قومه وانما ذكرهم اخا عاد والاختلاف للتفنن و
اصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل اي كل فرد او كلهم وافراد الضمير
باعتبار اللفظ فحق وعيد فحل بهم واستقر افعيينا بالخلق الاول العي
عدم الاهتداء الى وجه المطلوب ضمّن معنى الارسال فعدي بالباء والمعنى
انهم معترفون بالاقتدار على الخلق الاول لا ينكرونه ومن عرف بذلك
لزمه الاعتراف بالثاني بل هم في لبس من خلق جديد مستغرقون في شبهة

لاجل

لاجل ذلك انكروا وتنكير الخلق ووصفه بالجديد تنبيه على مكان شبهتهم الناشئة
من الوهم وحكمهم باستحالة العظم الرميم انسانا في احسن تقويم ولذلك
قلع شأفة شبهتهم بقوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
ما تحدث به من الهواجس من وسوسة الحلي الصوت الخفي ومن علمه
بخفايا المعقولات بهذا فباجزاء الاجسام اجلى صغرها يكون والقدرة
قد شاهدوا آثارها في الافاق والانفس ويجوز ان يكون ما مصدرية والباء
للتعدية والمعنى ان النفس تجعل الانسان قائما به الوسوسة فالانسان هو المحدث
ذو الوسوسة حديثه كقول لبيد واكذب النفس اذا حدثتها ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد تمثيل لعلمه او من اطلاق القرب وارادة المسبب لان القرب
من الشيء سبب العلم به والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق سميا
بذلك لانهما يردان من الرأس او لان الروح يرد فيهما واضافة الحبل اليه
بيانية كشجر الاراك او هو في الاصل للعاتق اضيف اليه للمجاورة اذ يتلقى
المتلقيان عن اليمين ومن الشمال قعيد اذ ظرف لاقرب وان لم يكن افعل
التفضيل عاملا في المظهر عاملا او مفعولا لا اتساع في الظرف والمعنى نحن اقرب
من حبل الوريد في تلك الحالة فليس توكيل الملكين لاستفادة علم بل لطفا بالانسان
فانه اذا علم بذلك وان ما يعمله ملزم في عنقه يخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا
كان ازجر له وابلغ لعنانه الا ترى انه اذا ارتكب معصية يستتر من الناس مع
علمه بان الله تعالى يراه ولذلك كان ظلوما جهولا ويجوز تعلقه باذكر والقعيد بمعنى
المقاعد كالجليس بمعنى المجالس حذف احدهما لدلالة الاخر عليه ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد حافظ حاضر لا يفوته شيء وتخصيص القول مع ان المراقبة
عامة لان السابق في حديث الانسان نفسه ولفظا ما مع زيادة من مبالغة
في كتابة كل نقير وقطمير قال الحسن وقتادة ومن ابن عباس رضي الله عنهما ما كان من
خير وشر وصاحب اليمين امين على صاحب اليسار فاذا اذنب الانسان ذنبا
لا يمكنه من كتابته الى سبع ساعات لعله يستغفر وجاءت سكرة الموت
بالحق بعد ما اثبت ما انكروه من امر المعاد بما دل على شمول علمه بالجزئيات واحاطة
قدرته بالممكنات اشار الى ان هذا المنكر انتم لاقوه عن قريب فخذوا حذركم والباء
للتعدية كقولك جاء زيد بعمرو اي احضرت الامر الذي بعثت الرسل لاجله او
جلبته للحال من السعادة والشقاء او من ان كل نفس ذائقة الموت او للملابسة
اي ملتبسة بحقيقة الامر وسكرة الموت وشدته الذاهبة بالعقل ذلك ما كنت
منه تحيد اشارة الى الموت والخطاب للكافر فان الكلام معه وفي احواله او للانسان
التفاتا والحيد الميل والنفرة وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه فكت

النظم وركاكة النظم. ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد أي وقت ذلك
يوم الوعيد والإشارة إلى مصدر نفخ. وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه أو ملك واحد جامع للوصفين
ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لأنه في معنى كل النفوس. لقد كنت في
غفلة من هذا مستغرقا فيها لا ترى شيئا. فكشفنا عنك غطاءك أزلنا
الساتر بينك وبين الحق. فبصرك اليوم حديد شديد الرؤية نافذ. وقال قرينه
أي الملك الموكل. هذا ما لدي عتيد صفة ما إن كانت موصوفة وبدل إن
كانت موصولة وفيه إبدال النكرة من المعرفة أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف
أي هذا الذي من حاله محفوظ عندي حاضر بلا زيادة ولا نقصان أو الشيطان
الذي قرن به تقول هذا الذي في ملكي أعددته لجهنم بإغوائي ولا ينافيه قوله ربنا ما أطغيته
لأنه مثل قول إبليس وما كان لي عليكم من سلطان بعد قوله ووعدتكم فأخلفتكم.
ألقيا في جهنم كل كفار عنيد خطاب للسائق والشهيد فإن كان واحدا
فالألف بدل نون الخفيفة إجراء للوصل مجرى الوقف كقول الحجاج يا حرسي اضربا
عنقه أو نزل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل لدلالته على تعدده في تمام الزمان
لما بينهما من شدة الاتحاد لفظا ومعنى كأنه قيل ألق ألق أو لأن العرب كثيرا ما
خاطبت بلفظ المثنى خليلي صاحبي إلى غير ذلك فنسج هذا على ذلك المنوال كقوله
فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن تتركاني أحم عرضا ممنعا. مناع للخير
كثير المنع عن البر والمعروف أو الإسلام على ما روي أنها نزلت في الوليد لما
منع بني أخيه عن الإسلام والوجه الأول لفظه وله الإسلام لأنه رأس الخير.
معتد متجاوز. مريب شاك في دين الله تعالى. الذي جعل مع الله إلها
آخر رفع أو نصب على الذم. فألقياه في العذاب الشديد من ذكر
الخاص بعد العام أو الذي جعل مبتدأ تضمن معنى الشرط فألقياه خبره
أو بدل من كل كفار فألقياه توكيد للأول والفاء للدلالة على أن الإلقاء
لتلك الصفات المذكورة. قال قرينه ربنا ما أطغيته جواب للكافر
حين ادعى على العفريت أنه السبب في ضلاله كقوله لقد أضلني عن الذكر
بعد إذ جاءني ولذلك لم يعطفه بخلاف الأولى فإن العطف فيها لازم
للدلالة على الجمع بين مجيء كل نفس وقول قرينه. ولكن كان في ضلال بعيد
حيث ترك الحق بعد ظهوره بوسوستي ووعد كاذب. قال لا تختصموا
لدي استئناف كأنه قيل ماذا قال تعالى في جوابه والمعنى أن دار الجزاء
ليس محل الخصام لعدم الجدوى ~~وما أنا بظلام للعبيد~~ وقد قدمت
إليكم بالوعيد والحال أني لم أبق لأحد حجة على أنه بمعنى تقدم أو الجار والمجرور

حال من الفاعل أو المفعول متعديا عليه والفعل واقع على قوله. ما يبدل القول
لدي أي بتجنبه لكم مضمونه. وما أنا بظلام للعبيد أي لا أحد شيئا من الظلم
والمبالغة إما بالنظر إلى الأفراد وإما لأنه لو ظلم لكان كسائر صفاته وأفعاله
في غاية الكمال. يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد يوم ظرف
لظلام أو نصب باذكر أو أنذر أو نفخ وأشار بذلك إلى اليوم فكأنه قيل ذلك
اليوم أي يوم القول يوم الوعيد وفيه بعد لوقوع الفعل بما لا يصلح اعتراضا
على أن زمان النفخ ليس يوم القول إلا على غرض الامتداد وقرأ نافع وأبو بكر
يقول بالياء التفاتا إذ النون أبلغ ترهيبا روى البخاري عن أنس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى في النار وهي تقول هل من مزيد
حتى يضع الجبار فيها قدمه فيقول قط قط بعزتك فعلى هذا الاستفهام على
أصله وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة هل من مزيد هل بقي من
من مكان أي لم يبق في موضع إبرة وذلك لما روى مسلم عن أبي سعيد أن الله
تعالى وعد لكل من الجنة والنار ملأها محمول على ما بعد وضع القدم ولا ضرورة
في صرف السؤال والجواب عن الحقيقة وقيل هو من التخييل الذي يقصد به
التصوير والتهييج. وأزلفت الجنة للمتقين قربت لهم. غير بعيد مكانا
غير بعيد نصب على الظرفية أو على الحال وتذكيره لأنه على زنة المصدر كالفديد والوجيب
أو على حذف الموصوف أي شيئا غير بعيد ويجوز أن يكون تأكيدا لأزلفت. هذا ما توعدون
جملة اعتراضية وقرأ ابن كثير بالياء. لكل أواب رجاع إلى الله تعالى بدل من المتقين
بإعادة الجار. حفيظ حافظ لحدوده. من خشي الرحمن بدل بعد بدل أو من موصوف
أواب ولا يجوز أن يكون بدلا من أواب لأن من لا يوصف به أو مبتدأ
خبره ادخلوها بسلام أو منادى حذف حرف النداء منه جعله بمنزلة الحاضر عناية به
ورفعا لمحله وإيثار الرحمن من بين أسمائه تعالى وجعله مقرونا بالخشية للثناء على الخاشي
بأنه يخشاه مع علمه بسعة رحمته أو للعلم بشدة عقابه فلم يأمن ولم يغتر بكثرة رحمته
بالغيب زيادة في الثناء أي يخشاه وهو غائب عنه حال من المفعول أو من الفاعل
أي خلوا أنه غائب عن أعين الناس أو بسبب الغيب الذي أوعده به. وجاء بقلب
منيب تائب والاقتصار على القلب لأنه محل التعبد وسائر الجوارح آلات وجنود وفي
الحديث أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله
ألا وهي القلب. ادخلوها بسلام آمنين سالمين من العذاب أو من زوال
النعم أو مسلما عليكم. ذلك يوم الخلود أي يوم تقدير الخلود لقوله ذلك إشارة إلى
زمان الدخول ويجوز أن يشار به إلى ما بعده نحو هذا أخوك أو جعل يوم الخلود مبتدأ
من حين الدخول فيستغني عن التقدير. لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد الذي

لم يخطر بخاطرهم روى مسلم عن صهيب انه النظر الى وجه الله تعالى. وكم اهلكنا قبلهم من قرن اى قبل قومك هم اشد منهم بطشا كعاد وثمود وفرعون. فنقبوا فى البلاد اى فخرقوا فى البلاد وجادلوا فى الارض من كل مجال حذر الموت. هل من محيص من ملجأ او منجا من عقاب الله تعالى واهلاكه ويجوز ان يراد اهل مكة وتنقيبهم اسفارهم ومسايرهم فى ديار المهلكين كقوله فسيروا فى الارض والغرض منه انهم وان عموا عن دلايل البعث فكان عليهم الحذر من العقاب العاجل لانهم شاهدوا من حال امثالهم. ان فى ذلك فيما ذكر من حال الامم او ما ذكر فى السورة لذكرى موعظة واعتبار لمن كان له قلب فاهم عن الله تعالى. او القى السمع الى من له ذلك الاستعداد او المتفقد منه. وهو شهيد اى حاضر بقلبه متهيئ للتفطن او غيره بمثابة الغايب ويجوز ان يكون من الشهادة اى القى السمع والحال انه مؤمن بما يتلى عليه او من الذين قال الله فيهم لتكونوا شهداء على الناس والاول اوجه والصق بالمقام. ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب او فى تعب تكذيب لليهود فى قولهم بدأ خلق العالم يوم الاحد ووقع الفراغ يوم الجمعة واستراح يوم السبت. فاصبر على ما يقولون اى المشركون او اليهود والاول اوجه. وسبح بحمد ربك نزهه حامدا. قبل طلوع الشمس وقبل الغروب لشرف الوقتين. ومن الليل فسبحه فى جزء من الليل ايضا وهو الثلث الاخير وقيل المراد بالصلوة قبل طلوع الشمس الصبح وقبل غروبها العصر والظهر ومن الليل العشاء. وادبار السجود وخلف الصلوة روى مسلم باسناده انه عليه السلام قال من قال فى دبر كل صلوة ثلثا وثلثين تسبيحة وثلثا وثلثين تحميدة واربعا وثلثين تكبيرة غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وعن على رضى الله عنه ركعتان بعد المغرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوتر وقرا نافع وابن كثير وحمزة وادبار بكسر الهمزة مصدرا ودبر الشئ بتقدير مضاف اى وقت انقضاء السجود. واستمع يوم يناد المنادى اى استمع لما اخبرك به من احوال يوم القيمة وفيه تهويل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ استمع ثم اخبره بعد سبعة ايام والمنادى اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى ايتها العظام البالية والاوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة هلمى لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ فى الصور وجبريل ينادى وقرا ابن كثير ينادى باثبات الياء فى الوقف لانها جزء الكلمة وحذفها الباقون اتباعا للرسم. من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهى اقرب ارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض او من تحت اقدامهم او من منابت الشعور. يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادى وانتصابهما بما دل عليه يوم الخروج اى يخرجون من القبور يوم ينادى المنادى. بالحق متعلق بالصيحة والمراد به

البعث

البعث والصيحة النفخة الثانية. ذلك يوم الخروج من اسماء يوم القيمة. انا نحن نحيى ونميت والينا المصير للجزاء جرده عن الدليل لما تقدم من الادلة المستوفاة. يوم تشقق الارض عنهم بدل بعد بدل او ظرف للمصير وينصب بما دل عليه حشر علينا وقرا نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين لان اصله تتشقق والباقون مخففا بحذف احدى التائين. سراعا اى مسرعين حال من المجرور. ذلك حشر علينا يسير قدم الظرف للاختصاص اذ لا يتيسر ذلك الامر البديع الا لمن امره بين الكاف والنون. نحن اعلم بما يقولون منك تسلية له وتهديد لهم. وما انت عليهم بجبار بقهار تجبرهم على مرادك انما انت منذر لا غير وقد وفيت بما ارسلت به. فذكر بالقران من يخاف وعيد اذ لا ينتفع به غيره فان الدواء لا يجدى الا اذا صادف محلا قابلا للشفاء. تمت سورة ق والحمد لمن لا ينبغى الحمد الا له والصلوة على خير خلقه واله وصحبه اولى المكارم والانصاف الاشراف

سورة الذاريات مكية وهى ستون آيات بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا الرياح التى تذرو التراب وغيره وادغم ابو عمرو وحمزة التاء فى الذال. فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر. فالجاريات يسرا السفن الجارية فى البحر جريا ذا سهولة. فالمقسمات امرا الملائكة تقسم الامور كل واحد موكل بشان جبريل بالوحى واهلاك المكذبين وميكائيل بالارزاق واسبابها وملك الموت بالارواح واسرافيل بالنفخ وملك الجبال بالجبال وملك البحار بالبحار الى غير ذلك مما لا يحيط به الا علمه الشامل هذا هو المروى عن عمر بن الخطاب وعلى رضى الله عنهما والترتيب باعتبار ما سيق له الكلام من الدلالة على كمال القدرة المحقق لما اقسم عليه من صدق الوعد بالبعث الاظهر فالاظهر لان الكلام مع المجاحد وقيل الكل صفات الرياح لانها تثير السحاب وتحمله وتجرى به فى الجو وتقسمه على الاماكن على ما امرت به فالعطف باعتبار الصفات. انما توعدون من البعث ابهمه لتعينه. لصادق مطابق للواقع والوعد الصادق كعيشة راضية. وان الدين الجزاء لواقع. والسماء ذات الحبك ذات الطرائق وهى طرائق النجوم فى سيرها او آراء النظار الذين يتفكرون فيها من حبك الريح الرمل والماء اذا اثرت فيه بالتجعيد والتكسر قال زهير بشعف غدير مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحى مائه حبك ولما كان فى ذلك التكسر حسن منظر قال الحكيم الحبك النجوم لانها زينة السماء وقيل صفاقها من حبك النساج اذا احكم النسج وعن

ابن الاعرابي كل شيء احكمته فقد حبكته جمع حبيكة كالطريقة وطرائق او حباك
كمثل ومثال انكم لفي قول مختلف في الرسول منكم مكذب ومنكم مصدق و
او منكم من يقول شاعر ومنكم من يقول ساحر او في القرآن كذلك وقد يدعى
في القسم اولا وثانيا ملائمة للمقسم عليه اولا لما كان البعث وما بعده جل القسم
وما ثبت من العقدة من الآثار والاطوار وثانيا كونهم مختلفين فيما لا يحتمل
الاختلاف في جل المقسم به ذا طرائق مختلفة يؤفك عنه من افك يصرف
عنه من صرف الضمير للرسول او للقرآن ولما اسند الفعل الى الموصوف به جاء
المبالغة اي صرفا لا يمكن اشد منه كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم او المعنى يؤفك
عنه من افك في علم الله تعالى لا يمكن عنه الارعواء فيكون اشارة الى الختم ويجوز عود
الضمير الى ما توعدون او الدين اقسم اولا على وقوعه ثم على كونهم مختلفين فيه
وقيل الضمير للقول المختلف اي يصدر افكهم عن القول المختلف وفيه تعسف
وفوات تلك المبالغة قتل الخراصون لعن الكذابون اي هؤلاء المكذبون بالدين
والعدول الى المنزل لان تكذيبهم من جملة الكذب واصله الدعاء بالقتل ثم شاع في اللعن
لانه فوق القتل الذين هم في غمرة في جهل عظيم غامر غرق فيه اهله الى ان يزيحه
ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين تكذيبا به واستهزاء
والمعنى اي زمان زمانه او في اي زمان وقوعه بان يجعل الزمان لكونه مرتقبا منتظرا
زمانيا ملحقا بالزمانيات وهذا شايع في كل زمان له شان كيوم العيد والنيروز
يوم هم على النار يفتنون يحرقون يقال للحرة فتين لان حجارتها السود كانها محرقة
ويوم منصوب بما دل عليه السؤال اي يقع او مفتوح لاضافته الى الجملة والعامل فيه
ذلك الفعل المدلول عليه او خبر مبتدا اي هو يوم هم وعلى التقدير كان تابعا لمقام
الجواب والعامل فيه ذوقوا فتنتكم عذابكم مقدر بالقول هذا الذي كنتم به
تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والموصول صفته ان المتقين
في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين لكل ما اعطاهم راضين به من
اخذت اخذ فلان سيرته الحسنة والمعنى ان كل ما اعطاهم حسن مرضي
انهم كانوا قبل ذلك محسنين تعليل لاستحقاقهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
بيان لاحسانهم وما مزيدة وقليلا صفة مصدر محذوف اي هجوعا قليلا من الليل
صفة اي مبتدأ منه او لغو متعلق بيهجعون او موصولة او مصدرية فاعل قليلا
ومن الليل حال متقدم على الاول وبيان على الثاني لانه معمول المصدر لا يتقدم ولا يجوز
ان يكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لفظ الهجوع الذي هو القليل
من النوم وتاكيده بالقلة وذكر الليل الذي هو محل الراحة ولفظ كان الدال على
الاستمرار وبالاسحار هم يستغفرون يستقصرون عملهم كان ما فعلوه من الذنوب

في تهجدهم

في تهجدهم جرايم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بالاستغفار دون غيرهم
لكمال خشيتهم وعنه عليه السلام اذا بقي الثلث الاخير من الليل ينزل ربنا الى السماء
الدنيا ويبسط يده ويقول هل من تائب فاتوب عليه وهل من مستغفر فاغفر له
الى طلوع الفجر وذلك كل ليلة وفي اموالهم حق للسائل والمحروم المستجدي
والذي لا يسأل اما لعدم قدرته على السؤال او لمنعه الحياء وعنه عليه السلام
ليس المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه وعن الحسن
ابن علي رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق وان جاء على
فرس وفي الارض آيات للموقنين عطف على انما توعدون لصادق وفيه
المنافقين معترضة وفي تخصيص الموقنين مع ان الكلام مع الجاحدين لانهم الذين
يجدي عليهم الآيات والنذر وآيات الارض ما فيها من القطعات وما عليها
من النبات والحيوان وما اشتملت عليه من الاشكال والالوان والخواص التي
يفوتها الحصر وفي انفسكم من الآيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانسان نظيره
بل هو الذي اختص من بدايع الاوصاف وغرايب المعاني والمعقولات ولذلك
افتى بعض العارفين العرف التأمل في قوله افرأيتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن
الخالقون ولم يعف منه الوطر افلا تبصرون تنظرون نظر اعتبار والتعبير
بالابصار اشارة الى غاية الظهور وفي السماء رزقكم اسبابه من الامطار والثلج
والكواكب وما توعدون ثواب اعمالكم والجنة فانها فوق السماء السابعة
وسقفها عرش الرحمن فورب السماء والارض انه لحق كل ما تقدم من اول
السورة وقيل الضمير لما توعدون مثل ما انكم تنطقون كما لا يشك احدكم
في نطقه فكذلك لا يجوز له ان يشك في حقيته وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
مثل بالرفع صفة حق وما بعدها بالفتح لبنائه بالاضافة الى المبني محله الرفع على
الوصف او نصب صفة مصدر اي حقا مثل نطقكم او حال من مستكن حق
وعن الاصمعي ان بدويا سمعها فقال من ذا الذي اغضبه حتى حلف له بذاته
لم يصدقوه حتى الجاوه الى اليمين قالها ثلثا وخرجت روحه هل اتاك حديث
ضيف ابراهيم لما استوفي ادلة المعاد بما دل على كمال اقتداره بحيث لم يبق
ريبا لذي بصيرة مهد لاثبات نبوته وفخم شان الحديث اشارة الى انه من العلم
الذي لا يمكن الوصول اليه الا بالوحي فعلى من يتلى عليه الاتباع لمن اتى به لانه صادق
مؤيد بهذا المعجز الباهر وضمن فيه تسلية المنزل عليه من تكذيب من ارسل اليه بان له
اسوة حسنة في قدوة الانبياء وسيد الموحدين خليل رب العالمين قيل كانوا
اثني عشر وقيل ثلثة والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الجمع وسموا
ضيفا لانهم كانوا في صورته المكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم حيث خدمهم

واحد منهم زوجته او بعجل لهم القرى ﴿اذ دخلوا عليه﴾ ظرف للحديث او للضيف
او نصب باذكر او بما في المكرمين من الاكرام ان فسر باكرام ابراهيم ﴿فقالوا
سلاما﴾ اي نسلم سلاما ﴿قال سلام﴾ اي عليكم سلام حياهم باحسن من تحيتهم لان الرفع
من الدلالة على الدوام بمعونة المقام ﴿قوم منكرون﴾ اي انتم لم تكونوا على اشكال
الناس المعهودين او لان السلام تحية الاسلام ولم يكن بارضه كقول الخضر عليه السلام
لما سلم عليه موسى عليه السلام وانى بارضك السلام او كان على طريق السؤال اي
عرفوني فانكم لا اعرفكم ﴿فراغ الى اهله﴾ فذهب اليهم خفية من الضيف اذ من ادب
اعلام المضيف ضيفه انه يسعى في قراه ﴿فجاء بعجل سمين﴾ وكان عامة ماله البقر و
لحمه خير اللحوم ﴿فقربه اليهم قال الا تأكلون﴾ لما رآهم لم يتناولوه منكرا عليهم او الهمزة
للعرض على ما هو داب المضيف ﴿فاوجس منهم خيفة﴾ اضمر وهو يؤيد الاول وكذا قوله
فلما رأى ايديهم لا تصل اليه ﴿قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾ كامل العلم اذا بلغ مبلغ
الرجال وهو اسحق ﴿فاقبلت امرأته﴾ لما سمعت حديث الغلام ﴿في صرة﴾ في صيحة
من صرير القلم والباب ﴿فصكت وجهها﴾ قيل لطمت وجهها على داب النساء
عند سماع امر غريب ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ ليس من شأنها الولادة في اوانه فكيف
تلد بعد سن الاياس ﴿قالوا كذلك قال ربك﴾ ليس خبرا من عندنا ﴿انه هو الحكيم﴾ اي
المتقن في صنعه ﴿العليم﴾ بالاشياء وادخالها للاستبعاد ولا وجه له ﴿قال فما خطبكم
ايها المرسلون﴾ اي فما الامر العظيم الذي جئتم بسببه فان الاجتماع بهذه الهيئة
ليست الا لذلك ﴿قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين﴾ ارادوا قوم لوط لقوله انا
ارسلنا الى قوم لوط ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ طبخ حتى تحجر وهو السجيل
﴿مسومة﴾ معلمة من السومة مكتوبا على كل حجر اسم من يهلك به او علامة انها
حجر العذاب او انها ليست من حجر الدنيا ﴿عند ربك﴾ بعلمه واذنه وفيه تهويل
﴿للمسرفين﴾ المجاوزين الحد سماهم مجرمين ومسرفين وتارة عادين تشويها
واشعارا باستحقاقهم العذاب ﴿فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين﴾ اي
امرناهم بالخروج لقوله فاسر باهلك ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ اي
اهل بيت هو وبناته وفيه دلالة على اتحاد الايمان والاسلام صدقا لا مفهوما
لان المعنى اخرجنا من كان فيها من المؤمنين فلم يكن المخرج الا اهل بيت
وفي ايرادهما والاتيان بمن دلالة على استقلال كل سببا للنجاة الموصوف
بهما كائنا من كان اين كان ﴿وتركنا فيها آية﴾ علامة ماء اسود منتنا لا
ينتفع به بعد ان كانت ارضا ذات اشجار ﴿للذين يخافون العذاب الاليم﴾
لان غيرهم لا يتدبر ولا يعتبر ﴿وفي موسى﴾ عطف على وتركنا فيها آية او على
وفي الارض آيات والاول اولى لقربه ولدخوله فيما يتسلى به رسول الله عليه السلام

كاني

كاني ترى السور مع ان الثاني لا يستقيم الا على تقدير وجعلنا في موسى كقوله
علفتها تبنا وماء باردا ﴿اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين﴾ معجز ظاهر
ولم يذكره الا في معجزة موسى عليه السلام ولعل الحكمة فيه انه مشتق من السلاطة وهو
القهر المناسب لمن ارسل اليه من فرعون وقومه ﴿فتولى بركنه﴾ كناية عن الاعراض
كنأى بجانبه وثاني عطفه والباء للتعدية او بملائه وجنوده لان ركن الشي جانبه
الاقوى وما به قوامه فالباء للمصاحبة ﴿وقال ساحر او مجنون﴾ اي لما به من الجن اما
نفس او اصابة دون اختيار ﴿فاخذناه وجنوده فنبذناه في اليم﴾ في البحر ﴿وهو
مليم﴾ آت بما يلام عليه من الام الرجل اتى بما يلام عليه قال ومن يخذل اخاه
فقد الام وفي المثل رب لائم وهو مليم حال من ضمير اخذناه ﴿وفي عاد اذ
ارسلنا عليهم الريح العقيم﴾ وهي الدبور على ما رواه البخاري نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور سميت عقيما لانها لا تلقح سحابا ولا شجرا او لانها اهلكت
ديارهم واعدمت آثارهم من قولهم الملك عقيم ويوم القيمة عقيم لانه لا يوم
بعده ﴿ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم﴾ كالهالك المتفتت من عظام
ونبات وغير ذلك فهو رميم ﴿وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ ثلثة ايام
لقوله تمتعوا ثلثة ايام ﴿فعتوا عن امر ربهم﴾ استكبروا مرتب على تمام القصة
لا على تمتعوا لقوله فعقروها فقال تمتعوا ﴿فاخذتهم الصاعقة﴾ النار النازلة من السماء
وقرأ الكسائي الصعقة مقصورا وهي الصوت الذي مع النار لقوله فعقروها
ومنهم من اخذته الصيحة ﴿وهم ينظرون﴾ لانها جاءت معاينة بالنهار ولا تقدرون
على دفعها ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ اي قياما من صلبه بل ماتوا جاثمين مكانهم او لم
يقدروا على دفعه من قام بالامر اذا كفاه ومنه قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
التي جعل الله لكم قياما ﴿وما كانوا منتصرين﴾ بوجه لا مباشرة ولا معاونة ﴿وقوم نوح
من قبل﴾ قبل هؤلاء المذكورين عطف على مفعول فاخذتهم معنى اي اهلكناهم و
اهلكنا قوم نوح او على مفعول نبذناهم اي اغرقناهم واغرقنا قوم نوح وفيه لطف
او نصب باذكر وقرأ حمزة والكسائي وابو عمرو بالجر على تقدير الجار اي وفي قوم نوح
﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ علة للاهلاك ﴿والسماء بنيناها بايد﴾ بقوة مصدر
آد اذا اشتد وقوي ﴿وانا لموسعون﴾ ذو استطاعة وقدرة على كل شيء فضلا
عن بناء السماء من اوسع صار ذا وسع وطاقة وفيه رد لوهم الجارحة او لموسعون
الرزق المطر النازل من السماء او لموسعون ما بين السماء والارض ﴿والارض
فرشناها فنعم الماهدون﴾ نحن ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ صنفين ليل ونهار
ظلام وضياء وشمس وقمر وبر وبحر وموت وحياة وسعادة وشقاوة ارض وسماء
وخيل من كل حيوان ذكر وانثى ﴿لعلكم تذكرون﴾ بالتدبر فيها وتعلمون ان موجدها

الواحد

ليس كمثله شيء وان من قدر على هذا لا يعجز عن الاعادة ؛ ففروا الى الله ؛ اي قل لهم يا محمد
بعد ما علمتم من كمال قدرته وما حل بمن تقدمكم من الامم اعتصموا به والتجأوا اليه اني لكم منه
نذير مبين كرره لاتصال الاول بالامر والثاني بالنهي وقيل الاول انذار بترك
العمل والثاني بالتوحيد كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ولا يدل على عدم
نفع المجرد كذلك ؛ الامر مثل ذلك تقرير وتوكيد لما تقدم او فصل خطاب اي مثل
اختلافهم فيك على ان ذلك اشارة الى القول المختلف في الرسول عليه السلام
ثم بينه بقوله ؛ ما اتى الذين من قبلهم من قبل هؤلاء ؛ من رسول الا قالوا ساحر
او مجنون ؛ فاختلفوا فيه ؛ اتواصوا به ؛ اي اوصى الاولون الاخرين استفهام
انكار ولذلك اضرب عنه بقوله ؛ بل هم قوم طاغون اي ليس الجامع التواصي
بل الطغيان والعناد ؛ فتول عنهم ؛ لان المناظرة لا تجدي مع المكابرة ؛ فما انت
بملوم ؛ بعد البلاغ ؛ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ؛ المستعدين للايمان
او الراسخين فيه زيادة وتثبيتا ؛ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي بحيث يتاتى منهم العبادة بسلامة الاسباب والدلالة على انها غاية
كمالية وراءها غاية الغايات وعدم وصول البعض لعائق لا يقدح وقيل
ليقروا بالعبادة طوعا او كرها ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وقيل المراد منهم المؤمنون ويرده ؛ ما اريد منهم من رزق ؛
لا اضلال مفهومه وابعد منه الا لامرهم بالعبادة ؛ وما اريد ان يطعمون ؛
كما هو شأن السادات مع العبيد وتقديم الرزق وتنكيره وتاخير الاطعام
وتخصيصه به تعالى فيه ترق اي لا اريد منهم تحصيل الرزق ولا تقديم الماكل
كما هو دأب الملوك مع خواص خدمهم ؛ ان الله هو الرزاق ؛ حقيقة
وغيره اسباب واعادة المظهر لدلالة لفظ الجلالة على الالوهية المستلزمة
لذلك ؛ ذو القوة ؛ اي القدرة التامة ؛ المتين ؛ من المتانة وهي الصلابة
تاكيد بعد تاكيد ؛ فان للذين ظلموا ؛ رسول الله بالتكذيب ؛ ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم
الذين تقدموهم في تكذيب الرسل والذنوب دلو مملوء تمثيل لتوفر حظهم
من العذاب ؛ فلا يستعجلون ؛ تقدمهم من هذا وقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ؛ فويل للذين كفروا من يومهم الذي
يوعدون ؛ يوم القيمة او يوم بدر فالموصول معهود ؛ تمت سورة الذاريات
والحمد لمن الاؤه متواليات والصلوة على المؤيد بالبينات سورة الطور
مكية وهي ثمان واربعون آيات بسم الله الرحمن الرحيم والطور
وطور سينين جبل كلم الله تعالى موسى عليه السلام وقيل ما طار من عالم الغيب
الى عالم الشهادة من المعارف والاشتقاق لا يساعده ؛ وكتاب مسطور

مكتوب

مكتوب ؛ في رق منشور ؛ الجلد الذي يكتب فيه اي القران او التورية او ما في اللوح او
ما في قلب العارف من المعارف والحكم او صحيفة الاعمال ؛ والبيت المعمور اي
بالعبادة وهو الذي كان في الارض ياقوتة حمراء رفع في الطوفان الى السماء السابعة
يدخله سبعون الف ملك كل يوم لا يأتيهم النوبة الى آخر الدهر ؛ والسقف
المرفوع والبحر المسجور ؛ المملوء او الموقد به كذا فسره باب العلم كرم الله وجهه
ان عذاب ربك لواقع ؛ لا محالة المقسم عليه بامور متعلقة بالمبدأ والمعاد
كلها دالة على كمال اقتداره مع اشارة الى ان ذلك لاقامة العدل لانه مدون
في الكتاب كما تدون الحقوق ؛ ما له من دافع ؛ قط اذ غيره لا يقدر وهو لا يريد
يوم تمور السماء مورا ؛ تدور من مار يمور جاء وذهب وقيل المور تحرك
في تموج ؛ وتسير الجبال سيرا ؛ سريعا تمر مر السحاب ؛ فويل يومئذ
للمكذبين ؛ يوم وقوعه ؛ الذين هم في خوض يلعبون ؛ اصله دخول الماء ثم غلب
على الشروع في الباطل كالاحضار في العذاب ؛ يوم يدعون الى نار جهنم دعا
يدفعون اليها بعنف يؤخذ بالنواصي والاقدام ويلقون فيها على وجوههم
زخا في اقفائهم ؛ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ؛ اي يقال لهم توبيخا وتوقيرا
لحفظ الاستماع من العذاب ؛ افسحر هذا ؛ كما انتم تقولون للوحي ؛ ام انتم لا
تبصرون ؛ ما انتم فيه وهذا كما تقول لمن يجادلك في مسئلة بعد ظهورها فاردتك
عليه بالا مجال له لدفعه افتشك في هذا ؛ اصلوها فاصبروا او لا تصبروا ؛ لا يدفع عنكم
سواء عليكم ؛ منه احذف خبره او بالعكس ؛ انما تجزون ما كنتم تعملون ؛ تعليل
للاستواء فان الجزاء لما كان واجب الوقوع فالصبر وعدمه سيان ؛ ان المتقين
في جنات ونعيم ؛ اي في جنات ؛ ونعيم ؛ اي نعيم او جنات مخصوصة بهم ممتازة عن
غيرها ولذة الكرامة ؛ فاكهين ؛ ناعمين متلذذين ؛ بما اتاهم ربهم ؛ بالذي او بالايتاء
ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ؛ اعاد المظهر دلالة على استقلال كل نعمة عطف على
جنات او اتاهم ويقدر في المعطوف قد ان كانت ما موصولة او حال باضمار
قد من المستكن في الظرف او من فاعل اتى او مفعوله او منهما ؛ كلوا واشربوا
اي يقال لهم هنيئا الكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا وهو الذي لا تنغيص
فيه او مصدرا اي هنأكم هنيئا كقول كثير هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة
من اعراضنا ما استحلت وقيل فاعله بما كنتم تعملون على ان الباء زائدة وفيه
ان زيادتها لا تسمع في غير كفى ؛ متكئين على سرر ؛ على طريقة المتنعمين ؛ مصفوفة
ليتم المواجهة مع الاخوان والاحباب ؛ وزوجناهم بحور عين ؛ بيض نجل
العيون ؛ والذين آمنوا ؛ عطف على حور ان فسر زوجناهم بقرناهم وان المبتدأ
خبره الحقنا بهم ؛ واتبعتهم ذريتهم ؛ اعتراض لتعليل الحكم وقرأ ابو عمرو اتبعناهم

وهو ابلغ واوفق بالسابق واللاحق. بايمان الحقنا بهم ذرياتهم: اي بايمان
رفيع المحل وهو ايمان الآباء، او بايمان يسير لولا كرامة الآباء لم يكونوا اهلا
لتلك المنزلة. فان قلت هذا حال الذرية فما حال الاصول ان قصرت
عن رتبة الفروع قلت هم بذلك اولى لزيادة استحقاق الكرامة وكثرة الحقوق
واليه يشير قوله وكم اب قد علا بابن له شرفا كما علت برسول الله عدنان
وقد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرفع المؤمن في الجنة
درجة يستقصر نفسه دونها فيقول يا رب انى لي هذا فيقول بدعاء
ولدك واستغفاره وقرا الكوفيون وابن كثير ذريتهم بالتوحيد لدلالة
الكلمة على الكثرة. وما التناهم من عملهم من شيء: اي ما نقصنا الآباء او
شيء بل كان ذلك تفضلا واكراما لهم كل امرئ بما كسب رهين: مرهون
عند الله تعالى بكسب ما افترض عليه فان اداه اليه فك رقبته كقوله كل نفس
بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فانهم فكوها. وامددناهم بفاكهة: زدناهم
وقتا بعد وقت. ولحم مما يشتهون. يتنازعون: يتنازعون فيها كاسا: اي
يتعاطون متغالبين فيه كما هو داب اهل الشرب يتناهبون لكثرة الشرب
لا لغو فيها ولا تاثيم: لا يتكلمون بسقط الكلام ولا بما يورث الاثم كما يقع امثاله
في الدنيا من متعاطي الخمر بل يشكرون الله على ما خولهم وقرا ابن كثير وابو عمرو الاسمين
بالفتح غير منون. ويطوف عليهم غلمان لهم: اي لهم سقاة مخصوصون بهم كانهم
لؤلؤ مكنون: مصون في الصدف في غاية الصفاء والطراوة او مخزون و
محفوظ لكماله وشرفه. واقبل بعضهم على بعض يتساءلون: عما جرى لهم في الدنيا
كما يفعله الشكارى اذا اخذت منهم الخمر قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
خائفين استئناف لبيان ما لهم. فمن الله علينا: بما نحن فيه من اللذة
والسرور ووقانا عذاب السموم: النار التي تدخل في المسام انا كنا ندعوه
من قبل: قبل هذا في الدنيا. انه هو البر الرحيم: المتفضل بالنعم وقرا نافع والكسائي
بالفتح بتقدير اللام والكسر ابلغ. فذكر: فدم على التذكير فان الذكرى تنفع
المؤمنين ولا تبال. فما انت بنعمة ربك: بحمد الله. بكاهن ولا مجنون: كما زعم
من يحسدك اذ حالك مباين لحال الكهنة والمجانين. ام يقولون شاعر
نتربص به ريب المنون: ام منقطعة وتدل على ان هذا هو الراجح عندهم
والمنون الدهر لانه منقطع الاعمار من المن وهو القطع قال الاعشى اان رات
رجلا اعشى اضر به ريب المنون ودهر متبل خبل او الموت لانه يقطع
العلائق والاسباب. قل تربصوا فاني معكم من المتربصين: بكم ما تتربصون
بي من الدوائر من باب مجازاة الخصم. ام تامرهم احلامهم بهذا: عقولهم وكانت

سكان حكمة بين العرب تدعى اولو الاحلام لورود اهل الآفاق عليهم واكتساب الاخلاق
والاداب منهم وفي الكلام تهكم بهم لتناقض كلماتهم. ام هم قوم طاغون: مجاوزون
حد العقل عنادا. ام يقولون تقوله: افتراه. بل لا يؤمنون: بشيء ولذلك اضطربت
اقوالهم. فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين: انه شاعر او كاهن جواب عن
كل ما تقدم او عن التقول فانه اوغل في الانكار لاشتهاره عندهم بالصدق والامانة
فالافتراء منه ابعد شيء والاول اوجه. ام خلقوا من غير شيء: احدثوا من غير خالق
موجد لهم والا لاهمهم البحث عنه وعن صفاته وافعاله او المعنى ام خلقوا سدى من غير
خطاب ولا تكليف. ام هم الخالقون: ولذلك عملوا انك شاعر او كاهن
او مقول. ام خلقوا السموات والارض: ادخالهم في الكبر والعلو شبه شان من يكون
هذا فعله كناية عن غاية عنادهم وتماديهم في الاستكبار والا لم تصدر عنهم هذه المقالات
هدرا. بل لا يوقنون: اعترافا بذلك في ريبهم يترددون لا يعقلون على شيء كل يوم
في محال. ام عندهم خزائن ربك: خزائن رحمته ليختاروا للنبوة من شاؤوا
او يعلمون انك مقتول لانهم لم يسلكوك رسولا للناس والاول اوجه لا سيما يشير
الى خزائن العلم في قوله ام عندهم الغيب. ام هم المسيطرون: الارباب الغالبون
الذين يدبرون امر العالم كيف شاؤوا يقال تسيطر عليه وقرا ابن كثير وابن
عامر في رواية هشام وقنبل بالسين على الاصل وحفص بالوجهين وحمزة في رواية
خلف باشمام الصاد وفي رواية خلاد بصاد خالصة والرسم بالصاد ولما ابطل
مقالتهم بالدليل العقلي ولم يبق لهم الا المشاهدة والعيان اشار الى بطلانه على وجه
التهكم بقوله. ام لهم سلم: يصعدون به الى السماء. يستمعون فيه كلام الملائكة
وما يوحى اليهم. فليات مستمعهم بسلطان مبين: بدليل واضح على ذلك اذ مثل
هذا الامر العظيم لا يثبت الا بمثل ذلك. ام له البنات ولكم البنون: ومن كان
هذا حاله في الجهالة حتى جعل لرب الارباب ما لا يرضاه لنفسه لا يبعد منه
تلك الخرافات وكانه قال له ما يحملك بذلك تسليا وان لم يكن مقالته اشنع
منها ولا مجال اجلى منه التفت اليهم في مقام التسخط مكافحا بها صغارا بافي حججهم
المسوّدة. ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون: فلذلك زهدوا اتباعك واعرضوا
المغرم التزام ما لم يلزم وفيه تقرير تجهيلهم لان برئت ساحته عن لوث الطمع
فلا وجه لاتهامه. ام عندهم الغيب: خزائن علمه تعالى. فهم يكتبون: منه ما شاؤوا
من غير مانع فاستدلوا بذلك على عدم نبوتك ولما كان العلم يتحمل موردا اخروه
جريا على سنن الترقي ثم اضرب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم بقوله. ام يريدون
كيدا: بك حين يتحلقون الراي في دار الندوة. فالذين كفروا هم المكيدون:
المصابون بوبال كيدهم ويحتمل الموصول العموم ثم حقق ذلك بقوله. ام لهم اله

غير الله يحميهم من عذابه سبحان الله عما يشركون به او عن اشراكهم وان يروا
كسفا من السماء ساقطا جواب لقولهم اسقط علينا كسفا من السماء
اتفق السبعة على اسكان سينه يقولوا سحاب مركوم ركم بعضه فوق بعض
وليس ما شاهدناه لفرط عنادهم فذرهم اذ لا مناظرة مع المكابرة حتى يلاقوا
يومهم الذي فيه يصعقون يموتون فيعرفون ما اعد لهم وقرا ابن عامر وعاصم
يصعقون على بناء المفعول اما من صعقه او صعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم
شيئا من الاشياء بدل من يومهم ولا هم ينصرون من عذاب الله يومئذ
وان للذين ظلموا بالتكذيب عذابا دون ذلك قبل عذاب القيمة بالقحط
والقتل والاسر ولكن اكثرهم لا يعلمون وقيد الاكثر لان بعضهم كان يعلم ذلك
واختار النار على العار واصبر لحكم ربك بامهالهم فان وعده كائن فانك
باعيننا بجمع العين مبالغة في العناية بحفظه فان الكلام على التمثيل الا ترى
كيف افرده في قوله ولتصنع على عيني في قصة موسى عليه السلام ليمتاز بذلك
مقام الحبيب عن مقام الكليم وسبح بحمد ربك حين تقوم اي من اي مكان
تقوم منه او من منامك فان النوم شاغل ومقامك وعلو شانك تقتضي
استيعاب الازمان بذكره او للصلوة ومن الليل فسبحه في بعضه فان العبادة
فيها اشق واخلى وابعد عن الريا واقرب الى القبول وادبار النجوم بعد
طلوع الفجر فانه وقت شريف ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفق السبعة
على كسر الهمزة تمت سورة الطور والحمد لله على فضله المغفور والصلوة والسلام
على رسوله محمد واله وصحبه الى يوم النشور سورة النجم مكية وهي احدى وستون
اية واثنتان وستون بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى
اقسم بالثريا فانه ابدع الكواكب صنعا والنجم علم غالب له عند العرب
وفي امثالهم اذا طلع النجم عشا ابتغى الراعي كسا وقيل جنس النجوم
لانها زينة السماء او رجوم الشياطين وهوى من الهوى وهو السقوط
او بعدها وهو الطلوع لانه ادل على كمال الاقتدار كقوله والليل اذا عسعس
او نجم القرآن لانه نزل منجما وهذا اوفق لوجود نظائره والصق بقوله
ما ضل صاحبكم وما غوى الضلال ضد الاهتداء والغواية ضد الرشد وهما
جواب القسم اي ليس محمد كما تزعمون ضالا وغاويا في ترك دين ابائه
لفظ الصاحب واضافته توبيخ لهم حيث عرفوا امانته وصدق لهجته
نسبوه الى الضلال وما ينطق عن الهوى في اداء الدين والدعوة اليه
الاتيان به مضارعا بعد قوله ما ضل وما غوى اشارة الى انه اذا لم يكن له
ضلال قبل النبوة فبعدها ابعد ان هو الا وحي يوحى استدل به من منع اجتهاد

دلي

وليس بتام لانه اذا قال له تعالى وتقدس ما ظننته فهو حكمي يكون اجتهاده وحيا
لا بالوحي وغيره ليس كذلك علمه شديد القوى جبريل والاضافة لفظية
اي قواه الجسمانية من البطش والسمع والبصر ذو مرة عقل كامل وراي
وافراني به في اسلوب الترقي فاستوى على صورته الحقيقية وهو بالافق
الاعلى مطلع الشمس وانما ظهر له في تلك الصورة ليتيقن انه ذلك اذا اتاه
في غير تلك الصورة ثم دنى فتدلى قرب من محمد فتعلق به فكان قاب
قوسين او ادنى اي كان البعد بينهما مسافة قوسين او اقرب في مراكم لو رايتم
القاب والقيب كالقاد والقيد هو المقدار وقيل القاب ما بين المقبض
الى السية فلكل قوس قابان او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون وهذه
الرؤية كانت بعد مجيئه بحراء اول ما بعث لما فتر الوحي على ما رواه الثعلبي
انه لما اشتد به الكرب من تكذيب قريش حتى قالوا انه شيطانه قال
فاردت ان القي نفسي من شاهق فلما خرجت فاذا هو جالس على كرسي
بين السماء والارض وقال لا تفعل فانك رسول الله حقا فرعبت منه
فرجعت الى اهلي فقلت دثروني فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر فمعنى
الدنو والتدلي والقرب لانه تمثيل لعروجه به فاوحى الى عبده الموحى هو جبريل
ضمير عبده لله ولا لبس فيه والقول بان الضمائر لله فالدنو والتدلي على
التاويل خلاف الظاهر بعيد عن المساق ما اوحى لم يات بالضمير تفخيما
لشان المنزل وانه مما يجل عن الوصف اي يتوهم التباسه بالشعر والكهانة
وكما فخم شان المنزل كذلك شان المنزل اليه بايثار لفظ العبد المضاف
اليه تعالى اشارة الى انه العبد الحقيقي الكامل الذي لا يذهب الوهم منه وايماء
الى انه حقيق بالخلوة والاصطفاء ما كذب الفؤاد ما راى اي ما راه ببصره من
صورة جبريل اي لم يكن قلبه منكرا له اذ اراه مرة اخرى في غير صورته وقيل ما راه
من جلال الله تعالى لما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله عليه السلام
راى ربه بفؤاده مرتين ولكن ان ذلك ليس تفسيرا للاية وان صح افتمارونه
على ما يرى افتجادلونه من المراء وصله المري يقال مريت الناقة اذا حلبت
ضرعها لتدر وقرا حمزة والكسائي افتمرونه على المغالبة من ماريته فمريته
ولقد راه نزلة اخرى فعلة من النزول اي مرة اخرى ولذلك نصب على
الظرف عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء وهي شجرة النبق كل نبقة كقلة
من قلال هجر واوراقها كاذان الفيلة وقد غشيها من الانوار ما لا يقدر على
نعتها الا الله تعالى وسميت بالمنتهى لانتهاء علم الخلائق اليها وهي في السماء السابعة
كذلك رواه البخاري عندها جنة الماوى الجنة التي تاوي اليها ارواح الشهداء

او المنقون اذ يغشى السدرة ما يغشى من الانوار والالوان ما يحلى عن نعت
وقيل الملائكة كالغربان على كل ورق ملك يسبح ما زاغ البصر ما مال عن سنن [illegible]
وما طغى وما تجاوز عن المرئي لما قررت الفؤاد ولم يكذب ما رآه ازال الشبهة من
بتوهم ان آلة الادراك قد تخطي في الادراك كما يتخبط في موضعه او ما مال البصر
لا تجاوز عن مطلبه وهو الحق تعالى وهذا مقام مخصوص لم يتيسر لغيره من البشر لقد
رأى من آيات ربه الكبرى استيناف يؤكد ما تقرر اي قد رأى من عجائب الملكوت
ما لا يمكن وصفه فضلا عن رؤية جبريل ويجوز ان يكون الكبرى مفعول الرؤية اي
رأى كبرا من ربه تمسك من اثبت الرؤية اذ لا اكبر منها آية افرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى هذه اصنام كان اهل الجاهلية يعبدونها
واللات كان بالطائف يعبده ثقيف والعزى سمرة نخيلة يعبده غطفان
ومنات صنم كان على ليت مل يعبده هذيل وخزاعة وقرأ ابن كثير جعله
مفعلة من النوء لانهم كانوا يستمطرون عنده بالانواء ومن لم يهمز له اخذها
من مني اراق فانهم كانوا يريقون دماء النسك عليها والعزى كانت
الاعز قطعها خالد بن الوليد فخرج منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها
خالد بالسيف وقال كفرانك يا عزى لا سبحانك فاخبر بذلك رسول الله عليه السلام
فقال تلك العزى ولن تعبد بعد اليوم ابدا واللات قيل اسم رجل كان يلت لها
السويق وعن مجاهد اسم رجل كان يلت السمن ويطعمه فلما مات اتخذوا قبره
وثنا والمعنى ابعد هذا البيان تستمرون على الضلال فترون هذه الاصنام
آلهة تستحق العبادة وتجعلونها شركاء لله الاخرى صفة ذم اي الوضيعة فانهم
كانوا يرون التقدم للات والعزى الكم الذكر وله الانثى وانتم تعقلون الا
ولا ترضونها فانكم تعدون منها عارا فكيف تجوزون ان تكون اولادا له وشركاء
في الالوهية واذا كان شأنكم في الجاهلية والضلال هذا فكيف تضلون من
يدعوكم الى التوحيد والى عبادة من له الخلق والامر تلك اذا قسمة ضيزى
جائرة من ضازه يضيزه اذا ظلمه اصله ضيزى لان فعلى صفة لم يثبت على
ذكره سيبويه الا مع الياء كسرت فاؤه لتسلم الياء كما فعل ببيض
وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه ظلمه ان هي اي الاصنام الا اسماء سميتموها
اي لا حقيقة لها باعتبار الالوهية انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
اي برهان يدل على جواز اطلاق اسم الآلهة وفيه تهكم بهم بان العقل لا يجيز
اطلاق الآلهة على الجماد لو فرض ذلك لم يكن الا تعبدا محضا من الله تعالى
ان يتبعون الا الظن يقلدون آباءهم ولا اعتبار للظن في العقائد ولا تقليد
وما تهوى الانفس النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي الرسول او الكتاب

الذي

الذي هو مناط الايقان ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى همزتها
الانكار اي ليس للانسان ما يتمناه حاصلا له والمراد طمع هؤلاء في شفاعة
تلك الجمادات او ما كانوا يقولون لئن كان ضالا نبعث نحن احسن
حالا من محمد واصحابه كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم او هو قول عاص بن وائل
لاوتين مالا وولدا فلله الآخرة والاولى يعطي منهما من يشاء ليس لاحد
فيهما شرك وقدم الآخرة لان الكلام فيها وكم من ملك في السموات لا تغني
شفاعتهم شيئا اي شيئا مع مكانتهم وقربهم عند الله تعالى تشفع هذه الجمادات
التي هي اخس الكائنات والمراد اشرف الملائكة ليدل باولويته على انتفائها
من غيرهم ولذلك ذكر الملك وخصه بمن في السموات الا من بعد ان يأذن
الله لمن يشاء ان يشفع ويشفع له ويرضى بتلك الشفاعة اي يكون مقبولة
لان الاذن في الشفاعة لا يستلزم القبول ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
ليسمون الملائكة تسمية الانثى حيث قالوا هم بنات الله قالوا تزوج
سروات الجن فولدت له الملائكة والتقييد بالآخرة اشارة الى فرط جهلهم
بانهم يعتقدون ان الانسان يترك سدى ومن كان هذا شأنه لا يبعد منه
تلك المقالة وما لهم به من علم اي بذلك علم ان يتبعون الا الظن لما سمعوه
من آبائهم وان الظن لا يغني من الحق الذي لا يمكن تبدله باختلاف الشرائع وتبدل
الاعصار وهي المسائل الاصلية والمباحث الالهية شيئا او في شيء فاعرض
عمن تولى عن ذكرنا اعرض عنه ولم يتأملوا والمراد به القرآن وفي اضافته الي
اشارة الى انه كان حقيقا بالاقبال ولم يرد الا الحيوة الدنيا الا هذا الخسيس
لان ذلك كان لعايق آخر ذلك مبلغهم من العلم اعتراض يؤكد الامر بالاعراض
لان السعي في الارشاد انما يجدي لمن له قابلية الترقي ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى يعلم من يجيب ومن لا يجيب وقد علم
ان هؤلاء اهل الطبع وفي اعادة العلم انباء بالغة ودلالة على كمال تمايز الحزبين عنده
ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا [illegible]
بدا من قوله فاعرض ولذلك عقبه بقوله ليجزي الذين اساؤا بالسوء بما عملوا
بجزاء اعمالهم ويجزي الذين احسنوا بالحسنى غير النظم للدلالة على ان جزاءهم
ليس على قدر اعمالهم ويجوز ان يتعلق ليجزي بقوله ان ربك هو اعلم وقوله
ولله ما في السموات اعتراض يؤكد حديث الجزاء بانهم تحت ملكه الذين
يجتنبون كبائر الاثم بدل من الذين احسنوا او صفته او نصب او رفع
على المدح اي الكبائر من الاثم فانه جنس الذنوب والكبيرة ما توعد عليه

ان رتب بخصوصه كالقتل والزنى او كان قبحه ازيد منه او مساوياً وقرأ حمزة
والكسائي بالافراد على ارادة الجنس والفواحش ما زاد قبحه من الكبائر
من عطف الخاص على العام الا اللمم ما قل قبحه فانه معفو عنه اذا اجتنب
الكبائر وهو ما دون الكبيرة كمقدمات الزنى والسرقة والقتل قبل الوقوع
وجملة التركيب يدل على القلة ومنه اللمة لشعر جاوز الاذن والالمام
قال لقاء اخلاء الصفاء لمام وهو استثناء منقطع او صفة كانه قيل
كبائر الاثم غير اللمم لان المضاف الى المعرف الجنسي في حكم النكرة ان
ربك واسع المغفرة حيث تجاوز عن الصغائر التي قل ان تخلو عنه
الانسان واليه اشار عليه السلام ان تغفر اللهم تغفر جماً واي عبد
لك لا الما هو اعلم بكم منكم اذ انشأكم من الارض لما خلق اباكم
آدم واخرجكم من ظهره ذرية واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فعلمكم
الآن وبما يصدر منكم اجلى واظهر فان قلت اراد ان علمه لا يتفاوت
بجلاء المعلوم وخفائه كما هو شأن العلم الحادث فلا تزكوا انفسكم
هو اعلم بمن اتقى فان محل التقوى هو القلب والوقوف على احواله
واسراره ينقطع دونه القوى والمعنى لا تزكية النفس تمدحاً لا شكراً
وترغيباً للغير ويجوز ان يراد مدح المؤمن اخاه لما روى ابو بكرة ان
رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قطعت عنق
صاحبك فاذا كان احدكم مادحاً اخاه فليقل احسبه كذا ولا ازكي
على الله احداً افرأيت الذي تولى اي ابعد علمك بان الله تعالى هو اعلم
بحال الانسان منه بنفسه اخبرني عن حال من اراد في سلوك سبيل
الاخرة والوصول الى الله تعالى استقلالا لا تعجب منه واعطى قليلا واكدى
وامسك بعده عن الخير انتفاء بذلك التقليل اصله الكداء الحافر وهو ان يلقاه
كدية اي صخرة فيمسك عن الحفر والاية نزلت في الوليد بن المغيرة اراد
ان يتبع رسول الله عليه السلام فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ
فقال اني اخاف عذاب الله تعالى فقال اعطني بعض مالك وانا احمل
عنك العذاب ففعل معتقداً ذلك وقيل نزلت في عثمان وتفسير التولي
بالفرار يوم احد باطل لان السورة من اول ما نزل بمكة اعنده علم الغيب
ما فيه العلم بالمغيبات وهو اللوح فهو يرى يشاهد ما فيه فلذلك اكتفى به و
واستغنى عن اتباع الرسول ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي
وفى الا تزر وازرة وزر اخرى والمعنى ان هذا شرع قديم ليس من خواص ما جاء
به محمد فهلا استغنى في ذلك علماء اهل الكتاب فيخبروه بجلية الحال وتقديم

موسى

موسى لكون كتابه اشهر والاطلاع على ما فيه ايسر ولا ينافيه قوله ان هذا لفي
الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى لان الغرض هناك تقرير كون
الاخرة خيراً وابقى وذلك مما سطر في صحف ابراهيم فضلا عن التورية
الذي هو اعلى واجل ولما اخر ذكره زاده وصفا وهو التوفية المبالغة
في الوفاء واطلقه ليتناول كل وفاء من تبليغ الرسالة والقيام بمآثر
المكارم من ذبح الولد والصبر على نار نمرود وقيل كان عاهد الله تعالى ان لا يسأل
غيره فلما القي الى النار لقيه جبريل فقال له هل من حاجة يا خليل الله فقال
اما اليك فلا فقال سل ربك فقال علمه بحالي يغنيني عن سؤالي وروى الترمذي
عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم لم سمى الله ابراهيم الذي
وفى كان اذا اصبح يقول كل يوم سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى
آخر الآية وليس معنى الحديث انه بمجرد هذا الذكر بلغ تلك الرتبة بل اشارة الى
انه كان يحافظ على محاسن الاعمال وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه اي
كما لا يؤاخذ احد بذنب غيره كذلك لا يحصل اليه ثواب عمله وما يصل الى المؤمن من
ثواب دعاء المؤمنين واستغفار الملائكة والصدقة له هو ايضا من سعيه لانه
اثم من المباشرة والتسبب والبشير قوله عليه السلام من دعا الى هدى فله اجره مثله
وان سعيه سوف يرى يوم القيامة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ثم يجزاه
يجزى العبد سعيه اي على سعيه نصب على نزع الخافض الجزاء الاوفى الاوفر
من استحقاقه ولذلك يرى عمله الحقير نصب على المصدر ويجوز ان يكون البارز
المنصوب ضمير الجزاء المدلول عليه والجزاء الاوفى بدل منه وان الى ربك المنتهى
انتهاء الخلائق كلهم هذه وما بعده ايضا من جملة ما في الصحف وانه هو اضحك
وابكى اي خلق الضحك والبكاء واسبابهما وانه هو امات واحيى خلق
الموت والحياة وفيه مراعاة النظير مع اللف والنشر وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق يقال منى وامنى او يقدر من منى الماني
اي قدر والكل في الاولين بضمير الفصل لشبهة وهم الغير للامر في الى قوله من حاج ابراهيم
انا احيي واميت وقولهم اضحكني الدهر دون هذه فلا مجال لذلك الوهم وان
عليه النشأة الاخرى وفاء بوعده وقرأ ابو عمرو وابن كثير بالمد كلاهما مصدر
وانه هو اغنى بالمال واقنى اي اعطاه ما يقتنيه زيادة على قدر حاجته من القنية
وهي المال المحفوظ لا للتجارة او ارضاه من القنا وهو الرضا وعن ابي زيد تقول
العرب من اعطى مائة من المعز فقد اعطى القنا ومن اعطى مائة من الضان
فقد اعطى الغنا ومن اعطى مائة من الابل فقد اعطى المنا وعن ابي عبيدة رضي الله عنه
اقناه الله اي اعطاه ما يقتني من المال والنشب وانه هو رب الشعرى كوكب

معروف يتبع الجوزاء وهو كوكب وقاد يقال له مرزم الجوزاء كانت خزاعة تعبده
اول من عبدها احد اجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة امه يسمى ابا كبشة
ولهذا لما ادعى رسول الله النبوة وفارق دين آبائه سموه ابن ابي كبشة كما
جاء في حديث هرقل من قول ابي سفيان وفيه اشارة الى رد قولهم الباطل
فانه وان وافق جده في مخالفة دينهم فقد خالفه ايضا في عبادتها. وانه
اهلك عادا الاولى. والكلام في تأكيد الاولين بضمير الفصل وتركه في الاخير كما
تقدم انفا وعاد الاولى قوم هود والثانية ارم وقيل الاولى القدماء
لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الاشراف. وثمودا. عطف
على عادا لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها. فما ابقى. اي من الفريقين احدا
كقوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقرأ عاصم وحمزة وثمود بغير تنوين والوقف
بالالف لمن قرأ بالتنوين. وقوم نوح من قبل. من قبل عاد وثمود ونصب بما
نصبا به. انهم كانوا هم اظلم واطغى. من الفريقين لانهم وان لم يؤمنوا بنبيهم
فلم يؤذوه كما اذى قوم نوح نوحا اذ قد تواتر انهم كانوا يشجونه ويضربونه حتى
يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون. والمؤتفكة. قرى
قوم لوط ائتفكت انقلبت قلبها عليهم جبريل جعل عاليها سافلها. اهوى. اي
اسقطها بعد ان رفعها الى السماء تعالى لانه الآمر. فغشاها ما غشى. فباي آلاء
ربك تتمارى. المذكورات بعضها وان كانت نقما لاقوام فهي نعم للانبياء
عليهم السلام واتباعهم قال ابو الطيب هذا حكم الايام ما بين اهلها مصائب
قوم عند قوم فوائد تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله عليه السلام
الهابا وتهييجا وتعريضا بالغير او للانسان على الاطلاق وهذا اوفق. هذا
نذير من النذر الاولى. اي هذا القرآن من الانذارات الاولى اي من جنس
الكتب المنزلة فذلكة لما عدد من الآي والاحكام التي اشتمل عليها الصحف
او لما افتتح به السورة او الرسول على ما كنت بدعا من الرسل. ازفت
الآزفة. اي قربت القريبة وهي الساعة المخبر عن قربها في قوله اقتربت الساعة
واقترب للناس حسابهم. ليس لها من دون الله كاشفة. لا يعلمها غيره
كقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس نفس تقدر على كشفها اذا وقعت الا هو
لكنه لا يكشفها او ليس احد يقدر على كشفها الآن بتأخير لو وقعت ويجوز
ان يكون كاشفة مصدرا كالعافية. افمن هذا الحديث تعجبون. اي من القرآن
وتضحكون. استهزاء. ولا تبكون. وكان الواجب عليكم ذلك كما يفعل الموقنون
يخرون للاذقان يبكون. وانتم سامدون. مستكبرون من سمد رفع رأسه
تكبرا او لاهون من سمد البعير في سيره. فاسجدوا لله واعبدوا. بعد هذا البيان

واترهب اعبدوه ولا تعبدوا غيره تمت سورة النجم والحمد لكاشف الغم والصلوة
على من فضله اعم

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم. اقتربت الساعة. اي قد قرب قيام
الساعة. وانشق القمر. وانشقاقه من آياتها روى البخاري ومسلم عن ابن
مسعود رضي الله عنه ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم
آية فاراهم القمر شقتين حتى رأوا الحراء بينهما. وان يروا آية. اهل مكة وان
لم يسبق لهم ذكر للعلم بهم كقوله زارت عليها للظلام رواق. يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر. دائم اي هذا وحده من سحر محمد بل كم له من هذا يريدون ما سبقه من
المعجزات او محكم من استمر مريره او مر قاتل لا تقدر على اساغته من استمر الشيء
قويت مرارته او مار لا بقاء له يسكنون بذلك انفسهم ويمنونها. وكذبوا. و
استمروا على التكذيب ودفع الحق. واتبعوا اهواءهم. ما سولت لهم انفسهم و
كل امر مستقر. اي كل امر له نهاية يثبت فيه كلام مستقل جار مجرى المثل كقوله
لكل شيء له آخر والصبر نعم الناصر اي كل امر ينتهي اما الى السعادة او الى الشقاوة
او كل من امره وامرهم يستقر على حالة من خذلان او نصر وقرأ ابو جعفر مستقر مجرورا
عطفا على الساعة اي اقتربت كل امر مستقر على ان انشق القمر حال بتقدير قد وان
يروا آية اعتراض في قراءته زيادة تسلية وتهويل. ولقد جاءهم من الانباء. في
القرآن مما نزل بامثالهم. ما فيه مزدجر. ازدجارا فيقال من الزجر قلبت تاؤه
دالا لتناسب الدال والزاء. حكمة بالغة. غايتها في الاحكام بدل من ما او خبر مبتدا
محذوف. فما تغني النذر. بعد ما نفي واستفهام انكار اي اي غناء تغني النذر
بعد وصول الامر الى الغاية. فتول عنهم. اعرض. يوم يدع الداع. اسرافيل نصب
بيخرجون او باذكر اثبت ياء الداع البزي عن ابن كثير في الحالين وابو عمرو
وورش وصلا. الى شيء نكر. منكر تنكره النفوس لفظاعته وقرأ ابن كثير
بضم الكاف. خشعا ابصارهم. كناية عن الذل فان الفزع والذل يظهر آثارهما في
العيون واسناد جمع التكسير الى المظهر حاشيته فصيح وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
خاشعا وهو المختار ولم يؤنث لعدم التأنيث وانتصابه على الحال من فاعل
يخرجون من الاجداث. وقرئ خشع بالرفع على الخبرية فتكون الجملة حالا. كانهم
جراد منتشر. في الكثرة والتفرق. مهطعين الى الداع. مسرعين مادي
اعناقهم اثبت ابن كثير ياء الداع في الحالين ونافع وابو عمرو في الوصل
يقول الكافرون هذا يوم عسر. صعب. كذبت قبلهم قوم نوح. تسلية
وترهيب. فكذبوا عبدنا. تفصيل لما اجمل او كذبوه تكذيبا اثر تكذيب
كلما مضى قرن تبعه آخر او كذبوا الرسل فكذبوه لانه من جملتهم. وقالوا

مجنون اصابه الجنون وازدجر زجروه شتما وضربا عطف على قالوا او
بناء المفعول تطهيرا للالسنة عن ذكرهم ودلالة على انهم فعلوه اسود من قولهم
ولقوا نوع الفصل او هو من قولهم انه مجنون وقد ازدجرته الجن والاول اوجه بدليل
قوله فدعا ربه اني مغلوب بعدما ايس وجرب الاولاد والاحفاد فانتصر
اي انتقم ففتحنا ابواب السماء اي بعد الامر باتخاذ السفينة والفراغ منها وكون
من معه بماء منهمر منصب بكثرة وتتابع مطاوع همره قيل لم ينقطع اربعين
يوما وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كانها عيون واصله فجرنا عيون الارض
عدل الى المنزل مبالغة فالتقى الماء على امر قد قدر اي ماء الارض وماء السماء
التقيا على مقدار سواء اي سواء او على امر قد قدر في اللوح من هلاك قوم نوح او علم
قدره الله تعالى وقضيته حكمة وحملناه على ذات الواح ودسر اي السفينة عبر
بالوصف عن الموصوف كناية عن كونها في الاشيان حتى تستقيم الكناية عن غيض
الاظفار وفيه فخامة ليس في الاصل واشارة الى كمال الاقتدار لبعد حال الخشب
وكونه عن دفع ذلك الطوفان العظيم والدسر جمع دسار وهي المسامير من الدسر
وهو الدفع تجري باعيننا محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر علة للفتح
وما بعده والذي كفر نوح لان كل نبي نعمة من الله تعالى او على حذف الجار وايصال
الفعل اي كفر به ولقد تركناها آية اي الفعلة او السفينة تواتر خبرها في اقطار
الارض في الاعصار كلها الى آخر الدهر فهل من مدكر معتبر يتعظ بها فكيف
كان عذابي ونذر وانذاري جمع نذير بمعناه استفهام تعجيب وتهويل ولقد
يسرنا القرآن للذكر سهلناه لا تعاظه لاشتماله على نبا الاولين والآخرين وبيان ما
اصاب من كذب الرسل وسهلناه للتلاوة لانه عربي مبين يتلوه اهل
كل لسان او حفظه دون سائر الكتب او بان انزلناه على سبعة احرف
بحسب لغة القبائل تيسيرا على العرب ازاحة لعذرهم والاول اوفق لقوله
ولذلك عاده مرارا فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر
وانذاري لهم قبل نزول العذاب ولمن بعدهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
باردا من الصر بمعنى البارد او شديد الصوت من الصرير في يوم نحس اي
شوم مستمر شومه او اليوم على ارادة الجنس لانه كان سبع ليال وثمانية ايام
او على اشخاصهم لم يدع صغيرا ولا كبيرا او شديد مرارته تنزع الناس تقلعهم
بيان لشومه كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع من مغارسها وتذكير
الصفة باعتبار لفظ النخل وتانيثه في قوله اعجاز نخل خاوية باعتبار المعنى روي انهم
كانوا يصطفون آخذا كل واحد بيد الآخر فيدخلون في الشعاب ويحفرون فتنزعهم
وتدق رقابهم وقيل تقلع رؤوسهم وتبقى الجثث ساقطة على الارض فكيف

كان

كان عذابي ونذر كرره للتهويل او الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني
لما يحيط بهم في الآخرة كقوله في شانهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت
ثمود بالنذر بالانذارات او بالآيات او بالرسل فقالوا ابشرا منا
واحدا نتبعه انكروا ان يكون الرسول بشرا لا سيما وهو ليس من طائفة
اخرى ليكون له مزية موصوفا بالوحدة والانفراد فكيف تتبعه الجم الغفير
ونصب بشرا بفعل مضمر على شريطة التفسير وفي شكله فيختار النصب لمكان
الاستفهام انا اذا لفي ضلال وسعر وجنون يقال ناقة مسعورة اي
مجنونة او عكسوا عليه لما دعاهم الى التوحيد لئلا تقعوا في سعر قالوا لو
اتبعناه وقعنا فيما على ان السعر جمع سعير ءالقي الذكر عليه
من بيننا وفينا من هو اكثر اموالا واحسن حالا كقول قريش لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم بل هو كذاب اشر شديد الكذب حتى
اخترع هذا الكتاب البديع اشر بطر حمله بطره سيعلمون غدا من الكذاب
الاشر اي يوم القيمة فان الدنيا والآخرة يومان وقرا ابن عامر وحمزة بالتاء
على حكاية قوم صالح او التفات من التوبيخ اليهم كانهم حضور نبي عليهم
جنايتهم ثم حكاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلالة على انهم كانوا احقاء بذلك
الوعيد انا مرسلوا الناقة فتنة لهم امتحانا وذلك بعد ان سالوها فا
ارتقبهم فانتظرهم مراقبا احوالهم مع الناقة واصطبر على اذاهم ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم ذو قسمة لهم شرب يوم ولها شرب يوم معلوم وفي
الضمير تغليب للعقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه خاصة فنادوا
صاحبهم قدار بن سالف اشقى الناس نطق به القرآن وقال رسول الله
عليه السلام اشقى الناس رجلان عاقر الناقة وقاتل علي رضي الله عنه فتعاطى
اي اجترا على تعاطي الامر العظيم من باب يعطي ينبع او تعاطى قتل الناقة او السيف
والتعاطي تناول الشيء بتكلف فعقر اي الناقة فكيف كان عذابي ونذر
انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح بهم جبريل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر
المتكسر اليابس الذي مر عليه زمان طويل والمحتظر من يعمل الحظيرة لماشيته
او المحتشش الذي يجمعه ليعلفها به في الشتاء ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر لم يعد حديث الانذار كما اعاده في قصة هود اكتفاء به وكذا لم
يعده في قوم نوح لانهم بذلك اولى اذ هم اظلم واطغى وتركه رأسا في قصة لوط
لتكرره مرارا وترك ذكر التيسير والادكار في آل فرعون لانها آخر القصص
فاختصر ليدل الاختصار على الاقتصار فهذا من اسرار التنزيل لله دره كذبت

قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم اى ترميهم بالحجارة وقد
جمع الله عليهم انواعا من العذاب قلب الارض وامطار الاحجار عليهم والرمى
بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر هو قبيل الصبح صرف لانه لم يرد به
معين والا فعلم وعدل وقد يطلق على ما بعد انصداع الفجر فيفيد الاول
ومنه حديث عائشة رضي الله عنها ما القاه السحر الاعلى عندى الا نائما
يكون فى صلوة الصبح على نشاط بخلاف ما اذا واصل بين التهجد وبينها نعمة
من عندنا انعاما عليه تفضلا كذلك نجزى من شكر بالايمان والطاعة
كما نجينا من كان ولقد انذرهم بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر
كذبوا بها متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه جبريل ومن معه من الملائكة
فطمسنا اعينهم مسخناها بحيث لم يبق لها اثر بل تبقت كسائر اجزاء الوجه
طمسها جبريل لما دخلوا بيت لوط فخرجوا يترددون فى الازقة لا يهتدون
الى منازلهم وسارعوا بتهمة دون لوطا ان اصبحنا لنفعلن بك كذا وكذا فكانوا
وقت الصبح فى مهتم آخر فذوقوا عذابى ونذر على تقدير القول من الملائكة ولقد
صبحهم بكرة اول طلوع الفجر عذاب مستقر بهم لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار
فذوقوا عذابى ونذر الاول قبل الحرم عند الطمس وهذا عند قلب الارض ولقد
يسرنا القران للذكر فهل من مدكر اعاده فى كل قصة تجديدا للايقاظ وحثا
على الاتعاظ لئلا يستولى عليهم الغفلة وهذا شان كل تكرير فى القران و
ولقد جاء آل فرعون النذر الانذارات واكتفى بال للعلم بانه شر منهم كذبوا
باياتنا كلها تسع كثرتها وهى الآيات التسع ولم يعطفه بالفاء اكتفاء بالاتصال المعنى
واشارة الى شدة كفرهم كان تكذيبهم كان مع مجئ تلك الآيات فاخذناهم اخذ
عزيز مقتدر بان طبق البحر على ذلك الجيش الكثيف فى لمحة طرف كان لم يكونوا
اكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم المهلكين زينة واموالا وقوة واسبابا او لين
شكيمة وعنادا اى ليس الامر كذلك بل هؤلاء اقل اسبابا واكثر كفرا وعنادا
ام لكم براءة فى الزبر بان لا عذاب عليكم والزبر الكتب السماوية جمع زبور من
زبره اى كتبه ام يقولون نحن جميع منتصر افرد الضمير باعتبار لفظ الجميع وعدل
عن الخطاب كانه يحكى جهلهم لغيرهم كما يقول المولى بعد استيفاء عتاب عبده
او به جنون سيهزم الجمع ويولون الدبر الادبار افرده لارادة الجنس باعتبار
كل واحد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله عليه السلام
خرج يوم بدر من القبة يثب فى درعه وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر وعن
عكرمة ان عمر رضى الله عنه قال كنت اقول اى جمع سيهزم فلما رايت رسول الله
عليه السلام يوم بدر يثب فى الدرع وهو يتلوها عرفت تاويلها بل الساعة

موعدهم

موعدهم والساعة ادهى وامر من القتل والاسر والداهية الامر لا دواء لها
وانما اعاد لفظ الساعة تهويلا ولئلا يتوهم عود الضمير الى وقعة بدر ان المجرمين
فى ضلال فى الدنيا وسعر ونيران فى الاخرة او فى ضلال وجنون ناقة مسعورة
اى مجنونة يوم يسحبون فى النار على وجوههم ظرف لسعر او بدل اشتمال منه
ذوقوا مس سقر اى يقال لهم هذا القول فى ذلك اليوم تقريعا والقاء الحق
التماسه من العذاب والمس مستعار للايلام كما يقال ذاق طعم الموت
وسقر علم لنار الاخرة من سقرته وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة اذا ذابت
الشمس تتقى سقراتها بافنان مربوع الصريمة معبل انا كل شىء خلقناه بقدر
منصوب بمضمر يفسره اى خلقنا كل شىء واوجدناه ملتبسا بما سبق من
التقدير فى الازل وسطر فى اللوح روى مسلم والترمذى انها نزلت فى اهل
القدر وعن زرارة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها قال هذه فى اناس
من امتى يكونون فى آخر الزمان يكذبون بالقدر وما امرنا الا واحدة الا فعلة
واحدة دفعة بلا آلة واسباب كلمح البصر فى سرعة التكون كقوله كن فيكون
ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم ومن شاكلكم فى الاعتقاد فهل من مدكر
متعظ بمصيبة اولئك وكل شىء فعلوه فى الزبر ثابت فيه مسطور فيما ورد
وكل صغير وكبير قولا كان او فعلا او اعتقادا مستطر مكتوب لا محالة
ان المتقين فى جنات ونهر وضياء وسعة او فى انهار واكتفى باسم الجنس
فى مقعد صدق بدل من فى جنات سميت به لانها منزل القصاد فيخ او
لانها مكان مرضى كما يقال رجل صدق اى مرضى الخصال محمود الفعال عند
مليك مقتدر حال من المستكن فى الخبر اى مقربين ذوى رتب عند سلطان
كامل الاقتدار ولا الذ للنفس من قرب الملوك ولذا يبذل الاموال والارواح
دونه مع ملوك الدنيا تمت سورة القمر ولله الحمد فى الآصال والبكر والصلوة
على صفوة عدنان ومضر واله وصحبه من هاجر سورة الرحمن مكية وهى ست
وسبعون آيات بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران هذه
السورة مقصورة على بيان نعم الدارين التى لها شان لان حقها لكل حال فلذلك
صدرها بالاسم الدال على جلائل النعم براعة للاستهلال وكبرياجلها وهى نعم الدين
ثم اختار اعلاها شانا واسناها مكانا وهى القران الحاوى لاصول الدين وفروعه
الموضح للسبيل المصدق لسائر الكتب والرسل ولما كان كمال الانسان فى تكميل
قوته النظرية وهو الغاية المطلوبة من خلقه قدم تعليم القران ثم اردفه بما يتوقف
عليه بقوله خلق الانسان علمه البيان المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير الذى
لا يمكن تعلم القران وتعليمه الا به والاية بالجمل الثلث على نمط التعديد اشارة الى تقاعد

الانسان عن الوفاء بشكرها كما تقول فيمن تقصر في مكافاة معروفك ا ما كنت
صغيرا فربيتك محتاجا فاعطيتك ضايعا فآويتك ثم بعد قضاء الوطر من هذا
الاسلوب افاض في تعداد النعم واحدة اثر اخرى على النمط المعروف بحرف
النسق مراعيا التقارب والتناسب بقوله الشمس والقمر بحسبان تجري
كل منهما في منازله وبروجه بلا اختلال ليضبط بذلك احوال الكائنات ويتميز
الفصول والاوقات والنجم والشجر يسجدان ينقادان لامره فيما خلقا له شبه ذلك
بسجدة المكلف النجم نبت لا ساق له والشجر ما له ساق وارتباط الجملتين بما تقدم
معنوي وذلك انه لما رمز الى تقاعده في الشكر اخذ في تعداد نعم اخرى حثا له على
طلب منه ولو عطف لم يفد هذا الغرض وفيهما اشارة الى ان ما في العالم العلوي والسفلي
قايم بما خلق له والانسان مع كونه المقصود من الكون اخس بذلك وكان ظلوما جهولا
والسماء رفعها شرفا ورتبة لانها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره
ونواهيه او مكانا فوق الارض كقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا دل به على علو
شانه وعظم كبريائه وسلطانه مع كونه مبدأ جوده واحسانه ووضع الميزان قانون
الشرع الذي به النظام والوفاق بين الانام الذي هو الكمال للمكلفين كالمكيال
والمقياس الذي يعرف به الاشياء والامثال ان لا تطغوا في الميزان لا تتجاوزوه
بالزيادة والنقصان فيورثكم الندم والخسران واقيموا الوزن بالقسط اجعلوا
وزن اعمالكم قويما لا عوج به بالعدل السوي وهو ما قننه الشارع ولا تخسروا الميزان
لا تنقصوا ما وجب عليكم من حقه اعاده مبالغة في التوصية والارض وضعها للانام
بسطها مدحوة لئلا يشق عليهم التصرف والتردد في اكتساب المعاش والمعاد
والانام الانس والجن كذا عن الحسن او كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به
والنخل ذات الاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع او اريد به كل ما يتغطى من ليفه
وسعفه وكفراه وبالجملة ليس في شجر النخل ما لا ينتفع به ولذلك قال رسول الله عليه السلم
ان من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم ثم قال انها النخلة وعلى هذا ذكرها بعد الفاكهة ليس
كذكر جبرئيل بعد الملائكة والحب ذو العصف كالبر وسائر الحبوب والعصف
ورق النبات والريحان لب الحب يؤكل منه ولذلك فسر بالرزق اشرب
اقسام ما ينبت ولجماله آثر ما بينه لانه اما للتلذذ وهو الفاكهة اوله وللتغذي
وهو ثمر النخل او للتغذي وهو ثمر النخل وحده وهو الحب وفي ذكرها على هذا الاسلوب ترقي
من الادنى الى ما هو ادخل في الامتنان وقرا ابن عامر الثلثة بالنصب عطفا على
الفعلية بتقدير خلق وعليه رسم الشام ونافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم برفعها عطفا
على الاسمية اي فيها فاكهة وفيها الحب وعليه بقية الرسوم وقرا حمزة والكسائي بجر الثالث
ورفع الاولين اي ذو العصف والريحان اصله روحان قلبت واوه ياء تخفيفا

او ريوحان حذف واوه بوزنه فيلان فباي آلاء ربكما تكذبان و
الخطاب للثقلين لما تقدم ذكرهما في الانام ولقوله ايها الثقلان من
جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا علينا سورة الرحمن الى آخرها
ثم قال قراتها على الجن كانوا احسن ردا منكم كلما اتيت الى فباي آلاء
ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من آلائك نكذب ربنا خلق الانسان من صلصال
من طين يابس له صلصلة اي صوت كالفخار كالخزف وعبر عنه
بالطين اللازب والحمأ المسنون والتراب ايضا باعتبار انقلابه في
الاطوار وخلق الجان ابا الجن وهو ابليس من مارج من نار اي من نار
صافية او مختلطة بالدخان ومنه الامر المريج من بيان او من نار مخصوصة
ممتازة عن هذا النيران فلذا نكره فمن ابتدائية فباي آلاء ربكما تكذبان
اذ افاضه وجود اجل الانعامات واولاها رب المشرقين ورب المغربين
مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي آلاء ربكما تكذبان لا في ذلك
من الفوائد التي لا تحصى مرج البحرين يلتقيان ارسلهما متلاقيين من مرجت
الدابة ارسلتها بينهما برزخ لا يبغيان حاجب من قدرته يمنع احدهما
من التعدي على الآخر بالاختلاط فباي آلاء ربكما تكذبان اذ في ذلك
من الآيات ما يدل على كمال اقتداره الموصل الى الايمان الذي كل نعمة دونه
وتغير الالتقاء بتماس السطوح ثم تفسير البرزخ بحاجب من الارض
وحمل البحرين على بحر فارس والروم غير سديد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
احدهما ابيض بقوة الآخر احمر قاني وهما خواص الملح دون العذب وانما
قال منهما لاتصالهما في المرأى والقول بانهما يخرجان من مجمع البحرين يرده
المشاهدة وقرا نافع وابو عمرو بضم الياء وفتح الراء والباقون بالعكس
واللؤلؤ الاول والثانية التعبير باللازم فباي آلاء ربكما تكذبان وكونهما من
نواهج النعم غني عن البيان وله الجوار السفن الجارية في البحر المنشآت
المرفوعات الشرع وقرا حمزة بالكسر اي رافعات الشرع او الموج او
المنشآت او المبتدئات في الفعل من انشأ يشرع في الفعل كالاعلام
كالجبال الشامخة قامات الخشاء كانه علم من فوقه نار فباي آلاء ربكما
تكذبان لا في ذلك من الدلائل الدالة على كمال علمه تعالى واقتداره وما في ضمنه
من منافع العباد كل من عليها فان اي على الارض من الموجودات ومن
لتغليب العقلاء كقوله كل شيء هالك الا وجهه والاقتصار على من على الارض
لانه في تعداد النعم واشار الى العموم بقوله ويبقى وجه ربك اي ذاته
تجوز به او لا عن الجملة كاليد والعين ثم اشتهر حتى صار حقيقة فاستعمل

فمن تنزه عن الاجزاء ذو الجلال والاكرام اي الذي يجله الموحدون وينسبونه
الى الكرم او الذي جدير بان يقال ما اجله وما اكرمه قيل او لم يقل وتقديم صفة السلب
لانه في مقام الجلال وقهر الخلق بالفناء فباي آلاء ربكما تكذبان لما في ذلك
من العلم بكمال الصانع وكبريائه مع الوصول الى الجزاء والحيوة الابدية يسئله من في
السموات والارض لافتقار الكل اليه ابتداء وبقاء روي انه تعالى لما لعن ابليس
وطرده من جواره وكان من الكائنين بالعرش بكى جبريل وميكائيل فسالهما الله
تعالى وهو اعلم بهما لم تبكيان قالا يا ربنا من خوفك فقال هكذا كونا راهبين كل
يوم هو في شان يسعد ويشقي ويحيي ويميت ويغني ويفقر شئون يبديها لا شئون
يبتديها فباي آلاء ربكما تكذبان لما في ذلك من دفع الضر وجلب النفع والاعتبار
والتذكر المنجي من عقابه سنفرغ لكم ايها الثقلان كناية عن التوفر للانتقام
وتوجه الارادة اليه او تمثيل بان مثل حاله تعالى بعد انتهاء الشئون الى واحد وهو الاخذ
بالجزاء بحال من لا يبقى له اشتغال عن شيء ثم فرغ له والثقلان الانس والجن
لان الارض ثقلهما كالحمولة وقرا حمزة وابو بكر في وجه سيفرغ بالياء فباي آلاء ربكما
تكذبان لما في هذا الترتيب من الحث على الطاعة يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض من ملكوتي لتنجوا بذلك من قهري
فانفذوا امر تعجيز وفي معناه ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا
ساء ما يحكمون وقيل المراد به يوم الحشر فان الملائكة يحدق بهم سبعة صنوف
يقول الانسان يومئذ اين المفر وتقديم الجن لانهم اجرى واشد قوة لا تنفذون الا
بسلطان وانى لكم ذلك يرسل عليكما شواظ من نار لهب مركب من النار
والدخان وعن ابن عباس رضي الله عنهما نار لا دخان فيه وقرا ابن كثير شواظ
بكسر الشين من نار ونحاس صفر مذاب يحشر الناس الى الموقف وقرا ابن
كثير وابو عمرو بالجر عطفا على المجرور اي من نار ومن نحاس فكان المراد به الدخان
وانشد يضيء كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا والرفع ابلغ واليه
ذهب ابن عباس فلا تنتصران فباي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد يكبح عن
العاصي وحث الطائع على المزيد فاذا انشقت السماء فكانت وردة قطعة
حمراء كلون الورد وعن ابن عباس رضي الله عنهما الوردة اديم احمر كالدهان اي
كالزيت المذاب الذي يدهن به كقوله يوم تكون السماء كالمهل والمعنى انها تذوب
من حر نار جهنم والدهان كل ما يدهن به كالحرام والشام والختام كالزيت المذاب
فباي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان هذا في اول الحال
قبل شفاعة رسول الله عليه السلام للفصل والقضاء فلا ينافيه فوربك لنسئلنهم
اجمعين والهاء للانس الجان لتقدمهما رتبة فباي آلاء ربكما تكذبان لما في ذلك

الوقف من النعيم في ظل عرش الرحمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعرف
المجرمون بسيماهم بعلاماتهم سواد الوجه وزرقة العين فيؤخذ بالنواصي والاقدام
مجموعا بينهما او على التعاقب فباي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
يطوفون بينها وبين حميم آن بلغ نهاية الحرارة يحرقون بالنار ويشربون من ذلك
الحميم فباي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه الوقوف بين يديه يوم يقوم
الناس لرب العالمين كقوله ذلك لمن خاف مقامي او لفظ المقام مقحم اي لمن
خاف الله تعالى كقول الشماخ ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان
فباي آلاء ربكما تكذبان اي لكل واحد احديهما للاعتقاد والاخرى للعمل او احديهما لترك
المعاصي والاخرى لفعل الطاعات وجعل احديهما للخائف من الانس والجن
والاخرى للخائف من الجن بعيد مخالف للاحاديث ذواتا افنان جمع فنن
وهو الغصن خصها بالذكر لانها التي ينتفع بظلالها وثمارها وحسن المنظر
باوراقها او جمع فن اي انواع من الثمار فباي آلاء ربكما تكذبان حيث اعد
لكم هذا وانتم بعد في العدم فيهما عينان تجريان كيف شاؤا احديهما السلسبيل
والاخرى التسنيم روي انهما ينبعان من جبل من مسك والوصف بالجريان
لتوفير حظ الباصرة فان النظر الى الماء الزلال جالب شيء للسرور فباي
آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان مما تعلمون ومما لا تعلمون
او رطب ويابس لئلا تمل فباي آلاء ربكما تكذبان واي نعيم افضل من هذا
التنويع متكئين على فرش بطائنها من استبرق من حرير غليظ وظهائرها
من سندس نصب على المدح او حال من فاعل خاف لانه في معنى الجمع وجنى
الجنتين دان قريب يناله القاعد والمتكي اسم بمعنى المجني فباي آلاء
ربكما تكذبان فيهن اي في الجنان التي لكل واحد منهما جنتان او في الجنتين
لاشتمالهما على الاماكن او في الآلاء المعدودة قاصرات الطرف على
ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فهي ابكار كما خلقن
وقرا الكسائي في رواية الدوري عنه بضم الميم وكسرها في الثانية وفي رواية
الليث عنه بالعكس وفي رواية غير الكسائي بين ضم احديهما وكسر الاخرى
لا التعاند وهذا احسن جمعا بين اللغتين بلا ترجيح من غير مرجح كانهن الياقوت
والمرجان في صفاء الياقوت وبياض المرجان روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل واحد زوجتان يرى مخ ساقهما من
وراء اللحم وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه من وراء سبعين حلة فباي آلاء
ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان اي لا يكون الا ذلك فباي
آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان دون الجنتين الاوليين في الشرف

وهما للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين روى البخاري عن عبد الله بن قيس عن ابيه عن جده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وجنتان من
فضة انيتهما وما فيهما وفي اللفظ دلالة على غرابة الاوليين فباي الاء ربكما تكذبان
مدهامتان سوداوان من الري في مقابلة ذواتا افنان فباي الاء ربكما تكذبان
فيهما عينان نضاختان في مقابلة عينان تجريان والنضخ الفوران اقل من الجري
فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان افردهما لبيان شرفهما على سائر
الفواكه كانهما جنسان اخران او لاشتمالهما على غير التفكه كالتغذي في التمر
والتداوي في الرمان ولذلك ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى الى ان من حلف لا ياكل
الفاكهة لا يحنث باكل احدهما والوجه هو الاول اذ هذا انما يتصور في فاكهة الدنيا
لان كلما يتناول في الجنة لا يتناول الا على وجه التفكه فباي الاء ربكما تكذبان
فيهن خيرات حسان جميلات حسان الاخلاق تخفيف خيرات صفة لا
اسم تفضيل اذ ذلك لا يجمع هذا الجمع فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات
في الخيام مخدرات لا يخرجن او مقصور طرفهن على ازواجهن فباي الاء ربكما
تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف
خضر وسائد من حرير خضر لانه لون مفرح ويقال ايضا للبسط ولاطراف الخيمة
وكل ثوب اخضر وعبقري حسان لبسط حسنة منسوب الى العبقري تزعم العرب
انه اسم بلد للجن ينسبون اليه كل شيء عجيب ومنه في وصف عمر فلم ار عبقريا
يفري فريه والمراد به الجنس ولذلك جمع وصفه فباي الاء ربكما تكذبان تبارك
اسم ربك كثر خيره وزاد لفظ الرحمن الذي يعقبه هذه النعم او كل اسم له فانه
لا يبتدأ به شيء الا صار ذا بركة ويمن ذي الجلال والاكرام تقدم الكلام فيه وقرا ابن
عامر ذو مرفوعا صفة للاسم وفيه مبالغة حسنة تمت سورة الرحمن والحمد لمن له
الفضل والاحسان والصلوة على المبعوث الى الانس والجان واله وصحبه ذوي الرتب
والشان

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اي القيمة عبر عنها
بالواقعة دلالة على تحقق وقوعها لا محالة كقولك حدثت الحادثة واذا ظرف
لليس ونصب باذكر او المقدر اي اذا وقعت يكون كيت وكيت وهذا اجزل
ليس لوقعتها كاذبة نفس تكذب في الاخبار عن عدم وقوعها كاليوم كقوله
لما راوا باسنا قالوا امنا بالله او من كذبته نفسه في الخطب اذ شجعته على امر لا
طاقة له به كانه قال هذا الخطب ليس من الخطوب التي تقدر نفس على الكذب
مع صاحبها في احتماله وعلى الوجهين اللام للوقت مثلها في قدمت لخمس او
كلام على طريقة التمثيل اي بعد وقوعها ليس نفس تكذيب بلسان الحال او المقال

لها ثم تكون او مصدر بمعنى الكذب كما يقال حمل عليه حملة صادقة اي ذات
صدق خافضة رافعة لاقوام رافعة لاخرى لقوم ويل ولقوم نيل اذا رجت
الارض رجا حركت تحريكا عنيفا كقوله اذا زلزلت الارض وبست الجبال
بسا فتتت وفي الحديث اذ فتحت العراق ياتي قوم يبسون باهلهم او
فتت لقوله فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا ثلثة
اصنافا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اي اصحاب الجنة هل تدري
ما صفتهم وما هم فيه اقام المظهر مقام المضمر لما فيه من الفخامة والميمنة الجهة التي
تسامت اقوى الجانبين من اليمن وهو البركة والعرب يتيامن باليمين و
يتشاءم بالشمال ويسمونها الشؤمى او لان اهل السعادة يؤخذ بهم ذات
اليمين واهل الشقاوة ذات الشمال واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة اي
اي هم وما صفتهم سيق للتعجيب والسابقون السابقون مبتدا وخبر اي السابقون
الى الايمان هم الذين بلغك خبرهم في علو الرتبة ورفعة الشان كقوله انا ابو النجم
وشعري شعري وتخصيصهم بالانباء اجمالا او جملة اولئك المقربون في جنات النعيم اي
الموصوفون بالسبق هم الذين قربت درجاتهم من الله تعالى وعلت منازلهم في
الجنة استيناف لبيان ذلك لا ابهام ثلة من الاولين جماعة كثيرة من ثل
الثل وهو الصب والهدم خبر محذوف اي هم وقليل من الاخرين وفي تفسير
الاولين وجهان قيل السابقون على هذه الامة من لدن ادم الى محمد عليه السلام
فالسابقون من اولئك اكثر من سابقي هذه الامة ورد هذا عن الحسن
وهذا قول لا سند له بل السابقون والاخرون من هذه الامة وذلك لانه صح ان
اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون من هذه الامة واربعون من سائر الامم
وقد نطق القران بان هذه الامة خير الامم روى البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال نحن اقل عملا واكثر اجرا فكيف يكون السابقون من اربعين اكثر من
السابقين من ثمانين مع ان هؤلاء اكثر اجرا او خيرا من اولئك بنص القران
والحديث بل الاولون هم اوائل هذه الامة الذين اشار اليهم بانهم خير القرون السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار على سرر موضونة منسوجة بالدر والياقوت
داخلا بعضها في بعض كحلق الدرع وقيل متدانية ادني بعضها من بعض متكئين
عليها متقابلين حالان من الضمير في على سرر يطوف عليهم ولدان مخلدون
مبقون على تلك الحياة ابدا لا يعتريهم تغير وتبدل من الكبر او في اذانهم
الخلدة وهي القرطة وعن الحسن هم اولاد الكفار والحق انهم اهل الجنة وقيل هم الاولاد
والاطفال الذين ماتوا من غير عمل باكواب واباريق متعلق بيطوف والكوب
ما ليس له عروة ولا خرطوم والابريق بعكس ذلك وهذا التنوع على طريقة اهل الشرب

في الدنيا. وكأس من معين. هو القدح الذي يشرب به والمعين الجاري اي ليس
مثل خمر الدنيا توجعت من مجاورة الدن. لا يصدعون عنها ولا ينزفون لا يحصل لهم
بشربها صداع. ولا ينزفون. ولا يسكرون يقال انزف سكر قال الجعدي لئن انزفتم او
صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا. او لا ينفد شرابهم من انزف نفد والمعنى لا تنفد
عقولهم ولا شرابهم وقرا الكوفيون بفتح الزآء على بناء المفعول من انزفه اسكره
وهذا اوفق بقوله لا يصدعون. وفاكهة مما يتخيرون. يرتضون. ولحم طير مما يشتهون.
يستلذون. وحور عين. بيض نجل العيون عطف على ولدان معنى اي لهم ولدان
وعندهم حور او على ما في متكئين لوجود الفاصل كقوله ما اشركنا ولا آباؤنا وقرا
حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات اي في جنات ومعاشرة حور عين وعن الزجاج
عطف على باكواب اي يطوف عليهم الولدان بالحور كما هو دأب الملوك ياتي الخادم
بحظاياهم الى اماكن انسهم وعن الفرآء الجر على الجوار. كامثال اللؤلؤ المكنون. في
الصدف في الصفاء والطراوة او المخزون لشرفه وصيانته. جزاء بما كانوا يعملون. مفعول له
اي بهذا الذي تحفناهم به بجزاء اعمالهم. لا يسمعون فيها لغوا. اي كلاما باطلا. ولا تأثيما.
ولا اثما لو كان في الدنيا اوجب اثما كما يقع من اهل السكر في مجالسهم. الا قيلا. قولا
سلاما سلاما. سالما من ذلك. سلاما بدل منه او الا سلاما اثر سلام تحيتهم فيها سلام
واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين. اي لهم شان واي شان ثم شرع تفصيله. في سدر
مخضود. من الشوك كانه خضد وقيل هو موقر بالحمل من خضده اذا ثناه واماله
وطلح منضود. نضد بالثمر من اسفله الى اعلاه وهو شجر الموز او ام غيلان وقيل شجر في
البادية والظاهر انه انما خصا بالذكر لكثرتهما في ارض العرب وليس لهما ثمر فاخبرنا
ان انهما في الجنة ليسا على ما كانا عليه وقيل انما ذكر المعنى التظليل دون الثمر وليس بوجه
لذكر الظل بعده ولكون الوصف بالخضد والنضد غير ملايم وقيل هذا كلام مع اهل البوادي
وام غيلان لها رايحة طيبة وله شوك فاشار الى ان ما في الجنة لا شوك له مع كونه موقرا
بالثمر. وظل ممدود. لا فرج فيه ولا يتقلص كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس. وماء مسكوب
على الدوام كيف شاؤا. وفاكهة كثيرة. الانواع. لا مقطوعة. في وقت كفاكهة الدنيا
ولا ممنوعة. عن الوصول اليها. وفرش مرفوعة. على السرر او نضد بعضها فوق بعض
فارتفعت روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تفسير
فرش مرفوعة ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام او هو كناية
عن الحور. انا انشأناهن انشاء. اي خلقناهن خلقا جديدا اما ابتداء وهن
الحور او نساء الدنيا والضمير للفرش ان كان كناية عن النساء او لما دل عليه
ذكر الفرش ان لم يسبق له ذكر وعن ام سلمة رضي الله عنها سالت رسول الله
عليه السلام عن قوله انا انشاناهن قال هن اللاتي كن في الدنيا شمطا رمصا عجايز

فجعلناهن ابكارا عربا. جمع عروب متحببات الى ازواجهن وقرا ابو بكر بسكون الراء
مخففا. اترابا. لدات هن والازواج في سن واحد ثلثين وطول آدم ستين
ذراعا في عرض سبعة اذرع. لاصحاب اليمين. متعلق بانشأنا او صفة اخرى لابكارا
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين. خبر مبتدا محذوف. واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال. في سوء الحال. في سموم. في نار تنفذ في المسام. وحميم. وماء تناهى في
الحرارة. وظل من يحموم. دخان اسود من الحمة وهي السواد. لا بارد ولا كريم.
ليس فيه برد وروح كرّ الظلام اثبت لهم الظل ثم نفى برده وروحه تهكما
وتعريضا بان ذلك انما يستحقه اضدادهم. انهم كانوا قبل ذلك مترفين. متنعمين
اذ سبوا طغيانهم في الحيوة الدنيا من اترفته النعمة اطغته. وكانوا يصرون على الحنث
العظيم. الكفر بالله تعالى. وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون.
منكرين ذلك مكذبين للرسل نافين لقدرة المقتدر. اوآباؤنا الاولون. مع تقادم
العهد هذا اشد بعدا والعطف على المستكن في مبعوثون لوجود الفاصل او على محل
هم ان وقرا ابن عامر وقالون بسكون الواو ونصب العطف على المحل. قل
ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم. الميقات ما يوقت به
الشي ومنه مواقيت الاحرام اي الى وقت معين من يوم معلوم والاضافة بمعنى
من. ثم انكم ايها الضالون المكذبون. بالبعث قدم الضلال لانه منشأ التكذيب
لآكلون من شجر من زقوم. من الاولى لابتداء الغاية والثانية بيان. فمالئون
منها البطون. لغلبة الجوع. فشاربون عليه من الحميم. اي الماء المتناهي في
الحرارة وتانيث الضمير اولا ثم تذكيره ثانيا باعتبار اللفظ والمعنى حمل
التذكير على الاكل لعلة الضمار. فشاربون شرب الهيم. جمع هيماء وهي
التي بها من العطش داء بها قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء
مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها او جمع هيام وهو الرمل الذي لا يتماسك
الماء والعطف باعتبار الصفة لان شربهم الحميم لدفع العطش بل يكون
شربهم كشرب الهيم عجيب. وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر والكسائي
بفتح الشين وهما لغتان والضم اشهر. هذا نزلهم يوم الدين. هو ما يعد
للضيف النازل واذا كان هذا النزل فما بعده اعظم. نحن خلقناكم. اي لا
تشكون في ذلك. فلولا تصدقون. بالاعادة فانها اهون من البدء
افرايتم ما تمنون. تلقون في الارحام من النطف. ءانتم تخلقونه ام
نحن الخالقون. هب انكم لا تعلمون خلق انفسكم الستم تشاهدون
ما تولد منكم. نحن قدرنا بينكم الموت. قضينا بذلك وسوينا كم فيه
مع الاختلاف في الاعمار كالارزاق. وما نحن بمسبوقين. على ان نبدل

اشكالكم يقال سبقته على كذا اى غلبت عليه ونُنشئكم فيما لا تعلمون مالم
وما عهدتم مثله قدرتنا على الاخرى سواء ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا
تذكرون فانها فى غاية الظهور لا تحتاج الى ترتيب مقدمات افرايتم ما
تحرثون تشقون الارض وتلقون فيها من البذر ءانتم تزرعونه تنبتونه
وتوصلونه الى الكمال ام نحن الزارعون الفاعلون لذلك لو نشاء لجعلناه
حطاما متكسرا فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون
على تعبكم فيه او على المعاصي التى تسبب له وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم زرعت وليقل حرثت انا لمغرمون
لذاهب رزقنا من الغرام او ملزمون بغرامة ما انفقنا فيه من الغرامة وقرا
ابو بكر بالاستفهام تعجبا والاخبار ابلغ بل نحن محرومون مصابون بالحرمان
والشقاء افرايتم الماء الذى تشربون عذبا فراتا ءانتم انزلتموه من المزن
جمع مزنة وهى السحاب الابيض فان ماءه اعذب ام نحن المنزلون لو
نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا فلا يسوغ فلولا تشكرون هذه النعمة وانما
حذف اللام لتقدمها قريبا مع اشتهار لو بها ولان المشروب يتبع للمأكول
ليدل على ان فقده اصعب والاهتمام به اتم افرايتم النار التى تورون تقدحون
بالزند والزندة ءانتم انشأتم شجرتها الموقدة فيها النار ام نحن المنشئون
نحن جعلناها تذكرة تدل على قدرتنا على الاعادة وانموذجا من نار الاخرة
ومتاعا للمقوين الذين ينزلون بالقواء ممدود ومقصور من القى وهو المكان
القفر وخص بالذكر لفرط الاحتياج فيه او من القوى وهو الخلو فيعم المسافر
والمقيم فسبح باسم ربك العظيم نزهه عما لا يليق بجلاله بذكر اسمه العظيم شكرا
لتعظيم الآء او اذكره باسمه العظيم تعجبا ممن يرى هذه النعمة ثم يكفر والباء
للاستعانة او للملابسة فلا اقسم بمواقع النجوم بمساقطها او فى ذلك
الوقت يزول سلطانها فيكون ادل على وجود الصانع وعلى الحشر انتشارها
يوم القيمة وقيل منازلها وقيل اوقات نزول القران ولا مزيدة وقرا حمزة
والكسائى بموقع النجوم لارادة الجنس وانه لقسم لو تعلمون عظيم
اعتراض فيه اعتراض لان المقسم به من كمال القدرة او نهاية الرأفة انه
لقران كريم شريف نيط به امر المعاش والمعاد او كريم عند الله تعالى
وانما بالغ فى القسم وجعل القران مقسما به لكون السورة مصدرة بامر
المعاد وقد استوفى فيها ادلة الافاق والانفس على وجه يحار فيه الالباب
ولا يبقى لذى العينين ارتياب فى كتاب مكنون مصون عن ايدى الاغيار
لم يقع فيه شائبة تبديل لا يمسه الا المطهرون من دنس الاثام

وهم السفرة الكرام البررة والمطهرون من الاحداث رواه مالك
وابو داود فالنفى بمعنى النهى تنزيل من رب العالمين مصدر نعت به
صفة اخرى للقران افبهذا الحديث انتم مدهنون متهاونون من الدهن
فان المتهاون يلين جانبه وتجعلون رزقكم شكر ما رزقتم من نعمه
او رزقكم الذى بين فى السورة من نعم الدارين انكم تكذبون به وقيل
الرزق المطر وتكذيبهم به نسبته الى الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم
اى النفس والخطاب لمن حول المحتضر وانتم حينئذ تنظرون
نظر المحتاج العاجز ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين مربوبين مملوكين
من دان السلطان رعيته ساسها ترجعونها النفس الى البدن ان كنتم
صادقين فى ان لا صانع وانكم تتركون سدى وهؤلاء وان لم يصرحوا
بنفى الصانع الا ان تكذيبهم الرسل وانكار البعث والجزاء مؤد اليه
ثم استطرد ذكر الازواج الثلثة التى صدر بها السورة زيادة فى الترغيب
والترهيب وليتجاوب طرفاها ردا للعجز على الصدر فاما ان كان
من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم راحة ورزق ومقام كريم قدم
الاهم فالاهم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب
اليمين اى من اخوانك المؤمنين ومن ابتدائية وقيل سلم انك منهم
واما ان كان من المكذبين الضالين اى من اصحاب الشمال عبر عنهم
بالوصف دلالة على ان ذلك الوصف اورثهم الشقاء فنزل من حميم
وتصلية جحيم فى ذكر النزل تهكم بهم ان هذا ما ذكر فى السورة او فى
شان الازواج لهو حق اليقين حق الخبر اليقين لا يقين فوقه كقولك
امين حق امين فسبح باسم ربك العظيم اى بعد ما بلغت هذا البلاغ
المبين نزه ربك عما لا يليق بجلاله مستعينا باسمه الاعظم وذرهم فى
خوضهم يلعبون تمت سورة الواقعة والحمد لمن رحمته واسعة والصلوة
على من شفاعته شائعة وعلى اله وصحبه دائمة متتابعة

سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى
السموات والارض جاء بلفظ الماضى فى مواضع والمضارع اخرى دلالة على
ان شانه ان يسند اليه الفعل للاستمرار فى جميع الازمان وحيث كانت هذه
الطول ما صدرت بلفظ التسبيح لم يعد الجار فى المعطوف بخلاف سائرها ولم تغلب
العقلاء اشارة الى انهم فى القلة مغمورون فى جملة لا تحصى كثرة ففى كل شئ له آية تدل
على انه واحد وهو العزيز الغالب القاهر الحكيم المتقن فى صنعه فهو حقيق بان

بالتسبيح له ملك السموات والارض يحيي ويميت مرفوع خبر مبتدأ او منصوب
حال من المجرور او استيناف مقرر لما تقدم وهو على كل شيء قدير كامل القدرة على الاحياء
والاماتة وغيرهما هو الاول قبل كل شيء والآخر الباقي بعد فناء كل شيء والظاهر في كل شيء
والباطن من كل شيء لا يحيط به شيء علماً ولا دليل فيه لنا في الرؤية وتفسير البطون بعدم
ادراك الحواس قصور بل بطونه عدم ادراك كنهه ازلا وابدا احساسا وعقلا تعالى
عن ذلك علوا كبيرا والواو الاولى والثالثة لعطف المفرد على المفرد والوسطى
لعطف المركب على المركب والمعنى انه جامع لهذه الصفات ازلا وابدا او لا
ارهم بطونها عن الاشيا وبطونها عنه كما في الشاهد رفعه بقوله وهو بكل شيء عليم
يستوي في علمه الظاهر والباطن هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش لتدبير الكائنات بتمثيل يعلم ما يلج في الارض من ماء وحب
وما يخرج منها من نبات وزرع وما ينزل من السماء من مطر وثلج وبرد و
اقدار واحكام وما يعرج فيها من الملائكة والارواح والاعمال وهو معكم اينما كنتم
والله بما تعملون بصير شاهد لا يخفى عليه الاخلاص والريا واعادة الجلالة
دلالة على ان ذلك من لوازم الالوهية له ملك السموات والارض اعاده
ليقرن به امر المعاد كما قرن به المبدأ والى الله ترجع الامور فيجازي كلا على
حسبه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور
بمضمراتها ابلغ من قوله بما تعملون بصير آمنوا بالله ورسوله اذ لم يبق لكم شبهة
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين من الاموال التي بايديكم اذ هي في الحقيقة له تعالى
وانتم بمنزلة الوكلاء والخزان فانتم تحت امره فكما يأمركم يجب عليكم الامتثال
ولا ينبغي ان يشق عليكم او لا اخس ممن يشح بمال الغير فالذين آمنوا منكم
وانفقوا لهم اجر كبير مع كونكم غير مالكين لكم اجر لا يحاط به ترغيب وعده
مبالغات بناء الخبر على الموصول واعادة الايمان والانفاق وتنكير الاجر
والوصف بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله ما تصنعون غير مؤمنين بالله تعالى
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون وهو من ضمير تصنعون
حالان متداخلان وقد اخذ ميثاقكم حال من احد ضميري يدعوكم او حال بعد
حال من ضمير تؤمنون والحال انه قد اخذ عليكم الميثاق قبل الرسول بما ركب
فيكم من العقل ونصب الادلة فقد ازاح الشبهة عنكم من كل وجه وقرأ ابو عمرو
واخذ على بناء المفعول ان كنتم مؤمنين بموجب الايمان فقد بان لكم
الموجب بما لا مزيد عليه كقولك لتارك الصلوة هذا آن والجواب ان
كنت تصلي والعتاب عام لمن يؤمن ومن آمن ولم ينفق هو الذي ينزل
على عبده آيات بينات واضحات الاعجاز او الدلالة على الاحكام ليخرجكم

اي الله

اي الله تعالى او الرسول والاول اولى لقوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم حيث بين لكم واوضح
وما لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه من الجهاد والصدقة على
المحاويج ولله ميراث السموات والارض هو الباقي بعد فناء من في
السموات والارض فاي فائدة في الامساك هلا يقدم العاقل ماله بين
يديه ويشتري بالفاني الباقي وعنه عليه السلام يقول ابن آدم مالي
مالي وهل لك من مالك الا ما اكلته فافنيت او لبسته فابليت او تصدقت
فابقيت لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح فتح مكة وقيل حديبية
في حال شدة الاحتياج ومن بعده حذف لوضوح الدلالة عليه وقاتل
بيان لتفاوت الانفاق وحث على طلب المحل القابل وتقديم الاولى
والاحوج اولئك المنفقون اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد
وقاتلوا بعد فتح مكة وكلا وعد الله الحسنى اي من المنفقين السابقين
واللاحقين موعود بالجنة وان تفاوت حالهم وقرأ ابن عامر وكل بالرفع
على الابتداء والفعلية خبر بحذف العائد والنصب احسن لعدم التقدير
والله بما تعملون خبير يعلم نية المنفق اخلاصا وريا قيل نزلت في
الصديق انفق ماله في سبيل الله حتى تخلل بعباء فجاء جبريل فقال للرسول
الله عليه السلام يقول الله تعالى قل لابي بكر هل هو راض عني في فقره وسلم عليه
مني من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا مثل حال المنافق في سبيل الله
بحال من اقرض انسانا ما يؤديه اليه وقت احتياجه والقرض الحسن ما لا يجر
نفعا ولا يطلب فيه زيادة فيضاعفه له اضعافا لا يعلمها غيره وقرأه
بالنصب ابن عامر وعاصم بان مضمرة بعد الفاء جوابا للاستفهام بمعنى
وقرأ ابن كثير وابن عامر فيضعفه مشددا وكذا وكما فكذلك عظيم
كيفا وله اجر كريم شريف لا كثرة الاجور يكون مع مهانة يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات مقدر باذكر فانه يوم عظيم او ظرف ليضاعفه
او له اجر كريم يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اي يسرع نورهم قدامهم
ومن اليمين والشمائل على قدر سيرهم منهم من سيرهم كالبرق الخاطف
ومنهم كالريح ومنهم كالجارية الخيل وكذلك انوارهم على قدر اعمالهم حتى ان
فيهم من يقوم ويقع لضعف نوره وفي لفظ الايمان تغليب بشراكم
اليوم اي يقول لهم الملائكة الذي تبشرون به اليوم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها خبر بشراكم ذلك هو الفوز العظيم اي
الفوز الذي بشروا به من كلامه تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات

بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم بعد القضاء
بين العباد يؤخذ بالكفار الخلص الى النار وبالمؤمنين الى الجنة ويتبعهم
المنافقون لما كانوا في الدنيا يعتدون انفسهم منهم ويعطون نورا مجازاة
لخداعهم فاذا توسطوا الصراط انطفى نورهم نادوا المؤمنين انظرونا اي
انظروا الينا نأخذ قبسا اي شعلة من نوركم كما يفعله الاصحاب في الدنيا
اذا انطفى مصباح احدهم قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا والقائل المؤمنون
او الملائكة فالتمسوا نورا آخر لانه محل الاعمال التي صارت اليوم انوارا
وقرا حمزة انظرونا بهمزة القطع اي امهلونا وهو قريب من الاول فضرب
بينهم بسور هو الاعراف حائط الجنة له باب يدخل منه المؤمنون الجنة
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وتغير الاسلوب للدلالة
على ان داخله كله نعيم بخلاف ظاهره لبعد النار عنه ينادونهم الم نكن معكم
في الدنيا متفقين في الدين قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها
بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وقلتم ريح الاسلام تهب ساعة
ثم تسكن وارتبتم في امر الساعة وقلتم ما الساعة ان نظن الا ظنا
وغرتكم الاماني الكاذبة وقلتم ان كان بعث ستغفر لنا حتى جاء امر الله
قيام الساعة او امره بدخول النار وغركم بالله الغرور الشيطان بوعده الكاذب
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية اي لو كان لكم ما تفدون وقرا ابن عامر بالتاء والتذكير
احسن لوجود الفصل ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا ماواكم النار اي
مقامكم هي مولاكم اي اولى بكم من غيرها لما معكم ما يلائمها من الاعمال او هي التي
تتولى امركم او ناصركم تهكما وبئس المصير مصيركم الم يان للذين آمنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق اي القران من عطف العام على الخاص
او عطف باعتبار الصفة وقرا نافع وحفص نزل مخففا والتشديد ابلغ ويان
من انى يانى اذا جاء اناه اي وقته والهمزة للاستبطاء كقولك الغلام الم
اوعك والمعنى ليس للمؤمنين عذر في عدم خشوع قلوبهم وما رواه مسلم عن ابن
مسعود رضي الله عنه لم يكن بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله الا اربع سنين وما
رواه قتادة عن ابن عباس رضي الله عنه ان الله تعالى عاتب المؤمنين على راس ثلث
عشرة من نزول القران يدل على ان السورة مكية فان قلت لو كانت السورة
مكية فما وجه قصة المنافقين والنفاق انما نجم بالمدينة قلت اخبار بما يقع كما في
الاخبار عن المغيبات ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على
تخشع ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اولئك فطال عليهم الامد الزمان
فقست قلوبهم تغلب عليها القسوة والجفاء لتراكم الذنوب وظلمات المعاصي

فاحدثوا

فاحدثوا التحريف والبدع وكثير منهم فاسقون خارجون بالكلية عن دينهم لفرط
قسوتهم اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لحال القلوب النائية
عن الخشوع ثم تأثرها من ذكر الله تعالى وما نزل من الحق بحال ارض غلب عليها اليبس
ثم اصابها الغيث فاخضرت قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون في تقدير
الكلام باعلموا وختمه بلعلكم تعقلون نوع عتاب اذ كان الاولى بهم التدبر في
هذا الحال ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا
عطف على المصدقين لكونه في معنى الذين صدقوا وفيه تغليب لئلا يقع فصل
بالاجنبي والمعنى الذين تصدقوا واخلصوا في ذلك واخرجوه من مالهم الطيب
وقرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد من التصديق اي آمنوا بالله ورسوله
والتشديد اولى لذكر الايمان بعد يضاعف لهم ولهم اجر كريم تقدم تفسيره انفا
والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي بمنزلة
هؤلاء وان كانوا قاصرين تنزلوا منزلتهم لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر اولئك
ونورهم لا في الاضعاف اي جميع ما يحصل لهم من الاجر والاضعاف بل مثل مجرد
اجر التصديقين وحده فان قلت فاي ترغيب في ذلك قلت كل ترغيب
لان احاد المؤمنين اذا جعل ثواب عمله مثل ثواب عمل الصديق فاي احسان
فوق ذلك واما الاضعاف فذلك ليس راجعا الى الاعمال بل ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ويجوز ان يكون والشهداء مبتدا ولهم اجرهم خبره وقيل
يعوق والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم الذين لا يفارقونها
لافادة الكلام الحصر اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لما ذكر المرغبين في الاخرة حقر
امر الدنيا بان حصرها في امور خالية قليلة النفع ترغيبا فيما عنده وتحذيرا من
الاغترار بها واللعب ما يجلب السرور واللهو ما يدفع الهم وزينة بالاموال و
البنين وتفاخر بينكم يعني انا ابن فلان وانت ابن فلان وتكاثر في الاموال
والاولاد يعني انا لي كذا مالا وولدا وانت لا تملك ما املك كمثل غيث
اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما مثل حال الدنيا
في قلة جدواها وسرعة تقضيها بحال نبات انبته الغيث فاستوى
على سوقه اخضر ناضرا وارقا واعجب الزراع شانه او الكفار بالله تعالى
لقصور نظرهم الى الدنيا والمؤمن اذا راه علم ان ما عند الله هو الباقي وان هذا
عن قريب زائل ثم اصفر بعد تلك النضارة وتبدل حاله ثم تكسر وذهب
كان لم يكن وفي الاخرة عذاب شديد تنفير عن الركون اليه ومغفرة من الله
ورضوان حث على العمل المثمر لذلك وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
اي لا شيء يسير ونفع قليل يغتر به سابقوا الى مغفرة من ربكم مسابقة

القرآن الى احراز قصب السبق وجنة عرضها كعرض السماء والارض اذا ذكر
العرض لانه اقصر الامتدادين فاذا كان حاله كذلك فما ظنك بالطول المراد
جنس السماء لقوله عرضها السموات والارض فان قلت ايهما ابلغ قلت الثاني
لحذف اداة التشبيه والتصريح بما يدل على التعدد فان قلت لم اختص كل بموقعه
قلت لان الثاني في آل عمران وهو متأخر نزولا فلو عكس لم يبق فائدة في ذكره
اعدت للذين آمنوا بالله ورسله والاستدلال به على ان مجرد الايمان كاف ليس
بناهض لقوله في آل عمران اعدت للمتقين الذين نعتهم كيت وكيت ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده من غير ايجاب لان العبد لا يستحق على
المالك اجرة والله ذو الفضل العظيم لا يحاط بفضله خلق وهدى واعطى ما لم يخطر
على قلب من غير وجوب ولا استحقاق ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في
انفسكم الا في كتاب في اللوح من قبل ان نبرأها نخلقها اي الانفس
او المصيبة والاول اوجه لما روى مسلم ان الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السموات
والارض بخمسين الف عام وكان عرشه على الماء ان ذلك على الله يسير لعلمه
بالاشياء قبل وقوعه كعلمه بها حال وقوعها ثم اشار الى الحكمة في ذلك بقوله لكيلا تأسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فان من علم ان ما اصابه من الفقر كان مقدرا عليه
في الازل لم يحزن الحزن الشديد لانه قد وطن نفسه على ذلك وكذا في جانب
الخير لانه كان مترقبا والمراد بهما ما يخرج الى الجزع وعدم الصبر والفرح المعطي المطغي
الى البطر لا ما يعتري الانسان من الهم والسرور شكرا لنعمة الله تعالى وقرأ ابو عمرو
اتاكم مقصورا اي جاءكم وهي قراءة حسنة فتركها لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا ما جاءكم
والله لا يحب كل مختال فخور متكبر فخور على الناس بكثرة المال واكتفى باحد الشقين
لدلالته على الآخر وآثر الثاني لانه اشد نكيرا الذين يبخلون ويأمرون الناس
بالبخل بدل من كل مختال او في محله الدلالة على ان الافتخار بالمال وحبه يبلغ حدا
يشح بالغير وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الباء وهما لغتان كالرشد والرشد
ومن يتول يعرض ولم ينته عما نهى الله تعالى فان الله هو الغني لا يحتاج الى انفاق
المنفق الحميد محمود في ذاته وان لم تقوموا عن شكره وقرأ نافع وابن عامر بحذف
ضمير الفصل وعليه رسم مصحف المدينة والشام والاثبات اكد وعليه بقية الرسوم
لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي الملائكة الى الانبياء والمعجزات لا الانبياء
الى الناس لقوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان قانون الشرع يشمل الميزان الذي
به تعامل الناس وكلما يعرف به الانصاف من امور المعاش والمعاد ولذلك
علله بقوله ليقوم الناس بالقسط بالعدل وانزلنا الحديد فيه بأس شديد يتخذ
منه آلة الجهاد والقتل وفيه اشارة الى ان امر الشرع لا يستقل بدون السيف والسنان

الظلم

الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم وعنه عليه السلام رزقي تحت
ظل رمحي ومنافع للناس اذ لا صنعة الا والحديد فيه مدخل وليعلم الله من ينصره
ورسله عطف على محذوف دل عليه السياق اي لينفعهم وليعلم الله وفي
الحديث اشارة الى ان الثاني هو المطلوب بالذات ان الله قوي ذو قدرة
بالغة عزيز غالب على كل شيء وانما انزل الحديد وامر بالقتال لينالوا بذلك القربة
عنده والزلفى ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
اي الوحي المتلو اشار الى ان قانون الشرع والامر بالقسط بين الناس قديم
من لدن نوح عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم واقتصر على نوح لانه ابو البشر
ثانيا ليس في الدنيا الا ذريته فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون غير الاسلوب
للدلالة على ان الغلبة لاهل الضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا اي آثار نوح
وابراهيم والجمع للتعظيم او هما ومن عاصرهما من الرسل او من ارسلا اليه و
قفينا بعيسى ابن مريم اي انتهى ارسال الرسل اليه وآتيناه الانجيل وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية مصدر رهب وهو شدة الخوف
والمراد تعبدهم في الجبال والمغاير والكهوف وذلك ان بني اسرائيل بعد صعود
عيسى افترقوا اثنين وسبعين فرقة على الحق والباقون على الضلال فدعوا
الملوك والجبابرة الى دين عيسى عليه السلام وقاتلوهم حتى لم يبق منهم الا قليل فلم
يقدروا على المقاومة فتفرقوا في الجبال ابتدعوها اخترعوها من عند انفسهم
ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع
اي لكن ابتدعوها طلبا لمرضاة الله تعالى فما رعوها حق رعايتها ما قاموا بها حق
القيام وفيه اشارة الى ان التعمق في العبادة فوق ما سنه الله ورسوله مذموم
وقد روى البخاري عنه عليه السلام ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه
فان بني اسرائيل شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في
الصوامع رهبانية ابتدعوها وانتصابها بمضمر مفسر وجعلها من المجعولات
عدول عن الظاهر مخالف للاحاديث فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم
الذين وفوا بما نذروا وكثير منهم فاسقون لم يحافظوا على ما عاهدوا الله عليه
يا ايها الذين آمنوا احدثوا الايمان اتقوا الله في اوامره ونواهيه
وآمنوا برسوله محمد عليه السلام عن ابن عباس والضحاك رضي الله عنهما انها
نزلت في مؤمني اهل الكتاب ويدل عليه قوله يؤتكم كفلين من رحمته وذلك
لما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يؤتون
اجرهم مرتين رجل آمن بنبيه وآمن بمحمد عليه السلام وعبد مملوك ادى حق الله تعالى
وحق مواليه ورجل له امة فأدبها ثم اعتقها فتزوجها والكفل الحظ الوافر والنصيب

الكامل كأنه تكفل بالكفاية ويجعل لكم نورا تمشون به على الصراط يسعى بين ايديهم
وبايمانهم او نورا ينقذكم به عن ظلمات الجهل ويغفر لكم ما سلف لكم والله غفور
رحيم عن سعيد بن جبير رضي الله عنهما افتخر مؤمنوا اهل الكتاب بان لهم الاجر
مرتين فانزل الله تعالى للمؤمنين هذه الاية وزادهم النور والمغفرة ويؤيده ما رواه
البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلكم ومثل اهل الكتابين مثل
رجل استاجر قوما فعملوا له الى الظهر واستاجر اخرين فعملوا الى العصر ثم استاجر
قوما فاكملوا بقية اليوم فاعطاهم مثل اجر الفريقين فغضبوا وقالوا نحن اكثر
عملا واقل اجرا فقال هل نقصتكم مما شرطت لكم قالوا لا قال فذلك فضلي
اوتيه من اشاء وما قيل ان رسول الله عليه السلام ارسل جعفرا ادعو النجاشي
الى الايمان فامن به وارسل سبعين رجلا الى رسول الله عليه السلام فجاؤا
ورسول الله قد تهيأ لوقعة احد كلام لا اصل له وجعفر انما قدم ممن هاجر
الى الحبشة ورسول الله عليه السلام في محاصرة خيبر بعد احد بثلث سنين
رواه البخاري مكررا في مواضع لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء
من فضل الله لا مزيدة والمعنى على الاول ربما وعدنا من امن من اهل الكتاب
كفلين من رحمتنا ليعلم الذين لم يؤمنوا منهم ان ايمانهم ان شاء بني لا يورثهم
شيئا من فضل الله قط وعلى الثاني اثبتوا ايها المؤمنون على ايمانكم واتقوا الله
يؤتكم ما وعد من امن من اهل الكتاب من الاجر مرتين ويزيدكم النور والمغفرة
وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقيل لا غير مزيدة والمعنى انما فعلنا
كذا وكذا لئلا يعتقد اهل الكتاب ان رسول الله والمؤمنين لا يقدرون على
حصر فضل الله فيمن امن بمحمد وقوله وان الله ذو الفضل العظيم عطف على الا
يعلم ولا يخفى بعده تمت ونحمد الله على العبيد ونسأله من فضله المزيد والصلوة
على الماجد الغريد واله وصحبه الذين فلقوا بالحديد هام كل جبار عنيد

سورة المجادلة مدنية وهي اثنان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله عن عائشة رضي الله عنها
تبارك الذي ادعى سمعه كل شيء لقد جاءت المجادلة خولة بنت ثعلبة
اوس بن صامت الانصاري الى رسول الله تشتكي زوجها وانا في ناحية
البيت يخفى علي بعض كلامها وكان اوس بن صامت الانصاري ولاج
الخوالف وكان به حدة فدعاها الى الفراش فابت فظاهر عنها فاستفتت
فقال حرمت عليه فقالت ان لي منه صبية ان ضممتهم اليه ضاعوا وان
ضممتهم الي جاعوا فقال قد حرمت فقالت اشكوا الى الله تعالى فاقتي فنزلت
روي انها استوقفت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما زمانا طويلا فدنا منها

واصغى اليها فقال رجل يا امير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز
قال ويحك هذه خولة التي سمع الله تعالى شكواها من فوق سبع سموات
لو لم تنصرف لوقفت معها الى الليل وفي قد دلالة على ان رسول الله عليه السلام
والمجادلة كانا يتوقعان ان الله تعالى سينزل في شانها ما يفرج كربتها والله يسمع
تحاوركما تراجعكما في الكلام ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين
يظاهرون منكم من نسائهم الظهار كان طلاقا في الجاهلية مؤكدا باليمين
وفي اقحام منكم توبيخ للعرب وتصوير لزيادة التهجين لانه كان مخصوصا
بهم وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء والهاء والتشديد من اظاهر وعاصم
بضم الياء وكسر الهاء والتخفيف من ظاهر ما هن امهاتهم حقيقة بكسر التاء
قراءة النصب على ان ما عاملة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم والمرضعات
وازواج الرسول ملحقات بهن احتراما وقرا الكوفيون وابن عامر اللائي
بالهمز والياء وابو عمرو وابن كثير في رواية قنبل بالياء ساكنة ونافع في رواية
ورش كالياء مكسورة او في رواية قالون وابن كثير في رواية البزي بالهمزة
وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا باطلا منحرفا عن الصواب اذ بين
الزوجات والامهات ابعدما بين التضب والنون فان قلت الظهار
كالطلاق فكيف يوصف بالزور الذي هو من خواص الخبر قلت باعتبار تضمن
من الحاقها بالام وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم
يعودون لما قالوا الظهار قول الرجل لزوجته انت علي كظهر امي او كراسها
او كجسدها وسائر المحارم كالام والاية الاولى في ذم المظاهر وهذه في بيان
حكمه ثم العود عند الظاهرية ان يعود الى لفظ الظهار فيكرر وعند ابي حنيفة
باستباحة ما حرم ولو بالنظر بالشهوة وعند الشافعي رحمه الله تعالى بان يمسكها
زمانا يمكنه ان يفارقها وعند الامام احمد رحمه الله تعالى ان يعود الى الجماع او يعزم
عليه وعند مالك العزم على الوطء او الامساك فتحرير رقبة اي كفارته تحرير
رقبة وقيده الشافعي رحمه الله تعالى بالمؤمنة بناء على انه من حمل المطلق على المقيد
والفاء للتسبيبة وفائدتها الدلالة على تكرر الكفارة بتكرر الظهار من قبل
ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر بالاخر لعموم اللفظ او ان يجامعها
وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اي التكفير على هذا الوجه توعظون به
تزجرون به لان المظاهر اذا علم بوجوب الكفارة وهي اعتاق رقبة ينزجر
والله بما تعملون خبير حث على الاتيان به على الوجه الاكمل فمن لم يجد ما لا يعتق
رقبة ومن ماله غائب واجد فلا يعدل عن العتق فصيام شهرين متتابعين
فان افطر يوما لغير عذر او نسي النية او مرض بطل تتابعه دون الحيض والقربان ليلا

يقطعه عند ابي حنيفة ومالك دون الشافعي بالمؤمنة بناء على اصله من حمل المطلق على
المقيد والفاء للسببية وفائدتها الدلالة على تكرر الكفارة بتكرر الظهار من
قبل ان يتماسا فمن لم يستطع لفرط شبق او لهرم او لمرض لا يرجى زواله
فاطعام ستين مسكينا وهو نصف صاع من بر او صاع من شعير اعتبارا
بالفطرة وعند الشافعي رحمه الله تعالى مد بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل
وثلث وكل خمسة ارطال وثلث ستمائة درهم وثلثة وتسعون درهما وثلث
درهم والدليل للشافعي رحمه الله تعالى حديث الاعرابي الذي جامع في رمضان وانما
لم يعد التماس لتقدمه مكررا او لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة رحمه الله
واجراه بعضهم على الظاهر ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا
بالله ورسوله فيما شرع من الاحكام وتتركوا ما كنتم عليه في الجاهلية وتلك
حدود الله اي الاحكام المذكورة فلا تتجاوزوها وللكافرين اي الذين لم يقبلوها
عذاب اليم جزاء لكفرهم ان الذين يحادون الله ورسوله يشاقونهما
من المحادة فان كلا من المتعادين في حد او يقابلونهما في شرع الحدود وخلاف
ما شرعا كبتوا كما كبت الذين من قبلهم اخزوا واهلكوا امثالهم قيل المراد
في كبتوا بني قريظة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم وسبى ذراريهم بعد
الخندق ومن قبلهم المشركون يوم بدر وقد انزلنا آيات بينات واضحات
لا لبس فيها وللكافرين بتلك الآيات عذاب مهين لاستكبارهم عن
الايمان بها يوم يبعثهم الله جميعا ظرف لمهين لان الخزي في الجمع الكثير اشق
او منصوب باذكر فينبئهم بما عملوا من التكذيب وسائر المعاصي على رؤوس
الاشهاد وتكميلا للخزي والاهانة ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
احصاه الله علمه مفصلا ونسوه لتهاونهم والله على كل شيء كلما يطلق عليه
اسم الشيء من الذوات شهيد حاضر يعلمه عيانا ثم اقام البرهان عليه
بقوله الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض من الاجزاء والجزئيات
والخطاب عام ما يكون من نجوى ثلثة اسم من النجو وهو القطع لان السر
منقطع عن الغير او من النجوة وهي الارتفاع لعدم وصول الغير اليه والمعنى
ما يكون شيء من نجوى ثلثة نفر على ان نجوى مضاف الى الثلثة او موصوف
اي من اهل نجوى فحذف الاهل وجعلوا نفس النجوى مبالغة الا هو رابعهم
في العلم ولا خمسة الا هو سادسهم لكنه وتخصيص العددين اما نظرا
الى الواقع وهو ما روي انها نزلت في حبيب وربيعة بني عمرو وصفوان بن
امية كانوا يتناجون باحوال المؤمنين وذكر معه الخمسة لتناسب الوترين
او لان النجوى انما يكون من ذوي الاحلام والنهى وهم قليلون في الاغلب

لا يعدون

لا يعدون عشرة فذكر الوترين لان الله تعالى وتر يحب الوتر ثم اشار الى الزوجين
بقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر دلالة انه لو ذكر الاربعة لم يتناول الاو
الاثنين الا على التوسع الا هو معهم اينما كانوا اذ علمه بالاشياء لا يتفاوت
بالقرب والبعد منه محالان ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة اي يجازيهم عليه
او يوبخهم به تفضيحا ان الله بكل شيء عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى
ثم يعودون لما نهوا عنه تعجيب للسامع لو فاتحهم عن ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت في المنافقين وعن مجاهد في اليهود كانوا اذا رأوا المؤمنين سار
بعضهم بعضا وغمزوهم فشكوا ذلك الى رسول الله عليه السلام فنهاهم فلم ينتهوا
ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول بالكذب والظلم ومخالفة
الرسول بيان وكشف عن حال نجواهم بما يؤكد ذمهم اذ لو كان تناجيهم
بما فيه خير كان امر الرسول موجبا للانتهاء والامتثال وقرا حمزة وينتجون
مقصورا عن القراء وكلاهما بمعنى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به
الله فيقولون السام عليك والسام هو الموت ويقول الله وسلام
على عباده الذين اصطفى روى البخاري ان يهوديا مر برسول الله عليه السلام
وعائشة رضي الله عنها عنده فقال السام عليك فقالت عائشة وعليكم
السام واللعن فقال رسول الله لا تكوني فحاشة قالت الم تسمع ما قال
قال اولم تسمعي ما قلت قلت وعليك فيستجاب لي ولا يستجاب له ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ان كان نبيا كما زعم حسبهم جهنم كافيهم
في العذاب يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم والفاء للسببية
مبالغة في استخفافهم وليس في القرآن غيره يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول تصريح بما علم ضمنا لترتب
عليه قوله وتناجوا بالبر والتقوى بما فيه الثواب والاتقاء عن معصية الرسول
واتقوا الله الذي اليه تحشرون في مجامع اموركم انما النجوى من الشيطان اي
نجوى المنافقين ليحزن الذين آمنوا الشيطان النجوى وقرا نافع يحزن بضم
الياء على انه من احزن وقال الخليل احزنه ادخل فيه الحزن فهو ابلغ وليس بضارهم
شيئا الا باذن الله فعلى المؤمن اذا رأى شيئا من ذلك ان لا يحزن وعلى
الله فليتوكل المؤمنون ليعلمهم بانه لا ضار ولا نافع غيره يا ايها الذين آمنوا اذا قيل
لكم تفسحوا في المجالس توسعوا وتباعدوا عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت
في مواضع الحرب كانوا يتنافسون فيها وعن مقاتل كان رسول الله عليه السلام
في الصفة يوم الجمعة فجاء البدريون فنزلت روى البخاري ومسلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يقم احدكم اخاه ثم يجلس مكانه ولكن تفسحوا وقرا غير عاصم

المجلس مفرداً وعليه الرسم فافسحوا يفسح الله لكم المجلس قيل لم يفسح الجالس
قطاً عمن جاء بعد التفسح او في اموركم كلها ببركة الامتثال وإذا قيل انشزوا
فانشزوا عن الحسن انهضوا الى الحرب وعن قتادة الى كل معروف وعن
ابن زيد ارتفعوا عن مجلسه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بضم الشين وابو بكر بخلاف
عنه وهما لغتان والكسر اخف يرفع الله الذين آمنوا منكم جزم على الجواب
اي ان امتثلوا امر الله يرفع الله لهم المنزلة لاجل تواضعهم والذين اوتوا العلم
خاصة منه درجات للجمع بين العلم والعمل وفي الحديث فضل العالم على العابد
كفضلي على ادناكم والله بما تعملون من الامتثال خبير فليكن ذلك عن
اخلاص وصفاء قلب يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين
يدي نجواكم صدقة كان يخاطبه المؤمن والمنافق واجلاف البوادي والاماء
والعبيد ويبرمون فيما لا طائل تحته فاراد الله تعالى اظهار كرامته فاوجب لمن
اراد ان يناجيه ان يتصدق امام نجواه بشيء فبقي الامر على ذلك عشرة ايام
وقيل ساعة ثم نسخ بالذي بعدها وعن علي بن ابي طالب لم يعمل بها غيري كان
معي دينار فصرفته وكنت اذا ناجيت تصدقت قبله بدرهم وعن ابن عمر
كانت لعلي ثلث لو كانت لي واحدة كانت احب الي من جميع النعم تزويجه
رسول الله بفاطمة والنجوى والراية يوم خيبر ذلك خير لكم اي التصدق من
الامساك واطهر فان الصدقة طهرة الذنوب لا سيما في مناجاة رسول الله
فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اباح المناجاة من غير تقديم صدقة أأشفقتم
ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي اخفتم مما امرتم به من الصدقة
بين يدي النجوى والجمع باعتبار كثرة المخاطبين الهمزة للتقرير ولم يرد
نص على اظهارهم الخوف ولكن الله اخبر عما حدثت به انفسهم فاذ لم
تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ترك الصدقة امام النجوى والجمهور
على ان هذا ناسخ لوجوب الصدقة وقيل نسخت بوجوب الزكوة فاقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة مسبب عما قبله كانه قال لا تقصروا في ادائهما كما قصرتم في الصدقة
وفيه نوع تعيير لهم واطيعوا الله ورسوله في سائر الامور وان كانت شاقة
عليكم والله خبير بما تعملون ظاهراً وباطناً فيجازيكم على حسب ذلك الم تر
الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم تعجيب من حال المنافقين يتولون اليهود
الذين غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم اي المنافقون ليسوا من المسلمين
ولا من اليهود ويحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون انهم
كاذبون فيتعمدون الكذب وهي اليمين الغموس اعد الله لهم عذاباً شديداً
نوعاً منه متفاقماً انهم ساء ما كانوا يعملون في الازمنة المتطاولة او هو حكاية

ما يقال

ما يقال لهم يوم القيامة اتخذوا ايمانهم جنة تستترون بها ويدفعون اطلاع المؤمنين
على حالهم فصدوا عن سبيل الله الذين يريدون الاسلام يوهنون امر الاسلام واتباعه
لا بقاء له عن ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في نفر
من اصحابه في ظل حجرة من حجره فقال سيأتيكم الآن رجل ينظر بعين شيطان
فدخل عليه عبد الله بن نبتل فقال له رسول الله علام تشتمني انت واصحابك
فجاء واصحابه فحلفوا انهم لم يفعلوا فنزلت فلهم عذاب مهين لكفرهم وصدهم
وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئاً من عذاب الله او شيئاً من الاغناء وذلك انهم كانوا يقولون
لنا الاموال والاولاد وان كان لقول محمد اصل نفتدي بها يوم القيمة اولئك اصحاب
النار الملازمون هم فيها خالدون ابداً يوم يبعثهم الله جميعاً مجتمعين فيحلفون له
انهم مؤمنون حقاً كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون انهم على شيء اي يملك الايمان
تروج عنهم كما راجت في الدنيا جاهلين بعلم علام الغيوب الا انهم هم الكاذبون البالغون
في الكذب كان من عادتهم ليس بكاذب استحوذ عليهم الشيطان استولى على
قلوبهم بيان لذلك الكذب المفرط فانساهم ذكر الله فلا يتأملون في صفاته
ليتميز لهم ما لا يليق بكبريائه اولئك حزب الشيطان جنده الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون الكاملون في الخسران ان الذين يحادون الله ورسوله
اعاده ليفصل احوالهم المجملة في كبتوا ويقرن بها احوال اضدادهم المؤمنين حزب
الرحمن اولئك في الاذلين في زمرة هم اذل خلق الله كتب الله في اللوح
لاغلبن انا ورسلي بالسيف والبرهان وذكر البيان ان الرسل عنده بمكان
كانه معهم في المناظرة والمحاربة ان الله قوي ذو قدرة كاملة عزيز غالب
قاهر لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله لانه
جمع بين الضدين قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك
بعازب والمعنى لا ينبغي الوجدان وانما عبر عنه به مبالغة فان الواقع عدم
الابتغاء لا الوجدان فصور بصورته ابرازاً بما لا يتسع ممتنعاً ولو كانوا آباءهم
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم كما فعل ابو عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم
بدر وكان اسيراً ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يليق به فضرب عنقه
وابو بكر دعا ابنه الى البراز يوم بدر ومصعب بن عمير قتل اخاه يوم بدر ولما
استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاسارى قال
رؤوس الكفار مكني من فلان لقريب له ومكن علياً من عقيل وفلاناً من فلان ليعلم
المشركون ان لا هوادة في قلوبنا اولئك كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها
الزام المكتوب في الرق وايدهم بروح منه بقوة من عنده حتى اجترأوا على

قبل اغترتهم او بنور الايمان فانه حياة للقلوب اومن كان ميتا فاحييناه والضمير
على ان الايمان فعل القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
رضي الله عنهم بطاعاتهم ورضوا عنه بما جازاهم به اولئك حزب الله الا ان
حزب الله هم المفلحون اولئك هم الفائزون في الدارين بالغلبة في الدنيا
والجنة في العقبى تمت المجادلة والحمد لمن الالاء شاملة والصلوة على سيد
الزمرة الكاملة وآله واصحابه دائمة متواصلة سورة الحشر مدنية وهي اربع وعشرون
ايات بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض
وهو العزيز الحكيم سبق الكلام عليه هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم لانهم والمراد بنو النضير وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتا
الى المدينة وصالحهم الى الايمان وابوا عاهدهم لان لا يكونوا له ولا عليه حتى قتل عمرو
ابن امية رجلين من بني عامر خطأ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير يستعين
بهم في دية الرجلين وكان بنو عامر حلفاء بني النضير فقالوا نفعل ذلك يا ابا القاسم
واجلسوه في ظل جدار واخذوا في المشاورة وقالوا ما نرى فرصة احسن من هذه
فانتدب عمرو بن جحاش لقتله بان يصعد ويلقي عليه صخرة فاتاه خبر السماء بكيدهم
فكر راجعا وكان معه ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فتجهز لقتالهم وسار اليهم وكانت لهم
حصون منيعة فتحصنوا بها على ما يفصل بعد كان بعد احد وقيل بعد بدر بستة اشهر
لاول الحشر واللام للتوقيت مثل قدمت لحياتي ومعنى اولية الحشر انهم لم يكن
اصابهم جلاء واول حشرهم من الشام الى ارض العرب كان باختيارهم او انهم
اول من اخرج من جزيرة العرب او ان هذا اول حشر اهل الكتاب والثاني اجلاء
عمر اهل خيبر او آخر حشرهم يوم القيمة حاصرهم ستة ايام ثم اتفقوا على ان لهم ما حملت
الابل فاجلاهم الى الشام ولحق بعضهم بخيبر واسلم منهم رجلان يامين بن عمرو وابو
سعيد بن وهب واستدلال عكرمة بالاية على ان ارض الشام هي المحشر غير تام
ما ظننتم ان يخرجوا ايها المؤمنون لكثرة عددهم وعددهم وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله كان الظاهر وظنوا ان لا يخرجوا فالعدول الى المنزل لما في تقديم
الخبر ثم اسنادا والجملة الا لتصير من الدلالة على ان ظنهم قارب اليقين لا كظن
المؤمنين فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اي باسه ولم يكن ذلك في حسابهم
لاعتمادهم على شدة باسهم وحصانة حصونهم وقذف في قلوبهم الرعب اي
الخوف الذي يملأ القلب واكده بلفظ القذف الدال على القوة يخربون بيوتهم
بايديهم عن قتادة كانوا يخربونها ليصلحوا به ما انهدم من السور او كانوا يفعلون
ذلك لئلا يبقى حسنة وايدي المؤمنين لانهم سببوا لذلك فاعتبروا يا اولي
الابصار ولا تخالفوا امر الله ورسوله او لا تعتمدوا على قواكم واتكلوا على الله في امور

وفيه

وفيه دليل على جواز القياس فيما لا نص فيه بشرائطه المعلومة في موضعه وقرا ابو عمرو بالتشديد
وهو ابلغ لدلالته على التكثير ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الذي هو اشق لعذبهم
في الدنيا بالقتل وسبي الذراري كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار
الذي القتل والجلاء عنده اهون شيء ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اي ذلك
الغضب الذي اورثهم عذاب الدارين لاجل انهم حاربوا رسول الله وكذبوه
وذكر الله تعالى للدلالة على ان مشاقة رسوله مشاقته ولذلك اكتفى به في قوله ومن يشاق
الله فان الله شديد العقاب وفيه تهديد لغيرهم ما قطعتم من لينة
هي النخلة ما عدا العجوة والبرنية من اللون سميت به لاشتمالها على الالوان قلبت
الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمع لين او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله لامر رسول
الله عليه السلام بقطعها وتحريقها وقع في قلوب وسوسة وقيل ارسلت قريظة تقول
يا محمد كنت تنهى عن الفساد فنزلت وفيه يقول حسان بن ثابت وهان على
سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير وانما ابقوا العجوة والبرنية لانها احسن
وليخزي الفاسقين اليهود اذا شاهدوا ذلك والمعلل محذوف اي اذن لكم
وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب لقرب حصونهم ولم
يقع بينهم قتال الايجاف الاسراع والركاب الابل التي يسار بها لا واحد له من لفظه
ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بالقاء الرعب في قلوب عدوهم نزلت
حين طلبوا منه قسمة اموالهم كما قسم اموال المشركين ببدر والله على كل شيء
قدير ينصر بالملائكة وبدونها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى لم يدخل العاطف
لانه بيان الاول شامل لمال بني النضير وسائر اموال الفيء الى يوم القيمة فلله
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل هذه مصارف مال الفيء
وهي مصارف خمس الغنيمة فقد قطع عنه مطامع انظار اهل العز وامره ان يضعها في هذه
المواضع فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ من ذلك قوت سنته واهله ثم يصرف
الباقي في هذه المصارف وكذلك فعلت الخلفاء مع امهات المؤمنين وذكر الله
للتعظيم وقيل يصرف سهمه في عمارة الكعبة شرفها الله تعالى وسائر المساجد
ان قيل المحلي ان المصروف في هذه المصارف في زمانه كان اربعة اخماس الخمس
واما الاخماس الاربعة منها فالى اخماس الخمس كانت خالصة رسول الله ياخذ منه
نفقة اهله ويصرف الباقي الى الكراع والسلاح وهي الان تصرف الى المرتزقة
واستدل بحديث رواه البخاري عن عمر بن الخطاب كيلا يكون دولة بين
الاغنياء منكم اي انما بينا مصارف الفيء كيلا يكون جدا وحظا بين الاغنياء
يتكاثرون به والدولة ما يدول مع الانسان من الحظ اي يدور فعلة بمعنى الفاعل
وكيلا يكون دولة جاهلية وكان اهل الشوكة يختصون بها ويقولون من عز بز

او بمعنى المفعول اي يتداولونه يتعاودونه كالغرفة لما يغترف وقراه
هشام في احد الوجهين بتانيث الفعل ونصب دولة على ان كان ناقصة
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا: لا تخالفوه في شيء ولا
تتوهموا في افعاله واقواله غير الحق: واتقوا الله: بطاعة رسوله: ان
الله شديد العقاب: حقيق بان يتقى: للفقراء المهاجرين: بدل من
ذي القربى باعادة الجار لان الرسول وما عطف عليه تخرجه عنهم
بقوله وينصرون الله ورسوله ولكونه اجل من ان يطلق عليه اسم الفقير ولان
المبدل في حكم السقوط وذلك مخل تعظيم للمرتبح له الاسم الاعظم وان
كان مذكوراً توطئة وتمهيداً الا انه لا يليق ان يقال انه في حكم السقوط
الا ترى انه لا يقال له علانية لكان التا: الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
استولى عليهم المشركون: يبتغون فضلاً من الله الجنة ورضواناً: و
رضاه حال مقيدة: وينصرون الله ورسوله: دينهما: اولئك هم الصادقون:
في دعوى الايمان لتنور دعويهم بالبرهان: والذين تبوؤا الدار والايمان: هم
الانصار عطف على المهاجرين اي دار الهجرة ودار الايمان فاللام في الاول تغني
غناء الاضافة وحذف المضاف من الثاني او اخلصوا الايمان كقوله علفتها
تبناً وماءً بارداً او جعل الايمان مستقراً ومتوطناً على انه استعارة مكنية
وهذا ابلغ الوجوه واطلاق الدار حينئذ للتنبيه كانها الدار التي يحق لها
ان تسمى داراً: من قبلهم: من قبل هجرة المهاجرين وقيل سبقوا المهاجرين
بالتبوء والايمان اذ سبق الانصار بالايمان على كل من هاجر غير مسلم
ولا يستقيم الا بتقدير الاضافة: يحبون من هاجر اليهم: ولا يعدونه كلّاً قال
سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخا
بين المهاجرين والانصار شاطرتك مالي وانظر اي زوجتي اعجبتك طلقها
فتزوجها: ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا: مما اعطي المهاجرون و
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعط من مال بني النضير الانصار شيئاً
الا ابا دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقد بالغ في مدحهم حيث
كنى الحاجة وذكر الفقد والوجدان لم يخطر بخاطرهم ما يسمى حاجة فضلاً عن
توجه النفس الى طلبها ولذا اوثر الوجدان دون العلم: ويؤثرون على انفسهم:
اي يختارون المحتاج على انفسهم بالجملة فكيف يطمح الى شيء ليس لهم: ولو كان
بهم خصاصة: فقر وحاجة من خصاص الابيات فرج بين اخشابها روى البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصابه الجهد
فارسل الى نسائه فلم يجد شيئاً فقال الا رجل يضيفه هذا فقام رجل من الانصار

فقال

فقال انا يا رسول الله فذهب به فقالت امرأته ما اجد الا قوت الصبية
قال نومي الصبية وقدمي الطعام ثم قومي كأنك تصلحين السراج فاطفئيه ليأكل
وحده فانه ضيف رسول الله ففعلت فلما اصبح جاء الى رسول الله عليه السلام فقال
لقد عجب الله منك فنزلت: ومن يوق شح نفسه: الشح البخل مع حرص
واضافة الى النفس لانه غريزة فيها اي ومن يحفظ عن هذه الرذيلة: فاولئك
هم المفلحون: الفائزون بالثناء من الله عاجلاً والثواب آجلاً والانصار
داخلون اول دخول: والذين جاؤا من بعدهم: اي من بعد الفريقين وهم الذين
اتبعوهم باحسان الى يوم الدين وقيل الذين هاجروا بعد استغناء الاولين
وفيه انه لا يستوعب مستحق الفيء ويرده قوله: ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان: لان اللاحق بالهجرة يجوز ان يكون اسبق ايماناً: ولا تجعل في
قلوبنا غلاً للذين آمنوا: غشاً وحقداً من الغل وهو الماء الجاري بين الاشجار وعن
مالك ان من سب السلف لا يحق من الفيء شيئاً لعدم اتصافه بما في الاية: ربنا
انك رؤف رحيم: حقيق باجابة دعائنا: الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب: ابن ابي راس المنافقين ومن تبعه
وبعثوا الى اهل الكتاب بما اخبر الله تعالى به رسوله والمراد بالاخوة توادهم وتوافقهم
في الكفر فلا ينافيه قوله ما هم منكم ولا منهم: لئن اخرجتم: من دياركم: لنخرجن
معكم: او لا نعيش لما بدونكم: ولا نطيع فيكم: في قتالكم: احداً: محمداً وغيره ابداً
قوتلتم لننصرنكم: لا محالة: والله يشهد انهم لكاذبون: في كل ما قالوه ثم رد عليهم
مفصلاً بقوله: لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
فرضاً وتقديراً: ليولن الادبار: انهزاماً: ثم لا ينصرون: اي المنافقون بل يخذلون
لظهور نفاقهم وقيل الضمير لليهود وليس بوجه لان سوق الكلام لذم المنافقين
لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله: اي مرهوبية والمعنى تخافونكم في السر اشد من
تخوفهم من الله تعالى او من اظهارهم تخوف من الله لكم اذ لم يكن لهم خوف من الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون: عظمة الله تعالى ليعلموا انه الحقيق بان يخاف
لا يقاتلونكم جميعاً: المنافقون واليهود: الا في قرى محصنة: لضعف قلوبهم
واستيلاء الجبن عليها: او من وراء جدر: جمع جدار كحمر وحمار وقرأ ابن كثير
وابو عمرو جدار مفرداً لقصد الجنس وارادة السور الجامع والجمع اظهر واوفق
بالقرى: باسهم بينهم شديد: اذا تقاتلوا واما اذا حاربوا الله ورسوله
اجبن من صافر: تحسبهم جميعاً: ذوي الف واتحاد ظاهراً: وقلوبهم
شتى: جمع شتيت متفرقة هؤلاء عبدة الاصنام واولئك اهل الكتاب
ذلك بانهم قوم لا يعقلون: ان تشتت القلوب والآراء ما يورث

الغش والوهن كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود في محاربة رسول الله عليه السلام
كمثل المشركين يوم بدر عن ابن عباس رضي الله عنه بنو قينقاع اجلاهم رسول الله
قبل بني النضير وقيل هؤلاء مثل وجود مثل اولئك قريبا لم يتطمس بعد اثره فكان لهم عبرة فيهم
ذوقوا وبال امرهم بيان للشبه به يقرره وفيه زيادة تجهيل اليهود والوبال سوء
العاقبة من قولهم مرعى وبيل اي وخيم ولهم عذاب اليم في الاخرة كمثل الشيطان
لما مثّل حال اليهود بحال اهل بدر مثّل المنافقين بحال الشيطان يوم بدر جاءهم في
صورة سراقة سيد كنانة وقال للمشركين اني جار لكم فلما تراءى الجمعان نكص على
عقبيه هاربا وقال اني بريء منكم اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك
اني اخاف الله رب العالمين والمراد بالانسان الجنس او كفار قريش وقيل راهب
حمله على الفجور بامرأة وله قصة يرويها القصاص فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين
فيها نصب على الحال والظرف خبر كان وفيها تاكيد وذلك جزاء الظالمين كل كامل
في الظلم وهم الكفار يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة
سماه غدا لقربه او لان الدنيا كيوم والاخرة كغده وتنكيره لاستقلال الانفس النواظر كانه قال ولتنظر
نفس واحدة او للتعظيم وهي النفس المطمئنة كانه قال ولتنظر النفس التي قد رو اما
جعله من قبيل علمت نفس لاباه المقام من سوق الكلام لبيان استيلاء الغفلة والقسوة
على الانسان وتنكير الغد للتعظيم اي غد واي غد واتقوا الله وعاده لبيان استيلاء
الغفلة لان الاول فيما قدم من الاعمال وهذا جار مجرى الوعيد ولذا عقبه بقوله
ان الله خبير بما تعملون وفي مجيئهما مطلقين من الفخامة ما لا يخفى ولا تكونوا كالذين
نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم حيث لم يرشدهم الى طريق الهدى
او اراهم يوم القيمة ما نسوا انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في
الفسق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة كان الناس لاستيلاء
الغفلة عليهم لم يفرقوا بين الفريقين فاحتاجوا الى الاعلام كقوله وما يستوي الاعمى
والبصير واستدل الشافعي بالاية على ان المسلم لا يقتل بالذمي وذلك لانه لما
نهى المؤمنين ان يكونوا كالذين نسوا الله اشار الى عدم مساواة الحزبين في احكام
الدارين وان كان الملحوظ بالقصد الاول احكام الاخرة ولذلك عقبه بقوله اصحاب
الجنة هم الفائزون بما لم يخطر على قلب بشر لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتصوير لزواجر القران وما فيه من الوعيد
والايات الدالة على شدة سخطه على من كفر انه لو كان في الجبل فهم وكان من
المكلف والمخاطب لتكسر وتفرقت اجزاؤه من خوف وتلك الامثال
المثل ونظائره نضربها للناس لعلهم يتفكرون وفيه من الدلالة على قسوة
قلبه وعدم تاثره ما لا يخفى هو الله الذي لا اله الا هو لما اثنى على القران وعلى شانه

بما لا مزيد عليه اقام البرهان على ذلك بانه كلام من هذه اوصافه ونعوته عالم
الغيب والشهادة ما غاب عن الضمير وما شاهده او الموجود والمعدوم
او الدنيا والاخرة او السر والعلن هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله
الا هو الملك القدوس السلطان المنزه عن وصمة النقص والزوال و
اختلاف ملكه كسائر الملوك السلام ذو السلامة عن الافات كانه
عينها المؤمن الجاعل غيره آمنا المهيمن الرقيب الحافظ من الامن
الا انه ابلغ منه وهاؤه منقلبة من الهمزة وقيل من الامانة لان الامين
هو الحافظ العزيز الغالب الجبار الذي جبر الخلق على ما اراد او كسّر الجبر
المنكسرين ما انكسر الا وجبر المتكبر البليغ الكبرياء كلّت العقول عن
ادراك ذاته سبحان الله عما يشركون ليس كمثله شيء فكيف يكون
له شريكا هو الله الخالق المقدر للاشياء على وفق حكمته البارئ الموجد
لها بريئة عما لا يريده بل جاءت كما اراد المقصود المفيض المصور
للصور والاشكال على المواد القابلة له الاسماء الحسنى الدالة على صفات
الجلال ونعوت الكمال وهذه نبذة منها عن ابي هريرة رضي الله عنه ان لله
تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة وقيل انما يسلط على الكافر
في قبره تسعة وتسعون تنينا لانه لم يعرف الله بهذه الاسماء ولم يوحد
بها يسبح له ما في السموات والارض من الاجزاء والجزئيات وان من
شيء الا يسبح بحمده وهو العزيز الغالب الحكيم المتقن في صنعه فذلكة
للسورة ورمز الى اجلاء اليهود وايراث اموالهم لرسول الله والمؤمنين
روى الامام احمد بن حنبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلث مرات ثم قرأ
ثلث آيات من آخر الحشر وكل الله تعالى به سبعين الف ملك يصلون
عليه الى ان يمسي وان مات في يومه مات شهيدا تمت سورة الحشر
والحمد لله على الرؤف البر والصلوة على المؤيد بالعز والنصر واله وصحبه الى اخر الدهر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم هادن قريشا سنة الحديبية ثم نقضوا العهد فاراد
ان يغزوهم وكان وقت الفتح الموعود فقال اللهم اعم عن المشركين
شاننا فكتب حاطب ابن ابي بلتعة وهو رجل من المهاجرين ولم يكن من
قريش بل كان حليفا لعثمان رضي الله عنه وكان قد تخلف عنه اهله
كتابا الى اهل مكة يخبرهم بامر رسول الله عليه السلام وقصده هم واعطاه

للعجوز من حجزها فرتبة، وقيل لسارة مولاة ابي المطلب فلما توجهت اخبر جبريل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأنها فارسل عليا والزبير وابا مرثد والمقداد
ابن الاسود وقال ايتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه
منها قال علي رضي الله عنه فذهبت تعادي بنا خيلنا فادركناها فقالت
ليس معي كتاب فقلت ما كذبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب
او لاجردنك فاخرجته من حجزتها وكانت محتجزة بكساء وفي رواية اخرجته
من عقاصها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب حاطبا وقال ما هذا الكتاب
قال يا رسول الله لا تعجل فوالله منذ اسلمت ما ازددت الا ايمانا ولكن كان من
تاجر من اصحابك لهم قرابات يحمون بها اهليهم وكنت لصيقا فيهم فاردت
اذا فاتني ذلك ان اصطنع بها عندهم يحمون بها قرابتي قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد صدقكم فلا تقولوا له الا خيرا فقال عمر يا رسول الله منافق دعني
اضرب عنقه فقال يا عمر وما يدريك ان الله تعالى قد اطلع على اهل بدر وقال اعملوا
ولا حرج قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر فنزلت، والعدو فعول من عداه
جاوزه ولكونه على زنة المصدر كالقبول يطلق على الجمع وفي تقديم عدوي اشارة
الى انه المهم وان فرض ان لم يكن عدوا لهم، تلقون اليهم بالمودة: حال من فاعل
لا تتخذوا او صفة اولياء جرت على غير من هي له من دون الابراز لكونها فعلا
او استيناف والباء مزيدة للتوكيد كما في ولا تلقوا بايديكم او للسببية والمفعول
محذوف اي اخبار رسول الله بسبب المودة، وقد كفروا بما جاءكم من الحق: حال
من فاعل تلقون ان جعل استئنافا والا جاز ان يكون منه او من فاعل لا تتخذوا
يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم: استيناف جار مجرى التفسير كانه
قيل كيف كفروا فقيل كفروا واشتد الكفر لاخراجهم الرسول والمؤمنين لايمانهم
بالله مولاهم خاصة لا لغرض آخر وهذا املأ فائدة من جعله حالا من فاعل كفروا
ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي: حذف جواب الشرط لدلالة
ما قبله عليه، تسرون اليهم بالمودة: جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا فعلوا
حتى عوتبوا بما عوتبوا ولذلك اوثر ان على اذا ويجوز ابداله من تلقون
والباء فيه مزيدة كما في تلقون، وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم: منكم والمطلع
عليه فاي فائدة في الاسرار بعد علمكم بهذا وايمانكم به، ومن يفعله منكم فقد
ضل سواء السبيل: الطريق القويم، ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء: ان
يظفروا بكم يظهر لكم منهم نتيجة العداوة من الاضرار بما يمكنهم، ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء: بالقتل والشتم جار مجرى تفسير العداوة
وودوا لو تكفرون: يردوكم كفارا وايثارا للاخص هنا وان كان الماضي

والمضارع لا يتفاوتان بعد وقوعهما جزاء الشرط للاشارة الى ان ودادتهم
لكفر المؤمنين اهم لانحسام مادة العداوة وارتفاع المشاقة حينئذ والمراد
ودادة مقارنة للقدرة على ردهم كفارا فلا يرد ان ودادتهم مستمرة
فلا يفيد التقييد بالشرط ليؤثر العطف على الشرطية لا الجزاء كما في
ثم لا ينصرون في سورة الحشر، لن تنفعكم ارحامكم: قراباتكم، ولا اولادكم
الذين توالون الكفار لاجلهم خطاهم اولا في موالاة من هو خالص
العداوة لهم ثم في من يوالون لاجله ثم بين وجه ذلك بقوله: يوم القيمة
يفصل بينكم: يفرق بينكم يوم القيمة يفر المرء من اخيه وامه وابيه
فاي فائدة في موالاة اعداء الله لمن لا بقاء ولا نفع في وده وقرأ غير عاصم
بضم الياء وكسر الصاد وشدده حمزة والكسائي وابن عامر وهو ابلغ
وادخل في المقام، والله بما تعملون بصير: مشاهد له، قد كانت لكم اسوة
حسنة في ابراهيم والذين معه: الاسوة اسم لما يؤتسى به كالقدوة
لفظا ومعنى وكسر همزته عاصم، اذ قالوا لقومهم: ظرف لخبر كان وهو
لكم، انا برآء منكم: جمع بريء كظرفاء جمع ظريف، ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم: اي بحال شيء ملتبسون به مما يدان به والكلام على المشاكلة
والتهكم اذ الكفر انما يكون بالحق وما اتى به الرسول، وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده: فحينئذ ينقلب
العداوة موالاة والبغضاء حبا، الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك: مستثنى من اسوة حسنة لانها عبارة عن قولهم انا برآء الى
آخره، وما املك لك من الله من شيء: هذا وان صح ان يكون من الاسوة
لكونه كلاما حقا الا انه جعله تابعا للاستغفار مبالغة في تحقيق الوعد
كانه قال ابذل جهدي ولو ملكت غير الاستغفار لفعلته، ربنا عليك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير: كلام مستانف للتجاء الى الله تعالى
بعد اظهار العداوة والتبرء عنهم في كفاية شرهم او تعليم من الله للصحابة
بعد النهي عن موالاة الكفار والامر بالاقتداء بابراهيم عليه السلام
تتميما للوصية كقوله انتهوا خيرا لكم، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا
محل فتنة بان تسلطهم علينا فيفسدوا علينا ديننا، واغفر لنا ما فرط
ربنا انك انت العزيز الحكيم: حقيق باجابة الدعاء وتحقيق رجاء
المتوكلين، لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة: كرره مبالغة في الحث
على الائتساء ولهذا اكده بما هو غاية في التوكيد وهو القسم وابدل عنه
قوله لكم: لمن كان يرجو الله واليوم الآخر: اشارة الى ان من توقف

لمن يؤمن بالاخره وعقبه بقوله ؛ ومن يتول فان الله هو الغني الحميد ؛ فلا يضره توليه
بل ضر نفسه ؛ عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ؛ توكيد
للامر بالتصلب وتهوين عليهم بان ذلك عن قريب سينقلب مودة وسببا
لسعادة اولئك بدخولهم في الايمان عكس ما كانوا يودونه من كفر المؤمنين
وينظر ان حزب الله هم الغالبون ولفظ عسى على داب الملوك في المواعيد التي
لا يخلفون في انجازها ؛ والله قدير ؛ على ذلك ؛ والله غفور ؛ لما فرط من موالاتكم
سابقا ؛ رحيم ؛ يجمع بينكم في الايمان عن قريب ؛ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ؛ كالنساء والضعفة ؛ ان تبروهم ؛ بدل من
الذين بتقدير مضاف اي عن بر الذين ؛ وتقسطوا اليهم ؛ تعاملوهم بالعدل فيما
بينكم من الحقوق ؛ ان الله يحب المقسطين ؛ روى البخاري ومسلم عن اسماء بنت ابي بكر
انها قالت يا رسول الله ان امي قدمت وهي راغبة افاصلها قال نعم صلي امك
وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر حلة من حرير فكساها اخا مشركا له بمكة ؛ انما
ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم
بسعي بعضهم في الاخراج وعاون عليه البعض ؛ ان تولوهم ؛ بدل اشتمال من الذين
ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ؛ الكاملون في الظلم اذ لا عذر له بعد هذا البيان
يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ؛ عن ابن
عباس رضي الله عنه كان الامتحان ان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ثم
تقول بالله ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة في ارض عن ارض بل حبا
لله ولرسوله وكان الذي يتولى الامتحان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ الله اعلم
بايمانهن ؛ منكم وانما امركم بالامتحان لاجراء الحكم وعدم اللبس فان علمتموهن
مؤمنات ؛ بالامارات اراد الظن واطلاق العلم عليه شايع وفائدته ايهام
في الامتحان ؛ فلا ترجعوهن الى الكفار ؛ لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرط في
صلح الحديبية ان من جاء مسلما يرده اليهم فجاءت نساء مؤمنات وهو
باسفل الحديبية على ما رواه الزهري فنزلت فكانت ناسخة للسنة وقيل
كان ذلك منه اجتهادا واجتهاده الخطا لا يقر وعن عروة والضحاك ان
الشرط كان في الرجال خاصة ؛ لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ؛ اي الحل مرتفع من
الجانبين لا كالكتابية مع المسلم ؛ واتوهم ما انفقوا ؛ ما دفعوا اليهن من
المهور وكان هذا مخصوصا بتلك الواقعة في المهاجرات وبعد الفتح لا هجرة
فانتهى الحكم بانتفاء سببه ؛ ولا جناح عليكم ان تنكحوهن ؛ المهاجرات
لوقوع البينونة وعدم حلهن لازواجهن ؛ اذا اتيتموهن اجورهن ؛ مهورهن
لان المهر اجر البضع وانما تعرض له لئلا يظن ان ما اعطي الازواج بدل ما انفقوا

يعني

يغني عن المهر وبه استدل ابو حنيفة رحمه الله تعالى على ان من خرجت من الحربيات
وتخلف زوجها في دار الحرب وقعت الفرقة ولا عدة واجاب الشافعي
رحمه الله تعالى بان عدم التعرض للعدة ليس تعرضا لعدمها وعدم العدة يؤدي
الى اختلاط الانساب ؛ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ؛ اللاتي تخلفن في دار
الكفر جمع عصمة وهي النكاح يقال هي في عصمة الزوج اي في نكاحه عن
المسور بن مخرمة ان عمر طلق يومئذ قريبة بنت ابي امية فتزوجها معاوية وام
كلثوم بنت عمرو فتزوجها ابو جهم ؛ واسالوا ما انفقتم ؛ من مهور المشركات
وليسالوا ما انفقوا ؛ من مهور المهاجرات اعاده توكيدا لئلا يتهاونوا من
حيث انهم مشركون ولذلك امرهم بالسؤال فانه حق من حقوقهم ؛ ذلكم حكم
الله ؛ اي ما ذكر ؛ يحكم بينكم ؛ مستانف او حال ؛ والله عليم ؛ باحوال العباد و
حكيم ؛ فيما شرع ؛ وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار ؛ راجعة عن الاسلام
كان في صلح الحديبية ان من ذهب اليهم لا يردونه قال رسول الله عليه السلام
من جاءكم منا سحقا له ولانه نكر الشيء استهانة بالراجعة وقيل لزيادة
العموم ؛ فعاقبتم ؛ جاءت عقبتكم اي نوبتكم ؛ فاتوا الذين ذهبت
ازواجهم مثل ما انفقوا ؛ عن الزهري ان المؤمنين لما سالوا ما انفقوا ابى
المشركون فكان الحكم ان ما كان يعطى زوج المهاجرة من المهر يعطى زوج المرتدة
وعن ابن عباس رضي الله عنه عاقبتم غنمتم امروا بان يعطوا زوج الراجعة
ما انفق من الغنيمة وهو الوجه ؛ واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ؛ فان
الايمان به حامل على التقوى ؛ يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات
يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ؛ من الاشياء ؛ ولا يسرقن و
لا يزنين ولا يقتلن اولادهن ؛ كما كان الوائدات يفعلن ذلك
ولا ياتين ببهتان يفترينه ؛ بين ايديهن وارجلهن كانت احداهن
تلتقط لقيطا وتقول لزوجها ولدته منك وما بين ايديهن وارجلهن
البطن والفرج ؛ ولا يعصينك في معروف ؛ هذا القيد مع ان امره لا يكون
الا بمعروف للدلالة على ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولو فرض
ان يكون انت ؛ فبايعهن ؛ على الشرائط روى البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر ثم شق الرجال
واتى النساء فقرا عليهن هذه الاية ثم قال انتن على ذلك فاجابته
واحدة ثم قال تصدقن فبسطن يلقين الخواتيم والاقراط في ثوب
بلال وعن ام عطية لما قال ولا يعصينك في معروف قالت امراة
ان فلانة اسعدتني فاريد ان اجزيها فذهبت

ثم عادت فبايعت وعن عائشة رضي الله عنها والله ما مست يده يد امرأة قط
وانما بايعهن بهذه الآية واستغفر لهن الله سالف ذنوبهن ان الله
غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم روي ان بعض
فقراء المؤمنين كانوا يوالون اليهود ليصل اليهم ان يصيبوا منهم بعض ثمارهم قد
يئسوا من الآخرة لعنادهم نبوة محمد عليه السلام مع علمهم انه الموعود في التورية
كما يئس الكفار من اصحاب القبور من بيان اي كما يئس من مات
على الكفر من رحمة الله تعالى او كما يئس الكفار من الموتى لعدم اعتقادهم بحشر
تمت سورة الامتحان ولله المن والاحسان والصلوة على محمد المبعوث من عدنان
وآله وصحبه الى انصرام الزمان سورة الصف مدنية وهي اربع عشر آيات

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ٥

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
والاستفهام للانكار ولام جارة للجار والمجرور لشدة الاتصال كشيء واحد حذف
منه الالف مثله عم وبم ويوقف عليه بالاسكان وبالهاء والسكت عن مقاتل
تمنوا احب الاعمال فنزلت ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
فلما تولوا يوم احد عوتبوا بهذه الآية وعن قتادة كانوا يقولون قتلنا ضربنا ولم
يكونوا فعلوا ذلك روي ان صهيبا قتل كافرا شديد النكاية في المسلمين
وراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتحل آخر قتله فقال عمر ذلك لصهيب فقال
انما قتلته لله ويشمل كل قول خالف الفعل وبه استدل مالك على ان الوعد
ملزم وحمله الجمهور على امر الآخرة كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
بالغ في التهجين لانه كبر من معنى التعجب حيث اراد منه تعظيم الجناية واسناده الى القول
اولا ثم تمييزه بالمقت وتقديمه وجعله عند الله مع كون المقت اشد البغض
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا صافين فانه اعجب في عين
العدو واشد تقوية لقلب المقاتل كأنهم بنيان مرصوص محكم من الرصاص
وهو الآن حال من المستكن في الحال واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني
اي اذكر للمؤمنين ذلك الوقت وقد تعلمون اني رسول الله اليكم والذنب
مع العلم اشد فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم صرفها عنه والله لا يهدي القوم الفاسقين
لا يوفقهم لانهم اهل الدين الذين خلقوا للنار واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل
لم يقل يا قوم تذكيرا لهم بانهم اولاد اسرائيل الذي وصى بنيه ان لا يعبدوا الا
الله لانهم ليسوا من قومه لانه لا نسب له فيهم لدخوله في ذرية اسرائيل كما تقدم
في الانعام اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول
يأتي من بعدي اي انا على ما عليه سائر الرسل من تقدم ومن تأخر كقول رسول الله
عليه السلام ما كنت بدعا من الرسل وانتصاب مصدقا ومبشرا على الحال والعامل

فيه

فيه معنى الرسالة في رسولا لا في اليكم لان حروف الجر لا وقعت صلة ليس فيها
معنى الفعل اسمه احمد قيل كذا كان مكتوبا في الانجيل ولعل ذلك لما فيه من الاشارة
الى انه اكمل الرسل روى البخاري عن جبير بن مطعم عن ابيه ان رسول الله عليه السلام
قال ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وعن ابي اسحاق انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى
ورؤيا امي فلما جاءهم بالبينات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص قالوا
هذا سحر مبين اي ما جاء به او عيسى مبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي ساحر
والرسم على الاول ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام
اي لا احد اظلم منه ولا جناية فوقه مع عدم العذر وزوال الاشتباه والله
لا يهدي القوم الظالمين الكاملين في الظلم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم
هم اليهود الذين حرفوا الكلم وبدلوا نعته مثل حالهم بمن يريد اطفاء نور الشمس بنفخه
بنفخة في الهواء واللام في يريدون ان يطفئوا كما في سورة براءة وانما جيء باللام تأكيدا
للارادة لا في اللام من معناها والله متم نوره لا محالة وقرأ نافع وابو عمرو وابن
عامر وابو بكر منونا ناصبا ما بعده ولو كره الكافرون ان تزول نعمة الله تعالى
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الذي لا يتطرق فيه نسخ ولا تبديل ليظهره
على الدين كله اذ لم يأت احد بما جاء به وضع الاصر والاغلال بالحنيفية السمحاء
ولو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعه ولو كره المشركون عبادة
الاوثان واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى المثلثون يا ايها الذين آمنوا
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر بتشديد الجيم وهو ابلغ
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون باموالكم وانفسكم استئناف كأنهم قالوا في سبيل الله ٥
كيف نعمل فقال تؤمنون والاشارة على آمنوا مبالغة في الحث عليه كأنهم امتثلوا
فهو يخبر عنهم وهذا سبيل كل دعاء اتى بصيغة الاخبار ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون انه خير لكم اي لو علمتم لسعيتم في تحصيله ببذل الاموال والانفس
يغفر لكم ذنوبكم فيما بينكم وبينه جزم جوابا للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او شرط
مقدر اي ان تؤمنوا او استفهام اي هل تتجرون بالايمان يغفر لكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك المذكور
الفوز العظيم الذي لا يحيط به الوصف واخرى تحبونها اي ولكم النعمة الاخرى
الدنية بالنسبة الى الاولى وفي الوصف بالمحبة بعد الدلالة على انها دون الاولى
نوع تعبير لهم وفي ايثار الاسمية مع العطف على الفعلية وهي يغفر لكم دلالة
على ان هذه الدنية امكن في نفوسهم وهي انها اسبق نصر من الله بدل او بيان
وفتح قريب فتح مكة وعن الحسن فارس والروم وبشر المؤمنين عطف على تؤمنوا
لانه بمعنى آمنوا وما في البين ليس باجنبي كأنهم قالوا دلنا يا ربنا على تلك التجارة

فقال آمنوا وبشر انت يا محمد وفيه تنويع الخطاب وايقاع المظهر موقع المضمر
فهو املآء فائدة من تقدير فابشر يا محمد وبشر والعطف على قل مقدرا وا القول
بان ذالك انما يحسن اذا احيد حرف النداء لاسندله ولو سلم فلعدم تعين
المخاطب بدونه واما اذا تعين فذكره وطيئة ستيان : يا ايها الذين آمنوا
كونوا انصار الله : انصار دينه : كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله
من جندي متوجها الى نصرة دينه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو انصارا
منونا والمعنى كونوا من جملة من ينصر الله والاضافة اقوى معنى واخف
لفظا ولذلك اتفقوا عليه في آل عمران : قال الحواريون نحن انصار الله
الاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين والثانية اضافة الفاعل
الى المفعول والتشبيه بحسب المعنى اي قل لهم كقول عيسى او كونوا ايها
المؤمنون انصار الله كما الحواريين وقت قول عيسى عليه السلام كانوا اثنى
عشر رجلا قصارين يقصرون الثياب ولذا قيل لهم حواريون وعنه
عليه السلام لكل نبي حواري وحواري الزبير : فآمنت طائفة من بني
اسرائيل وكفرت طائفة : بعيسى : فايدنا الذين آمنوا على عدوهم
على الكافرين واثار لفظ العدو لاشعاره بالتشفي : فاصبحوا ظاهرين
غالبين بالسيف والحجة عليه لا خفاء بها ﴿تمت السورة والحمد لمن آلاؤه
منثورة والصلوة على نشره مشكورة واله وصحبه الذين آثارهم مشهورة﴾

سورة الجمعة مدنية وهي عشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم البليغ التنزه
عن وصمة النقص والشين : العزيز الحكيم : الغالب البالغ حكمته توطئة لقوله
هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم : لفرط احتياجهم اليه لانهم لا يكتبون
ولا يقرؤن : منهم : يعرفون صدقه وامانته ولكونه اشفق بهم وارفق : يتلو
عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم اشارة الى معجزته الموقوفة نبوته عليها : و
يزكيهم من الاخلاق الذميمة او عند الله تعالى حيث لم يشهد لهم بالايمان يوم
القيمة : ويعلمهم الكتاب والحكمة : الشرائع : وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين : ظاهر يعبدون الحجر وياكلون الجيف ويطوفون بالبيت عراة : وآخرين
منهم : عطف على الاميين اي وفي آخرين من الاميين : لما يلحقوا بهم : بعد
وسيلحقون لان لما منفي التوقع روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
لما نزلت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم يا رسول الله وفينا سلمان فوضع
يده عليه وقال هم قوم هذا لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء وقيل
فيه منع الغير فيتناول كل من ياتي بعد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الى اخر الدهر

وهو العزيز الحكيم : في تمكينه من هذا الامر العظيم واختياره له : ذلك فضل الله :
كونه رسولا للاولين والاخرين وفي ايثار اسم الاشارة بلفظ البعيد واضافة
الفضل الى كلمة الجلال اشارة الى ان كل فضل دونه : يؤتيه من يشاء : تفضلا
والله ذو الفضل العظيم : الذي لا يحاط به : مثل الذين حملوا التورية : علموها
ثم لم يحملوها : لم يعملوا بها ولا حملوها على محاملها : كمثل الحمار يحمل اسفارا : كتبا
كبارا من كتب العلم مثل حالهم في حمل التورية بحال الحمار الحامل للاسفار
من الكتب والجامع الحرمان من الانتفاع بابلغ نافع مع الكد والتعب
والجملة في محل النصب على الحال او الصفة اذ لم يرد بالحمار معين وهذا ابلغ في
ابطاله مما قيل انهم علموا في التورية نعت المبعوث في الاميين رسولا
وكتموه : بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله : اي مثل الذين كذبوا
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او حذف المخصوص اي هو
والضمير لمثل اليهود او بئس مثلا مثل الذين على حذف المفسر وهذا قليل والله
لا يهدي القوم الظالمين : اي اليهود الذين لم يحملوا التورية : قل يا ايها الذين هادوا
تهودوا : ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين : في زعمكم لان من علم ان ماواه جنة عدن تمنى الخلاص من دار الفناء
وانما خوف الانسان من عدم علمه بحاله واتى بان مع الزعم اشارة الى
ان الاولى بحال من هي طريقتهم الشك والدعوى الباطلة : ولا يتمنونه ابدا
بما قدمت ايديهم : من الكفر وتحريف آيات الله واختصاص آية البقرة بلن لان
دعواهم هناك ان اختصاصهم بها امر مكشوف فبولغ في الرد عليهم : والله عليم
بالظالمين : ظاهرا وباطنا : قل ان الموت الذي تفرون منه : ولا تجترؤن على
تمنيه : فانه ملاقيكم : ودخول الفاء في خبر الموصوف بالموصول للسببية باعتبار
الوصف كانه قيل ان الفرار الذي تظنونه سبب النجاة سبب الملاقاة مبالغة
في عدم الفوت : ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
فيجازيكم عليه : يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا
الى ذكر الله : لما نعى على اليهود ما يمنون به انفسهم من الاماني الباطلة امر المؤمنين
بالسعي الى ما فات اليهود من ادراك فضيلة يوم الجمعة لما روى البخاري ومسلم
ان يوم الجمعة هو اليوم الذي فضل على سائر الايام واختلف فيه اهل الكتابين
فلم يهتدوا اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدانا الله اليه نحن الآخرون
السابقون يوم القيمة هو سيد الايام فيها ساعة يستجاب فيها الدعاء والاصح
انها بين وقت خروج الامام الى الفراغ من الصلوة وقيل بعد العصر وكانت
العرب تسميه يوم العروبة فسماه الله تعالى يوم الجمعة والمراد النداء بين يدي

الخطيب فان الاول شرعه عثمان على الزوراء عند كثرة الناس والبيع والشراء
وسائر الاشتغال حرام اتفاقا والمراد بالسعي القصد والاهتمام لا الاسراع
لورود النهي عنه والمراد بذكر الله الخطبة لانها موعظة وتذكير ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون ايثاره على ما اذا سمع علمهم بذلك تعين لا بد منهم من الخروج وتركه فانما
لاشعاره بعدم علمهم فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من
فضل الله من رزقه جبرا لما فاتكم روى ابن ابي حاتم عن بعض السلف ان من
باع او اشترى بعد الجمعة بارك الله له سبعين مرة وكان عراك بن مالك
اذا صلى الجمعة وقف على باب المسجد وقال اللهم اني اجبت دعوتك و
صليت فرضك وانتشرت كما امرتني فارزقني وانت خير الرازقين
وقيل المراد به الطاعة كعيادة المريض وتشييع الجنازة وزيارة الاخوان في الله تعالى
واذكروا الله كثيرا في الاحوال كلها لعلكم تفلحون تفوزون بمرضاته تعالى واذا
راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روى البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه انه
عليه السلام كان على المنبر يخطب فقدمت عير من الشام بميرة فخرجوا الا اثني
عشر رجلا قال مقاتل العير كانت لدحية قبل اسلامه وكان معها طبل وهو
الذي اريد باللهو والضمير للتجارة لان الانفضاض اليها اذا كان مذموما فالى اللهو اولى
وتركوك قائما فيه غاية التعيير اذ لو لم يبق الا ترك على هذه الحالة دون ان يكون
خطيبا كان شنيعا قل ما عند الله خير مدخر لكم خير من اللهو ومن التجارة
لكونه باقيا صفوا بلا كدر والله خير الرازقين هو الرزاق حقيقة والبواقي
وسائل اليه توجهوا في طلب الرزق تمت السورة ولله الحمد والمنة والصلوة
على رسوله واله وصحبه السابقين الى الجنة

سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله انشاء جار مجرى القسم ولذلك اكد
بان واللام يتضمن ادعاء المواطاة بين القلب واللسان والله يعلم انك
لرسوله وان ما قالوه كلام مطابق للواقع قطعا والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون في ادعاء المواطاة لانهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم او لكاذبون
في انفسهم لا يعتقدون صدق مقالتهم ومطابقتها للواقع وانما اعترض
بقوله والله يعلم انك لرسوله لئلا يرجع التكذيب الى قولهم انك لرسول الله
اتخذوا ايمانهم جنة حكاية استيناف لبيان فائدة تلك الشهادة التي
هي بمثابة اليمين او كلام مستقل بعد قبائحهم وان من دابهم الاتقاء بالايمان
الكاذبة كما استجنوا بالشهادة الكاذبة فصدوا عن سبيل الله اعرضوا
او منعوا غيرهم عن سلوكها انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق انشاء

كانه قيل ما اسوء ما ارتكبوه ذلك كله بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم
منع دخول نور الحق فيها فهم لا يفقهون شيئا من الحق فلذلك جسروا
على تلك العظائم وانما قال امنوا ثم كفروا مع انهم لم يؤمنوا طرفة عين لانهم
نطقوا بالشهادة ثم ظهر كفرهم او نطقوا بها عند المؤمنين وكفروا عند
شياطينهم والحمل على اهل الردة بعيد ناب عنه المقام واذا رايتهم تعجبك
اجسامهم هيئاتهم لرواء منظرهم وحسانتهم وان يقولوا تسمع لقولهم
لفصاحة كلامهم وحلاوة الفاظهم قيل كان ابن ابي رأس المنافقين و
وبعض اتباعه جساما وسيما فصحاء بلغاء والخطاب في رايتهم اما لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او عام والاول اوجه لتقدم اذا جاءك ولانه اذا اعجبته
فغيره اولى كانهم خشب مسندة الى الحائط لعدم الانتفاع بها بوجه او كا
الاصنام المسندة الى الحيطان في حسن الصور وبهجة المنظر وقرا ابو عمرو
وقنبل والكسائي باسكان الشين اما مخفف خشب او جمع خشباء
وهي الخشبة المجوفة وهذا اخف واقوى شبها وناهيك بسفالة النفاق
خلة حيث شبه اهله بجماد هذا شانه وشبه الكفار بالانعام يحسبون
كل صيحة عليهم واقعة عليهم وقيل كانوا خائفين من ان ينزل فيهم ما يهتك
استارهم ويظهر اسرارهم ويبيح دماءهم وديارهم هم العدو لا غيرهم لان
اعدى العدو من يلقاك بوجه الصديق لوقوفه على اسرارك وتمكنه
من اشاعة اخبارك وقيل عليهم صلة وهم فاحذرهم قاتلهم الله لعنهم الله دعاء
منه تعالى يعني من فرط السخط او تعليم للمؤمنين انى يؤفكون يصرفون
عن الحق تعجب عن العدول بعد موجب الاقبال والقبول واذا قيل
لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم امالوها ولم يلقوا السمع لبعد
وقرا نافع لووا مخففا وقراءة القوم ابلغ ورايتهم يصدون يعرضون فضلا
عن الاستماع وهم مستكبرون رافعون انفسهم فوق حدها اتفق الثقات
على ان السورة نزلت في ابن سلول كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك او بني المصطلق فاقتتل على الماء جهجاه بن سعد الغفاري
وكان مع رسول الله عليه السلام اجير لعمر بن الخطاب وسنان بن زيد وكان
حليفا لابن سلول فبلغ ذلك ابن سلول وكان عنده جمع من الانصار
فقال افعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك ياكلك والله
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فنقل كلامه زيد بن
ارقم الى رسول الله عليه السلام فارسل رسولا الى ابن سلول فحلف
انه لم يقل شيئا من ذلك فقال عم زيد له ما اردت الى ان كذبك

رسول الله ومقتك قال فبت في شر ليلة فلما قفل رسول الله عليه السلام
لقيني في الطريق فضحك في وجهي وفرك اذني وكذلك سائني ابو بكر فلما نزل
قرأ عليهم السورة وقال ان الله قد صدقك يا غلام ثم ارسل اليهم ليستغفر لهم
لووا رؤسهم. سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لا يؤمنوا بك
ولا يعتدون باستغفارك. لن يغفر الله لهم لعلمه بانهم اهل الدرك الاسفل
ومن الذين ذراهم لجهنم. ان الله لا يهدي القوم الفاسقين المنهمكين في الكفر
والنفاق. هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا.
قاله ابن سلول ذلك اليوم. ولله خزائن السموات والارض فاذ هو اغنا محمد
واصحابه من انفاق الانصار وانما وفق الانصار لذلك لينالوا به القربة والزلفى
ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك. يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل يريد بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله عليه السلام. ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين مختصة بهم لا حظ لغيرهم فيها ولا ينافيه ان العزة لله جميعا
لان عزة الرسول والمؤمنين عزة لله تعالى. ولكن المنافقين [illegible] المظهر لشدة
نفاقهم بهذا الوصف. لا يعلمون ليسوا من ذوي العلم ليدركوا هذا الامر الجلي
ولما كان في امر الرزق نوع خفاء في بادي الراي جعل الفاصلة لا يفقهون المنبئ
عن نوع تعمل وعن قتادة ان ابنه عبد الله لما بلغه ذلك جاء الى رسول الله عليه السلام
وقال ان كنت قائلا اني فمرني به لاحمل اليك رأسه والله لقد علمت الخزرج ان
ليس فيهم ابر بوالديه مني واخاف ان يقتله غيري فلا احتمله فادخل النار
فقال لا تقتله بل تحسن صحبته وعن عكرمة وابن زيد انه وقف بباب
المدينة وسل سيفه فلما جاء ابوه قال له وراءك حتى جاء رسول الله
وهو حابسه فشكى اليه فقال له خل سبيله وقيل لم يمكنه حتى اقر انه
الاذل ورسول الله هو الاعز فدعا له رسول الله وهو خاصته. يا ايها
الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله. لما كان اغترار المنافقين
بالحطام الفاني وانهم اذا لم ينفقوا على المؤمنين يتلاشى امرهم ورد الله
عليهم بانه مالك خزائن السموات والارض وكان فيه اشارة الى انه يغني
المؤمنين ويفيض عليهم من خزائنه بما ليس في حسابهم نهاهم عن الاشتغال
بها عن ذكر الله قبل وجودها ليوطنوا انفسهم على ذلك والمنهي التوجه اليها
بحيث يفوت القيام بحق العبادة الا ترى الى قوله في معرض المدح رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون
لاشتغالهم بالخسيس عن الشريف. وانفقوا مما رزقناكم بعض ما رزقناكم
من قبل ان يأتي احدكم الموت اماراته ومخايله فيقول رب لولا اخرتني

الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين. فعلى العاقل المبادرة الى التصدق
اذ كل لمحة بصدد الموت ولا يغتر بالصحة اذ كم صحيح مات وكم سقيم عاش
قال تعجبين من سقمي صحتي هي العجب وقرأ ابو عمرو واكون بالنصب عطفا
على لفظ فاصدق وهو الاظهر لاحتياج الجزم الى التقدير اي ان اخرتني اصدق
واكن. ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها انتهى عمرها. والله خبير بما تعملون
فاختاروا لانفسكم ما شئتم وقرأ ابو بكر بياء الغيبة نظرا الى اولئك هم و
الخطاب لقوله لا تلهكم وهذا اشد تهديدا. تمت سورة المنافقين
والحمد لله رب العالمين والصلوة على صفوة المرسلين واله وصحبه اجمعين
سورة التغابن قال عطا مكية الا يا ايها الذين امنوا الى اخر الثلث
وهي ثماني عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله
ما في السموات وما في الارض تقدم الكلام في مثله. له الملك وله الحمد
قدم الظرف فان الظرف لتاكيد الاختصاص وازاحة الشبهة عنهما فان قلت
اذا اختصت المحامد به فما معنى قوله عليه السلام من لم يشكر الناس لم
يشكر الله قلت الكلام في حقيقة الحمد واما حمد غيره فلجريان نعمة الله تعالى
على يده فهو حمد لله حقيقة. وهو على كل شيء قدير كامل القدرة لا يقاومها قدرة
ولا تشاركها في التاثير دليل على الاختصاصين. هو الذي خلقكم فمنكم كافر
ومنكم مؤمن باختياركم لا جبر فمن رأى خيرا فليحمد الله ومن رأى شرا
فليستغفر الله تعالى. والله بما تعملون بصير مشاهد فيجازي عليه. خلق
السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة مرتبا اسباب معايشكم فيها
وصوركم فاحسن صوركم خلقكم باحسن الصور بين المخلوقات ليس
فيها انسانية وملاحة وصباحة حده وانظر ان شئت التعجب في تركيب بنانه
وجواهر اسنانه وقوس حاجبه وتمثال ابدانه بيد ما اودع من القوى الدراكة
ولذلك كان نسخة عالم الملك والملكوت. واليه المصير فيسألكم عن النقير
والقطمير فاشكروا نعمه واحذروا عذابه ونقمته. يعلم ما في السموات والارض
ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور بمضمراتها فضلا
عن السر والعلن فاستعملوا في عباداتكم وظواهركم وطهروا اسراركم واخلصوا
ضمائركم لتحمدوا عواقبكم. الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل اي قبلكم اي كفار
مكة بلى قد اتاكم. فذاقوا وبال امرهم وخامة كفرهم في الدنيا بالاستيصال ولهم
عذاب اليم في الاخرة. ذلك المذكور من عذاب الدارين بانه بان الشان
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا ينكرون كون البشر
رسولا مثلكم يطلق على الواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا اعرضوا واستغنى الله

بليغ الفناء عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني في ذاته وصفاته وافعاله حميد
ذاتا وصفة وفعلا وتدل على ذلك ذرات الكون زعم الذين كفروا ان
لن يبعثوا اي كفار مكة اوهم ومن حملوا على الاختبار بهم الزعم بمعنى العلم وان
مع ما في حيزها قائم مقام المفعولين قل بلى تبعثون وربي لتبعثن ثم لتنبؤن
بما عملتم بالمحاسبة والمجازات وذلك على الله يسير لغناه عن الالات
ودورانه بين الكاف والنون فآمنوا بالله ورسوله اليكم والنور الذي انزلنا
القران والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه منه شيء يوم يجمعكم متعلق بخبير او
بلتنبؤن وذلك على الله يسير وقوله فآمنوا اعتراض الاول يؤكد القدرة
والثاني ما سيق له الكلام من الحث على الايمان به وبالقران وبما تعملون خبير
من تتمة الثاني او نصب باذكر ليوم الجمع ليوم خاص بالجمع يجمعكم فيه الاولين والاخرين
اللام للتعليل كقوله اعد ذلك لهذا اليوم ذلك يوم التغابن هو ان يغبن
التاجر شاربه وبالعكس استعارة لنيل السعداء وويل للاشقياء وكان لا تغابن
الا ذلك فلذلك عرف والحق بكونه علما له ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر
عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم وقرا نافع وابن عامر الفعلين بالنون التفاتا وهو ابلغ في الترغيب
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها تقديم الترغيب
اشارة الى سبق رحمته وبئس المصير مصيرهم الاتيان بيان لوجه التغابن
ما اصاب من مصيبة الا باذن الله بتقديره كقوله الا في كتاب من
قبل ان نبرأها ويدخل فيها كفر الكافر اذ لا مصيبة اعظم منها ومن يؤمن
بالله يهد قلبه يثبته ان ابتلاه صبر وان اعطاه شكر وان ظلمه احد غفر
او من كان قائلا استغفارا للايمان يوفقه له يؤيده والله بكل شيء عليم يعلم
من هو اهل للهداية واطيعوا الله واطيعوا الرسول لان عصيانهما اعظم المصائب
فان توليتم اعرضتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الواضح وقد ادى به
الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لعلمهم ان لا مؤثر في الكون غيره
وفيه حث لرسول الله والمؤمنين على الصبر لما يصيبهم من اذى الكفار يا ايها
الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لانه يتلهى به عن امر الله
كقوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم وفي الحديث الولد محزنة مبخلة فاحذروهم
خذوا حذركم ولا تغفلوا عن العدو وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في اناس
ارادوا الهجرة فمنعهم ازواجهم واولادهم فلما هاجروا بعد برهة وجدوا الذين سبقوهم
قد فقهوا في الدين فغضبوا وهموا بالانتقام منهم فنزلت وان تعفوا
وتصفحوا وتغفروا العفو محو الجريمة عن الخاطر والصفح الاعراض والغفران الستر

كان لم

كان لم يكن ولما كان الصبر على اذى من احسن اليه اشق واتعب على الانتقام جمع
بين الثلثة فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة ابتلاء لينظر هل
تؤثرون محبتهم على طاعة الله تعالى والله عنده اجر عظيم حث على ايثار محبته
فاتقوا الله ما استطعتم ما بلغه جهدكم اذ لا تكليف فوق ذلك فسرت قوله
اتقوا الله حق تقاته واسمعوا لاولي الامر واطيعوا اوامرهم ما لم يكن معصية
اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وانفقوا خيرا لانفسكم نصب خيرا بيكن
اي ان تنفقوا يكن خيرا لكم او صفة مصدر او بفعل مقدر اي ائتوا والقرينة
كون السوابق كلها مع اتيان الخير ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون الفائزون ان تقرضوا الله قرضا حسنا عن طيب نفس خالصا
لوجه الله تعالى والتعبير عن الصدقة بلفظ القرض تلطف في الطلب يضاعف
لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة الى ما لا يعلمه غيره ويغفر لكم ما فرط لان الحسنات
يذهبن السيئات والله شكور يقابل القليل بالكثير حليم لا يعاجل
بالعقاب عالم الغيب والشهادة على سواء حث على الاخلاص وهو العزيز
الغالب لا مانع لعطائه الحكيم في كل ما دبر تمت والحمد لمن اعطى وشكر
والصلوة على المبعوث من مضر واله وصحبه ذوي العليا وبخط سورة الطلاق
مدنية وهي اثنتا عشرة آيات بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ناداه اولا لانه سيد
القوم وامامهم وفيه اجلال له واشارة الى انهم لا يصدرون الا عن رايه
والمعنى اذا اردتم الطلاق كقوله اذا قمتم الى الصلوة وله نظائر تنزيلا
لمشرف على الشيء منزلة المباشر والطلاق المامور به ان يكون في طهر لم يجامع
فيه او حامل استبان حملها واللام للتوقيت فالذي يقول ان الاقراء بالاطهار
فلا اشكال عنده والذي يقول بالحيض يقدر مستقبلات كقولك جئتك
لليلة بقيت في الشهر روى البخاري عن ابن عباس انه طلق امراته وهي حائض
فسال عمر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه وقال مره فليراجعها
فاذا طهرت ثم حاضت ثم طهرت فليطلقها ان شاء فان قلت اذا كان
الغرض ايقاع الطلاق في الطهر فما معنى تكرار الطهر في الحديث قلت ان لا يكون
الرجوع للطلاق ولئلا يطول العدة عسى يؤثر في تبديل الحال والطلاق ابغض المباحات
فاحتيط لذلك وقوله مره فليراجعها دل على وقوع الطلاق في الحيض واطلاقه
دل على ان الثلث دفعة لا يحرم فيها وما روى ان رجلا طلق امراته ثلثا فقال رسول الله
عليه السلام اتلعبون بكتاب الله تعالى لا اصل له ولا ذكر الثلث في كتاب الله تعالى
في معرض الذم واحصوا العدة واحفظوها واتقوا الله ربكم في التطويل في

في العدة والاضرار بالنساء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن الى انقضاء
العدة ولا يخرجن ايضا استقلالا وان اذن الازواج لان ذلك حق الشارع
ليس لاحد اسقاطه الا ان يأتين بفاحشة مبينة وهي الزنا او النشوز
بان طلقت وهي ناشزة لان النشوز يسقط الحق حال الوفاق فاولى ان
يسقطه حال الفراق فالاستثناء راجع الى الاخير او البذاء وايذاء الزوج
فيرجع الى الاول وتلك حدود الله اي الاحكام ومن يتعد حدود الله فقد ظلم
نفسه عرضها لسخط الله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي
الرغبة في المطلقة والندم على فراقها واستدل الامام احمد على ان المبتوتة
والمتوفى عنها زوجها لا سكنى لها فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر العدة
فامسكوهن راجعوهن ان شئتم بمعروف بحسن عشرة لئلا يؤدي
الى فراق آخر او فارقوهن بمعروف بايفاء حقه واتقاء ضرر بان يراجعها
ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند الفراق والرجعة لانه
ابعد عن الريبة واقطع للنزاع امر ندب وعن الشافعي رحمه الله تعالى قول بالوجوب
في الرجعة واقيموا الشهادة لله ادوها من غير ميل ولا غرض ايها الشهود
ذلكم المذكور من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء العدة والكف
عن الاخراج واقامة الشهادة وقيل اشارة الى الاخير والاول اوجه لقوله يوعظ
به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فيها اذ جعل ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب اعتراضا مؤكدا لتلك الامور وان كان الاوجه
ان يكون استطرادا والاعلى ان التقوى ملاك الامر ومنبط سعادة الدارين
ويتناول امر الزوجين اول تناول عن ابن اسحاق ان عوف بن مالك
الاشجعي اسر ابنه فشكى الى رسول الله الفاقة فامره بالصبر وكثرة قول لا حول
ولا قوة الا بالله فلم يلبث ابنه الا وهو بالباب يناديهما ومعه سرح القوم
قد استاقها فنزلت ومن يتوكل على الله في اموره فهو حسبه اي كافيه
ان الله بالغ امره الذي يريده ولا يفوته وقرأ حفص بالاضافة قد جعل الله لكل
شيء قدرا تقديرا او توقيتا لا يتقدمه ولا يتجاوزه وفي الحديث يستجاب
لاحدكم ما لم يعجل ويقول دعوت فلم يستجب لي واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم روى ابن جرير عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن عدد النساء لم يذكر في الكتاب فنزلت والآيسة هي
انقطع دمها لكبر سنها واختلاف القراء في اللائي تقدم في الاحزاب ان
ارتبتم جهلتم وشككتم في عدتهن واللائي لم يحضن من الصغر فعدتهن
ثلاثة اشهر واولات الاحمال طلقت او توفي عنها زوجها اجلهن ان يضعن

حملهن ذهب علي وابن عباس رضي الله عنهما الى ان عدة المتوفى زوجها ابعد
الاجلين من اربعة اشهر وعشر ومدة الحمل للتعارض من غير علم بتأخر احدهما
وذهب ابن مسعود رضي الله عنه الى ان هذه الآية ناسخة لاية البقرة في قدر ما
تناولته من الحوامل وقال من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي
في البقرة والعام المتأخر ناسخ للخاص المتقدم فاولى اذا كان العموم من وجه
ويؤيد قول ابن مسعود رضي الله عنه ما روى البخاري ان سبيعة الاسلمية كانت
تحت سعد بن خولة توفي زوجها وهي حامل فوضعت بعده باربعين يوما فا
فانكحها رسول الله عليه السلام واما كون العموم هنا بالذات وهناك بالعرض
وكون الحكم معللا هنا لا يعد مرجحا ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا يسهل
عليه امره ذلك امر الله انزله اليكم ليعملوا بموجبه ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته
ويعظم له اجرا يوم الجزاء ولقد بالغ في امر النساء بالحث على التقوى مرارا وذلك
لضعفهن ونقصان عقلهن وما يبدو منهن مما يوجب النفرة والغضب وفي آخر
خطبة خطبها رسول الله عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا خلقن من ضلع اعوج
ان ذهبت تقيمه كسرته اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم مما تقدرون
عليه الوجد الواسع ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج و
ان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن تعميم الاسكان وتخصيص
الانفاق باولات الاحمال دليل ظاهر للشافعي رحمه الله تعالى على ان المبانة لا
نفقة لها وللحنفية ان هذا المفهوم لا يعارض ما روى عثمان وعمران رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لها السكنى والنفقة وفائدة التقييد دفع وهم من
يذهب الى ان المدة اذا زادت على اربعة اشهر وعشر لا تستحق الزيادة فان
ارضعن لكم بعد انقطاع النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع مقيد بغير
اللبن الذي به البقاء غالبا واتمروا بينكم بمعروف ليتفقوا على امر الولد ولا
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع
له اخرى امرأة وفيه معاتبة للام وحث على المساهلة لينفق ذو سعة من
سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله كل من الموسر والمعسر على قدر
حاله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها من المال سيجعل الله بعد عسر يسرا وعد
للفقراء بان الحال تتبدل لقوله ان مع العسر يسرا وحث على الانفاق بقدر
الطاقة وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحل بهم باس الله تعالى فخذوا
حذركم بعد بيان جمل من الاحكام اشار الى ان اهل قرى كثيرة عاندوا واستغلوا
عن امتثال اوامره وقرأ ابن كثير كائن على وزن فاعل فحاسبناها حسابا شديدا
بالمناقشة لقوله عليه السلام من نوقش في الحساب هلك وعذبناها عذابا نكرا

كالخسف والغرق فذاقت وبال امرها: وخامة الامر الذي خالفته: وكان
عاقبة امرها خسرا: لا ربح فيه اعد الله لهم عذابا شديدا: يوم القيمة وقيل
الحساب والعذاب يوم القيمة والتعبير بالماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة لتحقيق
الترتيب من وعده ووعيده كالكافرين وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير
للوعيد: فاتقوا الله بعد هذا البيان: يا اولي الالباب: العقول الخالصة: الذين
آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا: الذكر القرآن ورسولا بدل منه بدل الاشتمال
والمراد به جبريل او الشرف فبدل الكل ويجوز ان يراد محمد عليه السلام او نفسه بارسل
مقدرا دل عليه الانزال وهذا هو المتبادر ويدل عليه قوله: يتلو عليكم آيات الله
مبينات لان تلاوة جبريل عليهم تجوز وجعل الخطاب شاملا للملائكة والمؤمنين
تكلف: ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات: اي ليخرجكم والاتيان بالظاهر
للاشارة الى فائدة الارسال: من الظلمات الى النور: من الضلالة الى الهدى
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا: وقرا نافع وابن عامر بالنون وهو ابلغ في الوعد: قد احسن الله له رزقا:
اي رزق فيه تعجب: الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن: سبع
ارضين ايضا روى البخاري عن سعيد بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من غصب شبرا من الارض طوقه الله تعالى من سبع ارضين وفي الحديث
ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة في فلاة وجمهور
على انها ليس باطل: يتنزل الامر بينهن: اي قضاء الله تعالى بالاماتة والاحياء
وسائر احكامه: لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء
علما: علة لخلق او يتنزل او لمقدر يعمهما فان كل واحد يدل على كمال القدرة
تمت سورة الطلاق والحمد لله ملك الخلاق والصلوة على الكامل بالاتفاق
واله وصحبه الى يوم التلاق سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
اضطربت الرواية في سبب نزولها وما الذي اوجب تحريم ما احل وما المحرم
روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله عليه السلام دخل على زينب
فشرب عندها عسلا فتواطئت انا وحفصة على ان ايتنا دخل عليها تقول
نجد منك ريح مغافير وكان يكره الرائحة الكريهة فدخل على حفصة فقالت
له ذلك فقال شربت عسلا عند زينب وقد حلفت لا اعود اليها فلا تخبري
احدا وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها ايضا ان التي سقته هي حفصة و
عائشة وسودة رضي الله عنهما هما اللتان تواطأتا وروى النسائي عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصاب مارية في يوم حفصة في بيتها فقالت اي

رسول الله في يومي وفي بيتي فقال حرمتها فلا تقولي لاحد فذكرته لعائشة فنزلت: تبتغي مرضات ازواجك: حال او تفسير يفيد زيادة تهجين او استئناف
كانه قيل ما وجه العتاب وقد تقدم في ذلك الانبياء كقوله الا ما حرم اسرائيل
على نفسه فقيل محل مثله عن طلب مرضات النساء في ترك ما اباحه الله تعالى فانكر
هو الباعث لا التحريم: والله غفور: غفر لك ما تقدم وما تأخر: رحيم: عطاك
ما لم يعط احدا من العالمين: قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم: بينها لكم بشرعية الكفارة
فاذا حلف احدكم على فعل فرأى غيره خيرا فليأته وليكفر او شرع الاستثناء اليمين
بان يقول في حلفه ان شاء الله تعالى واستدل به الامام احمد على ان من حرم شيئا
ثم فعله يلزمه الكفارة وليس فيه دليل لما في رواية البخاري حلفت: والله مولاكم
متولي اموركم: وهو العليم بما هو الكم: الحكيم المتقن في احكامه فبادروا الى امره
به: واذ اسر النبي الى بعض ازواجه: هي حفصة او سودة: حديثا: تحريم العسل
او مارية وما قيل من ان الخلافة بعدي لابي بكر وعمر منكر: فلما نبأت به واظهره الله
عليه: اطلعه على افشائه: عرف بعضه واعرض عن بعض: عرف مقدار ما كتمت
اطلاعه واعرض من الاستقصاء عليها هو داب الكرام وقرا الكسائي عرف
مخففا اي جازاها على البعض اطلاقا للسبب على المسبب كقوله وما تفعلوا
من خير يعلمه الله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا: تعجبا بنبأ الامر على الكتمان
بينهما: قال نبأني العليم: بالاشياء: الخبير: بواطنها: ان تتوبا الى الله: عائشة
وحفصة او سودة: فقد صغت قلوبكما: اي حق لكما التوبة لوجود موجبه وهو ميل
قلوبكما الى مخالفة الرسول والتفت اليهما مكافحة زيادة توبيخ: وان تظاهرا عليه
مرة اخرى وقرا الكوفيون بالتخفيف بحذف احدى التائين: فان الله هو مولاه
وجبريل وصالح المؤمنين: اي فلن يعدم مظاهرا من هو الله وهو الله ورئيس
الكروبيين الذي يباشر عقاب المخالف وصالح المؤمنين الذين هم اعوانه واتباعه
والملائكة بعد ذلك ظهيرا: عطف على قوله ان الله هو مولاه وما عطف عليه وفي
بعد ذلك دلالة على ان وجوده نصرة لله له وان تنوعت انواع نصرة الملائكة
وفيهم جبريل لان افراده بالذكر او لاعلو شانه: عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن: عن انس رضي الله عنه ان عمر رضي الله عنه قال اجتمعت
نساء النبي في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا
منكن فنزلت وقرا نافع وابو عمرو ان يبدله بالتخفيف والتشديد ابلغ
مسلمات: منقادات اوامره: مؤمنات: بان مخالفته عصيان
قانتات: طائعات: تائبات: عن الذنوب: عابدات: متذللات
الاخلاق: سائحات: صائمات لما في الحديث سياحة امتي الصيام

وقيل مهاجرات. ثيبات وابكارا: ادخل الواو هنا دون سائر الصفات لانهما
تنافيان فلا بد من العاطف. يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم: بترك المعاصي
واهليكم: ايضا بان تأمروهم بالطاعات وتنهوهم عن المعاصي وفي الحديث كلكم راع
وكلكم مسؤل عن رعيته. نارا وقودها الناس والحجارة: حجر الكبريت تتقد بها كما
لا يتقد غيرها بالحطب. عليها ملائكة: الزبانية تسعة عشر. غلاظ: الاخلاق. شداد:
القوى لا يأخذهم في تعذيب اعداء الله رأفة. لا يعصون الله ما امرهم: فيما مضى
ويفعلون ما يؤمرون: في المستقبل او يقبلون الاوامر ويأتون بموجبها. يا
ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم: يقال لهم حين يساق بهم الى النار اذ لا
عذر لهم او لانه لا يقبل الاعتذار. انما تجزون ما كنتم تعملون: جزاءه. يا ايها
الذين آمنوا توبوا الى الله توبة: بالاقلاع عن الذنب والندم على الماضي توبة
نصوحا: النصح لغة خلوص كل شيء يقال عسل ناصح اي خالص والنصوح صيغة
مبالغة منه اي بالغة في الصفاء عن شوب الذنوب ويجوز ان يكون من
النصح بفتح النون اصلاح الثوب بعد التخرق وفي الحديث من اغتاب خرق
ومن استغفر رفا فهي تنصح صاحبها او تدعو غيره الى التوبة لظهور آثارها عليه
الاسناد المجازي وفسرها خير الامة باليقين بالقلب والاستغفار باللسان
والاقلاع بالجوارح والاضمار على الترك وقرأ ابو بكر بضم النون مصدرا
بمعنى ذات خلوص. عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار: اردف التوبة النصوح بعسى على داب الملوك واشعارا
بان لا وجوب بل تفضل منه. يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه: ظرف
ليدخلكم ومعنى المعية الاجتماع في الايمان لا في الزمان. نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم: استئناف للتعريض بمن ناواهم وقيل خبر للذين آمنوا وليس بوجه
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا: اذا راوا نور المنافقين قد انطفى يعتريهم الخوف
على هو مقتضى البشرية وان كانوا جازمين بالاتمام والنجاة او هو قول
من يكون نوره ضعيفا فان الانوار على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا
او تقولون ذلك على وجه التقرب والتلذذ كسائر الاذكار في الجنة
قوله. واغفر لنا انك على كل شيء قدير: اذ اعطاء النور انما هو بعد الغفران. يا
ايها الذين جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم بالحجة والسيف لان
الرفق قد بلغ مداه. ومأواهم جهنم وبئس المصير: مصيرهم. ضرب الله مثلا
للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط: مثل الله تعالى حال الكفار في عدم الانتفاع
بحالهم مع الانبياء والمؤمنين من العلائق صهرا ونسبا بحال المرأتين كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين: ممتازين عن سائر العباد بالصلاح

والتقي

والتقي. فخانتاهما: في الدين لا في الفجور لانها فراش النبي ولا عار عليه في كفرها
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا: يسيرا من الاغناء. وقيل ادخلا النار مع
الداخلين: الذين لا علاقة بينهم وبين الانبياء. وفيه تهديد للتين تظاهرا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما التي افشت سره كامرأة لوط حين دلت على
اضيافه واشارة الى ان شرف صحبته انما تفيد زيادة الكرامة اذا صحبت به ورسوله
ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون: اعدى عدو الله تعالى وهي آسية بنت
مزاحم. اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة: ومعنى عندك مرتفع الدرجة
لقوله عند مليك مقتدر. ونجني من فرعون وعمله: من عذابه والابتلاء بعمله قيل
لما علم بايمانها هددها لترجع فابت فوتد لها اوتادا فربطها وارسل عليها الحيات
ونجني من القوم الظالمين: هم القبط اتباع فرعون. ومريم ابنة عمران التي احصنت
فرجها: عطف على امرأة فرعون جمع في المثل بين ذات الزوج والتي لا
زوج لها تسلية للارامل وحثا لهن على المحافظة وتحصين الفروج. فنفخنا
فيه: في الفرج وهو نفخ جبريل والاسناد اليه للتشريف. من روحنا: مخلوق
بلا واسطة. وصدقت بكلمات ربها: باحكامه او الصحف المنزلة عبر بها عنها
لقصرها. وكتبه: وقرأ غير ابي عمرو وحفص كتابه مفردا على ارادة الجنس او الانجيل و
المؤمن به حقا مؤمن بسائر الكتب. وكانت من القانتين: من جملة
العابدين غلب التذكير اشارة الى ان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال
الكمل ويجوز ان يكون من ابتدائية لانها كانت من اعقاب هارون فيكون
مدحا لها بشرف النسب بعد مدحها بكرم الحسب روى مسلم والبخاري رحمهما الله
تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء
الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وفيه دليل ظاهر على ان عائشة
افضل النساء على الاطلاق ولان الرفعة وعلو الشان انما هو بالعلم ولم
يدانيها كثير من الرجال فضلا من النساء. تمت التحريم والحمد لله على فضله
عليهم والصلوة على النبي الكريم واله وصحبه ذوي الفضل الجسيم. سورة الملك
مكية وهي ثلثون آيات وتسمى الواقية والمنجية بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي بيده الملك: تعالى وكثر خيره ودام من في قبضته الملك المطلق
ذكر اليد مع مثل للاستغناء عن الكل وافتقار الكل اليه. وهو على كل شيء قدير:
ما يصح ان يكون كان اولم يكن مما يطلق عليه اسم الشيء كالدليل على ملك الاحاطة
والاستغناء والافتقار. الذي خلق الموت والحيوة: قدرهما او اوجد الحيوة واعدمها
وقدم الموت لانه اقوى شيء دعا الى العمل وفي الحديث كفى بالموت واعظا وفيه

وفيه اكثروا ذكر هادم اللذات. ليبلوكم ايكم احسن عملا: ليعاملكم معاملة من
يبلو ويختبر وايكم احسن عملا جملة في محل النصب مفعول ثان لليبلو المتضمن
معنى العلم وليس من باب التعليق لانه مشروط بان يقع الجملة موقع المفعولين
وقد تقدم المفعول الاول الاستفهام فانتفى الشرط وروي مرفوعا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال احسن عملا اتم عقلا عن الله تعالى واورع عن محارمه واسرع
في طاعته. وهو العزيز: الغالب. الغفور: للذنوب ترهيب وترغيب للعاصي
في التوبة. الذي خلق سبع سموات طباقا: بعضها فوق بعض مصدر طابق
النعل اذا خصفها بعضها فوق بعض. ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت: اي
في خلقهن صفة مقوية لطباقا واخذ الظاهر مقام المضمر تعظيما ودلالة على ان
سبب سلامتها صدورها من الموصوف بنهاية الرحمة واشارة الى ان كونها
مبدعة على تلك الصفة كما دل على كمال الاقتدار نعمة من جلائل النعم ما لا يحصى
وقرا حمزة والكسائي من تفوت عن سيبويه وابي زيد انهما بمعنى كتعاهد
وتعهد. فارجع البصر ثانيا بعد النظرة الاولى تحقيقا. هل ترى من فطور من
شقوق جمع فطر كعبد وعبود. ثم ارجع البصر كرتين: ثم بعد النظر الثانية
وادم على النظر متصفحا احوالها ملتمسا لما خللا والتثنية للتكرير مثل لبيك. ينقلب
اليك البصر خاسئا وهو حسير: بعيدا كالمطرود عن وجدان الخلل كليلا اذا
تعب في الطلب. ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح: هذا ادل على كمال الاقتدار
من كونها ملساء مستوية والمصابيح النجوم المضيئة في التسقف المرفوع كالسرج
في سقوف البيت والدنو بالنسبة الى من في الارض وكونها زينة لها لا يقتضي
ان يكون مركوزة فيها. وجعلناها رجوما للشياطين: بانقضاض الشهب منها
كالنار المقتبسة وعليه يحمل انقضاض الكوكب في الحديث واشعار العرب
لان كونها زينة السماء لا يقتضي استمرارها وقيل جعلناها رجوما اي ظنونا لشياطين
الانس اي سبب ظنونهم التي يرمون بها الغيب جمع رجم بالفتح مصدر سمي به
ما يرجم به. واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة مستطرد لذكر الشياطين و
للذين كفروا بربهم: بعد هذه الدلائل النيرة. عذاب جهنم وبئس المصير جهنم
او عذابه. اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا: صوتا كصوت الحمار اما منها او ممن
تقدمهم. وهي تفور: فوران المرجل. تكاد تميز من الغيظ: تمثيل لشدة اشتعالها
وامتلائها بها بالنار او تخلق الله فيها ادراكا كما دل عليه ظواهر النصوص كلما القي فيها
فوج سألهم خزنتها الم ياتكم نذير: ينذركم عذاب اليوم سؤال توبيخ. قالوا بلى قد جاءنا
نذير فكذبنا: اي النذير. وقلنا ما نزل الله من شيء قط. ان انتم الا في ضلال كبير: كلام
الخزنة على طريق حكاية ما كانوا عليه او الضلال الهلاك او سمي عقابه باسمه وقالوا

لوكنا

لو كنا نسمع او نعقل: كلام الرسل سماع تفهم وتدبر او نعقل فنتأمل آيات
الآفاق والانفس ونستدل بها على ان الانسان لم يخلق سدى. ما كنا
في اصحاب السعير: في جملتهم. فاعترفوا بذنبهم: حين لا ينفع. فسحقا لاصحاب
السعير: فبعدا لهم اسحقهم الله سحقا حذف منه الزائد كما نبت نباتا وقرا الكسائي
بضم الحاء على انها لغة. ان الذين يخشون ربهم: ذكر الكفار كان بالعرض
والذي سيق له الكلام بيان حال من هو احسن عملا كانه قيل ما ذا حال
من سبق له الكلام فاثبت لهم كمال العلم الذي اشير اليه بقوله انما يخشى الله
من عباده العلماء وكمال التقوى بقوله واجر كبير لا يسعه تصورهم. واسروا
قولكم او اجهروا به: خطاب عام كما في ليبلوكم اي اتقوه في السر والعلن
لاستوائهما في علمه حث للخاشي على الاستدامة والترقي الى حق خشيته وللغافل المغتر على
الانابة ويجوز ان يكون التفاتا الى اصحاب السعير لما روي ان المشركين كانوا يقولون
اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فيخبره. انه عليم بذات الصدور: بضمائرها قبل ان
تعبر عنها سرا او جهرا. الا يعلم من خلق: الا يعلم السر والجهر من خلق الاشياء
كلها. وهو اللطيف: الدقيق في صنعه وقت حكمته في كل شيء. الخبير: ببواطن
الاشياء. وحذف المفعول من خلق للتعميم ولا يجوز ان يكون من قبيل يعطي ويمنع
لارتباطه بما تقدم من حديث السر فلا بد من ملاحظة المفعول ويجوز ان
يكون من مفعولا وفي يعلم ضمير الرب اي الا يعلم الله تعالى مخلوقه وهذا شانه
والاول اوجه لاقامة الظاهر مقام المضمر وكونه ادل على المحذوف وللعموم المقدر
المتناول له تناولا اوليا. هو الذي جعل لكم الارض ذلولا: لينة يسهل عليكم
سلوكها. فامشوا في مناكبها: في جوانبها مثل في فرط التذلل فان منكب البعير
ارق شيء فيه وابعده من وطء الراكب بقدمه فاذا ذلل ذلك فقد بلغ
التذليل غايته وقيل مناكبها جبالها فالاستعارة في لفظ المنكب. وكلوا من
رزقه: مما اخرج منها اقواتا وثمارا. واليه النشور: فاجتهدوا في الشكر فانه
سائلكم عنها. ءامنتم من في السماء: ملكوته وسلطانه او نفسه على زعم جهلة
العرب وقيل الملك الموكل للعذاب وهو جبريل. ان يخسف بكم الارض
كما خسف بقارون مقابل لقوله فامشوا بدل اشتمال من من. فاذا هي
تمور: تضطرب في ذهاب ومجيء من هيبته لله تعالى وشدة غضبه. ام امنتم
من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا: ريحا فيه حصباء والاحجار كقوم لوط
مقابل لقوله وكلوا من رزقه ولقوله وفي السماء رزقكم. فستعلمون كيف
نذير: اذا شاهدتم المنذر به. ولقد كذب الذين من قبلهم: قبل قريش
فكيف كان نكير: انكاري بالانتقام وقريش شاهدوا اثاره وتواتر عندهم

خبر ما لم يشاهده اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن
في الجو فانها اذا بسطت الاجنحة صففت القوادم ويقبضن لم يقل قابضات
لان الطيران كالسباحة والاصل فيه المد والقبض تارة وتارة والفعل دال على
التجدد والحدوث ما يمسكهن الا الرحمن بليغ الرحمة بان خلقها على وضع
وهيئات تتمكن بها من الطيران بان جعل لها القوادم تشق بها الريح والخوافي
يشتد بها والاذناب يقيمها كالذنب في السفن انه بكل شيء بصير عليم عيانا لا يخفى
عليه شيء مما يدق على الفطن وفي ذكره عقيب الخسف وارسال الحاصب
اشارة الى ان من هذا شانه ذلك اهون شيء عنده وايماء الى ان دافع
العذاب عن هؤلاء مع موجباته وتكامل اسبابه منهم انما هو تلك الرحمة الكاملة
التي امسكت الطير في الهواء امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن
متعلق بحديث الخسف لان قوله ولقد كذب اعتراض يشد من عضد
التحذير وكذا قوله اولم يروا تصوير لقدرته الباهرة والمعنى ام الذي يقال
هذا الذي هو جند لكم امنكم من عذاب الله تعالى على ان ام منقطعة والاستفهام
تهكم والمشار اليه اما نوع مقدرا واصنامهم من مبتدأ وهذا خبره والموصول
صفته هذا وينصركم وصف لجند محمول على اللفظ ان الكافرون الا في غرور
مستغرقون في الغفلة امن هذا الذي يرزقكم اي ام الذي يقال فيه هذا الذي
يرزقكم ان امسك رزقه اي الله تعالى بامساكه اسبابه من المطر والانبات
متعلق بارسال الحاصب بل لجوا في عتو تمادوا في العناد ونفور اعراض
وهذا ادل على اغراقهم في الكفر من قوله الا في غرور كانه توهم الرزق من الاصنام
او من نوع مقدر ابعد من تخيل النصر منها افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال
كببته فاكب وعدوه من النوادر لكن العكس كون المجرد مطاوعا للمزيد وقيل
ليس من ذلك بل المعنى صار ذا كب كاغد البعير ومعنى مشيه مكبا على
وجهه يقع تارة ويقوم اخرى لكونه ماشيا في غير الطريق او لكونه اعمى لا يبصر
امن يمشي سويا على صراط مستقيم هذا مثل ضربه للكافر والمؤمن فان الكافر
في ظلمات الشبه والشكوك كمن لا يرى جهة قصده او يسلك مكانا وعرا
فهو بين قيام وسقوط والمؤمن في نور ايمانه كمن يرى مواطئ قدميه
او كمن يسلك طريقا جادة سهلة السلوك وان شئت شبهت الدينين
بالمسلكين قل هو الذي انشاكم من تراب وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة الالات الادراك واتى بعد ابعد ما بين التراب وهذه
الامور قليلا ما جدا تشكرون بصرفها الى ما خلقت له فلا سمعتم سماع
تفهم ولا نظرتم نظر اعتبار ولا تدبرتم في دلائل الانفس والافاق قل هو الذي

ذرأكم

ذرأكم في الارض بثكم فيها متمكنين من اي تصرف شئتم واليه تحشرون لجزاء
فتمردوا له ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او العذاب كالخسف وارسال
الحاصب ان كنتم صادقين الخطاب له ولمن امن به قل انما العلم عند الله
لا يعلم ذلك غيره وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة الضمير للموعود وعبر عنه
بالماضي لتحقق وقوعه سيئت وجوه الذين كفروا ساءتها رؤية العذاب
وغشيها القترة وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تفتعلون من الدعاء والباطلة
او تدعون ان لا بعث من الدعوى فاللام سببية قل ارايتم ان اهلكني الله اماتني
ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتاخير الآجال فمن يجير الكافرين من عذاب
اليم كانوا يتمنون هلاكه كما قال الله تعالى نتربص به ريب المنون اي ان اهلكنا
الله كما تتمنون انتم او رحمنا بالنصر عليكم كما نرجو فمن لا مجير لكم من عذاب الله
او نحن هدانا لكم ودعاؤكم الى النجاة فان اهلكنا الله بعد هدايتكم كما تتمنون او رحمنا عكس
ما تتمنون فمن يجيركم ونحن مؤمنون وحالنا دائرة بين الاهلاك بالذنب
والرحمة بالايمان فما ذا حالكم مع كفركم وعلى الوجوه من ايقاع المظهر موضع المضمر
قل هو الرحمن امنا به فيجيرنا من عذابه ولم نكفر مثلكم وعليه توكلنا لا على
العدد والعدد مثلكم فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم من كلام
المصنف وقرا الكسائي بياء الغيبة قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا
في الارض فمن ياتيكم بماء معين جار او سهل الماخذ فان لم تعبدوه للحيوة الباقية
فاعبدوه للفانية فالكل منه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه تمت
سورة الملك والحمد لمن بيده البقاء والهلاك والصلوة والسلام على خير الانام
واله وصحبه الى يوم القيام سورة نون مكية وهي ثنتان وخمسون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم ن اسم السورة او من حروف الهجاء كما تقدم
في نظائره وقيل اسم الحوت الذي عليه الارض المسمى بالبهموت وقيل اسم اللوح
الذي كتب فيه القلم ما هو كائن وقيل اسم الدواة وفي الكل بعد اذ الوجه اعرابه
على ان ذكر الحوت مع القلم كذكر الضب مع النون فان قلت اذا كان اسم
السورة فلا تنكر سكون اخره فليكن كذلك اذا جعل اسم الدواة او اللوح قلت
قد سبق ان الحكاية في هذه الحروف انما يصح اذا كانت اسماء للسورة تلميح معانيها
الاصلية ايقاظا لمن تحدى بها واقرب الوجوه ان يكون اسما للدواة التي كتب
منها القلم الكائنات وسكونه اجراء للوصل مجرى الوقف والقلم هو الذي خلقه
الله تعالى اول ما خلقه اقسم به لشرفه لانه آلة لكتابة وحيه وحكمه وما يسطرون ما
ما يكتبه من كتب من المعارف والحفظة من الاعمال ويجوز ان يكون ما مصدرية
وان يراد بالقلم اصحابه وهم كتاب وحيه وجملة شرائعه فيقسم بهم وبمسطوراتهم

او لسطرهم وكتابتهم ﴿ما انت بنعمة ربك بمجنون﴾ جواب القسم والمعنى ما انت
بمجنون منعماً عليك بما انعم من رزانة الرأي وحصافة العقل على ان الجار والمجرور
حال من المستكن في بمجنون وهو العامل فيه والباء زائدة فلا يمنع العمل فيما قبله
﴿وان لك لاجراً غير ممنون﴾ غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او خالياً من المنة
والمعنى ان لك عندنا من الزلفى والمكانة زيادة على اجر صبرك على اذاهم ما لا
يستحق الاجر ان يمن به عليك وقيل ممنون من الناس لانه من عطاء ربك
﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ وبه استوجبت تلك الرتبة العظمى عن قتادة رحمه الله
قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني عن خلق رسول الله تعالى فقالت كان خلقه القرآن
وكذا عن سعيد بن هشام رحمه الله تعالى اشارت الى قوله خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو ان نعته في التورية محمد
عبدي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا يجازي السيئة بالسيئة ولكن يعفو
ويغفر وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس
صدراً واصدقهم لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه
احبه ﴿فستبصر ويبصرون بايكم المفتون﴾ اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء زائدة
او المفتون مصدر كالمعقول او الباء بمعنى في اي في اي فريق منكم يوجد من يستحق
هذا الاسم والخطاب وان كان معه الا ان امته داخلة فيه تبعاً وهذا اوجه الاوجه
لاشتماله على التعريض مع سلامته عن استعمال النادر ﴿ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله﴾ اي بالمجانين ﴿وهو اعلم بالمهتدين﴾ العقلاء اشار الى ان الجنون والعقل
بهذا الاعتبار لا بما يتوهمونه في هذا الزعم مجانين ويجوز ان يكون وعيداً ووعداً
اي اعلم بجزاء الفريقين ﴿فلا تطع المكذبين﴾ كانوا يدعونه الى عبادة الاصنام وقالوا
ليدعوه من غوائلهم او يعبدوا ما يعبده وقتاً ﴿ودوا لو تدهن﴾ تلاين لهم ﴿فيدهنون﴾
فيلينون لك الفاء للعاطف اي ودوا ادهانك فيدهنوا بعد ادهانك
او السببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن
يدهنون طمعاً فيه ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف وفي جعله فاتحة المثالب
واهم القبائح دلالة على انه شر الخصال وذلك لانه يدل على عدم استشعار عظمة
الله تعالى ﴿مهين﴾ حقير ﴿هماز﴾ عياب من الهمز وهو الكسر ﴿مشاء بنميم﴾ النميم و
النميمة نقل الحديث لايقاع الفتنة وافساد ذات البين ﴿مناع للخير﴾ شديد
البخل والخير المال او ابلغ من الخير وهو الايمان ذكر الممنوع منه دون الممنوع عكس
الوجه الاول لان عدم ذكر الممنوع منه هناك اوقع ﴿معتد﴾ ظالم متجاوز الحد
﴿اثيم﴾ كثير الاثم ﴿عتل﴾ جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف ﴿بعد ذلك زنيم﴾
بعد ما ذكر من المثالب دعي لا نسب له وهذا كما اذا عددت مثالب انسان

ثم يقول وبعد ذلك لا يحب ابا بكر وعمر رضي الله عنهما والزنيم شاة لها زنمة وهي ما
يقطع من اذنها من غير فصل فيتدلى قيل هو الوليد بن المغيرة استلحقه ابوه
بعد ثماني عشرة من مولده وقيل نعته ثم قوله لانه من الزنا وقيل هو الاخنس
ابن شريق كان من ثقيف وعداده في زهرة وليس بصواب لانه اسلم معدود
في الصحابة ﴿ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين﴾
متعلق بقوله ولا تطع اي لا تطعه بعد هذه المثالب لكونه ذا يسار وحظ من
الدنيا او بما دل عليه ما بعده من معنى التكذيب لا بقال لان ما بعد الشرط لا يعمل
فيما قبله اي كذب باياتنا لان كان مستظهراً بالمال والبنين مغروراً بهما
قيل كان له عشرة من البنين وله مال وافر ويقول من آمن بمحمد منعته رفدي
وقرا حمزة وابو بكر بالاستفهام انكاراً للطاعة له لكونه ذا مال وكذا ابن عامر
الا انه سهل الثانية بزيادة الف بينهما لهشام ولابن ذكوان بين بين
﴿سنسمه على الخرطوم﴾ الوجه اشرف الاعضاء واشرف اجزائه الانف
والعرب على ان الشرف يظهر في الانف يقولون فلان به شمم والقوم شم
العرانين وفي وصفه صلى الله عليه وسلم اشم العرنين فالكي على الانف اهانة واذلال
يجوز ان يكون حقيقة او كناية عن الاذلال والتعبير عنه بالخرطوم زيادة
تشويه لانه لا يستعمل الا في الفيل او الخنزير وما قيل انه خطم يوم بدر فبقي
سمة على خرطومه سهو لان الوليد مات قبل بدر وابعد منه ما نقل عن النضر
ابن شميل ان الخرطوم هو الخمر ومعناه سنحده على شربها ﴿انا بلوناهم كما بلونا
اصحاب الجنة﴾ اي انا اختبرنا اهل مكة بارسال محمد عليه السلام نعمة عليهم
فلما كفروا به سلطنا عليهم القحط كما اختبرنا اصحاب الجنة عن سعيد بن جبير
ان هؤلاء كانوا من قرية يقال لها صروان من قرى صنعاء وكان ابوهم
ذا بر واحسان على الفقراء كان ياخذ من غلة بستانه هذه قوت سنة ويطرح
الباقي على الفقراء والمحاويج فقال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا
الامر ونحن ذو عيال ﴿اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين﴾ داخلين في الصباح
قبل ان يعلم بذلك الفقراء ﴿ولا يستثنون﴾ في ايمانهم لم يقولوا ان شاء الله
بل بتوا القول وجزموا به وانما سمي الشرط استثناء لانه يؤدي مؤداه في الاخراج
﴿فطاف عليها طائف﴾ على الجنة بلاء من الطوفان ﴿من ربك﴾ مرسل من عند الله
﴿وهم نائمون﴾ لا علم لهم بذلك ﴿فاصبحت كالصريم﴾ كالمجذوذ ثماره من الصرم
وهو القطع او كالليل المظلم محترقاً او الليل لا بيض المغبر فان الصريم من الاضداد
كالرمل المنصرم او كالتي اصابها الصرام وهي الداهية ﴿فتنادوا﴾ نادى بعضهم
بعضاً ﴿مصبحين ان اغدوا على حرثكم﴾ ان مفسرة واستعمال الغدو بعلى

تضمنه معنى الاقبال او لان الغدو للصرام استيلاء وهو والاستعلاء من واد واحد
ان كنتم صارمين: على الوجه الذي عزمتم عليه: فانطلقوا وهم يتخافتون: يتكلمون
الحديث: ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين: ان مفسرة والمراد بنهي المسكين
عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه كقولك لا ارينك ههنا: وغدوا على حرد
قادرين: الحرد المنع يقال حاردت السنة اذا منعت المطر والابل اذا منعت
بالدر اي غدوا حازمين على المنع حال كونهم قادرين على الخير او غدوا على محاردة
جنتهم ومنع خيرها بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها وقيل الحرد السرعة
يقال قطا حراد اي سراع اي ذهبوا على وجه السرعة لئلا يدركهم المساكين
وقيل الحرد القصد اي غدوا قاصدين الصرام قادرين على ذلك من عند
انفسهم حال مقدرة وقيل الحرد اسم بستانهم: فلما راوها: على تلك الحالة
قالوا انا لضالون: طريق جنتنا قالوه قيل فلما تيقنوا الامر قالوا بل نحن
محرومون: حرمنا خير جنتنا لجنايتنا على انفسنا: قال اوسطهم اي خيرهم
رايا: الم اقل لكم لولا تسبحون: اي يستثنون لتلاقي الاستثناء والتسبيح
في التعظيم فاستعمل مكانه وعن الحسن لولا تصلون فان الصلوة تنهى عن
الفحشاء او لا تذكرون الله وتتوبون اليه كانه نصحهم على خبث نيتهم فلم
يطيعوه: قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين: في القصد الى حرمان المساكين
قالوه بعد خراب البصرة واتساع الخرق على الراقع: فاقبل بعضهم على بعض
يتلاومون: كل منهم يقول للآخر انت السبب او لام بعضهم قاله وبعضهم رضي
وبعضهم كف فلم يطيعوه: قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين: فلذلك اصابنا
البلاء: عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها: كما هو شانه مع التائبين: انا الى
ربنا راغبون: في العفو ومحو الجريمة وافاضة الخير والظاهر ان الله تعالى قبل توبتهم
لوقوعها في اوانها: كذلك العذاب: اي مثل ما بلوناه اهل مكة واصحاب
الجنة العذاب الواقع في الدنيا وقد ادمج في التمثيل باصحاب الجنة ان
اهل مكة اولى بالبوار والنكال لان القصد الى حرمان المساكين اذا افضى
بهم الى ما ذكر فكيف بمن عاند الحق وكذب اشرف الرسل وقطع الرحم التي
اوصى الله بصلتها: ولعذاب الآخرة اكبر من عذاب الدنيا: لو كانوا
يعلمون: اي لو كانوا من اهل العلم لعلموا ذلك ولاخذوا حذرهم: ان للمتقين
عند ربهم: في جوار قدسه: جنات النعيم: جنات ليس فيها الا النعيم
تعريض بجنات الدنيا فان الغالب فيها التعب والنكد وحسن موقعه
بعد ذكر اصحاب الجنة المذكورة وذكر حالها افنجعل المسلمين كالمجرمين قال
مقاتل كانوا يقولون ان لم يكن في الآخرة احسن حالا من المسلمين فلا اقل

من المساواة فيها كما في حظوظ الدنيا: ما لكم: ما حصل لكم من خلل كيف
تحكمون: هذا الحكم الذي لا يصدر عن ذي مسكة وفي الاستفهام مبالغة في
التعجب من سفاهتهم: ام لكم كتاب فيه تدرسون: لكم ما فيه علم تام ان
لكم فيه لما تخيرون: تختارونه وتشتهونه وكان الظاهر فتح ان لانه مدروس
وانما كسر لوجود اللام او هو على الحكاية: كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام
على نوح: ولا تقدح في هذا تكراره لكونه على منوال قراءة الكشاف لفوائد وتخير
الشيء واختياره اخذ خيره: ام لكم ايمان علينا: يقال لفلان علي يمين اذا
حلفت له على امر تضمنه له: بالغة: متناهية في التغليظ جمع اليمين والكده
لفرط اعتمادهم: الى يوم القيمة: غاية للثبوت المقدر في الظرف اي ثابتة
الى ذلك اليوم كالاجل للدين فاذا دفعنا بالمقسم عليه خرجنا عن عهدتنا
او مبالغة على معنى انها مستمرة الى ذلك اليوم لا تحل منها يمين ولم تبطل حتى
يحصل المقسم عليه: ان لكم لما تحكمون: جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان
علينا اي اقسمنا لكم: سلهم ايهم بذلك زعيم: كافل باثبات ما ذكر: ام لهم
شركاء: في هذه العقيدة: فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين: في
دعواهم ومعلوم انه لا يوافقهم عاقل فقد الخصم مادة الشبهة عقلا ونقلا: يوم
يكشف عن ساق: منصوب بفليأتوا او باذكر او بمقدر اي يكون كيت
وكيت الكشف عن الساق والتشمير عنها جرى مجرى المثل عن شدة الامر
واستعمله البلغاء حيث لا يتصور ساق قال جرير الا رب سامي الطرف
من آل مازن اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا واصل هذا ان الرجل اذا
وقع في امر عظيم شمر عن ساقه ولا ينافي هذا ما رواه البخاري عن ابي سعيد انه سمع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن
ومؤمنة ويبقى من كان في الدنيا يسجد رياء فيذهب ليسجد فيعود ظهره اذ
عند الاشتداد والفزع الاكبر يتجلى للمؤمنين بصفة الجمال وهذا انما يكون بعد
ذهاب اهل النار ولم يبق الا المؤمنون وبينهم المنافقون فارادوا النفاق
كما في الدنيا فافتضحوا وهذا معنى قوله: ويدعون الى السجود فلا يستطيعون: لا ان
هناك دعاء صريحا وتكليفا: خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة: تغشاهم وقد
كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون: من العوائق: فذرني ومن يكذب
بهذا الحديث: اي كله الي فاني اكفيكه: سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
انه استدراج بان نفيض عليهم الرزق والعافية فيحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا
على المؤمنين فيتمادون في الضلال والاستدراج استنزال الشخص درجة
بعد درجة حتى يتورط في الهلاك: واملي لهم: اي اطيل لهم المدة ليزدادوا

اثما: ان كيدى متين: قوى وانما سمى احسانه استدراجا وكيدا لانه فى صورة
ام تسالهم اجرا: متصل بقوله ام لهم شركاء وما فى البين اعتراض ترغيبا للسامعين
فى البدار قبل فوت الوقت: فهم من مغرم مثقلون: فلذلك يعرضون: ام
عندهم الغيب: اللوح الذى هو خزانة المغيبات: فهم يكتبون: منه فهم يستغنون
به عنك وعما جئت به: فاصبر لحكم ربك: وهو امهالهم الى وقت معلوم
ولا تكن كصاحب الحوت: هو يونس بن متى: اذ نادى ربه وهو مكظوم: فى
بطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين والمعنى
لا تكن مكظوما اى مملوا غيظا على عدم ايمان قومك مثله فالمنهى عنه مشابهته
اياه فى الكظم ولما كان موهما بنوع انحطاط له قال لا تفضلونى على يونس بن
متى اذ كان غضبه لله تعالى وان لم يكن من عزم الامور: لولا ان تداركه نعمة من
ربه: رحمة منه او توفيقه اياه للتوبة: لنبذ بالعراء وهو مذموم: اى امتنع نبذه
بالعراء مذموما لوجود التدارك فالمعتمد فى جواب لولا هو الحال لا النبذ لوجود
والعراء الفضاء الذى لا سترة له: فاجتباه ربه: بعد الانابة: فجعله من
الصالحين: من علاء الانبياء وقيل استنبأه وهو خطأ فاحش وكذا القول
بنزول الاية حين اراد ان يدعو على المؤمنين الذين انهزموا يوم احد لان
السورة من اوائل ما نزل بمكة: وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم
زلقه وازلقه بمعنى ازاله عن مكانه وصفهم لمبالغتهم فى العداوة كانها سرت
من القلب والجوارح الى النظر فصار يعمل عملها واليه اشار من قال يتعارضون
اذا التقوا فى موطن نظرا يزيل مواطئ الاقدام وقيل العين كان فى بنى اسد
وكان يتجوع منهم رجل ثلثة ايام فلا يمر به شى يقول لم اركاليوم مثله الا عانه
فارادوا فعله برسول الله عليه السلام فوقاه الله بعنايته وعن الحسن ان هذه
الاية رقية العين من خاف من اصابة العين فليقراها وروى الامام احمد
ابن حنبل عن ابن عباس رضى الله عنهم لو كان شى سابق القدر لسبقته العين
والاخبار فى حقيقة العين متواترة المعنى ومن شاهد تاثير المغناطيس
فى جذب الحديد لم يستبعد تاثير العين وقرا نافع ليزلقونك بفتح الياء
وهى لغة والضم اشهر: لما سمعوا الذكر: اى القران الذى هو شرف لهم
ويقولون انه لمجنون: لذلك خالف كلامه اساليب كلام العرب
وما هو الا ذكر للعالمين: عظة لكل ذى عقل من الملائكة والثقلين او شرف
لمن حفظه وعمل بما فيه كائنا من كان وهذا ابلغ من قوله وانه لذكر لك
ولقومك ۝ تمت سورة نون والحمد لله اجره غير ممنون والصلوة على خير
الخلق الى يوم يبعثون سورة الحاقة مكية وهى احدى وخمسون ايات

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة: من اسماء يوم القيمة اى الساعة
الثابتة التى لا ريب فى ثبوتها او التى فيها ثوابت الامور من الحساب
والجزاء على الاسناد المجازى وكذا ان فسرت بما يحق فيها الامور وتعرف
على الحقيقة: ما الحاقة: ما حقيقتها والجملة خبر الاول والاصل ما هى تعظيم وتهويل
لها وفى وضع المظهر مقام المضمر زيادة ومبالغة واكد ذلك بقوله: وما ادريك
ما الحاقة: اى لم تحط علما بكنهها ولكل شى قدرته فى نفسك فهى اعظم من ذلك
وما الاستفهامية علق عنها الفعل ولما هول امرها بما لا مزيد عليه اردفه بذكر المكذبين
بها وما حل بهم واخر لهم فى الاخرة تحذيرا لاهل مكة: كذبت ثمود وعاد بالقارعة:
من اسمائها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال والجبال بالدك والسماء
بالانفطار والارض بالزلزال وهذا تهويل اخر حيث لم يعتبر بالضمير ولا بالمظهر
المذكور: فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية: بالواقعة التى جاوزت عن الحد فى الفظاعة
وهى الصاعقة لقوله فاخذتهم صاعقة العذاب ويجوز ان يكون معها
الصيحة والرجفة كالحاصب مع الخسف فى قوم لوط وقيل مصدر كالعافية
ولا يلايم قوله: واما عاد فاهلكوا بريح: لان الاية من قبيل الجمع والتفريق والمحدث
لا يناسب العين: صرصر: شديدة الصوت لها صرصرة فى هبوبها او كـ
الصر وهو البرد كانها التى كرر فيها البرد: عاتية: على قوم عاد فلم يقدروا على
دفعها وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه عتت على خزانها فخرجت بغير حساب
سخرها عليهم: سلطها: سبع ليال وثمانية ايام: استيناف لبيان الكيفية
بعد الكيف لتكامل الهول: حسوما: حاسمات كل خير جمع حاسم كشهود
جمع شاهد والحسم ازالة اثر الشى ومنه الحسم للكى المتتابع للداء او
تابعة هبوب الريح حتى استاصلتهم كان كل حبة كية ويجوز ان يكون مصدرا
لفعل مقدر اى تحسم حسوما اى تفرق بينهم تفريقا شديدا لا اجتماع بعده
لكمال النجوسة: فترى القوم فيها: فى ايامها: صرعى: ملقى على الارض كالاخشاب
البالية قيل كانت من صبيحة الاربعا الى غروب الاربعا وسميت ايام
العجوز لان عجوزا توارت فى سرب فوجدتها الريح فى اليوم الثامن وقيل
ايام العجز وهى اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والاخر والمؤتمر والمعلل
ومطفى الجمر: كانهم اعجاز نخل خاوية: اصول نخل متآكلة الاجواف: فهل ترى
لهم من باقية: بقية او نفس باقية او بقاء: وجاء فرعون ومن قبله: قبل فرعون
وقرا ابو عمرو والكسائى قبله بكسر القاف اى اتباعه والاول ابلغ واشمل
اذ ذكر فرعون دل على اتباعه: والمؤتفكات: قرى قوم لوط والاسناد مجاز
بالخاطئة او بالفعلة ذات الخطاء او بالافعال الخاطئة مجاز فى الحكم: فعصوا

ورسول ربهم كل منهم رسولهم فأخذهم أخذة رابية شديدة لعظم
جرمهم من ربا الشيء اذا زاد انا لما طغى الماء على الخزان يوم الطوفان
او جاوز الحد حملناكم في الجارية في السفينة وذكرها باسم الجارية بتحقيق
لاظهار القدرة اذ لم يكن لها مجرد لا توقى بل كان باسم الله مجريها ومرسيها
لنجعلها لكم تذكرة تلك الفعلة موعظة وتعيها اذن واعية من شأنها
الوعي يقال وعيته اذا حفظته في نفسك واوعيته اذا حفظته في
وعاء آخر والتنكير للدلالة على قلة الاذن الموصوفة وان واحدة منها
اذا وجدت كانت بمثابة السواد الاعظم وقرأ نافع بسكون الذال وعن
علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت الله ان يجعل
اذنك واعية قال فما نسيت بعد ذلك شيئا وما كان لي ان انسى
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وهي النفخة الاولى نفخة الفزع وبعضها نفخة الصعق
وبعدها نفخة القيام وابتداء خراب العالم وحملت الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة فضرب احداهما على الاخرى بالقدرة الكاملة فصارتا كثيبا مهيلا
كما تضرب احدى البيضتين على الاخرى فيومئذ وقعت الواقعة اي
قامت القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية مسترخية والملك
على ارجائها جنس الملك على اطرافها جمع رجا مقصورا ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية قال الحملة اليوم اربعة فاذا كان ذلك اليوم ايدوا باربعة
اخرى وقيل ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى وروى ابو داود في
سننه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدثكم عن ملك من حملة
العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه سبعمائة عام واذا نطق القرآن بأمر ممكن
ووافقه الاحاديث فلا وجه للتأويل والعدول عن الظاهر يومئذ تعرضون
العرض انما يكون بعد النفخة الاخيرة والكلام في النفخة الاولى لأن اليوم اريد به
الزمان المتسع روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تعرض الناس
يوم القيمة ثلث عرضات عرضتان جدال ومعاذير والثالثة تطير فيها
الصحف لا تخفى منكم خافية سريرة والمراد من العرض اظهار المعدلة واجراء
الجاحدين على رؤس الاشهاد وقرأ حمزة والكسائي بالياء وحسن لوجود
الفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض روى البخاري عن ابن عمر
رضي الله عنه ان رسول الله قال يدني الله المؤمن يوم القيمة فيقرره بذنوبه حتى اذا
رأى انه قد هلك يقول له قد سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم
فيعطى كتاب حسناته بيمينه واما الكافر فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم الا لعنة الله على الظالمين فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه يقوله لكل من رآه

فرحا وهاؤم جمع ها وبالف بعده همزة تصرف تصريف الكاف ومعناه خذ اسم فعل
تنازع هاؤم واقرؤا في عمل الثاني لقربه على ما اختاره البصريون والا لقيل اقرؤه
اني ظننت اني ملاق حسابيه اني تيقنت وانما عبر عنه بالظن دلالة على ان
هواجس النفس وخطراتها مما لا ينفك عنه العلوم النظرية لا يقدح في الاعتقاد
فهو في عيشة راضية ذات رضا كلابن وتامر فان النسبة كما يكون بالحرف
يكون بالصيغة او راض صاحبها على المجاز في الاسناد في جنة عالية فوق السماء
السابعة سقفها عرش الرحمن او عالية قصورها واشجارها بدل من عيشة او خبر
بعد خبر قطوفها جمع قطف بالكسر من القطاف وهو يقارب الجني في سرعة
فانها تجتنى من غير تعب دانية يتناولها القاعد والمضطجع كلوا واشربوا
على تقدير القول هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم من الاعمال
في الايام الخالية الماضية في الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول
يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما يرى من سوء الحال يا ليتها
الموتة الاولى كانت القاضية القاطعة فلم ابعث بعدها او يا ليتها دهت
يرى من الشدة ما بعد مرارة الموت حلاوة عندها ما اغنى عني ماليه شيئا
من المال والاتباع او اي شيء اغنى على ان ما استفهامية انكارا هلك عني سلطانيه
ملكي وتسلطي على الاموال والحشم وقرأ حمزة في الوصل بدون الهاء في الموضعين
وبها هو الاصل لانها للسكت وهي تسكت في الوصل ومن اثبتها اجرى الوصل
مجرى الوقف اتباعا للرسم خذوه امر من الله تعالى للخزنة فغلوه اجعلوه
في الغل ثم الجحيم وهي النار العظمى صلوه لا غيرها يقال صليته النار ادخلته
اياها ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا والمراد منه الكثرة كقوله ان تستغفر لهم
سبعين مرة فاسلكوه اي لا تسلكوه الا في السلسلة الموصوفة ومعنى سلكه
فيها ان تلف عليه مع ذلك الطول المفرط مبالغة في التضييق عليه وثم في
الموضعين للتفاوت بين ما دخله وما تقدمه انه كان لا يؤمن بالله تعليل
على طريقة الاستيناف العظيم اي ذلك العظيم من العذاب لكفره بالعظيم
ولا يحض على طعام المسكين فيه مبالغتان ذكره قرين الكفر وترك الحض دون
منع الطعام ليعلم من باب الاولى وفيه اشارة الى ان شر الخصال بعد الكفر البخل
وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه وقد فر كل امرئ من اخيه
وامه وابيه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار من دم وصديد فعلين
من الغسل لا يأكله الا الخاطئون العامدون للاثم من الخطا وبكسر الخاء ومن خطا
يتبعها ضد العمد الذي ذكره الفقهاء فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون اي بجميع
الكائنات التي هي اثار الصنع ولا غيره او لا اقسم بهذه الاشياء لظهورها

آنه اى القران لقول رسول كريم مبلغ من الله تعالى وما هو بقول شاعر كما
تزعمون قليلا ما تؤمنون تصدقون لفرط عنادكم ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون
القلة فى الموضعين بمعنى العدم ولما كان عدم التباس القران بالشعر بينا جعل
الفاصلة عدم الايمان عنادا بخلاف الكهانة فانها تتوقف على سبر احوال
التعامل من الصدق والصلاح فذكر معها التذكر وقرا ابن كثير وهشام يؤمنون
ويذكرون بياء الغيبة مسندة الى ضمير المخاطبين ولابن ذكوان وجهان تنزيل
من رب العالمين دفع لتوهم ان يكون كلام الرسول حقيقة لاسنا دالقول
اليه والمراد بالرسول محمد عليه السلام لا جبريل اذ لم ينسبوا اليه شعرا ولا كهانة
ويجوز ان يكون جبريل عليه السلام كانه قيل انه لقول جبريل الرسول الكريم وليس من
تلقاء محمد كما تزعمون انه شاعرا وكاهن والاول اوجه ولو تقول علينا بعض
الاقاويل اى لو نسب الينا قولا لم نقله من التقول وهو نسبة القول الى من لم يقله
تكلفا ويسمى الاقوال المنقولة اقاويل تحقيرا كالاعاجيب والاضاحيك كانها
جمع افعولة لاخذنا منه باليمين اى بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين كما تفعل
الملوك بمن يكذب عليهم وصور القتل فى اشنع صورة وهو ان ياخذ الجلاد
بيمين المصبور ليرى السيف فى يده بخلاف ما اذا اخذ بيساره والوتين
نياط القلب وفى ذكره اشارة الى محل الجناية كاليد للسارق فان اللسان
ترجمان لا مؤاخذة عليه فما منكم من احد عنه حاجزين عن القتل او المقتول
احد يستعمل جمعا والخطاب للناس كلهم وانه لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون
به وانا لنعلم ان منكم مكذبين لما تقوله من تركيبة الرسول وكون القران ليس
بشعر ولا كهانة وانه اى التكذيب او القران لحسرة على الكافرين اذا
راوا ثواب المؤمنين وانه لحق اليقين اى انه اليقين حق اليقين وحاصله
عين اليقين كقولك عين الشيء ونفسه فسبح باسم ربك العظيم اى
نزه بذكر اسمه العظيم الدال على تقدسه عن امكان التقول عليه وشكرا لما اوحى
اليك ❁ تمت والحمد لله الاله جلت والصلوة على من به الرسالة ختمت

سورة المعارج مكية وهى اربع واربعون آيات بسم الله الرحمن الرحيم

سال سائل بعذاب واقع اى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الباء
تعديته والسائل هو النضر بن الحارث الذى قال
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما قال اللهم عليك بقريش ويؤيد الاول قوله انهم يرونه
بعيدا وقرا نافع وابن عامر سال بالالف اما مبدلة من الهمزة
تخفيفا او اجوف واوى كخاف يخاف قال ابو زيد سمعت من
يقول هما يتساولان فهمزة سائل بدل من الواو كهمزة كائن وعلى

الوجهين يتعدى الى المفعولين بنفسه وتعديته بالباء لتضمين معنى الاعتناء
او من سال يسيل اجوف يائى كباع يبيع والمعنى سال سائل اى جرى
وادى ذو سيل بعذاب واقع اى كائن او يتعلق بالفعل اى سال للكافرين
او بواقع اى نازل لاجلهم وعن قتادة سال سائل عمن ينزل عذاب
الله وعلى من يقع فنزلت ولهذا قوله للكافرين جواب لذلك السائل والباء لتضمن
سال معنى اهتم ليس له دافع من الله ذى المعارج جملة مؤكدة على
قول قتادة صفة اخرى بعذاب على الاول وعلى الوجهين من الله اما متعلق
بواقع او من جهته او بدافع اى لا دافع له من جهته ذى المعارج ذى المصاعد جمع
معراج او معرج يصعد فيها الاعمال الصالحة او المؤمنون فى سلوكهم او دار ثوابهم
تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة بيان وتفصيل
لملك المعارج اظهار لعظمته وملكوته والروح جبريل وافراده لفضيلته وقيل خلق
آخر موكلون بالملائكة كالملائكة بنا واليوم يوم القيمة وصف بغاية الطول
اما كناية عن شدته او حقيقة على ما قيل ان فيه خمسين موطنا تقف الخلق
فى كل موطن الف سنة ويؤيد الاول ما رواه الامام احمد بن حنبل عن ابى سعيد
انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم قال والذى نفسى بيده
انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة وقيل من اسفل
الارض الى عرش الرحمن مسافة خمسين الف سنة لو قطعها الانسان وهذا
ان صح لا تعلق له بتفسير الآية لان الغرض تهويل يوم القيمة وقرا الكسائى يعرج
بياء الغيبة فاصبر صبرا جميلا لا قلق معه ولا شكوى بعد علمك بوقوع
العذاب على عدائك انهم يرونه بعيدا عن امكان الوقوع ونراه قريبا
منه لكمال قدرتنا والضمير للعذاب او لليوم فان قلت السائل سواء
كان رسول الله عليه السلام او غيره لم يسال الا عذاب الدنيا كما نزل بسائر
الامم والسياق يدل على وقوع العذاب يوم القيمة فكيف طابق السؤال
قلت هو من قبيل قوله حسبهم جهنم كانه قيل العذاب المستعجل به ليس بعذاب
حقيقة بل العذاب هو المعد لهم وهم ينكرونه ويدعون احالته ثم هول شانه
بما فصله يوم تكون السماء كالمهل منصوب بقريبا او بيقع مقدرا لدلالة
واقع عليه او بدل من محل فى يوم ان علق بواقع او يوم تكون السماء كالمهل تكون
ليت وكيت والمهل دردى الزيت وعن ابن مسعود رضى الله عنه الفضة
المذابة وتكون الجبال كالعهن كالصوف المتلون لاختلاف الوان الجبال
بيض وحمر وغرابيب سود فاذا طارت فى الهواء اختلطت ولا يسال
حميم حميما كيف حالك لكل شان يغنيه ويشغله عن غيره يبصرونهم تتمنى

جواب لم لا يسأل كانه لا يبصره او حال وجمع الضمير لان المعنى على العموم ولا
يبصرونهم تعالى بتبصره بالشيء اذا اوضحته له وكانه ضمن معنى التعريف
او صفة للصلة او وصل الفعل: يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ: حال
من احد الضميرين او استئناف يدل على ان الامر اعظم من الاشتغال بالسؤال
عن حال احد: ببنيه: الذين هم اعز على الروح: وصاحبته التي يحتاج
ذهابه بحيد دونها غيرة: واخيه الذي هو شقيقه: وفصيلته: وعشيرته
الذين فصل عنهم: التي تؤويه: تضمه في النسب وعند الشدائد: ومن في
الارض جميعا: كائنا من كان: ثم ينجيه: عطف على يفتدي استبعاد لما يتمناه
هيهات: كلا: ردع له عن ارتكاب ما لا ينفعه: انها لظى: الضمير للنار
دل عليه ذكر العذاب او مبهم فسره الخبر وهو لظى او ضمير القصة ولظى علم
للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد بها نفس اللهب مبالغة
كان كلها لهب خالص: نزاعة للشوى: خبر بعد خبر لان او خبر لظى ان كان
الضمير للقصة ويجوز ان يكون صفة ان اريد بلظى اللهب لان علم الجنس
كالمعرف باللام في اجرائه مجرى النكرة وان لم يجعل علم الجنس فحذف التنوين
لاجراء الوصل مجرى الوقف وقرا حفص نزاعة بالنصب على الاختصاص
كانه قيل تتلظى نزاعة والشوى جمع شواة جلدة الرأس او اطراف الانسان
وكلها ليس بمقتل يقال للرامي اذا لم يصب المقتل اشوى: تدعو من ادبر
وتولى: مجاز عن جذبها واحضارها لمن ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة
او تدعوهم بلسان المقال يا كافر يا منافق وهذا ابلغ: وجمع فاوعى: وجمع
وجعله وحفظه في الوعاء ولم يؤد حق الله منه: ان الانسان خلق هلوعا: الهلع
شدة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره بقوله
اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا: فان جزوعا ومنوعا وصف كاشف
لهلوعا: الا المصلين: استثناء منقطع لما وصف من ادبر وتولى بالهلع
قابل بكون المصلين في مقابلة اولئك او متصل اى ان الانسان خلق هلوعا واستمر
ذلك عليه ولم يفارقه الا المصلين الموصوفين بالصفات الاتية فانهم خلعوا
ربقة الهلع عن اعناقهم روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع: الذين هم على صلاتهم دائمون
لا يتركونها في اوقات الاعذار والضرورات: والذين في اموالهم حق معلوم
للسائل: مقدار معلوم وهو الزكوة لان في وجوبه كان بمكة وتقدير نصبه مفصلا
بالمدينة: للسائل الذي يسأل: والمحروم الذي لا يسأل فيعينون بحاله ويفتشون
عليه: والذين يصدقون بيوم الدين: اقراضهما بالصلوة والزكوة وقيل

يصدقونه

يصدقونه بالاعمال بالابدان والاموال ولذلك ذكره بيوم الدين: والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون: خائفون: ان عذاب ربهم غير مأمون: اعتراض دل على انه لا ينبغي
لاحد ان يامن وان كان على قدم راسخ في الطاعة: والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين: دل على ان المباح لا يدخل عليه فمن
ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون: المتجاوزون: والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون: حافظون: وقرا ابن كثير امانتهم على التوحيد لارادة الجنس: والذين هم
بشهاداتهم قائمون: احياء للحقوق وهي من الامانة افردها دلالة على زيادة
فضلها وقرا حفص بالجمع مناسبة للمضاف اليه او لاختلاف انواعها: والذين هم
على صلاتهم يحافظون: على شرائطها واركانها وواجباتها وسننها وادابها وكررها
شرفا حيث ابتدأ بها في عدة المحاسن وختم بها: اولئك: الموصوفون بتلك
الصفات: في جنات مكرمون: بانواع الاكرام: فمال الذين كفروا قبلك: اى
حولك: مهطعين: مسرعين مادي اعناقهم: عن اليمين وعن الشمال عزين:
فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم حذفت
الياء وعوضت عنها التاء لانهم كانوا احزابا كل واحدة تعتزي الى غير من تعتزي
اليه الاخرى: ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم: كانوا يقولون استهزاء نحن
اولى بالجنة من محمد واتباعه: كلا: ردع لهم عن هذا الاعتقاد: انا خلقناهم مما
يعلمون: استدل على امكان البعث بخلقهم اولا والقدرة على خلق مثلهم ثانيا
واشار الى ان الاستحقاق دخول الجنة انما هو بالاعمال الزاكية والاصل انشائهم
من ماء مهين بين المياه يستحيى من ذكره صريحا ولذلك ابهم بقوله يعلمون:
فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم
بان نذهبهم ونأتي بقوم آخرين او نوفق لمحمد عليه السلام طائفة خيرا من اهل مكة
وهم الانصار والخزرج وفي المقسم به دلالة ظاهرة على القدرة على تحقيق
المقسم عليه: وما نحن بمسبوقين: بمغلوبين على ذلك: فذرهم يخوضوا في
باطلهم: ويلعبوا: كالصبيان: حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون: اضافة اليوم
اليهم لمزيد الاختصاص: يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون:
اى يسرعون اسراعا يشبه الاسراع الذي كانوا يسرعون الى الحجر الذي كان
على الذبح انصابك ومن الحسن كانوا يبتدرون عند طلوع الشمس الى
اصنامهم لا يلوي احدهم على الاخر وقرا ابن عامر وحفص نصب بضم النون و
الصاد جمع نصب كسقف او مفرد انصاب والباقون بفتح النون واسكان
الصاد وسراعا وكانهم حالان من فاعل يخرجون: خاشعة ابصارهم ترهقهم

قوله ويجوز ان يكون احوالا مقدرة ﴿ذلك اليوم﴾ الموصوف ﴿الذي كانوا
يوعدون﴾ في الدنيا على السنة الرسل ◌ تمت سورة المعارج والحمد لكل حمد فايح
والصلوة على المختار عدد رمل عالج ◌ سورة نوح عليه السلام مكية وهي ثمان
او تسع وعشرون آيات بسم الله الرحمن الرحيم ﴿انا ارسلنا نوحا
الى قومه ان انذر﴾ بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل او ان مفسرة لاشتمال
معنى الارسال على القول ﴿قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم﴾ الطوفان او
عذاب يوم القيمة والاول اوجه ﴿قال يا قوم اني لكم نذير مبين﴾ لاقتران قولي
بالمعجزة ﴿ان اعبدوا الله﴾ مثله بان اعبدوا الله ﴿واتقوه واطيعون يغفر لكم من
ذنوبكم﴾ ما كان لكم من الذنوب او بعضها وهي التي تقدمت الايمان فان الاسلام
يجب ما قبله ﴿ويؤخركم الى اجل مسمى﴾ هو آخر الآجال ﴿ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر﴾
والتوفيق بينه وبين تأخير الاجل ان القضاء معلق ومبرم فالتأخير بالنظر
الى الاول وعدمه بالنظر الى الثاني اي لو آمنوا عاشوا كذا وان لم يؤمنوا
فكذا وهذا معنى زيادة الصدقة والصلة في العمر وما في علمه تعالى لا يتبدل ﴿لو كنتم
تعلمون﴾ جعلهم جاهلين بذلك لعدم جريهم على موجب العلم ﴿قال رب
اني دعوت قومي ليلا ونهارا﴾ اي دائما ﴿فلم يزدهم دعاءي الا فرارا﴾ عن
الايمان واسناد الزيادة الى الدعاء اسناد الى السبب ﴿واني كلما دعوتهم
لتغفر لهم﴾ اي ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم ليكون ادل
على قبح اعراضهم ﴿جعلوا اصابعهم في آذانهم﴾ لئلا يسمعوا كلامي المجعول في
الآذان رؤوس الانامل واطلاق الاصابع مجاز مبالغة ﴿واستغشوا ثيابهم﴾
تغطوا بها لئلا يروني كراهة منهم لرؤيتي او لئلا اعرفهم فادعوهم الى الايمان
والاتيان بصيغة الطلب للمبالغة كانهم طلبوا من الثياب ان تغشاهم
﴿واصروا﴾ على الكفر من اصر الحمار على الاتان اذا صر اذنيه يطردها للسفاد وكفى
بهذا التشبيه زجرة ﴿واستكبروا﴾ عن اتباع الحق ﴿استكبارا﴾ عظيما
﴿ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا﴾ هذا
دأب الناصح الشفوق ينصح سرا وان لم ينجع يعلن بنصحه لكي يساعده من
وعى ثم يبالغ بالجمع بين السر والجهر ونصب جهارا على المصدر من غير فعله
او على الحال ﴿فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا﴾ تفسير لدعائه وكانهم
كانوا يتعللون بما سلفوا من الذنوب فوعدهم المغفرة ان اتوا بما يحبه
من الايمان ﴿يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ قيل حبس الله عليهم المطر اربعين سنة
واعقم ارحام نسائهم فوعدهم باعادة الخصب ان تابوا والسماء المظلة او السحاب

وارسل

وارسال المطر منها ولانه على شرفه او المطر كقوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار
اسم فاعل كثير الدر كالمغزار يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿ويمددكم
باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا﴾ جمع لهم في الوعد بين
منافع الدارين روي ان رجلا اشتكى الى الحسن الجدب فامره بالاستغفار
والآخر الفقر فامره به والآخر قلة ريع ارضه فقال استغفر فقال الربيع بن
صبيح يشكوا اليك ابوابا من الحوائج والجواب واحد فتلا عليه
الآية ولما استسقى عمر رضي الله عنه لم يزد على الاستغفار فقيل له في ذلك
فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ﴿ما لكم لا ترجون
لله وقارا﴾ اي ما حصل لكم من الفارق حتى لا تكونوا على حالة ترجون من
الله تعالى تعظيما وتقديرا كانه قيل لمن التعظيم اي لله فقيل له ولو اخر لكان
صلة الوقار ولا يتوجه ذلك مع التقديم لان معمول المصدر لا يتقدم عليه
في الاكثر والحث على الرجاء كناية عن الحث على الايمان لانتفاء اسبابه
او لا تخافون لله عظمة او حلما لان الوقار يتعظم في النفوس والحلم لا يغافله
بتغيره بالعاقبة كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ما تخافون من الوقار
بمعنى الثبات لان العاقبة حال استقرار الثواب والعقاب ثم نبههم
على النظر في انفسهم لانها اقرب منظور بقوله ﴿وقد خلقكم اطوارا﴾ على
طريقة الحال اي خلقكم ترابا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم لحما ثم عظاما ثم
خلقا آخر ثم على النظر في الآفاق على وجه التعجب مما غفلتهم بقوله ﴿الم
تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾ بعلم ذلك باخبار القرآن المعجز
او بالارصاد والطباق وهو كون بعضها فوق بعض لا يقتضي المماسة ﴿و
جعل القمر فيهن نورا﴾ اي في السماء الدنيا نسب الى الكل للملابسة بينها
﴿وجعل الشمس سراجا﴾ كالسراج في ازاحة ظلمة الليل لقوله هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا ﴿والله انبتكم من الارض نباتا﴾ انشأكم استعار
الانبات له لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض والاصل انبتكم
فنبتم نباتا كقولك كسرته فتكسر او نصب بانبتكم لتضمنه الفعل والانفعال
واحد حقيقة والاختلاف بالنسبة الى القابل والفاعل ﴿ثم يعيدكم فيها﴾
بعد الموت ﴿ويخرجكم اخراجا﴾ لا محالة ولذلك اكده بالمصدر كالاول
اشارة الى الاتحاد والرتبة وكونهما في قرن ﴿والله جعل لكم الارض بساطا﴾ اي
مبسوطة تتقلبون عليها تقلب الرجل على فراشه ﴿لتسلكوا منها سبلا
فجاجا﴾ طرقا واسعة ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ ﴿قال نوح رب
انهم عصوني﴾ في الامر بعبادة الله وحده واتقائه بعدما تلوت عليهم آيات

الآفاق والانفس وصرح باسم نوح لطول الفصل ولم يعطفه لانه تفصيل لقوله
فلم يزدهم دعائي الا فرارا * واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا * اي
رؤساؤهم المتقدمين بالاموال والاولاد واشار الى ان ذلك وان كان
في الظاهر سببا في التقدم في الحقيقة ليس سببا للبوار وقرا ابن كثير وابو عمرو
وحمزة والكسائي ولده جمع ولد كاسد واسد * ومكروا * عطف على من لم يزد
والجمع باعتبار معنى من * مكرا كبارا * غاية في الكبر بانواع الاذى وتسليط سفهائها
عليه ابلغ من الكبار مخففا وهو من الكبير ابلغ * وقالوا لا تذرن آلهتكم * عبادتها
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا * افردوها بالذكر كانها
كانت كبار آلهتهم واشرفها اسماء رجال صالحين فلما هلكوا وسوس الشيطان
الى قومهم ان صوروا صورهم حتى يتبركوا بها ويبقى تذكره فلما انقرضوا
اولئك وسوس الى اولادهم ان اباكم كانوا يعبدون بها فعبدوها من دون
الله تعالى روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاوثان التي كانت
في قوم نوح عليه السلام انتقلت الى العرب اما ود كانت بدومة الجندل
لكلب وسواع كانت لهذيل ويغوث لمراد ثم لبني غطيف بالجرف ويعوق
لهمدان ونسر لحمير لآل ذي الكلاع * وقد اضلوا كثيرا * الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله
رب انهن اضللن كثيرا * ولا تزد الظالمين الا ضلالا * واللام للعهد وجه الى اولئك
الذين ايس من ايمانهم والرضا بكفرهم بعد ومع استقباحه قصدا الى زيادة
عذابه لا غرو فيه الا يرى الى قول موسى عليه السلام ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم وقيل اراد في ترويج مكرهم لا الضلال والضياع والهلاك كقوله ان المجرمين
في ضلال وسعر * مما خطيئاتهم * اي لاجل خطيئاتهم وما مزيدة للتوكيد
اغرقوا * بالطوفان وقرا ابو عمرو خطاياهم وهذا احسن لانه جمع الكثرة والآية
يحتاج الى التاويل * فادخلوا نارا * اي تعقب الغرق دخول النار من غير
تراخ والمراد عذاب القبر لانها روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
والتنكير للتعظيم او النوع * فلم يجدوا لهم من دون الله * دون عذابه * انصارا *
كما كانوا يزعمون انتصر من الآلهة * وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا * وديار من الالفاظ المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار اي احد
من الدور او من الدار فيعال قلبت واوه ياء وادغمت الاولى ولو كان فعالا
لكان دوارا * انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا *
قال ذلك بعدما اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
واتفاق جربهم الف سنة الا خمسين عاما وكانوا يتواصون بعدم الايمان
ويقولون لذريتهم آباكم وهذا الشيخ ومضى على هذا جيل بعد جيل والفاجر الكفار

للمولود

للمولود باعتبار الآل كقوله من قبل قتيلا * رب اغفر لي ولوالدي * كان ابوه
لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش * ولمن دخل بيتي مؤمنا * او مسجدي
او سفينتي * وللمؤمنين والمؤمنات * من مضى منهم ومن هو آت * ولا تزد
الظالمين الا تبارا * هلاكا ومواراة تمت سورة نوح والحمد لمن بيده الخيرات
والفتوح والصلوة على السيد الممدوح واله وصحبه كل مسا وصبوح

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلثة الى العشرة والجن
احد الثقلين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بعث الى الانس
فدعاهم الى الله تعالى فمنهم من آمن ومنهم من كفر وهؤلاء النفر هم الذين سمعوا
القرآن من رسول الله عليه السلام وهو يصلي الصبح ببطن نخلة كما تقدم في آخر
الاحقاف ولا دلالة فيه على انه لم ير الجن وليلة الجن رواها ابن مسعود رضي الله عنه
وروى جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قرأت عليهم سورة الرحمن فكانوا
احسن مردودا منكم والقول بانها ارواح مجردة او نفوس بشرية مفارقة
عن ابدانها لا يجوز تغيير كلام الله بها ولم يذهب اليه احد من اهل الحق مخالف
للنصوص * فقالوا * بعدما انصرفوا الى قومهم * انا سمعنا قرآنا عجبا * بديعا
ومعناه وصفه بالمصدر مبالغة * يهدي الى الرشد * الى الحق * فآمنا به * بما
فيه من التوحيد * ولن نشرك بربنا احدا * ولا دلالة فيه على انهم كانوا
مشركين بل كانوا يهودا لقولهم انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى * وانه
تعالى جد ربنا * عظمته من جد فلان عظم او معناه مستعار من الجد بمعنى البخت
والغرض وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد * وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا
بيان لذلك وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ان المسبوق بالواو
بفتح الهمزة في اثني عشر موضعا متوالية والباقون بكسرها ووافقهم على
في وانه لما قام عبد الله ابن كثير وابو عمرو واتفق الكل على فتح وان المساجد
لله والوجه في الفتح العطف على الهاء في آمنا به من غير اعادة الجار على مذهب
الكوفي او على محل الجار والمجرور او الاتصال بعد الحذف او اضمار الجار * وانه
كان يقول سفيهنا * ابليس او مردة الجن * على الله شططا * قولا ذا شطط
وصف بالمصدر مبالغة والشطط تجاوز الحد * وانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا * نصب على المصدر لان الكذب نوع من القول
ولا دلالة فيه على انهم الى حين سماع القرآن كانوا مشركين * وانه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الجن * كان الرجل من العرب اذا نزل بارض
نازحة يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه * فزادوهم

رهقا: فزاد الانس الجن تكبرا وعتوا باستعاذتهم بهم او بالعكس لزيادة
اغوائهم الانس بالاستعاذة والرهق غشيان المحارم واطلاق الرجل على ذكر
الجن للمشاكلة: وانهم ظنوا كما ظننتم: القائل الجن بعضهم لبعض والضمير في
انهم للانس وبالعكس لا معنى له في السياق في حكاية كلام الجن وقيل الاية والتي
قبلها من كلام الله تعالى جار مجرى الاعتراض لتؤكد ما حدث منهم من تماديهم في
الكفر وقراءة الفتح لتأييد الاول: ان لن يبعث الله احدا: ساد مسد مفعولي
ظنوا: وانا لمسنا السماء: اللمس المس مجاز عن الطلب لان الماس طالب
متعرف لمعنى طلبنا خبر السماء وبلغ ما كنا نفعله قديما: فوجدناها ملئت حرسا:
حرسا اسم جمع كخدم لخادم: شديدا: قويا افرده باعتبار اللفظ: وشهبا:
جمع شهاب وهو الشعلة من النار: وانا كنا نقعد منها: من السماء: مقاعد
خالية عن الحرس للسمع للاستماع: فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا:
هو كالحرس اسم جمع اي ذوي شهاب راصدين للرجم وهم الملائكة ويجوز
ان يكون بمعنى الراصد صفة للشهاب كانت الشياطين تسترق السمع
قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرجم بالشهاب لقوله تعالى ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ولما روي ابن عباس
رضي الله عنه كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بنجم فاستنار فقال
ما كنتم تقولون في هذا في الجاهلية قلنا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم وفي
لفظ ملئت ومقاعد اشارة الى ان ذلك قبل البعثة كان قليلا وانما الآن
فلا مجال: وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض: بحراسة السماء ام اراد بهم
ربهم رشدا: اي ارادة رشد: وانا منا الصالحون: الابرار المتقون: ومنا
دون ذلك: وهم المقتصدون: كنا طرائق قددا: ذوي مذاهب متفرقة
جمع قدة كقطع وقطعة وعن ابي معاوية قال سمعت الاعمش يقول قلت
لجني فيكم الاهواء التي فينا قال نعم قلت كيف حال الرافضة قال هم شرنا
وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض: كائنين في الارض اينما كنا: ولن نعجزه
هربا: هاربين منها الى السماء او ان طلبنا في الارض لم نفته وان هربنا منه
لم ننج والظن بمعنى اليقين لكونه كلام الموقنين: وانا لما سمعنا الهدى القرآن
كانوا كاملي المعرفة حيث جعلوا القرآن نفس الهدى: آمنا به: من غير توقف
فمن يؤمن بربه فلا يخاف: اي فهو لا يخاف آثره على لا يخف لافادة التقوي
والاختصاص كانه قيل فهو ناج لا محالة ومختص بذلك: بخسا ولا رهقا
البخس النقص والرهق الفرق من الشيء ومنه الصبي المراهق والمعنى
ان المؤمن لاجتنابه البخس والظلم الناس لا يخاف جزاءهما وكان اصل الكلام

ومن لا يبخس احدا ولا يرهق ظلمه فوضع قوله ومن يؤمن موضعه اشارة الى ان حق
المؤمن وشانه ان يكون كذلك او المعنى ان المؤمن لا يخاف نقصانا في جزائه
ولا ان يرهقه ذلة وغير المؤمن كلما فيه عين البخس لا البخس حق: وانا منا
المسلمون ومنا القاسطون: الجائرون عن طريق الحق: فمن اسلم فاولئك
تحروا رشدا: اي رشد: واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا: توقد بهم
كما توقد بكفار الانس: وان لو استقاموا على الطريقة: عطف على انه استمع
من كلام الله تعالى الموحى اليه وان مخففة حذف منها ضمير الشان والضمير
للانس والجن او لهما والطريقة التوحيد والاسلام: لاسقيناهم ماء غدقا:
لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء لعزة وجوده في ارض العرب ولانه
اصل سائر الاقوات والثمار والغدق الكثير: لنفتنهم فيه: لنختبرهم
في ذلك التوسيع ايشكرون ام يكفرون وقيل لو استقاموا على ما كانوا
عليه ولم يؤمنوا لوسعنا عليهم الرزق استدراجا: ومن يعرض عن ذكر ربه
عن عبادته لان الغرض منها ذكر المعبود: يسلكه عذابا صعدا: اي في عذاب
كقوله واختار موسى قومه او ضمن معنى يدخله والصعد مصدر صعد
وصف به مبالغة في علوه على المعذب كقوله تطلع على الافئدة وقرأ
غير الكوفيين بالنون موافقة لاسقيناهم: وان المساجد لله: من
الموحى اليه ليس من كلام الجني: فلا تدعوا مع الله احدا: خطاب للجن كانه
قيل قل للمشركين في مكة او اوحي الي كذا وان اقول للجن كذا وفي ضمن الحكاية
اثبات الحكم للمشركين ايضا ويجوز ان يكون الخطاب للمشركين او عاما
للانس والجن وعن سيبويه والخليل ولان المساجد لله فلا تدعوا مع الله
احدا والوجه فيه ان يكون كلاما مستطردا عقيب وعيد المعرض وعن الحسن
المساجد الارض كلها لقوله عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وقيل المسجد
الحرام لانه قبلة المساجد فالجمع للتعظيم وقيل اعضاء السجود وهي سبعة
الرجلان والركبتان واليدان والجبهة والانف وهذا اوجه لان فيه تذكيرا
لكون المنعم بها وان الحكمة في خلقها خدمة المعبود والتعبير بالمساجد لله
اشارة الى ما خلقت له: وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون
عليه لبدا: اي لما سمع الجن تلاوة رسول الله عليه السلام ببطن نخلة كادوا يدخل
بعضهم في بعض من الازدحام عليه حرصا على السماع منه كل شيء الصقته
الى آخر فقد لبدته او قال الجن لقومهم لما قام عبد الله كادوا اصحابه ان يكونوا
عليه لبدا من شدة طواعيتهم وعن الحسن كادت العرب تلبد عليه
لما قال لا اله الا الله وعن قتادة كاد الانس والجن تلبد عليه وعلى

اطفاء نوره ثم الوجه على قراءة الكسر ان يكون استئنافا ابتداء قصة لبيان
حال الرسول عليه السلام مع المشركين كانه قال له قل اوحي الي من حال الجن
وايمان بعضهم وكفر آخرين وفي ذلك حث للسامعين على الايمان ولطف
بهم ثم ابتدأ بقوله انه لما قام عبد الله يدعوه ويوحده كاد الفريقان يكونون عليه
لبدا عنادا او روما لاطفاء نوره مع ما تلا عليهم من الآيات الباهرة والدلائل
النيرة والظاهر لما قامت تدعوه فالعدول الى المظهر وايثار عبد الله على الرسول
والنبي لانه واقع في كلامه فيؤدي به الى ما يقتضيه التواضع او اشارة الى ان العبادة
من العبد لا يستبعد فما لهم ينكرون ذلك فيقبل كلامه نحو اخفافا بنفسه عن البين
اذ لا اعتداد بالاثر بعد العين وقرأ هشام في وجه لبدا بضم اللام جمع لبدة كغرفة
وغرب والكسر جمع لبده خفف قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فما
للانكار وجه على من يعبده ربه وقرأ عاصم وحمزة قال على منوال قام وعليه رسم الامام
وهذا ابلغ في مدحه لقيامه بالجواب من غير تعلم قل اني لا املك لكم ضرا ولا
رشدا اي نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه
او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد اذ جملة معترضة
لبيان عجزه وتاكيد نفي الاستطاعة فكيف يقدر من هذا شانه على نفع احد وضره
ولن اجد من دونه ملتحدا ملاذا او ملتجئا من اللحد وهو الميل الا بلاغا من الله
كان منه استثناء متصل اي قل لا املك شيئا الا بلاغا وان قيد بلا
املك ان اجيركم على الغي والرشد كان منقطعا او من باب ولا عيب
فيهم غير ان سيوفهم ورسالاته عطف على بلاغا بتقدير مضمر اي بلاغ رسالاته
والاصل الا بلاغ رسالات الله والعدول الى المنزل بذكر البلاغ قرينين مبالغة
لان كونه من الله وكونه بلاغ رسالاته مما يقتضي النشر له ومن يعص الله ورسوله
ولم يبلغ امرهما بالتوحيد فان له نار جهنم لا محالة خالدين فيها ابدا جمعه على معنى
الجمع في من حتى اذا راوا ما يوعدون غاية لقوله يكونون عليه لبدا ان فسر
بالتلبد على العداوة والا فلمقدر اي لا يزالون يستضعفون حاله ويستقلون
عدده حتى اذا راوا يوم بدر او يوم القيمة تبين لهم من المستضعف دل عليه
جواب اذا وما قبله لان السورة من فاتحتها تعريض بمشركي مكة وتعيير لهم بتقاعد
نظرهم عن الجن وفرط تمردهم حيث بادهوا بالتكذيب بدل مبادرة الجن
بالتصديق فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادري
اقريب ما توعدون جواب قولهم متى يكون هذا الوعد ام يجعل له ربي امدا
اي هو كائن لا محالة ولا اعلم وقته وان مد يطلق على القريب والبعيد واريد
به الشك في تعريفه المقام كانه قال لا ادري ايقع في الحال ومن قريب او ضرب

له امد

له امد بعيد عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا اي هو عالم الغيوب كلها
ولا تطلع على غيره المختص به وهو ما يتعلق بذاته وصفاته وافعاله الا من
ارتضى من رسول ملكي او بشري فانه يطلع على ما يشاء من ذلك ولا
دلالة في هذا على ان غير ذلك المختص لا يطلع عليه غير الرسول ولا يجوز حمله
على العموم لاستلزامه ان يكون رسول مطلع على جميع المغيبات ولا
دلالة في الآية على بطلان الكهانة والتنجيم ولا على ان كرامات الاولياء
يكون تلقيا من الملائكة ولا تخصيص الرسول بالملك على ان قوله فانه
يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا اي ملائكة يحفظونه من تخاليط
الشياطين ظاهر في ان المراد بالغيب ما هو بطريق الوحي ليعلم ان قد
ابلغوا رسالات ربهم علة لقوله يسلك من بين يديه ومن خلفه
رصدا اي ليتعلق علمه تعالى بابلاغ الرسل ما اوحي اليهم صافيا عن تخاليط
الشياطين او ليعلم الرسول ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون
واحاط بما لديهم لدى الرسل من الشرائع والاحكام واحصى كل شيء
عددا كلها دخل في الوجود منه اي بما لم كان ومن هذا شانه كيف يخفى
عليه خافية وكيف لا يحيط بما لدى الرسل تمت سورة الجان والحمد
لملك المنان والصلوة على خلاصة الانسان واله وصحبه الى انصرام الزمان
سورة المزمل مكية وهي عشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم يا
ايها المزمل اي المتزمل وهو المتلفف في ثيابه ادغمت التاء في الزاء
روى ابو بكر البزار عن جابر ان مشركي مكة لما اختلفوا شاعرا وساحرا
وكاهن او مجنون تزمل في ثيابه في بيته حزينا فاتاه جبريل وقال يا ايها
المزمل آخر له بان ينهض الى القيام في عبادة ربه في اشرف الاوقات
وهو الليل الخالي عن الشواغل وفيه تلطيف العتاب الممزوج بالرافة
لينشط ويستعد لتلقي ما ياتي من قوله انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا وما قيل انه كان متزملا في مرط لعائشة نصفه عليه ونصفه آخر
على عائشة رضي الله عنها لا وجه له اذ السورة من اوائل القرآن نزولا
وعائشة لم تكن موجودة فضلا عن كونها عنده وكذا القول بانه اول
ما اتاه جبريل اتى خديجة وقال زملوني فبينا هو كذلك اذ ناداه
جبريل فناداه يا ايها المزمل بل كان هذا بعد فترة الوحي لما راى جبريل
قاعدا على كرسي من السماء والارض فرجع الى خديجة فنزل يا ايها المدثر
قم الليل الا قليلا نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء منه
اي قم اقل من النصف على البت او انقص منه او زد عليه

انقص النصف او زد على التخيير وان كان الاقل من النصف هو الاصل كرر
كقولك اكرم زيدا واما عمرا فان قلت اذا كان التخيير بين الاقل من النصف
على البت وبين احد الامرين النقصان عن النصف والزيادة عليه فقد خرج
النصف عن الاقسام وقرأ الكوفيون وابن كثير ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه بنصبه تدل على انه كان تقوم تارة نصف
الليل قلت الضمير في منه وعليه للنصف واذا جاز له الزيادة على النصف
فقد جاز له النصف لانه اذا جاز له الاقل جاز له النصف ليلزم بهذا
ذكر الزيادة او نصفه بدل من قليلا فالتخيير بين امور ثلثة قيام النصف
بالعلة بالنظر بتمامه وقيام الناقص منه وقيام الزائد عليه وعلى هذا الحذف
النصف بالعلة بالنظر الى الكل وفيه اشارة الى ان النصف المعمور بالعبادة
وذكر انه تعالى جعل الليل والنصف الخالي عنه بذر قليل وان ساواه كما يجوز
ان يكون الضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث والتخيير بينه
وبين الاقل منه كالربع والزائد عليه كالنصف وعن الاخفش نصفه عطف
على الليل بتقدير اي قم الليل الا قليلا او قم نصفه او ثلثه او ثلثيه فالتخيير بين
اربعة امور روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها ان قيام الليل كان فرضا
باول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم حولا
حتى انتفخت اقدامهم واصفرت وجوههم فنسخه آخر السورة فصار
تطوعا وعن ابن جبير نسخ بعد عشر سنين وقيل نسخ عن الامة فقط
ورتل القرآن ترتيلا اقرأه على تمهل وتؤدة ليتمكن من التأمل والتدبر في
دقائقه وحكمه فيكون قيام ناشئة الليل الذي اشرف الاوقات على اكمل
الاحوال اشبه القراءة المتصلة باسنان المرتل هو المفلج الشبيه بالاقحوان انا
سنلقي عليك قولا ثقيلا اعتراض دل به على ان قيام الليل من التكاليف
الشاقة التي ورد بها القرآن لان الليل محل الراحة فاحياؤه بالعبادة
مضاد للطبع وفيه ايقاظ له على التشمر لتحمله وتوطين النفس على المكابدة
في تبليغه وتحمله روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها رايته في اليوم الشديد
البرد ينزل عليه الوحي وان جبينه ليتفصد عرقا وقيل ثقيل في الميزان
او على الكفار او على المتأمل لافتقاره الى اتعاب القريحة في استنباط
معانيه او ثقيل تلاوته على الوجه المنزل ولذلك خفف عن هذه الامة
بالقراءة على سبعة احرف او على الراسخين لاشتماله على المحكم والمتشابه
والناسخ والمنسوخ وعلى الوجه الجملة تعليل للامر بقيام الليل لانه يعد للنفس
ما به تعالج ذلك الثقل ان ناشئة الليل قيامه مصدر نشأ قام

بالجثة

بالجثة وقيل ساعاته لانها تحدث واحدة اثر اخرى وقيل النفس التي تنشأ
عن المضجع وترتفع من نشأت السحابة ارتفعت وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اول الليل وعن ابن عمر من العشاء الى الصبح اي وقت كان وعن علي والحسن
رضي الله عنهما بين العشائين وعن عائشة ومجاهد رضي الله عنهما الصلوة بعد
النوم وهو الاصوب لمداومة رسول الله صلى الله عليه وسلم على القيام بعد النوم لقوله
هي اشد وطأ اي موافقة للحواس مع القلب على التوجه لعدم الشاغل
وعن القرآءة اشق واكثر علاجا لترك الراحة وعن الاخفش اثبت قياما
وقرأ الكوفيون ونافع وابن كثير وطأ بفتح الواو وسكون الطاء من وطأهم
وطأ ثقل عليهم ومنه قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر
والمداهن واوفق بتقوله واقوم قيلا اي اصح قرآءة لهدو الاصوات
وعدم الخواطر والالتفات ان لك في النهار سبحا طويلا فراغا او متقلبا
في معاشك فتوفر بالليل من عبادة ربك مستعار من سبح الفرس وهو
مد اليدين في الجري والطول ترشيح واذكر اسم ربك ودم على ذكره في كل
الاوقات واستغرق في ملاحظة المذكور لتحظى بالزلفى والقرب عنده
وتبتل اليه تبتيلا وانفصل بالكلية عن الدنيا او عن وجودك لتبقى بوجوده
الباقي ولما كان المطاوع والمطاوع واحدا في الخارج ذكر التبتيل موضع التبتل
مراعاة للفاصلة وقيل لانه معنى تبتل تبتل نفسك رب المشرق والمغرب
لا اله الا هو مبتدأ وخبر او خبر مبتدأ محذوف ولا اله الا الله خبر آخر وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي وشعبة رب بالجر بدلا من ربك وعن ابن
عباس رضي الله عنه جرا باضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو فاتخذه
وكيلا متفرع على التوحيد اي اذا انفرد بالالوهية فاجعل امورك موكولا
اليه او اجعله كفيلا ينصرك واصبر على ما يقولون فيك وفيما انزل اليك
واهجرهم هجرا جميلا اعرض عنهم وجانب من غير مقاولة ولا مقاتلة نسخت
باية السيف وذرني والمكذبين فانا كافيك امرهم كلام من يكون واثقا
بالوفاء متمكنا منه اقصى التمكن ولذلك ابرزه في صورة المنع عن الاستكفاء
اولي النعمة التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يريد المترفين من صناديد
قريش المغترين بالحطام المانعين اتباعهم عن الدخول في الاسلام ومهلهم
قليلا امهالا قليلا او زمانا قليلا ان لدينا انكالا جمع نكل القيد
الثقيل وجحيما نارا شديدة الحر والاتقاد وطعاما ذا غصة اخذ بالحلق
نشب لا يساغ وعذابا اليما نوعا آخر لا يعرف كنهه الا الله يوم ترجف
الارض والجبال تضطرب وتتزلزل منصوب بما في لدينا من معنى الفعل

وكانت الجبال كثيبا مهيلا: رملا مجتمعا من غير مقدار ومقياس من
هلت الدقيق اذا ارسلته من غير كيل: انا ارسلنا اليكم رسولا
شاهدا عليكم: الخطاب للمكذبين التفات حسن الموقع: كما ارسلنا
الى فرعون رسولا: اي عصيتموه كما عصاه فرعون ولم يسمه لان
الغرض عصيان الرسول كائنا من كان: فعصى فرعون الرسول:
اعاده معرفة لتقدم ذكره ولا يخفى ان تشبيه عصيانهم بعصيان فرعون
ينبئ عن فرط عتوهم ولهذا الرسول كونه شاهدا عليهم ليكون
عصيانه ابلغ في الذم واشار به الى انهم لو آمنوا به كان شاهدا
لهم لا عليهم: فاخذناه: في الدنيا: اخذا وبيلا: ثقيلا ومنه الوابل
للمطر العظيم القطر اصله الوخامة يقال مرعى وبيل: فكيف تتقون:
ان كفرتم يوما: مفعول به اي هب انكم لا تؤاخذون في الدنيا اخذة
فرعون فكيف تتقون انفسكم هول يوم: يجعل الولدان شيبا: كناية
عن شدته اذ عند تفاقم المصائب يسرع الشيب قال ابو الطيب
والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم او عن طوله
وفي ايثار ان مع القطع بوجود الكفر واستمراره منهم اشارة الى ان
وجود الكفر مع هذا الرسول الذي هو النور المبين ينبغي ان يكون على
الفرض والتقدير او المعنى فكيف تتقون الله في ذلك اليوم بعد فوات
الوقت ففيه حث على الاقلاع قبل ان لا ينفع الندم او فكيف ترجى
منكم التقوى وانتم جاحدون ذلك اليوم والمجازاة فيه: السماء منفطر
منشق والتذكير باعتبار السقف: به: اي بذلك اليوم لشدته وهوله:
كان وعده مفعولا: لا محالة والضمير لله او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول
ان هذه: الآيات: تذكرة: موعظة لمن يعتبر بها: فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
موصلا اليه: ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه
وثلثه: لما نزل اول السورة كان الرجل يحتاط في تقدير الاوقات
ولا يدري من الثلث والنصف والثلثان فشق ذلك عليهم فنزلت
واستعار الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا
قربت قلت الاحياز وقرأ الكوفيون نصفه وثلثه بالنصب عطفا
على ادنى وهو المختار لدلالته على انهم قاموا بافضل ما وقع فيه التخيير
الاحد بجلالة منصبه على ذاته افضل الصلوة وقرأ هشام باسكان لام
ثلثه تخفيفا: وطائفة من الذين معك: من اصحابك: والله يقدر
الليل والنهار: لا يعلم تقدير ساعاتهما وضبط مقدارهما غيره علم ان لن

تحصوه

تحصوه: اي تقدير الاوقات لاختصاص ذلك به تعالى: فتاب عليكم: رفع
عنكم ما كان تركه معصية: فاقرؤا ما تيسر من القرآن: في صلوة الليل واي
وقت كان امر ندب: علم ان سيكون منكم مرضى: استئناف لبيان
حكمة اخرى اقوى من الاول تقتضي الترخيص ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه
وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله: الضرب في الارض
لابتغاء فضل الله المسافرة للتجارة: وآخرون يقاتلون في سبيل الله
اخبار عما يكون مستقبلا بالاعجاز لان الآية مكية وتسويته بين الضارب
في الارض للتجارة والمجاهد في سبيل الله دلت على ان طلب الرزق اذا قرن
بالنية الصالحة له مكان عند الله تعالى كيف وقد قدمه على المجاهد ولذلك
روي عن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي
من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغاء فضل الله: فاقرؤا
ما تيسر منه واقيموا الصلوة: المفروضة فرضت ليلة الاسرى بمكة بعد خمس
من البعثة على الاصح: وآتوا الزكوة: قدرها من المال كان فرضا بمكة وتقرر المقادير
بالمدينة: واقرضوا الله قرضا حسنا: انفقوا في سبيله على وجه الاخلاص يتناول
المفروض والمسنون بل سائر اعمال البر بدنيته وماليته: وما تقدموا لانفسكم
من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا: من تاخيره الى حين الموت والوصية
لقوله الصدقة ان تصدق وانت صحيح شحيح ترجو الغنى وتخشى الفقر ولا تمهل حتى
ان يبلغ الحلقوم ثم تقول لفلان كذا وعن الزجاج خيرا من متاع الدنيا وهو
اعظم اجرا: واستغفروا الله: لما فرط منكم لان الاستقامة متعذرة او متعسرة
ان الله غفور: للذنوب: رحيم: يجعل مكانها الحسنات: تمت سورة المزمل
والحمد للرحيم المتفضل والصلوة على الكامل المكمل سورة المدثر مكية وهي ست
وخمسون آيات بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر: ما يلي الجلد
من الثياب يسمى شعارا وما فوقه دثارا ومنه قوله عليه السلام الناس
دثار والانصار شعار واول هذه السورة اول ما نزل بعد فترة الوحي
لما روى مسلم والبخاري عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث
عن فترة الوحي فبينا انا امشي سمعت صوتا فرفعت بصري قبل السماء
فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئثت
منه حتى هويت الى الارض فجئت اهلي فقلت زملوني فانزل الله تعالى
يا ايها المدثر قم فانذر الى فاهجر ولم يقع ذكر حراء في بعض الروايات ويظن انها اول
سورة نزلت وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه ان قريشا لما قالت
في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وقال بعضهم ساحر تدثر في ثيابه حزينا فانزل

الله يا ايها المدثر ولا منافاة بينهما لامكان وقوع الامرين معا فاقول اقرا كان
نبوة واول هذه كان ارسالا ثم قم فانذر اي قومك لقوله وانذر عشيرتك
الاقربين او افعل الانذار وهذا ابلغ وربك فكبر صفه بالكبرياء وحده وقيل
لما نزل كبر رسول الله وكبرت خديجة وايقنت انه الوحي اذ الشيطان
لا يامر بالتكبير وحمله على تكبير الصلوة بعيد وثيابك فطهر فقصرها وهذا اول
ما امر به من مخالفة قومه فانهم كانوا يجرون الثياب على الارض خيلاء او طهرها
من النجاسة لانه الواجب في الصلوة والاحب في غيرها او اخلاقك
عما يذمها من الرذائل والرجز فاهجر هو العذاب لقوله لئن كشفت
عنا الرجز اريد به ما يؤدي اليه اي دم على ترك الاوثان وهجران الآثام والفاء
اجوبة لشرط كانه قيل ومهما يكن فكذا وقرا حفص بضم الراء وهما لغتان
والكسر اشهر ولا تمنن تستكثر لا تعط شيئا حال كونك تعده كثيرا
الاحتقار متاع الدنيا وان جل وقيل لا تعط مستكثرا اي طامعا ان
تعوض اكثر مما بذلته وهو من خواصه لقوله عليه السلام المستغزر يثاب
من هبته او نهي تنزيه ولربك فاصبر لوجهه وانقيادا لامره واستعمل
الصبر في مشاق التبليغ واذى الكفار فاذا نقر في الناقور نفخ في الصور
سمي ناقورا لما روي ان فيه بعدد كل روح نقرة بناء مبالغة كالكابوس والفاء
للسببية اي اصبر على اذاهم الى زمان يلقى فيه عاقبة صبرك ويلقون فيه عاقبة
صبرهم والعامل في اذا ما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين
فذلك مبتدا ويوم عسير خبره ويومئذ ظرف اي فذلك الوقوع وقوع يوم
فان زمان ليس مظروف الزمان ويجوز ان يكون يومئذ مرفوع المحل من ذلك
غير يسير فائدته التعريض بحال المؤمنين وانها يسير وحال الكفرة كما في قوله لا
بارد ولا كريم وفي ذلك زيادة غيظ لهم او عسير حالا ومالا بخلاف عسر
الدنيا فانه سريع التبدل ذرني ومن خلقت وحيدا اطبقوا على انه الوليد
ابن المغيرة المخزومي حال من الفاعل اي دعني وحدي معه في الانتقام ففي
كفايته او خلقته وحدي لم يشركني احد في خلقه والاحسن جعله حالا من
المفعول اي خلقته منفردا عن المال لقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة ولقوله وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا من كل نوع كان صاحب
الضرع والزرع قيل كان له بستان في الطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء
وكان يملك الف الف وبنين شهودا معه المجالس والمحافل وله بهاء
ورونق او شهودا عنده لعدم ترددهم في اسباب المعاش استغناء
بالخدم فهو يتمتع بهم ليلا ونهارا قيل كانوا عشرة وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة

ومهدت له تمهيدا من سائر اسباب الرياسة والجاه العريض ثم يطمع
ان ازيد لكان يقول ان كان محمد صادقا فالجنة لي او يطلب ان ازيد له
في الدنيا فوق ما هو فيه كلا ردع له وعلله بقوله انه كان لآياتنا عنيدا كافرا
مكابرا من غير شبهة وذلك موجب لزوال النعمة فكيف يجعل سبب الزيادة
قيل بعد نزول هذه الآية لم يزل في نقصان حتى ذهب الى سقر قيل اسلم من اولاده
خالد وعمار والوليد ولم يصح الاسلام الا خالدا اما عمار فقتل يوم بدر او قتله النجاشي
لما ارسله قريش مع عمرو بن العاص بعد بدر لخيانة نسبت اليه والوليد
مختلف فيه سارهقه صعودا ساكلفه مشقا عليه طلوعه في جبل
من النار طوله سبعون خريفا اذا وضع يده ذابت واذا رفعها عادت
وعن ابن عباس رضي الله عنه هو صخرة في جهنم وقيل هو مثل لما يلقى في الشدة
انه فكر وقدر بدل او بيان لقوله انه كان لآياتنا عنيدا او تعليل لارهقه
صعودا لا يعاد في التكلم وعرضه على نيل ما يقدح به في كلام رب العزة
فقتل كيف قدر تعجيب من فعله وتقديره كقوله فاتلهم الله انى
يؤفكون او ثناء عليه تهكما نحو قاتله الله ما اشجعه او حكاية ما قالوه لما
سمعوا كلمته الحمقاء ثم قتل كيف قدر تعجيب ابلغ من الاول
لانه صدر عن روية بخلاف الاول فانه نشأ عن النظرة الاولى وهي
حمقاء وفي هذا الترقي غاية تهكم به بعين مختبر بما تفوه به ثم نظر في امر
القرآن او في وجوه الناس ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد طعنا
شافيا وبسر كلح من البسور وهو الكلوح من توابع عبس
او من بسر الرجل طلب الحاجة في غير موضعها حيرة ثم ادبر عن الحق
واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة
على انه لما ظفر بها لم يتمالك ان هذا الا قول البشر من سياطير الاولين لم
يدخل العاطف لانه توكيد للاول او بيان عن ابن عباس رضي الله عنه لما سمع
الوليد القرآن قيل سمع حم السجدة يتلوه رسول الله عليه السلام قال ان له
حلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وانه ليعلو
ولا يعلى فلما سمعوه قالوا لابن اخيه ابي جهل صبا الوليد فجاء وجلس اليه ولامه
على ما بدا منه فقال فماذا اقول والله ما منكم اعلم بالاشعار من رجزه
وقصيده ومن اشعار الجن ولا يشبه شيئا من ذلك فقال لا يرضى
قومك حتى تقول فيه ففكر وقدر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ساصليه
سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر لا تبقي سالا
ولا تذر ولا تدعه بعد احراقه واعدامه او لا تبقي شيئا من الاشياء ولا تذره

كهذه النيران بل تهلك كل رطب ويابس وهذا اوجه والصفة لقوله وما ادراك
ما سقر والمسوق للتهويل لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد كالليل البهيم
من لوحته الشمس غيرته وسفعته وعن الحسن لواحة للبشر شديدة
الظهور كقوله تبرز وتهاعين الثقلين عليها تسعة عشر يلي امرها تسعة عشر ملكا
وقيل صنفا او صفا او نقيبا وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة لانهم
خلاف جنس المعذب من الجن والانس فلا ياخذهم رافة لعدم رقة الجنسية
ولانهم اطوع خلق الله تعالى لتنفيذ اوامره واشد غضبا له واقواهم عن عمرو بن
دينار رضي الله عنه ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من
ربيعة ومضر وروي مرفوعا ان لاحدهم قوة الثقلين فيسوق امة الى النار
على عاتقه جبل فاذا القاهم في النار القى الجبل وراءهم وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا لما سمع ابو جهل تسعة عشر قال اثكلتكم امهاتكم ايعجز كل عشرة
منكم ان يبطش بواحد منهم فقال ابو الاشد كلدة بن اسيد بن خلف انا
اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين وكان بلغ من قوته انه يقف
على جلد البقر ويجاذبه عشرة فيتمزق الجلد تحت رجليه ولا يقدرون على نزعه
قال السهيلي دعا رسول الله الى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك
فصرعه مرارا فلم يؤمن والمعنى ما جعلنا عدتهم الا العدد المخصوص الذي
اقتضى فتنتهم واستهزاءهم ليستيقن الذين اوتوا الكتاب لتوافق
الكتابين في هذا العدد على حذف العاطف اي وليستيقن او تعبير عن
المؤثر وهو تسعة عشر بالاثر وهو فتنة للذين كفروا اشارة الى ان
هذا الاثر من لوازم ذلك المؤثر ويزداد الذين آمنوا ايمانا اذا صدقوا
بذلك واذا راوا تسليم اهل الكتاب لهذا العدد ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون تصريح بما علم ضمنا توكيدا وليقول الذين
في قلوبهم مرض نفاق اخبار بالغيب عما يكون لان السورة مكية و
النفاق انما نجم بالمدينة او الشك والارتياب وكان اكثر المشركين
كذلك والكافرون غير المنافقين او الشاكين وانما عطف قول المنافقين
والكافرين على الاستيقان مع كون المعطوف عليه غرضا دون المعطوف
لان اللام للعلة والعلة لا يلزم ان يكون غرضا كقولك خرجت من البلد
مخافة الشر ماذا اراد الله بهذا مثلا تمييزا او حال استعار العدد
الخزنة لفظ المثل المضروب لكونه غريبا عندهم بديعا كذلك يضل الله
من يشاء ويهدي من يشاء والكاف في محل النصب اي مثل ذلك
الاضلال المذكور والهدى يضل الله الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم

جنود

جنود ربك الا هو لفرط الكثرة فليس تخصيص الخزنة بهذا العدد الا لحكمة اقتضته
لعدد السموات والارضين وحملة العرش وما هي الا ذكرى للبشر متصل بوصف
سقر وقوله وما جعلنا اصحاب النار اي وما هي الا اعتراض يؤكد بعضه بعضا
زيادة في تهويل جهنم اي وما سقر او وما صفتها او وما الايات المذكورة فيها
الا تذكرة لهم كلا ردع لتذكرهم اي وان جعلت تذكرة فهم لا يتذكرون او
ردع لمن انكر ان يكون احدى الكبر والقمر والليل اذ ادبر اي ولى قال الزجاج
يقول قريش قبل الشتاء ودبر جاء وذهب ومنه امس الدابر وغيرهم
اقبل وادبر وعن يونس ادبر تولى ودبر انقضى وقرأ نافع وحمزة وحفص
اذ بسكون الذال وادبر بهمزة القطع والرسم لا يختلف لوجود صورة
صورة الالف في القراءتين والمختار اذا للغة قريش ولقوله والصبح
اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم
معترض والضمير لسقر والكبر جمع كبرى والفعل ليس من ابنيته جمع فعلى بل
فعلة كغرفة وزهر الا ان الالف لحقت بالتاء كالقواصع في جمع قاصعاء
لالحاق الفها بتاء قاصعة والمعنى ان سقر من احدى البلايا التي لا توجد لها
نظيرة كقولك هند احدى النساء في العفاف وعلي احد الرجال في العلم
نذيرا للبشر تمييز من احدى اي احدى الكبر انذارا او حال عما دلت
عليه الجملة اي كبرت منذرة لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من
للبشر وان يتقدم او يتاخر مفعول شاء او مبتدا خبره لمن شاء اي
التقدم والتاخر ممكنان لمن شاء كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
كل نفس بما كسبت رهينة مصدر كالشتيمة والشريطة ولو كان صفة
لجرد عن التاء الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بالاعمال الصالحة وقيل
هم الملائكة او الاطفال في جنات حال من اصحاب اليمين والتنكير
للتعظيم يتساءلون عن المجرمين يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم
ما سلككم في سقر مع جوابه حكاية لما جرى بين المسؤل عنهم وبين الجناة
فاختصر الكلام لعدم اللبس والسؤال عن حالهم ما سلكهم في سقر مع كونه
معلوما لقصد التوبيخ ويحكي في الكتاب لطفا بالسامعين ومن فسر اصحاب
اليمين بالاطفال ايده بهذا السؤال لان الاطفال لا يعلمون موجب
ذلك قالوا لم نك من المصلين الداخلين في عدادهم ولم نك نطعم المسكين
المحتاج اي لم نطع امر الله تعالى ولم نشفق على خلق الله تعالى وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع كل مبطل
ونغوي مع كل غاو وكنا نكذب بيوم الدين وبعد ذلك كله كنا نكذب

بيوم الجزاء كقوله ثم كان من الذين آمنوا حتى اتانا اليقين الموت
لقوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين
لو فرض شفاعتهم اذ لا يشفعون الا لمن ارتضى فما لهم عن التذكرة معرضين
حال من المجرور كقولك ما لك قايما والتذكرة القرآن او هو وسائر
المواعظ كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة حمر الوحش مثل في النفار
من ادنى شيء والقسورة الاسد وعن ابن عباس الصائد وابن جبير
الرامي فوعلة من القسر كالجيدرة فيعلة من الجدر وكلاهما ملحق بالفعللة
وقرا ابن كثير وابو عمرو والكوفيون مستنفرة بكسر الفاء بمعنى نفرت واستنفر
مثل عجب واستعجب بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة
تنشر وتقرا وقالوا لن نؤمن حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه كلا
بل لا يخافون الآخرة ولذلك يتعنتون ويعاندون ولم يريدوا بقولهم
حتى تنزل علينا كتابا الا العناد ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين كلا حقا انه
تذكرة وان اعرضوا او الاول ردع عن اقتراحهم الآيات وهذا عن الآخر
فمن شاء ذكره من الذكر بضم الذال فعل القلب وما يذكرون الا ان
يشاء الله مشيتهم لقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله او ذكرهم
وقرا نافع تذكرون بالخطاب على الالتفات او قل لهم هو اهل التقوى
واهل المغفرة حقيق بان يتقى لعلو شانه وجدير بالمغفرة لسعة غفرانه
روى الترمذي وابن ماجه والامام احمد عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما تلاها قال اي انا اهل ان اتقى فمن اتقاني
ولم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له تمت بحمد الله والصلوة على افضل
خلق الله سورة القيمة مكية وهي تسع وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم
لا اقسم بيوم القيمة ولا صلة تزاد لتاكيد القسم مثلها في لئلا يعلم
لتاكيد العلم وقيل هذا انما يكون اذا وقعت في صدر الكلام كما في هذه السورة
وسورة البلد فهي للنفي والمعنى نفي ان يقسم بيوم القيمة لان الاقسام
بالشيء اعظام له يتوسل به الى تاكيد المقسم عليه وحاصله ان يوم القيمة
في نفسه اعظم من ان يعظم بالقسم ويجوز ان يكون لا ردا لقولهم
انما انت مفتر والمعنى اقسم بيوم القيمة لا النفس اللوامة وقرا ابن
كثير لاقسم على ان اللام جواب القسم ولا اقسم بالنفس اللوامة
هي المتقية التي تلوم النفوس المقصرة يوم القيمة على التقصير او نفس
السالكة التي تلوم نفسها اذا ترقت الى مقام اعلى فهي ابدا في

اللوم

اللوم او نفس آدم لانها بعد الجناية داومت على اللوم والحمل على الجنس استدلالا
بقوله عليه السلام ما من نفس برة وفاجرة الا تلوم نفسها يوم القيمة لا يلايم
الاعظام بالقسم وقيل النفس المطمئنة لانها تلوم الامارة اي في حال
الاطمئنان تلوم نفسها على ما فرط منها وجواب القسم محذوف اي لتبعثن
دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها قيل
نزلت في عدي بن ربيعة ختن الاخنس بن شريق سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن امر الساعة فاخبره فقال والله لو عاينت ذلك
لم اومن بك بلى قادرين على ان نسوي بنانه مع صغر العظام فكيف
بكبارها واذا قدرنا على الالطف الابعد عن العادة فعلى الغير اقدر ومآله الى
عدم التفاوت بين الاعادة والبدء وقيل معنى تسوية بنانه جعلها كخف
البعير دلالة على كمال القدرة والظاهر ان تخصيص البنان بالذكر لانه اعجب شيء
في الانسان واخص به من بين الحيوانات ثم في تقدير الكلام بالقسم بيوم
البعث والمبعوث فيه على تحقق البعث على اسلوب وثناياك انها
اغريض ثم ايثار الحسبان وهمزة الانكار مسندا الى الجنس والاتيان بحرف
الايجاب وايقاع قادرين حالا بعده من المبالغات في تحقيق المطلوب
وتهجين حال المعرض عن الاستعداد له ما يبهر عجائبه ويزداد رونقا وحسنا
بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه عطفا على ايحسب ترقيا في الانكار
لدلالته على ان ذلك الحسبان لمجرد ارادة الفجور وعلى الوجهين اضراب
عن الانكار عن حاله بما هو ادخل في اللوم كانه قيل دع الانكار عليه في ترديده
بالانكار وهو يريد الدوام على الفجور وعلى الوجهين فيه ايماء الى انه عالم بوقوع البعث
الا انه يتعامى يسال ايان يوم القيمة سؤال تعنت لا تقدم من انكاره
فاذا برق البصر تحير فزعا كانه نظر البرق فدهش بصره وقرا نافع برق بفتح
الراء اي لمع من البريق وعن الفراء هما لغتان والكسر افصح وخسف
القمر ذهب ضوءه وجمع الشمس والقمر في الطلوع من المغرب او في
النار يعذب بهما من عبدهما وتذكير الفعل لانه احد الجائزين وللموافقة خسف
ومقارنة القمر حسن يقول الانسان يومئذ اين المفر اين الفرار وبكسر الفاء
اسم مكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ واصله الجبل لانه يلتجأ اليه
في الغارات الى ربك خاصة يومئذ المستقر لا ملجأ غيره او الى حكمه ترجع
امور العباد او الى مشيئته استقرار فريق في الجنة وفريق في السعير ينبؤا
الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من ماله فتصدق وبما خلف او بما قدم
من الاعمال وما اخر لم يعمل او بما اخر من سنة حسنة او سيئة او باول عمله وآخره

بل الانسان على نفسه بصيرة حجة واضحة فلا يحتاج معها الى ان ينبأ بما قدم واخر
حين ينطق جوارحه ولو القى معاذيره اى ولو اتى بكل معذرة لا تقبل لان الشاهد
من نفسه لا تقبل الحجج وعن مجاهد المعاذير الستور والمعنى ولو القى الستور عليه
حين عصيانه لا يغنى عنه شيئا لان عليه من نفسه بصيرة لا حفظ قوله وما
كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم والمعاذير اسم جمع كالمناكير
لان قياس جمع المعذرة بدون الياء وجمع معذار على تفسير مجاهد لا تحرك
به لسانك اى بالقران عند اخذه من جبريل لتعجل به بحفظه مخافة ان
يشهد عليكم ان يشذ عنك شئ ان علينا جمعه فى صدرك وقرانه اى
قراءته على لسانك فاذا قراناه بقراءة جبريل والاسناد اليه للتعظيم فاتبع
قرانه قراءته اى اقراه بعد ذلك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك
من معانيه وعن ابن عباس رضى الله عنه فاتبع قرانه فاستمع لقراءته ثم ان
علينا بيانه قراءته على لسانك كان يستعجل لاخذ من جبريل مخافة ان يفوته
شئ فنهى عنه كلا ردع له عما كان عليه واستطراده بين حب العاجلة المدلول
عليه بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه وقوله بل تحبون العاجلة لانه
ان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو رحمة وشفاء فكيف بما هو محنة وشقاء
وفى يحبون العاجلة تغليب للمخاطب كانه قال وانتم يا بنى آدم عادتكم العجلة
فى كل شئ لجبلتكم على ذلك خلق الانسان من عجل فان قلت اذا كانت
العجلة جبلة فى الانسان فما معنى الردع فى كلا قلت وان كانت من مقتضى
الطبع الا انها قابلة العلاج كسائر الملكات الردية ومن كان فى اعلى منصب
الرسالة لا ينبغى له الاستيصال شافة تلك الملكات وقرا ابو عمرو وابن
كثير وابن عامر يحبون ويذرون الاخرة بالياء وهو ابلغ لما فيه التفات واخر
آجاله عن صريح الخطاب بحب العاجلة مع الرمز اللطيف اللائق بشانه
عليه السلام وجوه يومئذ ناضرة بهية عليها اثر السرور الى ربها ناظرة
قصدا الا الى غيره كالطالب رؤية الهلال او ان النظر الى غيره مع كلا نظر كما
تقدم فى ذلك الكتاب او التقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة والحمل على الانتظار
موت احمر كناية عن الرجاء لا يلائم روى الترمذى والامام احمد بن حنبل ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكرم الخلق على الله تعالى من ينظر الى وجهه غدوة وعشية
ثم قرا الاية ووجوه يومئذ باسرة عابسة شديدة الكلوح تظن ان يفعل
بها فاقرة داهية شديدة كانها تكسر فقار الظهر وايثار الظن لانها انما
فانما تتوقع وتترقب شدة مما هى فيه كلا ردع عن حب العاجلة وايثار الدنيا
على الاخرة تذكر لها هو اعظم شئ للانسان وهو الموت والاهوال اذا بلغت

التراقي الضمير للنفس وان لم يتقدم لها ذكر فانها اظهر من نار على علم الا ترى
ان حاتما من بلغاء العرب وهو الذى لا يشق غباره فى قرى الارواح بحكمه
كما جاز قصب السبق فى مضمار قرى الاشباح بنعمه سلك هذه الطريقة اماوى
ما يغنى الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ويخاطب ماوية
بنت عفزر وكانت ملكة تحت حاتم والتراقى العظام المتداخلة من يمين النحر
وشماله وقيل من راق القائل الاحباب والخلان بعضهم لبعض من يرقيه
منكم لعل ان يكون ببركة الرقية نجاة وهذا انما يقال عند اليأس وعجز الاطباء
وقرا حفص بسكتة لطيفة على من للدلالة على ان الادغام فيه غير لازم وخلاصها
من ثقل التعارف وظن انه الفراق اى ظن المحتضر انه الفراق الحقيقى والتفت
الساق بالساق من شدة الالم وسقوط القوى مع خوف قال بعض
المشايخ جزع جزعا شديدا عند الموت فقال له بعض اصحابه على هذا الجزع قال
باب اوقفه سبعين سنة الان يفتح ولا ادرى ما وراءه الى ربك يومئذ
المساق الى الى غيره وهو عليم بذات الصدور وقد علمتم ان حب الدنيا
رأس كل خطيئة فكيف تؤثرون الحيوة الدنيا على الاخرة فلا صدق ولا صلى
اى الانسان ايحسب ان لن نجمع عظامه لا صدق بقلبه ولا اتى بالاعمال المصدقة
لعقد القلب وعبر عنها بالصلوة لانها راس العبادات او لا تصدق بماله تعالى
صدق اذا اعطى الصدقة ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله
يتمطى يتبختر ذاهبا الى اهله مفتخرا بما فعل من التكذيب والتولى من غاية جهله
يعتقد ان اشنع المثالب ارفع المناقب اولى لك فاولى اى اولاك
ما يكرهه فاولاك مرة بعد اخرى واللام مثل اللام فى ردف لكم وقيل فعل
من الويل بعد القلب ثم اولى لك فاولى ابلغ ما يبلغ ايحسب الانسان
ان يترك سدى مهملا لا امر ولا حساب اى لا يكون ما حسب لان فيه
بطلان الحكمة الم يك نطفة من منى يمنى وقرا حفص بالتذكير والضمير للمنى
ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره وعدله فجعل منه الزوجين الصنفين
الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى الصانع روى ابو داود
عن موسى بن ابى عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها قال سبحانك
بلى تمت والحمد لله على انعامه والصلوة على محمد واله وصحبه سورة الانسان مكية
وهى احدى وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان
وهل بمعنى قد مع الاستفهام اى قد كقوله اهل راونا بسفح القاع ذى الاكم والمعنى
على التقرير والتقريب حين من الدهر طائفة من الزمن الممتد غير المحدود لم
يكن شيئا مذكورا انسيئا لا يعتد به ويذكر بل منقلبا فى الاطوار نطفة وعلقة ومضغة

والمراد به بنو آدم لقوله تع: إنا خلقنا الانسان من نطفة: فالمعرفة عين الاولى
وفي ايثار المظهر فضل تقرير وقيل الاول آدم والثاني بنوه: امشاج: جمع مشيج
كايتام ويتيم لان ماء الرجل والمرأة كل منهما مختلف الاجزاء رقة وقواما وخواص
وما يصلح مادة جزء منه لا يصلح لآخر وعن ابن مسعود عروق النطفة وعن قتادة
امشاج الوان واطوار وقيل لفظه جمع ومعناه مفرد كبرمة اعشار وبرد اكياش
نبتليه: حال مقدرة اي مقدرين ومريدين ابتلاءه او ناقلين له من حال الى حال
فالابتلاء مستعار له في كل ظهور نظير ظهوره آخر كظهور الممتحن وقيل على التقديم
والتأخير اي فجعلناه سميعا بصيرا: نبتليه وفيه تكلف لوجود الفاء وتخصيص
السمع والبصر لانهما اعظم الحواس وبهما يتلقى الاوامر ويشاهد المعجزات
إنا هديناه السبيل: بانزال الآيات ونصب الادلة: إما شاكرا وإما كفورا:
حال من الهاء اي هديناه في حالتيه لئلا يكون للكفور حجة ومقابلة الشاكر بالكفور
اشارة الى غلبة الكفران على الانسان: إنا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا:
ذكر الوعد والوعيد بعد ذكر الشاكر والكفور وقدم الوعيد مع تأخر الكفور لان
الانذار اهم وليكون مفتتح الكلام ومختتمه مع المؤمنين وقرأ نافع والكسائي وابو بكر
وهشام سلاسلا منونا ليناسب اغلالا وحمزة وقنبل باسكان اللام في الوقف
وكذا حفص وابن ذكوان والبزي في وجه لمنعها من الصرف: إن الابرار: جمع بر
كارباب جمع رب: يشربون من كأس: هو الزجاج اذا كان فيه الخمر وتطلق
على الخمر وهو المراد لقوله: كان مزاجها كافورا: اي ماء كافور وهو عين في الجنة
وقيل تخلق فيه رائحة الكافور وبرده وقيل يمزج خمرهم بالكافور: عينا: بدل من كافورا
على الاول وعلى الاخيرين من محل من كأس على تقدير مضاف كأنه قيل يشربون
خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص: يشرب بها عباد الله: المقربون اي
يمزجون الخمر بمائها كقوله ومزاجه من تسنيم هذا ان جعل كافورا اسم عين وان
فالباء مزيدة: يفجرونها: حيث شاؤوا من منازلهم: تفجيرا: كثيرا سهلا لا تمتنع
يوفون بالنذر: استئناف لما عسى ان يسأل لماذا كان ذلك الاكرام ونبه
بذكر النذر على انهم في واجبات الله تعالى اوفى: ويخافون يوما كان شره
مستطيرا: منتشرا اقصى ما يكون من الانتشار من استطار الفجر: و
يطعمون الطعام على حبه: اي حب الطعام والاحتياج لقوله لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون وقيل على حب الله تعالى وفي قوله لوجه الله غنية عنه:
مسكينا ويتيما واسيرا: مدح لهم على اختيار موضع الصدقة فانها كالبذر
لا تنبت الا في ارض طيبة ويدخل في الاسير المسلم والكافر والغريم والمملوك
وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك وكان يؤتى بالاسير الى

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفعه الى بعض المسلمين ويقول احسن اليه: انما نطعمكم
لوجه الله: يقولونه بلسان الحال او بلسان المقال منعا لمن احسنوا اليه عن
المكافاة والثناء: لا نريد منكم جزاء ولا شكورا: توكيد للاولى: انا نخاف
من ربنا يوما: عذاب يوم اي انما اردنا بالاطعام وجه الله لانا نخاف
جزاء ذلك اليوم ومن خاف ذلك لازم الاخلاص او لم نرد منكم على الصدقة
مكافاة خوفا من عقاب الله على طلب المكافاة: عبوسا قمطريرا:
شديد العبوس من القمطر والميم مزيدة يقال جمع فلان قطريه اذا اشتد
تغيره مغضبا اما مجاز حكمي وصف بوصف اهله لما في الحديث ان
الكافر يعبس حتى يسيل من بين عينيه سنة القطران او استعارة
بالكناية شبه بالاسد العبوس في ضراوته: فوقاهم الله شر ذلك اليوم:
لما قدموا له من البر: ولقاهم نضرة: بهجة في وجوههم: وسرورا: في قلوبهم
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا: تناكلوا المغني به ويلبسوا البهي وما
نقلوه عن علي تع لا يصح لان السورة مكية: متكئين فيها على الارائك:
على هيأة المترفين نصب على الحال: لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا:
اي لا حر ولا برد ولاعتدال الهواء وعن ثعلب الزمهرير القمر بلغة طي
وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى لا احتياج
الى الشمس والقمر لضياء الهواء: ودانية عليهم ظلالها: عطف على الجملة
الحالية لانها في تأويل المفرد والواو للدلالة على اجتماع الامرين لهم كأنه
قيل جامعين في الجنة بين البعد عن الحر ودنو الظلال عليهم ويجوز ان
يجعل متكئين وما بعده صفات لجنة على مذهب من لا يوجب ابراز
الضمير في صفة جرت على غير من هي له ويكون متكئين كذلك او عطفه
على جنة على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان
وذللت قطوفها تذليلا: اي لا يمتنع على قطافها بل لا يقتطفون
كانت او عطف على دانية وايثار الفعلية لقصد التجدد لان القطوف
بحسب الحاجة او صفة مثلها او حال من ضميرها: ويطاف عليهم بآنية
من فضة واكواب: اباريق بلا عرى: كانت قواريرا قواريرا:
من فضة: القارورة ما يكون من الزجاج استعيرت لما كان من
فضة يجامع الصفاء والشفيف فجاءت حسنة بديعة وقرأ ابو عمرو
وابن عامر وحمزة وحفص قواريرا الاول غير منون ووقف عليه
وحمزة بدون الالف وهم مع ابن كثير الثاني ايضا ووقفوا بلا الف
سوى هشام: قدروها تقديرا: صفة قواريرا اي جاءت على مقدار

ما صوروها في انفسهم او قدروها باعمالهم الصالحة او الضمير للطائفين والمعنى قدروا الشراب الذي فيها على قدر الري وهو الذ للشارب. ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا لان العرب تستلذ طعمه قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا عن قتادة يمزج لهم تارة بالكافور البارد واخرى بالزنجبيل الحار ليعتدل الامر. عينا فيها تسمى سلسبيلا بدل من زنجبيلا وقيل تخلق الله تعالى طعمه فيها وقيل يمزج بالزنجبيل وعلى الاول عينا بدل من كأسا والسلسبيل كالسلسل والسلسال سهل الانحدار اي وان كان فيها طعم الزنجبيل فليس فيه لذعة ولارادة المبالغة جيء به خماسيا وقيل اصله سل سبيلا سمي به لانه لا يشرب منها الا من سأل سبيل اليها بالعمل الصالح وفيه تكلف وفوات المبالغة بالوصف. ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في الحسن وصفاء اللون والتفرق في المجالس وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض او كانهم لؤلؤ نثر من صدفه طريا من تشبيه المفرد. واذا رأيت ثم لم يقدر له مفعول والمعنى اذا كنت ذا بصر هناك. رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا حيث وقع بصرك عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة لمن ينظر في ملكه الفي سنة ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه وروى البخاري عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان آخر اهل الجنة دخولا له مثل الدنيا عشر مرات. عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق عاليهم نصب على الحال اما من المجرور في عليهم او المنصوب في حسبتهم او لقاهم وجزاهم وقرأ نافع وحمزة بسكون الياء على انه مبتدأ مفرد في معنى الجمع كدابر القوم وسامرا تهجرون وثياب سندس خبره خضر بالجر صفة سندس وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص بالرفع صفة ثياب واستبرق بالجر عطفا على سندس ورفعه نافع وابن كثير وعاصم عطفا على ثياب والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ معرب استبرك عن ابن عباس رضي الله عنه كما ترى الرجل يكون عليه الثياب يعلوها الافضل ويجوز ان يكون الاستبرق بطانة لقوله بطائنها من استبرق. وحلوا اساور من فضة. ولا ينافيه قوله اساور من ذهب لاحتمال الجمع والمعاقبة وقيل الفضة للابرار والذهب للمقربين. وسقاهم ربهم شرابا طهورا يطهر باطنهم عن الغل والحسد كما زين ظاهرهم بالثياب والحلي وقيل هذا نوع آخر فوق الاولين ولذلك اسنده الى ذاته ووصفه بالطهورية فانه يذهب عن خاطرهم

سوى الاستغراق بمطالعة جماله وهذا نهاية درجاتهم ولذلك ختم به حديث الثواب. ان هذا كان لكم جزاء على اعمالكم والمشار اليه الثواب المذكور. وكان سعيكم مشكورا مجازا عن الاعتداد به وفائدة هذا القول ابراز الفضل في صورة الاجر المستحق اخراجا له عن صورة المنوله. انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا كرر الضمير واكده بان مع ايثار التنزيل الدال على التفريق الذي هو مقتضى الحكمة ليدل على ان قوله فاصبر لحكم ربك صادر عن حكمة بالغة وان تأخير نصره لما فيه من الحكم الخفية. ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد منهم ولذلك آثر او لئلا يتوهم الجمع وهم وان كانوا كلهم كفرة الا ان منهم من كان يدعوه الى الاثم ومنهم من يدعوه الى الكفر وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان ذلك كان غاليا في الفسوق وهذا في الكفر. واذكر اسم ربك بكرة واصيلا طرفي النهار لينال به حلاوة تذهب عنك مرارة الصبر وخص طرفي النهار لشرفهما وقيل داوم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما. ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فاسجد له فانه وقت الاقتراب اليه لدنو رحمته وخلو الوقت للمناجات وقيل صلوة المغرب والعشاء ويؤيده قوله. وسبحه ليلا طويلا اي نزهه او صل له تطوعا. ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا استعار له الثقل من حمله والمراد شدته. نحن خلقناهم وشددنا اسرهم الاسر الربط الوثيق بالاسار والمراد توصيل عظامهم بعضها مع بعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب. واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي اهلكناهم وانشأناهم نشأة اخرى فالتبديل في الصفات لان المعاد هو المبتدأ او بدلنا مكانهم قوما آخرين كقوله ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين واذا مع ان ذلك امر فرض للدلالة على تمام الاقتدار. ان هذه تذكرة السورة او الآيات القريبة. فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا توصلا اليه بالطاعة. وما تشاؤن الا ان يشاء الله شيئكم لان المفعول المحذوف هو ما دل عليه المذكور كقولك لو شئت لقتلت زيدا اي لو شئت قتله وفي اثبات المشيئتين بطلان الجبر والاعتزال والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقرا نافع والكوفيون تشاؤن بالخطاب. ان الله كان عليما بكنه الاشياء حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة. يدخل من يشاء في

في رحمته بالهداية والتوفيق والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين
على شريطة التفسير بما يلايم المضمر نحو اوعد وكافا تمت سورة الانسان
والحمد للواحد المنان والصلوة على صفوة الانسان واله وصحبه الى اخر الزمان

سورة المرسلات مكية وهي خمسون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا اقسم بطوايف من الملائكة ارسلهن لامضاء امره
حال كونها كعرف الفرس في الاجتماع والتتابع فالعاصفات عصفا اي
يعصفن عصف الرياح مبادرة الى امتثال امره او العرف ضد النكر
مفعول له اي المرسلة لانفاذ الانبياء واهلاك الكفار نعمة لاولئك ونقمة
لهولاء والناشرات نشرا نشرن اجنحتهن في الجو نازلين بالوحي او
ناشرين الشرايع او النفوس الموتى بالجهل فالفارقات فرقا بين
الحق والباطل فالملقيات ذكرا وحيا الى الانبياء فان قلت الالقاء
مقدم على الفرق فما وجه العطف بالفاء قلت الالقاء مقدم على العلم بالفرق
لا عليه وقيل على تقدير الارادة او اقسم برياح ارسلت للعذاب متتابعة
عاصفات وباخرى نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه وبين كقوله و
يجعله كسفا او نشرن الموتى ففرقن بين المؤمن القائل مطرنا بفضل الله تعالى
والكافر القائل بالانواء والقاء الذكر منها لكونها سببا له اذا شكرت النعمة
عذرا مصدر عذر محى الاساءة او نذرا اسم مصدر هو الانذار او مصدر نذر
بمعنى انذر او جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير وانتصابهما على العلية اي عذرا
للمحقين او نذرا للمبطلين واو للتنويع لا الترديد والبدل من ذكرا ويجوز ان يكونا
بمعنى العاذر والمنذر فالنصب على الحال وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص
نذرا بالتخفيف انما توعدون لواقع لا محالة وهو قيام الساعة فاذا النجوم
طمست محيت واعدمت او ذهب نورها واذا السماء فرجت
فتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت نسفت كالحب والرمل
فكانت كثيبا مهيلا جملة القلع بسرعة واذا الرسل اقتت بلغت
وقتها الموعود وهو وقت حضورهم للشهادة على الامم وقرا ابو عمرو بالواو على
الاصل لانه من الوقت الا ان الرسم على الهمز لانه وان كان اثقل من الواو
الا ان الضم عليه اخف منه على الواو لاي يوم اجلت الرسل ليوم الفصل
بيان ليوم التاجيل وما ادريك ما يوم الفصل بالغ في تهويل بابهامه اولا
ثم ببيانه بانه يوم الحكم والقضاء ثم بتهويل شانه بانك لم تحط علما بكنهه ذلك
ويل يومئذ للمكذبين به الويل والهلاك اصله النصب على المصدر لغير فعله لعدم
استعماله والعدول الى الرفع لكونه ابلغ في الدعاء والدلالة على الدوام الم نهلك

الاولين

الاولين من تقدم كفار مكة من الامم المكذبة ثم نتبعهم الاخرين نحن نتبع
اولئك في الاهلاك اهل مكة كذلك نفعل بالمجرمين بكل مجرم في كل عصر ويل
يومئذ للمكذبين اي يوم اهلاكهم فليس فيه تكرير لان الاول لعذاب الاخرة
وهذا لعذاب الدنيا مع ان التكرير للتهويل له موقع حسن الم نخلقكم من ماء
مهين هي النطفة القذرة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم تفصيل لكيفية
الخلق الى قدر معلوم له تعالى وهو وقت الولادة فقدرنا على ذلك فنعم
القادرون نحن على الاعادة وقرا نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد اي
ذلك المولود شقيا او سعيدا الى غير ذلك من حال النطفة علقة ومضغة
وعظاما والقادرون بمعنى المقدرون من قدرت الشيء اقدره قال الشاعر
وقد قدر الرحمن ما هو قادر وهذا ادق لقوله من نطفة خلقه فقدره ولان حديث
القدرة قد تم في قوله الم نخلقكم لكون الاستفهام للتقرير ويل يومئذ للمكذبين
الم نجعل الارض كفاتا اسم لما يكفت اي يجمع كالضمام اسم لما يضم او مصدر
نعت به او جمع كافت كصيام في قائم لاسناده الى ضمير الارض احياء وامواتا
نكرهما لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات ولانيا فيه التفخيم
لدلالته على كثرة لا تحصى وانتصابهما على المفعولية او الحالية من مفعوله المحذوف
وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتعظيم او التبعيض
لكون بعض الجبال في السماء لقوله من جبال فيها من برد واسقيناكم ماء فراتا
عذبا واتي عذب ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا على
تقدير القول الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا الى ظل من حر
الشمس في ذي ثلث شعب يحيط بهم من فوقهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن من حر
كقوله لا بارد ولا كريم وهذا الظل هو الدخان الذي هو سرادق النار احاط بهم
سرادقها يتفقون فيه الى الفراغ من الحساب بدل وقوف المؤمنين في ظل عرش الله
انها ترمي بشرر كالقصر في العظم كانه جمالات صفر جمع جمال او جمالة
جمع جمل شبهت اولا بالقصور ثم بالجمال فان العرب تشبه الابل بالقصور
قال كما طينت بالفدن السياعا شبهه الشرر حين ينفصل من النار بالقصر
في العظم وحين ياخذ في الارتفاع والانشقاق عن اعداد غير محصورات
في الحركات المتسعة في الجهات بالجمال وعن ابن عباس رضي الله عنه كنا نرفع
خشبة للشتاء طولها ثلثة اذرع او اقل نسميه القصر وعنه الجمالات
حبال السفن تجمع حتى تكون كاوساط الرجال والاول هو الوجه وقد روي
عنه ايضا وقرا حمزة والكسائي وحفص جمالة وجمالات ابلغ وادق للمقام

ويل يومئذ للمكذبين بذلك اليوم هذا اي الذي قص عليكم يوم لا ينطقون
يوم القيمة ذو مواطن ينطقون في موطن دون آخر او لا ينطقون بما ينفع اذ
يسمى نطقا لعرائه عن الفائدة ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على
يؤذن اي لا اذن ولا اعتذار مطلقا ولم يجعل جوابا لدلالته على ان عدم الاعتذار
لعدم الاذن واوهم ان لهم عذرا لكنه لم يؤذن لهم فيه ويل يومئذ
للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين للحكم بين المحق والمبطل فان كان لكم
كيد فكيدون توبيخ لهم على ما كانوا يكيدون به المؤمنين وتسجيل عليهم بالاستكانة
ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين من الشرك لانه في مقابلة المكذبين في
ظلال متراكمة وعيون جارية وفواكه مما يشتهون كثيرة الانواع كلوا
واشربوا هنيئا على تقدير القول بما كنتم تعملون في الدنيا من الصالحات
انا كذلك نجزي المحسنين المخلصين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا
انكم مجرمون تذكير لما كان يقال لهم في الدنيا وتحسير لهم بايثار الحقير على الخطير
ويل يومئذ للمكذبين به واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون متصل بقوله للمكذبين
كانه قيل ويل يومئذ للذين كذبوا والذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويجوز
اتصاله بالمجرمين كانه قيل هم احقاء بان يقال لهم كلوا وتمتعوا لكونهم مجرمين ولكونهم
اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين به فباي حديث بعده يؤمنون
اي بعد القرآن فانه لا حديث يدانيه فضلا ان يساويه وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنت
بالله تعالى وبما انزل على محمد تمت المرسلات والحمد لواهب البركات وعلى محمد افضل
الصلوات سورة النبأ مكية وهي اربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
عم يتساءلون اصله عن ما فادغمت في الخط وحذف الالف فرقا بينها وبين
الخبرية وايذانا بشدة الاتصال وكثرة الدوران وقرأ ابن كثير في رواية البزي
عمه بهاء السكت في الوقف ليكون جبرانا عن الذاهب وهو احد حرفي الثنائي
كان مشركوا مكة يسأل بعضهم بعضا عن امر القيامة او رسول الله والمؤمنين
استهزاء على ان التساؤل بمعنى السؤال كالتداعي والتراءي بمعنى الدعوة والرؤية
والمراد تفخيم شان المسؤول عنه مجردا عن الاستفهام لوقوعه في كلام من لا يخفى
عليه خافية عن النبأ العظيم بيان لشان المفخم او متعلق بيتساءلون وعم بما
فسره الذي هم فيه مختلفون منهم المنكر له ومنهم الشاك او الضمير للفريقين
المؤمنون يسألون لزيادة الاستيقان والاستعداد له والكفار استهزاء وعنادا
كلا سيعلمون ردع للمتسائلين هزوا او وعيد ثم كلا سيعلمون تكرير مبالغة
وثم للدلالة على ان الثاني اشد من الاول وكما فخم شان البعث فخم ما يقع

بعده

بعده وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة او الاول للبعث والثاني للجزاء
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وهم لا ينكرون شيئا من ذلك فانكار
البعث لماذا ويدل ذلك ان الا على منوال هذا او من ابدع هذه الاشياء انما ابدعها
للحكمة لا عبثا فلا بد من البعث والجزاء وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا
نومكم سباتا موتا من السبت وهو القطع والنوم احد الموتين وجعلنا
الليل لباسا ساترا عن العيون يمكن اخفاء ما لا يراد اظهاره من بيات
العدو او الفرار منه الى امور شتى وجعلنا النهار معاشا وقت معاشكم
تتقلبون فيه لحوائجكم يستدل بخلقتهم ذكرا وانثى واستواء احوالهم مغتربين
ومعترين وبنينا فوقكم سبعا شدادا محكمة لا يؤثر فيها مرور الدهور و
جعلنا سراجا وهاجا اي الشمس النيرة الاعظم من وهجت النار التهبت او
اخفاءات وانزلنا من المعصرات من السحاب التي شارفت ان تعصرها
الرياح للمطر من اعصرت الجارية قاربت عصر الحيض او من الرياح التي حان لها
عصر السحاب وعن الحسن وقتادة رضي الله عنهما من السموات وان الماء
ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات يعصرن اي يمكن من العصر
ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث الحج العج والثج
اي رفع الصوت بالتلبية والذكر واكثره وماء القرابين لنخرج به حبا
للانسان ونباتا للدواب وجنات الفافا ملتفة جمع لف كخف
وخفاف او جمع لفيف كشريف او لفاء كخضراء او ملتف بحذف
الزوائد وفيه ان هذا لا نظير له لان تصغير الترخيم ثابت دون تكسيره
ان يوم الفصل كان ميقاتا في علم الله تعالى والميقات ما يوقت به الشيء
والمراد به حد الدنيا ونهايته او حد الخلائق وما ينتهون اليه يوم ينفخ
في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتأتون افواجا جماعات
يوم ندعو كل اناس بامامهم والحديث المروي ان امته عليه السلام تحشر
عشرة اصناف في موضوع مختلف وفتحت السماء فكانت ابوابا
عطف على فتأتون وايثار الماضي لكونه محقق الوقوع او حال اي
فتأتون والحال انها قد فتحت والمراد كثرة الطرق والشقوق كقوله
وفجرنا الارض عيونا وقرأ الكوفيون مخففا وسيرت الجبال في الهواء
تمر مر السحاب فكانت سرابا اي كالسراب يحسب ماء ولا ماء
لان شان الجبل الثبات والقرار ان جهنم كانت مرصادا مكانا
يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزان الجنة المؤمنين يحرسونهم او ترد
عليها للطاغين مآبا مرجعا وماوى لابثين فيها احقابا لا يذوقون

فيها برداً ولا شراباً الا حميماً وغساقاً: الاحقاب جمع حقب وهي ثمانون
سنة وقيل دهر طويل كقوله امضي حقباً والمعنى يلبثون احقاباً كثيرة لا يذوقون
فيها الا الحار وغساقة اهل النار وصديدهم ثم ينقلون الى نوع آخر
من العذاب وان جعل لا يذوقون استينافاً فالمراد باحقاباً دهوراً غير
متناهية كلما مضى حقب تبعه آخر الا ترى كيف دفع وهم الانقطاع بقوله
فلن نزيدكم الا عذاباً وقرأ حمزة لبثين مقصوراً وهو اقوى وعليه الرسم
وحمزة والكسائي وحفص غساقاً مشدداً: جزاءً وفاقاً: اي جوزوا جزاءً
ذا وفاق لاعمالهم او وصف بالمصدر: انهم كانوا لا يرجون حساباً وكذبوا
باياتنا كذاباً: يقال كذب تكذيباً وكذاباً قال سيبويه الاصل كذاباً والتا
عوض عن التضعيف والياء عن الالف: وكل شيء احصيناه كتاباً: نصب
على المصدر اي احصاءً او احصيناه بمعنى كتبنا لتلاقي الاحصاء والكتبة
في الضبط او على الحال اي مكتوباً في اللوح او في صحف الحفظة: فذوقوا: اي
العذاب التفت اليهم في مقام السخط زيادة في العذاب: فلن نزيدكم
الا عذاباً: استثناء من الاعم اي شيئاً من الاشياء وعن ابي برزة الاسلمي
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشد آية في كتاب الله على الكفار فتلاها
ان للمتقين مفازاً: مكان فوز هي الجنة كما ان جهنم للطاغين مآباً ثم
فسره بقوله: حدائق: جمع حديقة وهي روضة ذات اشجار وقيل روضة
احاط بها حائط: واعناباً: افردها لفضل وجودها في ارض العرب: وكواعب
جمع كاعب ناهدة الثدي: اتراباً: لدات: وكأساً دهاقاً: مترعة من ادهق
الحوض فهو دهق: لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً: اي لا يتأذون من سماع اللغو
وتكذيب بعضهم بعضاً وقرأ الكسائي كذاباً مخففاً اما مصدر كاذب او كذب
نحو كتب كتاباً كقول الاعشى فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه اي لا يصدر
بعض منهم كذب حتى يسمع التابع: جزاءً من ربك: نصب على المصدر
عطاءً: بدل من جزاءً او مفعول به له او لناصبه المحذوف: حساباً: صفة بمعنى
كافياً من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم
رب السموات والارض وما بينهما: بدل من ربك ورفعه نافع وابو عمرو
وابن كثير على انه مبتدأ خبره: الرحمن: او هو بدل خبره لا يملكون وقرأ الرحمن بالجر
ابن عامر وعاصم على البدل ومن جر الاول ورفع الثاني ابدل الاول وجعل الثاني
مبتدأ خبره لا يملكون: او خبر محذوف منه خطاباً: اي من الله تعالى والمعنى
لا يملكون من جهته شيئاً من الخطاب لان المملوك لا يملك شيئاً على مالكه
وهذا لا ينافي الشفاعة بعد الاذن يوم يقوم الروح والملائكة صفاً: ظرف

لا يملكون او لما بعده والروح جبريل وافراده لشرفه وقيل نوع آخر من المخلوقات
وقيل ملك لم يخلق الله بعد العرش اعظم منه: لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وقال صواباً: اي من يتكلم من هؤلاء الاشراف انما يتكلم بشرطين الاذن
والقول الصواب فقوله تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون منه خطاباً: ذلك اليوم
الحق: الكائن لا محالة: فمن شاء اتخذ الى ربه مآباً: منزلاً ومأوى بالايمان
والعمل الصالح: انا انذرناكم عذاباً قريباً: اذ كل آت قريب ولان مبدأه
من الموت: يوم ينظر المرء ما قدمت يداه: اي كل امرئ ينظر على خير كان او شراً
لقوله ووجدوا ما عملوا حاضراً وقيل المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذاباً فوضع
المضمر موضع المظهر وعن قتادة هو المؤمن لقوله ويقول الكافر والاول هو الاوجه
لقوله ان يوم الفصل ولقوله فمن شاء اتخذ الى ربه مآباً: ويقول الكافر يا ليتني كنت
تراباً: في الدنيا لم اخلق او في هذا اليوم لما يرى سائر الحيوانات والوحوش تصير تراباً
بعد جريان القصاص بينها فيه رد للبغوي تمت بحمد الله على الدوام والصلوة على خير الانام
وآله وصحبه الى يوم القيام **سورة النازعات مكية وهي خمس او ست واربعون**
آية بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقاً والناشطات
نشطاً والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً فالمدبرات امراً:
اقسم بالملائكة الموصوفة بصفات تدل على كمال قدرته ونفاذ اوامره فالنازعات
هم ملك الموت واعوانه الذين ينزعون ارواح الكفار من اعماق ابدانهم والغرق
اسم الاغراق كالسلام بمعنى التسليم او مصدر بحذف الزوائد والناشطات
الذين ينشطون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو اخرجها من البئر ونشط
الحبل حله برفق والسابحون اي يسرعون فيما امروا به فيسبقون بارواح
الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر ثوابها وعقابها
او النجوم تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها قطع الفلك بتمامه الى
ان تغرب بان تنشط من برج الى آخر من نشط الثور اذا خرج من بلد الى
بلد آخر فتسبح في السير فيسبق بعضها بعضاً فتدبر ما نيط بها من النوائب
او خيول الغزاة تنزع في اعنتها اغراقاً لطول اعناقهم لانها عراب فتخرج
من دار الاسلام الى دار الكفر فتسبح في جريها فيسبق بعضها بعضاً فتدبر
امر الظفر على المجاز او نفوس الكمل تنزع عن الشهوات رأساً
وتنشط الى عالم الملكوت فتسبح في بحر المعارف فيسبق بعضها بعضاً
بقدر القابليات فتدبر سائر النفوس بالارشاد والتكميل والمقسم عليه
محذوف دل عليه ذكر القيمة بعد اي لتبعثن: يوم ترجف الراجفة:
نصب بذلك المحذوف والراجفة الواقعة وصفت بما يحدث

بحدوثهما من رجف الارض والجبال مبالغة وهي النفخة الاولى وانما صح ان
يكون وقتها ظرفا للبعث مع انه لايكون الا بعد الثانية لاتساع الوقت
على ان تتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية حال منها فلا بد من الامتداد
الى وجودها وقيل الراجفة الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب
قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب الوجيف والوجيب
اخوان ابصارها خاشعة خبر قلوب لانها نكرة موصوفة كقوله وجوه
يومئذ ناظرة الى ربها ناضرة او خبر بعد خبر لان تنكير التنويع قائم مقام
الوصف يقولون ائنا لمردودون في الحافرة يريدون الحيوة الاولى
بعد الموت والحالة التي كانوا عليها في الدنيا انكارا للمعاد والحافرة
الطريقة التي حفرها واثر فيها بمشيه والقياس محفورة فاما على تقدير
ذات حفر او على الاسناد مجازا نحو عيشة راضية وعن ابن السكيت
حافرة الشيء اوله واستشهد بما انشده ابن الاعرابي احافرة على
صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار ائذا كنا عظاما نخرة انى
يكون ذلك والنخرة البالية من النخر وهو صوت الريح والعظم اذا بلي
نخر فيه الريح لصيرورته اجوف وقرا حمزة والكسائي وابو بكر ناخرة با
بالمد وهو ابلغ واذا منصوب بمقدر اي نرد ونبعث قالوا تلك
اذا كرة خاسرة اي رجعة ذات خسران او خاسر صاحبها
ان صح ما يقوله محمد قالوه استهزاء فانما هي زجرة واحدة لا استبعاد
ولا استصعاب بل هي في غاية السهولة على الله تعالى لا توقف لها
الا على صيحة واحدة وهي النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة احياء
كقوله فاذا هم قيام ينظرون والساهرة الارض البيضاء المستوية
لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة اي جارية او على
المجاز لان سالكها لا ينام خوفا وعن قتادة هم جهنم ولما كان الكلام
من مفتتح السورة الى هنا مسوقا للتهديد بما فيه تسلية لرسوله
عقبه بقصة موسى وفرعون لتوافقهما في هذا الباب هل اتيك
حديث موسى اي اليس قد اتاك حديثه المشتمل على تفرده وقهره عدوه
ففيه ما يسليك ثم فصله بقوله اذ ناداه ربه بالواد المقدس الذي
قدس لانه مهبط الوحي طوى عطف بيان او بدل ونونه الكوفيون
وابن عامر بتاويل المكان اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول
فقل هل لك الى ان تزكى اي هل لك رغبة في ان تتطهر من رجس
الكفر والطغيان ارشده الى طريق الدعوة باللطف طريق وذلك

ان يرى

ان يعرض عليه ليرام نفسه ويرى رايه كما تقول للضيف الا تنزل بنا
وهذا نحو قوله فقولا له قولا لينا وقرا نافع وابن كثير تزكى بتشديد الزاء
على ادغام احد التائين في الزاء وحذفها الاخرون تخفيفا واهديك
الى ربك الى معرفته فتخشى لان الخشية على قدر المعرفة قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وروى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ
المنزل الا ان سلعة الله غالية فاراه الاية الكبرى اي فذهب اليه
فدعاه فابى فاراه المعجزة العظمى من معجزاته وهي قلب العصا ثعبانا
او كل معجزاته لانها كالواحدة في الدلالة فكذب موسى وعصى ربه ثم
ادبر يسعى اي اقبل يسعى في دفع موسى عليه السلام بمكائده من قولهم اقبل
يفعل كذا او عبر عنه بالادبار اشارة الى ان ذلك الاقبال كان ادبارا وعليه
دمارا او ادبر هاربا لما انقلب العصا ثعبانا فحشر فنادى اي فحشر
السحرة او جنوده فنادى بنفسه او من امره به على انه اسناد الى السبب
فقال انا ربكم الاعلى اي اعلى من كل رب لا تقدم في الاعتراف انه كان
امر قومه باتخاذ الاصنام يتقربون بها اليه فاخذه الله نكال الاخرة
والاولى النكال كالسلام بمعنى التنكيل اي نكل الله تعالى به في الدنيا بالاغراق
وفي الاخرة بالاحراق وعن ابن عباس رضي الله عنه نكال كلمته الاولى هي قوله
ما علمت لكم من اله غيري والاخرى قوله انا ربكم الاعلى ان في ذلك
اي فيما حكى عنه وعن حاله لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية
ءانتم اشد خلقا الخطاب لمشركي مكة ام السماء ولا شك ان
الثاني اصعب ثم شرع يبين كيفية ايجادها من غير الة ومعين ليدل
على ان انكار البعث اما عنادا او تعام او تقصام بناها خلقها على صورة
القبة المبنية رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا
رفيعا مقدار خمسمائة عام فسويها فعدلها مستوية الاجزاء مزينة بالكواكب
على ما اقتضته الحكمة واغطش ليلها اظلمه يقال غطش الليل واغطشه الله
كظلم واظلم ويقال اغطش الليل ايضا كاظلم لازما واخرج ضحيها وابرز
ضوء شمسها وانما اضاف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظل السماء
في المرأى وان كان ظل الارض حقيقة او لانهما يحصلان بغروب الشمس
وطلوعها والارض بعد ذلك دحيها بسطها وقد سبق الكلام في سبق
خلق الارض في اوائل البقرة في قوله ثم استوى الى السماء بما لا مزيد عليه
اخرج منها ماءها ومرعيها اي رعيها تفسير للدحو بما لابد في تاتي السكنى

منه من المآكل والمشارب او حال باضمار قد ودل بالماء والمرعى على كل ما
يرتفق به من امر المعايش والجبال ارسيها اثبتها كالاوتاد لتستقر
الارض متاعا لكم ولانعامكم لسائر الحيوانات ففيه تغليب فاذا
جاءت الطامة الكبرى الداهية العظمى التي تطم على سائر الدواهي
من طم الشيء علاه وعليه فالوصف للتاكيد والمراد النفخة الثانية
او الساعة التي يساق الفريقان الى داري الخلود يوم يتذكر الانسان
ما سعى بدل من اذا جاءت اي يتذكر اعماله السيئة اذا رآها في الكتاب
منشورا او نسيها له الذكرى وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم لمن
يرى لكل راء لا تخفى على احد فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم
هي الماوى واما مع جوابه جواب اذا جاءت اي اذا جاءت الطامة
فالطاغي ماواه الجحيم او جواب اذا محذوف اي كان كيت وكيت و
المذكور بعدها تفصيل له واما من خاف مقام ربه اي بين يدي ربه للحساب
ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه يجانب الهدى فان الجنة هي الماوى
هي ماويه لا غير يسألونك عن الساعة ايان مرسيها اي
اقامتها من ارسيت الشيء اثبته او متى استقرارها كما ان مرسى السفينة
استقرارها وانتهاؤها فيم انت من ذكريها اي في اي شيء انت من ذكر
الساعة لهم فان علمها من امهات الغيوب لا ينفذ فيه الا علمه تعالى او فيم انكار
لسؤالهم وانت من ذكريها ابتداء كلام والمعنى في اي شيء هم من سؤال
الساعة انت من علاماتها فانك بعثت في نسيم الساعة واسمك
نبي آخر الزمان فقد دنت الساعة الى ربك منتهاها انتهاء علمها
انما انت منذر اي انما انت لا منذر من يخشيها من يخاف هولها و
تشبث مبعوثا لتعليمهم بوقت الساعة وعن ابي عمرو منذر بالتنوين كانهم
يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها اي عشية يوم
او ضحاه كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى ولو قطع
لاحتمل عشية يوم وضحى آخر فيتوهم الاستمرار في ذلك الزمان المتخلل من اليوم
الاخر ويحتمل ايضا ان يراد بالعشية او الضحى كل اليوم تجوزا سورة عبس
مكية وهي احدى واربعون آيات بسم الله الرحمن الرحيم
عبس وتولى ان جاءه الاعمى اتفقوا على انها نزلت في ابن ام مكتوم مؤذن
رسول الله واسمه عمرو بن قيس او عبد الله بن عمرو واسم امه عاتكة بنت
عبد الله المخزومي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش
يدعوهم الى الله تعالى باهتمام فقطع عليه كلامه وكرر عليه يقول يا رسول الله

علمني مما علمك الله ولم يعلم تشاغله فعبس في وجهه واعرض عنه والمعنى عبس
لان جاءه واعرض لذلك على تنازع الفعلين وفي الوصف بالاعمى دون
اسمه او وصف آخر توكيد للعتاب فان ذلك يناسب الاقبال والتعطف
دون العبوس والاعراض وايماء الى ان كل ضعيف في معناه كقوله لا تقضي
النعامى وهو غضبان فكان بعد ذلك يكرمه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه
ربي وما يدريك لعله يزكى بما يسمعه منك من اوضار الاثام والمراد
نفي دراية بما هو مترقب له والترجاء اما راجع الى الاعمى او الى الرسول
واتيانه للدلالة على ان رجاء التزكي كاف في منع العبوس والاعراض
كيف وهو في نفسه زكي حقيقة وقيل الضمير للكافر اي وما يدريك ان
ما طمعت فيه من تزكية كائن حتى يهتم به فالترجي لرسول الله او يذكر
فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقرأ حمزة وعاصم بالنصب
جواب لعل المحمول على التمني وهذا يؤيد رجوع الضمير الى الكافر الا ان يحمل
في الوجه الاول على المبالغة اي كان الاعمى جديرا بالاقبال لضعفه وان كان
بعيدا حصول تزكيته اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال اليه
وما عليك الا يزكى اي وليس عليك عتب في ان لا يتزكى بالاسلام
ان عليك الا البلاغ هذا وامثاله وان كان عتابا في الظاهر لكن فيه
كمال مدح له لاهتمامه بشان ما ارسل به وبذل جهده واما من جاءك
يسعى يسرع الى تعلم شرائع الاسلام وهو يخشى يخاف الله تعالى تقلبه
فانت له تلهى وهو التشاغل من لهى يلهى وقدم الضمير في الموضعين للتقوى
ويجوز التخصيص على معنى ان التصدي والتلهي مما ينكر منه دون غيره لعلو مقامه
كلا ردع عن المعاتب عليه والعود الى مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره
الضمير للقرآن والتانيث باعتبار الخبر ولذا ذكره ثانيا والمعنى ان القرآن
موعظة فمن شاء حفظها فلا حاجة في الوعظة الى المبالغة وفيه توكيد
لما تقدم في صحف مكرمة فيها خبر ثان او خبر محذوف او صفة لتذكرة
مكرمة عند الله لانها وعية كلامه مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار
مطهرة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ
جمع سافر وهو الكاتب او من السفر وهو الكشف لاظهاره المكتوب ومنه
السفر لانه يكشف عن الاخلاق كرام عند الله بررة اتقياء روى
البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الماهر
بالقرآن مع السفرة الكرام البررة قتل الانسان ما اكفره القتل اعظم
ما يخافه الانسان من الشدائد دعا به على الانسان المرتكب اعظم القبائح

والدعاء عليه على اظهار لغاية التسخط. من اي شيء خلقه: تحقيرا له ولذلك فسره
بقوله: من نطفة خلقه: ولا اقدر منه. فقدره: فسواه مهيئا معدا بالقوى
والالات لمصالح التكليف. ثم السبيل يسره: اي طريق خروجه من بطن امه
بان فتح له فم الرحم والهمه بان ينتكس فانه في البطن جالس وجهه الى ظهر امه
فاذا حان وقت خروجه قدم رأسه واخر رجليه على صفة الغواص او ذلل له سبيل
الخير ولم يكلفه ما لا طاقة له به وفي هذا اشارة الى ان الدنيا طريق الآخرة كسبيل
المارة واستصحاب السبيل بما يغيره النظام. ثم اماته فاقبره: عد الموت
من النعم لانه وسيلة الى النعيم في الجملة والاقبار تشريف له لئلا يلقى كسائر
الجيف يقال قبرت الرجل اذا دفنته واقبرته اذا مكنته من ان يقبر
ثم اذا شاء انشره: للجزاء. كلا: ردع للانسان عما هو عليه. لما يقض ما
امره: الله به من الايمان به بعد هذه النعم وعن مجاهد لم يقض احد من آدم ثم
الى هذا الآن ما امره الله به اذ لم يخل احد من نوع تفريط ووجه ذلك
ان الضمير عائد الى مطلق الانسان المذكور في ضمن المقيد ولذلك اعاد ذكر
الانسان في قوله فلينظر الانسان الى طعامه: لان المذكور بعده يعم الكل
انا صببنا الماء صبا: استئناف لبيان كيفية ايجاد الطعام وقرأ الكوفيون
انا بفتح الالف بدل اشتمال. ثم شققنا الارض شقا: بالنبات او
الحراث واسنده الى ذاته لانه السبب. فانبتنا فيها حبا: جنس
الحبوب. وعنبا وقضبا: مصدر قضبه قطعه سمي به الرطبة وهي المسمى
بالقت لانها تقطع في عام مرارا وعن الحسن كل علف يقطع. وزيتونا
ونخلا وحدائق غلبا: متكاثفة الاوراق والعروق استعار من وصف
الرقاب بغلظ الاوداج وانتفاخ الاعصاب مع تداخل بعضها في بعض
وفاكهة وابا: هو للدواب كالفاكهة للانسان وعن ابن عباس رضي الله عنه
كل مرعى الدواب الاب وروى ابو عبيد القاسم بن سلام ان الصديق
رضي الله عنه سئل عن الاب فقال لا اقول في كتاب الله ما لا اعلم وعن
انس رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب تلا هذه الآية فلما وصل الى قوله وابا قال
ما الاب ثم حار وقال لعمرك يا عمر ان هذا لهو التكلف وهذا يدل على
انهم كانوا طالبين لمقاصد كلام الله تعالى والعمل بمقتضى ما عملوا ولهم عن طلب
اللغات شغل شاغل وقد علموا ان الآية مسوقة للامتنان على الانسان
فهم كانوا ساعين في القيام بشكر تلك النعم. متاعا لكم ولانعامكم
اي المذكورات. فاذا جاءت الصاخة: اي النفخة الثانية يقال صخ لحديث
واصاخ اذا استمع له وصفت النفخة به مجازا لان الناس يصيخون عندها

يوم

يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه: لاشتغاله بحاله او خوفا
من مطالبتهم اياه بما قصر فيه من حقوقهم وللتوكيد الاول قوله: لكل امرئ
منهم يومئذ شان يغنيه: وقول آدم سل نفسي نفسي وتأخير الاحب
فالاحب للترقي كانه قيل يفر من اخيه ومن ابويه من صاحبته من بنيه. وجوه
يومئذ مسفرة: مضيئة من اسفر الصبح اضاء لسرور القلب وقيل من
الصلوة بالليل فان من تهجد استنار وجهه وقيل من آثار الوضوء وقيل
من طول ما اغبرت في سبيل الله. ضاحكة: بما نالت من الربح والفوز.
مستبشرة: برحمة الله ورضوانه. ووجوه يومئذ عليها غبرة: غبار وكدورة
ترهقها قترة: يعلوها سواد كالدخان ولا ترى اقبح من سواد الوجه اذا
علاه الغبار. اولئك هم الكفرة الفجرة: اي الموصوفون بغبار الوجوه و
سوادها هم الذين جمعوا الى الكفر الفجور فالجزاء على وفق العمل تمت سورة
عبس والحمد لمن عتق كل مكروب نفس والصلوة على رسوله بالليل اذا عسعس واله
وصحبه ما الصبح تنفس

سورة التكوير مكية وهي سبع وعشرون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت: روى الامام احمد بن
حنبل عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان
ينظر الى القيمة رأي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت
واذا السماء انشقت والتكوير من كورت العمامة اذا لففتها والمراد
اذهاب ضوءها او عينها لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوي او من طعنه
فكوره اي القاه لما روي ان الشمس والقمر يكوران في جهنم لقوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم. واذا النجوم انكدرت: انتثرت لقوله واذا
الكواكب انتثرت وقيل اظلمت من كدرت الماء فانكدر وهو تفسير
باللازم. واذا الجبال سيرت: عن وجه الارض تمر مر السحاب. واذا
العشار عطلت: الحوامل جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة
اشهر وتبقى بهذا الاسم بعد حملها ايضا ولذلك فسر تعطيلها بعد الحلب وقيل
هي السحاب عطلت عن المطر. واذا الوحوش حشرت: من كل اوب كما
يحشر الانس مع الجن. واذا البحار سجرت: ملئت بان يفجر بعضها الى بعض
حتى تصير بحرا واحدا او احميت من سجرت التنور وعن ابن عباس رضي الله عنه
اوقدت فصارت نيرانا وقرأ ابن كثير وابو عمرو سجرت مخففا والتشديد
ابلغ واوفق بقوله زدناهم سعيرا. واذا النفوس زوجت: كل نفس بشكلها
في الموقف الانبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل او زوجت
باعمالها وقيل نفوس المؤمنين بالحور والكفار بالشياطين. واذا الموؤدة

سئلت بأي ذنب قتلت الموؤد دفن الحي في القبر والغرض من سؤالها تبكيت
الوائد على فعله وليس في الاية دليل على انها في الجنة ولكن دلت الاحاديث على ان
اطفال المشركين في الجنة فهي من باب الاولى فان قلت روي سلمة بن زيد انه
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امه قد وأدت اختا له في الجاهلية فقال
الوائدة والموؤدة في النار قلت معارض بما روت خنساء بنت معاوية
ان عمها اخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الموؤدة في الجنة ويحمل قوله الموؤدة
في النار على ان تلك المعينة كانت بالغة فانهم كانوا يدفنون اذا صارت قامتها ستة
اشبار. واذا الصحف نشرت عند الحساب فانها تطوى بعد الموت وقيل
هي غير صحف الاعمال بل صحف تطير من تحت العرش فيقع صحيفة المؤمن في يده
في يده في الجنة وصحيفة الكافر في يده في النار وقرأ ابو عمرو وابن كثير وحمزة و
الكسائي نشرت مشددا لكثرة الصحف او لشدة التطاير. واذا السماء
كشطت كما يكشط الجلد من المسلوخ. واذا الجحيم سعرت اوقدت
ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن ذكوان وحفص بتشديد العين والابلغية
فيه كما في سجرت. واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين كقوله وازلفت
الجنة للمتقين غير بعيد هذا اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست
في الاخرة. علمت نفس ما احضرت جواب اذا الشمس كورت وما عطف
عليه وهو العامل فيها والمعنى علمت كل نفس لقوله يوم تجد كل نفس ما عملت
وانما نكره لان الكلام صادر عن مقام الكبرياء اشارة الى ان من يكون يعتبر هذه
الاجرام العظام فعله يستقل النفوس الانسانية في جنب قدرته فهي كنفس
واحدة. فلا اقسم بالخنس هي الكواكب لانها تخنس اي تتأخر في المغيب او
تختفي ومنه سمي الشيطان خناسا لانه يتأخر اذا ذكر الله وقيل هي السيارة
دون الثوابت وقال الفراء هي الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد
الجوار الكنس التي تكنس اي تستتر من كنس الظبي دخل في كناسه وقيل الظهور
بالليل بعد الخنس بالنهار. والليل اذا عسعس ادبر لقول العجاج حتى اذا الصبح
لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل اقبل وهو من الاضداد
وكلا المعنيين حسن. والصبح اذا تنفس النهار يغشيان الليل تصير كالمكروب
فيحصل تخلصه منه بانكشاف الليل عنه تنفس المكروب بعد زوال الكرب
او حصل نسيم الصباح لاشتماله على الروح كما تنفس المفرج عن القلب انه
اي القران لقول رسول كريم عند الله وهو جبريل وكون القران قوله لاجل
التبليغ. ذي قوة اي قوة كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين ذي
مكانة وعزة. مطاع بين الملا الاعلى والكروبيون. ثم امين اي عند الله

موصوف

موصوف بالامانة على وحي الله تعالى وتنفيذ اوامره. وما صاحبكم بمجنون اي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تزعمون وليس الكلام مسوقا للموازنة والمفاضلة
بين جبريل ورسول الله عليه السلام حتى يستدل بتلك الاوصاف الفاضلة
على افضليته على المرسل اليه بل مسوق لبيان حقيقة المنزل ولا شك ان
وصف الاتي به بتلك الصفات الكوامل يشده من عضاده ابلغ شد لا يرقى
الى مقام يحث على اتباعه كيف جعله سراجا منيرا ورحمة للعالمين. ولقد رآه بالافق
المبين بمطلع الشمس الاعلى. وما هو على الغيب اي محمد في اخباره عن المغيبات
بظنين بمتهم ولذلك تعدى الى مفعول واحد اي لا يتهم فيما يوحي اليه بنقص او
زيادة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بالضاد وعليه الرسم اي ليس ببخيل
في تبليغ ما اوحي اليه والاول اوفق بقوله وما صاحبكم بمجنون وقوله افترى على
الله كذبا ام به جنة ونظائرها. وما هو اي القران بقول شيطان رجيم مطرود
تصريح بما علم ضمنا ونفي للكهانة والتنجيم وبقابل به رسول كريم. فاين تذهبون
شبه عدولهم عن الحق واتباعه بالعدول عن الجادة والذهاب عنها الى المهالك
من الفيافي والمفاوز. ان هو الا ذكر موعظة للعالمين من الثقلين. لمن
شاء منكم ان يستقيم بدل من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكر. وما تشاؤن
الا ان يشاء الله مشيئتكم حذف لدلالة الفعل عليه. رب العالمين مالكهم
والمتصرف فيهم فلا يكون شيء الا بارادته ومقتضى مشيئته تمت سورة التكوير
والحمد للواحد الخبير والصلوة على البشير النذير واله وصحبه كل صغير وكبير

سورة الانفطار مكية وهي سبع عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت اي انشقت. واذا الكواكب انتثرت تساقطت
واذا البحار فجرت بعضها الى بعض بازالة البرزخ فتصير بحرا واحدا ثم تنشق
الارض فتبقى مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا. واذا القبور بعثرت بعثت
موتاها والراء زائدة للالحاق مبالغة مثله بحثر لفظا ومعنى. علمت نفس ما
قدمت واخرت ما قدمت من الاعمال الصالحة وما ضيعت او ما اخرت
من سنة حسنة او سيئة او ما قدمت في اول عمرها وما اخرت في اخره
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء جرأك على عصيانه وذكر الكريم
للمبالغة في المنع عن الاغترار والاشارة الى ان الباعث على ذلك انما كان تسويل
الشيطان بان ربك كريم يعفو ويغفر وقيل انما ذكر وصف الكريم من كرمه كانه
تلقينا له ليقول غرني كرمك وهذا باطل لان الانسان المذكور خاص بالكافر
لقوله كلا بل تكذبون او عام له وللمؤمن لقوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
ولا وجه لتلقين الكافر حجته. الذي خلقك فسوىك فعدلك الذي وجهك

سويا تام الخلق معتدل الأعضاء فلا يد أطول من أختها ولا عين أوسع من نظيرتها
وكذا ماثل بين سائر الأطراف وقرأ الكوفيون فعدلك مخففا من العدل وهو
الميل فكالمشدد إلا ما فيه من المبالغة أو التصرف أي نحا بك عن خلق سائر
الحيوانات أو إلى شبه الأبوين أو إلى الطول والقصر أو الذكورة والأنوثة في أي
صورة ما شاء ركبك أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته فما مزيدة
وأي للصفة ولما أريد التعميم حذف موصوفها ويجوز تعلقه بعدلك أي عدلك
في صورة وأي صورة كقولك مررت برجل أي رجل وحذف الموصوف لزيادة
التفخيم والتعجب ثم قال ما شاء ركبك أي ركبك ما شاء أي تركيبا بها
كلا ردع عن الاغترار بكرمه بل تكذبون بالدين إضراب إلى ما هو السبب الأصلي
في الاغترار وهو تكذيب القرآن والرسل بوقوع الجزاء فإن قلت هذا إنما يستقيم
إذا أريد بالإنسان الكافر أما إذا كان عاما فلا قلت إذا كان عاما يكون خطابا
للكل بما وجد بينهم وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون جملة
حالية أي إنكم تكذبون بالجزاء والحال أن شأنه أمر خطير مع علمه الشامل وقد وكل
بكم من يحفظ عليكم النقير والقطمير وأثنى على الكتبة إشارة إلى عظم أمر الجزاء إن الأبرار
لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم اللام للعهد وهم الذين يكذبون بيوم الدين لقوله هذا
الذي كنتم به تكذبون يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم عنها
بخارجين صريح في سرمدية العذاب ثم فخم شأن الجزاء بتفخيم يومه بقوله وما
أدراك ما يوم الدين أبهم أمره وخاطب أعلم الخلق بأنه لم يحط بكنه ذلك اليوم
وكرر ذلك وأتى بثم للتراخي رتبة إشارة إلى أنه مهما ترقى في العلم لم يبلغ ذلك
ثم أجمل بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله تقرير الشدة
هوله وفخامة أمره وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يوم بالرفع خبر مبتدأ أي يوم الدين
يوم لا يملك أو بدل مما قبله ومن قرأ بالفتح بناه لإضافته إلى غير المتمكن كقول
علي رضي الله عنه من أي يومي من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر
سورة الانفطار والحمد لمن آلاؤه تواترت والصلاة على من آياته بهرت
وآله وصحبه ما غابت النجوم والمعت **سورة المطففين وهي ست**
وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف
نقص الكيل والوزن من الطفيف وهو القليل لأن الذي يسرق من كيل أو وزن
واحد لا يكون إلا قليلا وعن الزجاج مأخوذ من طف الشيء جانبه روى النسائي
وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة
وهم أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وروي أنه لما قرأ الآية عليهم
قال خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله

الا سلط

إلا سلط عليهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا
الكيل إلا أخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر والذين
إذا اكتالوا على الناس يستوفون أي إذا اكتالوا لأنفسهم ما لهم على الناس
يأخذونه كملا وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي كالوا لهم فحذف
الجار وأوصل الفعل أو مكيلهم فحذف المضاف وقيل الضمير للفصل راجع
إلى المطففين وليس كذلك لأن الغرض بيان اختلاف حالهم في الأخذ
والإعطاء لا بيان المباشرة وعدمها ولاستدعائه إثبات الألف
بعد الواو كما في نظائره ولم يذكر الاتزان مع الاكتيال اكتفاء به وقيل
كأنهم كانوا يأخذون الموزون بالمكيال ليتمكنوا من الاستيفاء والسرقة
لاحتمال أن يزعزع الكيل ويحتال في الملء بخلاف الميزان لأنه لا يقبل ذلك
ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم صدر الكلام بحرف التنبيه
إيقاظا وذكر الظن دلالة على أن الظن كاف في الكف عن التطفيف
كيف والعاقل قاطع متيقن ووصف اليوم بالعظم لعظم ما يقع فيه واسم
الإشارة للتتميم نحو ذلك اللعين وكل هذه التشديدات ليس من خبث
التطفيف بل لأن الميزان قانون العدل الذي به قامت السموات والأرض
يوم يقوم الناس لرب العالمين نصب بمبعوثون أو بدل من الجار و
المجرور روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يوم يقوم الناس لرب العالمين يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه
كلا ردع عن التطفيف إن كتاب الفجار لفي سجين عقب ذكر التطفيف
حديث الفجار زيادة تنفير عنه والسجين فعيل من السجن وهو الضيق سمي به
الكتاب الجامع لأعمال الشياطين والكفرة لأنه سبب للتضييق أو لأنه
مطروح في مكان مظلم تحت الأرض السابعة فيقدر مضاف أي أن موضع
كتاب الفجار ونقل الواحدي بإسناده أن السجين بئر مفتوح في جهنم و
الغرض من وصف كتابهم بالوصف الشنيع تقبيح حالهم وسفالة محلهم
وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم معلوم يعلم من رآه أنه لا خير فيه أو
مسطور بين الكتابة وإن كان اسم موضع فالتقدير ما كتاب السجين أو
محل كتاب مرقوم حذف منه المضاف ويل يومئذ للمكذبين الذين
يكذبون بيوم الدين وصف مؤكد أو ذام لأن اللام في المكذبين للعهد وما
يكذب به إلا كل معتد متجاوز عن الحد حيث تقلد فيما لا يصح فيه وقطع النظر
عن الآيات والنذر أثيم كثير الإثم منهمك في الشهوات حيث شغله
ذلك عن التفكر إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين من فرط جهله

وعدم تأمله لا ينفعه شواهد النقل كما لا ينفعه دلائل العقل كلا ردع لما
قالوه من انه اساطير بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والرين صدأ
يعتري القلب من تكاثر الذنوب عن الحسن هو الذنب على الذنب
حتى يعمى القلب روى النسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا اذنب العبد ذنبا كانت نكتة في قلبه فان هو نزع واستغفر
صقل قلبه وان عاد ازدادت حتى يعلو القلب فهو الرين الذي قال الله تعالى
بل ران على قلوبهم كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون تمثيل لحالهم في الاهانة بحال من استأذن على ملك فلم يؤذن له
ثم انهم لصالوا الجحيم لداخلون النار لا محالة ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون
تقريعا لهم وزيادة في العذاب كلا تكرير للاول ليعقب به وعد الابرار
كما عقب به وعيد الفجار او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين
وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم علم كتاب الابرار او موضع يكون فيه
الكتاب جمع علي في الاصل من العلو سمي به لانه سبب العلو والارتفاع في
الجنة او لانه مرفوع الى السماء السابعة يشهده المقربون الكروبيون
يحفظون منه المعارف او يشهدوا على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي
نعيم على الارائك ينظرون على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤا مد
ابصارهم مما يستلذه الاعين تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم
ورونقه كما ترى وجوه اهل الثروة والملوك في الدنيا يسقون من رحيق
من الشراب الخمر مختوم لئلا يبتذل له الايدي ختامه مسك مكان الطينة
من اباريق الملوك وهذا غاية الاكرام وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء اي
ما يختم به كالاول وقيل معنى الاول ان المسك يسري الى آخره وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون فليرتقب المرتقبون ومزاجه من تسنيم اسم عين
في الجنة في الاصل مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة او لانها تجري في
الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا يشرب بها المقربون صرفا
لانهم لم يلتفتوا الى غير طاعة الله تعالى ولم يشتغلوا سرهم بغيره وانتصاب عينا
على المدح او الحال من تسنيم والباء في بها مزيدة او بمعنى من ان الذين اجرموا
كانوا من الذين آمنوا يضحكون هم ابو جهل واضرابه كانوا اذا راوا صهيبا
وبلالا وعمارا واشباههم الفقراء يضحكون استهزاء بهم واذا مروا بهم يتغامزون
يشير بعضهم الى بعض بالعين والحاجب استحقارا واذا انقلبوا الى اهلهم
انقلبوا فكهين متلذذين بالشتم او تطرفا بما هم فيه من الحطام وبما فيه فقراء
الصحابة رضي الله عنهم من الضنك والادواء وقرأ حفص فكهين مقصورا

والمراد به لوجود ذلك وقت الانقلاب والرسم على القصر واذا راوهم
قالوا ان هؤلاء لضالون طريق الرشاد في اتباع محمد وترك دين الآباء
وما ارسلوا عليهم حافظين موكلين بهم حتى يقولوا فيهم بالضلال والرشد
رد منه تعالى عليهم او هو كلام الكفار لهم اذا دعوهم الى الايمان وكان الظاهر
وما ارسلوا علينا حافظين الا انه سلك طريقة الغيبة كقولك قال زيد
ليفعلن كذا فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون بدل ما كانوا يضحكون
منهم في الدنيا على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار
ما كانوا يفعلون الذي طلب هم المؤمنون على الارائك اذا نظروا الى
الكفار في جهنم زيادة في سرورهم وان الله تعالى قد كافاهم والتثويب الاثابة
استعمل في العذاب تهكما والاستفهام للتقرير تمت سورة التطفيف
والحمد لله الكريم اللطيف والصلوة على الرسول الشريف وآله وصحبه ذوي الفضل
المنيف

سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت اي بالغمام ونزل فيه
ملائكة العذاب كقوله يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا
وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له من
الاذن وهو الاستماع والمعنى اطاعت لما اريد منها من الانشقاق اطاعة
المأمور اذا ورد عليه امر من الآمر المطاع وحقت وكانت محقوقة جديرة
بالاطاعة لورود امر القاهر المقتدر الذي لا يتأبى عليه مراد والجواب محذوف
ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في سورتي التكوير والانفطار
وقيل الجواب ما دل عليه فملاقيه اي اذا وقع ذلك لاقى الانسان كدحه
فملاقيه على ان يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اعتراض واذا
الارض مدت عن ابن عباس رضي الله عنه مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا
ولا امتا او هو من المد اي زيدت سعة وبسطة والاول اظهر اذ ايجاد
اجزاء آخر مضافة لم يشهد له خبر ولا اثر والقت ما فيها من الاموات
والكنوز وتخلت غاية التخلو لانه التفعل على التكلف كانها كلفت
ان تبلغ في ذلك غاية الجهد واذنت لربها وحقت اي في الالقاء ما في
بطنها وتخليها ولا تكرار لان الاول في السماء وهذا في الارض يا ايها الانسان
انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه الكدح الجد والجهد في العمل والضمير
في ملاقيه للرب اي لا مفر لك منه او للكدح اي ملاق جزاءه كما في الحديث
انما هي اعمالكم ترد اليكم ثم فصل ذلك بقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه
فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا من غير مناقشة يشق عليه

روى الشيخان وابو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ليس احد يحاسب الا عذب قلت اوليس الله يقول فاما
من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض
ومن نوقش في الحساب هلك وعنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم حاسبني حسابا يسيرا قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير
قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه وينقلب الى اهله اي عشيرته او الى فريق
المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور والولدان مسرورا فرحا واما من اوتي
كتابه وراء ظهره تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله الى وراء ظهره فسوف
يدعو ثبورا اي يدعو بالويل والهلاك ويصلى سعيرا وقرأ نافع وابن كثير
وابن عامر والكسائي بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام من التصلية
كقوله وتصلية جحيم معدى الى مفعولين انه كان في اهله مسرورا بطرا
بالمال والجاه لا يخطر بباله امر الآخرة انه ظن ان لن يحور تعليل لذلك السرور
بلى ايجاب بعد النفي بلى اي ليحورن لا محالة والحور هو الرجوع وفي الحديث
نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي الرجوع عن الدين بعد الدخول فيه ان ربه كان به
بصيرا فيجازيه على اعماله فلا اقسم بالشفق وهي الحمرة بعد مغيب الشمس
وعن ابي حنيفة هي البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عن ذلك مأخوذ
من الشفقة لرقته والليل وما وسق وما جمعه الليل من الكائنات
من الوسق وهو الجمع والقمر اذا اتسق انتظم واجتمع نوره اذا كان بدرا
لتركبن طبقا عن طبق اي حالا متجاوزا عن الاخرى في الشدة وهي الموت
وما بعده من الاهوال والطبق ما طابق غيره اي وافقه ومنه اطباق الثرى
والطبق الغطاء وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء على انه خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعده بالاسراء اي لتسلكن اطباق السموات
في المعراج او لكل احد من افراد الانسان نظرا الى لفظه اي لفظ الانسان
فانه مفرد فما لهم لا يؤمنون بالبعث بعد ظهور دلائله واذا قرئ عليهم
القرآن لا يسجدون لا يخضعون اكراما له لدلالة اعجازه على انه كلام الله
واستدل به ابو حنيفة رحمه الله تعالى على وجوب السجود فانه ذم ولا يكون الا على ترك
الواجب روى مسلم والبخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سجد فيه وقال سجدت
خلف ابي القاسم فلا ازال اسجد بها حتى القاه قيل قرأ رسول الله عليه السلام
ذات يوم واسجد واقترب فسجد وسجد معه المؤمنون فصفق المشركون
وتضاحكوا فنزلت بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن والدليل انما
ينفع المسترشد والله اعلم بما يوعون بما يضمرون من الكفر والعداوة

يجمعونه

يجمعونه في صحائف اعمالهم فبشرهم بعذاب اليم تهكم بهم الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل بتقدير الضمير اي منهم لهم اجر
غير ممنون مقطوع او مشوب بالمنة تمت سورة الانشقاق والحمد لله الواحد
الخلاق والصلوة على الكامل بالاتفاق وآله وصحبه الى يوم التلاق

سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون آيات بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر المشهورة والاقسام بها
لان سير الشمس فيها وبه ينتظم نظام العالم السفلي او منازل القمر لان تلك
البروج منقسمة الى ثمانية وعشرين منزلا او الكواكب العظام او ابواب
السماء فان النوازل تظهر منها واصل التركيب للظهور ومنه تبرج المرأة
واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود عن ابي هريرة وابي مالك
الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة
وكذا عن سعيد بن المسيب وعن ابن عباس رضي الله عنه الشاهد محمد والمشهود
يوم القيمة وعن سعيد بن جبير الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيمة قتل
اصحاب الاخدود دليل جواب القسم اي اقسم ان قريشا لملعونون
احقاء بان يقال فيهم قتلوا كما قتل اصحاب الاخدود وقيل المذكور هو
الجواب والاول اوجه لان الكلام مسوق لتصبير المؤمنين وتهديد المشركين كما
دل عليه آخر السورة والاخدود جمع خد وهو الشق وفي الحديث انهار الجنة
تجري في غير اخدود والقصة على ما رواه مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبر انه كان فيمن كان قبلكم ملك كافر له ساحر فلما كبر سأل الملك
ان يدفع اليه غلاما ليعلمه السحر فدفع اليه غلاما وكان في طريق الغلام
راهب على ملة عيسى عليه السلام فسمع الراهب واعجبه كلامه فانقطع
من الساحر الى الراهب فكان يضربه الساحر لانقطاعه فقال له
الراهب اذا قال لك الساحر ما حبسك عني قل حبسني اهلي واذا
سألك اهلك قل حبسني الساحر فمر يوما على دابة عظيمة في الطريق
قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان امر الراهب احب
اليك من الساحر فاقتل هذه الدابة فرماها فقتلها فاخبر الراهب
فقال انك افضل مني وستبتلى فلا تدل علي فشرع الغلام يبرئ
الاكمه والابرص وكان جليس الملك قد عمي فاتى الغلام باموال
وقال اشفني قال الشافي هو الله فان آمنت به دعوت الله فشفاك
فآمن فدعا الغلام فشفاه الله فلما حضر الملك قال من رد عليك البصر
قال ربي قال انا قال لا ربي وربك الله فاخذه يعذبه حتى دل على الغلام

فلما اتي به قال بلغ من سحرك انك تبرئ الاكمه والابرص قال ان الشافي
هو الله تعالى قال او لك رب غيري قال ربي وربك الله تعالى فلم يزل يعذبه
حتى دل على الراهب فقال للراهب ارجع عن دينك فلم يرجع فوضع
المنشار على راسه فشقه ودفع الغلام الى جماعة فقال اذهبوا به
الى ذروة شاهق فالقوه فلما علوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم فرجف
بهم الجبل فهلكوا عن آخرهم فرجع الغلام سالما فقال له الملك اين القوم
فقال هلكوا فدفعه الى نفر وقال اجعلوه في قرقور فاذا توسطتم البحر
فالقوه فلما توسطوا البحر قال اللهم اكفنيهم فغرقوا ورجع الغلام الى
الملك فقال ما فعل اصحابك قال غرقوا ثم قال للملك انك لا تقدر
على قتلي الا اذا فعلت ما آمرك به اجمع الناس في صعيد واحد و
واصلبني وخذ سهما من كنانتي وقل بسم الله رب الغلام فانك
اذا فعلت ذلك قدرت على قتلي ففعل ذلك فقتل الغلام فقال
الناس آمنا برب الغلام فامر باخدود بافواه السكك فخدت اخاديد و
واضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه فكانوا يتعادون
ويتدافعون الى النار رغبة في الموت على الدين فجاءت امراة
تحمل رضيعا فتقاعست فقال الرضيع يا اماه اصبري فانك
على الحق فالقت نفسها مع الصبي وعن علي انهم اختلفوا في احكام
المجوس قال هم اهل الكتاب وكانوا متمسكين به فشرب بعض ملوكهم
الخمر ووقع على اخته فلما صحى ندم وطلب المخرج فقالت اخته المخرج
ان تخطب وتقول في الخطبة ايها الناس ان الله تعالى قد احل لكم نكاح
الاخوات ثم بعد ذلك تخطب وتقول ان الله حرم ذلك فخطب
فلم يقبلوا منه فبسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف
ففعل فلم يقبلوا فامرته بالاخدود وايقاد النار والقاء من ابى
فيها وروى ابن اسحاق ان رجلا عالما من عالم النصارى وقع بنجران
فدعاهم الى دين عيسى عليه السلام فآمنوا به فسار اليهم ذو نواس اليهودي
من بلاد اليمن فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر
الفا وقيل سبعين الفا ونجا منهم رجل فلحق بقيصر فكتب قيصر الى ملك
الحبشة فحمله على قتال ذي نواس ونصر دين عيسى عليه السلام فارسل
النجاشي جيشا اميرهم ارباط فهزم ذا نواس اليهودي حتى دخل البحر
في سفينة وغرق فيها واستمر ملك اليمن في يد الحبشة سبعين سنة
حتى استنقذه سيف بن ذي يزن من ابناء تبع وهو الذي اخبره

عبد المطلب بشان رسول الله وصفاته ٭ النار ذات الوقود ٭ والنار
بدل اشتمال وذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة الوقود من الحطب
والناس قيل كان طول الاخدود اربعين ذراعا في عرض اثني عشر اذ
هم عليها قعود ٭ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ٭ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه
سعى في احراقهم ولم يقصروا ويشهدون يوم القيامة على انفسهم يوم تشهد
عليهم السنتهم ٭ وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد ٭ اي وما
عابوا منهم الا افضل المناقب واحسن الخصال وهو الايمان بمن هذه صفاته
من كونه غالبا على كل شيء منعما محمودا على نعمه كقوله ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ٭ الذي له ملك السموات و
والارض والله على كل شيء شهيد ٭ اعاد المظهر للدلالة على ان شمول العلم
شان الالوهية ومن لوازمها ٭ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
ثم لم يتوبوا ٭ يشمل اصحاب الاخدود وغيرهم ٭ فلهم عذاب جهنم
بكفرهم ٭ ولهم عذاب الحريق ٭ نار اخرى عظيمة تتسع بهم كما يتسع الحريق
لفتنتهم وقيل هم اصحاب الاخدود لما روي ان النار انقلبت عليهم
فاحرقتهم ٭ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من
تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ٭ الذي يستحقر ملك الدنيا دونه
ان بطش ربك لشديد ٭ البطش هو الاخذ بالشدة والعنف فا
في الوصف بالشدة زيادة مبالغة ثم قرر ذلك بقوله انه هو يبدئ
ويعيد ٭ ومن هذا شانه يكون بطشه وانتقامه من اعدائه في نهاية
الشدة وقيل يبدئ البطش في الدنيا ويعيده في الآخرة وهذا يلائم
ما قيل ان النار انقلبت على اصحاب الاخدود ٭ وهو الغفور ٭ للذنوب
الودود ٭ لمن تاب ٭ ذو العرش ٭ خالق العرش او كنى به عن الملك
المجيد ٭ خبر رابع لهو ومجد الله عظمته وكبرياؤه وقرا حمزة والكسائي بالجر صفة
العرش والمراد به عظمة جرمه او اتساع الملك دلالة على كمال الاقتدار
والرفع اولى لكونه غالبا في صفاته تعالى ٭ فعال لما يريد ٭ لا يتاتى عليه مراد خبر
مبتدا محذوف لدلالته على تحقيق الوصفين البطش بالاعداء والمغفرة
والود للاولياء ولو جعل خبر هو المذكور جاز ولا يخفى ما في التنكير وزيادة
اللام من الفخامة ٭ هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود ٭ ابدلهما عن
الجنود لان المراد فرعون وملاؤه وخص ثمود اليه دون غيرهم لقرب بلادهم
ورعاية للفاصلة والمعنى قد عرفت عملا تكذيبهم وما حاق بهم تسلية له

وتهديدًا للقومة: بل الذين كفروا في تكذيب: في الاضراب دلالة على ان حال
هؤلاء اعجب من اولئك فانهم سمعوا باخبارهم وشهدوا آثارهم وهم
مستغرقون في التكذيب: والله من ورائهم محيط: علما وقدرة لايفوته
احد جملة معترضة: بل هو قرآن مجيد: اي كذبوا به قرآن شريف معجز في [illegible]
ترق وبشارة الى ان تكذيبه خارج عن انواع التكذيب: في لوح محفوظ: عن
جمهور الملائكة لايطلع عليه الا بعض المقربين فكيف يكون كذبا: سورة الطارق
مكية وهي سبع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق: من الطرق وهو القرع ولكن
اطلق على الآتي بالليل لانه يحتاج الى دق الباب والمراد به الكواكب لظهورها
بالليل النجم الثاقب: ابهمه اولا ثم فسره اظهارا لفخامة شان المقسم به
والثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بنوره: ان كل نفس لما عليها حافظ:
ان هي المخففة واللام الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل نفس عليها حافظ
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم بمعنى الا على ان ان نافية والجملة
جواب القسم: فلينظر الانسان مم خلق: اي لما ثبت ان عليه حافظا
فلينظر في نفسه فانها اقرب الاشياء اليه وكيفية تكونها فان ذلك النظر
يوصله الى الحافظ الحقيقي ويعرفه انه لم يخلق سدى: خلق من ماء دافق
ذي دفق نسبة كلابن وتامر واسناد مجازي وصف بوصف صاحبه
يخرج من بين الصلب والترائب: اي صلب الرجل وترائب المراة
موضع القلادة او ما بين ثدييها كذا عن ابن عباس رضي الله عنه جمع تريبة
ولا ينافي قول الاطباء انه يتولد من جميع اجزاء البدن بعد الهضم الرابع فياخذ
من كل عضو ما يستعد ان يكون عضوا آخر مثله لانه نسبه مع الاختصار على الاعضاء
التي هي اصول في التولد وذلك ان الترائب يشمل القلب والكبد والكلى
والصلب الدماغ لاتصال النخاع بالدماغ وينزل من الدماغ شعب الى
مقدم البدن وهي الترائب على ان كلامهم مبناه على الاوهام والظنون وكلام
الله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: انه: اي الله تعالى [illegible] اولا بترك
الفاعل في مم خلق وثانيا بالاضمار لعدم ذهاب الوهم الى الغير: على رجعه
لقادر: اي على اعادة الانسان وقيل الضمير للماء اي يقدر على رجعه الى مخرجه
يوم تبلى السرائر: منصوب برجعه والفاصل ليس باجنبي لانه متعلق بخبر
اي يكشف وتظهر جميع سريرة وهي ما اخفي من العقائد والاعمال: فما له من
قوة ولا ناصر: من منعة في نفسه ولا من عشيرة: والسماء ذات الرجع:
ذات المطر سمي رجعا [illegible] لا او لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لان العرب

لغ

تزعم ان السحاب تحمل من بحار الارض ثم ترجعه الى الارض: والارض ذات
الصدع: النبات او الشق بالنبات والعيون: انه: اي القرآن او ما اخبرتم
به من الاقتدار على الاحياء والاول اولى لتناوله هذا وغيره: لقول فصل:
حد فاصل بين الحق والباطل: وما هو بالهزل: في شيء بل جد كله: انهم: اي اهل مكة
يكيدون كيدا: باطفاء النعم عليهم والعافية في مقابلة ذلك استدراجا [illegible]
فمهل الكافرين: الى الوقت المضروب لهم في علمه تعالى: امهلهم رويدا: امهالا
يسيرا كرر مبالغة في التسكين والتصبير وخالف لانه اوكد من مجرد التكرار
تمت سورة الطارق والحمد لله الخالق والصلوة والسلام على الكامل الصادق
وآله وصحبه بالمع شارق سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك: الخطاب عام او له ومنه
تسبيح وكما يجب ان ينزه ذاته عما لايليق من الاوصاف فكذا الاسماء والالة
عليه تحمل على معاني الكمال والجلال وتصان عن التاويلات الزائغة وان لا
تذكر الا على وجه التعظيم تادبا بادب الله تعالى الا ترى الى قوله ولله الاسماء
الحسنى كيف يرشد الى ذلك: الاعلى: الاولى جعله صفة للاسم ويجوز ان
يكون وصفا للرب عن عقبة بن عامر لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوه في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال
اجعلوه في سجودكم: الذي خلق فسوى: خلق كل شيء فسواه بان جعل له ما به يتأتى
كماله ويتم معاشه: والذي قدر: اشياء اجناسا وانواعا واشخاصا: فهدى
بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الآيات وقرا الكسائي قدر مخففا
من القدرة والتشديد ابلغ واوفق بسائر الآيات: والذي اخرج المرعى: اي
النبات الذي يرعاه الدواب: فجعله غثاء احوى: حطاما اسود بعد خضرته
ورقته والاولى جعل احوى حالا من المرعى اي اخرجه اسود من شدة الخضرة
والفاصل بين الحال وصاحبها ليس اجنبيا وفي تقديمه اشارة الى سرعة طرآن
الجفاف كانه قبل ان يتم رفيفه يصير غثاء: سنقرئك فلا تنسى كانه لما امر
بتنزيه اسمه تعالى خالج قلبه خوف النسيان فبشره الله تعالى باكمال قوته الحافظة بانه لا ينسى
شيئا: الا ما شاء الله: نسيانه ولا يبعد عليه في ذلك وفي الحديث انما انا
بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني او الا ما شاء الله نسيانه
برفع تلاوته وحكمه وقيل نفي النسيان راسا وقيل نهي والالف للفاصلة
انه يعلم الجهر وما يخفى: وقد علم خوفك من النسيان ولذلك ازاله عنك
او عالم بالاحوال ولذلك ينسخ ما فيه حكمة ومصلحة او يعلم جهرك في القراءة
مع جبريل مخافة فوت شيء منه فلذلك ضمن لك حفظه: ونيسرك

لليسرى؛ ونوفقك للطريقة التي هي ايسر الطرق وهي الشريعة التي لا حرج فيها
ولا اغلال كما قال عليه السلام جئتكم بالحنيفية السمحاء لو كان ابن عمران
حيا لما وسعه الا اتباعي عطف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى
اعتراض؛ فذكر؛ اشتغل بالتذكير بعد ما امنتك من النسيان؛ ان نفعت الذكرى؛
كان مأمورا بالتبليغ والدعوة نفعت الذكرى او لم تنفع فلما دعاهم وبلغ في
ذلك اقصى جهده حتى قال له لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين اشار
الى استبعاد النفع فيهم كانه قال افعل ما امرت به لتؤجر وان كانوا اهل الطبع
او المعنى ذكر المؤمنين واعرض عن هؤلاء فان الذكرى تنفع المؤمنين ويؤيده قوله
سيذكر من يخشى؛ اي يخشى الله فانه يتفكر في الايات ويتعظ في المواعظ؛ و
يتجنبها الاشقى؛ اي الكامل في الشقاوة وهو الكافر وافعل للزيادة المطلقة لدخول
الفاسق في الشقاء في قوله فمنهم شقي وسعيد؛ الذي يصلى النار الكبرى؛ نار جهنم
في مقابلة النار الصغرى وهي نار الدنيا او الدرك الاسفل؛ ثم لا يموت فيها؛
فيستريح؛ ولا يحيى؛ حياة طيبة ثم للدلالة على ان كونه لا ميتا ولا حيا اقطع
من دخول النار روى مسلم عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل
النار الذين لا يريد الله اخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون والذين يريد اخراجهم يميتهم
فيها اماتة ثم يخرجون فيلقون في انهار الجنة؛ قد افلح من تزكى؛ تطهر من
اوضار الشرك والمعاصي او تكثر من صفات التقوى او تطهر للصلوة او
ادى الزكوة والرواية عن علي رضي الله عنه ان المراد زكوة الفطر لا تصح لان السورة
مكية ولا عيد بها ولا فطر والاوجه حمله على التزكي في الاعمال والاخلاص فيها لقوله
ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه؛ وذكر اسم ربه فصلى؛ ولا دلالة فيه على تكبيرة الافتتاح
ليستدل به على خروجها عن الصلوة وجواز قيام سائر الاذكار مقام التكبير؛ بل
تؤثرون الحيوة الدنيا؛ الخطاب عام او خاص باهل مكة والمضرب عنه
قد افلح او ذكر اي تؤثرون الحيوة الدنيا على الفلاح او الذكر وقرا ابو عمرو بالغيبة
باعتبار الاشقى او لم يرد به معين والخطاب اولى لقول ابن مسعود رضي الله عنه
عجلت لنا الدنيا فاثرناها ولقراءة ابي بل انتم تؤثرون الحيوة الدنيا وفيه اشارة
الى ان النفوس الكمل على اسلوب وقليل من عبادي الشكور؛ والاخرة خير وابقى؛
اذ نعم الدنيا لا تشارك نعم الاخرة الا في الاسم مع سرعة زوالها؛ ان هذا
لفي الصحف الاولى؛ المشار اليه جميع ما في السورة او قد افلح من تزكى الى خير وابقى
والاول اعم واصح لما روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله عليه السلام
قال انزل الله تعالى كلها؛ صحف ابراهيم وموسى؛ روي عن ابي ذر ان رسول الله عليه السلام
قال انزل الله تعالى مائة واربعة كتب على آدم عشر صحايف وعلى شيث خمسين

وعلى ادريس ثلثين وعلى ابراهيم عشرة والتورية والزبور والانجيل والفرقان
تمت سورة الاعلى والحمد لمن له الاسماء الحسنى والصلوة على صاحب المعراج والاسرى
واله وصحبه اولى الفضائل والتقى

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية؛
اي القيمة لانها تغشى الناس باهوالها وافزاعها؛ وجوه يومئذ خاشعة؛
ذليلة؛ عاملة ناصبة؛ عملت في الدنيا وتعبت بلا نفع وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا او عاملة في النار بجرات السلاسل والاغلال
ناصبة في الصعود والهبوط في جبال النار او ودتها؛ وقيل هؤلاء
نساك اليهود والنصارى اصحاب الصوامع كانوا يحسبون انهم يحسنون
صنعا؛ تصلى نارا؛ تدخلها وقرا ابو عمرو وابو بكر بضم التاء على بناء المفعول
من اصلاه او صلاه النار وهو ابلغ واوفق لقوله تسقى؛ حامية؛ في غاية
الحرارة لان النار لا يكون الا حارة؛ تسقى من عين آنية؛ متناهية
ليس لهم طعام الا من ضريع؛ جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا
يبس تحاماه وهو سم قاتل ولا ينافيه الا من غسلين لاختلاف طبقات
الاكلة بعضهم الغسلين وبعضهم الضريع وبعضهم الزقوم او بحسب الاوقات
كماكولات الدنيا في كل فصل يؤكل ما لا يليق به جزاء على ما كانوا فيه من التنقل في
اللذات؛ لا يسمن ولا يغني من جوع؛ مرفوع المحل او مجرور على وصف
طعام او ضريع اي مع ما يقاسون منه في التناول لم يترتب فائدة الاكل
لان الغرض منه احد الامرين؛ وجوه يومئذ ناعمة؛ ذات بهجة ورونق كقوله
تعرف في وجوههم نضرة النعيم ولم يعطف الوجوه عطف احد الضدين
على الاخر لان الاتيان بها على وجه الاعتراض استطرادا؛ لسعيها راضية؛ لما
رات من ثوابها؛ في جنة عالية؛ علو المكان او المقدار؛ لا تسمع فيها؛ في
المخاطبة او الوجوه؛ لاغية؛ كلمة ذات لغو او لغوا او نفسا تلغو فان
كلام اهل الجنة ذكر وحكم؛ فيها عين جارية؛ اي عيون كثيرة كقوله علمت نفس
وقيل التنكير للتعظيم؛ فيها سرر مرفوعة؛ سمكا او قدرا؛ واكواب؛ اباريق
لا عرى لها؛ موضوعة؛ عن حد الكبر اي اوساط معتدلة او موضوعة بين
ايديهم لا يحتاجون الى الطلب او على حافات العيون لانها لذ منظرا
كما يتعاطاه اهل الشرب في مجالسهم؛ ونمارق؛ جمع نمرقة بضم النون
والراء وكسرهما وهي الوسادة؛ مصفوفة؛ بعضها الى بعض ينجلس
حيث اختار كما يفعله الملوك في قصورهم لئلا يحتاجوا الى النقل؛ وزرابي
بسط عراض فاخرة وقيل ما فيه خمل رقيق جمع زربية؛ مبثوثة؛ مبسوطة

او متفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت عاد الى ما افتتح
به السورة من ذكر القيمة واهوالها ولما كان الكلام مع العرب وجل مالهم هي
الابل ولم يزل مخيلتهم مشحونة بتخيل الماء والمرعى فكما انتظم خيالهم الابل
والمطر النازل من السماء المنبت في الجبال والاراضي الكلاء انتظم الذكر
على نحو ما انتظم ذلك الخيال وفي خلق الابل واعطائها وخلاقها من التحمل
على المشاق وسرعة الانقياد مع عظم الجثة ما يقضي منه العجب حكى بعض
الثقات ان قطارا منها افتقدت فوجدوها قد اخذ فارة بحبل خطامها
فدخلت به بيتا فتبعها قال بعض الادباء اردت ان اولف كتابا
في شرح خلقها فتصورت ان لو فعلت جاء مجلدا والى السماء كيف
رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت نصبا راسخا لا تميل ولا تزول
في تلك المدد المتطاولة والى الارض كيف سطحت حتى صارت مهادا
سهل التقلب عليها فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر بمتسلط
كقوله وما انت عليهم بوكيل روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا
عصموا دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى ثم قرا انما انت مذكر
لست عليهم بمصيطر وقرا خلف عن حمزة باشمام الصاد زايا وللخلاد وجهان
الصاد الخالصة والاشمام وهشام بالسين وهو الاصل والباقون بالصاد وعليه
الرسم الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من اعرض وكفر فيعذبه
الله العذاب الاكبر عذاب الحريق في جهنم وقيل متصل فان الجهاد مع الكفار
تسلط عليهم وقيل استثناء من فذكر اي فذكر الا المعرض الكافر وما بينهما
اعتراض ان الينا ايابهم رجوعهم ثم ان علينا حسابهم لا محالة سبق
به الوعد وفيه تسلية له وتهديد لهم تمت سورة الغاشية والحمد على نعمه الوافرة
الوافية والصلوة على من شفاعته كافية وعلى اله وصحبه صلوة زاكية

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر هو الصبح اقسم به كما اقسم به في قوله والصبح اذا تنفس وعن عكرمة
ومحمد بن كعب هو فجر يوم عرفة النحر وقيل بتقدير المضاف اي وصلوة الفجر
وليال عشر عشر ذي الحجة قاله ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما روى البخاري
عن ابن عباس مرفوعا ما من ايام العمل الصالح احب الى الله فيهن من عشر ذي الحجة
قالوا ولا الجهاد يا رسول الله قال ولا الجهاد الا رجل خرج بماله ونفسه ثم لم يرجع
بشيء منهما وانما لم يعرف الليالي العشر لانها ليال مخصوصة فلو عرفت كانت
اللام للعهد فلم يجانس السابقة واللاحقة والشفع والوتر الاشياء كلها

اولخلق

او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين وقد اكثروا القول في المحتملات
ولا طائل تحته وقرا حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو وهما لغتان والفتح
اخف ومصدر وتر حقه بالكسر لا غير والليل اذا يسر اذا انقضى ومضى
كقوله والليل اذ ادبر اثبت ياءه ابن كثير في الحالين ونافع وابو عمرو في الوصل
وحذفه الباقون اكتفاء بالكسرة هل في ذلك قسم لذي حجر اي هل في الاشياء
المذكورة ما يحق عنده ان يكون مقسما به او هل في الاقسام بها اقسام له
وعلى الوجهين اريد تعظيم المقسم به ويلزم منه توكيد المقسم عليه والاستفهام
للتقرير والحجر العقل لانه يمنع صاحبه عن ارتكاب ما لا ينبغي كما سمي عقلا
ونهية لذلك وجواب القسم محذوف اي ليعذبن دل عليه قوله فصب
عليهم ربك سوط عذاب الم تر كيف فعل ربك بعاد الم تعلم والخطاب
عام وكان هذا متواترا عند العرب وعاد هو ابن عوص بن ارم بن سام
ابن نوح سميت اولاده عادا كما يقال لبني هاشم هاشم ارم ذات
العماد ارم عطف بيان لعاد وذلك ان اولاد ارم سموا عادا الاولى
وقيل ارم بلدتهم وعلى الوجهين منع الصرف للعلمية والتانيث وانما وصفوا
بذات العماد لكونهم اهل خيام يسكنون البادية او لطول قاماتهم روي
ان الرجل منهم كان اربعمائة ذراع فشبهت قدودهم بالاعمدة والظاهر ان
ارم اسم بلدة وذات العماد صفتها لما تواتر وكثر في الاشعار ذكرها وقصتها
ان عادا كان له ابنان شداد وشديد ملكا الارض وقهرا الملوك ثم
مات شديد واشتغل شداد بالملك وملك الدنيا باسرها بلا منازع
فسمع بذكر الجنة وكان عمره اذ ذاك ستمائة سنة فبنى مدينة عظيمة
قصورها من الذهب والفضة وساطينها من اليواقيت والزبرجد في
مدة ثلثمائة سنة وفيها الاشجار والانهار المطردة وكان بارض عدن فلما
تم بناؤها سار اليها بعسكره ليتمتع بتلك القصور والانهار فلما كان بينه
وبين المدينة مسيرة يوم وليلة صاح بهم صيحة ملك فهلكوا عن آخرهم وحكي
ان عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل له فاتفق ودخل فيها فحمل ما قدر عليه
واتى به معاوية واخبر الخبر والله تعالى اعلم التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى
لارم وهذا ايضا يؤيد انها اسم البلدة اذ لو كان اسم القبيلة كان
المناسب لم يخلق مثلهم في العباد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد
قطعوا الصخور واتخذوا فيها بيوتا لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل
نحتوا من الجبال الفا وسبعمائة مدينة بالوادي وادي القرى واثبت
البزي وقنبل في احد وجهيه الياء في الحالين وورش فقيل في الوصل

الاخر في الوصل وحذفهما الاخرون ﴿وفرعون ذي الاوتاد﴾ سمي به لكثرة
جنوده اما لان الجنود كالاوتاد للامير على التشبيه او لكثرة خيامهم او لانه
كان يعذب بالاوتاد ﴿الذين طغوا في البلاد﴾ صفة للمذكورين
من عاد وثمود وفرعون مرفوع او منصوب ﴿فاكثروا فيها الفساد﴾ تبعة
لطغيانهم ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ الاضافة بمعنى من اي
سوطا منه والمراد تعليل ما اصابهم في جنب عذاب الاخرة ولذلك
روي عن الحسن انه لما تلاها قال ان عند الله اسواطا كثيرة وقيل ما غلظ
منه وذكر السوط كناية عنه والاول اوفق بسائر الايات واشد
تهويلا ﴿ان ربك لبالمرصاد﴾ مفعال من رصده اذا ترقبه كناية عن
عدم الفوت ﴿فاما الانسان﴾ متعلق بقوله ان ربك لبالمرصاد
كانه قيل ان الله تعالى يرصد العصاة بالعقوبة والانسان لا يهمه الا العاجلة
اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى ﴿فاكرمه ونعمه﴾ بالمال والجاه ﴿فيقول ربي
اكرمن﴾ فيفتخر بذلك متوهما استحقاقه ولم يتلقه بالشكر ﴿واما اذا
ما ابتلاه فقدر عليه رزقه﴾ ضيقه عليه وقرا ابن عامر قدر مشددا و
المخفف اخف واوفق بقوله ومن قدر عليه رزقه ﴿فيقول ربي اهانن﴾
لقصور نظره الى الحطام ولم يدر ان الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة
وان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين ولذلك زواها عن اكثر اصفيائه
واثبت نافع في الوصل والبزي في الحالين يآء اكرمن واهانن ولابي عمرو
وجهان الحذف والاثبات وحذفهما الباقون اكتفاء بالكسرة ﴿كلا﴾
ردع للانسان عن هذا القول ثم اشار الى انه مرتكب ما هو شر
من هذا القول ﴿بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ لا
تتفقدون اليتيم بالاحسان ولا تحثون انفسكم ولا غيركم على طعام
المسكين من غاية الشح وقلة الشفقة وقرا الكوفيون بفتح التاء و
الحاء والالف بعده من التفاعل حذف منه احدى التائين اي لا
يحث بعضهم بعضا وهذا ابلغ لدلالته على انهم لا يفعلون المعروف ولا
يامرون به ﴿وتاكلون التراث﴾ الميراث اصله وراث قلبت الواو تاء
كما في تجاه ﴿اكلا لما﴾ ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام لانهم كانوا لا يورثون
النسآء ويقولون المال لمن يحمي الحريم او ياكلون ما جمعه المورث من حلال
وحرام لا يميزون بينهما او يسرفون في انواع الماكل والفواكه كما يفعله
الوارث لانه لم يتعب في تحصيله ﴿وتحبون المال حبا جما﴾ شديدا
مع الشره والحرص ومنع الحقوق وقرا ابو عمرو الافعال الاربعة بالياء

عينه

عينه والخطاب ابلغ تقريعا ﴿كلا﴾ ردع لهم وانكار لفعلهم ﴿اذا دكت
الارض دكا دكا﴾ اي دكا بعد دك حتى تصير هباء منبثا وعيد لهم على
تلك الافعال التي يتحسرون على تركها حين لا ينفع ﴿وجاء ربك﴾ مثل
حاله في ظهور اثار قدرته وسلطانه وتوجه ارادته الى الانتقام من المجرمين
بحال ملك عني بقهر اعدائه فلم يكتف بالجند والعساكر بل يحضر بنفسه
﴿والملك صفا صفا﴾ اي الملائكة كلهم صفا بعد صف على قدر مراتبهم محدقين
بالانس والجن ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ روى مسلم والترمذي عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم لها سبعون
الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك ﴿يومئذ﴾ بدل من اذا
دكت والعامل فيهما ﴿يتذكر الانسان﴾ ما فرط منه او يتعظ ﴿وانى له
الذكرى﴾ استبعاد لها من حيث النفع لئلا ينافي تحققها بتقدمه ومن
استدل به على عدم وجوب قبول التوبة فقد ابعد عن الصواب لان عدم
قبولها ليس بناء على عدم وجوب القبول بل لفوات الوقت بانقطاع
التكليف ﴿يقول يا ليتني قدمت لحياتي﴾ هذه وهي حيوة الاخرة
او وقت حياتي في الدنيا كقولك جئتك لعشر خلون من رجب
وهذا من تمني المحال وفيه دلالة على ان للانسان اختيارا في افعاله
﴿فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد﴾ الضمير لله تعالى اي
لا يتولى عذاب الكافر ولا وثاقه احد غيره تعالى ففيه تهويل نعوذ
بالله تعالى من غضب الحليم او للانسان اضافة المصدر الى المفعول
اي لا يعذب الزبانية احدا من خلق الله مثل تعذيب هذا الانسان
وقرا الكسائي بفتح الذال والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى
الايثاق كالسلام بمعنى التسليم والعطاء بمعنى الاعطاء والضمير للانسان
والمعنى كالوجه الثاني في قراءة الكسر ﴿يا ايتها النفس المطمئنة﴾ المؤمنة
التي اطمانت في الدنيا الى ذكر الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
او الامنة من الخوف والحزن القائلة يا ليتني قدمت لحياتي تحزنا
وتحسرا وهذا اما عند الموت او البعث او دخول الجنة ﴿ارجعي
الى ربك راضية﴾ بما اوتيت مالا عين رات ﴿مرضية﴾ عند الله
﴿فادخلي في عبادي﴾ في زمرة عبادي الصالحين ﴿وادخلي جنتي﴾ دار
كرامتي ومستقر اوليائي تمت والحمد لله نعمه عمت والصلوة على من
به الرسل تمت سورة البلد مكية وهي عشرون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لا اقسم بهذا البلد﴾ اقسم تعالى بالبلد الحرام

الذي هو اشرف الاماكن حرمه يوم خلق السموات والارض على ان الانسان
مخلوق في كبد مستغرق في اتعابه واعترض بين القسم والمقسم عليه
بقوله وانت حل بهذا البلد دلالة على ان من المكابد كون مثلك
حلا اي مستحلا حرمته في مثل هذه البلدة التي لا يجوز التعرض لنباتها
فضلا عن صيدها وفيه تسلية له واشارة الى ان سوء صنيع المشركين
قد بلغ الغاية القصوى فيقع الذم الآتي لهم في حق موقعه او وعد له
بفتح مكة تتميما له بان ما يقاسيه من الاذى والمكابد عاقبته الظفر
وحل البلد الذي لم يحل لاحد قبله ولا لاحد بعده يفعل فيها ما يشاء
قتلا ونهبا وفيه من اجلال قدره ما ترى ونظيره في الاستقبال انك
ميت وقولك لمن تعده انت مكرم ووالد وما ولد آدم وذريته
او ابراهيم مؤسس البلد واسمعيل ومحمد وذريته الطاهرة والعدول
الى ما للدلالة على الوصفية فيفيد فخامته كقوله والله اعلم بما وضعت
لقد خلقنا الانسان في كبد اي في شدة ومشقة لان اول احواله
ضيق الرحم وآخره الموت وضيق القبر وما بعده من كبد الرجل اذا
وجع كبده ثم اتسع فيه فاطلق على كل مشقة ايحسب ان لن
يقدر عليه احد ايظن هذا الصنديد القوي ان لن يقوم القيمة ولا
يقدر احد على الانتقام منه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم بقوله
يقول اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع يريد ما كان
ينفقه رياء وسمعة مما كانوا في الجاهلية ينفقونه مفاخرة والمعنى على
العموم وان نزلت في ابي الاشد بن كلدة فانه كان قويا يبسط
الاديم العكاظي تحت قدميه ويقوم عليه ثم يقول من ازالني عنه
كذا فيتقطع ويبقى ما تحت قدميه وقيل نزلت في الوليد ايحسب
ان لم يره احد حين ينفق ما ينفق رياء وفخرا اي ان الله كان رقيبا
عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به ويعبر به عن
مقاصده وشفتين زينة ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب
وهديناه النجدين طريقي الخير والشر كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا
واما كفورا والنجد ما ارتفع ففيه اشارة الى غاية الايضاح والبيان و
وقيل هما الثديان فان العرب يقسم بهما ويقولون ونجديها فانما بطن
كالغور وهما نجدان فلا اقتحم العقبة بعد هذه النعم وما ادراك ما العقبة
ابهمه على وجه الاعتراض ثم فسره بقوله فك رقبة او اطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة العقبة ما صعب

من

من طريق الجبال كني به عن صعوبة هذه الاعمال على النفس ولذلك عبر عن الاتيان
بها بالاقتحام الذي هو الدخول في الشيء عنفا من القحمة وهي الشدة والمسغبة
والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب والقرابة
وترب افتقر كانه التصق بالتراب والمعنى ان الانفاق عند الله تعالى هو هذا
لا ما فخر به ذلك المرائي وقدم فك الرقبة لانه اقرب القربات روى
مسلم والبخاري عن عمر بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعتق
رقبة مسلمة كانت له فكاكا من النار عضوا بعضو وقرا نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة فك واطعام مصدرين مضافين الى المفعول بالرفع على الخبرية والباقون
بالفعل بدلا من اقتحم ولا مكررة تقديرا اي لا فك ولا اطعم على ان تكررها
غير لازم ونحو فلا صدق ولا صلى انما يدل على الوقوع دون اللزوم ثم كان من
الذين امنوا عطف على اقتحم اي لا اقتحم ولا آمن ولا يلزم كونه خارجا منه
بل لكونه اشرف الاجزاء واساس سائرها خص بالذكر مع ثم دلالة على
انافة محله وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى مشاق الطاعات وتواصوا
بالمرحمة الشفقة على خلق الله تعالى اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن
والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة الشؤم او الشمال عليهم نار
مؤصدة مطبقة وقرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمز يقال اوصدت الباب
واصدته اذا اغلقته والواو فصيح لاتفاقهم في الوصيد تمت سورة البلد
والحمد لمن وفق وسدد والصلوة على السيد الاوحد واله وصحبه الى آخر الآباد

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحيها اقسم بالشمس وضوئها لان كلا منهما من بدايع صنعه هو
والضحوة وقت ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد
قرب نصف النهار والقمر اذا تليها تلا الشمس في النور والكمال ليلة
البدر فانه يظهر سلطانه كرفعة الضحى للشمس او تلا الشمس اخذا من نورها
وذلك في النصف الاول من الشهر واما في النصف الثاني فلا تلو لانه
مفارق او تلا طلوعه طلوعها والنهار اذا جليها اي الشمس على التقابل كما
جعل الليل غاشيا للشمس جعل النهار مجليا لها فانها تظهر غاية الظهور اذا
انبسط النهار وقيل الضمير للظلمة او الليل او الارض والليل اذا يغشيها
يغشى الشمس يستر ضوءها بظلامه ولما كانت واوات العطف نوائب
للواو القسمية الجارة بنفسها قائمة مقام الفعل سادة مسده بحيث
طرح ذكره رأسا بخلاف الباء جاز ان يكون عوامل عمل الفعل والجار معا
كقولك ضربت زيدا عمرا وبكر خالدا من غير عطف على عاملين مختلفين

هذا ويرد عليه والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس فانه عطف على المجرور بالباء
والحق ان الظرف ليس متعلقا بفعل القسم لان التقييد بالزمان غير مراد
لا حالا ولا استقبالا بل المعنى وعظمة الليل وقت غشيانه لان الاقسام
بالشيء اعظام له. والسماء وما بناها ما ليست مصدرية لقوله فالهمها بل
موصولة وايثارها على من لارادة الوصف فتفيد فخامة كانه قال والسماء
والقادر العظيم الذي بناها وكذا يقدر ما يناسب في غيرها والقول باضمار
العائد اليه تعالى للعلم به مفوت لتلك الفخامة. والارض وما طحيها دحاها
وبسطها. ونفس وما سويها بني نفس آدم والتنكير للتكثير اي كل نفس
وتسويتها خلقها في احسن تقويم. فالهمها فجورها وتقويها ارشدها الى
طريق الخير والشر وتقديم الفجور للدلالة على انه بقدره وارادته ايضا ولا ينافي
مدخلية قدرة العبد كسبا فان قلت التسوية خلق الاعضاء وتعديلها وان
الروح والقوى والهام الفجور والتقوى انما يكون بعد البلوغ وتوجه التكليف
والفاء يقتضي التعقيب من غير تراخ قلت التعقيب امر عرفي ولما كان
تكامل القوى وقت البلوغ فكان التسوية تمت. قد افلح من زكيها طهرها
من درن الاخلاق الذميمة وانماها بالاعمال الحسنة جواب القسم حذف
منه اللام لطول الفصل وقيل استطراد لذكر بعض احوال النفس والجواب
محذوف اي ليدمدمن الله على كفار مكة كما دمدم على ثمود. وقد خاب من
دسيها اخفاها واطفا نور الفطرة بظلمات المعاصي واصله دسس قلبت
الثانية ياء كما في امليت وتقضي البازي واسناد التزكية والتدسية الى
العبد انما يقتضي القيام به لا الاستقلال ولا الايجاد فلا دليل فيه للقدرية
على ان الارجح عود المستتر اليه تعالى والبارز المنصوب الى من تبادر النفس
لما روى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم آت نفسي تقويها
وزكها انت خير من زكيها. كذبت ثمود بطغويها اسم بمعنى الطغيان ولذا
قلبت ياؤه واوا فرقا بينه وبين الصفة اي كذبت بسبب طغيانها
او بعذابها الموعود ذي الطغوى كقوله فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
اذ انبعث اشقيها اشقى ثمود قدار بن سالف او هو ومن وافقه
اسم التفضيل اذا اضيف صلح للفرق والواحد. فقال لهم رسول الله ناقة الله
نصب على التحذير ولما اضاف الناقة اليه تشريفا ذكر صالحا باسم الرسول
واضافه ايضا لانه اولى بالاجلال. وسقيها لا تذودوها عنها. فكذبوه فيما
حذرهم به من نزول العذاب. فعقروها فدمدم عليهم ربهم اطبق عليهم
العذاب وعمهم به تكرير من الشيء كبكبه نحو كبكب في كبت وقيل غضب

من

من الدمدمة وهو الكلام المزعج وقيل ارجف الارض بهم. بذنبهم بسبب ذنبهم
فسويها اي العقوبة بينهم عموما او سوى ثمود بالارض. ولا يخاف عقبيها
عقبى الدمدمة او التسوية والواو للحال اي فعل ذلك والحال انه غير خائف
من عاقبة فعله كبعض الملوك وقرا نافع وابن عامر بالفاء والواو ابلغ روى
البخاري ومسلم عن عمار بن ياسر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي
رضي الله عنه الا اخبرك باشقى الناس قال بلى قال احمر ثمود عاقر الناقة
والذي يضربك على هذا واشار الى قرن راسه حتى يبتل منه هذه يريد لحيته
تمت والحمد لله اولا وآخرا والصلوة على من به الرسل تمت. سورة
الليل مكية وهي احدى وعشرون آيات بسم الله الرحمن الرحيم
والليل اذا يغشى بظلامه كل ما يواريه او النهار او الشمس. والنهار اذا تجلى
تبين وانكشف بانسلاخ الليل عنه. وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي
خلق الزوجين من كل نوع او آدم وحوا ويجوز ان يكون ما مصدرية وقرا
ابن مسعود وابو الدرداء رضي الله عنهما والذكر والانثى. ان سعيكم لشتى
جمع شتيت جواب القسم اي ان مساعيكم مختلفة الاغراض متباينة
الجزاء ثم فصل ما على اثره. فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى اعطى الطاعة
في حقوق الله تعالى واتقى المعصية وصدق بالتوحيد او الجنة. فسنيسره
لليسرى فسنوفقه للخلة التي تؤدي به الى اليسر والراحة. واما من بخل بحقوق الله تعالى
واستغنى بالحطام الفاني. وكذب بالحسنى بالنعيم الباقي او التوحيد
فسنيسره للعسرى فنخذله وندله على الطريقة التي اختارها واطلاق
التيسير للمشاكلة. وما يغني عنه ماله اذا تردى سقط في حفرة القبر او في
قعر جهنم او مات من الردى وهو الموت نفي او استفهام انكار. ان علينا
للهدى الدلالة والارشاد الى طريق الصواب بتشريع الاحكام وبيان الحلال
والحرام. وان لنا للآخرة والاولى نعطي ما نشاء لمن نشاء او لنا الغنى المطلق
لا ينفعنا طاعة وغير هذا او لا يضرنا معصية. فانذرتكم نارا تلظى تتلهب
لا يصليها لا يدخلها الا الاشقى الذي كذب بالحق وتولى واعرض عنه
وسيجنبها الاتقى الحصر فيهما ادعائي كان غير هذا الاشقى لا يصليها وغير هذا
الاتقى لا يجنب لاتفاق الكل على انها نزلت في ابي بكر وامية بن خلف
حين اشترى منه بلالا ببردة وعشر اواق وقيل ابي جهل وامية وابي بكر
فالاشقى لم يرد به واحد واما تفسير الصلي باللزوم فلا يدل عليه اللفظ و
يلزم منه ان الشقي لا يلزمها وينافيه واما الذين شقوا ففي النار خالدين
فيها. الذي يؤتي ماله في مصارف الخير. يتزكى من الزكاء اي يطلب ان

ان يكون عند الله زكيا لا رياء او من الزكاة بدل من يؤتي داخل في حكم
الصلة او حال من فاعله ۞ وما لاحد عنده من نعمة تجزى ۞ قيل لما اشترى
بلالا قالوا لو اشتراه الا ليد له عليه وعن ابن الزبير ان ابا بكر رضي الله عنه كان
يشتري الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه لو اشتريت الاقوياء ۞ الا
ابتغاء وجه ربه الاعلى ۞ منقطع اي لكن ابتغاء وجه ربه او متصل مفعول له
عن محذوف اي لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه ۞ ولسوف يرضى ۞
بما يعطيه وعد جميل وفي ابهامه لا يخفى سورة الضحى مكية وهي احدى
عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم والضحى ۞ اي وقت
الضحى وهو حين ارتفاع الشمس وظهور سلطانه وقيل اقسم به لانه
وقت غلبة موسى فرعون لقوله وان يحشر الناس وقيل جميع النهار لقوله
ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا ۞ والليل اذا سجى ۞ ستر متعة
من سجيته او سكن من فيه او سكن ظلامه واستقر قدم الليل تارة
باعتبار الاصل فان الليالي غرر الايام والنهار اخرى باعتبار الشرف ۞ ما
ودعك ربك ۞ جواب القسم اي ما تركك ترك المودع ۞ وما قلى ۞ اي ما
ابغضك من القلى بكسر القاف مقصورا روى البخاري عن جندب
البجلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم ليلتين او ثلثا فجاءت
امراة فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك فانزل الله
تعالى والضحى ۞ وللاخرة خير لك من الاولى ۞ اي الاوقات المستقبلة
خير لك من الايام الماضية فانه يعلو شانك فيها ويظهر دينك على سائر
الاديان وترى الناس يدخلون في دين الله افواجا ۞ ولسوف يعطيك
ربك في الدارين ۞ فترضى ۞ بحيث لا يبقى لك طلب بعد تلك العطية
وانما حذف المفعول لغرض العموم فيشمل مقام الشفاعة وسائر المزايا
التي تخصه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير لانت
سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون
وجمع مع سوف للدلالة على ان العطا كائن لا محالة وان تاخر لحكمة
الم يجدك يتيما فآوى ۞ من الوجود بمعنى العلم والاستفهام للتقرير اي
قد كنت يتيما آويتك مات ابوه وهو جنين اتى عليه ستة اشهر
فلما ولد كان في حجر امه ويحوطه عبد المطلب جده الى ان بلغ عمره ثمان
سنين فمات عبد المطلب وامه فعطف الله [illegible] عليه عمه ابا طالب
ووجدك ضالا فهدى ۞ قيل اضلته ظئره حليمة عند باب مكة وقيل ضل
في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عمه ابي طالب وقيل ضل في طريق الشام

اضله

اضله ابليس حتى راحلته فرده جبريل الى الراكب او كنت ضالا عن علم
الشرائع والاحكام وما طريقه السمع ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ووجدك عائلا فاغنى ۞ كنت عديم المال فاغناك بمال خديجة رضي الله
عنها او احل لك الغنائم ولم يحلها لاحد قبلك او كنت مبعوثا الى الاحمر
والاسود فاغناك بكنز المعارف وهو القرآن فيستخرج امتك من فوائد
درره الى آخر الدهر عدد عليه بعض نعماته السابقة تقريرا لقوله وللاخرة خير لك
من الاولى لانه اذا كانت هذه عنايته معه ولم يكن لابسا خلعة رسالته
فكيف به وقد ارسله للناس كافة بشيرا ونذيرا ۞ فاما اليتيم فلا تقهر ۞ اي
تغلبه في حقه وتعطف عليه واذكر حالك في اليتيم ۞ واما السائل فلا تنهر ۞ اي
لا تزجر يشمل الفقير والمسترشد في دينه ۞ واما بنعمة ربك فحدث ۞ فان
التحدث بها شكرها روى ابو داود وعن جابر رضي الله عنه ان رسول الله عليه السلام
قال من اعطي عطاء فوجد فليكاف فان لم يجد فليثن به فمن اثنى فقد شكر
ومن كتم فقد كفر ولما من الله عليه بثلث خصال ارشده وحثه على ثلث في مقابلتها
ليكون متخلقا باخلاق الله تعالى ويقتدي به في ذلك امته تمت سورة الضحى ۞
الحمد لمن له الفضل والعطا والصلوة على محمد المجتبى وآله وصحبه الاتقياء والاصفياء

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك ۞ اي شرحناه لان انكار النفي اثبات والمعنى
نورنا صدرك بنور النبوة حتى وسع علم الاولين والاخرين روى البخاري عن
مالك بن صعصعة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر عن ليلة اسري به
قال فجاء جبريل بطست من ذهب ملئ حكمة وايمانا فشق من ثغرة نحري
الى مراق بطني فاخرج قلبي وشقه ثم غسله بماء زمزم فحشاه حكمة وايمانا او
فيه الاجمال والتفصيل مبالغة في الايضاح ۞ ووضعنا عنك وزرك ۞ ما كان
يثقل عليك من عدم العلم بالحكم والاحكام او ما كنت ترى من ضلال قومك
مع عدم الاهتداء الى ما ترشدهم اليه او ما كنت تلقى من الشدة عند تلقي الوحي
خوفا من فوت شيء منه فخففنا لك حتى سكن روعك ۞ الذي انقض ظهرك ۞
من النقيض وهو صوت الرجل من ثقل الحمل مثل حاله به كناية عن غاية الشدة
ورفعنا لك ذكرك في الدارين بانك سيد المرسلين وخاتم النبيين ونعتك
في زبر الاولين واسمك مقرون باسم رب العالمين براءة من الله ورسوله
اطيعوا الله والرسول ومن يطع الله ورسوله عدد عليه بعض جلائل نعمه ثم قال
فان مع العسر يسرا ۞ كانه قال اذا كنت بهذه الرتبة عندنا فلا تبال بقول
من قصر نظره على حطام الدنيا معيرا لك ولاصحابك بضيق ذات اليد

فانكم تبشرون من قريب يسرا واتى تيسير ودل على القرب بلفظ مع الدال
على المقارنة والمصاحبة ان مع العسر يسرا استيناف والبسر الثاني
غير الاول على قانون النكرة المعادة ويرجحا التاسيس على التاكيد وحملا
لكلام الله تعالى على ابلغ الاحتمالين مع اقتضاء المقام زيادة التسلية و
التنفيس ولما روى مرفوعا انه قال لن يغلب عسر يسرين فان قلت
فما تقول على يسر الدنيا والاخرة في معنى الحديث من حمل الثاني على التاكيد
وجعله مثل قولك ان زيدا قائم قلت يحمل اليسرين على يسر الدنيا والاخرة
فان قلت كان الترجيب تعريفه لانه الاول كالعسر قلت ذلك ليس
بواجب بل اكثرى عدل عنه للتفخيم فاذا فرغت فانصب اى فاذا فرغت
من عبادة اتبعها باخرى ليكون شكرك على وفق النعم وشار بلفظ النصب
وهو التعب الى الترقي كما في جانب النعم بقوله وللاخرة خير لك من الاولى
وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا فرغت من الصلوة فاجتهد في الدعاء و
وذلك لان الصلوة عماد الدين والدعاء مخ العبادة وعن الحسن اذا فرغت
من الغزو فاجتهد في العبادة وكانه لاحظ قوله رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر والى ربك فارغب في مطالبك لا الى غيره لعلمك
بتفرده بالتاثير لا يشاركه احد الكل منه وبه واليه فتوكل عليه تمت بحمد الله
والصلوة على افضل خلق الله تعالى سورة التين مكية وهي ثمان ايات
بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين اقسم
بجبال الارض المقدسة والاولان سميا باسم الشجرين النابتين
بهما والطور وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام وسينين و سينا
اسم البقعة التي بها الجبل قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون
مسجد بيت المقدس وقيل اراد الشجرين لكثرة منافعهما وسمي بقوى
لان النخلة اشرف الاشجار حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدحها
مثلها مثل المسلم ولعدم الملايمة بين المعطوف والمعطوف عليه وهذا
البلد الامين الحافظ داخله هي مكة شرفها الله تعالى كانه قال والارض المباركة
دينا ودنيا والبلد الذي من دخله كان آمنا في الدارين وفيه نهج الترقي
اذ لا مطمح وراء امن الدارين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
تعديل شكلا وصورة لا ترى في الكائنات احسن منه حتى تبلغ منه
متر الملاحة حدا يعجز الوصف عن ابرازه نطقا ثم رددناه اسفل
سافلين وهو الكافر في النار يشبه مثل احد يجر شفيه على الارض
والوجه مسود مظلم وما بين كتفيه ما بين مكة والمدينة عافانا الله تعالى

اوردوناه

اوردناه في الدنيا بعد ذلك الحسن والجمال اسفل من سفل تقوس ظهره
بعد اعتداله وابيض شعره بعد اسوداده وكل سمعه وبصره وتناقص
فواده وعقله وانفه من كان يحبه الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
استثناء متصل على الاول ظاهر الاتصال منقطع على الثاني اى لكن الذين
آمنوا وكانوا صالحين من الهرمى فلهم اجر غير ممنون غير مقطوع بل يجري عليهم
ثواب الاعمال التي كانوا يعملونها وهم اقوياء فما يكذبك بعد بالدين الخطاب
للانسان اى بعد هذه الدلائل المشاهدة اى شيء يجعلك كاذبا بالاعادة فان
مكذب الحق كاذب والباء للسببية او لرسول الله صلى الله عليه وسلم التفاتا له
او تعريضا بالمكذبين اى بعد هذا البيان لا يكذبك شيء لهؤلاء الذين لا يبالون
بآيات الله تعالى وعلى الاول استفهام توبيخ اليس الله باحكم الحاكمين اى ليس
ذلك الموصوف اقدر من كل قادر فما وجه انكار الاعادة بعد اخباره واثر
الاسم الاعظم دلالة على ان ذلك من خواص الالوهية تمت سورة التين
والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين واله وصحبه اجمعين
سورة اقرأ مكية وهي سبع عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم
اقرأ باسم ربك والجار في محل النصب على الحال اى اقرأ حال كونك مفتتحا
باسم الله الذي خلق خلق الانسان اى خلق كل شيء ثم خص الانسان لانه اشرف
البرية والمقصود بالانزال والمراد خلق الانسان او ترقية للابهام والتفسير
وفيه اشارة الى انه مخلوق للقراءة والدراية من علق جمع باعتبار
ان فراده اقرأ تكرير للاول وهو تحريضه لانه او لما ورد بالقراءة ولانكاره
القراءة بقوله ما انا بقارئ وقيل الاول للنفس والثاني للتبليغ او
الاول خارج الصلوة والثاني فيها وربك الاكرم على الاطلاق اذ
كرم غيره تكلف في جزيئ لغرض الذي علم بالقلم وفيه على الكرمية
لان كل عطية دون العلم والمعرفة كنقطة من المحيط وقل رب زدني
علما ورمز في ضمن ذلك الى فضل الكتابة لانها آلة التعليم وضابطة
الحكم وفي المثل العلم صيد والكتابة قيد علم الانسان ما لم يعلم مالا يمكنه
علمه الا بالتعليم كلا ردع للانسان الذي قابل هذه النعم بالكفر
والطغيان ان الانسان ليطغى ليتجاوز عن حده ان راه استغنى
لان راى نفسه غنيا اى علم ولذلك جاز ان يكون الفاعل والمفعول
ضميرين لشيء واحد وذلك من بعض خصائص افعال القلب ان الى ربك
الرجعى خطاب لذلك الانسان الطاغي التفاتا لكونه ابلغ تحذيرا
والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى روى

فعلمه

والترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ابا جهل قال هل يعفر محمد
وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال والذي يحلف به لئن رايته لاطان عنقه
فمر به وهو يصلي عند المقام فتوجه اليه والمشركون ينظرون اليه فما راوه
الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما بك فقال رايت بيني
وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا
مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا ارايت ان كان على الهدى او امر
بالتقوى ارايت تكرير للاول والشرط مفعول ثان حذف منه الجواب
لدلالة قوله الم يعلم عليه وحذف المفعول الاول لظهوره ارايت ان كذب
وتولى مقابل للاول بتقابل الشرطين والمعنى اخبرني يا من له ادنى تمييز
عن حال من ينهى عبدا يصلي ان كان ذلك الناهي على طريق الرشاد
او امرا بالتقوى في امره بعبادة الاوثان اخبرني ان كان مكذبا متوليا
الم يعلم بان الله يرى ويشاهد وسوق الكلام على طريقة المنصف
والتهكم لان الناهي عن الصلوة ليس على الهدى قطعا ولكونه مكذبا
معرضا مجزوم به كلا ردع للناهي لئن لم ينته لنسفعا بالناصية اي
لناخذن بناصيته ولنجرنه الى النار والسفع القبض على الشيء
وجره بعنف قال عمرو بن معدي كرب قوم اذا يقع الصريخ رايتهم ما بين
ملجم مهره او سافع ناصية كاذبة خاطئة بدل من الاول وحسنه الوصف
وكان ادخل بالمقصود لدلالته على علة السفع واسناد الكذب والخطاء
الى الناصية مجاز حكمي وتخصيصها لانها اشرف الاعضاء فليدع نادية عن
ابن عباس رضي الله عنه ان ابا جهل لما لم يقدر ان يقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
توعده بالكلام فاغلظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تهددني يا محمد انا اكثر اهل
الوادي ناديا اراد عشيرته فسماهم باسم مجلسهم ومجتمعهم سندع الزبانية
عن قريب ليجروه الى النار جمع زابن او زباني او زبنية كعفرية قال الاخفش
العرب لا يكاد تعرف هذا بل يجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل ابابيل
واصل الزبن الدفع كلا ردع للناهي ايضا لا تطعه الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اي دم على عصيانه واسجد ودم على الصلوة ولا تبالي بالناهي
واقترب بها فانها المعراج اليه او بالسجود لما روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
تمت سورة العلق والحمد لمن خلق والصلوة على من في مضمار السعادة سبق
واله وصحبه ما الليل وسق

سورة القدر مدنية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر فخم شان القران

بان خص انزاله به دون غيره وبالاضمار من غير ذكر لانه العلم الذي لا يذهب
الوهم الى غيره وبزمان نزوله اتفقوا على ان القران نزل به جبريل في ليلة القدر
الى بيت العزة في السماء الدنيا فكتبه السفرة ثم نزل منجما في ثلث وعشرين
سنة وسميت ليلة القدر لان الامور المتعلقة بذلك العام واقدارها
تكتب من اللوح فيها وترفع الى الملائكة وما ادريك ما ليلة القدر لم تبلغ
درايتك كنه فضلها ثم بينه بقوله ليلة القدر خير من الف شهر اي القيام
بالعبادة فيها خير من القيام بالعبادة في الف شهر خالية عنها عن مجاهد
رضي الله عنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا في بني اسرائيل لبس السلاح
في سبيل الله الف شهر فتعجب المسلمون فنزلت وروى البخاري ومسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة
القدر ايمانا واحتسابا غفر له من ذنبه ما تقدم والاكثر على انها في اوتار العشر
الاخير من رمضان ومن علاماتها ان ليلتها ساكنة لا حر ولا برد ولا يرمى
فيها بكوكب وهي صافية كانها قمراء وتطلع الشمس في صبيحتها ليس لها
شعاع وروى الترمذي عن حسن بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
راى بني امية على منبره فنزلت وعدوا ايام بني امية فوجدوها الف
شهر واهل الحديث ينكرونه تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان
لما فضلت به والروح جبريل وقيل خلق لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة
من كل امر اي تنزل لاجل كل امر وقضاء قدر في تلك السنة وانما تنزل
تعظيما لها ونشرا للخيرات وبركتها سلام هي مثل تميمي انا اي ما هي الا
اي لا تقضي فيها الا السلامة والخير وعن مجاهد لا يستطيع الشيطان في تلك
الليلة على عمل السوء وقيل سميت سلاما لكثرة سلام الملائكة على المومنين
والمومنات حتى مطلع الفجر غاية للسلامة او السلام والمطلع مصدر
او زمان وقرا الكسائي بكسر اللام والفتح اخف وهو القياس تمت

سورة البينة مكية وقيل مدنية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة
حكاية مقالة اهل الكتاب والمشركين كانوا قبل البعثة يقولون لا ننفك
عما نحن فيه حتى ياتينا النبي الموعود رسول من الله بدل من البينة
يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة الصحف صحايف المصاحف و
الكتب القيمة القضايا والاحكام المقومة المسطورة فيها وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة توبيخ لهم والزام بانهم ما كانوا
يعتدونه سبب الوفاق ولما جعلوه سبب الافتراق والاختلاف

ونظيره قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وانما افرد اهل الكتاب بعد جمعهم مع المشركين اولا لانهم اذا
تفرقوا مع علمهم فالمشركون اولى بذلك : وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين : استدل به على وجوب النية في العبادات : حنفاء : مائلين
عن الباطل والعقائد الزائغة : ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك
دين القيمة : دين الملة القويمة : ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم خالدين فيها : يوم القيمة او بعد موتهم لان قبورهم حفر النيران
والاشتراك في مطلق الدخول لا في مقدار العذاب والدركات اولئك
هم شر البرية : الخليقة : ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم
خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا : اطنب في اوصاف الجنة وقيد الجزاء بانه عنده واكد الخلود
بالتابيد اشارة الى سبق رحمته : رضي الله عنهم : فوق ذلك الجزاء ورضوان
من الله اكبر : ورضوا عنه : بما منحهم مما لا مزيد عليه : ذلك لمن خشي ربه
اي ذلك المذكور لكل من خشي ربه وقرا نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز
وهو الاصل من برا خلق قال يونس خالف مكة العرب فهمزوا البريئة
والنبيء وكذا عن سيبويه تمت والحمد لله على نعم عمت سورة الزلزال
مختلف فيها وهي سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
اذا زلزلت الارض زلزالها : والزلزلة تحريك بعنف ومنه الزلزال
للشدائد واضافته الى الارض للمبالغة اي ما يمكن لها من الزلزال
والمراد النفخة الثانية لقوله تعالى : واخرجت الارض اثقالها : ما في بطنها
من الاموات والكنوز روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه تقيء الارض
افلاذ كبدها كالاسطوان من الذهب والفضة فيقول القاتل في هذا
قتلت ويقول القاطع في هذا قطعت ويقول السارق في هذا قطعت
ثم يدعونه فلا ياخذون منه شيئا : وقال الانسان ما لها : حتى اخرجت
هذه الاثقال فيقولون تعجبا وقيل القائل الكافر لانه كان لا يؤمن
بالبعث واما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
يومئذ : بدل من اذا وناصبها تحدث او انتصب باضمر ويومئذ
بتحدث : تحدث اخبارها : اي تحدث كل عبد وامة بما عمل على ظهرها
رواه الترمذي والنسائي واحمد وقيل بلسان الحال وهي الاحوال التي
احدثها الله تعالى فيها من الزلزلة ولفظ الاموات والدفاين : بان
ربك اوحى لها : الباء للسببية اي بسبب ايحاء ربك اليها بالتحديث

ويجوز ان يكون بان ربك اوحى لها بدلا من اخبارها يقال اوحى له واليه
وبكذا : يومئذ يصدر الناس اشتاتا : متفرقين كل شيعة مع امامها
كما كانوا في الدنيا يوم ندعو كل اناس بامامهم كان رسول الله عليه السلام
يمشي يوما بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما آخذا بيد كل منهما فقال وهكذا
نبعث ان شاء الله تعالى : ليروا اعمالهم : ويخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه
منشورا : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره :
اي يرى جزاءه تفصيل لقوله اشتاتا وحسنات الكافر لها مدخل في
التخفيف كما ان زيادة سيئاته يوجب ضعف العذاب ولا ينافي
حبوط عمله لان ذلك معنى آخر تمت السورة والحمد لله على آلائه الموفورة
سورة العاديات مكية وهي احدى عشر ايات بسم الله الرحمن الرحيم
والعاديات ضبحا : اقسم بخيل الغزاة العاديات في الكر والفر والضبح
صوت انفاسها حين العدو وعن ابي عبيدة هو السير ونصبه على المصدر
الا من فعله المحذوف او بالعاديات لانه يلازم العدو او الحال وعن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه انها الابل اذ لم يكن مع رسول الله عليه السلام
يوم بدر سوى فرسين فرس المقداد وفرس ابي قتادة ولا اظن صحته
لان الخيل آلة الجهاد لقوله ومن رباط الخيل ومن ربط فرسا في سبيل الله
فله اجرا ابوالها وارواثها رواه البخاري وناهيك قوله من رباط الخيل
وعدم وجدان الخيل في غزوة بدر لا تمنع الاقسام بها وادل من ذلك
قوله : فالموريات قدحا : فالمخرجات نارا من الحجارة بصك حوافرها
قادحات : فالمغيرات صبحا : وقت الصباح كان رسول الله عليه السلام
ينزل بقرب العدو حتى يصبح فان سمع الاذان كف والا اغار وقال
انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين : فاثرن به نقعا :
بذلك الوقت او المكان غبارا كما ترى في مواقع الحروب كان
مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه وقيل اصوات
الذين اغير عليهم : فوسطن به جمعا : من جموع الاعداء او اقسم
بالنفوس العادية في طلب الكمال المتوزعة على الورطات المؤذية
باقدام الافكار من صخور المسالك انوار المعارف المغيرات
على جيش الهوى بالاستغفار في الاسحار فاثرن به غبار الشوق
فوسطن به جمعا من جموع الملا الاعلى : ان الانسان لربه لكنود :
لكفور جحود وعن الحسن هو الذي يذكر المصائب وينسى النعم وعن
ابي امامة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه انه قال من ياكل وحده

ويضرب عبده ويمنع رفده ۞ وانه على ذلك لشهيد ۞ يدل على كونه كنودا
حاله وعن الثوري الضمير لله ۞ وانه لحب الخير لشديد ۞ شديد الحب
للمال الكثير لو كان واديان من ذهب لا تبغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف
ابن آدم الا التراب ۞ افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور ۞ من الموتى اي بعث
وفي زيادة الراء مبالغة كبحث مع بحثر ۞ وحصّل ما في الصدور ۞ ابرز
ما فيها من السرائر والضمائر ۞ ان ربهم بهم يومئذ لخبير ۞ باعمالهم والاخبار
فيها وآثرها في اولا ثم قال بهم لانهم حال البعث تراب ورفات تمت
ولله الحمد والمنة والصلوة على محمد بالرسالة تمت سورة القارعة مكية
وهي عشر ايات بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة
۞ وما ادريك ما القارعة ۞ القرع الضرب بشدة والقارعة من اسماء
الساعة لانها تقرع الناس بالاهوال والافزاع او تقرع اعداء الله تعالى
بالعذاب او لاصطكاك الاجرام العلوية والسفلية فيها وقد بالغ في
التهويل بابهام امرها مرتين ولفظ القارعة ابلغ من الحاقة ۞ يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث ۞ يوم نصب بما دل عليه القارعة شبههم
بالفراش في الكثرة والانتشار ومثله قوله كانهم جراد منتشر وهذه ابلغ لما
في المثل اضعف من فراشة واذل واجهل ۞ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ۞
الصوف الملون المندوف لان الجبال بيض وحمر وغرابيب سود ۞ فاما من
ثقلت موازينه ۞ ترجحت مقادير حسناته روى البخاري بسنده ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينشر لمؤمن صحايف سيئاته تسعمائة صحيفة
كل منها مد بصره ثم يخرج له بطاقة فيها كلمة لا اله الا الله ويقال احضر وزنك
فيقول ما ذا عسى يفعل هذه البطاقة مع تلك الصحايف فيوضع البطاقة في
كفة والصحايف في كفة اخرى فيطيش صحايف السيئات ولا يوازن
اسم الله تعالى شيء ۞ فهو في عيشة راضية ۞ مرضية والاسناد مجازي او ذات
رضى ۞ واما من خفت موازينه ۞ وهو الكافر الذي ليس معه كلمة الاخلاص
۞ فامه هاوية ۞ من اسماء النار لانها تهوي بالداخل فيها سبعين خريفا و
وتسميتها امه على التشبيه لان الام تأوي الولد وعن قتادة ام راسه
هاوية لانه يسقط فيها منكوسا ويرده قوله تعالى ۞ وما ادريك ما هيه ۞
نار حامية ۞ لانه شرح للهاوية فان قلت كل نار حامية قلت معناه حامية
ذاتي حامية كان سائر النيران بالنسبة اليها ليست حامية روى البخاري
ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه
جزء من نار جهنم وروى الترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنه انه

من سبعين جزءا

الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها حتى اسودت
فهي الآن سوداء مظلمة عافانا الله تعالى منها تمت والحمد لله على الدوام
وعلى رسوله افضل السلام سورة التكاثر مختلف فيها وهي ثمان
ايات بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر ۞ شغلكم التفاخر
والتباهي بالكثرة عن طاعة الله تعالى لهى عن الشيء غفل عنه ۞ حتى زرتم
المقابر ۞ اي الى حين الموت لم ترجعوا عنه وقيل تفاخر بنو عبد مناف
وبنو سهم بكثرة القبيلة فنزلت وعن قتادة نزلت في طائفتين من
الانصار تكاثروا حتى عدوا الاموات ۞ كلا ردع لهم عن مثله ۞ سوف
تعلمون ۞ خطاءكم في ذلك ما لابن آدم وللفخر واوله نطفة مذرة وآخره
جيفة قذرة بين الحجر والتراب ۞ ثم كلا سوف تعلمون ۞ كرره تاكيدا والاول
عند الموت او في القبر والثاني عند النشور وفي ثم دلالة على ان الثاني
ابلغ ۞ كلا لو تعلمون علم اليقين ۞ تكرير للتنبيه والجواب محذوف اي لو
علمتم ما قدامكم من العقبة المكروهة كما تستيقنون من سائر الامور
لجهدتم غاية الجهد وفي الحديث لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا ۞ لترون الجحيم ۞ جواب قسم محذوف ولا يصلح ان يكون جواب
لو لكونه محقق الوقوع وقرا ابن عامر والكسائي لتُرون الجحيم بضم التاء
۞ ثم لترونها عين اليقين ۞ مشاهدة ولا علم فوقه ۞ ثم لتسئلن يومئذ
عن النعيم ۞ الذي كنتم فيه هل شكرتم ام لا روى البخاري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضي الله عنهما دخلوا حديقة ابي الهيثم ايام
الرطب فذبح شاة واطعمهم من الرطب والبسر وسقاهم ماء باردا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي تسئلون عنه يوم
القيمة وقيل الخطاب خاصة بمن الهاه النعمة والتكاثر باسباب
النعمة عما يعنيه من الشكر لموليها تمت والحمد لمن آلاؤه عمت وجلت
سورة العصر مكية وهي ثلث ايات بسم الله الرحمن الرحيم
والعصر ۞ اي وصلوة العصر فانها افضل الصلوات لانها الصلوة
الوسطى او بالليل والنهار وهو الدهر عظمه لانهم كانوا يسبون
الدهر او بوقت العصر لانه وقت شريف كما اقسم بالضحى او
بالعصر الذي انت فيه فانه اشرف الاعصار بوجودك
۞ ان الانسان لفي خسر ۞ لان رأس ماله عمره وهو شيء لا اعز منه
يشترى به النعيم المقيم فاذا ضيّعه لا يكون اخسر منه ۞ الا الذين

آمنوا وعملوا الصالحات فانهم ربحوا ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر في جوار رب العالمين وتواصوا بالحق وصى
بعضهم بعضا بالدين الثابت رشدا له تكميلا كما كمل في نفسه
وتواصوا بالصبر على اقامة الحق لكثرة المبطلين اعداء الدين
او بالصبر عن اتباع الشهوات سورة الهمزة مكية وهي تسع
آيات بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز
الكسر واللمز الاشارة بالعين قال ومنهم من يلمزك في الصدقات
والمراد الطعن في الاعراض قولا وفعلا صريحا واشارة والبناء
يفيد الاعتياد والاستمرار كالضحكة واللعنة نزلت في امية
او في الوليد كان هذا شانهم مع رسول الله وفقراء الصحابة والحكم عام ولذلك
صح بلفظ الكل الذي جمع مالا اي كثيرا او مذموما يعذب به يوم القيامة
بدل لكل او رفع او نصب على الذم وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد
وهو ابلغ ذما وعدده احصاه وضبطه كما هو شان البخلاء ليلا ونهارا
تراجع في الحساب او جعله عدة وذخيرة يقال اعددته وعددته بمعنى روي
ان الاخنس قال لموسر ما يقول في الوفر لم اقعد بها من لئيم ولا افضلت
على كريم قال ولكن لماذا قال لجفوة السلطان ونوائب الزمان قال اذا
تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك يحسب ان ماله اخلده
لجهله وغروره واشتغاله عما امامه من قوارع الآخرة او يعمل اعمال من يظن انه
مخلد من تشديد الاركان وتشييد البنيان وفيه تعريض بالعمل الصالح
بانه المخلد كلا ردع له عن حسبانه لينبذن في الحطمة من اسماء النار لانها
تحطم اي تكسر ما يلقى فيها قابل كسر الاعراض بكسر الاعضاء واستحقاره
بالنبذ الدال على غاية الحقارة وما ادريك ما الحطمة لم تحط به علما نار الله
الموقدة التي اوقدها للانتقام والاضافة فيه كما في ناقة الله التي تطلع على
الافئدة تستولي عليها بالاحراق بعد احراق الاعضاء والفؤاد الطف
الاجزاء يتأذى بادنى شيء فكيف بنار جهنم او تطلع على الافئدة اي تنظر
فيها وتطالعها لانها معادن الذنوب ومنها وربما يعلمون العذاب على
قدرها تولد منها انها عليهم موصدة مطبقة واختلاف القراء كما في سورة
البلد في عمد ممددة حال من ضمير موصدة والمعنى تغلق عليهم ابواب النار
وتوثق بالاعمدة توكيدا ليأسهم من الخروج او من الجور في عليهم اي تغلق عليهم
الابواب حال كونهم مسلسلين في العمد كاللصوص في القناطر لانهم سراق
الاعراض وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عمد بضمتين والباقون بالفتح وكلاهما

جمع عمود تمت ولله الحمد والمنة والصلوة على من به اتمامه تمت
سورة الفيل مكية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم
الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وهم ابرهة الاشرم
والي يمن من قبل النجاشي ملك الحبشة وليس باصحمة الذي صلى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصته انه قتل ارياطا من امراء النجاشي
فغضب عليه فتدارك ابرهة ذلك بان بنى له كنيسة بصنعاء
اليمن لم ير مثلها واراد ان يصرف حج العرب اليها وارسل يخبر
بذلك النجاشي فاعجبه ذلك ورضي فشق ذلك على العرب فاحتال
رجل من كنانة فدخلها ليلا واحدث فيها فاخبروا ابرهة بذلك فا
فاشتد غضبه وعزم على تخريب الكعبة الشريفة زادها الله شرفا و
واصطحب فيله ليهدم البيت فلما توجه عارضه ذو نفر من قومه من
بني مخطان فلم يقدر عليه فاسره فلما بلغ ارض خثعم قاتله نفيل بن حبيم
حبيب الخثعمي فاسره ايضا ولم يقتله ليدله على الطريق فلما بلغ المغمس
وهو موضع بقرب مكة فارسل حناطة الحميري ليخبرهم بان الملك لم يات
لحربهم وانما قصده تخريب البيت ويأتيه باشرف البلد فجاء عبد
المطلب فخرج معه اليه ابرهة فلما راه اكرمه وكان عبد المطلب وسيما
حسن المنظر فقام له ابرهة واجلسه على سريره وساله عن حاجته
فقال ان جيشك قد اغار على سرح مكة واخذوا لي ابلا وكانوا اخذوا له
مائتي بعير فقال لترجمانه قل له اني جئت في تخريب بيت هو شرفك
وشرف آبائك فلم تذكره وتطلب الابل فقال عبد المطلب انا رجل
مضياف ولا اقدر على قيام الضيافة الا بالابل والبيت له صاحب
انت وذاك فرد ابله فلما اصبحوا عبأوا الفيل وكان اكبرها اسمه
محمود فقدموه فبرك فضربوه ضربا شديدا لم يتحرك فوجهوا نحو اليمن
فهرول ثم نحو الشام فهرول ثم نحو مكة فبرك هذا وعبد المطلب اخذ
بحلقة الكعبة وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك لا
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك ان تتركهم وكعبتنا فامر
ما بدا لك جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك عمدوا حماك
بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك فلم يتم كلامه الا والطير اقبلت الم
يجعل كيدهم في تضليل في تضييع وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات متفرقة
كسراويل لا واحد له وقيل جمع ابالة وهي الجماعة وقيل ابول كعجول وقيل
ابيل كقنديل كانت في جثة الخطاطيف ترميهم بحجارة من سجيل معرب

من سنك وكل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير وقيل من الاسجال وهو
الارسال وقيل من السجيل فانه كان مكتوبا على كل حجارة اسم من قتل بها
فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع اكله الدود او كروث الدواب
وانما عدل الى المنزل على نمط اداب القران قيل كان كل طير يحمل احجارا
ثلثة يرمي بكل واحدة انسانا لا يرده شيء من الحديد فيقرا بوكيسوم(?)
وزبره حتى بلغ النجاشي فاخبره فلما اتم حديثه كان فوق راسه طير فرماه
بحجر فقتله واما ابرهة فتساقطت اعضاؤه وتصدع صدره وقلبه وجمع
عبد المطلب واهل الحرم اموالهم ومما نقل عن عائشة رضي الله عنها انها
قالت رايت قائد الفيل وسائسه مقعدين وظاهر القران تخالفه
واتفق الثقات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد في ذلك العام
بعد وقعة الفيل وذلك يمن بتقديمه لله ذرة من صارم قبل ان سل
يقطع تمت ولله الحمد والمنة والصلوة على كاشف الغمة

سورة قريش مكية وهي اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش يتعلق بآخر الاولى كانه قيل انما جعلهم كعصف
مأكول لايلاف قريش او بالحجوا(?) او بقوله فليعبدوا والفاء جواب
شرط اي ان لم يعبدوا الله لنعم الدارين فليعبدوه لايلافهم ايلافهم
رحلة الشتاء الى اليمن والصيف الى الشام نصبه على مفعولية الايلاف
يقال الف الشيء والفه بمعنى وقرا ابن عامر الاول بحذف الياء جمعا بين
اللغتين او هو ايضا مصدر الف روي ان قريشا وهم اولاد النضر بن
كنانة والقرش دابة عظيمة في البحر تعبث في السفن ولا يدفعها غير النار
والتصغير للتعظيم كانوا سكان الحرم وكان اذا اصابهم مجاعة خرجوا
الى البر وضربوا الاخبية متفرقين ربما مات طائفة جوعا فقام هاشم
يوما خطيبا وحثهم على الرحلتين ففاتوا(?) ابعد ذلك وحسن حالهم ولما
اهلك الله اصحاب الفيل آمنوا من تعرض الناس فمن الله عليهم
بذلك اولم نمكن لهم حرما آمنا فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم
من جوع وآمنهم من خوف تمت والحمد لله على نعمه والصلوة على
من به الرسل تمت

سورة الماعون مكية وهي سبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين اي
بالجزاء لاعتقاده عدم البعث والاستفهام للتعجب وقرا الكسائي
بحذف الهمزة الحاقا له بالمضارع ولما كان في التعجب تشويق الى
تعرف حال المكذب رتب عليه قوله فذلك الذي يدع اليتيم اي

يدفعه عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا على يتيم فجاءه عريانا سائلا عن ماله
فدفعه وقيل الوليد وقيل ابو سفيان سأله يتيم وكان نحر جزورا فقرعه
بالعصا واسم الاشارة للتحقير وفي الصلة اشارة الى ان المكذب بالجزاء
لا ينفك عن هذه الرذائل ولا يحض على طعام المسكين غيره فهو مخل بكلا
الوجهين لا يفعل الخير ولا يامر به فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
تاركون لها غير مبالين الذين هم يراؤن باعمالهم ويمنعون الماعون
الزكوة فاعول من المعن لكونه معوانا للفقراء والمحاويج وفي الكلام ترق
ولذلك زاد لفظ الويل اي اذا كان دع اليتيم وترك الحض على الطعام
من سمات التكذيب ومعرفاته فالويل لمن ترك عماد الدين قلة
مبالاة والزكوة الذي هو قنطرة الاسلام وتلبس بالريا الذي هو شرك
الخفي فاشار الى العقيدة بالتكذيب والى الافعال بهذه الخصال
ولذا كان دليلا على كونهم مخاطبا بالفروع فعلى المؤمن بالدين البعد عنها
بمراحل فان قلت عن ابن مسعود ان الماعون محقرات المتاع كالفاس
والنار والملح فما وجه ذلك قلت المراد تجريد المكذب عن الخير راسا والتو
بكمال الخسة وعدم المروة تمت والحمد لله على نعم عمت والصلوة على من
به الرسل تمت

سورة الكوثر مكية وهي ثلث ايات بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك الكوثر فوعل من الكثرة وهو الافراط في الخير من العلم والعمل
وشرف الدارين روى البخاري ومسلم عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليلة اسري بي اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ
فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر وفي رواية ترابه المسك وحصباؤه
اللؤلؤ وماؤه احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج آنيته
اكثر من نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظما بعده ابدا واول من
يرد عليه فقراء المهاجرين فصل لربك اي اذا اخصك الله بذلك تحفته
بالصلوة والسجود وانحر له القرابين والبدن مراغما للمشركين الذين يسجدون
الاوثان وينحرون لها وقيل ضع يدك على النحر في الصلوة وفيه بعد ويؤيد الاول
قوله ان صلوتي ونسكي ان شانئك عائبك ومبغضك هو الابتر
الذي لا عقب له مات ابن عابه بذلك العاص بن وائل قال محمد ابتر اذا مات
انقطع ذكره وقيل القائل ابو لهب وقيل كعب بن الاشرف والمعنى ان
الابتر من انقطع ذكره بموته والنسل يكون سببا للذكر وانت مرفوع الذكر على
المنابر الى اخر الدهر بعدما اخفيك من الشرف والمقام المحمود وشانئك
عليه اللعن من كل مؤمن ومأواه جهنم مقرونا مع الشيطان فلينظر من الابتر

تمت سورة الكوثر ولله الحمد على الحظ الأوفر

سورة الكافرون مكية وهي ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا أيها الكافرون
الخطاب لرهط من قريش وهم الذين ماتوا على الكفر دعوه إلى عبادة
آلهتهم ويعبدوا آلهته لا أعبد ما تعبدون في المستقبل لأن لا لنفيه
كما أن ما لنفي الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد أيضاً ولا أنا عابد ما عبدتم
في الماضي إذ لم أكن مرسلاً مكلفاً وأنا رسول من رب العالمين ولا أنتم
عابدون ما أعبد أي ما عبدت وأنا مستمر على عبادته ولذلك لم يقابل
الماضي بمثله وقيل إنما عدل عنه لأنه لم يكن موسوماً بعبادة قبل البعثة
ولا عبادته على نمط التكليف وأما طوافه وتحنثه كان على مجرى العادة
دون التعبد وهذا الكلام باطل بل كان متعبداً قطعاً إما الشرع من شرائع
من قبله أو اجتهاداً كيف وقد صح في البخاري تعبده بحراء وكان قريش
في موسم الحج يقفون بمزدلفة وهو بعرفات فأين اقتضاء العادة لكم
دينكم ولي دين كل منا لا يتجاوز دينه إلى أن يموت وليس فيه نسخ كما ظن
ولا منع عن القتال معهم بعد الإذن والله تعالى أعلم تمت سورة الكافرون
والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين وآله وصحبه الكرام المبجلين

سورة النصر مدنية وهي ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم

إذا جاء نصر الله نصرته والفتح فتح مكة نزلت في حجة الوداع فعلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الأمر فركب ناقته القصواء في المسجد الحرام
وخطب الناس الخطبة المشهورة وودع فيها وقال ليبلغ الشاهد
الغائب فلذلك سميت حجة الوداع وكان بين حجته وإجابته داعي
الحق ثلاثة أشهر ونيف فإن قلت فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة و
حجة الوداع سنة عشر فكيف يصح نزولها في حجة الوداع فإذاً يدل على
الاستقبال قلت قد روي أنها نزلت قبل سنتين وعلى تلك الرواية
يحمل إذا ولما كان فتح مكة أم الفتوح جعله مترقباً باعتبار ما ردفه من الفتوح
وإن كان متحققاً في نفسه يدل عليه قوله ورأيت الناس يدخلون في دين
الله أفواجاً جماعات كثيرة فوجاً بعد فوج كانت العرب والأعراب
ينتظرون فتح مكة ويظنون أن من قصد مكة يصيبه مثل ما أصاب أصحاب
الفيل فلما فتحها قهراً وتمكن من رقابهم ثم أعتقهم وسموا مسلمة الفتح طلقاء
لذلك فبادروا إلى الإسلام قبيلة قبيلة فسبح بحمد ربك تنزيهاً عن
خلف الوعد الذي سبق منك بالنصر وفتح مكة بقوله لتدخلن المسجد الحرام
إن شاء الله آمنين واستغفره لما عسى فرط منك من خلاف الأولى

الذي

الذي لا يليق بجلال قدرك أو لأمتك لما روت عائشة رضي الله عنها
أنه عليه السلام كان عندي في ليلة فلما ظن أني نائمة قام إلى الباب ففتحه
خفية وذهب فتلفقت بخماري وذهبت وراءه فجاء إلى البقيع
فوقف ودعا زماناً طويلاً ثم انصرف فأسرعت وأسرع وراءي حتى
دخلت البيت فدخل فوجدني ألهث فقال ما لك قلت لا شيء قال
أخبريني أو ليخبرني العليم الخبير قلت خرجت فظننت أنك ذهبت إلى
بعض أزواجك فقال لي أنت ذاك السواد الذي رأيته قلت نعم قال
جاءني جبريل وناداني من وراء الباب ولم يدخل لأنك وضعت
الخمار وقال إن الله تعالى يأمرك أن تستغفر لأهل البقيع فذهبت ثم قال وأراه
فكأن ذلك ابتداء مرضه صلوات الله عليه إنه كان تواباً لمن استغفر
تمت سورة النصر والله النصير على الأعادي بحق أفضل العباد

سورة تبت مكية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا أبي لهب التباب الهلاك والمراد جملته لأن اليدين
للإنسان كالجناحين للطائر فمن عدمت يداه فهو الهالك سواء
وقيل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً بيديه روى البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الجبل ثم نادى واصباحاه
فاجتمعت إليه قريش فقال أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم هل
أنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً قال فإني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد فقال أبو لهب تباً لك ألهذا جمعتنا فنزلت واسمه
عبد العزى وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه وكان أحول العين وهو عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن كثير أبي لهب بسكون الهاء وتب
أي كان ذلك وحصل فالأول دعاء والثاني إخبار كما في قوله جزاه
الكلاب العاويات وقد فعل ما أغنى عنه ماله وما كسب استئناف
رداً لما كان يقول إنا أفتدي بمالي إن صدق محمد والمراد من الكسب
الربح أو ما حصله من مال ورثه أو ما عمله من أعمال البر أو الولد وفي الحديث
ولد العبد من كسبه سيصلى ناراً ذات لهب تصوير للهلاك كما نظم
مع عدم إغناء المال والولد وجمع بين طريقي التأكيد بقوله وتب أولاً
ماضياً للتحقيق والسين ثانياً لتأكيد الوعيد وامرأته حمالة الحطب
اسمها أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان كانت مع زوجها
في الكفر شيناً وطبقة عدل عن كنيتها لاتصافها بالنضد عن ابن عباس
رضي الله عنه كانت تحمل الشوك على ظهرها فتضعه في طريق رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا خرج للصلوة وقيل مجاز عن المشي بالنميمة وحمل الخطايا وقرا
عاصم حمالة بالنصب على الذم والشتم وقد طبق فيه المفصل «في جيدها حبل من
مسد» المسد الليف وشجر باليمن وعن ابي عبيدة حبل مفتل من خلائط
حقرشانها بان صورها بصورة بعض الحطابات اللاتي لا يجد حمولة
فتجعل الحبل في العنق الذي هو اشرف اعضائها هذا وهي من الثروة
وشرف النسب بمكان او هذا حالها في جهنم صورها الله تعالى لاهل النار
بما كانت متصفة به في الدنيا حبل الغل في عنقها وعلى ظهرها حزمة من
حطب الزقوم والضريع وكذا كل مجرم يعذب بما يماثل عمله تمت سورة
تبت والحمد على نعم عمت والصلوة على سيد الرسل وموضح السبل

سورة الاخلاص وهي اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

«قل هو الله احد» روى الترمذي والامام احمد ان المشركين سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يصف لهم الاله الذي يدعوا الى عبادته فنزلت
فضمير هو لما سالوه مبتدا والجملة خبره ولا حاجة الى العائد لان الجملة
اذا كان احد جزئيها عين المبتدا كقوله ولباس التقوى ذلك خير لا يحتاج
الى رابط وكذا ان جعل ضمير الشان لان الله احد نفسه وعلى
الاول يجوز ان يكون الله بدلا ولذلك قرى الله احد بدون هو واما
جعل احد بدلا فلا لان النكرة لا تبدل من المعرفة والاحدية توحيد الذات
بانتفاء انحاء جهات التركيب عقلا وخارجا والموصوف بها
هو الواحد الحقيقي والواحدية عدم المماثلة في الصفات وكل منهما يجوز
انفكاكه عن الاخر وفي ذاته تعالى متلازمان ولذلك وصف بالواحد الاحد
وقدم وصف الواحدية لانه محل الاشتباه في الجملة واما كونه احدي الذات
جلي لا يخفى «الله الصمد» والصمد فعل بمعنى المصمود وهو السيد الذي
يتصمد في الحوائج من الصمد وهو المكان المرتفع جلاه عن العاطف
لانه نتيجة الاولى اذ من كان احدي الذات واحدي الصفات لا يكون
الا غنيا مطلقا او دليل لها لان من كان مقصودا للكل في الاحتياج
ولا يحتاج الى شي فهو المتوحد ذاتا وصفة «لم يلد ولم يولد» لاقتضائهما
التجانس والتماثل وقد دل التوحيد على انتفائهما انى يكون له ولد ولم
يكن له صاحبة ولانه لو ولد او ولد لم يكن غنيا مطلقا «ولم يكن له كفوا احد»
كفو الشي ما يماثله ذاتا او صفة فالمتوحد المطلق الغني عن كل شي لا يماثله
احد في شي والاشتراك في الشيئية ليس الا في الاسم ولذا بقيد بكونه
شيئا لا كالاشياء وقرا حمزة كفوا باسكان الفاء وبالواو وقفا وكذا

حفص وقفا ووصلا بالابدال لاستثقال الهمزة بعد الضمتين روى البخاري عن
ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يقرا
ثلث القران في ليلة فشق ذلك عليهم فقال قل هو الله احد ثلث القران
وذلك لاشتماله على التوحيد ومباحث المبدا والمعاد ومقاصد القران
ثلث عقايد واحكام وقصص وروى مالك واحمد والترمذي والنسائي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله
ما وجبت قال وجبت له الجنة وروى الامام احمد عن تميم الداري عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله واحدا احدا صمدا لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد عشر مرات كتب له اربعون الف الف حسنة وعن بريدة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فسمع رجلا يقول اللهم اني اشهد ان
لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال والذي
نفسي بيده لقد سال الله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب
كثرت وفضائلها لا تتم والحمد لله الواحد الاحد والصلوة على الاوحدي في جميع الرسل
واله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين **سورة الفلق مدنية وهي خمس ايات**

بسم الله الرحمن الرحيم «قل اعوذ برب الفلق» فلق الشي شقه قال
تعالى فالق الحب والنوى والمراد به الصباح فعل بمعنى المفعول لان الليل تفلق عنه
او لان الله تعالى اخرجه من جيب الليل لقوله فالق الاصباح وفي المثل فلق
الصبح فالقه وعن ابن عباس هو الخلق كله لانه فلق من ظلمة العدم وعن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه جب في جهنم اذا فتح صاح اهل النار من شدة حره
وقيل الفلق المطمئن من الارض «من شر ما خلق» من شر مخلوقاته كلها وذوي
العقول وغيرهم يعم شر الدارين في العالم السفلي والعلوي «ومن شر غاسق
اذا وقب» من شر الليل اذا دخل ظلامه من الغسق وهو الظلام لقوله الى غسق
الليل يقال اغسقت العين اذا امتلات دمعا وخص بالذكر لان انبثاث
الشر فيه اكثر والتحرز منه اشق روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا دخل الظلام اجيفوا الابواب وكفوا الصبيان حتى يذهب فحمة
العشاء فان الشياطين تنتشر بعد المغرب وقيل هو القمر اذا خسف تقول
عايشة رضي الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ونظر الى القمر وقال تعوذي
من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب والمعنى انه يغشى الليل بوقوعه فالاسناد
مجازي واضافة الشر اليه للملابسة لانه يحدث بسببه والوقوب الدخول
من وقبت العين وهو النقرة التي يكون فيها العين «ومن شر النفاثات في
العقد» من شر النفوس الساحرة التي تعقد الخيوط وتنفث فيها لعمل السحر

ولعل ذلك الكثير اذ قد يكون بدونه والنفث فوق النفخ يجوز ان يكون معه ريق
والتفل لا يكون الا مع ريق والتعوذ من اثم ذلك العمل والانصاف به او من
الانخداع لتلك الاباطيل او مما يصيب الله به المسحور فانه عليه السلام سحر
حتى كان يخيل اليه انه فعل شيئا لم فعله سحره لبيد بن الاعصم اليهودي فان
قلت اذا صح انه سحر فكيف كذبهم في قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا
قلت هذه مقالة المشركين بمكة وانما سحر بالمدينة وعائشة رضي الله عنها
عنده وايضا لم يكن قصدهم في تسميته مسحورا ذلك المعنى بل المجنون بواسطة
السحر ومن شر حاسد اذا حسد اذا ظهر حسده بالقول او الفعل و
الحسد تمني زوال نعمة الغير وحصولها للحاسد والاغتباط هو تمني حصول مثله
من غير طلب زوال نعمة عنه وهو المراد بقوله عليه السلام لا حسد الا في اثنين العلم
يعمل به والمال الذي ينفق في سبيل الخير وانما عبر عنهما بالحسد مبالغة في الحرص
عليهما وانما عرف النفاثات دون غاسق وحاسد لوصفهما بالنظر في
بعدهما وقيل لان كل النفاثات شر بخلاف الغاسق والحاسد يشتد لا الحديث
وليس بناهض لما اشير اليه من الفرق بين الحسد والاغتباط ولقولهم
اذا دخل الظلام اجيفوا الابواب وكفوا الصبيان من غير تفرقة بين غاسق
وغاسق وفي دعائه عليه السلام اعوذ بك من شر كل حاسد تمت والحمد لله نعمة عمت

سورة الناس مدنية وهي ست ايات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس بتدبيرهم المتولي امورهم المتصرف فيهم ملك
الناس اله الناس عطفا بيان على طريقة الترقي لان الرب قد لا يكون
سلطانا وهو اعم من ان يكون الها يستحق العبادة وتكرير الناس مظهرا
لانه المحل في البيان من شر الوسواس الموسوس اسم المصدر اطلق على
الفاعل مبالغة والوسوسة حديث النفس بالشيء اصله صوت الحلي
قال الاعشى تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت روى الترمذي عن ابن
مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للشيطان بابن ادم
لمة يوعده بالشر ويكذب بالحق الخناس المنسوب الى الخنوس وهو التاخر
لانه كلما سمع ذكر الله تاخر الذي يوسوس في صدور الناس روى البخاري
ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تجاوز الله
لي عن امتي ما وسوست به صدورها ما لم تتكلم او تعمل به ويجوز في محل الموصول
الحركات الثلث الجر على الصفة يعم الثقلين لقوله شياطين الانس
والجن يوحي بعضهم الى بعض ويجوز ان يكون من ابتدائية اي من جهة هذين النوعين
فان قلت الوسوسة حديث النفس وذلك يختص بشياطين الجن فكيف

والرفع والنصب على الشتم من الجنة
والناس بيان للذي يوسوس على
ان الشيطان يعم ح

يسند

يسند الى الانس قلت المراد بالوسوسة الدلالة على الشر والقاؤه في النفس
فهي تتحدث به سواء كان بطريق ظاهر او خفي ولذلك قيل شيطان الانس
اشد اغواء من شيطان الجن لانه يخنس عند ذكر الله تعالى دون شيطان الانس
ولما كان شان الاولى به اهم واولى افرد الاستعاذة له بعدما كان داخلا
في عموم شر ما خلق روى مسلم عن عقبة بن عامر ان رسول الله عليه السلام
قال الم تر آيات انزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل
اعوذ برب الناس روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها كان اذا
آوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه وقرا قل هو الله احد والمعوذتين ونفث
فيهما ثم مسح بهما ما استطاع من جسده هذا وانا اعوذ بهما من شر نفسي
ومن شر كل ما ذرا وبرا واستغفر الله تعالى من خطرات الاوهام وعثرات
الاقلام واساله العفو والمغفرة لي ولوالدي ولمشايخي الكرام ولكافة
المسلمين هذا آخر ما اوردته من تفسير كلام الله الملك العلام مع انحطاط
رتبتي عن هذا المقام ولكن للمجتهد الاجر وان حرم اصابة المرام
وقصر عن شاو الكرام والحمد لله المفضل المنعم اولا وآخرا
والصلوة على اكمل خلقه ترغيما للشيطان ذاكرا وعلى اخوانه
من المرسلين وسائر الانبياء والصالحين من آله وصحبه
ومن تبعهم الى يوم الدين فرغ مؤلفه من تاليفه
يوم الخميس الثالث من رجب الفرد الواقع في سنة
سبع وستين وثمانمائة وكان الابتداء به
في اواخر سنة ستين وثمانمائة في المسجد
الاقصى تجاه باب الجنة تفالا
والله خير مامول ومسئول

وقد وقع الفراغ من تحرير هذا التفسير الشريف المنيف لكلام الله المعتبر اللطيف
يوم الجمعة في عاشر اول الصفر وتم بالسعادة والظفر من شهور عام ست
وستين والف من هجرة من له العز والشرف كتبه محمد المرعشي المحتاج الى رحمة
ربه الغني غفر له ولوالديه ولاساتذه
ولجميع المسلمين امين
والحمد لله رب
العالمين
م

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بزين الصدور عنب
وكفى عبده